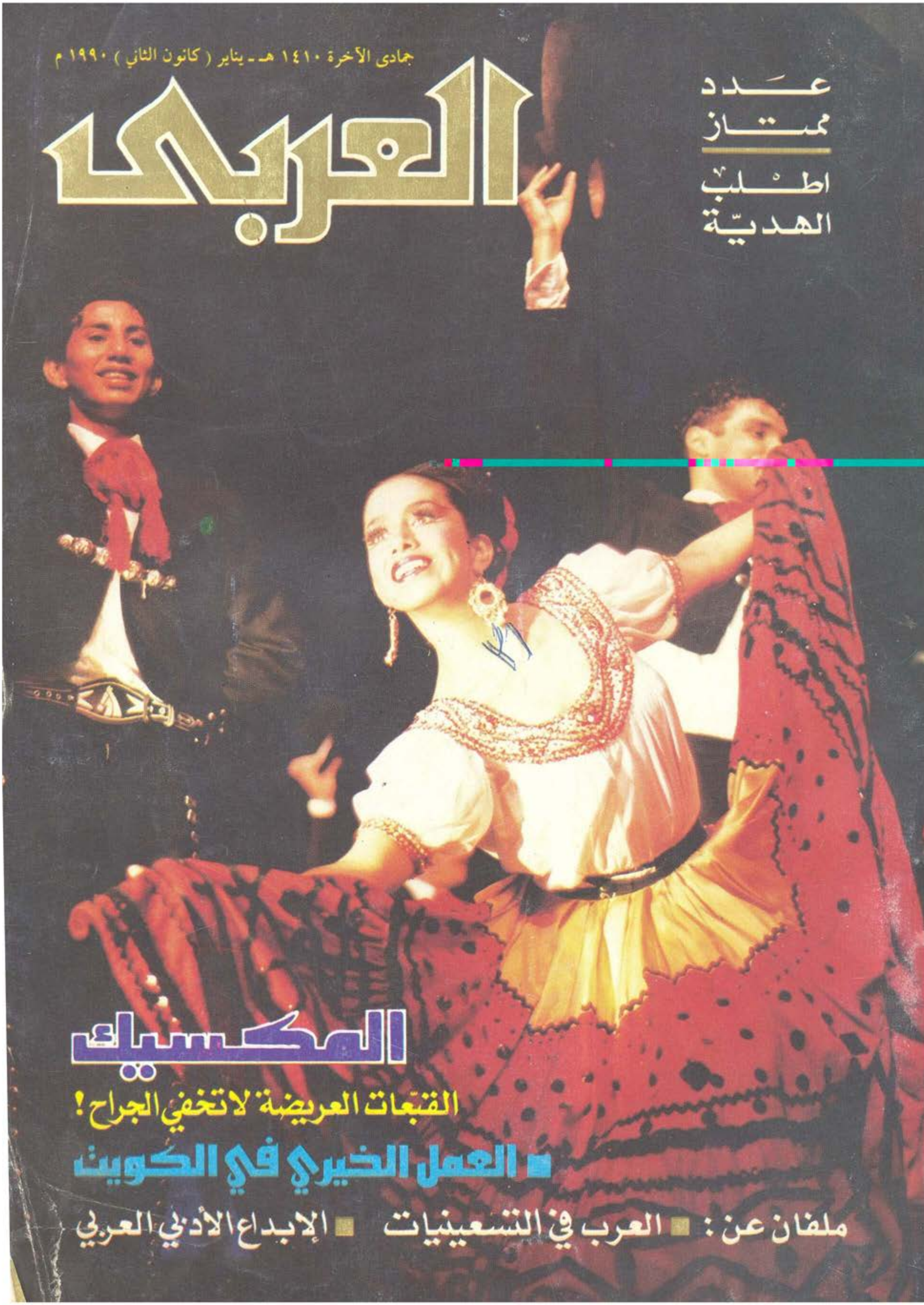
جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ - يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠ م

العربي

عدد ممتاز

اطلب الهدية



المكسيك

القبعات العريضة لاتخفي الجراح !

■ العمل الخيري في الكويت

ملفان عن : ■ العرب في التسعينيات ■ الإبداع الأدبي العربي



"عقد صفقة" - للفنان النمساوي تشارلز فيلدا

العدد ٣٧٤ السنة الثالثة والثلاثون يناير ١٩٩٠

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

العربي
ص.ب: ٧٤٨ ـ الصفاة
الرمز البريدي 13008 الكويت
تلفون: ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا: "العربي"- الكويت
تلفون فاكسملي: ٢٤٢٤٣٧٥ - تلكس: MITR. 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI
Issue No. 374 Jan. 1990 P. O. Box : 748
Postal Code No. -13008 Kuwait.
A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information
State OF Kuwait.

الاعلانات يتفق عليها مع الإدارة ـ قسم الاعلانات

الاشتراكات ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات ـ الإعلام الخارجي
وزارة الإعلام ـ ص.ب: ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة
مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٦ د.ك أو ٢٠ دولارًا باقي دول العالم ٨ د.ك أو ٣٠ دولارًا

ثمن النسخة

الكويت ٣٠٠ فلس	تونس ٥٠٠ مليم	سوريا ١٥ ليرة
العراق ٤٠٠ فلس	الجزائر ٥ دنانير	الامارات ٧ دراهم
الأردن ٢٥٠ فلسًا	السعودية ٦ ريالات	المغرب ٥ دراهم
البحرين ٤٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٤ ريالات	ليبيا ٥٠٠ درهم
اليمن الجنوبي ٣٠٠ فلس	قطر ٧ ريالات	أوروبا: جنيه استرليني ونصف
مصر ٣٥ قرشًا	سلطنة عُمان ٤٠٠ بيسة	فرنسا ٢٥ فرنكًا
السودان ٢٥ قرشًا	لبنان ٥٠ ليرة	أمريكا ٣ دولارات

محتويات العدد

قضايا عامة :

عروبة وإسلام :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

سياسة واقتصاد :



● وهران ، عاصمة الغرب الجزائري . ص ١٦٤

أدب وفنون :

منتدى العربي :



تربية وعلم نفس :

تاريخ وتراث وأشخاص :

مكتبة العربي :

أبواب ثابتة :



صورة الغلاف

المكسيك ، بلاد الأهرامات القديمة وامتزاج الحضارات والفنون . بلاد القبعات العريضة والرقصات الحيوية هي موضوع استطلاع « العربي » في هذا العدد الممتاز .

[طالع الاستطلاع ص ١٠٠]

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

عزيزي القارئ

على عتبات القرن الواحد والعشرين

لأننا في « العربي » من الذين يشغلهم الهمّ العربي ، واقعه ومستقبله ، ولأننا نعاني قلقاً لا حدود له حول مستقبل هذا الوطن ، وحول مصدر الثروة الأساس فيه ، وهي شبابه ، ولأن هدفنا وجهدنا هو التنوير من خلال هذه المطبوعة التي بين يديك ، فإن من حقنا وحقك أن نتساءل معك : ماذا عن المستقبل ؟ والتساؤل هو بداية المعرفة .

لذا فقد كان احتفالنا بالعقد الجديد الذي يضعنا مباشرة أمام القرن الواحد والعشرين ، بقرار محسوب ومدروس باتجاهين : الأول هو استقراء المستقبل في شؤونه العديدة ، لذا فقد طلبنا من مجموعة من الكتّاب والمفكرين العرب أن يطرحوا لنا رؤاهم للمستقبل العربي ، وقد كان ، ووضع بعضهم أصبعه على مواقع الألم . وفي هذا العدد نبدأ بنشر ما وصلنا من أولئك الكتّاب العرب المبرزين حول نظرتهم وتوقعاتهم في التسعينيات ، في ملف شارك فيه كتّاب من أمثال : غسان سلامة ، ومحمد سيد أحمد ، وعلي عتيقة ، فجاءت مقالاتهم مع افتتاحية العدد التي كتبها رئيس التحرير ، لتضعنا أمام طموحات المستقبل العربي ومصاعبه .

وفي الأعداد القادمة سنتابع هذا الملف بمقالات أخرى ، وصلتنا من كتّاب عرب بارزين ، في محاولة لوضع تصور شامل للتسعينيات العربية ، وما بعدها .

أما الاتجاه الثاني لاحتفائنا بالتسعينيات ، فقد خططنا له منذ فترة ، ونبدأ تنفيذه من هذا العدد ، وهو ملف الثقافة والإبداع العربي ، ولقد قررنا أن نستكتب نخبة من الكتّاب العرب الثقاة في موضوعاتهم عن حال الثقافة العربية في السنوات الخمس والعشرين الماضية ، وهذه النظرة إلى الخلف لها هدف مستقبلي ، فماذا حققنا في القصة والشعر والرواية والمسرح حتى الآن ؟ وما مستقبل هذه الفنون في القادم من الأيام ؟

وقد كتب لنا في هذا الصدد أهل ذكر في موضوعاتهم ، نبدأ بالشعر في هذا العدد ، فيكتب لنا حامد أبو أحمد ، وعبدالعزيز المقالح ، عن الشعر في منطقتين عربيتين . وسنوالي نشر موضوعات الشعر والقصة القصيرة والرواية والمسرح خلال هذا العام بشكل تتابعي ، ويكاد الملف أن يكتمل لدينا في « العربي » ، ولكننا نتوقع أن يسهم بعض المهتمين أيضاً بالتعليق على موضوعاته .

إلى جانب هذين الملفين يحفل عددنا هذا بالمادة الثقافية المتنوعة . فلأول مرة نقدم دراسة موثقة عن العمل التطوعي الكويتي ، ولا شك أننا نحتاج إلى إشاعة فكرة التطوع في مجتمعاتنا ، والعمل التطوعي في الكويت ، كما هو ظاهر من هذا الاستطلاع ، عميق ومتشعب ومؤسسي الطابع ، ولقد بدأنا العمل الجماعي في كتابة الاستطلاع ، حيث يظهر في هذا الاستطلاع الذي شارك فيه محرران من « العربي » .

أما استطلاعنا الثاني فهو عن « المكسيك » التي تصلها « العربي » لأول مرة ، وهي البلد الذي يحمل نقيضي الفقر والثروة . ونأخذك في استطلاعنا الثالث إلى وهران ، المدينة الجزائرية التي تغسل رجليها في البحر .

وستلاحظ ، عزيزي القارىء ، أن هناك موضوعات جديدة ، مثل « على هامش قول على قول » الذي يكتبه لنا في كل عدد الأستاذ حسن الكرمي . وفي الصفحة الأخيرة نقدم لك فكرة جديدة ، يكتبها كل مرة كاتب من كتّاب « العربي » بالإضافة إلى مواضيع حياتية ، مثل : موضوع : الشيخوخة لماذا تأتي مبكراً ؟ لوسمية الحوطي .

وكعادتنا في كل عام ، في عدد يناير ، نقدم لك هدية مجانية ، ذات فائدة عامة ، وهديتنا لهذا العدد « خريطة طرق المواصلات البرية في الوطن العربي » .

أما بقية المواد الثقافية والعلمية والاجتماعية ، فإنها كثيرة ومتنوعة ومتشعبة . هذا الجهد ، عزيزي القارىء ، جاء عن تخطيط وإعداد ومتابعة ، بذلت فيها أسرة « العربي » كل ما تستطيع ، كي يأتي الثمر يانعاً شهياً ، وليكون شكل احتفائنا بالتسعينيات مختلفاً ، دلالة على أننا نحاول أن نخطو الخطو الصحيح في المساهمة لإغناء الثقافة العربية . وكل عام ـ عزيزي القارىء ـ وأنت بخير . □

المحـــرر

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

العَرَبُ فى الألف الثالث بَعْدَ الميلاد
« التفاوض على المستقبل »

ببساطة شديدة : إن لم نفكر في المستقبل فلن يكون لنا مستقبل ، فان أخطر ما يصيب العقل ، عند أي أمة من الأمم ، هو أن يشعر قادة الرأي فيها أن الأمور محسومة من قبل الأجداد ، وما سيأتي مع الأيام ليس أكثر جدّة مما مضى ، ذلك يعني التوقف عن التفكير . وذاك أحد الأسباب الرئيسة للفشل في مناحٍ كثيرة من حياتنا ، والذي ما زلنا نُمنى به حتى الآن .

نقَفُ بعد عشر سنوات فقط على عتبة الألف الثالث من الميلاد ، ووراءنا فقط نصف قرن أو يزيد قليلاً من الاستقلال الحديث ، وأمامنا تحديات كبرى ، لم تكن مسبوقة ، وعلى عاتقنا وحدنا تقع مسؤولية التفكير بتقديم حلول لها ، في عالم سمته السباق التقني والفكري والتغير الاجتماعي السريع ، وهو في أوج سرعته يكسب دفعاً جديداً يوماً بعد يوم .

لم يفز قرن من قرون البشرية باهتمام ودراسات مستقبلية كما فاز هذا القرن الواحد والعشرون القادم إلينا بخطوات حثيثة ، ولقد تكاثرت هذه

لم تعد الأرض ولا رأس المال ولا العمل بمعانيها القديمة هي الثروة، بل أصبحت ثروة الأمم عقل الانسان

الدراسات في مجتمعات الغرب والشرق ، كل يبحث عن تصورات لما سوف يجلب له المستقبل من آمال يمكن تعزيزها ، وآلام يمكن تفاديها ، ونحن العرب على استحياء كانت لنا دراساتنا العلمية الخاصة ، وهي قليلة في العدد ، وضامرة في الإعلام والإعلان عنها ، فلم تتعد بضع أيدٍ وعقول نظرت إلى ما سوف يكون عليه المستقبل لنا ، فوجلت وارتعدت فرائصها .

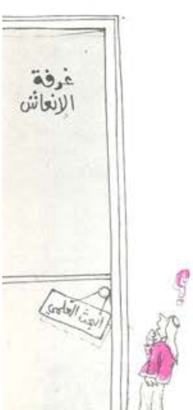
وضعت أمامي عدة دراسات سابقة عن المستقبل في مجتمعات أخرى ، وخرجت بمحصلة مفادها : كم هو قاصر عقل الإنسان عن التنبؤ بالمستقبل ، لقد قرأت ما تيسر من الدراسات التنبؤية عن بعض المجتمعات ، فوجدت أن ما توصل اليه الإنسان بالفعل لم يكن متخيلا حتى في أكثر الدراسات تطرفاً قبل سنوات قليلة فقط . والحقيقة هي أن الواقع أكثر عمقاً من كل متوقع ، وعوامل التغير التي تفعل فعلها شديدة إلى درجة (اللامعقول) في بعض الأوقات ، وخذوا مما يحدث في أوربا الشرقية عبرة ! .

حلقات المستقبل :

وعندما نعود الى الوطن العربي ، لندرس ما يمكن أن يحمله لنا المستقبل من مشاهد وصور ، نجد أنفسنا ملزمين بدراسة ثلاث حلقات غير منفصلة ، هي المدخلات ، والمعضلات ، وأشكال إعادة البناء . المدخلات هي كل العناصر المحلية والعالمية التي تؤثر في مجتمعاتنا ، ويمكن أن نرصد الشامل منها والعام . أما المعضلات فهي ما يواجهنا ، أو ما نعتقد أنه يواجهنا من مشكلات اقتصادية واجتماعية وحياتية وثقافية ، أما أشكال إعادة البناء فهي من جهة الدراسات التي حاولت توضيح بعض مسارات المستقبل العربي ، ومن جهة أخرى الخطوات الفعلية التي يتخذها بعض الأقطار العربية للتأقلم والتكيف مع متطلبات المستقبل .

وقبل الدخول في عرض هذه الحلقات الثلاث ـ كما أراها ـ أريد أن أبدأ بتحفظين :

الأول : أنه لا يوجد توقع أحادي لمسار المستقبل ، فهناك عدة مسارات و (سيناريوهات) ، تتدخل في تحديدها مجموعة متكاثرة من العناصر المؤثرة .



والثاني : أن العناصر المكونة والمساهمة في الحلقات الثلاث التي أشرت إليها ، وهي المدخلات والمعضلات ، وأشكال إعادة البناء ، هي عناصر بالضرورة انتقائية ، قد يختار بعضنا بعضاً آخر منها ، غير الذي اخترته . ومن الإيجاز إلى التفصيل .

المـــدخـَــلاتـــــ :

أ ـ المدخل التقني الاتصالي :

بكل المفردات واللغات والتعابير : نحن نعيش اليوم على هذا الكوكب مع انفجار ثورة المعرفة والاتصالات . ويقول لنا أهل الذكر : إنه خلال عشر سنوات قادمة سيتراكم من المعرفة ما لم يتراكَم عبر ألفي سنة إلا عشراً ، الماضية ، من تاريخ الإنسانية . هذا التراكم نستطيع أن نلحظ نتائجه أمامنا بكل سهولة . يقول أحد الاختصاصيين في صناعة (الكمبيوتر) مثلاً : إن تطور هذه الأجهزة في السنوات القليلة الأخيرة لو حدث مثله في صناعة الطيران مثلاً لاستطعنا السفر من نيويورك إلى طوكيو في دقيقة واحدة ! !

وإذا كان هذا المثال صعباً على بعضنا تصوره ، فتعالوا ننظر إلى أي مثال من الواقع ، فقد حدثنا الصحفي العربي الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل عن الزلزال في الاتحاد السوفيتي ، في سلسلة مقالاته التي نشرت في نهاية نوفمبر المنصرم ، حدثنا عن شيء يمكن مقارنته ، فنقل عن أناتوني دوبرنين ـ سفير الاتحاد السوفيتي في واشنطن مدة تزيد قليلاً عن ربع قرن ، عن (الاتصال) في أزمة الصواريخ المشهورة ، (وحصار كوبا) في بداية الستينات . قال : (كنت أقابل روبرت كنيدي ، أخ الرئيس جون كنيدي ، وأقوم بكتابة التقرير بخط يدي ، ثم يقوم رجل (الشيفرة) في السفارة بتحويله إلى رموز ، ثم نتصل بعامل البرق في شركة (وسترن يونيون) الذي يأتي على دراجة بخارية ، ومن ثم ترسل الرسالة إلى موسكو ، ويصلنا الرد بالطريقة نفسها وبالأسلوب نفسه . عندما نقرأ هذا الكلام ونعرف اليوم كيف يمكن أن ترسل رسالة بالهاتف الطابع (الفاكسميلي) وفي اللحظة نفسها التي ينهي فيها كاتبها آخر جملة ، نتعرف على النقلة الواسعة في موضوع الاتصال ونحن نتحدث الآن عن أقل من ثلاثة عقود من السنين !



إن حسبنا المدخلات التقنية في ثورة الاتصال فلن ننتهي حتى نقول : إن العالم يتصل بعضه ببعض بطرق ووسائل أسقطت حواجز كثيرة ، فأنت اليوم تستطيع أن تعرف رأي قانوني دولي في موضوع مهم ، بمجرد أن تقرر ذلك ، وأن تشاهد فيلماً تلفازياً عن حالة الأطفال في أثيوبيا ، بمجرد أن يتعرض عدد منهم إلى المجاعة ، كما تستطيع أن تعرف ـ إن أردت ـ توازن القوى العسكرية بين دولتين ـ بدرجة كبيرة من الدقة ـ بمجرد أن تكتب سؤالاً بهذا المعنى إلى إحدى الإذاعات العالمية ، وهكذا . ثورة الاتصال هذه المتزايدة في كل مناحي

الحياة لم تعد تترك بلداً ولا مجتمعاً ولا قرية منعزلة ، فالكل يعرف ما يدور لدى الكل .

ب ـ مدخل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية

وهنا أيضاً يشهد العالم مجموعة من المتغيرات غير المسبوقة ، فلم تعد نظريات الاقتصاد التقليدي أو الاجتماع التقليدي بقادرة على تفسير هذه التغيرات المتسارعة ، ونستطيع أن نحسب في كل الاتجاهات عوامل التأثير هذه ، فالتغير في الإطار الاقتصادي هو في حالة ثورة على الأشكال التقليدية الماضية .

لقد أصبح (المال) ـ على سبيل المثال ـ سلعة بحد ذاته ، ولم تعد القوانين الاقتصادية التي تكونت في رحم الثورة الصناعية الثانية ، في النصف الأول من القرن العشرين ، قابلة للتطبيق في الربع الأول من القرن الواحد والعشرين ، ولم تعد مقولات مثل : « الاكتفاء الذاتي » مقولات ذات قيمة في عالم مفتوح للتبادل التجاري على مصراعيه ، فحتى اليابان بدأت تشكو من تطبيق قاعدة كانت ذهبية إلى فترة متأخرة ؛ وهي (التصنيع للتصدير) . ولم يعد مصدر القوة الاقتصادية الرئيس ، بعد كل هذا ، هو الثروة المادية ، أي لم تعد الأرض ، ولا رأس المال ، ولا العمل بمعناه القديم هي الثروة ، بل أصبحت ثروة الأمم هي عقل الإنسان ، وبالتالي أصبح الإنسان مقدماً على كل ما عداه لخلق الثروة واستمرارها .

وفي الشأن الاجتماعي نلحظ التغير المتسارع ، والذي هو سمة العصر وعنوانه ، وأحد أهم هذه التغيرات التزاحم البشري على هذا الكوكب . تكاد بلدان بعينها تتفجر من كثرة البشر ، يفيض بعضهم على بعض ، وتختلط الأجناس والثقافات إلى درجة أننا أمام عصر تعدد الحضارات عن حق ، تتزاوج فيه القواعد والمنجزات العلمية مع الثقافات المختلفة ، ويُنتج شيء جديد في مجتمعات كثيرة . عصر سمته الأساسية الانفصال عن الماضي الذي عرفه جيل سابق لنا فقط ، فوَقْعُ القرنِ الواحد والعشرين يدعو إلى نموذج ثقافة اجتماعية ، تُسقط وَهْمَ العزلة ، وتُسقط وَهْمَ التفرد ، سواء أكانت هذه العزلة والتفرد بمعناهما السلبي أم الإيجابي ، وستصبح هناك قيم حضارية عالمية تعمل (كجينات للتغيّر) .

نوع تدريب البشر وكيفية استخدام الثروة والثقافة المطلوبة التي يمكن أن تكون قاعدة للتطور العلمي ، كل ذلك يؤثر في تغير النسيج الاجتماعي

لو حدث تطوّر في صناعة الطيران مثل الذي حدث في تطوّر أجهزة "الكمبيوتر" لاستطعنا السفر من نيويورك الى طوكيو في دقيقة واحدة

للمجتمعات ، وقد كان هذا التغير (الاجتماعي) من أبطأ أنواع التغيرات التي يمر بها الإنسان حتى عقود قليلة خلت ، ولكنه اليوم أضحى مشاهداً ومحسوباً أيضاً ، خاصة في المجتمعات التي وفرت للثقافة والعلم حظاً واسعاً في حساباتها ، وأصبح للتغير الاجتماعي « قواصد » كقواصد العلم التطبيقي ، تسعى إليها المجتمعات .

أَقَبِلْنا هذه المدخلات (المؤثرات) ، أم لم نقبلها فإنها ستكون من جملة عناصر أخرى مؤثرة على مستقبلنا ، قد يحدث بعضها عندنا ، وقد يحدث بعضها الآخر بعيداً عنا ، ولكن تأثيرها في النهاية سيصب باتجاهنا ، فماذا نحن فاعلون ؟

المعضلات :

ثانية الحلقات التي نجد أنفسنا ملزمين بدراستها ، عندما نتصدى لدراسة المستقبل بعد المدخلات هي **المعضلات** ، أو المشاكل التي تواجهنا . وهنا لا بد من البدء بالقول بأن **أولويات المشاكل** ، من منظور الدول النامية ، تختلف عنها من منظور الدول المتقدمة ، وأولويات الأخيرة تختلف عن أولويات المشاكل التي تواجهنا ، فهم في الغرب يواجهون مشكلات مثل تلوث البيئة ، ومشكلة الإنتاج الذري ، تواكبها مشكلات نزع السلاح ، ثم حقوق الإنسان ، والأشكال الأفضل من الأنظمة للحكم والسياسة ، في الوقت الذي تختلف فيه أولوياتنا ، بل نختلف نحن فيما بيننا على هذه الأولويات . ففي دراسة نشرت سنة ١٩٨٦م ، عن توقعات المستقبل لدى بعض القيادات الفكرية العربية[1] ، وجد الباحث أن هموم المستقبل ومشكلاته الملحة كما يراها هؤلاء تندرج في أولوياتها كالتالي : التنمية ، الديمقراطية ، التبعية ، أخطار التفتت ، وهي أولويات قد يتفق معها بعضنا وقد يختلف . وشخصياً أضع الأولوية السكانية والتنموية على رأس قائمة الأولويات ، يليها العلم والتقنية ، ثم الصناعة والزراعة ، وبعدها المشكلات الاجتماعية ، ثم السياسية . وإذا وافقنا على هذا النوع من التقسيم والتدرج فأينما نظرنا فسوف ننظر إلى صورة ليست بالضرورة - مع الأسف - إيجابية . ولنبدأ قراءة بعض المؤشرات : هناك فقط تحذير سابق ، وأحسب أنه مهم قبل الدخول في التفاصيل ، وهو أن الأرقام ليست بالضرورة دقيقة ، ولكنها فقط تقريبية ،

في نهاية العقد الحالي ستكون هناك على الأقل مدينتان عربيتان من أكبر عشرين مدينة في العالم ، وتتدفق الهجرة من أقطار الثقل البشري إلى الأقطار قليلة السكان

(١) د. علي نصار : مستقبل الوطن العربي : جولة في هموم الحاضر وتوقعات المستقبل - المستقبل العربي - عدد ٨٩ يونيو ١٩٨٦ .



لسبب بسيط ، هو نقص في قاعدة المعلومات التي تتوافر للباحثين العرب ، وذاك نقص حضاري ليس من السهل القفز عنه أو تجاوزه .

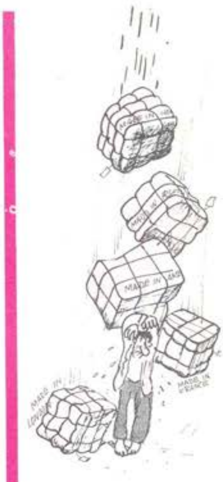
ولكن ما الصورة ، أو ما الواقع القريب إلى الصورة ، في أقطارنا العربية ، في الموضوع السكاني مثلاً ؟ تدل المؤشرات السكانية على أن الوطن العربي ، بعد عشر سنوات ، سيبلغ تعداده ثلاثمائة مليون نسمة ، ٤٥٪ منهم حينئذ تبلغ أعمارهم أقل من خمس عشرة سنة ، وسوف تزداد هجرة السكان من الريف والبادية إلى المدن ، حتى تحوي هذه المدن ٦٠٪ من عدد سكان الوطن العربي ، أي أن أريافنا وقرانا سوف تهجر نسبياً ، وسوف يتضخم عدد سكان مدننا ، بل مدن بعينها في بعض الأقطار .

وتقول الإحصائيات أيضاً : إن حوالي ٧٠٪ من سكان ليبيا سيتمركزون فقط في مدينتين ، وهما طرابلس وبنغازي ، في نهاية العقد الحالي ، وسوف يعيش نصف سكان العراق في بغداد ، وستكون هناك على الأقل مدينتان عربيتان من أكبر عشرين مدينة في العالم ، أي يبلغ عدد سكانها أكثر من عشرة ملايين نسمة ، وتتدفق الهجرة السكانية من أقطار الثقل البشري العربي إلى الأقطار القليلة السكان .

إن ترجمنا هذه الإحصائيات فإنها تقول لنا بوضوح :

إن قطاع الزراعة (في الريف) سوف يفقر أكثر وأكثر ، بل سوف تشكل الهجرة منه كارثة على الإنتاج الزراعي من جهة ، وعلى اكتظاظ المدن

الهمّ الاقتصادي هوَ الجهاد الأكبَر وعندما ينتهي الناس من صناديق الاقتراع يبقى هذا الهمّ مستمرًّا



من جهة أخرى ، في الوقت الذي لا يتوافر لأبناء المدن المتضخمة ، السكن ولا التعليم ، ولا فرص العمل المناسبة . لقد قدرت الواردات الغذائية العربية في منتصف الثمانينيات بحوالي ٢٥ مليار دولار ، ويقدر أن العرب سوف يستوردون في نهاية العقد الذي نحن فيه أكثر من ٢٩ مليون طن من الحبوب ، يصل ثمنها إلى حوالي ٦٠ مليار دولار .

تزايد السكان ، والتمركز في المدن ، والنقص في الإنتاج الزراعي ، ما هي إلا مؤشرات لما سنكون عليه في نهاية هذا العقد ، وفي بداية الألف الثالث من الميلاد .

في كل الكتابات العربية الخاصة بالتنمية نجد أن هناك ضيقاً واضحاً ـ إذا استخدمنا أقل التعبيرات إيلاماً ـ بمسارات التنمية العربية ، وأملاً يتزايد في الخفوت بوضع حلول علمية لها ، ذات مدى زمني متوسط وطويل ، لا تعصف بها الأهواء السياسية ، ولكن الحقائق سوف تبقى حقائق ، وتأثيراتها سوف تظهر .

وفي مجال آخر هو التعليم والتقنية ، تقول لنا الإحصائيات : إن هذا التوسع في التعليم الذي كان سمة المجتمعات العربية ، في العقود الثلاثة الأخيرة ، سيظل في مساره ، وسيصل عدد تلاميذ المدارس الابتدائية في الوطن العربي ، في نهاية هذا العقد ، إلى ٤٥ مليون طفل ، مقارنة بما كان عليه مثلاً سنة ١٩٨٠ ، وهو عشرون مليوناً فقط (أي بنسبة ١٢٠٪) . وستفرض هذه الزيادة في السنوات الأولى من القرن القادم وجوب مضاعفة فرص العمل التي نراها اليوم تضيق على مر الزمن . وهنا سوف يحدث التباين بين هيكل العرض وهيكل الطلب ، مما يفرض ضغوطاً اجتماعية وسياسية كبيرة ، ومن هنا تبرز أهمية وضع فلسفة وسياسة جديدتين في موضوع التعليم الذي يُعد الإهدار فيه ليس تفويت فرص حالية ، إنما يعد أيضاً مضاعفة للأخطار المستقبلية .

أما في التقنية فالأمر أكثر فظاظة ، فالتقديرات تقول لنا : إننا سوف نستورد في العقد القادم فقط ما قيمته ألف مليار دولار من الأجهزة والأدوات الصناعية والمعارف التقنية . إن وضع (التبعية التقنية) سوف يتفاقم ، والنقص في المعرفة والمعلومات يزيد علينا أيضاً ـ كما تقول الإحصاءات المحافظة ـ ٤٠٪ من التكاليف ، أي أننا ندفع بسبب نقص معلوماتنا في هذا المقام ضريبة تبلغ ضعف الثمن تقريباً ، وهذه الضريبة تتسرب في قنوات من بينها عدم الدقة في الاختيار بين التقنية المعروضة ، أو عدم تأقلم هذه التقنية مع

الوسط المحلي ، أو أسباب أخرى عديدة .

وقد حدثني أحد رؤساء المؤسسات الصحفية الكبرى ، منذ فترة ، في أنه يصرف نصف مليون دولار شهرياً بسبب العطل في الأجهزة الجديدة التي اشتراها لمؤسسته ، بسبب احتكار المصنع لبعض الأجهزة الدقيقة ، وذاك غيض من فيض .

إن (التطعيم التقني) الذي نسير عليه يجعل اقتصادنا سجيناً للنظام الذي يولّد هذه التقنية ، وحل هذه المعضلة هو في الدأب على تعميق البحث العلمي ، الذي ما يزال في غرفة الإنعاش والذي نخصص له من الميزانيات قليلها وتافهها ، وقد بلغت في وسط الثمانينيات فقط (٤ , ٠٪) من مجموع الدخل القومي العربي .

وتنسحب هذه الصورة القاتمة على مستقبل الصناعة والطاقة والزراعة والثروة المائية والأراضي القاحلة في الوطن العربي . وكل هذه تعاني من نقص في التخطيط والمتابعة ، وضعف في الإدارة والإرادة ، ونظرة إلى اليوم ، ونسيان للغد وما بعده . وما يحمله الغد وما بعده جد خطير . تلك هي بعض المعضلات أو المشكلات الحياتية ، وهي بعض مكونات الحلقة الثانية في دراستنا للمستقبل العربي .

أشكال إعادة البناء :

الحلقة الأخيرة في دراستنا للمستقبل هي - كما اتفقنا - أشكال إعادة البناء ، وهي جزآن : جزء نظري ، وآخر عملي عبارة عن خطوات عملية اتخذتها وتتخذها بعض أقطارنا في محاولة للتصدي لهذا التحدي الصعب .

في المجال النظري لم يبخل بعض قادة الرأي العاملين في المجال الاقتصادي والتقني والثقافي في طرح تصوراتهم أمام الرأي العام العربي ، ووضع حلول واقتراحات يمكن الاستفادة منها . ولعلنا أمام تجربتين علميتين ، حاولتا التفاوض على المستقبل العربي ، بمعنى إيجاد بدائل و (سيناريوهات) تستقصي الواقع ، وترصد الإمكانات والقدرات ، وتتصور مسارات مستقبلية اعتماداً على الاستخدام الأمثل أو القاصر لهذه الإمكانات .

في العقد الماضي نما الوعي بأهمية دراسة المستقبل العربي ، وما سيكون عليه العرب في القرن الواحد والعشرين ، وتجدر الاشارة إلى مشروعين بحثيين كبيرين ، كان لي شرف الاشتراك المباشر في أولهما ، ومتابعة الثاني عن كثب . المشروع البحثي الأول هو مشروع « المستقبلات العربية

ما يحدث في الواقع يصبح أكثر عمقاً من كل ما هو متوقع وعوامل التغيير التي تفعل فعلها شديدة إلى درجة اللامعقول أحياناً

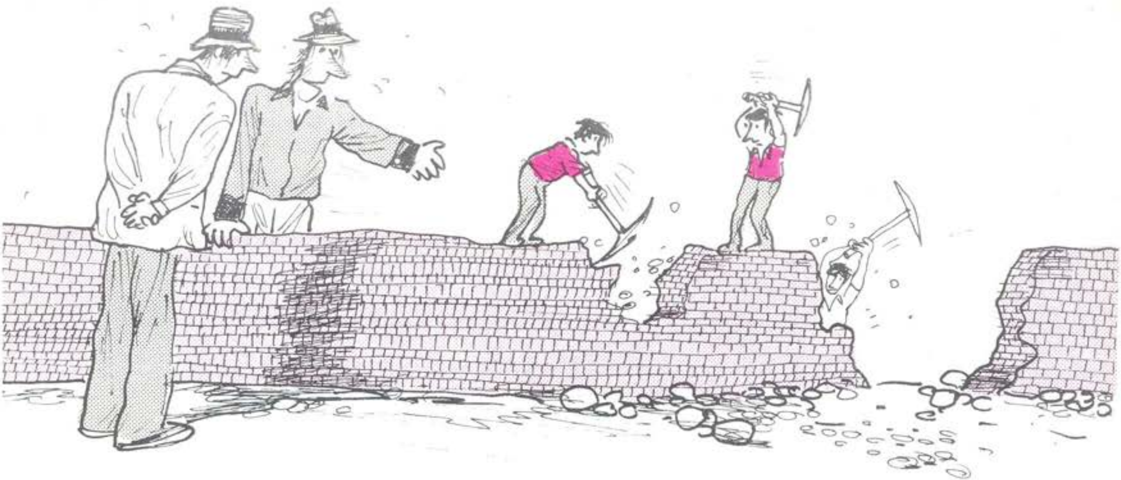
البحث العلمي العربي مازال في غرفة الإنعاش فلم تزد ميزانيته في وسط الثمانينيات على ٠٫٤٪ من مجموع الدخل القومي

البديلة » ، وهو أحد المشروعات البحثية لجامعة الأمم المتحدة (ومقرها في طوكيو) ، وأشرف على تنفيذه « منتدى العالم الثالث » في القاهرة ، تحت إشراف خبيرين اقتصاديين عربيين ، هما الدكتور اسماعيل صبري عبد الله ، والدكتور ابراهيم سعد الدين . بدأ هذا المشروع في يناير ١٩٨١ ، واستمر خمس سنوات ، وقدم مشروعه النهائي في نوفمبر ١٩٨٦ . وبين هذين التاريخين قام المنظمون بإجراء دراسات وأبحاث علمية ودقيقة في مجالات بارزة ومهمة ، لها أولوية قصوى في الإطار العربي ، وعقدوا ندوات لخبراء ومهتمين بمجالات عربية عديدة ، وكانت الاتجاهات التي توصلت اليها تلك الدراسات والندوات ملفتة للنظر . منها على سبيل المثال لا الحصر أن هناك اتجاهاً متزايداً لعملية التراجع عن المشروع القومي ، إلى مزيد من التفكك القُطري ، وهناك اتجاه متزايد لتدويل الحياة الاقتصادية العربية ، أي دمجها في الإطار الدولي لتدفقات التجارة والمال والتقنية والاتصالات العالمية ، كما أن التقنية المستوردة من الخارج حملت معها أنماطاً فكرية وأيديولوجية واستهلاكية وتوزيعية جديدة ، عمقت الازدواجية الفكرية والاجتماعية في الوطن العربي ، كما أن هناك اتجاهاً متزايداً للاعتداء على البيئة وتخريبها ، كما فقدت « البيئة العربية » توازنها ، وارتفع معدل التصحر والتلوث فيها .

تلك بعض أبرز ما في الصورة التي رسمها التقرير الأخير للمستقبلات العربية البديلة ، مع مجموعة وافرة من الدراسات التي اهتمت بالاقتصادي والثقافي والديني والسياسي .

والمشروع البحثي الثاني كان أوفر حظاً من الأول في الحصول على مساحة أوسع في الإعلام العربي ، استمر مدة أربع سنوات بين ٨٣ - ١٩٨٧ ، وصدرت دراساته التفصيلية ثم المجمعة تباعاً ، وكان للدكتور خير الدين حسيب ، مدير مركز دراسات الوحدة العربية ، وللمركز نفسه ، فضل بذل هذا الجهد الضخم ، وقد وصف التقرير النهائي الذي عرض إبان ندوة في تونس (أكتوبر ١٩٨٧م) ، وصف الواقع العربي ، وهو واقع - كما رسمت بعض صوره في السابق - مليء بآليات التبعية والتخلف والتفكك المعطلة إلى حد كبير لإمكانياته .

وكانت التوجهات أو التمنيات في هذه الدراسات ، وبعض الدراسات النظرية الفردية ، كثيرة ، تتخللها (يَنْبَغِيَّات) عديدة ، على رأسها التكامل التنموي العربي البشري والاقتصادي ، ورفع نسبة التعليم ومستواه ، ودمجه



مع أهداف التنمية المتبناة ، والاهتمام بالزراعة والصناعة والبنية التحتية ، وترشيد استهلاك الطاقة وزرع التقنية واستنباتها ، إلى آخر المتطلبات التي تتيح لنا فرصاً أفضل لمواجهة تحديات سنين القرن الواحد والعشرين .

ولكن كل هذه التوجهات والتمنيات لن تنقل من حيز الرأي إلى حيز التنفيذ إلا بقرار ، ممن يملكون حق إصدار هذا القرار ، كما أنها لن تستمر إلا بوجود قناعة تامة عند المستفيدين ، فمع عدم قناعة هؤلاء لن تُفْرض التنمية من أعلى ، فسرعان ما توضع أمامها ردود فعل سلبية ومعرقلة .

التوجهات والتمنيات لن تنتقل الى حيز التنفيذ إلا بقرار ممن يملك القرار وبقناعة ممن يستفيد

هذا الأمر يأخذنا إلى الشق الأخير من هذا الحديث ، وهو الخطوات العملية التي يتخذها بعض أقطارنا لإعادة البناء التنموي ، ولعل أظهرها ما تم في مصر وتونس والأردن أخيراً ، وما يتم في الجزائر واليمن الديمقراطي . والملاحظ أن هذه الأقطار أمام المشكلات الاقتصادية والحياتية قد بدأت بالسياسي ، فأمام الضغوط الاقتصادية التي تصاعدت في الثمانينيات اجتهد بعض هذه الأقطار في تلمس مسارات قد تؤدي إلى تنمية متوازنة ، وكان أحد هذه المسارات هو ما فرضته الحكمة التقليدية ، من أن المشاركة ـ وقد أضاف بعضهم عليها مفهوم التعددية ـ هي التي يمكن أن تفجر طاقات الإنسان العربي ، وقدراته الإبداعية ، وتزيل غربته ، فيستعيد ثقته بنفسه وبقدرات وطنه وأمته .



وقد يكون ذلك صحيحاً إلى حد ما ، ولكنني أعتقد أننا هنا قدمنا السياسي (العاطفي) على الاقتصادي (الموضوعي) . قد يحل السياسي بعضاً من المشكلات التي تواجهنا في القرن القادم ، ولكن في تقديري لن تستطيع الخطوات السياسية الداخلية في صيغة مشاركة ، أو الإقليمية في صورة تجمعات (متعاونة) ، أن تقدم الحل الناجع ، بل ربما يكون بعض الحلول السياسية بمثابة مهدئات تضع غلالة من الطعم الحلو على حبة الدواء المرة التي لا بد من تجرعها .

يشير بعضنا في الموضوع « السياسي » إلى ما حدث ويحدث في بعض بلدان أوربا الشرقية ، ويقدمون الأدلة على أن رياح التغير السياسي هناك هي بوادر صحية في الاتجاه الصحيح ، وقد تكون كذلك ، إلا أنه على الرغم من كل الزغاريد في الصحافة العالمية فما زالت بلدان أوربا الشرقية تبحث عن حلول لمشكلاتها الاقتصادية ، وليست هناك وصفة سحرية تربط التغير السياسي بالرفاه الاقتصادي ، ونحن نشاهد اليوم بعثات تلك البلدان تطوف ببلدان أوربا الغربية ، تكاد « تستجدي » المعونات الاقتصادية . بيت القصيد هنا أن إشكالية « الاقتصادي » أكبر وأصعب بمراحل من إشكالية السياسي .

وهناك أكثر من تجربة عربية - إن أردنا ضرب الأمثلة - نجدها باتجاه التغير في السنوات الأخيرة من الثمانينيات ، ولعل ما يحدث في اليمن الديمقراطي والأردن والجزائر أمثلة من هذا التوجه .

في اليمن الديمقراطي طرحت منذ فترة وثيقة بالغة الأهمية ، هي « مشروع الاتجاهات الأساسية للإصلاح السياسي والاقتصادي الشامل » . ودوافع هذا المشروع - كما تقول الوثيقة - أن التغير « ضرورة موضوعية لمعالجة الاختلالات والتشوهات والأخطار التي رافقت بناء هيكل السلطة وأجهزتها وأدواتها المختلفة وعناصر المنظومة السياسية بعضها ببعض » ، وملخص الوثيقة تلك أن هناك تفكيراً واقعياً بالمراجعة وإعادة النظر .

ويحدثنا كاتب متابع ، هو فهد الفانك ، عن تجربة الأردن الأخيرة ، فيقول : إن « واحداً من خمسة مواطنين يحق لهم الانتخاب لم يكلفوا أنفسهم مشقة تسجيل أسمائهم في قوائم الناخبين ، وأن واحداً من كل سبعة مواطنين سجلوا أسماءهم لم يكلفوا خاطرهم بالذهاب إلى المراكز المحددة لاستلام بطاقاتهم ، وأن اثنين من كل خمسة ممن أخذوا البطاقات اعتبروا يوم الانتخاب بمثابة عطلة للراحة ، وبقوا في بيوتهم » ، أي أن المشاركة من حيث العدد كانت محدودة .

واقع القرن الواحد والعشرين يدعو إلى «نموذج» ثقافة اجتماعية تشتت وهم العزلة والتفرد

ستظل الأديان باجتهاداتها المختلفة تعطينا القدرة على التكيّف مع مستجدات عصرنا وتعصمنا قيمها من مخاطر هذه المستجدات

وفي الجزائر ، منذ نوفمبر سنة ١٩٨٨ حتى آخر العام الماضي ، حدثت تغيرات كثيرة ، عُدّل الدستور باتجاه التعددية ، ونُوقشت مشاريع كثيرة من القوانين ، وصدرت ، ومن بينها قانون الأحزاب والانتخاب والإعلام ، وكثير غيرها .

هذه التحولات العربية التي حدثت في السنوات الأخيرة القليلة هي في الإطار « السياسي » ، إن كان ذلك مرحباً به فإن الصعوبة الحقيقية هي في ربط هذا « السياسي » بالتنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية التي شاهدنا صورها السلبية العميقة في صدر هذا الحديث . إن الهم الاقتصادي في نظري هو الجهاد الأكبر ، فعندما ينتهي الناس من صناديق الاقتراع ، يبقى ذاك الهم مستمراً ، فالحداثة السياسية دون حداثة اقتصادية ، أي دون مسكن ومياه شرب ومواصلات وعمل شريف ، تبقي المشكلة كما هي ، فمن الثابت أن نجاح السياسي يتطلب شروطاً اجتماعية واقتصادية لا يمكن للسياسي بدونها أن يصبح فعالاً .

القيـم الروحيـة :

أحد المناجم الغنية التي يمكن أن نلجأ إليها ونستفيد منها في مواجهة التحديات الجسام في التنمية الشاملة المبتغاة في هذا الوطن العربي هو المنجم الروحي ، فستظل الأديان باجتهاداتها المختلفة هي التي تعطينا القدرة على التكيف مع مستجدات عصرنا ، وتعصمنا قيمها من مخاطر تلك المستجدات ، ففيها من المنابع السلوكية والأخلاقية ما يعضّد الأمل والقدرة على العمل ، وتجد فيها الفئات الاجتماعية المختلفة ملاذاً للراحة والاطمئنان . وهناك من القيم ، كقيمة التضحية والعمل والإنجاز ، ما يمكن أن يساعد برامج التنمية . وقد أصبح من واجب أهل الرأي الدعوة لترسيخ تلك القيم في إطار من السماحة والتعايش ، ووضعها بجانب برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في منظومة متكاملة تأخذنا إلى الألف الثالث من الميلاد وتحدياته العظمى ، وهي كما ترون ضخمة ، ضخمة ، في زمن قادم ، لا يُحسب عليك ما تفعله فقط ، ولكن يُحسب عليك ما لا تفعله أيضاً » . □

محمد الرميحي

أقوال

■ « وللمظالم في كل عصر رموز ، وإن المديونية العالمية هي باستيل عصرنا الحاضر ، ومن أبرز رموز الظلم فيه . » .

الشيخ جابر الأحمد الصباح

أمير دولة الكويت



● الشيخ جابر الأحمد

■ « السياسة كالفلاحة ، فكما أن القطف قبل الأوان مضر ، فكذلك القطف بعد الأوان . » .

الملك الحسن الثاني

عاهل المغرب



● الحسن الثاني

■ « السياسة هي مجال التنافس حول القيم النسبية القابلة للاختلاف والتفاوض ، أما الدين فهو جملة القيم الخالدة التي لا تفاوض بشأنها . » .

زين العابدين بن علي

رئيس الجمهورية التونسية.

■ « أنا رجل عمري ثلاثة وسبعون عاما ، والإنسان يملك حيوات كثيرة ، مثل السنوات ، وأنا اليوم أملك الحياة رقم ٧٣ . » .

كاميلو خوسيه ثيلا

(الأديب الاسباني الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٩ م)



● زين العابدين بن علي

■ « إن الذين يرفضون الاتفاق في شأن السيادة على حق في المطلق ، لكن الذين وقعوا الاتفاق على حق أيضا في الواقع . » .

البطريرك الماروني نصرالله صفير

■ « ليس من المنطق تصور أن ما يحدث في الشرق هو انتصار للغرب ، ولكنها مرحلة جديدة من مراحل صراع العقائد الذي يعود إلى قرن كامل مضى . » .

مرجريت تاتشر

رئيسة الوزارة البريطانية



● مرجريت تاتشر

■ « إن حق جميع الألمان في تقرير المصير لما يصبح واقعاً بعد . » .

هيلموت كول

مستشار المانيا الاتحادية

عِقدُ الخيارات الصّعبَة

بقلم : الدكتور غسان سلامة*

« يدخل الوطن العربي إلى العقد الأخير من القرن العشرين مثقلاً بأعباء السنين الماضية ، وعليه أن يواجه تحدي الخيار ، والموقف والحسم في قضايا عاصرها طويلاً ، وهي قضايا لكي تحسم فإنها تتطلب قدراً كبيراً من إرادة التغيير والقدرة عليه » .

يصاب الناظر إلى منطقتنا من العالم بنوع من الدوار الذهني ، فالأمور فيها على تبدل دائم : هنا حرب ، وهناك نزاع ، وهنالك مصالحة لم يتوقعها أحد . فيأتيك شعور ، لا تقدر على مغالبته ، بأن المنطقة عصية على التناول المفهومي ، الشامل ، الهادىء ، وبأنها بالتالي مساحة من الأحداث المتلاحقة ، يدفع واحدها الآخر ، دون منطق بنيوي . ويبدو لك لوهلة ، أن المنطق الغالب في السياسة العربية ، هو منطق الحركة لذاتها ، دون هاجس الإنتاج العقلي للحركة ، وبلا اهتمام حقيقي بما قد تؤول إليه هذه الحركة المستمرة من نتائج ثابتة ، تمس جوهر الأمور ، فتعدلها أو تؤثر فيها . وتفتح جريدتك اليومية لتقرأ فيها ، حتى تزوغ عينك عن البصر ، أخبارا متلاحقة عن وصول رئيس ، ومغادرة وزير ، و « قمم » كثيرة متدافعة هنا وهناك ، ومجالس تعاون تؤسس ، وهيئات يعلن عن إنشائها ، ناهيك عن تبادل الرسائل ، وتنقل المبعوثين . فالطائرات ملأى بالمندوبين ، والبريد مفعم بالبطاقات ، ناهيك عن النشاطات « السرية » التي لا تبدو لها فائدة إلا تلك الهالة المحيطة بالإعلان عنها في أخبار خاطفة منقولة عن « مصادر مطلعة » .

الثابت والمتغير

إزاء هذه النشاطية شبه المرضية ، يأتيك من يقول : إن هذه كلها أمور سطحية ، للالتهاء والإلهاء ، وكلاهما لا علاقة لهما بالسياسة . ويضيف هؤلاء بأن لا حاجة لتتبع هذه الأخبار ولا لقراءة اليوميات ، إذ لا شيء في الأساس حاصل فعلا على أرض الواقع . ويرى هذا الفريق أن المنطقة محكومة بعدد من القوانين الأساسية الجامدة التي تقيدها معتمدين بذلك على المثل الفرنسي المعروف : « بقدر ما تتغير

* أستاذ العلوم السياسية في جامعة باريس ـ فرنسا ، من القطر العربي اللبناني .

الأمور ، بقدر ما هي باقية على ما كانت عليه » ، وتلاقي هذه النظرة هوى عند معظم المستشرقين ، فهم يعتقدون أن جل المثقفين العرب يلتهون بحيثيات سياسية جارية (بمعنى الحساب الجاري في المصرف) بينما الأمور البنيوية على ثبات ، وهم قد يذهبون لحد القول بأن التاريخ المتحول في غير مكان ، هو متوقف في منطقتنا عند عدد من القواعد الدائمة ، بل شبه الأزلية : تبعية مرضية لدى بعض القادة والنخب إزاء الخارج ، انعدام مستمر لأي قدرة على التوحد أو على مستوى دائم وراق من التنسيق بين الأقطار العربية المختلفة ، هدر لا مسؤول لإمكانيات تنموية كانت متاحة ، ناهيك عن وزن الدين في السياسة الذي ما يغيب قرنا حتى يعود من خلال موجة سلفية استرجاعية أخرى ، تفوق سابقاتها حدة وعقما .

ويقف الناظر حائرا بين هذين الخيارين الذهنيين : دوار السياسة اليومية ، وادعاء القوانين الجامدة المقيدة لأي تبديل بنيوي حقيقي . ويبحث المرء بصعوبة كبرى عن حل ثالث بين نظريتي التبدل الدائم والسكون المستقر ، فيفاجأ بالتنبؤات المتناقضة من كل حدب وصوب : من قائل بأننا مقدمون على حل دائم وعادل للمسألة الفلسطينية ، إلى آخر يعتقد أننا ما كنا يوما أبعد مما نحن عليه اليوم عن ذلك الحل ، من قائل إن « الصحوة » الإسلامية ، كما يدعوها أصحابها ، إلى تطور يجعلها تجتاح السياسة العربية بأسرها ، إلى آخر يرى أنها موجة مقبلة لانحسار بدأ فعلا في الواقع ، من قائل إن الأنظمة القائمة منذ عقدين أو أكثر هي قائمة لفترة طويلة بفضل ما أوتيت من مقدرة تقنية على الاستمرار ، ومن شطارة في اللعب على التناقضات ، إلى آخر يجزم بأن تلك الأنظمة مقدمة على متاعب جمة ، ستودي بها الواحد تلو الآخر ، من قائل إن مجالس التعاون المتكاثرة إلى استمرار ، بل إلى تطور نحو فكر وممارسة عاقلين لمبادىء الوحدة العربية ، إلى آخر يقول إن المنطق القطري قد تكرس بصورة ثابتة دائمة ، وأن تكريسه سيتزايد في المقبل من الزمن .

افتقاد المعايير

هذه الأفكار (وعكسها) يحملها صاحبها ويعبر عنها بثقة وقوة ، ويقيني أن البون الشاسع بين التنبؤ وعكسه سببه أساسا افتقادنا لعدد من المعايير العلمية الأساسية التي نقيس بها الاحتمالات المختلفة . من هنا كلامنا الهش وغير الموثّق عن المستقبل . أضف إلى ذلك عددا من العناصر الذاتية العربية التي تجعل الاستشراف المستقبلي نوعا من المجازفة الخطرة . فجل الأنظمة السياسية القائمة تسلطية الطبيعة ، والأنظمة التسلطية ، في أي مكان من العالم ، يصعب الحكم على عمرها ، فقد تدوم بينما ينتظر الجميع سقوطها ، وقد تسقط (كما حدث



في اسبانيا ، والفلبين ، واليونان وبولندا) عندما كان كل الناس يتوقعون لها العمر المديد . ثم إن تبعية منطقتنا تجاه النظام الدولي ، والدول الكبرى على الأخص ، تجعل الاستشراف صعبا ، لأنه ينبغي علينا أن ندرس ما يريده الآخرون لنا ، قبل أن نتساءل عما قد نريده لأنفسنا ، وعن تمكننا من تحقيقه . (مثلا إن اعتمادنا الخطير ، شبه الأحادي ، على النفط كمصدر للعائدات بالعملة الصعبة ، مرتبط بصورة ثانوية بمدى قدرة المنتجين على الاتفاق ، وبصورة أساسية ، بمستوى الاستهلاك العالمي ، وبسياسات الدول الصناعية في مجال الطاقة). ولابد أخيرا من أن نذكر كم تؤثر انحيازاتنا الأيديولوجية على مقاربتنا للواقع ، فنروح ننظر للمستقبل وفقا لأهوائنا ، لا استنادا على دراستنا له ، ويغدو استشرافنا للمستقبل في معظم الأحيان نوعا من التنبؤ الصبياني ، المرتبط بهوى قديم أو بمزاجية عابرة ، وكلاهما بعيدان عن الروح العقلانية .

من هنا الصعوبة الفائقة في استشراف العقد المقبل ، وذلك على الرغم من التنامي البطيء لروح الاستشراف العلمي ، في مشاريع جماعية ، بدأت تظهر عندنا ، أعظمها على الإطلاق ، ذاك الذي أطلقه مركز دراسات الوحدة العربية ، والذي أدى لصدور نحو عشرين كتابا ، مشدودة ، لهذا العذر أو ذاك ، نحو قراءة المستقبل . وعلى الرغم من تلك الصعوبة فالمحاولة تبقى شرعية ، حتى لو لم تكن بالضرورة مجدية .

ثلاثة اتجاهات

في مجال التنظيم السياسي الداخلي للجماعة العربية ، نلمس اتجاهات ثلاثة تقليدية : الأول يسعى لتكريس استقلالية الكيانات القائمة ، والثاني يسعى لإنشاء تجمعات محلية أو محورية بين عدد قليل من هذه الكيانات ، والثالث يسعى لإعادة تغليب الفكرة العربية كأساس للتعامل الداخلي بين الأقطار العربية ، ولتعاملها الجماعي مع الخارج . وينتهي العقد الحالي والصورة تميل نحو بروز المستوى الثاني ، أي نشوء تجمعات من الأقطار العربية ، يجمعها الاستمرار الجغرافي والتشابه الاجتماعي - الاقتصادي (كما هي الحال في الخليج) ، أو الرغبات السياسية المتقاربة (كما هي حال مجلس التعاون العربي) أو مزيج من الاثنين (كما هي الحال في المغرب) . ويعني هذا أن العقد منته والمؤسسات العربية الشاملة على وضع إداري ومالي ضعيف ، والفكرة العربية في موقع الدفاع الصعب ، إزاء قيام هذه التجمعات من جهة ، ومنافسة الفكرة الدينية من جانب آخر . بقي المستوى الأول ، وهو مستوى الكيانات ، وهو أيضا في موقع متقدم من تأكيد الذات ، ومن الضعف في الآن معا .

وقد يحمل لنا العقد المقبل تمييزا أوضح بين الكيانات ، الكبرى منها والصغرى . فالأقطار العربية « الصغيرة » استطاعت حتى اليوم أن تستمر ، وفي أحيان كثيرة أن تكون أكثر تقدما في المجالين السياسي والاجتماعي من الكيانات الكبرى . لكن حرب اليمن في الستينيات ، وحرب لبنان المندلعة منذ منتصف السبعينيات ، ناهيك عن أحوال السودان التعسة ، كلها تشير إلى أن التنافس بين الأقطار العربية الأقوى ساعدا من شأنه أن يعرض الأحوال الداخلية في الدول الصغرى للخطر ، أو على الأقل ، أن يسهم في ذلك . وسنشهد على الأرجح محاولات كثيرة لدى الأقطار الصغيرة للممانعة دون تعرضها لاستقطاب جارة أقوى . لكن النظام الدولي الذي سعى في الإجمال لدعم الدول الصغيرة على حساب جاراتها الطامعات ، يبدو أقل ميلا الآن للتدخل ، لذلك فالمخاطر على الدول الصغيرة ، في استقلالها وفي استقرارها ، ستتزايد على الأرجح ، دون وجود رادع دولي فعال كما في السابق ، وقد تنتقل المجموعة العربية إلى نوع من الحرب الأهلية الشاملة إن لم يؤكد من جديد مبدأ عدم التدخل في شؤون البلدان المجاورة .

نوع من التوافق

وينتهي العقد الحالي وقد نشأ نوع من التوافق الأكثري العربي حول عدد من المسائل الحساسة بعد سنوات طويلة من التعثر . فمقررات قمة عمان الاقتصادية سنة ١٩٨٠ بقيت حبرا على ورق ، وكذلك مقررات قمتي فاس سنة ١٩٨١ و ١٩٨٢ ، وبعدها انقطع حبل القمم العربية ، واندثر العمل العربي المشترك إلى حد كبير . وفي السنتين الماضيتين عادت القمم للانعقاد ، وبرز مجددا نوع من الاتجاه المتجدد نحو التوافق . فقمة عمان (١٩٨٧) أفرزت موقفا شبه موحد من التحدي الإيراني ، وقمة الجزائر (١٩٨٨) أنتجت موقفا متقاربا من الانتفاضة الفلسطينية ، بينما أدّت قمة الدار البيضاء (١٩٨٩) إلى نوع من التفاهم على ضرورة إيجاد حل للمعضلة اللبنانية . بكلام آخر ، ينتهي العقد الحالي والجهد قائم لإيجاد قواسم سياسية مشتركة من جديد بعد سنوات من الإحباط .

لكن هذا الجهد محكوم إلى حد بعيد بالاعتبارات الظرفية كمثل اتساع رقعة القتال في الخليج إلى مياهه ، ولشواطىء الكويت ، وشوارع مكة المكرمة ، ومثل الفراغ الدستوري الحاصل في لبنان ، أو مسألة التأقلم العربي مع انتفاضة الأرض المحتلة . هذه الاعتبارات الظرفية ، ليس من شأنها تأسيس توافق ثابت عما يسميه بعضهم المصلحة العربية العليا . فالقليل من التوافق الراهن يجعل البحث في متطلبات تلك المصلحة ممكنا ، ولكنه لا ينشئها في الواقع . فتلك المصلحة لا تقوم إلا وقد حزم العرب أمرهم لمعالجة عدد من القضايا الحارّة ، مثل تعمق الاختلافات المذهبية ، وتكاثر السياسات الانعزالية ، ناهيك طبعا عن ضرورة التأقلم مع ظروف اقتصادية صعبة جديدة ، من شأنها أن تقيد حرية القرار العربي ، على المستويين القطري والجماعي .

والاقتصاد هو بيت القصيد ، مهما قال الايديولوجيون الجدد ، والسلفيون منهم خصوصا . فما نفع التأكيد على أهمية المجالس الجديدة إن كانت الأقطار المكونة لها متشابهة دون أن تكون متكاملة ، وشتان ما بين التشابه والتكامل ! ما معنى الحماسة الفائقة مثلا لقيام المغرب العربي الموحد ، إن كانت أقطاره تتميز بنسبة من السكان تتجاوز ٤٠٪ ممن هم دون الخامسة عشرة من عمرهم ، أو إن نحن لاحظنا أن ٤٪ فقط من الصادرات المغربية تذهب إلى بلد مغربي آخر ، بينما الصادرات نحو أوربا هي بحدود الستين (٦٠٪) ؟ لقد دخلت الأقطار العربية منذ سنة ١٩٨٢ مرحلة من العائدات النفطية المتواضعة ، وهي مرحلة ستطول على الأرجح إلى أبعد من سنة ١٩٩٥ . والأمر الواضح هو أن بلدان العالم الثالث التي لم تخرج يوما من الفقر ، هي في وضع أفضل لمواجهة مراحل العسر من الأقطار العربية التي عرفت طفرة مالية هائلة ، لن ترى لها مثيلا في القريب المنظور .

فالأقطار العربية غير النفطية عاشت سنوات طويلة وكأنها دول نفطية ، وذلك بفضل المساعدات الحكومية من الدول النفطية (أكثر من ٥٠ مليار دولار) ، وبفضل عائدات العمال المهاجرين للنفط .

أما اليوم ، فقد توقفت جل المساعدات ، وبدأت الدول غير النفطية تواجه أزمات هائلة ستبقى معها سنوات طويلة . فالدين الخارجي العربي الإجمالي يفوق حاليا ٢٥٠ مليار دولار ، موزعة على عدد من الأقطار غير القادرة على الوفاء بها ، مثل مصر حوالي (٤٥ ملياراً) ، والجزائر حوالي (٢٤) ، وسوريا والمغرب والسودان والأردن ، وتمس الأزمة ، ولو بصورة أقل حدة ، الأقطار النفطية نفسها التي تعيش إلى حد كبير بفضل ما كدسته من ودائع خلال



سنوات الطفرة .

نحن ندخل العقد الأخير من القرن إذن مثقلين بديون خارجية كبيرة ، ومتزايدة ، تحكم إلى حد كبير علاقاتنا بالخارج . ومن الأسباب الأساسية لهذه التبعية ، انعدام « السيولة التحتية » ، أي عدم المقدرة على عصر حجم الواردات خلال مراحل الشدة الاقتصادية . فبينما انخفضت العائدات النفطية انخفاضا هائلا (لرُبع أو حتى خُمس ما كانت عليه في مطلع العقد) لم تنخفض الواردات العربية من البضائع والخدمات ، إلى أقل من نصف ما كانت عليه في مطلع العقد ، بل إن الواردات هذه ، في عدد من الأقطار عادت للارتفاع ، منذ سنة أو سنتين .

ومن المتوقع أن يرتفع حجم الواردات مجددا (والديون معها) لأسباب عديدة ، على رأسها الانفجار السكاني . فنحن ندخل العقد الأخير من القرن بقدر هائل من اللامسؤولية في هذا المجال ، وكأن المسألة السكانية مجرد قضية تقنية ، تهم خبراء الإحصاء .

بكلام واضح ، ان عدد المواطنين العرب يتزايد بوتيرة تعادل ضعفي المعدل الدولي . إن بقي الأمر على حاله ، فالعرب قفزوا عددا ؛ من مئة مليون في سنة ١٩٦٥ إلى مئتي مليون في سنة ١٩٨٨ ، ليتجاوزوا ٢٨٠ مليونا قبل آخر هذا القرن ، وقد يصل عدد العرب هكذا إلى ٨٠٠ مليون ، سنة ٢٠٥٠ . وهذا يعني أن ٥٧٪ من عرب اليوم هم دون العشرين عاما ، مع ما يؤدي إليه ذلك من تبعات اقتصادية واجتماعية هائلة في المجالات الصحية والتربوية والإسكانية . وبذلك قد يكون أخطر قيد على حرية التحرك السياسي العربي في العقد الجديد هو الخطر المتأتي من انعدام السياسة السكانية ، ومن تزايدهم المفرط في ظروف الشدة الاقتصادية .

انفجار سكاني

ذلك أن الانفجار السكاني هو من المسبّبات الأساسية لتدهور الموقع العربي في مجال الغذاء . فحتى سنة ١٩٧٠ كانت هناك أقطار عربية سبعة ما زالت تصدر من المنتجات الغذائية أكثر مما تستورد . أما اليوم فقد أصبح الميزان الغذائي سلبيا في كل الأقطار العربية دون استثناء ، وبلغ العجز التجاري في هذا المجال أكثر من ٣٠ مليار دولار سنة ١٩٨٨ ، بينما يتوقع كثيرون ألّا ينتهي عقد التسعينيات إلّا وقد تجاوز هذا العجز مائة مليار دولار ! أضف إلى ذلك أن الزراعة العربية ، وعلى الرغم من الاستثمارات الواسعة ، ما زالت تنمو ببطء شديد (٢,٧٪) سنويا ، بينما ترى أقطار عديدة نفسها مهددة بموجة من التصحر . ولن أتكلم عن مجالات الصناعة ، فقد كتب فيها الكثير خلال السنوات الماضية ، مما يقضي تماما على أوهام التصنيع الواسع والشامل ، الآتي بالخيرات والموظّف للخبرات والعمالة .

لهذه الأسباب (هشاشة التوافق السياسي الحاصل حاليا وطبيعته الظرفية ، الخلط بين مفهومي التشابه والتكامل في بناء التجمعات الإقليمية ، الانفجار السكاني الخطير ، والسياسات الاقتصادية العقيمة أحيانا والخطرة أحيانا أخرى) ، فإننا ندخل عقد التسعينيات والهموم تنافس الآمال حتى تكاد تقضي عليها .

الوطن العربي في التسعينيات

والخوف ، كل الخوف من أن يحمل لنا العقد الجديد نوعا من التطبيع العملي لأوضاعنا . فيعود الوطن العربي ليكون (بعد مرحلة من الأوهام المتكسرة على صخور الواقع)، مرة أخرى ، جزءاً عاديا ، و« طبيعيا » من العالم الثالث ، من « الجنوب » بمشاكله المزمنة ، وانعدام استقراره ، وتبعيته المفرطة تجاه الغرب المصنّع . ويقيني أن التكديس الهائل للسلاح في عدد من الأقطار العربية لا ينفع كثيرا في هذا المجال ، لأنه يزيد التبعيّة التقنية ، ويضاعف أرقام الديون الخارجية ، بينما فائدته مشكوك فيها ، لأننا في الإجمال نخوض حروبا غير تلك التي كنا نود خوضها . فنحن ننظر لحروب تؤكد تحررنا واستقلالنا ، بينما الحروب التي يسمح لنا بخوضها هي حروب مفروضة علينا ، أو نحن انزلقنا إليها ، كالحروب الأهلية الدامية ، أو كالحروب بيننا نحن العرب ، أو بيننا وبين جيراننا التاريخيين .

تحدي التسعينيات

لذا ، من الخطأ والخطر أن يحل وهم السلاح المكدّس مكان وهم الصناعة الثقيلة ، كمصدر طبيعي « للقوة » ، إنما القوة العربية الحقيقية فهي المتأتية من المجتمع العربي ، لا من السياسات الظرفية الفوقية . والمجتمعات العربية ، على تنوعها ، ليست بخير ، لذلك فالمجموع العربي لا عافية له . فهذه المجتمعات يعوزها اندماج أوسع ، وحريات فردية وسياسية تفتح المجال أمام روح الإبداع ، وينقصها أمن اجتماعي حقيقي مبني على علاقة عصرية بين المواطن والدولة ، وعلى تصور أساسي مفاده أن الدولة هي بخدمة المجتمع ، لا العكس .

يمكن آنذاك أن نتصور إسهاما فعالا للمواطن العربي في رفع تحدي التسعينيات . والحكومات العربية الراشدة هي التي تسعى لإفراز هذا الإسهام وتلك المشاركة في عملية البناء والتطور ، لا تلك التي تختزل التنمية إلى سلسلة من القرارات الفوقية . أما الحكومات الساعية لاحتكار القرار لنفسها دون المجتمعات التي تدعّي تمثيلها ، فهي ستكون عرضة في التسعينيات ، كما لم تكن يوما في السابق ، لضغط متناقض متزايد الحدة بين نظام دولي قاس ، وغير متوازن من جهة ، ومجتمعات محبطة وغاضبة من الجانب الآخر . □

المارشال يسأل



كان لقائد القوات الفرنسية في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) سائق سيارة يدعى بيير ، وكان زملاء السائق يحاصرونه كلما شاهدوه ويسألونه متى تنتهي الحرب يا بيير ؟ إنك تعلم حتما » .

وأراد بيير أن يرضي زملاءه فقال لهم يوما : « عندما أسمع شيئا من المارشال سأطلعكم عليه » .

وجاء اليهم في أحد الأيام وقال « لقد تكلم المارشال اليوم » فقالوا : « وماذا قال ؟ » فأجاب ! « لقد قال لي ، وأنت يا بيير . . ماذا ترى ؟ متى تنتهي هذه الحرب ؟ » .



ملامح جديدة للوفاق الدولى فى التسعينيات

بقلم : محمد سيد أحمد

«كانت السنوات الأخيرة من عقد الثمانينيات المنصرم حافلة بالمتغيرات ، في علاقات القوى في هذا العالم . ولأن العلاقات الدولية أداء متراكم ومتوالٍ ، وتمتد آثار التوتر أو الانفراج فيها لتلقي بظلالها على العالم كله ، فإن هذا المقال هو محاولة لفهم آفاق العلاقات الدوليةفي التسعينيات ولتحليلها» .

أتصوّر أن التسعينيات سوف تشهد ظواهر على المسرح الدولي هى نقيض الظواهر التي تبلورت في أعقاب الحرب العالمية الثانية والتي بلغت ذروتها في مرحلة الخمسينيات والستينيات من هذا القرن .

إن أبرز ما ميّز مرحلة الخمسينيات والستينيات هو ما عُرِف «بالحرب الباردة» . وهذه ظاهرة بحاجة إلى تعريف ، حتى يمكن تعريف نقيضها . كذلك إذا استطعنا تعريف النقيض ، كان علينا أن نحدِّد الأسباب التي تدعونا إلى الاعتقاد بأن المرحلة القادمة سوف تشهد هذا النقيض .

حد أعلى للصراع

والحرب الباردة هي المرحلة التي تميزّ فيها العالم - جوهريا - بانقسامه إلى معسكرين متضادّين قائمين على إيديولوجيتين متناقضتين ، وعلى نظامين اجتماعيين واقتصاديين متعارضين ، وعلى تزوّد كل منهما بأحدث مبتكرات العلم في مجال التسلح . وقد اكتسب سباق التسلح بينهما في هذا العصر الذي بلغ فيه تقدم العلم حدَّ التعامل مع الطاقة النووية ، خاصية لم يكن من الممكن توافرها من قبل ، هي قدرة هذين النظامين على تدمير كل منهما الآخر تدميراً تاماً ، ومعنى ذلك تعريض البشرية كلها للهلاك .

وهكذا برز أن هناك حداً أعلى للصراع ، هو المتمثل في أن الصراع لم يَعُدْ يهدد بالقضاء على العدوّ فقط ، بل بالقضاء على الذات في أي محاولة للقضاء على العدو ، أي بعملية إفناء متبادل ، بل ثبت أن هذا الخطر لم يعد مقصوراً على أدوات التدمير العصرية وحدها ، بل أصبح أيضا من خواص أدوات التعمير العصرية . إنه من خواص التقنية العصرية ، سواء استخدمت كأداةِ تدمير أو أداة تعمير ، كأداة حرب أو كأداة تنمية وسلام . فلقد أصبحت لهذه التقنية خاصية المساس بالبيئة الطبيعية المحيطة بحياة الإنسان ، على نحو يعرِّض هذه الحياة نفسها للخطر . أصبحت هذه التقنية لا تُنْبِيء فقط بقدرة الإنسان على رفع مستواه المعيشي ، كماً وكيفاً ، على نحوٍ لم يسبق له مثيل عبر تاريخه كله ، بل بالقدرة في الوقت نفسه بفعل تلويث بيئة كوكبنا على إنهاء كل حياة . ومن هنا برزت الحاجة لتجنب أساليب الصراع التي تعود بنتائج عكسية لمن يُقدِم على ممارستها ، أساليب صراع « حضارية » لا تعرِّض المتصارعين لخطر الإفناء المتبادل .

غير أن بروز الحاجة « الموضوعية » إلى تغيير في معطيات الصراع العالمي ، على النحو الذي سبق ذكره ، لا يعني أن هذا التغيير لا بد أن يحدث حتما ، بل لا بد من بروز عوامل « ذاتية » عند متصارع أو أكثر على المسرح الدولي ، لدفعه إلى التخلي عن أساليب الصراع التقليدية ، وحثِّهِ إلى



البحث عن أساليب صراع بديلة . وربما كان أبرز هذه العوامل « الذاتية » إدراك القيادة السوفيتية الجديدة ، منذ تولي غورباتشوف هذه القيادة ، أن استمرار المواجهة بين النظامين العالميين على نمطها السابق إنما يعني إحياءً للرأسمالية ، وتعزيزاً لمراكزها عالميا ، كما أنه يعني إفقاراً للشيوعية ، ودفعاً لها في طريق مسدود ، وتهديداً متعاظماً لقدرتها على مواصلة هذه المواجهة ، دون تعرّضها لمآزق تزداد عمقاً قد تهدِّد البشرية كلها بانفجارات تفلت من سيطرة الجميع .

إعادة بناء شاملة

إن سباق التسلح ، على سبيل المثال ، هو مصدر أرباح مضعَّفة للاحتكارات الرأسمالية العالمية منتجة السلاح ، ولكنه مصدر استنزاف للمجتمعات الاشتراكية ، لأنه يقف حائلا دون توجيه الموارد المتاحة لأهداف تنموية ، من شأنها رفع مستوى معيشة الجماهير . وان ثورة تقنيات الإعلام والمواصلات العصرية ـ ثورة الحاسوب « الكومبيوتر » وغيرها من التقنيات المماثلة ـ قد استفاد منها وطوَّرها العالم الغربي أكثر من العالم الشرقي لأن المجتمع الأول مجتمع مفتوح ، والثاني ظل لفترة طويلة مجتمعاً مغلقاً ، خشية تسرُّب « قيم المجتمع البرجوازي » إليه ، وربما على الأخص قيم مجتمعات الاستهلاك التي لم يكن في الحقيقة قادراً على تلبيتها . وإن العالم الشيوعي في محاولته اللحاق بالعالم الرأسمالي كثيراً ما وجد نفسه يُغفِل متطلبات مراعاة البيئة على نحو عرَّض كوكبنا لكوارث « إيكولوجية » ، وأمامنا جميعاً ، مثل كارثة تشيرنوبل وهكذا برزت فلسفة الـ « بيريسترويكا » . وتعني الكلمة حرفيا « إعادة البناء » . وليس المقصود بهذه العملية مجرد إعادة بناء الاتحاد السوفيتي ، وربما معه العالم الشيوعي كله ، داخلياً فحسب ، بل « إعادة بناء » العلاقات الدولية في شتىً أبعادها ، ولا سيما « إعادة بناء » منهج المواجهة بين الشرق والغرب . وفي « إعادة البناء » هذه يتحدث غورباتشوف عن « عالم ينبذ الحرب » ، وعن « عالم ينبذ العنف » ، بل يتحدث عن « عالم يقوم على الاعتماد المتبادل والتداخل والتكامل بين دوله جميعها ، وليس على التناقض والتعارض وعدم التكافؤ بينها فقط . ومعنى ذلك في التحليل الأخير : عالم يقوم على التشابك والالتحام ، لا على الانقسام إلى معسكرين متضادّين. عالم هو نقيض ذلك الذي ساد في مرحلة « الحرب الباردة » .

وكثيراً ما أصبح يقال : إن هذا التلاحم ما هو في الحقيقة إلا إشهار لإفلاس الشيوعية ، واستسلام منها في وجه الرأسمالية . ولست ممن يؤمنون بهذا الرأي . ذلك أن عملية « البيريسترويكا » قد أقدم عليها غورباتشوف دون إجبار ظاهر من الخارج ، بل طواعياً ، ومدفوعاً بدوافع داخلية على الأخص . ومن المؤكد أن هذه العملية تعني أن الأنظمة الاشتراكية في أنماطها التقليدية قد وصلت إلى طريق مسدود ، ولكنها لا تعني حتما أن الاشتراكية غير قابلة لاعادة البناء والتجديد ، وأن لا مستقبل لها ، حتى مع تسليمنا بأن الصور البديلة للاشتراكية القائمة ما زال يكتنفها الكثير من الغموض ، وأن مقوماتها النظرية والعملية ما زالت بحاجة إلى أن يجري اكتشافها من خلال عملية إعادة البناء نفسها .

وأعتقد أن من أسباب « البيريسترويكا » إدراك القيادة السوفيتية حقيقة أن قيام الشيوعية في مجتمع محدَّد (الاتحاد السوفيتي) ، ثم تحوّلها إلى معسكر عالمي (بعد الحرب العالمية الثانية) ، قد أسهم في إعادة إحياء الرأسمالية العالمية ، ودفعها إلى تجديد نفسها ، أكثر مما أسهم في القضاء عليها . فلقد شكَّل هذا المعسكر الشيوعي العالمي إنذاراً للعالم الرأسمالي ،

وتهديداً كافيا له لحَثِّهِ على إبتكار سبل يجري بها تحصين نفسه ضد هذا الخطر ، دون أن يبلغ التهديد الشيوعي القدر من القوة الكفيل بتصفية الرأسمالية عالميا والحلول محلها . ومن أسباب ذلك - على الاقل في تصوّر المؤمنين بإمكانية تجديد الاشتراكية - أن النظام الشيوعي قد أُقيم منذ البداية في القطاع الأكثر تخلفا من المعمورة ، وليس في قلب المجتمعات الرأسمالية وفق تنبؤ كارل ماركس ، مؤسس النظرية الشيوعية . ومن هنا ، كان من أبرز مهام تجديد الاشتراكية إنجاز هذا الالتحام مع المجتمعات الرأسمالية المتقدمة ، على أن يجري الالتحام على نحو يكفل للاشتراكية لا للرأسمالية الانتصار في نهاية المطاف .

التحام لا مواجهة

وأعتقد أن الآمال المعقودة على انتصار الاشتراكية لا الرأسمالية من خلال الالتحام ، لا المواجهة كما جرى في الماضي ، إنما تقوم على المراهنة على عددٍ من الافتراضات المهمة ، نذكر ما نتصوره أبرزها :

● ان ظاهرة الاستقلال التي تشكل جوهر الرأسمالية مصدرها ندرة المنتجات التي تقوم عليها حياة المجتمعات . غير أن التقنية العصرية تحمل في طياتها إمكانية تجاوز الندرة إلى الوفرة ، وذلك للمجتمع العالمي كله . ومن المؤكد أن مجرد توافر الوفرة لا يفضي بطريقة آلية إلى إنهاء الاستغلال ، وتصفية مقومات الرأسمالية ، وقيام الاشتراكية محلها ، وإنما يجعل التنظيم الاشتراكي للاقتصاد العالمي ، وضمان قيام نظام للتوزيع يقوم على التكافؤ والعدل ، أكثر تناسباً مع الظروف التي جدت مع هذه الوفرة .

● ان تحقيق الحد الاقصى من الربح ، وهو ما يقوم عليه النظام الرأسمالي ، يتعارض مع مقتضيات مراعاة « الايكولوجيا » ، والعدول عن المشروعات المُجزية الكفيلة بتلويث كوكبنا وتعريض حياة البشرية للخطر . وقد يكون ان الأنظمة الاشتراكية قد أهملت مقتضيات « الايكولوجيا » تماما كما يُغفلها العديد من المجتمعات الرأسمالية ، ولكن التنظيم الاشتراكي للمجتمع أكثر قدرة من النظام الرأسمالي على مراعاة هذه المقتضيات ، لأن التخطيط فيه لمصلحة المجتمع ككل ، ويتسم بصفة أنه خالص لا يعوقه المشروع الفردي المحكوم بهدف الربح .

● لعالمنا المعاصر صفات تداخل وتعقيد بالغة لم يشهد المجتمع العالمي نظيراً لها من قبل ، وسوف يتعاظم شأنها مستقبلاً . وهي صفات تستدعي أن يكون هناك تنبؤ لما يحتمل حدوثه ، وتخطيط لما يحقق العائد الأمثل ، ولا شك أن التنظيم الاشتراكي للمجتمع أكثر قدرة من النظام الرأسمالي على تلبية هذه الاحتياجات .

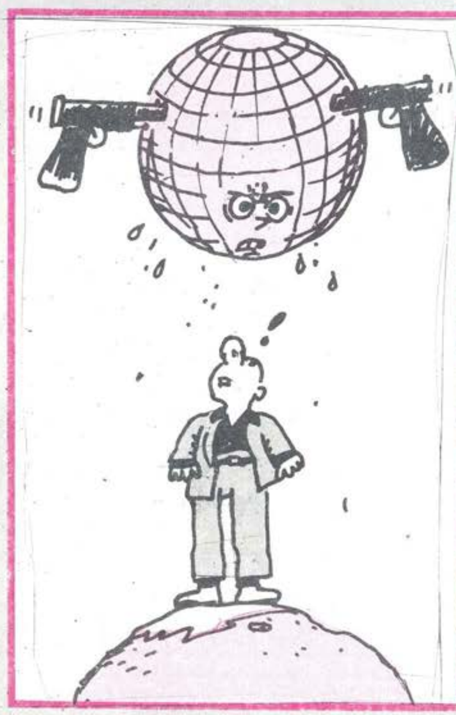
التقارب بين النظامين

وهكذا نرى أن إنجاز عملية الالتحام بين الشرق والغرب سوف يرى كل جانب فيه أنه الرابح في التحليل الأخير : يفسره العالم الرأسمالي على أنه إشهار لإفلاس الاشتراكية ، ويفسره العالم الاشتراكي على أنه المنهج الوحيد الكفيل بتخطي المأزق الذي وجدت الاشتراكية فيه ، وضمان انتصارها في النهاية . ومن شأن هذا الالتحام إحياء النظريات القائلة بالتقارب بين النظامين العالميين ، وببروز نظام عالمي يستمد خواصه من النظامين معا ، بديلا من النظريات السابقة التي كانت تقول بحتمية قهر

أحد النظامين للآخر ، وانتصاره الحاسم عليه .

ومن المؤكد أن التعبير الأكثر وضوحا لهذا التقارب بين النظامين العالميين إنما سوف يتمثل في صور متعددة للتلاحم بين الدولتين العظميين ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . ولا بد أن يصاحب هذا التلاحم آثار مهمة منها زوال « الحرب الباردة » ، وزوال انقسام العالم إلى معسكرين ، وبروز صيغ مبتكرة « للاشتراكية الديمقراطية » التي لا هي الشيوعية بمعطياتها التقليدية ، ولا الرأسمالية بتعبيراتها الأكثر فجاجة ، وهذه أمور لا بد ان تفضي بدورها إلى آثار وظواهر أخرى سوف تشهد التسعينيات بدايات لها ، ولا ينتظر لأغلبها أن تكتمل قبل القرن الواحد والعشرين . نذكر منها :

● اختفاء تدريجي للبعد الأيديولوجي في تقرير التحالفات الدولية ، والواقع أن غورباتشوف ـ وهو زعيم الدولة المعروف عنها دائما بإعلاء شأن الايديولوجية ـ ينادي صراحة « بتجريد العلاقات الدولية من بعدها الايديولوجي » . وهو أمر لا بد أن يتعاظم شأنه مع تعاظم شأن نزع السلاح ، وإحلال العامل الاقتصادي محل العاملين الايديولوجي والعسكري في تشكيل التجمعات الدولية .



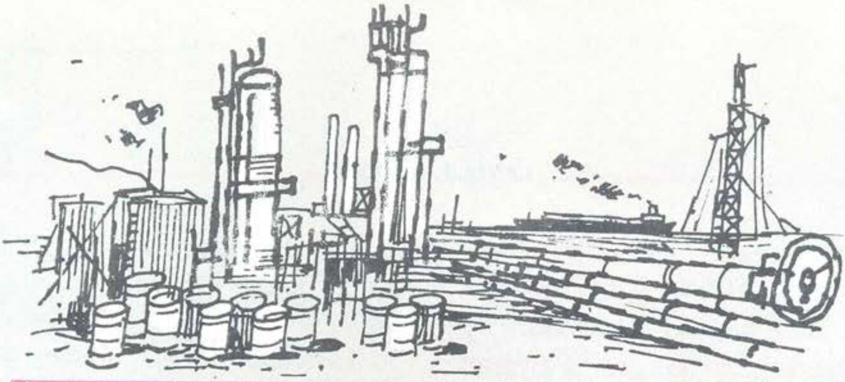
● إن إحلال عنصر المصلحة الاقتصادية محل عنصر الالتزام العسكري ، في تشكيل هذه التجمعات ، سوف يترتب عليه بروز عالم متعدد الأقطاب محل العالم الثنائي القطبين الذي ساد في مرحلة « الحرب الباردة » . كما أن هذا العالم المتعدد الأقطاب لا بد أن يعكس أمورا سوف يتعاظم تأثيرها مع زوال الاستقطاب العسكري الحاد ، وعلى الأخص بعد زوال خضوع المجتمع الدولي بأسره للصراع الحاد بين الدولتين العظميين . فمن المنتظر أن يتعاظم شأن التباينات الاقتصادية في عالم ما زالت تتسم قطاعاته المختلفة بمعدلات نمو غير متكافئة ، وذات تباينات تزداد تباعداً لا العكس . ومن المنتظر أن تستعر النزعات القومية والعرقية لزوال المعوقات التي طالما حالت دون التعبير الطليق عنها . ومع عالم سوف تزداد أوجه تداخله وترابطه ، سوف تزداد أيضا الحاجة لدى مختلف « وحداته » للتعبير عن « هويتها » ، بكل ما ينطوي عليه التعبير عن « الذات » من مكونات ثقافية وحضارية وتراثية ودينية ، ولن يكون بناء التجمعات الكبيرة على أساس إهدار قضية « الهوية » الشديدة الحساسية والتأجج لدى الأجزاء المكونة لها ، بل على أساس احترام هذه « الهوية » وإعلاء شأنها ، واكتشاف سبل شمولها في وحدات أكبر .

● سوف تكون تجربة الاندماج الأوربي ابتداء من ١٩٩٢ تجربة رائدة في تكشف إمكانيات بناء كيانات دولية ، تذوب داخلها بالتدريج الصلاحيات السيادية لمجموعات من الدول المستقلة ، وهي تجربة تجري مع مجموعة مرموقة

من الدول المتقدمة . فلسنا بعد بصدد كيان دولي شامل ، يضم كل دول العالم ، أي لسنا بعد بصدد « حكومة » أو « سلطة عالمية » ، يتخيل بعض أن هيئة الأمم المتحدة كفيلة بالتدريج أن تصبح نواتها ، ولكننا على وجه التأكيد بصدد عملية يجري بمقتضاها تجاوز السيادة الوطنية للدولة المستقلة ، من أجل اندماجها في كيان متعدد القوميات أكثر مواكبة لمتطلبات العصر ، وذلك في وقت ما زالت تجاهد فيه مجتمعات عديدة ، تنتمي إلى القطاع النامي والأكثر تخلفا من عالمنا من أجل حقها في تقرير المصير ، وفي مجرد الوجود على خريطة العالم في صورة دول مستقلة ذات سيادة .

عالم لا يحتمل التجزئة !

وفي النهاية ، أتصور أنه من الصعب الادعاء بأن انتصار الاشتراكية وارد من خلال معركة يجري خوضها في القطاع المتقدم من العالم ، دون إنجازات ملموسة لعملية تحرر قطاعاته الأكثر تخلفا وتنميتها . خاصة إذا ما تحدثنا عن عالم لا يحتمل التجزئة . وأخذنا بعين الاعتبار المتغيرات الديموغرافية والتوقعات القائمة بمضاعفة عدد سكان كوكبنا عند بداية القرن القادم ، ومعنى ذلك ارتفاع نسبة المنتمين منهم إلى عالم التخلف و«الندرة» ، لا العكس □



العَربُ والنفط

في التسعينيَّات

بقلم : الدكتور علي أحمد عتيقة

لقد كانت حقبة الثمانينيات حقبة تقلب أسعار بيع النفط ، واضطراب معدلات الإنتاج التي أثرت على العائدات المالية للأقطار العربية ، ولقد كان نصيب الأقطار العربية من هذه التقلبات كبير ، خاصة في تأثيره على طموحات التنمية وتمويل الاستهلاك والاستثمار في الأقطار العربية المصدرة للنفط التي قلّت بشكل كبير وملحوظ . لكن ماذا عن مستقبل هذه الثروة؟ وما آفاق التغير في الصناعة النفطية في المنطقة العربية ؟ وما هو المتوقع ؟ وما شكل العلاقة القادمة مع الدول الصناعية الكبرى المستهلكة ؟

يعد اعتماد العرب بشكل عام ، والأقطار النفطية بصورة خاصة ، على تصدير النفط الخام من أبرز الخصائص التي تميز اقتصاديات الأقطار العربية . فالعائدات النفطية هي المصدر الرئيسي لتمويل النفقات العامة ، الجارية منها والاستثمارية ، وتمويل الواردات من سلع وخدمات، ونفقات الدفاع ، وغيرها من الالتزامات المحلية والخارجية . وحتى الأقطار العربية غير النفطية أصبحت أيضاً تعتمد على علاقاتها الاقتصادية مع الأقطار النفطية فالمساعدات المالية والتحويلات المالية الأخرى من هذه الأقطار إلى الأقطار العربية غير النفطية أصبحت توفر قسطا مهما من عائداتها من العملة الأجنبية الصعبة ، لذلك يمكننا القول بأن جميع

الأقطار العربية أصبحت تعتمد على تصدير الثروة النفطية ولو بدرجة عالية من التفاوت بين قطر وآخر .

ثروة ناضبة

إن مثل هذا الاعتماد على تصدير ثروة طبيعية ناضبة يعد عامل ضعف أساسي في هيكل اقتصاديات الأقطار العربية منفردة ومجتمعة . فمن طبيعة الثروة الناضبة ، أنها مؤقتة ، بينما احتياجات المجتمع الاستهلاكية والاستثمارية مستمرة متواصلة ، وتزداد مع زيادة عدد السكان وارتفاع مستوى معيشتهم . لذلك لابد من برمجة التوازن بين درجة الاعتماد على مصدر ناضب ، مثل النفط ، من جهة ، وحاجة المجتمع والاقتصاد إلى مصادر ثروة متجددة ومتنوعة من جهة أخرى . أما عنصر الضعف الآخر في الاعتماد الكبير على تصدير النفط فهو طبيعة سوق النفط الدولية التي أصبحت تعود إلى سيرتها الأولى من حيث سيطرة الدول الصناعية الرئيسة وشركاتها على إدارتها وتوجيهها . لذا فإن الاعتماد على النفط لا يعد اعتمادا على ثروة مؤقتة ناضبة فحسب ، ولكن حتى أثناء توافر هذه الثروة الثمينة ، هنالك عوامل دولية خارجية ، تتحكم في تسويقها وتسعيرها ، وتسير بها نحو الاستغلال الأفضل لصالح اقتصاديات الدول المستوردة الرئيسة .

لا شك أن المسؤولين في الأقطار العربية المصدرة للنفط يدركون هذه الحقيقة ، وغيرها من الأمور المتعلقة بشؤون النفط في الحاضر والمستقبل ، ولا شك أن حكومات تلك الأقطار قد أعلنت مرارا عن عزمها على التقليل من اعتمادها على النفط ، ووضعت الخطط الثلاثية والخماسية والعشرية لتنمية اقتصادياتها ، وتنويع مصادر دخلها ، بهدف التخفيف من اعتمادها على النفط . ولكن على الرغم من كل هذا ما يزال الواقع الفعلي لاقتصاديات الأقطار المصدرة للنفط وللوطن العربي ككل يتسم بالاعتماد الكبير على العائدات النفطية . أما الآن فيحسن أن ننظر في التقلبات الشاسعة في حجم الإيرادات النفطية العربية التي ارتفعت من ٤,٦ مليارات دولار عام ١٩٧٠ ، إلى أكثر من ٢١٦ مليار دولار عام ١٩٨٠ ، ثم اتجهت إلى الانخفاض السريع بعد عام ١٩٨٢ ، حتى وصلت إلى أقل من ٥٠ ملياراً في عام ١٩٨٦ . وحتى بعد تحسن الأسعار النسبي خلال العامين الماضيين ، لم تتجاوز العائدات ٨٠ مليار دولار في عام ١٩٨٨ ، أي مجرد ٣٨٪ من حجمها في عام ١٩٨٠ ، عندما كانت أكثر ٤٦ مرة من قيمتها في عام ١٩٧٠ . إن الاعتماد المتزايد على إيرادات تتقلب بهذا القدر يشكل خطرا أساسيا على مسيرة التنمية ، والاستقرار في الوطن العربي .

آثار التقلبات

إن خطورة الاعتماد المتزايد على عائدات تتعرض لهذا القدر من التقلبات يتمثل في زيادة معدلات الإنفاق العام والخاص ، والتوسع في الالتزامات الخارجية ، مثل المساعدات ومتطلبات الدفاع العسكري ، عندما تتجه العائدات النفطية إلى الارتفاع بسبب زيادة الأسعار أو الانتاج أو الاثنين معا . ثم تأتي صعوبة التحكم في مستوى الإنفاق ، وجعله يتمشى مع مستوى الدخل ، عندما تتجه العائدات النفطية إلى الانخفاض ، مثل ما حدث في مطلع هذا العقد . فزيادة العائدات النفطية خلال فترة ١٩٧٣ - ١٩٨٠ دفعت الحكومات المعنية إلى زيادة حجم الإنفاق على

الاستهلاك الضروري والكمالي ، ورفع معدلات الاستثمار في البنية الأساسية والمرافق العامة ، كما أن الرغبة في تنويع مصادر الدخل يشجع على الاستثمار في المشروعات الإنتاجية في الصناعة والزراعة والخدمات بمعدلات كلفة عالية ، بسبب الاعتماد على السلع الرأسمالية والخدمات وحتى الإدارة المستوردة من الدول الصناعية . كل هذا زاد حدة الاعتماد على النفط ، وقلل نسبة الجهد المحلي الأهلي في عملية التنمية ، حتى أصبح الإنتاج الوطني من السلع والخدمات يعتمد على مستوى العائدات النفطية ، بدلا من أن يكون بديلا عنها . فالزراعة والصناعة أصبحتا تشكلان عبئاً على الثروة النفطية الناضبة ، حتى أصبح مستقبلهما يعتمد على مستوى العائدات النفطية المتوقعة . وهكذا أدى ارتفاع العائدات النفطية ، والطريقة التي تم التصرف فيها ، إلى انفصام المجهود المحلي عن المردود النقدي في عملية التنمية ، حتى أصبحت حقول النفط العربية تكاد تكون القطاع الاقتصادي الوحيد المنتج في الأقطار المصدرة للنفط .

إن هذه الظاهرة الخطيرة التي سادت في أثناء الطفرة النفطية كانت محل اهتمام وتعليق من قبل الأوساط المهنية والأهلية . ففي الجزائر مثلا علق أحد المسنين الحكماء على خطاب الرئيس الراحل هواري بومدين الذي حث فيه على ضرورة زيادة العمل والإنتاج الوطني بقوله : « لايوجد في الجزائر من يخدم الا زوز (اثنان) أنت يا سيادة الرئيس وسي مسعود » ، وعندما سئل : من هو سي مسعود قال : « كيف لا تعرفونه ! إنه حقل حاسي مسعود المشهور » . وعلى الرغم مما في هذا التعليق الفطري البسيط من إجحاف بحق كثيرين ممن يعملون بجد وإخلاص في الجزائر وغيرها من الأقطار النفطية ، فإنه بصورة عامة يعبر بصدق وبلاغة عن حقيقة أن حقول النفط (حاسي مسعود) العربية هي الوحيدة التي تعمل ليلا ونهارا على توفير الأموال اللازمة لسد احتياجات الحكومات والمواطنين في جل الأقطار العربية .



عقد التعاون والتنسيق :

وعلى الرغم من التوسع الملحوظ في طاقة التكرير وبعض « البتروكيماويات » الأساسية فإن أهم ما تملكه الأقطار العربية من الصناعة النفطية مايزال يتمثل في حقول النفط التي تحتوي على الجزء الأكبر من الاحتياطي العالمي المؤكد والمحتمل أيضا . وعلى الرغم من أن الأقطار العربية قد نجحت إلى حد كبير في تَسَلُّم ملكية حقول النفط من الشركات الاجنبية وإداراتها ، فالتقنية والخبرة والمعدات الأساسية لعمليات الاستكشاف ما تزال بيد الدول الصناعية الرئيسة وشركاتها ومعاهدها العلمية ، الأمر الذي جعل الأقطار العربية النفطية تعتمد على شراء ما تحتاجه من آلات وخبرات جاهزة بأسعار عالية التكاليف . إن هذا النوع من الاعتماد على الدول الصناعية المستوردة للنفط يجعل قطاع الاستكشاف والإنتاج المحلي في الأقطار العربية يستمر في اعتماده على مصادر عملية وتقنية خارجية ، تحد من حرية التصرف ، وتقلل من قدر الاستفادة الوطنية من الثروة النفطية . وبالمقابل يزيد هذا الاعتماد من قدرة الدول

الصناعية على السيطرة والاستفادة من الصناعة النفطية العالمية ، خاصة أنها ما تزال تملك الجزء الأكبر من طاقات التكرير والتصنيع والنقل والتوزيع ، بالإضافة إلى القدرات المالية والتسويقية الهائلة التي اكتسبتها هذه الدول عبر فترة طويلة . ومما يزيد قوة الدول الصناعية في السيطرة على مسيرة الصناعة النفطية في العقد القادم هو التعاون والتنسيق القائم فيما بينها ، وخاصة في تعاملها مع الأقطار المصدرة للنفط التي لما تتغلب بعد على صعوبات التعاون والتنسيق فيما بينها في إطار المؤسسات التي أقامتها لهذا الغرض ، مثل منظمتي الأوبك والأوابك ، وغيرها من المنظمات المشتركة .

النفط العربي فى المقدمة

أما مستوى إنتاج النفط العربي فينتظر أن يستمر في الزيادة التدريجية حتى منتصف العقد القادم ، ثم يرتفع بعد ذلك بشكل سريع ، حتى يستنفد طاقة الانتاج المتاحة ، وتبدأ مشكلة النضوب التي لا ينبغي أن ننساها بسبب الفائض الحالي في طاقة الإنتاج وصعوبة التسويق . إن استمرار زيادة استهلاك النفط في الدول الصناعية خلال العقد القادم ، ولو بنسب متدنية ، وحاجة الدول النامية إلى المزيد من الاستهلاك الذي لا يحده إلا قدرتها على التنمية والحصول على القوة الشرائية ، سيزيد الطلب على النفط العربي بصورة أساسية ، وذلك بسبب استنفاد طاقة الإنتاج المتاحة في كثير من الأقطار النفطية الحالية . فمن المتوقع أن يزداد تركيز إنتاج النفط خلال العقد القادم في خمسة أقطار عربية وهي : السعودية والعراق والكويت والإمارات وليبيا .

ومع دخول القرن الميلادي ينتظر أن تواجه هذه الأقطار ، بالإضافة إلى إيران وفنزويلا ، ضغوطاً هائلة من أجل زيادة الإنتاج إلى الحد الذي يمكن أن يؤدي إلى نضوب حقولها خلال فترة أقصر بكثير مما هو متوقع الآن . فالقول بأن هنالك أقطاراً عربية لديها ما يكفي من احتياطات نفطية لمدة مائة عام أو مائتي عام هو قول صحيح من الناحية الحسابية ، إذا ما افترضنا أن معدلات الإنتاج بقيت في مستواها الحالي خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة . ولكن نظرا للزيادة المتوقعة في الطلب على النفط من جهة ، وانخفاض طاقات الإنتاج خارج دول الأوبك ، فلا بد من زيادة معدلات الإنتاج العربية ، مما سيقلل من عمر الحقول الحالية ، بل حتى المنتظر اكتشافها مستقبلا . لذلك فإن أفضل التقديرات الحالية لعصر النفط كمصدر أساسي للطاقة لا تتوقع أكثر من ٤٠ ـ ٥٠ عاما . إذن يمكن أن نستنتج أن مشكلة النضوب ، وليس مشكلة الطلب على النفط ، هي التي ستوجه حقول النفط العربية خلال العقد القادم وما بعد .

فن ادارة الطلب

أما عن مستوى الأسعار فإن الأمر ـ للأسف ـ ليس بالوضوح نفسه الذي شرحناه في توقعات الإنتاج ، نظرا لتدخل عوامل عديدة تجعل من الممكن أن يزداد الطلب على النفط العربي دون أن ترتفع أسعاره . إن أهم هذه العوامل هي المرونة والخبرة التي اكتسبتها الدول الصناعية في إدارة الطلب على النفط المستورد ، بشكل جعلها قادرة على فصل سعر النفط المحلي في أسواقها الوطنية عن سعره الدولي الذي تدفعه للأقطار المصدرة .
وقد عملت الدول الصناعية ، منذ بداية أزمة النفط خلال السبعينيات ، على خلق البدائل للنفط المستورد من غاز وطاقة نووية وزيادة إنتاج النفط في بلادها وخارج المنطقة العربية ، وبناء

مخزون احتياطي من النفط الخام المستورد . وبالمقابل نجد أن الأقطار المصدرة للنفط لم تفلح في خلق بدائل من الدخل ، تعطيها المرونة اللازمة في تحديد مستوى إنتاج النفط وتصديره ، بل العكس هو الصحيح ، حيث توسعت الأقطار النفطية في الإنفاق والالتزامات الخارجية ، حتى تجاوزت مستوى دخولها السنوية من النفط ، وأصبحت تعتمد إما على الاقتراض الخارجي في غالب الحالات أو الإنفاق مما تجمع لديها من احتياطيات نقدية في أثناء الطفرة النفطية ، حتى أوشكت هذه الاحتياطات أن تنفد . ومما زاد حدة هذا الاتجاه بالنسبة للدول النفطية العربية هو الإنفاق على التسلح ، خاصة بعد نشوب الحرب العراقية الإيرانية مع استمرار مشكلة تحرير فلسطين والنزاع في لبنان والسودان والصحراء الغربية وغيرها من مشاكل التوتر الداخلية والخارجية في الوطن العربي الكبير .

إن حاجة الأقطار العربية إلى المال - كما أوضحنا - وتوافر الطاقة الإنتاجية لدى العديد منها سيجعلها تسعى إلى زيادة الإنتاج في جميع الحالات . فإذا ارتفع سعر النفط فهي ستزيد الإنتاج للاستفادة من السعر المرتفع ، وإذا انخفض السعر فهي تزيد الأنتاج في محاولة الحفاظ على المستوى نفسه من الدخل على الأقل . إن مثل هذا الوضع يخلق الظروف الملائمة للأقطار الصناعية المستوردة للنفط بما لديها من خبرة ومرونة في أن تدير الطلب على نفط الأوبك ، بهدف الحصول على المزيد من الإمدادات ، دون الحاجة إلى رفع الأسعار ، لأن العرض سيكون دائما أكثر من الطلب ، طالما أن الدول المصدرة لديها طاقة إنتاج للتوسع ، وحاجة شديدة للمال . وهكذا يمكن أن نتوقع زيادة الطلب على النفط العربي دون ارتفاع أسعاره الحقيقية خلال النصف الأول من العقد القادم ، وذلك ما لم تتفق الأقطار المصدرة على تنفيذ سياسة ترشيد الإنتاج لحماية الأسعار ، لأنها المنتج الرئيسى والمتمم في أسواق النفط العالمية .

هذا بالنسبة لأسعار النفط العالمية ، أما الأسعار النهائية للمستهلك في الأسواق المحلية للدول المستوردة الصناعية ، فمن المنتظر أن تحافظ على مستواها المرتفع ، بل يمكن أن تستمر في الزيادة ، بغض النظر عما يطرأ من تذبذب أو حتى انخفاض في الأسعار العالمية . إن استمرار هذا الوضع يساعد الدول الصناعية على تنفيذ سياستها الرامية إلى ترشيد استهلاك النفط ، ويمكنها من الحصول على الجزء الأكبر من الريع الاقتصادي (الفرق بين كلفة الإنتاج وسعر البيع للمستهلك) للنفط المستورد . ونظرا لضخامة الأموال التي تحقق من تطبيق سياسة المحافظة على أسعار النفط منخفضة عالميا ، ومرتفعة محليا ، تستطيع الأقطار الصناعية المستوردة للنفط أن توظف هذه الأموال في تنمية بدائل الطاقة ، ومساعدة صناعاتها النفطية المحلية ، وتشجيع المحافظة على الطاقة ، وترشيد استهلاك النفط بشتى وسائل الدعم والإعفاءات الضريبية . إن



نجاح الدول الصناعية في اتباع مثل هذه السياسة لم يتحقق إلا بعد أن استعادت السيطرة على إدارة الطلب ، الأمر الذي مكنها من تحويل سوق النفط من سيطرة البائعين إلى يد المشترين ، بعد أن سيطرت الخلافات على المداولات والتعامل بين عدد من أقطار الأوبك الرئيسة ، وخاصة بعد أن تخلت هذه المنظمة عن دورها في تحديد السعر ، وأصبحت كل دولة تسعى لزيادة حصتها في السوق عن طريق خفض الأسعار ، ولو كان ذلك على حساب المصدرين الآخرين ، أو أن زيادة مبيعاتها النفطية تضاف إلى المخزون الاستراتيجي للدول الصناعية ، ليستعمل فيما بعد في إدارة الطلب على النفط بما يضمن بقاء سعره العالمي متدنيا .

لا شك بأن استمرار مثل هذا الوضع ـ لا سمح الله ـ حتى العقد القادم سيحرم الأقطار العربية النفطية ، والعرب بصورة عامة ، من الحصول على سعر عادل مقابل استنزاف الثروة النفطية الناضبة ، الأمر الذي سيؤدي إلى عدم تحقيق عائدات مالية ، تكفي لتسديد التزامات الاستهلاك والاستثمار والدفاع والمساعدات الخارجية للدول العربية غيرالنفطية وغيرها من احتياجات التعاون العربي والدولي التي ينتظر أن تزداد وتتوسع خلال التسعينيات . لذلك لا بد من العمل من جديد لمقاومة الاستسلام لسياسة الدول الصناعية النفطية والاقتصادية ، حتى يحصل التوازن بين مصالح جميع الأطراف المعنية بالصناعة النفطية من منتجين ومستهلكين وتجاريين . غير أن مثل هذا التوازن لن يتحقق إلا بعد قدر كاف من التعاون ، وتبادل المصالح بين المصدرين الرئيسيين للنفط ، ثم بعد ذلك بينهم وبين المستهلكين الرئيسيين ومجموعة الدول النامية المستوردة للنفط ، والتي ينتظر أن يرتفع فيها استهلاك النفط بسبب ارتفاع معدلات النمو والزيادة السكانية .

مستقبل الأوبك :

على الرغم مما أصاب هذه المنظمة من ضعف وتفكك من جراء الخلافات المستمرة بين أعضائها ، خاصة بعد نشوب الحرب العراقية الإيرانية ، فإنها ما تزال قادرة على القيام بدور رئيس في تنظيم سوق النقد العالمية ، إذا ما أعطيت الفرصة من حيث تنمية روح التعاون بين الأقطار الأعضاء ، وبناء قدرتها الفنية في الأمانة العامة ، بما يمكنها من القيام بالدراسات واقتراح السياسات والتعامل بفاعلية مع منظمات دولية متخصصة ، مثل وكالة الطاقة الدولية ، ومجموعة السوق الأوربية ، وغيرها . ومن العوامل التي يمكن أن تساعد على تقوية الأوبك خلال العقد القادم الانخفاض المتوقع في عدد أعضائها الذي ربما لن يزيد عن سبعة أو ثمانية أعضاء ، منهم خمسة أقطار عربية . كما أن منظمة عربية للطاقة ، تشمل كل الأقطار العربية النفطية وغير النفطية ، والتي من شأنها أن تعمل على تنمية التعاون بين الأقطار العربية في مجال الطاقة وجعلها المحور الأساسي والقاعدة المركزية للتعاون والتكامل الاقتصادي بين الأقطار العربية النفطية وغير النفطية . ومما لا شك فيه أن في حالة نجاح مثل هذا التوجه في جعل النفط والطاقة بشكل عام يخدمان احتياجات التنمية والتكامل الاقتصادي بين الأقطار العربية ككل أو داخل مجموعات إقليمية متعاونة فيما بينها فإن الاعتماد المتبادل داخل الوطن العربي سيزداد ، وترتفع معه الحاجة إلى المزيد من استهلاك النفط والغاز من أجل الإنتاج المحلي ، وبالتالي التقليل من الحاجة إلى المزيد من استيراد السلع والخدمات من الدول الصناعية ، وتصدير النفط خارج

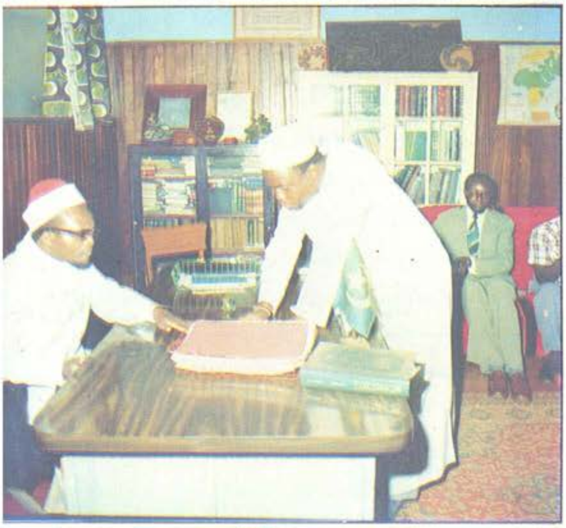
الوطن العربي . إن تحقيق مثل هذا التوجه سيخدم مصالح جميع الأقطار العربية ، ويمكن الأقطار النفطية من تخفيف اعتمادها على تصدير النفط الخام للأسواق العالمية ، وبالتالي المساهمة في رفع أسعاره ، وتحقيق عائد أكبر من مبيعاتها النفطية والبتروكيماوية . كما أن اتباع مثل هذه السياسة من شأنه أن يساعد على تقوية مركز الدول النفطية التفاوضي في تعاملها مع الدول الصناعية الرئيسة ، سواء في مجال الاقتصاد والمال أو نقل التقنية أو شؤون الدفاع الوطني . وباتباع مثل هذه السياسة التكاملية التنموية الشاملة يمكن للأقطار العربية أن تنمي مصالحها ومصالح بقية الأقطار العربية ككل بالمزيد من التعاون مع الدول النامية المستوردة للنفط والبتروكيماويات على أسس مستقرة وتوازن في المصالح المتبادلة .

وهنالك مجال آخر يمكن للنفط العربي أن يلعب فيه دورا أساسيا ، وهو توفير جسر للتنمية ، وتنويع مصادر المداخيل غير النفطية ومصادر الطاقة البديلة للاستهلاك العربي المحلي ، استعداداً لمرحلة ما بعد النفط ، وللتخفيف من الاعتماد الكبير على النفط والغاز كمصدر للطاقة المحلية ، مما يساعد على إطالة عمر النفط ، وتسهيل مهمة الانتقال إلى مرحلة ما بعد نضوب الحقول النفطية (بني مسعود) .

لقد تناولنا عدة مسائل ومشاكل تتعلق بالنفط والتنمية والتكامل العربي ولابد من التأكيد مرة أخرى على أن الاستفادة المثلى من الثروة النفطية العربية ، خلال العقد القادم وما بعده ، ستحتاج إلى نمو تكاملي ، يجمع بين الثروة النفطية والموارد الطبيعية الأخرى والقوى البشرية والأسواق المحلية الكامنة في كل الأقطار العربية الراغبة في التعاون ، والقادرة على الالتزام بالمصير العربي المشترك ، والعمل على تحديد مسيرته ، ومواجهة التحديات التي تعترضه ، والاستفادة من الفرص التي يتيحها هذا المصير المشترك أمام الأجيال القادمة . □

العربي - العدد ٣٧٤ - يناير ١٩٩٠ م





العمل التطوعي في الكويت

خطوات على دروب الخير

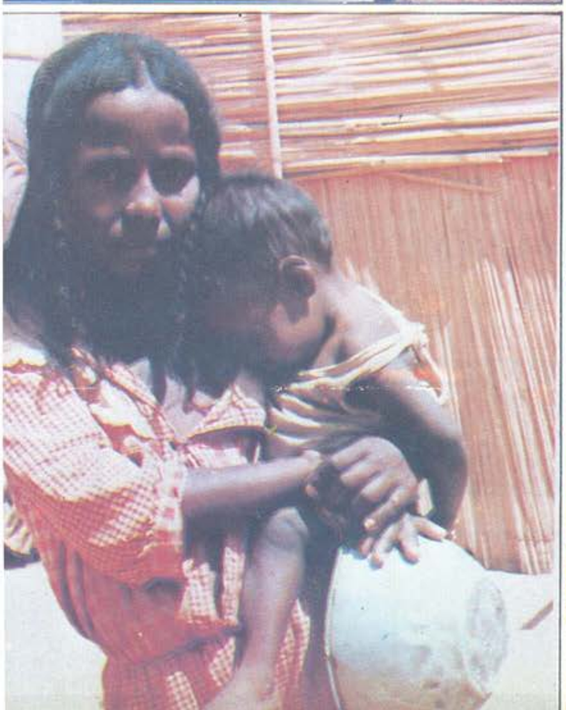
استطلاع :

صلاح حزين

أنور الياسين

تصوير :

فهد الكوح









«لم يكن هذا الاستطلاع سهلا ولا ممكنا فلا أحد يريد أن يتحدث ، الكل يلوذ بشرنقة الصمت .

وعندما فرغت العربي اثنين من محرريها لرسم صورة عامة لأعمال الخير التطوعية في الكويت فوجئنا بأن أطراف الموضوع تلزم الصمت فهي تمارس أفعال الخير تطوعا وإيمانا ، دون سؤال أو منة ، ولاتنتظر جزاء ولا شكورا ، ولا تبحث عن صورة وخبر ، على الرغم من أن آثار العمل التطوعي الخيري في الكويت وإنجازاته قد تجاوزت حدود خريطة الوطن ، لتمتد إلى أقطار عربية وافريقية وآسيوية في بقاع كثيرة غير مطروقة » .

وقف الطفل متأملا صورة كبيرة لوجه طفل أفريقي ، سالت دمعته على خده بشكل بارز ، ثم مد يده فوق الدمعة ، وكأنه يريد التأكد من أنها دمعة حقيقية ، سالت على خد الطفل الإفريقي . ولم يكتمل المشهد ، إذ جاءت الأم بعد قليل واصطحبت ابنها الذي واصل تأمله في اللوحة الكبيرة إلى أن اختفى .

صناديق في كل مكان

ولم يكن ذلك الملصق الكبير سوى واحد من آلاف الصور والملصقات واللافتات والنشرات التي علقت في أماكن عديدة من أطراف الكويت ، تدعو الناس إلى التبرع لعمل الخير ، لإغاثة منكوبين من فيضان أصاب إخوتنا السودانيين ، أو ضحايا زلزال ضرب اليمن ، أو كارثة طبيعية أصابت هذه المنطقة أو تلك من مناطق آسيا وافريقيا الفقيرة . صور وملصقات وصناديق هبات وتبرع ، انتشرت في كل زاوية وكل ركن وكل شارع . صناديق مفتوحة لتلقّي الهبات والتبرعات ، تراها منتشرة في الجمعيات التعاونية ، في البقالات والأسواق المركزية ، وعلى أعمدة الكهرباء ، وفي مواقف السيارات ، وعند باعة المرطبات ، وعلى أبواب المجمعات التجارية الضخمة وأبواب المطاعم والمحلات . لكن هذه على كثرتها ليست سوى الجزء الظاهر من جبل الجليد الهائل للعمل الخيري في الكويت ، فخلف هذه الأعداد الكبيرة للملصقات والصناديق واللافتات هناك مؤسسات وجمعيات ومنظمات ولجان لعمل الخير . وإن كان التبرع بمعناه المباشر هو الجزء الظاهر ، فإن شبكة تسلمه وتنظيم توزيعه وأشكال تطوره وتشعبه هي الجزء غير الظاهر من هذا العمل الذي له جذور تمتد طويلا في تاريخ الكويت . فليس الأمر أن فيضانا نكب بعض الضحايا ، فهب أهل الخير في الكويت لمساعدتهم ، أو أن زلزالا دمر مدنا فتنادى هؤلاء لإعادة بناء ما دمر ، أو أن شعبا عربيا ، مثل الشعب الفلسطيني ، قام بانتفاضة جبارة ضد المحتلين ، فجمعت الأموال والملابس والمواد التموينية لشد أزره ، وحضه على الاستمرار ، حتى يزول الاحتلال عن أرضه المقدسة ، بل هو عمل متشعب ، متعدد الأوجه ، متنوع الأغراض ، له جذور عميقة في تاريخ الشعب الكويتي قديما وحديثا . وهو عمل لم يأت مع ظهور النفط بخيراته العميمة على الكويت ، كما قد يتبادر إلى الذهن . فقد تم افتتاح أول جمعية خيرية في الكويت في شهر آذار - مارس - من عام ١٩١٣ . وعلى الرغم من قلة إمكانياتها ، وقصر فترة نشاطها ، قدمت خدمات رائدة في مجال العمل الخيري آنذاك ، كان أبرزها افتتاح

مستوصف لعلاج الفقراء ، والاهتمام بشؤون الوعظ والإرشاد ، وتعمير المساجد ، وتوزيع الماء على الفقراء ، وتجهيز الموتى من الغرباء والمحتاجين ، كما عنيت الجمعية بجمع الكتب وحفظها في مقرها ، تمهيدا لتأسيس مكتبة عامة .

كان ذلك في زمن بعيد نسبيا ، بعيد بعمر الزمن وبعمر النقلة ، والشوط الذي قطعته الكويت التي تحولت من بلد يقاسي أهله الشدائد والصعاب ليحصلوا على أساسيات الحياة ، إلى بلد ينعم بخير عميم بفضل ثرواته النفطية الكبيرة .

لكن هناك خيطا متصلا ، يربط بين الآباء الذين عانوا الصعاب ، والأبناء الذين نعموا بحياة اليسر والراحة ، ذلك هو العمل الخيري التطوعي ، عمل مصدره الأساسي رغبة خاصة في مد يد العون والمساعدة لمن يحتاجون . وعندما تترسخ مثل هذه الفكرة الخيرة في الأذهان فلا شيء يعيقها ، سواء كان هذا الشيء عبارة عن صعوبات في الحياة ، كما كان الأمر سابقا ، أو كان إغراء بحياة سهلة مريحة وبرغد العيش الذي أتى مع الثروة النفطية .

آباء وأبناء

وما ذكرناه عن المبادرة الطوعية إلى عمل الخير في بداية القرن هو الوجه الآخر لما نراه اليوم ، في مجتمع الرخاء واليسر والراحة . شبان في مقتبل أعمارهم يزهدون بكل هذا الرخاء وهذه الراحة ، ويمضون إلى جفاف افريقيا وصحاريها ومستنقعاتها وأرضها القاحلة ، ليغيثوا إخوة لهم في العروبة أو الإسلام أو الإنسانية ، ويقاسون في رحلاتهم الصعبة تلك الغربة والوحدة والشدة ، دون شكوى أو تذمر .

وآخرون يغادرون هذه الحياة المترفة والعيش الرغد إلى أطراف آسيا البعيدة ، ليقيموا المساكن والمدارس والمستشفيات والمصحات والمساجد ومراكز توزيع المعونة . مدرسون يتطوعون لتدريس إخوتهم في العروبة والإسلام لغة القرآن الكريم ، ونشر الوعي بينهم بمختلف أشكاله . وأطباء نذروا أنفسهم لعلاج إخوتهم الذين يعانون أمراض سوء التغذية وانعدام شروط الحياة الإنسانية ، أو يقاسون آثار الجفاف أو الفيضانات والكوارث الطبيعية . ودعاة أخذوا على عاتقهم تعليم إخوتهم المسلمين في تلك الديار البعيدة أمور دينهم ودنياهم . ومذيعون ومهندسون إذاعيون توجهوا إلى عمق افريقيا لينشئوا إذاعة توصل اسم الكويت إلى تلك المناطق ، ناشرة الوعي والثقافة في تلك البلاد التي انقطعت عن العالم .

وغير هؤلاء ، وإلى جانبهم ، آخرون اتخذوا وجهة أخرى في العمل الخيري ، هي جانب الثقافة والتعليم ، ومنح الفرص للشباب العربي ، ممن حالت ظروفهم الخاصة دون إكمال علومهم على الرغم من تفوقهم العلمي ، وذلك عن طريق مساعدتهم على مواصلة تعليمهم الجامعي العادي والعالي ، من خلال توفير المستلزمات المادية لهم . لذا يتم اختيار المتفوقين من هؤلاء الطلبة وإرسالهم في بعثات دراسية .

وفي أحوال أخرى اختار فريق آخر من رجال الخير مساعدة مؤسسات تعليمية ، تمر بظروف صعبة عصيبة ، مثل الجامعات والمدارس في الأراضي الفلسطينية المحتلة وفي بعض الأقطار العربية والإسلامية ، ذات الإمكانيات المادية المتواضعة . وهناك يرتقي العمل التطوعي درجة ليتصل بالعمل الوطني والقومي ، مع احتفاظه بقيمته البسيطة الأولى المتمثلة في الرغبة الصادرة من أعماق مُحبة للخير وسعي نحو القيام به .

لكن هناك فرقا كبيرا بين ماكان يقوم به الآباء قديما وما يقوم به شبان الكويت هذه الأيام ، وإن كان من الصحيح أن فكرة العمل الصادق النابع من رغبة في حب الخير ، دون مقابل ، هي التي تجمع بين هذه الأعمال جميعا ، إلا أن العمل التطوعي والخيري في الكويت اليوم تحول

من عمل ارتجالي ، يقوم على النية الصادقة والحماس الكبير ، إلى عمل منظم ومؤسس ، تقوم به هيئات ولجان وجمعيات ومؤسسات ، عمل يقوم على دراسات ومعلومات موثقة وأبحاث جادة ، عمل منسق تشترك فيه جهات متعددة ، بعضها داخل الكويت وبعضها خارجها . فقد استقطب هذا اللون من العمل اهتمام عديد من الشخصيات والمؤسسات والمنظمات العربية والإسلامية والدولية ، وبدأت اتصالات بينها وبين مؤسسات العمل الخيري التطوعي في الكويت ، للارتقاء بمستوى هذا العمل وتوسيع رقعته ، حتى أصبحت جهات العمل الخيري التطوعي في الكويت اليوم تمثل شبكة ضخمة من الهيئات واللجان والجمعيات التي تقوم بعمل متصل لا يهدأ .

وبتوجيه من سمو أمير البلاد **الشيخ جابر الأحمد الصباح** اتخذ مجلس الوزراء برئاسة **ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله الصباح** قرارا بأن يكون الخامس عشر من شهر ديسمبر من كل عام يوما للمتطوعين من أجل التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، مشاركة



● مشروع زراعة الارز في بنغلاديش بمساعدة الهيئة الخيرية الاسلامية .

للأمم المتحدة في احتفالها بهذا اليوم .

وفي ديسمبر ١٩٨٨ ، بادرت جمعية النجاة الخيرية ، وهي إحدى الجمعيات الخيرية في الكويت ، إلى إقامة معرض للعمل التطوعي ، بمشاركة بعض جمعيات النفع العام ولجانها العاملة في المجال نفسه . وقد اشتمل المعرض على ٢٥ جناحا ، منها أجنحة للجان النسائية وذلك لأول مرة .

وقد شارك في هذا المعرض :

- الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية
- بيت الزكاة
- جمعية إحياء التراث الإسلامي ـ واللجان التابعة لها
- جمعية الإصلاح الاجتماعي ـ واللجان التابعة لها
- جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية
- الجمعية الخيرية للتضامن الاجتماعي ـ واللجان التابعة لها
- جمعية الهلال الأحمر الكويتي
- جمعية المعلمين الكويتية .
- جمعية النجاة الخيرية ـ واللجان التابعة لها ـ ومدارس الجمعية
- لجنة الفلاح الخيرية
- لجنة صندوق إعانة المرضى
- لجنة مسلمي افريقيا
- جمعية بيادر السلام النسائية
- جمعية الرعاية الإسلامية النسائية

وهذه الجمعيات واللجان المذكورة ليست سوى بعض الهيئات الخيرية العاملة على أرض الكويت ، فهي اليوم شبكة ضخمة تغطي مساحة كبيرة ، سنحاول إلقاء الضوء عليها .

تساؤلات منطقية

طوال عملنا في جمع المادة الصحفية عن عمل الخير التطوعي ، كانت ملامح الصورة تتضح أمامنا كل يوم ، وكلما اكتملت معالم الصورة تأكد لدينا أن هناك سمتين بارزتين في العمل

الخيري التطوعي في الكويت ، وأن فهمهما وإدراك مغزاهما يمنحنا إجابات عن كل التساؤلات المنطقية التي تثور في أذهان كل من يسمع أو يتابع أعمال الخير التطوعية في الكويت .

حول هذه الأسئلة يقول د . ابراهيم الشاهين ـ المدير العام للهيئة العامة للإسكان ، وعضو في اكثر من مجلس ادارة جمعية خيرية :

إن السمة الأولى للعمل الخيري التطوعي في الكويت ، هي هذا الشكل المختلف المتميز للمساعدة ، فليس هناك نقود تعطى ، أو تمنح للمحتاجين ، كمساعدة مؤقتة ، تنتهي سريعا بانتهاء المال ، أو تصبح بلا قيمة وبلا معنى ، وبخاصة إذا وجهت هذه المساعدات إلى مجتمعات يعز فيها مايمكن شراؤه .

لذلك فمساعدات العمل الخيري التطوعي وإنجازاته تتخذ أشكال استثمار أخرى ، فهناك مدارس تفتح وتحول لكي تستثمر ، أو آبار تحفر في قرى ، لكى تضمن إعمار القرى وحياة أهلها ، أو تأخذ شكل بناء قرى تهدمت ، أو تشييد مستشفيات وتحويلها لضمان استمرار الخدمة الطبية وتقديمها ، أو بناء مساجد .

ومن أشكال المساعدات المتميزة ، هي ما يُعرف برعاية الأطفال اليتامى الذين يتكفل بهم فاعلو خير ، فينفقون عليهم ويوفرون لهم المأكل والملبس والتعليم ، وهناك شكل آخر وهو الإنفاق على الطلاب المتفوقين الذين لايستطيعون أن يكملوا تعليمهم الجامعي .

هذه الأشكال من عمل الخير ، هي استثمار باقٍ ، ويمتد أثره في المجتمعات التي يمارس فيها ، ويساعد على تخفيف عبء الحياة وتقليل أثر حدة المشكلات في المجتمعات التي توجه إليها المساعدات . وعلى امتداد خريطة افريقيا وبعض بلدان آسيا نجد في قرى بعيدة ، مساجد



● عملية حفر بئر في جيبوتي .

ومستشفيات ومدارس ، وآبار مياه تعمل ، وتعين أهل هذه القرى على الحياة ، وبجوارها لافتة صغيرة مكتوب عليها : «هذا من إسهام فاعلي خير بدولة الكويت» .

ويضيف د . شاهين : أما السمة الثانية للعمل الخيري التطوعي في الكويت ، فهي في العدد الكبير المشارك في أعمال الخير ، وتزايدهم يوما بعد يوم ، وللتحديد فإننا نفرق بين الذين يتبرعون ببعض أموالهم صدقة أو هبة ويضعونها في صناديق المساعدات ، وبين القائمين على العمل نفسه ، والذين يدفعون مبالغ كبيرة تقترب من ملايين الدنانير ، أو يذهبون بأنفسهم لتقديم المساعدة للفقراء .

وبجانب المتبرعين بالمال - وما أكثرهم - هناك عدد كبير من الشباب والكهول الذين يذهبون على نفقتهم الخاصة إلى قرى غاية فى الفقر ، في أفريقيا وآسيا يعلمون الناس أو يشرفون على توزيع المساعدات .

الظاهرة هنا هي تزايد عدد هذا التيار وكبر حجمه يوما بعد يوم . وهنا قد يثور التساؤل : لماذا ؟

فهذا مجتمع قد أفاء الله عليه بنعمة الرفاهية ، وأفراده يعيشون في بحبوحة عيش وخدمات ميسرة .

في الحقيقة لايوجد تفسير لهذه الظاهرة ، إلا نضج فكرة المجتمع المدني في الكويت .

فداخل الكويت نفسها ، توجد مراكز طبية ، تبرع بها ميسورون ، وهي مجهزة على أعلى مستوى عالمي ، وقد أنشأها أصحابها ، لايبغون جزاء ولا شكورا ، إلا دعوة صالحة من مستفيد من خدماتها ، وفي الكويت تقدم شركات القطاع الخاص نسبة مئوية من أرباحها سنويا إلى مؤسسة الكويت للتقدم العلمي التي تتولى دعم البحوث العلمية المتطورة وتشجيعها لخدمة المجتمع البشري كله .

أحد المتبرعين لإنشاء مركز طبي متقدم متخصص في الكويت يقول لنا - على الرغم من أنه رفض أن يتحدث أو أن يذكر اسمه في الاستطلاع - بحديث خاص : لم يكن أحد في عائلتي ، ولله المنة والحمد ، مريضا ، وأجيبك عن سؤالك وأقول : ولله الحمد على ما أعطى ، أستطيع أن أتعالج أنا وأسرتي في أي مكان بالعالم ، وعلى الرغم من ذلك ، فأنا ببساطة أقمت هذا المركز الطبي لعل أحد المتعالجين يقول فقط : رحم الله من أنشأه ، ليس لي سن غرض إلا تخفيف الألم على الناس ، ومد يد العون إليهم ، وكان الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه .

تفسير واجابة

- إذن ، لماذا هذا التعاظم لأعمال الخير التطوعية في الكويت ؟

التفسير العلمي المقبول هو أن الكويت مجتمع قد استقر منذ زمن طويل ، وقد يقول بعضهم إن هناك مجتمعات كثيرة قد استقرت أيضا ولكن لم يظهر بها مثل هذه الأعمال .

لكن الحقيقة أن استقرار المجتمع لابد أن يسفر عن تطور المفاهيم والقيم العامة ونضجها التى تربط الجماعة البشرية ، وليس مجرد استقرار السكان في أرض ما ، واستقرار نظم اجتماعية وسياسية .

الكويت وفلسطين

في ثلاثينيات هذا القرن وبعد أسابيع من الاضراب العام الذي قام به الشعب الفلسطيني عام ١٩٣٦ م ، وثورته على سلطات الاحتلال البريطاني ، واعتداءات قطعان المستوطنين الصهاينة المتحالفين معها ، وليستنبط أشكالا عديدة لمقاومتهم اجتمع بعض أهل الخير في الكويت ، ونظموا حملة لجمع التبرعات ، ثم بادروا بتأسيس لجنة تجمع المعونات بكل أشكالها ، لتقديمها مساعدة غير ممنونة إلى

الشعب الفلسطيني ، وضمت اللجنة كلا من الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، وأحمد الحميدي ، ومحمد ثنيان الغانم ، وعبدالرحمن محمد البحر ، وسيد بن علي سليمان ، ومشعان الخضير ، ومحمد أحمد الغانم . وعقدت اللجنة اجتماعات لجمع التبرعات . وعلى الرغم من ضيق ذات اليد في ذلك الزمن ، حيث كان الغوص على اللؤلؤ هو المصدر الرئيسي للدخل في الكويت ، فقد جمعت اللجنة التبرعات وأرسلتها إلى فلسطين ، وواصلت عملها حتى انتهاء الثورة عام ١٩٣٩ م .

وقد شهدت الستينيات عددا من الأحداث المهمة على المستوى القومي ، ترافقت مع أجواء اليسر التي بدأت تلوح في سماء الكويت . ولأن دعم كفاح الشعوب ليس أمرا موسميا فقد بعثت عناصر الخير في الكويت الحياة من جديد في اللجنة الخيرية التي ساعدت أهل فلسطين في الثلاثينيات ، وذلك في بداية الستينيات ، وعادت هذه اللجنة إلى العمل الفعال في سبيل تقديم الدعم لشعب فلسطين في ثورته الحديثة ، وغير ذلك من أوجه عمل الخير وحتى الآن . حتى دخولنا عصر الانتفاضة الفلسطينية العارمة . ومازالت اللجنة الشعبية العليا لجمع التبرعات في الكويت هي الجهة الوحيدة المخولة بجمع التبرعات من أهل الخير في الكويت ، وتسليمها لمستحقيها عبر طرق عديدة .

لكن اللجنة الشعبية العليا ليست هي الطرف الوحيد الذي يقدم المعونات للشعب الفلسطيني ، كما أن تقديم التبرعات بعد جمعها ليس هو الشكل الوحيد لمساعدة الشعب الفلسطيني الذي تعقدت قضيته وتشعبت ، وامتدت مع امتداد أماكن وجوده . غير أن الكتلة الصامدة من هذا الشعب التي يقع عليها العبء الأكبر في الحفاظ على الهوية الفلسطينية ، وفي الصمود والتضحية ، لها مكان خاص مميز لدى الهيئات الخيرية في الكويت عموما . لكن الجديد في الأمر أن العمل الخيري قد انتقل من طور إلى آخر ، واتخذ أشكالا جديدة أكثر تنظيما ، فقد حل التنظيم محل العفوية ، وحلت المؤسسات محل الأفراد . وكبرت المؤسسات ، وانتشرت فروعها ، وتعددت أشكال أعمالها ، ليصبح عمل الخير في الكويت اليوم عملا مؤسسيا ، ينظم الطاقات ، ويطلق المبادرات ، ويستفيد من العمل التطوعي الذي يسعى إليه كثيرون من الشباب الكويتي ، على الرغم من الصعاب كما ذكرنا . ولكن أي فرع من المؤسسات ذلك الذي يقوم بهذه الأعمال الخيرية ؟

تحت الاحتلال

من يقم بزيارة بعض الجامعات أو المؤسسات التعليمية في الأرض المحتلة يمكنه مشاهدة بعض قاعات المحاضرات أو المختبرات أو التجهيزات العلمية تحمل أسماء بعض الشخصيات الكويتية التي أسهمت في دعم هذه المؤسسات التي تعد ركائز للصمود في وجه العدو . ومن بين هذه الأعمال دعم جامعت الضفة الغربية وقطاع غزة ، وهو دعم يأخذ أشكالا متعددة ، مثل المساهمة في المصاريف والإنفاق على تعليم بعض الطلبة ، والتعاقد مع أساتذة متخصصين للتدريس في الجامعات الفلسطينية تحت الاحتلال . ومنها أيضا الاتصال مع سفارات بعض الدول الصديقة ، أوربية كانت أو آسيوية ، لتقديم المنح للطلبة الفلسطينيين . وفي الكويت يتم التعاون مع بعض المؤسسات الكويتية ذات الطابع الاكاديمي ، مثل مؤسسة الكويت للتقدم العلمي للمساهمة في هذا الدعم .

ويقول داود مساعد الصالح ، وهو المشرف على هذا اللون من النشاط الخيري : إن هناك احتياطيا نقديا لتغطية نفقات هذا الدعم .

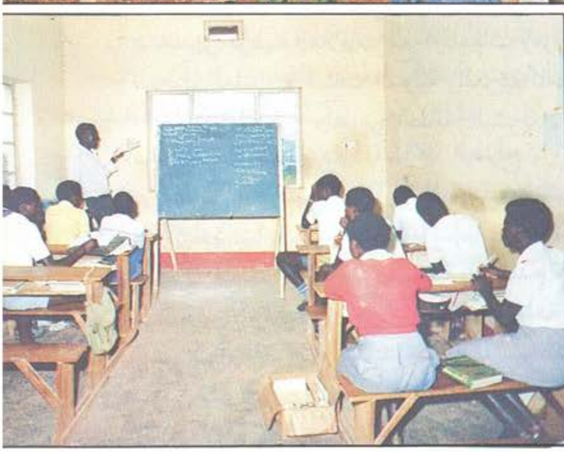
وداود مساعد الصالح هو رئيس مجلس أمناء فرع الكويت للمؤسسة العالمية لمساعدة الطلبة



● ملصقات وصناديق لتلقي المعونة الخيرية .



● مستوصف اللهيب في
الفلبين .





● فصل دراسي والى (اليمين)
عملية ختان في أوغندا .

العرب ، وهي مؤسسة خيرية تربوية ، لاتهدف إلى الربح المادي ، وقد تم تسجيلها في مدينة ترينتون بولاية نيوجيرزى بالولايات المتحدة الأمريكية ، وهي مؤسسة مستقلة ، لاتنتمي إلى أي جهة رسمية أو حزب سياسي أو منظمة أو طائفة دينية ، سواء كانت عربية أو أجنبية .

ويرسم سياسة المؤسسة مجلس أمناء ، يضم ٥٠ عضوا من رجال الأعمال والعلم في الأقطار العربية وأمريكا وبريطانيا ، وتناط بهم مهمة تحديد الأهداف التربوية ، ووسائل دعم المؤسسة ماليا ومعنويا على الأصعدة المحلية والعربية والدولية . أما الرئيس العام للمؤسسة فهو الأمير تركي بن عبدالعزيز . والمؤسسة تهدف إلى توفير فرص التعليم الجامعي في نطاق التخصصات المطلوبة والنادرة للشباب العرب المتفوقين والمحتاجين ماديا ، وجذب الكفاءات العلمية للعمل في مشروعات التنمية الصناعية والاقتصادية والاجتماعية في الوطن العربي ، كما تهدف إلى توطيد العلاقات مع الجامعات ومراكز البحث العلمي والهيئات الدولية والعربية المعنية بالتعليم الجامعي وتطوير الطاقة البشرية .

ويضيف السيد داود مساعد الصالح : إن دور المؤسسة لاينتهي بانتهاء الطلبة من دراستهم في التخصصات المطلوبة ، بل إنها تسهم في البحث لهم عن الوظائف المناسبة ، وتقدم لهم النصح والإرشاد في اختيار الجامعات المعترف بها ، سواء للدراسة أو للتدريس فيها . وتصدر المؤسسة نشرة شهرية باللغتين العربية والانجليزية ، تتضمن أسماء الخريجين العرب وصورهم ومؤهلاتهم ، وتوزعها على المؤسسات التي تهتم بتخصصاتهم ، لعلها تجد في هؤلاء الخريجين أشخاصا مناسبين لملء الشواغر فيها .

وخلال السنوات الاثنتي عشرة الماضية بلغ عدد المساعدات المالية التي قدمتها المؤسسة حوالى ستة آلاف وخمسمائة مساعدة مالية ، بكلفة مالية قدرها ثمانية ملايين ونصف مليون دولار .

وإن كان نشاط المؤسسة يمتد عبر الوطن العربي كله ، إلا أن هناك برنامجا خاصا لمساعدة الجامعات والمعاهد الفلسطينية . ويتضمن البرنامج تعزيز الكوادر من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات ، ووضع برنامج لمساعدة الطلبة بالاشتراك مع جمعية صندوق الأراضي المقدسة ، وتزويد المعاهد والمدارس والجامعات بالأجهزة والآلات الحديثة ، ومساعدة الطلبة الفلسطينيين الدارسين بالخارج ، ممن انقطعت عنهم المصادر المالية ، نتيجة لظروف الانتفاضة الفلسطينية .

استثمار للمستقبل

وتمثل مساعدة الطلبة ، باعتبارهم رجال المستقبل وأمله المنشود ، جزءا مهما من العمل الخيرى في الكويت ، وهذا بحد ذاته دليل على تطور معنى العمل الخيري نفسه ، بحيث يتحرر من مفهومه الضيق المرتبط بالإحسان ، ليصبح عملا منظما يقوم على أسس تأخذ بعين الاعتبار الحاضر والمستقبل ، كما تأخذ العامل الشخصي والنفسي إلى جانب العامل الوطني ، أي المرتبط بمستقبل الوطن العربي الواحد ، وبمستقبل الوطن العربي الكبير الذي يحتاج إلى سواعد أبنائه ، وإلى عقولهم أيضا .

ومن المؤسسات التي تبدي اهتماما بهذا الجانب الخلاق من العمل الخيري مؤسسة سلطان التعليمية التي أنشئت في الكويت عام ١٩٧٧ . وتقدم هذه المؤسسة المعونة للطلبة المتفوقين الذين لايستطيعون مواصلة دراستهم الجامعية على نفقتهم الخاصة جزئيا أو كليا .

وقد أعطت الجمعية الأفضلية للحقول التعليمية على النحو التالي : الهندسة وعلوم «الكمبيوتر» . الطب وعلوم التمريض والصحة العامة ، والفنون والموسيقا ، وعلم الإدارة ، وعلم السلوك والاجتماعيات ، مما يشير إلى الطابع المستقبلي لهذا اللون من العمل الخيري .

وتنحو رابطة الاجتماعيين بالكويت منحى مماثلا من حيث اهتمامها بالطلبة ، ودعمهم خلال فترة دراستهم ، وكانت الرابطة قد أنشأت صندوقا ، حمل اسم صندوق تعليم أبناء فلسطين ، لمساعدة الطلبة الذين تقف ظروفهم الاجتماعية عائقا أمام تفوقهم الدراسي ونجاحهم في المراحل الدراسية المختلفة ، عن طريق الموارد التي تأتي للصندوق من أهل الخير المحبين للعلم ، إلا أن مجلس إدارة الرابطة استجابة منه للتغيرات الاقتصادية التي طرأت على مجتمعات العالم ، ومنها المجتمع الكويتي ، بادر إلى إنشاء مكتب التوجيه والرعاية الاجتماعية الذي جاء محصلة لدمج مكتب تعليم أبناء فلسطين ومكتب الاستشارات الأسرية ، وتعد الخدمات الاجتماعية ، بمفهومها العام ، إحدى المرتكزات الأساسية لعمل هذا المكتب . وهذه الخدمات تشمل إلى جانب تعليم أبناء فلسطين على نفقة الرابطة تقديم المساعدات والمعونات المادية للأسرة المحتاجة ، وكذلك تقديم المشورة ، والتوجيه والمتابعة ، بهدف تحقيق الاستقرار لأسر أخرى .

وفي الإطار نفسه ، إطار عمل الخير في قطاع الثقافة والتعليم والتحصيل الأكاديمي ، تعمل «مبرة صباح السالم المبارك الصباح» ، وهي الجمعية التي أسسها في يناير من عام ١٩٧٦ المغفور له الشيخ صباح السالم المبارك الصباح الذي كان حينذاك أميرا للبلاد . وقد لخص لنا الدكتور ابراهيم مكي ، الأمين العام للمبرة ، أنشطة الجمعية ومجالاتها كما يلي :

* تقديم المنح الدراسية للمتفوقين من أبناء الكويت والدول العربية الأخرى لإجراء البحوث والدراسات العليا المتقدمة .

* تقديم المنح التشجيعية للباحثين في مجالات العلوم والآداب والفتوى على اختلاف أنواعها .

ويضيف الدكتور مكي : إن أهم أنشطتها إيفاد الطلبة للدراسة خارج البلاد ، وتشمل أربعة مجالات هي :

* بعثات للدراسة العليا .

* بعثات لدراسة الإجازة الجامعية ، أي شهادات الليسانس والبكالوريوس .

* إيفادات لإنجاز أبحاث علمية متقدمة .

* منح تقدم لمراكز رعاية الطلبة دراسيا .

ويتولى إدارة المبرة مجلس إدارة ، يتألف من سبعة أعضاء ، برئاسة الشيخ سالم صباح السالم ، وعضوية كل من الشيخ أحمد صباح السالم ، والدكتور ابراهيم مكي ، والسيد سليمان حمود الخالد ، والسيد عبدالرحمن العتيقي ، والسيد عبداللطيف الحمد ، والسيد ناصر محمد الخرافي .

المرأة والعمل الخيرى :

الآنسة لولوة القطامي هي المرأة الوحيدة من بين أعضاء مجلس الأمناء ، إلا أن هذا ليس استثناء في مجال العمل الخيرى والعمل العام في الكويت ، فالآنسة لولوة القطامي ، إلى جانب عملها هذا ، هي رئيسة الجمعية الثقافية والاجتماعية النسائية ، وإحدى المؤسسات للجمعية ، وهن من سيدات الكويت المعروفات في مجال العمل العام على مستوى الوطن العربي كله . وقد تأسست الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية سنة ١٩٦٣ ، بهدف تهيئة السبل لأعضائها لممارسة النشاط الثقافي والاجتماعي والرياضي . وهذه الجمعية التي بدأت بعدد من الأعضاء ، لايزيد عن ١٤ ، أصبحت الآن تضم نحو ٢٠٠ عضو من السيدات الناشطات في مجال العمل الاجتماعي .

وبالإضافة إلى ذلك كله فإن الآنسة لولوة القطامي من خلال عملها رئيسة للجمعية الثقافية تقوم بدور رئيسي في لجنة طبق الخير ، مع سيدة أخرى من سيدات الكويت ، هي غنيمة المرزوق ، رئيسة تحرير مجلة «أسرتي» ،



● يوسف جاسم الحجي



● د. ابراهيم الشاهين



● لولوة القطامي

أول مجلة نسائية في الكويت ومنطقة الخليج العربي . ويشارك هاتين السيدتين عدد من سيدات الكويت ، هن حصة الغانم ، ودلال الزاحم ، وعادلة الساير ، وطيبة الخالد ، وسارة فهد المرزوق . فما طبق الخير وما حكايته ؟

الإجابة ترويها السيدة غنيمة المرزوق التي تمعنت في أحد أيام شهر مارس عام ١٩٧٥ بالمفارقة المأساوية المتمثلة في البؤس والدمار والموت وتشريد الأطفال والنساء في لبنان والسودان وأرتيريا وأنحاء أخرى من الوطن العربي والعالم الإسلامي ، وبين حياة الاكتفاء واليسر في دول أخرى ، وبخاصة في أقطار الخليج . وقد طرحت هذه الفكرة في مجلة «أسرتي» التي ترأس تحريرها من خلال التساؤل حول إمكانية الاستفادة من الأعياد الدينية ، وتحويلها من مجرد طقوس إلى فعل خيري ، يستفيد منه المحتاجون من أموال الموسرين غير المحتاجين ، إلا أن الفكرة لم تدخل حيز التنفيذ الفعلي قبل عام ١٩٧٧ ، حين التقت سيدات الجمعية الثقافية النسائية والسيدة غنيمة المرزوق لوضع هذه الأفكار موضع التنفيذ ، وعلى الفور تشكلت لجنة طبق الخير التي مر ذكرها . وقد بدأ الأمر كله من خلال مهرجانات طبق الخير التي تعتمد على إقامة حفل غداء أو عشاء ، يحضره الموسرون لشراء أطباق الطعام المختلفة بأسعار رمزية عالية ، لكي يستفاد بعد ذلك من الإيرادات في عمل الخير .

وإلى جانب هذا النشاط السنوي قامت اللجنة بمشروعين ، كان الهدف منهما تحويل العمل الخيري من عمل ذي طابع موسمي إلى عمل خيري مستمر متصل ، وهذا ما نعنيه (بمأسسة) العمل الخيري ، أي اتخاذه الطابع المؤسسي بدلا من الطابع الفردي ، والمنظم بدلا من العفوي ، والمخطط بدلا من الارتجالي .

وقد كانت البداية في لبنان ، حيث تم عام



● تدريب المعلمين بمدارس المسلمين في الفلبين .



● لجان وجمعيات خيرية .

١٩٧٩ وضع حجر الأساس لقرية «حنان اللبنانية» ، وهي قرية خاصة بالأطفال الأيتام في لبنان ، اختيرت لها منطقة سوق الغرب بجبل لبنان ، وداخل هذه القرية يسكن أطفال فقدوا حنان الأهل ودفء قلوبهم . وجهزت هذه القرية بكل المرافق الأساسية ، من مدارس ومصحات ومنشآت وغيرها من المرافق الضرورية ، لكي يواصل سكان هذه القرية حياتهم في هذا المشروع الخيري الكبير .

وعند نجاح هذا المشروع الخيري بدأ العمل بمشروع مماثل في السودان . وعلى بعد ٤٥٠ كيلومترا من الخرطوم قامت «قرية حنان» «في أبو رخم» وقد جهزت بتجهيزات مماثلة ، لتجعل الخير فعلا متصلا مستمرا ، يفيد منه أطفال السودان وأرتيريا الذين فقدوا بعض أهلهم وذويهم ، سواء بسبب الحروب ، أو الكوارث الطبيعية أو المجاعات التي تعاني منها القارة الافريقية عموما ومنطقة القرن الافريقي على وجه الخصوص .

هيئة عالمية مقرها الكويت

والكوارث الطبيعية والظروف القاسية والبؤس والحرمان والبطالة والتشرد والمرض والجهل ـ التي لاتعاني منها افريقيا وحدها ، بل تعاني منها العديد من البلدان الإسلامية في افريقيا وآسيا ـ كانت دافعا لتحرك العديد من المؤسسات والهيئات والجمعيات الخيرية في الكويت ، في محاولة لتحسين أحوال هؤلاء الإخوة في الدين والإنسانية .

في ١٧ رمضان الموافق ١٧ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٨٤ عقد على أرض الكويت مؤتمر ضم ما يربو على مائة وخمسين شخصية إسلامية ، من شتى أنحاء العالم ، وأقروا مبدأ إنشاء الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ، ليكون من أهدافها المتعددة تهيئة الغذاء والكساء والعلاج والرعاية والإيواء للمحتاجين ، وتقديم المعونات في حالات الكوارث والأوبئة والمجاعات ، والإسهام في توفير فرص العمل ، وتدريب العمال ، وإقامة المشاريع الاقتصادية ، والعمل على تكوين الشخصية المسلمة ، ونشر الوعي الإسلامي الأصيل ، والمساهمة في محو الأمية ، وتعليم القرآن الكريم ، وتبليغ رسالة الإسلام ، والتعاون مع كل الهيئات الخيرية ، وما شابه ذلك من الأهداف النبيلة والوسائل الكريمة التي تلخص حقيقة هذه الهيئة التي أشهرت عام ١٩٨٦ ، على أن يكون مقرها الكويت على الرغم من طابعها العالمي ، ونشاطها الذى يشمل كثيرا من الدول الإسلامية ودولا أخرى تعيش فيها مجموعات أو أقليات إسلامية .

وتصدر الهيئة التي يرأسها الأستاذ يوسف جاسم الحجي مجلة شهرية ، بدأت اعدادها بالصدور منذ ابريل الماضي ، بعنوان (الخيرية) ، يرأس تحريرها الدكتور عادل الفلاح ، وهو المسؤول الإعلامي بالهيئة . وعبر هذه المجلة تنشر الهيئة أخبار نشاطاتها وتحقيقات عن مشاريعها المختلفة في هذا السبيل . ولدى حديثنا مع السيد الحجي أشار إلى عدد من مجالات عمل الخير التي تتوزع على رقعة العالم . فهناك مسلمون في بلاد غير مسلمة ، وأينما كان هناك مسلمون كان هناك مجال للعمل الخيري .

وعن الهيئة وأسلوب عملها وهيكلها التنظيمي قال السيد الحجي : إنها تضم ١٦٠ شخصية عالمية ، أنشأوا الهيئة التأسيسية المكونة من ٢١ شخصية ، يشكلون مجلس الإدارة ، ويجتمعون في الكويت كل ٤ شهور ، لدراسة كل المشاريع التي تقوم بها الهيئة ، من حيث الإيرادات والمصروفات والاستثمارات التي تقوم بها الهيئة ، وكذلك العلاقات مع الجهات الأخرى . ومن أبرز مجالات الاستثمار التي تعمل فيها الهيئة مجال الاستثمار العقاري الذي يغطي رقعة واسعة خارج الكويت أيضا . ومن

إيرادات هذه الاستثمارات تنفق الهيئة على المشروعات ذات الطابع الإسلامي ، مثل مشاريع الإسكان والمستشفيات وتوزيع الأدوية ، وحفر الآبار ، وإصلاح الأراضي للزراعة ، وإنشاء مراكز للتدريب المهني . وقدر حجم الإنفاق على هذه المشروعات بمبلغ ١٢ مليون دولار . ومعظم هذه المشروعات في آسيا وافريقيا . إضافة إلى ذلك هناك لجنة مشتركة لتقديم المعونة والتبرعات إلى لبنان .

وأشاد السيد الحجي بحماس سمو أمير البلاد وسمو ولي العهد لهذه الأعمال الخيرية ودورهما في إنشاء الهيئة ، كما أشار إلى تعاون المؤسسات الرسمية في الكويت ، مثل وزارة الإعلام ، ووزارة الداخلية ، ووزارة الشئون ، ووزارة الدفاع التي لعبت كل منها دورا في مساعدة الهيئة على إنجاز عملها الخيري .

كما أشاد السيد الحجي باستجابة العديدين من أبناء الكويت لدعوات العمل التطوعي ، وخوض غمار هذا اللون من العمل على الرغم من المشاق التي تواجههم .

إلى افريقيا

جمعية النجاة الخيرية اختارت طريقا مختلف بعض الشيء ، فقد تأسست عام ١٩٧٨ ، بهدف إنشاء مدارس وكليات علمية إسلامية ، والإشراف عليها وفقا للنظم والقرارات المعمول بها في وزارة التربية ، وتقديم العون الأدبي والمادي لطلاب العلم المحتاجين ، وتشجيع الأبحاث التربوية والاجتماعية الإسلامية ، والمساهمة في تقديم العون للأيتام والأرامل المستحقين ، وفتح ملاجيء للأيتام والمعوزين ورعايتهم دينيا واجتماعيا وثقافيا .

وقد أقيمت مدرستان ، واحدة للبنين ، والأخرى للبنات ، تحملان اسم مدرسة النجاة الخاصة ، حيث يتم التدريس فيهما حسب الصيغة المذكورة سابقا . وتشرف عليهما لجنة خاصة تابعة للجمعية ،هي لجنة المدارس التي تشكل واحدة من أربع لجان تسير الجمعية عملها من خلالها ، وهي لجان الزكاة التي تقوم بتقديم المعونة من أموال الزكاة ولجنة صندوق اعانة المرضى الذين أقعدهم المرض عن طلب الرزق ، وتسهم اللجنة في علاج هؤلاء ، ومساعدة المحتاجين منهم للسفر إلى الخارج ، ونشر الوعي الصحي ، والتعاون مع جهات أخرى مشابهة داخل الكويت وخارجها لتقديم العون المادي والصحي لمتضرري الكوارث .

أما اللجنة الرابعة فهي لجنة مسلمي افريقيا التي لعبت دورا بارزا مهما في مجال تقديم العون بكل أشكاله إلى مسلمي افريقيا ، سواء في حالات الكوارث والفيضانات ، أو في مجال الحياة اليومية البائسة التي يعيشها إخوتنا المسلمون الأفارقة .

وقد تأسست اللجنة في صيف عام ١٩٨١ ، عندما قامت مجموعة من شباب الكويت بزيارة لجمهورية مالاوي بافريقيا ، لبناء مسجد ، تبرعت به إحدى المحسنات ، وصعق الوفد لما رآه من وضع مأساوي للمسلمين في تلك الجمهورية الافريقية التى كان المسلمون يشكلون فيها نحو ٦٦٪ من عدد سكانها البالغ ستة ملايين نسمة . إلا أن عددهم بدأ يتناقص ليصبح ١٧٪ عام ١٩٨١ . واكتشف هؤلاء الشباب أن نحو ٤٨٦ ألف طفل مسلم لايذهبون إلى المدارس ، لعدم تمكنهم من دفع الرسوم التى لاتزيد عن دولارين سنويا ، وأن عددا من القبائل كانت مسلمة ، على أنها فقدت عقديتها بسبب بعدها وانقطاعها عن المسلمين . كما اكتشفوا أن هؤلاء ليسوا الوحيدين من المسلمين الأفارقة على هذه الحالة . وكان هذا دافعا لتكوين لجنة تختص بتقديم المعونة بأشكالها المختلفة لمسلمي افريقيا .

ويقول رئيس اللجنة الدكتور عبدالرحمن السميط : إن اللجنة تعتمد في عملها اعتمادا كليا على تبرعات المحسنين من صدقات وزكاة وكفالة وتبني مشاريع محددة ، كما أنها تستثمر المال المخصص لصندوق الصدقة الجارية ، تحت إشراف هيئة استثمارية مختصة ، ضمن مؤسسات اللجنة ، وتتفق عائد الاستثمار على أعمال الخير في افريقيا .

وقد أفتت لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت بجواز دفع الزكاة والصدقات والأثلاث وإيقاف الأوقاف لهذه اللجنة . ومن أهم مصادرها صناديق جمع التبرعات المنتشرة في المنازل والمحلات التجارية والاستقطاعات الشهرية والتبرعات النقدية المقطوعة . وللجنة مسلمي افريقيا شبكة ضخمة من الدعاة والإداريين والفنيين ، يتوزعون على الدول الافريقية ، من تشاد في شمال القارة الافريقية حتى مالاوي وموزمبيق وزامبيا في الجنوب والوسط .

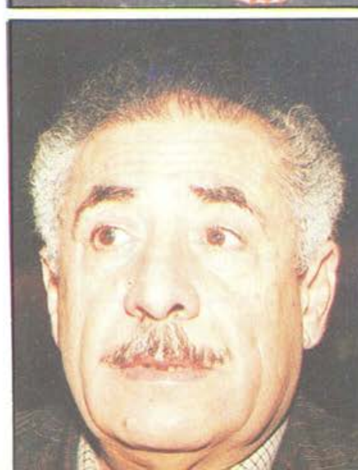
وقد أقامت عددا من المشاريع لتنظيم عملها في تلك البلاد البعيدة ، مثل مشروع كفالة معلم الخير ، ومشروع عيدية اليتيم والمسكين وغيرها ، وعبر هذه المشاريع تقدم المعونة الغذائية والكسائية والدوائية والتعليمية والمالية وغيرها . كما تقيم اللجنة مشاريع لتوفير المياه لمكافحة الجفاف ، ومشاريع غيرها لمكافحة المجاعة ، وتصدر اللجنة نشرة غير دورية بعنوان (أخبار اللجنة) ، تنشر فيها أخبارها ونشاطاتها ، بالإضافة إلى قضايا وشؤون أخرى ، وتتضمن النشرة جداول بالمشاريع التي تحتاج إلى متطوعين لتمويلها ، وتحتوي هذه الجداول على أسماء المشاريع وأماكنها وتكاليفها المحتملة . وهي معلومات قائمة على دراسات علمية دقيقة .

ويجدر بنا أن نذكر هنا أن هذه الطريقة معتمدة في العديد من مؤسسات عمل الخير وهيئاته . وهذا وجه آخر من وجوه (مأسسة) هذا النوع من العمل التطوعي ، والارتقاء به إلى عمل منهجي مخطط ، ومستوى علمي رصين .

ويضيف الدكتور السميط أن من أبرز المشاريع التي قامت بها اللجنة مشروع الإذاعة الاسلامية ، فقد افتتحت لجنة مسلمي أفريقيا في السنوات الأخيرة إذاعة خاصة بها في جمهورية «سيراليون» ، تسمى إذاعة القرآن الكريم ، حيث قامت اللجنة بشراء الإذاعة ، وتم تحويلها إلى أول إذاعة للقرآن الكريم في أفريقيا ، وهي تبث بعشر لغات محلية ، ويشرف عليها مهندسون تم انتدابهم من إذاعة الكويت كمتطوعين للعمل في لجنة مسلمي أفريقيا ، وقدمت كذلك وزارة الإعلام الكويتية ووزارة الكهرباء الكثير من المساعدات للإذاعة ، بدءا من البرامج الموجهة والأدوات الهندسية الخاصة بتوقيت البث ، إلى المولدات الكهربائية



● داود مساعد الصالح



● د. ابراهيم مكي

● العمل التطوعي في الكويت



● طارق سامي العيسى



● السيدة غنيمة المرزوق



● أحمد الجاسر



● مشروع بناء مدرسة في بنغلاديش



● المركز الاسلامي للتدريب المهني في الصومال .

الضخمة التي تم نقلها إلى «سيراليون» بطائرات سلاح الطيران الكويتي ، كجزء من المساعدات التي تقدمها الحكومة الكويتية للعمل الخيري الأهلي في مناطق تحتاج إلى كل شيء يقدم ، للنهوض بها من التخلف والمجاعة .

واليوم ، وبعد سنوات قليلة نسبيا على عمل هذه اللجنة ، فإنها تملك سجلا حافلا بالعمل الخيري في الكويت وخارجها .

من الأطلسي إلى الهادي

وتسير جمعية إحياء التراث على الدرب الخيري نفسه ، من خلال مشاريعها لإعادة طباعة المخطوطات الإسلامية . وقد بلغت تكاليف تجهيز مركز المخطوطات نحو مليون دينار ، حيث تعد إعادة الطباعة والتصوير للمخطوطات الخاصة بالبلدان الإسلامية هدفا أساسيا من أهدافها ، وذلك بالإضافة إلى الأنشطة الأخرى التي تقوم بها الجمعية في افريقيا وآسيا ، من خلال مشاريع مثل مشروع كافل اليتيم ، ومشروع الصدقة الجارية ، ومشروع كفالة معلم القرآن . كما تقوم إدارة بناء المساجد والمشاريع الإسلامية بدور مهم في بناء مساجد ومصليات في البلدان الإسلامية الفقيرة ، أو تلك التي تضم أقلية إسلامية ، لاتستطيع حمل أعباء مثل هذه المشاريع .

وقد أقامت الجمعية مشاريع عديدة لها في الهند وبنغلادش والفلبين واندونيسيا وبقية دول جنوب شرق آسيا .

ومن ضمن المشروعات التي طرحتها أخيرا مشروع طباعة ألف نسخة سنويا من المصحف المفسر باللغة الاندونيسية ، وذلك بالتعاون مع الجمعيات الإسلامية هناك .

ولقارة آسيا العملاقة نصيبها الخاص من عمل الخير . ويعد هذا النوع من العمل بشكل أو بآخر استمرارا لتلك العلاقة التاريخية المميزة بين الكويت ومنطقة الخليج عموما ، وبين دول آسيا التي تمتد حتى شواطيء المحيط الهادي البعيدة .

وقد أثمرت الرحلات التجارية التي كانت تخرج من الكويت إلى الهند وأندونيسيا قديما علاقات نسب ومصاهرة حينا ، وعلاقة تجارة وعمل حينا آخر . واليوم مع تغير الظروف تغيرت طبيعة العلاقة مع تلك البلاد الآسيوية ، وهي علاقة يلعب فيها العمل الخيري التطوعي اليوم دورا بارزا .

واتجاه الخيرين من أبناء الكويت إلى بلدان آسيا ليس جديدا على أي حال ، فقد كان كثيرون منهم يداومون على زيارة تلك البلدان ، وبخاصة اندونيسيا ، ويقيمون فيها المشاريع الخيرية لبناء المساجد والمدارس وغيرها من المرافق المهمة .

وكان الشيخ عبدالله النوري - رحمه الله - من رجال الكويت المعروفين بصلاتهم القوية بالمسلمين في تلك المنطقة ،وبعملهم الدؤوب من أجل فقراء المسلمين . وقد اكتسب الشيخ النوري سمعة طيبة ، باعتباره من المحسنين الذين يبحثون عن درب الخير للسير فيه . وعندما توفي الشيخ النوري عام ١٩٨١ ، رغبت أسرته الكريمة في إكمال مسيرة الخير التي بدأها الشيخ النوري . وهكذا قامت جمعية الشيخ عبدالله النوري لتسير مع الجمعيات الإسلامية الشقيقة في دولة الكويت ، لتحقيق رسالة الخير والبر على هدى الإسلام الحنيف . وقد قامت الجمعية بأنشطة ذات أوجه متعددة ، وممتدة جغرافيا من سواحل الأطلسي في افريقيا إلى دول شرق آسيا . ومن هذه الأعمال تعمير المساجد ، وتدعيم الجامعات والمدارس الإسلامية ، ومساعدة مراكز الدعوة والمؤسسات الإسلامية ، ومساعدة المستشفيات الإسلامية ، وتقديم الإغاثة العاجلة والمساعدات الإنسانية ، ودعم العمل الإسلامي ، والمشاركة في مشروعات الدعوة الإسلامية ، ودعم مراكز

تحفيظ القرآن ، وتفقد أحوال المسلمين ، وتنفيذ مشروعات إسلامية ، وفقا لوصايا المحسنين ، وغير ذلك من أعمال خيرية . ومن الآثار الباقية لجمعية الشيخ عبدالله النوري مساجد ومراكز إسلامية في الصومال وباكستان واندونيسيا ومالاوي وفي بعض الدول الأوربية حيث توجد الجاليات المسلمة .

كلمة لابد منها

وبعد ، فإن ما ذكرناه لايمثل كل جهات العمل الخيري في الكويت ، فهناك الكثير من الجمعيات واللجان والهيئات الأساسية والفرعية التي لم نذكرها دون أن يكون في ذلك تقليل من أهميتها . هناك بيت الزكاة ، تلك المؤسسة الكبيرة الضخمة التي من ضمن أعمالها الكثيرة جمع أموال الزكاة والخيرات وصرفها في أعمال الخير . ومعها تتعاون الهيئات والمؤسسات الأخرى في الكويت ، فهناك لجنة الفلاح الخيرية التي تعمل على مساعدة المسلمين في مختلف بقاع الأرض ، من خلال مساعدة المنكوبين ، وإنشاء مراكز إسلامية ، وإنشاء مراكز صناعية وحرفية ، وغير ذلك من وجوه العمل الخيري . وهناك لجان مناصرة لبنان وفلسطين وافغانستان ، وبالإضافة إلى العديد من اللجان المحلية ، من بينها لجنة حفظ الأطعمة التي تقوم بعمل مبتكر حقا ، هو حفظ مايزيد من أطعمة الحفلات . في الفنادق الكبرى ، ووضعها في درجة حرارة مناسبة لحفظها حتي يتم توزيعها على الفقراء والمحتاجين ، وكثيرا ما تتعاون هذه الهيئات واللجان الخيرية للقيام بعمل منسق مشترك .

وفي واحد من الأمثلة التي تعاون فيها العديد من الجمعيات المشاركة في مشروع لإنقاذ مليون مشرد في لبنان ، والتي تولتها اللجنة الكويتية المشتركة لإغاثة مهجري الحرب الأهلية في لبنان ، وشاركت في هذا العمل كل من الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ، وبيت الزكاة ، ولجنة المناصرة الخيرية لفلسطين ولبنان ، ولجان الزكاة التابعة لجمعية الإصلاح الاجتماعي ، وجمعية إحياء التراث الإسلامي ، وجمعية المعلمين الكويتية ، والجمعية الثقافية النسائية ، وصندوق إعانة المرضى ، والجمعية الطبية الكويتية ، وجمعية الشيخ عبدالله النوري ، والاتحاد الوطني لطلبة الكويت ، وجمعية الرعاية الإسلامية ، ولجنة الفلاح الخيرية ، والجمعية الخيرية للتضامن الاجتماعي ، ولجنة التضامن مع الشعب الفلسطيني ، وجمعية النجاة الخيرية .

إن العمل الخيري في الكويت أكبر من أن يغطيه استطلاع واحد أو كتاب واحد ، لذا فإن ماقمنا به ليس سوى إلقاء الضوء على جوانب من العمل الخيري في بلد الخير . □

حديث الرسول

● قال رسول الله ، ﷺ ، لمعاذ بن جبل : ألا أدلكم على أبواب الخير؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : الصوم جُنَّة ـ بضم الجيم وتشديد النون مع الفتح ـ والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل . ثم تلا رسول الله ، ﷺ ، قول الله تعالى : **« تتجافى جُنوبُهُمْ عَن المضاجع يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمّا رَزَقْناهُمْ يُنفقونَ ، فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِي لَهُم من قُرَّة أَعْيُنٍ جزاءَ بِمَا كانُوا يَعْلَوُنَ »** .



مملكة نحل العسل

بقلم : الدكتور فهمي مصطفى محمود *

مملكة على رأسها ملكة حريصة على مصالح شعبها ، تحكمه حكماً أدبياً ودياً ، لا قهر فيه ولا تسلط ولا جبروت . وشعبها يتحلى بصفات لا مثيل لها ، فهو شعب نشيط ، لا يعرف الكسل ، متفان في الطاعة ، لا يعرف التمرد أو العصيان ، شجاع ليس فيه متخاذل أو جبان ، عظيم التضحية ، قل نظراؤه بين الكائنات ، أمين لا يعرف الخيانة ، نظيف دائم العمل والاجتهاد دونما تبرم أو كلل . إنها مملكة نحل العسل .

* كاتب من الأرض العربية المحتلة ، يعمل بجامعة النجاح الوطنية - نابلس - فلسطين .

تتألف مملكة النحل هذه من ملكة واحدة ، وعدة مئات من اليعاسيب (الذكور) ، وعدد كبير من العاملات يتراوح بين ٣٠ - ٨٠ ألفاً ، وقد يزيد عددها أحياناً عن مائة ألف عاملة .

والملكة أكبر حجماً من اليعسوب ، تعمر ٤ - ٥ سنوات ، بينما يعيش اليعسوب ثلاثة أشهر ، وهو أكبر قليلاً من العاملة التي تعيش ٥ - ٨ أسابيع فقط .

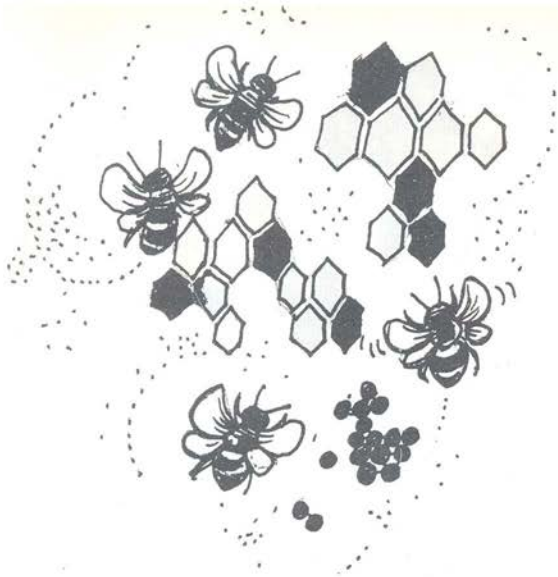
وباستثناء وضع البويضات لا تقوم الملكة بعمل يذكر داخل خلية النحل ، لكن وجودها ضروري جداً لبقاء المملكة ، إذ غالباً ما يعني موتها تشرد النحل وفناء المملكة .

ولا تقوم اليعاسيب بأي عمل على الإطلاق داخل الخلية ، بل إنها لا تقوم حتى بإطعام أنفسها ، فقد تشرف على الهلاك جوعاً إذا لم تقم العاملات بإطعامها . فحياتها داخل الخلية مليئة بالكسل والخمول والتواكل .

لكن دوام الحال من المحال ، فما أن تخرج الذكور لتلقيح الملكة ، حتى تقلب العاملات لهم ظهر المجن . فكل يعسوب يعود إلى الخلية يلاقي مصيراً رهيباً بانتظاره ، فسرعان ما تهاجمه مربياته التي كانت تبذل قصارى جهدها في تربيته وتدليله ، فتمزقه إرباً . فقد انتهى دوره الذي من أجله وجد ، وما عادت له فائدة أو عمل يقوم به ، فلا بد من قتله .

وقد تلاقي اليعاسيب المصير نفسه ، ولكن بطريقة أكثر رحمة من الأولى ، وذلك حين يحل الشتاء دون خروج الملكة للتلقيح .

ففي فصل الشتاء يقل الطعام داخل المملكة ، وتسوء الأحوال الجوية ، فيتعذر على النحل من العاملات الخروج لجلب الطعام ، وتعلن حالة الطوارىء في أرجاء المملكة ، وتفرض العاملات برنامج تقشف شديد للحفاظ على ما بقي من موارد غذائية إلى حين اعتدال الجو



مرة أخرى . وتكون اليعاسيب أول ضحايا هذا البرنامج التقشفي .

وتسارع العاملات إلى طرد اليعاسيب خارج الخلية ، لكي توفر طعامها . ولا تلبث اليعاسيب طويلاً بعد طردها ، إذ سرعان ما تهلك جوعاً ، ذلك لأنها لا تقدر على جمع طعامها بنفسها ، وهكذا يحل الهلاك باليعاسيب ، ولكنه هلاك « رحمة » لا عنف فيه ولا تقطيع .

الزفاف الملكي :

أول ما تقوم به الملكة الجديدة ضمن استعدادها لرحلة الزفاف الملكي ، هو قتل منافساتها من الملكات ، ذلك أن الملكة الأم تكون قد وضعت عدة بويضات في المقصورة (العيون الملكية) . وتشرف العاملات بجد واجتهاد على تغذية اليرقات الملكية فور فقس البويضات ، حتى يكتمل نمو إحداها .

وفور خروج أول ملكة ، تبادر مسرعة إلى المقصورة الملكية حيث تتواجد الملكات في مراحل النمو النهائية ، فتغرس زبانياتها في أجسادها ، واحدة تلو أخرى ، حتى تأتي على آخرها . وإذا تصادف أن خرجت ملكتان في آن واحد، فإنه يحدث بينهما نزال ينتهي بموت إحداهما .

وبعد أسبوع من الاستعداد والتجهيز ، تبدأ مراسم الزفاف الملكي ، فتغادر الملكة الخلية ،

وتحلق فوقها من جهات عديدة ، كي لا تخطيء الرجعة إليها بعد الانتهاء من عملية التلقيح . ثم تقوم بإرسال أنغامها الرنانة المغرية ، وتبث عطرها الملكي الجذاب المثير .

وتعجز اليعاسيب عن المقاومة ، وتسلم أمورها إلى الملكة . وهكذا تتدافع مسرعة إلى بوابة الخلية ، لتعلن بدء مراسم الزفاف الملكي .

ويبدأ الطيران ، وتفرد الملكة أجنحتها القوية ، وتنطلق في الفضاء كالسهم ، وتلحق بها اليعاسيب بنشاط وعزيمة ، وكلما أوشك أحدها على اللحاق بها ، زادت سرعتها وارتفاعها في الفضاء .

ويصيب اليأس مجموعة من اليعاسيب ، إذ لا أمل لها في اللحاق بها ، فتقرر التخلي عن المطاردة وتعود إلى الخلية ، طمعاً في الراحة وحياة الكسل والتطفل .

وينطلق بعضها خلف الملكة ، ويتساقط واحدا تلو الآخر ، ولا يبقى معها إلا قلة من اليعاسيب ، وترميها الملكة بآخر سهامها ، فتنطلق بأقصى سرعة تستطيعها ، وترتفع لأعلى مسافة يمكنها بلوغها ، ويظفر بها أقواها بنية ، وأجلدها على تحمل المشاق والصعوبات ، ويتم تلقيحها ، وتنتهي مراسم الزفاف الملكي بعد ١٥ ـ ٣٥ دقيقة من بدئها .

وتعود الملكة العروس جارة خلفها تركة عريسها الفقيد ، الدالة على نجاح الزفاف وحصول التلقيح . إذ ينفصل عضو التذكير ومعه جزء من أحشاء اليعسوب المسكين فور الانتهاء من التلقيح ، كعلامة بينة على نجاح المهمة التي خرجت من أجلها الملكة .

وينزف اليعسوب المسكين حتى الموت ، وتعود الأرملة المفجوعة ، مذيلة بأحشاء الفقيد ، وتبادر الوصيفات إلى تنظيف الملكة مما علق بها ، وتعم الفرحة أرجاء المملكة ، وتبدأ العاملات بتجهيز عيون شمعية جديدة ، وتقوم بإصلاح وتنظيف القديمة منها ، استعداداً لوضع البويضات فيها

وتقوم الملكة ـ والفرحة والنشاط يغمرانها ـ بوضع أعداد هائلة من البويضات ، فتضع حوالي ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ بويضة في اليوم الواحد ، لفترة تزيد عن ثلاثة أشهر .

ويقدر العلماء أن الملكة تضع حوالي ٢٠٠ ـ ٢٥٠ ألف بويضة في الموسم ، وأنها تترك وراءها قرابة مليون بويضة ، قبل أن تخطفها يد المنون .

أسئلة محيرة

ويترك الزفاف الملكي في الذهن أسئلة محيرة : لماذا يستلزم الزفاف وجود مائتي يعسوب ؟ ألا يكفي لإنجازه يعسوب واحد أو بضعة يعاسيب ؟ لماذا تقوم الملكة بهذه الرحلة الخطرة ؟ أليس بالإمكان إتمام مراسم الزفاف الملكي داخل الخلية ؟ ألا يمكن حصول التلقيح دون هلاك اليعسوب البطل ؟

إن العدد الكبير من الذكور ضروري جداً لبقاء المملكة ، فأحد الذكور المائتين سيكون أباً لجميع نحل الخلية التي ستظهر خلال سنوات أربع أو خمس قادمة . فلو كان هذا الذكر ضعيفاً ، أو ذا صفات وراثية غير جيدة لأدى ذلك إلى انقراض المملكة ، واختفائها عن الوجود منذ شهورها الأولى .

لهذا اقتضت الحكمة وجود عدد كبير من الذكور ، لضمان فرصة أكبر في وجود ذكر يحمل أفضل الصفات الوراثية ، الكفيلة باستمرار الخلية سنين طويلة .

وهناك سبب آخر يتعلق بسلامة الملكة أثناء رحلة الزفاف الملكية ، فوجود عدد كبير من اليعاسيب حول الملكة ، يشكل طوقاً واقياً لها من تلك المفترسات ، ويقلل كثيراً من احتمالات هلاكها .

وقد وجد الباحثون أن عضو تذكير اليعسوب ، لا يمكن له أن يظهر إلا إذا ضغطت عليه الأكياس الهوائية التي تحيط به . وهذه الأخيرة ـ أي الأكياس الهوائية ـ لا تنتفخ بالقدر



● النحل « شعب » لا يعرف الكسل

اللازم لإتمام عملية التلقيح ، إلا حين اندفاع اليعسوب بسرعة فائقة ، مسافة طويلة ، وعلى ارتفاع عال .

لذا ، فالذكور التي تطير مسافة قصيرة ، أو تندفع نحو الملكة ببطء لن تستطيع بحال تلقيح الملكة ، لعدم ظهور عضو تذكيرها ، ولعدم قدرتها على اللحاق بها .

وعودة إلى السؤال الثالث : ألا يمكن حصول التلقيح دون موت اليعسوب البطل ؟ وما الفائدة المرجوة من موته ؟

لقد أسلفنا القول بأن اليعسوب الذي يلقح الملكة ، يترك عضو التذكير وبعضاً من أحشائه هدية لها ، وينزف حتى الموت . وذلك لإعلام الوصيفات بأن التلقيح قد حدث فعلاً .

فإن خرجت الملكة إلى رحلة الزفاف ، ولم تجد الوصيفات هذه الأمارة الواضحة ، تيقنت من فشل المهمة ، وبادرت من فورها بالتجهيز لزفاف ملكي آخر .

خدمة متفانية :

وتفقس البويضات بعد وضعها بثلاثة أيام ، وتباشر العاملات تغذية اليرقات ورعايتها مدة ستة أيام ، تتشرنق بعدها اليرقات ، فتغلق النخروب على نفسها ، وتبقى كذلك حتى تخرج نحلة كاملة . ولقد دلت الدراسات على أن الملكة تحتاج إلى ستة عشر يوماً ، من وقت وضعها بويضة في النخروب ، وحتى خروجها منه حشرة كاملة ، بينما يحتاج الذكر إلى واحد وعشرين يوماً ، وتحتاج العاملة إلى أربعة وعشرين يوماً لإكمال نموها .

وهنا نجد أنفسنا أمام أعجوبة من عجائب مملكة النحل ، المليئة بالغرائب وما يبهر العقول ، فالعاملات تتفانى في رعاية اليرقات ، لدرجة أنها تتردد على كل واحدة منها حوالي ١٥٠٠ مرة يومياً ، منذ خروجها من البويضة حتى دخولها الشرنقة .

ويقدر الباحثون أن اليرقة الواحدة تتلقى عشرة آلاف زيارة منذ فقسها وحتى تشرنقها .

والعاملات تقوم بـ ٢٠٠٠ ـ ٢٥٠٠ مليون زيارة لليرقات ، خلال موسم وضع البويضات . إنه حقاً رقم خيالي ، لكنه أيضاً رقم حقيقي ، يخلو تماماً من المبالغات .

نتيجة للتغذية المتواصلة التي تقدمها العاملات لليرقات ، يتضاعف وزن الأخيرة تضاعفاً

هائلاً ، بحيث يزداد وزن اليرقة في اليوم الأول عشر مرات ، بينما يتضاعف وزنها في كل من اليومين التاليين أكثر من مائة مرة ، وفي كل يوم من الأيام الثلاثة التالية لذلك أكثر من ألف مرة . أي أن وزن اليرقة يزداد أربعة آلاف مرة ، خلال الأيام الستة الأولى من حياتها .

اختلف الطعام فاختلف المآل :

عندما تضع الملكة بويضات لتخرج منها عاملات ، فإنها تضغط على الحافظة المنوية ، فتخرج حيواناً منوياً أو بضعة حيوانات منوية ، فتلقح بها البويضة . وكذلك الأمر بالنسبة للبويضة التي تنتج عنها ملكة ، أما البويضات التي تعطي ذكوراً ، فلا يتم تلقيحها .

فكيف ـ إذن ـ تستطيع الملكة تمييز البويضة التي تفقس عاملة ، عن تلك التي تعطي ملكة ، خاصة أن البويضتين ملقحتان وحجمهما واحد ؟

في الواقع أن الملكة لا تملك تقرير ذلك ، إلا بنسبة ضئيلة ، تتمثل في وضع البويضات الملكية في النخاريب الملكية ، والأخرى في النخاريب الخاصة بالعاملات .

أما العامل الحقيقي الذي يحدد ما إذا كانت اليرقة ستصبح ملكة أو عاملة فهو نوع الطعام الذي تتلقاه اليرقة . فإن أعطيت اليرقة « الغذاء الملكي » (وهو غذاء تفرزه النحلات الفتية من غدد خاصة) طوال الأيام التي تسبق دخولها الشرنقة ، فإنها تخرج ملكة . أما إن أطعمت اليرقات الغذاء الملكي في الأيام الثلاثة الأولى من حياتها ، ثم غذيت بـ « خبز النحل » (وهو طعام يتكون من العسل المخلوط بغبار الطلع) حتى تتشرنق ، فإنها تصبح عاملة . وبالنسبة ليرقات الذكور ، فإنها تتغذى بخبز النحل طوال فترة حضانتها .

ولكن لا بد من التنبيه إلى أن توقيت تقديم الطعام ، له الدور الأساس فيما ستتمخض عنه اليرقة ، فقد تبين أن تغذية يرقة العاملة بالغذاء الملكي بعد تغذيتها بخبز النحل ، لا يجعلها يرقة ملكية ، إذ يجب أن لا يدخل جوف الأخيرة طعام « العامة » وإلا صارت منها .

دلت الأبحاث على أن العاملة تقوم بأعمال كثيرة خلال فترة حياتها القصيرة ، فبالإضافة إلى ما سبق فإنها في يومها الثاني عشر وحتى السادس عشر تبدأ بإفراز الشمع ، حيث تقوم ببناء نخاريب جديدة ، وتصلح الأجزاء المتكسرة من الخلية ، بعد ذلك تتولى مهمة تفريغ ما تحمله العاملات الأخريات من رحيق وغبار طلع ، فتضعه في النخاريب الخاصة بذلك ، بعد مضغه وتحويله إلى عسل . وعند بلوغها العشرين ، تتولى حراسة المملكة . وتبقى في هذه المهمة يومين أو ثلاثة . تقوم بعدها بآخر وأطول مهمة لها ، ألا وهي مهمة جمع الرحيق . وتودع الدنيا بعد ذلك بأسبوعين ونصف أسبوع ، بعد أن تكون قد جاوزت أربعين يوماً .

تفرز الملكة مادة يسميها بعضهم « العطر الملكي » ، تتحكم الملكة بواسطتها ببعض الجوانب المهمة في مملكتها . وتشمل هذه :

١ ـ إثارة الذكور لبدء رحلة التلقيح ، وقد أشرنا إليها سابقاً .

٢ ـ منع نضوج مبايض العاملات ، ذلك أن العاملات تخرج من الشرانق ومبايضها غير مكتملة النضوج . ولكي تبقى على تلك الحال ، تفرز الملكة عطرها الذي تكبح بواسطته نضوج المبايض الخاصة بالعاملات . وعند فقد العطر من الخلية (وذلك بموت الملكة) تتضخم مبايض بعض العاملات ، وتبدأ بوضع بويضات غير ملقحة ، تفقس لتعطي ذكوراً .

٣ ـ منع ظهور ملكات جديدة ، إذ أن إفراز العطر الملكي بانتظام ، يعطي العاملات شعوراً بالأمان ، لأنه يعني نشاط المملكة وحيويتها . لكن حين يضعف إفراز العطر الملكي (وذلك عند مرض الملكة أو شيخوختها أو اتساع مملكتها

كثيراً) ، أو ينقطع (عند موت الملكة) ، فإن الاضطراب يعم أرجاء المملكة ، وتبدأ العاملات من فورها ببناء نخاريب ملكية ، ثم تجبر الملكة على وضع بويضات فيها ، لا تلبث أن تفقس لتعطي ملكات جديدة لتحل محل الملكة القديمة الهرمة .

الإنقاذ الوطني

وبموت الملكة فجأة ، ينقطع إفراز العطر الملكي ، فيسود الاضطراب الشديد المملكة بأسرها ، ويظهر الاضطراب جلياً على حركة العاملات وتصرفاتها ، حيث تتحرك تحركات عنيفة دونما وجهة محددة ، كأنما تحاول العثور على الملكة المفقودة .

وسرعان ما تتيقن من هلاك الملكة ، فيخيم عليها الحزن الشديد ، وتعلن الحداد على الفقيدة .

لكن مصلحة الخلية تفرض عليها الخروج من حدادها ، والعمل بسرعة من أجل إنقاذ وطنها من الهلاك . فبعد ساعات قليلة من الحداد ، تبادر العاملات إلى النخاريب الخاصة باليرقات العاملة ، فتستخرج منها عدة يرقات تقل أعمارها عن ثلاثة أيام ، ثم تنقلها إلى النخاريب الملكية ، وتغذيها بالغذاء الملكي حتى تصبح ملكات .

وفي هذه الأثناء تتضخم مبايض بعض العاملات اللصيقة بالملكة الفقيدة ، وتبدأ بوضع البويضات التي لا تلبث سوى أسابيع ثلاثة حتى تخرج ذكوراً كاملة ، وتجري الاستعدادات لرحلة الزفاف الملكي ، وتعود الحيوية للخلية مرة أخرى ، وتخرج المملكة من حزنها ، ويتم الإنقاذ الوطني في أبهج صورة .

عندما تشيخ الملكة ، تضعف قدرتها على إنتاج « العطر الملكي » ، فتضطرب العاملات ، وتسارع من فورها إلى تجهيز نخاريب ملكية وأخرى ذكرية . وفور تجهيزها تتجه العاملات إلى الملكة وتحثها (وقد تجبرها أحياناً) على وضع بويضات فيها .

وفور فقس البويضات ، تنصرف العاملات كلياً عن العناية بالملكة الأم ، وتفرغ وقتها وجهدها للعناية باليرقات الملكية . وتشعر الملكة الأم بتحول رعيتها عنها ، فتبدأ بتجهيز نفسها للرحيل عن الخلية دون إثارة للقلاقل والمشاكل داخل مملكتها . ولأول مرة في حياتها ، تغادر الملكة الخلية دون أن تتفقد مكانها أو تنظر إلى موقعها ، لأنها تعلم بأن خروجها هذه المرة يختلف تماماً عن السابق ، فهو خروج بلا عودة ، وذهاب لا يعقبه إياب . وتخرج الملكة في ثلة مواطنة مخلصة لها ، يتراوح عددها بين ٥ آلاف ـ ٢٥ ألف عاملة ، لتبدأ خلية جديدة .□

سر الغنى



يحكى عن شاب،أنه قصد مزارعا غنيا متقدما في السن ليقف منه على الكيفية التي تكونت له الثروة الكبيرة التي جمعها . وكانت زيارته ليلا ، ولما سأله عن سبب غناه أجاب المزارع . إنها قصة طويلة يابني ، فالأفضل أن نطفيء الشمعة توفيرا لها ، وقام من مقعده وأطفأ الشمعة ، فأجاب الشاب مقاطعا : لا لزوم ياعماه ، بأن تستمر في سرد القصة ، فلقد فهمت كيف جمعت ثروتك وكفى .





(الحياة مجموعة من الخبرات المتنوعة ، وليس بالضرورة أن تتشابه وتتكـرر ، إنما كثير من الخبرات منفـردة تضيف معنى جديـدا للحياة ، وتعطيها لذة التراكم ، وقد اختارت العربي مجموعة من المتميزين العرب ليروي كل بطريقته الخاصة بعضـا من ذكرياته التي أصبحت دروسـا في الحياة) .

«لـن تذهب إلاّ إلى العـراق» !

بقلم : محمد العروسي المطوي *

كنتُ ـ وما زلتُ ـ أزهدَ ما أكون اهتماما بالفأل واستطلاع البروج . ومن ثمة كنت لا أعبأ بما يلاقيني في الصباح من سارح أو بارح حسب الذي كان من عادات الجاهلية .

كـان ذلك منـذ الصغر حتى الـرشد وتحمـل المسؤولية ، وكـانت إحـدى المسؤوليـات التي تحملتها إحداث أول سفارة تونسية في بغداد .

قـدمت بغداد مفتتـح سنـة ١٩٥٨ . وكـان الحكم في العـراق ـ إذ ذاك ـ ملكيـا ، أبـرز شخصيـاته الملك الشـاب فيصـل بن غـازي ، والوصي عبد الإلـه ، والملك غير المتـوج نوري السعيد . وكانت وظيفتي الدبلوماسيـة مستشارا قائما بالأعمال .

وعلى الرغم من مضي ستة أشهر ونصف شهر إلا يوما واحدا على قدومي ، فإنني لم أزر مدينة « بعقوبة » التي لا تبعد كثيراً عن مدينة بغداد . ولم يتم ذلك إلا يوم الأحد ١٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٥٨ ، حين ذهبت مع أسرتي نتجول بـاتجاه مدينة « بعقوبة » .

كان الوقت عصراً ـ فيما أذكر ـ عندما أصبحنا

* رئيس جمعية اتحاد الكتاب التونسيين .

على مشارف « بعقوبة » التي بقيت في ذاكرتي منذ ذلك اليوم . ولم نتمكن من دخولها والسير في شوارعها إلا بشق الأنفس ، لكثرة ما اعترضنا من سيارات الجيش العراقي ودباباته . ثم عدنا إلى بغداد وقضينا ليلتنا في جو عادي تماما . وفي الصباح الباكر فوجئنا بانقلاب الأوضاع في البلاد ، فقد قامت القوات المسلحة العراقية بانقلاب . وأطاحت بالنظام الملكي لتعلن عن قيام الجمهورية العراقية . وكانت تلك القوات التي اعترضتنا في « بعقوبة » هي التي قامت بالانقلاب . ولهذا كثيراً ما تندرت مع الإخوان بأنني كنت أول المستقبلين لقوات الانقلاب .

في أكتوبر ١٩٥٩ كانت المحاولة الأولى لاغتيال الزعيم عبدالكريم قاسم في شارع الرشيد من بغداد ، وكان الوقت عشية . فكيف عرفت خبر ذلك الحادث ؟

في وقت الحادث بالضبط كنت داخل « استوديو » في الإذاعة العراقية ، أسجل قصيدة لي بعنوان « نداء الأرض » أصَّر عليَّ مدير الإذاعة أن أسجلها بصوتي ذلك اليوم .

وعندما خرجت من « الاستوديو » وجدت الوجوم السائد ، والعيون الحائرة ، والوجوه المصفرة . فسألت أقرب واحد إليّ : ما الخبر ؟ فأجاب باقتضاب : « الزعيم انضرب » ثم عرفت أن الأمور لما تتضح بعد . ومن المستحسن أن أبقى في مقر الإذاعة حتى تتضح الأمور . ولم يطل بنا الانتظار ، فأعلن الحاكم العسكري عن فشل محاولة اغتيال الزعيم عبدالكريم قاسم ، وأن صحته بخير ، وأن حالة الحصار ستبدأ من الساعة الثامنة . فبادرت بالخروج من دار الإذاعة

في صباح الغد كانت لي مفاجأة أخرى ، فقد صدرت الصحافة تشرح الواقعة وتندد بالمعتدين . وفي الصفحة الأولى من تلك الصحف نشرت صورة للزعيم عبدالكريم قاسم وبجانبه جثة عبدالوهاب الغريري أحد القائمين بعملية الاغتيال . ولحد ذلك ، لا شيء يلفت نظري . وكانت المفاجأة عندما أمعنت النظر في الصورة ، لأجد عبدالكريم قاسم يجلس بين طفلتين صغيرتين . وكُتِبَ تحت الصورة كيف حاول المعتدون الفتك بأبي الشعب ؟

فمن هما الطفلتان ؟ إنهما ابنتاي : إحسان وطهران . ما السرّ في ذلك ؟ أنا جازم بأن السر لا يعرفه إلا نحن . حتى الذين اختاروا الصورة لا يعرفون شيئا عنها . فما سر ذلك ؟ .

في العشرين من مارس (آذار) ١٩٥٩ أقمنا حفلنا الوطني في حديقة سفارتنا الواقعة في منطقة الوزيرية ، وحضر الاحتفال الزعيم عبدالكريم قاسم . وبينما كان جالسا في الحديقة أقبلت الصغيرتان علينا ، فلم يكن مني إلاّ أن قدمتهما لسيادته متعللا بأن اليوم هو عيد الأم ، وانهال علينا المصورون ، وخاصة التركيز عليه وعلى الصغيرتين .

ويبدو أن عامل « الأرشيف » الحكومي فتش عن صورة تمثل عطف عبدالكريم قاسم على الطفولة والإنسانية البريئة المسالمة ، فلم يجد أنسبَ من تلك الصورة للتعبير عن المعنى المراد . غادرت بغداد أواخر سنة ١٩٥٩ ملتحقا بجدة ، وفيها عينت أول سفير لتونس في المملكة العربية السعودية . وفي شهر مايو ١٩٦٢ عدت إلى العراق وزيرا مفوضا وسفيرا فوق العادة لتونس في الجمهورية العراقية . وفي طريقي إلى بغداد أقمت أياما في عمارة أمام « روشة بيروت » . وبينما أنا أتطلعُ في واجهة إحدى المكتبات لفت نظري كتاب بالفرنسية عنوانه « لن تذهب إلا إلى العراق » ، والكتاب من أدب التجسس ، فاشتريت الكتاب قصد قراءته في أثناء تلك الإقامة القصيرة .

ولا أذكر بالضبط متى دار بخلدي ما يثيره ذلك العنوان في باطني ، حتى طفا سؤالٌ وظهرت فيَّ نزعة تشاؤم من ذلك العنوان . لكن هذا



● عبدالكريم قاسم بين ابنتي الكاتب

الهاجس لم يستمر بي طويلا ، لأنني لا أعبأ بتلك الأشياء منذ صغري . ومضت أشهرٌ قلّةٌ .
وكانت منطقة الخليج العربي تشهد تطلّعات سياسة طموحة ، كان من أبرزها استقلال دولة الكويت . وفوجئت الأوساط السياسية في الشرق الأوسط والعالم بإعلان عبدالكريم قاسم عن سياسته نحو الكويت ، واعتباره جزءا من لواء البصرة ، ويعني ذلك عدم الاعتراف باستقلاله . ثم خطا خطوة أخرى فأعلن أنه سيطرد سفير أي دولة تستقبل سفيرا كويتيا في بلدها .

وكانت السياسة الخارجية التونسية تتمسك بمبدأ تقرير المصير وعدم الضم بالإكراه . وسبق للسياسة العربية - آنذاك - أن امتحنت باستقلال موريتانيا ومطالبة المملكة المغربية بها . ولكن تونس كانت سباقة في الاعتراف باستقلال موريتانيا احتراما لمبدأ تقرير المصير ، على الرغم من علاقات الأخوة القوية الرابطة بين تونس والمغرب . ونال تلك العلاقات الجفاء والجمود . ولكن تونس استمرت في موقفها على الرغم من تباطؤ عدد من الأقطار العربية - إذ ذاك - في الاعتراف بموريتانيا دولة « مستقلة » عكس موقفها فيما بعدُ من الكويت .

وبعثت دولة الكويت بسفيرها إلى تونس وقدم أوراق إعتماده . ونتج عن ذلك أن أمر عبدالكريم قاسم بطردي من بغداد . وأبلغني مدير الدائرة السياسية في وزارة الخارجية العراقية ذلك الطرد . ويشهد الله أن عينيه قد دمعتا قبل أن يقول ذلك .

وعدت إلى تونس ، ولم ألبث قليلا حتى حولت عن الخارجية ، وأصبحت عضوا بمجلس الأمة ثم مجلس النواب . ولم أعد إلى أي بلد آخر بصفتي دبلوماسيا .

أما العراق فعدت إليه مرات ومرات ، وما تزال صداقاتي المتينة وعلاقاتي الحميمة به وبالعراقيين إلى اليوم .

والذي أختم به هذه الورقات هو أن ذلك « التشاؤم » بعنوان « لن تذهب إلا إلى العراق » لم يجعلني أغير فكرتي وموقفي من الفأل والسارح والبارح . ولو أن الصدفة الغريبة حاولت زحزحتي عن موقفي الذي ما زلت عليه إلى يوم الناس هذا . □

أرقام

بقلم : محمود المراغي

هذه التجمعات

يبدو أن عرب التسعينيات قد حسموا أمرهم في ما يتعلق بقضية « الوحدة والتجزئة » ، فاختاروا طريقا وسطا ، يتجاوز العزلة والتشرذم ، ويقف دون التوحد الكامل .

هو طريق أقل شمولا من الناحية الجغرافية ، وأقل عمقا من الناحية الموضوعية ، لكنه بالتأكيد يتجاوز نموذج الدولة المنعزلة .

تقول الأرقام : إن خمس عشرة دولة عربية قد شكلت في ما بينها ثلاثة مجالس - أو تجمعات - للتعاون ، واحدا خليجيا ، وواحدا مغربياً ، وواحدا يضم العراق والأردن ومصر واليمن الشمالية . وتقول الأرقام : إن هذه التجمعات - طبقا لأرقام ١٩٨٧ - تضم (٧٨٪) من السكان ، و (٧٤٪) من المساحة الكلية للوطن العربي ، وتحوز (٩٠٪) من الناتج الزراعي العربي ، و (٩٥٪) من ناتج الصناعة التحويلية ، و (٩٣٪) من ناتج الخدمات .

وفي مجال التجارة الخارجية فإن التجمعات الثلاثة تقوم بتصدير (٩٧٪) من صادرات الوطن العربي ، وتستورد (٩٣٪) مما يشتريه من العالم الخارجي .

الأغلبية

هي إذن « حزب الأغلبية » - إن جاز التعبير - وهي القوة البشرية والاقتصادية الكبرى في المنطقة ، بل إنها - وفي مجال الموارد - تكاد تملك معظم المستقبل : أكثر من (٩٩٪) من احتياطي النفط المؤكد ، وثلثي الموارد المائية السطحية ، وثلاثة أرباع الموارد المائية الجوفية ، و (٦٣٪) من الأرض المزروعة أو الصالحة للزراعة .

ويجد الأمر ترجمة في الجانب العسكري ، فبين (٢,٦) مليونين وستة أعشار المليون من المقاتلين الذين يوجدون في الوطن العربي ، لايوجد خارج دائرة التجمعات الثلاثة سوى (٥٣٩) ألفا ، وبين خمسين مليارا من الدولارات ، كنفقات دفاع عام ٨٦ - ٨٧ ، لا ينفق الآخرون ، خارج التجمعات ، غير (٩٪) على وجه التقريب .

وبعبارة أخرى ، ووفقا لدراسة إحصائية أجراها مركز دراسات الوحدة العربية ، فإن الدول الست التي بقيت خارج التجمعات لاتضم أكثر من ربع مساحة الوطن العربي ، وخمس سكانه ، وخمس جنوده (على وجه التقريب) و (٥,٤٪) من ناتجه المحلي .

خارج التجمعات الآن : جيبوتي ، والسودان ، والصومال ، ولبنان ، واليمن الديمقراطية ، وسوريا . وإذا انضمت الأخيرة - كما تشير الدراسة - الى مجلس التعاون العربي فإن الميزان يزداد رجحانا بشكل ضخم .

في التفاصيل يقترب مجلس التعاون العربي من

(٤٠٪) من عدد السكان ، ويليه في الأهمية اتحاد المغرب ، حوالي ٣٠٪ .

وفي التفاصيل يحتل مجلس التعاون العربي المكان الأول في نصيب كل من الزراعة والصناعة من الناتج المحلي وفقا لأرقام (١٩٨٧) ، بينما يحتل اتحاد المغرب نصف الأراضي الزراعية الصالحة للزراعة ، ونصف الموارد المائية ، وحصة أقل من المياه السطحية .

في الوقت نفسه فإن دول مجلس التعاون الخليجي الست تحتل (٦٠٪) من صادرات الوطن العربي ، و (٤٣٪) من وارداته ، وتقدم ثلث الخدمات التي يتمتع بها المواطنون في سائر أنحاء الوطن .

آفاق المستقبل

وتبدو آفاق المستقبل من بعض المقارنات ، فمازال البون شاسعا بين الأراضي الصالحة للزراعة والأراضي المزروعة بالفعل ، ومجال التقدم بين الاثنين أمر قائم ، سواء بالنسبة للدول الداخلة في التجمعات أو التي في خارجها . وتحتل دول المغرب مركز الصدارة ، حيث تحوز نصف الأرض العربية الصالحة للزراعة .

وإذا كانت دول مجلس التعاون العربي تحتل المقام الأول في الصناعة التحويلية ، وتقترب من (٤٠٪) من ناتج الصناعة العربية كلها ، فإن دول المغرب تأتي في الأهمية التالية مباشرة ، لتسجل ثلث الناتج الصناعي .

وتبدو احتمالات التكامل الأكثر عمقا بمقارنة المورد البشري والصناعي والزراعي الذي يركز في جانب من الوطن ، بينما يتركز المورد المالي والنفطي وسوق الاستهلاك في جانب آخر ، وينعكس ذلك على نمط النشاط الاقتصادي ، ونمط الحياة ، فتسجل دول مجلس التعاون : معظم الصادرات ، وما يقرب من نصف الواردات ، وثلث الخدمات ، بينما تمثل سكانيا (١٠٪) من السكان .

والقضية هنا ليست الثراء والفقر ، ولكن ومن منظور وحدوي نقول :

١ - إن هذه هي المقومات البشرية والمادية للوحدة أو التكامل : إمكانيات زراعية لم تستنفد ، وإمكانيات صناعية تنمو معتمدة على بعض الموارد المادية وعلى سوق متسع ، وإمكانيات مالية تعكس نفسها - حيث تتركز - على تعامل واسع مع العالم الخارجي .

٢ - يسير خط المستقبل ، خط التسعينيات ، نحو مزيد من التعاون والتنسيق ، بل والتكامل أيضا . تسمح بذلك الإمكانيات ، وتدعو لذلك الضرورات ، ويبشر به ما بدأ بالفعل من إجراءات سريعة في التجمعات الثلاثة : العربي والخليجي والمغربي .

٣ - بمقابلة الاحتياجات والإمكانيات نجد أن حلقات التعاون سوف تتجاوز بالضرورة حدود التجمع الواحد ، فعلى الرغم من اختيار الصيغة الأكثر ضيقا من الجامعة العربية ومجلس الوحدة الاقتصادية العربية ، فإن جسور التعاون بين التجمعات الثلاثة وبينها وبين الآخرين الذين لم يشتركوا في أي من هذه التجمعات ، هذه الجسور لابد أنها ستمتد ، مستندة لهذه المفارقة في الموارد البشرية والمادية والمالية التي تعكسها الأرقام السابقة .

الى أين ؟

دوائر التعاون سوف تتضافر من المحيط الى الخليج ، والسؤال : الى أين ؟

تتوقع دراسة لاستشراف المستقبل العربي ، قام بها أيضا مركز دراسات الوحدة العربية : أن السيناريوهات الثلاثة المحتملة حتى عام ٢٠١٥ : سيناريو التجزئة ، وسيناريو الوحدة ، وسيناريو التنسيق .

ويبدو أن العرب قد اختاروا النسق الأخير ، ليدخلوا به القرن الواحد والعشرين ، فإذا ازدهر عدنا لما طرحناه في الأربعينيات والخمسينيات : وحدة شاملة . □

وللسيرة النبوية علينا حق

بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

نفذ بعض المغرضين للنيل من شخص الرسول الكريم ودعوته من ثغرة عثروا عليها في تفسير الطبري وكتاب الواقدي ، فألفوا القصص ، ونسجوا الروايات . كان آخرها تلك الافتراءات التي جاء بها سلمان رشدي ، فأين الحقيقة في كل ذلك ؟ .

كنت أراجع منذ فترة قريبة كتاب « تاريخ الأفكار الدينية » ، وهو من ثلاثة مجلدات ، بقلم عالم الأديان الكبير الاستاذ « مِرْسيا إلْياد » (١٩٠٧ ـ ١٩٨٦) ، في ترجمته الانجليزية عن أصله الفرنسي . وهو من منشورات جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية . والعنوان الفرعي للمجلد الثالث : من محمد إلى عصر الإصلاحات . وقد صدر عام ١٩٨٥ ، ويغطي الفكر الديني في العالم منذ القرن السادس الميلادي إلى القرن السابع عشر تقريبا .

ولهذا الباحث الجليل ـ الذي يعد من أكبر المتخصصين في تاريخ الفكر الديني ، في امتداده التاريخي والجغرافي ودراساته المقارنة والأصولية ـ نحو خمسين كتابا ، تضم القصة الطويلة والقصيرة والمسرحيات ، وإن كان أعظم إنتاجه في الدراسات الدينية . ولعل هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو أنضج ثمرات دراساته وإنتاجه المتنوع الذي استمر أكثر من نصف قرن .

من يكمل هذا الجهد ؟

وأود أن أستأذن القاريء الكريم في إيراد سطور من مقدمة هذا الجزء الثالث ، سطور إنسانية تحس فيها الرباط الفكري والروحي بين المؤلف وقرائه ، وهو يعرف بعضهم من زملائه وتلاميذه ، ولا يعرف أكثرهم المنتشرين في العالم والمتابعين لما يكتب . يقول وكأنه يكتب خطابا خاصا لا مقدمة عامة لكتاب عام : « يبدو أن تأخير صدور هذا الجزء يرجع إلى أسباب صحية . فإن قوة إبصاري تتضاءل مع مرور الوقت ، ويزداد عندي عناد تصلّب المفاصل ، مما يجعلني أكتب بصعوبة . وقد اضطرني هذا إلى الاستعانة بكثير من زملائي في إنجاز الجزء الأخير

من : تاريخ الأفكار الدينية ، وكان اختيارهم من تلاميذي السابقين » .

ثم يذكر بعد هذا كيف عدَّل خطة الكتاب تحت ضغط ظروفه الصحية ، ووعد في المجلد الختامي أن يقدم عرضا للديانات القديمة والتقليدية في أمريكا وافريقيا ، واستراليا وما حولها من الجزر . وسيحاول في الفصل الختامي أن يحلل الإبداع الديني في المجتمعات الحديثة .

فهل ترك المؤلف هذه الأصول كاملة ؟ هل ترك موادها العلمية ليقوم بها واحد أو أكثر ممن عاشوا معه هذه التجارب الطويلة ؟ وهل يظهر المجلد الختامي ؟ ومتى ؟ سؤال تجيب عنه الأيام بعد أن بارح المؤلف دنيانا عام ١٩٨٦ بعد إنجاز المجلدات الثلاثة الأولى .

ذكرت هذا الجانب الإنساني من حياة المؤلف لنعيش معه جانباً من المعاناة الجادة ، ونتصوره مع تقدم السن وضعف النظر ، وتصلب المفاصل ، جالسا إلى مكتبه ، وإلى جواره زوجته الوفية التي يذكرها بكل المودة في ختام المقدمة . ويهدي إليها هذا المجلد . وهو عابد في محراب العلم ، لا يسقط قلمه إلا مع توقف الحياة ، وتطوى صحيفة المؤلف وتبقى صحائفه التي كتبها حية من بعده .

قصة الغرانيق

تناول الكاتب في الفصل الثالث والثلاثين من المجلد الثالث (ص ٦٢ - ٨٤) الرسول والرسالة ، تحت عنوان « محمد وظهور الإسلام » ، وبدأ بالبحث في عقيدة الألوهية عند العرب ، ومكانة مكة والكعبة . وفي ص ٦٤ وجدت نفسي أمام « قصة الغرانيق » ويقول فيها : « وما هو أهم : هو وجود ثلاث إلاهات من وسط الجزيرة العربية : مناة (القدر) ، واللات (وهي مؤنث الله) ، والعزى (القوية) ، وكان يُنظر إليها على أنها « بنات الله » ، وكانت تتمتع بشهرة واسعة ، حتى إنه في بدء الدعوة أخطأ محمد (وقد صحح خطأه فيما بعد) ، ومدح وظائفها باعتبارها وسائط إلى الله » . وعاد الكاتب مرة أخرى إلى قصة الغرانيق في (ص ٦٨) ، وذكر ما جاء في سورة النجم ، بعد قول الله تعالى : « أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى » .

يقول : «يقول الحديث : إنه بعد هذه الآية جاءت آيات فيها « تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى » ، ولكن محمدا بعد ذلك تنبه أن هذه الكلمات من وحي الشيطان ، فبدلها على النحو الآتي : « ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذن قسمة ضيزى . إن هذه إلاّ أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان . إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى » (النجم : ٢١ - ٢٣) (انتهى النص مع ذكر الآيات كاملة) .

ونسير بعد هذا مع المؤلف وهو يعلق على القصة فيقول :

« ولهذه القصة أهمية لأمرين . أولا : إنها تظهر إخلاص الرسول ، فلقد أدرك وهو يتلو كلمات نزل بها الوحي المقدس أن الشيطان قد خدعه . والثاني : انه أعلن إلغاء هاتين الآيتين والوحدانية المطلقة لله . وإن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي يمارس نسخ آيات من الوحي . انتهى تعليق المؤلف (ص ٦٩) ، وإن أضاف إلى الهامش في الصحيفة نفسها آية النسخ ، وذلك قوله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها . ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير » (البقرة : ١٠٦) .

وأود أن أقف عند هذا الحد من عرض ما جاء عن قيام الإسلام في هذا الفصل من الكتاب ، وإن كانت هناك استدراكات واستنتاجات ونُقول تحتاج إلى وقفات ، ذلك لأن القصد هو تحديد مسؤليتنا نحو مراجعنا أولا ، لتكون المعلومات الصحيحة قريبة من أيدي كُتّاب تنتشر مؤلفاتهم عالميا ، ولهم مكانتهم . ومن حق الإسلام علينا

أن نُقرّب صحيحه إلى أيديهم . ومن أجل ذلك سيكون التركيز على قصة الغرانيق كنموذج أساسي .

وليس « مِرْسيا إِلْياد » هو الكاتب الجاد الوحيد الذي أورد هذه القصة معتمدا على مصادر إسلامية . وأذكر ـ كنموذج مضاف ـ ما ذكره عنها مكسيم رودتسون في كتابه « محمد » ، (الترجمة الانجليزية بنجوين ص ١٠٦ ـ ١٠٨) ، وهو ينقل النص من الطبري في تاريخه ، كما ينقل عن ابن سعد في طبقاته ، ثم يعود إلى الطبري في تفصيله لهذا الأمر .

ومن الكتابات الجادة انتقلت القصة إلى كتب الخيال الأدبي الذي بلغ شططا استنكره المسلمون ، وكثير من منصفي الكتاب في الغرب في كتاب « الآيات الشيطانية » لسلمان رشدي (الهندي الأصل البريطاني الجنسية) في خريف ١٩٨٨ . والقصة هي القصة ، تنتقل من قلم إلى قلم ، معتمدة على ورودها في بعض مراجعنا الكبيرة . فما حق السيرة النبوية علينا ، أو بعض حقها علينا ؟

عودة إلى الطبري

يرتبط نص قصة الغرانيق في كتاب الطبري بعودة المسلمين الأولى من الحبشة . ويروي في تاريخه بسنده إلى محمد بن كعب القرظي (١ : ١١٩٢ ـ ١١٩٤ ، ط . خياط المصورة عن الطبعة الأوربية) :

« لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولي قومه عنه ، وشق عليه ما يرى من مباعدتهم ما جاءهم به من الله ، تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه ، فأنزل الله عز وجل : «والنجم إذا هوى ، ما ضلّ صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلاّ وحي يوحى » ، فلما انتهى إلى قوله : « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » ألقى الشيطان على لسانه بما كان يحدث به نفسه ، ويتمنى أن يأتي به قومه « تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن ترتضى » (وفي روايات أخرى لترتجى) ، فلما سمعت ذلك قريش فرحوا وسرّهم ما ذكر به آلهتهم ، فأصاخوا له ، والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاءهم به عن ربهم ، ولا يتهمونه على خطأ ولا وهم ولا زلل . فلما انتهى إلى السجدة منها ، وختم السورة سجد فيها فسجد المسلمون بسجود نبيّهم تصديقا لما جاء به ، وسجد من في المسجد من المشركين من قريش وغيرهم لما سمعوا من ذكر آلهتهم .

وخرجت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ، وبلغت السجدة من بأرض الحبشة ، وقيل أسلمت قريش ، فنهض منهم رجال وتخلف آخرون .

وأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ، يامحمد ، ماذا صنعت ؟ لقد تلوت على الناس مالم آتك به عن الله عز وجل ، وقلت مالم يقل لك ، فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا ، وخاف من الله خوفا كثيرا ، فأنزل الله عز وجل ، وكان به رحيما ، يعزيه ، ويخفف عليه الأمر ، ويخبره : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم » (الحج : ٥٢) ، فأذهب الله عن نبيه الحزن ، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه بقول الله عز وجل حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى : « ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذن قسمة ضيزى » (أي عوجاء) ، إلى قوله تعالى : لمن يشاء ويرضى ، أي فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده . فقالت قريش : ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتكم فغيّر ذلك وجاء بغيره » . ونكتفي بهذا من نص الطبري ، وقد جاء في تفسيره ، كما جاء في تاريخه .

ولكن ما منهج الطبري ؟

ولنذكر سطورا من منهج الطبري كما جاء في مقدمة تاريخه ، وللرجل مكانته الكبيرة بين المؤرخين والمفسرين . يقول (١ : ٦ - ٧) : « وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه ، مما شرطت أني راسمه فيه ، إنما هو على ما رويتُ من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه ، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه دون ما أدرك بحجج العقول ، فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ، مما يستنكره قارئه ، من أجل أنه لم يعرف له وجها من الصحة ، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قِبَلِنا ، وإنما أديناه على نحو ما أدي إلينا » انتهى .

فليس من العدل العلمي في شيء أن نقول : قال الطبري ، أو هذا رأي الطبري ، إلا إذا قال هذا صراحة . والرجل أراد أن يكون كتابه مرآة عصره ، وأسند كل خبر إلى راويه ، وعلى القارىء أن يزن الخبر في سنده ومتنه .

فماذا قال علماؤنا في نقد قصة الغرانيق ؟

ونبدأ بالتفسير اللغوي للكلمة : فالغرنوق - كما جاء في لسان العرب - الناعم المنتشر من النبات ، والشاب الناعم الجميل .

وطائر أبيض . وطائر أسود من طير الماء ، طويل العنق . وتلك الغرانيق العلا : هي الأصنام ، وهي في الأصل الذكور من طير الماء . أو من الطير عامة . وكانوا يزعمون . (ولازلنا مع لسان العرب) أن الأصنام تقربهم من الله عز وجل وتشفع لهم إليه ، فشبهت بالطيور التي تعلو وترتفع في السماء . (انتهى) .

وسنذكر نقد مولانا شبلي نعماني لهذه القصة ، ومرجعنا كتابه القيم « سيرة النبي » (١ : ٢٢٣ - ٢٢٥) من الترجمة الانجليزية عن الأصل الأوردي . يقول : « إن القصة كلها سخيفة غير معقولة ولا تستحق الذكر . وإن أكثر المحدّثين الأعلام قالوا : إنها كاذبة وموضوعة مختلقة . ومن هؤلاء البيهقي والقاضي عياض والعيني والحافظ المنذري والإمام النووي » . ويستند في هذا إلى ما جاء في كتاب « المواهب اللدُنّية » للزرقاني تحت عنوان : هجرة الحبشة (١ : ٣٣٠) معزوًا إلى مؤلفات هؤلاء الأعلام .

ويعقب شبلي على ورود القصة في تاريخ الطبري مع علمه بمنهجه ، وعند بعض المؤرخين الآخرين بقوله : « وإنه لمن المؤسف أن ترد هذه القصة بسندها عند بعض المحدثين كالطبري ، والأشد إثارة للدهشة أن عالماً جليلاً كالحافظ بن حجر العسقلاني ، وهو من أعلام المحدثين ، يذكر لها ثلاثة أسانيد في كتابه « فتح الباري شرح صحيح البخاري » يرى أنها ترفعها إلى درجة الصحيح عند الذين يقبلون الأسانيد المرسلة . وهذا القول ينقله شبلي عن الزرقاني أيضا .

ما ذكره العلماء

ثم ينتقل بعد هذا إلى صلب الموضوع ، إلى المتن ، بعد أن تكلم عن الروايات . يقول : « والحقيقة هي أن المشركين كان من عاداتهم إذا سمعوا الرسول عليه الصلاة والسلام يقرأ القرآن صاحوا ، وأضافوا بعض قولهم إلى ما يسمعون ، ويوضح القرآن ذلك في قوله تعالى : « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن وألغوا فيه لعلكم تغلبون » (فصلت : ٢٦) .

ويذكر ياقوت الحموي في « معجم البلدان » تحت مادة « العزى » : كانت قريش تطوف بالكعبة وتقول : واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، فإنهن الغرانيق العُلَى . وإن شفاعتهن لترتجي » .

بعض هؤلاء الشياطين (أي الكفار) لابد أنه كرر هذه الكلمات أو صاح بها عندما قرأ الرسول صلى الله عليه وسلم سورة النجم . وظن بعض الحاضرين ممن كانوا بعيدين عن الرسول أنه هو

الذي قالها . ولابد أن المسلمين تحدثوا في هذا الأمر ، وقال بعضهم لبعض : إن شيطانا من الكفار هو الذي ألقى هذه الكلمات في صورة كأن الرسول هو الذي قالها . وظلت القصة تنتقل من فم إلى أذن ، حتى أصبحت في صورة أن الشيطان وضع هذه الكلمات في فم الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهذا ليس حدسا أو استنتاجا . ولكن علماء سابقين ذهبوا إلى توضيحه . يقول الزرقاني في « المواهب » : قال البعض : إنه عندما تلا الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : ومناة الثالثة الأخرى . ظن المشركون أن سيعقبها تسفيه آلهتهم ، فصاحوا بهذه الكلمات كما هي عادتهم (يقصد تلك الغرانيق العلى) وذلك لكيلا يسمع الحاضرون القرآن ، وليلبسوا عليهم ما يسمعون ، والمقصود بالشيطان هنا الكافر . (شبلي نقلا عن الزرقاني في « المواهب » ١ : ٢٨٥) .

ويضيف مولاي محمد علي في حواشيه على ترجمته لمعاني القرآن في سورة النجم : « إن هذه الآيات اتخذها بعض الكتاب الغربيين أساسا لقصة مختلقة سموها « زلة محمد » ، أو « تراجع محمد » ، أو « مهادنة محمد للوثنية » (ص ١٠٠٢ ، ١٠٠٣) من ترجمته ، هامش رقم (٢٣٨٢) .

ويشير إلى ورود القصة عند الطبري والواقدي ، بينما حياة الرسول صلى الله عليه وسلم دعوة متصلة للتوحيد وتسفيه دائم للوثنية . ومع هذا يعقب سير وليم موير ، في كتابه « حياة محمد » قائلا : « إن الخلف من المسلمين الأتقياء يرفضون « زلة الرسول » ، في اتفاق واضح وسافر ، كأن السلف من المسلمين الذين قبلوا القصة لم يكونوا أتقياء مثلهم » . ويرد مولاي محمد علي على هذا بقوله : « وهذا طعن مردود . فليس هناك حديث صحيح واحد يؤيد هذه القصة » . وان محمد بن إسحق وقد توفي عام ١٥١هـ لم يذكر هذه القصة ، وأقدم رواة سير وليم موير هو الواقدي . وكان مولده بعد ذلك بأربعين عاما . وعندما سئل ابن اسحاق عن هذه القصة قال : « إنها من وضع الزنادقة » . وكان البخاري ، وهو أمير المؤمنين في الحديث النبوي معاصرا للواقدي . ولا يذكر البخاري في الصحيح أي شيء عن هذه القصة ، وذكر حديثا مرسلا عن ابن عباس في السجود في آخر سورة النجم .

والواقدي من الضعفاء عند معاصريه . ويذهب « الذهبي » في كتابه « ميزان الاعتدال في نقد الرجال » إلى أن بعض روايات الواقدي موضوعة . هذا وإن كتب السنة الستة الصحيحة لا تذكر هذه القصة إطلاقا .

وتحوي من الأحاديث ما يناقض القصة كاملة ، فإدخال قصة الغرانيق في سورة كلها دعوة إلى التوحيد ونبذ الوثنية ، هذا الإدخال لا مجال له من عقل أو نقل أو دين . ولنا أن نقرأ ما بعدها من الآيات إلى نهاية سورة النجم ، لنرى كيف تؤكد التوحيد ، وتتحدث عن عظمة الله وقدرته . فكيف يكون في كل هذا الوضوح تراجع أو مكان لزلة أو مهادنة ؟ إن تحليل الآيات ومسارها يضاد قصة الغرانيق جملة وتفصيلا . التوحيد هو القضية المحورية في الإسلام ، ولا مجال فيه لأي مساومة . هذا وقد تناول القصة ونفاها عقلا ونقلا كتاب محدثون لهم مكانتهم ، نذكر منهم : محمد حسين هيكل في كتاب « حياة محمد » ، وأستاذنا الشيخ محمد أبو زهرة في كتاب « خاتم النبيين » .

ماذا علينا من حق نحو السيرة النبوية ؟

إن قراءة مراجعنا الأصيلة ، كتاريخ الطبري ، له قواعده التي رأينا جانبا منها . ومن الخطأ أن نرسل القول فيما رواه دون أن نذكر إسناده ، وأن نبين قوة هذا الإسناد ، بالاضافة إلى نقد المتن نفسه . وهذا ليس أمرا ميسرا على

قاريء أو طالب بحث . ومن هنا تبدو مسئولية المجامع الإسلامية المعاصرة . وأتصور أننا في حاجة في السيرة النبوية إلى أمور منها :

١ ـ كتاب في كيفية التعامل مع أمهات الكتب الإسلامية التي تناولتها ، والمناهج التي اتبعتها في عرض المادة العلمية واختيارها وتحليلها .

٢ ـ كتابة السيرة النبوية المصفاة من هذه الشبهات ، كقصة الغرانيق ، وقد ضربنا بها المثل في هذا المقال .

٣ ـ تناول السيرة ونقد الشبهات معاً ، ولعل من أفضل الكتب التي رجعت إليها في هذا الأمر كتاب « سيرة النبي » لمولانا شبلي نعماني ، ومولانا سليمان الندوي الذي تولى إتمام الكتاب بعد وفاة شبلي ، رحمهما الله تعالى . وقد كتبت عن هذا الكتاب القيم مقالا في « العربي » (العدد رقم ٢٣٢ مارس ـ آذار ـ ١٩٧٨) ، عرضت فيه منهجه المتفرد ، وكيف اشترط في كتابه السيرة شروط رجال الحديث ، لا رجال التاريخ ، ودعوت إلى ترجمة أجزائه السبعة من اللغة الأوردية إلى اللغة العربية ، والوصول بمناقشته لشبهات المستشرقين إلى الوقت الحاضر .

٤ ـ أن يترجم هذا الإنتاج إلى اللغات العالمية ، وبخاصة الانجليزية والفرنسية ، بحيث يكون ميسرا أمام الباحثين في الغرب والشرق .

وليت هذه الأعمال تصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي ، أو بتعاون بينها وبين المنظمات والمجامع الإسلامية المتخصصة ، ليكون لهذه الكتب وزنها من حيث جهة الإصدار ، بالإضافة إلى وزنها العلمي الرصين .

ولا أتصور هذا جهدا فرديا ، أو جهدا ينتهي بإصدار عدة كتب ، وإنما هو جهد متجدد ، يمثل خطين أساسيين : الأول عرض واسع وموضوعي للسيرة النبوية . والثاني دفاع ونقد للشبهات . والخطان يمثلان دورا إيجابيا في الحوار الديني المعاصر والحوار باق ما بقي الفكر والدين . □



مرايا مقترحة لوجه الفتى الشاعري

شعر :
فاضل عزيز فرمان*

(١)

يَدَاه في الشُّطآن
وروُحه تَبْدُو كنسرٍ حائرٍ
يحومُ فوقَ غابةِ الأَحزان
يغوصُ في الماءِ طوالَ عُمْرِهِ
ويَشْتَكِي مِنْ قَلْبِهِ الظَّمآن

(٢)

لَمْ أَلْتَفِتْ إليه
ساعةَ نادَى :
يا فَتَى ، تعال لي
لَمْ أَلْتَفِتْ إليهِ
لكنَّ رُوحي هَرَبَتْ مِنْ جَسَدِي
وَأَسْلَمَتْ أَجْفَانَها
للنومِ ما بينَ مُروجِ الوردِ في يديه

(٣)

شَدَّ عَلَى أَصَابعي ، يَظُنُّنِي أَخاف !
أَسْرَجَ لي حصانَهُ المُقَطَّعِ الأَطْرَاف
لَوَّحَ لي باللؤلؤ المكنونِ في الأَصْدَاف
قُلْتُ له : يا سيدي العَرَّاف
ماذا ترى يفعله البحار ، في سفينةٍ مثقوبةٍ ،
بطيبة الشراعِ والمِجْدَاف ؟؟

(٤)

أَيْقَظَ بي قصيدةً
وَصَاحَ بي : الله !!
مِنْ يومها
أصبحتُ مثلَ ريشةٍ
أطيرُ أَوْ أَحُطُّ مِثْلَ مَا
يريدُنِي هواه !!

---

* شاعر من القطر العربي العراقي

ملف الإبداع الأدبي العربي
في الربع الأخير من القرن العشرين

تقديم

ونحن على مشارف التسعينيات من هذا القرن ، استشعرنا حاجة القارىء المهتم بتطور الإبداع الأدبي في مجالات الرواية والقصة القصيرة والشعر والمسرح الى نظرة شاملة ، على خريطة هذا الإبداع في مختلف الأقطار العربية ، فبمثل هذه النظرة يمكن للقارىء أن يلمح التيارات الفنية والفكرية التي تؤثر في مسيرة هذه الأجناس الأدبية ، والتي تؤدي الى سيادة تيار أو انحسار آخر ، وأن يلمح العوامل الظاهرة ، أو الكامنة ، وراء هذه التيارات .

ومن أجل توفير مثل هذه الخدمة الثقافية لقارىء « العربي » فكرنا في السبل الملائمة ، فاستقر الرأي على تناول الوطن العربي ، من خلال وحداته الجغرافية الرئيسية ، مع ادراكنا الواضح لوحدة الثقافة العربية

ولم يكن الهدف التأكيد على جوانب اختلاف الأجناس الأدبية بين هذه الوحدات ، أو إعطاء أهمية خاصة للعامل الجغرافي ، أو الاعتقاد بأن مسيرة هذه الأجناس الأدبية في كل بلد تأخذ منحى خاصا بها ، بل كان الهدف هو إعطاء الفرصة لكي تبدو الصورة الأدبية في كل وحدة من هذه الوحدات واضحة المعالم ، بأفضل درجة ممكنة حين يكتب عن كل وحدة كُتاب من أهلها ، هم أكثر دراية بدقائق الصورة الإبداعية فيها ، وكي تتاح أيضا الفرصة للقارىء ليستخلص بنفسه في النهاية وجوه الاتفاق أو الاختلاف بين هذه الوحدات . ومن خلال حرصنا على أن تكون الصورة المقدمة أقرب الصور الى الموضوعية ، فقد عهدنا في كل وحدة من هذه الوحدات الى أكثر من ناقد ، وحرصنا على أن يمثل النقاد في كل وحدة أكثر من اتجاه فني أو فكري !

ودائما ستبقى هناك مسافة بين الطموح والإنجاز ، ولذلك فنحن نشكر الأساتذة الأفاضل الذين تفضلوا بالإستجابة لدعوتنا لهذا المشروع ، ونشكر أيضا أولئك الذين حالت ظروفهم دون هذه الاستجابة ، فاعتذروا لنا وللقراء ، وسوف نواصل نشر الدراسات والأبحاث التي وصلتنا بترتيب الأجناس الأدبية واحدا إثر الآخر خلال هذا العام . □

المحـــــرر

مشتغل الإبداع الأدبي العربي

واقع الشعر

في الجزيرة العربية والخليج

بقلم : الدكتور عبد العزيز المقالح

لم يكن الشعر الجاهلي - كما تذهب الى ذلك بعض الدراسات - مقصور الوجود على أواسط الجزيرة أو على بعض أطرافها ، بل كان صوت العروبة القديم ، ولحنها الذي كانت رحلات نشأته وتقويمه ونقده تسير سنويا ، عبر أسواق « دومة الجندل » بجنوب الشام ، الى « هجر » في البحرين ، وتنطلق من « دبا » في عمان ، الى حضرموت و « عدن » ، ومنها تصعد الى « صنعاء » ، لكي تصل بعد ذلك الى « عكاظ » في الحجاز . هكذا كانت الجزيرة بأطرافها مهدا تاريخيا شاملا للقصيدة الحافلة بالأسرار والجملة المثيرة . وقد لانغلو إذا نظرنا الى ذلك الشعر باعتباره عملية توحيد ، تهدف الى تأكيد الذات العربية في إطارها الجغرافي القديم . ثم إذا نظرنا إليه باعتباره عملية تمهيد للدور الذي قامت به الجزيرة العربية في مرحلة لاحقة . وإذا كان القرآن الكريم بلغته المتميزة ، ونظام تشكيله الفريد ، قد خلخل توازن القصيدة ، وأعطى خلال فترة قصيرة شعورا مؤقتا بأن الشعر قد استوفى زمنه ، فإن صوت الشعر الوئيد الذي أفاد من القرآن قد عاد بعد ظهور الإسلام أكثر استواء واستيعابا لمضمون الزمن الجديد وشكل الحياة المختلفة . وإن كان ذلك قد حدث بصورة أكثر اكتمالا خارج نطاق الجزيرة وبعيدا عن أطرافها المعروفة الآن .

بدايات التحديث :

تشكل الجزيرة العربية بأطرافها وحدة جغرافية ، لاغنى لأواسطها عن أطرافها ، والعكس صحيح ، وعلى الرغم من الرابط الجغرافي الذي لايمكن انكار تأثيره ، فإن أحدا لايستطيع أن يخفي التباين القائم بين الأجزاء التي تتكون منها الجزيرة ، سواء ذلك التباين الذي يرتبط بالمظاهر المتنوعة للطبيعة والمناخ ، أو ذلك الذي يرتبط بالمؤثرات الخارجية . وكانت عدن والبحرين أكثر الأطراف تقبلا للمؤثرات الثقافية والأدبية ، وقد كانت « عدن » كما كانت « المنامة » أكثر تجاوبا مع هاجس التحديث الشعري من بقية الأطراف التي سقطت في براثن الاحتلال . ويمكن القول دونما تحفظ ان المؤثرات الأجنبية في هذين الطرفين من أطراف الجزيرة لم تكن ذات حضور أدبي فاعل ، وإنما كان الحضور الفاعل والتأثير الغالب للمؤثر العربي الوافد من المركز المتقدم شعريا وثقافيا ،

والذي تمثله مصر والشام والعراق ، ثم للوافد العربي من المهجر الأمريكي ، حيث نجحت الشعرية العربية في تأسيس حركة ابداعية متطورة ، أفاد منها الشعر في الوطن العربي بمختلف أقطاره ، وتجدر الإشارة الى أن الشعر العربي في الأقطار العربية التي شكلت مركز التأثير خلال النصف الأول من هذا القرن ، قد وصل الى أقصى مستويات التطور في بنيته الجمالية والتقليدية ، وبات على مشارف مرحلة معاصرة جديدة ، تسعى الى الخروج من تأثير النموذج الذي خضع للتقليد والتكرار . وكان نظام المقطعات والمبيتات والتنويع في القوافي قد استنفد أغراضه . كما كانت الإحيائية قد أسلمت الشعر إلى الكلاسيكية الجديدة ، ومنها الى الرومانتيكية ، حيث تم التركيز على جماليات اللغة وانتقاء الألفاظ الموحية . وبدأ الشعر شيئا فشيئا يكتشف لغته الجديدة ، فليس من المعقول في شيء ، بل ربما كان من غير المنطقي ، أن تعبر اللغة القديمة عن تجربة جديدة .

حدث ذلك بينما كان الشعر في منطقة الجزيرة والخليج أسير المحافظة السلفية ، يدور في فلك القدماء ، ويستنسخ أساليبهم ، ويحاكي قصائدهم قافية ووزنا . ولسنا بصدد عقد المقارنات بين ما كانت عليه حال الشعر في الجزيرة وبين ما كان عليه الشعر في مصر والشام والعراق ، لكننا نرغب في توضيح الفارق الكبير بين مستوى الشعر في المركز ومستواه في الأطراف والهوامش ، وما كان يعكسه هذا الفارق من تفاوت ملحوظ في خط التطور العام للحياة الثقافية والفكرية . وفي حين كانت التجربة الشعرية في الأقطار العربية المتقدمة تسعى الى اقامة الجسور مع تجربة الشعر العالمي بآفاقه الواسعة ، كانت الجزيرة تسعى - كما سبقت الإشارة - الى استقبال المؤثرات الشعرية العربية ابتداء من محاكاة أساليب شوقي وحافظ والرصافي مرورا بالكثير من عناصر التجديد عند جبران والعقاد وعلي محمود طه ، وقد أفرزت هذه التلمذة عشرات الشعراء في اليمن والسعودية والكويت والبحرين . ويستطيع حتى الدارس غير المتخصص أن يلمس صدى هذه المؤثرات في أغلب التجارب الشعرية التي صدرت في المنطقة،وقد صار واضحا أنه لاتطابق بالضرورة بين حالة الانحطاط السياسي والاجتماعي وفترات انحطاط الفنون والآداب ، والأمثلة على ذلك كثيرة لدى مختلف الشعوب . وتكاد تكون واضحة في الجزيرة وبعض أطرافها عندما أثبت الشعر أنه قادر على النمو ، وعلى تحقيق قدر لابأس به في ظروف بالغة الجدب والتردي ، كما استطاع نفر من الشعراء في المنطقة أن يتجاوزوا ، في وقت قصير ، العلاقة شبه الوثيقة بين الواقع والإبداع ، وأن يتمكنوا من امتلاك ناصية الإبداع الشعري المتميز والمرتبط بأحلام الجزيرة وأحزانها .

ومن المهم في نهاية هذه الإشارات التي استهدفت رصد ملامح بدايات التحديث في **شعر الجزيرة والخليج أن نشير إلى أن السلفية** الشعرية التي شهدتها هذه المنطقة ، في النصف الأول من هذا القرن ،قد تحولت ابتداء من الأربعينيات الى نزعة تأصيل وتطويع للقصيدة ، للدخول في مسارات العصرية ، وأن أهم

●ابراهيم العريض



الشعراء الذين ظهروا في هذه المرحلة قد كانوا حريصين أن تلحق بأسمائهم صفة العصرية ، بما توحي به هذه العصرية من رغبة في خلق البديل الجديد في مواجهة التقليدي الجامد . ويخطىء من يظن أن التجديد في الآداب والفنون « موضة » ، يمكن لأي شعب استلافها أو احتواء مؤثراتها من خارج التجربة الابداعية وموروثها ، فالجديد الحقيقي ينبثق من قاعدة القديم الحقيقي ، ولاينهض من العدم أو يتسرب من الخفاء ، واستكمال الكلاسيكية الجديدة لدورها من شروط الانتقال الى غيرها من المراحل . والشعر العربي المعاصر بوجه خاص ما كان ليصل الى ما وصل اليه من تقدم لو لم يكن الصوت الكلاسيكي بإيقاعاته الطللية والأندلسية والمهجرية قد مهد له وأعلن عن عدم قابليته للتكرار والتناسخ ، وهنا يمكن القول أنه بفضل محمد محمود الزبيري في اليمن ، ابراهيم العريض في البحرين ، وحمزة شحاتة في السعودية ، وفهد العسكر في الكويت ، وبفضل الجهد الخارق لأضرابهم من شعراء الجزيرة والخليج الذين وصلت القصيدة الكلاسيكية الجديدة على أيديهم الى ذروة تطورها ، أقول إنه بفضل هؤلاء وهؤلاء تمكنت القصيدة من الاستجابة بسهولة لطبيعة التحولات التي عرفها الشعر العربي المعاصر في الأقطار العربية المتقدمة ، كما نجحت في إدراك مفهوم حركة التجديد وتمثل خصوصيتها الشعرية .

واقع الشعر خلال ربع القرن الأخير :

في الخمسينيات من هذا القرن بدأت العزلة الباردة التي كانت تحيط الجزيرة والخليج بالتكسر ، وعلى عكس القول الذي ذهب الى (أن العرب أكبر المستفيدين من الاستعمار الذي أخرجهم من الجمود الى الحركة) ، فقد كان الاستعمار في الجزيرة والخليج من أهم عوامل التمزق والجمود ، وكانت الأصوات المنادية بالتحرر من سطوته ، وما رافقها من مدى قوى هي التي أسهمت في خروج الجزيرة وأطرافها من الجمود الى الحركة . وقد شهدت الستينيات بدايات هذه الحركة المناوئة للجمود ، فقد استعاد الكويت استقلاله الوطني في عام ١٩٦١.

وفي سبتمبر ١٩٦٢ قامت الثورة اليمنية التي أخرجت الشطر الشمالي من سراديب القرون المظلمة ، وأدت الى تحرير الشطر الجنوبي من الاحتلال الذي استمر ما يقرب من قرن ونصف قرن . وبفضل الثورة في شطري اليمن تمكن الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز من القيام بانقلابه الإصلاحي الذي فتح المملكة العربية السعودية على آفاق العصر . وتجسيدا لانفجارات مرحلة الثورة والتحرر استرجعت بقية الأطراف استقلالها ، وصار الطريق أمام أبنائها مفتوحا نحو نهوض متدرج ومتفاوت الأبعاد في المجالات الابداعية والفنية .

وهكذا يحق للدارسين أن يعدوا الستينيات عقد الثورة الشاملة في الجزيرة والخليج ، وإذا كانت هذه الثورة قد أخذت أشكالا مختلفة في الإعداد والتنفيذ فإنها قد خلقت في أوساط المبدعين شعورا موحدا بضرورة تجاوز التخلف الإبداعي ، وأطلقت في سماء المنطقة حوارا جادا - ما يزال يتواصل - حول التغيير المطلوب ، وضرورة أن يكون التعبير الأدبي ، أيا كان نوعه ، جزءا لايتجزأ من هذا العصر ومضامينه وتقنياته . وقد كان الشعر - وهو أجمل أحلام الجزيرة - أول متأثر بهذه التحولات ، فقد عادت أصواته الغارقة في أعماق الزمن الى التصاعد ، ، وتذكرت الصحراء التي كاد

الجمود يخرسها أطياف العصر الذهبي للكلمة ، بعد أن تلقفت بوعي أصيل صوت الموجة الشعرية الجديدة ، وهي الموجة التي أصبحت على الرغم من كل السلبيات ظاهرة شعرية عربية ، قادرة على استيعاب التحولات المتسارعة في الواقع العربي المعاصر ، وقادرة على التعبير الخلاق عن الروح المتجددة للأمة العربية .

وفي ضوء هذه الإشارات الموجزة نستطيع أن نفهم كيف تسنى للتجربة الشعرية الجديدة التي أرست قواعدها في المركز المتقدم أن تنطلق الى الأطراف والهوامش ، وأن توسع نطاق المعنى **الحيوي الذي يبنى عليه الحدث في سيرة الشعر العربي الحديث ، في الجزيرة كما في غيرها من الأقطار القريبة والبعيدة . ونستطيع على ضوء هذا المعنى نفسه أن نقول بكل الموضوعية : إن الشعر الذي يمكن الحديث عنه الآن ، في منطقة الجزيرة والخليج ، خلال العقدين الماضيين من هذا القرن ، هو هذا الشعر الذي يحمل السمات العامة للعصر . وأن الأصوات الشعرية الجديدة في أقطار المنطقة هي الأصوات الجديرة ، لا لأنها اختارت الاندماج بعالم جديد ثقافيا وإبداعيا وحسب ، وإنما لأنها قبلت بقانون التحدي والاستجابة على مستوى الإبداع الشعري ، إذ أنه لا أحد في هذا العالم المتحرك المفتوح يستطيع ، بعد كل ماحدث ويحدث ، أن يدير ظهره للتحديات الملتهبة ، أو أن يحدد مسارا ينعزل به ثقافيا وإبداعيا عن روح العصر ومستجداته التعبيرية .**

ويبدو أن المنطلق الذي يتعين علينا البدء منه ـ وقد وصلنا بعد مجموعة من الاشارات الى صميم موضوعنا ، وهو واقع الشعر في منطقة الجزيرة والخليج ـ هو الاعتراف بأهمية المقولة التي تذهب الى أن الشعر كالحقيقة لايأتي من طريق واحد ، وأن أهمية المركز بالنسبة للأطراف



● فهد العسكر

أو الهوامش قد اقتصرت على بدايات التكوين ، أو بالأصح على مرحلة المحاكاة .

انجازات طيبة

أما بعد أن استحوذ الهم الإبداعي على شعراء المنطقة ، فقد تفلتوا من الوقوع في دائرة التجارب الزائدة . وأصبح كل شاعر موهوب قادرا بثقافته الشعرية المعمقة أن يبحث لقصيدته عن منطقها المألوف أو المدهش في مجاله الخاص . وأن يتعامل مع أسرار التشكيل الشعري من خلال معاناته وطاقاته ، لامن خلال معاناة السابقين عليه وإنجازاتهم . ويصدق هذا القول على شعراء البحرين بشكل خاص ، فقد حققوا بعض الإنجازات الطيبة ، واستطاع نفر منهم أن يقدموا ، في إطار المشروع الشعري الجديد ، ما يمكن اعتباره إضافة نوعية مستندة في تجلياتها الى هم اجتماعي ، وتقنية جمالية ابداعية ، متمثلة في كل أشكال التعبير الخلاق ، سواء التراثي منها أو العالمي . فقد دخلوا الى مدينة الشعر مؤسسين ومتسائلين ، كما في ديوان « انتماءات » لقاسم حداد

لبست المدينة
وهيأتها للجمال
وذوبتها في الخيال

غسلت المدينة
وحولتها في رحيلي
وأغرقتها في حليب الطفولة
صبغت بها الدم
أنشدتها في العناقات
أسستها في السؤال

لقد تجاوز عدد من الشعراء ، في منطقة الجزيرة والخليج ، إرهاصات القصيدة الخمسينية ، وإحباطات القصيدة الستينية ، وحاولوا المشاركة في خلق تجربة شعرية ، قادرة على استيعاب الواقع المعاصر ، بتقلباته وتناقضاته ، وبطقسه المفعم بالمواعيد والنبوءة . ويلاحظ أنه في الأقطار التي تمكنت فيها القصيدة البيتية من إنجاز مهمتها التاريخية فإن الاستجابة للجديد تبدو أكثر تحققا وحضورا . والحال على العكس من ذلك في الأقطار التي لما تتمكن القصيدة البيتية فيها بعد من إنجاز تلك المهمة ، إذ ما تزال القصيدة الجديدة هناك تعبيرا عن فعالية محض لغوية غير مستقرة . وعلى سبيل المثال فإن القصيدة السائدة في عمان هي القصيدة السلفية التي يزاحمها مثل هذا الصوت - سيف الرحبي في ديوان « رأس المسافر » - الضارب بمغامراته في أغوار المستقبل

كل شيء بدأ
كل شيء لم يبدأ
هكذا أبدأ
تموت وعول النفس في
خضرة الصراخ
هكذا تندلع حروب تغرق فيها
سفن الأفكار
وهكذا أيضا أحلم
إنني قائد أوركسترا
في جـــــزر
تشتعل فيها النيران .

ولا يكاد يختلف الأمر كثيرا في الإمارات العربية على الرغم من الجهد الخارق والعناء المشهود لبعض الشعراء الشبان الذين يحاولون - وسط اختلاط الأصوات المختلفة في المكان الواحد - أن تكون لهم تجربتهم المبدعة الخلاقة والقادرة على بعث أنفاس العصر في الهواء المحيط بها . وتتراءى في شمال اليمن وجنوبه. ملامح إنجاز شعري تتضح أبعاده عند جيل السبعينيات ، وتتأكد في جيل الثمانينيات ، وهو الجيل الذي تدور قصيدته في مناخ ينبثق طقسه من أساطير الجذور ، ومن ظلال كائنات التحول في زمن الابتداع والمغايرة ، حيث يقول شوقي شفيق في ديوانه « تحولات الضوء والمطر » :

أصيح : يا . . . .
منغلقا يرتد صوتي يا مليكة الزمان
معفرا بالطين وجهي ،
وأنا أقتات في رغيف الشعر
أقطع المسافة الآن الى مفاوز تمتد بين القلب
والقصيدة . .
أدخل في المملكة الأشعار ،
أغسل العار الذي يعلق في مملكة الأشعار
وأفتدي الشعر بقلبي
أنقل الشعر الى مملكة يولد فيها الضوء
والنهار . .

وفي السعودية حيث بدأت القصيدة الجديدة لغة مرتبكة وصوتا صحراويا حائرا ، يبحث عن الحياة في الموت . هناك حيث تبدأ مواعيد الشعر

في أصفى معانيه ، وحيث يبتدىء عرار « نجد » اليابس بالاخضرار . هناك يعيد الشعر كتابة التاريخ ، ويمزج الماضي بالحاضر ، والحاضر بالمستقبل . حيث يقول الشاعر عبدالله الصيخان في ديوان « هواجس في طقس الوطن »

قم بنا
أيها الوطن المتعالي بهامات أجدادنا
أيها المستبد بنا لهفة وهوى
أيها المتحفز في دمنا
المتوزع في ذاتنا
أعطنا بصراً كي نراك . .

وعندما نقترب من الكويت حيث التوهج والإشعاع الثقافي الشامل ، وحيث الشهريات والدوريات ، وحيث يتم توسيع المجرى الأدبي الثقافي وتوزيع روافده الثرية الى بقية الأقطار العربية ، هناك نجد أن القصيدة الجديدة تكاد تعاش ولا تكتب ، أو أن الكويت قد اكتفى بما وصلت إليه القصيدة الكلاسيكية الجديدة من جودة تألق واتصال عميق بالجذور . ووحده « قطر » يقف صامتا أو كالصامت لايحضرني صوته الشعري . وربما كان الابن الأصغر في عائلة الجزيرة والخليج ، وقد يكون حظه من الشعر بمقدار ما يتحقق منه مستقبلا لبقية أفراد العائلة .

عنصر الزمن

وتبقى في نهاية هذه الملاحظات إشارة صغيرة الى عنصر الزمن ، هذا الذي يلعب دورا متعاظما في فرض أسباب التحديث والنهوض . وطالما بقي للزمن مثل هذه القدرة على الحركة ، فإن الأسباب الداعية الى تغيير الأنماط الأدبية والفنية تبقى قدر كل الأجيال . وفي ظل هذا القانون الزمني صار من حق كل جيل أن يعيد النظر في الموروث الأدبي ، حتى لاتأسن تقاليده وتتعفن أشكاله . وما يحدث للشعر في منطقة الجزيرة العربية الآن قد حدث له عبر عصور الازدهار المختلفة ، على الصعيد النظري والتطبيقي ، فإن كل تعبير في الآداب والفنون لايخرج عن كونه استجابة حقيقية لعناصر الحيوية والتقدم في حركة الزمن . ومن هنا فالقصيدة الراهنة في واقع هذه المنطقة لاتحاول أن تكون نقيضا لما كان سائدا من قبل من شعر وحسب ، وإنما تحاول أن تكون استجابة واعية للزمن ومؤثرات العصر . □

أيهما أذكى ؟



وقف أحد الولاة على باب طحَّان ، فرأى الحمار يدور بالرحى يطحن القمح ، وفي عنقه جرس فقال الوالي للطحان : « لماذا وضعت الجرس في عنق الحمار ؟ » .

قال الطحان : « ربما ذهبت الى خارج المطحنة أو الى غرفة الخزين ، فاذا لم أسمع الجرس ، عرفت أن الحمار قد توقف عن الدوار » .

فقال الوالي : « فما رأيك إذا توقف الحمار ، وحرَّك رأسه بالجرس ؟ »

فقال الطحان على الفور : أطال الله عمرك ياسيدي . . أين الحمار الذي له مثل عقل الوالي ؟ !

مستطف الابداع الأدبي العربي

حالة الشعر في مصر خلال الربع الأخير من القرن العشرين

بقلم : الدكتور حامد أبو أحمد

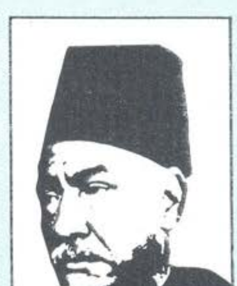
شهد العالم ، خلال المائة عام الأخيرة تقريبا ، مجموعة من المذاهب والحركات والاتجاهات التي غيرت أنماط تفكيره ورؤيته للأشياء بصورة جذرية في جميع مجالات العلوم والفنون والآداب . فبعد أن كانت الرؤية تقوم على محاكاة الطبيعة أو الواقع أصبحت تنطلق من منطلقات أخرى ، فتوغل في استبطان الذات ، وتأمل ما يمور فيها من أحاسيس وانفعالات وأوهام وهواجس ، أو تغوص فيما وراء الحس ، في محاولة لاكتشاف الجوانب الأخرى الخفية في حياة الإنسان ، أو تلجأ إلى التعبير بالرمز لتوليد مجموعة من الإيحاءات التي تضفي على العمل الفني جواً من السحر والإبهام والغموض . حدث ذلك في الرسم مثلا على يد رائدين كبيرين ، هما بيكاسو وسلفادور دالي . وفي الرواية دخل تيار الوعي والمونولوج الداخلي على يد جيمس جويس ، وفرجينا وولف وغيرهما ، ثم أخذت الرواية في التطور ، حتى ظهرت اتجاهات أخرى عملاقة ، مثل التعبيرية أو خلق عالم آخر موازٍ للعالم الواقعي ، ومفارق له ، عند ستراند برج ، وفرانز كافكا ، وسواهما ، وظهر إلغاء الزمن عند مارسيل بروست ، وبخاصة في روايته الشهيرة « البحث عن الزمن المفقود » ، ثم كانت الرواية الجديدة التي بدأت تزدهر في أواخر الأربعينيات من هذا القرن ، على يد كتّاب من أمثال كلودسيمون ، وميشيل بوتور ، وناتالي ساروت ، في فرنسا ،وكثيرين غيرهم في كل أنحاء العالم . وتطورت الرواية تطورا كبيرا في أمريكا الشمالية ، ثم فى أمريكا الجنوبية ، وكل هذه التطورات كانت تعد ثورة في المضمون وفي التقنية وفي الرؤية .

تجريد الفن

وفى مجال الشعر ظهرت الحركة الرمزية في أوربا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وازدهرت بصفة خاصة في فرنسا خلال الربع الأخير من ذلك القرن ، وفي أوائل القرن الحالي حيث أثرت تأثيرا حاسما في الرؤية الشعرية وفي بناء القصيدة . وقد تميزت عناصر البناء الجديد في إحلال الخيال محل الواقع ، والتأكيد على حطام العالم لا على وحدته والمزج بين عناصر متنافرة وناشزة ، والتأثير السحري عن طريق الغموض والإلغاز وسحر اللغة ، واعتماد الذهن بديلا عن العاطفة ، وهو ما أطلق عليه بعض النقاد الأوربيين : « اطراح النزعة البشرية » ، وما أسماه الفيلسوف الناقد

الإسباني خوسيه أورتيجا إي جاسيت « تجريد الفن » ، وغير ذلك من عناصر شكلت ثورة حقيقية في تطور فن الشعر في العصر الحديث ، حتى صار هناك خط فاصل في مسيرة الشعر التاريخية : ما قبل الرمزيين ومابعدهم . ومن ثم ظهرت تنظيرات نقدية كثيرة ، تفرق بين الصورة الشعرية بمفهومها التقليدي العقلي المنطقي في الشعر حتى نهايات القرن التاسع عشر ، والصورة بمفهومها الإيحائي السحري الذي لا يدرك إلا بالعاطفة عند الرمزيين ومن جاءوا بعدهم .

وفيما يتعلق بشعرنا العربي فقد بدأت حركة التجديد به مرتبطة ارتباطا وثيقا بحركة التجديد في الشعر الأوربي ، ولم تكن مجرد أصداء للفكر الأوربي العام ، وبرزت حركة الشعر الحديث أو الحر في أواخر الأربعينيات ، وكان الجو العام يساعد على ظهور هذه الحركة : ذلك أن جماعة أبوللو والرومانسيين بعامة كانوا قد استنفدوا أغراضهم ، ووصلت تجديداتهم إلى نقطة الذروة في سياق حسهم الفني والتاريخي ، كما أن الاتصال بالثقافة والفكر والفن في أوربا قد أخذ في التعمق ، وتبلور لدى الأجيال الجديدة إحساس عام بالتغيير . ومن ثم جاءت حركة التحديث قوية عميقة مؤثرة ، وأحدثت هي أيضا خطا فاصلا بين مرحلتين : مرحلة طويلة ، تمتد من العصر الجاهلي حتى الخمسينيات . وأخرى تمتد منذ الخمسينيات



● حافظ ابراهيم



● أحمد شوقي

حتى الآن . وهذه الفترة الأخيرة ، على الرغم من قصرها ، شهدت من ألوان التجديد ما يكاد يستعصي الآن على الحصر . وقد تواكبت هذه الحركة الجديدة في آن واحد تقريبا في كل أنحاء الوطن العربي ، فظهر روادها في العراق ومصر ولبنان وبعض الأقطار العربية الأخرى في أوائل الخمسينيات ، وكان نصيب مصر في هذه الحركة ظهور رائدين كبيرين ، هما صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي ، بالإضافة إلى عدد آخر من الشعراء لم يأخذوا حظهم من الشهرة والازدهار .

ومنذ الخمسينيات حتى الآن ظهرت عدة موجات أو أجيال ، هي على التحديد جيل الروّاد ، ثم الجيل الثاني للحداثة ، أو الموجة الثانية ، ثم ما أطلق عليه : جيل السبعينيات ، وأخيرا صار الحديث يدور على استحياء ، حول جيل جديد ، يطلق عليه : جيل الثمانينيات ، وإن كانت ملامحه الفنية لما تتضح بعد . وكل هذه الأجيال تعمل حاليا في الساحة الشعرية بقوة ، لأن من بقوا من جيل الريادة ، أو الجيل الأول ، ما زالوا في سن (ناهزوا الستين عاما) يتيح لهم الفرصة للمشاركة في الحياة الأدبية بكفاءة واقتدار .

اتجاهات الشعر في مصر الآن :

إذن فنحن أمام مجموعة من الأجيال ، تنتمي لشعر الحداثة ، لكل منها خصائصه المميزة ، وتوجهاته الفنية ، يضاف إليهم تيار آخر ، لا يحق لنا أن نغفله عند التقسيم ، وهو تيار الشعر الكلاسيكي الذي يحاول جاهدا أن يشق لنفسه طريقا وسط هذه التيارات الحداثية ، بل إن أصحابه يحلمون بوأد حركة الحداثة ، والقضاء عليها ، بعد أن استنفدت أغراضها في نظرهم ، ومن ثم فإن حالة الشعر في مصر الآن تبدو على النحو التالي :

١ ـ الشعراء الذين يكتبون القصيدة

الكلاسيكية أو ما يطلق عليها عادة « العمودية » ، وهؤلاء يمكن تقسيمهم إلى طائفتين : طائفة تنطلق من رؤية إحيائية خالصة ، أي تمضي على النهج الذي كانت تسير عليه مدرسة شوقي وحافظ ، من التزام بالبحر الخليلي إلى المحافظة على أغراض الشعر من غزل ووطنيات ورثاء ومدح وغير ذلك من الفنون المعروفة في هذا المجال ، وطائفة أخرى تسير على نهج القصيدة الرومانسية من تغليب للعاطفة ، إلى الرقة الوجدانية ، وإطلاق العنان للخيال بمفهومه الرومانسي ، مع بعض التجديدات المعتدلة في الشكل والمضمون على حد سواء . وهناك دعوة قوية حاليا لإنشاء ما يسمى بجماعة أبوللو الجديدة ، وكان يتبنى هذه الدعوة الدكتور مختار الوكيل الذي رحل عن عالمنا منذ عام ونصف عام تقريبا ، والآن يحمل لواءها مجموعة من الشعراء السائرين في هذا الفلك ، الذين أعلنوا أخيرا عن إنشاء ما يسمى سوق الفسطاط ، حيث يرجون لها أن تكون سوقا شعرية ، على غرار ما هو معروف في تراثنا من سوق عكاظ إلى سوق المربد . وكما ذكرت فإن هاتين الطائفتين ، ومن يلف لفهما (وليسوا بقليل فهناك كليات جامعية لا يتعدى ما يقدم فيها من أطروحات علمية هذا الحد) يرون في الشعر الحديث انحرافا ينبغي تصحيحه ، وبعضهم ، بل معظمهم ، يرفضون الشعر الحديث رفضا قاطعا .

الأقنعة والرموز

٢ - جماعة الرواد في الشعر الحديث ، ومن لازال يعمل منهم في الساحة الآن أحمد عبدالمعطي حجازي ، وملك عبدالعزيز ، وحسن فتح الباب ، ويمكن أن نضم إليهم أيضا الشعراء الذين يمثلون امتدادا مباشرا لهم ، مثل فتحي سعيد (الذي توفى منذ فترة قصيرة) ، وكمال عمار ، وعبده بدوي ، وبدر توفيق . وبعض هؤلاء الشعراء لهم حضور واضح الآن ، بل إن بدر توفيق ، على سبيل المثال ، أصدر خلال عام (١٩٨٨) أهم كتبه ، وهو ترجمته لسونيتات شكسبير التي عدها النقاد من أهم الترجمات التي نشرت خلال عام ١٩٨٨ م . أما أحمد عبدالمعطي حجازي فيكتب حاليا تنظيرات نقدية ، تنشر كل يوم أربعاء بجريدة الأهرام . وقد عاب عليه بعضهم (بالتحديد الدكتور لويس عوض) لجوءه إلى التنظير النقدي ، وإن كنا نرى أن الكتابة ليست اختيارا في كثير من الأحيان .

ونحن نرى أيضا أن جماعة الرواد والموجة التي تمثل امتدادا لهم قدموا إنتاجا خصبا عميقا مجددا ، ولكن الحركة النقدية حتى الآن ما زالت غير قادرة على مواكبة الجديد ، فمعظم الرسائل التي تقدم بكليات الآداب حتى الآن ما زالت تدور حول شعر جماعة الإحياء وجماعة الديوان وجماعة أبوللو ، وما يخرج عن هذا الإطار ويدخل في ساحة الشعر الحديث لا يكاد يتعدى حتى الآن المشهورين جدا ، حتى لتدور معظم الرسائل حول صلاح عبدالصبور ، أو تتناول تيار الحداثة الريادي بعامة ، فتعرج على شعراء العراق وشعراء لبنان وسورية . معنى ذلك أن النقد مطالب الآن بالقيام بمراجعة شاملة لإنتاج هذا الجيل ، حتى يأخذ كل منهم حقه وموقعه الصحيح في تيار التجديد . ولا يعني هذا أن نفهم أنهم جميعا كانوا على درجة واحدة من ثراء التجربة وقوة التأثير ، ولكن من المؤكد أن لكل منهم دوره الفعال في إثراء تيار الحداثة وتمكينه ودفعه للأمام .



● أمل دنقل



● أدونيس

وقد حققت قصيدة الشعر الحديث على يد جماعة الرواد مجموعة من الإنجازات المهمة، من أهمها اقتراب اللغة الشعرية من لغة الواقع اقترابا شديدا، أو تعبيرها عن الواقع على طريقة المعادل الموضوعي، كما ابتعد الشعر عن النغمة الغنائية الشائعة في الشعر التقليدي، وانحاز إلى جانب التكثيف والتوتر، ولجأ الشعر الحديث إلى استخدام الأقنعة والرموز، وتأثر بالتراث الإنساني كله، ومن ثم عهد إلى توظيف الأسطورة في سياق البنية الفنية للقصيدة، كما أفادت القصيدة من الفنون المختلفة وتقنياتها المتباينة، مثل المسرح والسينما والموسيقا والفنون التشكيلية. ومن بين هذه الإنجازات أيضا إبداع ما يسمى التجربة الدرامية في الشعر، ومحاولة البعد عن الصورة التقليدية، حيث استبدلت بها الصورة الإيحائية البسيطة أو المركبة، وهي صورة تعتمد اعتمادا أساسيا على القوة الخارقة للعادة «للمخيلة»، وتغوص أكثر في أعماق الذات.

الموجة الثانية في الشعر الحديث:

وقد أنجز الجيل التالي لجيل الرواد مهمة أخرى، غاية في الأهمية، يمكن أن نرصد تحققاتها بإيجاز في النقاط التالية: البعد عن السهولة واليسر في تركيب القصيدة، فبينما كانت القصيدة عند جيل الرواد ـ ما عدا بدر شاكر السياب في بعض قصائده ـ بسيطة التركيب والبناء، تعبر عن فكرة واحدة تقريبا واضحة ومفهومة، نجد أن القصيدة عند هذا الجيل التالي تمثل صورة من صور العالم أو من صور الحياة، وبما أن العالم مركب فلا بد أن تكون القصيدة أيضا مركبة ومتشابكة بشكل يجعل مهمة فك رموزها عسيرة، بل تصير مستعصية على الفهم عند بعض الشعراء. وللتعويض عن الفهم لجأ الشاعر العربي، مثلما فعل الشاعر الأوربي من قبله، الى وسائل أخرى، لها دور كبير في توصيل القصيدة للمتلقي مثل سحر اللغة والموسيقا. كما أن القصيدة الحديثة قد خطت مع هذا الجيل الثاني خطوة أخرى في التعامل مع اللغة، بحيث أصبحت أكثر قدرة على التعبير عما يجيش في نفس الشاعر من انفعالات وأوهام ورؤى داخلية، تتجاوز نطاق العالم المحسوس، كي تصنع عالما خاصا، يرتكز على الأحلام والأوهام والشطحات والخيال، ولهذا تجد القصيدة في غالب الأحيان مجرد حدث في اللغة، وليس لها من رابط مع الواقع إلا قدرة الشاعر على الصياغة ونجاحه في التعبير عن روح العصر.

وتضم هذه الموجة الثانية عددا كبيرا من الشعراء، هم الآن في قمة نضجهم الفني، وهم أبرز الشعراء في مصر حاليا، وأكثرهم مشاركة في الحركة الشعرية بقصائدهم وكتبهم التي تصدر تباعا. ومن هؤلاء محمد عفيفي مطر، ومحمد إبراهيم أبوسنة، وفاروق شوشة، ومحمد مهران السيد، وحسن توفيق، وأحمد سويلم، ونصار عبد الله، ويمكن أن نضم إليهم أيضا بدر توفيق، ووفاء وجدى. وإن كان بدر توفيق ـ كما أسلفنا ـ يدخل ضمن امتداد موجة الرواد. وكان أمل دنقل شاعرا فحلا من شعراء هذا الجيل، ولكن القدر لم يمهله حتى يتم رسالته على أكمل وجه. وبالطبع فإن لكل واحد من هؤلاء خصوصيته، فمحمد

عفيفي مطر هو أبرز من كتبوا القصيدة المحكمة في شعرنا الحديث ، وأمل دنقل صاحب تجربة فريدة متميزة ، جعلت منه واحدا من كبار شعراء العربية ، ومحمد أبو سنة شاعر يهتم بمعمار القصيدة ويجيد التحليق والتنسيق . وهكذا نجد أن كل واحد من هؤلاء يحاول أن يضيف إلى الشعر العربي أبعادا جديدة ، تساعد على ثراء التجربة العربية الإنسانية .

شعراء السبعينيات :

وقد كان لثراء التجارب المقدمة في الشعر الحديث وتنوعها أثر في ظهور مجموعة من الاتجاهات مع أوائل السبعينيات ، يحمل كل منها ملامحه الخاصة ، وإن كانت التسمية التي تشمل كل هذه الاتجاهات لما تتحدد بعد بالشكل المطلوب ، حيث يطلق عليهم في العادة «شعراء السبعينيات» . وهذه التسمية - كما نلاحظ - فضفاضة ومبتسرة في آن واحد : فهي فضفاضة لأنها تضع مجموعة من الاتجاهات والملامح المتباينة في سلة واحدة ، ومبتسرة لأنها تغفل كثيرا من الحقائق.وعلى أي حال فإن النقد معذور في هذه التسمية لأسباب كثيرة من بينها : أولا أن كثيرا من هذه الاتجاهات لما تتحدد بعد ، أو لما تنضج بصورة كافية ، وثانيا لأن معظم شعراء هذه الموجة الثالثة مازالوا في حالة تحقق ، فمعظمهم أصدر ديوانا أو ديوانين فقط ، ومن ثم فإن معظم شعرهم مازال مفرقا في المجلات المصرية والعربية ، وتحتاج دراسته إلى جهود كبيرة في التجميع والتبويب ، وثالثا لأن كثيرين منهم مازالوا متأثرين بهذا التيار أو ذاك من التيارات السابقة عليهم ، وبخاصة عند الشاعرين علي أحمد سعيد (أدونيس) ومحمد عفيفي مطر ، وإن كان بعضهم - والحق يقال - استطاع أن يشق لنفسه طريقا متميزا ، وأن يحفر بيده خصوصيته التي تمكن له في عالم الشعر والإبداع . ورابعا لأن كثيرا من تجارب الشعر الحديث لما تستوعب بعد كما ينبغي ، والدليل على ذلك أن الدكتور عبدالقادر القط مازال يضع بعض قصائد محمد عفيفي مطر نفسه في باب «تجارب» بمجلة إبداع ، وهو باب تنشر فيه التجارب الجديدة المغرقة في التجديد ، وكل هذه الأسباب تنطوي على صعوبات جمة ، توضع أمام الناقد عند تناوله لإبداعات هذا الجيل الثالث .

ومع ذلك فسوف نحاول - في إيجاز شديد - أن نلتقط بعض الملامح المميزة للاتجاهات المختلفة عند جيل السبعينيات الشعري في مصر .

١ - هناك اتجاه يحاول الاستفادة إلى أقصى حد من الإمكانيات الصوتية للغة . ومن قيمة البلاغة العربية القديمة ، مثل الجناس والتورية والطباق وغيرها ، وتوظيفها في بناء فني حديث ، يتجاوز الدلالات القديمة لهذا العنصر أو ذاك ، إلى دلالات أكثر عمقا وتأثيرا . ومن أبرز شعراء هذا الاتجاه الآن حسن طلب ، ومحمد صالح .

٢ - وهناك اتجاه آخر يحرص على وضوح القصيدة ، بحيث تصل بسهولة إلى المتلقي ، ولكنهم في الوقت نفسه يجتهدون في تقديم تشكيلات جمالية ، تحمل من الخصوصية مايؤهلهم لصياغة تجارب جديدة ، تختلف عما قدم من إبداعات في شعر الحداثة ، وهؤلاء كثيرون منبثون في أقاليم مصر المختلفة ، بما في ذلك مدينة القاهرة .

٣ - وهناك شعراء يتميز شعرهم بالتحليق الرومانسي في إطار التجديدات التي عرفها

الشعر الحديث . وهؤلاء يتميزون بأن نزعة التجديد عندهم معتدلة ، وتقف عند حد معين ، وهم أيضا حريصون كل الحرص على وضوح التجربة وسهولة وصولها إلى المتلقي . ومن أبرز هؤلاء فاروق جويدة الذي أصدر حتى الآن عددا كبيرا من الدواوين ، وله جمهور واسع في كل أنحاء مصر ، وبخاصة بين الشباب .

٤ ـ ومن الجماعات الشعرية الشابة الآن في مصر جماعة «أصوات» وتضم مجموعة من الشعراء المتأثرين أكثر باتجاه أدونيس ، ويلتزمون جانب الرفض والنفي : رفض كل التجارب السابقة ماعدا أدونيس بالطبع ، ومحمد عفيفي مطر ، في كثير من الأحيان ، ونفي كل مايرونه عائقا أمام تحقق تجاربهم التي تتجاوز كل الحدود أحيانا ، حتى ليصبح تحطيم كل المواصفات هدفا في حد ذاته . وينبغي أن نعترف بأن هذه التجارب الجديدة تمارس تأثيرا قويا على الشباب الذين يظهرون الآن في ساحة الشعر ، ويطلق عليهم عادة «شعراء الثمانينيات» .

٥ ـ ومن الجماعات التي تبشر بقصيدة جديدة أيضا جماعة «إضاءة» وتضم مجموعة من الشعراء ، من أبرزهم حلمي سالم ، وجمال القصاص ، وأمجد ريان ، ومحمود نسيم . ولهذه المجموعة مجلة تحمل اسم الجماعة ، صدر العدد الأول منها في يوليو ١٩٧٧ ، ولكنها مجلة غير دورية ، تصدر بجهود أصحابها بين كل حين وآخر ، وتتلاقى فيها جهود التنظير مع جهود تقديم الجديد المحطم للقيم والمعايير التقليدية .

٦ ـ وهناك عدد آخر من الشعراء لاينضمون لجماعة ، أو كانوا في جماعة ثم آثروا الاستقلال ، وهم أيضا من الحريصين على تحطيم كل القيود ، وإبداع قصيدة جديدة ، وتختلف اختلافا جذريا عن كل ماسبق إبداعه ، سواء على امتداد تراثنا الشعري العربي أو خلال المرحلة الحداثية السابقة . ومن أبرز هؤلاء الشعراء محمد سليمان ، ومحمد أبودومة ، ومحمد فهمي سند .

وهكذا نرى أن الساحة الشعرية الآن في مصر تموج بالكثير من الاتجاهات التي يمكن أن تسفر في المستقبل عن ثراء إبداعي حقيقي عندما يقوم هؤلاء الشعراء بإصدار كل مالديهم من قصائد في دواوين كاملة ، تحمل ملامحهم وخصائصهم ، وتحدد بكثير من الدقة أهدافهم ونزعاتهم التجريدية السريعة المتلاحقة . □

ماذا تعرف عن فن الباليه ؟



الباليه تمثيل راقص لقصة ، مصحوب بالموسيقا ، وقد يؤديه راقص واحد أو مجموعة من الراقصين والراقصات . وكان الباليه معروفا في ايطاليا في القرن الخامس عشر ، وقد شاع في فرنسا في القرن الثامن عشر . ويعبر الراقصون والراقصات عن القصة بالرقص وحده ، فلا كلام أو غناء . ويفعلون ذلك في حركات رشيقة على أنغام الموسيقا ، ويدين فن الباليه الحديث بالكثير لروسيا ، وقد وضع كثير من الملحنين موسيقا للباليه ، مثل « سيلفيا » و « كوبيليا » وهما اثنتان من « السويت » ، وضعهما دلبيز ، و « كسارة البندق » وهي « السويت » التى وضعها « تشايكوفسكي » . « والسويت » موسيقا تتألف من مجموعة من مجموعات الرقص ، تتعاقب مع تناسب في الأسلوب والطرب .



حمارُ العقاد حقيقة أمْ وهم ؟

بقلم : محمد محمود عبد الرازق *

ضمن سلسلة « كتاب العربي » التي تصدر فصليا عن مجلة « العربي » ، وفي العدد الرابع والعشرين منها الذي صدر في تموز (يوليو) سنة ١٩٨٩ بعنوان « القصة العربية . . أجيال وآفاق » تم نشر قصة بعنوان « أحسن حمار » للكاتب المرحوم عباس محمود العقاد . والمعروف أن العقاد كاتب كبير في مجالات شتى ليس من بينها القصة ، وقد أثار الدكتور إحسان عباس الذي كتب مقدمة الكتاب الذي صدر عن السلسلة سؤالا يتعلق بحقيقة كتابة العقاد للقصة .

المقال التالي توضيح وتعليق على ما جاء في مقال الدكتور عباس ، وهو مليء بطرائف المواقف التي صادفت العقاد في حياته .

معروف أن للعقاد رواية وحيدة هي « سارة » ، أما غير المعروف فهو أن له قصة قصيرة وحيدة هي « أحسن حمار » ، ويشك الدكتور إحسان عباس في نسبتها إليه . إذ تعترض في سياق تعرضه لها جملة « إن كان هو الذي كتبها » ، ويقول عند تقويمها « ولكن أيا كانت قصة « أحسن حمار » فإنها جاءت ترسم قدرة قصصية واضحة » ، والذي يدعو إلى هذا التحرز هنا هو نشرها بعد وفاته .

ولا نستطيع أن نبدد غيوم الشك بالحديث عن موضوعها ، فنقول مثلا : إن بعض وقائعها حدث في أسوان ، وأنها تتحدث عن بعض

* كاتب من القطر العربي المصري

معالمها مثل المسلة « الناقصة » أو « المهجورة » ، وفندق « كتاراكت » الذي يعرفه الأسوانيون غالبا ، فيقولون كما جاء بالقصة « الكتاراكت » . وأن الشخص الرئيسي فتى أسواني ، فارق بلدته وهو في الخامسة عشر ، ولم يكن يعود إليها إلا مرة كل خمس سنوات أو عشر على الرغم من حبه لها ، وكل هذا يتفق وسيرة العقاد . فإن جده الأعلى قد اشتغل بمصنع للحرير بدمياط فلقب بالعقاد ، وكانت والدته حفيدة أحد رجال الفرقة الكردية التي جردها محمد علي سنة ١٨٢١ لتأديب ملك شندي . فقد كان فتى أسوانيا أصيلا ، ولد بها عام ١٨٨٩ لأسرة متواضعة ، وأنهى دراسته الابتدائية عام ١٩٠٣ ، وسافر للقاهرة للمرة الأولى عام ١٩٠٥ لإجراء الكشف الطبي تمهيدا لتعيينه بالقسم بمدينة قنا ، فبهره ثراؤها الفكري وشخصياتها الذائعة الصيت . ونقل إلى الزقازيق ليكون قريبا من القاهرة ، لكنه استقال من وظيفته واستقر بالعاصمة منذ عام ١٩٠٦ م .

ولم يفصح المؤلف عن اسم الشخص الرئيسي بالقصة ، مكتفياً بلقب « الأستاذ » الذي كان يلقب به العقاد ، ولا يناديه تلاميذه وحواريوه إلا به . كما أنه كان مثل العقاد شخصا موسوعيا ، ما أن يعرف الموضوع الذي تميل إليه بحكم تخصصك أو موطنك مثلا ، حتى يخوض غماره ليبزك فيه ، بل وقد يدهش لسعة معلوماته عنه .

الأسلوب المعتمد

وهكذا ما ان عرف الشخص الرئيسي أن الفتاة روسية حتى انطلق يحدثها عن الأدب الروسي ، فأدهشته وأدهشها : أدهشته لأنها وهي الفتاة الراقصة اللاهية تعرف الأدب الروسي الحديث ، كأنها طالبة في جامعة من الجامعات الكبرى تخصصت فيه . وأدهشها لأنها لم تكن تتوقع وهي قادمة إلى أسوان أن تعرف إنسانا من أهلها تتحدث إليه عمن تحب من كبار الكتاب الروسيين ، ولا سيما « ديستوفسكي » . وقد اعتاد العقاد أن يرسم « ديستوفسكي » هكذا « دستيفسكي » .

وإذا انتقلنا إلى الأسلوب فسوف نرى الدكتور عباس يقول : « إن أسلوب العقاد فكري جاف ، شديد الإحكام في مقالاته ، لكنه حين كتب قصة « أحسن حمار » - إن كان هو الذي كتبها ، توخى أن يبعث في مستواه التعبيري شيئا من « اللين » والخفة ، واستعان على ذلك بالسخرية والمفارقات الضاحكة ، وإن لم يستطع أن يتخلى عن بعض الحدة التي تصبغ أسلوبه ، بل لعله أفاد من تلك الحدة في رفع درجة السخرية (هذا مع أنه ليست لدينا نماذج أخرى من القصص القصيرة لهذا الكاتب حتى « سارة » لم يستطع أن يتخلى فيها عن أسلوبه « المعتمد ») » .

وهذا تحليل بالغ الدقة لأسلوب القصة . أما ما لاحظه أستاذنا الدكتور عباس على مستواها التعبيري من توخي اللين والخفة - والخفة هنا عكس الثقل واستعانتها على ذلك بالسخرية والمفارقات الضاحكة ، فلم يأت على غير عادة العقاد كما يستفاد من الحديث . فالعقاد كان يلون أسلوبه حسب مقتضيات الحال . وكان - مع حدة مزاجه - مغرما بالضحك ، مقتنصا للفكاهة من مظانها . وكانت فكاهته تصهر - في كثير من الأحيان - في أتون السخرية المرة ، يشهد على ذلك رواد ندوته الأسبوعية وكثير من يومياته أو صحفياته . وصرح ذات مرة بإيمانه بأن « التصوير الفكاهي - أو الكاريكاتور » هو خير وسيلة لإبراز فكرة تحتاج إلى « الإبراز » ، وقال تعليلا لاستعماله السجع في بعض مقالاته : « إنني أختار السجع في موضوعات التهكم والدعابة ، كما أختاره في الموضوعات الوجدانية وما إليها مما يلحق بالأغراض الشعرية ، فإن السجع ينبه الذهن إلى المعاني في هذه الأغراض ويزيدها جلاء ، وتوكيدا ، كأنه اللحن الذي يضيف إلى الكلمات ومعانيها قوة ليست للكلام

الذي يسمع بغير تلحين .

ولكنني أتجنب السجع في المباحث الفكرية ، لأنه ـ على عكس ذلك ـ يشغل الذهن بانتظار القافية ونهاية الفاصلة ، فيصرفه عن متابعة الفكرة والمضي مع سياق العبارة المتصلة بين المقدمات ونتائجها .

يشاهد الشخص المحوري في قصة « أحسن حمار » راقصة روسية في فندق « كتاراكت » فيغرم بها . ويتم التعارف عند المسلة الناقصة . ويكون السبب حمارها الجامح ، ويتواعدان على اللقاء في القاهرة . وقبل الموعد المضروب بدقائق معدودات يطرق بابه صديق له عُرف بالثرثرة ، فلا يجد مفرا من اصطحابه إلى الخارج متعللا ببعض العلل . وفي الطريق تظهر الفتاة ، فيهرع إلى بيته تاركا صديقه . وتعرف الفتاة القصة فتستغرق في الضحك ، ويعود الصديق إلى البيت فتواجهه الفتاة بقولها « الاستاذ نقل من هذا المنزل » ، وتعود لتسأنف ضحكها قائلة : « إنه لا يخجل » ، لكن الأستاذ يرى أنه خجل هذه المرة لأنه لو لم يخجل لسألها أن تصحبه « إلى منزل الاستاذ الجديد » .

ظلم الحمير

ونحسب أن هذه الحكاية من مخزون الذكريات التي يحلو للعقاد أن يعرض علينا بعض بضاعته كلما سمحت المناسبة . وقد تحدث عن الحمير في بعض المناسبات ، واستخرج من المخزون حكاية عنها في مقاله « ظلم الحمير » استدعتها المناسبة . فقد نشر بالصحف أن حمارا سرقه لص البهائم في بلدة « قويسنا » ، فامتحنه رجال الأمن بإطلاقه في الطريق ، ليعرفوا صاحبه بالمكان الذي يهتدي إليه . واهتدى الحمار إلى صاحبه بغير عناء . فتذكره هذه الحادثة بحادثة أخرى وقعت بعد الحرب العالمية الأولى ، عندما كان يقيم بإحدى الحجرات المفروشة في شارع عبد العزيز :

« كان في الشارع حانة تبيع المسكرات من جميع الألوان ، لأن الفرق بين أصناف الخمر جميعا في تلك الحانة إنما هو فرق الصباغ .

وكان من بين زبائنها رجل كسيح ، يشرب حتى يهذي ، فيضعه صاحب الحانة على حماره ويتركه ليصل إلى البيت .

ولكن الحمار تعود أخيرا أن يذهب بعد خطوات إلى قسم عابدين ، ليقف هناك ساعة ريثما يكتب المحضر اللازم لراكبه ، تنفيذا لحكم القانون على من يقلقون راحة النيام بالصخب والصياح .

وفي ليلة من الليالي غلب السكر صاحب الحمار على لسانه : فنام ولم يخالف القانون !

أما الحمار فلم يحد عن سكته الأخيرة ، وذهب بالرجل إلى القسم لإجراء اللازم .

ولم يتعتع من موضعه الا بإقناع شديد ، ربما جاوز الحدود في قانون الرفق بالحيوان ! » .

وإذا كان ثمة حمار آخر في قصة : « أحسن حمار » فهو يكمن في الجملة التي أطلقتها الفتاة الروسية على سبيل المداعبة عندما أشار « الترجمان » إلى « الأستاذ » فعندما قرّب الصبي الحمار إلى الفتاة نخسه على سبيل الاستعجال « فكانت هي النخسة المباركة التي لم يتظرها أحد من الواقفين ، لأنه جمح وانطلق في الصحراء ، وانطلق وراءه الصبي ليعيده إلى الطاعة ، فوقفت الفتاة مدهوشة ، وهي تقول للترجمان كأنها تؤنب الفندق ومديره في شخصه : أهذا أحسن حمار في البلدة ؟ فارتبك الترجمان ولم يدر ما يقول ، ثم أقسم لها أنه لأحسن حمار « وإن لم تصدقي يا مدام فاسألي الأستاذ ! « فأغرقت الفتاة في الضحك قائلة : « وما شأن الأستاذ بهذا » ؟

وتقترب هذه المداعبة من نكتة رواها العقاد نقلاً عن مذكرات الدكتور شاكر بك الخوري المطبوعة سنة ١٩٠٨ بمطبعة الاجتهاد في بيروت ، وكان صاحب المذكرات أحد الطلاب اللبنانيين الذين درسوا الطب برعاية الخديو

اسماعيل بمدرسة قصر العيني . وكان يحسن الفكاهة ويقبلها إذا أصابته . وقد أصاب منها الكثير ، وضجر منه ، ولكنه أحاله إلى الطبيعة المصرية التي لا تعذرأحدا وقع في طريق القافية . ومن فكاهته أن الطبيب الكبير « محمد علي البقلي باشا » كان يلقي درسه المشهور ، وكان من هيبته يخيف الطلاب ، فلا ينبس أحدهم بكلمة في حصته ، ويخيف الموظفين بالمستشفى ، فيمنعون كل ضوضاء فيه ومن حوله ، ولكنهم في ذلك اليوم سمعوا ضجة عالية يتخللها نهيق حمير وصياح أناس هنا وهناك ، فنظر الدكتور البقلي إلى طالب سوري ، اسمه بشارة ، وأمره أن يتعرف جلية الخبر ، فجاءه بعد لحظة بخبر عن حمار الباشا ، لم يدر كيف يلقبه وكيف يتكلم عنه ، وهو ـ في عرف الطالب ـ حمار لا يمكن أن يشبه الحمير . قال : « إن سعادة حمارك عندما رأى دابة مصطفى أفندي ابتدأ بالنهيق » . ونظر الباشا إلى صاحب المذكرات يقول له سائلا : « يا شاكر هل تمنحون الرتب والألقاب في بلادكم لحميركم ؟ » قال صاحب المذكرات : « نعم يا سيدي ولذلك نقول لبشارة « يا بشارة أفندي » .

وقصة « أحسن حمار » تدل على معرفة صاحبها بطبائع الحمير « جمح على حسب العادة التي اعتادها كل حمار أصيل ! فإن هذه الحمير الأصيلة لا تحتمل النخس اليسير ، وقد تستحثها إلى الجري بأقصى سرعتها بهزة صغيرة في الرّكاب ، فتأتي بالسرعة التي يعجز عنها الحمار البليد ، ولو انهالت على رأسه ألف عصا ، واندس في خاصرته ألف مهماز » .

شهادة للجنس الحماري

والعقاد يقدر الحمير ، ويدافع عنها ، كما نلحظ عند قراءة مقاليه « ذكاء الحمار » و « ظلم الحمير » ، فهو يرى أن « غباوة الحمير » مثل من أمثلة الظلم الذي يثبت بالإشاعة . فليس الحمار بالغبي ، ولكنه عنيد ، إذا أراد العناد لأمر لا يفهمه غيره . وفرق بين الغباوة والعناد ، وإن يكن عنادا غير مفهوم . فأما فيما عدا هذا العناد فالحمار « فهيم » بمقاييس كثيرة من التي يقاس بها ذكاء الحيوان ، ومنها مقياس الأسماء . فالحيوانات التي تفهم معنى التسمية ذات شخصية تدرك علاقاتها بغيرها وتتفاهم مع الآخرين . والحمار يعرف الاسم الذي يطلق عليه . وليس كذلك البقر ولا الغنم ولا الطير الذي لا يخطر على بال أحد أن يتهمه بقلة الفطنة



والذكاء ، فإنك تدعو هذه المخلوقات بما شئت من الأسماء فلا تلتفت إليك . ويرى أن الإصرار على طريق واحد قد يكون من أدلة الخصوم على هذا الحيوان الصبور . « ومن أراد أن يبالغ في الإنصاف فله أن يحسب هذا الخلق الحماري من فضائل الثبات » . ويقسم الحيوانات إلى قسمين ، يرى أن يضاف إلى أقسام الحيوان ، أو إلى الأنواع وأشباه الأنواع والعائلات والفصائل والفروع : حيوانات مسلوبة الشخصية ، وهي التي تؤكل أو تقتنى قبل كل شيء للأكل والتموين . وحيوانات ذات شخصية تقبل التسمية وتحمل الأعلام ، وهي التي يتحرك بها الإنسان أو تتحرك معه ، ولو كانت من كلاب الصيد والحراسة وقطط التدليل ومطاردة الفئران.

لكن العقاد ينسى شهادته للجنس الحماري عندما يثار . فيلجأ إلى السب والقذف ويساوي بين الثور والحمار . وقد سأله سائل أن يحدثه عن الحمار وتاريخه ، وعن كلمة الفنان وعلاقتها في اللغة العربية بالحمار . وفي الأسبوع نفسه وصلته رسالة أخرى تنصرف على الاكثر إلى حمار « بريدان » . وتشاء الظروف أن يتهجم أحدهم على مجمع اللغة العربية ، ويسانده آخر يبدو أنه من أتباع السلطة ، فيثور العقاد ويقدم « التعليق » على هذه « الأخبار » والرد على الرسالتين :

« من الذي يترك الثور الثائر على اللغة العربية ويتكلم عن حمار « بريدان » ؟

ومن الذي يتكلم عن الفنان الذي يسمونه في القواميس حمار الوحش ويترك حمار العمدة ؟

الثور الثائر على اللغة العربية وحمار العمدة الذي أثار المعركة في البلدة الآمنة كلاهما أحق بالسبق وأولى من حمار « بريدان » وبرسيمه بالتعليق .

وينتقل إلى « ألف ليلة وليلة » فيلخص القصة التي حكتها شهرزاد ـ قبل أن تبدأ لياليها الملكية



● عباس محمود العقاد

ـ عن صداقة الثور والحمار في دار رجل من المطلعين على طلاسم الحكيم سليمان . ثم يتحدث عن قصة « الحمار الذهبي » التي ألفها الكاتب اللاتيني ابيوليوس في القرن الثاني للميلاد . وهي تبدو كما لو كانت قصة من قصص « ألف ليلة . . » ، كما يتحدث عن كلمة الفنان وعلاقتها بالحمار . فيرى أن المتحذلقين هم الذين يحرمون إطلاقها على أصحاب الفنون ، لأنها اسم حمار الوحش عند العرب كما يزعمون . وليس الفنان اسما لحمار الوحش ، بل صفة يوصف بها لأنه كثير الخطوط ، والفن من أسماء الخط وأسماء الفرع وأسماء الغصن ، وكل شيء من الأشياء ذوات الأفانين . وإذا وصف حمار الوحش بالفنان ، فكما يوصف بكثرة الخطوط أو السرعة ، أو بما شئت من الصفات . ولا يقال إذن أن صاحب الخطوط ـ مثلا ـ صفة لا يوصف بها الخطاط . أو أن السريع صفة لا يوصف بها القطار .

حمار بريدان

وأول حديث للعقاد عن « حمار بريدان » ـ على قدر علمنا ـ جاء عرضا في أثناء قراءته

لكتاب « التعادلية » فقد تهكم على آراء توفيق الحكيم زميله بصحيفة « دار أخبار اليوم » قائلا : « إن السلامة في رأي صديقنا الفيلسوف هي السير في وسط الطريق بين الرصيفين . لا على الرصيف الأيمن ولا على الرصيف الأيسر ، بل في مكان متعادل بين الرصيفين . ولا بد من الاستعداد قبل ذلك بنمرة الإسعاف ! » وأراد أن يشبع الحكيم بتهكماته ، فانتقل إلى حمار بريدان المشهور في التعادل بين حزمتي برسيم . فقد ضربوا المثل بحماره . وقالوا : إنه يهلك جوعا بين حزمتي البرسيم عن يمينه وعن يساره ، إذا تساوت الحزمتان في اللون والمقدار والرائحة وسائر المشهيات والمرغبات « وكان من المضحك أن يصور الفلاسفة حمارهم على هواهم ، وأن يتخيلوه واقفا على الحياد بين الحزمتين ، فلا يميل إلى هذه أو إلى تلك إلا بمرجح في إحدى الحزمتين .

وهذه فلسفة لن يعترف بها الحمار ، ولن يعمل بها في ذلك الموقف ولا في موقف غيره ، لأنه لا يقف فيه على الحياد ولا يلبث أن يطالب نفسه بالاختيار بين شيئين لا بين حزمتين من البرسيم .

لا يلبث أن يطالب نفسه بالانقياد بين الأكل أو الموت جوعا ، ومتى اختار الأكل فإنه ليأكل يمينا وشمالا ولا يبالي ذلك التعادل المزعوم بين برسيم اليمين وبرسيم الشمال ، فإنه هو لا يقف على الحياد بين الموت جوعا وأكل البرسيم حيث كان » .

لكنه يعود بعد أقل من شهر لينكر نسبة الحمار إلى بريدان في مقالة « بين ذوات الأربع » ، ويبدو أن موضوع « التعادلية » لم يسعفه لتحقيق النسب في مقالة « فلسفة الحكيم » ، وربما كان السبب ضيق المساحة المخصصة ، لأنه يتنقل في معظم يومياته من بستان إلى بستان . يقول العقاد : إن بريدان « المسكين » لم يكن له حمار ، ولم يذكر هذا المثل قط في كلام منسوب إليه . وقد عاش بين قومه ، ولم يكتب لهم حرفا باللغة الفرنسية ، ففتح على نفسه باب الدعوى بالكتابة باللاتينية . وشاع عنه منذ القرن الرابع عشر أنه صاحب المثل المشهور عن الحمار بين الحزمتين ، أو بين الحزمة وجردل الماء ، واختلفت الروايات ولم يختلف الرواة في اتهام بريدان .

قالوا : إنه كتب ذلك في رسالته عن أخلاق أرسطو وحرية الاختيار . فإذا بالرسالة تظهر بعد حين وليس فيها حرف واحد عن الحمار ولا عن البرسيم أو جردل الماء .

على نقيض ذلك ظهر أن الشاعر دانتي الذي عاش قبله ، ذكر هذه المشكلة ، وارتفع بها من الأرض إلى الفردوس السماوي ، وافتتح بها نشيده الرابع في رحلة السماء وتحدث عن الحمل الذي يقف بين ذئبين يخافهما على السواء ، وعن كلب الصيد الذي يقف بين غزالين ولا يجري هنا ولا يجري هناك ، وعن العقل الذي يقف بين شكين ولا سبيل بينهما لليقين . وسبقه فيلسوف المسيحية ـ توما الاكويني ـ ليبطل سلطان الحس على العقل والإرادة . □

من عادات الشعوب

في بعض قبائل افريقيا الاستوائية ، عندما تموت الزوجة يلبس الزوج ملابسها ، ويسير بها بين الناس فترة من الزمن كدليل على الحزن .

ومن عاداتهم في الزواج ، أن تهدي الزوجة الى زوجها عند الزفاف (خنجرا) مسنونا لكي يقتلها به إذا هي خانته .

واحة العربي



□ في الصميم

● لايمكن أن يكون عدم عمل شيء أمرا ممتعا حقا ، مالم يكن لدينا عمل كثير متأخر .

جيروم

● طوبى للإنسان الذي عندما لايجد ما يقوله ، يمتنع عن إعطاء الدليل بالأقوال .

جورج ايليوت

● الحرب موضوع مهم للمؤرخين ، والسلام تبعث روايته على الملل .

هاردي

● أنا لست من الشباب بحيث أعرف كل شيء .

باري

دعاء



● أوقد أعرابي نارا يتقي بها برد الصحراء في الليالي القارسة ، ولما جلس يدفأ ، ردد مرتاحا : اللهم لا تحرمنيها لا في الدنيا ولا في الآخرة .

□ من القلب

والدة الجندي

● عرف العميد برقيا بوفاة والدة الجندي حسن ، فاستدعى الرقيب وقال له :

لقد بلغني أن والدة الجندي حسن قد توفيت ، وأنا أعتمد عليك في نقل هذا النبأ المحزن إليه ، ولكن بلباقة ، أفهمت ؟ بلباقة .

فقال الرقيب : بالطبع ياسيدي العميد ، اعتمد عليّ .

وبعد خمس دقائق جمع الرقيب الجنود الذين تحت إمرته ، وصاح بهم : من كانت أمه متوفاة فليتقدم خطوة إلى الأمام .

ولم يتحرك أحد منهم . عند ذلك راح الرقيب يصيح :

حسن ، أيها الغبي ، ستسجن ١٥ يوما لعدم تنفيذك الأوامر .

سأصلح أخطائي

القاضي : الآن بعد صدور الحكم ، أرجو أن يكون عندك الوقت الكافي لإصلاح أخطائك .

اللص : سأصلح أخطائي ، صدقني ياسيدي ، سأعتمد الكفوف في المرة القادمة .

أثر المهنة

● تنهدت زوجة المفوض في اسكتلنديارد قائلة : إن زوجي لا يفكر إلا في مهنته ، إلى حد أنه عندما يطفيء جهاز التلفاز قبيل النوم لا ينسى مطلقا أن يمسح بصمات أصابعه عن الزر .

ذاكرة ضعيفة

● كانت الزوجة الثالثة للروائي المخرج ساشا غيتري ضعيفة الذاكرة . وكان زوجها يوصيها يوميا بأن تدون في مفكرة خاصة كل ما يجب عليها عمله ، قائلا لها :

أنت تعلمين جيدا أنك كثيرة النسيان .

وكانت تحتج بقولها : لا ، لا ، هـذا ليس صحيحا .

فيمضي غيـتري في قوله : والدليل يا عزيزتي أنك تنسين حتى أنـك ضعيفة الذاكرة .

□ ضحكات عربية

أبو علقمة وابن أخيه

● قدم على أبي علقمة النحوي ابن أخ له ، فقال له : ما فعل أبوك ؟

قال : مات .

قال : وما علته ؟

قال : ورمت قدميه .

قال : قل : قدماه .

قال : فارتفع الورم إلى ركبتاه .

قال : قل : ركبتيه .

فقال : دعني يا عم ، فما موت أبي بأشد علي من نحوك هذا .

كمين شفوي

● في أثناء مناظرة تلفازية بين خصمين سياسيين قال أحدهما للآخر : هناك أكثر من مائة طريقة لجمع الفلوس ، ولكن ليست هناك إلا طريقة واحدة لجمع الفلوس بالحلال .

ـ وما هذه الطريقة ؟

ـ كنت متأكدا أنك لا تعرفها .



□□□

سر الغائب

● غاب عبدالحميد الديب أياما طويلة ، ثم عاد للظهور من جديد . ولما سأله أحد أصدقائه عن سر غيبته أجابه : كنت في البلد للاطمئنان على الفدانين ، ثم رجعت . فسأله الصديق مندهشا : أي فدانين ؟

فأجابه عبدالحميد الديب : صديق لي اسمه « محمد الفدانين » .



العربي
عيونك على العالم



المكسيك :

القبعات العريضة لا تخفي الجراح

استطلاع : صلاح حزين

تصوير : طالب الحسيني

من بين حشد متحرك من الناس ، التقطته عيناي ، بملابسه البيضاء وملامح وجهه البائسة ، وقبعته العريضة . حاول زميلي المصور أن يلتقط له صورة ، وعندما شعر بالمحاولة تيقظت عيناه وحاول إخفاء وجهه ، لكن عدسة زميلي لاحقته ، فتقوقع على نفسه بجسده النحيل المنهك ، واختبأ خلف قبعته العريضة ليخفي بها جراحه .



جغرافياً . . تنتمي المكسيك إلى القارة الامريكية الشمالية الغنية القوية ، وثقافيا ودينيا تنتمي إلى قارة أمريكا اللاتينية الحيوية الثائرة ، ومن حيث النظام الاجتماعي الاقتصادي تنتمي إلى العالم الثالث المثقل بالديون والفساد والتخلف .

إلى هذا البلد المتعدد « الانتماءات » كانت رحلة « العربي » .

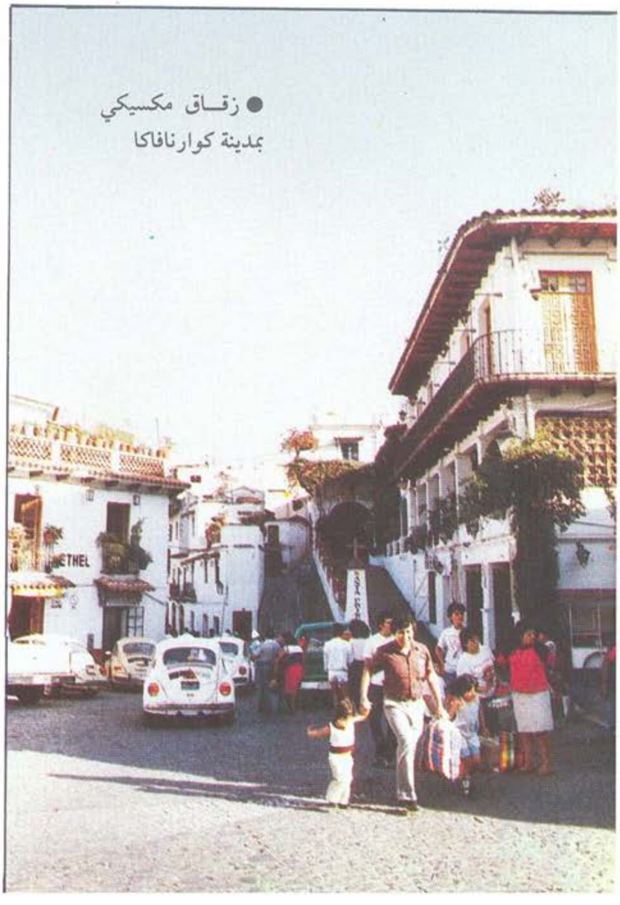
كيف يمكننا أن نتحرك في مدينة عدد سكانها ٢٥ مليون نسمة ؟ سألني زميلي المصور ونحن نحاول أن نضع خطة لاستطلاع المدينة العملاقة ، وعندما وجدت أن أي جواب جدي سيكون عبثيا قلت :- بصعوبة !

لم نكن قد عرفنا درجة الصعوبة التي سنواجهها أثناء جولتنا في أكبر مدينة في العالم ، غير أن الرد السلبي من قسم الشرق الأوسط بوزارة الخارجية المكسيكية ، ثم دائرة السياحة في مكسيكو سيتي ، أوضح لي بما فيه الكفاية عن درجة الصعوبة الكبيرة . كان علينا أن نبدأ من الصفر ، الصفر بالنسبة لنا كان فندق « فونتانا » ، في شارع « لاريفورما » ، بوسط المدينة ، إن كان لمثل هذه المدينة المرعبة باتساعها وعدد سكانها وسط واحد فقط .

وحاولنا للمرة الأخيرة الاتصال بقسم الشرق الأوسط ، لنخبرهم أن لدينا توصية من سفير المكسيك بالمملكة العربية السعودية ، بتسهيل مهمتنا كصحفيين . وكانت المتحدثة هذه المرة موظفة تدعى « مريم زبيدة » . قلت : جاء الفرج . فمن المؤكد أن هذه الموظفة ذات أصل عربي ، ومن المؤكد أن أخلاقها العربية الأصيلة لن تسمح لها بتركنا هكذا ضائعين في هذه المدينة الشاسعة . لكن مريم زبيدة لم تكن أفضل من غيرها ، فأقلعنا عن أي محاولة أخرى لطلب المساعدة . وخرجنا إلى زحام المدينة الهائلة .

عابرون وعروض عابرة

كان الظلام قد بدأ يزحف على المدينة العملاقة ، وانتشرت صفوف منتظمة من الأضواء الصفراء وأضواء النيون على طول شارع لاريفورما أو الاصلاح ، وعلى جانبي الشارع الواسع فتحت دور السينما والمسارح والفنادق الكبرى والمطاعم أبوابها ، تستقبل الخارجين إلى حياة الليل الصاخبة . مقاهي الأرصفة غصت بالشبان والفتيات ذوي الملابس الحديثة ، وقصات الشعر الأكثر حداثة . وأمام دور السينما والمسارح وقفت السيارات الفارهة ، لتنزل منها نساء بملابس السهرة البراقة ، وبالتسريحات



● زقاق مكسيكي بمدينة كوارنافاكا

● تقع المكسيك جنوبي الـولايـات المتحـدة الامـريكيـة ، وتتصـل جنوبا بغـواتيمـالا التي تعتبـر صلة الـوصـل بـامريكـا الـوسـطى والجنـوبية ، وتمتـد على مساحة تزيد على مليون كيلومتر مربع ، وتتألف من ٣١ مقاطعة ، ويبلغ عـدد سكـانها نحـو ٨٥ مليون نسمة يعيش منهم ٢٥ مليـون نسمـة في العاصمة مكسيكوسيتي .



الأنيقة ، بصحبة رجـال لبسوا بـدلات السهرة

ومن شـارع « لاريفورمـا » دلفنا إلى شـارع الثورة الذي يتقاطع معه .

مضينـا متجهين نحـو عـدد من النصب والتماثيل التي احتلت مـراكز التقـاطع في وسط شوارع مدينة مكسيكو ، مزينة بالأضواء ونوافير المياه .نصب الاستقلال ، نصب الثورة ، نافورة القارات الخمس ، نصب تأميم النفط ، نصب الأزتيك الذي يمثل ملوك الشعوب السابقة على الفتـح الاسباني الـذين أطلق عليهم خطأ اسم الهنـود الحمر . لا شيء مميـز ، ولا شيء غـير عادي ، مدينة منتشرة على رقعة هـائلة الاتساع من الأرض المنبسطة ، شقت فيهـا الشـوارع العريضة ، وأقيمت فيها الساحات الواسعـة ، وبنيت الكنائس والحدائق والمباني العامة ، وبنيت تحتها خطوط « مترو » الأنفاق الذي يحمل جزءا من عبء الضغط السكاني الرهيب للمدينة .

لكن جولتنا الليـلية لم تكتمل ، فقد وجدنا ما يستـوقفنا في حـديقـة (الميـدا) الـواقعـة بـالقـرب من دار الأوبرا ، ذات الهندسة المميزة ، بقبابها ولونها الأبيض وأبوابهـا الضخمة ، والتي تقـدم عـلى مسارحهـا العـروض الفنيـة . وفي زوايـا الحديقة العديدة ، وبالقرب من نوافيرها ، وقفنا مع الواقفـين تحت أضواء الحـديقة المنبعثـة من أطراف الأعمدة ، لنستمع ، ونتفرج على متعة مجانية ، يقدمها للعابرين والمتسكعين ولمن قادتهم أقـدامهم ـ مثلنا ـ عـدد من الفنانـين ، القليلي الحظ ، وأصحاب المواهب المغمـورة في الرسم والغنـاء والتمثيـل والسحـر والشعـوذة ، وبيـع البضاعة الرخيصة .

بعضهم يقدم طريقة مبتكرة في الرسم ، تجمع بـين الأصـالـة والمعـاصـرة ، عـلى الـطريقـة المكسيكيـة ، وبعض آخر منهم يقـدم فـاصـلا تمثيليا ، وآخر يقـدم ألعاب خفـة يد أو هجـاء

للحكومة والرؤساء .

لم تلفت نظري الألعاب السحرية الاستثنائية ، ولا الفن الراقي ، ولا الرقصات المكسيكية ذات الإيقاع السريع ، بل شدتني القدرات الكلامية المدهشة لهؤلاء « الفنانين » ، وتصورت أن بعضهم ضل طريقه من السياسة إلى السحر والشعوذة ، فخسر الاثنين .

شخص يقف بمفرده في ركن من أركان الحديقة ، ويبدأ بالحديث إلى عابري الطريق ، يستوقفهم بحديثه السريع الوتيرة الذي يستخدم فيه الإشارة والحركة والتعليق وربما اليد أيضا . وقد يوقف المارة بيده ليجذبهم إلى حلقته غير المكتملة ، وعندما يتحلق حوله جمهور من المتفرجين يزداد براعة في الحديث، وخفة في عرض فنه لمتفرجين عابرين ، كل منهم على استعداد لتركه في أي لحظة ، والانضمام إلى تجمع آخر لا يبعد عنه غير أمتار قليلة . موهبة كبيرة في فن الكلام ، لدعم موهبة قليلة وحظ أقل ، أمام جمهور لا يلزمه شيء تجاه فنان يقدم عروضه على رصيف الفن المكسيكي العجيب .

في شوارع المدينة

في الصباح ، كانت الرؤية أكثر وضوحا ، فالشوارع قد ودعت الساهرين والمتسكعين والفنانين المغمورين ، والحدائق خلت من العشاق الذين تناثروا في زوايا الحدائق على العشب الأخضر أو على المقاعد الخشبية أو المساطب الرخامية ، يكسرون سكون الليل بضحكاتهم المكتومة وهمساتهم الصاخبة ، وبدلاً من ذلك مضى الرجال والنساء إلى أعمالهم ، وانتشر الباعة أمام الفنادق الكبرى ، حيث ينزل السياح ، يعرضون المصنوعات النسيجية واليدوية المكسيكية التقليدية ، واصطفت عربات الباعة الجوالين ، تبيع كل شيء من ألعاب الأطفال الصغيرة والقبعات العريضة إلى الوجبات المكسيكية الحراقة التي يتناولها الذاهبون



● الكاتدرائية المركزية وباعة ومتسكعون في ساحة تسوكالو .

من أقصى المدينة إلى أقصاها ، وانهمك ماسحو الأحذية في عملهم ، فيما استغرق « الزبون » في قراءة صحيفة ، وقد استوى على كرسيه المرتفع المظلل بقطعة قماش عريضة مزركشة ، وأسلم رجله لماسح الأحذية باطمئنان تام .

أحد ماسحي الأحذية لم يجد « زبونا » حتى تلك الساعة من الصباح فيما يبدو ، فجلس على



الكرسي المرتفع ، وانهمك في قراءة صحيفة بانتظار زبون . أمنية مشروعة في أن يصبح يوما زبونا ، في مدينة ترامت أطرافها ، وقلّت فيها الأمنيات الكبيرة ، فقنع الفقراء بأمنيات تناسب وضعهم الاجتماعي .

الفقر والبؤس في هذا الطرف من المدينة أكبر من أن تخفيها المدينة المترامية الأطراف .

الشوارع مزدحمة بالناس ، والحافلات مكتظة بالركاب ، وسيارات الأجرة الصفراء الصغيرة ومعظمها من نوع « فولكس فاجن » طراز « البيتل » أو الخنفساء ، فبدت وهي تتنقل بخفة وسرعة مثل حشرة زاهية الألوان ، تدب فوق جسد المدينة الواسعة .

الشوارع العريضة المنظمة لم تخل من وجود



● ألعاب للأطفال بانتظار من يشتريها .

بعض البنايات المتصدعة أو المنهارة جزئيا ، بل والمدمرة تماما أحيانا . وأشار السائق إلى إحدى البنايات المتصدعة ، لكنها ما زالت واقفة كعملاق جريح ، وقال بلغة انجليزية متعثرة ، بلكنة لا تشبه إطلاقا اللكنة التي كثيرا ما سمعناها تتردد على ألسنة الشخصيات المكسيكية في أفلام رعاة البقر الامريكية :

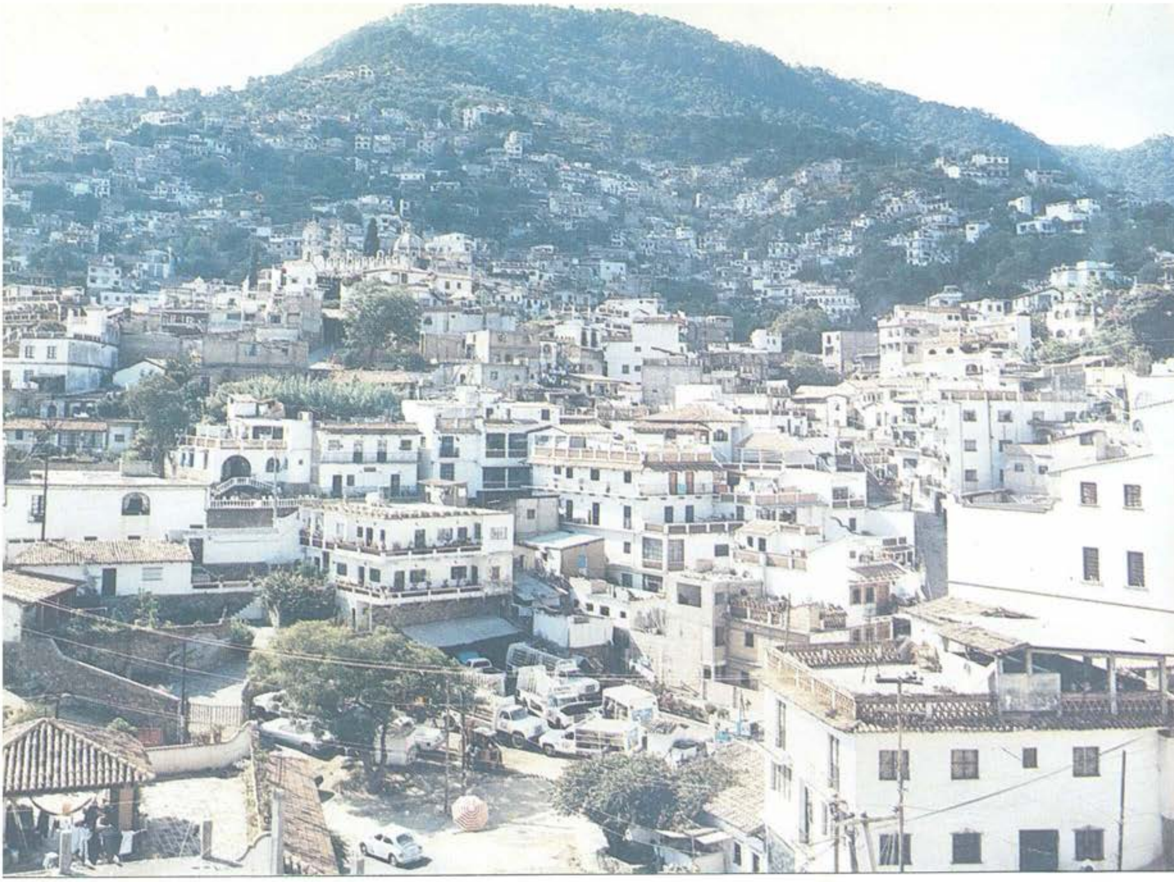
- فندق . . زلزال .

وتابعنا المسير في أرجاء المدينة الشاسعة : كنائس قديمة ، وبنايات تنتمي إلى طرز هندسية مختلفة وعصور متعددة ، وحدائق واسعة . قررنا زيارة إحداها ، لأخذ فكرة عما يمكن أن نرى في حديقة مكسيكية ، ولكن عندما قررنا أن نتوجه إلى حديقة (تشيبالتيبيك) اكتشفنا أننا كنا وصلنا إلى الضاحية الجنوبية من المدينة . وأشار لنا السائق الذي لا يعرف من الانجليزية إلا بضع كلمات يقولها ويترك الباقي لذكائنا ، أشار إلى منزل بسيط بنوافذ قاتمة وبوابة متجهمة ، يبعد قليلا عن الشارع ، وقال :

- تروتسكي .

وأشار إلى رقبته ، وأخرج صوتا لا يمكن كتابته ، قصد به الذبح ، وبالنسبة لنا كان هذا كافيا لأن نعرف أن المنزل الكئيب كان مسكنا للزعيم الثوري الروسي « ليون تروتسكي » الذي لجأ إلى المكسيك في الثلاثينيات ، وبقى هناك حتى قتل اغتيالا عام ١٩٤٠ م .

وحاولت أن اطلب من سائقنا زيارة المنزل التاريخي ، إلا أن لغة السائق الانجليزية وقفت حائلا بينه وبين فهم ما نريد ، وحين فهم كنا قد قطعنا مسافة طويلة . وقبل أن يتمكن من إفهامنا أن العودة الى منزل تروتسكي تستلزم سلوك شوارع عديدة كنا قد وصلنا الى اطراف حديقة « تشيبالتيبيك » فعدلنا عن العودة وقررنا زيارة الحديقة .



● تاسكو : مدينة يعيش أهلها على صناعة الفضة .

في حديقة الجندب

« تشيبالتيبيك » ، واحدة من أربع حدائق ضخمة في مكسيكو سيتي ، اسمها المأخوذ من اللغة الازتيكية القديمة يعني « الجندب » . تبلغ مساحتها ٧٩٤ هكتارا ، وبها ٦ متاحف ، وأربع بحيرات ، إحداها طبيعية يرتادها في العادة هواة رياضة التجديف ، وبها أعلى نافورة في المكسيك ، وبها أيضا حديقة حيوان . واشار السائق إلى حديقة الحيوان ، وقال عدة كلمات تبينا منها كلمتي « ازتيكو » « وموكتزوما » . وقد بدت الأولى وكأنها اسم إحدى شخصيات أفلام الكارتون ، أما الثانية فلم توح لي بشيء . لم أجهد نفسي بسؤاله عما يقول ، حتى لا أضيع معه في دوامة ، لا أفهم منها شيئا ، فسجلت الكلمتين ، لأعود إليهما وأسال أهل العلم المكسيكي عما تعنيان .

ولكن بينما نحن في طريقنا إلى تلك العمارات الشاهقة ، مررنا بحي تلفت النظر فيه الشوارع العريضة وساحات الخضرة التي تمتد فاصلة بين اتجاهي الشارع النظيف ، والأشجار العالية التي تحف بجانبي الطريق المتفرع إلى طرق لا تقل عنه نظافة وجمالا . ووقفنا لنتأمل بذهول المنازل والأبنية التي تذكر بحدائقها الواسعة وهندستها الغريبة الفخمة ـ بمنازل نجوم « هوليوود » وغيرهم من أثرياء العالم في أحياء « بيفرلي هيلز وبيل اير » قرب لوس انجلوس . وبأقل قدر من الكلمات ، وأكبر قدر من الإشارات سألنا السائق عن اسم هذا الحي الراقي فأجاب بعد لأي : ـ لاز لوماس



وواصل زميلي المصور التقاط صور « للفلل » الأسطورية الهندسة ، ولفت نظرنا - زميلي المصور وأنا - منزل شرقي الطراز ، بإطارات نوافذه الخشبية ، وأبوابه المنمنمة ، والقرميد الذي يعلو سطحه . وأمام المنزل وقفت عدة سيارات قديمة الطراز ، من أشهر « الماركات » في العالم إلى جانب السيارات الحديثة .

وقرأنا على اللوحة التي علقت على البوابة الخارجية « ميغيل ابيد » . وبينما كنا نقرأ الاسم اندفع السائق إلينا مبتسما وهو يقول : ليبانون .

فميغيل ابيد هذا ينتمي للجالية العربية التي تضم العديد من اللبنانيين والفلسطينيين والسوريين الذين يقدر عددهم بنحو ٨٠ ألفا ، ومعظمهم يسكنون في أماكن غير بعيدة عن هذه المنطقة الثرية . وقد عرفت أن هؤلاء يتميزون بحضور على المستوى الاجتماعي والتجاري ، ولكن ليس على المستوى السياسي . . لا بأس !

وحاولت أن أتعرف على الاسم العربي « لميغيل ابيد » هذا ، فلم أجد غير « ميشيل عبيد » . . ربما !

رحلة إلى عالم الأزتيك :

كان سائقنا شخصاً لطيفاً بسيطاً ، يدعى « بانتشو » ، وهو اسم يطلق للتحبب على كل شخص يدعى فرانسيسكو بالمكسيك . وكانت جولتنا معه على مدى يومين ممتعة ، فقد كان يعرف المدينة جيداً ، لكن لغته الانجليزية لم تساعدنا بأكثر مما ساعدته . وناقشنا الأمر - زميلي المصور وأنا - واتفقنا أخيراً على أن سائقاً يعرف المدينة معرفة بسيطة ، ويعرف لغة انجليزية جيدة أفضل من سائق يعرف المدينة جيداً بلغة انجليزية سيئة . وكان لا بد لنا أن نودع صديقنا الطيب « بانتشو » ، لنبحث في زحام المدينة عمن يتحدث انجليزية جيدة ، وكان ذلك صعباً حقاً .

باختصار ، عثرنا على سائق ودليل سياحي خاص ، عاش في كاليفورنيا عدة سنوات ، يتحدث الانجليزية بطلاقة ، بل ويغني ، ويقول النكات بها ، ولا تبدو لكنته المكسيكية واضحة خلال الحديث إلا عندما يحاول أن يتحدث بلكنة أمريكية سليمة .

قلنا لبيدرو ، دليلنا الجديد : إننا عرفنا ما يكفي عن مكسيكو سيتي الحديثة ، وإننا الآن نريد أن نعرف شيئاً عن المدينة القديمة ، فقال :

- إذن هيا بنا إلى (تسوكالو) .

وتوجهنا نحو مترو الأنفاق الذي لم يكن بعيداً خرجنا من باطن الأرض إلى ساحة تسوكالو :



● باعة ومشترون قرب أهرام تيوتيهواكان .

مساحة واسعة منبسطة ، مبلطة بالحجارة ، يتوسطها علم فوق سارية ، انبثقت من وسط قاعدة اسمنتية . وأخبرنا بيدرو أن هذه الساحة تسمى أيضاً ساحة الدستور . أما تسوكالو فتعني القاعدة ، وذلك نسبة للقاعدة التي حملت العلم . وكان من المفترض أن يرتفع فوقها نصب تذكاري ، إلا أن الخلافات السياسية حالت دون ذلك ، فاكتفي بالعلم الذي بقي يتوسط أضخم ساحة في مدينة مكسيكو ، وواحدة من أكبر الساحات في العالم .

على امتداد الضلع الغربي للساحة قامت كنيسة هائلة الحجم ، يمكن للناظر إليها أن يتبين أن عدة طرز هندسية استخدمت في بنائها ، من بينها طراز الهندسة الإسلامية التي أحضرها الغزاة الأسبان معهم إلى هذا الجزء من العالم ، عندما اكتشفوه عام ١٥١٩ ، فقد كان ذلك بعد خروج العرب من الأندلس بسنوات قليلة . ولأن بناء الكنيسة ، وهي الأضخم والأهم في المكسيك ، استغرق قرنين من الزمن ، فقد استخدمت في بنائها كل هذه الطرز الهندسية . وعلى امتداد الضلع الشمالي قام بناء مفرط في الضخامة ، ببواباته المقوسة ، وساحاته الواسعة ، المختفية

خلف جهامة المبنى الكبير ، وأعمدته التي حملت ثقل البناء . وفي الساحة الرئيسية للمبنى أقيمت أول مصارعة للثيران في نصف الكرة الغربي . فهذا البناء الكبير هو القصر الجمهوري . وقد أقيم فوق أنقاض قصر الملك « موكتزوما » ، أحد أعظم ملوك « الأزتيك » . وعلى الفور تمكنت من حل لغز الكلام غير المفهوم لسائقنا الطيب السابق « بانتشو » ، وسألت دليلنا بيدرو إن كان يعني أن الغزاة الأسبان وجدوا المكان أنقاضاً ، فبنوا القصر مكانه ، فأجاب بالنفي ، وأعاد مؤكداً كلماته ، بأن الكابتن « هرنان كورتيس » الذي فتح المكسيك أمر بتدمير قصر الملك موكتزوما الذي كان تحفة معمارية رائعة ، وبني فوقه هذا القصر البشع . ونظرت إلى وجه بيدرو ذي السمات المغولية الذي يعني أنه ينحدر من سلالة تنتمي لسكان البلاد الأصليين ، نظرت إلى القصر الذي لم يبد لي بشعا جدا ، وقلت لنفسي : إننا بدأنا ندخل عالم المكسيك القديم ، عالم حضارات المايا والازتيك والتراسكيون والتولتيك والأولميك والتيوتيهواكان . تلك الشعوب القديمة التي سكنت أرض المكسيك ، وأقامت فيها الحضارات العظيمة ، والتي ما زالت آثارها قائمة حتى اليوم ، تشهد على مدى التطور الذي وصلت إليه ، قبل أن تدهمها ، « اللعنة البيضاء » التي جاءت مع الغزو الأسباني الوحش ، ممثلاً بواحد من أكثر رجال التاريخ قسوة ، وهو هرنان كورتيس ، فقد قطع أيدي رسل السلام الذين أرسلهم إليه ملوك « الأزتيك » ، وقتل الأسرى ، ومثل بجثثهم ، ليدخل الرعب في قلوب شعب لم يكن مستعداً لمواجهة هذا النوع من الحضارة « المتوحشة » ، ولا هذا النوع من الرجال القساة الشرسين .

وانتزعني السائق بيدرو من تأملاتي ، وأخذني نحو موقع مربع ، أشبه بنافورة مياه ضحلة . ولكنني عندما تأملت ما في داخله رأيت مجسماً لمدينة كاملة ، بأسواقها وقصورها وجامعاتها



● زوجان يتسولان معاً : مشهد يتكرر بالمكسيك . وفي الصفحة المقابلة زبون أسلم قدمه مطمئناً لماسح الأحذية .





● هرم الشمس في تيوتيهواكان .

وملاعبها ومعابدها ، وأبنيتها ذات الحواف المربعة المدرجة بهرمية مزخرفة .

وعلى مسافة غير بعيدة من المجسم ، أحاط سياج حديدي ضخم بقطعة كبيرة من الأرض ، قامت على جوانب رقعة أقل انخفاضاً . وتوجهنا نحو الموقع الأثري ، في حين اختفى عنا زميلي المصور الذي جذبته الساحة الضخمة التي غصت بالمتفرجين والسياح والباعة والمتسولين والمغنين والفرق الموسيقية ورجال الشرطة والعشاق والمصلين والمتسكعين ، في مهرجان عفوي ، ملأ فراغ الساحة الشاسعة .

أهرامات ليست للموتى :

أبنية هرمية مربعة الأضلاع ، تداخل بعضها ببعض ، بألوان مختلفة ، غلب على أكثرها الأحمر القرميدي والأسود الناري ، فصلت بينها ممرات للعابرين ، وكان من السهل تتبع صف من الحجارة بشكل يعطي إيحاء بالتلوي ، وقد انتهت برأس ثعبان ، وهو حيوان مقدس عند الأزتيك يرمز للخصب . ومن بين الجدران المتداخلة بفنية عالية بدت قنوات الصرف التي تمثل نظاماً للمجاري متقدماً إلى درجة كبيرة ويشي بماض حضاري متطور ، كان يوماً ما ، في هذه البقعة من الأرض . أما الجدران المختلفة الألوان والأرضيات ، فتمثل طراز الهندسة الأزتيكية التي تقوم على بناء معبد أولا ، ثم توسيعه كل ٥٢ سنة ، وهي بالنسبة لهم مدة دورة الطقوس ، وهنا وهناك انبسطت ساحات مرتفعة كانت تستخدم لأداء الطقوس في المعابد التي كانت تقوم هنا في زمن غابر .



● نصب الاستقلال بالساحة التي حملت اسمه .

وأشار لي بيدرو إلى حجر ، يشبه شاهد قبر ، وقد انتصب بشكل طولي في إحدى الساحات الصغيرة المرتفعة ، وعلى مسافة قريبة منه قامت قطعة مستطيلة من الاسمنت ، تشبه سريراً حجرياً ، وبدأ يشرح كيف كان الأزتيك يحضرون الضحية التي يريدون تقديمها للآلهة ، وهي عادة من الأسرى الشبان الأقوياء،ويقذفون الضحية بقوة من الأعلى ، فوق الحجر المنتصب وسط الساحة ، ليكسر ظهره ، ثم يأخذونه ويمددون جثته فوق السرير الحجري الرهيب ، ليشق صدره ، ويستخرج قلبه الملتهب حرارة لتقديمه لإله الحرب الذي كان هذا معبده .

ولكن هذا ليس سوى الجزء العنيف من حضارة الأزتيك العظيمة ، فهناك جوانب كثيرة مشرقة .

كما أن الأزتيك ليسوا أعظم الشعوب التي أقامت حضارة لها في المكسيك ، أو ما يعرف بوسط أمريكا ، بل كانوا من آخر هذه الشعوب . وقد حكموا المنطقة الوسطى من المكسيك التي تقوم عليها العاصمة وضواحيها والمدن القريبة منها ، وكان هؤلاء متقدمين في الطب والهندسة والرياضيات وهندسة الري والمجاري ، كما عرفوا عدداً كبيراً من المنتجات الزراعية ، مثل الكاكاو والباباي والأفوكاتو والتبغ والقطن والطماطم ، و ٢٠ نوعاً من الفلفل الحار ، كما عرفوا الذرة بألوان مختلفة ، كالأبيض والأصفر والأسود والأزرق والبنفسجي وغيرها من الألوان . وكانوا متقدمين في الطب بما في ذلك معرفة بعض أمراض القلب ومداواتها . وفي الفلك كان باستطاعتهم التنبؤ بوقوع خسوف قبل ٥٠٠ عام ، أما في الهندسة فقد تمكنوا من صناعة اسمنت من نوعية جيدة ، ما زال موجوداً حتى الآن . وكان بإمكانهم البناء في الأراضي السبخة وذلك بأن يغرسوا أعواد الخشب في الأرض الطينية اللينة ، ثم يملأوا ما بينها بالحجارة الصغيرة ، ثم يعبئوها بالاسمنت ، قبل البناء فوقها ، وهذه الطريقة تشبه ما يستخدم اليوم في البناء ، ولكن باستخدام قضبان الحديد بدلاً من الخشب ، أما الأرضيات التي ذكرنا أنها تمثل الدورات الطقسية المختلفة لهذا الشعب ، فقد كانت تصنع من الرخام . ويقال : إن الأسبان عندما أتوا إلى هذا المعبد كان البلاط ما زال يلمع نظافة ، فما كان من كورتيس إلا أن أمر بتدميره ، وبدأ بإنشاء مدينة جديدة فوقه . ووئدت مدينة ذات حضارة متقدمة ، ظلت كذلك حتى عام ١٩٢٧ ، عندما كانت شركة كهرباء المكسيك تقوم بحفرياتها لتمديد أسلاك الكهرباء ، فعثر العمال على حجر عليه نقوش ، فأوقفوا حفريات التمديدات ، وبدأت حفريات البحث عن الآثار . وما فعله كورتيس في مكسيكو كرر فعله في مدن الأزتيك والمايا وحضارات المكسيك

القديمة المختلفة ، فهذا المغامر القاسي لم يكن يهتم بالحضارة ، بقدر اهتمامه بالثروة ، ولم تكن تلفت نظره التحف الهندسية ، كما تفعل به صفائح الذهب . فعل هذا في طول البلاد وعرضها ، وما لم يفعله هو قام به من بعده الرهبان ورجال الدين المسيحيون الذين اعتبروا هذه المعابد الجميلة رمزاً للوثنية يجب تدميرها ، فدمروا المعابد ، ودفنوا التحف المعمارية ، وما لم يتمكنوا من دفنه بنوا فوقه القصور والقلاع والكنائس ، وعندما زرنا مدينة تولولا لمشاهدة أكبر هرم في العالم - من حيث الحجم وليس الارتفاع - لم نتبين ملامحه في البداية ، فقد بدا لنا



● دار الأوبرا في وسط نيومكسيكو .

تلة ضخمة ، بنيت فوقها كنيستان ، إذ أشاع الرهبان حينها أن من يدمر أثراً وثنياً له الجنة . لذا فإن من المحتمل أن يكون تحت كل كنيسة في المكسيك الآن أثر من حضارة قديمة .

الشمس الخامسة :

لقد شاهدنا معبد الأزتيك ، فماذا عن أهراماتهم ؟

لنفاجئك عزيزي القاريء بالقول إن ما يعرف بأهرامات الأزتيك التي تشاهد صورها ليست في الواقع أهراماتهم ، فاسمها الحقيقي هو أهرامات « تيوتيهواكان » ، كما أن اسم الأزتيك يطلق خطأ على حضارة اسمها الحقيقي« مكسيكا». وتيوتيهواكان اسم لهذا المكان الذي يقع شمال مدينة مكسيكو ، وللشعب ، وللحضارة التي قامت هناك . ولكن لأن اسم الأزتيك هو الشائع فإننا مضطرون لاستخدامه .

من بعيد تبدو أهرامات « تيوتيهواكان » مثل تلال هائلة ، وضعتها يد عملاقة في ذلك الوادي المشجر الفسيح ، وغادرتها لتبقى شاهداً على وجود كان هناك قبل أن يبيد . وكلما اقتربت منها بدت التفاصيل تنبيء عن حياة إنسانية متحضرة ، كانت يوماً ما ، تقوم في هذا الوادي العظيم ، الأدراج الحجرية التي تصعد مخترقة ضلع الهرم المربع صعوداً نحو قمته ، والقواعد المتعددة للهرم التي أعطته شكله المتدرج ، تزيل عنك الانطباع الأول بأنك تشاهد تله ترابيه ، وتعرف أنك دخلت إلى رحاب حضارة متطورة .

في « تيوتيهواكان » هرمان ، هرم الشمس وهرم القمر .

تقول الاسطورة : إن الشمس الرابعة أشرقت في تيوتيهواكان ، بعد أن انطفأت الشموس الثلاثة السابقة ، وعندما ماتت تلك الشمس ومات معها الناس ، سئمت الآلهة التي لم تعد تجد من يقدسها ، فاجتمعت في « تيوتيهواكان » ، واتفقت على أن تتحول إحداها إلى شمس



● في ركن بحديقة « ألميدا » وقف الفنان يقلد السياسيين المكسيكيين .

والأخرى إلى قمر ، وأقيمت محرقة عظيمة ، فتقدم الإله الفقير الشجاع « ناناواتزن » وألقى نفسه في النار دون تردد ، فتحول إلى شمس ، أما تيكتز يتكاتل ، الإله الغني الذي كان يتباهى دائماً بشجاعته ، فقد تردد قبل أن يلقي بنفسه في المحرقة ، فتحول إلى قمر شاحب ، شعاعه انعكاس لشعاع الشمس ، ومن هنا جاء اسم الهرمين ، أما اسم المكان فيعني « حيث يصبح الرجال آلهة » .

لم تبن شعوب المكسيك القديمة أهراماتها لدفن الموتى ، كما فعل الفراعنة ، فقد كان هؤلاء يدفنون جثث موتاهم في حفر عميقة جداً ، أو يحرقونها ، بل بنوا أهراماتهم باعتبارها معابد تقام فيها الاحتفالات . وفي بعض هذه الأهرامات تقدم القرابين ، وليس من الضروري أن تكون القرابين بشرية على الطريقة التي ذكرناها سابقاً .

في مجمع المعابد هذا يقوم العديد من المباني والانشاءات التي كانت مساكن لرجال الدين ، أو معابد لآلهة ، مثل معبد « كواتزكواتل » ، وقصر « كواتزلبابالوتل » وغيرها . كما تحيط مجموعة من هذه الانشاءات المدرجة التي ما زال بعضها يحمل الاسمنت نفسه الذي استخدم قديماً في بنائها . وتوازي هذه الانشاءات الحجرية ما يعرف بطريق الموتى الذي سماه كذلك الأزتيكيون ، وهم آخر شعوب المكسيك القديمة في هذه المنطقة ، فعندما اكتشفوا هذا الموقع وجدوا عظاماً بشرية على أطراف الشارع الذي يمتد في مكان ما ، بين الهرمين ، بطول ٤ كيلو مترات ، وعرض ٤٥ متراً ، فأطلقوا عليه اسم طريق الموتى .

وأقام الأزتيك بدورهم حضارتهم العظيمة ، بنوا الأهرامات ، وأقاموا المعابد والقصور ، ووصلوا ذروة أخرى من ذرى التطور الحضاري

المكسيكي . حتى وصل الكابتن « هرنان كورتيس » قادماً من العالم القديم .

غروب الآلهة المكسيكية :

حاول « موكتزوما » ـ وهو اسم لعدد من ملوك الأزتيك جاؤا بعد موكتزوما الأول ـ استرضاء القادم الجديد ، فلم يرض ، وحاول عقد سلام معه فلم يقبل ، وحاول مقاومته فلم يفلح ، وبدأت حروب « كورتيس » والمغامرين الذين كانوا معه ضد هذا الشعب المتحضر ، لكنها كانت حضارة لم تضع في حسبانها مواجهة الرجل الأبيض . ويقول المؤرخ « أجناسيوبرنال » : « إن رقة حاشية موكتزوما وكرمه وقدريته دفعته إلى ما أبداه من قلة العزم والضعف ، أمام كورتيس . لقد كانت أهم مزاياه وخيمة عليه ، وعلى امبراطوريته » . وفي مشهد درامي رهيب أخذ محارب شجاع من الأزتيك سيف الإله « هوتيزوبليوتشتيلي » الذي تقول الأساطير : إنه السلاح الذي لا يقهر ، وخرج وحده ليبيد الغزاة الأسبان . ويقول الرواة : إن الأسبان عندما صعدوا إلى أعلى البرج وأطاحوا بالأوثان في القاعة الكبرى التي يوجد فيها الإله « هوتيزوبليوتشتيلي » وجدوا كورتيس والشاب يهاجمان الإله . وبينما كان كورتيس يلتقط قناع الإله الذهبي ، كان الشاب يقطع رأس الإله الذي كان يعبده منذ زمن قريب : فلم يكن ذلك زمن الآلهة القديمة ، بل زمن غروبها عن أرض المكسيك ، بعد أن عجزت عن الدفاع عن عبادها .

وتلا الغزو العسكري ما يعرف بالغزو الروحي الذي كان أصعب بكثير منه ، فشعب له مثل هذه الحضارة لا يمكن انتزاعه بسهولة من ديانته ، وإدخاله في دين جديد ، لكن الرهبان الأسبان كانوا مصممين ، ولم يكن يهمهم على ما يبدو أن يكون الداخلون في الدين الجديد مؤمنين به حقاً ، فلم يتورعوا عن « التوليف » بين ديانة السكان القديمة والدين الجديد ، ليسهلوا الأمر على السكان « الوثنيين » .

ومن أبرز الأمثلة على ذلك التوليف أسطورة « تونانتسيتلا » ، وهي في الأصل إلهة محلية ، كان الهنود الحمر يعبدونها في مدينة تشولولا التي تقع إلى الشرق من مكسيكو سيتي . وقد كانت هذه الإلهة دموية قاسية ، لذا كان السكان يرهبونها ، ويخشون بطشها ، وكانوا يأتون إلى مزارها زحفاً على ركبهم من شدة الرعب . وعندما فشل الرهبان في إقناع هؤلاء بترك عبادتها ، وصلوا مع السكان إلى حل وسط ، إذ قالوا لهم : إن هذه الإلهة هي في الواقع قديسة مسيحية ، تسمى القديسة « تونانتسيتلا » ، فاقتنعوا ، لكنهم ظلوا يرهبونها ، بل بقي بعضهم إلى وقت قريب يأتون إلى الكنيسة المسماة باسمها زحفاً على ركبهم ، كما كان يفعل أجدادهم الوثنيون .

وتوجهنا إلى كنيسة القديسة « تونانتسيتلا » ، ولكن ليس زحفاً ، بل بالسيارة ، وفي الداخل لاحظنا أن جدران الكنيسة والمحراب والسقف زينت بأشكال ملونة لجميع أنواع الفواكه والخضراوات والنباتات والبهارات . ولفت الدليل نظرنا إلى أمر غريب حقاً .

أشار لنا إلى تمثال يصور دم المسيح الذي يفترض حسب الطقوس المسيحية أن يكون من العنب ، ولكن ليس في المكسيك عنب ، إلا أن الحيلة لم تُعْيِّ الرهبان ، فجعلوه من الخوخ الأحمر .

فيفازاباتا :

لكن هذه أصبحت قصصاً تروى ، فقد تحولت المكسيك بسكانها جميعاً إلى المسيحية . ومن الطريف أن نعرف أن منطقة تشولولا من أكثر المناطق تعصباً للديانة الكاثوليكية الآن . أما الكنائس القديمة فقد أصبحت مثل الأهرامات ، مزارات للسائحين الذين يتوافدون



● القبعة العريضة تحولت إلى أداة ترفيه سياحية .



● تماثيل بساحة « غواديلوبي » حيث يقال : إن السيدة مريم ظهرت لأحد الرعاة .

على المكسيك من جميع أنحاء العالم . وعلى الرغم من وجود النفط بكميات تجارية ، فان السياحة هي المورد الرئيسي للدخل في البلاد .

ومع السياحة تنتعش عدة قطاعات أخرى ، مثل الفنادق ، وأماكن التسلية والترفيه ، وكذلك المصنوعات اليدوية ، سواء الفخارية أو المصنوعات المعدنية أو الخشبية ومصنوعات السلال والحياكة والنسيج ، والمصنوعات الفضية التي تشتهر بها على وجه الخصوص مدينة تاسكو . وهناك الزراعة والمشاهد الطبيعبة التي كثيراً ما تستخدم للتصوير السينمائي ، عدا صناعات تجميعية مثل صناعة السيارات .

وفي الطريق إلى المنتجع العالمي الشهير أكابولكو ، مررنا بتاسكو الجميلة ، وبعدد من القرى التي توارت خلف مساحات من الأشجار المثمرة الخضراء ، وهي تشبه الى حد كبير قرى المكسيك التي شاهدنا الكثير منها في الأفلام الأمريكية لكنها لا تشبهها ، منازل بسيطة من طبقة أو اثنتين ، غلب عليها اللون الأبيض ، تحيط بشوارع متقاطعة ضيقة عموماً ، لكننا لم نشاهد الفلاحين الكسالى بملابسهم البيضاء وقبعاتهم العريضة ، وهم يستندون على الجدران البيضاء مفترشين الأرض الرملية تحت حرارة الشمس اللاهبة بانتظار غريب أو « غرينغو » ، ليستغلوه أو ليقتلوه ، أو ليعملوا لديه قتلة مأجورين . لم نشاهد الحلاق المتآمر أو صاحب الحانة الذي يؤوي القتلة والخارجين على القانون . وبالمقابل شاهدنا المقاهي الحديثة و « البوتيكات » والسيارات تملأ الأزقة المرصوفة.

أثناء اختراقنا المساحات بين القرى والمدن كانت تدور في ذهني صورة الريف المكسيكي ، كما رسمتها الأفلام الأمريكية على وجه

الخصوص : فرسان مسلحون ممنطقون بأحزمة الرصاص المتصلبة على أجسادهم ، والبنادق في أيديهم ، وقد اعتمروا القبعات الشهيرة ، وعلت أصواتهم وهم يهاجمون قطاراً محملا بالذهب ، أو يسلبون قافلة أو عربة ، أو يهاجمون ثكنة حكومية بقيادة ثائر من ثوارهم الكثيرين .

ولأسباب عديدة كان « ايميليانو زاباتا » هو الذي يجسد بالنسبة لي صورة الثائر المكسيكي الحقيقي ، أهم هذه الأسباب ثوريته وشجاعته ، ونظرته الثاقبة للمسألة الفلاحية في المكسيك بالنسبة لفلاح أمي مثله . لكن ما شاهدناه كان ريفاً فقيراً على الرغم من غنى الطبيعة هناك . وفي لحظة استثنائية تداخل الخيال مع الواقع ، وتحول شريط الصور الذي كان يدور في ذهني إلى ما يشبه الحقيقة . فقد ارتبط اسم الثائر زاباتا لدي بالممثل الأمريكي الشهير مارلون براندو الذي قام بدور زاباتا في الفيلم الشهير (فيفا زاباتا) .

وفي اللحظة التي كنت أفكر فيها بزاباتا ، في صورة براندو ، كنا نعبر بلدة كوارنافاكا في الطريق إلى تاسكو وأكابولكو . وفي وسط دوار المدينة الرئيسي انتصب تمثال فارس يشرع سيفاً مكسيكياً ، يشبه بلطة ، في وجه أعداء غير مرئيين ، وقد اعتمر قبعته المكسيكية العريضة السوداء ، وبذلته التي تميز بها فلاحو المكسيك . ولاحظت أن هذا الفارس يشبه إلى حد كبير الممثل السينمائي الأمريكي ، قبل أن أعرف أن هذا هو تمثال الثائر المكسيكي ايميليانو زاباتا ، فقد كان الثائر في الواقع شبيهاً بمارلون براندو . كان زاباتا يقود الثورة في هذه المنطقة بجنوبي المكسيك ، فيما كان يقودها ثائر آخر هو (بانتشو فيلا) في الشمال ، ضد ديكتاتور المكسيك بيرفوريو دياز الذي حكم البلاد ، بقبضة من حديد بين عامي ١٨٦٧ و ١٩١٠ . وكان هناك ثوار آخرون عديدون في طول البلاد وعرضها ، تمردوا ضد الديكتاتور ، في ثورة استمرت نحو عشر سنوات ، قتل خلالها أكثر من مليون شخص ، من ضمنهم زاباتا الذي قتل غدراً . لكن الثورة انتصرت على دياز ، إلا أنها لم تحقق الطموحات الوطنية للمكسيكيين ، وكانت النتيجة سقوط دكتاتورية الفرد ومجيء دكتاتورية « الحزب الثوري الدستوري » الذي ما زال يحكم البلاد منذ عام ١٩٢٩ .

الاستعمار والتعاسة

وفي أثناء زيارتي لمدينة « بويبلا » ، إلى الشرق من مكسيكو ، تحدثت مع طالب جامعة مكسيكي ، حول الأوضاع الاقتصادية المتردية . وتحدث الطالب الذي يدرس الاقتصاد في جامعة بويبلا ، وهي من أهم مدن المكسيك وأكثرها ثقافة وعلماً ، عدا عن أنها مهد الثورة المكسيكية التي انطلقت من هذه المدينة المهمة . تحدث الطالب عن ثروات المكسيك الضائعة ، وأشار الى قوة نفوذ الجار الشمالي الذي يلقي ظله على المشهد المكسيكي بأكمله ، وعرج بالحديث على تاريخ المكسيك الذي لم يخل من الاضطرابات الدموية ، منذ كانت المكسيك تسمى أسبانيا الجديدة ، وحتى الاستقلال الذي تحقق عام ١٨٢١ . ولكن ما لم يتحقق هو الاستقرار ، فقد تدخل الانكليز والفرنسيون ، واقتطعت الولايات المتحدة حوالي نصف الأراضي المكسيكية . فمن المعروف أن تكساس ونيومكسيكو ونيوكاليفورنيا كانت كلها مكسيكية حتى فبراير عام ١٨٤٨ . وفي ذلك التاريخ تم توقيع معاهدة غواديلوبي التي تنازلت بموجبها المكسيك للولايات المتحدة عما يعادل نصف التراب المكسيكي ، مقابل ١٥ مليون بيزوس مكسيكي ، تدفعها الولايات المتحدة تعويضاً .

ويخرج محدثي زفرة ألم ، ويقول : في بداية القرن الماضي انتشرت أغنية تقول : « يا أحبائي الوطنيين ، إن الحرية بين أيديكم ، فإن لم تزيلوا النير الأسباني فستظلون تعساء إلى الأبد » . لقد أزلنا النير الأسباني ، لكننا ما زلنا تعساء . □

أعطنا أخباراً

أيها المذياع

قصة بقلم : محمود الريماوى

أجلسُ متأهباً متيقظ الذهن استعداداً لسماع الأخبار . أبي يشاركني الجلسة والتهيؤ . لافكاك من الأخبار إلى يوم القيامة . إنني أتبارى وأبي في الإصغاء المركز الذي لاتفوته شاردة ولا واردة . لقد ورثت هذه العادة عن أبي ، أما جدى لأبي فقد أدركته هذه العادة في وقت متأخر ، بعد سقوط فلسطين واكتشاف المذياع ووصوله إلى قريته ، ولاشك أن المذياع قد قطع طريقاً طويلاً قبل أن يصل إلى هناك .

إذن توارثنا ذلك أباً عن جد . وهاهو ابني الصغير إلى جانبي ، وسيأتي يوم وتدركه العادة كما أدركت أسلافه . ما أن أدخل البيت حتى تقع عيني على المذياع ومنه إلى الساعة ، فهما متلازمان . أثبِّت المؤشر على المحطة المطلوبة ، وأغلق المفتاح كيما يكون المذياع جاهزاً للاستعمال حين تحين ساعة النشرة . وفي بعض الأوقات حين تعز الأخبار وتقل . أوحين لايكون الوقت وقت تقديم أخبار فإنني أستنطق المذياع ، أحرك المؤشر على اللوحة كلها ، متنقلا من محطة إلى أخرى ، ببطء شديد وتركيز أشد ، مع تجريب الموجات الثلاث القصيرة والطويلة والمتوسطة ، ولابأس من المرور على موجة « إف . إم . » ، وأنا كلي آذان كما يقولون ، وإن لم يسعفني المذياع بموجز ، فلا بأس من تعليق سياسي .

مضى على أبي في ذلك نصف قرن ، خمسون من السنين ، وعليَّ ثلاثون . مذياع بالكهرباء ، وآخر بالبطارية ، وثالث « عطلان » ، لكنه قابل للإصلاح عند الاقتضاء . مواعيد نشرات الأخبار في سائر المحطات نحفظها عن ظهر قلب . وسماع نشرة الثانية والنصف من محطة العدو « الاسرائيلي » مثلاً لاتغني عن سماع نشرة لندن في الثالثة . خلال نصف ساعة تحدث أشياء عديدة ، ومياه وفيرة تمرُّ تحت الجسر . صحيح أنه لم يحدث شيء طيب خلال خمسين عاماً ، لكن هذا الشيء الطيب يمكن أن يحدث خلال نصف ساعة ، من يدري . وأنَّى لنا أن نعرف أن هذا الشيء قد حدث أو لم يحدث ، إن لم نترك كل شيء بأيدينا ، ونرخي آذاننا لسماع نشرة الأخبار خبراً خبراً ؟ وبالطبع يجب أن يسكت الأطفال .

وبما أنهم غير قابلين للصمت يجب عليهم أن ينصرفوا ، ومعهم الزوجة والأم ، إلا إذا التزمتا بالصمت في حضرة الأخبار ، وذلك أمر ليس بالمضمون دائماً . المرأة تتحدث ، إذن هي موجودة . أما أن تسكت فذلك افتئات على حقوقها الطبيعية مرعب الإجراء .

إن الاستماع إلى النشرة أمرُ غاية في الأهمية والجدية ، ولاشيء هناك يفوقه أهمية وجدية . وفي العادة فإن لاشيء ذا بال يحدث أثناء ذلك

(وبالأحرى ممنوع أن يحدث أي شيء) ويصرفنا عن سماع الأخبار ، وبدرجة صوت متوسط نلتزم بها بدقة ، وأي درجة أعلى تحدث طنيناً وبلبلة ، وأي خفض في الصوت يسبب ضغطاً على الرأس نتيجة الحاجة إلى مضاعفة درجة التركيز . وكل نشرة نسمعها كأنما هي الأولى ، كأننا لم نكن هنا ، ولم يأتنا المذياع بأخبار من قبل . ربما سمع أبي حتى الآن ربع مليون نشرة ، بينما استمعت أنا إلى مائة ألف منها فقط ، لكن هذه الأرقام ليست بذات أهمية على أي وجهٍ من الوجوه ، إنها مجرد أرقام . فكل يوم يحمل جديداً قد يجبُّ ما قبله ، بل كل ساعة . الأخبار لا ذاكرة لها ولا رجعة لها ، إلا في حدودٍ ضيقة مؤقتة ، لذلك يجلس الواحد منا ويسمع الأخبار ، وفي خاطره أنه لم يسمع خبراً من قبل ، أو أنه سبق أن سمع استهلال « الخبر » ولم يسمع بقيته . أو يمكن التعبير عن ذلك بالقول إننا لما نسمع بعد الخبر المنتظر ، صحيح أنه كانت هناك ، في يوم من الأيام في سنة من السنين ، أخبار فائقة الأهمية في حينها ، كأخبار الحروب ، لكنها مضت وانقضت كفقاعات من الهواء . والذاكرة هنا تقوم ، وربما بطريقة إرادية متعمدة ، بوظيفة تعاكس وظيفتها الأصلية ، حيث يجرى المسح والمحو أولاً بأول . وذلك من أجل أن يبقى الذهن حياً حاضراً نضراً إذا أمكن ، ولأجل استقبال الأخبار بأكبر قدر من التركيز . والحال إننا لانسمع الأخبار سماعاً ، إننا نتشربها ، ونمتصها كلمة كلمة ، ونخضعها أولاً بأول للفحص والتمحيص والتقليب . مثلاً : أدى اقتحام فرقة من حرس الحدود « الاسرائيلي » لقرية نحالين ، قرب بيت لحم ، إلى سقوط سبعة قتلى وعشرات الجرحى . إذن هناك اقتحام ، وليس هناك اشتباك مع دوريات وحرس الحدود غير الجيش ورجال الشرطة ، ولذلك معناه ، فأفراد هذا الحرس يتألفون في معظمهم من دروز وبدو وشركس ،ونحالين التي سبق أن اقتحموها عام ١٩٥٤ هي غير رفح والدهيشة ورام الله . وسقوط العدد الكبير بين قتلى وجرحى في عملية اقتحام ، يعني أن هناك خسائر وأضراراً فادحة مرافقة وأجواء من رعب وفظاعة ، وهذه المذبحة ستولد ردود فعل مضادة ، إلى آخره . وأخبار مثل هذه تدفعني إلى التدخين ، بينما أبي يهز رأسه ويغمغم ويحرك راحتي يديه . ولا يلتفت بعضنا إلى بعض . فمن شأن ذلك فتح ثغرة في مجال التركيز . كل منا يتلقى الأخبار ويحيلها إلى معمله الخاص . لكن الجلسة المشتركة ضرورية ، فكل منا يرى في الآخر شاهداً موثوقا على ما سمعه ، ومراقباً دقيقاً يجري الاحتكام إليه ، عند حدوث أي التباس ، ناهيك عن الحاجة لتبادل الخلفيات المقتضبة بعد انتهاء النشرة . ومن أسوأ الأخبار تلك التي لاتحمل جديداً عن نشرة سابقة . وفي بالنا أن كل محطة عندما تهيىء أخبارها ، فإن موظفيها يستمعون إلى نشرات المحطات الأخرى كيما يضيفون جديداً . أما إذا لم يضيفوا شيئاً فكان أحرى بهم أن لايزعموا أن لديهم نشرة أخبار حقاً . الأخبار القديمة ، بما في ذلك التي قيلت قبل نصف ساعة ، ليست أخباراً ، بل ترديداً بليداً للماضي . أما أسوأ ما يمكن أن يحدث فهو أن يفاجئنا أحد بإبلاغنا خبراً لم نكن قد سمعناه بالمذياع ، مثل منع سكان مدينة أريحا من السفر . قد يبدو الخبر عادياً ، ولكن طالما أنه فاتنا سماعه فقد يمكن أن تفوتنا أخبار أخرى أكثر أهمية . من أين أتيت بالخبر ؟ سمعته . متى ؟ في نشرة الثانية عشرة والنصف . آه ، لم نكن في البيت ، كنا في السيارة . ألم يكن مذياع السيارة مفتوحاً ؟ لا ، كنا خارج السيارة آنذاك . إذن فإن كل هذا الحرص على سماع الأخبار لم يمنع عدم ادراكنا لبعضها ، ومع ذلك يأخذ بعض الناس علينا مغالاتنا في الحرص على سماع النشرات في مواعيدها . وبالمناسبة ، فإنه من المصادفات غير الطيبة أن يحل علينا زائر أو ضيف لدى حلول موعد النشرة ، أو قبل ذلك بقليل ، فذلك يعني ببساطة أن نحرم من سماع

النشرة ، وأن نظل خارج الصورة . فمن مألوف عاداتنا أن ننصرف للاهتمام بالزائر بكل جوارحنا ، وندع أي شيء قد يصرفنا عنه ، بما في ذلك ـ ويا للأسف والسخرية ـ نشرات الأخبار تلك ، وإن لم نفعل فإن استقبالنا لايكون بالنسبة إليه ـ أي للضيف ـ لائقاً أو كريما ، غير أن المرء لايعدم وسيلة لحسن التخلص إذا ما نوى ذلك . والذي يحدث هو أن أنسحب أنا إلى الداخل ، بعد الاستئذان ، مع مصارحة الزائر بأنني أفعل ذلك لا لشيء ، وإنما لسماع نشرة الأخبار التي حان موعدها ، فيبادر أبي مثنياً على طلبي ، ويطلب مني طالما أنني استأذنت وانسحبت أن أستمع إلى النشرة ، وتلك التي تليها في محطة أخرى ، نشرة الرابعة والنصف ، ثم الخامسة ، مثلا . ثم يأخذ في مضاعفة اهتمامه وترحيبه بالزائر لكي ينسيه أمري ، ولا يخلو الأمر من منغصات ، كأن يستخف الزائر بالمسألة ، مؤكداً أنه ليس هناك من أخبار جديدة ، وكلها أخبار تافهة ، والحال متردية ، ودليله على ذلك أنه قرأ الجريدة في الصباح ، ولم يعثر فيها على خبر يبل الريق . يقول ذلك ونحن في الرابعة والنصف مساء ، فتصوروا !

لقد صادفنا أبي وأنا (العربية لا تسمح بصيغة : أبي وأنا . الأصح لغوياً : أنا وأبي ، لكن دواعي الاحترام تتقدم على موجبات الالتزام بالقواعد اللغوية) ، صادفنا أشخاصا كثيرين ، وبعضهم على درجة عالية من العلم ، ومع ذلك لا يأبهون بسماع الأخبار . فنادراً ما يسمع الواحد منهم نشرة في الأسبوع ، فضلاً عن عاداتهم الغريبة ، إذ أنهم يتبادلون الحديث مع غيرهم ، والنشرة مازالت في أولها . عندما ينصرف الزائر أحدث أبي على عجل بالذي سمعت ، لكنه لايلقي بالا إليّ ، وقد تستغربون ذلك بعد أن أوصاني بالاستماع ، ولكم أن تستغربوا ذلك ، وتفسيره بسيط وعلى درجة من الإقناع ، فقد أزفت الساعة السادسة ، وبإمكان أبي أن يسمع الآن آخر الأخبار بنفسه ، بدل أن يأخذ مني أخباراً قديمة ، إضافة إلى أن كلا منا يسمع الأخبار بطريقته الخاصة ، وبالتالي باستمتاع خاص ، وسماع الخبر من مصدره أهم وأفضل ألف مرة من الاستماع إليه مروياً ومنقولاً عن شخص آخر والآخر هو أنا . كما أن تفصيلا أو دقيقة صغيرة من تفاصيل الخبر ودقائقه ، قد تكون هي محوره والعنصر الجديد فيه . والراوي عادة يهمل الدقائق والتفاصيل الجانبية . وبحكم ظروفه ، فإن أبي يسمع من الأخبار أكثر مني ، فهو موظف متقاعد ، نزح من يافا إلى القدس ومنها إلى عمان ، وأنا موظف في أول العقد الرابع ، أقضي سبع ساعات خارج البيت ، ومعنى ذلك أن الفرق بيننا بحكم عامل الوقت ، لايقل عن عشر فقرات اخبارية بين نشرات كاملة ومواجيز . كما أنني بحكم السن أستطيع إرجاء الاستماع لساعة أو لساعتين ، بينما أبي يستمع للمذياع تباعا ، إذ لم يعد في العمر متسع بالنسبة إليه ، لكي يرجيء ما ينبغي أن يستمع إليه في موعده . إن صبره وقدرته على الانتظار بدأت تنفد ، والمقصود انتظار الأخبار الجديدة والطيبة . أما أنا فمازلت أتطلع إلى الغد بقدر من الأمل ، وهاهو الأمل يكبر ويتفتح وإن كان ذلك ببطء . إن الأحوال والظروف تغيرت إلى أحسن مما كانت عليه يوم كان أبي في مثل عمري ، أي قبل ربع قرن من الآن ، لكنني مدفوع لأتيقن ، يوما بيوم ، أن الأحوال هي إلى تحسن حقا ، مدفوع لسماع الأخبار . ولايمكن أن أظل مثلا أديم النظر في الحائط ، فمهما أدمت النظر فيه فلن يتكلم ، ولن يتحدث بشيء عما يجرى ، ولا الهواء الطلق يبوح لي بشيء ، إنه يثير الخواطر والذكريات فقط ، فيبعدني عن حاضر الأحداث وجريانها . والآن وبعد أن أطلت ، فإنني أريد الاقتراب من الخاتمة ، فلكل شيء خاتمة ، ولكل حديث نهاية . حدثتكم قليلاً ، وعرضنا عن أجواء البيت العائلي . والواقع أن أمي تأخذ على أبي إدمانه على سماع المذياع ، وزوجتي تأخذ علي المأخذ نفسه . تتفقان على لومنا ، وعلى المصير

الواحد الذي جمعهما ، وربما معهما حق ، ذلك أن المواظبة الدائمة على سماع الأخبار يترتب عليها فرض نظام معين في البيت . كأن لا يكون الكلام مسموحاً به دائماً ، وأن يبتعد الأطفال عنا ، والبيت صغير . وأن لانتبادل الأحاديث حول شؤون حياتنا ، وذلك هو أصعب مافي الأمر ، ولاشك أن ظلماً ما ، ليس هيناً ، يلحق بهما ، ولكن ما الذي بأيدينا لنفعله ، طالما أن قضيتنا لاتحلها سنة أو اثنتان أو عشرون ؟ غير أن الأمر لايتوقف على الزوجة والأم ، رعاهما الله . ثمة شقيقي أحمد ، رد الله غربته ، وهو يصغرني بعامين . كان يمقت الاستماع إلى الأخبار مقتا شديداً ، ولايستمع إلا للأخبار ذات الأهمية الاستثنائية . كان يرى ببساطة أننا نضيع وقتنا . لماذا يا ابني ؟ لماذا يا أخي ؟ كنا نسأله ، فيقول : لأنها أخبار غير صحيحة . كيف تكون غير صحيحة وكل المحطات تجمع عليها ؟ فيقول : إنه يقصد شيئاً آخر . ما الذي تقصده رعاك الله ؟ فيقول : إنها تترك انطباعات غير صحيحة ، لأنها أخبار ناقصة ، فهناك الكثير من الأخبار التي لاتقال ولاتذاع ، وهذه هي الأهم . هكذا كان يزجنا في متاهة من الجدل .نجيبه : إن الخبر الذي لاتذيعه هذه المحطة ، تذيعه تلك أو غيرها ، فيهز رأسه مستنكرا ، وينتهي الحديث إلى سوء تفاهم ، فيعمد إلى تبديد الغمامة بالغناء ، ونطرب لصوته ، ثم نطلب منه أن يكف ، لأننا يجب أن نسمع آخر الأخبار ، ويصمت إكراما لنا ، ولاينس قبل ذلك أن يسخر منا : « ستحملكم الأخبار إن شاء الله وأنتم على مقاعدكم إلى يافا والقدس » ، ولم يكن هذا التعليق ليحظى بإعجابنا ، لكننا نستعيده ونستحضره كلما استمعنا إلى المذياع . ويمثل الابن الأخ أمام أعيننا : طفلا لاهياً وفتى يافعا وشابا مشبوبا بالعزم والشكيمة ، يمثل أمامنا ويطوف دون أن نستطيع سبيلا لتثبيت صورته على هيئة واحدة ، عصي على القبض ، وفي حركة دائبة مؤثرة صاعدة ، يرتحل تحت كل سماء ، وتتناوب عليه الأخطار من كل صوب ، وقد انتدب نفسه على رفاقه لصناعة الأخبار الصحيحة ، شأن القابضين على جمر الوطن وما وهنت قبضاتهم .

وما أن اندلعت انتفاضتهم الأخيرة حتى بعث إلينا من يحمل منه هدية صغيرة غنية : وهي مذياع جديد بتسع موجات من إنتاج أبناء الشمس المشرقة ، وسعدنا للهدية ، وبلغتنا رسالتها ، وبتنا نفتقده أكثر وتأتينا أخباره ، حتى لم يأت المذياع على ذكره قط . وأبي يرى فيه صورة لشبابه المهدور يوم كان شابا كامل الشبوبية والاستعداد ثم حيل بينه وبين صناعة الأخبار ، فاختار دور الشاهد الحاضر الذهن المفتوح العينين ، ولقد نجحت صورة أحمد في تظهير ما تم إخفاؤه وطمسه من شباب أبي ، ومن حق أبي الآن أن يفرح ويأسى لأسبابه المعلومة ، وأن يستوطنه بلبال قديم ، يدفعه دفعاً للانجذاب إلى سماع الأخبار .

أما محدثكم الذي يشارك أباه عادة الاستماع الدائم للأخبار الدائمة ، فليس لديه ما يتحدث به عن نفسه ، وعن استفحال هذه العادة لديه ، سوى التذكير بأنه الابن البكر لأبيه ، وأنه في هذا ـ وغير هذا مما لايكتب على ورق عمومي ـ سرُّ أبيه ، وقد يزيد على ذلك بالقول : إنهم لو لم يكونوا ـ أعني إخوتكم أبناء التين والزيتون ـ يحسنون سماع الأخبار ، أكانت خرجت من بينهم جموعٌ وحشودٌ تصنع الأخبار وتجيد صناعتها ، في زمن عزت فيه هذه الصناعة الكريمة ، وازدهرت صناعات أخرى ؟ . وإذا كان الشك يخالطكم في ما ذهبت إليه ، فدعونا من كل هذا الذي نحن فيه ، وهيا بنا نلتقط الأخبار معاً ، وعلى الموجة التي تلتمسون : إن أخباراً طيبة كأخبار هذه الأيام وهذه الشهور ، ماسمعت بها إذن ولا خطرت على قلب أحد ، منذ ثلاثين أو خمسين من السنين .

ولن ينطق متحدثكم بعد ، فهذا يومُ تحدِّثُ فيه الأرض بأخبارها . □



محاور أربعة في علاج القلق

بقلم : الدكتور عبدالستار ابراهيم

لأن حياتنا المعاصرة تتسم بسرعة التبدل ، وبالتعقيد ، فلقد ازدادت حالات القلق والأزمات النفسية التي تصيب كثيراً من الأفراد ، ولذلك تعددت محاولات البحث عن علاج ، وكثرت النظريات والممارسات العملية . وهذه واحدة من المحاولات العلمية التي استندت إلى فهم نظري وممارسة عملية في علاج القلق .

لعل من الحصافة أن ننبه ـ بادىء ذي بدء ـ إلى أن العلاج النفسي للقلق لا يهدف للتخلص تماما منه ، أو من التوترات النفسية التي تقترن به . فما من معالج نفسي حصيف إلا ويدرك أن هناك قلقاً محموداً ، يعبىء الشخصية ، ويدفع للنمو الشخصي والاجتماعي ، ويتطور بها نحو الصحة والنضوج ، فالاستعدادات التي نقوم بها عند مواجهة بعض التحديات ، أو المواقف الطارئة ـ فيما توضح الكتابات الحديثة ـ يمكن اتخاذها دليلا على أن للقلق والتوتر النفسي آثاراً إيجابية . ففي مثل هذه المواقف تؤدي ثورة القلق إلى التخطيط

والتـدريب المسبـق ، وإلى الإعـداد الجيـد للمواجهة ، ومن ثم تتزايد فرص الكائن للتغلب على المخاطر التي قد تحيط به عندما يواجه تحديات لا يحسب حسابها .

العـلاج يصبح ضـرورة عندمـا تتزايـد حدة القلق فقط ، ومـا يـرتبط بـه من مبالغـات ، وانفعالات ، لدرجة قد تعطل الفرد عن فاعليته وكفـاءته في أداء وظـائفه العقلية والاجتماعيـة والجنسية ، أو تعيقه عن توظيف هذه الجـوانب بكفاءة نحو ما يرسم لنفسـه من أهداف . هنـا يصبـح التخلص من القلق ضرورة ، ويصبـح العلاج التزاما من الفرد نحو نفسه ، وهنا أيضا من الضروري أن لا يتم العلاج دون تشخيص وتقييم دقيق للظروف التي أحاطت بتولد القلق .

ثورة معاصرة

منهجنا الرئيس في العـلاج النفسي للقلق ، تطورت خطوطه العريضة من خلال سنوات من البحث والممارسة فيـما يسمى العلاج السلوكي الذي نعده بمثابة الثورة المعاصرة التي قدمها علم النفس خلال السنين العشرين الأخيرة من حياة العلاج النفسي وتطوره .

وهو منهج يتماثل من حيث تنوع أبعاده مع نظرتنا نفسها للقلق نفسه . فالقلق يرتكـز ـ في وجهة نظرنـا ـ على محـاور أربعة : فهنـاك أولا الموقف الذي يثيـره (امتحـان ، لقـاء مهم ، مـواجهة اجتمـاعية حـاسمـة ، مستقبـل يتسم بالغموض والتهديد) . ثانيا التغيرات الانفعالية غير السارة التي تصحبه ، والتي تأخذ ـ أحيانا ـ شكل تغيرات عضوية خـارجية ، أو داخليـة ، أشبه بالتغيرات التي تصيبنا في حالات الخوف ، كتسـارع دقات القلب ، والغثيـان ، وانقباض المعدة ، وصعوبـات التنفس ، وتوتـر عضلات الـوجه ، وتصلب عضـلات الظهـر ، وازديـاد « اللازمات » الحركية في الوجه أو اليدين . وثالثا الجوانب الذهنية والفكرية ، أي مجموعة الأفكار والحجج والمعتقدات التي يخـاطب الشخص بها نفسـه خـلال اختيـاره للمـواقف التي يمـر بهـا الشخص نفسه ، وتتسم معتقدات الشخص في حالات القلق بالمبالغة ، وإدراك مخاطر لا أساس لها ، مما جعل جمهور المعالجين النفسيين يصفون فكـر الشخص في حالات القلق بـاللامنـطقيـة والـلاعقـلانيـة . ورابعـا المـظهـر أو السلوك الاجتمـاعي الـذي يصف الشخص القلق في تفـاعلاتـه اليوميـة ، كـالخجـل ، والانـزواء ، والتردد ، وتجنب الآخرين .

وعلى الرغم من أن هذه المحاور تتفق فيما بينها في إبــراز الـقلق وتـعـميقـه ، وتـطويـره في الشخصية ، إلى أن يصبح سمة دائمة فيها ، فإن المـواجهة النـاجحة للتـوتر النفسي ، والعـلاج الفعال للقلق ، يجب في تصورنا أن تجسد هـذه الرؤ ية المتنوعة ، فتتجه جهودنا نحو مواجهة كل جـانب من هـذه الجـوانب الأربعـة مجتمعـة أو مفردة . ومن الصحيح أن بعض الحالات الفردية من القلق تمثل سيطرة أحد هذه الأبعاد الأربعة أكثر من الأخرى .

المواجهة والتعويد

من المعروف أن نسبة كبيرة من الناس تسير مع القـول الشائـع « ما يـأتيك منـه الـريـح سـده واستريح » ، وجـريا مـع هذا القـول يستجيب النـاس للقلق بمحاولات انسحـابية وهـروبية ، وذلـك بتجنب المواقف التي يـدركونها عـلى أنها مصدر للقلق والانزعاج . ويرتكـب الناس بهذا السلوك « التجنبي » الهروبي خطأ كبيرا من حيث لغة « الصحة النفسية » ، فهناك مـا يشير إلى أن الهروب من المشكلات يبعد الشخص عن البحث النشط للحلول الإيجابية والفعالة ، وهناك أيضا ما يشير إلى أن تجنب المـواقف التي تثير القلق ، يضيق تـدريجيا من فـرص الشخص في النمو ، ويؤدي في النهاية إلى نتيجة معاكسة ، من حيث زيـادة الاضطراب الانفعـالي والتوتـر . وبعبارة

أخرى فإن حل المشكلات بالهروب منها بدلا من مواجهتها لا يكون علاجا إلا في المواقف التي يصعب تكرار تعرض الشخص لها ، وهي غاية في الندرة . ولهذا يعد ما يسمى طريقة « التعويد habituation » التي ولجت حديثا ميدان العلاج النفسي السلوكي من أنجح الممارسات والأساليب العلاجية للقلق . ويستخدم هذا الأسلوب لتشجيع العصابي على مواجهة مواقف القلق ، إلى أن تتحيد مشاعر المريض نحو هذه المواقف ، وتتناقض استجاباته الانفعالية المتطرفة نحوها .

ويتم أسلوب التعويد إما تدريجيا أو بإطلاق الانفعالات وتفجيرها . ويستخدم العلاج التدريجي من خلال تعريض الشخص تدريجيا ، وخطوة خطوة ، للمواقف التي ندرك أنها مثيرة للقلق والخوف . وحسب رأي « جوزيف ولبي » الطبيب النفسي المعروف أن التعرض التدريجي للمواقف المثيرة للقلق - إذا ما استخدم مع أساليب أخرى كالاسترخاء العضلي - من شأنه أن يؤدي إلى تبدد القلق واختفاء كثير من مخاوفنا اللامنطقية من مواقف الحياة المختلفة . وقد أثبت « لازاروس » الذي اسهم مع « ولبي » في كتاباته المبكرة ، ثم انشق عليه فيما بعد ، أن التعرض التدريجي وحده كفيل بأن يؤدي إلى نتائج علاجية ناجحة .

القلق والانفعال الشديد

وعندما يكون القلق هو التعبير المباشر عن الانفعال الشديد ، والتوتر العضلي ، ووراثة جهاز عصبي سريع الاستثارة (المحور الانفعالي) ، فإن العلاج الطبي باستخدام العقاقير المهدئة يعد من أكثر أشكال العلاج وأكثرها انتشارا على الإطلاق . فمن شأن بعض الأدوية المهدئة أن تساعد بالفعل على تهدئة ثورة الانفعالات الداخلية . لكن العلاج بالعقاقير ليس علاجا نفسيا ، ومن المعروف أن هناك آثاراً جانبية سيئة ، كالإدمان أو الإفراط ، يمكن أن تتطور لدى المريض ، خاصة إذا لم يكن تحت إشراف طبي مباشر . فضلا عن هذا ، فإن من المعروف أن حالات القلق قد تعود حالما يتوقف الشخص عن التعاطي . ولهذا فإننا نجد أنه بالإمكان مواجهة الجانب الانفعالي من القلق بمناهج سلوكية ، من أبرزها ما يسمى منهج الاسترخاء . والاسترخاء العضلي بطريقة منتظمة (عضلة فعضلة) أصبح الآن منهجا أثيرا للتغلب على التوترات العضلية المصاحبة للقلق . إن هناك كثيراً من الأعراض البدنية المصاحبة للقلق ، أصبح علاجها الآن ممكنا بهذا المنهج ، بما فيها الصداع ، وآلام الظهر ، وخفقان القلب ، وارتفاع ضغط الدم ، وآلام الساقين والذراعين ، وغيرها من الشكاوى الدالة على التوتر العضلي والنشاط العضوي المفرط . لهذا نجد أحيانا أن مجرد الاسترخاء العادي بالرقاد على أريكة ، أو الجلوس في مكان مريح هادىء ، قليل الإضاءة والضجيج ، من شأنه أن يؤدي إلى تغيرات انفعالية ملطفة .

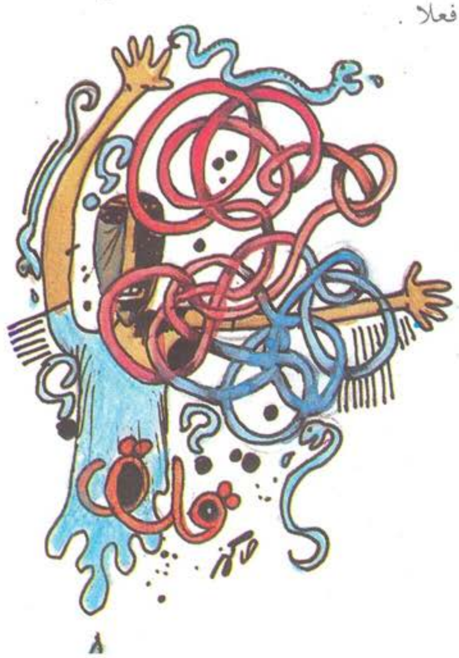
وفضلا عمّا للاسترخاء من آثار انفعالية مهدئة بشكل عام فإنه يستخدم بمصاحبة العلاج التدريجي للتغلب على ما تسببه المواقف الخارجية من توترات وصداع . وهناك ما يؤكد فاعلية هذا المنهج في علاج حالات القلق الجنسي ، كالقذف السريع وضعف الانتصاب عند الذكور ، وذلك بارخاء الأجزاء السفلى من الجسم والساقين في الدقائق الأولى السابقة للاتصال الجنسي .

وللمعتقدات الخاطئة دورها

لكن التوترات النفسية والقلق لا يمكن عزلها عن الطريقة التي يفكر بها الشخص ، وعما يحمله عن نفسه وعن المواقف التي يتفاعل معها من آراء ومعتقدات . ولهذا نجد أن « اليس » و « بيك » الأمريكيين يشيران بوضوح إلى أن القلق العصابي يعد نتيجة مباشرة للطريقة التي يفكر بها الشخص

في نفســه ، وفي الخــارج ، وليس بــالضــرورة لخصائص خارجية مهددة . لقد أطلقنا على هذا الجـانب من القلق اسم **المحور الـذهني** ، وهو محور يحظى بـاهتمامنـا ، خاصـة عندمـا يكون الشخص من النوع الذي يتميز تفكيره بالمبالغة ، وتوقع الخطر والانهيار والكوارث . ولعلاج هذا الجانب يتجه الاهتمام إلى تشجيع الشخص على التفكير بواقعيـة في الموقف ، وفي نفسـه ، وفي إمكانياته . ويقترح « مايكبناوم » ـ من كنـدا ـ قـائلا : إن من أنجـح الوسـائل للتغلب عـلى التفكير الانهزامي للشخص في حالات القلق هي أن ننبهه إلى الأفكار والآراء التي يرددها بينه وبين نفسه (المونولوجات) ، عندما يواجه موقفا يتسم بالتهديد . إن من رأي هذا العَالِم أن القلق الذي ينتابنا من المواقف المختلفة يعد نتيجة مباشرة لما نقوله لأنفسنـا ، وما نقنـع به ذواتنـا من أخطار وكوارث . ولهذا فهو يقترح منهجا ، يقوم عـلى تعديل محتـوى ما يقـوله الشخص لنفسـه ، في المـواقف التي يراهـا مهددة لنفسـه وأمنه ، وفق ثلاث قواعد رئيسية :

١) أن تقنع نفسك بأن الخوف والهلع الذي يملك مشاعرك عند التفكير فيها قد يحدث من أشياء سيئة أسوأ بكثير من الأشياء التي ستحدث فعلا .



٢) إقناع النفس بشتى الوسائل الممكنـة بأن الموقف الذي يثير مخاوفك الآن سينتهي حتما .

٣) أن تقول لنفسك : إن التخلص من كل المشاعر المكدرة والتوترات المرتبطة بالقلق تماما أمر صعب . إذ لابد أن نقبل بعض جوانب التوتـر مؤقتا .

وثمـة طرق أخـرى لمواجهـة أخطار التفكـير وتعديل الاتجاهات الانهزاميـة نحو النفس بـين القلقين . فالحوار المنطقي العاقل مـع النفس ، ودحض الأفكـار الخـاطئـة التي تثـير المخـاوف والاكتئــاب ، وتحصيـل معلومــات دقيقـة عن المواقف التي تعتقد أنها مهددة ، وتجنب التفسير السلبي للمشاعر التي يحملها الآخرون عنك ، وتعويد النفس على التفكير في نقـاط القوة عنـد التصدي لحل المشكلات الاجتماعية والعاطفية ، كل ذلك ينطوي ـ دون شك ـ عـلى إمكانيـات هائلة في تعديل الاضطراب النفسي والقلق .

تدريب النفس

أما من الجانب الاجتمـاعي للشخص القلق فـإنه يتسم بخصـائص تتـذبـذب بـين أقـطاب متعـارضة كـالانصياع الشـديد ، والعـدوان ، والخجل والاندفاع ، والتحدي أو تجنب المشاكل والهروب منها . إن هذه الجوانب على الرغم من التناقض الظاهر بينها يمكن فهمهـا في ضوء مـا يتسم به السلوك العصابي من قيـود انفعاليـة ، تكبل تلقائيتـه وحريتـه في الاستجابـة للمواقف المتعارضة .

ونجد ـ في الوقت الحالي ـ أدلة قوية ،على أن تـدريب الشخص عـلى التعبـير عن مشـاعــره بحـريـة ، من خــلال التصرفـات السلوكيـة والاجتماعية الملائمة ، من شـأنه أن يؤدي إلى تضـاؤ ل القلق بشكل ملحـوظ . ويحظى هـذا الجانب باهتمام كثير من المعالجين ، ويمثل أحد الفصــول المهمــة في كتب العــلاج السـلوكي



الحديثة . ويدرس تحت عناوين مختلفة ، منها تأكيد الذات ، أو تدريب القدرة التوكيدية ، أو التدريب على الحرية الانفعالية . ويقوم هذا المنهج على بديهة علمية ، قوامها التعرض للمواقف الاجتماعية المثيرة للخوف والانفعال والقلق ، وأنت تعرف مسبقا ما الذي ستقوله فيها ، وكيف تتصرف خلالها ، وإدراكك لحقوقك والتزاماتك إزاء هذه المواقف ، فإن من الطبيعي أنك ستكون أكثر هدوءا وقدرة على التحكم في انفعالاتك عند مواجهتك إيّاها بالظهور بالمظهر الملائم .

فضلا عن هذا فإن كثيرا من العلاقات الاجتماعية تتطلب اتصالا إيجابيا نشطا بالآخرين ، ولهذا فإن العلاقات الاجتماعية السلبية تحتوي على مزيج من الانفعالات المتنوعة ، بما فيها الغضب أحيانا ، وتبادل مشاعر الود أحيانا أخرى ، واللوم ، والإعجاب ، والضيق . ومن المعروف أن قدرة الشخص القلق على تبادل المشاعر تقل في المواقف الاجتماعية ، نتيجة لما يؤدي إليه القلق من قيود وعجز . ولهذا نجد أن الشخص في مواقف القلق يقمع رغبته في التعبير عن مشاعره الحقيقية ، ويكتم أفكاره عن الموقف ، فلا يبدي معارضته أو قبوله ، أو يرغم نفسه على قبول أشياء لا يحبها ، أو يهرب من أشياء يحبها . ومن ثم تجيء أهمية تدريب الشخص على التعبير عن الانفعالات بجوانبها الإيجابية : (الحب والاعجاب مثلا) ، والسلبية (الغضب والعدوان والرفض) . إن حرية التعبير عن الانفعالات لا تجتمع مع القلق . فالتعبير بحرية عن الانفعالات بما يتسم به من تلقائية يتعارض مع القلق والعصاب بما فيها من قيود .

ويتم تدريب القدرة على حرية التعبير الانفعالي بأساليب أخرى متنوعة ، منها مثلا التدريب على تنطيق المشاعر ، أي تحويل أي شعور ، أو التعبير عن أي انفعال بكلمات صريحة منطوقة . وينصح المعالجون أيضا بأن يتشجع الشخص على إحداث استجابات بدنية ملائمة للانفعال ، فاستخدام الإشارات والحركة الرشيقة ، وتشكيل ملامح الوجه بطريقة ملائمة ، والاحتكاك البصري المناسب ، من شأنها جميعا أن تتضافر لإحداث الثقة بالنفس في مواقف التفاعل الاجتماعي ، بما يخفف من آثار القلق والاضطراب . □

أيهما أفهم



المعلم : إذا كان والدك مدينا بمبلغ قدره ٤٠ دينارا على أن يدفعه في خمسة أقساط ، فكم دينارا يدفع في كل قسط ؟

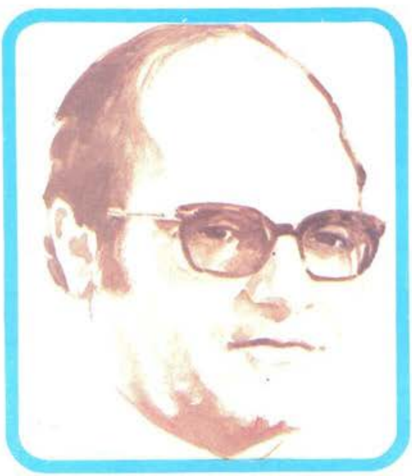
التلميذ : لا يدفع شيئا

المعلم : اجلس فأنت لا تفهم الدرس

التلميذ : لا . بل أنت الذي لا تفهم والدي .

وجهاً لوجه





غادة السمّان و جان الكسان

- الكتابةُ محاولةٌ بشريةٌ لردمِ الهوّة بينَ وعيِ الأشياءِ والصّمتِ أمامها.
- أنا بدويّة رحّالةٌ في صحارى الكلمةِ، ومحصّنةٌ ضدّ الانبهارِ بالغربِ.
- لا أذهبُ إلى الكتابةِ متنكّرةً داخلَ ثيابِ عنترة.
- الهمُّ النسوي إمكانية فنيّة مدهشة حين تتناولهُ أقلام مُبدعة.
- الحداثةُ ليستْ بدعةً عصريّة، وأسلافنا كانوا أمراءَ الحداثةِ في عصرِهم.
- عدالةُ القضيّةِ ليستْ بديلاً للشّرارةِ الإبداعيّةِ في الأدبِ.

الدخول إلى عالم الأديبة غادة السمان ، في رواياتها وقصصها ومقالاتها ، وأشعارها ، وخواطرها ، وأدائها ، ويومياتها « ٢٦ كتاباً » مغامرة عصرية مفعمة بالإثارة . إذ لم يسبق أن كتب عن أديبة عربية معاصرة بالحجم والنوع اللذين كتب بهما عن أدب غادة السمان ، فقد صدرت كتبها في عدة طبعات ، ووصل عدد المترجم من أعمالها إلى أربعين عملا ، بين روايات وشعر وقصص قصيرة .

نتلمس بعض خصائصه في هذا الحوار الذي أجراه معها الكاتب جان الكسان :

*** أسبغ عليك كبار الأدباء والنقاد العرب وعدد من المستشرقين في العالم، تقديرا لم يسبق أن توجت بمثله أديبة عربية معاصرة ، حتى يخيل للقاريء أنك تستطيعين الاتكاء طويلا على هذه الأمجاد ، في حين نعرف أنك تتهيبين مرحلة البدء بكتابة رواية جديدة ، وكأنها تجربتك الأولى . هل هي معاناتك الدائمة ، أم الخوف من أن يكون العمل الجديد دون طموحك المؤمل ؟ .**

ـ لا أستطيع الاتكاء على غير عكاز العطاء . لا مجد لي غير قلقي ، ولا شبع لي غير جوعي إلى الأفضل . ولا طمأنينة لي إلا في ذعري وخشيتي في محراب الكلمة ومع الكتابة . لأن مصادقة التثاؤب على تلال الانتصارات العتيقة تعني النهاية .

لا أذهب إلى الكتابة متنكرة داخل ثياب عنترة ، بل أذهب كما في المرة الأولى : نملة صغيرة في بلاط . إنها معاناتي الدائمة ، وعذابي الذي أتمنى أن يديمه الله عليّ . كل كتاب هو كتابي الأول والأخير ، أحاول أن أخطه بحيوية الطفولة الأولى ، وصدق المحتضرين . أبدا كما لو أنني ولدت للتو على الورقة البيضاء ، وسأموت مع السطر الأخير .

لا أريد أن ألعب « ورقة التواضع » ، ولكن الأشياء تحدث لي على هذا النحو ، وذلك « الخوف من أن يكون العمل الجديد دون طموحي المؤمل » هو خوف له ما يبرره ، لأنه يحدث لي باستمرار ، ويخيل إليّ أن رحلة المرء مع الكتابة هي محاولة بشرية إضافية ، لردم تلك الهوة بين الوعي الحاد للأشياء والخرس أمامها ، وبهذا المعنى فكل ما كتبته وما سأكتبه هو « دون طموحي » ، ولهذا أستمر .

الهموم النسوية والإبداع

*** لن نسألك عن أدب الرجل وأدب المرأة ، ولكننا سننطلق من رأي يقول : إن غادة السمان تخطت هذه الخدعة « مابين أدب الجنسين » ، وتركت «الحريم الأدبي» يحكي ثرثراته وأشياءه الخاصة ، ودخلت بقلمها وموهبتها في غمار القضايا الإنسانية الحية . هذا الرأي ألا يظلم بقية الأديبات بقدر ما ينصفك ؟ .**

ـ حسن النية وعدالة القضية لا يصنعان وحدهما أدبا يبقى إذا لم يرتقِ الفن بهما من مستوى الثرثرة اليومية ، أو البيانات التقريرية ، إلى مرحلة التقطير . بدون التشكيل الفني لاتستطيع طائرة الإبداع الإقلاع ، مهما كانت محملة بالنوايا الحسنة والقضايا العادلة . الثرثرات والحديث عن « الأشياء الصغيرة » ، وعن « ضيق الأفق » ليست مرضا نسويا ، هذا مرض أدبي يصيب الرجال والنساء معا ، كنتيجة مباشرة لفقر الدم الإبداعي « موهبة أو ثقافة » أو محاولة تسخير الفن كأداة إعلامية .

الصلة أكيدة بين أحداث الحياة وأزماتها من جهة ، والأدب من جهة أخرى ، شرط ألا ننسى أن الإبداع كيان فني قبل كل شيء ، لاأيديولوجيا ومواعظ ، ومن يرغب في عرض قضية عادلة لا أكثر ، فليكتب خطبة ، أو بيانا لنناقشه بوضوح ، ونستنبط حلا ، بدلا من أن يرمي بين أيدينا بجثة عمل روائي . الفن ليس منشورا دعائيا أو بوقا لأي قضية ، مهما سَمَتْ ، وهو يطرح أسئلة ، وليست لديه إجابات جاهزة ، وعليه أن يكون فنا أولا ، وإلا فقد فاعليته على كل صعيد ، بشهادة أكثر المتطرفين الايديولوجيين تعصبا ، كما وتسي تونغ مثلا الذي اضطر للاعتراف بأن « الأعمال التي تنقصها القيمة الفنية تظل عديمة المفعول ، من وجهة النظر السياسية ، حتى ولو كانت ذات صبغة تقدمية » .

إن للإبداع شروطه وأصوله التي لا نستطيع القفز من فوقها ، من أجل أي اعتبار آخر . وتكمن الخدعة في التوهم بأن عدالة القضية تستطيع أن تكون بديلا عن تلك الشرارة الفنية الإبداعية المقدسة التي تحيل النص الميت إلى نسيج حي ، يخاطب الإنسان في كل مكان . وهكذا نجد « الثرثرة » في الأدب الذي يكتبه الرجل والمرأة معا في كل زمان ومكان ، كما نجد الإبداع أحيانا .



لنتأمل ذلك الركام المروع من الخطابيات الذي سجله الرجل العربي ، تحت شعارات الأدب « الايديولوجي » أو « الثوري » ، وصولا إلى أدب « الحجارة » الذي يشكل اليوم موضة رائجة في الوقت الذي يتم فيه التغاضي عن القيم الجمالية في العمل الفني ، إكراما لخاطر القضية العادلة النبيلة . المرأة تقترف أحيانا الغلطة الفنية نفسها ، فتعتبر ألمها الداخلي ، وقضيتها العادلة ، بديلا أو مبررا للتغاضي عن بعض الهنات الإبداعية .إنه المرض نفسه إذن ، وهو لا يختص بأدب الرجال دون النساء ، بل علة شائعة في حياتنا الأدبية ، وإن كان بعض نقد الرجال يركز على غلطة « المرأة » الكاتبة ، ويغفر الغلطة نفسها للكاتب « الذكر » ، بدلا من إدانتهما معا . نحن نحتقر ما يدعى « الهموم النسوية » ، وهذا خطأ أدبي شائع . « الهم النسوي » إمكانية فنية مدهشة حين تتناوله أقلام مبدعة .

تكامل تاريخي وموضوعي

*** هل تطرحين المرأة في أدبك نموذجا اعتراضيا في وعيها ، أو نموذجا إشكاليا وسط مرحلة تحولية في التاريخ العربي الحديث ، أفرزت ـ أي المرحلة ـ صراعات ومعطيات جديدة ، تجاوزت تلك التي أفرزها فكر النهضة في بداية القرن ؟**

ـ لاتضارب بين الطرحين ، ثمة تكامل تاريخي ، موضوعي السياق ، في منظومة يتلاحم فيها الخاص والعام ، ولا يخلو أدب منها .

المرأة في أدبي جزء من العذاب العربي ، والطموح ، والرغبة في تجاوز الذات ، إنها بهذا المعنى كالرجل تماما ، تعاني المراحل كلها مجتمعة متصارعة ومتكاملة ، بالإضافة إلى معاناتها كأنثى مقموعة . ولأن المرأة مركز حساسية المجتمع العربي ـ لأسباب تاريخية لامجال لحصرها ـ نجدها ، بصورة غير مباشرة ، محرق الصراع من أجل التطور الواعي ذي الخصوصية العربية . وأنا لا أستطيع تجاوز العلاقة الجدلية بين قضيتها الذاتية وقضية الرجل ، شريكها في الألم ، ولا أستطيع عزلها داخل أنابيب مفرغة من هواء التطور التاريخي .

المرأة في أدبي ليست فقط نموذجا اعتراضيا في وعيها ولا إشكاليا وسط مرحلة تاريخية تحولية ، بل هي شقيقة عذاب الرجل وحليفته الأولى .

أطروحة فضفاضة

*** هناك من يتهم كاتباتنا المعاصرات اللواتي خرجن على التقليد الموروث والأصفاد التي يفرضها مجتمع الرجال ، هناك من يتهم كتاباتهن بأنها مجرد اغتراب رومانسي ، يبدأ عند حدود الرجل ، لينتهي إليها ، لأن الرجل يظل وحده ممثلا لتاريخ القوة ، فماذا تقولين في هذا ؟ .**

ـ هذه أطروحة فضفاضة ، من نمط « الكليشيهات » المتداولة والنقد الشفهي الجائع إلى التعميم ، هربا من التدقيق . وإذا فرضنا جدلا أن ذلك ينطبق على بعض المحاولات الأدبية النسوية الأولى فثمة جيل جديد من الكاتبات البراعم يخضن عالم الحرف برؤ ية أكثر شمولا واتساعا .

أسلافنا أمراء الحداثة

*** هناك تهمة موجهة لروائيينا ـ وأنت منهم ـ من قبل النقاد أو المحاورين ، وهي أن اقتراف الحداثة في رواياتهم أمر مفتعل واستعراضي ، بدليل تصاعد هذا الانتقال بصورة متباينة أو متناقضة أحيانا من رواية إلى أخرى . هل هذا شكل من أشكال التجديد ، أو إعادة لصياغة الخطاب الروائي بما يواكب لغة العصر ومقتضياته ؟**

ـ كل أديب يمثل حالة خاصة ، كبصمة الأصبع ، ولذا أكتفي بالتحدث عن نفسي : أنا ببساطة امرأة عربية حتى قاعي ، وجوعي إلى التجديد لا صلة له بمقتضيات العصر ، بل بأصولي البدوية . أنا بدوية رحالة في صحاري الكلمة ، أريد أن أرى ، وأن أجرب ، وأذوق القمح والسراب . عشت طويلا في الغرب بما يكفي لتحصيني ضد الانبهار به ، ولتطعيم أدواتي بما هو إنساني وجوهري ـ في نظري ـ مع نبذ العقد النفسية لمرض التجديد الأعمى . التجديد ينبع من داخلي لا من حيرة داخلية ممتزجة بشعور بالنقص أمام العصر ، فأنا كعربية جزء من شهية صياغة العصر ، ولست ضيفة على مائدته ، لقد كان أسلافي العظام ـ ومنهم المتنبي ـ أمراء الحداثة في عصرهم ، وأحب أن أستلهمهم في خطابي .

البطل الفرد والمجموعات البشرية

*** في حين يعمد كثير من الروائيين المعاصرين إلى تغييب البطل الفرد، كمحور، في أعمالهم التي تحمل هاجس المجموعات البشرية، تصرين أنت على فرض الحضور المطلق للبطل الفرد الذي كثيرا ما يقترب ـ بوصفه نموذجاً ـ من شخصية الكاتبة، حتى ولو ناء بما يحمله إياه هذا الحضور من قضايا. إذا كنت ترين في هذا اتهاما مباشرا، فالمطلوب ردك عليه.**

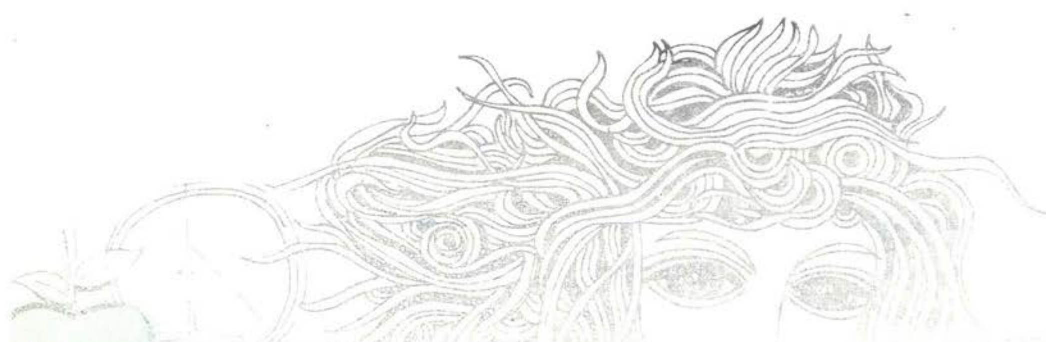
ـ أرى في هذا القول اتهاما مباشرا لصاحبه، وأطالبه بمنحي المزيد من وقته لقراءة أعمالي بأكملها، وليس الإكتفاء بما يذكره عن كتبي الأولى في مرحلة «لابحر في بيروت». وصاحب هذا القول إذا كان منسجما مع نفسه، فسيجد نفسه مضطرا لتفسير أمر واقع، هو: لماذا تعمد بعض الدول اليسارية التي ترفض هذا النمط من الأعمال «الفردية» إلى ترجمة رواياتي بكثافة، أسوة بالدول الغربية؟ لماذا ترجمت روايتي «كوابيس بيروت» مثلا إلى الروسية والبولونية؟ ولماذا تطبع حاليا في المانيا الشرقية، بعد المانيا الغربية وغيرها من بلدان الغرب؟.

الأدب المبدع ليس كذلك بالضرورة، لأنه «يغيب البطل الفرد»، ولأنه «هاجس حركة المجموعات البشرية». ولاتوجد وصفة سحرية لكتابة عمل أدبي مبدع بهذه المواصفات، و«البطل الفرد»، و«المجموعات البشرية» ليسا مادتين متنافرتين، لابد من غياب إحداهما في العمل الفني إكراما لحضور الأخرى، بل أرى الصلة بينهما أقرب إلى إمكانية التكامل.

من عشاق الأدب المقارن

*** في كلية الآداب بجامعة دمشق ـ قسم اللغة الانجليزية وفي مادة الأدب المقارن، يدرس الطلاب أدبك بالمقارنة مع أدب الكاتبة الانجليزية فرجينيا وولف. ما قولك في ذلك؟**

ـ أنا شخصيا معجبة بفن فرجينيا وولف إعجابي بمارغريت بورسنار، وولّادة بنت المستكفي، ونازك الملائكة، وفدوى طوقان، وغيرهن من المبدعات والمبدعين. وأنا أيضا من عشاق الأدب المقارن، ولو منحت عمرا آخر لكرسته لدراسة الأدب المقارن. لقد أعطينا العالم دفعا كبيرا في



درب الإبداع ذات يوم ، وآمل أن نعود إلى لعب دورنا الإنساني المجيد ، معتدين بما لدينا ، غير وجلين أمام الغَرْفِ من معين التراث العالمي لصقل أدواتنا وتطويرها .

تجريبية وهاوية

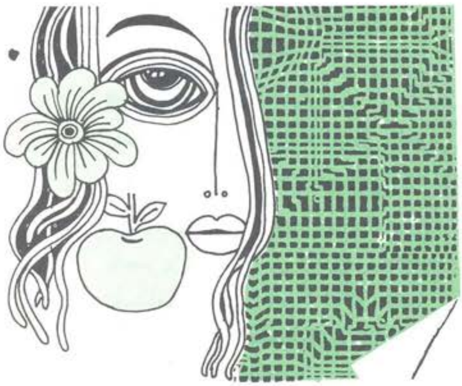
*** التعامل مع نصك يثير في ذهن المتلقي جدلية مسبقة ، تنتهي إلى مقولة ، تؤكد أنك « تجريبية » ، ولكن ليس بالمعنى المتداول للكلمة ، فبعد مطالعة النص يشعر القاريء أن بعد الصفحة الأخيرة من الكتاب صفحات يتوقع أن تكون إضافات إلى الأبجدية العربية ، وكأنه على موعد متجدد معك . كيف تفسرين هذه الحال ؟**

- يقول غوته : « الحياة قصيرة والفن شاسع » ، وما من كتاب في الدنيا يقول كل شيء ، ويتسع لكل شيء . « القرآن الكريم » مستثنى بالطبع من هذه المداخلة . وهذا هو إحساسي دائما حينما أكتب . وعلى الرغم من ذعري وشجاعتي في آن واحد ، وعملي الطويل المسبق على الرواية ، تأتي لحظة الاكتشاف جديدة ومشحونة بحب الاكتشاف .

أنا تجريبية حتى لحظتي الأخيرة ، وهاوية لا محترفة ، لأنني أنمو داخل الكتابة لاخارجها .

البداية وليس الوصول

*** ترجم عدد من أعمالك إلى عدة لغات أجنبية . هل الترجمة التي قد تتيحها ظروف معينة لأديب دون سواه ، هي مؤشر للخروج إلى العالمية ، في حين لم يستطع الأديب العربي حتى الآن أن يصل إلى قرائه العرب ، حيث تنشر خمسة آلاف نسخة من الكتاب لمائتي مليون عربي ؟**



- الترجمة هي مؤشر على إمكانية الخروج إلى العالمية ، أما الترجمات التي تسهم فيها « ظروف معينة » فهي خارجة عن القيمة الفنية ، وهي تموت مع الزمن ، وقلما تصل إلى القاريء إلا بكميات محدودة ، وهكذا فالترجمة هي بداية الدرب ، لا الوصول .

لا أكذب على القاريء

*** الغرابة والمخالفة والخروج على المألوف في الطرح والتعبير من السمات التي تميز أدبك . هل تعتقدين أن هذا أحد مفاتيحك الذهبية إلى قلب القاريء أو ذهنه ؟ .**

- مايراه بعضهم غريبا يبدو لي مألوفا ، إنني أرى الأشياء على هذا النحو ، ولكنني لا أعتقد أن خصوصيتي في التعبير هي مفتاحي (الذهبي) إلى قلب القاريء ، أو أحد مفاتيحي .

أعتقد أن القاريء العربي أعمق مما يتوهمه بعضهم ، ولديه جوع إلى الكلمة التي تحترمه وتتعامل معه بديمقراطية ، وأنا أحترم قارئي ، ولا أكذب عليه ، ولا أنافق باسمه ، ولا أجامل

بحجة الخوف عليه ، ولا أزوّر الحقائق بحجة الدفاع عن مصلحته .

*** بين إيحاء الحدث المباشر (المقالة الصحفية) ، أو تداعي الأفكار (الخاطرة) ، أو هاجس الرصد المكثف لواقع أو موقف أو مدلول لدى شخص أو شريحة مؤطرة من المجتمع (القصة القصيرة) ، أو الإحاطة الشمولية والتقصي حتى عوالم الهوامش والتفاصيل التي تغني الحدث المحوري ، والأحداث الثانوية الرديفة (الرواية) . كيف تتخذين قرار الاختيار في الجنس الأدبي الذي تكتبين فيه ؟ .**

ـ أحاول قدر الإمكان عدم السماح لظروفي الآنية العابرة بالاختيار . وكم من عمل أدبي تم إجهاضه على مذبح نزوة الكتابة الآنية العابرة ، أو الحاجة المادية ، أو الحاجة إلى التواصل السريع مع الآخرين كسلاح ضد الوحشة .

أحاول قدر الإمكان أن أرصد أعماقي وتياراتي الداخلية ، لأميز بين حقائق القاع ونزوات فقاعات الأمواج .

أعتقد أن الاكتفاء المادي يساعد الفنان على شراء الزمن لغربلة حرفه وتطويره وتخزينه ، كي لا يذهب كل شيء في بالوعة « اليومي العابر » . وقرار الاختيار في الجنس الأدبي الذي أكتب تفرضه مادة الكتابة ، وكل ما أملكه هو أن أكون مستعدة لاستقبالها حين تحضر ، وأن أنجو بنفسي من فخ « الكتابة الإرغامية » أيا كانت الأسباب ، مادية أو عاطفية ، المهم ألا يرغم المرء رواية على التحول إلى خاطرة ، أو العكس ، وإلّا خسر العملية .

والتنقل بين مختلف الأجناس الكتابية متعة ، تشبه اختيار نوع صنارة الصيد الصالحة لما تريد .

بلاد العرب أوطاني

*** أثير في الصحافة الأدبية العربية أكثر من مرة موضوع الأدباء المقيمين في أوطانهم ، والأدباء المغتربين لسبب من الأسباب . وقد عشت تجربة الاغتراب عن الوطن ، فكيف ترينه من بعيد ؟**

ـ لا أرى الوطن من بعيد ، فمازلت أقطنه بالمعنى الجوهري للكلمة ، ولست مغتربة ، فأنا في قطار سيعود دوما إلى الوطن ، إلى أي قطر عربي ، فقد فتحت عينيّ على صوت أبي وهو ينشد : « بلاد العرب أوطاني » ، وتلك حقيقة أومن بها وأحسها في أعماقي ، وقد كبرت وأنا أراه يؤلف الكتب عن « المجتمع العربي » ، ويحاضر كاقتصادي عن « الوحدة الاقتصادية المحتومة » بين أقطاره ، وأعيش اليوم غصة وأنا أرى تلك الوحدة الأمنية تتحقق ، ولكن بين الأقطار الأوربية لا العربية .

لا أرى الوطن من بعيد إلّا لأتذكر مزاياه التي لايعرفها المقيم ، كأن الرحيل زادني انغراسا في جذوري ووعيا بأصولي ، وحنيناً إليها ، فالوطن كالصحة ، تاج لايراه إلّا المشرد . □

● لا شك أن الحياة كانت تبدو رائعة جميلة لو كنا نولد في سن الثمانين . ونقترب على مر الأعوام من الثامنة عشرة .

(مارك توين)

● قليل من العلم مع العمل به أنفع من كثير من العلم مع قلة العمل به .

(افلاطون)



بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس الوزراء

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

الأمانة العامة

اعلان عن جائزة الدولة التشجيعية
في الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية والانسانية
لعام ١٩٨٩ م

يعلن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب عن فتح باب الترشيح لجوائز الدولة التشجيعية لعام ١٩٨٩ م التي ستمنح للمبدعين من أبناء دولة الكويت في المجالات التالية :

١ ـ مجالات الفنون « أربع جوائز »

أ ـ الفنون التشكيلية (نحت ـ رسم ـ تصوير ـ الخ)
ب ـ التمثيل
جـ ـ الموسيقا والغناء
د ـ الفنون الجماعية (الإخراج والتقنيات)

٢ ـ مجالات الآداب « سبع جوائز »

أ ـ الشعر
ب ـ فنون النثر (مسرحية ـ قصة قصيرة ـ رواية)
جـ ـ أدب الطفل (مسرحية ـ قصة ـ شعر)
د ـ الدراسات اللغوية
هـ ـ الدراسات الأدبية والنقدية
و ـ تحقيق التراث
ز ـ الترجمة

٣ ـ مجالات العلوم الاجتماعية والانسانية « أربع جوائز »

أ ـ الفلسفة والاجتماع والأنثروبولوجيا
ب ـ التربية وعلم النفس
جـ ـ التاريخ والآثار
د ـ الجغرافيا

جهات الترشيح :

١ ـ الجهات العلمية والأكاديمية والثقافية والفنية في دولة الكويت .
٢ ـ اللجان المؤقتة التي يشكلها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب لهذا الغرض .
٣ ـ الترشيح الشخصي أي أن الشخص من حقه أن يقدم أعماله لنيل الجائزة .

شروط الجائزة :

١ ـ أن يكون العمل متميزاً في بابه .
٢ ـ أن لا يكون الإنتاج المقدم للتشجيع قد نال عليه صاحبه درجة علمية أو سبق أن فاز بجائزة من جهة أخرى .
٣ ـ أن يكون قد نشر أو أنتج لأول مرة خلال عام ١٩٨٩ م .
٤ ـ أن تكون المؤلفات مكتوبة باللغة العربية الفصحى .
٥ ـ تقبل الأعمال المشتركة بشرط أن يكون كل المشاركين في التأليف من الكويتيين .
٦ ـ آخر موعد للترشيح وتقديم الأعمال [illegible]
ـ قيمة الجائزة خمسة آلاف [illegible]
المناسبة .
ـ ترسل الطلبات [illegible]
العدان 13100 [illegible]

على هامش قول على قول :

الغناء في المدينة المنورة

بقلم : حسن سعيد الكرمي*

السياسة فن ، والاقناع فن ، واستمالة العقول والقلوب فن آخر ، فكيف إذا اجتمعت لرجل واحد ؟ ذلك هو ، ما اجتمع لابن أبي عتيق الذي استطاع أن يثني عزم والي المدينة عن قرار اتخذه بالقليل القليل من الجهد على نحو ما نرى في هذه الحادثة :

لما دخل عثمان بن حيان المري المدينة واليا عليها من قبل يزيد بن معاوية اجتمع إليه الأشراف من قريش والأنصار ، وقالوا له : إنه لا يفعل شيئا أجدى ولا أَوْلَى من تحريم الغناء ، فوعدهم خيرا ، وأجّلهم ثلاث ليال ، حتى ينظر في الأمر ، واتفق أن جاء ابن أبي عتيق المدينة في الليلة الثالثة ، ودخل على سلامة الزرقاء المغنية ، فأخبرته الخبر عن والي المدينة وتحريم الغناء ، فاغتم لذلك ، ونام ليلته تلك ، ثم مضى في الصباح إلى عثمان بن حيان ، فدخل عليه بعد الاستئذان ، ثم قال له : إن ما أقدمه عليه هو حب التسليم عليه . وقال : إن من أفضل ما عملت به تحريم الغناء ، فقال عثمان : إن أهلك من قريش أشاروا علي بذلك . فقال ابن أبي عتيق : إنك قد وفقت . ولكني رسول امرأة إليك ، تقول : إن الغناء كان صناعة لها ، وقد تابت إلى الله منها . وأنا أسألك أن تدعها تجاور قبر النبي ﷺ . فقال عثمان : هي حرة في مجاورة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام . فقال ابن أبي عتيق : ولكن الناس قد لا يدعونها تجاور ، وأرى أن تنظر إليها أنت بنفسك ، لترى إذا كانت ممن يترك لمجاورة القبر . فقال عثمان : ادع بها حتى نراها . فذهب بها ابن أبي عتيق إلى الوالي ، وكانت قد تقشفت وأخذت سبحة في يدها ، فلما اجتمعت حدثته فسر بحديثها . ثم قرأت شيئا من القرآن الكريم بصوت رخيم . فأعجب الأمير بقراءتها ، ثم حَدَتْ فطرب الأمير بحدائها . فقال ابن أبي عتيق : فكيف أيها الأمير لو سمعتها في غنائها ؟ فقال الأمير : قل لها فلتسمعنا ، فغنت سلامة .

سددن خصاص الخيم لما دخلنه
بكل لباب واضح وجبين
كأن الخدور الجأت في ظلالها
ظباء الملا ليست بذات قرون

ومضت في غنائها الأبيات ، فطرب الوالي ، ونزل عن سريره ، وجلس بين يديها يستمع ، ثم قال : لا والله ما مثلك يخرج من المدينة . فقال ابن أبي عتيق : ولكن الناس سيقولون : إن الأمير سمح لسلامة بالبقاء في المدينة ولم يسمح لغيرها . فقال عثمان بن حيان : قد أذنت لهم بالبقاء جميعا . □

* كاتب عربي من فلسطين .



من قتل مريم الصافي ؟

مجموعة قصصية من تأليف/الدكتور محمد المنسي قنديل

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا

« محمد المنسي قنديل ، من الجيل الذي عاش في صباه الوعود الكبيرة لثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .

وقبل أن تتاح له ولأبناء جيله أي فرصة للمشاركة في إنجاز ما بقي من هذه الوعود ، وجد نفسه فجأة وجها لوجه أمام كارثة أكبر من أن يستوعب وقعها ، أو يتدارك نتائجها ، وهي هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ .

فهل يمكن أن نقرأ هذه المجموعة ، دون أن نأخذ في اعتبارنا ؛ هذا التقابل الحاد الفاجع بين مرحلة تفتح الوعي والأحلام ، في حياة جيل شاب ينتمي إليه الكاتب ، ومرحلة انكسار كبير في حياة وطنه وأمته ؟! »

لعل أول انطباع يخرج به قاريء هذه المجموعة ؛ هو أن قصصها كلها تدور في فلك حزن غامض كبير ، وهي في حركتها واقعة في أسره ، وحين تبتعد عنه أو تغرق فيه تبدو كأنها تسعى لكشف أسراره ، لكنها في بعض الأحيان تكتفي بتسجيل وقائعه ، وبأن تكون مجرد شاهد عليه . في لوحة ضمن قصة « لحظة يمتليء الجرح بالرماد » التي تضم سبع لوحات قصصية، يشاهد الراوي عجوزا ، يقف إلى جوار سور حديدي فوق النهر ، في يد العجوز حبل طويل ، في الطرف الآخر للحبل كلب تعبر حركاته عما بينه وبين العجوز من ثقة وألفة . العجوز يطلب المساعدة مرة من الجندي الذي يحرس الجسر ، ومرة من الراوي ، وكل واحد منهما يرفض تقديم المساعدة حين يعلم أنها في إحكام لف الحبل من طرفه بأحد الأحجار الثقيلة ، ورفع الحجر فوق

سور الجسر ، يقـول العجوز للكلب معتـذرا : « ولكنـه لا مفر من ذلـك » . يبتعـد الحـارس والـراوي حتى لا يبصرا النهـايـة التي اختـارهـا العجوز لكلبه . يقوم العجوز وحده على الرغم من بؤسـه ووهن بدنـه بكل العمـل على عـدة مرات ، مستغلا ثقة الكلب به ، وحـين يهوي الحجر في قاع النهر ساحبا الكلب خلفه ؛ تكون المسـافة بـين لحظة إدراك الحقيقـة ، وإمكـانيـة النجاة ، قد تلاشت ، ويعجز انسحاب الراوي وانسحـاب الجندي عن إنقـاذهما من أن يكـونا شاهدين على المأسـاة وعلى عجـزهما في الـوقت نفسه ، وبمعنى من المعاني شريكين في صنع هذه النهاية ! .

لماذا يلقي العجوز بكلبه إلى قاع النهر ويدفعه إلى قاع الوحدة ؟

لاتعنى القصة بتقديم إجابة شافية سوى هذه الكلمـات المقتضبـة التي يـرددهـا العجـوز للحارس :

الأيام غَدَّاره ، كل شيء غَدَّار والله . . !

أشكال متنوعة

لعل ثاني ما يلاحظه قاريء هذه المجموعة ، هو ذلك التنوع الواضح في أشكال قصصهـا ، وتطور ذلك التنـوع في منحنى يبدأ من اللوحـة القصصية التي تقترب في بنيتها وأسلوبها ولغتها من عـالم الشعر ، ثم يتـطور إلى شكل القصـة الواقعية ذات الأبعاد الاجتماعية الواضحة ، ثم يستقر عند شكل القصة الواقعية التي تنصهر فيها الأبعاد الاجتماعية والنفسية والإنسانية ، في كل بالغ الجمال والحيوية ، مثلما تبدى ذلك في رائعة هذه المجموعة ، ونعني بها قصة « من قتل مريم الصـافي ؟ » . وقد يـلاحظ القـاريء أيضـا أن القصص التي تأخذ شكـل اللوحة غـالبا ، هي قصص الكتاب الأولى التي كتبها من عام **١٩٦٩** وحتى **١٩٧٢** ، وهي بـالتحـديـد : « أغنيـة المشرحة الخالية » ، « الجزء الأخير من الليل » ، « سعفان مات » ، « الأشيـاء » ، « الفراغ » ، « الأحزان القديمة » ، « البراري » ، فهـل كان إيثار الكاتب بوعي أو بدون وعي ، لهذا الشكل القصصي في تلك المرحلة ثمرة لصدمة التقـابل الحاد الفاجـع الذي ألمحنـا إليه في بـداية هـذا المقال ، بين مرحلة تفتح الوعي والأحلام في حياة جيل شاب ، وبين مرحلة انكسار كبير في حياة وطنه وأمته ؟!



اللوحة القصصية

قد لاتتميز اللوحة القصصية بحجمها الصغير فقط ، بل هي تتميز في الغالب بما فيها من جو نفسي أو فكري واحد ، أحيانا تقدم اللوحة لحظة نفسية مكثفة في حياة البطل عن طريق رصد تيار الشعور في هذه اللحظة ، وهي في هذه الحـالة تستخدم لغة الشعر الموجزة المتفجرة ، وصـوره المكثفة المحتدمة ، وهي تنسج كل خيوطها من تـوترات هـذه اللحظة ، وذلـك في مثـل قصـة « الجـزء الأخـير من الليـل » ، حيث نلتقي بشخصية البطل (الراوي) فيقول ، وكأنه يقدم لنا نفسه في هذه اللحظة : « أنا أتمنى لو أن العالم كله نـافذة زجـاجية واحـدة ، أقـذفهـا بحجـر واحـد ، وأجري » ، فـإذا مضيت مـع القصـة (اللوحة) تسبر أغوار هذه اللحظة،فسوف تقرأ في فقرة تالية : « في المساء انتحر أحد أصدقائي ، كتب وصية يشتم فيها العـالم ، ثم صعد فـوق كوبري حديدي صدىء ، وألقى بنفسه في الماء ، قـالوا : إنـه ندم في منتصف طـريق السقوط ،

وفكر في العودة ، لكن الهواء اندفع باردا ، وانزاح الماء فاغرا عن هوة مظلمة . . » ، بمثل هذه الصورة الشعرية البالغة التكثيف التي تجعل القاريء شاهدا نصف محايد ، يدفعنا الكاتب إلى قلب اللحظة النفسية المحتدمة ، وهي لحظة من « الجزء الأخير من الليل » ، حيث تتراخى قبضة الوعي التي أنهكتها عذابات النهار عن مكنونات العقل الذي يعاني ، فتتدفق كالشلال صور الخوف والإحباط وأوهام المطاردة ، إنها حفلة منوعة من الرعب الخلاب من حفلات المساء وما بعد السهرة ، حيث تنفرد بالمحزونين أحزانهم وبالخائفين مخاوفهم ، ولن نمضي في متابعة فقرات هذه الحفلة ، فكل ما أردناه هنا ، هو أن نسجل لمحة عن مستوى النبض الشعري لدى الكاتب حين تكون اللوحة القصصية تجسيداً للحظة نفسية مكثفة ، وحين تسفر هذه اللحظة عن جزء من هذا الحزن الغامض الكبير !! .

لكن في أحيان أخرى تقدم اللوحة القصصية في هذه المجموعة لحظة أو مشهدا يستمد عناصره من الواقع الخارجي ، يتحاور فيه الزمان والمكان ، وداخل الشخصية مع خارجها ، ويحكم هذا الحوار منطق الواقع الخارجي الموضوعي ، ويتحول القاريء إلى شاهد محايد ، يرى اللوحة بعين آلة التصوير المحايدة ، وفي مثل هذه اللوحة أيضا يتفجر الشعر ، لكنه هذه المرة يتفجر بدرجة أقل من الصور واللغة والأسلوب ، وبدرجة أكثر من خلال عناصر المشهد نفسه ، من خلال العلاقات بين هذه العناصر ، وحركة هذه العلاقات ! .

أغنية المشرحة الخالية

في هذه القصة نلتقي بطالب في كلية الطب ، أمامه ساعتان على موعد القطار الذي ينقله كل يوم إلى قريته ، وفي جيبه ورقة مالية قديمة من فئة خمسة قروش ، تكاد تكفيه لشراء « سندوتش » للغداء ، ولا يجد وسيلة لقضاء الساعتين سوى أن يبقى بالمشرحة ، يراجع دروسه على الجثة التي انفض عنها زملاؤه منذ لحظات بعد انتهاء الدرس ، يقترب منه « عم أحمد » ، فراش المشرحة ، محييا ، يدرك الطالب على الفور ما يفكر به الفراش من خلال مبالغاته في التحية فتمتد يده لتقبض بشدة على الورقة المالية البالية ، يقول للفراش :

ـ سأجلس قليلا ، باقي وقت على موعد إغلاق المشرحة !

ـ كلنا تحت أمرك للصبح لو أردت !

تقدم القصة (اللوحة) مشهدا ثابتا لايتغير ، ولكنه يضج بحوار صامت وناطق بين محاولات الفراش الحصول على « بقشيش » من الطالب مقابل تركه ينتظر ، وبين صمود الطالب إزاء هذه المحاولات لإنقاذ ورقة القروش الخمسة !

صمود الطالب يدعم من خلال تدفق خواطره عن أبيه الفقير ، وأشقائه الذين يعانون من أجل توفير نفقات دراسته المكلفة ، وعن سخرية زميله من قميصه ذي الياقة البالية ، وإلحاح الفراش يصمد من خلال دربة السنين ، واعتياد أن يأخذ حتى ولو لم يكن في أمس الحاجة ، والصراع في جوهره بين فقيرين يقف أشدهما حاجة الآن (الطالب) على درجة أعلى في السلم الاجتماعي ، ولهذا فهو يشعر بأن واجبه كدكتور أن يعطي الفراش ، ولو كان ما يعطيه ثمن غدائه ! وينتهي المشهد بما فيه من شد وجذب بالطالب وهو يجد يده تمتد بالورقة البالية إلى الفراش ، إن الشعر في هذه اللوحة لا يتفجر فقط من المفارقة بين الموقفين ، حيث يعطي الأكثر حاجة الآن من هو أقل حاجة ، ولا من التجسيد الناعم لقوة الضغط الاجتماعي الصامتة ، بل ينبع بدرجة أقوى (مع أنها أكثر خفاء) من التصوير الهادي الهامس لجو المشرحة ، حيث تتمدد جثث رجال ، كانوا أحياء ذات يوم ، لعلهم كانوا مثله أو مثل الفراش أو كانوا أوفر حظا ، لقد استسلموا جميعا أمام قهر الموت .

ويتذكر الطالب من خلال هذا الجو أن أباه أيضا كان قد استسلم منذ زمن بعيد أمام ضغوط الحياة في مواقف عديدة ، وأنه ظل يقاوم بعناد في خندق واحد ، وهو خندق انقاذ الابن الطالب ، وها هو الابن يستسلم أمام إلحاح الفراش ، فهل كان الطالب يقاوم طوال الوقت إلحاح عم أحمد الواثق فقط من أجل إنقاذ ثمن الغداء ؟! أو أنه كان يخشى أن يستسلم ، بمعنى آخر يخشى أن يموت !؟

خوف من الموت وخوف من الحياة

إذا كان هاجس الخوف من الموت هو ما يمكن أن يكتشفه القاريء وراء قناع الخوف من الاستسلام في « أغنية المشرحة الخالية » .

فما الذي يمكن أن يكتشفه القاريء وراء قصص المرحلة الثانية في هذه المجموعة مثل قصص « البوار » ، ورحلة المعلم منسي وولده محمد » ، و « سوف نعيد ترتيب كل شيء » ؟

لعل أول ما يمكن أن يلاحظه القاريء هو أن شكل القصة (اللوحة) يختفي ، ليحل محله



● غلاف الكتاب

شكل القصة الواقعية ، ذات الأبعاد الاجتماعية الواضحة التي تتعدد فيها الشخصيات ، وتتنوع المواقف ، وتظهر العلاقة الجدلية بين الشخصية والموقف ، فكلاهما يصنع الآخر ، ويكاد يفسره ، ويتنوع الجو ويختلف الإيقاع باختلاف المواقف والمواقع والشخصيات !

لغة الشعر تشحب ، وتحل محلها لغة الواقع اليومي في الحوار ، والوصف الموضوعي الهاديء المحايد في السرد ، ويصبح السؤال : ما الذي يكتشفه القاريء من خلال هذا التطور في شكل قصص هذه المرحلة ؟

في القصة (اللوحة) التي عرضنا لها في بداية هذا المقال يتمتم العجوز في ختامها « الأيام غدارة ، كل شيء غدار والله !» (ولم نكن نعرف بوضوح وربما العجوز لماذا هي كذلك ؟

ولكن في قصة (البوار) يدور هذا الحوار بين الأب (وهو صانع نسيج يدوي في مدينة المحلة وعجوز أيضا) وبين التاجر :

ـ إنت عارف شغلنا !

ويضحك التاجر بجفاف :

ـ وأنت عارف الزمن !

كان العجوز هنا في هذه القصة يعرف بوضوح أسباب محنته ، وإن كان الابن (وهو الذي يروي القصة) لا يعرف ، كان يقول في جزء آخر من القصة : « يومها لم أكن أعرف لماذا أصبح أبي يخشى يوم السوق ، بعد أن كان يتلهف شوقا لقدومه . . لم أدر ماذا يعني وجود المصنع الضخم في شرق المحلة ، وآلاف الماكينات الجديدة التي تهدر دون توقف ، ولازالت دقات الأنوال الخشبية في غرب المدينة تتابع كالأنين ؟ » .

وكان الأب يملك في بيته بعض هذه الأنوال اليدوية ، ويصنع عليها القماش الذي انصرف التجار والناس عن شرائه . وسوف يلاحظ القاريء في كل قصص هذه المرحلة أن المشكلات الاجتماعية هي النبع الذي يرتوي منه ذلك الشعور الذي تصطبغ به قصص هذه المرحلة ،

والـذي يمكن أن نسميه بنـوع من التجـاوز « هاجس الخوف من الحياة » ، وإذا كان العمال الصغار قد تكيفوا مع مقتضيات التطور الاجتماعي ، والتحقوا بالمصنع الجديد الضخم ، فقد كان تخليهم عن العمل اليدوي جزءا آخر من مأساة « المعلم منسي وولده محمد » ، وربما كان هذا « الخوف القديم الكامن من الحياة » ، والذي بدا أن ثورة يوليو قد وجهت إليه ضربة قاضية ، هو المخزون النفسي الذي تفجر بعد هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ ، وأطلق في نفوس الجيل الذي يمثله محمد المنسي قنديل « هاجس الخوف من الموت » !

من قتل مريم الصافي ؟

في هذه القصة نلتقي بصلاح ، وهو ضابط شرطة شاب من القاهرة ، ويعمل في إحدى قرى الصعيد ، يقول للعمدة في غيظ مكتوم :

ـ هذه خامس جثة يلفظها النهر وأنت لاتقدم أي معاونة !

ـ هذه جثث غريبة لأناس غرباء ، ولا صلة لبلدنا بهم ، إنهم طرح البحر !

مهمته كضابط أن يحقق الأمن ، « ولكن القتل هنا يتم بسهولة ري الأرض الشراقي » ، فكيف يوقفه ؟ واجبه أن يعرف الحقيقة بشأن القتلة « ولكن الحقيقة تضيع هنا خلف صمت الفلاحين المطبق،وعيونهم المتلصصة التي تضاعف عددهم » ، حيث لايجدي العنف أو الدهاء . هل هو حقا كما يقول عنه أبوه الضابط الكبير السابق :

ـ أنت ناعم مثل أمك ، الحياة العسكرية لا تصلح لأمثالك !

ولكنه في هذه الليلة رأى بعينيه امرأة جميلة وحيدة ، تقتحم حلقة الرجال الذين التفوا حوله هو والعمدة ، جاءت تواجه العمدة أمام الضابط .

ـ كان العمدة أول من فوجيء بوجودها المقتحم ، بادرها قائلا :

ـ عيب يابنت ، اذهبي واجلسي وسط الحريم .

ـ العيب لاتعرفه أنت ، وكل ما تفعله هو أن ترسل الغفر ورائي وتنصب الشباك لي .

أهو عاجز حقا أن يكون مثل هذه المرأة ، فيواجه هؤلاء الرجال ، ويقتلع السر من أدمغتهم ؟ لكن ماذا عن سر هذه المرأة ، مع أنها



اختفت بعد لحظات من تحميله مسئولية المحافظة عليها من العمدة ورجاله ، إلا أنه لم ينس عينيها المتحديتين قط ؟ متى رأي هاتين العينين ؟ وأين رآهما ؟ ماقالوه عنها بعد ذهابها زاد في سحر قوتها الغامضة ، ولكن أخطر ما يسمعه عنها يجيء في آخر الليل من « سلطان » ، عامل المياه الذي ينقل إليه أخبار القرية ، قال له : إنه رآها بعينيه تتسلل ليلا إلى الجثة الثالثة ، تنزع عنها الغطاء ، وتتعرف عليها . ويؤكد سلطان أن القتيل هو زوجها الغائب ، وأنها هي التي قتلته أو دفعت لمن يقتله ، فهي لم تكن تحبه ، كان عاجزا ، وكانت هي تفور بالحياة ! مع أن ما سمعه الضابط ورآه قبل ذلك كان يعطي فرصة قوية للظن بأن ما يقوله سلطان دسيسة من العمدة ، فإن الضابط وجد نفسه مدفوعا بقوة لاتقاوم لمواجهة مريم بالتهمة في بيتها وتفتيش البيت بحثا عن دليل إدانة في هذا الوقت المتأخر من الليل . أكان دافعه لهذا التصرف هو مجرد الرغبة في معرفة الحقيقة الغامضة لتحقيق العدالة أم هي الرغبة في تحقيق إنجاز ما ، لرد اعتباره أمام أبيه ، وأمام رؤسائه ، وأمام أهل القرية ، أم الرغبة الحارقة في رؤية مريم الصافي ؟ (لاينسى النظرة التي رمقته بها وهي تغادر) ؟ لعله يعرف على وجهه اليقين ، أين رأي هذا الوجه ، ومتى ؟ هو الذي لم يقترب في حياته كلها من امرأة ! كانت أمه آخر امرأة اقترب من حضنها ، وقد هجرته في طفولته ، كما هجرت أباه ، لتبحث عن المتعة بين أحضان الرجال الآخرين كما يزعم أبوه !

ويقتحم الضابط بيت مريم ، كان يتوقع أن تسحقها المفاجأة فتنهار معترفة ، ولكنه فوجيء بها تطلب إليه أن يلتقط أنفاسه ، قوتها تستفز ضعفه ، فيصفعها بقوة ، يسقط الشال عن رأسها ، ويلوح له أن لوجهها الجميل ملامح الصورة التي وجدها في أحد أدراج مكتب أبيه ، تلك كانت صورة أمه التي طالما عَيَّره بها أبوه ، أيمكن حقا أن تكون هذه المرأة هي أمه ؟ الحنان الذي عاش يفتقده ! ، والعار الذي عاش يتوقاه !

أكان وهو يبحث كالمجنون في أرجاء بيتها الصغير ، يبحث عن دليل إدانة أم عن دليل براءة ؟ أكان يريد أن يثبت أم ينفي أنها أمه .

من خلال بحثه اللاهث في محتويات البيت يشاهد القاريء في إيجاز فذ ملامح من تاريخ امرأة قوية فقيرة ، أصرت على أن تنتزع حريتها في عالم قاس متوحش ، حين عاد من بحثه عما ظنه أدلة إدانتها كانت هي قد التقطت سكينا صغيرا واختصرت المعركة بينهما إلى قتال ضار بين رجل وامرأة ، كانت هي أول امرأة في حياته يقترب منها إلى حد الالتحام !

وكان هو الرجل الذي توقعت أن يكون مختلفا عن كل الرجال !

يقول لها وهو ينهنه مثل طفل ويضمها إليه بحنان

ـ لماذا هجرتني وأنا صغير ؟

وتقول له : اهدأ ياحبيبي ، أنا مريم الصافي !

وتصبح اللحظة الوحيدة الممكنة لإثبات قوته ورجولته هي اللحظة التي يجلله فيها العار والمهانة !

كان طوال الوقت يتساءل عمن يرتكب هذه الجرائم التي تطارده ، وها هو يبدو الآن بعد أن قتل مريم الصافي ، وحملها فوق حصانه ليلقي بجثتها في النهر ، وكأنه يجيب نفسه عن سؤاله ، كأنه يشير إلى القاتل المجهول قائلا :

هو كل سلطة جوفاء . كل طفولة محرومة ، كل رجولة يخنقها الخوف ، وكل أنوثة محرومة من الحرية والأمان . وتفتح هذه القصة العظيمة الطريق أمام الكاتب ليبدع روائعه « بيع نفس بشرية » ، « واحتضار قط عجوز » ، فحين يكون مفتاح الرؤية هو أن ينصهر في بوتقة واحدة ما هو فردي بما هو اجتماعي وإنساني ، يصبح الشعر هو لحمة العمل الفني وسداته ، ويصبح الفكر هو الوجه الآخر غير البراق للشعر ! . □



التضخم النقدي

وأبعاده الاقتصادية والاجتماعية

بقلم : نعوم ابراهيم عبود

لم يعرف أجدادنا التضخم النقدي ، وآباؤنا عدّوه ظاهرة استثنائية ، أما نحن - أبناء هذا الجيل - فإن هاجس التضخم يقلقنا بشكل دائم ، وعودة شبحه تلاحقنا ، وتسيطر على أجوائنا الاقتصادية ، وتهدد نمونا وتطورنا وعلاقاتنا الاجتماعية . والمقال التالي ، يلقي الضوء على التضخم وأسبابه وآثاره وأبعاده وإمكانية كبح جماحه .

يُراد بالتضخم النقدي الارتفاع المستمر في المستوى العام للأسعار ، مما يؤدي الى تدني القوة الشرائية للنقود . هذا ما يتفق عليه كل الاقتصاديين ، غير أن معظمهم يعدون أن التضخم لايحدث أو أن الارتفاع في المعدل العام للأسعار لايعد من قبيل التضخم ، إلا إذا كانت الزيادة في المعدل السنوي للأسعار تزيد على (٢٪) في السنة .

ويذهب هؤلاء الى أن الزيادة في المعدل العام للأسعار ، إذا كانت أقل من (٢٪) في السنة ، فإنها لاتثير القلق ، وتعد من قبيل الأعراض المزمنة التي تلازم اقتصاد البلاد المختلفة ، لاسيما الآخذة بسياسة الاستخدام الكامل لقدراتها الذاتية ، أو الراغبة بتحقيق تنمية اقتصادية سريعة متوازنة .

ومما لاشك فيه أن التضخم النقدي يظهر

على شكل ارتفاع في الأسعار الوطنية ، بشكل أسرع من ارتفاع الأسعار العالمية ، غير أن مفهوم ارتفاع الأسعار التضخمي نسبي ، يحدث على العموم تدريجياً مما يعُرف بالتضخم (الزاحف) .

ويقول عديد من المحللين الاقتصاديين والخبراء الماليين : إن التضخم الذي يظهر على شكل ارتفاع معين في الأسعار مرتبط ارتباطا وثيقا بتدهور قيمة النقد ، الناتج عن لجوء السلطات العامة إلى إصدارات نقدية ، حجمها أكبر من عائد العوامل الاقتصادية ، الأمر الذي يؤدي إلى خلق حالة من عدم التوازن في مجمل الهياكل الاقتصادية والمالية القائمة .

ويرى الاقتصاديون الذي يلقبون (بالنقديين) أن النقود تمثل دور (الشرير) في مسرحية التضخم ، ويؤكدون أن العثور على سر التضخم يكمن بالأرقام المتعلقة باصدار العملة والودائع المصرفية تحت الطلب ، لذلك كان طبيعياً في نظرهم ، عند البحث في أسباب التضخم ضمن هذا المجال ، أن ينصب التركيز - منذ البدء - على النقود ، وأن يقال : (فتش عن النقود) . وفي حدود هذا التصور ، يُعرف التضخم نفسه بأنه نقود كثيرة تطارد سلعاً قليلة .

بينما ينظر اقتصاديون آخرون إلى التضخم ، من زاوية العوامل والقوى التي تفضي إليه ، كالتوسع في عرض النقود ، أو الزيادة في الطلب ، أو الزيادة في التكاليف ، أو هواجس الأرباح . ويؤكد بعض الاقتصاديين على أن التضخم لايمكن أن يتضح خارج العلاقات الاجتماعية وعلاقات الإنتاج ودوافع الاستهلاك .

حركة حلزون التضخم :

(إن مجتمع الاستهلاك هو مجتمع التضخم ، وإن التضخم هو سرطان الرأسمالية المعاصرة) هذا ما يقوله (ميشيل روكار - رئيس وزراء فرنسا منذ شهر يونيو (حزيران) ١٩٨٨ ، في كتابه « التضخم في الصميم ») .

ويربط معظم الاقتصاديين بين ظاهرة التضخم وبين الرغبة في الاستهلاك ، وطلب المزيد من السلع والخدمات ، نتيجة الارتفاع الذي يحدث في مدخولات العديد من الفئات الاجتماعية ، مما يؤدي إلى تغيير النمط الاستهلاكي لهذه الفئات .

وتواكب - غالباً - ظاهرة التضخم عدة اتجاهات ، تُشكل فيما بينها ما اصطلح على تسميته (حلزون التضخم) ، ويمكن تلخيصها بالنقاط الرئيسة التالية :

١ - إن الطلب على السلع والخدمات غالباً ما يكون أكثر من العرض عليها .

٢ - نتيجة ارتفاع الطلب على السلع والخدمات ، فإن مؤسسات البيع بأشكالها المختلفة ، تسعى إلى أن ترفع أسعار منتجاتها ، متوقعة في ذلك قبول المستهلكين لهذه الارتفاعات .

٣ - نتيجة ارتفاع الأسعار ، فإن العمال والموظفين يقومون بالمطالبة برفع أجورهم ورواتبهم بشكل يتناسب ومستوى المعيشة المرتفع ، الأمر الذي يُرغم السلطات العامة في أغلب الأوقات على الموافقة على رفع أجورهم نسبيا .

٤ - نتيجة الارتفاع الجديد للاجور والمرتبات ، فإن المؤسسات الصناعية والتجارية تقوم برفع أسعار منتجاتها ، مستغلة بذلك الطبيعة الجديدة لواقع الرواتب والأجور ، بسبب عدم وجود ضوابط سعرية من قِبل الدولة . ثم تبدأ من جديد عملية قلة العرض - زيادة الأجور ، وزيادة الأسعار - بالدوران من جديد ، مُشكلة بذلك (حلزون التضخم) في الاقتصاد الرأسمالي .

من المسلم به أن فترات التضخم هي أيضا فترات ارتفاع الأجور ، لذلك يقول اقتصاديون

كثيرون : إن سبب ارتفاع الأسعار يكمن بشكل كبير في ارتفاع الأجور ، ويؤكدون على أن ربط الأسعار بالأجور هو البوابة الرئيسة للتضخم .

وقد قام نقاش حاد بين أولئك الذين يتهمون الارتفاع الكبير للأجور بأنه سبب التضخم ، وبين أولئك الذين يرون في طلبات زيادة الأجور مجرد إجراءات دفاعية ، يلجأ إليها أصحاب الدخل المحدود الذين يعانون قبل غيرهم من عبء التضخم وآثاره .

ومنذ نهاية الخمسينيات استأثرت بنظرية التضخم العلاقة السببية المثلثة الجوانب التي تربط بين مستوى العمالة ومستوى الأجور ومستوى الأسعار ، وهذه النظرية تحمل اسم (نظرية فيلبس) التي كان (آ . فيلبس) قد شرحها في مقال ظهر عام ١٩٥٨ في مجلة (مدرسة لندن الاقتصادية) . وهدف هذه النظرية إثبات فرضية ترابط إحصائي بين تجاوز عتبة قصوى للاستخدام وبين ارتفاع الأجور ، وأن معدل تطور الأجر النقدي يمكن أن يُفسر مستوى البطالة ومعدل تطورها .

وحيث إن الأجور تؤلف القسم الأعظم من كلف المشاريع ، فينجم عن ذلك حسب رأي (فيلبس) أن معدل استخدام عال ، يجرّ إلى ارتفاع الاسعار .

وقد نادى بهذه النظرية وتبناها بعض علماء الاقتصاد (الانكلوسكسون) وعاشوا أكثر من عشر سنوات على هذا التفسير - وبعضم مازال يتمسك به - لا لأنهم كانوا يظنونه صحيحاً فقط ، بل - فضلاً عن ذلك - لأنه كان يقدم سنداً علمياً لتبرير البطالة بالنضال ضد التضخم ، وانتقد نظرية (فيلبس) وفرضياته سياسيون واقتصاديون آخرون ، ومن أكثر المشككين بها السيد (ميشيل روكار) ، رئيس وزراء فرنسا الحالي ، بكتابه الذي أشرت إليه سابقاً ، وهو (التضخم في الصميم) الذي شاركه بوضعه الاقتصادي (جاك كالي) ، حيث ينصب الانتقاد على نظرية (فيلبس) بأنه يبني محاكمته ، بقصره « إقامة الصِلات » على الأجور والأسعار . إلا أن إقامة علل هذه العلاقة تقتضي أن يتأكد المرء مسبقاً - كما يقول المؤلفان بكتابهما المذكور - من اجتماع الشرطين التاليين :

الشرط الأول : هو أن يكون نصيب الأجور من المداخيل ثابتا (نعلم أن المداخيل التي يوزعها مشروع ما ، تشمل بالتأكيد الأجور ، لكنها تشمل أيضاً الأرباح) .

الشرط الثاني : هو أن يتطور مجمل كلف الإنتاج الأخرى (مواد أولية) بايقاع مواز لإيقاع الأجور .

أهم أسباب التضخم :

يدور جدل (كلاسيكي) بين المحللين الاقتصاديين والخبراء الماليين ، حول أسباب التضخم ، ويوردون أسبابا متعددة لظاهرة التضخم ، بعضهم يعزو التضخم إلى مؤثرات داخلية صرفة ، وآخرون إلى مؤثرات خارجية ، ومعظمهم يقول بالمؤثرات المختلطة من الصنفين معاً (الداخلية والخارجية) ، لاسيما في الأقطار النامية المتصلة بالعالم الخارجي ، والتي تتأثر إلى حد بعيد بالظروف الاقتصادية التي تسود الدول الكبرى المسيطرة على الاقتصاد العالمي ، إذ قد تتعرض الدول الكبرى إلى مؤثرات داخلية ، فترتفع لديها الأسعار ، ويحصل لديها التضخم ، ثم ينتقل بدوره مع صادراتها إلى الخارج ، إلى الدول الأخرى ، لاسيما دول العالم الثالث ، وهذا ما يسمى (بالتضخم المستورد) .

وهناك اقتصاديون وماليون يعدون تراكم الديون والاقتراض الخارجي المتزايد يشكّل عاملاً حاسماً من عوامل التضخم المفروض على الدول النامية ، خصوصاً إذا استعملت القروض الخارجية لأغراض غير إنتاجية ، أو إذا

مولت بها مشاريع ذات مردود إنتاجي بعيد المدى ، مثل : (إقامة مصانع للطاقة ، بناء سدود) .

وفي ضوء الجدل الحاد والاختلاف في وجهات نظر المحللين الاقتصاديين والماليين حول أسباب ظاهرة التضخم ـ وتجنبا للإطالة ـ نكتفي بذكر أهم الأسباب الرئيسية للتضخم ـ المتفق على معظمها ـ والتي يمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

١ ـ اختلال التوازن بين التدفقات المالية (الطلب الفعّال) وبين التدفقات الحقيقية (العرض المتاح من السلع والخدمات) ، أي عدم التوازن بين العرض والطلب (نقود كثيرة تطارد سلعاً قليلة) .

٢ ـ عدم التوازن بين الاستهلاك والاستثمار ، فإذا كان معدل الاستهلاك أكبر بكثير من معدل الاستثمار فإن هذا يؤدي إلى ارتفاع كبير في الطلب الفعلي الذي يخلق بدوره ارتفاعا في الأسعار .



٣ ـ ارتفاع العجز في ميزان المدفوعات ، أو تسديد عجوز موازنات الدولة ـ لاسيما في الدول النامية ـ عن طريق الاقتراض من مصرف الاصدار (البنك المركزي) وذلك بتخويل المصرف حق إصدار أوراق نقدية إضافية ، تكون تغطيتها الوحيدة إسناد (دين عام) على خزينة الدولة ، فتزداد تبعاً لذلك كمية النقود المتداولة في الأسواق ، مما يشكل كتلة نقدية ضاغطة ، تزيد الطلب على السلع .

٤ ـ إهمال مبدأ الاعتماد على الذات في تأمين الموارد المحلية وتنميتها ، والإخلال في تحقيق التوازن بين الواردات والنفقات ، إذ يؤدي ذلك إلى وقوع عجز في موازنة الدولة ، أو عدم مراعاة ترشيد الإنفاق الجاري والحدّ منه ما أمكن ، فإذا كانت النفقات العامة غير إنتاجية لتخصيصها لأغراض غير استثمارية فإن ذلك يؤدي إلى ظهور التضخم ، مثال ذلك (النفقات العسكرية ، مصاريف خدمات الصحة والتعليم) .

أبعاد التضخم :

معظم الدراسات الاقتصادية ، تميل إلى عدّ التضخم النقدي شكلاً من الاختلال الاقتصادي المحض ، وأن هذا الاختلال يفسّر ويعالج ضمن الحدود الاقتصادية وحدها ، وإلى جانب هذه الدراسات هناك طائفة من الاقتصاديين ، ترى أن التضخم ليس بالظاهرة الاقتصادية الصرفة ، وهؤلاء ينظرون إلى التضخم كما ينظرون إلى ظاهرة النمو الاقتصادي ، ويذهبون إلى أن كلاً منهما له جذور تمتد إلى خارج الاقتصاد التقليدي .

وتبين الوقائع في حالات عديدة أن التضخم أصبح أداة عامة للتهدئة وحل المنازعات الاقتصادية أو الاجتماعية من جميع الأصناف عندما يتم تغليفها بالتسويات التضخمية .

مقترحات لمواجهة التضخم :

ليس من السهل محاربة التضخم النقدي الذي يوصف بالظاهرة الشريرة التي لابد من مكافحتها بكل الوسائل الممكنة بسبب ماتحدثه من القلق الاجتماعي والرعب الاقتصادي ، ومن الصعوبة بمكان التصدي لسرطان التضخم ، أو التحكم بشكل جذري بآثاره ، خاصة في الدول النامية ، نتيجة لطبيعة الهياكل الاقتصادية والمالية والاجتماعية القائمة فيها .

ولكن لابد من اتخاذ إجراءات معينة ، واتباع سياسات مستمرة ، لمواجهة التضخم وكبحه والحد من آثاره ، ومن هذه السياسات والإجراءات مايلي :

١ - مراقبة أسعار السلع الضرورية وتحديدها ، وبخاصة المواد الغذائية الرئيسة ، وزيادة مرونة العرض من أجل الحد من الاختناقات .

٢ - ربط الزيادة في الأجور والرواتب في انتاجية العمل بصفة أساسية ، مع تحريكها بالشكل الملائم في ضوء الأرقام القياسية لأسعار السلع الاستهلاكية .

٣ - تقليص حجم المستوردات والقروض الخارجية ، من أجل تمويل النفقات العامة وتسخيرها لتمويل البرامج الاستثمارية ذات المردودية السريعة فقط

٤ - ضغط النفقات غير الإنتاجية أو غير الضرورية ، وأن تكون ميزانية الدولة خالية من العجز .

٥ - اتباع سياسة ضريبية بناءة ، تلعب دورا في مواجهة التضخم ، وتهدف إلى زيادة الموارد الضريبية ، وإيجاد التوازن على الأقل بين النفقات والواردات في موازنة الدولة .

٦ - تشجيع الادخار ، وذلك باستخدام أساليب عديدة ومبتكرة لجذب الأفراد إلى مؤسسات الادخار ، ومن هذه الوسائل رفع سعر الفائدة . على أن تستخدم تلك المدخرات في تمويل المشاريع الاستثمارية (الإنمائية) ، ضمن خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدولة .

٧ - إعادة توزيع الدخل القومي بشكل علمي ، يراعى فيه طبيعة الهياكل الاقتصادية والاجتماعية القائمة .

٨ - جعل الإنفاق السنوي على البرامج الإنمائية في حدود الإمكانات المتاحة ، وهذا يعين على السير بالتنمية بشكل متوازن ومتناسب ، ويجنبها الضغوط التضخمية التي يمكن أن ترافق ماأطلق عليه حينا اسم (التنمية الانفجارية) ، أو تتولد عنه .

علاج مع الزمن

في ضوء ماتقدم ، يبدو التضخم النقدي في العديد من مظاهره ، وكأنه وضع غير طبيعي ، على الرغم من أنه أخذ يتميز الآن أكثر فأكثر بالاستمرار ، ومد جذوره في المجتمعات والاقتصاديات التي كيفت أوضاعها مع حقيقة وجوده واستمراره .

ونستطيع القول بأن التضخم ليس بالظاهرة التي يمكن إيقافها بإجراء سحري واحد ، كما أنه من الغلو التصور أن التضخم من قبيل الأعراض التي لاعلاج لها . والوقائع التاريخية تبين أن الحد من وباء التضخم أو القضاء عليه ، لايتم عادة في مدة قصيرة . ولابد من القيام بحملة نشيطة وفعالة تستمر بعض الوقت ، حتى يتماثل تدريجيا اقتصاد البلد الذي ابتلي بهذا الداء الوبيل إلى الشفاء . □

أكثر خبرة

● طلبت الابنة نصيحة أمها عن خير الطرق للفوز بزوج طيب .
فقالت الأم : « يحسن أن توجهي هذا السؤال إلى أبيك ، فقد كان موفقا في زواجه أكثر مني » !





منتدى العربي

قضية

نظرة إلى مُستقبل اللغة المسرَحية

بقلم : عصام محفوظ *

« تظل قضية لغة الحوار في المسرح العربي من القضايا المثارة التي لم يتم حولها الاتفاق . ففريق يذهب إلى ضرورة استخدام الفصحى ، وفريق آخر يرى ضرورة استخدام العامية بحيث تتناسب لغة الشخوص مع واقعهم الثقافي والفني . وهذا اسهام في القضية يطرحه أحد العاملين بالعمل المسرحي العربي » .

إن الخط البياني العام للنص المسرحي كما عرفته الخشبات العربية بين منتصف القرن الماضي ومنتصف هذا القرن يشير إلى أن إشكالية الازدواجية اللغوية بين محكية ومكتوبة في لغتنا العربية كانت شبه محسومة : المسرح الهزلي يعتمد العامية ، والمسرح الجدي يعتمد الفصحى ، وربما كان يتخلل هذا الحسم بعض التساؤلات التي سرعان ما كانت تتغطى بطريقة تجعل التعايش بين الصيغتين أمرا طبيعيا .

لكن مع بداية النصف الثاني من هذا القرن أخذت هذه الإشكالية تطرح نفسها بقوة ، ثم تفجرت في أواخر الربع الثالث من هذا القرن وأوائل الربع الأخير ، وهي مستمرة . واتخذ هذا التفجير للأزمة أشكالا عدة : نظريا وعلميا . فما الذى أدى إلى تفجير هذه الإشكالية ؟ وأين يقف تطور المسرح منها ؟ وما سلبيات هذا التفجير وإيجابياته في حاضر الحركة المسرحية ومستقبلها في مختلف الأقطار العربية ؟

* كاتب وناقد من القطر العربي اللبناني .

ليس لها مثيل !

في البدء يجب الإشارة إلى أن الازدواجية في اللغة العربية بين محكية ومكتوبة ليس لها مثيل في اللغات الحية الأخرى ، لذا ليس أمامنا تجربة سابقة نستفيد منها ، بل علينا أن نحلّ مشكلتنا بأنفسنا . ولأن المجال لا يسمح هنا بالتوسع في أسباب هذه الازدواجية واستمرارها أكتفي بإشارة ابن خلدون في هذا الصدد الذي يحمِّل المسؤولية للغويين والنحاة لتقاعسهم عن « تقعيد » التطور الذي لحق باللسان العربي بعد انتقال العربية من البداوة إلى الحضارة . ويفيدنا ابن خلدون أيضا أن هذا التفاوت لم يكن فقط بين الفصحى والعامية ، بل بين العاميات العربية نفسها في المناطق المختلفة .

وورثنا نحن هذه الأزمة عبر أربع عاميات أساسية في الوطن العربي:عامية سوريا الطبيعية (لبنان ، سوريا ، الأردن ، فلسطين ، والعراق) عامية المربع العربي (، الجزيرة والخليج) ، عامية وادي النيل (مصر ، السودان ، والصومال) ، عامية المغرب العربي الكبير (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ، وموريتانيا) .

وإذا استثنينا العامية المصرية التي صارت مفهومة على نطاق واسع ، فإن العاميات الأخرى لا تصل كليا إلى فهم السامع في المناطق المختلفة التباعد .

ومع أن مسألة الازدواجية اللغوية كانت تطرح في مجال الفن المسرحي - منذ بداية هذا القرن - بعض التساؤلات ، إلا أن الكتّاب المسرحيين العرب الذين كانوا يكتبون للمسرح الحي لم تشغلهم كثيرا هذه الازدواجية ، لأنهم كانوا يعدون المسرح نوعا أدبيا تنطبق عليه الأنواع الأدبية الأخرى ، وكانوا جلهم من الأدباء والشعراء ، لذا كانت الفصحى هي المهيمنة على الانتاج المسرحي الجدّي ، سواء في النصوص الموضوعة ، أو في النصوص المترجمة ، بل إن الفرقة القومية للمسرح التي أنشئت في القاهرة في أواسط الثلاثينيات ، وهي أول فرقة مسرحية رسمية عربية ، كانت تشترط الفصحى لغة للحوار .

بين الأدبي والمسرحي

لكن بداية النصف الثاني من هذا القرن وما رافقها من تحول في النظر إلى المفاهيم الاجتماعية والسياسية والفنية ، شهدت وعيا جديدا للفن المسرحي الجاد ، سواء في الاخراج أو التمثيل أو الديكور والموسيقا وباقي العناصر المسرحية ، وخاصة لغة التعبير ، وهذا الوعي الفني الجديد ، في موازاة الوعي الاجتماعي الجديد ، شجع على ظهور كتّاب مسرحيين يهتمون بفنية التعبير منتقلين من المسرح الأدبي إلى المسرح المسرحي . وهم قبل ثلاثين سنة كانوا قلة ، أما اليوم فهم الغالبية الساحقة بين كتاب المسرح الواقعي ، وقد اختاروا تبني اللغة المحكية لمطابقتها للشروط الفنية ، ولم تخذلهم هذه اللغة في التعبير عن أدق الحالات النفسية والاجتماعية والسياسية .

وكان ظهور السينما العربية الناطقة في الأربعينيات بالعامية عاملا مشجعا ، ثم جاءت المسلسلات التمثيلية في التلفاز والإذاعة تدعم هذا الموقف .

وإذا كانت قلة من الكتاب ما تزال تعتمد الفصحى إلى اليوم فهي تتحايل على الموقف باختيارها المواضيع التاريخية أو الاسطورية التي تسمح باستخدام الفصحى دون إحراج .

ولم يدهشنا أن نرى توفيق الحكيم ، وهو أحد رواد المسرح العربي ، عندما انتقل بمسرحه إلى معالجة الواقع ، تخلى عن اعتبار النص المسرحي نوعا أدبيا ، ونظر إليه كنص فني للخشبة ، واضطر إلى الكتابة بصيغتين : أولى للكتاب بالفصحى ، وثانية للخشبة بالعامية ، فكان يترجم المسرحية التي ستقدم على الخشبة بنفسه

من الفصحى إلى العامية بدءاً من الستينيات .

أمـام هـذا المـد للغـة العـامية في النص المسرحي ، كان لا بد من قيام ردود فعل بعضها بدافع رجعي ، وبعضها بدافع سياسي قـومي بحجة أن السماح باستخدام العامية يساعد على تعطيل المشروع الوحدوي .

ولأننا هنا ليس في مجال الدفـاع عن طليعيّي المسـرح ضد الـرجعيين نتـوقف أمـام الـدافـع السياسي ونتساءل : إلى أي حد هو مقنع ؟

اللغة والوحدة

لقد رأيت ومازلت أرى أن طرح مسألة العامية في إطار العقبات التي تواجه المشروع الوحدوي طرح خاطيء في أساسه ، لأننا إذا راجعنا تاريخ الأقطار العربية قبل التجزئة الاستعمارية حـين كانت هذه الأقطار متوحدة في ظل الحكم العثماني قروناً طويلة سنلاحظ أن تلك الـوحدة لم تمنـع (استفحال) العاميات المختلفة على لسان الرعايا العثمانيين من العرب .

وفي المقابل نرى أن تعدد اللغات القومية في بلد واحد مثل الاتحاد السوفيتي ، لم يمنـع إنشاء دولـة اتحاديـة كبرى مـع تعزيـز مستمر للغـات القومية المحلية رسميا .

انـطلاقا من هـذا لا يصـح تحميـل المسـرح مسؤوليـة فشـل المشـروع الـوحــدوي ، لأن المسرحيين أنفسهم هم ضحايا هـذه الازدواجية التي أربكتهم وأعـاقت تـطور المسـرح العـربي وتـأصيله في أرضهم ، وستـظل تـربكهم حتى الوصول إلى إصلاح لغوي حـاسم لهذه الأزمـة المزمنة .

وفي اعتقادي أن الذين يحاولون منع المسرح الواقعي من اعتماد لغة الواقع سوف يسهمون في جعلنا نخسر المسرح دون أن يساعدهم ذلك على ربح الوحدة .

لكن إلى أي حد يخسر المسـرح إذا لم يعتمد اللغة المحكية ؟



● الجاحظ

ما فعله الجاحظ

قبل ألف عام ، وقبل ولادة المسرح العربي ، قدم لنا الجاحظ الجواب الوافي عن هذا السؤال بحدس الفنان العبقري .

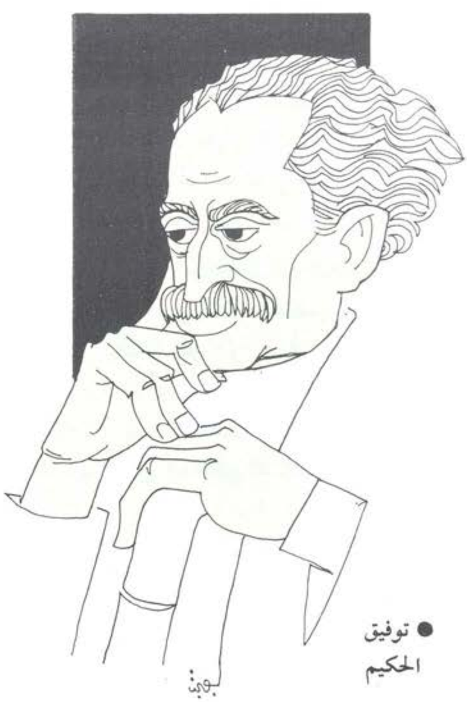
واجه الجاحظ هذه المشكلة عندما اضطر أن يجـري الحوار عـلى لسان شخصيـاتـه في بعض القصص والنــوادر التي رواهــا في كـتــابيــه (البخـلاء) (والحيوان)،وبـوعي حاسم لفنيـة العـلاقـة بـين الشخصيـة وكـلامهـا ، ذهب الجـاحظ ، إلى أبعد من تبسيط الفصحى عـلى لسان شخصياته من العوام ، إلى حـد السماح بإسقاط الاعراب عندما يحتاج الحوار إلى ذلك .

ففي مستهل كتابه (البخلاء) ينبـه القاريء : « وان وجدتم في هذا الكتاب لحنا أو كلاما غير معرب ولفظا معدولا عن جهته فاعلموا أننا تركنا

ذلك لأن الإعراب يبغض هذا الوجه ويخرجه من حده . . . أي يخرجه من الشكل الفني اللائق به حيث يجب أن تتطابق الشخصية مع كلامها .

ثم نراه يكرر الملاحظة نفسها في كتابه (الحيوان) حيث كان يضطر إلى سرد بعض النوادر على لسان أهل البادية فينصح باستخدام الفصحى كما تجيء على ألسنة الشخصيات ، ثم يوضح :

« . . . . . . وانا أقول : إن الإعراب يفسد نوادر المولدين ، كما أن اللحن يفسد نوادر الأعراب . . . أي أن الكاتب يراعي واقع الحال في الحوار فلا يجعل ابن البادية الذي مايزال يتكلم الفصحى ، يغير لغته المحكية فيتكلم كأحد (المولدين) أو (البلديين) أي أهل المدينة ، ويخلص إلى القول : بأن إساءة استعمال اللغة هنا يجعل المعنى « ينقلب إلى ضده مع انقلاب نظمه وتتبدل صورته » .



● توفيق الحكيم

ثم يعود إلى المسألة نفسها في كتابه « البيان والتبيين » ، منتقلا من الكلام على الحوار المكتوب إلى الكلام على الحوار المروي فيقول :

« ومتى سمعت - حفظك الله - بنادرة من نوادر الأعراب فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها ، فإنك إن غيّرتها بان تلحن في إعرابها وأخرجتها مخرج المولّدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير . وإذا سمعت بنادرة من نوادر العوام فإياك أن تستعمل فيها الإعراب أو أن تتخير فيها لفظا حسنا أو تجعل لها من فيك (أي فمك) مخرجا سرّيا ، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها ويُخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له ويذهب استنباطهم إياها واستملاحهم - أي الجمهور - لها . »

في هذا المقطع يتصور الجاحظ طريقة إلقاء النادرة ، وليس كتابتها فقط ، فينصح الذي يقوم بدور الراوي أن يكون الكلام الذي ينقله على لسان شخصياته مطابقا للواقع ، كما لو أن هذه النصيحة موجهة إلى ممثل معاصر له ، لو كان للتمثيل مكان في عصره .

إن الجاحظ ، دون أن يعرف الفن المسرحي ، أدرك الشرطين اللذين يميزان هذا الفن : المتعة والتعليم : أو (الامتاع) والفائدة حسب رأي الجاحظ،ولم يكن الجاحظ وهو أحد أسياد اللغة العربية ، والبيان العربي يتحدث هنا كأديب - كما يقول عمر الدقاق - بل كفنان .

إن هذا الدرس الذي قدمه لنا الجاحظ قبل ألف عام عن الحوار المسرحي ، بحدسه العبقري ، يتمثله كتاب المسرح العربي اليوم ، وهو الجواب عن السؤال حول مدى الخسارة الفنية التي تصيب المسرح الواقعي اليوم ، لو أن الكتاب المسرحيين استجابوا للضرورات السياسية في هذا المجال ، فجعلوا شخصياتهم الواقعية تتكلم على المسرح لغة غير اللغة التي تتكلم بها في واقعها .

فصحى شعبية !

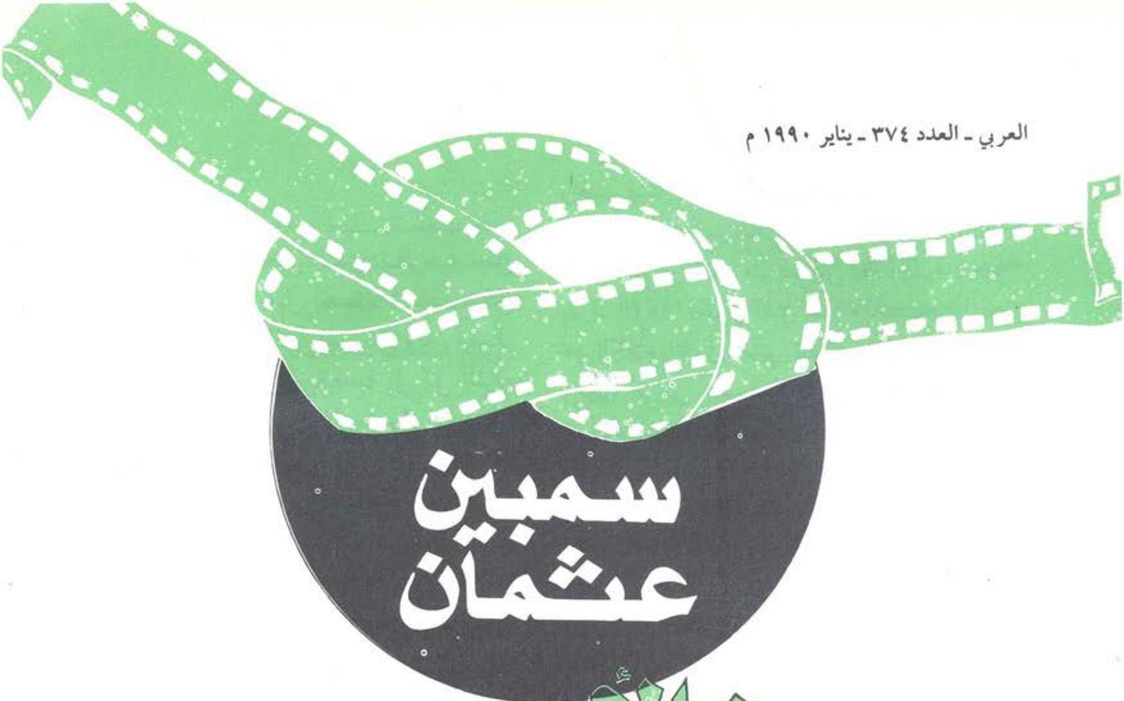
يبقى السؤال الأخير الذي نطرحه نحن كتاب مسرحيين على أنفسنا : كيف يمكن التوفيق بين اخلاصنا للفن المسرحي وبين ايصال النص المسرحي المكتوب بالعامية إلى كل القراء العرب المعنيين بالمسرح ، لاستمرار التواصل المسرحي على هذا الصعيد ؟

أعتقد أن التغلب على هذا المأزق يتطلب تضافر جهود فريقين : الكتّاب المسرحيون الذين يكتبون بالعامية والجهات الرسمية المعنية بالثقافة العربية .

أما الكاتب المسرحي ، فمع استمراره في كتابة نصّه الأصلي بالعامية إلى جمهور بلده ، عليه أن يبذل جهدا إضافيا عندما ينشر نصه في كتاب ، فيحوّل هذا النص الموجه إلى القراء العرب في الأقطار الأخرى ، إلى فصحى مبسطة . ومع أن النص يفقد هكذا عفويته ويخسر فنيته ، إلاّ أن مضمونه يصل كاملا إلى القاريء الذي سيتعامل آنذاك مع هذا النص تعامله مع أي نص مترجم عن لغة أجنبية : فهو يدرك أن هذا الحوار الذي يقرؤه بالفصحى ليس هو الكلام الحرفي الذي تنطق به الشخصية في واقعها أو على خشبة المسرح ، وإنما هو تعبير محرّف يفي بايصال مضمون الكلام وليس الصيغة الأصلية .

وحفاظا على الأصل يمكن للكاتب المسرحي أن ينشر الصيغتين في الكتاب نفسه : الصيغة الأصلية المكتوبة باللغة المحكية ، والصيغة المحولة إلى الفصحى . وبهذه الطريقة يقوم بواجبه كاملا تجاه فنه وتجاه جمهوره وتجاه أمته .

ومن واجب الفرقة المسرحية أيضا التي تشارك بعرض مكتوب حواره بالعامية في مهرجان عربي للفنون المسرحية ، حيث يفترض وجود متفرجين من مختلف الوطن العربي ، أن تقوم بالجهد نفسه حتى لا تحرم المتفرج من فهم النص كاملا . □



سمبين عثمان
من الأدب الى السينما

بقلم : خليل صويلح *

من قلب معارك الاستقلال العنيفة ، ولد للشعوب الافريقية جيل جديد ، شغلته هموم التعبير عن طموحاتها ، ومعاناتها في بحثها عن هوية مستقلة ، وسعى هذا الجيل بابداعاته المتنوعة لمد جسور التواصل بين أصوله وتراثه والحضارة المعاصرة .

وسمبين عثمان الفنان السنغالي واحد من هذا الجيل .

كانت الآداب الافريقية ، إلى وقت قريب ، ثمرة مجهولة في أدغال القارة الغريبة المدهشة ، وظلت الاسطورة الافريقية ، تحتل المشهد العام في الذاكرة ، وربما يعود ذلك الى أن الأدب الافريقي غالبا ما يكتب بلغات أوربية ، وكما يقول الروائي غابرييل أوكارا : « قول افريقي ، كلمات انجليزية » ، وهذه العبارة تفسر كثيرا من مأزق الكتابة الافريقية ، فالكاتب يسجل مناخاته ، والعادات والتاريخ « والميثولوجيا » والجذور ، لكن بلغة أجنبية ، تحمل كل تقنيات الكتابة الأوربية . وظلت هذه الاشكالية قائمة حتى الآن ، ففي البلد الواحد تجد أكثر من لغة ، بل لكل قبيلة لغة خاصة بها .

فكيف للكاتب أن يصل إلى من يخاطبه مباشرة ، والإرث الاستعماري الثقيل يحمله على

* صحافي و كاتب من القطر العربي السوري .



● المخرج سمبين عثمان يوجه أحد ممثليه

كتفيه ، حيث أضاع جوهرته الحقيقية الوهاجة وهي اللغة ، بأصواتها ، ودمها القاني الذي لم يكتب به على « سبورة » المدارس التبشيرية ذات الأقنعة الحضارية ؟

موجة أفريقية في العربية

مع موجة الترجمة إلى العربية من آداب العالم الثالث ، أمريكا اللاتينية أولا - حيث فتح الباب على مصراعيه أمام أعمال ماركيز وآمادو واستورباس وغيرهم ، نكتشف الآن ثمار القارة الأفريقية اليانعة ، الرواية بشكل خاص ، حيث ترجمت في السنوات الأخيرة ، في أكثر من مكان في الوطن الغربي ، أعمال أهم الروائيين الأفارقة ، نذكر : غينوا اتشيبي في ثنائية « الأشياء تتداعى » ، « ومضى عهد الراحة » ، التي تعد الفاتحة الجديدة للرواية الأفريقية بما تحمله من سماء أفريقية صافية ، إلا من همومها الطويلة ، وصرختها المدوية ضد الماضي الداكن .

ونذكر أعمال فرديناند اينو ، وغابرييل أوكارا ، وجيمس نغوجي ، إلى سمبين عثمان وروايته الصغيرة الجارحة « الحوالة » التي صدرت حديثا بترجمة للشاعر سعدي يوسف .

سنوات الضباب

سمبين عثمان ــ كما هو معروف ــ مخرج سينمائي مهم من السنغال ، اكتسب أهميته السينمائية بالدرجة الأولى من سيرة حياته ذات القاع الاجتماعي القاسي المرير ، فقد عمل في صيد السمك والميناء ، وعامل ميكانيك وبناء ، وغير ذلك من الاعمال العضلية الشاقة التي تضع المرء وجها لوجه مع الحياة الافريقية بعد الاستقلال مباشرة ، والأخطاء الكثيرة التي مارستها السلطات كامتداد للخط الاستعماري

القديم من مجاعات وتخلف وجهل ينخر في العظام .

ولد سمبين عثمان في عام ١٩٢٣ في مدينة « زيفينشور » ، وهي مدينة صغيرة على ضفاف نهر كاز أمانس ، وحين بلغ الثامنة عشرة التحق بالجيش سائق عربة عسكرية إبان الحرب العالمية الثانية ، وحين سرح من الجيش عاد إلى العمل المضني فانتقل إلى ميناء مرسيليا ، وتعرف هناك على الكلمة وأهميتها ، فقضى سنوات من الدراسة ، تعلم خلالها كثيرا عن معنى الوطن وأهمية الشباب في بنائه ، وأزاح عن دماغه المتعب ضباب سنوات المرارة القديمة .

ثمار التجربة

إن جميع روايات سمبين عثمان هي ثمار تجربته الذاتية ، سواء كعامل أو كسائق في الجيش أو كمثقف ، فكانت كتاباته صدى للذاكرة وموقفا مما يحدث ، ورأى أن الكتابة وحدها ليست هي السلاح الأنجع في مجتمع لايجد ثمن الخبز ، فكيف له أن يقرأ ؟!

فالتفت الى السينما وجعل آلة التصوير سلاحا وقلما يكتب به آلام شعبه ، فاستطاع أن يلفت النظر بقوة إلى سينما أفريقية من نوع خاص ، سينما الشارع الأفريقي وليس طرازان الغابة ، سينما البشر المخذولين وليس سينما الطبول والسحر وحديقة الحيوان المسلية .

أولى أعماله الروائية كانت « عامل المرفأ الأسود » ، وقد حولها إلى شريط سينمائي مثل معظم أعماله الروائية الأخرى ، وتتحدث عن التمييز العنصري في ظل سيطرة الاستعمار الأوربي وما يعانيه العمال الأفارقة من ظروف اجتماعية صعبة وبداية ظهور الصراع الطبقي في أفريقيا .

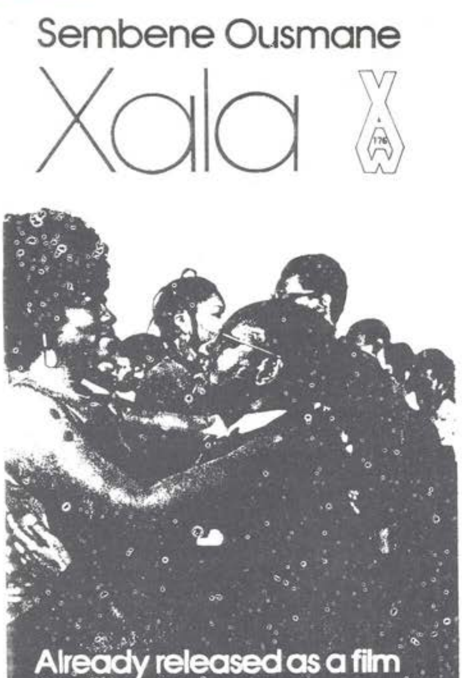
ومن أعماله الأخرى « يا وطني ويا شعبي العظيم » وقد صدرت عام ١٩٥٨ ، وهي سيرة ذاتية وتصوير لسنوات الحرب العالمية الثانية ، استطاع من خلالها أن يلفت الرأي الأدبي العالمي إلى موهبته .

ثم توالت أعماله الأدبية وهي : « أخشاب الآلهة ، الاستفتاء ، كان هذا في الفولتا ، أزمنة تشيوسان ، الحوالة ، الخ . . . » .

وتتراوح أفكاره هنا بين الوصف الدقيق لأحوال الشعب ، وما يعيشه من آلام ، وبين تشكل الوعي بين الجيل الجديد ، ومواجهته للواقع ومحاولة تغييره .

وكما أشرنا سابقا فقد حول معظم أعماله إلى السينما ونذكر منها : الرجل صاحب العربة ، يناي ، سوداء من ؟ الحوالة ، ساووند ، إله الرعد وغيرها .

يقول سمبين عثمان عن خصائص السينما الأفريقية الحقيقية والظروف التاريخية التي تعيشها « في الحالة الراهنة ، أنا أفضل إنشاء



● ملصق فيلم « كسالا »

منزل ، أي أن يبنى المنزل نفسه قبل أن ينشغل الانسان بالجوانب الزخرفية فيه والجوانب التي تعطيه شكلا جميلا ، فلا بد من إنشاء المنزل أولا حتى يصبح ملجأ حقيقيا . والفيلم المفيد هو الذي يخدم قضية ويبعث الوعي الجماهيري ويبرز حقيقة معينة ، وهنا إذا وقع سينمائي ما تحت تأثير فنيات معينة في العمل ، فإنها لا تعد مهمه إلا إذا عكست بأمانة وصدق الواقع والمطامح الشعبية والخصائص الموجودة في تلك المنطقة » .

ولأن سمبين عثمان في أفلامه كافة ، قدم للمشاهد هواجس أفريقية محلية بآلة تصوير أفريقية ، ترصد عوالم تبدو غريبة لفرط حساسيتها وارتطامها بالواقع القاسي ، فقد حازت معظم أفلامه على جوائز من مهرجانات عالمية مهمة ، منها مهرجان نيويورك السينمائي ، ومهرجان قرطاج ، ومهرجان البندقية ، ومهرجان فيمو لسينما الطليعة ، على الرغم من الظروف الصعبة التي يعمل بها ، والإمكانيات المادية والتقنية البدائية .

الحوالة التي لم تصل !

« الحوالة » رواية صغيرة ، أقرب إلى القصة الطويلة ، تعتمد على حدث بسيط مؤثر ، وهو وصول حوالة بريدية من باريس إلى قرية بائسة في السنغال ، مرسلة إلى إبراهيم دينج ـ وهو محور القصة ـ من ابن اخته الذي يعمل في باريس ، تحتوي خمسة وعشرين ألف فرنك فرنسي ، يرجوه في رسالة صغيرة أن يحتفظ له بمبلغ عشرين ألف فرنك لكي يتزوج حين يعود من المهجر ، ويقسم بقية المبلغ مع أمه [illegible]

ورشوة وغير ذلك من عوالم الفساد الاجتماعي والسياسي في فترة الستينيات ، ومع ذلك فالحوالة لم تصل !

ابراهيم دينج رجل أمي ، عاطل عن العمل منذ سنوات ، متزوج من امرأتين ، يعاني من بؤس حقيقي في كل شيء ، يبدأمن داخل البيت وينتهي عند صاحب الدكان ، وديونه تراكمت على صدره النابض بجراح الحياة الصعبة .

حين يسلمه ساعي البريد إشعار وصول الحوالة ، ينتشر الخبر في أنحاء القرية ، وتبدأ صورة جديدة للرجل في ذهن الناس ، الرجل المحترم ، المحبوب ، المهم ، الثري . صاحب الدكان يبدأ بإرسال الرز الى بيته تلقائيا ، بعد أن طرد زوجته أكثر من مرة من أجل حفنة رز تكفي لوجبة واحدة .

زوجته الصغرى ، تبرعت بحليها من أجل الحصول على الحوالة بأسرع وقت ممكن ، يستدين ابراهيم أجرة الحافلة للذهاب إلى المدينة واستلام الحوالة ، وحين يصل إلى شباك البريد بعد عناء ، يطلب منه الموظف هويته ، لكنه لم يحمل هويته ولم يحصل عليها من قبل !(وهذه إشارة واضحة إلى أن المجتمع الريفي ، مازال خارج المعادلة ، وهو لا يساوي شيئا ، أو أنه يعيش في فراغ هائل من الإهمال من قبل السلطات المحلية ، ويقودنا إلى أن أسرة ابراهيم دينج مازالت خارج السجلات الرسمية أصلا !) . يعود ابراهيم حائرا ، ماذا يفعل ؟ يحصل فيما بعد على إثبات أنه من مواليد عام كذا ، يقول له موظف الأحوال الشخصية : في أي شهر ؟ (هو أيضا خارج الزمن ، [illegible] خطأ) على أرض كانت [illegible]

المصور الذي يطرده خارج « الاستوديو » بعد أن يشتمه في الشارع وأمام الناس .

بقي أمامه اسبوعان لإنجاز الهوية ، وإلا فالحوالة ستعود إلى مرسلها ، تقوده خطواته العاثرة إلى قريب له في المدينة وهو محام أفاق ، يستطيع أن يحصل منه على توكيل بقبض الحوالة ، فيستلمها ويدعي أنه سُرق ،



● غلاف كتاب « الحوالة »

ويصاب إبراهيم بدوار وتضيع أحلامه في هواء المدينة الفاسد ، ليعود إلى القرية من حيث بدأ ، إلى الجوع والديون والموت البطيء .

بين الأدب والسينما

الحوالة ، في بنائيتها الروائية أقرب إلى شريط سينمائي ، يحمل الكثير من « الكوميديا » السوداء المرة ، لمجتمع يتمزق تحت وطأة مشكلات كثيرة ، يمثل ابراهيم دينج محورها الذي يكشف الصورة الواضحة للفساد والاستغلال والجهل . لكن سمبين عثمان ، يعلق على هذا الرجل البائس بعض الأمل في مستقبل التغيير نحو عالم جديد مختلف :

« - غدا سنغير هذا كله .

- من نحن ؟

- أنت .

- أنا ؟

- أجل أنت يا ابراهيم دينج

- أنا ؟

وتظل إشارة استفهام كبيرة حائرة على شفتي ابراهيم وعينيه اللتين تحملان مئات الصور القديمة الداكنة .

من خصائص السينما في رواية الحوالة أيضا الحوار المتوتر ورسم المشهد بشكل«بانورامي»ثم تفكيكه إلى حالات صغيرة ، عبر الانفعالات الداخلية للأشخاص ، واللقطة السريعة المؤثرة ، والقطع الروائي للمشهد .

« سمبين عثمان في الرواية ، شأنه في السينما ، يحمل ضوءه الكشاف ، وعلى خلاف ليبولد سنغور ذي القصة المثقلة بالعتمة التي لاترينا من السنغال إلا اللقطة الباريسية المترفة ، نرى سمبين يبعد عن وجه وطنه الظلال ، بمهارة جارحة ، ويدفع إلى الواجهة العارية مشكلات بلاده ومصائر أناسها ، هؤلاء الذين تنهشهم الأدواء وتستلب جوهرهم النبيل ، إدارات متعاقبة لاتختلف كثيرا عن الادارة الاستعمارية في الظلم والفساد والبيروقراطية ، وإنه ليحلم بولادة عالم جديد في وطنه قائلا :

« من عيوب هذا العالم القديم ، المدين ، سوف يولد عالم جديد طال انتظاره ، ولازم أحلامنا طويلا » .

ألهذا إذن يحمل سمبين عثمان ضوءه الكشاف ؟ حيث ترتسم صورة أفريقيا على الشاشة بالابيض والأسود والرمادي ، وكافة تجليات ألوان المستقبل □

اعداد : يوسف زعبلاوي

الانتفاع من وخز الإبر دون وخز ودون إبر

الوخز بالإبر الصينية طريقة تقليدية يعالج بها أهل الصين عددا كبيرا من الأمراض ، لاسيما الأمراض ذات الصلة بالأعصاب ، كالانزلاق الغضروفي ، والشلل النصفي ، إلى آخر ما هنالك . ويعجب المرء إذا ما أتيحت له فرصة مشاهدة جلسة من جلسات الوخز بالإبر ، كيف يمكن لإبرتين أو ثلاث ، تثبت على القدمين مدة ٢٠ ـ ٣٠ دقيقة يوميا طوال شهر ، أن تشفي أو تسكن آلاما في الصدر أو الظهر أو العين ؟ ما أشبه ذلك بالذي يعاني من صداع شديد ، فيعمد إلى دق مسمار في الجدار من أجل تسكين صداعه !!

على أن الوخز بالابر الصينية لم يعد وقفا على الصين ، فقد انتشر في أمريكا والمانيا وبريطانيا ، فضلا عن اليابان ، ومضى المتخصصون الذين حصلوا على تدريباتهم في الصين في معالجة الناس والتخفيف من آلامهم في مراكز خاصة للوخز بالإبر ، انتشرت في شتى المدن الأوربية والأمريكية ، وبلغ تعدادها أكثر من مائة في لندن وحدها . ولم يقف الأمر عند هذا الحد .

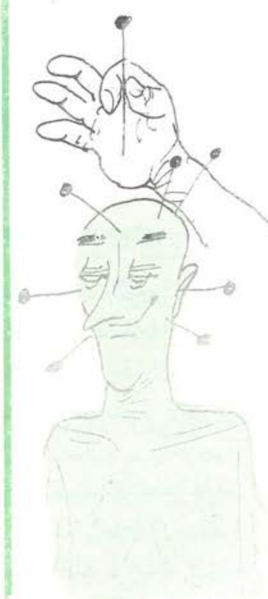
وقد عكف علماء الغرب على دراسة علاج الوخز بالإبر دراسة متعمقة في بكين وغيرها ، ثم عادوا إلى بلادهم ، وأسسوا المعاهد في نيويورك وبرلين وباريس وغيرها ، لتدريس الراغبين من الأطباء مباديء هذا الفن الطبي الصيني ، ولتدريبهم على ممارسته ، حتى يتمكنوا من مزاولته في عيادات خاصة يفتتحونها لهذا الغرض .

بقي أن نضيف إلى ما ذكرنا ملاحظتين أو ثلاثا ، استكمالا للفائدة :

الملاحظة الأولى هي أن أهل الصين لايستعملون الوخز بالإبر لتسكين الآلام ومعالجة الأمراض فحسب ، ولكنهم يستعملونه بقصد التخدير ، فالكثير الكثير من العمليات الخطيرة ، كعملية زرع القلب أو الرئة ، وما إلى ذلك ، يجري في الصين بتأثير التخدير بالوخز بالإبر ، فترى المريض مستلقيا في غرفة العمليات ، وقد شق الأطباء صدره ، وأخرجوا قلبه من جسمه ، وهو في كامل صحوه ووعيه ، تراه يراقب الجراحين بمرآة علقوها فوق السرير ، وكثيرا ما يمضي في تدخين سيجارته ، دون أن يشعر بأي ألم أو مضايقة . ذلك أنه مخدر ، لا بالأثير أو الكلوروفورم أو الغاز الضاحك ، على نحو ما تفعل المستشفيات الحديثة ، وإنما بإبرتين أو

ثلاث ، وضعت في المكان اللائق في جبينه أو ركبتيه أو غير ذلك ، فأصبح لايشعر بألم الجراحة التي يجرونها له في صدره ، وكأنه مخدر تخديرا موضعيا .
أما الملاحظة الثانية فاعتقاد أهل الصين بأن ثمة تيارا خافيا يجري في جسم الإنسان ، ويختلف عن الدم الذي يجري في عروقه ، وعن الطاقة الكهربائية التي تتناقلها أعصابه . فإذا أصيب المرء بعلة أو بأخرى تعطل سير ذلك التيار ، وأصبح بحاجة إلى مساعدة من الخارج . وتكون هذه المساعدة بالوخز بالإبر ، على أن يتم وخزها في المواضع المناسبة على وجه الدقة ، لافوقها ولا تحتها . عندئذ يتم الوخز دون ألم على الإطلاق ، ودون أي نزف ، وقد حصر أهل الصين في جسم الإنسان المواضع أو النقاط المختلفة ، ذات الصلة بأعضاء الجسم المختلفة ، فبلغ عددها نحو ألف نقطة . فالمرارة لها نقاط ، والكلى لها نقاط ، وكذلك القلب والرئتان والقولون ، وبقية الأعضاء والأجزاء .

وقد يكون للعضو الواحد نقطة واحدة أو عشر نقاط ، وقد يكون موضع هذه النقاط قريبا من مكان العضو ، وقد يكون بعيدا عنه ، والخبير المدرب هو الذي يعرف بالضبط أين تقع النقاط المختلفة ، فيجيد الوخز في النقاط المناسبة لمعالجة العلل أو تسكين الآلام في الأعضاء المناسبة ، ولكن ماهو ذلك التيار الأثيري على وجه الدقة ؟ وما العلاقة القائمة بينه وبين شتى أعضاء الجسم ، سواء في حالات المرض أو العافية ؟ وكيف يؤثر الوخز بالإبر في التسكين أو العلاج أو التخدير ؟ هذه أسئلة مازالت طي الغموض ، وموضع بحث وتدقيق من قبل العلماء الباحثين ، سواء في بلاد الغرب أو الصين .
على أن افتقار الوخز بالإبر إلى التعليل والوضوح النظري شيء ، والانتفاع به في معالجة الأمراض والحد من الآلام على نحو عملي شيء آخر .



وليس أدل على ذلك من مراكز الوخز بالإبر التي انتشرت في أكثر عواصم العالم ، وفي بعض عواصم الوطن العربي أيضا . على أن التقنية الغربية بدأت تتجاوز تلك المراكز للاستفادة من فن الوخز بالإبر ، وقد نجحت مؤخرا في تطوير شريط يوضع على كل من المغصمين ، وقد صنعوا مادة هذا الشريط الذي يبدو لك كالساعة في اليد من بلاستيك الاكريليك المطاط ، وجعلوه بعرض بوصة واحدة .
ولعل بيت القصيد في هذا الشريط هو في النتوء أو الزر الصغير الذي جعلوه في أسفله ، بحيث لا يرى ذلك الزر حين يلف



وغثيان الأدوية الكيماوية ، وغير ذلك . ومعنى هذا أن الذين يعانون من الغثيان ويريدون التخلص منه ، عليهم أن يلبسوا شريط وخز الإبر هذا في كلا المعصمين .

والجدير بالذكر أن الاسطول البريطاني قد وزع على كل أفراده أشرطة الأكريليك هذه ، ليلبسوها على كلا المعصمين ، وقد أقرت وكالة الغذاء والدواء FDA استعمال هذه الأشرطة على ألا تعد أداة طبية على وجه التحديد ، فهي تعترف بفائدة الأشرطة ، لكنها لاتستطيع عدها طبية نظرا للغموض الذي مازال يكتنف تأثيرها وسر فاعليتها .

وحسبك أن مجلة الجمعية الطبية الملكية في بريطانيا رحبت بالشريط الجديد ، وأكدت أن أثره العلاجي لايقف عند غثيان الحركة ، بل يتعداه إلى شتى صور الغثيان الأخرى ، كغثيان الأدوية مثلا .

ولعلك تتساءل ـ عزيزي القاريء ـ عن الغثيان عامة ، وغثيان الحركة خاصة .

الغثيان ـ وهو الشعور بالحاجة إلى التقيؤ ـ ذو صلة بالتقلصات التي تحدث للمعدة باستمرار ، بقصد تفريغ محتوياتها في الاثنى عشر والأمعاء الدقيقة . فإذا توقفت هذه التقلصات مؤقتا ، وتقلص الاثنى عشر في الوقت نفسه ، ليمنع المعدة عن تفريغ محتوياتها فيه ، كان الغثيان .

أما غثيان الحركة فعلته معروفة ، وقد عانى منها القائد المشهور نلسون وكذلك لورانس العرب .

قمح جديد يبشر بالأمن الغذائي للجميع

أعلنت « أكاديمية » العلوم القومية (في أمريكا) أنها نجحت في تطوير فصيلة جديدة من الحبوب ، تبشر باستبعاد خطر المجاعات في المستقبل ، وبمضاعفة إنتاج الغذاء للأجيال القادمة . وتسمى الفصيلة الجديدة « تريتيكيل » Triticale ، وقد تم تطويرها بعمليات التلقيح والتهجين بين فصيلة القمح وفصيلة الشوفان . ويعجب المرء لهذا النجاح الذي أعلنته هذه « الأكاديمية » في مطلع شهر تموز (يوليو) ١٩٨٩ ، إذ أن القمح والشوفان فصيلتان مختلفتان مستقلتان ، تنتمي الأولى إلى أسرة « تريتيكوم » ، وتنتمي الثانية إلى أسرة « سيكال » Secale ، أي أن الاندماج بين الفصيلتين بالتهجين والتلقيح متعذر أصلا ، شأنهما في ذلك كشأن القطط والكلاب ، فالتزاوج بين هاتين الفئتين مستحيل تماما كالتلقيح والتهجين بين القمح والشوفان . من هنا كان إعلان « الأكاديمية » باعثا على العجب والدهشة .

بقي أن نذكر أن فصيلة الحبوب الجديدة تستطيع العيش والنمو في تربة فقيرة ، وفي مناخ جاف لا يستطيع القمح الصمود فيهما ، أضف إلى ذلك أن القيمة الغذائية لحبوب « تريتيكيل » لا تقل عن قيمة القمح الغذائية . وقل مثل ذلك في قابلية الفصيلة الجديدة للعجن وصنع الخبز . □

سلامة البشرية في سلامة البيئة

وقــــود الميثـــانول في المـــيزان

للحد من انتشار ملوثات عوادم السيارات في الولايات المتحدة الأمريكية ، بدأت السلطات المختصة فيها بمناقشة مشروع قانون الهواء النقي الذي يطالب صناعة السيارات في أمريكا بانتاج سيارات أخرى ، تستخدم وقودا آخر - غير البنزين - هو الميثانول في الغالب ، وذلك بمعدل مليون سيارة سنويا ، وابتداء من سنة ١٩٩٧ .

وأول ماينبغي ذكره هو أن الميثانول وقود يستخلص من كحول الميثيل ، بتكاليف مساوية لتكاليف صنع البنزين بالتقريب ، ويمكن استعمال الميثانول هذا في محركات البنزين المعروفة نفسها ، على أن يتم مزجه بالبنزين بنسبة مفضلة هي (٨٥ : ١٥) على الأرجح .

ويتعذر تشغيل محركات البنزين بالميثانول وحده في الطقس الشديد البرودة (١٠ درجات مئوية تحت الصفر) ، ولذلك يعمدون إلى مزج الميثانول بالبنزين ، بالنسبة التي ذكرناها ، للحصول على وقود الميثانول أو (M85) كما يسمونه .

ويتميز هذا الوقود بأنه أقل تلويثا للجو والهواء من البنزين ، فالهيدروكربونات والمواد الكيماوية الضارة التي تخرج من عادم السيارة التي تستخدمه أقل من تلك التي تخرج من عادم سيارة البنزين ، فهي لاتكاد تبلغ خمسها ، إذا كان الوقود من الميثانول ١٠٠٪ ، أي (M100) ، أما إذا كان الوقود مزيجا ، أي (M85) ، فتتضاعف تلك النسبة ثلاثة أضعاف أو أكثر ، أي أن المحركات التي تستخدم وقود (M85) تلفظ من الهيدروكربونات والمواد الكيماوية الضارة حوالي ٧٠٪ مما تلفظه محركات البنزين العادية .

والجدير بالذكر أن الهيدروكربونات ، وهي مواد كيماوية معقدة ، تتحد مع غازات أخرى موجودة في الهواء ، وتتفاعل بتأثير ضوء الشمس ، لتكوّن غاز الأوزون ، أي غاز الأكسجين الأحادي الذي يعمل على وقاية الحياة بوجوده في طبقات الجو العليا ، ويعمل أيضا على تلويث الهواء ونشر السّخام في الجو بوجوده على سطح الأرض .

وتشير بعض التقارير العلمية إلى أن الوقود المزيج (M85) قد لايقل عن البنزين من حيث هو عامل تلويث ، بل قد يزيد ذلك ، كون الميثانول يتبخر أسرع من البنزين ، فهو إذن يضاعف كمية الهيدروكربونات التي تتسلل إلى الجو ، دون أن تكون قد احترقت كلها . من هنا كان الخلاف القائم حاليا حول جدوى مشروع القانون المطروح على الكونجرس للمناقشة .



على أن وكالة البيئة الأمريكية ترى خلاف ذلك ، وتؤكد أن الوقود المزيج (M85) يضمن للجو والهواء من النظافة ما يبرر مشروع القانون الذي وضعته إدارة الرئيس بوش . والوكالة ماضية في إعداد التقرير العلمي الوافي الذي سيقيم الدليل على مزايا الميثانول البيئية ، والذي ستصدره الوكالة عما قريب .

□□□

البيئة تقوّم نفسها بنفسها !

اكتشف العلماء الاستراليون أن في الإمكان إزالة «الكلوروفلوروكربونات» من الجو، وبالتالي حماية حزام الأوزون الواقي، وذلك بطرق طبيعية بسيطة، فقد ثبت لهم أن إفرازات الميثان التي تتصاعد من (العثة) وتتكاثر داخل كثبانه كفيلة بالقضاء على «الكلوروفلوروكربونات» وهي المسؤولة الأولى والكبرى عن تدمير الأوزون الموجود في طبقات الجو العليا، ذلك أنهم قاموا بقياس مستوى «الكلوروفلوروكربونات» في جو أحد تلك الكثبان وقارنوه بمستواها في الجو الخارجي، فوجدوا المستوى الأول أقل بكثير من المستوى الثاني .

□□□

الجذور تغني عن الجذوع

يؤكد علماء جامعة واشنطن في سان لويس، أن جذور بعض النباتات تصلح وقودا للطهي، ويذكرون من تلك النباتات على سبيل المثال «الكوسة» ويذكرون أيضا (اليقطين أو القرع)، فهذه الجذور وأمثالها لا تحتاج الى أكثر من التجفيف تحت أشعة الشمس، لتصبح الوقود المطلوب في شتى بلدان العالم الثالث. ولو ذكرنا المحنة التي تتعرض لها تلك البلدان في الوقت الحاضر في فقد كثير من غاباتها بسبب التحطيب، وشح الوقود لأدركنا أهمية النباتات التي يتحدث عنها علماء واشنطن بالنسبة الى هذه البلدان. فقد تسهم في حل أزمة الوقود فيها، وتغني عن التحطيب، وتبقي على الغابات أو ما بقي منها على أقل تقدير.

□□□

أخرس ولكنه قادر على النطق !

اكتشف بعض علماء التاريخ الطبيعي، أن «رجل نياندرثال» الذي عاش في أماكن مختلفة من العالم، قبل حوالي ٦٠,٠٠٠ سنة، والذي افتقر الى النطق باجماع العلماء، اكتشفوا ما يدل على أن «رجل نياندرثال» الذي ذكرناه لم يفتقر الى عظمة اللسان المسماه (hyoid bone)، وإن كان محروما نعمة النطق، ومعنى هذا أنه تمتع بالقدرة على النطق، وإن بقيت تلك القدرة ملكة كامنة دون تحقيق.

ولعل أسلوب عيش «رجل نياندرثال» هو الذي حال بين تلك القدرة، وبين تحقيقها، إذ أنه لم يعش في مدن أو ضمن مجتمعات تستوجب التعاون بين الأفراد، وتقتضي المحادثة فيما بينهم، فقد عاش السلف المذكور في الكهوف، وهام على وجهه أثناء النهار في الغابات يجمع الثمار والجذور□



وهران

عاصمة الغرب الجزائري

بين موج البحر وصمت الجبل

استطلاع :
محمود عبد الوهاب
تصوير :
فهد الكوح



« لم تهدأ شواطئها ولا طرقها قط . ظلت طوال تاريخها تنبض بالأحداث ، فقد جنى عليها موقعها » .

هذا المنفذ البحري الذي يستلقي عند سفح الجبل . .

وبين البحر والجبل تختصر وهران تاريخها وأحداثها وحياتها وهمومها ومشاكلها .

على ساحل البحر الأبيض المتوسط - قلب الدنيا وبؤرة التاريخ - ترقد وهران مستلقية عند سفح جبل « المرجاجو » الذي يحيط بها ، وعلى منحدراته وحتى السفح تمتد المدينة بنخيلها وميناءها ، وبيوتها ذات اللونين الأصفر والأبيض ، تحكي قصة مدينة يزيد عمرها عن ألف عام .

وصلناها صباح يوم جمعة ، كانت المدينة مازالت نائمة ، فالساعة لم تتجاوز السادسة والنصف صباحاً . قطعت بنا السيارة المسافة بين مطار وهران وقلب المدينة في عشرين دقيقة فقط .

دخول المدن وهي نائمة قد يعطي انطباعا خاطئا ، فالشوارع هادئة ، ورائحة النوم وبقايا مهملات الأمس تملأ الشوارع ، حتى الفندق الذي كنا قد حجزنا فيه كانت رائحة الطعام المتبقي من ليلة الأمس تملأ جنباته .

أسوأ من دخول المدن وهي نائمة الدخول إليها بانطباع مسبق ، في ذاكرتي كان يتقافز عديد من السطور وصفت بها وهران ، من ألبيركامو إلى السياب إلى صلاح عبدالصبور .

وما بين الصورة المقبضة التي صور بها كامو وهران إلى عشق السياب لها . ما بين الحالين كانت محاولة اكتشاف وجه مدينة عريقة .

تاريخ عريق

تتفق معظم الروايات التاريخية أن مدينة وهران قد شيدت في عام (٢٩٠هـ - ٩٠٣م) بأمر من الخليفة الأموي بالأندلس أبي عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن (توفي ٣٠٠هـ) ، وإن كان تاريخها أقدم من ذلك وأعرق ، فهي واحدة من الموانىء التي غزاها إميلكار ٢٣٧ق . م ، وجيوش روما ، وهجمات كل قوى العصر القديم .

ووهران من المدن التي صاغ تاريخها موقعها ، فهي نتوء يمتد داخل البحر الأبيض المتوسط ، قريبة من أراضي كل امبراطوريات التاريخ القديم ، وهي بموقعها البحري ، وبجبل المرجاجو الذي يحيط بها ، تمثل مفتاحاً بريًا للزحف باتجاه منطقة الغرب في المغرب العربي .

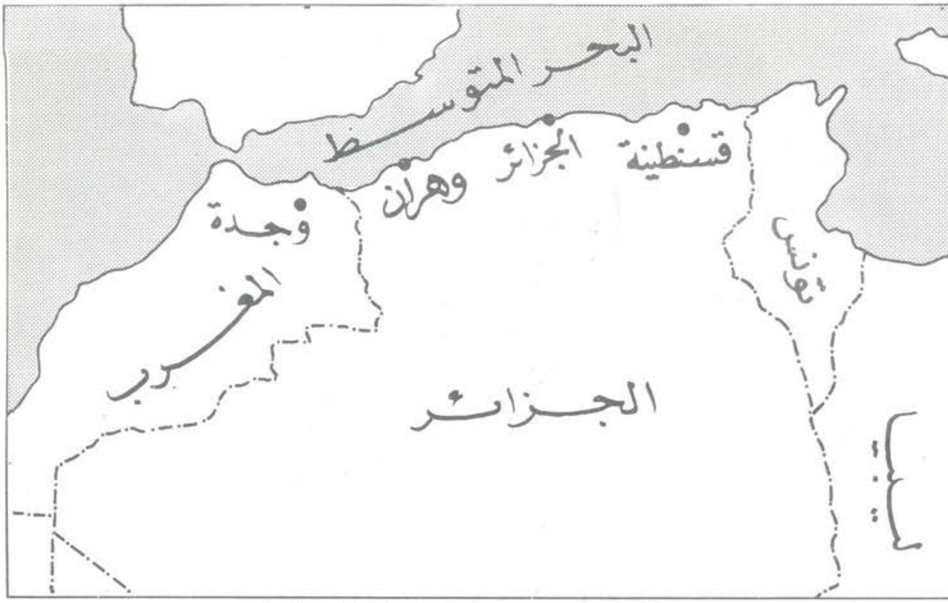
وبين البحر والجبل توزع تاريخ وهران كله .

فعندما كانت الأندلس عربية ، كانت وهران مركز التجارة المزدهرة ، من مناطق افريقيا إلى شواطىء أوربا ، وشهد ميناؤ ها ازدهارا تجاريا ، ساندته قوة بحرية ، تفرض سيطرتها على البحر والسفن العاملة والمبحرة فيه ، وعندما ظهرت دول المرابطين والموحدين خضعت وهران للزاهدين المقاتلين الذين عبروا البحر لينقذوا الأندلس .

وبعد ذلك عندما انهار حكم العرب في الأندلس استقبلت آلاف العرب في رحلة العودة،مكسوري الرايات محملين بالإخفاق .

ومنذ ذلك التاريخ وعين أوربا عليها .

حتى كان عام ١٥٠٢م ، حين شن الأسبان أول هجمة على شواطىء وهران ، فهاجموا منطقة المرسى الكبير ، ولكن الحملة فشلت في



● خريطة الجزائر ، وتبدو وهران على بوابة الطريق الى الغرب .

اقتحام وهران . وفي عام ١٥٠٥م عاد الأسبان في حملة أخرى ، فاحتلوا المرسى الكبير ، وبعد أربع سنوات استطاع الأسبان كسر مقاومة الأهالي واحتلال مدينة وهران في ربيع عام ١٥٠٩م ليبدأ تاريخ الاحتلال الأسباني للمدينة .

وقد استمر الاحتلال الأسباني لها حتى عام ١٧٠٨م ، عندما حررها العثمانيون ، واستمر حكمهم فيها حتى عام ١٨٣٥م عندما وقعت تحت الاحتلال الفرنسي .

وتاريخ وهران يحفل بآثار كل ممالك العالم القديم ، من الرومانيين ، إلى الإسلاميين ، إلى الأسبان ، فالعثمانيين ، وأخيرا الفرنسيين .

والثابت تاريخيا ـ كما يقول د. مالك نور الدين ، أستاذ التاريخ ، ومدير متحف مدينة وهران ـ أن وهران كانت ميناء من موانىء تصدير الذهب ، في عصر مملكة الذهب الشهيرة في التاريخ العربي التي كانت تمتد من باماكو إلى السودان .

جمال خاص

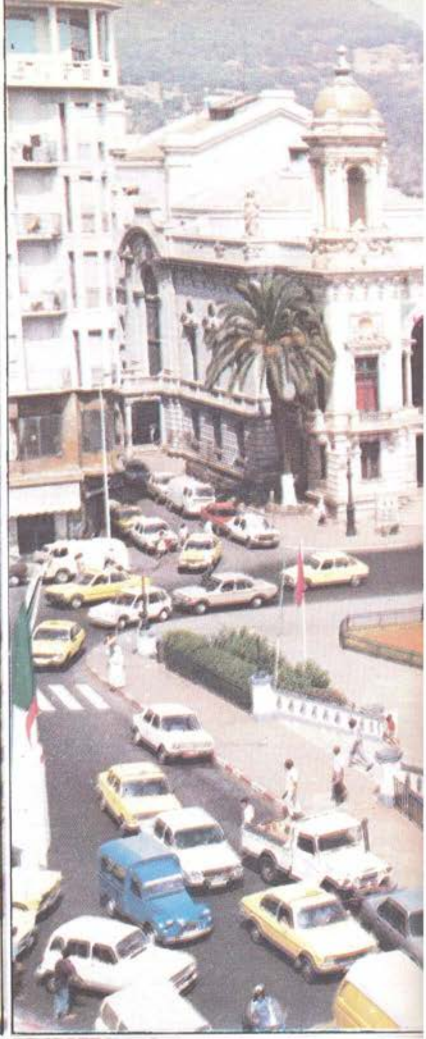
جمال وهران جمال من نوع خاص ، تتعدد عناصره ومكوناته ، فالمنظر العام للمدينة فاتن ورائع ، جبل عال أشم ، متوج بالخضرة . عند شاطىء البحر وبين السفح والمنحدرات ترقد المدينة ، ولأن المدينة مشيدة في السفح وعلى المنحدرات فهي مبنية على مستويات أحدها يعلو الآخر . والجالس على شاطىء البحر أو على (الكورنيش) الطويل الممتد يرى المدينة فوقه متدرجة على منحدرات الجبل .

شوارعها قصص وحكايات وجمال متميز عن كل مدن ساحل البحر الأبيض العربية ، أشجار النخيل تملأ الشوارع والطرقات ، على الجانبين وفي المنتصف ، ولشكل النخيل المشذب وقع غريب ، البيوت طراز معماري متميز ، يمثل خليطا من نمط العمارة الأسبانية بالزخرفات الكثيرة ، ونمط العمارة الفرنسية القديمة بالشرفات والنوافذ العالية والأقواس ، ونمط





● هكذا تختصر وهران شخصيتها ، الصورتان العليا والسفلى الى اليمين طراز العمارة المتنوع .. وجمال الطرقات المميز ، والى اليسار الكروم التى تزرع أرضيا ، المحصول الرئيسي الذى تعتمد عليه صناعات كثيرة .


TIPASA




العمارة العربية المألوف لدينا .

وتختلط أنماط العمارة هذه ، أو تنفرد ، فنرى بناية قديمة تجمع بين أكثر من نمط ، أو نرى بناية تمثل نمطا معينا .

في المناطق الأبعد عن منطقة وسط المدينة يتضح النمط العربي في العمارة وفي الحياة : بيوت صغيرة متلاصقة ، وشوارع ضيقة ، وتجمعات السكان على نواصي الطرق ، وحركة الأطفال في الطرقات وتجمعات الشباب ، والمقاهي الصغيرة .

في صبيحة يوم وصولنا انطلقنا إلى السوق ، يتجمع الباعة في منطقة واحدة على بسطات صغيرة ، بعضها مكشوف وبعضها حوّله أصحابه إلى دكاكين ، والسوق مقسّم إلى أماكن لبيع الخضراوات ، وأخرى للفواكه ، وثالثة للحوم ، ومنطقة للأسماك ، وأخرى للأدوات المنزلية ، خارج السوق تمتد المنطقة التجارية الشعبية : محلات بيع القماش والتوابل ، وحركة الناس لا تهدأ بالسوق . رجال ونساء ، أسر تتحرك معا ، أو مجموعة نساء يسرن معاً في السوق الواقع في قلب المنطقة العربية القديمة من المدينة ، حيث يكثر ارتداء الزي الوطني : ثوب أبيض ، يلتف حتى الوسط ، ويوضع طرفه الثاني فوق الرأس والكتفين .

الناس لا تحفل بالغريب ولا تهتم ، عدا تجمع بعض الصبية الصغار حولنا ونحن نلتقط بعض الصور

عاشق وهران

ولأن المدينة ذات جمال آسر ، ومن المدن التي لها إيقاع وشخصية ، فإن عشاقها كثيرون ، إلا أن عاشقها الأكبر والأشهر هو سيدي الهواري ، وهو ولي من أولياء الله الصالحين ، ولد عام ١٣٥٠م ، في بلدة الصدر ، بولاية مستغانم ، ثم انتقل إلى مدينة وهران التي كانت محدودة آنذاك بحي صغير ، وأقام هناك ، وأسس مسجدا هو عبارة عن مدرسة لتلقي العلوم الفقهية والدينية ، ومن خلال مدرسته وتلاميذه تغلغل الشيخ في نسيج حياة وهران ، حتى اختلط بتاريخها وعاداتها وأساطيرها ، وحياة أبنائها اليومية . ويبدو أنه على قدر عشق الشيخ الهواري للمدينة قد عشقته المدينة أيضا ، فالرجل هو أبو عبدالله محمد بن عمر الهواري (١٣٥٠م - ١٤٣٩م) ، قد طاف مدناً إسلامية كثيرة منذ خروجه وهو في العاشرة من عمره من قريته .

وحتى اليوم تحتفل المدينة بمولد سيدي الهواري ، وتسميه (وعدة سيدي الهواري) ، فيقرأ القرآن بالمساجد ، ويكرم المساكين والفقراء ، وتنصب خيام محبي الشيخ القادمين من خارج وهران حول الضريح .

وقد امتد الشيخ الهواري في تاريخ المدينة ، وعلى الرغم من أنه ليس مدفوناً في الضريح ، فإن زيارات الضريح لا تنقطع ، والتبرك به والدعاء عنده ، والقسم به ، مازال كل ذلك ساريا في تفاصيل الحياة اليومية .

وفي القصص الشعبي ينسج عديد من القصص حول الشيخ والمدينة ، تدور كلها حول أهمية عدم إغضاب الشيخ أو الاجتراء عليه ، وأن الشيخ مطّلع وقادر ومستجاب الدعوة . وأشهر القصص (الأسطورية) أن الشيخ دعا على وهران بأن يحتلها النصارى (الأسبان) لينتقموا من أهلها الذين غضب عليهم لقتلهم ابنه ، وتقول الحكاية : إن الدعوة تحققت بعد وفاة الرجل بـ ٧٢ سنة ، وبعد ذلك جاء الشيخ إلى أحد أتباعه فقال له : إن (النصارى) سيخرجون ، وقد خرجوا فعلا بعد قرنين من الزمان !!

هذا الاندماج الحي داخل الثقافة الاجتماعية ، ووجدان الناس ، وتاريخهم ، ألصق المدينة بالرجل . مما جعل الكثيرين يربطون بالخطأ بين اسمها واسمه . ولكن كل هذه الحكايات ـ كما يقول د. البخاري حمانه

الأستاذ بجامعة وهران : هي وليدة عصور الانحطاط .

وعندما افتقد الناس الحلم ، وعجزوا عن العمل ، تباروا في نسج أساطير ، وغلفوها بثياب رجل صالح ، ليمنحهم العزاء والتبرير لعجزهم .

همُوم « الباهية »

تعد وهران ـ أو الباهية ـ كما يحلو لأهلها أن يطلقوا عليها ، عاصمة الغرب الجزائري ، يبلغ عدد سكانها قرابة ٦٥٠ ألف نسمة ، ويزيد عددهم أثناء النهار إلى ٩٠٠ ألف نسمة .

وعلى الرغم من أن المدن لا تنفصل عن أقطارها ، فإن وهران لا تعاني مشكلات الجزائر وهمومها فقط ، بل إن لها مشكلاتها الخاصة بها ، وهمومها التي تنفرد بها .

أول هذه المشكلات وأكثرها إلحاحا نقص مياه الشرب ، فوهران بدون مصدر للمياه العذبة إلا مياه المطر ، وبعض الآبار ، وقد تفاقمت المشكلة في السنوات الأخيرة للنقص في معدل سقوط الأمطار ومنسوبها ، وبدأت المدينة تعرف انقطاع المياه أياما عن مناطق بأكملها .

ثانية مشكلاتها السكن ، فالطلبات المسجلة للحصول على السكن تقترب من ٣٢ ألف طلب ، بينما قدرة ولاية وهران ، في أفضل الأحوال وأحسن الظروف ، لا تستطيع إنجاز أكثر من ألفي وحدة سكنية سنويا ، ويعني ذلك أن على بعضهم الانتظار ستة عشر عاما ، يكون الطلب فيها قد تزايد أيضا بشكل كبير ، مما يهدد بمشكلة حقيقية .

وأزمة وهران تكمن في موقعها ، فهي محاطة بالجبل ، وإلى الجنوب الغربي منها منطقة (السبخة) ، وهي منطقة غير صالحة للامتداد العمراني . وشمالها البحر .

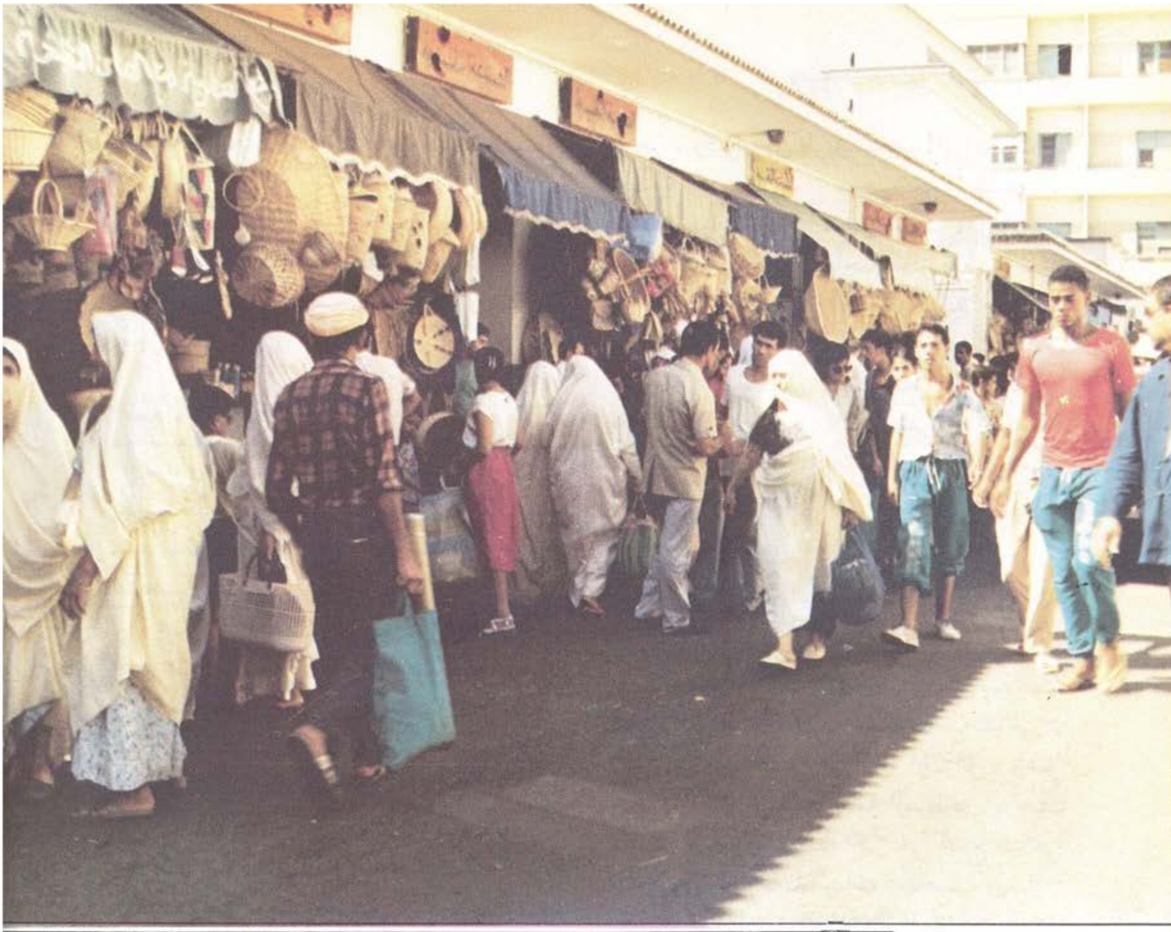
طبوغرافيا موقع وهران القاسي هو الذي يولد مشاكلها . ولقد كان من جراء موقعها على البحر ، وكبوابة إلى طريق المغرب أن ازدهرت بها تجارة المهربات : سجائر ، عطور ، مستحضرات تجميل ، ملبوسات . والأثمان فوق طاقة البشر ، فزجاجة عطر صغيرة ثمنها ٨٠٠ دينار جزائري ، أي أكثر قليلا من مائة دولار ، وكان من نتيجة ذلك أن ازدهرت السوق السوداء للعملة ، فبينما يبلغ سعر المائة دولار في « البنك » قرابة الـ ٧٠٠ دينار تقريبا ، فإن المائة دولار نفسها يصل سعرها في السوق السوداء إلى أكثر من ٣٥٠٠ دينار ، أي ما يقارب خمسة أمثال سعر « البنك » .

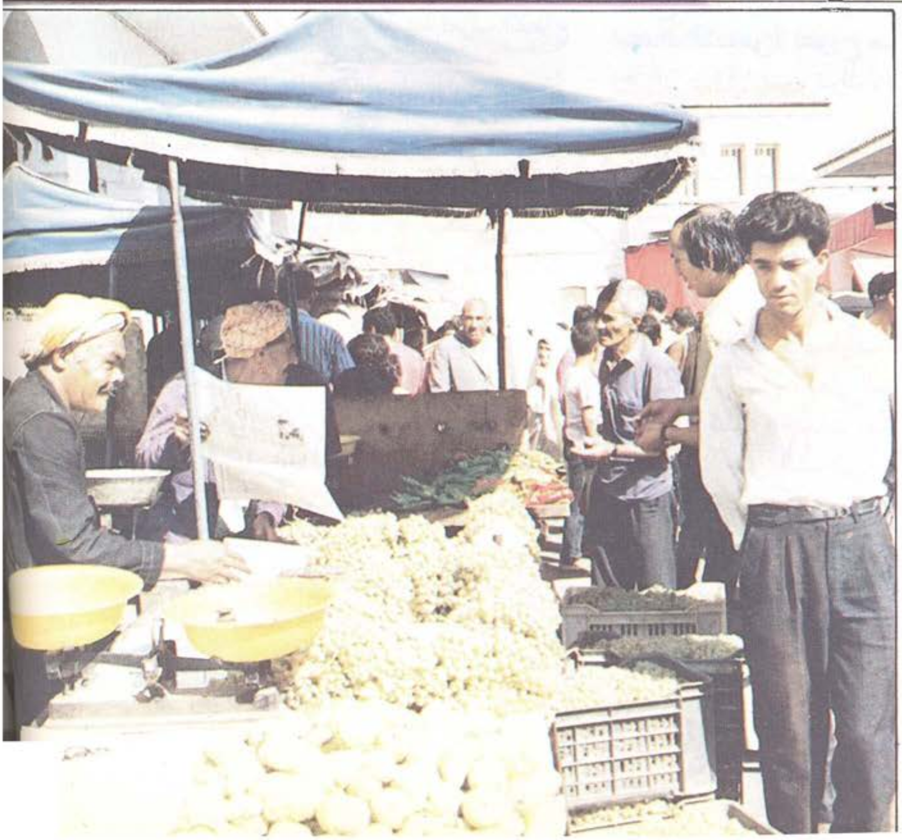
على رمال الشاطىء

لأن وهران مدينة ساحلية ، وتتميز بشواطئها الممتدة على البحر ، فإنها منطقة جذب سياحي ، لكثير من المصطافين من أبناء الجزائر ، وعلى شاطئها تكثر مجمعات إقامة المصطافين ، حيث قامت ولاية وهران ببناء أكثر من تجمع سياحي عبارة عن مجموعة شاليهات ومقاصف ومقاهٍ . وتطرح هذه الوحدات للإيجار للعائلات . وعلى امتداد الشاطىء تتوزع هذه المجمعات في وهران ، وفي عين ترك ، ومداغ ، والبرج الأبيض .

ومجمعات الاصطياف نوعان ، إما مجمعات مشيدة ، أو خيام ، وكلا النوعين مجهز تجهيزا كاملا ، ويخضع لرقابة وإشراف من البلديات باستمرار .

وتنشّط حركة الاصطياف قطاع الخدمات ، ولكنها تؤثر على أسعار السلع والخدمات ، خاصة أن قطاع الخدمات يعمل به جزء كبير من السكان . على الشاطىء تستقر العائلات والمصطافون ، يبدأ يومهم في الصباح الباكر ، يقضون يومهم بين البحر وبين الرياضة ، وفي المساء يتوزع المصطافون في المقاصف والمقاهي ، أو يقيمون حفلات سمر بفرق فنية محلية .





● الصورة اليمنى العليا السوق خليط من البشر .. وأزياء مختلفة ، واليمنى السفلى اكتفى مواطن من الفاكهة بالنظر فارتفاع الأسعار يمس كل شيء ، والى اليسار فنون الحضارة .. الأقمشة والمنسوجات والنحاس المطروق والجلد المصنع .



ولا يعكر صفو الإجازة إلا طابور انتظار عربات المياه ، وتدافع النساء والرجال بالأواني والأوعية لأخذ حصتهم وحاجاتهم من المياه .

وبخلاف مشكلة المياه وطابورها اليومي ، فلا شيء يعكر على المصطافين لهوهم ، بل وينتظمون معاً في علاقات صيفية ، للدخول في مسابقة أنظف شاطىء ، وتدير هذه المسابقة الإذاعة الجزائرية كل أسبوع على شاطىء عبر شبكة مراسلين ، يطوفون الشواطىء ، ويلتقون المصطافين ، وذلك من قبيل تشجيع رواد الشواطىء على المحافظة على النظافة العامة لأماكن الاصطياف ، بل وتسهم الإذاعة في بث أخبار عن مناطق ارتفاع الموج والتحذير من السباحة في هذه المنطقة أو تلك ، وفق ما يصل إليها من مراسليها ، وذلك على الهواء مباشرة ، طوال فترة الظهيرة في شهور الصيف ، والمجمعات السياحية هي مكان النزهة المسائية لأهل وهران أيام العمل ، فبعد أن ينتهي يوم العمل يذهبون لقضاء أمسيات الصيف في مقاهي البحر ، هربا من حر المدينة واختناقها .

وبخلاف الشاطىء ، فإن الجبل منتزه لا يقل جمالا وفتنة عن البحر،ففوق قمة جبل المرجاجو تكثر أماكن المخيمات والمقاهي ، حيث تقل درجة الحرارة فوق الجبل ، ويتلاشى تأثير الرطوبة . ووسط الجو المنعش البارد ، والخضرة ، وبعيدا عن ضوضاء المدينة ، يحلو لكثير من الأسر أن تقضي أوقاتا للراحة ، سواء كانت أيام إجازة أو عطلات أو حتى أمسيات صيفية . ويربط قمة الجبل بالمدينة « تلفريك » ترام كهربائي ، يصعد من المدينة إلى قمة الجبل ، محققا لرواده متعة المنظر وسهولة الانتقال في آن واحد .

مجتمع من الشباب

واحدة من مشاكل وهران الحالية التي تمتد بآثارها الاجتماعية إلى نسيج المجتمع هي كما يقول والي وهران ، عبدالمالك السلال : مشكلة البطالة ، خاصة بين الشباب ، ونحن من جانبنا نحاول أن نوجد فرص عمل جديدة ، ولكن فرص العمل الجديدة لا تستوعب كل المتعطلين ، وخاصةأن الشباب في الجزائر يبلغ تعدادهم ما نسبته ٧٥٪ من عدد السكان ، وقطاعات الإنتاج محدودة ، فبجوار وهران هناك منطقتان صناعيتان ، لكن طاقتيهما لاستيعاب العمالة محدودتان .

القطاع الذي يستأثر بتوجهات السكان للعمل به هو قطاع الخدمات ، والتجارة ، أما قطاع الزراعة فعلى الرغم من أن المساحة الصالحة للزراعة في وهران ٨٠ ألف هكتار فإن انتاجها غير كاف لسد الاحتياجات من الخضراوات والفواكه ، ونحاول حاليا استزراع نوعيات جيدة ، ذات مردود عال ، خاصة أن القطاع الزراعي يرتبط به قطاع الصناعات الغذائية ، وبخاصة الصناعات القائمة على الأعناب والزيتون ، وهي إنتاجنا المميز الذي نصدره إلى البلدان المجاورة كالمغرب وأسبانيا وفرنسا عبر الميناء .

رئيس بلدية وهران السيد قدور عريف يقدم صورة أكثر اقترابا لوهران ، يقول : بداية منصب رئيس البلدية هو منصب انتخابي وليس تعيينا ، وقد تمت انتخابات بلدية وهران في ديسمبر ١٩٨٤ ، حيث تقدم ١٣٨ مرشحا ، انتخب منهم ٦٩ عضوا ، ثم تم انتخاب داخلي لانتخاب رئيس البلدية ومعاونيه ، وتبلغ ميزانية بلدية وهران حوالي ٤٥ مليون دينار سنويا ، وهي أكبر ميزانية لبلدية في الجزائر كلها ، والميزانية هي عبارة عن إيرادات البلدية المتمثلة في عائدات الضرائب ، و ٦٪ من إجمالي قيمة رواتب كل مؤسسة ، وإيرادات تأجير الأسواق والمرافق ووسائل النقل ، ونسبة من أرباح المقاولات العمومية مقابل التزام البلدية بمشكلات والتزامات كثيرة ، كالطرق والمدارس وصيانة

المساجد والمنشآت والأسواق ومرافق الشواطىء ، وتنفيذ مشروعات الاستثمار . ولأن المجلس البلدي مجلس منتخب من الشعب ، فهو أكثر دراية بمشكلات الناس ، وأكثر قدرة على تفهمها ، واحتكاكه بالشعب أكثر عبر سياسة الباب المفتوح ولقاءاته المستمرة بالمواطنين . وفي وهران ١٧٥ مدرسة ابتدائية ، وهي تتسع لكل الأطفال الذين في سن التعليم الإلزامي (٦ ـ ١٢ سنة) ، وهناك ٢٠ مدرسة متوسطة (إعدادية) ، و ١٤ مدرسة ثانوية ، كما أن هناك ٥ مراكز تكوين مهني للذين لم يوفقوا في التعليم العام ، خاصة أن نظام التعليم لا يسمح بالرسوب أكثر من مرة واحدة فقط في كل مرحلة دراسية ، والحكومة ملتزمة بتعيين خريجي مراكز التكوين المهني . أما قطاع الرعاية الصحية فهناك مستشفى جامعي ، سعته ٩٠٠ سرير تقريبا ، ومراكز صحية موزعة على مستوى الأحياء ، يبلغ عددها ١٢ مركزا . ويضيف السيد قدور عريف : مشكلة البطالة مشكلة نسبية ، فخريجو المدارس والجامعات لا يأتون للحكومة لضعف الراتب ، وبعضهم يبتلعه قطاع التجارة أو الأعمال الهامشية وقطاع الخدمات ، خاصة أن وهران واقتصادياتها تسمحان بكثير من الأعمال الهامشية ، فمثلا هناك تجارة السوق السوداء ، وتستطيع أن ترصدها في أي شارع من الشوارع الرئيسية : صبية وشباب واقفون ، يبيعون علب السجائر ، وعلى الرغم من أنها سجائر مصنعة محليا بترخيص من شركتين عالميتين فإن الصبية والشباب بالاتفاق مع الموزعين يأخذون حصصا من المحلات المخصصة لبيع السجائر ، ثم يبيعونها بفارق ١٥ دينارا عن سعرها الأساسي ، ولأن الطلب على السجائر أكثر من العرض ، فإن هذا السوق مزدهر نشط . وهكذا في سلع عديدة يقل المعروض منها عن الطلب الحقيقي في السوق .

ولعل ما يزيد في قطاع الخدمات الهامشية ونشاط السوق السوداء ، هو السياسات الاقتصادية المتبعة في تقييد الاستيراد ، الأمر الذي يجعل للسلع المستوردة قابلية كبيرة ، وساعد وضع وهران الخاص كميناء بحري ومنفذ على الطريق البري إلى المغرب على تنشيط حركة التهريب وتجارة السوق السوداء .

أصحاب البارود

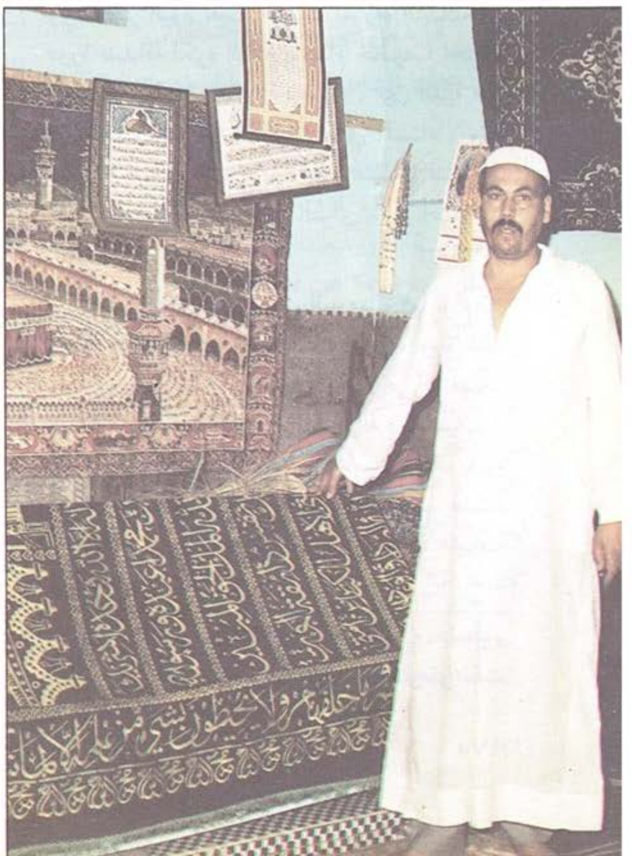
مازالت الجزائر تحتفي بمجاهديها الذين ضحوا بالحياة من أجل الوطن ، وفي أثناء وجودنا هناك حلت ذكرى الاحتفال بيوم المجاهد ، وهو ذكرى أول اجتماع لجبهة التحرير الذي تم بالقرب من وهران في عام ١٩٥٤ . والاحتفاء بالمجاهدين يتجاوز الوقوف عند شخصيات ، ويتحول إلى احتفاء بالمعنى والقيمة . وفي صبيحة يوم الاحتفال وجه رئيس البلدية الدعوة إلى الأحياء من جيل المجاهدين القدامى ، حيث استقبلهم في دار البلدية ، ثم صحبهم إلى قبر الشهداء . وفي عصر اليوم نفسه أقيمت المباراة النهائية في دورة صداقة لكرة القدم ، تقام خصيصا احتفاء بهذه المناسبة كل عام في وهران ، بين أندية من المغرب وتونس والجزائر . وفي المساء ، وفي مسرح صيفي مفتوح ، أقيم احتفال غنائي ، قُدِّم فيه ما يعرف بأغنية الراي ، أو أصحاب البارود .

وأغنية الراي وأصحاب البارود ، هما نوع من الغناء الذي تشتهر به منطقة وهران ، وهو غناء يقرأ ويسمع بشكل اجتماعي تاريخي ، فهناك تراث كبير لأغنية الراي يوصف بأنه « نواسيات » وفي الوقت نفسه هناك جانب حماسي ، كان يغنيه أبناء الجبال في غزواتهم وكفاحهم ضد أعدائهم ، ويطلقون النار في وسط الأغنيات ويرقصون بالبنادق .

ومع الزمن والتطور الاجتماعي ، تطور جانب من أغنيات الراي لتتناول الموضوعات







● الصورة اليمنى العليا عازفة ومغنية لأغنيات (الراي) ، أسفلها خادم مقام سيدي الهواري ، والى اليسار مقام سيدي الهواري وقد جلس حول الضريح النساء والأطفال والفتيات ، واليسرى السفلى أصحاب (البارود) الذين يغنون ويرقصون بالبنادق . . بقايا تراث أيام الجهاد .


الله



السياسية ، وهذا التطور هو تطور في الموضوع الذي تتناوله الأغنية من النواسيات إلى الحماسة إلى الموضوع السياسي إلى الموضوع العاطفي . ومع دقات الموسيقا يتمايل الناس طربا ورقصا ، ويرددون مع المغنين بحناجرهم وأياديهم ودقات أقدامهم .

سائق سيارتنا كان واحدا من جيل المجاهدين ، شيخ يقترب من الستين ، نسأله : هل كنتم تغنون أغنيات الراي أيام الجهاد ؟ يضحك الشيخ ويقول : لم يكن لدينا وقت للغناء ، ولم نكن نجيده ، كنا نجيد القتال فقط ، أما الذين كانوا يجلسون في المدن ، ويأكلون الحريرة (طعام من الدقيق والسمن) ، فهم الذين كانوا يغنون .

في طريقنا إلى قرية عين الكرمة خارج وهران ، والسيارة تصعد بنا الجبل ، توقف سائقنا ، تركنا وذهب ، من نافذة السيارة لمحناه يقف أمام مقبرة لعدد من المجاهدين ، وقف الشيخ طويلا ، ذهب وقطف بعض الزهور البرية من الجبل ، عاد إلى المقبرة ، وضع الزهور ، أخذ زجاجة مياه من السيارة ، نثر بعض الماء ، جلس بجوار المقبرة ويده على خده .

عاد إلينا ، وفي عينيه لمعان دموع ، احترمنا صمت الرجل . وحزنه النبيل الذي لا يفتعله . بعد فترة قال : كانوا زملائي ، وعندما استشهدوا كنا معاً في معركة واحدة ، كان الحزن يقطر من أحرفه وعيناه تلمعان بالدمع .

البحر والجبل

في العلوم الاجتماعية ، هناك رأي معروف يقول : إن شخصيات البشر تتأثر بالبيئة الطبيعية التي يوجدون فيها ، وهكذا فإنهم يحددون صفات نفسية مسبقة ، يتسم بها في الغالب سكان المناطق الجغرافية المختلفة ، فسكان السواحل غير أهل الصحراء ، غير قاطني الجبل ، غير مجتمع الزراعة ، وفي وهران يلتقي نقيضين الجبل والبحر ، ولأن تكوين المدينة الديموجرافي قد تم من خلال هجرات كثيرة ، فإنه يصعب أن تحدد منهم من هم أهل البحر ومن منهم من أهل الجبل ، والحادث أن الشخصية الوهرانية جمعت نتاجا بين الاثنين ، ففيها رقة للوهلة الأولى ولكنها رقة تخفي عنفا وقسوة وحدة طبع ، هو نتاج البيئة القاسية ، وسنين طويلة من الجهاد .

ولذلك فخدمة الفنادق والمطاعم ليست هي الخدمة التي تستوجبها هذه القطاعات ، وليس صحيحا أبدا أن الزبون على حق ، بل والي المدينة نفسه يقول رداً عن استفسار عن الاستثمارات الأجنبية :

لم تكن لدينا استثمارات أجنبية في الفترة الماضية ، لأننا نؤمن أن السيادة قبل كل شيء ، ولكننا مؤخرا بدأنا بعض المشروعات السياحية مع شركة أبو نواس لبناء منشآت سياحية .

رئيس البلدية السيد قدور عريف يقول : أهل وهران الحقيقيون يتمتعون برقة وحسن معشر ، ولكن الاختلاط بين طباع أهل الجبل وأهل البحر هو الذي أوجد الحالة التي أتفق معكم على وجودها ، وأتفق معكم أن هناك بعض الخدمات في قطاع السياحة ليست كما ينبغي ، ولكن خذ مثالا آخر : منذ عشرين عاما ، كانت المقاهي في وهران تغلق يوما محددا في الأسبوع ، وكان هذا الإغلاق يتم بالتناوب ، وكان صاحب المقهى المغلق يطوف على المقاهي المفتوحة ، ويطلب شرابا لرواده الجالسين في المقاهي الأخرى ، وفي يوم بدء العمل يقدم صاحب المقهى مشروبا للتحية لرواده الدائمين . هذا الفن من خدمة الزبون ليس موجودا ، وحاول أن تجلس في مطعم أو مقهى وتصفق لاستدعاء الساقي أو تستعجل ما طلبت . وقتها ستدرك خطأ تصرفك .

حدة الطبع شاهدناها رؤية العين ، في قرية عين الكرمة ، وعند زيارتنا لمزرعة دواجن

نموذجية . ويصحبنا بعض مسئولي بلدية عين الكرمة ، ويثور نقاش بين اثنين من أصحاب المزرعة ، وبعد ثلاث دقائق فقط انتهى النقاش ، وبدأت الصفعات والركلات والضرب بالعصي !!

توطين أهل الجبل

ذهبنا إلى زيارة بلدية عين الكرمة ، ويتبعها خمسة تجمعات سكنية ، متنوعة النشاط الاقتصادي والظروف البيئية ، فهناك تجمع البرج الأبيض ومداغ ، وهو تجمع يطل على الشاطىء . ونشاط السكان الغالب هو صيد السمك وخدمات السياحة . وتجمع عين الكرمة حيث مقر البلدية والمدرسة والمركز الصحي ، ونشاط السكان يدور حول تربية الدواجن والماشية والزراعة ، وسكن الموظفين الحكوميين ، والتجمعات الثلاثة الباقية هي تجمعات زراعية ، ويبلغ عدد سكان البلدية ستة آلاف نسمة ، والزراعة هي النشاط الرئيس ، ويزرع السكان الخضر والفواكه والشعير والحبوب ، وأغلب سكانها قادمون من الصحراء ، وتحديدا من منطقة الجنوب الغربي ، واستقروا في البلدية حيث الحياة أكثر استقراراً ، والظروف أفضل كثيرا من حياة الصحراء . ولذلك فإن المجتمع الصغير هناك يعيش بتقاليد اجتماعية تتفق مع سكانه ، فطوال تجوالنا في القرية لم نلمح ظلا لفتاة ، لأن المرأة لا تخرج من البيت ، وإذا خرجت فهي مرتدية الزي الوطني ، ومنقبة وجهها ، تسير خلف رجل من أهل بيتها بخطوات ، وعلى الرغم من وجود خمس مدارس ابتدائية في المنطقة فإن الفتيات لايكملن تعليمهن ، وذلك لرفضهن الاختلاط والخروج من البيت .

سكان تجمع البرج الأبيض ومداغ يختلفون في العادات ، فسكان هاتين المنطقتين هم السكان الأصليون ، ونشاطهم الاقتصادي مرتبط بالصيد ، وخدمات السياحة ، ولذلك فإن دور المرأة وخروجها أكثر وضوحا نسبيا من التجمعات التي استوطنها أهل الصحراء والجبل .

وعلى غرار بلدية عين الكرمة يوجد أكثر من بلدية وتجمع سكاني لتوطين أهل الجبل والجنوب الصحراوي ، في مجتمعات مدنيّة ، وذلك لتقديم الخدمات الحضرية لهم ، وتنميتهم اجتماعيا واقتصاديا .

وسط القرية لمحنا خيمة كبيرة منتصبة ، اقتربنا منها ، سألنا أصحابها ، قالوا لنا : إنهم يستعدون لحفل عرس ابنهم . خرج إلينا العريس ، تجاذبنا أطراف الحديث ، قال لنا : إنه لم ير العروس إلا مرة واحدة مع أهله ، وأنه في صباح الغد سيصحبها مع أطراف العائلة إلى البلدية لتوثيق عقد الزواج ، وبعد العودة سيولم للغداء وليمة يدعو إليها أقاربه وأصدقاءه ، وفي السهرة سيمضي مع أصحابه ، ويبيت معهم حتى اليوم التالي ، وعند الظهر سيقوم أصدقاؤه بالإشراف على استحمامه وارتداء ملابسه ، ثم يصحبونه إلى الحفل الذي ينتهي عند المغيب ، حيث يصحب العريس عروسه ، بينما يستمر الأهل والأصدقاء في القصف والطرب والطعام احتفالا بالعريس الذي يؤكد رجولته في اللحظات نفسها .

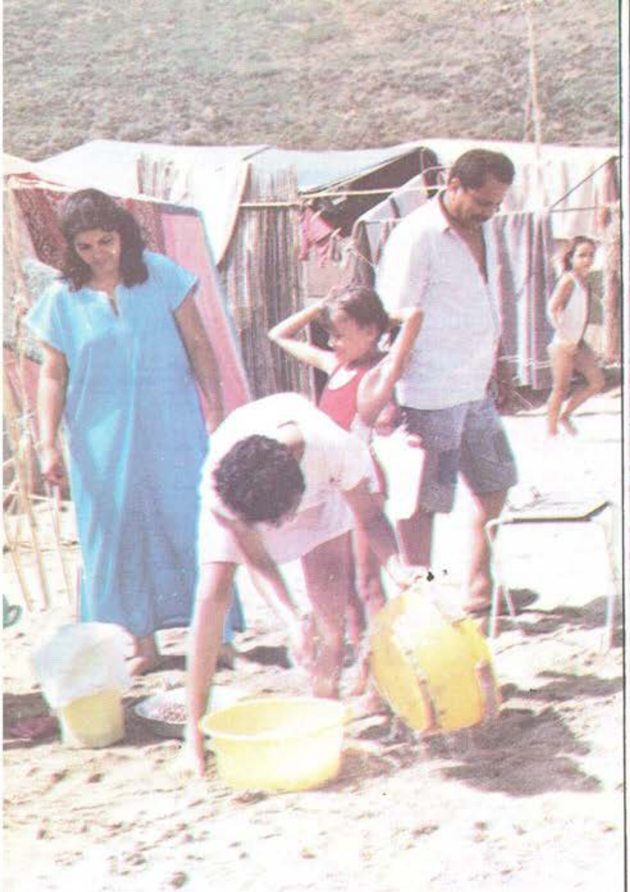
الرايات المنكسرة

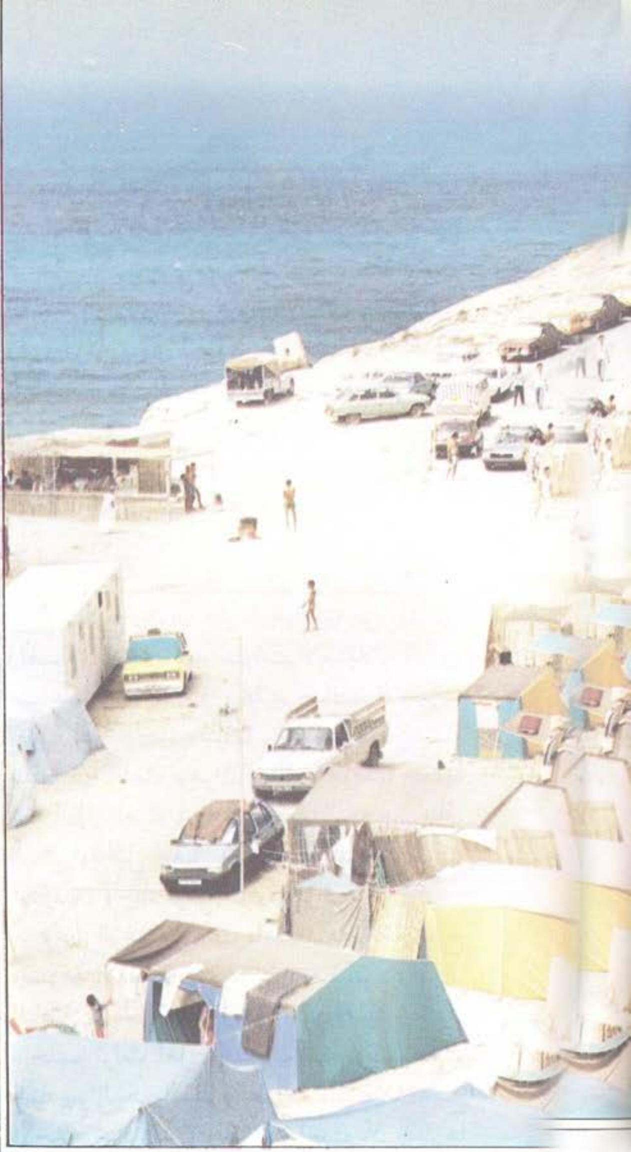
تعرضت وهران بحكم موقعها ، ومن خلال تاريخها ، لتأثيرات كثيرة ، منذ البدايات الأولى ، فحركة التجار في عصر ازدهار التجارة البحرية والبرية جعل وهران ملتقى ثقافات متغيرة ، إلى أن جاء زمن العودة العربية من الأندلس ، حيث عاد العرب مكسوري الرايات ، بعد أن أقاموا زمنا طويلا في أسبانيا ، ثم جاءت موجات الاحتلال المتتالية ، لتخلف آثارا متعددة متباينة ، من ثقافات مختلفة ، وقد





● المخيمات على الشاطيء .. مشهد يتكرر في أكثر من موقع على طول شاطيء وهران ، والى أقصى اليسار مقهى على الرصيف .. أحد المقاهي المنتشرة في وهران التي تميز المدينة ..









تداخلت هذه الآثار ، وجدلت في تفاصيل الحياة اليومية .

ومازال حتى اليوم هناك كثير من الكلمات والمفردات تعود بأصولها للأسبانية ، والطعام الشعبي الرئيس « كالنتيكا » وهو طعام مصنوع من الحمص ، أسباني اسما وطريقة ، وجميع أنواع الأسماك تسمى بأسمائها الأسبانية ، كما ظهرت حرف ومهن لم تكن وليدة مجتمع وهران ، كالنقش على الخشب وتطريز الملابس ، ومازالت معظم قطع الأثاث تسمى بأسماء أسبانية .

بالإضافة إلى هذا فقد اتضح تأثير الثقافات الأجنبية في العمارة بأنماطها المختلفة ، وعلى الرغم من هذا التأثير فإنه لم يتجاوز ذلك إلى تغيير في جوهر الحياة الاجتماعية ، لأن العلاقة بين المحتل وأهل الوطن لم تكن علاقة تداخل ، ولم تكن علاقة تمازج ، بل ظل هناك فارق كبير ، حتى في مناطق السكن ، فقد كانت هناك مناطق للأجانب المحتلين ، ومناطق للوطنيين .

والتمازج الحقيقي حدث بين العرب العائدين الذين امتزجوا مع المجتمع المحلي ، ورضخوا لعاداته ، لكي يحسن قبولهم ، وفي الوقت نفسه فقد انبرى أهل المجتمع المحلي في تقليدهم في طعامهم وطريقة تأثيث بيوتهم ، بوصفهم عائدين من مناطق أكثر تحضرا وأكثر إبهارا .

ولذا لم يتجاوز التأثير حدود السطح إلا بقليل ، فقد كان العائدون مكسوري الرايات حريصين على إرضاء المجتمع ، بعد أن ضاعت منهم أشياء كثيرة .

وعلى الرغم من ذلك فإن هناك تأثيرا اجتماعيا شديد الوضوح في وهران ، وهو أمر تتمايز به عن غيرها من كثير من المدن الجزائرية ، وهو الحرية النسبية التي تتمتع بها المرأة في الخروج سافرة ، وفي الحركة ، وفي الجلوس على المقاهي والمطاعم العامة ، وهي إن كانت كلها تصرفات تستطيع أن ترصد في غيرها من المدن إلا أنها في وهران تبدو أكثر استقرارا ووضوحا وترسيخا لما يقابلها من سماحة المجتمع الوهراني وتقبله .

لم تستـــرح

لم تسترح وهران عبر تاريخها كله من المشاكل والهموم ، وحتى بعد سنوات الاستقلال الذي صاغه الآباء بالدم ، فقد جاءت الأزمات الاقتصادية لتأخذ بخناقها ، ولم يجن موقع مدينة عليها كما حدث لوهران ، فأهمية موقعها جعلها محط أنظار الغزاة ، وجمال موقعها النابع من عناق البحر والجبل جعل إمكانيات التوسع فيها محدودة ، وحدد نوعية الموارد وتوافرها .

وعلى الرغم من ذلك فأهلها - مع حدة الطبع وسرعة الانفعال - يرددون دوما أن « وهران الباهية . . ليل ونهار زاهية » ، وأهلها يحملون داخلهم تراث أهل الجبل ببأسهم ونضالهم ، ويناديهم البحر بالسفر والطواف ، وأحيانا تصبح الأحلام مجرد زبد ، ولكنهم يحلمون بأن يجعلوها حقيقة ، على الرغم من الهموم والمشكلات . فإذا كانت وهران زاهية فإن الحياة لم تعد كذلك . وهذا هو التحدي الذي تواجهه وهران وتواجهه معها الجزائر كلها . □

لـــو

روي عن المستر لويد جورج الوزير البريطاني المعروف ، أنه كان يخطب ذات مرة في البرلمان البريطاني عن حرية المرأة ، وعن القوانين الخاصة بالنساء ، ويظهر أنه حمل على حقوق المرأة حملة شعواء ، فصاحت إحدى الحاضرات قائلة له : « لو كنت زوجي لسممتك » فالتفت إليها وقال على الفور : « ولو كنت زوجتي لشربت السم !! » .



● لويد جورج

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يناير ١٩٩٠ م

سيكلوجية اللغة والمرض العقلي

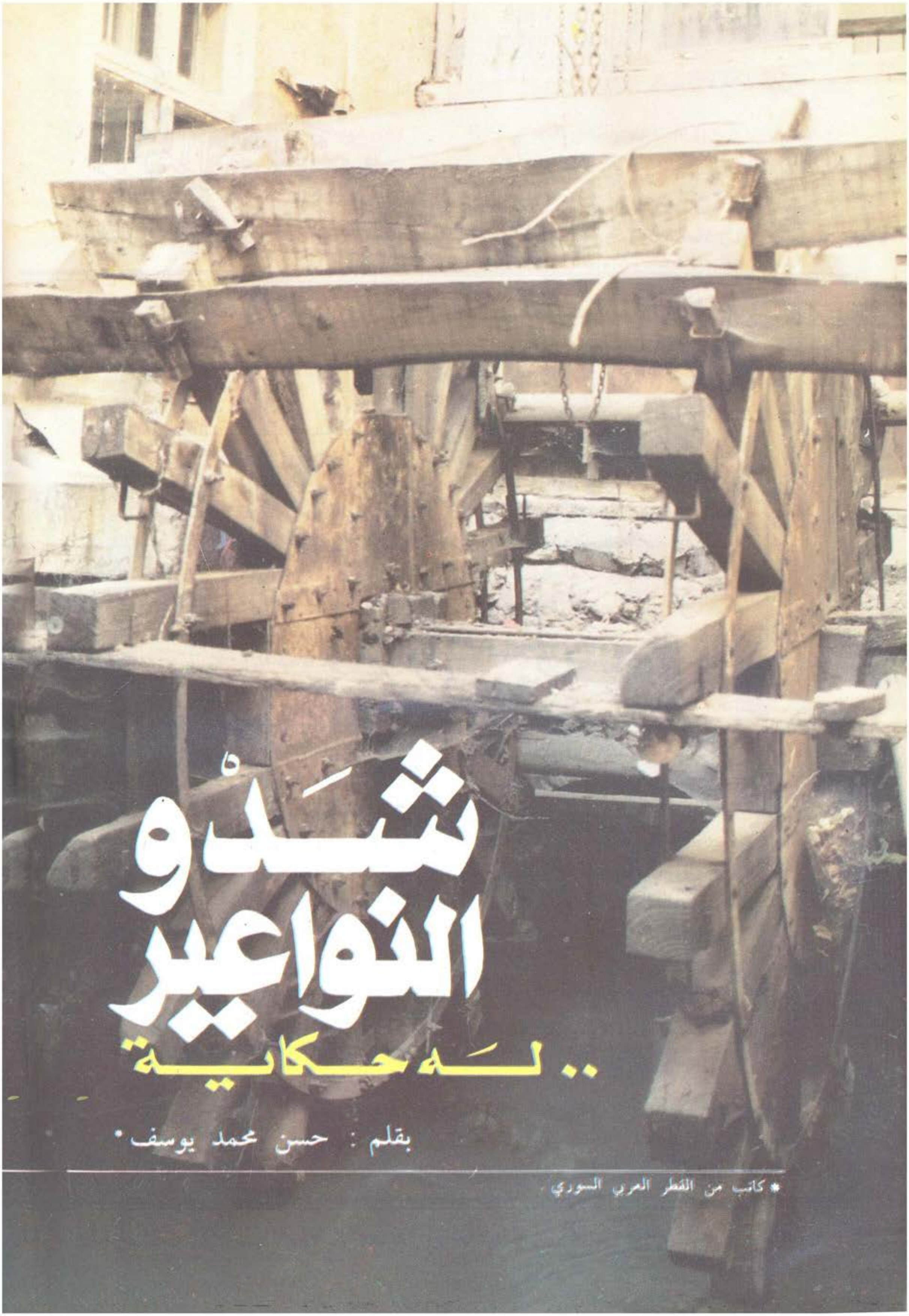
تأليف

الدكتور جمعة سيد يوسف

٥٠٠ فلس

الكتاب ١٤٥

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت



شدو النواعير

.. له حكاية

بقلم : حسن محمد يوسف *

* كاتب من القطر العربي السوري .

في وجدان العشاق ، ومحبي الطبيعة ولغتها الدفاقة بالأنغام الرقيقة ، بإيقاعاتها الموحية ، تحظى النواعير بمكانة متميزة ، بما كانت تصدره من أصوات لها وقع مؤثر في النفوس .

والنواعير ـ بالإضافة إلى ذلك تعد عملا هندسيا متميزا ، يشهد للعقل العربي بالابتكار والخصوبة .

وهذه حكاية واحدة من النواعير في قلب مدينة دمشق .

على الحد بين عالم الاسمنت والحديد ، وعالم التراب والحجر في دمشق ، أقدم عاصمة مأهولة في التاريخ . ثمة زقاق في حي الشيخ محيي الدين ، ينسل من تحت إبط سوق الجمعة الشهير ، متغلغلا بين البساتين والبيوت ، يدعى زقاق النواعير . خلف أحد أبواب ذلك الزقاق توجد منشأة مائية فريدة ، عمرها نحو سبعة قرون ونصف قرن ، ولا مثيل لها في العالم ، يطلق عليها الأهالي اسم « ناعورة الشيخ محيي الدين » .

فاذا توغلت في ذلك الزقاق المتعرج أطل عليك ، بعد بضع عشرات من الأمتار برج تلك المنشأة مشرفا على دمشق كرسالة حية من الماضي تكثف هيبة مئات السنين في لحظة واحدة !

ولكي نضع هذه التحفة الهندسية الفريدة ضمن السياق الحضاري الذي أنتجها ، دعونا نبدأ القصة من أولها .





● (أعلى) زقاق النواعير ومنشأة الشيخ محيي الدين تختبىء خلف هذا الشاب . و (أسفل) الصاري وقد أحيط بأطواق حديدية لتقويته .

الناعورة اختراع شرقي

يجمع الباحثون على أن العرب كانوا من الشعوب السباقة لاستخدام طاقة الماء ، سواء في رفعه أو في تشغيل معاصر الزيتون ، والسيرج ، وقصب السكر ، وإدارة مناشر الخشب ، ومنذ سنوات كشفت التنقيبات الأثرية في « أفاميا » السورية عن لوحة فسيفساء ، ترجع إلى القرن الثاني الميلادي ، تصور ناعورة على نهر العاصي .

لذا يرى أغلب الباحثين أن تكون الناعورة اخْتُرعت واسْتُعمِلت في بلاد الشرق ، بل إن العلّامة « آدم ميتز » يعرب عن اعتقاده الصريح بأن « هذا النوع من المنشآت الذي يحتاج لتيار ماء سريع اخترع في سورية منذ عهد مبكر ، ثم انتشر بسرعة بفضل العرب » ..

حتى وقت قريب كانت النواعير منتشرة بكثرة على معظم الأنهار العربية . وهي لا تزال تعمل حتى اليوم على نهر العاصي في مدينة « حماة » السورية ، بعد أن توقفت مثيلاتها على الأنهار الأخرى ، بسبب انتشار المضخات الحديثة . ولا يخفى على أحد ما لاختراع الدواليب المائية من أهمية ، خاصة أن العنفات التوربينية الحديثة قد تطورت منها .

ومن المهندسين العرب الذين اشتهروا بتصميم النواعير والإشراف على تنفيذها ، الرياضي الفلكي المهندس قيصر بن أبي القاسم ، المتوفى سنة ٦٧١ هـ ١٢٥١ م . وحتى وقت قريب كان اسم هذا المهندس هو الأكثر تألقا في أذهان المعنيين بالتقنية العربية الإسلامية ، إلى أن زاحمه اسم الجزري وطغى عليه !

في عام ١٩٧٤ أصدر المستشرق الانجليزي المهندس دونالد هيل الترجمة الانجليزية لمخطوط المهندس بديع الزمان أبي العز بن اسماعيل بن الرزاز الجزري ، مع مقدمة عن التقنية الإسلامية ، فأحدث الكتاب ضجة كبرى في الأوساط العلمية العالمية ، توجت بمنح دونالد هيل جائزة « دكستر » التي تمنح عادة لمن يقوم بعمل بارز في تاريخ التقنية . وقد أخذ معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب بزمام المبادرة ، وأصدر هذا الكتاب عام ١٩٧٩ .

ولولا اكتشاف هذا المخطوط لما عرف كثيرون ، وربما نحن منهم ، من هو مخترع منشأة الشيخ محيي الدين المائية الفريدة التي ما تزال صامدة في وجه الزمن منذ قرون .

رد على انتقادات المؤرخين

كني المهندس بديع الزمان بن الرزاز « بالجزري » ، لكونه من أبناء الجزيرة الواقعة بين نهري دجلة والفرات . عاش في مدينة « آمد » ، من ديار بكر ، في النصف الثاني من القرن السادس ، وأوائل القرن السابع الهجري ، أي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الميلادي . ألف الجزري كتابه القيم « الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل » ، بناء على طلب خاص من ملك ديار بكر ، الصالح ناصر الدين أبي الفتح محمود بن محمد بن قرا أرسلان . وانتهى من تأليفه في حصن « كيفا » عام ٦٢٦ هـ ١٢٠٦ م .

تكمن أهمية هذا الكتاب في أنه يرد عمليا على ما يعيبه بعض المؤرخين والباحثين على التقنية الآلية العربية من اهتمام بالوسائل المخصصة للعب والتسلية . فهو على الرغم من عدم تجاهله لعنصر التسلية ، يبحث في الساعات وآلات رفع الماء والأبواب والأقفال وغيرها من الأشياء المفيدة . الأمر الذي حدا بسارتون لأن يعده - دون تحفظ - أكثر الأعمال تفصيلا من نوعه ، ويمكن عده الذروة في هذا المجال بين الإنجازات الإسلامية .

أما المستشرق المهندس دونالد هيل فيعد كتاب الجزري وثيقة لم تقدم الحضارة البشرية مثيلا لها حتى وقت قريب ، يقول :

لم يكن بين أيدينا حتى العصور الحديثة أي وثيقة ، من حضارة أخرى في العالم ، فيها ما يضاهي ما في كتاب الجزري من غنى في التصاميم ، وفي الشروحات الهندسية المتعلقة بطرق الصنع وتجميع الآلات .

صحيح أن منشأة الشيخ محيي الدين ليست أهم الاختراعات الموصوفة في كتاب ابن الجزري ، إلا أنها تتمتع بأهمية استثنائية بالنسبة لمؤرخي التقنية . يقول سنغر : « ولولا منشأة الشيخ محيي الدين التي لا تزال بحالة جيدة حتى الآن لبقي الظن لدى مؤرخي التقنية بأن الجزري لم يصف إلا نموذجا لم يخرج إلى حيز التطبيق العملي » ، فأهمية هذه المنشأة إذن تكمن في أنها تشكل دليلا حيا على إمكانية تنفيذ تصميمات هذا المهندس العربي الفذ .

ناعورة في بيت !

أعيانا البحث عن منفذ إلى الناعورة ، فجربنا السؤال . أرشدنا شيخ وقور إلى باب بيت ترابي ، لا يتميز عن سواه بشيء ، قائلا :

ـ « الناعورة في بيت أبي عبدالله » . قرعنا الجرس ، ففتح لنا شاب في حدود العشرين من العمر ، ما أن رأى أدوات التصوير ، حتى هشّ لنا ، ودعانا للدخول ، كما لو أننا على موعد مسبق . لم يدم عجبنا طويلا ، إذ علمنا أنه لا يمر يوم إلا ويجيء شخص أو أكثر ، عربي أو أجنبي ، لزيارة ناعورة الشيخ التي بدأت شهرتها تذيع في طول العالم وعرضه .

اجتزنا ممرا ضيقا خلف الشاب الذي حرص على الترحيب بنا بصوت عال ، كي ينبه أهل البيت لوجودنا فيستتروا . عبرنا غرفة عادية ، وما أن خرجنا منها حتى وجدنا أنفسنا أمام نهر « يزيد » وناعورة الشيخ محيي الدين التي توقفت منذ بضع سنوات عن رفع الماء وعن مشاركة العشاق أنين الأشواق .

نُفِّذت هذه المنشأة بعد وفاة مخترعها بخمسين عاما على وجه التقريب ، وكان الغرض منها رفع الماء للبيمارستان القيمري ـ المستشفى ـ من نهر « يزيد » الذي كان ولا يزال أنقى فروع بردى بسبب علوّه .

وتثبت الوثائق أن سيف الدين القيمري بنى البيمارستان ، وافتتحه في سنة ٦٦٤ هـ ـ ١٢٥٤ م . لذا يمكننا القول بأن عمر منشأة الشيخ محيي الدين نحو سبعة قرون ونصف قرن . لكن لماذا يطلق على هذه المنشأة اسم ناعورة الشيخ محيي الدين ، في حين أن مصممها هو الجزري ؟ ومن هو هذا الشيخ ؟

إنه القطب الصوفي الشهير محيي الدين بن عربي ، واسمه أبو بكر محمد بن علي ، الملقب بالشيخ الأكبر .

ولد بإقليم « مرسية » في الأندلس عام ٥٨٥ هـ ـ ١١٦٥ م . درس الفقه والحديث بأشبيلية ، ثم ارتحل إلى المشرق ، وبعد أن جاب المغرب ومصر والحجاز وما بين النهرين وآسيا الصغرى ، قرر الاستقرار في دمشق . وهناك حكاية طريفة يتناقلها السكان حتى الآن حول طريقته في اختبار تلوث البيئة . فعندما قرر الاستقرار في دمشق اشترى خروفا ذبحه لساعته وقسمه أربع قطع ، ثم أوعز لأربعة فرسان من أتباعه بالانطلاق إلى أطراف دمشق والمكوث هناك حتى فساد قطع اللحم التي يحملونها . بعد ثلاثة أيام عاد ثلاثة من الفرسان . أما الرابع الذي علق جزءه في أحد البساتين على سفح قاسيون فلم يعد إلا بعد أسبوع . فانطلق الشيخ إلى المكان ، ولما وصله قال : « هنا أنزه بقعة في دمشق » . وهكذا تأسس حي الشيخ محيي الدين .

ألّف ابن عربي نحوا من مائتين وتسعة وثمانين كتابا ورسالة ، على حد قوله في مذكرة كتبها عام ٦٣٢ هـ ـ ١٢٣٤ م ، أي قبل وفاته بست سنوات . وهو يعد أهم المتفلسفين في الإسلام من ناحية الكم والكيف على حد سواء . وصفه بروكلمان بأنه « من أخصب المؤلفين عقلا

وأوسعهم خيالا » ، وذكر له نحوا من مائة وخمسين مؤلفا لا تزال باقية بين مخطوط ومطبوع .

توفي القطب الصوفي ابن عربي عام ٦٣٨ هـ . ١٢٤٠ م ، أي قبل إقامة منشأة البيمارستان القيمري بحوالي خمسة عشر عاما . فأقيم على ضريحه مزار بسيط ، وبقي الحال كذلك إلى أن احتل الأتراك سورية . فلما أن دخل السلطان سليم دمشق حتى شخص إلى ضريح الشيخ محيي الدين وانكب عليه يبكي ويمسح وجهه بغبار مقامه ! وهو الرجل الفظ الذي يعد أقسى السلاطين العثمانيين وأكثرهم دموية وبطشا ، فقد قام بقتل أبيه ، وخنق كل إخوته ليستقر له الحكم . كما أعدم سبعة من رؤساء وزرائه « الصدر الأعظم » لمجرد أن الواحد منهم سمح لنفسه أن يناقشه بأمر من الأمور ، أو أن يسمعه كلمة تذمر ! على الرغم من ذلك بكى هذا الرجل المتحجر كالطفل في حضرة سلطان العارفين ، وأمر بإنشاء جامع قربه على أن يكون الضريح جزءا منه .

وعند وضع مخططات الجامع انتبه المهندسون للمنشأة المائية القيمرية ، فقرروا الاستفادة منها لتغذية الجامع والتكية التي بنيت مقابله . وهكذا ألقى الشيخ محيي الدين ظله العالي على المنشأة ، فنسي الناس اسم سيف الدين القيمري الذي بناها ، كما نسوا اسم قمر الزمان الجزري الذي اخترعها .

منشأة الجزري

تتألف منشأة الجزري من دولاب رأسي ، محيطه على شكل ملاعق أو مغارف ، يدور بواسطة الماء الساقط عليه ، وعلى محوره الأفقي مسنن رأسي ، يدير مسننا آخر أفقيا متعامدا عليه ، ثم تنتقل الحركة عبر محور رأسي طويل إلى مسنن أفقي علوي ، يدير بدوره مسننا رأسيا آخر في الأعلى ، وهذا المسنن الرأسي محمول على محور علوي أفقي ، وهو يدير زنجيرا طويلا متصلا ، عليه سلسلة من الدلاء ، يدور بواسطة دولاب رأسي مثبت على المحور الأفقي .

صحيح أن الجزري وضع تصميمه لمنشأة صغيرة ربما كان الهدف منها هو التسلية ، ويرجع ذلك قيامه بوضع تمثال لبقرة من الخشب تدور مع العمود ، ربما ليذكر المشاهد ، بأن هذه المنشأة التى تدور من تلقاء نفسها تدار عادة بالطاقة الحيوانية ! إلا أن منشأة الجزري تماثل منشأة الشيخ محيي الدين من حيث الفكرة تماما ، فكلتاهما تقومان على المبدأ الهندسي نفسه ، أي مبدأ تجزيء الطاقة لترفع إلى أمثال هندسية ، وهذا المبدأ لم يكتشفه أحد قبل أن يطبقه الجزري في منشأته .

منشأة الشيخ محيي الدين

تتكون منشأة الشيخ محيي الدين من غرَّاف وناعورة متراكبين . وكذلك منشأة الجزري . وإليكم فيما يلي وصفا لآلية عملها :

يصطدم تيار نهر « يزيد » بأجنحة الناعورة ، ويبلغ عددها عشرين جناحا ، فتدور الناعورة ، وتسكب الماء من دلاء مثبتة على جانبها الأيسر ، لتروي حديقة ومنزل أبي عبدالله محمد سلامة أبو سليم الذي ورث خدمة المنشأة عن والده قبل خمسين سنة . وفي الوقت نفسه تدير الناعورة مسننا رأسياً يسمونه « اللكام » ، يتعامد مع مسنن آخر أفقي ، يدير عمودا رأسيا طويلا ، يسمونه « الصاري » .

في أعلى الصاري ثمة مسنن أفقي ، يسمونه « الطبق » ، وهو يدير مسننا رأسيا متعامدا عليه من الأعلى ، يسمونه « اللقاطة » ، فيدير دولابا رأسيا ، يسمونه « الماويَّة » ، عن طريق محور أفقي علوي . وحول الماوية زنجيران من الحديد طويلان ومتصلان ، عليهما سلسلة من الدلاء ، يفصل بين الدلو والأخرى منها مسافة ٦٠ سم .

وبانتقال الحركة من الناعورة إلى الماوية عبر الصاري تنزل الدلاء إلى مستوى النهر ، لتأخذ الماء الى ارتفاع اثني عشر مترا ، لتصبه في مجرى محمول على قناطر ، يمتد إلى الجامع والبيمارستان الذي لم يبق منه إلا واجهته الآن .

سألنا القيم على الناعورة (محمد سلامة أبو سليم) عن سبب توقف المنشأة عن العمل قال :

« العطل ليس من الناعورة ، فأنا فككت أجنحتها قصدا ، وعند اللزوم أقدر أن أركبها في يوم واحد ، فأنا نجار عربي أعجبك . العطل من النهر ، فمياهه لم تعد صالحة للاستعمال بعد أن كانت أصفى من عين الديك » .

سألناه عن العمر الذي أمضاه في جيرة نهر يزيد ، فهز رأسه بتسليم ، وقال :

ـ « كان نهرا صعبا حينما يفيض ، وقد خطف اثنين من أطفالي ، بنتا وصبيا ، جرفتهما مياهه إلى حرستا ! » . يستأذن أبو عبدالله منا ليمضي إلى وزارة الأوقاف حيث يعمل مرمما للوحات الأثرية ، فنصعد برفقة ابنه درجا لولبيا من ٤٦ درجة ، لنجد أنفسنا أمام اللقاطة والماوية ، وقد جفف العطش ألواحها المصنوعة من خشب التوت الذي يعشق الماء . ومن فوق البرج نلقي نظرة على زقاق النواعير ، فنرى بقايا أرحية مائية في بيت سولق الذي تهدم منذ خمسين عاما .

نلتفت يمينا فنرى قباب جامع الشيخ محيي الدين الذي كانت هذه المنشأة تمده بالماء إلى وقت قريب .

نصعد في سوق الجمعة وسط نداءات الباعة ، وما أن ننعطف يسارا حتى نجد أنفسنا أمام مئذنة جامع الشيخ محيي الدين بمقرنصاتها الشرقية الرائعة . ندخل صحن الجامع ، نتملى أبوابه المحفورة وزخرفته الخشبية والحجرية وما فيها من فن معماري عربي أصيل ، ثم نهبط درجا قصيرا على يسار صحن الجامع ، لنجد أنفسنا في حضرة الشيخ ابن عربي . نقرأ على الشاهد :



● مئذنة جامع ابن عربي ذات المقرنصات الشرقية الرائعة .

« هذا قبر سلطان العارفين ، الشيخ الأكبر محمد بن علي الحاتمي ، ولد في الأندلس سنة ٥٦٠ هـ وتوفي ليلة الجمعة ٢٨ ربيع الآخر ٦٣٨ هـ » .

نلمح إلى جانب الضريح قبرين ، يرقد فيهما ابنا الشيخ ، وبمحاذاته قبر الأمير عبدالقادر الجزائري الذي اختار الإقامة في دمشق ، بعد أن أطفأ الاحتلال الفرنسي الغاشم أوار ثورته ، وقبل وفاته أوصى أن يدفن بجوار الشيخ . وعندما استكمل شعبنا في الجزائر معركة الاستقلال التي بدأها الأمير ورفاقه ، أعيد رفات الثائر إلى أرض وطنه ، وبقي قبره رمز إخاء بين دمشق والجزائر . وداخل الضريح ثمة قبران آخران ، أحدهما لصهر « فؤاد الأول ملك مصر » . !

قطبان لم ينصفا !

تكمن الأهمية الاستثنائية لهذه المنشأة المائية في أنها تصل بين قطبين لامعين من أقطاب الحضارة العربية ، كلاهما لحق به الحيف إلى هذا الحد أو ذاك .

فكثيرون منا لم يسمعوا برئيس المهندسين العرب « ابن الجزري » الذي أبدع في التأليف الهندسي ، وأظهر براعة لا تجارى في فن الرسم الصناعي ، وفي وصف أدق الآلات وأكثرها تعقيدا ، بلغة علمية دقيقة واضحة .

لقد كان هذا العالم الفذ أول من وصف ساقية ذات زنجير ودلاء تدور بمحرك مائي بالمسننات المتعامدة في عام ١٢٠٥ م . في حين أن أقدم منشأة مائية مشابهة في الغرب هي تلك التي وصفها اغريكولا عام ١٥٥٦ م ، أي بعد قرنين ونصف قرن من منشأة الجزري !

صحيح أن حظ ابن عربي من الشهرة أفضل من حظ ابن الجزري لكن الحيف لحق به أيضا ، ولم يأخذ حقه الكامل من الاهتمام كفيلسوف اسلامي .

وإذا أردنا أن نعرف مدى أهميته قارنا مذهبه بمذهب وحدة الوجود الذي ينسب عن غير حق للفيلسوف الهولندي باروخ اسبينوزا (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧ م) .

يتركز مذهب اسبينوزا حول مقولة أساسية ، مفادها أن الله وحده هو الحقيقي ، وأن العالم ليس الا مجموعة من الصدورات أو التجليات التي ليست لها أي حقيقة ثابتة ولا جوهر متميز . ومن يقرأ كتابي ابن عربي « الفتوحات المكية » و « فصوص الحكم » سيجد أنه قد سبق اسبينوزا إلى هذه المقولة بأربعة قرون ونصف قرن ! فابن عربي يرى : « أن الحقيقة الوجودية ـ أي الله ـ واحدة في جوهرها وذاتها ، متكثرة بصفاتها وأسمائها ، لا تعدد فيها الا بالاعتبارات والنسب والإضافات ، وهي قديمة أزلية أبدية لا تتغير ، وإن تغيرت الصور الوجودية التي تظهر فيها ، فهي بحر الوجود الزاخر الذي لا ساحل له وليس الوجود المدرك المحسوس إلا أمواج ذلك البحر الظاهرة فوق سطحه » .

على الرغم من ذلك فمذهب وحدة الوجود يعرف الآن باسم اسبينوزا لا باسم ابن عربي !

ضفتان لنهر واحد

صحيح أن من يلقي نظرة سريعة على منهجي المهندس الجزري والفيلسوف ابن عربي قد يرى أنهما يمثلان عالمين متوازيين لا يلتقيان ، فابن عربي فيلسوف متصوف ، « يهمل منهج العقل والتركيب » أحيانا ، « ويأخذ بمنهج التصوير العاطفي والرمز والإشارة ، والاعتماد على أساليب الخيال في التعبير » . في حين أن الجزري مهندس متخصص في الآلات الميكانيكية ، يؤكد على أهمية التجربة والمشاهدة ، ولا يؤمن بعلم لا تدعمه التجربة العملية .

لكن هذين العالمين أشبه بضفتين لا تلتقيان ، تتدفق بينهما الحضارة العربية منذ القدم . ومجد منشأة الشيخ محيي الدين التي لا تزال بحالة جيدة حتى الآن ، يكمن في أنها أحد الجسور المهمة التي تصل بين هاتين الضفتين . □

● قيل لأرسطو : كيف تعارض أستاذك أفلاطون ؟ فقال : أحب أستاذي أفلاطون ، ولكنني أحب الحق أكثر من أفلاطون !

● إن جميع الحقوق المستحقة ، الواجبة الصيانة ، تنبع من القيام بالواجب على خير وجه .

(غاندي)



صدر العدد الجديد من:

العربي الصغير

مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي

يناير
١٩٩٠



رئيس التحرير: د. محمد الرميحي



يشترك في تحرير هامع الفتيان والفتيات العرب نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين.

في هذا العدد:

- استطلاع عن مصنع للبشر في ألمانيا.
- الزير سالم .. الحلقة الأولى.
- كوكب يموت .. قصة من الخيال العلمي.
- دعوة مفتوحة لزيارة نيودلهي.
- الأمير عبد القادر الجزائري .. «مسلسل تاريخي».

أطلب
هدية العام الجديد
خريطة
الكويت



إضافة إلى الأبواب الثابتة:

- إسلاميات.
- كمبيوتر.
- ٨ صفحات لأخيك الصغير وأختك الصغيرة.

نتيجة مسابقة العدد ٤٦

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع



الشيخوخة لماذا تأتي مُبكّرة..؟!

الصّفاقة مرض نفسي!

بقلم : الدكتور علي الوردي

في هذا المقال : الصفاقة هي الترجمة العربية لكلمة « سايكوباث » المعروفة في عالم الطب النفسي .

لذا فهي ليست صفة مذمومة فحسب ، بل هي مرض نفسي واجتماعي موجود في كل المجتمعات وكل العصور .

والمقال التالي تشريح لشخصية « الصفيق » من وجهة نظر الكاتب .

أقصد بالصفاقة مايسمى في اللغة الانكليزية « « السايكوباثية » » ، وهو مرض نفسي يصيب بعض الأفراد ، وله أثره الضار على حياتهم وحياة من يتصل بهم من الناس .

وهذا المرض لم يكن معروفاً لدى الناس قديما ، لأن المصاب به كان يعد سويا في جميع صفاته ، إلا في صفة واحدة ، وكان في مقدور المصاب به أن يتستر على تلك الصفة المعيبة فيه ويخفيها عن غيره .

لم يكتشف الباحثون كنه هذا المرض إلا في القرن الماضي ، وقد عدوه حينذاك نوعا خفيفا من الجنون ، سموه « الجنون الخلقي » ، ثم بدلوا اسمه بعدئذ الى « « السايكوباثية » » ، وهناك الآن من الباحثين من يفضل تسميته « السوسيوباثية » ، إذ عدوه أكثر ارتباطا بالمجتمع منه بالنفس .

السوي والصفيق

وأنا أفضل ترجمة المصطلح الى « الصفاقة » ، فإن لفظة « الصفيق » في اللغة العربية تعني الوقح الذي يقوم بالعمل المذموم دون أن يشعر بالخجل منه . والواقع أن هذه الصفة هي أهم مايميز الشخص السايكوباثي عن غيره . إن الصفاقة لها صلة وثيقة « بالأنوية » . ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن الشخص السوي ، حين يشعر بالأنا ، لايقتصر شعوره هذا على الحاضر فقط ، بل يشمل الماضي والمستقبل أيضا .

وبعبارة أخرى : إن الشخص السوي ، حين ينظر الى نفسه ، في لحظته الحاضرة ، ينظر أيضا الى ماكانت عليه في الماضي ، وماسوف تكون عليه في المستقبل . فهو يشعر بالفخار والاعتزاز تجاه العمل الممدوح الذي قام به في الماضي ، كما يشعر بالخزي والخجل من العمل المذموم . وهو كذلك يحرص على القيام بالعمل الممدوح ، وعلى تجنب العمل المذموم ، قاصدا أن ترتفع سمعته ومكانته في الأيام المقبلة .

إن هـذا هـو مـايـفعـله الشخص السـوي عادة . أمـا الصفيق فذهنه مشغول بما يأتي به الحاضر من منفعة عاجلة ، أمـا المنفعة الآجلة فـلا تخـطر بباله . وتراه بارعا في المجاملة كثير الوعود ، لكنه لايحقق من وعوده إلا تلك التي يتوقع منها المنفعة العاجلة . إنـه لايعرف الوفاء أو الأمانة أو الصـدق أو تأنيب الضمير . فهو قد يعدك بشيء ثم لايفي بوعده ، فإذا عـاتبتـه عـلى ذلـك واجهـك بابتسامة باردة ، كأنه لم يفعـل أمرا مذموما . وهو قد يكـذب عليـك أو يؤذيك بـلا مبـالاة وكـأن مـافعله أمـر اعتيـادي لاضرر منه . وقد يتظاهر أمام شخص لايعرفه بأنه ذو نفوذ أو غنى كبير ، ومقصده من ذلـك أن يخدع ذلك الشخص أو يبتز منـه شيئاً من المـال ، غير أنـه لايكـاد يحصل عـلى المال حتى ينفقه في أمور تافهة ، أو يشتري به شيئا لانفع فيه .

إن الشخص السوي يحاول تجنب مثـل هذه الأفعـال جهد إمكـانه ، لأنـه يعلم أنها تشوه سمعتـه ، وتضر بمصلحتـه في الأمد البعيد . وهو إذا قام بها ، على سبيل الخطأ أو التقصير ، شعر بالخجل منها ، وبـادر الى الاعتـذار عنهـا ، وقـد يبـدي استعـداده لـلتعـويض عـن الخسارة التي نجمت عنه . أما الشخص الصفيق فإنه قد يعتذر أحيـانـا ، لكـن اعتـذاره ظاهري ، يقصد به الخداع أو المنفعـة الآنيـة ، وهـو لايبـالي بسوء السمعة التي سوف تنتج عن أفعاله المذمومة .

مشكلة الصفيـق أن الأنـا عنـده قـد فقـدت ارتبـاطهـا بالزمن ، فهو لايكترث بما قال النـاس عنـه في المـاضي ، أو مـاسـوف يقـولـون عنـه في المستقبل ، إنه يعيش في لحظته الحاضرة ، وهو يريد رفعة الأنا في تلك اللحـظة فقط . وتراه يتبـاهى بنفسـه أمـام الـذين لايعـرفـونـه ، ويختلق لنفسـه المناقب والإنجازات البـاهرة . وهو قد ينسى نفسـه أحيانـا ، فيتبـاهى أمام الـذين يعرفـونه ويعرفون صفاقته ، وإذا رآهم يذكرونه بماضيه فإنه قد يغضب عليهم ويشتمهم ، ويلصق بهم العيوب التي هو من أكثر الناس اتصافا بها .

إن النـاس قد يستغـربـون حين يرون شخصـا صفيقا من هـذا الـطراز ، فهم يجـدونـه يسيء الى سمعته ومستقبله من أجل أشياء تافهة ، ويتساءلون



عن السبب الذي يدفعه الى مثل هذا السلوك العجيب ، إذ أنه يخسر شيئا ثمينا من أجل شيء تافه .

الواقع أن الصفيق عندما يفعل ذلك فإنه لايخضع للتفكير الواعي ، مثلما يفعل الشخص السوي ، بل هو يفعله بدافع لاشعوري . إن نفسيته مركبة بشكل يجعله مكتفيا بما تأتي به اللحظة الحاضرة من لذة آنية ، ولايفكر بما يأتي به الغد من خسارة دائمة . وبعبارة أخرى : إن شعوره بالأنا محصور في نطاق اللحظة التي هو فيها ، وليس في ذهنه موضع لأنويته المقبلة أو لأنويته الماضية .

نجاح الصفقاء :

والصفقاء قد ينجحون في بعض الأحيان أكثر مما ينجح الأسوياء . فإن قلة الحياء في الصفيق تجعله أقدر من غيره على انتهاز الفرص . وتراه يتزعم في كل مظاهرة ، ويخدم في كل حفلة ، ويتزلف لكل حاكم . وهو إذا تزلف لحاكم ، ثم سقط ذلك الحاكم ، فإنه لايبالي أن يتزلف للحاكم الجديد مثلما فعل مع الحاكم الساقط .

إن الظروف الاجتماعية والسياسية قد تضطر بعض الحكام والوجهاء الى الاستعانة بالصفقاء للقيام بأعمال لايستطيع الأسوياء أن يقوموا بها . ولهذا فهم يقربون الصفقاء إليهم ، ويولونهم المناصب العالية على الرغم من علمهم بما اتصفوا به من تقلب وقلة حياء .

والانقلابات السياسية هي من أفضل الفرص التي يستطيع الصفقاء أن يلعبوا دورهم فيها ويستفيدوا منها . وكثيرا مايكون الصفقاء من عوامل الانشقاق الذى يقع عادة عقب كل انقلاب سياسي . فإن كل واحد من قادة الانقلاب تحفه زمرة من الصفقاء ، يبعثون فيه الزهو ، ويحرضونه على منافسيه من القادة الآخرين . وبذا يتصاعد التنازع والتنافس بين قادة الانقلاب ، ويكون للصفقاء حصة الأسد في ذلك طبعا .

ومهما يكن الحال فإن الصفاقة غير مجدية لصاحبها في الأمد البعيد ، ولابد أن يكون مصير صاحبها الفشل في نهاية المطاف . إن الصفيق قد يرتفع أحيانا مع الموجات الطارئة ، ولكن ارتفاعه مؤقت ، سرعان مايزول في أكثر الأحيان .

درجات الصفاقة :

إن الصفاقة هي كغيرها من الصفات البشرية ، الإيجابية والسلبية ، لاتخضع للتصنيف الثنائي ، وهو التصنيف الذي اعتاد عليه المفكرون العقلانيون قديما .

يمكن القول بأن البشر كلهم صفقاء ، ولكنهم يختلفون في درجة الصفاقة فيهم . فليس في البشر فرد خال من الصفاقة تماما ، كما ليس فيهم من هو صفيق كل الصفاقة . إنما هم في ذلك على درجات متفاوتة . أما من نطلق عليه وصف « الصفيق » فهو الذي تكون فيه درجة الصفاقة عالية ، بحيث لايستطيع أن يكبتها أو يسيطر عليها بعقله الواعي . وهذا يصدق على الجنون بمختلف أنواعه مثل ما يصدق على الصفاقة . فالبشر كلهم مجانين بدرجات متفاوتة ، وليس فيهم من هو عاقل كل العقل . أما الذى نسميه « مجنونا » فهو الذي تكون درجة جنونه أكبر مما يمكنه من السيطرة عليها .

وهنا نأتي الى نقطة جديرة بالذكر في هذا الصدد ، وهي أن الصفاقة ليست كلها سيئة ، ومن الممكن القول بأن درجة ضعيفة من الصفاقة لايستغني الإنسان عنها في الحياة الاجتماعية ، وقد تكون ضرورية في بعض الأحيان ، فالشخص الذي يولي اهتماما

مفرطا لماضيه أو لمستقبله.من حيث يهمل حاضره ، قد يضر نفسه أكثر مما ينفعها .

وكل إنسان لابد أن يكون قد اقترف في ماضيه بعض الأفعال المذمومة . والمفروض في الإنسان السوي أن ينسى تلك الأفعال ، أو أن يغض النظر عنها ، تبعا للمبدأ القائل : « جل من لاعيب فيه » . ولكن بعض الأشخاص يصابون بعقدة تجاه بعض أفعالهم الماضية ، فهي تقلقهم ، وتقض مضاجعهم ، وقد تحطم حياتهم . فهم يسيرون في ذلك على النقيض من الصفقاء ، إذ هم يذكرون ماضيهم أكثر مما ينبغي ، بينما الصفقاء ينسون ماضيهم أكثر مما ينبغي . وبذا ينطبق عليهم المثل الدارج « الزائد كالناقص » .

ويمكن أن نقول هذا عن الذين يهتمون بالمستقبل أكثر مما ينبغي ، فتراهم يغفلون عن الحاضر ومقتضياته ، بينما هم يركزون جل اهتمامهم على بناء المستقبل والاستعداد له . وتراهم يلهثون طوال حياتهم من أجل بناء مستقبل زاهر لهم حسب ما يتصورونه ، ولكنهم عندما يأتيهم المستقبل الذي تعبوا من أجله يجدون أنفسهم غير قادرين على الانتفاع به ، حيث ينطبق عليهم قول أبي فراس الحمداني :

أتَتْ وحياضُ الموتِ بيني وبينَها
وَجَادَتْ بوصلٍ حيثُ لاينفعُ الوصلُ

إن هذا هو حال البخيل الشديد البخل ، فهو يكدح دائما في جمع المال ، ولايريد أن يتمتع به في حاضره ، أملا أن يكون تمتعه كبيرا في المستقبل . ولكن هذا المستقبل الذي يطمح إليه لايأتي ، وسوف يتمتع بالمال أخيرا أناس آخرون .

وهذا هو أيضا حال الراكضين اللاهثين في طلب العلا وشعارهم في ذلك « اتعب تلعب » ، ويقصدون به أن الإنسان يجب أن يتعب اليوم لكي يجني ثمار تعبه غدا . وهم يظلون يكدحون حتى آخر يوم من حياتهم ، دون أن يجنوا من ثمار كدحهم شيئا .

إن الحاضر لايقل أهمية عن المستقبل ، ويجب على الإنسان السوي أن يتمتع بحاضره الى الحد الذي لايضر بمستقبله . وكثيرا مايكون التمتع بالحاضر مساعدا على بناء المستقبل . فإن الذي يخسر حاضره من أجل مستقبله قد يخسرهما معاً . □

ذكر أم أنثى :



● طرح مؤخرا في أوربا نوع جديد من الأقراص ، تبللها السيدة الحامل بلعابها ، فتعرف نوع جنينها ! وذلك من خلال التغيرات التي تطرأ على شكل القرص .

تستطيع السيدة الحامل إجراء هذا الاختبار اعتبارا من الشهر الرابع للحمل ، فإذا تغير شكل القرص كان الجنين ذكرا ، أما إذا ظل كما هو فالجنين أنثى . تظهر التغيرات خلال يومين .

وقد نجحت التجارب التي أجريت على الأقراص الجديدة بنسبة ٩٥٪ من بين ٣٠٠٠ حالة ، أما الحالات التي لم تسفر عن نتائج دقيقة ، فكانت بسبب حمل الأم لتوأم مختلف الجنسين .

الشيخوخة .. لماذا تأتي مبكّرة ؟

بقلم : الدكتورة وسمية الحوطي

هل الشيخوخة مرحلة من مراحل عمر الانسان ؟ أم هي مرض يصيب الكائنات في عمر متقدم ؟ أم عجز في وظائف الجسم عن أداء عملها ؟ محاولة للاجابة عن هذه الأسئلة في المقال التالي .

علم الشيخوخة هو فرع من علوم البيولوجيا (أو علوم الحياة) ، وهو العلم الذي يهتم بدراسة ظاهرة الشيخوخة وتحليلها ، وهي الامتداد الطبيعي لحياة الإنسان . وظواهر الشيخوخة معروفة للعامة ، مثل اضطراب عمليات الأيض ، بازدياد معدل الهدم عن معدل البناء ، وليونة العظام ، وطول فترة التئام الجروح ، وجفاف الجلد ، وقلة مرونته ، وانقطاع الحيض عند النساء ، وعدم مقدرتهن على الإنجاب ، كما تضعف فيها كثير من الحواس ، مثل النظر والسمع ، وكذلك ظاهرة النسيان تطغى على الشيخ الكبير ، فنراه يتذكر ما حصل له في شبابه وينسى أحداث أمسه . كما أن للشيخوخة أمراضها المميزة ، مثل التهاب المفاصل ، وتعتيم عدسة العين ، وازدياد أزمات القلب ، وتصلب الشرايين . ومع معرفة كل مظاهر الشيخوخة ، سالفة الذكر ، فإن مسبباتها ما زالت مجهولة للعلماء .

في الكائنات الحية :

تشكل الشيخوخة مرحلة من مراحل حياة الكائنات الحية ، وليس للإنسان فقط ، وتكثر حالات الوفاة في تلك المرحلة . ومع أن مسببات الوفاة من الأمراض والحوادث أمور واردة ، إلا أن التغيرات المرحلية تؤدي إلى الوفاة في نهاية الحياة ، حيث يعجز الكائن الحي عن الاستمرار في أداء وظيفته (رسم ١) . ومعدلات الوفاة تختلف من كائن إلى آخر ، كما يوضح الجدول رقم (١) لمجموعة من الكائنات الثديية ، بما فيها الإنسان . فالفأر له أقصر عمر ، في حين أن الإنسان له العمر الأطول .

الجدول (١) : السنوات القصوى لحياة بعض الحيوانات الثديية

الفأر المنزلي	٣,٥
الكلب	٢٠
الحصان	٤٦
الفيل الهندي	٧٠
الشمبانزي	٤٤,٥
الاورانج اوتان (نوع من القردة)	٥٠
الإنسان	١١٨

ولكن مع ازدياد الوسائل الحديثة للقضاء على الأمراض فإن معدل عمر الإنسان أخذ يظهر ازدياداً في السنوات الأخيرة ، فقد يصل إلى ١٨٠ سنة ، وهذا يسهم في تقليل معدل الوفاة وإطالة العمر .

أسباب الشيخوخة :

ولو ركزنا على الانسان فقط فإننا نجد كثيراً من الوظائف والتراكيب الحياتية تأخذ في التغير والتبدل مع مرور العمر، مما يؤدي إلى ضعف كثير من لبنات تكوين الإنسان، مثل وزن الدماغ وكفاءة العمل الذي تقوم به كثير من الأجهزة المختلفة، كما هو موضح في الجدول (٢) الذي يبين النسب المئوية للتغيرات الوظيفية التي تصاحب الشيخوخة .

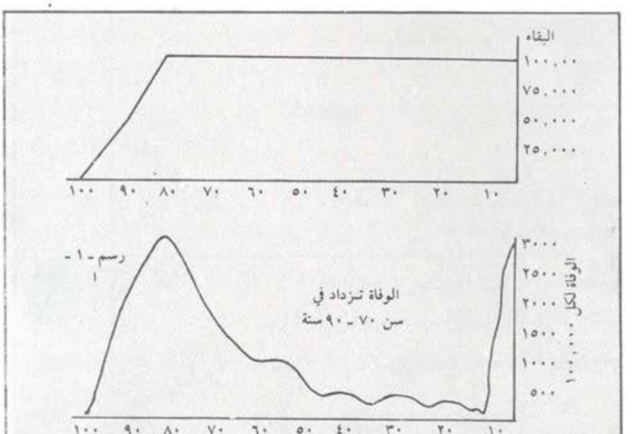
وزن الدماغ	٪٥٦
عدد الأعصاب	٪٦٣
كثافة النبضات العصبية	٪٩٠
مرور الدم في الدماغ	٪٨٠
نبضات القلب عند الراحة	٪٧٠
عدد وحدات تكوين الكلية	٪٥٦
كفاءة عمل الكلية	٪٦٩
عدد براعم التذوق	٪٣٦
الحد الأقصى للأكسجين المستهلك أثناء التمارين الرياضية	٪٤٠
الحد الأقصى لمرات التنفس	٪٤٣
قابلية اليد للإمساك بالأشياء	٪٥٥
معدل عمليات الأيض	٪٨٤
كميات الماء في الجسم	٪٨٢
الحد الأقصى للتحمل قبل الإحساس بالتعب	٪٤٠

حتى المقدرة على المقاومة تقل مع تقدم العمر ، حيث يصبح الإنسان معرضاً للاصابة بالأمراض أكثر من أي مرحلة أخرى في عمره . ويرجح كثير من العلماء أن ظهور أعراض الشيخوخة يعود إلى عاملين ، أحدهما يحدث للخلايا نفسها ، والثاني يحدث للمادة الخلالية التي تكون عادة خارج الخلية .

شيخوخة الخلايا :

تفقد الأنسجة كثيرا من خلاياها مع تقدم العمر . فالجهاز العصبي مثلا تقل مكونات الدماغ فيه دون حصول أي تعويض للخلايا المفقودة أو التالفة ، والرسم (٢) يوضح أن عدد خلايا الدماغ يتناقص مع ازدياد سنين العمر .

لقد وضع العلماء عدة أسباب لشيخوخة الخلايا ، وبالتالي فقدها لوظيفتها ، مثل وجود مخلفات الأيض التي تسمى صبغيات الشيخوخة ، والتي تتراكم في الخلايا التي لا تستطيع التخلص منها . وبزيادة تراكم هذه المخلفات يزداد عمر الخلية ، وبالتالي يؤدي إلى وفاتها . وكذلك فإن مادة الوراثة أو الجينات الوراثية المسماه مركب **DNA** قد تتكسر وتتحلل ، نتيجة لحصول الطفرات في أثناء انقسام الخلية ، مما يسبب اضطراباً في عمل الخلية ، يؤدي إلى إنتاج مواد كيماوية ، أو أنزيمات في داخلها . كما أن مقدرة الخلية على الانقسام تقل كذلك . ولإثبات النظرية السابقة قام العالمان ليونارد هايفلك ولول



● الرسم (١ - « أ ») يبين معدل فرص الحياة والوفاة حسب فئة العمر للانسان .

مورهيد بـزراعة أجنـة آدمية ، وبعد ذلك قاما بـإعادة زراعـة تلك الأجنــة عـدة مــرات ، ووجـدا أنه بـدلاً من أن تزداد أعداد الخلايـا في كل مـرة عن المـرة السابقـة ، أصبحت بعد إنتاج خمسين جيـلا ـ تثبط همة الأجنـة عن الانقسام ، وتقـل تدريجيا ، ثم تمـوت ، ما عـدا الخلايا السرطانية التي ازدادت في العدد ، وهذه طبعا حالات مرضية غير صحية .

وقام العالمان بوضع نظريتهما التي تقول : « إنه عـلى الرغم من تـوافر الـظروف المنـاسبـة لانقسام الخلية العادية ، فإنه لا بد أن تصل إلى مرحلة تتوقف فيهـا عن الانقسـام وتمـوت ، وهذا يحدد المعدل الزمني لعمر الخلية في كل منطقة من مناطق الجسم . وتــوقف الخليـة عن الانقســام يؤدي إلى نقص في العــدد النهـائي للخــلايــا ، وبذلك لا يبدل ما يهرم منها .

ولكن كـثيــرا من العلماء لا يأخذون ما توصل إليه العالمان هـايفلك ومـورهيــد قـاعــدة أسـاسيـة لتبـاطؤ الخـلايــا في الانقسام ، لأن ذلك ربما ينطبق عـلى الخـلايـا المـزروعـة تحت ظروف معروفة سلفا فقط وقد لا يكون ذلك صحيحا للخلايا المكونة للكائن الحي .

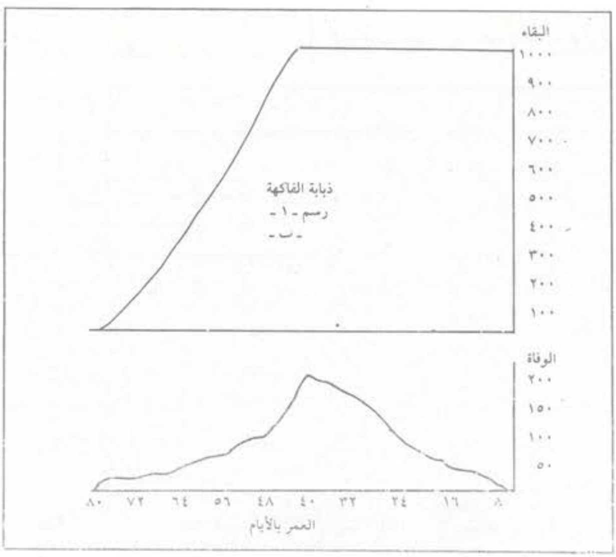
ومع ذلك فإن هذه النظرية لها علاقة بمقولـة أخرى تسمى بديهية المناعة .

بـديهيـة المـنـاعـة والشيخوخة :

تقـول البديهيـة : إن إنتاج خلايا الدماغ من نخاع العظام يصبح أكثر بطئاً كلما قل معدل انقسام خلايا العظام . كما أن التغيرات في الغدة الثيموسية ، وهي غـدة وحيدة في الانسـان تـوجد خلف عـظمة القص ، وتمتد إلى أعلى في منطقة العنق ، بينـما يقع الجـزء الأسفل منهـا بـالقـرب من قـاعـدة القلب والأوردة الكبيــرة التي تـصب فيـه . والغدة الكبيـرة الحجم نسبيـا عنـد الأطفـال تبـدأ في الضمور تدريجيا عند البلوغ ، ولا يبقى منها في الإنسان البالغ ســوى أثــر بسيط . إن تلك الغدة الثيموسية التي لها علاقة بتلك البديهية قد تنقرض عند حلول الشيخـوخة . وضمـور الثايمس يؤثر على إنتاج كريات الـدم المسؤولة عن المنـاعـة ، المسمــاة T-cells ، وكـذلــك خلايا B-cells وهما من المراكز الـرئيسة لتصنيـع كرات الـدم البيضاء التي تقوم بالدفاع عن الجسم . إن مـؤيـدي تلك البديهية يفسرون بها قلة المناعة التي تصيب الإنسان كلما تقدم به العمر .

الشيخوخة خارج الخلية

تتأثر مادة الكولاجين ـ وهي مادة بروتينية تكون الإطار الذي



● الرسم (١ ـ « ب ») يبين معدل فرص الحياة والوفاة لذبابة الفاكهة.

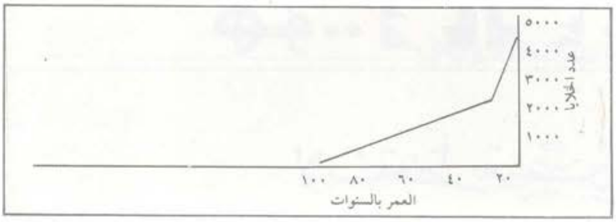
يربط الأنسجة بعضها ببعض ـ بتقدم العمر . إن مكونات مادة الكولاجين ترتبط مع بعضها بروابط قوية ، قد تضعف مع مرور السنين . وهذا الترابط الضعيف يؤدي إلى ظهور التجاعيد وفقدان البشرة لليونتها . كما أن الشيخوخة تعمل على تقليل أماكن تخزين الماء حول الخلايا ، مما يؤدي إلى جفاف الجلد الذي يعاني منه كبار السن .

الشيخوخة غير العادية :

تعتبر الشيخوخة عملية تدريجية وعادية ، تؤدي إلى انخفاض في الوظائف بالتدريج ، وتنتهي بالضعف العام ، وبالتالي قلة المقاومة للمتاعب الصحية . ولكن عند بعض الناس تكون هذه التغيرات سريعة ومفاجئة ، وهذه الشيخوخة غير العادية المفاجئة تسمى مرض الزيمر Alzheimer's ، وهي تصيب ٥ ـ ١٠ من الناس فوق سن ٦٥ سنة .

إن مرض الزيمر يحدث نتيجة لاضطرابات ، تحدث في الدماغ ، تؤدي إلى فقدان الذاكرة المبكر ، وبالتالي إلى فقدان وظائف الدماغ كلية .

فكثير من المرضى بهذا الداء يكونون غير قادرين على عمل شيء ، ويصابون باعاقة تامة قبل الموت . كما أن أمراض الهرم التي تسبق الشيخوخة قد تحدث في سن الشباب ، فيها تكون أمراض الشيخوخة أسرع عشر مرات عن المعدل العادي ، بحيث يكون أشبه بطفل في العاشرة ، له سمات شيخ كبير ، من حيث تجعد بشرته وظهور الشعر الأبيض على رأسه ، وغالبية هؤلاء يموتون في سن الثانية عشرة ، نتيجة لأمراض القلب التي عادة ما تصيب الكبار في السن . □



● الرسم (٢) يبين عدد خلايا الدماغ في الحيوانات الثديية .

هل تعلم أن الزيتون

يغنيك عن الدواء ؟



ـ فالزيتون فاتح للشهية ، مسمّن للجسم ، مقوّ للمعدة ،
ـ ويقول ابن سينا : « إذا طبخ الزيتون على النار حتى يهرأ لحمه ، يصبح دواء ناجعا لالتهاب المستقيم ، وعلى الأخص البواسير » .
ـ ويتركب الزيتون من الأدهان المعروفة « الزيت الطيب » ومن أملاح معدنية أهمها الكالسيوم والبوتاسيوم والحديد ، ويحتوي على فيتامين (أ) و (ب) و(ج) و (د) .
ـ وقد أثبت الطب الحديث أن لزيت الزيتون مفعولاً في طرد الصفراء وحصى الكلى . والحمى المتقطعة تعالج بمنقوع أوراقه .

هو.. هي

لا تتعظ بغيرك

● قليلا ما تحدث لي مفاجآت لا أتوقعها ، فقد نشأت في عائلة يغلب على العلاقات بين أفرادها الاتزان والتروي ، وعدم التسرع في المدح أو الإدانة ، أو الحكم على الأشياء والأحداث . وعندما اتفقت أنا وزوج المستقبل الذي مازال خطيبي على الزواج ، فإنني كنت متحمسة ومدركة بشكل تام كل خطوة أخطوها .

وقبل إعلان الخطبة بكثير كنت أعرف خطيبي ، وأعرف بعض أفراد عائلته ، بل كانت تربطني علاقة خاصة مع إحدى شقيقاته . كما لم يكن لي عليه وعلى شخصيته وسلوكه أي تحفظات ، وكان من تحصيل الحاصل أن تتم الخطبة بسهولة ويسر ودون عراقيل .



غير أنني بدأت ألاحظ أنني أصبحت أكثر حساسية لتعليقاته وتصرفاته مع الآخرين ، وعلاقاته التي كانت مصدر فخر لي قبل الخطبة . كما أصبحت أكثر تشككا وريبة تجاه صداقاته وزملائه في العمل ، وبخاصة زميلاته ، والغريب في الأمر أنني كنت أعرف كثيرات منهن منذ مدة .

وفي الأسابيع الأخيرة بدأت الأمور التي تثير حساسيتي تزداد ، وأصبحت أدقق في كثير من أمور علاقتنا العادية ، مثل المواعيد ، ونوعية الهدايا التي يحضرها لي ، وطبيعة الأماكن التي يدعوني إليها . وأمور أخرى أكثر أهمية من هذا كله تحولت لدي إلى هواجس ، حتى فكرت أكثر من مرة أن أطلب فسخ الخطبة ، ووضع حد للزواج قبل أن يكون ذلك متأخرا جدا .

بحثت الأمر مع والدتي التي أعدها صديقتي ومستودع أسراري ، إلا أنها أخذت الأمر ببساطة أكبر مما توقعت ، وقالت لي : إن هذه المشاعر أمر طبيعي مع اقتراب الزواج ، لأنه يعني الارتباط التام ، وشاورت شقيقة متزوجة لي فقالت : إنها لا تستطيع أن تنصحني بشيء ، لأن هذا شأن خاص جدا .

وطرحت الأمر على والدي ففوجىء بما قصصته عليه ، إلا أنه أخبرني بأن علي أن أقرر بأسرع وقت ممكن ما إذا كنت سأمضي في الزواج أم لا ، لأن كل يوم يمضي يجعل اتخاذ مثل هذا القرار أكثر صعوبة .

وذهبت أخيرا إلى إحدى صديقاتي التي بدا لي أنها سعيدة في زواجها فقالت : إن كل هذه المشاعر لاتعني شيئا . وحتى لو كان لك أي اعتراض ، فالأفضل لك أن تنحيه جانبا وتتزوجي ، فتجربة الزواج تجربة لا يجوز عليها مبدأ « الاتعاظ من غيرك » .

.. هي

الزَّواجُ شيءٌ آخَر



أعرف أن لكل علاقة مزاياها وسلبياتها ومشكلاتها ، إلا أنني لم أكن أتصور قط أن تحدث بين خطيبتي وبيني مشكلات من هذا النوع ، وخاصة أننا توصلنا إلى قرار الخطبة عن اقتناع كامل واتفاق تام . وأهم من ذلك كله أنه لم تحدث تطورات أو أحداث أو مواقف تدعو إلى مثل هذا التغير .

ولا أزعم أن تغيرا تاما قد طرأ على زوجة المستقبل ، إلا أن كثيرا من السلوكيات أصبحت تأخذ شكلا مبالغا فيه ، فدقة المواعيد التي كانت تطلبها تحولت إلى شيء أقرب إلى التزمت ، وحرصها في اختيار الأماكن التي نذهب إليها معا أصبح يأخذ شكل المحاكمة ، وملاحظاتها على ملابسي وتصرفاتي تحولت إلى نقد كثيرا ما يستفزني . وأخيرا وصلت الأمور حدا لا يطاق ، فقد بدأت تنتقد اسلوبي في الحديث ، وتبدي ملاحظات على طريقتي في الأكل ، والضحك الذي ترى أنه يجب أن يكون محسوبا .

أعرف أن هذه السلوكيات هي أسلوب في التعبير عن مشاعر متضاربة ، زادها اضطرابا اقتراب الزواج ، إلا أن طريقتها في التعبير عن هذه المشاعر جعلتها شيئا مختلفا عن الفتاة التي عرفتها وأحببتها واتفقت معها على الزواج .

وحتى أكون أكثر صراحة فإن لي ملاحظاتي التي بدأت تزداد هي أيضا على سلوكها وتصرفاتها ، وحذرها الشديد ، وشكوكها التي تحولت إلى ما يشبه العرض المرضي ، وعلى أسلوبها الذي تناقش به الأمور ، وتتخذ على أساسه القرارات . غير أنني أضع هذه الأمور في حجمها الطبيعي ، ولا أجعل منها سببا في انهيار مشروع الزواج الذي بنيت عليه آمالا كبيرة .

وأعترف أنني أخذت مخاوفي وملاحظاتي هذه إلى أحد أصدقائي المتزوجين ، وطرحت عليه المسألة . فأشار إلى نفسه وقال : لا أعتقد أن زواجي ناجح ، إلا أنني لا أنصحك بأن تتعظ بي ، فكل ما تراه لا يدل على شيء ، فالزواج شيء آخر تماما . □

.. هو



طبيب الأسرة
قضايا منزليّة

الناسُ وَالنحاسُ

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

لو كان لنا أن نسأل الناس جميعا عن المعادن ، وكيف ترتسم صورتها في ادراكهم ، لاجتمع أغلبهم على أنها كتل صلبة ثقيلة لماعة . ولو ضربوا مثلا لما اختلفوا على الحديد ، ولتجاوزوا الزئبق ، وربما ذكر بعضهم النحاس ، فيما قد ينساه آخرون منهم على الرغم من أن النحاس كان أول معدن عرفه الإنسان ، واستعمله منذ أربعة آلاف عام .

غير أن العلماء الذين خرجوا على إجماع القوم يؤكدون أن أصل النحاس من قبرص التي تقع في الفجوة مابين الدرع الافريقي والدرع الأوربي .

هذا المعدن يدخل في تركيب أجسام كل البشر الأسوياء ، ولا غنى عنه لسلامة أبدانهم واكتمال صحتهم . قد لا يرقى النحاس إلى مرتبة الحديد مثلا إذا وزناه بمقياس صحة البشر ، فالحديد يدخل في صلب تركيب دم الإنسان ، فيصبغه بلون أحمر ، أما النحاس ففى دم المحار ويصبغه بلون أزرق ، لكن لاغنى عن النحاس في تراكيب بعض الخمائر (الأنزيمات) المؤكسدة في الجسم ، مما تعتمد عليه وظائف الجسم المختلفة في اكتمال وظيفتها وتمام سلامتها ، بل ربما دخل في صلب تركيب صبغة الجلد المعروفة باسم القتامين (الميلانين) Melanin ، لهذا يعزو بعضهم لون الجلد الأسمر إلى معدن النحاس في تركيب الصبغة الجلدية . هكذا .

ولعل من فضل الله على خلقه أن وفر لهم من النحاس قدراً في كثير من طعامهم ، ولو كان قدرا يسيراً ، يكفي حاجتهم التي قدرها أهل الطب بما يتراوح بين مليجرامين وثلاثة ميلجرامات في كل يوم ، لهذا تندر أمراض عوز النحاس بين الناس ، إلا في ظروف معينة نادرة ، يغلب عليها طابع الوراثة من مجموعة الأمراض الوراثية التي يطلقون عليها اسم الأمراض المرتبطة بالجنس « Sex linked Diseases » ، وهي تلك الأمراض التي تنقلها الأمهات إلى الأطفال الذكور فقط ، كالمرض المشهور المعروف باسم مرض النزاف أو الهيموفيليا .

والنحاس إذا ما امتصته خلايا الجهاز الهضمي ،

وبخاصة المعدة والاثنى عشر يتسرب ٣٠٪ منه الى داخل الجسم حيث يرتبط بأحد أنواع زلال الدم ، ليصل إلى خلايا الكبد ، حيث تقوم بتخليق الخمائر المؤكسدة (الأنزيمات) التي يحتاجها جسم الإنسان في وظائفه وعملياته الحيوية ، لهذا فأي خلل يصيب الامتصاص ، أو ينتاب عملية التخليق ، أو ربما مقادير النحاس في الطعام يتجسد في مرض يتميز إما بزيادة النحاس في الجسم ، مما يؤدى إلى التسمم بالنحاس ، أو قد يؤدى إلى نقصه ، مما يعوق وظائف الجسم عن إتمام مهامها .

أمراض النحاس :

أمراض النحاس نادرة ، سواء منها ماكان بسبب النقصان أو ماكان بسبب الزيادة ، لهذا لم يتعرف عليها أهل الطب إلا مؤخراً . ومن هنا كانت في علم الطبابة حديثة عهد ، وبخاصة أنها على الأغلب ترتبط بقواعد الوراثة التي لم يبلغ العلم فيها المبلغ المرجو ، ولم تكتمل معرفة الطب بقواعدها إلا مؤخراً .

إن الأمراض الرئيسة عند الإنسان في معرض الحديث عن أمراض النحاس هي :

١ ـ مرض نقص النحاس :

مرض نادر الحدوث ، وقد يحدث مكتسباً ، كما حدث بين مجموعة من الأطفال سيئي التغذية ، ممن اعتمدوا على رضاعة حليب البقر المتدني بمحتواه من النحاس ، وكما قد يحدث لأطفال مبتسرين (ناقصي النمو) ، حيث ان أكبادهم قد تعجز عن اختزان أملاح النحاس بما يكفي حاجتهم .

هذا إلى احتمال حدوث المرض عند الإصابة بإسهال مزمن ، أو سوء تغذية ، أو سوء امتصاص ، لهذا نجده احتمالاً قائماً عند تغذية الطفل عبر الوريد مدة تطول عن المعتاد ، أو بسبب علاجه بمواد معينة ، تعرف باسم المواد المستحلبة ، وهى مواد تمنع امتصاص النحاس أيضا .

وعند ذلك يصاب الطفل بفتور في الشهية ، وبضعف في النمو ، وتغيرات في لون الجلد والشعر ، مع اختلال في مركبات الدم سواء الخلايا البيضاء أو كرات الدم الحمراء .

غير أن طبيبا أمريكيا ، من مواليد مدينة فيينا النمساوية ، يدعونه الدكتور مينكيز وصف مرضاً وراثيا ينتمي إلى مجموعة الأمراض المرتبطة بالجنس عام ١٩٦٢ (Sex Linked Diseases) تنقله الأمهات إلى الأطفال الذكور وتتطابق أعراضه مع أعراض نقص النحاس ، لهذا أطلقوا عليه اسم مرض « مينكيز » ، نسبة إلى اسم أول من وصفه من الأطباء .

٢ ـ مرض التسمم بالنحاس :

قد يزيد منسوب النحاس في الجسم ، ومن ثم فإنه يتراكم زائداً عن الحاجة ، وبهذا تدمر خلايا الكبد تدريجياً بعد أن



يتشبع ، مما يؤدي إلى التلف والتليف ، دون أن تظهر أعراض واضحة محددة في بداية الأمر ، ولكنها في النهاية تؤدي إلى أعراض خطيرة تتميز بفقر في الدم ، وبياض في عدسة العين ، بما يشبه زهرة عباد الشمس ، مما يسميه أهل الطب باسم « الساد » أو « الكاتاراكتا » .

ولكن النحاس إذا ماترسب في نسيج المخ فإنه يؤدى الى أضرار عصبية ، تتميز بخلل في شخصية صاحبه ، وخرف ، وارتعاش يجتاح المفاصل والعضلات . ربما كان هذا المرض مكتسبا نتيجة طول استعمال القدور النحاسية في الطبخ ، كما يعلله بعضهم ، أو من تعاطى قدر كبير من مواد يدخل النحاس في تركيبها ، كما يحدث في وحدات غسيل الكلى مثلاً .

غير أنه قد يكون مرضاً وراثياً أيضاً ، كما وصفه عام ١٩١٢ طبيب أمريكي كان يقيم في بريطانيا يدعونه الدكتور ولسون ، ونسبه إلى عوامل وراثية متنحية ، وهى سبب ندرته ، وعدم شيوعه ، وعدم وضوح معالمه للأطباء القدامى ، لهذا فقد نسبوه إلى أول من وصفه ، وسموه باسم مرض « ولسون » . □



المظاهر الجنسية الثانوية

السيد/ صالح مسعود - تونس

سنوات المراهقة تتميز بطفرة في النمو تجتاح كل أعضاء الجسم ووظائفه ، وربما كان النشاط الجنسي من أبرز معالم هذه الطفرة .

وتعد الغدة النخامية في الدماغ محرضا للغدد الأخرى في هذا الميدان ، فتقوم الغدد الجنسية وبخاصة الخصيتان وغدة الكظر فوق الكلى بالاستجابة لتحريض الغدد النخامية ، وإفراز الهرمونات الجنسية ، وهذه هي المسؤولة عن ظهور المعالم الجنسية المتميزة لجنس الذكور .

كما تنشط أيضا غدد المبيض عند الإناث ، فتتجدد المعالم الأنثوية .

ومن هنا يعد أي تأخير ، أو أي فشل ، في ظهور معالم الذكورة عند الصبي ، أو معالم الأنوثة (مما يعرف بالمظاهر الجنسية الثانوية) في فترة سن ١٢ سنة الى ١٤ سنة دليلا على خمول الغدد الجنسية أو كسلها .

من هنا لابد من تقييم نشاط الغدد الصماء لتحديد موطن العلة وعلاجها ، على يد طبيب مختص في الغدد الصماء في أقرب فرصة قبل أن تتفاقم الأمور وتضيع .

القارئة هناء الحسن - الرقة ، سوريا

الثعلبة

الثعلبة : سقوط الشعر في مواضع متفرقة من الجسم ، وبخاصة في الوجه والرأس ، ولكن السبب مازال مجهولا للطب ، وإن كان كثير من الأطباء يميلون الى عده معاناة نفسية ، لهذا فمن المألوف أن يعود ظهور الشعر فجأة كما تساقط فجأة دون سبب ظاهر .

غير أن أطباء الجلد يضعون عقاقير تعمل على إثارة الجلد في موضع سقوط الشعر ، ويفيد الكثيرون أن حك الموضع بالثوم أو الصوف أو صبغة اليود يؤدي هذا الغرض ، ولهذا لا داعي للقلق فعلاج الحالة مرهون بمرور الزمن ، ولا بأس من استشارة طبيب الجلد المختص .

مساحة ود!

اعتراف على الذات!

تتراكم الرسائل التي يكتبها أصدقائي ، وأفراد من عائلتي ، وآخرون قلما أعرفهم ، ويفرض علي الواجب والذوق أن أكتب لهم رداً على تلك الرسائل ، ولكن التسويف والتأجيل إلى الغد يراكمان الرسائل ، استناداً إلى أن الغد سوف يمنحني فسحة من الوقت ، للتفرغ لكتابة الردود التي تحتاج إلى طول بال ، وتفرغ ذهن ، وتفجير عواطف على الورق ، وكلها تحتاج إلى صفاء ذهني ، ووقت فراغ ، واستعادة ذكريات . ويتم تأجيل مشاريع الرد بحجج متعددة أخرى ، تارة بسبب الانهاك في العمل ، وطوراً آخر بسبب المسئوليات ، وفي بعض الأحيان أقوم بتحويل موضوع الاستجابة لتلك الرسائل إلى الذاكرة التي غالباً ما تخون !

ومع ذلك فإن وجود هذا الكم من الرسائل ، غير المجاب عنها ، تبقى عالقة في مكان ما ، من الذاكرة ، تؤرق الإنسان ولا تختفي .

والرسائل التي تفرض الاستجابة لها هي الرسائل الصادقة التي تتجاوز ما هو « روتيني » ويومي في الحياة،والتي يريد أن يبوح الإنسان فيها ببعض مكنونات نفسه ، فالنفس البشرية تحتاج إلى هذا البوح ، بين فترة وأخرى ، من أجل المشاركة والتنفيس ، فيضع الإنسان همومه ومشكلاته ومشاغله على الورق لصديق يعرف أنه على البعد يفهم ويحفظ ويتعاطف .

إن الرسائل الصادقة هي نوع من الاعتراف على الذات ، ونوع من الكتابة ، فيه مأمن يتلمسه الإنسان منا ، كحاجة طبيعية ، كونه إنساناً يعيش مع بشر آخرين .

ولكن هل يمكن للإنسان أن يلجأ دائماً وأبداً للبوح بمكنونات نفسه إلى صديق أو قريب ، وتتحول الرسالة إلى شيء خاص منزوع من الذات ؟ والجواب : ان ذلك لا يتم في كل الأوقات طبعاً . لذلك فإن بعض الناس يتكاسل عن معرفة ، أو عن هروب ، من كتابة تلك الرسائل . لاأريد أن أبرر موقفي في عدم الرد على رسائل كثيرة ، ولكنني أفكر فقط بصوت عال ، وأعترف على نفسي ، فثقة الإنسان بنفسه تبدأ من الاعتراف بنواقصها . □

سليمان الشيخ

جمال العربية

بقلم : الدكتور حسن عباس

□ صفحـــة لغـــة

من مظاهر العناية الحديثة بالعربية

منذ زمن غير بعيد ، كان العقاد يقول : إن اللغة العربية لغة مخدومة ، تـوافـر أبناؤ ها عـلى العناية بها منـذ عصر الجـاهلية ، وتجددت هذه العناية بعد ظهور الإسلام ، حين أصبح العلم باللغـة علما بالـدين ، مضافـا إلى العلم بالأدب والمعارف اللسانية على تنوعها . ويبدو لنا أن نصيب هـذه اللغة من الخـدمة في العصـر الحديث لايقـل عن نصيبها من خـدمة الأوائل . وقد تمثل هذا في العصر الحديث بظهور مجامع اللغة العربية .

كانت الحاجة ماسة الى العناية بشئون اللغـة بعد خلاص عدد من الأقطار العربية من الحكم العثماني مع نهاية الحرب العالمية الأولى . وكانت اللغة العربية في بلاد الشام قد عـانت كثيرا من الاضطهاد العثماني ، لذلك كان من أولى مهام الحكومة العسكرية التي شكلت في عـام ١٩١٨ نشر اللغة العربية في دواوين الحكومة ، وتأليف كتب دراسية باللغة العربية . وقد أنيـطت هذه المهمـة بالشعبـة الأولى للترجمـة والتـأليف . ثم مالبثت الحكومة أن جمعت فروع الثقافة كلها ، وضمتها الى شعبة الترجمة والتأليف ، ليتكون من كل ذلك ما سمي « ديوان المعارف » . وقد تولى رئاسة هذا الديوان محمد كـرد علي ، وحـددت مهامه في النظر في أمور المعارف والتأليف وتأسيس دار للآثار والعناية بالمكتبات ، لاسيما دار الكتب الظاهرية . ولم يلبث أن استقل المجمـع العربي عن ديوان المعارف ، وإن ظل المرحوم محمد كرد علي رئيساً له ، وقد شارك في عضويته : سعيد الكرمي ، وعبد القادر المغربي ، وعيسى اسكندر المعلوف ، وآخرون ، وتمثلت إنجازاته في تلك الحقبة المبكرة في اعداد الموظفـين القادرين عـلى الكتابة بلغة عربيـة سليمة ، وكـان من مهامـه الأخـرى التي اضطلع بهـا على خـير وجه جمـع المخطوطات القديمة ، والآثار من تماثيل وأدوات وأوان ونقود وكتابات ، وجمع المطبوعات العربية والأجنبية لتتكون منها مكتبة ، ثم قام بدور بارز في تعريب المركبات الكيماوية وأدوات الصناعة ومصطلحات علمية وتقنية كثيـرة . وقام بنشـر الكثير من المخطوطات بعد تحقيقهـا على أيـدي أساتذة محققـين . وفي عام ١٩٢١ أصـدر مجلة مجمـع اللغة العـربيـة ، وكـانت المجلة في كـل مراحلها غنية بالأبحاث العلمية والنقدية واللغوية فضلا عن المراسلات الخارجية .

كان مجمع اللغة العربية في القاهرة هو الثاني من حيث النشأة ، وكانت دواعي إنشائه كثيـرة ومهمة ، فقد احتدم الجدل في المُعَرَّب والدَّخِيل من الكلمـات الأجنبية ومـوقف العربيـة منها . ويقول الدكتور شوقي ضيف : وكان خريجو دار العلوم قد أنشأوا نادياً لهم ، فعقد رئيسـه حفني ناصف ندوة خـاصة سنـة ١٩٠٨ لمناقشـة هـذا الموضوع ، تحـدث فيها أعـلام من أبناء الـدار وغيرهم ، في مقدمتهم فتحي زغلول الذي ذهب

الى أن اللغات يأخذ بعضها من بعض ، ولا بأس على العربية من أن تدخلها كلمات للضرورة من اللغات الأجنبية كما يحدث في كل اللغات . وتحدث حفني ناصف عن الأسماء العربية لمحدثات الحضارة والمدنية ، وانتهت الندوة الى القرار التالي : يبحث في اللغة العربية عن أسماء للمسميات الحديثة ، بأي طريق من الطرق الجائزة لغة ، فإذا لم يتيسر ذلك ، بعد البحث الشديد ، يستعار اللفظ الأعجمي بعد صقله ووضعه على مناهج اللغة العربية ، ويستعمل في اللغة الفصحى بعد أن يعتمده المجمع اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض .

لكن إنشاء المجمع تأخر بعض الوقت ، حيث صدر مرسوم بإنشائه في عام ١٩٣٢ ، وحُددت الأهداف التي ينبغي له السعي من أجل بلوغها « ببذل الجهود للحفاظ على اللغة العربية ، وجعلها وافية بحاجات العلوم والفنون وشئون الحياة في العصر الحاضر ، وتهيئة الوسائل لذلك بوضع المعاجم وغيرها ، والعمل على وضع معجم تاريخي لغوي ، والعناية بدراسة اللهجات الحديثة في مصر وغيرها من أقطار العرب.

كما نصت المادة الثالثة على إنشاء مجلة ، تضم البحوث التي يكتبها أعضاؤه ، وعلى العناية بتحقيق نفائس التراث العربي ذات الصلة بأعمال المجمع وبالدراسات اللغوية . وكان مما ميز مجمع القاهرة أن عضويته لم تقتصر على مواطنيه ، بل جاوزتهم الى النابهين من أبناء العروبة ، بل الى عدد من كبار المستشرقين أيضا . إن منجزات مجمع القاهرة مهمة وعظيمة ، ولكن أهمها هو « البرهنة على حيوية العربية ومرونتها وقدرتها على مواجهة متطلبات العلم « والتكنولوجيا » ، فقد أجاز علماؤه الاشتقاق من الجامد ، وكان ممنوعاً ، وتوسعوا في المصدر الصناعي لاستعماله في أسماء المذاهب والمدارس الفكرية ، واستحدثوا أوزانا للدلالة على الآلة والمكان والزمان ، وسلموا بجواز النسب الى الجمع كما ينسب الى المفرد ، وأقروا ألفاظا وأساليب حديثة كنا نتردد بالأمس في قبولها » . كما يقول الدكتور ابراهيم مدكور .

أما المجمع العلمي العراقي فقد تأسس في عام ١٩٤٧ ، بعد أن كان في نشأته الأولى « لجنة التأليف والنشر » ، وكان من أبرز المؤسسين الشيخ محمد رضا الشبيبي ، ومحمد فاضل الجمالي ، وهاشم الوتري ، ومتى عقراوي ، وآخرون . وكانت أهداف المجمع تؤكد على العناية باللغة العربية والرقي بها ، حتى تفي بما تطلبه العلوم الحديثة والفنون ، وتشجيع الترجمة والتأليف ، وحفظ المخطوطات والوثائق العربية . وقد حرص المجمع على أن تكون له مجلة تنشر أبحاث أعضائه . وقد حذا حذو مجمع القاهرة حين جعل عضويته تتسع لتشمل علماء من خارج العراق ، فكان من أعضائه المراسلين : طه حسين ، وأحمد لطفي السيد ، وغيرهما .

وجاءت نشأة مجمع اللغة العربية الأردني مماثلة للمجامع العربية الأخرى ، حيث تطور من لجنة للتعريب والترجمة والنشر الى مجمع للغة . كان ذلك في عام ١٩٦١ ، وقد بذلت تلك اللجنة جهودا طيبة في مجالات نشاطها ، وسعت منذ عام ١٩٧٤ لكي تتحول الى مجمع لغوي ، وقد تم لها ذلك في عام ١٩٧٦ . ولقد حرص المجمع منذ تأسيسه حتى يومنا هذا على تلبية حاجات الأردن للنهضة العلمية ، فشجع البحوث ، ورصد لها الجوائز ، وحثّ على تعريب التعليم الجامعي ، وأصدر معجما للرياضيات ، كما أصدر كتابين أحدهما يعرّب وحدات النظام الدولي ومصطلحاته ، ويتناول الثاني مصطلحات التجارة والمصارف والاقتصاد .

كل هذه الجهود وغيرها كثير اضطلعت به مجامع اللغة العربية ، خدمة لهذه اللغة ، وتيسيرا لها وتطويرا ، لكي تواكب نهضة العلم والتقنية . □

جمال العربية

□ صفحة شعر

□ هكذا غنى الآباء

في رثاء عَزَّة

لاتكاد تخلو قصيدة في ديوان كثيّر من ذكر عَزَّة ، فقد تعلقها وهي لينة الشباب ، وظل مقيما على حبها طوال حياتها ، إذ أنها ماتت قبله ، ففجع بوفاتها ، وبكاها بكاء صادقا مخلصا . أما اسمه قبل النسبة الى عَزّة فهو كثيّر بن عبد الرحمن بن الأسود ، وكنيته أبو صخر أو الملحي . ويوصف بأنه كان طائشا متسرعا في صغره وشبابه . لم يُعرف تاريخ ولادته ، ولكنه مات في عام ١٠٥ للهجرة ، في آخر خلافة يزيد بن عبد الملك ، أو خلافة هشام .

أحب الشاعر جميلا ، وصار راوية لشعره ، وقد عملت رواية شعر جميل على تدريبه وصقل موهبته.كان حبه لعَزَّة خائبا لا أمل فيه ، فمن هي هذه المرأة التي أحبها كثيّر؟ إنها بنت حُمَيْل بن حفص ، من بني حاجب بن غفار . فهي كنانية النسب ، وكثير يكنيها في شعره أم عمرو ، ويسميها الضمرية وابنة الضمري نسبه الى بني ضمرة . جاء في وصف إحدى النساء لها أنها « امرأة حلوة حميراء نظيفة » ، وأنها حين تحدثت كانت « أبرع الناس وأحلاهم حديثا » ، وتضيف المرأة التي وصفتها « فما فارقناها إلا ولها علينا الفضل في أعيننا ، وما نرى في الدنيا امرأة تفوقها جمالا وحسنا وحلاوة » . أما وصف كثيّر لها فهو وصف المحب الذي يرى في كل خلة حُسنا ، وفي كل جارحة آية من جمال ! وعندما شبّب بها كثيّر ، وكثر فيها شعره آثر أبوها - على عادة العرب قديما - أن يزوجها لأول خاطب . واتقدت نار الوجد في صدر كثيّر ، ولم يُهَدِّيء من غلواء حبه زواجه من امرأة سواها وإنجابه البنين ، بل ظل على الحب مقيما ، حتى أن عيون قصائده تعزى الى تلك العواطف. إذا كان حاله في حياتها على مانرى في شعره ونسمع من أخباره ، فكيف يغدو ذلك الحال بعد أن طواها الثرى وغيبها الرمس ؟ تقول رواية هي أشبه بالأسطورة - وما أكثر الأساطير في قصص حياة العذريين ! - إن عزة قدمت الى عبد الملك بن مروان ، فلما دخلت سلمت ، فرد عليها السلام ، ورحب بها ، وقال : ما أقدمك ياعزة ؟ قالت : شدة الزمان وكثرة الألوان ، واحتباس القطر وقلة المطر ، قال : هل تروين لكثيّر :

وَقَدْ زَعَمَتْ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا ... وَمَنْ ذَا الذي يَاعَزُّ لاَ يَتَغَيَّرُ

قالت : لا أروي له هذا ، ولكنني أروي له قوله :

كَأَنِّي أُنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضَتْ ... مِنَ الصَّمِّ لَوْ تمشي بها العُصْمُ زَلَّتِ

فقال : ما كنت لتصيري اليّ حاجة أو تهبين نفسك لي فأزوجك منه (يعني كثيّر) . قالت : الأمر إليك ياأمير المؤمنين ، ماكنت لأزهد في هذا الشرف الباقي لي مادامت الدنيا ، أن يكون أمير

المؤمنين وليي ، فعظم بذلك قدرها عنده ، وأمر لها بمال ، وكتب الى كثيّر وهو بالكوفة أن اركب البريد وعجل فإني مزوجك عَزَّة . فأتاه الكتاب وهو مُضنى من الشوق إليها ، فرحل ، فأقبل نحوها ، فلما كان في بعض الطريق إذا هو بغراب على شجرة بان ، وإذا هو ينتف ريشه ويطايره ، وكان (كثيّر) شديد الطيرة ، فلما رآه تطير وهم بالانصراف . ثم غلبه شوقه ، فمضى وهو مكروب لما رأى ، حتى أتى ماء لبني نهد ، فإذا هو برجل يسقي إبله ، فنزل عن راحلته واستظل بشجرة هناك ، فأبصرهُ النهدي ، فأتاه وسأله عن اسمه ونسبه ، فانتسب له ، فرحب به ، فأخبره عما رأى في طريقه ، فقال : أما الغراب فغربة ، وأما البانة فبين ، وأما نتف ريشه فَفُرقة ، فاستطير لذلك ومضى حتى دنا من دمشق ، فإذا بجنازة ، فاستعبر وقال :

أسأل الله خير ماهو كائن . فسأل عن الميت فإذا هي عزة ، فخر مغشيا عليه ، فعرق وصب عليه الماء ، فكان مجهوده أن بلغ القبر ، فلما دفنت انكب على القبر وهو يقول* :

سِراجُ الدُّجى صِفرُ الحَشا مُنْتَهى المُنَى ... كشمْسِ الضُّحى نوَّامَةٌ حينَ تُصْبحُ(1)
إذا ما مَشَتْ بينَ البيوتِ تخزَّلَتْ ... ومالَتْ كَما مالَ النزِّيفُ المُرَنَّحُ(2)
تعلَّقْتُ عَزّاً وهْيَ رُؤْدٌ شبابُها ... عَلاقةَ حُبٍّ كادَ بالقلْبِ يَرْجحُ(3)
أقولُ ونِضْوي واقفٌ عند رَمْسِها ... عليكِ سلامُ الله والعينُ تسفَحُ(4)
فهذا فِراقُ الحقّ لا أن تُزيرَني ... بلادَكِ فَتْلاءُ الذِّراعينِ صَيْدحُ(5)
وقد كنت أبكي من فراقك حيَّةً ... وأنتِ لعَمْري اليوم أنْأى وأنْزَحُ
فياعَزَّ أنْتِ البدْرُ قد حال دونهُ ... رجيعُ تُرابٍ والصَّفيحُ المضرَّحُ(6)
فهلّا فداكِ الموتَ مَن أنتِ زيْنُهُ ... ومَن هو أسوا منكِ دَلّاً وأقبحُ
على أم بَكْرٍ رحْمةٌ وتحيَّةٌ ... لها منكَ والنّائي يَودُّ ويَنصَحُ
منَعَّمةٌ لو يدرُجُ الذَّرُّ بَيْنَها ... وبينَ حواشي بُرْدِها كاد يجرَحُ(7)
وما نظرَتْ عيني الى ذي بشاشةٍ ... من الناسِ إلّا أنتِ في العينِ أملحُ
ألا لا أرى بعد ابنَةِ النَّضْرِ لذَّةً ... لشَيْءٍ ولا مِلْحاً لَمَنْ يتملَّحُ(8)
فلا زالَ رَمْسٌ ضمَّ عزَّةَ سائلاً ... به نِعْمةٌ مِن رحمةِ الله تَسْفَحُ
فإن التي أحببْتُ قد حال دونَها ... طوالُ اللّيالي والضَّريحُ المُصفَّحُ(9)
أربَّ بعينيَّ البُكا كُلَّ ليلَةٍ ... فقد كاد مجرى الدَّمع عينيَّ يقرحُ(10)
إذا لم يكُن ما تسفحُ العينُ لي دماً ... وشرُّ البُكاءِ المُستعارُ المُسيَّحُ(11)

---

(1) صفر الحشا : ضامرة البطن ، نوامة : يريد أنها مترفة (2) تخزلت : تثاقلت في مشيها ، النزيف : السكران .
(3) رؤد الشباب : لينة الشباب . (4) النضو : الجمل الهزيل . (5) الصيدح : الصياحة الرفيع صوتها .
(6) رجيع التراب : الذي أخرج من الحفرة ثم ردّ إليها ، الصفيح : الحجر العريض الرقيق ، المضرح : المشقوق المعدّ للضريح . (7) يدرج : يمشي ، الذر : صغار النمل . (8) الملح : الملاحة ، يتملح : يتكلف الملاحة ويظهرها .
(9) انظر البيت السابع . (10) أرب : لزم وأقام . (11) المسيح : السائح الجاري .

الحفيد

للكاتب الجيورجي : ريغاز أينانيشفيلي
ترجمة : يوسف حلاق

كان عمره عامين حين صرخ :

- ماما ! ماما ! « العم » يطلق عليّ النار من بندقيته !

اندفعنا على صراخه ، رأينا أن الصغير يختبىء وراء الأريكة مرتعدا من الخوف ، كانت ترتسم على شاشة التلفاز صورة أحدث مقلد لايزنشتين* (تذكروا مدافع المدرعة « بوتيومكين » الموجهة إلينا !)

هكذا إذن ، كان هذا المقلد العديم الموهبة لايزنشتين يوجه بندقية البطل المتعب المسودّ الوجه إلى الصبي مباشرة مثيرا الذعر في نفسه .

ضممت الصغير إلى صدري :

لا تخف يا صغيري ! لا تخف يا حبيبي ! هذا « العم » لن يؤذيك ، انظر ! انظر !

استمر الصغير في بكائه ، لكنه ظل مع هذا يتابع المشهد ، انطلقت من البندقية رصاصة . لم يسقط أحد منا على الأرض ، على العكس كنا نبتسم ، بل أخذت أنا نفسي أطلق النار على الرجل الشرير .

بُمْ ، بُمْ ، بُمْ ، بُمْ

خفض البطل المسود الوجه البندقية ، ونزع قبعته ، ومسح جبينه . كان واضحا أنه أجهد نفسه في هذا العمل غير السهل : كان المسكين يتصبب عرقا ، لكنه أخذ - وقد انتهى من آخر عملية له - يمسح عرقه .

جعلت أصابعي على شكل مسدس ، وبسطت يدي نحو التلفاز ، وأخذت أطلق :

- أرأيت ؟ لم يسقط منا أحد ، ولم يمت أحد . لا هو ، ولا أنا ، ولا ماما ، ولا جدتك - لا أحد ، بُمْ ، بُمْ ، بُمْ ، بُمْ .

بُمْ ، بُمْ ، بُمْ ! تابع الصغير وقد انتقلت عدوى ابتسامتنا إليه .

بعد هذه الحادثة بقينا أياما كاملة نسمع :-

- بُمْ ، بُمْ ، بُمْ ، ترا - تا - تا - ترا - تا - تا !!

تسّلح صغيرنا برشاش ومسدس وبندقية ، وظهرت لديه بعد حين بندقيات ومسدسات ورشاشات أخرى من الخشب والحديد والبلاستيك . وفي الثانية والنصف من عمره كان يسير كجندي حقيقي : يضم ماسورة بندقيته إلى جنبه ، وينفخ صدره ، ويدق برجله على الأرض بكل ما فيه من قوة ويردد :

- واحد ، اثنان ! واحد ، اثنان ! واحد ، اثنان ! .

ثم يرتمي على أرض الغرفة ويزحف هاتفا « أورا ، أورا* » ، ثم يندفع إلى الأمام ، ويطلق النار ، وهو متمدد على الأرض :

---

* هو المخرج السوفيتي المعروف ايزنشتين (١٨٩٨ - ١٩٤٨) صاحب فيلمي « المدرعة بوتيومكين » و« ايفان الرهيب » وغيرهما .
* هي صرخة المهاجمين في الحرب .



ترا - تا - تا ! بُمْ ، بُمْ ، بُمْ !

في الثالثة من عمره أوقفني إلى جانب الحائط :

- قف هنا ! ارفع يديك ! لا تتحرك ! سأعدمك الآن ! ترا - تا - تا !.

ترنحت ، انحنيت ، أمسكت بطني بيدي ، درتُ على نفسي في مكاني قليلا راسماً تكشيرة ألم على وجهي وسقطت . لم يقترب مني على الفور .

لكنه استجمع أطراف شجاعته بعد قليل ، فدنا مني ، وركلني ركلة خفيفة برجله في كتفي ، ومد إليّ يده بالرشاش :-

- والآن « أنت »!

- ما معنى « أنت » ؟

- أطلق النار !

- لماذا ؟

- الآن دورك في إطلاق النار علي .

- لماذا عليك ؟ أنا إنسان كبير ، عجوز . ضميري مثقل بالذنوب ، والأعمال السيئة . أما أنت ، فلماذا أطلق النار عليك ؟

كان يقف إلى جانب الحائط رافعا يديه ، ويحاول جاهدا أن يعرف لماذا لا يجوز اطلاق النار عليه ، لهذا لاحت على وجهه تعابير غريبة ، مقلقة مركزة .

- أطلق النار !

- لا أستطيع

- تخاف !

- نعم ، أخاف !

- أطلق ، أطلق ! - كان على وشك أن ينفجر في البكاء ، رفعت الرشاش ، كان يقف في خفه الصغير وسرواله القصير المنتفخ جيبه بقطع من المغناطيس ، ملصقا ظهره بالحائط ، ورافعا يديه الصغيرتين وقد أغمض عينيه . في هذه اللحظة كان يمكنك أن تحصي أهدابه الصغيرة كلها هدبا هدبا .

- لا ، لا أستطيع أن أطلق النار عليك .

فتح عينيه ، ورفع يديه إلى أعلى قليلا بحيث بانت سرته الصغيرة تماما تحت قميصه

- أطلق !

- لا أستطيع !

- أطلق !

أدرت ماسورةالبندقية إلى بطني ، وضغطت على الزناد ، بُمْ ، بُمْ وهويت على وجهي .

رأيت وأنا أنهض عن الأرض مبتسما أن الصغير منكب على وجهه ، وأصابعه الصغيرة مبسوطة ، وخده الأيسر ملتصق بالأرض ، ومن أنفه المعقوف يرشح الدم فوق شفتيه المفتوحتين قليلا ، وينساب خطا رفيعا على الأرض . أطلقت صرخة بحيث هرع الجيران .

ولعجزي عن النهوض بقيت قاعدا على الأرض . كان فتانا الصغير يعرف - الآن - أن عليه أن يتعلم كيف يصبر على الألم ، لكنه لمّا يكن يعرف شيئا بعد عن الانتحار . □

حاول أن تكون

سأل رجل الحسن البصري - رحمه الله - فقال :

ما سر زهدك في الدنيا يا إمام؟

فقال : أربعة أشياء :

- علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي .

- وعلمت أن عملي لايقوم به غيري فاشتغلت به وحدي .

- وعلمت أن الله مطلع علي فاستحييت أن يراني على معصية .

- وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء ربي .



وزارة الإعـــلام

الإعلام الخارجي

دوريات وزارة الإعلام

اسم الدورية		قيمة الاشتراك السنوي			
		الوطن العربي		البلاد الأجنبية	
		فلس	دينار	فلس	دينار
مجلة « العربي »	(شهرية)	٠٠٠	٦	٠٠٠	٨
كتاب العربي	(فصلي)	٥٠٠	٢	٠٠٠	٣
مجلة « العربي الصغير »	(شهرية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
مجلة « الكويت »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
سلسلة « من المسرح العالمي »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
مجلة « عالم الفكر »	(فصلية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »	(أسبوعية)	٠٠٠	١٧	٠٠٠	٢٠

تحول قيمة الاشتراكات في دوريات الوزارة المبينة أعلاه بالدينار الكويتي ، أو بما يعادله من العملات الأجنبية ، بموجب شيك مصرفي أو حوالة مصرفية ، باسم وزارة الاعلام ، ويرسل الشيك أو الحوالة مع اسم وعنوان المشترك والدورية التي يرغب الاشتراك فيها إلى :

الإعلام الخارجي ـ قسم التوزيع والاشتراكات
وزارة الاعلام ـ ص. ب ١٩٣ ـ الصفاة
الرمز البريدي ١٣٠٠٢ ـ الكويت

قسيمة الاشتراك

الاسم والعنوان : ....
....
....

أرغب الاشتراك في الدورية أو الدوريات المشار إليها أدناه ، وأرفق لكم طيه □ شيكا
□ حوالة مصرفية بمبلغ ....

□ مجلة « العربي »　□ مجلة « الكويت »　□ سلسلة « من المسرح العالمي »
□ مجلة « العربي الصغير »　□ مجلة « عالم الفكر »　□ الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »
□ كتاب العربي .

STATE OF KUWAIT

MINISTRY OF INFORMATION

PERIODICALS

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE				
NAME OF PERIODICAL	ARAB COUNTRIES		FOREIGN COUNTRIES	
	K.D	FILS	K.D	FILS
Al-Arabi Magazine (Monthly)	6	000	8	000
Al-Arabi Book (Quarterly)	2	500	3	000
Al-Arabi Al-Sagheer Magazine (Monthly)	5	000	6	000
Al-Kuuwait Magazine (Monthly)	4	000	5	000
Mena Al-Masrah Al-A'alami Series (Monthly)	4	000	5	000
A'alam Al-Fikr Magazine (Quarterly)	5	000	6	000
The Official Gazette (Kuwait Al-Youm) (Weekly)	17	000	20	000

The subscription fee to the above periodicals is payable in Kuwaiti Dinar, or equivalent thereof in foreign currency, by bank cheque/draft made out to the Ministry of Information. Fill in the subscription form below enclosed with the cheque/draft and send to :

— International Media-Subscription Section.

MINISTRY OF INFORMATION
P. O. Box : 193 Safat
Postal Code No. 13002 - KUWAIT

SUBSCRIPTION FORM

NAME : ....
ADDRESS : ....
COUNTRY :

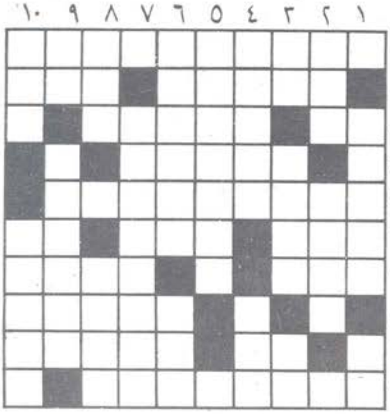
I wish to subscribe to the periodical (s) ticked below and enclose herewith □ cheque □ Draft for ....

□ Al-Arabi Magazine □ Al-Arabi Book □ Al-Arabi Al-Sagheer Magazine □ Al-Kuwait Magazine □ Mena Al-Masrah Al-A'alami Series □ A'alam Al-Fikr Magazine □ The Official Gazette (Kuwait Al-Youm).

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر فى المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة .

والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذى سينشر فى العدد القادم .



كلمات أفقية

١ ـ صحابية جليلة حاربت الإسلام أولا ، ثم أسلمت وشهدت معركة اليرموك

٢ ـ ملكة فرعونية لامعة زوجة ايزوريس وأم حورس ، شرط فرعي في اتفاقية .

٣ ـ شَعَر ، الاسم الثاني لرئيسة وزارة دولة أوربية

٤ ـ شَعَر بالحنين ، ثار الغبار

٥ ـ امرأة لعبت دوراً كبيراً في سياسة الارجنتين

٦ ـ صحب (معكوسة)، حجر ثمين ، حرفان متشابهان

٧ ـ قطة ، مؤذن الرسول (ص) متفرقة

٨ ـ من القلب

٩ ـ فتح (الرسالة) ، بددنا متفرقة

١٠ ـ زوجة عالم فرنسي اشتركت معه في اكتشاف الراديوم

كلمات عمودية

١ ـ جارية خليفة أموي اشتهرت بجمال صوتها ، حرف نفي وجزم

٢ ـ آدميون ، يرتدي ملابس الإحرام

٣ ـ يد (معكوسة)، ابنة الخليفة عمر وزوجة رسول الله (ص) ، هرب

٤ ـ سبقتنا وتفوقت علينا ، قبل ووافق

٥ ـ تجدها في أنياب ، غَيَّر

٦ ـ تقترض ، سرداب

٧ ـ امرأة حكمت إحدى ديار الإسلام فترة وجيزة وماتت ميتة محزنة

٨ ـ خام الذهب ، حسناء اقترن اسمها باسم شاعر مجنون

٩ ـ حب يصنع منه مشروب للضيافة ، ملكة عربية حكمت تدمر

١٠ ـ الاسم الاول لرائدة من رائدات تحرير المرأة ، ابنة خليفة مسلم خلدها ابن زيدون في قصائده

● حل مسابقة العدد الماضى ديسمبر ١٩٨٩ م

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ر	و	د	ل	ف	د	ي	ز	ل	■
٢	ز	أ	ي	س	■	ق	ن	و	ع	أ
٣	ر	ط	ل	أ	ن	■	س	ر	أ	ب
٤	ف	■	ي	ن	س	أ	ب	■	ب	ن
٥	و	ك	س	ه	■	ل	■	آ	■	أ
٦	ر	و	ب	■	ح	ف	ي	د	■	ل
٧	د	د	س	ي	■	ي	د	ي	ن	ه
٨	■	أ	■	ن	د	ه	■	س	ت	ي
٩	م	ك	ي	د	ه	■	م	و	ن	ث
١٠	[illegible]	■	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٧٤
يناير ١٩٩٠

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الإجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الصفاة . الرمز البريدي 13008 - الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٧٤ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات إلينا هو ١٥ فبراير ١٩٩٠م . والرجاء كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي واضحين - ورقم الهاتف إن وجد .

ارفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٧٤

١ نجح الإنسان في صنع الخبز من القمح قبل حوالي ٨٠٠٠ سنة . ترى أين كان ذلك ؟
× بين النهرين .
× في الصين ،
× في أواسط أوربا .

٢ اخترع الإنسان المحراث حوالي سنة ٣٠٠٠ ق.م. ترى متى بدأ في تسخير الثيران لجر ذلك المحراث ؟
× عقب اختراع المحراث مباشرة .
× قبل اختراع المحراث بزمن طويل ، أيام نجح الإنسان في استئناس الثيران .
× تأخر تسخير الثيران لجر المحاريث حتى سنة ١٥٠٠ ق.م. .

٣ الصين أو كندا: أي الدولتين تفوق الأخرى من حيث كمية القمح التي تنتج سنويا ؟

٤ الذرة ، تستعمل غذاء للإنسان ، وعلفا للحيوان أيضا . ترى أي الاستعمالين يفوق الآخر من حيث كمية الذرة التي تستهلك فيه ؟
× كميات الذرة التي تستعمل علفا للحيوان تبلغ أضعاف الكميات التي تستعمل غذاء للإنسان .
× كميات الذرة التي تستعمل غذاء للإنسان هي الأكثر ، إذا أخذنا بعين الاعتبار زيت الذرة الذي تضاعف الإقبال عليه في المدة الأخيرة .
× الكميات متساوية تقريبا .

٥ الولايات المتحدة الأمريكية والدانمارك : أي الدولتين تتفوق من حيث انتاجية القمح فيها ، علما بأن

الانتاجية هي مقدار ما يجود به الفدان الواحد من القمح ؟

٦ في أي الفصول يزرع القمح ؟
× في فصل الخريف .
× في فصل الربيع .
× في فصل الصيف .
× في فصل الشتاء .

٧ الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية ، أي الدولتين تتفوق من حيث زراعة القمح وكمية انتاجه ، وأيهما تتفوق من حيث كمية استيراده ؟

٨ أي الحبوب اتخذها الإنسان غذاء رئيسا له ، قبل نجاحه في زرع القمح ، قبل حوالي ١٠,٠٠٠ سنة ؟

× الشعير .
× الشوفان .
× القمح البري .

٩ حبة الأرز أو حبة الشعير : أي الحبتين أغنى بالبروتينات ؟



١٠ أي النباتات التالية يمكن زراعتها في المناطق القطبية الشمالية ، وفي المناطق الاستوائية في آن واحد :
× القمح ؟
× الأرز ؟
× القطن ؟

١١ القمح أو الذرة : أي الحبتين أغنى من الأخرى من حيث مقدار ما تحتويه من الحريرات (مقدرة بالمليغرامات في المائة غرام) ؟

١٢ من المعروف أن الخبز الأسمر يحتوي على نخالة القمح المفيدة في عملية الهضم ، وأن الخبز الأبيض خال من هذه النخالة ، على أن النخالة شيء والقيمة الغذائية شيء آخر . ترى أي النوعين من الخبز يمتاز على الآخر من حيث قيمته الغذائية (ما يحتويه من حريريات وبروتينات وفيتامينات وأملاح) .

× الخبز الأبيض هو المتميز ، فهو أنظف ، وخال من الشوائب .

× النوعان متساويان من حيث القيمة الغذائية .

× الخبز الأسمر هو الذي يتميز من حيث قيمته الغذائية .

١٣ القمح والأرز حبوب يعيش عليهما ملايين البشر . ترى أيهما يفوق الآخر من حيث كمية ما ينتج منه سنويا ؟ وأيهما يتفوق من حيث كمية ما يتداول منه في الأسواق العالمية ؟

حل مسابقة العدد ٣٧١

أكتوبر ١٩٨٩

١ سفينة التيتانيك هي التي غرقت سنة ١٩١٢م نتيجة اصطدامها بجبل جليدي ، وقد كانت ضخمة فخمة ، وبلغ من إتقانها أنها اشتهرت بأنها السفينة التي لا تغرق .

٢ قامت الحرب بين روسيا واليابان سنة ١٩٠٤م ، وذلك للتعارض بين مصالح الدولتين الاستعماريتين في الصين ، وقد حاولت كل منهما بسط نفوذها على كل من كوريا ومنشوريا . وكان النصر حليف اليابان في كل المعارك البرية والبحرية . وهزمت روسيا ، وانتهت الحرب بمعاهدة سنة ١٩٠٦م .

٣ الزلزال الذي ضرب مدينة سان فرنسيسكو سنة ١٩٠٦م ، هو الذي تسبب بحريق سان فرنسيسكو الشهير . وقد بلغ الدمار الذى حل بالمدينة أن عدد المشردين الذين باتوا بلا مأوى قد وصل ٢٠٠,٠٠٠ نسمة .

٤ كانت النرويج مستعمرة دنماركية ، حتى سنة ١٨١٤م ، حين ضمتها السويد إليها ، وظل الاتحاد قائماً بين الجارتين ، الى أن نالت النرويج استقلالها سنة ١٩٠٥م ، واختارت الملكية نظاماً لحكمها ، واختارت أميراً دنماركياً ليكون ملكها الأول « الملك هاكون السابع » .

٥ إميلين بنكهرست (١٨٥٧ - ١٩٢٨) ، هي التي تزعمت الحركة النسائية التى حققت للمرأة الانكليزية حق الاقتراع ، وقد ساعدها في هذا النشاط الخطير ابنتاها كريستابل وسلفيا .

٦ « صَن - يات - صِنْ » (١٨٦٦ - ١٩٢٥) زعيم صيني مثقف قاد الثورة الوطنية في الصين ، وأطاح بحكم آل مانشو فيها سنة ١٩١١م ، وأعلنت الصين جمهورية عقب ذلك .

٧ ادعى كلا المكتشفيْن الوصول الى القطب الشمالي سنة ١٩٠٩م ، إلا أن ادعاءهما كان ومازال موضع طعن . ولا يعرف على وجه اليقين أيهما وصل الى القطب قبل الآخر ، ولا حتى إن كانا قد وصلا الى القطب الشمالي كما يزعمان .

٨ وصل كلا المكتشفيْن الى القطب الجنوبي سنة ١٩١١م دون أدنى ريب ، ولكن المكتشف النرويجي روالد أموندسن كان السبّاق ، وقد وصل الى القطب الجنوبي قبل ٣٤ يوماً من وصول سكوت

إليه . ذلك ماتؤكده مذكرات سكوت نفسه ، فضلاً عن مذكرات أموندسن .

٩ ظهرت الحركة الكشفية للأولاد سنة ١٩٠٨م ، وللبنات سنة ١٩١٠م ، ذلك في بريطانيا ، بفضل روبرت بادن باول (١٨٥٧ - ١٩٤١) ، الضابط في الجيش البريطاني آنذاك .

١٠ كان البث الإذاعي الصوتي الأول في شهر ديسمبر سنة ١٩٠٦م ، في مدينة مساتشوستس في الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان فِسِنْدِنْ هو صاحب الفضل في ذلك الإنجاز ، على أن المسافة التي قطعها البرنامج الإذاعي الرائد الذى أعده ذلك العالم ، والذي اشتمل على بعض الأحاديث والموسيقا لم يتجاوز مسافة (٢٤) كيلومتراً . ولم يبلغ البث الإذاعي من القوة التى نعرفها اليوم ، والتى تمكنه من قطع آلاف الكيلومترات إلا في العشرينيات .

١١ بلغ مجموع ماصنعه هنري فورد (١٨٦٣ - ١٩٤٧) من سيارته المعروفة (بطراز T) ١٥ مليون سيارة ، وكان ذلك رقماً مذهلاً في وقت لم يزد إنتاج مصانع السيارات فيه على بضعة آلاف أو مئات من السيارات .

١٢ ثورة الملاكمين وقعت في الصين سنة ١٩٠٠م ، وكانت حركة قومية معادية للأجانب والنفوذ الأجنبي في الصين ، وقد قتل الكثيرون أثناءها ، وحوصرت السفارات الأجنبية في بكين .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٧١ أكتوبر ١٩٨٩

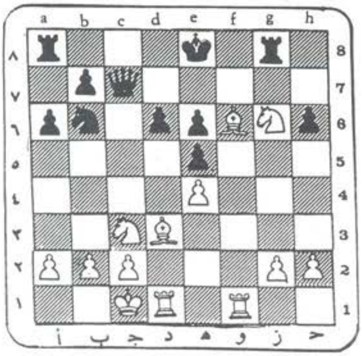
الجائزة الأولى : أحمد عبدالغني محمود / المملكة الأردنية الهاشمية

الجائزة الثانية : أحمد توفيق بصل / جمهورية مصر العربية

الجائزة الثالثة : روميو خوسن سليمون / الجمهورية العراقية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - حسن عبدالعزيز/ المملكة المغربية
٢ - خالد محمد صالح عبدالله الدعيس/ الجمهورية العربية اليمنية
٣ - سامر تيسير الكمشة/ دولة الكويت
٤ - حمود بن عبدالله بن هاشل الحبسي/ سلطنة عمان
٥ - يحيى محسن الملحم/ المملكة العربية السعودية
٦ - محمد ضعيف بن أحمد/ الجمهورية العربية السورية
٧ - هشام فوزي دسوقي درويش/ دولة قطر
٨ - الخليل محمد حبت/ موريتانيا





معركة بلا سلاح

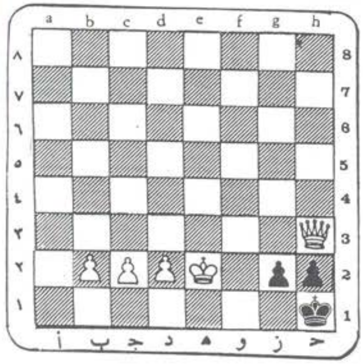
الشطرنج ناجح بالمراسلة في المباريات الدولية ، فلماذا لا ينجح بالهاتف ؟ سؤال يتردد على ألسنة الكثيرين من هواة الشطرنج بالمراسلة الذين يرون في الهاتف وسيلة أسرع بكثير من المراسلة ، إذ تستغرق المباراة الدولية بالمراسلة سنوات عديدة . غير أن العقبة الكبرى التي يواجهها الشطرنج بالهاتف هي عدم وجود سجل مكتوب متفق عليه ، يمكن الاحتكام إليه عند نشوء المنازعات الناجمة عن اللبس في الرسائل الهاتفية .

وجاء أحدث المقترحات لحل هذا الإشكال من ألمانيا ، ويتضمن الحل استحداث رقم وسيط ، يتصل اللاعبون به ، بدلاً من الاتصال بالمراسل مباشرة ، وبذلك يمكن إيجاد سجل مستقل ، يمكن الرجوع إليه لحسم النزاعات ، وتحديد مواقيت المباريات ، ومواعيد الاتصال الهاتفي بين لاعبي الفرق المشاركة . وبذلك يمكن إقامة المباريات بين المجموعات التي تتألف من عشرة لاعبين في آن واحد ، بمعدل نقلة واحدة يومياً ، وعدة نقلات في أيام العطل الأسبوعية ، وتنص قوانين اتحادات الشطرنج في العديد من دول العالم ، كبريطانيا على سبيل المثال ، على اللجوء إلى مباريات الشطرنج بالهاتف ، عندما تفصل مئات الأميال بين الأندية المتنافسة ، كما تنص أيضاً على ضرورة تعيين الحكام المحايدين لضبط المباريات .

أما الشطرنج بواسطة التلكس فقد ازدهر مؤخراً ، وبخاصة في سلسلة المباريات التي أقيمت بين المدن الأوروبية ، وانتهت بفوز مدينة لندن على جميع المدن الأوروبية المشتركة التي كان من ضمنها دبلن وتلبرغ وامستردام وبلغراد واندهوفن الهولندية التي جاء ترتيبها الثانية .

وقد عَيَّنت المدن المشاركة لجانا من الخبراء لتحديد النقلات ، فلندن على سبيل المثال كانت تذيع النقلات عن طريق إذاعة مدينة لندن كل يوم صباحا ، بين الساعة السابعة والثلث والسابعة والنصف ، وكانت المواقف تعرض على رقعة خارج مكتبة المركز الثقافي المتبنيّ للمباراة ، وكان صاحب

● مسألة العدد ٣٧٤



مات ١٢

من إهداء : خالد ناصر (بغداد)

أفضل اقتراح للنقلة القادمة يومياً يفوز بتذكرتين لأحد فعاليات المراكز الثقافية المهمة .

والدور التالي الذي اخترناه لكم من أشد الأدوار بين المدن الأوربية إثارة ، وهو من الدفاع الصقّلي .

□ لندن (بريطانيا)	■ اندهوفن (هولندا)
١ ـ هـ ٤	جـ ٥
٢ ـ ح ـ و ٣	د ٦
٣ ـ د ٤	جـ × د ٤
٤ ـ ح × د ٤	ح ـ و ٦
٥ ـ ح م ـ جـ ٣	أ ٦
٦ ـ ف ـ ز ٥	هـ ٦
٧ ـ و ٤	ف ـ هـ ٧
٨ ـ وزير ـ و ٣	وزير ـ جـ ٧
٩ ـ ت ت (طويل)	ح (ب) ـ د ٧
١٠ ـ ف ـ د ٣	حـ ٦
١١ ـ و ـ حـ ٣	ح ـ ب ٦
١٢ ـ ر (حـ) ـ و ١	هـ ٥
(ف ـ د ٧ أفضل)	
١٣ ـ ح ـ و ٥	ز ٦ ؟
١٤ ـ ح × هـ ٧ (مضحياً بالوزير)	ف × حـ ٣
١٥ ـ ف × و ٦	ف ـ هـ ٦
١٦ ـ و ٥	ر ـ و ٨
(ف ـ جـ ٤ أفضل بكثير)	
١٧ ـ و × هـ ٦	و × هـ ٦
١٨ ـ ح × ز ٦	ر ـ ز ٨ (الشكل)
١٩ ـ ف ـ ب ٥ + !	أ × ب ٥
٢٠ ـ ح × ب ٥	و ـ حـ ٧
٢١ ـ ح × د ٦ +	م ـ د ٧
٢٢ ـ ح ـ جـ ٤ +	م ـ جـ ٦
٢٣ ـ ر ـ د ٦ +	م ـ جـ ٥
٢٤ ـ ر × ب ٦	ر × ز ٦
٢٥ ـ ف × هـ ٥	ر ـ أ ٤
٢٦ ـ ب ٤ +	م × جـ ٤
(خوفاً من ف ـ د ٦ لو أخذ البيدق)	
٢٧ ـ ر ـ و ٣	ر ـ ز ٣ (مضطراً)
٢٨ ـ حـ × ز ٣	و × هـ ٤
٢٩ ـ ر ـ جـ ٣ +	يستسلم (لماذا ؟)

□□□

الفائزون في مسابقة الشطرنج العدد رقم (٣٧١) اكتوبر ١٩٨٩م

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ أحمد الخالد ـ دمشق / سوريا

٢ ـ حسن عاطي الناصري ـ الطائف / السعودية

٣ ـ يوسف ميخائيل ـ المنيا / ج م ع

٤ ـ اسماعيل صقر ـ السالمية / الكويت

٥ ـ خولة المسعودي ـ سبيبة / تونس

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ محمد صالح عبّاد ـ كريتر / اليمن الديمقراطي

٢ ـ عبد السلام الجميلي ـ الفلوجة / العراق

٣ ـ فاطمة أصغر علي ـ الرفاع الشرقي / البحرين

٤ ـ زكي سالم بكران ـ ألمانيا الديمقراطية

٥ ـ ناصر صندوقه ـ عمان / الأردن

حل مسألة العدد ٣٧٢ نوفمبر ١٩٨٩م

١ ـ ف ـ هـ ٧   ٢ ـ ح ـ و ٥   ٣ ـ ح ـ حـ ٦ +   ٤ ـ ف ـ و ٦ (مات)

حوار القراء

العربي ـ ص. ب : ٧٤٨ الصفاة ـ الرمز البريدي : 13008 الكويت

عجائب ومعلومات



الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،
تحية طيبة وبعد ،

● أنا من قراء المجلة الدائمين ، ولا يفوتني أي عدد منها دون قراءة ، ثم محاولة حل المسابقة الثقافية الممتعة . وفي مسابقة العدد ٣٦٨ لشهر يوليو ٨٩ لاحظت أن السؤال الأول يسأل عن عجيبتين من عجائب الدنيا السبع ، ووضع عدة اختيارات للإجابة ، وكان الاختيار الأول كما يلي :

ضريح (موسولوس) ومعبد (أرتيميس) ، وقد أقيما في آسيا الصغرى (تركيا حاليا) ، وفي محاولة للإجابة بحثت عن هاتين العجيبتين فوجدت أنهما شيء واحد هو :

ضريح هاليكارناسس ، وهو بناء يشبه في الغرض بناء الأهرام ، أي لاستخدامه مقبرة لرفات الملك موسول (تستخدم كلمة موسول في اللغات الأوربية وهي تعني ضريحا) ، وقد أقيم هذا البناء في هاليكارناسس في آسيا الصغرى عام ٣٥٢ ق . م . بناء على رغبة الملكة أرتيميس تخليدا لزوجها المتوفى .

أما العجيبة الثانية التي كان يجب أن تذكر فهي معبد ديانا في آسيا الصغرى الذي أقيم في سنة ٦٢٠ ق . م والذي اشتركت في بنائه شعوب آسيا الصغرى لتحتفظ فيه بكنوزها خوفا عليها من السرقة ، وليكون مزارا .

القاريء : صدقي محمد نصار
الاسكندرية : جمهورية مصر العربية

العربي

ـ بخصوص المعلومات التي أوردتها في رسالتك نود أن نقول :
إن ضريح (موسولوس) ومعبد أرتيميس ليسا شيئا واحدا ، إن معبد (أرتيميس) هذا هو نفسه معبد (ديانا) الذي تشير إليه في رسالتك ، وكأنه عجيبة غفلنا عن ذكرها . ذلك أن ديانا هو الاسم الروماني للإلهة التي سماها الاغريق أرتيميس . وقد بني هذا المعبد سنة ٣٥٠ ق . م (تقريبا) في بلدة افيسوس في تركيا ، ثم دمرته قبائل القوط سنة ٢٦٢ م

لكن تدميره لم يكن كاملا بحيث بقيت منه آثار تدل عليه .

أما ضريح هاليكارناسس فهو قبر ملك بلدة كاريا في هاليكارناسس . في تركيا أيضا ، وكان اسم هذا الملك (موسولوس) ، وقد بنى قبره حوالي سنة ٣٢٥ ق . م وهو من العجائب السبع التي لم تندثر بالكامل ، ولم تبق كذلك بالكامل .

□□□

النباتات الطبية في الوطن العربي

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

● يسرني أن أتقدم إليكم وإلى جميع أسرة تحرير مجلة « العربي » بأطيب التحيات القلبية الحارة .

بخصوص موضوع النباتات الطبية في جزيرة سوقطرة المنشور في العدد ٣٦٥ ابريل ١٩٨٩ م ،بقلم على سالم باذيب ، أحيي الكاتب على أسلوبه الشيق ، والمعلومات الوافية عن هذه النباتات المجهولة ، وأشكره على متابعاته الجادة عن سوقطرة ونباتاتها الطبيعية ، ولدينا نحن أهل المنطقة رغبة جامحة في نشر مزيد من المعلومات عن الحياة الطبيعية والبشرية للجزيرة ، وعن ماضيها وحاضرها بتفصيل أكثر ، إضافة إلى تقديم مزيد من المعلومات عن أماكن أخرى من الوطن العربي ، تكثر فيها مثل هذه النباتات الطبية الفنية الفريدة في نوعها .

القارىء : عبد الله غانم أحمد
جزيرة سوقطرة
جمهورية اليمن الديمقراطية

□□□

المخطوطات العربية الخالدة

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

● أتوجه بخالص الشكر لأسرة مجلة « العربي » على عدد شهر سبتمبر رقم (٣٧٠) الذي حفل بالكثير من الموضوعات الشيقة والاستطلاعات الناجحة ومقالات فيها من الفائدة والموضوعية ما تشكرون عليه .

بكل صراحة ألاحظ في حوار القراء أن كثيراً من الرسائل تهيب بالمجلة بأن تهتم بالموضوعات والمقالات المختصة بالحضارة والتراث العربي والإسلامي وتكثر

حوار القراء



منها ، وعلى الرغم من ذلك ألاحظ أنه مع مرور الوقت قلة هذه الموضوعات ، حتى كادت تختفي نهائيا من المجلة .

الاستاذ رئيس التحرير ، نتمنى عليك أن تعاود الكتابة عن كتب التراث ، مثلما حدث في العدد (٣٥١) فبراير ١٩٨٨ ، فقد كان أجمل ما قرأنا عن كتب التراث ، وللعلم فإن استعراضكم لجمال كتبنا ومخطوطاتنا العربية مع ذكر كتاب الذخائر والتحف جعلنا نقرأ الكتاب من أوله لآخره .

كما نود لو نشر القليل عن الهيئات المتخصصة بإصدار المطبوعات والأبحاث الأثرية التي تتناول العمارة والفنون الإسلامية لكي نستفيد بمعلومات حول أهمية وجود مثل هذه المدارس .

القاريء : هشام عبدالعظيم عبدالفتاح
القاهرة ـ جمهورية مصر العربية

العربي

ـ تحاول المجلة التنويع في المواد المنشورة ، ولا يكاد يخلو عدد من موضوع يتناول جانبا من التراث أو سيرة أحد العلماء ، أو دراسة في مخطوطة أو غير ذلك ، أما الجهات المسؤولة عن التراث والمخطوطات في الكويت فهي :

وزارة الإعلام ـ إدارة المتاحف والآثار ـ والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ وجامعة الكويت ، وهذه المؤسسات لديها نشرات خاصة ، وإصدارات حول قضايا التراث والمخطوطات .

□□□

ردود واقتراحات قصيرة

● القاريء جمال محمود درويش من فلسطين المحتلة ،

ـ يطلب من المجلة أن تسلط مزيدا من الضوء على انتفاضة الشعب العربي في فلسطين المحتلة ، وتعريف العالم أكثر وأكثر بما يفعله « الإسرائيليون » لإخماد هذه الانتفاضة بشتى الطرق الوحشية من تعذيب ونفي وإبعاد ، وهدم للمنازل على رؤوس أصحابها الأبرياء ، وإغلاق المدارس .

إن مجلتنا « العربي » تصل إلى أوربا وأمريكا ودول بعيدة ، ربما لا تصلها وسائل الإعلام العربية التي تنقل صورة حقيقة لما يجري في فلسطين المحتلة . نتمنى عليكم جميعا لو تم إبراز الأعمال البطولية للشعب العربي الفلسطيني ، حتى يتبين العالم حقيقة ما يحدث .

ونقول للقاريء العزيز : إن المجلة ستنشر قريبا استطلاعا مصورا من داخل فلسطين المحتلة ، يبرز كل الأعمال البطولية التي نفتخر نحن العرب جميعا بها .



● القاريء عمار الخير عيسى القاضي ، من الخرطوم - بحري - السودان ، يشكو عدم انتظام وصول « العربي » إلى السودان ، وأنها تنفد بسرعة من المكتبات .

● القاريء خالد يوسف على عيسى ، من جدة - المملكة العربية السعودية ، يشيد بالعدد ٣٦٩ - أغسطس ١٩٨٩ ، ويبدي إعجابه بالاستطلاع المنشور عن (العراق - الطبيعة والتاريخ) .

● القاريء مازن أحمد السويدي ، من الدقهلية - جمهورية مصر العربية ، يقترح لباب مختارات من المكتبة العربية نشر سعر بيع الكتاب بعملة البلد الذي صدر فيه الكتاب .

● القاريء الحبيب بيباه من منطقة العيون - بالمملكة المغربية ، يبدي حرصه الشديد على اللغة العربية ، ويحذر عن عدم الاهتمام بها ، وتغليب اللهجات المحلية ، ويقول : إننا كلنا مسؤولون عن المحافظة عليها ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، ولو أهملنا حالها ، وعدم تنقيحها ، وإيجاد المصطلحات التي تليق بأجهزة العصر ، فقد أهملت الشعوب الأخرى ثقافتنا ، وانزوينا في ركن نبكي على حظنا العاثر .

● القاريء أشرف محمد كشك ، من محافظة دمياط - جمهورية مصر العربية ، يقترح تخصيص باب تعرض فيه أعمال الشباب الموهوبين من قصة أو مقال أو شعر ، وذلك لرعاية تلك المواهب الشابة ، وإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن أنفسهم .

● القاريء نور الدين بنى عزيز الجميعي ، من جربة - تونس ، يقترح أن تقوم المجلة بزيارة الأماكن الأثرية في الوطن العربي ، وبعض المناطق الأوربية التي تحوى أمهات التحف العربية .

● القاريء طلال عبود - حلب - سوريا يقول : إن المجلة تصل متأخرة جدا إلى منطقته ، ويطلب أن تصل المجلة مع بداية الشهر .

● القاريء أحمد عبد الواحد جمعة رشوان ، بعث رسالة طويلة ، تحمل وجهة نظر حول حديث الشهر الذي كتبه رئيس التحرير حول التجمعات العربية في العدد رقم ٣٦٥ شهر ابريل سنة ١٩٨٩ م .



● القاريء زياد بشير عكيلة من عمان - الأردن ، يطلب من المجلة أن تقوم بزيارة الأردن للقيام باستطلاع مصور عن الصناعة المتقدمة المتنوعة فيه .

● القاريء نوفل محمد المنسي من تعز - الجمهورية العربية اليمنية ، يقترح أن ينشر حديث الشهر الذي يكتبه رئيس التحرير ضمن سلسلة كتاب « العربي » الدوري .

حوار القراء

● القاريء علي اسماعيل ياغي من حماة - سوريا ، يقول : إنه طالب في قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة حمص في القطر العربي السوري ، ولديه ميول أدبية تدفعه إلى كتابة الشعر ، ولديه رغبة قوية للمساهمة بالنشر في المجلة . ونحن نقول له : إن مجال النشر مفتوح للجميع إذا ما توافرت شروط النشر ، وأجيزت المادة من قبل لجان القراءة في المجلة .

● القاريء مصطفى البقاعي ، من دمشق - سوريا ، يطلب التوسع في موضوع « تطويل الأطراف » الذي كتبه د . وليد السباعي في العدد رقم (٣٦٥) ابريل ١٩٨٩ .

● القاريء أمين عبدالله على محشر ، محافظة شبوه - جمهورية اليمن الديمقراطية ، يشكو من عدم وصول المجلة إلى محافظته بشكل منتظم ، وهذا مما يعيقه عن متابعة المجلة بالشكل المطلوب . ونحن نحيل الطلب إلى مؤسسة ١٤ اكتوبر ، فهي الموزع الوحيد للمجلة داخل هذا القطر العربي الشقيق .□

من المكتبة العربية

قصة ديون مصر الخارجية من عصر محمد علي إلى اليوم

تأليف : الدكتور جلال أمين / عرض : عبدالغني داود

عندما رحل محمد علي عن العالم كانت مصر خالية تماما من أي دَيْن ، وبعد أقل من ١٥ عاما كانت مثقلة بالديون الخارجية ، ومع نهاية الحرب العالمية الثانية كانت مصر دائنة لبريطانيا ، واليوم تثقل الديون الخارجية كاهلها .

ديون مصر الخارجية من عصر محمد علي إلى اليوم وتشابكاتها السياسية تضمها دفّتا هذا الكتاب .

هذا الكتاب في مقدمة وعشرة فصول . يرى المؤلف في المقدمة أن الديون قد أصبحت في الواقع هي البديل الحديث للاحتلال العسكري . وفي الفصل الأول يستعرض تاريخ مصر ، من عصر محمد علي الذي استطاع أن يجعل التجارة الخارجية هي المحرك الأول لعجلة الاقتصاد ، بعد أن دمج مصر في الاقتصاد العالمي . ويرى أن تجربة محمد علي كانت تجربة رائدة في (الاعتماد على الذات) والتنمية المستقلة ، لأنها لم تكن تستورد الغذاء ، وكان محمد علي يتمتع بدرجة عالية من القدرة على المساومة مع المصدرين والمستوردين على السواء ، وأنه لم يسمح لنفسه قط بالتورط في الديون ، ويتجنب دائما التورط في مشروعات تفوق أعباؤها موارد البلاد المالية . وقد رحل عن العالم عام ١٨٤٩ دون أن تكون مصر مدينة لأحد بقرش واحد .

عهد سعيد باشا

ولكن للأسف جاءت شخصيات الولاة في أعقاب محمد علي منسجمة تمام الانسجام مع حاجة رأس المال الأوربي ، فإذا بالطلب يخلق العرض ، والعرض يخلق الطلب ، في دائرة جهنمية ، أودت باستقلال مصر الاقتصادي والسياسي معا .

إذ لم يمض وقت طويل على اعتلاء سعيد باشا

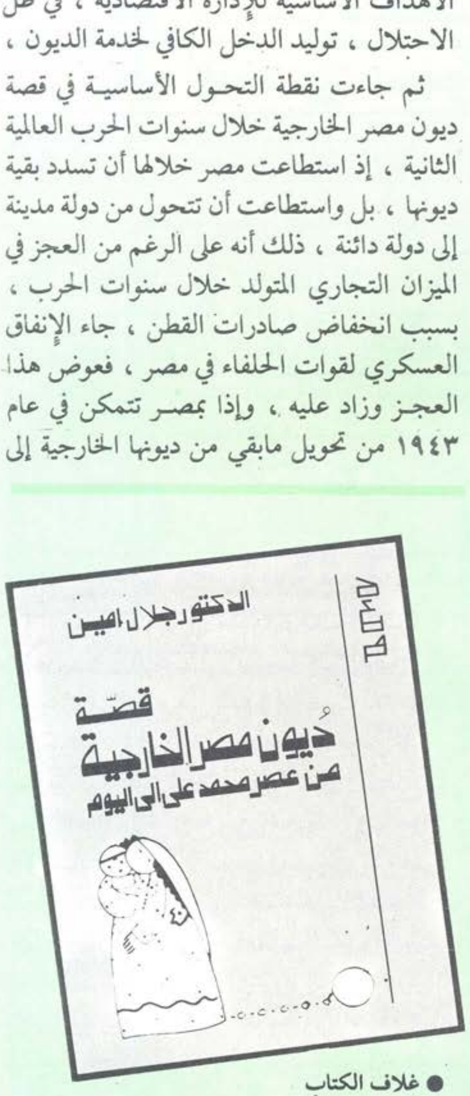
العرش (١٨٥٤) حتى بدأ يتورط في الديون بالاقتراض من بعض المصارف الأوربية التي كانت قد أنشئت في الاسكندرية ، ولم تكفه القروض المحلية وأذونات الخزانة التي أشار ديليسبس عليه بها ، بل لجأ في ١٨٦٠ لعقد أول قرض خارجي مع أحد المصارف الفرنسية ، وخصصت حصيلة جمارك ميناء الاسكندرية لضمانه ، ولجأ إلى عقد أول قرض خارجي تعقده الدولة المصرية في تاريخها الحديث ، قدمه لها مصرف (اوبنهايم) الالماني ، بمبلغ (٢٫٥) مليونين ونصف مليون جنيه استرليني ، مضمونا بحصيلة ضريبة الأطيان على أراضي الدلتا .

ومات سعيد عام ١٨٦٣ ، وإجمالي حجم الدين المصري يعادل نحو خمسة أمثال إيرادات الحكومة المصرية في السنة السابقة على وفاته . ويتساءل المؤلف : (من أين جاء هذا التورط المفاجيء في الديون ؟) خاصة أن وضع مصر الاقتصادي ، خلال عهد سعيد ، لم يكن ليضطرها إلى الاستدانة ، بل كان لديها من فائض الايرادات ما يكفي - على حد تعبير القنصل الانجليزي في ذلك الوقت - لتوظيف ماتحوزه من أيد عاملة . ولو كانت هذه الإيرادات قد وجهت نحو مشروعات مختارة بحكمة لاستطاعت مصر أن تلبي احتياجاتها . ولكن هذا الوالي الذي اعتلى عرش مصر في عصر لم يكن فيه في وضع يسمح له بتوجيه ايرادات مصر إلى (مشروعات مختارة بحكمة) ، بل كان المقصود هو العكس بالضبط ، إذ لم يكن سعيد في الواقع يشتري مايحتاج إليه ، أو حتى مايرغب فيه ، بل ماكان يفرض عليه شراؤه.

عصر الاحتلال

وينتقل المؤلف في الفصل الرابع إلى (عصر الاحتلال) ، حيث أصبح الاقتصاد المصري في خدمة الدائنين ، إذ دخلت مصر مع الاحتلال في ١٨٨٢ عهداً تختلف سماته الاقتصادية اختلافا بينا ، وأبرز هذه السمات هي النمو السريع الموجه لخدمة الدائنين ، حيث تحولت مصر إلى دولة مصدرة لرأس المال ، وأصبح من بين الأهداف الأساسية للإدارة الاقتصادية ، في ظل الاحتلال ، توليد الدخل الكافي لخدمة الديون ،

ثم جاءت نقطة التحول الأساسية في قصة ديون مصر الخارجية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، إذ استطاعت مصر خلالها أن تسدد بقية ديونها ، بل واستطاعت أن تتحول من دولة مدينة إلى دولة دائنة ، ذلك أنه على الرغم من العجز في الميزان التجاري المتولد خلال سنوات الحرب ، بسبب انخفاض صادرات القطن ، جاء الإنفاق العسكري لقوات الحلفاء في مصر ، فعوض هذا العجز وزاد عليه ، وإذا بمصر تتمكن في عام ١٩٤٣ من تحويل مابقي من ديونها الخارجية إلى



● غلاف الكتاب

دين محلي . الدائنون فيه هم المصريون أو الأجانب المقيمون بمصر . وهكذا أسدلت سنوات الحرب العالمية الثانية الستار على مرحلة طويلة كئيبة ، استغرقت من تاريخ مصر الاقتصادي نحو ثمانين عاماً ، حيث تم تسديد الديون الخارجية التي بدأها سعيد باشا في ١٨٦٢ بقانون تمصير الدين (١٩٤٣) ، ولم يتم إلغاء (صندوق الدين) الذي فرض الرقابة الأوربية على المالية المصرية في عام ١٨٧٦ إلا في عام ١٩٤٠ . وخرجت مصر من الحرب العالمية الثانية دائنة لبريطانيا بمبلغ قدره ٤٣ مليون جنيه . وقد عانت مصر الأمرين في استيفاء حقوقها ، مثلما عانت من قبل في تسوية ديونها . وفي عام ١٩٥٦ كانت مصر ـ كما كانت في منتصف القرن التاسع عشر ـ غير مدينة للخارج بشيء ، ولكن ـ وبعد ذلك التاريخ ـ تبدأ قمة مديونية مصر مرة أخرى ، وهي قصة تعكس ماطرأ على النظام الاقتصادي والسياسي العالمي من تغيرات .

وتبدأ القصة في الفصل الخامس من الكتاب بديون عبدالناصر ، ويلاحظ المؤلف ، منذ البداية ، أن تطور مصر الاقتصادي لم يشهد انكسارا في عام ١٩٥٢ كالذي شهده النظام السياسي ، بل استمر نحو أربع سنوات ، حتى عام ١٩٥٦ ، بالملامح الأساسية التي اتسم بها التطور الاقتصادي في العقد السابق على الثورة ، ذلك لأن تغير شخصية الحاكم لا يتطابق دائما مع التغير في النظام الاقتصادي أو السياسة الاقتصادية .

ملامح المرحلة الناصرية

إن هذا يفسر حقيقة أن أهم الملامح المميزة للناصرية من الناحية الاقتصادية في الواقع لم تبرز إلا في الفترة الواقعة بين حرب السويس في ١٩٥٦ ، وانتهاء الخطة الخمسية الأولى في ١٩٦٥ ، أي فترة لاتزيد على عشر سنوات ،



● محمد على الكبير

وهي الفترة التي تتسم بالارتفاع الملحوظ في معدلات الاستثمار ، وفي متوسط الدخل ، على الرغم من الزيادة السريعة في السكان ، والتغير الواضح في هيكل الاقتصاد ومعدل التصنيع ، وهي أيضا الفترة التي شهدت تجربة مصر الوحيدة في التخطيط الشامل ، وفي التدخل الجدي لإعادة توزيع الدخل ، وحقق الاقتصاد القومي نمواً حقيقياً ، زاد على ٦٪ ، وارتفع مستوى الدخل الحقيقي للفرد بأكثر من ٣٠٪ سنويا ، لكن عجز ميزان المعاملات التجارية زاد نتيجة لاستثمارات الخطة ، وزيادة الاستهلاك الخاص والحكومي ، ودفع تعويضات لحملة أسهم قناة السويس بعد تأميمها ، وتعويضات مستحقة للسودان بسبب إغراق بعض أراضيها بعد بناء السد العالي ، بالإضافة إلى بعض القروض والمساعدات لبعض الأقطار العربية ، ولم يكن هناك إذن مفر لمصر من أن تلجأ ، في هذه الفترة ، إلى القروض ، وقد وصلت مابين عامي ٥٨ ـ ١٩٦٥ إلى ٨٠٠ مليون جنيه مصري .

ويزداد التجاء مصر منذ (١٩٦٥/٦٤) إلى الاقتراض القصير الأجل بأسعار فائدة باهظة ، كان من شأنها أن تصيب بالدهشة الخديو اسماعيل نفسه . ويرى المؤلف أن لجوء مصر إلى الاقتراض في ذلك الوقت كان مبرراً تماما ، حتى لو ثبت أن أخطاء معينة قد ارتكبت في توزيع الاستثمارات .

سعيد والسادات

وفي الفصل الثامن ـ وعنوانه (ديون السادات في سنوات الرخاء) ـ يقارن المؤلف مرة أخرى عصر السادات بعصر الخديو اسماعيل الذي لم يكن تورطه في الديون مصدره الميل إلى البذخ والإنفاق ، وإنما كان السبب توافر أموال سائلة في المصارف الأوربية ، كانت تبحث عن فرص الاستثمار المجزي في الخارج ، والشيء نفسه حدث في أعقاب ١٩٧٣ ، حيث توافر للمصارف الأوربية والامريكية كميات طائلة من الأموال السائلة ، نتيجة لما سمي إعادة تدوير عائد النفط ، في أعقاب ارتفاع سعره ، وكانت هذه المصارف تبحث بدورها عن مجال لتوظيف هذه الأموال خارج بلادها . ويتوقف المؤلف عند عام ١٩٧٥ الذي سعت فيه الحكومة المصرية لدى بعض الأقطار العربية لزيادة حجم المعونات العربية المقدمة لمصر ، فرفضت هذه الأقطار بحجة أنه ليس لديها مايضمن أن مصر سوف تحسن استخدام ماتقدمه لها من معونات .

وفي صباح أحد أيام نوفمبر ١٩٧٧ ، كان المصريون يحتفلون بعيد (الأضحى) استيقظ الناس على خبر زيارة رئيس الجمهورية المصرية للقدس . ويرى المؤلف أنه ربما كان قبول رئيس الجمهورية لزيارة القدس واحدا من الشروط المفروضة عليه ، من أجل التدخل لإنقاذه ، لذا فعام ١٩٧٧ هو العام الذي أجبرت فيه مصر على تقديم أكبر تنازل في المجال السياسي منذ زمن طويل ، ويردف قائلا : إن عام ١٩٧٧ أيضا هو العام الذي أجبرت فيه مصر على تقديم أكبر تنازل في الميدان الاقتصادي ، حيث قبل السادات توصيات المجموعة الاستشارية المجتمعة في باريس ، فالسادات ـ فيما يبدو ـ كان على استعداد للذهاب إلى أبعد مما ذهب إليه الخديو اسماعيل ، إذ بينما حاول الخديو اسماعيل مقاومة اشتراك ممثل لبريطانيا وآخر لفرنسا ، كوزيرين في مجلس الوزراء المصري ، فكلفه ذلك عرشه في ١٨٧٩ ، قبل السادات القيام بزيارة القدس في ١٩٧٧ فاستحق بذلك رضا الأمريكيين والدول الغربية وهيئات المعونة الدولية والغربية ، وإذا بمصر تلجأ في فترة لم تشهد مثلها طوال سبعين عاما على الأقل ، إلى مزيد من الاستدانة ، وإذا بنا نجد الديون الطويلة الأجل والمتوسطة الأجل التي كانت قد بلغت ٤ر٨ بلايين دولار في ١٩٧٥ ، وزادت إلى ١ر٨ بلايين دولار في ١٩٧٧ ، وتزيد بنسبة ٧٦٪ في السنوات الأربع التالية فتصل إلى ٣ر١٤ بليون دولار في ١٩٨١ ، ولم يقترن توقيع اتفاقية كامب ديفد مع « اسرائيل » في ١٩٧٩ بتخفيض الإنفاق العسكري ، بل على العكس ، زاد هذا الإنفاق بشدة في أعقابها ، وزاد الالتجاء في تمويله إلى القروض الخارجية أيضا ، ويؤكد المؤلف ـ مرة أخرى ـ على التشابه بين تجربة الاقتصاد المصري في عهد السادات وبينها في عهد الخديو اسماعيل في أنه على الرغم من الازدهار الواضح في مصادر النقد الأجنبي فإن ذلك لم يمنع من التورط في المزيد من الديون في الوقت الذي كان يجب فيه أن تستخدم الموارد الذاتية الجديدة في تسديد الديون السابقة ، ففي الحالتين ـ وعلى الأخص في عصر السادات ـ استخدم جزء كبير من هذه القروض في تمويل مشروعات لاتضيف إضافة ملحوظة إلى

الإنتاج ، بما في ذلك شراء السلاح ، الأمر الذي لابد أن يثير التساؤ ل مرة أخرى عن نوع النصائح أو (الضغوط) التي كان يتعرض لها الحاكم

ظروف جديدة

عند وفاة السادات كان إجمالي ديون مصر نحو ٣٠ بليونا من الدولارات ، ولكن اقترنت نهاية عصر السادات بظروف جديدة ، بدا فيها أن فترة الرخاء القائم على تدفق ايرادات النفط ، وتزايد تحويلات العاملين بالخارج ، وإيرادات قناة السويس والسياحة قد انخفضت ، ففي



● الخديوي اسماعيل



● جمال عبد الناصر

السنوات الأربع التالية لمقتل السادات (٨١/٨٢ ـ ٨٥/١٩٨٦) انخفضت ايرادات النفط بنسبة ٣٦٪ ، وأصاب الركود مصادر الدخل الثلاثة الأخرى التي تعتمدبدورها ، بدرجات متفاوتة ، على أسعار النفط ، بينما ظل معدل تدفق الاستثمارات الأجنبية الخاصة ثابتا تقريباً عند زهاء بليون دولار سنويا . وتبنت الإدارة الاقتصادية في عهد الرئيس حسني مبارك معدلاً مرتفعاً للاستثمارات ، خاصة في المرافق العامة ، وعدم إخضاع الواردات أو الإنفاق العسكري لدرجة عالية من التقييد ، مع الاستمرار في الاعتماد على القروض الخارجية في تمويل العجز بين الموارد والمتطلبات ، بدلا من تخفيض الواردات من السلع الرأسمالية والوسطية ، والتضحية بارتفاع معدل النمو ، وتخفيض دعم الإنفاق العسكري ، بما يخفف عبء ميزان المدفوعات ، واتخاذ إجراءات حادة لإعادة توزيع الدخل ، وترشيد توزيع الاستثمارات ، مما أدى إلى ارتفاع إجمالي ديون مصر الخارجية المدنية والعسكرية من ٣٠ بليون دولار في منتصف ١٩٨١ ، إلى نحو ٤٥ بليون دولار في منتصف ١٩٨٦ ، أي بزيادة ٥٠٪ في خمس سنوات . ويعترض المؤلف على هذه السياسة الاقتصادية لهذه الفترة ، لأن التورط في الاقتراض لتمويل مشروعات المرافق العامة ، في ظل إهمال واضح للقطاعات السلعية التي يمكنها وحدها أن تولد القدرة على خدمة هذه القروض في المستقبل ، كان يعكس باستمرار سياسة السبعينيات نفسها التي تقوم على تبني أسهل الحلول في المدى القصير ، مع تجاهل أثرها المدمر على الاقتصاد في المدى الطويل .

ويقارن المؤلف بين السياسة الاقتصادية في الفترة (٥٦ ـ ١٩٦٥) وسياسة الانفتاح (٧٤ ـ ١٩٨٦) ، فالأولى تتسم بدرجة عالية من الاتساق والانسجام بين مختلف أدوات السياسة الاقتصادية ، حيث تدخلت الحكومة في أدق تفاصيل النشاط الاقتصادي ، وطبق نظام التخطيط بدرجة من الجدية ، وكاد يقصر الاستثمار الوطني بأكمله على القطاع العام ، بينما اتسم الثاني بدرجة عالية من التردد وعدم الاتساق في تطبيق مبدأ الحرية الاقتصادية ، فلا هي طبقت سياسة الحرية الاقتصادية بحذافيرها ، ولا هي تبنت سياسة التدخل الحكومي الصارم بمختلف متطلباتها وعانت من نقائص كليهما وميل عجز الموازنة العامة إلى التزايد عاما بعد آخر . ويفسر المؤلف أزمة السيولة التي عانت منها مصر في منتصف السبعينيات ، وأنها كانت بسبب الوسائل التي استخدمت لفرض تسوية مع « اسرائيل » . . لعل مصر ما كانت لتقبلها في ظروف اقتصادية مختلفة . □



مكتبة العربي

مختارات

اسم الكتاب : الحوار الاستراتيجي الشامل . رموز الجيل الجديد في الأرض المحتلة يتحدثون .
اسم المؤلف : توفيق أبو بكر
الناشر : سلسلة حوارات استراتيجية
عدد الصفحات : ١٧٣ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٨ م

محاولة للتعرف على الجيل الجديد الذي ولد وعاش في ظلال الاحتلال « الاسرائيلي » . ويبذل الكاتب جهدا من خلال حواراته مع رموز لهذا الجيل ، لتقديم صورة له : كيف يفكر ، وكيف يرى المستقبل ، وكيف ينظر إلى قضايا الحرب والسلام ، وما رؤيته للعرب وللوطن العربي ولأقطار العروبة والقومية ورؤيته لمفاهيم النضال السياسي ، وأشكال الكفاح المختلفة .

□□□



اسم الكتاب : الأتوبيس الجامح
اسم المؤلف : جون شتاينبك .
ترجمة : عبدالحميد فهمي الجمال
الناشر : دار الهلال ـ القاهرة
عدد الصفحات : ٢٧٩ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٩ م

ترجمة عربية لرواية « الأتوبيس الجامح » للكاتب الامريكي الشهير الذي يعد علامة مهمة في الرواية العالمية في القرن العشرين ، وهو صاحب الأعمال الذائعة : اللؤلؤة ، شرق عدن ، عن الرجال والفئران ، عناقيد الغضب التي حصل عنها على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٢ .

تتصاعد أحداث الرواية عبر رحلة حافلة « أوتوبيس » تنقل الركاب إلى الريف مارة عبر الطرق والجسور التي اكتسحتها المياه ، وحاصرتها ، وحوارات الركاب الصامتة الوجلى وهم محاصرون .

□□□



اسم الكتاب : التنمية العربية
اسم المؤلف : مجموعة من المؤلفين
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت
عدد الصفحات : ٤٤٠ من القطع الكبير .
سنة النشر : ١٩٨٩ م

تحتل قضية التنمية العربية أهمية مركزية في الوطن العربي ، ويقوم الكتاب بجهد واضح في استخلاص خبرة الماضي العربي القريب في التنمية خلال الأعوام العشرين الماضية ، وحقائق الواقع التنموي المعاش ، ويتألف الكتاب من اثني عشر

فصلا ، يضمها قسمان رئيسان ، يتناول القسم الأول الاختناقات والقيود الموروثة ، ويعرض القسم الثاني الفرص المستقبلية لمسارات التنمية العربية . والكتاب ثمرة جهد جماعي لعدد من خيرة العلماء العرب ، في مجالات مختلفة ، أسهم كل منهم بجهد علمي موضوعي في معالجة قضية التنمية العربية وآفاق المستقبل .

□□□

اسم الكتاب : تاريخ الرياضيات العربية
اسم المؤلف : د . رشدي راشد
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت
عدد الصفحات : ٤٠١ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٩ م

إضافة جديدة ، يقدمها مركز دراسات الوحدة العربية ، باستحداث سلسلة « تاريخ العلوم عند العرب » التي يمثل هذا الكتاب أول مطبوع منها ، والاهتمام بتاريخ العلوم قد ازدهر في البلدان المتقدمة في العقود الثلاثة الأخيرة ، وذلك لأهمية ما يقدمه تاريخ العلوم في التحديث العلمي والصناعي ، وتأتي أهمية المعرفة بالتراث العلمي العربي ، لكون هذه المعرفة تحفز على خلق فكر أصيل في فلسفة العلوم ، وتوطين العلم في الوطن العربي . يضم الكتاب أربعة فصول ، يناقش الفصل الأول منها بدايات علم الجبر ، والثاني للتحليل العددي ، والثالث يعرض للمعادلات العددية ، أما الرابع الأخير فيتناول نظرية الأعداد والتحليل التوافيقي .

□□□

اسم الكتاب : تقرير برودي
اسم المؤلف خورخي لويس بورخيس .
ترجمة : نهاد الحايك
الناشر : دار الشئون الثقافية العامة - بغداد
عدد الصفحات : ١١٣ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٨ م

مجموعة قصصية للكاتب الأرجنتيني بورخيس (١٨٩٩ - ١٩٨٦) الذي يعد من أهم كتاب القصة في بلاده وفي العالم . تضم المجموعة عشر قصص ، يقول عنها مؤلفها : إنها واقعية ، يختلط فيها الحلم بالتاريخ ، لأن الأدب ليس إلا حلما موجها ، وعلى الرغم مما يقوله الكاتب عن واقعية قصصه فإنه قد جعل زمنها يعود إلى أعماق تاريخية ، وكذلك المكان ، لكي يستطيع خياله أن يمارس حريته في خلق عالم خاص بمفرداته وشخوصه وتراكيبه اللغوية .□







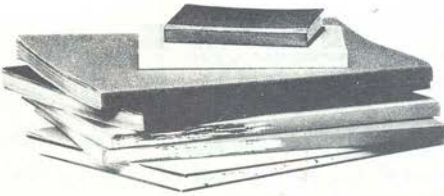
الدرويش والحجاج



ظهر في بغداد درويش زعم أنه مستجاب الدعوة ، فاستدعاه الحجاج وقال له : أدع لي بالخير .

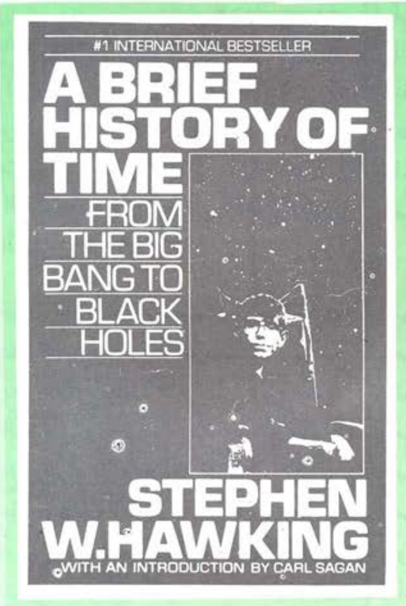
فقال الدرويش بعد أن رفع وجهه الى السماء : اللهم اقبض روحه . فصرخ الحجاج في وجهه غاضبا : ماذا ؟!

فقال الدرويش : هذا الدعاء خير لك وللمسلمين كافة !



مكتبة العربي

كتاب الشهر



تاريخ موجز للزمن

تأليف : ستفن هوكنغ

عرض : الدكتور ممدوح كامل الموصلي*

عند صدور هذا الكتاب عام ١٩٨٨ عده بعض حدثا فريدا في تاريخ الكتب العلمية ، فأعيدت طباعته عشر مرات في العام نفسه ، وظل يحتل رأس قائمة أكثر الكتب مبيعا في العالم لأكثر من ستين أسبوعا ، فماذا عن هذا الكتاب الحدث ؟ ومن هو مؤلفه المعجزة ؟

* أستاذ الفيزياء بكلية العلوم ـ جامعة عين شمس في القطر المصري .

هذا أول كتاب علمي مبسط ، يؤلفه ستفن هوكنغ الذي يعد واحدا من أبرز علماء الفيزياء النظرية المعاصرين . ويشغل هوكنغ مقعد أستاذ الرياضيات بجامعة كمبردج ، وهو المقعد نفسه الذي كان يشغله قبل ذلك اسحق نيوتن وديراك . الأول هو أشهر عالم في مجال فيزياء النجوم والكواكب ، والثاني من أشهر من عمل في مجال فيزياء الجسيمات الدقيقة مثل الالكترونات . وستفن هوكنغ إنسان يعد أسطورة ، فهو عقل فقط دون جسد ، حيث لا يستطيع الحركة أو حتى الكلام ، فقد أصيب فور تخرجه في الجامعة بمرض ضمور الأعصاب ، وهو مرض يعرف باسم « الموتور العصبي » أو ALS . وكان من المتوقع ألا يعيش حتى يحصل على درجة الدكتوراة . ومع أن الأطباء استطاعوا إيقاف المرض ، لكنه أصبح بالوصف الذي سبق ذكره . وقد يعجب القارىء كيف استطاع إنسان في مثل هذه الحال أن يقوم بالكتابة والبحث العلمي . ولكن العلم والعقل البشري ليس لكفاءتها حدود . فقد قامت مؤسسة أمريكية بكاليفورنيا بإهدائه برنامجا خاصا ، يسمى المركز الحي ، يستطيع عن طريقه وباستخدام حاسوب مثبت في كرسيه التحرك والاتصال بالآخرين . ويقول هوكنغ إنه بفضل هذا النظام يستطيع التحدث مع الآخرين بطريقة أفضل .

أسئلة مثيرة

وموضوع كتاب « تاريخ موجز للزمن » غاية في الإثارة بالنسبة للعقل البشري ، فقد كان هذا الموضوع في الماضي حكرا على الفلاسفة الذين تقوم نظرياتهم على استخدام العقل البشري فقط ، دون استخدام وسائل العلم الحديث من حيث المشاهدة والقياس ، والموضوع يمزج بذكاء حاد ما توصل إليه البشر في العلوم عن الفراغ والزمن وعلم الفلك ونظرية الكم ، في محاولة للإجابة عن أسئلة مثل :

من أين أتى الكون ؟ كيف بدأ الكون ؟ ولماذا ؟ وهل هناك نهاية للكون ؟ ومتى ؟ وإن كان الأمر كذلك فكيف ؟ وهل يوجد معنى لكلمة الزمن ؟ وماذا حدث قبل بداية الزمن ؟ ثم ماذا سوف يحدث بعد نهايته ؟ هل يمكن أن يسير الزمن في الاتجاه العكسي ، أي تسبق النتيجة العقل ؟ وهل يمكن أن تتذكر المستقبل بدلا من الماضي ؟ ! .

أسئلة مثيرة ، يتناولها الآن العلم بدقته وقياساته ، ويحاول هوكنغ في كل مكان من الكتاب أن يوضح للقاريء غير المتخصص كيف استطاع العلم الوصول الى تلك الحقائق ، بعيدا عن استخدام المعادلات الرياضية والتفصيلات العلمية المعقدة .

يتناول الكتاب موضوعات غاية في الاتساع ، تؤكد المقدرة العقلية الفذة للمؤلف . فهو يستعرض في الجزء الأول من الكتاب التطور التاريخي لمقدرة البشر على فهم الكون وطبيعته وتركيبه ، سواء على المستوى الضخم ، مثل حركة النجوم والكواكب ، أو على مستوى الجسيمات الدقيقة جدا ، مثل الالكترونات . ثم يقوم بصوره الحالية ومدى فهم العلم للكون . ويتتبع ذلك بالإشارة الى النظريات الجديدة التي في طريقها للاستكمال والمتعلقة بهذا الموضوع .

يستعرض المؤلف تطور فهم البشرية لطبيعة الأرض وما حولها . فقد تصور الناس في البداية أن الأرض مسطحة محمولة على ظهر سلحفاة . وأول تغير علمي لهذا المفهوم توصل إليه الفيلسوف اليوناني أرسطو عام ٣٤٠ قبل الميلاد ، عن طريق ملاحظة كسوف القمر ، حيث يظهر ظل الأرض على القمر دائما في شكل قرص دائري ، ومنه استنتج أن الأرض لابد أن تكون كروية الشكل . ولكن ارسطو اعتبر أن الأرض ساكنة ، وتشغل مركز الكون ، وأن القمر والشمس والكواكب والنجوم تدور في مسارات

دائرية حولها . وقد قام بطليموس في القرن الثاني بعد الميلاد بتطوير هذه الفكرة الى نموذج كوني ، تشغل فيه الأرض نقطة ثابتة في المركز ، تحيط بها ثمانية مسارات دائرية ، يدور فيها القمر ، فالشمس ، فالنجوم ، ثم الكواكب الأربعة المعروفة في ذلك الوقت . أما ماذا يوجد خارج هذه المدارات فلم يكن واضحا ، لأن ذلك كان خارج مقدرة الملاحظة البشرية . ولقد اعتمدت الكنيسة هذه الصورة .

وفي عام ١٥١٤م اقترح القس البولندي كوبرنيكوس نموذجا آخر ، يضع الشمس في مكان ثابت في المركز ، بينما تدور الأرض والكواكب الأخرى في مسارات دائرية حولها . هذا النموذج لم يقبل علميا إلا بعد مرور قرن من الزمن ، عندما استطاع العالم الايطالي جاليليو استخدام المقراب « التلسكوب » وترجيح هذا النموذج عن طريق المشاهدة والحسابات الرياضية . وبذلك انتهت نظرية أرسطو ، وأصبحت تاريخا . ثم بدأت الأمور في الوضوح عندما اقترح العالم كبلر أن مسارات الكواكب حول الشمس تأخذ شكل قطع ناقص ، وليس دائرة ، (القطع الناقص هو كدائرة مشوهة أحد قطريها أكبر من القطر العمودي ويشبه جدا بيضة الدجاج) . ثم نشر العالم الانجليزي اسحق نيوتن أشهر كتاب في تاريخ العلم ، شرح فيه سبب دوران الكواكب في مثل تلك المسارات ، وقال بوجود قوى جذب بين أي كتلتين ، وأن هذه القوى هي المسئولة عن سقوط أي جسم على سطح الأرض .

المكان والزمان

ما حدث بعد ذلك كان أغرب . إذ أمكن التوصل عن طريق النظرية النسبية لأينشتين الى أن الزمن أيضا ليس له قيمة مطلقة ، بل قيمة نسبية ، تعتمد على سرعة من يسجله . المطلق الوحيد في نظرية أينشتين هو قيمة سرعة الضوء ، ولها قيمة ثابتة لاتعتمد على مكان الرصد أو حتى سرعة الراصد . وقد تم إجراء تجارب علمية أثبتت صحة هذا القول . والخلاصة أنه لتحديد أي حدث لابد من ربط كامل لمكانه في الفراغ الذي تحدده ثلاثة أبعاد مع البعد الرابع الذي هو الزمن ، والأبعاد لايمكن فصلها أو فصل أحدها عن الآخر ، أي أن فكرة المكان المطلق اختفت ، وكذلك فكرة الزمان المطلق . الفكرة الأولى قضت عليها نظرية نيوتن ، والثانية قضت عليها نظرية أينشتين . ارتبط الفراغ إذن بالزمان كما تقول النظريات الحديثة ، لتكون منحنى واحداً يعرف باسم منحنى « الزمكان » ، أي (الزمان والمكان معا) في شكل ديناميكي (متحرك) ، وأدت هذه الفكرة الى القضاء أيضا على فكرة الكون الاستاتيكي (الثابت) ، وحلت محلها فكرة الكون المتمدد ، وعليه يبدو أن هناك بداية للزمن ، وأنه لابد أن تكون هناك نهاية لهذا الزمن .

الكون المتمدد (المتسع)

يحاول المؤلف في هذا الفصل أن يقدم فكرة أوضح عن الأبعاد الحقيقية للكون ، فأقرب نجم يشبه الشمس هو نجم « بروكسيما سنتاوري » الذي يبعد عنها مسافة تقدر بأربع سنوات ضوئية (أي أن الضوء يحتاج الى أربع سنوات لكي يصل من هذا النجم إلينا) ، وهي مسافة تقدر بثلاثة وعشرين مليون مليون ميل . ومن أجل المقارنة فإن الضوء يصل من الشمس الى الأرض في ثماني دقائق فقط . ومجموعة النجوم التي يمكن رؤيتها بالعين المجردة تقع على مسافة لاتزيد عن عدة مئات من السنين الضوئية . وجميع هذه النجوم المرئية تقع في حزمة واحدة ، تعرف باسم الطريق اللبني ، وهو جزء من المجرة التي تنتمي إليها الشمس . هذه المجرة تشبه القرص ، وتحتوي



على عدة مئات من آلاف الملايين من النجوم . وقد استطاع علماء الفلك رصد مجرات أخرى ، خارج المجرة التي تقع فيها الشمس ، ويصل عددها الى مائة ألف مليون مجرة . والمجرة التي نعيش فيها يصل اتساع قرصها الى مائة ألف سنة ضوئية ، وتدور ببطء حول نفسها دورة كاملة كل عدة مئات من السنين . والشمس عبارة عن نجم ذي حجم متوسط ، أصفر اللون ، يقع على الحدود الداخلية لأحد الأذرع الحلزونية للمجرة . هذه فكرة عن حجم الكون ، وهي بدون شك تبعد كثيرا عن الفكرة التي تقدمها نظريات أرسطو وبطليموس . وهذا الكون يزداد اتساعا باستمرار . ولكن هل سوف يستمر هذا التمدد (والاتساع الى مالا نهاية) ، أو أن التمدد سوف يقف تحت تأثير الجاذبية ، ويعود الكون الى التقلص ، الى أن تلتقي المجرات مرة أخرى في نقطة واحدة . القياسات العلمية لاتقدم الإجابة ، حيث أن ذلك يعتمد على متوسط كثافة المادة في الكون ، وكثير من أنواع المادة لايمكن رصده بسهولة . وعلى هذا يبقى السؤال دون إجابة واضحة . ولكن الحقائق المتوافرة تقول : إنه لا داعي للقلق ، لأن الكون سوف يستمر في التمدد على الأقل عشرة آلاف مليون سنة أخرى .

نعود الآن الى السؤال الذي يقول : هل النظرية النسبية لأينشتين تؤكد وجود ما يعرف بالانفجار العظيم الذي بدأ عنده الزمن ؟ الإجابة ظهرت نتيجة لدراسة قام بها عالم انجليزي عام ١٩٦٥ ، هو روجر بنروز ، فعلى أساس أن قوى الجاذبية دائمة ، وعلى أساس ثبات سرعة الضوء ، يقول بنروز : إن أي نجم قد ينهار الى الداخل تحت تأثير قوى الجذب ، حتى يصل الى حجم قريب من الصفر . وتصبح كل الكتلة التي كانت موجودة في النجم محتواة في هذا الحجم المتناهي في الصغر ، وتصل قيمة كثافة المادة فيه وانحناءات (الزمكان) الى قيم لانهائية . هذه النقطة التي تحتوي على النجم ، وبهذا الوصف تسمى « نقطة مفردة » في « الزمكان » ، وتعرف باسم الثقب الأسود . مثل تلك النظرية يمكن تطبيقها على الكون كله لإثبات أن الكون كان له نقطة مفردة في الماضي بدأ عندها الانفجار العظيم .

مبدأ اللايقينية

تشير قوانين نيوتن وقوانين أينشتين الى مبدأ مهم ، وهو ما يعرف باسم اليقينية ، ومعنى ذلك أنه إذا عرفت الحركة الابتدائية لجسم ما ، والقوى المؤثرة عليه ، فيمكن بالتحديد حساب مساره المستقبلي . وعلى النقيض من ذلك أعلن العالم الألماني هيزنبرج ، في عام ١٩٢٦ ، مبدأه الشهير الذي يعرف باسم اللايقينية ، فمن أجل التنبؤ العلمي بالوضع والسرعة في المستقبل لجسم ما ، لابد من تحديد الموقع والسرعة في الظروف الأولية . ولكي يمكن تحديد الوضع

الحالي مثلا لابد من إضاءة هذا الجسم بكم ضوئي له طاقة محددة . وعندما يتصادم هذا الكم الضوئي بالجسم فإن هذا يؤثر على سرعته الحالية ، وبالتالي لايمكن تحديد الموقع والسرعة في الوقت نفسه وبدقة . وكلما حاولنا تحديد الموقع بدقة عن طريق اختيار كمّ ضوئي قوي (ذي طاقة عالية) فإن هذا يؤدي الى دقة أقل في تحديد السرعة ، والعكس صحيح . هذه هي طبيعة الأمور ولا مفر من ذلك . وكلما كان الجسم صغيرا كانت اللايقينية أكثر وضوحا . فبالنسبة للالكترون مثلا لا يمكن تحديد نقطة في الفراغ يشكلها الالكترون ، ولكن يمكن فقط مناقشة احتمال وجوده في مكان ما . عند مقارنة هذا الوضع بما تنبأت به نظريات نيوتن وأينشتين يبدو أن هناك تناقضا واضحا . هذه النظريات تقدم تحديدا لموضع أي جسم وسرعته ، أما الجديد فيشير الى عدم التحديد . هل يمكن وضع كل هذا في نظرية واحدة ؟ يؤكد هوكنغ أنه في حالة النقطة المفردة أو الثقوب السوداء تصبح قوى الجذب عظيمة المقدار ، حيث تقترب مكونات المادة بعضها من بعض الى حد متناهٍ في الصغر . وبالتالي فلابد أن نسعى الى تطبيق مبدأ اللايقينية في الوقت نفسه الذي تطبق فيه النظرية النسبية العامة ، أي أنه في حال النقطة المفردة أو نقطة



الانفجار العظيم لابد من تطبيق نظرية جديدة ، لما تكتمل بعد ، تحتوى في داخلها على كل من النظرية النسبية العامة ومبدأ اللايقينية .

إن أهم أهداف النظرية الجديدة التي تجمع بين النظريتين المذكورتين هو توحيد قوانين قوى الطبيعة الأربع المعروفة ، وهي قوى الجذب والقوى الكهرومغناطيسية والقوى النووية الضعيفة والقوى النووية القوية . إن المحاولات السابقة أدت الى توحيد اثنتين منها فقط ، ويؤكد المؤلف إمكانية التوصل الى نظرية توحيد قوانين القوى الأربع ، وتجمع نتائج نظرية الكم مع الجاذبية . وتشير حسابات هوكنغ المتعلقة بالثقوب السوداء الى أن مبدأ اللايقينية يضع حدا لدقة التنبؤ ، ويمكن أن يؤدي في حالة مزجه بالنظرية النسبية الى عدم ظهور النقطة المفردة في « الزمكان » ، وبالتالي الى عدم وجود الانفجار العظيم .

أصل الكون ومصيره . سهم الزمن :

إن قيمة أي نظرية علمية هي أنها تستطيع تفسير ما يحدث في الواقع ، أي مقدرتها على التوصل الى استنتاجات تتفق مع الواقع في كل مرحلة ، وكذلك التنبؤ بما سوف يحدث في المستقبل . وعلى هذا الأساس يورد المؤلف كيف استطاعت نظرية الانفجار العظيم استنتاج ماهو موجود في الكون ، في فترة زمنية ، ابتداء من نقطة الانفجار وحتى الآن . فهي تستطيع أن توضح كيف بدأ الكون في حالة لانهائية من الصغر ، مع وجود درجة حرارة لانهائية في الارتفاع . ومع مرور الزمن يبدأ الكون بالتمدد ، وتبدأ درجة الحرارة في الانخفاض بمعدل سريع في البداية . وبعد ١٠ - ٢٠ ألف مليون سنة يصل الكون الى الحالة التي هو فيها الآن . وتستطيع النظرية تحديد ما حدث في كل

فترة ابتداء من تكوين النويات ثم الذرات نفسها. وكذلك نسب العناصر الموجودة في الكون، ثم كيفية تكوين المجرات والنجوم والكواكب. ثم تصل بعد ذلك الى شرح تكوين الأحياء، حتى الوصول الى أعلى مرحلة من الأحياء، متمثلة في الإنسان والعقل البشري الذي يحاول فهم ما يحدث حوله. ولكن المشكلة تظهر في نوع آخر من الأسئلة، مثل: لماذا بدأ الكون في مثل هذه الحالة؟ ولماذا يبدو متجانسا على المستوى الكبير؟ ولماذا يبدو كل شيء متوافقا، ويسير في الاتجاه الصحيح؟

ونوع آخر من الأسئلة هو: هل هذه هي الحالة الوحيدة الممكنة أو أن هناك أكثر من كون؟ وفي الأكوان الأخرى هل توجد قوانين أخرى؟ ثم من أين أتى كل ذلك؟ لمحاولة الإجابة يقول المؤلف: إن شرح ذلك قد يكون في تعريف الزمن. إن الطريقة المعتادة لتعريف الزمن هي التي أدت الى استنتاج أن هناك بداية، لأن هناك معادلات في النظرية النسبية العامة، تفشل في لحظة ما في شرح ما يحدث. وهو يقترح إدخال طريقة أخرى لقياس الزمن، تسمى الزمن التخيلي. إذا استخدمت هذه الطريقة فسوف تختفي النقطة المفردة التي بدأ عندها الزمن، ويصبح الكون دون بداية أو نهاية. ويسمى هذا الكون بالكون المحدود، ولكن دون أن يكون له حدود. تماما مثل سطح الكرة، فالحجم محدود، ولكن إذا بدأت السير على سطح الكرة فلن تصل الى أي حافة، وتستطيع السير الى الأبد.

وإذا كان هذا صحيحا فماذا يحدث إذا بدأ الكون في التقلص والانكماش بعد انتهاء فترة التمدد؟ هل سينعكس الزمن ويسير عكس ما نعرفه الآن؟ أي هل سيستطيع الإنسان تذكر المستقبل بدلا من تذكر الماضي؟ وهل سيموت الإنسان قبل أن يولد؟ إن شعور الإنسان بالزمن يرتبط بثلاثة أسهم هي: السهم الترموديناميكي، وهو الذي يؤكد أن حالة الفوضى في الكون سوف تزداد باستمرار. والسهم الثاني هو السهم النفسي الذي يرتبط بتركيبة المخ البشري. والسهم الثالث هو السهم الكوني المرتبط بتمدد الكون. يقول المؤلف: إنه حتى لو أشار السهم الثالث الى الاتجاه العكسي، أي أن الكون بدأ في الانكماش، فسوف يستمر السهمان الأول والثاني في الاتجاه نفسه.

وأكثر من ذلك يقول المؤلف: إنه لن يوجد عقل بشري يستطيع توجيه أي نوع من الأسئلة لدى انعكاس حالة تمدد الكون الى تقلص، بعد حوالي عشرة آلاف مليون سنة أخرى.

توحيد قوانين الفيزياء

أعمال علماء الفيزياء النظرية في الوقت الحالي تتركز في محاولة دمج النظرية النسبية العامة مع قوانين الميكانيكا، بما فيها مبدأ اللايقينية. هذه المحاولة سارت خطوات طويلة، ولكن مازال أمامها الكثير لكي تصل إلى الحل النهائي. النظرية الجديدة لابد أن توحد القوانين المتعلقة بالقوى الأربع للطبيعة في نوع واحد من القوانين. وهذا بالتأكيد سوف يجيب عن كثير من الأسئلة التي سبق أن طرحت، وسوف يفتح الطريق الى حقائق علمية أغرب من قصص الخيال العلمي المعروفة الآن. □

الصدْق: ● عن عبدالله بن مسعود عن النبي، ﷺ، قال: «لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عندالله صديقا، ولا يزال الكذاب يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا».

إلى أن نلتقي



تلك المسافة

يقول لك العقلاء من الناس : هناك مسافة ما ، يجب أن تبقى بينك وبين الآخر ، مهما تكن علاقتك به ! ويضيف الساخرون منهم : إن سر المأساة في العلاقة الزوجية هو عجز الزوجين عن الاحتفاظ بمثل هذه المسافة بينهما ، في علاقة تقوم في أساسها على إلغاء المسافات بين رجل وامرأة .

ثم يفيض الجميع في الحديث عن معنى « المسافة » وحجمها ، فقد تعني أن تعرف كيف تحتفظ بالقليل أو الكثير من أسرارك ! وهي تتحقق من خلال الصمت البليغ ، كما تتحقق من خلال الكلمات المحسوبة ، وهي تقوم من خلال الإمعان في العزلة ، أو الإمعان في الظهور . وفي كلمة هي يمكن أن تتخفى في أي شيء عدا التلقائية والصدق !!

ويقول لك الحكماء من الناس : ليست المشكلة في تحديد المسافة ، بل في توقيتها ، فحاجة الإنسان إلى الاقتراب من الآخر في وقت ، لا تقل عن حاجته إلى وجود مسافة بينهما في وقت آخر !

وإذا كان الاقتراب من الآخر بأعلى درجة ممكنة من الصدق شرطا ضروريا لخبرة المشاركة في الشعور والفكر ، ولإمكانية معرفة الإنسان لنفسه أو لغيره ، فإن العزلة أيضا من خلال مسافات تطول أو تقصر أمر لا غنى عنه لتمثل الخبرة ، وللإبداع الفردي ، ولحسن الإصغاء لصوت الضمير الخاص ، ولاتخاذ القرار !

فالمشكلة الجوهرية إذن هي في تحقيق توازن حساس بين حاجة الإنسان إلى وجود المسافة أو إلغائها بين أطراف مختلفة ، وبتوازن عادل !!

ويقول لك الصعاليك من الناس ، وهم في الغالب أعمق حكمة لأنهم أكثر جنونا : عن أي مسافة تتحدثون أيها السادة ؟!

فالمسافات التي يضعها الناس بقصد كلها زائفة ، ولا يخدعون بها سوى أنفسهم ، ويكتشف زيفها الأطفال وذوو البصائر من الكبار ، ومهمتنا نحن الصعاليك أن نشبعها سخرية ، وتلك هي رسالة الصعلوك الأبدية !

كيف يصل بنا السخف أن نصطنع مسافات وهمية ، بينما هناك مسافات حقيقية ، تفصل بين البشر ، لا سبيل إلى اجتيازها ، وهي تصنع ما يمكن أن نسميه سوء التفاهم الأبدي !؟

تلك هي المسافة بين الأكثر ذكاء والأقل ذكاء ، بين البطيء الإحساس وبين من يشعر بنبضة الفكرة في طرفة عين حساسة ، بين من يعرف الكثير ومن لا يملك حتى أدوات المعرفة ، بين أصحاب التواريخ المختلفة والثقافات المختلفة والمصالح المختلفة ، حيث يصبح الحديث عن الرؤية الموضوعية للأشخاص ، أو لما يتعلق بهم ، نوعا من الوهم أو الترف ، ويصبح الجهاد من أجل مثل هذه الرؤية هو الجهاد الأكبر في حياتنا .

هكذا يبدأ الحديث فقط عن المسافة ، ويمكن أن ينتهي بهذا السؤال : قل لي : ما المسافة التي تفكر بها أقل لك من أنت؟!

وإلى أن نلتقي . □

أبو المعاطي أبو النجا



من المسرح العالمي

سلسلة شهرية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت

بيت آل روزمر

تأليف : هنريك إبسن
ترجمة : د. أحمد النادي
مراجعة : د. طه محمود طه
تقديم : د. عبدالله عبدالحافظ

العدد ٢٤٤ أول يناير ١٩٩٠

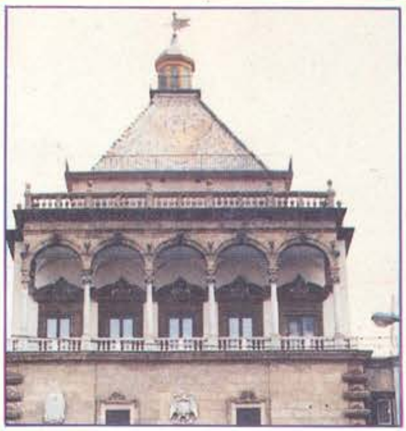


«ضربُ الدّفوف» ـ للفنان السّعودي سمير مرزوق الدهّام

رجب ١٤١٠ هـ - فبراير (شباط) ١٩٩٠ م

العربي

عدد خاص





ملحقان عن: ■ العرب في التسعينات ■ الإبداع الأدبي العربي

■ صقليّة.. التاريخ يخرج من البوابة العربيّة

● الخدمة الأمنية بالكويت في ربع قرن



■ اكتشافات أثريّة جديدة في مصر



أثواب من بئر السّبع
للفنانة الفلسطينية تمام الأكحل

العـــدد ٣٧٥ الســـنة الثالثة والثلاثون فـــبراير ١٩٩٠

العربي

مجـــلة ثقـــافيـــة مصـــورة
تصـدر شهـريًا عـن وزارة الإعـــلام بـدولـة الكويت
للوطن العـربي ولكل قـارئ للعـربيـة فـي العـالـم

رئـيس التحـريـر
د. محمـــد الرميـــحي

عنـــوان المجـلة

العـــــربي
ص. بـ: ٧٤٨ ـ الصفـــاة
الرمـــز البـريـدي 13008 الكويـت
تلفـون: ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيـا: "العـــربي" - الكويـت
تلفون فاكسملي: ٢٤٢٤٣٧٥ - تلكس: MITR. 44041 KT
المراسلات باسـم رئـيس التحـريـر

AL-ARABI
Issue No 375 Feb . 1990 .P.O.Box: 748
Postal Code No. -13008 Kuwait.
A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information
State OF Kuwait.

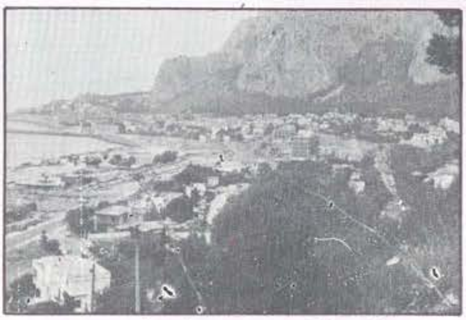
الاعـلانـات يتفـق عليهـا مـع الإدارة ـ قســم الاعـلانـات

الاشـتراكات ترسل الطلبـات إلى: قسـم الاشتراكات ـ الإعلام الخارجي
وزارة الإعــلام ـ ص.ب: ١٩٣ الكويت
عـلى طالـب الاشـتراك تحويل القيمة بموجب حوالـة
مصرفيـة أو شيك بالدينـار الكويـتي باسـم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٦ د.ك أو ٢٠ دولارًا باقي دول العالم ٨ د.ك أو ٣٠ دولارًا

ثمـن النسخة

الكويت ٣٠٠ فلس	تونس ٥٠٠ مليم	سوريا ١٥ ليرة
العراق ٤٠٠ فلس	الجزائر ٥ دنانير	الامارات ٧ دراهم
الأردن ٢٥٠ فلسًا	السعودية ٦ ريالات	المغرب ٥ دراهم
البحرين ٤٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٤ ريالات	ليبيا ٥٠٠ درهم
اليمن الجنوبي ٣٠٠ فلس	قطر ٧ ريالات	أوروبا: جنيه استرليني ونصف
مصر ٣٥ قرشًا	سلطنة عُمان ٤٠٠ بيسة	فرنسا ٢٥ فرنكًا
السودان ٢٥ قرشًا	لبنان ٥٠ ليرة	أمريكا ٣ دولارات

محتويات العدد



● صقلية .. التاريخ يخرج من البوابة العربية ص ١٠٠

أدب وفنون :

تاريخ وتراث وأشخاص :



وجها لوجه :
المهندس سعد شعبان
ورؤوف وصفي ص ١٢٩

المجلة
غير ملتزمة
بإعادة أي مادة
تتلقاها للنشر
والوزارة
غير مسؤولة
عمّا يُنشر
فيها من آراء.

منتدى العربي :

مكتبة العربي :

أبوابٌ ثابتة :



صورة الغلاف

خمسون عاماً هي عمر جهاز الأمن في الكويت ، وهو يمنح الإنسان على أرض الكويت الاحساس بالأمان . الاستطلاع المصور « للعربي » يتحدث عن جزءٍ من تطورات هذا الجهاز المهم .
[طالع ص ٣٦]

البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع

عزيزي القارئ

الكويت في عيدها الوطني : انفتاح واسع وطموحات كبيرة

عندما يصلك هذا العدد ، تكون الكويت قد لبست حلة قشيبة ، استعدادا للاحتفال السنوي بعيدها الوطني التاسع والعشرين ، في الوقت الذي تبدأ به الشهور الأولى من عقد التسعينيات . وعندما ننظر إلى عقد الثمانينيات الذي مضى ، ودور الكويت ، بل قل : معاناتها الكبيرة ، نعرف أن هذا القطر العربي الذي جاور حرباً ضروساً ، امتدت ثماني سنوات ، وهي الحرب العراقية الايرانية ، قد استطاع في تلك الفترة العصيبة ، على الرغم من كل الصعاب ، أن ينظر إلى بعيد ، ويسبرأغوار الآتي ، فكان أمله وطنا ومواطنين بانفتاح أكبر وأوسع ، في مرحلة التسعينيات ، على محيطه العربي والإسلامي والعالمي .

فعلى الصعيد العربي حاول ـ ولايزال ـ رأب الصدع العربي ، وقد توج ذلك المجهود بعودة العلاقات العربية ، وكذلك بوضع قاعدة للوفاق اللبناني ، فدرست وأعدت في الكويت وتوجت في الطائف . وعلى النطاق الإسلامي بقي الكويت رئيسا للمؤتمر الإسلامي ، عاملا في أكثر من جبهة لجمع كلمة المسلمين على الخير والتعاون . وفي المجال العالمي بادر في تقديم حلول لقضايا شائكة ، من بينها قضية المديونية العالمية التي يرزح تحت أعبائها ملايين الفقراء .

وعلى الصعيد الثقافي استمرت الكويت في تقديم مساهمتها في الثقافة العربية ، ولعل هذا العدد الخاص الذي نقدمه لك جزء من تلك الهوية . وسوف ترى أن الجهد فيه عربي إسلامي دولي .

فسوف تقرأ عن محكمة العدل الإسلامية الدولية للدكتور عبد الله الأشعل ، والرقش العربي ولماذا يعد جزءاً من فلسفة الفن الإسلامي للدكتور عفيف بهنسي ، كما تقرأ عن صفحة من التاريخ العربي في أعماق البحر الأبيض المتوسط ، حيث اكتشفت بعثة أثرية سفينة عربية غارقة فيها .

كما توالي « العربي » نشر ملفيها عن :

الوطن العربي في التسعينيات والإبداع العربي في الربع قرن الأخير .

أما استطلاعات هذا العدد المصورة فقد توزعت على الأصعدة المحلية والعربية والعالمية :

على الصعيد المحلي ننشر استطلاعاً ، نتناول فيه تطور الخدمة الأمنية بالكويت خلال نصف قرن ، وما يحققه هذا الجهاز المهم من تطور في تقديم خدمات للمواطنين ، ويسهل لهم إجراءات المعاملات اليومية وفق أحدث الطرق التقنية .

أما على الصعيد العربي فيعطينا الاستطلاع صورة قريبة عن الاكتشافات الأثرية الحديثة في مصر .

وتأخذك « العربي » ، في عيونك على العالم ، إلى جزيرة قريبة من شواطئنا العربية ، هي جزيرة صقلية ، حيث كان للعرب المسلمين دورهم التاريخي في بنائها الحضاري .

وهناك موضوعات أخرى كثيرة ، تتناول جوانب عديدة من العلم والطب والثقافة والآداب ، وكلها تصب في هذا التنوع الفني الذي أخذت « العربي » على عاتقها أن تقدمه لك . فإلى العدد . □

المحـــرر

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

نهاية الطريق للنظام الشيوعي كما عرفناه

في عدد يونيو سنة ١٩٨٨، في هذا المكان من «العربي»، كتبت مقالاً مطولاً، عن انطباعات لي بعد رحلة في ربيع ذلك العام إلى الاتحاد السوفيتي، وكان المقال بعنوان: «حين تختفي الأوهام»، أنهيت تلك المطالعة في شئون وشجون الاتحاد السوفيتي المستجدة بمقولة لبسمارك: «إن الروس قد يأخذون وقتاً طويلاً لإسراج خيولهم، ولكنهم ما أن يفعلوا ذلك حتى ينطلقوا مسرعين».

ولم أكن أتخيل حينذاك ـ منذ أكثر من عام ونصف عام ـ أن الخيول التي انطلقت تستطيع أن تغير بهذه السرعة، وبهذا العنف، عالماً بات مستقراً فترة طويلة، كما أن آثار الغبار ظلت وما تزال مستمرة عالقة في الجو، وستبقى كذلك فترة طويلة أيضاً.

منذ ذلك التاريخ إلى اليوم تبين أننا نعيش في وقت التغير السريع، إنه وقت غير عادي، كل شيء يبدو في حالة سيولة شديدة، والتغير هو

هل بريجنيف وستالين هما اللذان جاءا بالنظام أو أن النظام هو الذي جاء بهما؟

شعار المرحلة العالمية الحالية، إلى درجة أن أحد الكتاب البريطانيين كتب يقول: «إن مر عليك أسبوع لم تتابع فيه ما يحدث في العالم فسوف تفوتك أشياء كثيرة».

يبدو أننا نعيش في منعطف تاريخي عظيم، إنه نهاية عصر بأكمله، نهاية عصر الثورة البلشفية، نهاية عصر الحرب الباردة، ونهاية عصر الرأسمالية الاحتكارية، إنه ذاك الوقت من المنعطف التاريخي الذي يبحث الكل فيه عن ذاته وعن انتمائه وعن مستقبله.

خطورة الحديث عن ظاهرة، أو ظواهر معينة، في فترة مثل فترة الانعطاف العظيم هذا، أن الأحداث تسبق كل الأخيلة الجامحة، وكل الخيول المنطلقة.

لقد نشرت صحافتنا، على امتداد الوطن العربي، وكتب كتابنا عن هذه التحولات الكبيرة التي تحدث في الاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية، بل وعقدنا اللقاءات الموسعة لدراسة هذه الظاهرة، ظاهرة التحول، وتعاظم هذا النقاش عن النظام الاشتراكي والماركسية والشيوعية، وعما يحدث في الاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية، وتعددت الاجتهادات في تفسيره وتحليل أسبابه، فمن قائل بأن النظرية (الشيوعية) نظرية عقيمة، وأن تطبيقاتها فاسدة، وهي لا ريب في سبيل الانحلال والتفكك والذوبان إلى الأبد، فهي مسار خارج التاريخ الانساني، ويدلل هذا الفريق على قوله ذاك بعشرات من الحجج والبراهين. ومن قائل بأن الخطأ مصدره التطبيق فقط، وأن القائمين على النظام يصححون أنفسهم ونظامهم. ومن قائل بأن المشكلة في وجود (أمراض) في التطبيق كالجمود، والبيروقراطية، وانعدام الحافز، وهي أمراض قد تصيب أي نظام، بصرف النظر عن فلسفته، فتعطل فاعليته.



باختصار انقسم المراقبون: إما إلى نقد الفكرة الشيوعية من أساسها، أو إلى نقد الأداء والممارسات.

لكن السؤال الذي ظل يحيرني هو:

ماذا نستفيد، وبماذا نتضرر - نحن العرب - من كل هذا الذي يجري هناك، قريباً من حدودنا الشمالية وحدودنا الشمالية الشرقية؟

لا يمكن أن نعرف ماذا يفيدنا أو ماذا يضرنا من كل ذلك، إن لم نعرف، على أقرب وجه من الدقة، أسباب ما يحدث ودوافعه ونتائجه.

صُعود الاشتراكية وانحدارها :

إحدى صعوبات الاقتراب من الموضوع هي الإشكالية المعرفية، فأنت إن تكلمت عن «الشيوعية» أو«النظام الشيوعي» ربما تعني شيئاً محدداً، وإن تكلمت عن (الماركسية) أو«الماركسية اللينينية» فإنك تعني شيئاً آخر، وإن تكلمت عن الاشتراكية الديمقراطية فقد تعني شيئاً ثالثاً.

وكثيراً ما نرى الخلط في الكتابات والتعابير واستخدام المفاهيم السابقة المختلفة، وكأنها تعني شيئاً واحداً، وذلك غير صحيح على إطلاقه.

كما أن (تثمين) هذه المفاهيم، أو الوزن النسبي لها، قد اختلف بين فترة زمنية وأخرى.

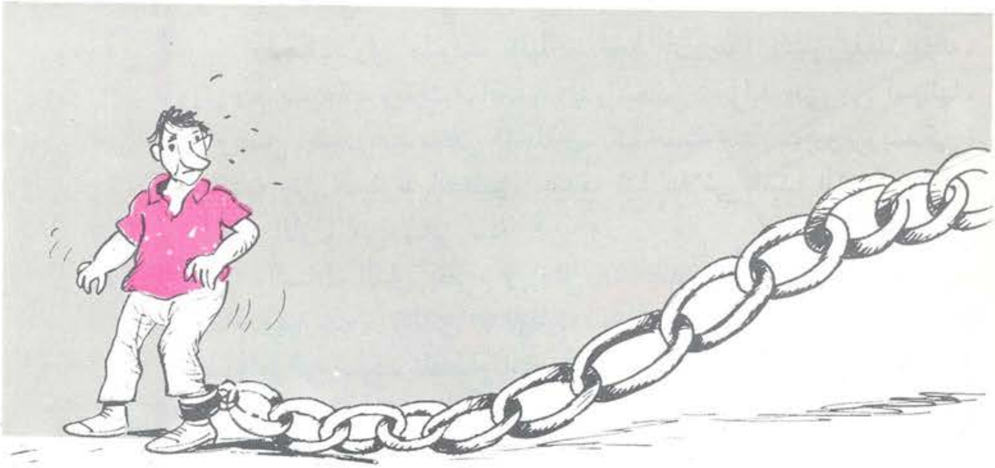
من هذه الصعوبة المعرفية يبدو الدخول إلى الموضوع شائكاً غير سالك، لكننا سنحاول.

لقد مر وقت على عالمنا الذي نعيشه، في هذا القرن، والنظام «الاشتراكي»، بتعاليمه الماركسية اللينينية، هو الهدف لملايين البشر، وقد اختلفت مناطق ودوافع انطلاقهم إلى ذلك الهدف إما جغرافياً ـ في قارات العالم الخمس ـ أو ثقافياً ـ من ثقافات مختلفة ـ أو في المستوى الاقتصادي والاجتماعي من دول مصنعة أو شبه مصنعة، إلى دول زراعية، إلى دول قريبة من اقتصاد الكفاف، كما في افريقيا. كان الانطلاق والدافع من نقاط مختلفة، لكن الهدف هو ذاك البريق الغامض للتحرر والانعتاق.

كما مر وقت على عالمنا الذي نعيشه، وثلث عدد سكانه يعيش تحت نظام (شيوعي) أو آخر، وكانت الفكرة نفسها، باختلاف تطبيقاتها، أملاً لملايين البشر في أنحاء متفرقة من آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية، بل تبنت بعض الدول أنظمة، سمتها (الاشتراكية)، بعيداً عن الاصطدام بالثقافات المحلية، وهي في جوهرها متأثرة بالفلسفة الماركسية اللينينية. بعض هذه الدول تكيف مع الفلسفة العامة، وتغير هو، وغير جزءاً منها، كي تلائم حاجاته ومتطلباته، وبعض أنظمة أخرى نقل الفلسفة والتطبيق نقلاً حرفياً، أولجه في تناقضات، ومازال يعاني منها.

هذا القبول الواسع في بداية الأمر والترحيب الكبير جاء نتيجة عدة أسباب عميقة وتاريخية، فقد جاءت النظرية كأفكار وفلسفات، على

النظرية الماركسية نتاج عصر البخار الأوربي لكن الأهم أنها نظرية تنظر إلى المستقبل من منظور الماضي



نقيض الأفكار والفلسفات والتطبيقات التي فرضتها الرأسمالية العمياء في القرن التاسع عشر، من ظلم اجتماعي وسياسي واقتصادي إبان ظهور الثورة الصناعية في أوربا، كما قبلها بعضهم في عالم المستعمرات القديم الذي نعم بالعتق من استعمار الدول الرأسمالية بعد الحرب الكونية الثانية، لقد قبلها كحل سياسي اقتصادي، يتبنى طريقاً آخر، غير طريق الدول المستعمرة نفسها. لقد كانت النظرية تلاقي من الإعجاب والجاذبية ما يدفع دولا جديدة ومجتمعات نامية للدخول في تيارها العام.

لقد نجح الاتحاد السوفيتي ـ كقائد لهذه النظرية وتطبيقاتها ـ فترة، في أن يحول معظم سني القرن العشرين إلى عصر يمكن تسميته عصر انتشار «الشيوعية» أو تطبيقاتها المختلفة. لقد حمل هذا الانتشار بلاداً كالولايات المتحدة، على الرغم من جدة الأنظمة التي تبنتها لخلق مجتمع مزدهر، إلى الوقوف موقف الدفاع عن النفس في وجه ذاك التدفق الهائل للأفكار والممارسات (الشيوعية).

لقد انتشر المذهب الجديد من الصين بملايينها من البشر إلى وسط أوربا وإلى أمريكا اللاتينية وإلى افريقيا، وأصبح هو التيار الذي لا يقاوم.

بل أخذت دول في أوربا الصناعية الغربية تتواءم تطبيقاتها الاقتصادية والاجتماعية مع بعض من أفكار النظرية العامة، وقامت أحزاب في عقر دار تلك الدول تسمي نفسها الأحزاب الشيوعية، وتطالب بتطبيق النظرية في بلادها، ويسعى وراء تلك الأحزاب ملايين من البشر.

حتى لا نتصايح ـ نحن العرب ـ بأعلى أصواتنا: «لقد كان خطأ في الأساس أن نتبعهم».

وفجأة، وفي سنوات قليلة، نجد أن هذا التيار يفقد زخمه، ويتراجع بسرعة، ويترك مواقعه، ويتبرأ بعض أحزابه حتى من أسمائها، بل ويصل الخيال عند بعض المحللين، كما حدث عند زبنجيو برزينسكي، في كتابه عن السقوط العظيم، عندما تنبأ بتلاشي المبدأ الشيوعي نهائياً بحلول الأول من يناير سنة ٢٠٠٠.

والسؤال الذي يطرح في مثل هذه الظروف: ما الذي حل بهذا النظام وبممارسته، والذي بدا فترة طويلة من هذا القرن وكأنه الموجة الصاعدة التي سوف تكتسح أمامها الأنظمة الأخرى؟ وما الذي أدى إلى فشله، وجعل الناس أفواجاً يفرون من أيديولوجيته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية؟

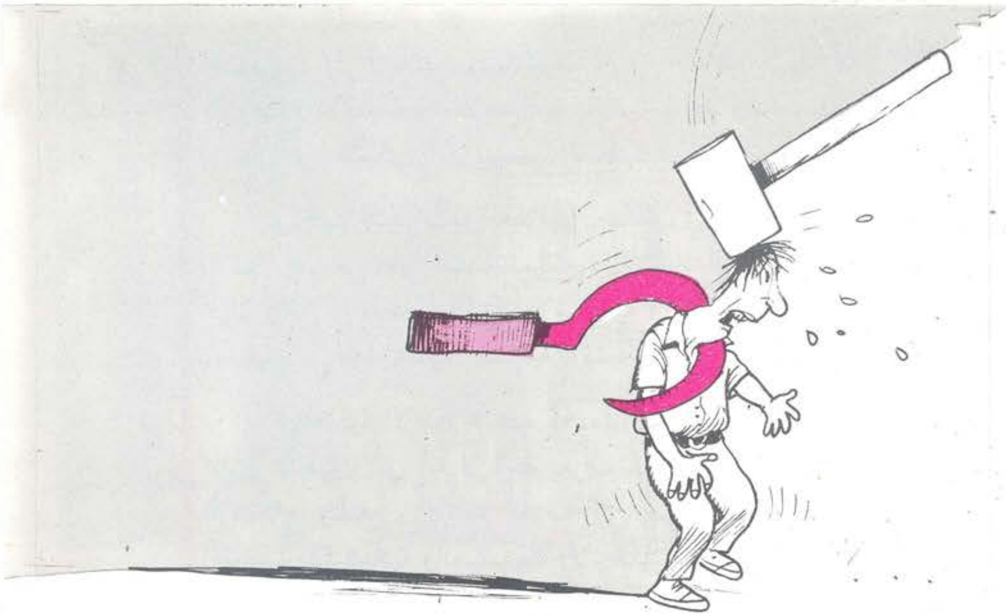
الإجابة عن مثل هذه التساؤلات ليست سهلة ولا ميسرة، وهناك عشرات الاجتهادات المطروحة، فبعضهم يقول تفسيراً لما نراه من تراجع وفوضى في السقوط: إن ذلك من علامات تجديد المنزل، فكل الحجرات يعاد تجديدها، إلى درجة أن سكان المنزل وأثاثه باتوا على قارعة الطريق، وتلك صورة «كاريكاتورية» لما حدث ويحدث، لكن الصورة الأقرب والأعمق أنه قصور في القدرة السوفيتية ـ مركز هذا النظام ـ على الاحتفاظ بالمكانة نفسها التي كان يحتلها النظام الشيوعي في نفوس الكثيرين. إنه الصعوبات الاقتصادية والتنظيمات السياسية، إنه الخبز والحرية.

حقيقة الأمر أن النظرية الماركسية هي نتاج عصر البخار الأوربي، طور بعضاً من أفكارها الرئيسة لينين في نهاية القرن الماضي، وبداية هذا القرن، لكن الأهم أنها نظرية تنظر إلى المستقبل من منظور الماضي.

تناقضها الفلسفي أنها تدفع المثقفين المنتمين إليها، أو المتعاطفين معها، إلى الغوص بعمق لتفهم حقيقة العالم الذي يعيشون فيه، ثم تقدم لهم الحل للتخلص من هذه المشاكل التي تعمقوا في فهمها، وهو حل من نتاج ملابسات القرن التاسع عشر. مشكلات جديدة وحلول قديمة، نظرة إلى المستقبل بحلول الماضي، مشكلات آنية معقدة، ونصوص قديمة، تلك هي الإشكالية العظمى أمام هذه الفلسفة، وأمام هذا النظام. لذلك أصبحت أدوات خلق حلوله قيداً يضيق أكثر فأكثر حول عنقه، حتى وصل إلى مرحلة الأزمة.

أدوات مثل التخطيط المركزي: الدولة المتسلطة، الحزب الواحد، غياب المجتمع الأهلي، عبادة الزعيم، كلها هي التي خلقت المجتمع

لقد نجح الاتحاد السوفيتي كقائد للنظرية الماركسية في أن يحول معظم سني القرن العشرين إلى عصر انتشار الشيوعية أو تطبيقاتها المختلفة



نشاهد على مسرح العلاقات الدولية غياب القطبية والاستقطاب وظهور الوفاق الجديد وتوازن المصالح

الجديد في بداية الأمر، لكنها عادت قيدا على حركته إلى الأمام بعد ذلك، وكان لابد من إعادة النظر في كل تلك الأدوات، واستنباط حلول جديدة لمشكلات جديدة، لا توجد اجابات عنها في النصوص السابقة، وفي بعض الأحيان يجب أن تكون هذه الاجابات متناقضة مع النصوص أصلاً.

وكانت المشكلات كثيرة ومعقدة ومتراكمة، لذلك جاءت بعض الحلول سريعة وعنيفة وغير متوقعة.

ديناميكية الإصلاح:

لدينا وجهتا نظر رئيستان، في فلسفة الإصلاح السائد ومساره، وهما تظهران لدى المتابعين لهذه القضية الكبرى، إحداهما تقول: إن الإصلاح ما كان له أن يتم لولا وجود جورباتشوف، الرجل الذي فهم العصر، وفهم مجتمعه، وتقدم خطوات شجاعة، لاتخاذ ما يعتقد أنه يلزم، من أجل التنمية وصالح المجتمع. ووجهة نظر أخرى تقول: إن الإصلاح كان لابد أن يأتي، فقد نضج الظرف الموضوعي في الاتحاد

السوفيتي، ولو لم يأت جورباتشوف لجاء واحد غيره ليبدأ هذه الخطوات، فالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية قد وصلت إلى مرحلة لم يعد بعدها من الممكن أن يستمر الصمت.

ووجهتا النظر - على خلافهما - تتفقان في نقطة واحدة، هي أنه لولا ما تم ويتم من حوارات وتغيرات في الاتحاد السوفيتي نفسه، لما تم أي تحرك وتغير في منظومة الدول الاشتراكية في أوربا الشرقية، من بولندا إلى رومانيا، مروراً بالمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا، وغيرها.

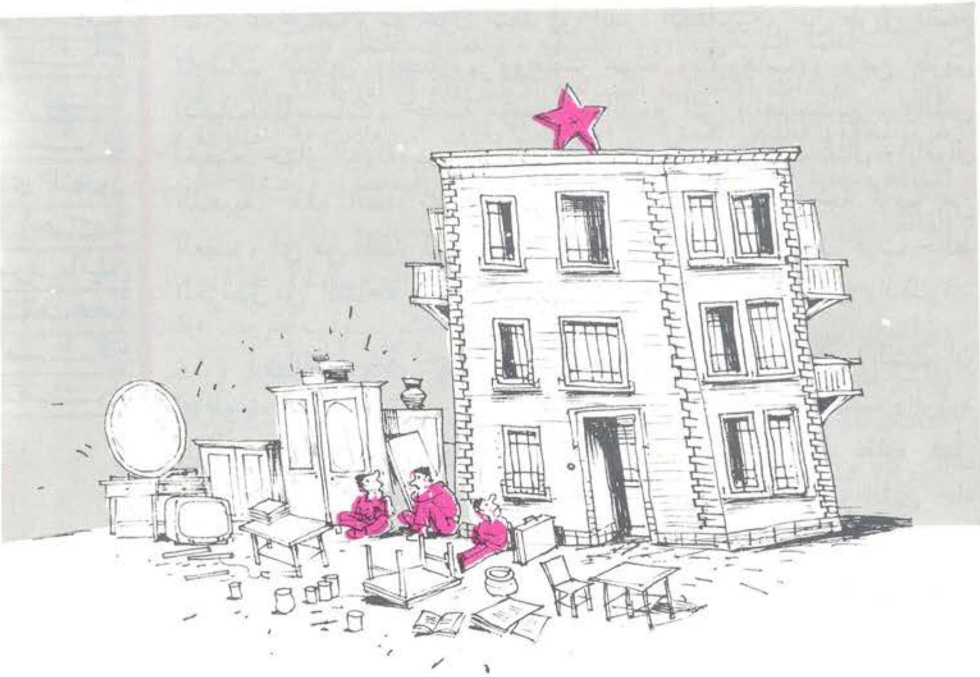
ديناميكية الإصلاح هذه لها بعد آخر، وهو أنه لا يبدو لها سقف في المدى المنظور، أي أنه لا أحد يعرف على وجه اليقين أين ستقف عجلة الإصلاح والتغير، لاأحد يعرف أين ستقف هذه العجلة من تطوير القوانين الاقتصادية والسياسية، ولا أحد يعرف أين ستقف جغرافياً، هل في أوربا الشرقية فقط، أو في دول مثل الصين وكوريا الشمالية وكوبا، ودول أخرى تبنت الفكرة (الماركسية) دون تسميتها بوضوح في مناطق أخرى من العالم. فذلك سؤال مفتوح.

فإن قيل: إن ما يحدث هو فقط ترتيب للبيت من جديد، بوضع طلاء آخر، ثم يعود السكان من جديد إليه، فذلك ممكن الحدوث، وإن قيل: إن البيت كله آيل للسقوط، وسوف يقام بدلاً منه بيت آخر، فذلك أيضاً ممكن الحدوث.

الصورة الأقرب والأعمق لتفسير ما يحدث تكمن في قصور القدرة السوفيتية «مركز النظام» على الاحتفاظ بالمكانة التي كانت تحتلها في نفوس الناس

لماذا تبنينا هذين الاحتمالين الممكنين على حد سواء بهذه الصورة؟ الاحتمالان ممكنان من خلال ملاحظة ديناميكية التغير التي تحدث في النظام ككل، فالنظام في الاتحاد السوفيتي بشكله النهائي مكون من مثلث ذي مستويات ثلاثة: قاعدته السفلى الأساس هي النظرية الماركسية، وتطوير لينين لها، وممارسته في تشكيل الدولة في بداية الثورة البلشفية، وفي وسط هذا المثلث التجربة الستالينية الطويلة، وفي قمته تجربة بريجينيف الطويلة نسبياً، ولإصلاح هذا الهيكل الهرمي الكبير تم البدء من أعلى، ولكن المستويات الثلاثة متشابكة بعضها مع بعض، ومؤثرة ومتأثرة بعضها ببعض أيضا.

ومن التكتيكات التي اتبعها جورباتشوف ومعاونوه، والتي يمكن ملاحظتها، أنه منذ بدأ الإصلاح في منتصف الثمانينيات نلاحظ شكلين من الخطوات:



مَا زال العَربُ متطلعين إلى التغيّر السّلمي الذي يخفّضُ من أمراض الجمود والبيروقراطية وانعدام الحوافز وتسلط الحزب الواحد

الأول: يحدث في الاتحاد السوفيتي للتعامل مع أعلى المستويات وهو الأقرب تاريخياً وإن صادفته صعوبات على هذا المستوى تحول إلى أوربا الشرقية، لنقد ممارسات المستوى وأفكاره، وعندما ينتهي منها يعود من جديد إلى نقد مثل تلك الممارسات والأفكار في الاتحاد السوفيتي نفسه، ومحاولة خلخلة قاعدتها الاجتماعية، وهكذا.

ولو تابعنا هذا التكتيك بأمثلة لتبين لنا مساره بوضوح:

ففي البداية بدأ جورباتشوف مع مجموعة الإصلاحيين بنقد التجربة البريجينفية، ووصفها بمرحلة «الركود العظيم»، وتمت مهاجمة بعض ظواهرها وسلوكياتها الداخلية والخارجية. لقد كان النقد منصبا على (تخلف) الاتحاد السوفيتي في هذه الفترة عن مواكبة العالم، ونقد الممارسات السلبية والفساد السياسي والتلف في النظام الاقتصادي، كما تم نقد التدخل السوفيتي في أفغانستان، والتدخل غير المبرر في أماكن أخرى من العالم، خاصة في دول أوربا الشرقية، بل لقد كان اتساع الهوة بين الاتحاد السوفيتي ومنافسه الرئيس ـ الولايات المتحدة وأوربا الغربية ـ في مجالات التقنية والانتاج والتوزيع، وفي مجالات الاتصال والثقافة، محط نقد لاذع

ديناميكية الإصلاح ليس لها سقف في المدى المنظور ولا أحد يعرف أين ستقف عجلة الإصلاح والتغيير

للفترة البريجينفية، ثم تحول النقد إلى الفترة الستالينية، عن طريق فضح ممارسات ستالين وأنصاره، ووصف عهده (بالإرهاب)، وعن طريق تفكيك المؤسسات، خاصة مؤسسات القمع التي بناها ستالين، والذي أخضع جهاز الدولة كله للرئيس الفرد، صاحب الألف تمثال والأقوال الذهبية. هذا النقد تنامى في السنوات الأخيرة إلى درجة قريبة من العظم، أي من أفكار لينين نفسه الذي ما زال جسده مسجى قرب حائط الكرملين في الساحة الحمراء، وما زال محط توافد المخلصين والنظارة.

وبدأت أسئلة أخرى تظهر أولا على استحياء، ثم ما لبثت أن تعاظمت. هذه الأسئلة من أمثلة: إذا كان كل ذلك التخلف والركود والإرهاب قد جاء به بريجينيف وستالين قبله وهي محط نقد، فهل بريجينيف وستالين هما اللذان جاءا بالنظام، أو أن النظام هو الذي جاء بهما؟ وإذا كان النظام هو الذي جاء بهما فمن الذي جاء بالنظام؟

إنه لينين.

وهنا بدأت الأمور تأخذ طابع الحدة أكثر، فقد كان لينين في كل عصر هو الوحيد البعيد عن النقد، وهو المرجع الفكري، وكل كتاباته هي المرجحة عند الاختلاف، وهي المؤثرة للتدليل على قوة الحجة، وهو الأب الروحي الذي يجب أن لا يمس.

وإذا كان يجب أن لا يمس في هذه الفترة فماذا عن تطبيقاته السياسية التي تبنت، على سبيل المثال، التخطيط المركزي، والحزب الواحد، وكل مفردات «مفهوم الدولة» اللينينية؟

إذا كانت هذه المفردات لا يمكن أن تمس في الوقت الحالي، في الاتحاد السوفيتي، بسبب سخونة خطوات التغير، وبعد نتائجه عن الظهور للجماهير في هذه الفترة، وبسبب تواجد «الحرس القديم» الذي يعد هذا التراث تراثا شخصيا ومجتمعيا له، يجب أن لا يمس، فلا بأس من التحرك في أوربا الشرقية، كما فعل جورباتشوف ومعاونوه. هناك بدأت الخطوة (الثانية) التي يمكن أن تتحقق فيها تغيرات أسرع وأعمق، وبطريقة تكشف امتيازات الطبقة الحاكمة وتخوف في الوقت نفسه تلك الطبقة الجامدة في الاتحاد السوفيتي، عن طريق الإشارة والتلميح الذي مفاده: إن لم تواكبوا التغير فإن مصير بعضكم سيصير إلى مصير القادة المتجمدين الذين أطيح بهم.

الخطوة الثانية في أوربا الشرقية، وبصرف النظر عمن جاء، ومن رحل من قيادات الأحزاب الشيوعية الاشتراكية في أوربا الشرقية، كانت لها نتائجها، فالناظر بعمق إلى الأحداث يعرف أنها قادت إلى مجموعة من النتائج، منها: فك سلطة الحزب الواحد عن السلطة، واختفاء الحزب القائد من على سطح الأحداث السياسية.

بعض هذه البلدان في أوربا الاشتراكية كان مهيأ قبل فترة، مثل (بولندا) التي ظهرت فيها حركة «تضامن» قبل عشر سنوات تقريباً، وكان (الشريك) ـ وإن أردت (البديل) ـ جاهزاً لاستلام السلطة. وبعض البلدان الاشتراكية الأخرى أخذت على حين غرة ـ كما يقال ـ مثل ألمانيا الشرقية ورومانيا، وليست هي في ظني بالأخيرة في سلسلة التغيرات.

التغيرات التي تمت في أوربا الشرقية تغيرات تؤثر على المستويين الثاني والثالث في الهرم الذي ذكرناه وأتاحت بدورها في الاتحاد السوفيتي ـ وتتيح ـ الفرصة لنقد أفكار وممارسات في ذلك المستوى وهي أفكار وممارسات بنيت عليها الدولة الاشتراكية الحديثة.

لكن السؤال المنطقي هو: هل ذلك ممكن، في ضوء هذا التاريخ الطويل من ثبوت المصالح، وتشابكها لدى الفئة التي تتولى الرقابة على المصالح، وتقديم المكافآت، وقضاء الاعمال، ومنح النفوذ، وتلك العلاقات المتشابكة بين (الأممي) و(القومي) في داخل الحدود السوفيتية؟

هل بالإمكان الحديث عن تعددية سياسية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي، وأحزاب مختلفة، وفوق ذلك انتخابات حرة، كما حدث ويمكن أن يحدث في دول أوربا الشرقية؟

هنا يقول بعضهم: إن ديناميكية جديدة قد خلقت، هي ديناميكية الإصلاح نفسه، وهي ككرة الثلج، كلما تدحرجت كبرت، فالمشكلة أن الإصلاح قد حطم، أو هو في طريقه إلى تحطيم الكثير من الأشياء والقيم والأفكار القديمة، ولكن الأشياء والقيم والأفكار الجديدة لما تكتمل بعد، فالصورة ما زالت ضبابية، ونحن في حالة مشاهدة متوسطة بين القديم والجديد. هنا تبرز التساؤلات: إلى أي مدى، وفي أي الأماكن، يمكن أن تسير عجلة الإصلاح؟

فجأة وفي سنوات قليلة يفتقد التيار زخمه ويتراجع بسرعة ويترك موقعه ويتبرأ بعض أحزابه حتى من أسمائها

المعضلة أمام القيادة السوفيتية هي فهمها أن استعادة احترام العالم لنظامها يتطلب منها التنكر لمعظم الأعمال التي كان يقوم بها قادتها السابقون، والأدهى من ذلك أن هذا التنكر ليس من ناحية الممارسات

فقط، ولكن في جزء منه ـ يكبر أو يصغر ـ في المبادىء والأفكار أيضا.

وكلما تخلت هذه القيادة عن المباديء والأفكار في سبيل إصلاح الممارسات، تخلت عن النظرية في الوقت نفسه، فلن تسعفها النصوص القديمة، بل سوف تتناقض معها.

لقد بدأت خطوات الإصلاح بمراجعة، ثم قادت إلى احتمال كف يد الحزب الشيوعي في الدولة الأم من التصرف بمفرده، ثم حقوق القوميات، ثم الملكية الخاصة، ثم حرية الأفراد، إنها متغيرات تفرز متغيرات جديدة، وهكذا.

ويبقى السؤال معلقا : هل ديناميكية الإصلاح هذه ستؤدي إلى تطور النظام الشيوعي، كما عرفناه، إلى نظام اقتصادي خلاق، قادر على المنافسة مع النظم العالمية الأخرى، من جميع الوجوه، أو أن ذلك سيؤدي إلى اضمحلال الفكرة الشيوعية كما عرفها العالم في هذا القرن، وإلى اختفائها من مسرح الأحداث ؟

تلك أسئلة ليس من السهل، أو حتى من الممكن، في الفترة الحالية الإجابة عن بعضها.

لا أحد يجادل في أن العرب يحتاجون إلى إعادة نظر في أمورهم الداخلية والخارجية

ما الدروس ؟

قلت في صدر هذا الحديث : إن السؤال الذي مازال يحيرني، وربما يحير كثيرين غيري : ماذا يضرنا وماذا ينفعنا ـ نحن العرب ـ من كل هذه التغيرات ؟

لقد كتب أحد الكتاب البريطانيين المهتمين بالشأن العربي مقالة مطولة عن العرب سنة ٢٠٠٠، عرج فيها على العلاقة بين العرب وبين مايجري هناك في الاتحاد السوفيتي ودول أوربا الشرقية، وتحدث عما سماه : « النموذج الشيوعي »، وفرق بينه وبين « الشيوعية »، «فالنموذج الشيوعي» قد تبناه بعض العرب ـ على حد قوله ـ الذين لم يتحيزوا للشيوعية، ولكنهم تأثروا في حياتهم السياسية والاقتصادية بالنموذج. وسمات هذا النموذج ـ كما يقول ـ مألوفة عند بعضنا، الحزب الواحد الحاكم، واقتصاد مركزي التخطيط، عبادة الفرد، ويذهب ذلك الكاتب في عده لتلك الصفات الكثيرة.



> في فترة الانعطاف العظيم الاحداث تسبق كل الأخيلة الجامحة وكل الخيول المنطلقة

وقد لا يكون ذاك الكاتب محقا كل الحق في ما ذهب إليه، إلا أن أحدا منا لا يجادل كثيرا بأن العرب يحتاجون إلى إعادة نظر أساس وعلمية، في أمورهم الداخلية والخارجية.

فعلى الصعيد الخارجي هناك وفاق جديد، يسود العالم، وتكاد القطبية والاستقطاب ينتهيان من مسرح العلاقات الدولية، يعوض عنهما توازن مصالح جديدة، ويحتاج العرب فيه أن يحددوا بالدقة المتناهية موقعهم من كل ذلك، وأولى الخطوات الصحيحة في هذا التوجه هي العودة إلى الذات. لقد مل كثير من العرب الاختلافات العربية العربية، والصراع العربي البارد منه والساخن، والمماحكات التي لا تضيف شيئا، واستمرار هذه المماحكات العربية ينبيء عن نظرة قاصرة في فهم أمور العالم وكيف تسير.

أما على الصعيد الداخلي فإنه عدا تجارب قليلة ما زال العرب متطلعين إلى التغير السلمي الذي يخفض من أمراض الجمود والبيروقراطية وانعدام الحوافز وتسلط الحزب الواحد.

في العلاقات الدولية وفي البناء الداخلي نحن مجبرون على إعادة النظر، من أجل التغير السلمي الذي يحفظ لنا أوطاننا ومنطقتنا من الانزلاق إلى اضطراب عظيم، ما زال يتفاقم هناك في الشمال، دون مرفأ معروف، يبدو أنه سيصل إليه، وقد يبدأ اضطراب مماثل في الجنوب.

ومن الدروس الكبيرة التي يمكن أن نخرج بها، مما نسمع ونشاهد، خطورة تبني حلول جاهزة وتاريخية لمشكلات جديدة غير مسبوقة، فتلك الحلول، وإن بدت نظريا على الورق وردية، فهي ليست بالضرورة قادرة على حل مشكلاتنا العصرية، المتسمة بالطموحات الكبيرة والركض السريع، وظهور الفئات الاجتماعية الجديدة.

لقد عانينا ـ نحن العرب ـ في تاريخنا المعاصر والحديث، من تبني تلك الحلول الجاهزة التي ابتكرت في مجتمعات أخرى بعيدة. لقد واجهوا مشكلات وقدموا حلولاً لها، نابعة من اجتهاداتهم وحضارتهم وثقافتهم ومواردهم الاقتصادية وأوضاعهم الاجتماعية، وعلينا أن نفعل ذلك، لا أن نتلقف حلولهم، كي نطبقها على أنفسنا تطبيقاً أعمى، وعندما يكتشفون خطأها نتصايح نحن بأعلى أصواتنا: لقد كان خطأ في الأساس أن نتبعهم.

محمد الرميحي

أقوال

■ لم يثر الفلسطينيون في الأرض المحتلة من فقر ، إنهم يريدون أكثر من الخبز ، إنهم يريدون الدولة !

ياسر عرفات



● ياسر عرفات

■ « أخطر فترة في حياة أي كائن سياسي ، بل وأي كائن إنساني ، هي اللحظة التي يقرر فيها مواجهة الواقع ، لأنه بهذا القرار يدخل في امتحان المصائر فعلاً ، فإما النجاح وإما السقوط » .

محمد حسنين هيكل

■ يبدو أننا ، كشعب ، لا نفرح كثيرا باختلاف الآراء ، لا في المجالات السياسية ، ولا في الثقافية أو الفكرية ، إننا نريد أن (نرسى) على رأي واحد ، وتنتهي مهمتنا ، ونكف عن التفكير .

د. يوسف إدريس



● محمد حسنين هيكل

■ أمد يد الصداقة والصدق إلى الجميع لإنقاذ لبنان .

الياس الهراوي

■ كل انتخابات في « العالم العربي » ترفع شعار تحرير فلسطين .

ليلى شرف
أول أردنية تُعين في مجلس الأعيان الأردني



● الياس الهراوي

■ « أحياناً أشك بمعرفتي بالشعر حين أرى شاعراً شديد الجودة يحاصر بهذه الكثافة من التجاهل . إن التجاهل مدرسة نقدية كاملة ، تخفي خلفها سوء نية وتآمر لا حدود لهما . » .

عبد الرحمن الأبنودي

■ يشكل المسلمون الذي يبلغون ٥٣ مليون نسمة من مجموع السكان البالغين ٢٩٠ مليونا ثاني أكبر مجموعة سكانية من الاتحاد السوفيتي بعد الروس .

كتاب الهلال في سماء حمراء
تأليف : أمير طاهري



● عبد الرحمن الابنودي

العلاقات الاقتصادية العربية

توقعات وآفاق

بقلم : الدكتور نعيم الشربيني

« لاينفصل الواقع الاقتصادي العربي عن تأثيرات الاقتصاد العالمي ، وعلى الرغم من ذلك فإن الوطن العربي يستطيع أن يلعب دورا أكبر في تدعيم علاقاته الاقتصادية وتطويرها لمواجهة كل تأثيرات وتحديات الاقتصاد العالمي وتغيراته ، وهنا يكمن التحدي العربي في العقد القادم » .

إن العلاقات الاقتصادية العربية في التسعينيات ستكون محصلة مجموعتين من العوامل : الأولى ، عوامل هيكلية تعبيرا عما حدث في المجال الاقتصادي في السبعينيات والثمانينيات . والثانية ، السياسات الحالية التي تحكم حركة الاقتصاد القومي في مختلف الأقطار العربية . وفي هذا التحليل نتعرض للاعتبارات الداخلية الخاصة بالأقطار العربية نفسها ، كما نتعرض للاعتبارات الخارجية والدولية التي تؤثر على الأقطار العربية كمجموعة ، آخذين في الاعتبار أن التجمع العربي - بنفطه ومزارعه ومصانعه وحضره وريفه - لايزيد انتاجه عن ٣٪ من الانتاج العالمي .

السبعينيات : سنوات الطفرة

ولقد بدأت الأقطار العربية تظهر على ساحة الاقتصاد العالمي كقوة مؤثرة في أوائل السبعينيات ، عندما استطاعت مجموعة « الأوبك » تحريك أسعار النفط في البداية ، ثم إحداث طفرتين كبيرتين في تلك الأسعار : الأولى عام ١٩٧٣ والثانية عام ١٩٧٩ ، وهو ما أدى إلى طفرات مماثلة في عائدات بعض الحكومات العربية من النفط . وعلى وجه التحديد ، فبينما كان متوسط العائدات السنوية للحكومات العربية مجتمعة من النفط أقل من ٣ مليار دولار سنويا أثناء الفترة ٦٣ - ١٩٦٩ ، فقد قفز المتوسط إلى ٦٥ مليار دولار سنويا أثناء الفترة ٧٤ - ١٩٧٨ ، ثم إلى ١٧٦ مليار دولار سنويا أثناء الفترة ٧٩ - ١٩٨٠ . والجدير بالذكر ، أنه لم يسبق لأي بلد أو مجموعة على مر التاريخ أن شهدت مثل هذه الطفرات في مواردها المالية في مثل هذا الوقت القصير .

ولقد نتج عن تلك التدفقات المالية الهائلة توسع مفاجيء في كل شيء في اقتصاديات البلاد النفطية . فقد توسعت تجارة الواردات ، من

حوالي ٣ مليار دولار سنويا أثناء الفترة ٦٣ - ١٩٦٩ إلى ٣١ مليار دولار سنويا أثناء الفترة ٧٤ - ١٩٧٨ ، ثم إلى ٧٧ مليار دولار سنويا أثناء الفترة ٧٩ - ١٩٨٠، وشملت هذه التجارة كل أنواع السلع الاستهلاكية والاستثمارية . وتدفقت التقنية الحديثة بما يشبه الهوس على بلاد المنطقة بغض النظر عن ملاءمة الآلات والمعدات المستوردة للبيئة العربية أو الإنسان العربي . وعلى الرغم من التوسع الهائل في الانفاق الحكومي في البلاد النفطية ، سواء للأغراض الاستهلاكية أو الاستثمارية ، إلا أن عائدات النفط كانت أكثر من ذلك بكثير ، وهو ما أدى إلى تحقيق فائض مالي في الموازنة العامة للحكومات النفطية ، بلغت قيمته التراكمية في نهاية عام ١٩٨٠ حوالي ٤٠٠ مليار دولار .

وبقدر ما تغيرت العلاقات الاقتصادية بين المنطقة العربية ككل وبقية دول العالم نتيجة للطفرات بقدر ما تغيرت العلاقات الاقتصادية داخل المنطقة العربية بين الأقطار النفطية وغير النفطية . ولعل أهم هذه التغيرات هو ما حدث في أسواق العمل ورأس المال . فلقد ارتفعت معدلات النمو الاقتصادي في الأقطار النفطية ، وهو ما رفع من حدة الطلب على استيراد العمالة من الخارج لاسيما من الأقطار العربية غير النفطية . ولقد أدت تلك التدفقات العمالية في الأقطار النفطية إلى تدفقات مالية مقابلة في الأقطار غير النفطية تمثل تحويلات العاملين في الخارج ، تقدر في عام ١٩٨٠ وحدها بحوالي ١٣ مليار دولار ، منها مالايقل عن ٨ مليار دولار إلى الأقطار العربية غير النفطية . كذلك فقد زادت الاستثمارات الحكومية والأهلية من البلاد النفطية في البلاد غير النفطية ، وتكونت شركات كثيرة متباينة الحجم ، لاستغلال الفرص الاستثمارية في كل ركن مثمر من أركان الوطن العربي .

وبنهاية السبعينيات كانت تدفقات العمالة والأموال قد وصلت إلى مستويات تفوق بكثير ما تنبأ به المفكرون والمحللون في منتصف ذلك العقد ، فلقد بلغ مجموع العاملين الوافدين إلى الأقطار النفطية الخليجية (بما فيها العراق) في نهاية عام ١٩٧٩ حوالي ٢,٣ مليون عامل ، وبحساب المرافقين ، فإن حجم السكان الوافدين كان يزيد بكثير عن ٥ ملايين نسمة ، معظمهم من الأقطار العربية . أما نسبة أولئك الوافدين إلى حجم العمالة الكلية فقد وصلت الى مستويات عالية حتى في البلاد ذات الوفرة السكانية مثل العراق (١٥ ٪) ، أما في البلاد ذات الندرة السكانية فقد كان العمال الوافدون يمثلون الأغلبية . إذ وصلت نسبتهم في المملكة العربية السعودية إلى ٥٣٪ ، وفي الكويت ٧٨٪ ، وفي الامارات ٨٩٪ ، وكم شطح الخيال في وصف الظاهرة بأنها « ثورة صامتة » ستقلب الأوضاع القديمة ، وتقهر التخلف الاقتصادي ، وتقيم اقتصادا عربيا موحدا من الخليج الى المحيط ، يأخذ بأسلوب تكامل عناصر الانتاج على مستوى الوطن العربي ككل : الأموال النفطية والعمالة غير النفطية والموارد الطبيعية الوفيرة . أخيرا جاءت فرصتنا ، وسلطت علينا الأضواء ، ولسوف نثبت للعالم أجمع قدراتنا على بناء مستقبل زاهر . وكم كان الحلم جميلا ، بل رائعا ، لكن الأيام أثبتت فيما بعد أنه لم يكن إلا حلما .

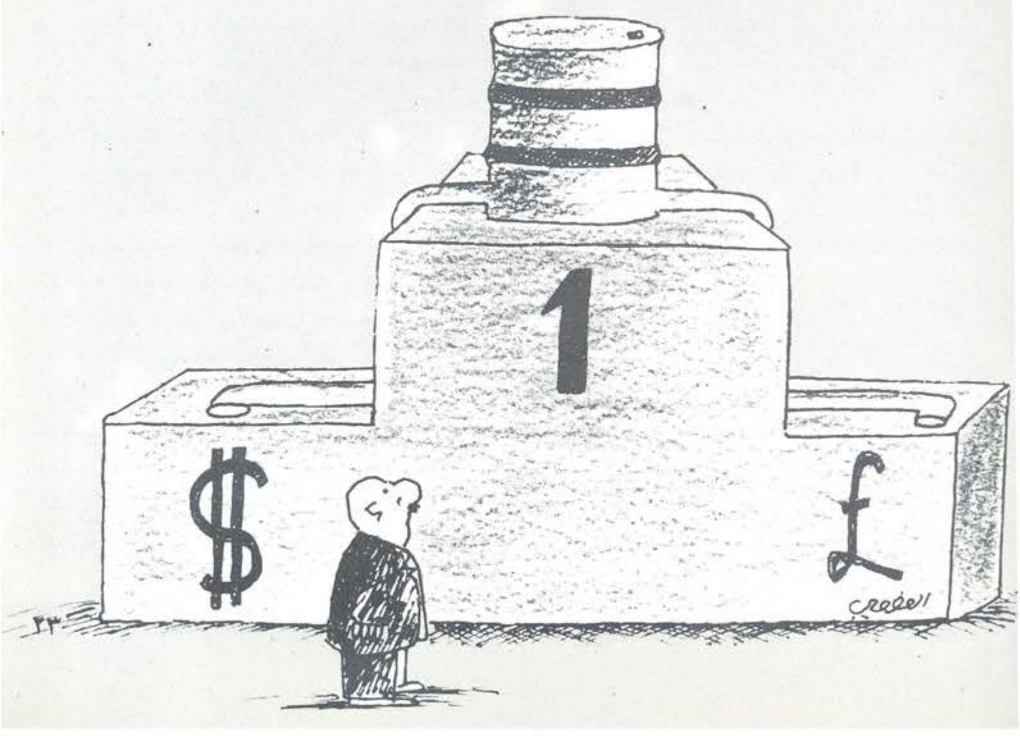
الثمانينيات : النفط ينكسر

هزت الطفرة الثانية في أسعار النفط عام ١٩٧٩ كثيرا من المتغيرات في سوق النفط العالمي ، في جانبي العرض والطلب ، فهي شجعت كثيرا من المنتجين الحديين على التنقيب النفطي بكل قوتهم ، ونتج عن هذا زيادة المعروض في السوق العالمي . كذلك فقد دفعت

المستهلكين الى التنقيب عن كل الوسائل لترشيد استهلاك الطاقة في البلاد المستوردة ، وبالتالي فإن الطلب العالمي على النفط أخذ في الانخفاض . ونتيجة لهذه التطورات المهمة بدأت أسعار النفط في الانحسار في أوائل الثمانينيات ، ثم انهارت عام ١٩٨٦ ، وقد انعكس هذا على عائدات النفط بطبيعة الحال . وعلى وجه التحديد ، فبينما كانت عائدات النفط قد وصلت الى ١٧٦ مليار دولار سنويا عن متوسط عامي ٧٩ - ١٩٨٠ ، فإنها تدهورت إلى ١١٣ مليار دولار سنويا في المتوسط أثناء ٨٢ - ١٩٨٣ ، ثم انهارت الى ٤٨ مليار دولار سنويا في المتوسط أثناء ٨٦ - ١٩٨٧ . وكم كانت هذه ضربات شديدة للموازنات العامة في البلاد النفطية وللحكومات المعنية . وهكذا انكسر النفط واضطررنا الى إعادة حساباتنا .

وعلى الرغم من هذا الانكسار ، وصعوبة الأوضاع السياسية العربية أثناء تلك الفترة ، فإن أسواق العمل ورأس المال لم تهتز كثيرا ، فالحجم الكلي للعمالة الوافدة لم ينخفض ، وربما زاد زيادات متفاوتة في البلاد المضيفة . وتحويلات العاملين استمرت لبلاد المنبع ، بل زادت في مجملها وتفصيلها ، وقد أدى هذا إلى بزوغ بعض الأسواق المالية والاستثمارية في القاهرة وعمان ، وإن كانت كارثة سوق المناخ في الكويت هي من أبرز التطورات المالية على الساحة العربية في الثمانينيات . على أن تزايد الاستقرار السياسي في مصر واستمرار مصر في سياسة الوفاق مع الأقطار العربية ، ورجوع مصر إلى المجموعة العربية في أواخر الثمانينيات قد بدأ يهدىء الموقف ، ويعمل على التئام الجروح .

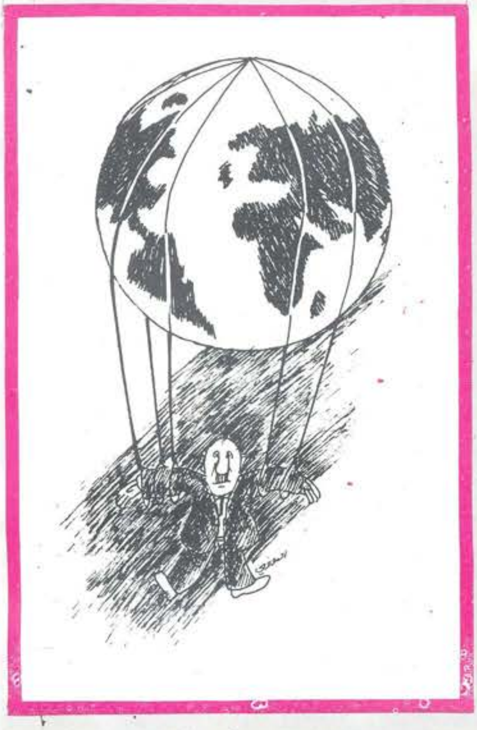
كما بدأت العوامل الدولية تتغير من حولنا . فالبلاد المضيفة للاستثمارات العربية أخذت تركيبتها تتغير بدخول الاقتصاديات الآسيوية في الساحة الدولية بنشاط ، واجتذابها لنسب متزايدة من الأموال العربية ، بل إن الاستثمارات النفطية في مجملها قد بدأت تنحسر لاستخدامها في سد عجز الموازنات العامة ، كما انخفض حجم تجارة الواردات من دول العالم عامة ، وبين الأقطار العربية وبعضها بصفة خاصة . وانخفضت نسبة النفط في التجارة الدولية ، وأخذت القوى العظمى باسلوب الوفاق في حل خلافاتها ، فبدأ التناطح يقل ، والتعاون يتزايد بين الشرق والغرب .



التسعينيات : التحديات تزيد

وهكذا يقف الوطن العربي على أبواب التسعينيات ، وهو يواجه احتمالات كبيرة . وتحديات أكبر . على الساحة العربية نجد أن التحول الديموغرافي يمثل أكبر التحديات ، إذ يتوقع زيادة السكان العرب من حوالي ١١٠ ملايين نسمة عام ١٩٧٠ إلى ما يزيد عن ٢٤٠ مليون نسمة عام ٢٠٠٠ ، وهو ما يؤدي الى توسع هائل في أسواق العمل العربية من حوالي ٣٠ مليون عامل عام ١٩٧٠ الى حوالي ٦٧ مليون عامل عام ٢٠٠٠ . والمتوقع أن تستمر الهجرة في إعادة توزيع القوى العاملة من بلاد الوفرة السكانية إلى بلاد الندرة السكانية ، خاصة طرفي التوزيع من العمالة عالية التخصص والعمالة غير الماهرة .

أما الأسواق المالية العربية ، فغالبا ما سيكون التوسع من حظها ، وإن اختلفت الأسباب بين الأقطار . ففي البلاد النفطية ، يتوقع حدوث التوسع للتحسن المنتظر في أسعار النفط ، وهو ما سينعكس على العائدات . وما نرجوه هو أن تكون المؤسسات المالية العربية قد نضجت ، وترسخت خبراتها لتعويض انكسار الوفرة المالية في الثمانينيات . أما في البلاد غير النفطية ، فإن طاقتها الاستيعابية المتزايدة ، واستمرار تدفق تحويلات العاملين من الخارج ، واحتمال تزايد استثمارات البلاد النفطية ستكون من العوامل الداعية لتوسع الأسواق المالية والاستثمارية في تلك البلاد . على أن الفيصل هنا هو السياسات المالية والائتمانية للحكومات المعنية التي لابد من اصلاحها لاطلاق الطاقات الكامنة للنمو الاقتصادي في كل الأقطار العربية . ومن أهم سمات الاصلاح هو تقويم مسار مؤسسات القطاع العام التي أصبحت عبئا هائلا على الموازنة العامة ، والتخلص من بعض المشاريع



الاستثمارية غير الاقتصادية ، والاهتمام بالمشاريع العربية المشتركة التي ستكون ركيزة اقتصاد عربي متكامل في المستقبل .

على أن من أهم ما يتوقع حدوثه على الساحة العربية في التسعينيات هو إعادة بناء العراق اقتصاديا وماليا . فالعراق الذي يعد من أكبر الطاقات الاقتصادية العربية ، بدأ بعملية اعادة البناء بعد أن استنفذ الكثير من موارده وثروته البشرية في الحرب الضارية مع ايران أثناء الثمانينيات . إن طلب العراق على الأموال والكوادر البشرية خلال التسعينيات يتوقع أن يزيد بكثير عما يستطيع العراق نفسه توفيره ، لذا فإنه لابد من التوجه الى الخارج للحصول على ما يلزم لإعادة البناء . وهنا لابد من الاشارة الى أن المؤسسات المالية العربية ليست في وضع

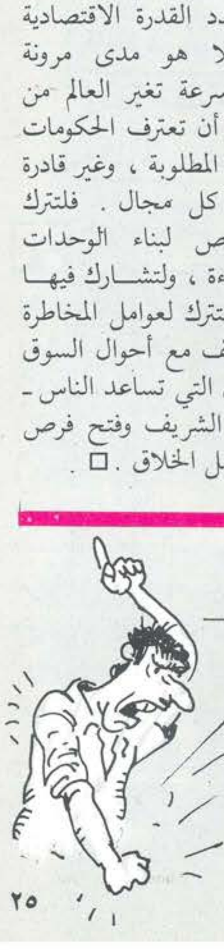
يسمح لها بتعبئة الموارد المالية اللازمة ، مالم تقم بإصلاحات هيكلية تمكنها من الاقتراض دوليا ، حتى تتمكن من التوسع في الاقراض العربي ، خاصة للعراق . وعلى الرغم من أن العراق من بلاد الوفرة البشرية نسبيا ، إلا أن اتساع رقعته الجغرافية ، وضخامة موارده الزراعية ، تسمح له باستقبال الملايين الاضافية من الوافدين ، لاسيما في مجالات الزراعة والصناعة الزراعية ، وبالتالي تخفيف حدة ضغط السكان على الموارد في بلاد الوفرة السكانية مثل* مصر . ومن المشجع أن العراق منذ السبعينيات قد اتبع سياسة سكانية منفتحة عربيا ، كانت وما زالت حجر الزاوية في اجتذاب العمالة الوافدة من كل أنحاء الوطن العربي . إن ما ستقدمه البلاد العربية للعراق من موارد مالية وبشرية سيقيس حجم العمل العربي المشترك في التسعينيات وفاعليته .

اما على الساحة الدولية ، فإن الأقطار العربية ستواجه عالما متغيرا ، تتجه البلاد الصناعية فيه إما إلى التكتل مثلما يحدث في أوربا ، أو إلى التعاون الوثيق مثلما يحدث بين القوتين العظميين . وتتجه فيه البلاد حديثة التصنيع مثل جنوب شرقي آسيا وأمريكا اللاتينية الى البحث الحثيث عن الأسواق لتصريف منتجاتها ، وعن مصادر الخدمات لتأمين صناعتها . ولسوف يكون الوطن العربي مسرحا لمنافسة حامية بين أوربا وشرق آسيا ، وفي الواقع أن هذه المنافسة قد بدأت بالفعل ، ليس لتأمين الأسواق ومصادر الخامات فقط ، وإنما لاجتذاب الاستثمارات النفطية التي على الرغم من استخدام جزء منها في سد عجز الموازنات العامة في البلاد النفطية ، ما زال حجمها الكلي لايستهان به ، في حدود ٣٠٠ مليار دولار .

على أن موقف الاقطار العربية مستقبلا من هذا التنافس سيتحدد أكثر بنوعية السياسات التي تنتهجها الحكومات العربية في الوقت الحالي . والمعروف أن العمل العربي المشترك في المجال الاقتصادي قد تخبط كثيرا في الماضي ، ويكفي القول ان اتفاقية السوق العربية المشتركة لعام ١٩٦٥ لم تسفر عن أي تقدم يذكر في مجال التبادل التجاري بين الاقطار العربية ، في حين أن أهم المحققات الاقتصادية العربية في الخمسة عشر سنة الماضية ، قد تمت بأقل تدخل من الحكومات ، لاسيما في مجال تدفقات العمال والأموال .

إن من أهم ما سيحدد القدرة الاقتصادية للمنطقة العربية مستقبلا هو مدى مرونة مؤسساتها للتجاوب مع سرعة تغير العالم من حولنا . ولقد حان الوقت أن تعترف الحكومات بأنها غير قادرة على المرونة المطلوبة ، وغير قادرة على عمل كل شيء في كل مجال . فلتترك القدرات الخلاقة للخواص لبناء الوحدات الانتاجية عالية الكفاءة ، ولتشارك فيها الحكومات إذا شاءت ، ولتترك لعوامل المخاطرة والربح حسم مسألة التكيف مع أحوال السوق العالمي ، على سن القوانين التي تساعد الناس - لاتعاقبهم - على الكسب الشريف وفتح فرص الانتاج وتوسيع أسواق العمل الخلاق . □

من حِكم الأحنف



قال الأحنف بن قيس :

× لا يتبين حلم الرجل حتى يغضب . . إن الحلم لا يكون إلا عند الغضب .

× المروءة ألا تعمل في السر شيئا تستحي منه في العلانية .

× الداء الذي أعيا الأطباء ، اللسان البذيء ، والعقل الرديء ، وأدوأ الداء اكتساب الذم بلا منفعة .

الآثار المتوقعة للديون الخارجية

بقلم : الدكتور رمزي زكي

« يخطيء كثيراً من يقصر آثار الديون على الجانب الاقتصادي فقط ، فالحقيقة أن آثار الديون تمتد إلى البناء الاجتماعي والسياسي للمجتمعات ، وتبدأ حلقة مفرغة من السبب والنتيجة . عن حجم أزمة المديونية العربية ، وآثارها ، يحدثنا هذا المقال » .

سوف يدخل الوطن العربي مشارف التسعينيات وهو محمل بعبء مديونية خارجية ثقيلة الوطأة ، يصل حجمها إلى حوالي ٢٠٠ بليون دولار ، أو ما يعادل ١٥٪ من اجمالي الديون الخارجية المستحقة على دول العالم الثالث . وعلى الرغم من أن كل الأقطار العربية (باستثناء الكويت والسعودية) قد دخلت دائرة المديونية الخارجية ، فإن ٧٥٪ من الديون المستحقة على العرب تتركز في خمسة أقطار عربية ، هي : مصر ، والجزائر ، والمغرب ، وتونس ، والسودان . صحيح أن الشائع بأن الوطن العربي يدخل في عداد المناطق المدينة ، إلا أن إمعان النظر في المسألة قليلا يوضح لنا أنه يعد دائنا صافيا للعالم الخارجي ، فعلى الرغم من أن الديون المستحقة على الأقطار العربية تصل إلى ٢٠٠ بليون دولار ، فإن هناك في المقابل ما لا يقل عن ٣٥٠ بليون دولار فوائض مالية عربية مستثمرة في الخارج ، ويجب عدها من قبيل الدائنية العربية . وهذا يعني أننا ـ كعرب ـ دائنون للخارج ، بما لا يقل عن ١٥٠ بليون دولار . لكن مما يؤسف له أن العالم لا ينظر إلينا على هذا الأساس (كمجموعة اقتصادية واحدة) ، بل ينظر إلينا ، ويتعامل معنا حالة بحالة ، وحينئذ تبرز صورتنا المدينة بشكل أوضح من صورة دائنيتنا . وسواء تعلق الأمر بعلاقات الدائنية أو المديونية العربية ، فإنه من الثابت أننا نخسر في هذه العلاقات ، لأنها تتم من موقع تابع ، غير متكافيء في الاقتصاد العالمي .

وفي تقديري أنه « ليس المهم هو أن نكون

دائنين أو مدينين للعالم الخارجي ، وإنما الأهم من ذلك بكثير هو السياق التاريخي الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي تتم فيه علاقات الدائنية أو المديونية . فاذا كان هذا السياق تسيطر عليه قوى التبعية للخارج ، وتطبعه علاقات النمو اللامتكافيء ، فإن علاقات المديونية أو الدائنية تنطوي دائما على خسارة واستغلال للطرف التابع ، دائنا كان أو مدينا .

معضلة التنمية خدمة الديون

ومهما يكن من أمر فقد قفزت المبالغ التي تدفعها الأقطار العربية لخدمة أعباء ديونها الخارجية من ٨,٧ بلايين دولار (فوائد + أقساط) في عام ١٩٨١ ، إلى حوالي ١٠,٨ بلايين دولار في عام ١٩٨٦ . وهو نمو متسارع الخطا . وإذا رجعنا إلى جداول المديونية الخارجية التي ينشرها « البنك الدولي » ، فسوف نجد أنه طبقاً للطبعة الأخيرة من هذه الجداول (١٩٩٠/٨٩) يقدر أن يصل إجمالي مدفوعات خدمة الديون الخارجية لأهم الأقطار العربية المدينة إلى حوالي ٧٤ بليون دولار ، خلال فترة ١٩٩٠ - ١٩٩٧ ، أي بمتوسط سنوي قدره ٧,٤ بلايين دولار ، وهو مبلغ لا يستهان به ، ويشكل عبئا ثقيل الوطأة على هذه الأقطار . ولهذا نستطيع أن نقرر ، مع قدر عال من الثقة ، أن مجمل أداء الاقتصادات العربية في العقد القادم ، وعلى الأخص تلك التي تئن تحت ديون كبيرة ، سوف يتأثر إلى حد بعيد بالنتائج التي ستنجم عن أعباء هذه الديون وكيفية التعامل مع هذه النتائج . بعبارة أخرى : يمكن القول بأن مقادير كبيرة من موارد الوطن العربي، وممكنات النمو فيه ، قد أصبحت مرهونة ، ابتداء من الآن ، للوفاء بقائمة الدين الخارجي في المستقبل .

والتساؤ ل الذي يبرز على السطح الآن هو : ما الآثار المحتملة ، أو الأقرب إلى الاحتمال ، لنمو عبء الديون الخارجية في الوطن العربي ، في عقد التسعينيات ؟ وكيف يمكن مواجهة هذه الآثار ؟

وعند الإجابة عن هذا السؤال ، ربما يكون من المفيد التمييز بين الآثار الاقتصادية والاجتماعية ، والسياسية ، على الرغم من تشابك هذه الآثار وتداخلها فيما بينها .

أما عن **الآثار الاقتصادية** ، فمن المتوقع أن ينجم عن نمو عبء خدمة الديون تناقض شديد الالتهاب ، بين قدرة البلد على الاستمرار في دفع عبء الدين من ناحية ، وبين قدرة البلد على تأمين الحد الأدنى للواردات الضرورية (الاستهلاكية والوسيطة والانتاجية) من ناحية أخرى . وهو تناقض سيشتد أثره لو أننا افترضنا عدم نمو صادرات الدولة من السلع والخدمات . وهو أمر جائز الاحتمال في العقد القادم . وهنا ستلجأ الأقطار العربية ، للتخفيف من حدة هذا التناقض ، إلى عدة أساليب للمناورة ، منها :

١ ـ الضغط على الواردات .
٢ ـ استخدام احتياطيات الدولة .
٣ ـ الإفراط في تصدير السلع والثروة القومية .
٤ ـ المزيد من الاقتراض .

لكن الوسيلة رقم (١) محدودة الفاعلية . فهناك حدود معينة في الضغط على الواردات ، لو تجاوزها صانعو السياسة الاقتصادية فإن آثاراً انكماشية سيئة ، ما تلبث أن تنفجر بالاقتصاد المدين (ندرة السلع ، ارتفاع الأسعار ، تعطيل الطاقات الإنتاجية ، زيادة البطالة ، توقف عجلات النمو . .) أما الوسيلة رقم (٢) فهي أيضا محدودة الأثر ، بالنظر إلى ضآلة حجم ما تملكه الأقطار العربية المدينة من احتياطيات نقدية (ذهب وعملات أجنبية) ، كما أن استنزاف الاحتياطيات ، واستخدامها في دفع أعباء الدين ، يعرض مستوى هذه الاحتياطيات للخطر ، ويدفع سعر الصرف للعملة المحلية إلى التردي (كما حدث في الأردن مؤخرا) . أما الوسيلة رقم (٣) فهي وإن كانت أفضل طرق

جدول رقم (١)
الديون الخارجية المستحقة على بعض الأقطار العربية ، والأعباء المتوقعة لخدمتها خلال فترة ١٩٩٠ - ١٩٩٧

القطر	حجم الدين الخارجي في عام ١٩٨٧ « مليون دولار »	المبالغ المتوقع دفعها لخدمة الديون لفترة ١٩٩٠ - ١٩٩٧ « مليون دولار »
الجزائر	٢٤,٣٩٤	١٥,٣٧٤
عمان	٣,٤٤٥	٢,٢١١
الاردن	٤,٥٠٢	٣,٤١٦
تونس	٨,٦٧١	٦,٤٥٩
السودان	٩,٠٩٦	٤,٣٢٧
سوريا	٤,٧٣٦	٣,٤٠١
الصومال	٢,٧٩٠	١,٤١٩
لبنان	٠,٣٣٣	٠,٢٨٣
مصر	٣٧,٨١٦	١٧,٠٩٣
المغرب	٢٢,٢٢١	١٤,٩٥٥
موريتانيا	٢,٤٨٥	١,٤٢٩
اليمن الشمالي	٢,٧٤٢	١,٥٥٤
اليمن الجنوبي	٢,٧٦٦	١,٤٦٢
جيبوتي	٠,٢٨١	٠,١٤٢

المصدر : البنك الدولي - جداول المديونية العالمية ، طبعة عام ١٩٨٩/٨٨ باللغة الانجليزية - صفحات مختلفة .

المواجهة ، وبخاصة في الأجل القصير ، إلا أن خطورتها تنبع من أن الإفراط في زيادة تصدير السلع والثروة قد يكون على حساب نقص العرض المحلي للسلع ، الأمر الذي يدفع أسعارها نحو الارتفاع . وهو أمر يمكن تصوره لو أن معدل نمو الصادرات سيكون أكبر من معدل نمو الإنتاج المحلي القابل للتصدير . أما المزيد من الاقتراض (الوسيلة رقم ٤) فلم يعد أمرا متاحا الآن ، وربما يكون أشد ندرة في التسعينيات ، في ظل استمرار تطبيق المصارف (البنوك) التجارية الدولية النشاط سياستها الائتمانية الانكماشية . كما أنه ليس من المتوقع ، في العقد القادم ، أن تتحسن قدرة الأقطار العربية المدينة على الاقتراض بسبب التنافس الذي ستلقاه في أسواق الاقتراض الخارجية من دول نامية أفضل حالا من حيث جدرانها الائتمانية ، أو من المنافسة التي ستلقاها من الدول الاشتراكية في هذه الأسواق ، في ضوء عمليات التغيير الجارية فيها ، وتطلعها المتزايد للحصول على رؤوس الأموال والتقنية الغربية .

لا مفر من جدولة الديون

وعلى أي حال ، فإنه في ضوء ضعف ومحدودية فاعلية أساليب الحركة والمناورة السالفة الذكر ، لن يبقى امام الأقطار العربية المدينة في عقد التسعينيات ، والتي تفشل في إدارة أزمة ديونها الخارجية من منظور تنموي مستقل ، لن يبقى أمامها إلا أن تطلب إعادة جدولة ديونها الخارجية ، والدخول في مفاوضات مع الدائنين وصندوق النقد الدولي ، للوصول إلى اتفاق بشأن تجميد مدفوعات الدين مدة معينة ، والحصول على موارد مالية جديدة ، في ضوء مشروطية الصندوق وقواعد نادي باريس . وهي موارد سيحصل عليها البلد المدين لو أذعن لشروط مجحفة وقاسية ، تسلبه حريته في رسم سياساته الاقتصادية والاجتماعية ، بما يتناسب وظروفه الخاصة . وهذه هي الشروط المعروفة تأدبا في الأدبيات الاقتصادية بشروط التكيف (زيادة الأسعار ، تخفيض قيمة العملة ، تحرير التجارة الخارجية ، إلغاء الدعم ، تجميد الأجور والرواتب ، تخفيض التوظف الحكومي ، زيادة أسعار الفائدة ، بيع القطاع العام ، زيادة أسعار الطاقة والخدمات العامة . .) والهدف الحقيقي من وراء تطبيق هذه الشروط هو فرض سياسة انكماشية على البلد المدين في الأجل القصير ، تمكنه من توفير موارد في الأجل المتوسط ، لرفع قدرته على الوفاء بأعباء دينه الخارجي المتراكم . ونحن نتوقع أن تتسع دائرة عمليات إعادة الجدولة في التسعينيات ، لتشمل ، بالإضافة للأردن ومصر والسودان وتونس والمغرب ، أقطاراً عربية أخرى .

قنابل موقوتة

وهكذا يمكن بلورة أهم النتائج الاقتصادية المتوقعة لأزمة المديونية الخارجية للأقطار العربية في التسعينيات في مخاطر الركود والانكماش وارتفاع الأسعار ، والتوجه نحو الخارج ، وتولي عوامل الضغط الخارجي (صندوق النقد الدولي والدائنين) مسئولية رسم وتحديد السياسات الاقتصادية والأهداف الاجتماعية للأقطار المدينة . وهي مخاطر جسيمة حقاً ، وتمس سيادة هذه الأقطار واستقلالها ، ولا يجوز التهوين من شأنها .

أما عن « **الآثار الاجتماعية** لعبء المديونية الخارجية في العقد القادم ، فيمكن توقعها ، ورصد حجمها الحقيقي ، من خلال معرفة التفاعل المجتمعي الذي سيحدث من الآثار الاقتصادية السالفة الذكر . وهي آثار لن تقل خطورة وتهديدا لأمن هذه الأقطار واستقرارها . **فهناك أولا : مشكلة البطالة** التي ستتفاقم نتيجة للسياسة الانكماشية التي ستطبقها الدولة ، وتراجع الحكومات عن ضمان التوظف للعمالة الجديدة ، بل ولجوء بعض الحكومات إلى طرد بعض موظفيها وعمالها (كما يوصي صندوق النقد الدولي والبنك الدولي) . والحق أن مشكلة البطالة ستتفاقم على نحو واضح في حالة الأقطار العربية ذات الحجوم السكانية الكبيرة التي يرتفع فيها النمو السكاني (حالة مصر والمغرب والسودان) ، وهناك أيضا مشكلة إلتضخم التي ستتفجر في البلاد المدينة ، من جراء تخصيص القيمة الخارجية للعملة ، وزيادة أسعار الواردات ، وارتفاع سعر الفائدة ، وارتفاع أسعار السلع والخدمات العامة . ومن المعلوم أن التضخم حينما ينفجر ، فإنه يجر معه سلسلة من النتائج ، ذات الآثار الاجتماعية الخطيرة . فهو يعيد توزيع الدخل والثروة بطريقة عشوائية ، فيزيد الفقراء فقراً ، ويزيد الأغنياء غنى . كما أنه يخفض مستوى معيشة كاسبي الأجور والمرتبات ، ويدمر مدخرات الطبقة الوسطى ، ويشعل حمى الاستهلاك الترفي ، ويشوه اتجاهات الاستثمار ، ويعمل على تهريب الثروة ورأس المال إلى الخارج . ومع تزايد البطالة والتضخم ،

وما يعكسه ذلك من تردٍ في مستوى معيشة الأغلبية الساحقة من الناس ، مع بروز شرائح اجتماعية ، تستفيد من هذه الأوضاع التي تزيد إغتراب الإنسان العربي في مجتمعه ، ويزداد سحقه وخيبة آماله . وقد يؤدي ذلك إلى تهيئة المناخ للتطرف والعنف . وفي جو كهذا فليس من قبيل المصادفة أن تزدهر مجموعة من القيم والسلوكيات الاجتماعية المدمرة ، مثل الرشوة ، والفساد الإداري ، وحوادث السرقة ، وإهدار قيمة العمل المنتج ، وإعلاء قيم السطحية والتسرع ، و « الفهلوة » ، وهي قيم مدمرة لأي مشروع تنموي ، أو لأي إصلاح اقتصادي .

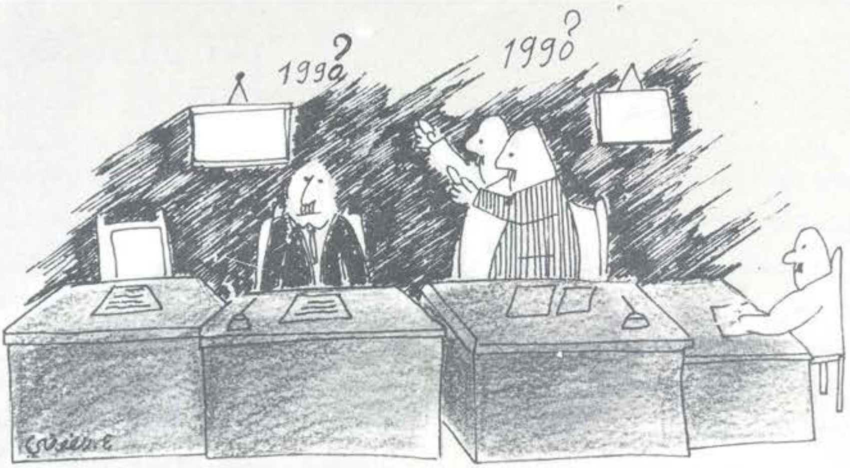
عودة أو زيادة للتبعية

أما عن الآثار السياسية المتوقعة لتفاقم عبء المديونية العربية في التسعينيات فيمكن بلورتها ببساطة شديدة ، في ما سينجم عن ضغوط إعادة الجدولة من تحولات جذرية ، أو شبه جذرية ، في النظام الاجتماعي السائد . فالبلد المدين الذي سيقبل نصائح الدائنين وصندوق النقد الدولي ، عليه أن يهيء نفسه وأوضاعه لنمو الرأسمالية المحلية ، ولسيطرة القطاع الخاص المحلي والأجنبي ، وأن يرضى بالدور المتواضع للدولة في النشاط الاقتصادي وحصره في أضيق الحدود ، وأن يترك لآليات السوق آليات العرض والطلب ، حرية تخصيص الموارد وتوزيعها . كما يتعين على الدولة أن تتخلى تماما عن طموحات التنمية المستقلة المخططة ، ذات الآفاق الاشتراكية أو التي لها نوازع واضحة في العدالة الاجتماعية .

على أن أخطر الآثار السياسية التي ستنجم عن استفحال مشكلة المديونية الخارجية في العقد القادم ، هو احتمال معاداة الحريات والديمقراطية واتجاه أنظمة الحكم إلى تطبيق الأساليب القمعية و « الديكتاتورية » في إدارة شئون البلاد . ذلك أن إصرار الحكومات على المضي قدما ، في تطبيق شروط إعادة الجدولة ، لإرضاء صندوق النقد الدولي والدائنين ، سوف يولد ردود فعل شديدة لدى الجماهير العريضة التي سينالها الضرر من هذه الشروط (إلغاء الدعم ، ارتفاع الأسعار ، تجميد الأجور ، تخفيض الإنفاق العام الموجه للخدمات العامة) ، ولعل « مظاهرات الخبز » التي حدثت في بعض البلدان تبرز هنا كنماذج واضحة على ردود فعل الجماهير المتضررة من هذه الشروط . أضف إلى ذلك أن المؤسسات السياسية والديمقراطية التي تنخرط فيها الجماهير (كالأحزاب والنقابات) ستعارض هذه الشروط . وقد تدخل في معارضة شديدة مع نظام الحكم القائم .

وهناك قد لا يجد النظام السائد مناصاً من اللجوء إلى القمع ، واستصدار القوانين الاستثنائية المعادية للحرية والديمقراطية ، كملاذ أخير لحماية نفسه ، كما لا يجوز أن ننسى ، في هذا السياق ، أثراً سياسيا آخر ، سيتمخض عن تفاقم مشكلة الديون عموما ، وعن عملية إعادة الجدولة خصوصا ، ألا وهو تزايد تبعية الدولة المدينة للدول الدائنة . فمع تفاقم أعباء الدين ، والتطلع نحو إعادة الجدولة والحصول على موارد مقترضة ، سيحرص نظام الحكم ، في البلد المدين ، على كسب رضاء مصادر الإقراض الخارجية وثقتها ، بل واتخاذ مواقف خارجية منحازة لهم ، ليس فقط في المجال الاقتصادي ، وإنما في مجال الصراعات والمشكلات الدولية أيضا .

وأخيرا : ألا تعد هذه الأزمة من أكبر التحديات التي سيختبر فيها التعاون العربي في عقد التسعينيات ؟ □



مستقبل التبادل التجاري بين الأقطار العربية

بقلم : الدكتور اسماعيل صبري عبدالله

يتفق جمهور الاقتصاديين على أن تدعيم العلاقات العربية يبدأ بتنمية العلاقات الاقتصادية ، وعندما تتواصل علاقات المصالح والتبادل التجاري ، فإن علاقات الشعوب لن تصبح عرضة لتقلبات ماهو طارىء وآني . عن مستقبل التبادل التجاري بين أقطار الوطن العربي يدور هذا المقال .

سعى عدد من الحكومات العربية منذ نهاية الخمسينيات وراء الصيغ التنظيمية التي يمكن أن تزيد حجم التبادل التجاري بين الأقطار العربية . وكانت أجرأ محاولة في هذا الصدد إنشاء « مجلس الوحدة الاقتصادية العربية » ، واتفاقية السوق المشتركة التي وقعها عدد محدود من الحكومات العربية في منتصف الستينيات . وفي أثناء حقبة الموارد النفطية الاستثنائية أنشئت عشرات من المشروعات المشتركة ، من ثنائية وثلاثية ومتعددة الأطراف ، وكان من الأهداف المعلنة لتلك الشركات زيادة التبادل السلعي والخِدْميّ . ومع ذلك لم تتغير نسبة المبادلات التجارية بين الأقطار العربية إلى إجمالي التجارة الخارجية لكل قطر إلا هونا هينا . وفي عقد الثمانينيات بدأ ظهور تجمعات التعاون الإقليمية : بدءا بمجلس التعاون الخليجي ، وانتهاء بمجلس التعاون العربي . ويطرح كثيرون قضية : ماذا يمكن أن تفعله تلك المجالس ،

لخلق تيارات تجارة منتظمة متنامية بين أعضاء كل تجمع أولا ، ثم بين أعضاء كل تجمع وأعضاء التجمعين الآخرين وسائر الأقطار العربية ؟ وهل تنجح تجمعات التعاون في ما أخفقت فيه السوق المشتركة ومجلس الوحدة الاقتصادية العربية ؟

لانريد هنا البحث في مقاصد كل من تلك التجمعات ، أو في ظروف نشأتها ، أو نواحي القوة أو الضعف في بنائها التنظيمي ، ولا المقارنة بين مجلس وآخر ، جديد أو قديم . وذلك لأن كل هذه الأمور لا تشكل بنفسها عقبات أو دوافع للتجارة بين الأقطار العربية ، فالعقبات في هذا الصدد تكمن في بنية الاقتصاد لدى الدول الأعضاء وسياساتها التجارية والمالية والائتمانية .

أسواقنا أسيرة

ومما يؤسف له أن الاقتصاديين العرب ، حين يبحثون سبل زيادة التعاون الاقتصادي العربي بعامة ، وتعزيز التبادل التجاري بخاصة ، يبدون وكأنهم يفترضون وجود الأقطار العربية بعيدة عن أوضاع الاقتصاد العالمي ، وأن الرغبة السياسية مطلقة الحرية في تغيير أوضاع التجارة الخارجية في كل قطر عربي . ألا تراهم يردون في كل تحليل إخفاق محاولات تنشيط التجارة ، وزيادة التعاون،إلى اختفاء أو ضعف الإرادة السياسية ؟ ولنا أن نسأل : هل تفعل الإرادة السياسية في فراغ ، لا صلة له بواقع الاقتصاد الوطني ، أو أن فعلها يتحدد بما يفرضه هذا الواقع من قيود ؟

إن أسواق الأقطار العربية ـ شأنها في ذلك شأن الأغلبية العظمى من أسواق بلدان العالم الثالث ـ أسواق أسيرة ، تحكم أوضاعها الموروثة والحالية إمكانات التطور المستقبلية . فتحقيق الاستقلال السياسي لا يعني بنفسه تغيير البنية الاقتصادية الداخلية وموروثاتها ، بل إن جهود التنمية نفسها كثيرا ما تنشيء ـ أو على الأقل تعزز ـ روابط الاقتصاد الوطني باقتصاد الدول الصناعية المتقدمة . وفي كثير من أقطارنا يحدد توافر التمويل الأجنبي لأي مشروع أولويته في التنفيذ ، بغض النظر عما كان مخططا . ويؤدي الارتباط التقني ـ حتى لو كان التمويل كله محليا ـ إلى ضرورة الاستيراد (مستلزمات الصيانة وقطع الغيار والتطور التقني) من البلد الذي استوردت منه المعدات الأساسية للمشروع . كذلك يؤدي استيراد السلاح إلى المزيد من الاستيراد من المصدر نفسه . وبإيجاز تفضي ضرورات الاستيراد إلى ضرورة التصدير للأسواق المستورد منها ، وإذا أضفنا لذلك كله الحالة الذهنية للفعاليات الاقتصادية التي تسلم منذ البداية بالتفوق المطلق للغرب ، فاننا نجد تجارة أقطارنا مرتبطة بأسواق الغرب . ووفقا لبيانات « التقرير الاقتصادي العربي الموحد » المتاحة لنا ، كان نصيب الدول الصناعية المتقدمة (الدول الغربية واليابان واستراليا ونيوزيلندا) ٦١,٥٪ من إجمالي صادرات الأقطار العربية ، و ٦٢,٦٪ من إجمالي وارداتها (١٩٨٤) . ولم يحدث في السنوات الست التالية ما يشير إلى تغيير ملموس في نمط التجارة الخارجية للأقطار العربية .

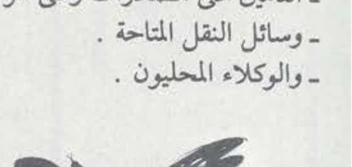
ويترتب على هذه الأوضاع نتيجة مهمة ، كثيرا ما يغفلها الباحثون ، وهي أن كل زيادة للتبادل التجاري بين الأقطار العربية تؤدي ، على المدى القصير والمتوسط ، إلى نقص التبادل التجاري مع الدول الصناعية المتقدمة ؛ أي أن الجهود التي يبذلها صاحب القرار السياسي لزيادة التبادل الإقليمي لاتجد قاعدة اقتصادية تساندها ، بل إن المصالح القائمة لاترتاح إليها ،

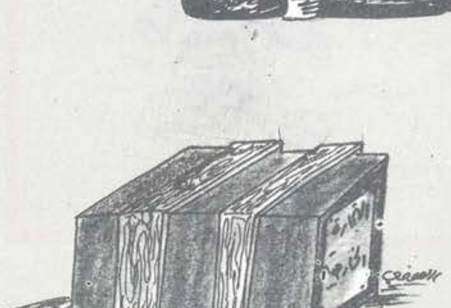
ناهيك عن الحماسة لها . وليس في هذا غرابة تذكر ، فالأصل أن تحكم بنية الانتاج طبيعة المبادلات التجارية ، وإن كان من الوارد في مرحلة تالية أن يؤثر التبادل الخارجي في تركيب الانتاج . والأمر الذي يجب التسليم به هو أن كلا من بنية الانتاج وطبيعة المبادلات في الوطن العربي تعمل باتجاه المزيد من الارتباط بأسواق الدول الصناعية المتقدمة . كذلك ليست التجربة العربية شاذة في هذا المجال ، بل إن كل تجارب التعاون أو التكامل الإقليمي عانت مثل ماعانينا وأكثر .

خدمة التجارة الخارجية

ومن ناحية أخرى لا يجوز الكلام عن زيادة التبادل التجاري بين الأقطار العربية ، دون التوقف عند مستلزمات التجارة الخارجية بصفة خاصة ، فالسلع والخدمات لاتصدر أو تستورد في فراغ ، بل لا بد لها من بنية أساسية تشمل :

- المعلومات المتدفقة عمن ينتج ماذا ، وبأي كمية ، وأي سعر ، ومن أي مستوى من مقاييس الجودة المتعارف عليها ؟
- الائتمان التجاري لعمليات التصدير والاستيراد ، وشبكة المصارف التي تتعامل فيه .
- التأمين على الصادرات وعلى الواردات .
- وسائل النقل المتاحة .
- والوكلاء المحليون .





وغني عن البيان أن التجارة مع الدول الصناعية المتقدمة تملك تلك البنية الأساسية ، فإعلاناتها تغرق مكاتب صناع القرار والفنيين ، والمعارض تتوالى بانتظام (وكذلك الدعوات إليها) ، وشركات التأمين المحلية مرتبطة بعقود إعادة تأمين في السوق الغربية ، وخطوط النقل ، بحرا أو جوا أو برا ، تجعل النقل من قطر عربي إلى أوربا أيسر بكثير من النقل إلى قطر عربي آخر . أما في حالة دول العالم الثالث التي أعاد الاستعمار صياغة أوضاعها الاقتصادية ، على نحو يفصلها عن جيرانها ، ويصلها بالدول الغربية ، فإن تلك البنية الأساسية لا بد أن تنشأ بإرادة مثابرة ، تستند إلى قرار سياسي حاسم ، ولايمكن أن ينشأ تلقائيا بحكم آليات السوق . فقبل التقسيم الاستعماري للأقطار العربية ، وإقامة الحدود المانعة لحركة الأشخاص والأموال والسلع ، كانت أجزاء الوطن العربي يتاجر بعضها مع بعض ، من خلال شبكة من المدن التجارية التي كانت تنتشر في أرجائه . وكان الناس في مصر يسمون السلع أحيانا باسم قطر المنشأ ، كقولهم : المشمش الحموي ، والحذاء الفاسي ، والشال المغربي ، والصابون النابلسي ، والبرتقال اليافاوي .

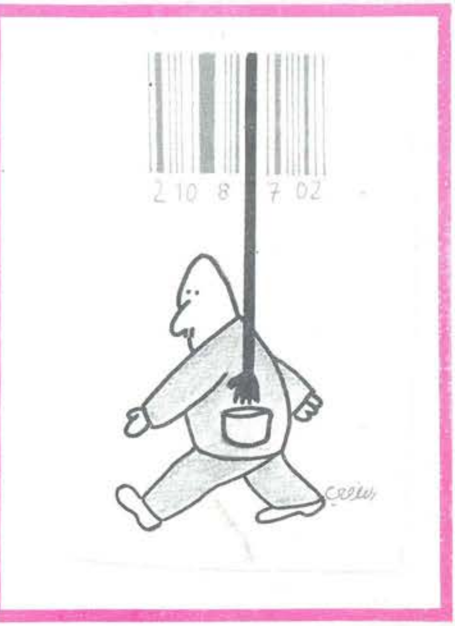
وسائل وإجراءات الدفع

تجري المعاملات الدولية بالنقود ، وبالتالي لا بد أن نتساءل عن دور النقود المستخدمة في التجارة بين الأقطار العربية في تقليص تلك التجارة . فواقع الحال أن مدفوعات الوارد والصادر بين تلك الأقطار ، تحسب وتدفع بعملات أجنبية ، فيما عدا الصفقات المتكافئة التي تعد ظاهرة استثنائية ومعقدة . ويعني ذلك أن الاستيراد من قطر معين يفترض أن القطر المستورد قد وفر « العملة » اللازمة للتمويل فورا ، أو خلال أجل قصير . وسرعان مايكشف هذا الواقع عن أن حرص كل قطر على احتجاز

موارده من العملات الصعبة ، لتغطية وارداته من الأسواق الغربية ، يدفع دفعا نحو تقليل الاستيراد من الأقطار العربية الأخرى . كذلك إذا نظرنا إلى التصدير ، تظهر أولوية التصدير لبلدان العملة الصعبة ، وإضافة أقطار الخليج النفطية على أساس قدرتها على الدفع بتلك العملة . ولايمكن تصور زيادة كبيرة في تيارات التجارة بين الأقطار العربية ، دون حل واضح لقضية وسائل الدفع . ولاتغني الصفقات المتكافئة لتحقيق مثل تلك الزيادة . فهي تنصب على مبالغ تحدد سلفا ، وقوائم السلع التي يصدرها كل طرف بين القطرين الموقعين على الصفقة ، وكذلك أسعارها . ومن الأمور التي هي غاية في العسر استخدام هذا الأسلوب في التجارة المتعدده الأطراف . ولما كان من غير الوارد أن تصبح كل العملات القطرية قابلة للتحويل بدون قيود تذكر ، يكون من المتعين ابتكار نوع ما في هذا الصدد . وأول مايرد على الذهن هنا ان تنص اتفاقيات التجارة على سقف معين للمبادلات ، دون التقيد بقوائم سلعية وخدمية محددة ، على أن يصفى حساب التجارة في نهاية كل عام ، ويسدد المدين الصافي قيمة الدين بكمية إضافية من السلع والخدمات ، أو بالدفع بعملة قابلة التحويل . وواضح أن مثل هذا الحل يفيد في تنشيط التجارة بين القطرين اللذين يوقعان مثل هذه الاتفاقية . ولما كان تعدد الأطراف المتعاملة هو وحده الذي يوفر زيادة حجم المبادلات من جميع الأطراف ، يصبح من المطلوب أن ينشط صندوق النقد العربي ، وكذلك اتحاد المصارف المركزية العمومية ، لإنشاء « اتحاد مدفوعات عربي » . وجوهر فكرة اتحاد المدفوعات تصفية حسابات كل عضو فيه في نهاية السنة مع مجموع الأقطار الأعضاء ، بحيث لايلتزم بسداد الرصيد السلبي واقتضاء الرصيد الإيجابي ، إلا في نهاية تلك التصفية . وبهذا يمكن مثلا أن يسدد العراق مديونيته التجارية إزاء اليمن من دائنيته لمصر التي يكون بوسعها أن تغطي ذلك من مديونية لها على الجزائر . وهكذا وليس هنا مقام التفصيل في شرح ذلك وكل ما نريد التنبيه اليه هو أنه لاضرورة لأن يكون اتحاد المدفوعات مؤسسة مستقلة جديدة ، بل يكفي أن يكون « نافذة » ثانية في صندوق النقد العربي .

المشروعات المشتركة

ولكل هذه الأسباب ، تكونت لدينا قناعة منذ أواخر الستينيات ، بأن التعاون الإقليمي يجب أن يتجه ، أولا وقبل كل شيء ، إلى المجال الإنتاجي . وكنا دائما نضرب مثلا لذلك صناعة السيارات . فمن المعروف أن تلك الصناعة



تعتمد على صناعات كثيرة تغذيها بمكونات السيارة ، كما أن الحجم الأمثل للانتاج ، والاستمرار في السوق ، يقتضي إنتاج مئات الآلاف من السيارات . ولهذا قلنا : إن أي قطر عربي لايمكن أن يبني صناعة سيارات كاملة ، على أسس اقتصادية سليمة . وعلى العكس من ذلك ، من الممكن أن تنشأ صناعة سيارات عربية ، يختص فيها كل قطر بصناعة أحد المكونات الرئيسية للسيارة (الصاج ، المحرك ، علبة السرعات ، علبة الكابح ، الزجاج ، المكونات المصنوعة من البلاستيك) ، كما تنشأ خطوط التجميع على مقربة من الأسواق الرئيسة . ولايخفى على القاريء أننا في هذه الحالة نصنع تكاملا عضويا ، بين مختلف المصانع ، لايمكن لحكومة أن تنسحب منه دون خسارة تحيق بها (إقفال مصانع بها) . وقد أثبتت التجربة صدق هذا المنهج : فعلى الرغم من كل ما حدث من تدهور في العلاقات السياسية والاقتصادية العربية ، بعد معاهدة الصلح المصرية « الإسرائيلية » ، بقي مشروع واحد بعيدا عن كل إجراءات المقاطعة المتبادلة ، وهو خط أنابيب الزيت من السويس إلى قرب الاسكندرية (سوميد) الذي تساهم مصر في رأسماله بمقدار النصف ، ويغطي النصف الآخرأربعة من أقطار الخليج العربي . كذلك يمكن التدليل على تغلب المصالح الاقتصادية على الخلافات السياسية بوضع العمالة المصرية في ليبيا ، في أثناء المواجهة بين رئيسي القطرين التي تدنت إلى مستوى التعامل بالسلاح ، فلا ليبيا طردت المصريين (وكانت في حاجة إليهم) ، ولا مصر استدعتهم ، (لأن الحكومة كانت ترى في هجرة العاملين حلا للمشكلات الاقتصادية) .

فالترابط العضوي بين وحدات الانتاج الموزعة إقليميا ضمان لنجاح المشروع المشترك ، وإسهامه في زيادة حجم التبادل التجاري . وفي ضوء هذا الفهم لابد من توضيح : لماذا عجزت المشروعات المشتركة التي أنشئت في السبعينيات ، عن أداء دور ملموس في هذا المقام . ويرجع السبب ـ في رأينا ـ إلى أن تلك المشروعات أنشئت باتفاقيات علوية ، بين الحكومات ، دون أدنى « دراسة جدوى » للنشاط الذي أنشئت من أجله . وقد غلب عليها طابع الشركات القابضة ، من حيث إنها جمعت رأس المال المطلوب ، وأصبح لها مجلس إدارة وموظفون يتقاضون مرتباتهم شهريا ، قبل أن تبدأ بأي نشاط جدي . لم تكن الشركات المشتركة ، في معظم الأحوال ، مشروعات ، بل كانت شركات مالية ، عليها أن تبحث عن مشروعات تستثمر فيها . ولانريد الإفاضة في هذا الشأن ، ولاذكر الأمثلة المحددة (وهي كثيرة) ، خشية سوء الفهم الذي قد يحمل المسئولين عنها على الظن بأنهم مقصودون لذواتهم .

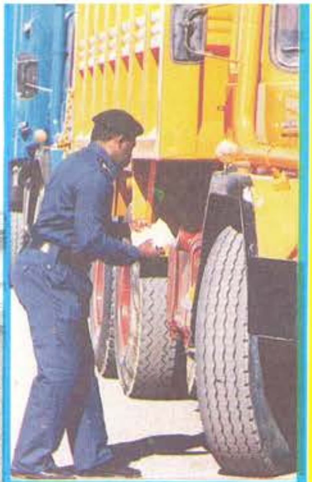
التبكير بالفعل

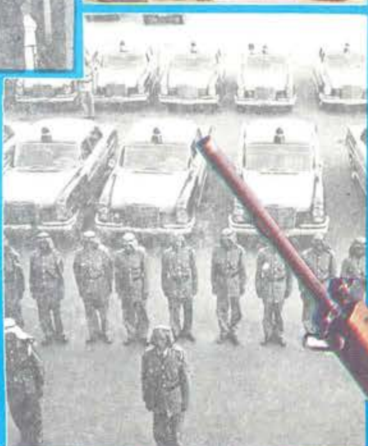
وبعد ، لم يكن القصد من هذه « العجالة » تثبيط الهمم ، ولا صرف الجهود بعيدا عن مجال زيادة التبادل التجاري ، بل إن العكس هو الصحيح ، فمعرفة العقبات والأسباب ضرورية لمن يريد أن يتجاوزها . ومن خلال النقاط المثارة يمكن أن يرى المرء ملامح ما يجب أن يكون ، حتى تخرج المبادلات بين الأقطار العربية من وضع الهامشية إلى وضع الفاعلية . فمن الواضح أن نمو هذه المبادلات يقتضي إرادة سياسية واعية قادرة ، كما يقتضي فعلا اقتصاديا مقصودا ، ورعاية لهذا الفعل ، ممن يرون فيه إضرارا بمصالحهم . ولابد للنجاح في هذا المقام من توفير الخدمات الضرورية ، لزيادة حركة السلع والخدمات عبر الحدود ، ثم تيسير وسائل الدفع على النحو المشار إليه آنفا . أما في المدى المتوسط والطويل فلا نجاح بدون المشاركة في الانتاج والتوزيع وختاما يجب أن نتذكر أن طول الأمد يقتضي التبكير بالفعل □

تطوّر الخدمة الأمنيّة بالكويت

في نصف قرن







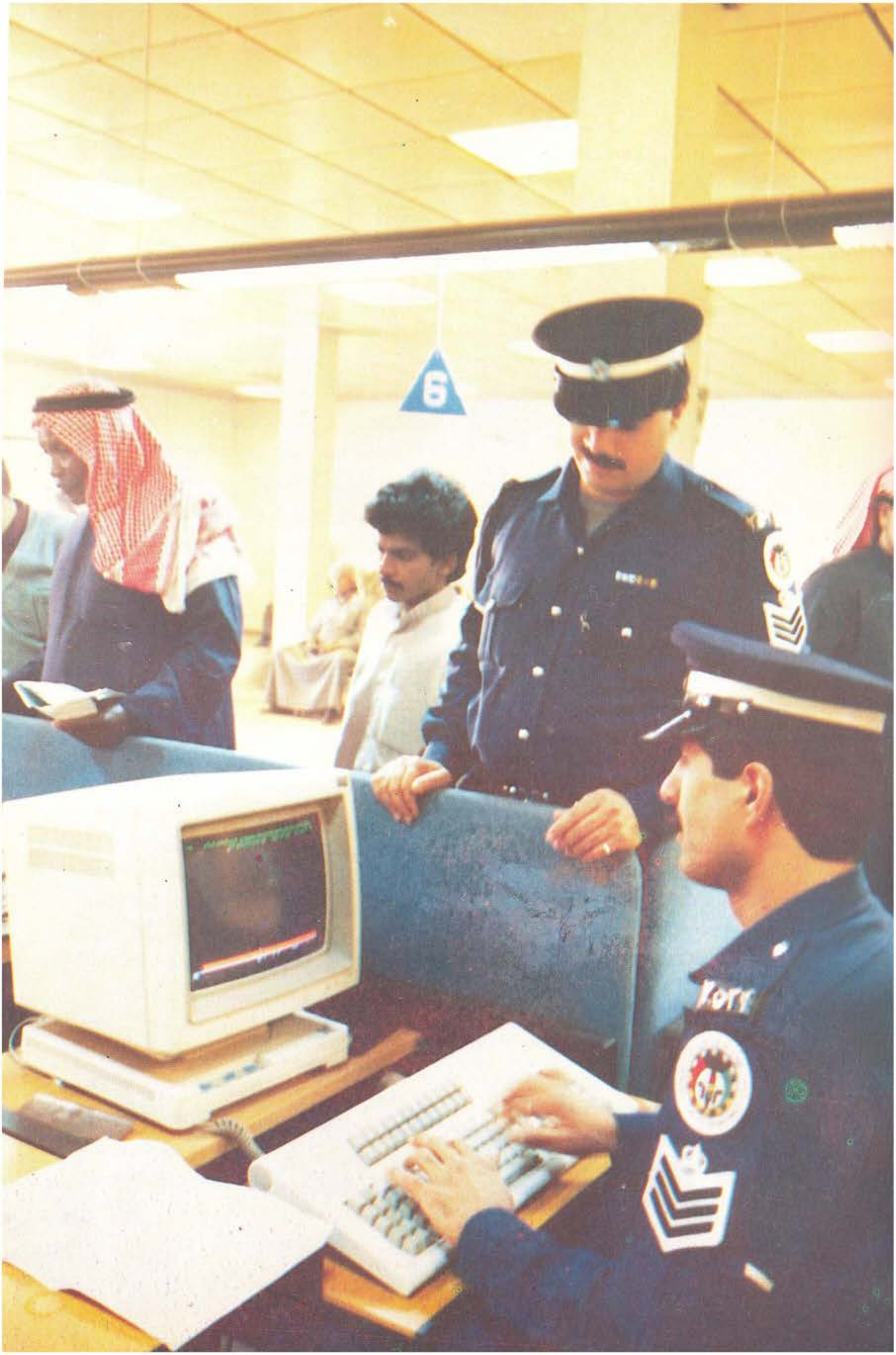




استطلاع :
أنور الياسين
تصوير :
طالب الحسيني






6

نصف قرن من الزمان مر على إنشاء جهاز الشرطة بالكويت ، خمسون عاماً هي عمر جهاز الأمن الذي تمتد إداراته ونشاطاته لتمنح الإنسان على أرض الكويت إحساساً مطلقاً بالأمان وتجعل الكويت أرضا للأمان والخير والسلام . داخل هذا الجهاز العتيد كانت جولة « العربي » لتنقل الصورة عن قرب !

هل الأمن إحساس أو كيان مادي ؟ هل هو إدارات ومبانٍ وسيارات أو وجود فاعل لكنه غير ملموس ؟ ندرك آثاره ونتائجه ، ونحس بوجوده وتعدد مظاهره ، ولكن لا نستطيع أن نمسك بأيدينا شيئاً واحداً ونقول هذا هو الأمن .

فالأمن هو تراكم بالإحساس النفسي والإدراك لدى الفرد بأنه لا يوجد ما يهدد حياته ولا عرضه ولا ماله .

والكويت واحة الأمن في منطقتنا العربية ، نستطيع أن نرصد مظاهر هذا الأمن وآثاره في كل نشاطات الحياة .

جذور وتطورات

عرف العرب عبر تاريخهم الشرطة ، بأشكال مختلفة ، ولكن المتفق عليه أن أول تجربة شرطة كانت على يد الخليفة العادل عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، ولقد تطورت الشرطة التي سميت العسس حيناً والحسبة حيناً آخر ، وتعددت وظائفها وأدوارها .

ويذهب كثير من الاجتماعيين إلى الربط بين تاريخ التطور الاجتماعي وتطور نظام الشرطة ، وهذه حقيقة علمية ، فكثير من الوظائف الاجتماعية داخل المجتمعات قد تطورت مع التطور العمراني والاقتصادي والثقافي والاجتماعي لهذه المجتمعات نفسها .

فعندما كانت الثروة في المجتمع العربي القديم ثروة منقولة كان الشكل المقبول للشرطة هو العسس ، الذين يجوبون الطرقات ليلاً ، لحماية الثروات من سرقات المغامرين ، وبعد ذلك وعندما أصبح التجار شريحة مهمة داخل المجتمع ، كان هناك المحتسب الذي يراقب السوق والأسعار كجزء من التنافس والصراع في التاريخ العربي القديم بين الوالي والتجار .

ومع تعقد المجتمعات وارتفاع صيحات الاحتجاج داخلها ، بدأ يظهر دور جديد للشرطة يتمثل في مراقبة استتباب سلطة الوالي ، ومطاردة خصومه ، والقبض عليهم ، وقد ظلت الشرطة تتطور في وظائفها مع كل تطور يحدث في المجتمع ، ومع كل تعقيد يطرأ .

وفي الكويت كان لطبيعة المجتمع وظروفه الجغرافية دور كبير في تحديد وظائف جهاز الشرطة ودوره .

كان الموقع المطل على البحر وكون الكويت مركزاً تجارياً ومنطقة صيد للؤلؤ ، له أثر كبير في طبيعة النشاط الاقتصادي . وعلى الرغم من أن المجتمع كان يقوم نشاطه الرئيس على التجارة والصيد فإن الرضا الطوعي والعلاقة المباشرة بين الحاكم والشعب جعلت الكويت مركزاً مستقراً آمناً .

ولم تبدأ الشرطة كنظام وهيئة داخل المجتمع الكويتي المدني إلا في عام ١٩٣٨ م ، وذلك بعد أن تولى المرحوم الشيخ صباح السالم الصباح أمير الكويت مسئولية رئاسة مديرية الشرطة واستمر ذلك حتى عام ١٩٥٦ م . وقبل ذلك التاريخ كانت المحافظة على الأمن تتم بعدد من الرجال ، يتشكلون من حراس ومفتشين على الحراس ، ومسؤول عنهم جميعاً ، وكلهم تحت إمرة المرحوم الشيخ صباح بن دعيج الذي كان



● سمو الأمير الشيخ جابر الأحمد الصباح عندما كان يتولى وزارة المالية، يرافقه أحد ضيوف الكويت في زيارة للمعمل الجنائي التابع لوزارة الداخلية، ويبدو في الصورة المستشار بالديوان الأميري ووكيل وزارة الداخلية السابق اللواء عبداللطيف الثويني.

يقوم بنفسه أيضا بجولات ليلية على الأسواق والأحياء في البلاد، للاطمئنان على استتباب الأمن لكل المواطنين.

وكانت الحياة حتى ذلك التاريخ هادئة بسيطة، وبعد عام ١٩٣٨ أنشيء جهاز حرس الأسواق الذي يتولى الحراسة وحفظ الأمن في أسواق الكويت. وتسارعت بعد ذلك خطوات النهوض بالشرطة تدريباً وإعداداً، فافتتحت أول مدرسة للشرطة عام ١٩٥٦ لإعداد الضباط وضباط الصف والأفراد، على أسس علمية عصرية، يتلقى على أساسها الدارسون نظام الشرطة وقوانينها، بالإضافة إلى التدريبات العملية العسكرية التي تؤهلهم لأداء واجباتهم على أكمل وجه.

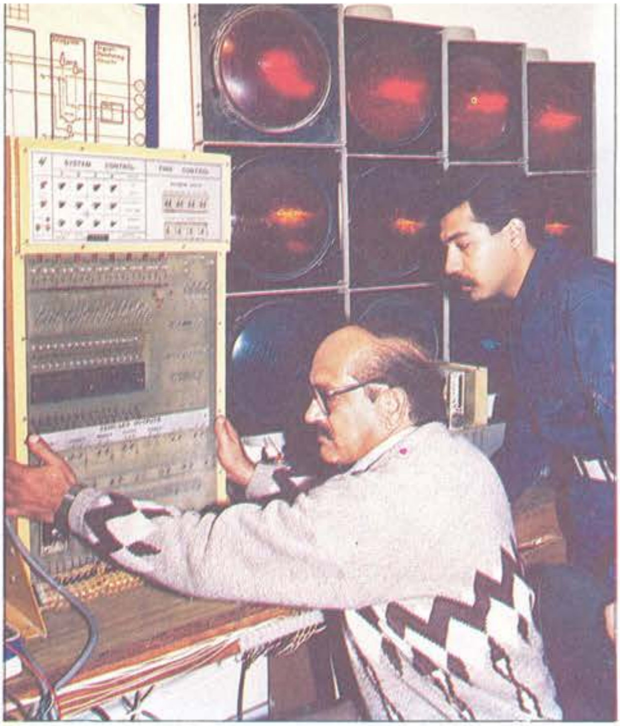
أول دائرة للأمن العام

ولم يكن يزيد عدد رجال الشرطة العاملين عام ١٩٣٨ عن ثمانين رجلا، حيث كان منظرهم بملابسهم الرسمية، مثار دهشة من قبل المواطنين الذين لم يألفوا منظر البدلة العسكرية، كما أنشئت دائرة للأمن العام في نهاية عام ١٩٣٨، وأسندت رئاستها إلى المرحوم الشيخ على الخليفة. وكانت مهمتها حراسة الحدود وتنظيم معاملات السفر للمواطنين والأجانب. ولم يكن للشرطة العامة، وقت تأسيسها سوى فرع واحد، هو دائرة شرطة الميناء التي تولى رئاستها الشيخ مبارك الحمد الصباح الذي ظل يشرف على شرطة الميناء حتى عام ١٩٥٩. وفي فبراير ١٩٥٩ اقتضت المصلحة العامة توحيد جهود مديريتي الشرطة والأمن العام ودمجهما في ادارة واحدة، من أجل توطيد دعائم الأمن والنظام في الكويت. كما أنشئت إدارات جديدة تناسب التطور والتقدم الذي سارت فيه الكويت الحديثة ولا زالت تسير فيه.

مع الزمن والتطور أصبحت أجهزة الشرطة تعبيرا عن الدولة، ورمزاً للحكومة، وشكلاً من أشكال هيبة السلطة التي تفرض النظام وطاعة القانون الذي يحدده المجتمع. وعلى الرغم من



● شرطي المرور رفيقك وصديق أطفالك. وإلى (اليسار) عملية إصلاح إشارات المرور التي تقوم بها الإدارة الفنية للمرور في ورش الإصلاح التابعة لها وعملية الفحص الفني للمركبات تتم على أحدث الأجهزة ، ويقوم بالإشراف عليها أفراد على قدر كبير من الكفاءة والتدريب (إلى أسفل) .







● المهندس فهد جعفر



● العميد خالد المنيس



● المقدم ابراهيم نغيمش



● حرس الشرف في الاستقبالات الرسمية في كويت ما قبل النفط.

كل ذلك ففي الكويت تشعر بهذا ، ولكنك لا تصطدم به ، لا تصطدمك الشرطة بوجودها المكثف في الشوارع والطرقات ، ولكنك تشعر بوجودها وهي غائبة ، تدرك قربها منك إذا احتجت إليها .

وقد أسندت إلى وزارة الداخلية مهمة الإشراف على الأمن في الكويت بناء على المرسوم الأميري الصادر في عام ١٩٦٢ بتشكيل الوزارات ، حيث تتولى حفظ الأمن والنظام داخل البلاد وحماية المواطنين وتنفيذ ما تفرضه القوانين واللوائح ، كما تختص الوزارة بوضع وتنفيذ الخطط الكفيلة بإستقرار أمن الدولة والمواطنين وحماية الآداب العامة والنظام العام وكذلك إعداد الشرطة والأمن العام ، والعمل على منع الجريمة وضبطها ، وتنفيذ الأحكام القضائية الصادرة في القضايا الجزائية والمعاونة في تنفيذ الأحكام الصادرة في القضايا الأخرى ، وتقديم المساعدات اللازمة للجهات الحكومية المعنية في تنفيذ القوانين واللوائح ، وغيرها من الأعمال مثل أعمال الدفاع المدني ، وتنظيم المرور على الطرق .

التقنية الحديثة في خدمة الأمن

ولتسيير وتنفيذ كل هذه الواجبات وغيرها الملقاة على عاتق الأجهزة الأمنية في الكويت عملت القيادة الأمنية في البلاد على إنشاء مركز المعلومات الآلي الذي يقوم بتطوير عدد من أنظمة المعلومات ، بهدف التبسيط والتسهيل لكل الاجراءات في وزارة الداخلية . يقول المهندس فهد جعفر ، مدير عام إدارة مركز المعلومات الآلي : إن الوزارة تؤمن بأن الاتصال الدائم بالجمهور هو الأساس الأول لنجاح الأجهزة الأمنية في أداء رسالتها ، ومن هذا المنطلق تسعى الوزارة لتقديم خدمة حضارية ، تتضمن إنجاز المعاملات في أسرع وقت ، سواء كانت هذه المعاملات تتعلق بالجنسية ، أو جوازات السفر أو الإقامة ، أو تأشيرات الدخول ، أو الاستعلام الفوري عن المركبات ، فمهمة المركز هي تسخير

تقنية المعلومات والحاسب الآلي ، في ما يتعلق بتطوير مشاريع وأنظمة متعددة ، باستخدام أحدث الأساليب التقنية ، مثل نظم الخدمات الأمنية وخدمة المواطنين ، وهذه النظم تساعد في حفظ السجلات بالطرق الحديثة واسترجاعها بشكل فوري عند الحاجة ، وخطط وصيانة بيانات العاملين ، وسهولة اطلاع المسؤولين عليها ، ومراقبة تنفيذ الميزانيات ، وتوفير ما تحتاجه الإدارة العليا من إحصائيات وبيانات لأغراض التخطيط والمتابعة ، فهو وجه حضاري للخدمات الأمنية في الكويت .

الحفاظ على سرية المعلومات

أما بالنسبة لنظم الخدمات الأمنية وخدمة المواطنين فيقول المهندس فهد جعفر : إنه نظراً لأن عمل أجهزة الشرطة يقوم على الاتصال الدائم بالجمهور ، وهذا الاتصال هو الأساس الأول لنجاح تلك الأجهزة في أداء رسالتها ، فإن الخدمة الأمنية في الكويت تسعى دائماً لتطوير خدماتها ، وتقديم خدمات حضارية ، ذات مستوى راق ، من خلال تسهيل إجراءات إنجاز المعاملات ، وكذلك اختصار الوقت والجهد ، كالسهولة والسرعة في نقل ملكية المركبات ، والحصول على إثبات الجنسية ووثائق السفر ، وتجديد الإقامة والحصول على تأشيرات الدخول ، والاستعلام الفوري عن المركبات والأشخاص المطلوبين للإدارات المختصة .

وإذا أخذنا نظام ملفات الجنسية نظراً لكونه أحد النظم الحيوية بحسبانه القاعدة الأساس لبيانات المواطنين الكويتيين،فإن هذا النظام يمكنه تغطية كل متطلبات الإدارة العامة للجنسية ووثائق السفر ، من الاستفسارات الفورية عن بيانات الملفات بسرعة ودقة ، عن طريق الشاشات المرئية ، وذلك في أثناء إجراء المعاملات اليومية ، كما يمكن استخراج شهادات إثبات الجنسية ، والرد على استفسارات





● الكوفية العربية اختفت الآن وحل محلها القبعة (الكاب) .



الوزارات المختلفة ، بالاضافة إلى الحصول على الإحصائيات المختلفة،وبعض التقارير عند الطلب .

وكذلك نظام المرور الذي يحتك بجمهور عريض من المواطنين والمقيمين ، والذي يمكنه تلبية احتياجات الإدارة العامة للمرور وإدارات الوزارة المختلفة ، كالإدارة العامة للتحقيقات ، واتصالات الشرطة والنجدة ، وتنفيذ الأحكام والسجون ، ووزارات الدولة الخاصة بالمركبات وإجازات القيادة،والأحكام الصادرة ضد مخالفي قواعد المرور وأنظمته ، وإمكانية البحث عن أي مركبة برقم اللوحة الكامل ، أو بجزء من رقم المركبة ، أو برقم القاعدة ، أو باسم المالك ، أو برقم إجازة القيادة ، أو بإثبات الشخصية ، كما يوفر هذا النظام ضمان نظام أمني دقيق للمعلومات حرصا على سريتها وعدم تداولها إلا للجهات المختصة بذلك .

الشباب الكويتي والتقنية الحديثة

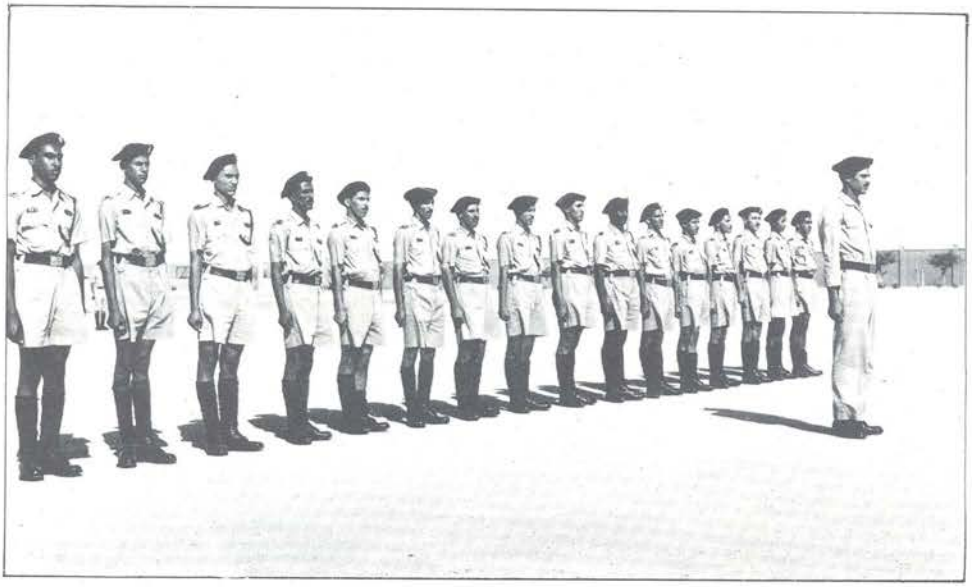
إن البرامج والنظم الأمنية التي يقدمها المركز ، مثل نظام قوائم الممنوعين من السفر ، والسجلات الجنائية ، والحوادث اليومية ، في الواقع ، أنظمة حديثة ، تهدف إلى توفير الأمن والأمان والاستقرار للمواطنين والمقيمين ، من خلال متابعة القضايا الجنائية ، وتوفير البيانات اللازمة ، لمواجهة الأحداث الطارئة ،والكوارث ، وكذلك لإعداد التقارير والإحصائيات لأغراض المتابعة والمراقبة من خلال جهاز الحاسب الآلي الذي يعمل البرامج وفقه .

وبطبيعة الحال فإن العاملين في تلك المشاريع تتحقق لهم فرصة اكتساب الخبرة العالية في مجالات تقنية مختلفة ، حيث آفاق هذه التطبيقات واسعة في مختلف مجالات العمل ، وينعكس مردودها أيضاً على « الكوادر » المحلية التي





● ينظم المركز الآلي دورات تدريبية لجميع أفراد الإدارات التابعة لوزارة الداخلية التي تستفيد من خدمات الحاسب الآلي للمركز ، ويشاهد أحد الضباط يقوم بعملية تخزين الأشرطة الخاصة بحفظ المعلومات. وفتاة كويتية من العاملات بالمركز ، تقوم بتصميم برنامج خاص بإحدى إدارات وزارة الداخلية



●أول دفعة من مدرسة الشرطة في الكويت .

تستخدمها ، لكونها تتطور ، ويدخل عليها الجديد من التقنية كل يوم . فهو مردود إيجابي يساعد في تنمية القدرات لمن يعمل على هذه الأجهزة .

والمركز يستقطب كثيرين من الشباب الكويتي ، في محاولة منه للمحافظة على المستوى المطلوب المناسب في الاكتفاء الذاتي من « الكوادر » الوطنية ذات الكفاءة والقدرة على متابعة مسيرة التطور الهائل في مجال الحاسب الآلي وتقنية المعلومات .

وحول هذه النقطة يقول المهندس فهد جعفر : إن النسبة الحالية للعمالة الوطنية في المركز لا تغطي طموحاتنا المطلوبة ، لتنفيذ برامج العمل التي وضعها المركز كهدف استراتيجي ، يسعى لتحقيقه من خلال الاستقطاب والتطوير لمزيد من الكفاءات لسد العجز ، وبخاصة أن المركز جزء من هذا الجهاز الأمني الحساس ، وأن الخطة الخمسية القادمة للمركز تعالج هذا الجانب كعنصر أساس فيها ، لما يمثله من دعامة رئيسة في تحقيق أهدافها العملية ، والشباب الكويتي لديه الإمكانات العالية ، بالإضافة إلى أن الدولة لم تدخر جهدا في بنائه . إن مستوى الكفاءات الفنية « للكوادر » العاملة في مجالات استخدام الحاسبات الآلية ، ونظم المعلومات ، في المركز ، والبرامج التي قدمت لمختلف إدارات وزارة الداخلية يعد واحداً من المقاييس الحقيقية لمدى التطور الذي تم الارتقاء به في الأجهزة الأمنية في الكويت ، وهو الجهاز الأمني الحساس .

كلية الشرطة مصنع الرجال

التطور في مجالات العمل بالشرطة ، ليس قصرا على الأجهزة ، وإنما يعتمد كليا على العنصر البشري ، القادر على استخدام تلك الأجهزة ، والإفادة منها ، فالأجهزة مهما تكن متطورة لا تزيد عن كونها مجرد آلات صماء بدون الفرد والمدرب الواعي القادر على حسن استخدامها .

فالتدريب هو الوسيلة الوحيدة للنهوض بمستوى الفرد ، وجعله ذا كفاءة في أدائه لعمله ، أياً كان موقع ذلك الفرد من العمل . ولهذا يتلقى أفراد الشرطة في الكويت بمختلف

رتبهم وتخصصاتهم ، تدريباً مستمراً على كل ما هو جديد ، في مجال مكافحة الجريمة ، التي أصبحت عصرية متطورة ، ولن يدرك رجال الشرطة أسرارها إلا بالاطلاع والتدريب الجدي المستمر ، والمثابرة على طلب العلم .

يقول العميد خالد المنيس ، مدير عام كلية الشرطة ، عن النظم التعليمية في سلك الشرطة : لقد أنشئت الكلية عام ١٩٦٩ ، وتخرجت أول دفعة فيها عام ١٩٧١ بعد دراسة استمرت عامين ، وكان عدد خريجي أول دفعة ٣٧ ضابطا .

والكلية تقبل الطلاب الحاصلين على شهادة اتمام الدراسة الثانوية ليتخرج الطالب بعد عامين متصلين ضابطا برتبة ملازم ، أما اليوم فإن الكلية تمنح « بكالوريوس » ، بعد دراسة تستمر ثلاث سنوات ونصف سنة ، تتم خلالها دراسة العلوم العسكرية والشرطية والأكاديمية،وكثير من التدريبات العسكرية ، والإعداد الفني والميداني اللازمين للعمل . وقد بلغ خريجو آخر دفعة في الكلية عام ١٩٨٩ (١١٧) ضابطا ، وقد بديء ، منذ عام ١٩٧٨ ، في تنظيم دورات الخريجين الجامعيين الراغبين في الانخراط في سلك الشرطة ، ليتخرجوا ضباطا متخصصين ، وفي البداية كانت مدة الدراسة ستة أشهر ، ثم أصبحت عاما كاملا بدءا من ١٩٨٧ . وقد سمح مؤخراً لخريجي كلية الشرطة بمواصلة الدراسة في كلية الحقوق ، سواء في جامعة الكويت أو غيرها من الجامعات . وبالإضافة لكلية الشرطة هناك معهد ضباط الصف ، لتخريج ضابط صف ، ومدة الدراسة سنة كاملة ، والمعهد يقبل الحاصلين على الشهادة المتوسطة أو مافوقها .

وقد بدأت الدراسة بالمعهد في عام ١٩٧٥ ، وتخرجت أول دفعة في عام ١٩٧٦ ، وقد بلغ عدد الخريجين في ذلك العام (١٩٠) ضابط صف .

أما آخر دفعة تخرجت عام ١٩٨٩ فقد بلغ عدد خريجيها ١٢٢٤ ضابط صف ، انضموا جميعا إلى الإدارات والأقسام بوزارة الداخلية .

وإلى جانب الكلية والمعهد هناك مدرسة أفراد الشرطة ، وهي تقبل الحاصلين على الشهادة الابتدائية ، ومدة الدراسة فيها ستة شهور ، وقد تخرجت أول دفعة عام ١٩٧٤ ، وبلغ عددها ٥٦ خريجا،أما آخر دفعة تخرجت في عام ١٩٨٩ فقد بلغ عددها ٢٢٧ خريجا .

هذا التنوع في مستويات إعداد العنصر البشري مقصود ، ويتم وفق تخطيط ، بحيث يكون كل جهاز رجال الشرطة في الكويت يجيد القراءة والكتابة في الحد الأدنى وملماً بقواعد العمل ونظمه ، ومدرباً تدريبا عمليا ، ومؤهلاً بشكل صحيح ، ليتولى مسئولية الأمن بلا إفراط ولا تفريط .

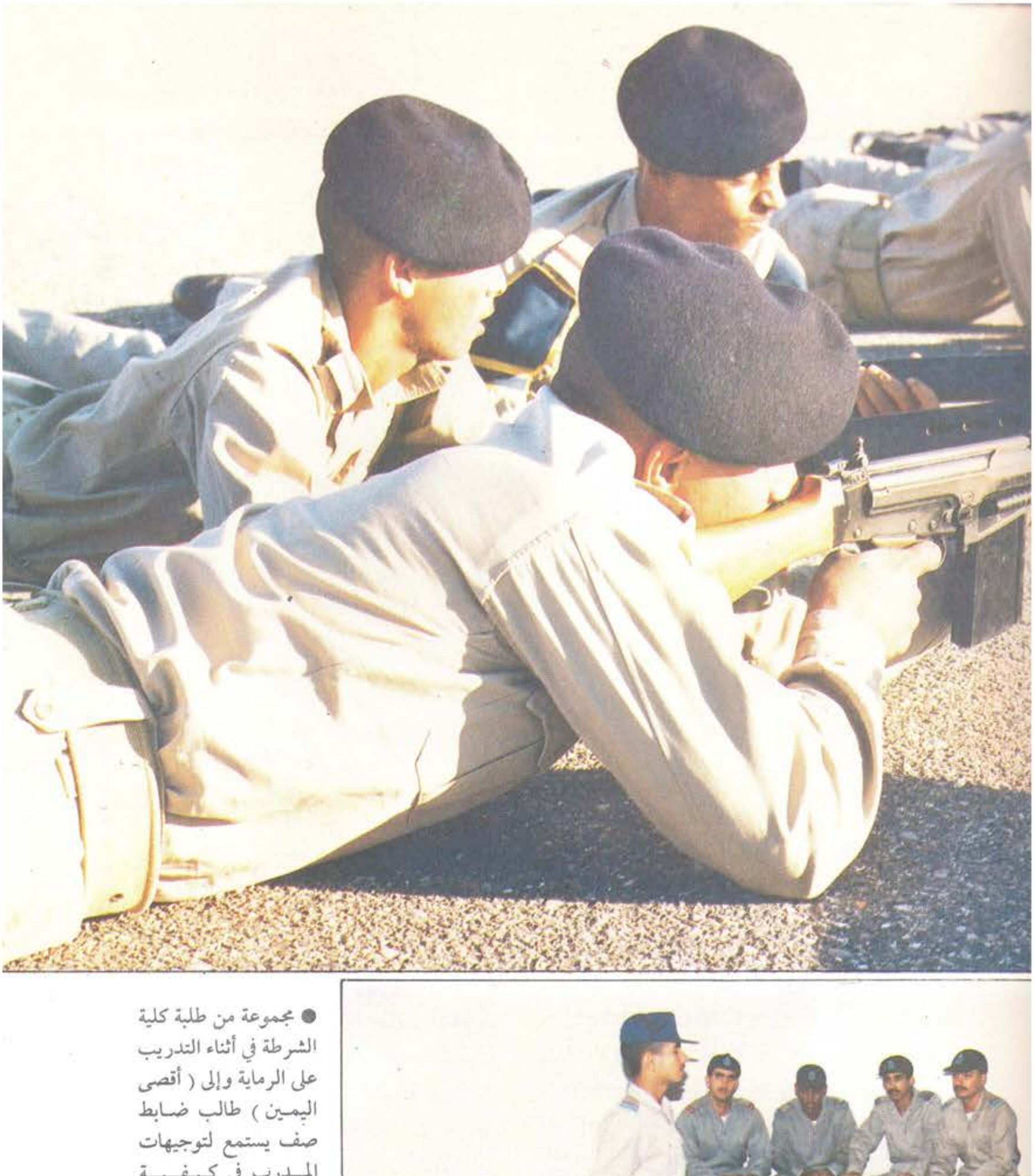


● الشرطة لأول مرة بالبذلة العسكرية عام ١٩٣٨ .

لتشجيع المواطنين على الانخراط في سلك الشرطة ، والتقدم إلى كلياتها ومعاهدها ومدارسها ، فالدراسة بالمؤسسات التعليمية الثلاث داخلية ، تقدم الطعام والسكن المؤثث ، والملابس العسكرية مجانا ، بالإضافة الى مكافأة مالية شهرية ، تصرف للطلبة الدارسين بكلية الشرطة بواقع ٢٤٠ دينارا (أي ما يعادل ٨٥٠ دولاراً امريكيا) ، و ١٤٠ ديناراً لطلبة معهد









● مجموعة من طلبة كلية الشرطة في أثناء التدريب على الرماية وإلى (أقصى اليمين) طالب ضابط صف يستمع لتوجيهات المدرب في كيفية استخدام البندقية « الاوتوماتيكية » . و (أسفل) تمثيل مسرح الجريمة واحد من أهم أجنحة تدريب الطلبة الضباط في كلية الشرطة على كيفية الاستدلال على أول خيط للجريمة .



● الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ولي العهد رئيس مجلس الوزراء يتفقد أفراداً من سلك الشرطة ، عندما كان يتولى مهام وزير الداخلية .

ضباط الصف (قرابة ٤٩٠ دولاراً) .

ويضيف العميد خالد المنيس فيقول : إن المناهج في المؤسسات التعليمية تخضع للتطوير المستمر ، والتعديل والتخطيط ، وهذا التطوير يتم وفقا لاستقراء رأي قيادات الشرطة بين الحين والآخر حول مستوى الأداء والكفاءة لدى خريجي هذه المؤسسات ، ومدى تناسب ما يتلقون من تعليم وإعداد مع ضرورات الواقع .

بالإضافة إلى مؤسسات الإعداد والتعليم هذه هناك التدريب والإعداد المستمر للضباط في أثناء الخدمة .

معهد كويتي والرواد عرب

معهد تدريب ضباط الشرطة هو أحد المعاهد التي تضمها الإدارة العامة لكلية الشرطة ، وقد أنشيء بتاريخ ١٩٧٧/٣/٢٩ ، بهدف مسايرة التطور في جميع المجالات القانونية والجنائية والشرطية ، لمواجهة أعباء العمل الأمني بكل ثقة واقتدار ، وذلك عن طريق عقد دورات أساسية وتخصصية وتنشيطية ، لضباط الشرطة العاملين بالخدمة ، بغرض تنمية خبرات ضباط الشرطة تنمية علمية وعملية ، مع زيادة كفاءتهم الإنتاجية ، عن طريق الاهتمام بدراسة القضايا والحالات ، والتعرض للمواقف والظروف التي تواجههم في أثناء العمل ، والتدريب على حلها ، مع تمكين الضباط من مسايرة التقدم العلمي والتقني ، والإلمام بالأساليب والوسائل الحديثة المستخدمة في أعمال الأمن والشرطة ، والإسهام في نشر الوعي بأهمية التدريب في حياة الضباط العملية ، مع أهمية تنمية مهاراتهم

الإنسانية والمهنية ، مما يحقق أداء لدورهم الإنساني والشرطي في المجتمع على أكمل وجه ، وربطهم بالحقائق السياسية والاقتصادية والاجتماعية المهمة والأحداث الجارية .

والتدريب المستمر في رأى المقدم ابراهيم نغيمش ، مدير معهد تدريب ضباط الشرطة ، هو الوسيلة الوحيدة لمسايرة التطور العالمي ومواكبة كل جديد فيه وبدون التدريب المستمر يتناقص الإنتاج ، وتبدأ بالتالي مشاكل العمل في الظهور دون توافر القدرة على تخطي تلك المشاكل بالأسلوب العلمي الفعال .

أما عن الدورات التي عقدت في هذا المعهد ، منذ انشائه ، فبلغ عددها (٦٠) دورة للعسكريين ، شملت ضباط وزارة الداخلية بدولة الكويت ودول مجلس التعاون الخليجي والجمهورية العربية اليمنية الشقيقة ، و (١٤) دورة تخصصية لموظفي الأمن بالوزارات والمؤسسات الحكومية وشركة البترول الوطنية ، هذا فضلا عن دورات الموسم الحالي ٨٩/٩٠ التي تشمل (٦) دورات للعسكريين ، ودورة واحدة لموظفي الأمن ببنك الكويت المركزي .

ولا يقف نشاط المعهد عند حد عقد الدورات التدريبية فقط ، بل يتعداه إلى النشاط الأمني الشامل من خلال عقد الندوات العلمية العامة للمتخصصين ، فقد تولى المعهد إدارة ندوتين ، خلال موسم ٨٧/٨٨ ، وأخرى في موسم ٨٨/١٩٨٩ ، وهناك أيضا ندوتان لموسم ٨٩/١٩٩٠ .

وأهم ما يميز النشاط الإداري والتدريبي للمعهد ، خلال الموسمين الأخيرين ، هو الحضور المكثف من جانب كبار الشخصيات والمتخصصين من الجهات الحكومية والعلمية بالدولة ، فمن خلال المحاضرات العامة التي تلقى على الدارسين بالدورات ، ومن خلال حلقات النقاش والندوات التي تعقد بين الحين والآخر ، نجد أن الصلة العلمية والاجتماعية قد توثقت بين الدارسين والمتلقين للمحاضرات ، بحيث أصبحت حلول المشاكل العملية للضباط متيسرة ، وفي متناول اليد ، هذا فضلا عن التعاون المثمر والبناء ، الذي نعده من المكتسبات التي جنيناها من خلال تعاملنا مع تلك الجهات ، كوزارة الخارجية ، والعدل ومكتب النائب العام ، وجامعة الكويت ، والمعاهد التطبيقية .

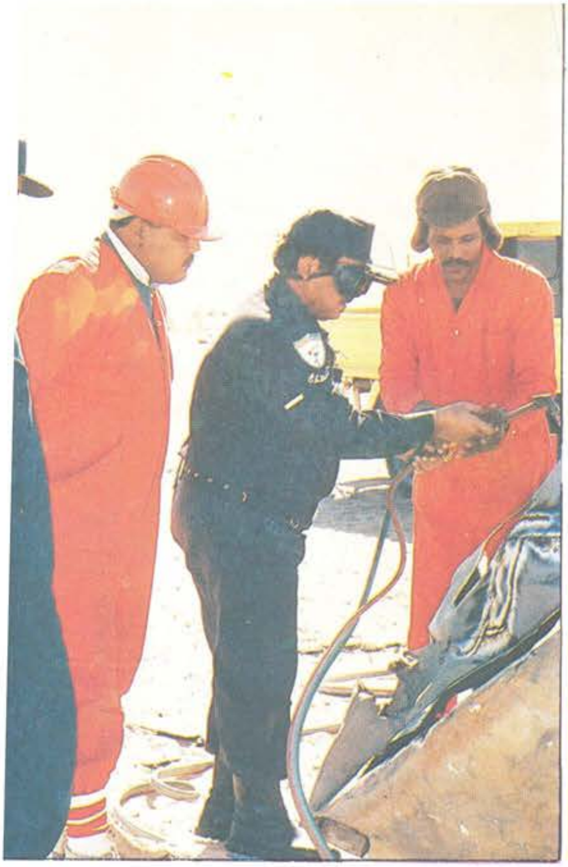
القطاع الأكثر احتكاكا بالجمهور

إن الإدارة العامة للمرور واحدة من أكثر قطاعات الشرطة احتكاكا بالجمهور وخدمة للناس ، فنتيجة لطبيعة الكويت الجغرافية فالحركة خلالها والانتقال من مكان إلى آخر يتطلب دوماً استعمال المركبات ، وأكثر وسائل النقل شيوعا هي السيارات الخاصة التي يتجاوز عددها ٧٥٠ ألف سيارة في الكويت . وعلاقة الجمهور بالمرور هي أكثر العلاقات مباشرة ويومية ، ومنطق الادارة الدائم هو : نحن أصدقاء الجمهور ومساعدوه لتنظيم تدفق السير وحسن الطاعة للقوانين ، وقد ساعدت إدارة المرور على تسيير عملها هذه الشبكة الرائعة من الطرق التي تعد من أفضل شبكات الطرق في العالم .



● أول مركز للاتصالات خاص بالأمن في الكويت





● الدفاع المدني : ويشاهد أحد التدريبات على الإسعافات الأولية وعملية إخلاء الجرحى والتدريب على عملية الإنقاذ باستخدام جهاز القطع بالأوكسجين لمتطوعين في الدفاع المدني .

ولذلك فإن حسن العمل والضبط المستمر والحزم في تطبيق اللوائح والقوانين المرورية هو الذي جعل من النظام العام للمرور المتبع بالكويت واحدا من أدق الأنظمة وأكثرها ضبطا . يقول العميد عبد الحميد الحجي ، المدير العام للإدارة العامة للمرور : إن معدل الحوادث في تناقص ، ففي عام ١٩٧٩ كان إجمالي الحوادث ٢٤ ألفا و٥٥٨ حادثة ، تتفاوت من حالات الاصطدام الخفيف حتى حالات الدهس المؤدي إلى الوفاة . وفي عام ١٩٨٨ أصبح معدل الحوادث ١٨ ألفا و ٣٧٨ حادثة ، مع الأخذ بعين الاعتبار زيادة معدل السيارات في الكويت . وتحقق الإدارة العامة للمرور أهدافها ورسالتها من خلال التطبيق الصارم للقانون والمراقبة الدقيقة للطرقات والشوارع وحملات التوعية المستمرة لقائدي المركبات والمشاة .

وعلى سبيل المثال فمخالفة تجاوز الإشارة الضوئية لا يتم التسامح فيها ، وعقوبتها تصل إلى سحب رخصة القيادة لمدذ متفاوتة ، وقد تصل إلى ستة شهور ، مهما كانت الأسباب ولو تكررت مخالفة السائق الجسيمة بشكل ملحوظ فإن هناك عقوبة لغير الكويتيين ، قد تصل إلى إبعاده إداريا عن الكويت .

وتستخدم الإدارة العامة للمرور أحدث الأساليب التقنية لمراقبة الطرق وحسن السير ، وهناك مشروع سيطبق قريبا للتحكم المركزي للتنظيم ومراقبة حركة السير . وحول هذا النظام الحديث التقني يقول المقدم مصطفى جمعة ، مدير العمليات بالإدارة العامة للمرور :

إنه تم البدء في دراسة الجدوى لهذا المشروع الرائد ، ففي شهر اكتوبر عام ١٩٨٦ شكلت لجنة فنية لتقييم مواصفات مشروع الإدارة

والتحكم المركزي للإشارات الضوئية ، وذلك برئاسة بلدية الكويت ، وعضوية كل من وزارة الأشغال العامة ، والإدارة العامة للمرور ، ووزارة المواصلات ، وشركة النقل ، ومعهد الأبحاث العلمية . وكان الهدف من تشكيل اللجنة هو إعادة طرح المشروع بعد توقفه مدة أربع سنوات تقريبا . ولضرورة الإسراع في تنفيذه ، خصوصا بعد أن أشرفت معظم مشاريع الطرق السريعة وتقاطعاتها المحكومة بالاشارات الضوئية على الانتهاء ، وكذلك على الرغم من كفاءة شبكة الطرق القائمة والمقترحة ، والحل الأمثل لتنظيم حركة المرور ، والحد من الاختناقات المرورية . وقد بدأت الإدارة العامة للمرور في تنفيذ مشروع النظام المركزي الذي يشكل نواة لنظام معلومات متكامل عن حركة المرور بشبكات الطرق ، كما أنه يوفر المتطلبات الأمنية الاجتماعية ، وسيتم البدء في الاستفادة من غرفة العمليات المركزية هذه في بداية شهر مارس الحالي .

المركبة وقائدها

ولضمان حسن السير على الطرق ، فإن نظام منح التراخيص لقائدي السيارات أو المركبات واحد من أدق النظم المعمول بها على مستوى العالم بشهادة خبراء مرور من مختلف الجنسيات .

واختبار منح ترخيص القيادة يتم على مرحلتين : نظرية وعملية ، وهو اختبار يبلغ من دقته وصرامته أن حامل رخصة القيادة الكويتية يستطيع أن يستبدلها في كثير من البلدان العربية والأوربية دون اختبار مشابه ، وهناك أيضا فحص فني للسيارات ، يتم كل عام ، لاختبار صلاحية السيارة « ميكانيكيا » ، ولياقتها من حيث الشكل ، وكفاءة العمل . هذا النظام الدقيق كفل قدرا كبيرا من الإحساس بالاطمئنان والأمن للراكبين وللمشاة معا .



● العميد عبد الحميد الحجي



● العقيد خالد القعود



● المقدم مصطفى جمعة



● أمير الكويت الراحل الشيخ صباح السالم الصباح أول رئيس لدائرة الشرطة العامة ، وبجانبه سكرتير الدائرة في ذلك الوقت ، المستشار بالديوان الأميري حاليا ، الأستاذ عبد الرحمن العتيقي .

التخطيط الأمني الشامل

أصبحت ضرورة إعداد المواطن لمواجهة الكوارث الناشئة عن عوامل الطبيعة أو الحروب أو الناجمة عن أخطار الصناعات الضخمة والمعقدة وحوادثها اعدادا فعالا أمرا لا مفر منه ولا نزاع فيه ، وأصبح المعترف به أنه مهما بلغت درجة تدريب الاخصائيين وموظفي إدارات الأمن العامة لا تتحقق الأهداف المرجوة إلا إذا كان المواطن على علم تام بأمور الحماية المدنية ، وغالبا ما تعود أسباب الخسائر في الأرواح والممتلكات ، في حالات الكوارث والحروب والحوادث الصناعية ، إلى الجهل وعدم الإعداد للمواطن ، وغياب التخطيط الأمني الشامل .

عن فلسفة الدفاع المدني في الكويت يحدثنا العقيد خالد القعود ، مدير عام الإدارة العامة للدفاع المدني ، فيقول : الحماية المدنية مسئولية جماعية ، يشارك فيها كل المواطنين والمسئولين ، وتنفيذ أعمال الدفاع المدني لا يمكن أن يقوم بها جهاز رسمي فقط ، ولكن النجاح الحقيقي يتم بمساعدة المدنيين المتطوعين والمتدربين على أعمال الدفاع المدني ، المنتشرين في المؤسسات المختلفة ، وأهمية هؤلاء المتطوعين تكمن في ما تسميه كسب عنصر الزمن ، فدائما هناك زمن بين الإبلاغ عن الحادث (حريق أو انهيار مبنى أو سقوط طائرة) وبين تلبية الأجهزة الرسمية ، وهذا الزمن مهما قل فهو يكلف خسائر مادية وبشرية ، ودور الدفاع المدني الذي أعنيه هنا هو العمل على التقليل إلى حد كبير من هذه الخسائر ، والعمل على تلافيها . والعمل في القطاع الدفاع المدني يتم على مراحل وتصنيفات فنية ، ففي البداية هناك مرحلة الوقاية ، وهي تشمل كل النشاطات التي تحول أو تخفف من احتمال وقوع الحوادث . والمرحلة الثانية هي التخطيط لإنقاذ الأرواح ، وتقليل الضرر ، إلى أقل حد ممكن ، واتخاذ الاجراءات لتعزيز التجاوب مع عمليات الطوارىء ، وتشمل هذه المرحلة دراسة مخططات البنايات ، وإنشاء



● مبنى مديرية الأمن العام في الكويت القديمة .

الملاجيء ، واختبار صلاحيات أجهزة الإنذار . والمرحلة الثالثة هي الاستجابة ، وهي تشمل النشاطات الخاصة بتجهيز المساعدة لدى وقوع الإصابات ، ولتخفيف إمكانية حدوث أضرار ثانوية . والمرحلة الرابعة هي مرحلة التسوية القصيرة الأجل ، وهي مرحلة النشاطات والانتقادات ، وإعادة نظم دعم الحياة الحيوية إلى الحد التشغيلي الأدنى على الأقل . ثم المرحلة الأخيرة ، وهي مرحلة التسوية الطويلة الأجل ، وهي تشمل إعادة النشاطات إلى شكلها الطبيعي أو إلى مستويات أفضل . هذه المراحل كلها لا يمكن أن تتم دون جهود المتطوعين ودون التوعية الإعلامية ، ولذا فقد بدأت إدارة الدفاع المدني في فتح باب التطوع لأعمال الدفاع المدني في عام ١٩٨٨ م ، فتقدم ٧٠٠٠ آلاف متطوع من الجنسين ، تم تقسيمهم على دورات ، تخرجت الدورتان : الأولى والثانية ، وقدمتا ٦٠٠ متطوع ، ويجري العمل الآن في الإعداد والتدريب للدورة الثالثة ، وهي دورات تضم متطوعين من الرجال والنساء .

ويضيف العقيد خالد القعود : إن أجهزة الدفاع المدني تستخدم أحدث سبل التقنية في المعلومات والاتصالات ، حيث إن السرعة والدقة هما أبرز صفات الدفاع المدني وأكثر ما يجب أن يتميز به .

نصف قرن من العطاء والأمان

وليست هذه كل قطاعات الشرطة وأجهزة الأمن في الكويت ، ولكنها نماذج لبعض أجهزة الشرطة ، توضح كيف تطورت خدمات الأمن في نصف قرن ، وكيف أصبحت على مستوى رفيع من الكفاءة ومتابعة أحدث ما في العصر ، لضمان استقرار القانون ، وحسن تطبيقه ، وسيادة الأمن فوق أرض الكويت ، لتمنح أبناءها والمقيمين عليها إحساساً بالأمان والطمأنينة ، وما أهمه من إحساس ، وما أعظمه من عمل قامت به أجهزة الشرطة على مدى نصف قرن كامل ، فساهمت لتجعل الكويت وطناً للسلام والخير والأمان . □

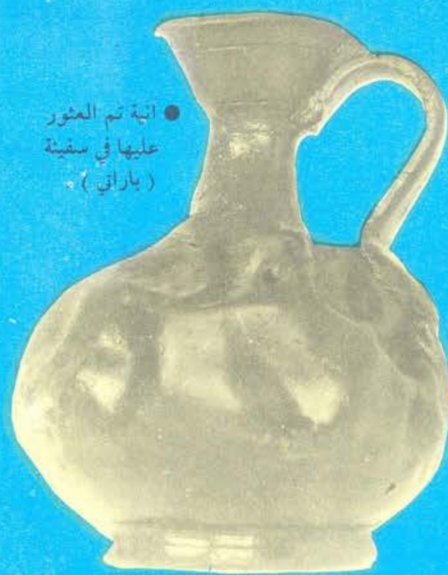
صفحة من التاريخ العربي في أعماق المتوسط

بقلم : عرفان رشيد*









● آنية تم العثور عليها في سفينة (باراتي) .

* كاتب من القطر العربي العراقي







١ جسد السفينة وبعض الأواني .

٢ يد تحمل شيئاً تم استخراجه من السفينة ، وهو « قطعة من تمثال » .

٣ منظر للسفينة تحت الماء .

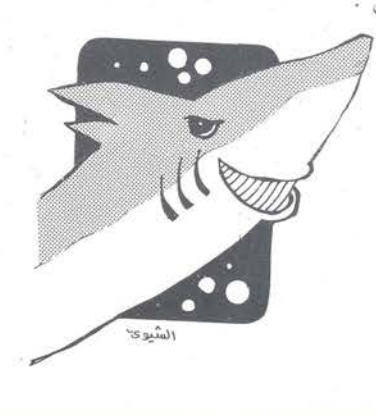
٤ أحد أعضاء فريق التنقيب يحمل قطعة .

٥ البروفيسور نيكوسيا وأحد مساعديه يفحصان علبة فضية .

٦ الطاسة الزجاجية الملوّنة .

لم يصدق رئيس فريق التنقيب عن الآثار البحرية عينيه وهو يشاهد قطع العملة الفضية والاسطوانات الخشبية التي مازالت تحمل رائحة التوابل النفاذة ، وهي ترقد داخل جسد السفينة العربية الغارقة . هذه السفينة صفحة مجهولة من صفحات التاريخ العربي ، ترقد في أعماق البحر الأبيض المتوسط ، قرب الشواطيء الإيطالية اكتشفها فريق إيطالي للتنقيب عن الآثار البحرية . لنقرأ معاً .

في الشهور الأولى من العام الماضي نقلت أجهزة الإعلام الايطالية خبرا عن مهاجمة سمكة قرش بيضاء رجلا كان يمارس رياضة الغطس برفقة ولده ، وأحد أصدقائه . وعلى الرغم من أن بعضهم أشار إلى عدم وجود سمكة قرش مفترسة في تلك المنطقة ، « خليج باراتي ، قرب جزيرة ايلبا الايطالية » ، فإن رواية الابن لعملية افتراس الوحش البحري لوالده كانت تجعل البدن يقشعر . وقد قامت سلطات خفر السواحل والبحرية الايطالية بمراقبة المنطقة ، والبحث عن سمكة القرش ، إلا أن الجهود ذهبت هباءً ، وكأن ذلك الوحش البحري اكتفى بازدراده جسد ذلك الرجل طعاما يكتفي به مدة طويلة من الزمن . إلا أن عدم اكتشاف أو مشاهدة سمكة القرش أثقل كفة الافتراض القائل : بأن جسد الرجل قد تمزق بفعل انفجار قنبلة بحرية كان يريد استخدامها لصيد السمك ، وهو عمل ممنوع بفعل قانون الصيد في إيطاليا ، كما أن الذين عثروا على بعض ما بقي من الرجل لم يكتشفوا أي أثر لأنياب سمك القرش .



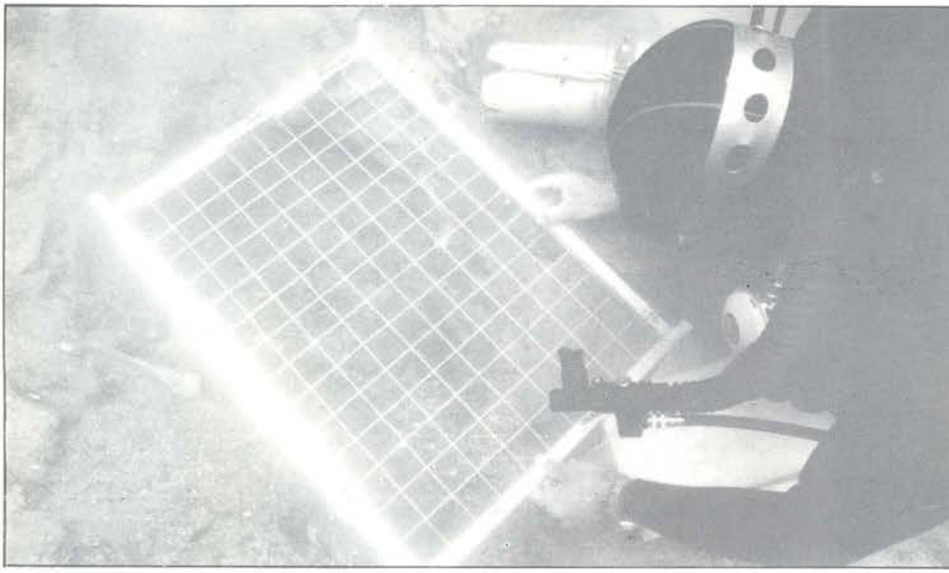
هذا الخبر مثل غيره من الأخبار ، ملك عمره الخاص على صفحات الصحف ، وانتقل بالتدريج من الصفحة الأولى إلى صفحات الأخبار الداخلية ، فصفحة السياحة ، ومن ثم إلى صفحة الفرائد والغرائب ، وأخيراً إلى « الارشيف » ، بانتظار أن يكون مثالاً أو مصدراً في حالة وقوع حادث مشابه له .

ذات نهار في أغسطس

وذات نهار من شهر أغسطس كانت تتقدم بنا سيارة البروفيسور فرانتشيسكو نيكوسيا ، المفتش العام للممتلكات الأثرية بمقاطعة توسكانا ، بسرعة وئيدة لتكشف لنا عن صفحة البحر رويداً رويداً . إنه خليج يشبه طبقاً تحيط به الأرض الخضراء الرطبة ، وقد تشتتت في أرجائه مدافن وقبور كثيرة ، تعود إلى عهد الاتروسك والرومان .

أشارت « دونا تيللا ساندريللي » مسؤولة العلاقات مع الصحافة ، إلى قارب صغير على بعد ميل واحد من الساحل البحري ، وقالت : تلك هي قاعدتنا .

في الأيام الأولى من وصولنا ، كان أصحاب الفنادق والمطاعم في هذه المنطقة السياحية النشيطة الحيوية يتأوهون ويتذمرون بسبب الكساد الذي أصاب عملهم ، نتيجة حادث سمكة القرش التي يفترض أن تكون قد افترست أحد الغطاسين . أما الآن ، وبعد عمليات



● إجراء القياسات تحت الماء .

الغطس المتعددة التي يقوم بها خبراؤ نا ، وأقوم بها شخصياً ، فقد اكتسب الناس نوعا من الثقة .

وأسأله مازحا : **ولكن بروفيسور ، كم هو طول سمكة القرش تلك ؟ وهل تصادقت معها فلم تعد تؤذيك وفريق خبرائك ؟**

يضحك البروفيسور ، لكنه يعود جادا ، فخورا باكتشافه الذي يرقد على عمق عشرين مترا تحت مياه المتوسط : لم أرها حتى الآن ، ولست متأكدا من وجودها ، لكنني متأكد من وجود السفينة ، وهي سفينة عربية بالتأكيد ، ومتأكد من حمولتها الثمينة أيضا .

ذهبنا للبحث عن هذة السفينة إلى خليج باراتي ، للحديث مع البروفيسور نيكوسيا وفريقه من الخبراء والفنيين .

ثقب في جدار البوسيدونيا

ويقول البروفيسور نيكوسيا : لكن سفينتنا العربية هذه ـ يقول ذلك وهو مقتنع بأنها سفينة عربية جاءت من الشرق ـ قد علمنا بوجودها قبل ما يقرب من عشرين سنة ، عندما عثرنا لدى بعض لصوص الآثار على بعض القطع . وكان هؤلاء قد تمكنوا من ثقب جدار « البوسيدونيا » ، والدخول إلى مكان السفينة . والبوسيدونيا : طحلب بحري ، له جذور سمك الواحد منها أصبع واحد ، وتتشابك هذه الجذور عندما تنمو وتصعد إلى الأعلى ، وتتباين ارتفاعاتها حسب المواقع . وقد كانت سفينتنا هذه مغطاة بجدار من البوسيدونيا ، ارتفاعه بين مترين إلى أربعة أمتار ، وكان جدارا يشبه الأسمنت .

وكان من الصعب العثور على السفينة ، لكن الصدفة وحذاقة لصوص الآثار أوصلتهم إليها . قمنا بالحملة التنقيبية الأولى في عام **١٩٨٢** ، وقد عثرنا على أوان وطاسات زجاجية جميلة رقيقة ، يبدو عليها أنها من إنتاج سوري أو فلسطيني ، وكذلك عثرنا على آنية جميلة من البرونز ، وكثير من القطع الخزفية ، بالإضافة إلى أداة طبية تشبه « المبضع » . وأضاف :

لكننا لم نستطع مواصلة البحث آنذاك لأسباب عديدة ، إذ لم يكن التمويل كافياً ، وكان من



● قطعة فضية تم حملها إلى السطح .

الصعب العثور على فرقة تنقيب جيدة ، كما كانت لدينا حملات والتزامات أخرى . وأخيرا استطعنا العودة هذه السنة لمواصلة التنقيب .

وسألت البروفيسور نيكوسيا :

« قلت بأن تلك الطاسات والأواني الزجاجية تبدو كأنها من إنتاج سوري أو فلسطيني » . كيف كونت هذه القناعة ؟

ـ لقد توصلنا إليها من خلال تفحص أشكالها ، والتشابه الموجود بينها وبين مصنوعات المنطقة الشمالية الشرقية من الشرق الأوسط ، حيث توجد أشباه لها .

*** في أي عمق ترقد السفينة الآن ؟ ومتى بدأت حملتكم هذه ؟**

ـ السفينة راقدة على عمق ١٨ ـ ٢٠ مترا . وحملتنا هـذه بـدأت في الثـالث من تمـوز (يـوليـو) ١٩٨٩ م ، وانتهت في السابع عشر من شهر آب (أغسطس) من العام نفسه ، وقد قمنا في البدء برفع أكياس الرمل التي كنا قد وضعناها على السفينة في عام ١٩٨٢ لحماية السفينة ، بعد ذلك بدأنا برفع الأغطية ، فوجدنا ألواحا خشبية من جسد السفينة ، وفي داخل هذه الألواح المتناثرة وجدنا قطعا فضية .

*** وهل أصابها الصدأ ؟**

ـ كـلا ، بل إنها متسخـة ومتآكلة ولكن بحـالة جيدة . ووجدنا كذلك صفائح من الرصاص ، كانت تستخدم لطلاء جسد السفينة وتغطيتـه ، عثرنا كذلك على أباريق وملاعق ومزهـريات ، وكان بعض الأباريق يحتوي على المصفاة المركبة في داخلها .

لحظات قبل الغرق

* هل تعتقد أنها كانت سفينة تجارية ؟

ـ هذا مؤكد ، ويحتمل أن تكون جميـع هذه الأواني داخل صندوق خشبي رمي في البحـر عندمـا كانت السفينة موشكة على الغـرق ، مثل بـاقي الصناديق الأخرى . ومن المؤكد أيضا أن الغطاسين القدماء قد خلصوها من الأمواج ، إلا أن صندوقنـا هذا سقط تحت جسـد السفينـة ، بينـما كـانت تغـطس إلى الأعماق ، فلم يكن بإمكان الغطاسين رؤيته والعثور

عليه . داخل العلب الفضية وجدنا علباً واسطوانات مصنوعة من الخشب ، محكمة الإغلاق ، ومدورة بشكل دقيق . وداخل هذه الاسطوانات توابل وروائح وعطور ، ويبدو أن هذه التوابل والعطور كانت ثمينة ، لأن من كان يحملها قد حفظها في اسطوانات خشبية دقيقة الصنع ، وضعت داخل علب فضية . وما هو مثير للدهشة أن الخشب بحالة جيدة .

السفينة ليست سفينة حمولة ، بل هي سفينة سريعة ، وليست حربية ، وكانت مخصصة للنقل السريع ، طولها ١٨ مترا ، وعرضها ما بين ٦ ـ ٨ أمتار . وليس فيها آثار أو بقايا بشرية ، الأمر الذي يؤكد أن راكبيها استطاعوا مغادرتها قبل أن تغرق نهائيا ، وقد ساعدهم على ذلك أنها غرقت قرب الميناء ، وعلى بعد يقل عن نصف ميل .

*** وماذا عن خشب الاسطوانات ؟**

ـ هذا هو السؤال الأول لدينا ! إنه خشب أبيض صلد ، كما أن هناك خشباً أحمر . إنها اسطوانات مدورة بشكل دقيق كما أسلفت ، وهي كثيرة العدد ، وهذا يفترض وجود مشغل محدد أنتجها .

*** وهل سبق أن تم العثور على اسطوانات مشابهة لها في حملات تنقيب أخرى ؟**

ـ لقد تحدثت قبل قليل مع المختص في هذه الأمور ، فأكد لي أنه لم يسبق له أن شاهد ما هو شبيه بها . وبالتأكيد من الصعب العثور على قرابة بين هذا النوع من الخشب وأنواع الأخشاب الموجودة في ايطاليا . وسيقوم « المعهد الوطني لدراسة الخشب » بفحص واحدة من هذه الاسطوانات ، وسيخبرنا عن نوعيتها .

*** إلى أي تاريخ يمكن أن تعود السفينة ؟**

ـ إلى مائة عام قبل الميلاد . وعلى أي حال فهو تاريخ قديم جدا ، لكنه تاريخ غرق السفينة ، ومن يعلم بكم سنة قبل ذلك قد سبق بناؤ ها غرقها ؟ فلو أخذنا بعين الاعتبار طريقة إنتاج السفن في تلك الفترة لأمكن أن نتوقع أن تكون السفينة أقدم من ذلك بما لا يقل عن قرن من الزمان .

*** وعمّ سيتركز البحث القادم ؟**

ـ لقد استخرجنا من السفينة كل ما فيها ، وسنقوم بالدراسة والتحليل لجميع المواد التي توافرت لدينا ، من الخشب إلى الفضة والتوابل والعطور ، وسنحاول من خلال هذه الدراسة أن نعرف من أين جاءت هذه السفينة ، لكن ما لن نعرفه على الإطلاق هو : إلى اين كانت متجهة ؟

*** وهل هناك إمكانية لأن تستعينوا بمعهد عربي أو بمختصين من العرب ؟**

ـ الرغبة لدينا في هذا المجال عميقة ، فحبذا لو تقدم من يعرف الأمور أفضل منا .

*** وما الجديد الذي تتوقعون الوصول إليه ؟**

ـ بالتأكيد هناك الكثير ، فما تزال هذه الاسطوانات الخشبية تحتفظ بعبيرها ، وعطر المادة التي في داخلها على الرغم من القرون . ربما سنتوصل إلى أسماء العطور والتوابل ، وإلى طريقة تسويقها ، وربما سنجد توابل وعطوراً اختفت عن وجه البسيطة . لكننا لن نفتح أي اسطوانة منها ما لم نكن متأكدين من عدم الإضرار بها وبمحتوياتها . □

أرقام لها معنى



× تصنع مصانع ألمانيا وفرنسا مليون عين صناعية كل سنة .
× دار الكتب البريطانية تحتوي على ٥ ١/٢ ملايين مجلد .
× قيمة الأوقية من الراديوم ٣٠ ألف جنيه ، والرطل من الراديوم يكفي لعلاج ٧ ملايين مريض والاكتشاف لمدام كوري وزوجها .
× ١٢ ألف عامل بنوا الجامع الأموي في دمشق .

على هامش "قول على قول" :

ابن أبي عتيق وذوقه في الشعر

بقلم : حسن سعيد الكرمي

أيهما أشد وقعاً في النفس وأكثر لباقة ونصاحة؛طلب الكثير من المحبوب أو الرضا بالقليل ؟ هذا هو المعيار الذي تدور حوله مناظرة ابن أبي عتيق وآخرين ، لكنها ظريفة .

كان ابن أبي عتيق في المدينة من الظرفاء ، وكان له ذوق حسن في الشعر ، وكان يطرب لسماع الشعر الجيد طربا عظيما ، وله حوادث طريفة في هذا الباب . ومما يذكر عنه أنه كان يوما مع الشاعر كثير عزة ،فأنشده هذا أبياتا من شعره قال فيها :

ولست براض من خليل بنائل ... قليل ولا أرْضَى له بقليلِ

فقال له ابن أبي عتيق : هذا كلام من ليس بعاشق ، وأصدق منك في العشق عمر بن أبي ربيعة في قوله :

ليت حَظّي كلحظةِ العينِ منها ... وكثيرٌ منها القليلُ المُهَنَّا

أو في قوله :

فعديه نائلاً وإن لم تنيلي ... إنَّهُ يُقْنِعُ المُحِبَّ الرَّجَاءُ

أو قول ابن قيس الرقيات :

رُقَيَّ بِعَيْشِكُمْ لا تهجرونا ... وَمَنُّونَا المُنَى ثم امْطِلُونَا

عِدِينَا في غدٍ ما شِئْتِ إنَّا ... نُحِبُّ وَإنْ مطلتِ الواعدينا

فإمَّا تُنْجِزِي عِدَتي وَإمَّا ... نعيشُ بما نُؤَمِّلُ مِنْكِ حِيْنَا

وجرى هذا الحديث على مسامع أبي السائب المخزومي ، وكان هذا من الظرفاء أيضا مثل ابن أبي عتيق ، وكان مع أبي السائب شاعر اسمه ابن المولى ، وكان يسمع الحديث ، فقال أبو السائب : صدق والله ابن أبي عتيق في حديثه عن كثيّر . ولكن ألا قال كثيّر كما قال هذا (أي ابن المولى) :

وأبكي فَلاَ لَيْلَى بَكَتْ مِنْ صَبَابَةٍ ... لبانٍ وَلاَ لَيْلَى لِذي الوُدّ تبذلُ

وأخنعُ بالعُتْبَى إذا كنتُ مذنباً ... وإنْ أذْنَبَتْ كنتُ الذي أتَنَصَّلُ

ومن ظرف ابن أبي عتيق أنه حضر يوما عمر بن أبي ربيعة وهو ينشد :

وَمَنْ كَانَ مَحْزُوناً بإهْراقِ عَبْرةٍ ... وهى غربها فليأتنا نبكهِ غدا

نُعِنْهُ عَلَى الإِثْكَالِ إِنْ كَانَ ثَاكِلاً وَإِنْ كَانَ مَحْرُوباً وَإِنْ كَانَ مُقْصَدَا

فلما أصبح ابن أبي عتيق ، وكان معه خالد بن عبد الله القَسْرِي ، قال : قم بنا الى عمر ، فخرجا وأتياه ، وقال ابن أبي عتيق : قد جئناك لموعدك في قولك :

«فليأتنا تبكه غدا» ولا نبرح أو تبكي حتى نبكي معك إن كنت صادقا في وعدك ، وإلا انصرفنا على أنك غير صادق . ثم انصرفا .

عبد الملك بن مروان والأدب

كان عبد الملك بن مروان عالما بأخبار العرب وآدابهم ، وكانت له حوادث كثيرة ، جرت له في هذا الميدان ، فضلا عن شجاعته وشدة بأسه . ويروى عنه أنه لما قدم الكوفة ، بعد مقتل مصعب بن الزبير ، جلس يعترض أحياء العرب ويسأل عنها ، فتقدم إليه رجل حسن الهيئة ، فنظر إليه عبد الملك ، وسأله : من أنت ؟ فسكت الرجل ولم يجب بشيء ، وكان مع الرجل رفيق له نتقدم هذا وقال : نحن ياأمير المؤمنين من جَدِيلة فسأل عبد الملك : من أيكم ذو الأصبع ؟ فقال الرجل : لا أدري ، فقال رفيقه : كان ذو الأصبع عَدوانيّا . ثم سأل عبد الملك : ولم سمى بذي الأصبع ؟ فقال الرجل : لا أدري . وأجاب عنه رفيقه فقال : نهشته حية في أصبعه فيبست . ثم سأل عبد الملك : وبم كان يسمى قبل ذلك ؟ فقال الرجل : لا أدري ، وأجاب عنه رفيقه وقال : كان يسمى حَرْثانِ . ثم سأله عبد الملك : من أي عَدْوانٍ أنت ؟ فأجاب الرفيق : من بني ناجٍ الذين يقول فيهم الشاعر :

وأما بنو ناجٍ فلا تذكرنَّهم ولا تُتْبِعَنْ عينيكَ ما كانَ هَالِكَا
إذا قلتُ معروفاً لأُصْلِحَ بَيْنَهُم يقول وُهيب لا أُسالم ذَلِكَا

فلم يلتفت إليه عبد الملك ، وأقبل على الرجل وقال له : أنشدني قول ذي الأصبع :
عَذير الحيِّ من عدوان كانوا حية الأرض

فقال الرجل : لست أرويها . فقال رفيقه : ياأمير المؤمنين إن شئت أنشدتك ، فدنا من عبد الملك وأنشده ، ومما أنشده :

وليس المرءُ في شيء من الإبرام والنّقضِ
إذا أبرمَ أمْراً خا له يَقْضِي وَمَا يَقْضِي

ثم أقبل عبد الملك على الرجل وقال له : كم عطاؤك ؟ قال ألفان . وسأل رفيقه : كم عطاؤك ؟ فقال خمسمائة . فقال عبد الملك إلى كاتبه : اجعل الألفين لهذا الرجل خمسمائة ، واجعل الخمسمائة لرفيقه ألفين .

ويروى أيضا أن عبد الملك كتب يوما إلى الحجاج يقول له : أما بعد فإنك سالم والسلام . فلم يفهم الحجاج ما عناه الخليفة ، وسأل عن ذلك ، فقيل له : إن أمير المؤمنين أراد قول عبد الله بن عمر بن الخطاب ، قولته في ابنه سالم :

يديرونني عن سالم وأديرهم وَجِلدة بين العينِ والأنفِ سالمُ

فعرف الحجاج أن الخليفة كان يمدحه بذلك . □

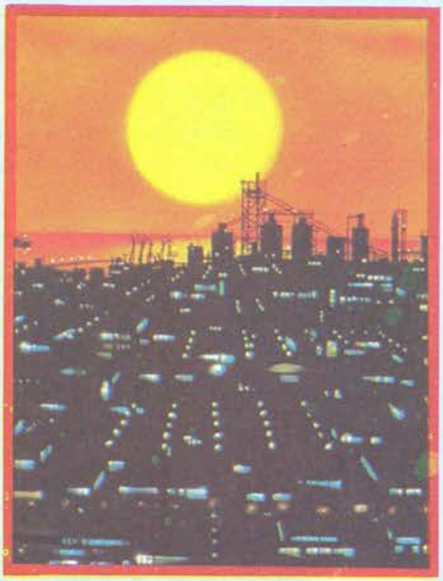


بقلم : الدكتور أمين حامد مشعل *

كان الصيف الماضي حارا شديد القيظ ، وارتفعت الأصوات تشكو من الحر ، حتى في بلدان لم تألف إلا البرودة والاعتدال . وبينما ذهب بعض إلى أن ارتفاع الحرارة ظاهرة مناخية ، تخضع لحركة الشمس وأشعتها ، فإن العلم يثير قضية مهمة ، تقول ببساطة :«إننا نحن البشر مسئولون مسئولية كاملة عن هذا الاختلال الذي لو استمر لهدد باختفاء جزء من العالم الذي نعيش فيه » .

* أخصائي برامج اليونسكو لعلوم البحار والبيئة بالدول العربية .

الأرض كوكب دافيء ، يبلغ متوسط درجة حرارته ما يقارب ١٥°م ، ويمكن عد هذا المتوسط ثابتا تقريبا على مدى سنين طويلة ، وذلك على الرغم من أن الأرض تدور في فضاء قارس البرودة ، ذي درجة حرارة تقدر بحوالي (-٢٧٠°م) . ولكي تحتفظ الأرض بحرارتها فلابد من وجود مصدر يمدها دائما بالطاقة الحرارية ، وهذا المصدر هو الشمس . وتقدر كمية الحرارة التي تتلقاها مساحة قدرها (١سم^2) ، خارج الغلاف الجوي ، عمودية على اتجاه أشعة الشمس ، بما يقارب « سعرتين » في الدقيقة الواحدة ، وهو ما يسمى الثابت الشمسي . وتنتقل طاقة الشمس للأرض على هيئة أشعة قصيرة الموجة ، وتمتص الأرض جزءا منها ، فتسخن ، وتشع هي نفسها إشعاعا حراريا طويل الموجة ، ولكي يوجد توازن حراري للأرض يجب أن تتساوى كمية الحرارة التي تمتصها الأرض من الأشعة الشمسية القصيرة الموجة ، خلال فترة زمنية محددة ، مع كمية الحرارة التي تفقدها على هيئة إشعاع مرتد ، طويل الموجة ، خلال الفترة نفسها . ولا يمنع هذا التوازن الحراري وجود تغيرات يومية وفصلية ، فقد تكسب أجزاء من الأرض كمية من الحرارة ، خلال النهار أو خلال الصيف ، أكبر مما تفقده خلال الليل أو الشتاء ، ولكن التوازن الحراري يتحقق للأرض ككل خلال فترة زمنية طويلة ، ويلاحظ أنه عند خطي عرض ٤٠° شمالا أو جنوبا تتعادل كمية الحرارة التي تكسبها الأرض مع كمية الحرارة التي تفقدها للفضاء الخارجي ، أما في المناطق الموجودة إلى الشمال من خط عرض ٤٠°م شمالا ، أو إلى الجنوب من خط عرض ٤٠°م جنوبا ، فإن كمية الحرارة التي تفقدها الأرض أكبر من كمية الحرارة التي تكسبها ، ولذلك فهي مناطق باردة ، في حين تزيد كمية الحرارة المكتسبة عن كمية الحرارة المفقودة ، في المنطقة الواقعة بين خطي العرض ٤٠°م شمالا وجنوبا ، ولذلك فهي مناطق حارة ، وتنتقل الحرارة من المناطق الحارة إلى المناطق الباردة ، عن طريق الجو ، وعن طريق البحر .







ارتفاع درجة الحرارة ظاهرة مناخية أم مسؤولية بشرية ؟

عندما تسخن الأرض

لو افترضنا أن كمية الأشعة الشمسية ذات الموجة القصيرة التي تسقط على كوكب الأرض تساوي ١٠٠ وحدة فإن :

١) ٣٠٪ منها يرتد مرة أخرى إلى الفضاء الخارجي ، تفصيلها كالآتي :
٦٪ مرتد بتشتيت الهواء والسديم ، ٢٠٪ ينعكس بالسحب ، ٤٪ يعكسه سطح الأرض .
٢) ١٩٪ منها يمتص في جو الأرض على النحو التالي :
١٦٪ يمتصه بخار الماء والأوزون والغبار الموجود في الجو ، ٣٪ تمتصه السحب .
٣) ٥١٪ منها تمتصه الأرض .

ويؤدي امتصاص الأرض لهذا المقدار (٥١٪) من أشعة الشمس قصيرة الموجة إلى تسخينها ، ومتى سخنت الأرض فإنها تشع طاقة حرارية ، تتجه نحو الفضاء الخارجي ، على هيئة إشعاع طويل الموجة على النحو التالي :
أ) ٢١٪ منه يرتد من الأرض إلى الجو ، حيث يقوم ثاني أكسيد الكربون وبخار الماء بامتصاص ١٥٪ منه ، أما الباقي وهو ٦٪ فيكمل طريقه صاعدا نحو الفضاء الخارجي .
ب) ٧٪ منه يرتد من الأرض - على هيئة أشعة محسوسة - إلى الجو ، وهناك يمتصه ثاني أكسيد الكربون وبخار الماء .
جـ) ٢٣٪ منه يرتد إلى الفضاء الخارجي مباشرة .

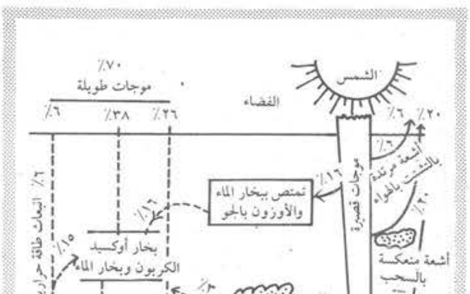
ويضاف إلى هذه الإشعاع الطويل الموجة المرتد من الأرض الآتي :

١٩٪ من الإشعاع الطويل الموجة يرتد نحو الفضاء الخارجي كالتالي :

٣٪ تشعه السحب ، ١٦٪ يشعه بخار الماء والأوزون الموجودان في الجو .

وبذلك نرى أن كمية الإشعاع المرتد للأرض هي ٣٠٪ أشعة قصيرة الموجة ، ٧٠٪ إشعاع طويل الموجة

ومن هنا نرى وجود توازن حراري دقيق للأرض ، وهذا ما يؤدي إلى احتفاظ الأرض بمتوسط درجة حرارة ثابتة تقريبا . ويعمل الغلاف الجوي على احتفاظ الأرض بدرجة حرارتها ، وعدم تسربها للفضاء الخارجي ذي البرودة الشديدة ، ولشرح ذلك يجب أن نلقي نظرة سريعة على تركيب الغلاف الجوي المحيط بالأرض الذي يتركب من مجموعة من الغازات ، بعضها ذو تركيز كبير ، مثل النيتروجين والأوكسجين والأورجون ، حيث تبلغ نسبها حجما حوالي ٧٨٪ ، ٢١٪ ، ١٪ على الترتيب ، وبعضها الآخر ذو تركيز غاية في الضآلة ، مثل ثاني أكسيد الكربون ، وبخار الماء . وعلى الرغم من ضآلة تركيز هذه الغازات النادرة فإن وجود كل منها ، بتركيز محدد ، يُمَكِّن الغلاف الجوي من تأدية وظيفته على الوجه الأكمل ، وغياب أي من هذه المكونات النادرة ، أو حدوث أي تغيير في تركيزاتها ، يؤثر تأثيرا قويا على وظيفة الغلاف الجوي ، ومن ثم على مناخ الأرض . ومن دراستنا للتوازن الحراري للأرض نجد أن الغازات النادرة تعمل على المحافظة على حرارة الأرض ، ومنع تسربها



مخطط يمثل دورة التوازن الحراري للأرض

للفضاء الخارجي ، إذ يقوم بعضها بامتصاص جزء من الإشعاعات المرتدة من الأرض ، ويؤدي ذلك إلى سخونة هذه الغازات ، فتشع حرارة في كل الاتجاهات ، ويتجه نصفها تقريبا نحو الأرض مرة أخرى ، فتعمل على الحفاظ على درجة حرارتها . كما يعمل الغلاف الجوي والغلاف المائي للأرض على الحد من التفاوت الكبير ، بين درجات حرارة النهار والليل ، والصيف والشتاء ، وهذا ما يجعل الأرض موطنا صالحا للحياة ، ويمكننا أن نقدر أهمية الغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض إذا قارنا جو الأرض بجو القمر ، فالقمر يبعد المسافة نفسها تقريبا التي تبعدها الأرض عن الشمس ، ولكن لا يحيط به غلاف هوائي ، ولا يحتوي على بحار ، ولذلك فهناك تفاوت كبير بين درجتي حرارته العظمى والصغرى ، فترتفع درجة حرارته إلى ١٠٠°م في نهاره الطويل الذي يبلغ حوالي أربعة أسابيع ، ثم تهبط درجة حرارته إلى (-١٥٠°م) في ليله الطويل أيضاً ، ولا يرجع وجود هذا المدى الكبير في درجة حرارة القمر الذي يصل إلى ٢٥٠°م إلى طول ليله وطول نهاره فقط ، ولكن السبب الرئيس هو عدم وجود غلاف هوائي حول القمر . ويبلغ متوسط درجة حرارة القمر ما يقارب ٢٥°م . ويعتقد العلماء أنه لو انعدم الغلاف الجوي حول الأرض لأصبح متوسط درجة حرارتها ٢٥°م ، مثل القمر . ونظرا لأن متوسط درجة حرارة الهواء فوق سطح البحر يبلغ ١٥°م تقريبا ، فهذا يعني أن الغلاف الهوائي يعمل على تدفئة الأرض بمقدار ٤٠°م ، كما يعمل على توزيع الحرارة بين أجزاء الأرض المختلفة ، ويساعده في ذلك الغلاف المائي ، مما يقلل من التفاوت الكبير في درجات حرارتها .

وللغازات النادرة الموجودة في الغلاف الجوي أهمية خاصة في الحفاظ على درجة حرارة الأرض ، ولو كان الغلاف الجوي خاليا من الغازات النادرة ، واقتصر تكوينه على النيتروجين والاوكسجين فقط اللذين يشكلان ٩٩٪ من حجمه ، لأصبحت درجة حرارة سطح الأرض حوالي (-٢٠°م) ، نظرا لأن النيتروجين والأوكسجين لا يمتصان إلا القليل من الإشعاعات تحت الحمراء .

نشعلها بأيدينا

إن النشاطات البشرية ، مثل حرق الغابات وحرق الوقود وإطلاق الغازات المختلفة للجو ، لا تؤثر على تركيز الغازات الرئيسة في الغلاف الجوي ، نظرا لأن تركيزها كبير ، ولكن هذه النشاطات تؤدي إلى تغييرات محسوسة في تركيز الغازات النادرة ، ذات التركيز الضئيل ، وأي زيادة في تركيز الغازات النادرة في الغلاف الجوي ستؤدي إلى امتصاصها كمية أكبر من الحرارة ، ثم إعادة جزء منها للأرض مرة أخرى ، فتعمل على رفع درجة حرارتها . ويمكن تشبيه عمل هذه الغازات النادرة بعمل الألواح الزجاجية في البيوت الزجاجية ، إذ تسمح هذه الألواح الزجاجية بمرور أشعة الشمس القصيرة الموجة ، ولكنها تمنع مرور الإشعاع الحراري الطويل الموجة ، فترتفع درجة الحرارة في البيوت الزجاجية . ولعل هذا هو السبب في تسمية ظاهرة تسخين الأرض « تأثير البيوت الزجاجية Greenhouse Effect » . ويعد ثاني أكسيد الكربون هو المسبب الرئيس لحدوث ظاهرة تسخين الأرض ، ونظرا لأنه الغاز الذي تعرف عليه العلماء أولا بعّده المسبب الأساس لهذه الظاهرة ، فقد اتخذ معيار تقاس به تأثيرات بقية الغازات النادرة المسببة لسخونة الأرض . وقد نبه العلماء ، منذ أكثر من مائة سنة ، إلى أن أي زيادة في تركيز ثاني أوكسيد الكربون ستؤدي إلى رفع درجة حرارة الأرض ، ولذلك فقد ظهر اهتمام عالمي بقياس ثاني أوكسيد الكربون في الجو . ويقدر العلماء أن تركيز ثاني أوكسيد الكربون كان حوالي ٢٧٠ جزءا من مليون في عام ١٨٥٠ ، ثم أصبح ٣١٥ جزءا من مليون عام ١٩٥٧ ، ويزيد تركيزه الآن عن ٣٤٥ جزءا من مليون ، ويزداد بمعدل ١٫٥ « جزء » ونصف جزء من مليون في السنة .

ومصادر ثاني أوكسيد الكربون الأساسية هي

حرق الوقود ، وبخاصة الفحم ، وحرق الغابات ، أما وسائل استنفاده ، أو سحبه ، من الجو فهي ذوبانه في مياه المحيط ، وامتصاص النبات له في عملية التمثيل الضوئي ، وإذا زاد إنتاج ثاني أوكسيد الكربون ، بفعل النشاطات البشرية ، عن وسائل استهلاكه أو استنفاده فإن تركيزه سيزيد في الجو ، ونظرا لأن استهلاك العالم من الوقود يزداد عاما بعد عام فإن إنتاج ثاني أوكسيد الكربون يزداد أيضا.

وقد اختلفت آراء الخبراء في الستينيات عن مدى تأثير زيادة تركيز ثاني أوكسيد الكربون في الجو على متوسط درجة حرارة الأرض ، وذلك طبقا للفروض التي وضعها كل منهم . فقرر بعضهم أن متوسط درجة حرارة الأرض سيزيد بمقدار (١°م) ، إذا تضاعف تركيز ثاني أوكسيد الكربون في الجو ، عما كان عليه في عام ١٨٥٠ . وقدر بعضهم الآخر هذه الزيادة بعشر درجات مئوية . وفي السبعينيات تمكن العلماء من تقليل هذا التفاوت ، بحيث أصبحت الزيادة تتراوح بين (١,٥°م) ، (٢,٤°م) ، وهناك شبه إجماع حاليا على أن تضاعف تركيز ثاني أوكسيد الكربون عن مستواه الذي كان سائدا في عام ١٨٥٠ سيؤدي إلى رفع متوسط درجة حرارة الأرض بما يقارب (٣°م) .

خطر قادم

بجانب ثاني أوكسيد الكربون هناك غازات أخرى ، تؤدي زيادة تراكمها في الجو إلى رفع متوسط درجة حرارة الأرض ، نظرا لأنها تمتص كمية كبيرة من الأشعة تحت الحمراء ، فتسخن ، وتشع حرارة يتجه بعضها نحو الأرض ، وتسهم في سخونتها . وقد بينت دراسة ، أجرتها الأكاديمية الوطنية للعلوم بأمريكا ، أنه إذا استمر إطلاق مركبات الكلوروفلوروكربون (ك ف ك) إلى الجو بالمعدل نفسه الذي كان سائدا في عام ١٩٧٣ ، فإنه ، بحلول عام ٢٠٠٠ ، سيكون تأثيرها في تسخين الجو معادلا لحوالي ٥٨٪ من تأثير ثاني أوكسيد الكربون ، ولكن إذا زاد إنتاج



(ك ف ك) بمعدل ١٠٪ في السنة فإن تأثيرها ، عند نهاية القرن الحالي ، سيفوق تأثير ثاني أوكسيد الكربون الناتج من النشاطات البشرية . وذكر الخبراء أن أي زيادة ، ولو بنسبة ضئيلة في كمية (ك ف ك) التي تطلق إلى الجو ، سيؤدي إلى تغييرات مناخية شديدة ، ومن المعروف أن إطلاق (ك ف ك) إلى الجو يسبب أيضا اضمحلال طبقة الأوزون في الجو وتآكلها ، وهذا يؤدي إلى زيادة كمية الأشعة الشمسية الواصلة إلى الأرض .

ولكن ماذا تعني زيادة متوسط درجة حرارة الأرض ؟ وماذا يترتب عليها ؟ ولماذا هذا الاهتمام بها ؟ . . إن تغير مناخ الأرض - من الظروف التي نعرفها حاليا - إلى ظروف أخرى ، أشد حرارة ، قد لا يكون مريحا لكثيرين من سكان الأرض ، وسيترتب عليه بعض العواقب . إن ساكني الأرض متعودون على تفاوت في درجة حرارة الأرض بين النهار والليل ، وبين الصيف والشتاء ، ولكن ذلك يختلف تماما عن العواقب الناجمة عن رفع متوسط درجة حرارة الأرض ككل . وقد لوحظ من دراسة سلوك الأرض بالنماذج الرياضية ، وكذلك من مقارنة السنوات الباردة بالسنوات الدافئة ، أنه إذا سخنت الكرة الأرضية ككل ، فإن مقدار التسخين سيختلف من مكان لآخر على سطح الأرض ، فقد وجد

أن المناطق الباردة (ذات العروض الكبيرة) ستستأثر بمعظم الدفء ، فترتفع درجة حرارتها ارتفاعا ملحوظا ، بينما لا تحظى المناطق الحارة (ذات العروض المنخفضة) إلا بقدر ضئيل من هذا الدفء ، فلا تكاد تتأثر درجة حرارتها ، ولذلك فإن ارتفاع متوسط درجة حرارة الأرض بما يقارب (١°م) يعني زيادة كبيرة في درجة حرارة المناطق الباردة القريبة من القطبين ، مثل شمال القارة الأمريكية الشمالية وأوربا ، ومن جهة أخرى فإن تغيير متوسط درجة الحرارة سيؤدي إلى تغيير في خريطة سقوط الأمطار ، وفي نظام الرياح ، بحيث تصبح بعض أجزاء من العالم أكثر إمطارا عما كانت عليه من قبل ، وتصبح أجزاء أخرى أكثر جفافا عن ذي قبل . وحينما يدفأ جو الأرض فيحتمل حدوث تغيير في مسار الرياح التي تعودنا هبوبها بانتظام في مواسم معينة ، مثل الرياح الموسمية التي تجلب الأمطار في أوقات محددة من العام ، ومن المتوقع أن يزداد هبوب العواصف ، وأن يصبح الصيف أشد حرارة ، والشتاء أكثر برودة ، في بعض المناطق ، مقارنة بمعدلاتها السابقة .

ولعل من أهم عواقب زيادة حرارة جو الأرض وأخطرها هو ارتفاع منسوب سطح البحر .

ويقدر العلماء أنه بنهاية القرن الواحد والعشرين سيرتفع متوسط درجة حرارة الأرض (٥°م) تقريبا إذا استمرت النشاطات البشرية على ما هي عليه اليوم ، وسيؤدي ذلك إلى ارتفاع منسوب سطح البحر متراً واحداً تقريباً ، فتغمر مياه البحر جميع المناطق الساحلية التي يقل ارتفاعها عن متر واحد ، وإذا نظرنا إلى المنطقة العربية نجد أن مياه البحر المتوسط ستغمر الاسكندرية ، وبعض المدن الساحلية الأخرى ، وأجزاء من « دلتا » النيل ، وستغمر مياه المحيط الاطلنطي بعض سواحل المغرب ، أما مياه الخليج فستغمر كثيرا من المدن الساحلية بالكويت والسعودية وقطر والبحرين والإمارات العربية المتحدة . □

محكمة العدل الإسلامية الدولية

بقلم : الدكتور عبد الله الأشعل *

مرت ثلاث سنوات على إقرار القمة الإسلامية الخامسة ، للنظام الأساسي لمحكمة العدل الإسلامية الدولية التي اقترحتها دولة الكويت . ولأن هذه المحكمة تعد أول تجربة من نوعها ، خلال التاريخ الإسلامي الطويل ، فإن هذا المقال يلقي بعض الأضواء على نظامها ، تشكيلها ، اختصاصها ، وبعض القضايا التي يثيرها نظام عملها .

ترجع قصة المحكمة الاسلامية إلى القمة الإسلامية الثالثة التي انعقدت بالمملكة العربية السعودية في يناير ١٩٨١ ، وكانت الأوضاع الإسلامية والعربية تمر بأسوأ أحوالها : كالقطيعة المصرية العربية بسبب اتفاقية كامب دافيد مع « اسرائيل » ، والخلافات بين كثير من الأقطار العربية ، واشتداد الحرب العراقية الايرانية ، والتدخل السوفيتي في أفغانستان ، وغيرها . ولذلك تقدمت الكويت باقتراح إنشاء محكمة العدل الإسلامية الدولية ، لتكون فيصلا وحكما بين الدول الإسلامية ، لتسوية ما ينشب بينها من منازعات .

وهكذا عهد إلى لجنة الخبراء القانونيين بتنقيح مشروع النظام الأساسي للمحكمة الذي صار منتهيا في نهاية ١٩٨٦ ، وقد أخذت بحسبانها ملاحظات الدول الأعضاء ، وتوجيهات المؤتمرات الإسلامية المتعاقبة على اختلاف مستوياتها .

تشكيل المحكمة :

تضم المحكمة سبعة قضاة ، يختارهم مؤتمر وزراء الخارجية ، لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة ، من بين مرشحي الدول الأعضاء ، بحيث يراعى التمثيل الجغرافي للمجموعات الثلاث في منظمة المؤتمر الإسلامي ، وهي المجموعات العربية والافريقية والآسيوية ، ثم ينتخب القضاة السبعة رئيس المحكمة ونائب الرئيس .

ويشترط في القاضي أن يكون مسلما عدلا من ذوي الصفات الخلقية العالية ، وأن ينتمي

* المستشار القانوني لمنظمة المؤتمر الاسلامي .



سمو أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح يرأس الدورة الخامسة لمؤتمر القمة الإسلامي في الكويت (يناير ١٩٨٧) .

بجنسيته إلى إحدى الدول الأعضاء في المنظمة ، وألا يقل عمره عن أربعين سنة ، وأن يكون من فقهاء الشريعة المشهود لهم ، وله خبرة في القانون الدولي ، وأن يكون مؤهلا للتعيين في أرفع مناصب الافتاء أو القضاء في بلاده .

وتختلف المحكمة الإسلامية عن غيرها ، بتميزها بالطابع الإسلامي ، سواء في شروط اختيار القضاة ، أو في قيام المحكمة بعملها على أساس الشريعة الإسلامية ، أو في اتخاذ الشريعة الإسلامية مصدرا أوليا للفصل في المنازعات . وهذا الطابع الإسلامي هو العامل المثير في هذه التجربة الجديدة .

ولا يقال القاضي إلا إذا أجمعت المحكمة على أنه لم يعد مستوفيا لشروط التعيين ، ولكن يجوز للقاضي أن يتقدم باستقالته ، وتبلغ الإقالة والاستقالة لوزراء الخارجية ، حتى يصبح المنصب شاغرا .

وتتخذ المحكمة الكويت مقرا لها ، كما يمكن للمحكمة أن تعقد اجتماعاتها في أماكن أخرى .

اختصاصات وقواعد :

للمحكمة الاسلامية ثلاثة اختصاصات ، اثنان منها اختصاصان تقليديان تقوم بهما سائر المحاكم الدولية الأخرى ، واختصاص ثالث غير تقليدي .

أما الاختصاصان التقليديان للمحكمة الإسلامية فهما : الاختصاص القضائي ، وهو الفصل في المنازعات بين الدول الأعضاء ، أو بينها وبين غيرها ، ولكن بشروط يضعها مؤتمر وزراء الخارجية . وإلى جانب الاختصاص القضائي هناك الاختصاص الإفتائي ، حيث يجيز نظام المحكمة أن تقدم المحكمة الفتاوي والآراء الاستشارية للأجهزة التي يرخص لها بذلك مؤتمر وزراء الخارجية .

وقد أخذت المحكمة بالقواعد المستقرة في القضاء الدولي ، من حيث ضرورة انعقاد الاختصاص للمحكمة ، وذلك يتم بعدة

طرق ، ومعنى ذلك أن مجرد انضمام الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي إلى النظام الأساسي للمحكمة لا ينشيء للمحكمة اختصاص نظر المنازعات التي تكون هذه الدول أطرافا فيها ، بل تذهب الدول إلى المحكمة لعرض منازعاتها بإرادتها الكاملة . وتعبر الدول عن رغبتها في انعقاد اختصاص المحكمة في نظر منازعاتها بعدة طرق ، أبرزها أن تصدر الدولة إعلانا تقبل بموجبه هذا الاختصاص ، وقد تضع بعض التحفظات على هذا القبول ، كأن تشترط قبول أطراف النزاع الأخرى للاختصاص نفسه ، كما قد تجعل الاختصاص مقصورا على مسائل معينة ، أو تطلقه مع استبعاد مسائل معينة من نطاقه ، أو تلحق به شروطا زمنية ، كأن يسري الاختصاص في زمن معين أو خلال فترة تجددها ، أو تقرر انطباق الاختصاص على قضايا نشأت بعد تاريخ معين ، أو تستثني المسائل التي تسبق تاريخا معينا أو تلحق به .

وسواء كان الأمر يتعلق بنزاع أو بطلب رأي استشاري ، فإنه يجب أن ينصب على مسائل قانونية (وليست سياسية أو دينية مثلا) .

وأما الاختصاص غير التقليدي الذي استحدثه نظام المحكمة الإسلامية فهو اختصاص يصح أن يطلق عليه الاختصاص الدبلوماسي والتحكيمي ، ولذلك تساءل كثير من الدول الأعضاء عن مدى انسجام هذا الاختصاص مع الطبيعة القضائية للمحكمة الإسلامية ، إذ يجيز نظام المحكمة أن تقوم المحكمة نفسها من خلال لجنة من الشخصيات المرموقة ، أو عن طريق كبار المسؤولين في جهازها بمساعي الوساطة أو التوفيق أو التحكيم . ولكن تُرِك لأطراف النزاع حرية اللجوء إلى هذه المساعي بطلب مباشر إلى المحكمة ، أو بقرار من المؤتمرات الإسلامية (القمة والخارجية) ، بشرط أن يصدر القرار بتراضي أطراف النزاع أيضا ، وألا يفرض عليهم .

تنفيذ الأحكام :

من أهم معوقات التسوية السلمية عن طريق القضاء ، عزوف الدول عن عرض منازعاتها على المحاكم القضائية ، وتفضيلها عليها محاكم التحكيم أو اللجان المختلطة في بعض القارات ، أو رفض مثولها عند عرض النزاع على المحكمة عن طريق الطرف الآخر ، وأخيرا تأتي مشكلة رفض تنفيذ الأحكام .

وقد تضمن نظام المحكمة الإسلامية عددا من الضمانات لنزاهة القضاء وسلامة سير الدعوى ، وحسن استنباط الأحكام . أما عند نكول الدولة عن تنفيذ الحكم على الرغم من سلامة الإجراءات ، فقد أجاز النظام لجوء الدولة المتضررة صاحبة الحق إلى مؤتمر وزراء الخارجية ، ويبدو أنه يمكنها أيضا اللجوء إلى مؤتمر القمة الإسلامية ، ولو لم يرد حكم بذلك في النظام ، ما دامت الدولة الرافضة تتسبب في نشوء توتر في علاقاتها مع الدولة الأخرى ، بما يفسد الهدف المنشود من القضاء .

وتستخدم المحكمة اللغات الرسمية الثلاث في منظمة المؤتمر الإسلامي ، وهي العربية والانجليزية والفرنسية ، وكلها متساوية في حجيتها ، غير أن اللغة العربية هي التي يحتكم إليها عند الاختلاف في التفسير .

قضايا كبرى :

يثير إنشاء المحكمة الإسلامية عددا من القضايا المهمة ، نعرض لاثنتين منها تتسمان بالطابع العملي ، وهما :

أولاً : القانون الواجب التطبيق :

تقوم المحكمة على أساس الشريعة الإسلامية ويختار قضاتها من فقهاء الشريعة ، ذوي الخبرة في مجال القانون الدولي، ذلك أن أحكام المحكمة وفتاواها سوف تستند إلى الشريعة الإسلامية ، وإلى مصادر القانون الدولي العام إذا أعوز القضاة

النص الشرعي ، على ألا تتناقض قواعد القانون الدولي المطبقة مع أحكام الشريعة الإسلامية .

والحق أن اتخاذ الشريعة الإسلامية أساسا لاختيار القضاة ، واستنباط الأحكام ، يطرح قضية بالغة الأهمية ، ذات جانبين ، أولهما ضرورة تنشئة عدد من القضاة الذين يجمعون بين التمكن من علوم الشريعة ، ومن القانون الدولي العام ، وثانيهما ضرورة تقنين القانون الدولي الإسلامي ، بحيث تتوافر لدينا قواعد صالحة للتطبيق في العلاقات الدولية ، ومستمدة في الوقت نفسه من تراث الفقهاء المسلمين واجتهاداتهم عبر العصور من خلال النصوص الشرعية .

وبديهي أن المحكمة ، وهي هيئة قضائية دولية ، ليست مختصة بتفسير أحكام الشريعة الإسلامية ، إلا فيما يتعلق بالنزاع أو الحكم الصادر بشأنه .

ثانيا : علاقة المحكمة الإسلامية بالمحاكم الأخرى الإقليمية أو العالمية :

قد يقال : إن الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي التي أنشأت المحكمة الإسلامية هي أعضاء في محكمة العدل الدولية في لاهاي ، وأنه لما كان نظام المحكمة الإسلامية قد اهتدى بشكل واضح بنظام المحكمة العالمية ، فليست هناك حاجة ماسة إلى إنشاء المحكمة الإسلامية .

غير أن هناك اعتبارات ترجح المطالبة بإنشاء المحكمة الإسلامية ، ولو سلمنا بوجاهة القول بعدم ضرورة إنشاء المحكمة الإقليمية مع وجود المحكمة العالمية ، لوجب وقف كل الجهود في مناطق العالم المختلفة التي أنشأت محاكم إقليمية أو تسعى إلى إنشائها .

وقد يكون إنشاء المحكمة الإسلامية مهما في تطبيق الشريعة الإسلامية لأول مرة في التاريخ الإسلامي المعاصر على المنازعات ذات الطابع الدولي التي تنشأ بين الدول الإسلامية ، كما أن هذه الدول قد تقبل بشكل أكبر على المحكمة الإسلامية التي ينسجم عملها مع قواعد النظام العام في كل هذه الدول ، مع شعورها بشعور الأسرة الواحدة بدلا من توسيع دائرة النزاع الذي يعرض على المحكمة العالمية .

وفضلا عن ذلك فإن للمحكمة الإسلامية مجال عملها الذي لا يتناقض ولا يستبعد نطاق عمل المحكمة العالمية إذا كان النزاع بين دولة إسلامية وأخرى غير إسلامية ، ورفضت الأخيرة استخدام المحكمة الإسلامية لنظر ذلك النزاع ، وهو أمر أتاحه نظام المحكمة الإسلامية للدولة غير الإسلامية بشروط معينة .

وأخيرا فإن نظام المحكمة العالمية وميثاق الأمم المتحدة يفسحان المجال للتنظيمات الإقليمية السياسية والقضائية لنظر النزاع ومحاولة تسويته سياسيا أو قضائيا ، بحيث لا يصير مصدرا لتهديد السلام والأمن والاستقرار في المنطقة .

إن تجربة محكمة العدل الإسلامية وتطبيقها للشريعة الإسلامية تقدم نموذجا جديدا في القضاء الاسلامي الدولي ، يستحق المتابعة والدراسة ، خاصة عندما تصبح المحكمة جاهزة للعمل بعد عدة شهور . □

حيرة محب



يقولون لي إن بحت قد غرك الهوى
وإن لم أبح بالحب قالوا تصبرا
فما لامرىء يهوى ويكتم أمره
من الحب إلا أن يموت فيعذرا

« الأصمعي »

أرقام

بقلم : محمود المراغي

هل أنت مثقف ؟

تختلف التعريفات حول كلمة « ثقافة » ، لكن الأكيد أن عدداً من أدوات المعرفة ، أو الإعلام أو الاتصال ، يمكن أن يكون مؤشرا للمستوى الثقافي لشعب من الشعوب .

على سبيل المثال ، هناك الكتاب والصحيفة والفيلم السينمائي والبرنامج الإذاعي أو التلفازي ، هناك الكلمة المكتوبة ، والمسموعة ، والمنطوقة . ويحدد مدى انتشارها درجة الاهتمام الثقافي ، وقد يحدد أيضا درجة النمو الاقتصادي والمشاركة السياسية .

وفي العالم المتقدم هناك اهتمام برصد هذه المؤشرات ، وتقديم الإحصاءات عنها . فماذا عن الوطن العربي ؟

لقد أجرت منظمة اليونسكو محاولة من هذا النوع ، واهتم مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت) بإعداد ملف إحصائي ، يتناول هذه المؤشرات على مدى عشرين عاما ، تمتد من عام ١٩٦٥ حتى عام ١٩٨٥ . وكانت المفاجأة أنه على الرغم من تحسن الأداء الاقتصادي العربي ، وتحسن مستويات التعليم ، فإن الهوة مازالت كبيرة ، والبون مازال شاسعا بيننا وبين العالم المتقدم .

كتب أكثر وصحف أقل !

في مجال الكلمة المكتوبة جاءت الإحصاءات لتقول : إن إنتاج الكتاب قد زاد بنسبة ٧٥٪ خلال الأعوام العشرين المذكورة . كانت عناوين الكتب التي صدرت في الوطن العربي (٤٠٠٠) عنوان عام ١٩٦٥ ، فأصبحت (٧٠٠٠) عنوان . ومع ذلك فالزيادة السكانية كانت أسبق ، وعدد عناوين الكتب لكل ألف من السكان تناقص ، ولم يزد ، وسجل عام ١٩٨٥ : (٣٧) عنوانا مقابل (٥٩) عنوانا كمتوسط للدول النامية ، و (٤٩٠) عنوانا في الدول المتقدمة .

أي أن الأقطار العربية تجيء في ذيل المجموعات الدولية ، ومتوسط إنتاج الكتب في الدول المتقدمة يأتي مساويا للمتوسط العربي : ثلاث عشرة مرة !

هل يختلف الأمر في الأنواع الأخرى من القراءة ؟

هنا نجد مفاجأة ثانية ، فعدد الصحف اليومية لم يتحرك طوال عشر سنوات ، كان عدد الصحف العربية اليومية (١١٠) عام ١٩٧٥ ، وبعد سنوات عشر ، وبالتحديد في عام ١٩٨٤ كان العدد هو نفسه . وبطريقة أخرى في الحساب فإن مجموع توزيع هذه الصحف في العام نفسه كان (٦) ملايين نسخة يوميا ، وبنسبة مقدارها (٣٥) لكل ألف من السكان . وبالمقارنة أيضا نجد النسبة في الدول المتقدمة (٣١٩) لكل ألف . فإذا كان عدد قراء النسخة الواحدة قارئين في الدول المتقدمة ، وثلاثة في

الأقطار العربية ، فإننا أمام أرقام تقول : إن (٦٢٪) على الأقل من سكان الدول المتقدمة يقرؤون الصحف اليومية بانتظام ، بينما تتراجع هذه النسبة إلى ما يقرب من (١٠٪) فقط في الوطن العربي .

هم يقرؤون أكثر ، ولذلك تفسيره الذي يتصل بنسبة الأمية هنا ، وتضاؤلها هناك ، ونسبة التعليم هنا وهناك ، ونسبة التركز الحضاري هنا وهناك ، والعبء الاقتصادي الذى تمثله الصحيفة ويمثله الكتاب في كثير من أجزاء الوطن العربي ، مقارنة بالمستوى الاقتصادي المرتفع في الدول الصناعية والمتقدمة .

ويبقى جانب آخر خارج عن نطاق الثقافة والاقتصاد ، أعني الصحيفة اليومية ، وكيف مضت سنوات عشر ولم تصدر صحيفة واحدة ، أو كان الإصدار بحجم ما اختفى تماما ، فبقي عدد صحفنا اليومية (١١٠) لاثنين وعشرين قطراً عربياً ، بواقع خمس صحف للقطر الواحد ، بما فيها الصحف الصغرى والكبرى ، العامة والمتخصصة . ماذا يعني ذلك ؟

المؤشر هنا سياسي في الدرجة الأولى ، فحين تزدهر الديموقراطية تنتعش الصحف ، وحين تنحسر الديموقراطية ، وتصبح الصحيفة كالنشرة الحكومية ، فإن القراءة تتراجع ، والاهتمام يقل ، والإصدار يتأثر بالضرورة . وهل يمكن أن تكون نسبة توزيع الصحف (٣,٥٪) من السكان إلا تعبيرا عن واقع سياسي وثقافي واقتصادي في وقت واحد ؟

التحليل الصحيح يصل بنا إلى هذه النقطة ، وينقلنا إلى دائرة يتزايد فيها التأثير الحكومي على الإعلام ، أعني دائرة الإذاعة والتلفزة .

السينما تتراجع والتلفاز يقفز

في هذه الدائرة نشاط أهلي وآخر حكومي : فالسينما - في جزء كبير منها - نشاط أهلي ، يحكم نموه إقبال المشاهدين أو عزوفهم ، وعلى العكس من ذلك تأتي محطات الإذاعة والتلفزة وساعات الإرسال ، ويتراجع فيها - عربيا - تأثير المشاهد ، بينما يبرز عنصر القدرة المالية للحكومات والسياسة الإعلامية والدعائية لها . وفي هذا النطاق يمكن فهم الأرقام .

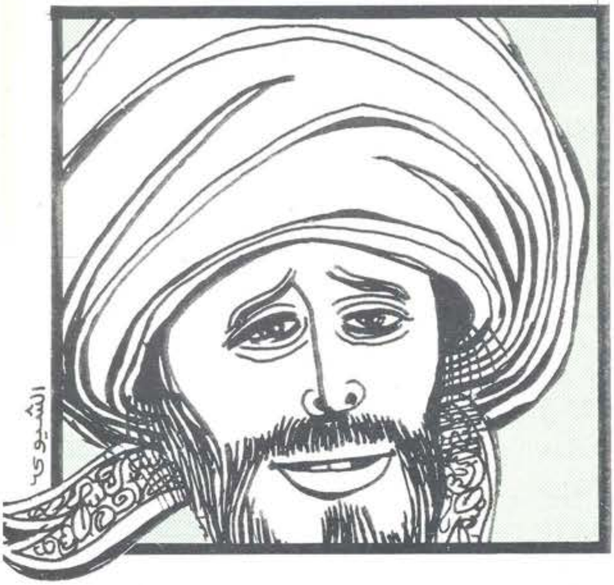
لقد تأثرت السينما مرتين ، واحدة بفعل التلفاز ، وثانية بفعل جهاز الفيديو . وسجلت الأرقام أن عدد دور العرض الثابتة قد تراجع من (١٦٠٠) دار عام ١٩٧٠ إلى (١٥٠٠) دار عام ١٩٨٥ ، وأن عدد المقاعد لم يتجاوز مليونا في ذلك العام الأخير . أما المتفرجون فقد زاد عددهم زيادة محدودة ، لاتعبر عن الزيادة السكانية : كانوا (١٩٥) مليون متفرج عام ١٩٦٥ ، فأصبحوا (٢٢٠) مليونا عام ١٩٨٥ . وبتعبير آخر : كان لكل ألف عربي خمسة مقاعد في منتصف الثمانينيات ، بينما كان لمواطن الدول المتقدمة ٥٢ مقعدا ، أي عشرة أمثال المواطن العربي .

وعلى العكس من ذلك نمت محطات الإذاعة في الفترة نفسها ، من (١٦٠) محطة إلى (٥٠٠) محطة . ونمت محطات التلفزة من (٧٥) محطة إلى (٥٥٠) محطة ، وملك كل ألف من السكان - عام ١٩٨٥ - (٢٢٩) مذياعا ، و (٨٥) تلفازاً .

وفي هذه الدائرة زاد الاقتراب العربي من المستوى العالمي المتقدم ، فأصبحت المسافة في المذياع (١ : ٤) ، و (١ : ٥) في مجال التلفاز .

وتلقي علينا هذه الأرقام سؤالا حول المستقبل ، وإلى « أين يمضي التنافس بين الكلمة المكتوبة والكلمة المسموعة والكلمة المرئية ؟ »، وهو سؤال يواجه العالم كله ، حتى أن بعض التنبؤات تقول : غدا يختفي كثير من الصحف ، ويتحول إلى قنوات تلفازية تستقبلها في بيتك حين تشاء ، وبالقدر الذي تشاء .

السؤال عالمي ، لكن البون الشاسع في استهلاك الثقافة وإنتاجها ، البون بيننا وبين الآخرين . هذه قضية عربية ، سياسية ، وثقافية ، واقتصادية ، في وقت واحد . □



ابن جرير الطبري

شخصيته العلميّة ومنهجيّته التاريخية

بقلم : الدكتور أحمد عُلَبي

احتفل الوطن العربي والعالم الإسلامي ، في العام الماضي ، بمرور أحد عشر قرناً هجرياً على وفاة الطبري ، المؤرخ الكبير ، وقد رأت «العربي» أن تسهم في هذه المناسبة بمقالة لا تستهدف التأريخ لحياة الطبري ، ولا الخوض في مؤلفاته ، وإنما تشير إلى قسمات من منهجيته التاريخية ، من خلال بعض الصفات التي طبعت سيرته مثقفاً ، وعالماً ، ووسمت عصره . كتبها أستاذ متخصص في هذا المجال .

ينتسب أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٥ - ٣١٠ هـ) (٨٣٩ - ٩٢٢م) إلى القرن الثالث الهجري ، وهو قرن انتصف وقد دبّ الضعف والتفكك في مقدّراته السياسية ، وغدا الخلفاء أسرى في قبضة العسكريين الأتراك ، إلا أنه قرن كانت قد إختمرت فيه الثقافة الإسلامية ، وتحوّلت من الكم إلى الكيف . عرف هذا القرن الجدل ، وهو الذي يوقظ العقول على الحقيقة بواسِطة المناقشات والمناظرات ، فزَخَر بالعلماء في صُنوف شتى دينية وأدبية ولغوية وفلسفية وعلمية ، كما توزّع هؤلاء العلماء على أصقاع من دار الإسلام ، وذلك في

العراق والشام ومِصرْ وفارس . كانت الأذهان تتصارع ، وكانت المذاهب الكبرى ـ وقد اكتملت ـ تتنافس ، ونبغ في ذاك الزمان ، أي في بحر القرنين الثاني والثالث ، المحدّثون الأوائل ، وكَتَبَة السيرة ، والمفسّرون والقرّاء ، واللغويون ، والمؤرخون . ولعل هذه اليقظة الفكرية كانت وراء الجَيَشان الشعبي الذي تسلّح بالوعي ، فإن القرن الثالث هو قرن الثورات الاجتماعية ، فقد انتفض فيه البابَكيّون والزّنج والقرامطة ، ونشروا أفكارهم الداعية إلى العدل ، وتنظيماتهم التي تهدف إلى النَّصَفة ، وبثّوا نقمتهم العاتية على التوزيع الجائر للثروة .

في هذا المُناخ ، المشبع بالثقافة والتَّسْآل ، وُلِد محمد بن جرير في مدينة «آمُل» ، عاصمة طَبَرستان التي دُعيت أيضاً «مازَنْدَران» . وكان نبوغه مبكراً ، مادام أنه حفظ القرآن وهو صبي في السابعة ، فالتفت إلى طلب العلم والدرس ، منذ تلك السن الصغيرة ، وبقي قرابة ثمانين عاماً يرتوي من مناهل المعرفة ، ولا ينطفيء له غليل ، متنقلاً بين حواضر العلم الشهيرة في الـرّي والبصرة وواسط والكـوفـة وبغـداد والفسطاط . ولم يفته التعريج على الشام ، وإذا به يقيم مدة في بيروت ، حيث يقرأ على العبّاس ابن الوليد البيروتي القرآن كله برواية الشاميين . إنها الرحلة في نِشْدان ذرّات المعرفة في مواطنها ، ولدى العارفين بها من ثِقات وفضلاء وروّاد . وإنها لحياة طويلة موقوفة بأكملها على طلب العلم بلا هوادة ، ثم منحه بسخاء تدريساً وتأليفاً عَندما استقر به الترحال في بغداد ، حيث كانت منيّته . ولعل الطبري أن يكون نموذجاً للمثقف ، في معناه الشامل والنبيل ، وذلك إبّان العصر الإسلامي .

وهناك رواية وردت لدى ياقوت في «معجم الأدباء» ـ وقد أفاض في الترجمة للطبري ـ وهي بليغة التعبير عن هذا التّوْق اللاغب إلى المعرفة ، وإنه لوَلَه ينتاب العلماء الحقيقيين الذين لا يصرفهم عن التحصيل والبحث صارف . كان الطبري في آخِر حياته ، وقد اشتدت عليه وطأة المرض ، لكن هذا لم يحل بينه وبين أن يطلب إلى أحد الورّاقين تزويده بكتب العلماء في القياس ، فكان أن زوّده بنيّفٍ وثلاثين كتاباً ، وعندما ردّها الطبري إليه وجد فيها علامات حُمْراً بقلمه . معنى هذا أنه قرأها وتمعّن فيها ، واستوقفته خلالها آراء وأحكام . طالب العلم الحق يستشعر الحاجة إلى الاستزادة منه حتى القَطْرة الأخيرة من زيت مصباح عمره . وهو دائماً أستاذ وتلميذ ، يُعطي ويأخذ ، ولا يداخله إحساس بالكمال والتمام ، بل الأصح أنه كلما عبّ خالجه الشعور أن العلم بحر ، وأن الرحلة فوق هذه البسيطة ومَضْ ، وأن الأَوْلى بالمرء أن يجعل التواضع العلمي سِرْباله ودَيْدنه . كان الطبري عندما يُسأل عن مناظرة ، كان فيها مجلّياً ، يتجاهل ماجرى ، ويشرع في إطراء الشخص الذي ناظره .

الموسوعيّة والنزاهة :

على شاكلة العلماء الكبار بنى الطبري ثقافته الذاتية ، على ركائز من العلم الغزير ، تسقّطه من أفواه نوابغ عصره ، وكان خصباً بهؤلاء ، فسمع منهم وسجّل ووعى وحفظ ، ثم قرأ وناقش وناظر واجتهد وكتب . وكان الناشط أبداً للتأليف ، فخلّف نتاجاً يتّصف بالموسوعية . ولعل بعض ما وصلنا من مؤلفاته ، شأن تاريخه ، ونظير كتابه الجليل في التفسير الذي أثار إعجاب رجال العلم ، وهو «جامع البيان في تفسير القرآن» ، كما أن كتابه الفقهي الشهير المسمّى «اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام» ، وهو الشائع بعنوان اختلاف الفقهاء ، هذه الأعمال ، وقد اتخذناها نماذج وأمثلة ، تنبيء بتعـدد اهتـمامـاتـه العلمية ، وبالنَّفَس المديد ، والصبر والولع بإخراج الأسفار التأسيسية الكبرى . والعمل الموسوعي لا يُقْدم عليه إلا مَنْ تمرّس بالمعرفة ، ووقف على دقائقها ، واكتنه مفارقاتها ، وليس هو بأي حال مجرد عمل تجميعيّ يتضخّم مع كرور الأيام . ولهذا كان الطبري عندما يجد فتوراً لدى تلاميذه عن تعاطي الكتب الواسعة ، وضعف عزيمة عن تدارس أمهات الأعمال ، يزفر قائلاً : «إنّا

لله ، ماتت الهمم» .

صفة أخيرة بارزة نعرض لها عند الطبري ، ولسنا نختار سوى بعض شمائل هذا الرجل العفيف الذي وقف حياته كلها على خدمة العلم . وبالغ في هذا المنحى وتزهّد ، بحيث رغب عن أن يكون له زوجة وولَد . هذه الصفة هي النزاهة العلمية التي تحلّى بها الطبري . كان علاّمتنا مسلماً ، ساعياً إلى الحقيقة ، ومَنْ كان دأبه هذا نبذ الماديّات واطّراح التعصب . لهذا نجد الطبري يقنع من حياته بعيش بسيط ، ويأبى المِنَح والهدايا التي ترده من أصحاب الجاه والسلطان ، كما يمتنع عن تولي القضاء أو ولاية المظالم ، وذلك لئلا يكون محابياً لأحد أو مضطراً لمسايرة أو مجاملة . وهكذا لم يجعل للماديّات وإغراءاتها مدخلاً أو سلطة خفيّة على قناعاته . والأهم أنه نزّه الحقيقة عن أفدح شائبة يمكن أن تلحق بها ، وربما تنفيها ، وهي آفة التعصب . وإنها لنزاهة مقرونة بالجراءة ، فعندما كان الطبري في زَوْرة لطبرستان علم أن جماعة من أهلها يعرّضون بأبي بكر وعمر ، فعندما سُئل ابن جرير عن فضائلهما أملى كتاباً غير هيّاب ، واقفاً في وجه الذميمة ، وعندما طلبه السلطان فرّ ناجياً بجلده . كذلك ما إن بلغ الطبري أن بعض علماء بغداد يشكك في رواية غدير خُمّ ، حتى وضع كتابه في فضائل عليّ بن أبي طالب ، وتدفق الناس يُصغون له .

لم يكن ابن جرير لهذا أو ذاك ، كان للعلم والحقيقة ، وللرأي الناضج الذي يعوّل على المقارنة والمفاضلة. لذا كان أدرى الناس بالمذاهب الفقهية وباختلاف وجهات النظر حول المسائل . ولكن الاختلاف عافية ، لأن العقل البشري يدرس ويجتهد ، ليصل إلى الأنسب والأرقى ، أما الخلاف فهو شر ووبال . ولئن كان الطبري شافعيّ الهوى ، فلقد أدّى به اجتهاده إلى الاستقلال بمذهب نافح فيه عن آرائه وخِياراته ، وبسط ما هداه إليه فكره في كتابه «لطيف القول في أحكام شرائع الاسلام» . لم يكن عالماً يكتفي بالنصوص يحفظها ، وإنما يستنطقها أيضاً ، ويجتهد في ضوئها . لهذا عندما اختلف مع داود بن علي الأصبهاني ألّف فيه «كتاب الرد على ذي الأسفار» ، يعني بذلك أن داود يعوّل على الكتب يردد ما تحتويه ولا يعمد الى عقله يحكّمه ويستفتيه .

المؤرخ المحايد

على أنه من الحق القول بأن الطبري ، فقيهاً ومحدّثاً ومفسّراً ، تتوافر فيه الصفات العلمية المتقدمة على نحو أسطع مما نتبيّنها لدى الطبري مؤرخاً ، وذلك لأن ابن جرير تَأَبّى النقد في منهجيته التاريخية ، وآثر الحَيْدة حيال الأحداث المرويّة . وإنه ليستوقفنا أن الطبري ، في مفتتح تاريخه ، بعد البسملة والدعاء وما سوف يأتي عليه في كتابه في موضوعات ، لا يذكر سوى ملحوظة يتبرأ فيها مما قد يرد في عمله من أحداث ترفضها العقول وتستشنعها ، ملقياً المسؤولية في ذلك على الرواة الذين ينقل عنهم ويُخبر بأخبارهم ، من غير أن يعمد إلى الحُجّة العقلية والاستنباط والاستخراج ، وكأنه يقول : وما على الرسول إلا البلاغ . يقول الطبري : «فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ، مما يستنكره قارئه ، أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصّحّة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يُؤتَ في ذلك من قِبَلنا ، وإنما أُتي من قِبَل بعض ناقليه إلينا ، وأنّا إنما أدّينا ذلك على نحو ما أُدّي إلينا» .

ولم يقف أمر الطبري في حَيْدته على الرواية ، بل تعداه إلى الإسناد المستوحى أصلاً من علم الحديث ، وابن جرير أحد أعلامه . ولكن علماء الحديث يدقّقون في سلسلة الإسناد ، ويُخضعونها للتعديل والتجريح ، والطبري في تاريخه الكبير أقلع عن هذه المزيّة . ولا ريب أن هذا المنطلق المبدئي الذي ارتضاه مؤرخنا لنفسه أضعف البعد الفكري لعمله ، مع أن الطبري أَوْلى من غيره بهذه المهمة المنهجية ، نظراً لأنه قريب عهد ـ نسبياً ـ بالأحداث التاريخية . وهذا الحرص منه على الابتعاد عن الخوض في

التاريخ ، مع أنه يوثّق له ويكتبه ، يبدو لنا غريباً بعض الشيء . ويتبدى هذا الابتعاد جلياً في المرحلة التي أرّخ لها الطبري ، وكان معاصراً لها وشاهداً . فالمرء ينتظر منه ، وهو الفقيه الذي بلا الحياة ، وسافر وأبعد في طلب العلم ، وأدرك الخلفاء ، وعرف الدول ، وجادل وناظر ، ودرّس وألّف ، وخاصم وناصب وأثار الناس معه وعليه ، أن تعمُرَ جعبته بالمشاهد والخفايا ، وأن يكون على قدر كبير من الدراية والحذاقة ، وأن يضرب بسهم وافر من الآراء الذاتية . إلا أن الأملَ يخيب ، ربما توقياً من ابن جرير والزمن مضطرب والأهواء جمّة . بيد أن المثقف القدير الذي كانه الطبري مطالَب بشهادة عن عصره وأحواله وشجونه ، خصوصاً في مرحلة كان التدوين فيه هو الوسيلة المتاحة للتعرف على عصره ، ولم يكن التاريخ قد أدرك ما تيسّر له في أيامنا من وسائل سمعية وبصرية غاية في الإتقان والنفاسة .

ولقد دوّن الطبري كمّاً هائلاً من الروايات بإسنادها ، وعلى اختلاف في الروايات ، وعلى اختلاط أحياناً ، بحيث إنه في عمله الموسوعي هذا ، صان مادة تاريخية غزيرة . وذلك أن جُلّ مَنْ روى عنهم وأفاد من كتبهم واقتبس الشيء الكثير ، قد تبددت مؤلفاتهم ، ولم يصلنا معظمها ، بحيث إننا نعرفهم بواسطة مرويّات ابن جرير . ولو أن الطبري عُني بأسماء الكتب التي أخذ عنها هذه المرويّات ، ولم يكتفِ بذكر مؤلفها فقط ، لفزنا عند ذلك بقوائم الموضوعات التي شغلت بال العلماء المسلمين ، وبعناوين نتاجهم الدافق ، ولكانت ربما معْواناً في العثور على بعض مؤلفاتهم أو تمييز المجهول المؤلف منها .

مثال تطبيقي : ثورة الزَّنج :

اشتهر الطبري بالتعويل على الرواية والسَّند ، وعلى تحرّيه الدقة في سَلْسَلَة أسماء الرواة مُعَنْعَنَة ، وأتيح له أن يسمع في حياته المديدة ، وخلال ارتحاله البعيد لطلب العلم ، من الكثيرين ، وذلك بمفرده أو شراكة مع آخرين . بيد أن هذا الأسلوب في التأريخ ليس متواتراً على الدوام في تاريخه الكبير . ونختار ، كمثال تطبيقي ، ثورة الزَّنج ، والطبري هو المصدر الأوفى حول هذا الحدث التاريخي الذي هزّ الخلافة العبّاسية ، وينفرد ابن جرير بسَعَة معلوماته ، وبالصفحات الوفيرة التي خصّ بها هذه الثورة .

إن الطبري يزوّدنا ، في أخبار سنة ٢٥٥هـ ، وهو تاريخ اندلاع الثورة ، بكمّ من المعلومات عن اسم صاحب الزَّنج ، والأنساب العلويّة التي ادّعاها ، وعن الأمكنة التي حلّ بها قبل خروجه في منطقة البصرة ، وعن الآيات التي كان يجاهر بها مدّعياً أنها تظهر له وهي دالّة على إمامته ، ثم كيف جعل يتسقّط أخبار غلمان الشوْرَجيين* والدبّاسين ، في محيط البصرة ، ويعمل على جمعهم والتنكيل بوكلائهم ، وكان غلمان الشورجيين بالآلاف هناك . ثم كيف تكاثر عليه الزَّنج يستأمنون إليه ، وهو قد خرج على الخلافة ، وليس في عسكره سوى ثلاثة أسياف ، وككرة الثلج كبر جيشه وعلا شأنه وعظم سلاحه ، وصار بعدها شغل الخلافة الشاغل . وتوالت المعارك بالعشرات ، وتقطعت الرؤوس ، وتكدّست الجثث ، وغدا للدم النازف صوت وخرير . هذه المعلومات وغيرها لا يركن فيها الطبري إلى الرواية والإسناد ، وإنما هو آتٍ عليها في صَفحات متواليات أو متفرقات ، وليس له من مرجع في الغالب ههنا سوى تعبير «ذُكِر» أو «فيما ذُكر» ، ويورد أحياناً «ذُكر عن بعض تُبّاعه أو بعض أصحابه» ، ويقصد به صاحب الزَّنج . وذكر الطبري مرة «فيما بلغني» ، وذلك في أخبار سنة ٢٦٧هـ ، لأنه كان معاصراً لأحداث ثورة الزَّنج التي امتدت من ٢٥٥ إلى ٢٧٠هـ (ج٩ ص ٥٨٩ ، طبعة دار المعارف بمصر التي حققها محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٨) . أما الرواية فتأتي عند ابن جرير مُسْنَدَة في القليل إلى ريحان

* الشورجيون : هم العمال الذين يعملون باستخراج الملح . والشُّورَج هو الملح .

بن صالح ، أحد غلمان الشورجيين ، أو شِبْل ابن سالم ، أحد غلمان الدبّاسين ، وفي الأعم الأغلب إلى محمد بن الحسن بن سهل الذي سمع صاحب الزّنج نفسه وعمل معه . كما يروي محمد بن الحسن عن الفضل بن عديّ الدارميّ ، أو محمد بن سمعان الكاتب ، أو محمد بن عثمان العبّادانيّ ، أو جَيّاش الخادم ، أو محمد بن شعيب الاشتيام ، أو محمد بن حمّاد .

وهكذا يمكن القول بأن الطبري يعوّل في تأريخه ثورة الزّنج على مصدرين : أولهما ، وهو الشائع لديه والطاغي على صفحاته ، ويقوم على إيراد «ذُكر» للمجهول ، ثم يتمثّل المصدر الثاني في الروايات المنسوبة إلى محمد بن الحسن بن سهل . ومحمد بن الحسن هذا هو الملقّب بشَيْلَمَة (توفي ٢٨٠هـ) ، وكان مشاركاً في ثورة الزّنج إلى جانب صاحبها عليّ بن محمد ، وسلِم وظفِر بالعفو بعد قمع الثورة وإبادة قادتها ورجالاتها ، باستثناء الذين تخاذلوا وطلبوا الأمان إلى الموفّق ، بطل تصفية الثورة ، وذلك في أيامها الأخيرة . وينبغي أن تكون الروايات التي نسبها الطبري إليهم وإلى غيرهم من المستأمنين ، قد جاهروا بها إثر فرارهم من صفوف الثورة وانضمامهم إلى الموفق .

ولمحمد بن الحسن «كتاب أخبار صاحب الزّنج» ، والراجح عندنا أنه المعين الذي استقى منه الطبري معلوماته الغزيرة حول الثورة ، ولكنه مع الأسف كتاب ضائع . ويذكر المسعودي في مروجه أن محمد بن الحسن بن سهل ، وهو ابن أخي ذي الرئاستين الفضل بن سهل صاحب المأمون ، أول من صنّف أخبار صاحب الزّنج ، وما كان من أمره ، ثم تلاه الناس في التصنيف ، فأخرجوا كتباً كثيرة في أخبار صاحب الزّنج وحروبه . ولمحمد بن الحسن تصنيفات في أخبار المُبَيِّضة أيضاً ، وهم غُلاة من سكان ما وراء النهر ، وعُرفوا كذلك بالمُقَنَّعية ، وادّعى زعيمهم هشام بن الحَكَم الألوهية ، وقال بالتناسخ . ويُسْلك أبو المظفّر الاسفراييني ، وكذلك يفعل ابن حَزْم والشَّهْرَستاني ، المبيّضة في عِداد الفِرق الأجنبية غير الإسلامية ، ونتساءل : هل أنّ تصنيف محمد بن الحسن بن سهل في أخبار المبيّضة وفي أخبار صاحب الزّنج هو الذي دعا الناس إلى المزج بين الموضوعين ، وحمل المسعودي على أن يأتي بالعبارة التالية : «وقد ذكر الناس صاحب الزّنج في أخبار المبيّضة وكتبهم» ؟ (مروج الذهب ، ج٥ ص١٠٤ ، طبعة شارل بلا التي نشرتها الجامعة اللبنانية ، بيروت ١٩٧٤) .

إن طموح الطبري لأن يدوّن سجلاً تاريخياً منذ بَدْء الخليقة حتى أيامه في مطالع القرن الرابع الهجري ، حيث إنه انتهى إلى سنة ٣٠٢هـ ، هذا الطموح جليل وجدير بالإعجاب . ولم يخرج المؤرخون المسلمون عموماً ، بعد الطبري ، عن السُّنّة التي استنها في عمله الموسوعي ، باستثناء ابن خَلْدون الذي استدرك النقص الكبير الذي اعتور كتابة التاريخ عند سالفه المؤسس ، فوقف وقْفته الفكرية الحضارية في مقدّمته الشهيرة ، وإنّ كان لم يعمد إلى تطبيقها ، على نحو خلّاق ، في كتابته للتاريخ الإسلامي نفسه ، فكأنه أوصى ولم يعمل بما أوصى به . □

من نوادر البخلاء

سُئل أحد البخلاء ، لماذا تتعمد دائما قلة الضحك ، وشدة القطوب ؟ قال : الذي يمنعني من الضحك ، هو أن الإنسان أقرب ما يكون من البذل والعطاء إذا ضحك . وطابت نفسه .

الشِعْرُ في وَادِي النّيل

بقلم : الدكتور عبده محمد بدوي

في سياق تطور الإبداع الأدبي الراهن ، في وادي النيل ، يشغل الشعر مساحة واسعة ، تتصارع في قلبها أصواته المختلفة الاتجاهات والمدارس . والكاتب يتتبع جذور هذه الأصوات واحتمالاتها المستقبلية ، ويبرز التداخل بين مدارسها في مصر والسودان ، خاصة أن الصلة القوية بين نتاجات هذين القطرين فرضتها ظروف سياسية واجتماعية وجغرافية وثقافية .

ابتداء ، يمكن القول بأنه لا يوجد أدبان متشابهان ، ومتماسّان ، وبينهما أكثر من صلة ، مثل الأدب على امتداد نهر النيل شمالا وجنوبا ، أو بعبارة أدق مصر والسودان .

إذا أخذنا الشعر ، على وجه الخصوص في أواخر الحرب العالمية الثانية ، نجد أن هذه الفترة كانت تمثل فترة « بحث عن الذّات » ، وفي الوقت نفسه نجدها غارقة في الحزن ، واليأس ، والاستغراق في تهاويم الرومانسية ، مع الإرهاص بحالة المواجهة التي ستكون بين الشمال والجنوب ، ثم مع الجنوب والجنوب .

فإذا وقفنا ابتداء عند الشعر في الشمال نجد حالة التمزّق ، وعدم الانسجام مع هذا الاتجاه الذي اصطلح على تسميته اتجاه « الديوان » ، ممثلا في العقاد وشكري والمازني ، وفي الوقت نفسه نجد تعاطفا مع حالات الوجد الحزين عند جماعة « أبوللو » ، فإذا التفتنا مثلا إلى ابراهيم ناجي وجدناه يُؤكد على حالة الهروب إلى الحب ، من واقع حزين يسيطر عليه :

يــاغــرامــا كــان مني في دمي
قـدراً كالموت ، أو في طَعْمهِ
مـا قضينـا سـاعـةً في عُرْسـهِ
وقضينـــا العمــرَ في مــأتمــهِ

وقريب من هذا نجده عند علي محمود طه الذي كان يحلو له أن ينشر أشرعته خارج الوطن ، لأن كل شيء كان بالغ الحزن في الدّاخل .

بالإضافة إلى ما هو معروف من تهويمات محمود حسن اسماعيل ، وعدمية الهمشري ، وأحزان الصيرفي ، وغنائيات رامي ، وغراميات جودت ، وبيانيّات أباظة ، والعوضي ، ومخيمر ، والماحي ، ومحمد عبدالغني حسن ، وعلي الجندي .

المهم أن هذا العالم ، بكل ممثليه ، كان يُؤْذِنُ بالغروب ، ذلك لأن الاتجاه الواقعي قد بدأ يزاحمه مزاحمة شديدة ، بتجاوزه علَمَيْ الرمزية

والرومانسية ، وعالَمَ البيان الذي كان ما يزال يركِّزُ على الجماليات العربية المتوارثة ، ولقد اعتمدت الواقعيةُ في مَدِّهَا على الشكل الجديد الذي اصطُلح على تسميته « الشعر الحر » ، بعد أن سطعت عدة نماذج له على يد عدد من الشعراء ، يجيء في مقدمتهم بدر شاكر السياب ، ونازك الملائكة ، وبعد أن سبقت هذه النماذج نماذج أخرى ، جعلت تجديدها في عالم المسرح على نحو ما فعل محمد فريد أبو حديد ، وعلي أحمد باكثير ، ثم كانت مساندة سياسية كبرى بظهور ثورة يوليو عام ١٩٥٢ ، وقد كان من الطبيعي أن تُغَيِّرَ الثورةُ أشياء كثيرة ، وأن تُساند التجديد ما وسعها ذلك ، كما كان من الطبيعي كذلك أن تتجه اتجاها أفريقيا لاشتباكها مع قضايا السودان ، وفي ضوء هذا رأينا الشعر يتحدَّثُ عن الصلات بين الشمال والجنوب ، ويقوم بدور الشحن العالي لموضوع الوِحْدة بين مصر والسودان ، ولكن كل هذا يَفتر حين يختار السودان الاستقلال التام عن مصر ، ومن ثم رأينا مصر تتَّجِهُ عربيا شيئا فشيئا .

استحضار الأصوات الشعرية

وقد اشتعلت حركة الشعر ، حين تمّت الوحدة بين مصر وسوريا ، وحين أصبحت القضايا العربية مطروحة على الساحة المصرية ، وبخاصة القضية الفلسطينية ، ومن ثم رأينا مساحات تتحدّث عن بغداد ، ودمشق ، وبيروت ، ثم كانت انحناءة واضحة للحديث عن اليمن .

ولقد كان الصوت الواضح للشعر هو الصوت الذي يُنادي بالثورية ، واستعادة الأمجاد القديمة ، وإلى أن يكون للسيف ـ لا للكتاب ـ الصوت العالي في الحياة ، ولعل القصيدة المعنونة « أبو تمام » التي ألقيت في مهرجانه عام ١٩٦١ لصلاح عبدالصبور تعطي صورة واضحة عن هذا المناخ الذي كان سائداً في هذه الفترة :

الصوت الصارخ في عمورية
لم يذهب في البرية
سيف البغداديّ الثائر
شَقّ الصحراء إليه ، لبّاه
حين دعت أخت عربية
وامعتصماه



● عباس العقاد



● عبدالقادر المازني

لكن الصوت الصارخ في طبرية
لبّاه مؤتمران
لكن الصوت الصارخ في وهران
لبّته الأحزان
يا سيف المعتصم الثائر
اخلع غمد سَحابك ، وانزل في قلب الظلمة
شق العتمة
واضربْ يمنى في طبرية
واضربْ يُسْرى في وهران !

من هذا نعرف أن الاتجاه القومي قد حفر عميقا في الأرض المصرية ، وأنه غطى على الاتجاه الوطني ، والاتجاه الاسلامي ، والاتجاه الذي

يدعو إلى « التَّغْريب » . ولقد كان من الطبيعي أن يستدعي هذا الاتجاه أبطاله ، ورموزه ، وأساطيره ، ومقتبساته ، وحركة التاريخ العربي في فترات سطوعها ، وأن ينحاز في الوقت نفسه إلى حركة الشعر الحر ، وقد ترتّب على هذا بشكل واضح إهدار نصف الثروة العروضيّة ، وذلك حين تعامل مع ما يُسمى « البحور الصّافية » ، واهدر البحور الأخرى التي تعتمد على أكثر من تفعيلة .

بالاضافة إلى الموسيقا التقليدية التي توجد في القافية ، والتّصريع ، والتّقسيم ، وفي بعض الأساليب البلاغية كالجناس .

صحيح أن هذا الشكل قد تجاوز « الالتزام » إلى « الإلزام » ، وأهمل في أكثر من جانب من جوانب اللغة ، ولكن ما يذكر له في عالم الخمسينيات والستينيات ، أنه تجاوز الرومانسية والرمزية إلى الواقعية ، بل اقترب في جانب منه إلى الطبيعية ، وأنه دخل بجسم عوالم الملحمة ، والمسرحية ، والأوبرا ، والأوبريت .

تجارب ومدارس عدة

وعلى كل يمكن القول بأن الشعر قد مارس عملية التجريب ، في الخمسينيات ، وأنه ازدهر في الستينيات ، لكن الحلم العربي أخذ يتقلص بعد ذلك ، وأتت هزيمة ١٩٦٧ التي عكست انكسارها على كل شيء في الوطن العربي ، وعلى كل شيء في الشعر . صحيح أنه كانت هناك عودة مؤقتة للروح بحرب أكتوبر (١٩٧٣) ، لكن هذه العودة كانت مجرد تسجيل عاطفي سريع لبعض المواقف السريعة ، على نحو ما نعرف من قصيدتي صلاح عبدالصبور : إلى أول جندي رفع العلم في سيناء ، وإلى أول مقاتل قَبَّل تراب سيناء . على أن اللوحة تزداد في الشعر قتامة في السبعينيات ، فقد أُغلقت المجلات المدعومة من الدولة ، ولم تعد تُغني عنها مجلات تعتمد على جهود الأفراد ، فقد ظهرت :

« جاليري ٦٨ » ، و« إضاءة ٧٧ » ، ثم ظهرت « أصوات » بعد ذلك ، ومن ثم كان من الطبيعي أن يتغيّر إيقاع الشعر ، وأن تضطرب صوره ورؤياه ، وأن يهاجر إلى أكثر من مكان في الوطن العربي على وجه الخصوص . لقد رأينا على الساحة في السبعينيات عدداً من الشعراء ، يتعامل مع الغموض ، والتّجريد بصور سريالية ، والعبث باللغة ، كما رأينا من يشغل نفسه بالرّموز والأساطير والأقنعة ، بالإضافة إلى التدوير الذي لا تدعو إليه حاجة من يكتب بطريقة الشعر الحر ، وإلى إشْغال النفس بإزاحة التراث التقليدي ليحلّ محله عالم المتصوفة السِّري ، ثم تكون القفزة الخطرة إلى ما سمّى « قصيدة النثر » . ومن كل هذا نعرف أننا إذا كنا



● أحمد رامي



● مصطفى المنفلوطي

فقدنا نصف الكنز الموسيقي في الشعر عند التعامل مع الشعر الحر ، فإن النصف الثاني صار مهددا في الصّميم عند التعامل مع قصيدة النثر .

فإذا تجاوزنا شعر السبعينيات وجدنا شعرا يتكون حول مفهوم الغُربة والاغتراب ، متابعا رحلة السبعينيات في الشكوى من القهر ، والتعامل مع اللغة بعُنف ، ومع المحاكاة ، أو التعبير عن الأشياء من غير الوصول إلى عالم « الخلق » ، أو على الأقل « إعادة الخلق » ، لما يتعرض له الشاعر ، وفي ضوء هذا نرى عجزاً واضحا في الوصول إلى آفاق إنسانية عليا ، وفي التعامل مع « الدِّراما » والاقتباس من الأشكال الفنية ، والرّؤى الجديدة التي تقفز قفزا في

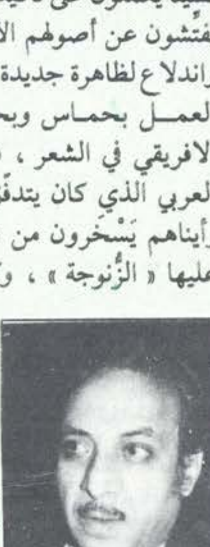
الفنون ، بالإضافة إلى الرُّعب من الاقتراب من عالم السياسة إلا بمقدار - ولعل الاستثناء الوحيد لهذا الجانب هو ما قام به أمل دنقل - ومن الاقتراب من قضايا الناس وأوجاعهم ، ولعله ليس هناك استثناء على هذه القاعدة ! وهكذا يبدو كأن الشعر في الشمال قد أتم دورة كاملة ، وأنه في حاجة إلى فتح عالم جديد .

اتجاهان في الشعر السوداني

في مقابل هذه الفترة في الشمال النِّيلي ، كان هناك في السودان أكثر من اتجاه ، فقد كان هناك الاتجاه الإسلامي ، وبزوغات الاتجاه المحلي ، بالإضافة إلى الاتجاه الصّوفي الذي يعد ملمحا رئيسا في الشعر البسوداني ، والذي ظهر في أروع تجلياته في هذه الفترة عند حمزة الملك طنبل ، والتجاني يوسف بشير ، ولكن الأمر سرعان ما تشكل في اتجاهين متقاطعين ، وذلك حين ازدهر اتجاه متعاطف مع مصر ومحب للوحدة معها ، كما ازدهر في الوقت نفسه اتجاه يرى الاعتماد على النفس ، والبُعد عن مصر ، وإذا كان الاتجاه الأول قد تشكلت ملامحه من العروبة والإسلام ، فإن الاتجاه الثاني قد تشكلت ملامحه من الالتفات إلى الواقع المحلي ، وقد كان من الطبيعي أن الاتجاه الأول يجد له متنفسا في الصحف والمجلات المصرية ، كمجلة « أبوللو » مثلا ، بينما نرى أن الاتجاه الثاني يعتمد على الصحافة المحلية ، ويقف وراء مجلة جديدة للشعر والدراسات حوله ، تسمى مجلة « الفجر » ، وقد ازدهرت هذه المجلة بصفة خاصة بعد أن توقَّفَتْ مجلة « أبوللو » في الشمال ، وعلى صفحات هذه المجلة على وجه الخصوص ظهرت الدعوة إلى الانفصال عن الأدب المصري ، وإلى أن يكون لكل قطر أدب « قومي خاص به » ، ومن ثم كانت الدعوة الحارة إلى الالتفات إلى كل ماهو سوداني ، وقد قاد هذا الاتجاه شعراء كبار مثل محمد سعيد العباسي ، وعبدالله البنا ، ويوسف التني ، والناصر قريب الله ، ومحمد أحمد المحجوب ، وقد كان من الطبيعي أن يتصادم هذان الاتجاهان ، فأصحاب الاتجاه الأول ، وعلى رأسه عبدالله عبدالرحمن ، راحوا يسفهّون آراء الاتجاه الثاني ، على حدّ قوله :

وَنُبِّئْتُ في السودان قوما تآمروا
علىٰ اللغة الفصحى أساءوا وأجرموا
وبالأدب القومي فاهوا سفاهة
وما لمحوا حقاً ، ولكن توهَّموا

على أن أصحاب الاتجاه الثاني رأيناهم شيئا فشيئا يعملون على تأكيد ذاتهم ، وفي الوقت نفسه يفتشون عن أصولهم الأفريقية ، ومن ثم كان نموّ واندلاع لظاهرة جديدة في الشعر السوداني ، هي العمل بحماس وبحب تحت راية الاتجاه الافريقي في الشعر ، فقد رأوا مصادمة الاتجاه العربي الذي كان يتدفّق من الشمال ، ومن ثم رأيناهم يَسْخَرون من « العُروبة » ، ويفضلون عليها « الزُّنوجة » ، وكلما أكثر المصريون من



● صلاح عبدالصبور



● علي محمود طه

الحديث عن العرب رأيناهم يكثرون من الحديث عن أفريقية ، بعدّها جزءًا لا يتجزأ منهم ، وفردوسا مفقودا ، وعالما مملوءًا بالبراءة والشعر ، وقد بدأ هذا الاتجاه محيي الدين صابر ، ثم أوغل فيه محمد المهدي مجذوب ، ولنتأمل قوله مثلا :

فليتي في الزنوج ولي ربابٌ
تميل به خطاي وتستقيم
وفي حِقْويَّ من خرز حزام
وفي صِنْدغيَّ من ودع نظيم
وأجترع المرية في الحواني
وأهذر لا ألامُ ولا ألوم
طليق لا تقيدني قريش
بأحساب الكرام ولا تميم !

وقوله :

ومللت من شعر الأعارب ما به
إلا مهانة شاعر يتقرَّب

وقد رأينا سيد أحمد الحردلو يقول :

عروبة دماؤنا
وعرقنا أفريقي

ومحمد عبدالحي يؤكد على أنه يتغنى بلسان ويصلي بلسان ، والنور عثمان يعد العربية هي اللغة الثانية ، ويقول : لست عربيا ، ولكن صلاح أحمد ابراهيم ركز على بطل صغير من الهدندوة ، يسمي « أو شيك » ، واستعمل في الشعر بعض الكلمات المحلية لهذه القبيلة مثل « دبايوا » بمعنى السلام عليكم ، و« الشوتال » بمعنى الخنجر ، ولنتأمل قوله :

أنا من أفريقيا ، حرارتها الكبرى ، وخط الاستواء
شحنتني بالحرارات الشموس
وشوتني كالقرابين على نار المجوس
لفحتني فأنا منها كعود الأبنوس
وأنا منجم كبريت شديد الاشتعال
يتلظّى كلما اشتم على بعد تعال
أنا من أفريقيا جوعان كالطفل الصغير

ويمكن أن نجد مثل هذا بغزارة عند أكثر



● ابراهيم ناجي



● محمد الفيتوري

الشعراء ، في عدد من أعمالهم ، كمحيي الدين فارس في « الطين والأظافر » ، وجيلي عبدالرحمن في « الجواد والسيف المكسور » ، ومحمد المكي ابراهيم في « زنزباريات » ، وتاج السر الحسن في « القلب الأخضر » . وفي الوقت نفسه لا ننسى هذا الاتجاه الذي حفر عميقا على يد محمد الفيتوري في كل دواوينه ، وفي العودة إلى سنار لمحمد عبدالحي .

نغم جديد

كل هذا قد أعطانا نغما جديدا في الشعر الحديث يعد امتدادا طبيعيا لشعراء بعينهم في مسيرة الشعر العربي ، كما أنه أعطانا في العصر الحديث صورة للانسان المثلث الثقافة ، فهو إذا كان يشترك مع الآخرين في الوقوف على التراث العربي ، ومعرفة الحضارة الغربية على وجه الخصوص ، فإنه يتفرَّد بالوقوف على التراث الأفريقي ، والإحساس المضاعف به ، وفي الوقت نفسه يمكن القول بأنه أعطانا ما يمكن أن يسمى « الواقعية العربية » التي يعتمد فيها على « الإخبار عن الشيء بما هو عليه » ، على حد تعبير الآمدي ، أو بإخراج الصورة « على أصلها » على حد تعبير حمزة الملك طنبل .

وعلى كل فالملاحظ أن الشعر في السودان في هذه الفترة قد قدّم لنا عدة اتجاهات ، تعد متفردة على ساحة الشعر العربي ، فقد قدم لنا مثلا :

١ - شعراء الكتيبة : وتقوم فكرة هذه الجماعة على الهجاء المبتسم ، فهناك موضوعات تطرحها للهجاء ، ولن يستحق عضوية الجماعة ، إلا من قام بهجاء متميز لواحد من أعضاء الجماعة ، أو أكثر من واحد ، وقد كان من فرسانها حسن بدري ، والنور ابراهيم ، ومحمد المهدي مجذوب .

٢ - جماعة الصحراء والغابة : وقد اعتمدوا على عملية التوفيق بين العروبة (الصحراء) والزنوجة (الغابة) ، وعلى تفهم قضية الموت والبعث من خلال المفهوم الأفريقي الذي يرى أن الموتى لا يموتون ، بمعنى التحول إلى العدم ، وإنما يتحولون إلى قوى روحية لها تأثيرها المباشر على الحياة .

٣ - جماعة الأكتوبريين : وكانت صدى للانتصار الشعبي على الحكم العسكري للفريق ابراهيم عبود ، وقد تغنى السودانيون بهذا الانتصار ، وعدوه ميزة للشخصية السودانية التي لا تقبل القهر ، والتي يمكنها دائما التخلص من هذا القهر ، وقد تكررت النَّبْرة في الفترة الأخيرة - ولكن بهدوء - حين تم الانتصار على حكم النميري .

٤ - جماعة الأبادماكيين : وقد كان ظهورها في نهاية الستينيات ، و « أبادماك » هو الإله الأسد في مملكة أروى السودانية القديمة ، وقد كان إله الحرب والصحراء ، وقد عرف كيف يجعل اللغة المروية مكان اللغة الهيروغليفية ، وأن يجعل آلة الربابة المحلية مكان الآلات الفرعونية ، وبصفة عامة ، يمكن القول بأن صوت هذه الجماعة كان ينادي بالسُّودنة لكل شيء .

ومن كل هذا يمكن القول بأنه كان للشعر السوداني إضافات واضحة في الشعر الحديث ، وذلك حين نمَّى ظاهرة التكرار ، ونظر إليها من أكثر من منظور موسيقي جديد ، فالواضح أنه اعتمد على ظاهرة « الصوت » ، وعدها بنية حية في القصيدة الحديثة ، كنوع من الامتداد لبعض ظواهر الشعر الصوفي السوداني الذي يقدم أصواتا فقط ، ومن خلال الأصوات يمكن أن نشكل ما نشاء من المعاني ، والذي يقال إنها ظاهرة افريقية في الأصل ، وقد اشتهر بهذا النوع بصفة خاصة الشيخ موسى ولد يعقوب .

ونحن لا ننسى هنا أن لهم طريقة خاصة في إلقاء الشعر ، تختلف عنها في الوطن العربي ، فهي طريقة ترتكز على الترنيم ، وتقترب من ظاهرة « التجويد القرآنية » .

هذا بالاضافة إلى إحساس السوداني المرهف بظاهرة المكان ، وإلى الكنوز التي ينطوي عليها من مواريث الصوفية ، وإلى سرعة الايقاع في هذا الشعر ، واعتماده على البحور السريعة والمجزوءات ، وإلى ما يسمى « التشريع » عروضيا ، بمعنى وجود قافية داخلية إلى جانب القافية الخارجية ، ولعل ما يلخص الأمر هو اعتماد هذا الشعر على « الجواب » أكثر من اعتماده على « القرار » ، وهو صلاته الحميمة - وبخاصة ظاهرة الصوت - بجوهر الشعر العربي .

تلك صورة للشعر العربي على المحور النيلي في هذه الفترة الزمنية ، لا نستطيع أن نمدها أبعد من السودان الشمالي ، حتى لا نصطدم بعد ذلك بما يسمى « الرطانة » أو بلغات أفريقية ، لها عالمها الخاص البعيد عن عالم العربية ، كما لا نستطيع أن نمدها تماما على طرفي هذا المحور النيلي في الجنوب ، حتى لا نصطدم بأكثر من حاجز ، يجيء في مقدمتها حاجز اللغة . □

حاضر القصيدة العربية في العراق وآفاق تطورها: رصد وتقويم

بقلم : حاتم الصكر *

تشكلت لوحة الشعر في العراق من نتاجات متميزة لأجيال متعددة من الشعراء ، أمثال : أبي نواس ، والمتنبي ، والرصافي ، والجواهري ، وغيرهم .

ولأن نهر الحياة متجدد ، فقد اقتحمت الأجيال الجديدة اللوحة الشعرية بإبداعاتها المتمايزة ، وراحت تضيف أشكالا جديدة ، تحمل معاناتها ورؤاها ، والكاتب يرصد هذه الإبداعات الجديدة وإشكالياتها وإمكانات تطورها .

إنّ صلة العراق بالشعر ، تمنح الشاعر العراقي المعاصر - فيما تمنحه - تقاليد راسخة ، وأرضاً ممهدة ، ونسقاً صاعدا الى دوحة الشعر . وتضمن له - من حيث يحس سواه بأزمة الجمهور أو التلقي - وسطا مثاليا من القراء المختلفي المستويات يحتل الشعر في ذاكرتهم أبرز الأمكنة .

لكن الميراث يظل تحديا ماثلا ، فهو يتحدى منجز الشاعر المعاصر بمنجزه ، ويرد معاصرته بأصالته ، ومقترحاته التجديدية براسخ إضافته .

بالنسبة للشاعر التقليدي (الذي يواصل الكتابة وفق تقاليد القصيدة ذات الشطرين) سنجد أنه لاسبيل له إن شاء التفرد والتميز سوى تمثل تلك العبقريات اللغوية والأدبية التي شهدها العراق ، فلا يظل له إلا فضل الصياغة المعاصرة لموضوعات (أو أغراض شعرية) ، قيل فيها الكثير منذ العصر العباسي الأول .

ولعلّ هذا يفسر خلو الساحة الشعرية من وريث حقيقي للجواهري ، فما كتب من شعر تقليدى (عمودي في الاصطلاح الشائع) ليس إلا صدى لأصوات معروفة في ديوان الشعر العربي ، بل إن بعضها لايرقى إلى لغة النموذج المُقلَّد ، ولا يستطيع فهم بنائه ليجاريه في خطابه .

* كاتب وناقد من القطر العربي العراقي

هكذا صار بإمكاننا بعد صمت الجواهري ، ووفاة أشد طلابه نباهة ، وهو في سن الشباب (عبد الأمير الحصيري) ، أن نقول مطمئنين : إن اتجاه الشعر التقليدي (أي المستجيب الى التقاليد الشعرية الموروثة) لم يحظ بصوت مؤثر ، يقنعنا بجدوى القصيدة التقليدية المعاصرة .

لقد كانت ظروف الحرب التي شهدها العراق منذ عام ١٩٨٠م ، قد سمحت بانتعاش هذا النمط الشعري انتعاشا مؤقتا ، فهو يلبي دواعي التعبئة وإثارة الحماسة ، ويتوافق إيقاعيا مع نبرة التصدي للعدوان . حتى لقد أعيد الاعتبار الى أنواع شعرية ميتة ، كالأراجيز والمعارضات . إلا أن ذلك سرعان ماخفتت حدته وضعفت أصواته ، فاتضح أن أغلب ماقيل لم يكن إلا إضافات كمية ليست لها آثار فنية .

لكننا نستطيع القول ، مادام المقام هنا مقام تقويم واستشراف ، إن ثمة أعمالا شعرية تقليدية اتجهت الى جوهر الحدث ، وجردت من الحرب (لا المعارك الآنية) موضوعات تؤهلها للخلود والامتداد في الزمن .

مراجعة مشهد الحرب

على عكس ذلك كان موقف شعر الحرب في القصيدة الحديثة التي واكبت الأحداث ، وحاولت الغوص وراء مدلولاتها .

لقد كتب شعراء العراق المجددون قصائدهم في الحرب باحثين عن الموقف والحالة والمغزى ، وصار الإنسان الفرد بطل قصائدهم التي لاتمجد المقاتل تمجيدا زائفا ، بل تعرضه في حالاته المختلفة .

وقد كتب هؤلاء الشعراء قصائد عن مواطنين بسطاء ، وشهداء مجهولين ، وقرى صغيرة نائية (يمكن التمثيل لذلك بقصائد لحسب الشيخ جعفر ، ويوسف الصائغ ، وسامي مهدي ، وحميد سعيد ، وياسين طه حافظ ، وعلي جعفر العلاق ، وعبد الرزاق عبد الواحد) .

وتنبيء سيرورة أشعارهم ، وماكتبه بعضهم بعد انتهاء الحرب ، بأنهم عاكفون على مراجعة مشهد الحرب ، وماظل في ذاكرتهم منه . ولعل المستقبل لايحتاج بالنسبة لهم الى نبوءة خارقة ، فهم ، ضمن خط سير قصائدهم الانسانية سيرسخون تقاليد القصيدة المحتفية بالإنسان عنصرا بارزا في لوحة الحرب : مواطنا ، ومقاتلا ، وشهيدا ، محبا ، أو أسيرا ، أو خائفا . وهكذا يحق لنا أن نتوقع ، منذ الآن ، أن يزدهر النوع الشعري الذي كتبوه ، وتضيف إليه الأجيال الشعرية اللاحقة ماتنتجه المخيلة ، بعد أن تصبح الحرب ذكرى بعيدة .

تحديات للشعر

ويوجد بيننا اليوم من يتفاءل بالنهضة المسرحية والسينمائية والتشكيلية ، وبالجماهيرية التي يحظى بها المذياع والتلفاز . وحجته في تبرير تفاؤله تتلخص في مزايا نظرية افتراضية ، ذات صلة بالمعرفة وتكوين المتلقي . يرى المتفائلون أن ازدهار الفنون المجاورة يرقى بالمستوى العام


● حميد سعيد


● سامي مهدي

للمتلقي ، وبذلك يجعله أكثر استعدادا لتقبل الشعر ونظامه المعقد ، وموضوعاته وأشكاله (أو أساليبه) الجديدة .

ووجه الطعن في هذا الافتراض يتركز في أن تلك القنوات ، شأن أي وسيلة اتصالية ، يمكن أن تُسْتَثمر ثقافيا ، وأن تَسْتَثمر المتلقي في غير ذلك . وهذه هي الخطورة التي يخشاها المتشائمون ، وهم يرون الغزو الاتصالي المتصاعد يبعد الشعر الى درجات دنيا في سلم الاهتمامات .

فالمخاطبة البصرية ، المصحوبة بالمتعة ، تخلق متلقيا بصريا ، لا يصبر على القراءة المجردة غير المصحوبة بالصور ، وينفر من الأفكار أو الأجواء التي ينقله إليها الشعر .

ويتدعم هذا الاغتراب عن الشعر بانتشار التمرينات العقلية التي تقدم على شكل ألعاب مصورة في أشرطة ، فهي تستهلك الطاقة والوقت الفائضين عن القنوات الاتصالية .

إن تحديث الحياة في السنوات العشر الأخيرة أفقد الشعر جانبا كبيرا من جمهوره التقليدي ، انعكس ذلك بأجلى مظاهره في انخفاض مبيعات الدواوين الشعرية ، والمجلات الأدبية المتخصصة ، انخفاضا حادا .

لكن ازدهار القنوات الاتصالية ، وقد خلق متلقيا بصريا ، سوف يخلق منتجا للشعر في مدى السنوات القادمة حتى مطلع القرن الحادي والعشرين ، له مكونات هذا المتلقي ، لأنه واقع تحت المؤثرات نفسها . وليس من المعقول أن إنتاج الشعر سوف يتم بالطرق التي ألفها الشعر الحديث ، فالقصيدة نفسها سوف تتأثر على مستوى الأبنية والأفكار بثقافة نهاية القرن ومؤثراتها .

إن مايكتبه بعض شعرائنا المعاصرين في المسرح الشعري مثلا ، سوف يتأكد بالمزيد من التجارب ، لأن القصيدة الحديثة لايمكنها أن





● محمد مهدي الجواهري ● عبد الوهاب البياتي

تنعزل عن ظاهرة ازدهار المسرح في العراق ، وتعدد المسارح ، وتنوع اتجاهات المسرحيين .

دور للمسرح الشعري

لقد ظل التاريخ حتى الآن هو المعين الذي ينهل منه شعراء المسرح عندنا . ولعلنا بحاجة الى التمثيل ، فنذكر مسرحية الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد (الحر الرياحي) التي تتكون من ثلاثة فصول ، مستلهمة قصة استشهاد الحسين من خلال اختيارات أحد أنصاره (القائد الأموي الحر بن يزيد الرياحي) . وقارىء هذه المسرحية التي لم تقدم على المسرح حتى اللحظة ، يحس بأن التجريد والعري المسرحي والشعر هي سماتها الأساسية ، فهي ذات أجواء محلقة ، وفضاء عالٍ ، لا يستطيع المسرح أن يستوعبه ، فهناك مثلا (هاجس الحر وهاجس الشمر) ، وهما صوتان لايمكن تجسيدهما . كما استجاب الشاعر للرغبة في الترميز ، فاستحضر يوحنا المعمدان ودليله . وإمعاناً في التجريد استخدم الكورس ليردد حوارا شعريا موحدا

إن هذا المثال ، من عمل شاعر ذي إنجاز طويل ، يؤكد أن الشعر إذ يستجيب لضغط الفنون المجاورة ، فإنما يستجيب بالمتاح من تقنياته في محاولة للدفاع الغريزي عن نوعه .

- وفي المسرح الشعري نمثل بعمل جديد لشاعر من جيل تال :

فمسرحية مَعْد الجبوري (الشرارة) تستنطق

التاريخ أيضا . تبدأ مشهدها الأول في إيوان كسرى ، وتنتهي في خيمة هانيء ، حيث (من كل ضوب ينهض العرب) .

ولايستطيع المسرح الشعري ، مهما تكن الأعمال التي يقدمها ، أن يقنع المشاهد بأنه أجدر من النثر بلغة المسرح .

وربما وقفت القصائد الممسرحة موقفا وسطا بين الاثنين .

إلا أننا نستطيع أن نبحث أثر المسرح الناهض في أبنية القصيدة العربية الحديثة التي تستجيب لهذا المؤثر القوي ، في تمددها ، وتعددية الأصوات فيها ، وفي استعارة عدد من تقنيات المسرح ، كالأقنعة والمونولوج .


● بدر شاكر السياب


● بلند الحيدري

مأزق الشعر الحديث

لقد كان اختبار مستقبل الشعر قد جرى حتى الآن وفق ضغط الموضوع على حساب الفن (في قصيدة الحرب) ، وضغط الفنون المجاورة المنافسة للشعر .

إلا أن التحدي الأكبر الذي لم نتحدث عنه هو التحدي الذاتي ، فالقصيدة العربية في العراق ، تهيأ لها ، كما هو معروف ، مهاد تطبيقي ونظري ، سرعان ماأصبح عبئا .

فالتجديد الذي شهدته القصيدة على أيدي الشعراء الرواد (السياب - نازك - بلند الحيدري - البياتي - شاذل طاقة) في النصف الثاني من الأربعينيات ، ترك بصمات واضحة في الكتابة الشعرية التالية ، لأن مقترح الشعراء الرواد ، على الرغم من أنه تطويري ، ينطلق من إيقاع الشعر التقليدي ، فقد غير الحساسية الشعرية ، وهدم الفرضية التي كانت تقوم عليها .

إن المنجز الفني للرواد لايتمثل في تعدد التفعيلات والقوافي ووحدة القصيدة ، وإنما يتجسد في الحرية التي منحوها للشاعر ، فاستضاف الرمز والأسطورة والقناع ، وكتب المطولات والقصائد القصيرة ، واستعان بالتراث والثقافة العالمية ، واقترب الخطاب الشعري من لغة الكلام في الحياة اليومية .

إن هذه النقلة الجوهرية فصلت بين مرحلتين . ولم يكن هذا الإنجاز هينا ، على الرغم من الآراء التي ترى فيه مستوى فنيا متواضعا ، لكننا نستطيع ملاحظة تطوير المنجز كما جرى في شعر الشعراء التالين للرواد ، وفي طليعتهم سعدي يوسف الذي تميزت قصيدته بالموازنة بين فضاء الشعر وأرضية الحياة اليومية ، فراح يضخ الى قصائده دما جديدا ، هو عصارة ثقافته ، وإحساسه بالمكان (العراقي) ، ولغته الأليفة العذبة .

لكن قاريء قصائده الأخيرة يحس بمأزق الشعر الحديث في البحث عن أشكال وأساليب معاصرة .

فهو يعلو بقصيدته أحيانا الى ذرا لغوية ، صانعا فضاءات من المفردات والصور ، بينما يهبط بها أحيانا أخرى الى الأرض في طيران منخفض ، يهدد الجناح والجسد . فسعدي

وارث تقاليد السياب ، وفاتح نافذة على العالم . وهذه الموازنة صعبة ، كثيرة الخسائر .

وقد أحس شعراء الستينيات العراقيون بذلك ، فحاولوا مغادرة وصاية الرواد على رؤاهم ، وطرحوا مقولات فكرية مهمة ، وجدت في أشعارهم صياغات فنية متفاوتة الأهمية (مقولة الزوال في شعر سامي مهدي ، والغربة عند حسب الشيخ جعفر ، والتراث عند حميد سعيد ، ونموذج الغرب عند فاضل العزاوي) ، وقد ميزت تلك الرؤى والانشغالات أصواتهم عن سواهم ، على الرغم من وضوح المؤثر الأدونيسي في الكثير من شعرائهم .

سؤال الحداثة

ولكن ماقدمه الستينيون ظل محدود النتائج ، وبقي التحدي الأسلوبي ماثلا ، فهم لم يحسموا أمر الأنواع الشعرية ، ولم يدخلوا مناطق أسلوبية جديدة على الرغم من الرؤى الجديدة التي عبروا عنها .

وفي مقدمة الأسئلة التي ظلت دون إجابات نظرية أو تطبيقية سؤال الحداثة الذي برز حادا في السنوات الأخيرة .

ومن تجليات الحداثة الشعرية ومظاهرها المهمة : قصيدة النثر التي كان موقف الستينيّن منها غير واضح .

فالرافضون لم يقدموا بدائل تقنع قراءهم بأن المشكلة الأسلوبية طارئة ، وأنهم يملكون حلا لها .

والمترددون لم يكتبوا في قصيدة النثر نماذج ترقى الى مستوى التأسيس ، أو تكريس النوع الشعري الجديد .

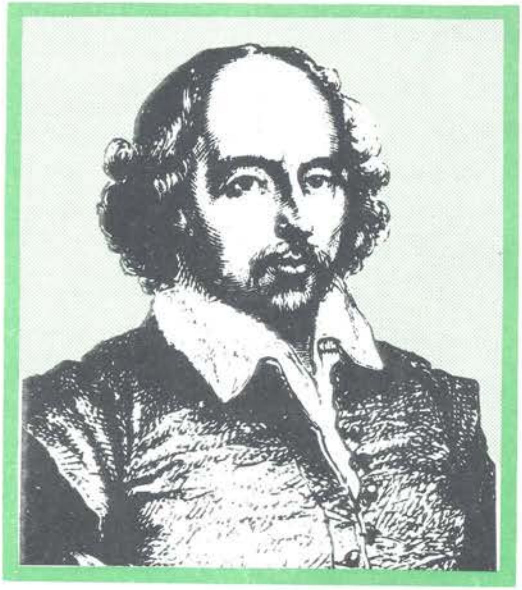
أما المتحمسون لها فقد ضاعت أصواتهم في حرارة التبشير والحنين الى تقليد النموذج ، ولم يستمر في كتابتها إلا قلائل يقف في مقدمتهم : سركون بولص ، وصلاح فائق ، وفاضل العزاوي الذين برزوا على صفحات مجلة (الكلمة) ، أما الجيل السبعيني فقد حاول أن يطرح موضوعات كبرى ، مثل تفجير اللغة ، والانقلاب الذوقي ، ورفض السائد ، وتجاوز الأشكال الحديثة ، فقد جرى الحديث عن (النص) الجديد و (الكتابة الشعرية الجديدة) ، الخالية من ميزات النوع الشعري المحدد ، أي اقتراح كتابة خاصة لها قوانينها التي لاتلتقي بسواها ، وهي لذلك غير قابلة للتسمية أو الوصف .

وقد برز بين أصوات هذا الجيل شعراء مثل (زاهر الجيزاني ، وخزعل الماجدي ، وكمال سبتي ، ورعد عبد القادر ، وهادي ياسين علي) ، إلا أن الأسئلة ظلت قائمة ، حتى نهض جيل شعري في الثمانينيات ، لم يفلح في تكريس هوية خاصة (تميز بين شعرائه : باسم المرعبي ، وخالد جابر يوسف ، ونصيف الناصري) .

تداخل الأصوات

إن لوحة الشعر في العراق ـ وهذه إحدى خصوصياتها ـ ينجزها شعراء من أجيال عدة . وتتداخل فيها الأصوات ، حتى أنك تتساءل عن مكان لشعراء ذوي إنجاز وتميز مثل : (حسين عبد اللطيف ، وعلي الطائي ، وكزار حنتوش ، وجواد الحطّاب ، وعدنان الصائغ) ، ففي العراق مايزال لنازك حضورها على الرغم من صمتها ، وكذلك البياتي الذي نشر منتصف هذا العام ديوانه (بستان عائشة) . وفي ركن ما ، من الساحة الشعرية ، ستجد شاعرا تقليديا ، أو أكثر ، يعد مشروعه المستقبلي انطلاقا من الموروث .

وعلى مستوى الموضوعات والأساليب ، سيدهشك هذا التداخل أيضا ، فمن شعر الحرب الى شعر المسرح ، إلى قصيدة النثر اللغوية ، والشعر الحر ، وتجارب الكتابة الجديدة . قائمة لاتنتهي من معاناة البحث عن أشكال ورؤى ، معاناة تؤشر كلها باتجاه المستقبل الذي لابد أن يظل فيه الكثير مما سيرشح به وعاء الشعر المعاصر في العراق . □



هل كان شكسبير طبيبا انقلب إلى مؤلف مسرحي؟

بقلم : الدكتورة صبيحة الدباغ

بين الطب والأدب صلة نسب ، وهي على أقوى ما تكون في أعمال شكسبير ، بل إن الإنسان أحيانا يكاد يتصوره طبيبا انقلب إلى كاتب مسرحي ، لاطلاعه الواسع عن الأمراض والعقاقير والأعشاب بشكل مذهل ، يثير العجب ، ومسرحياته السبع والثلاثون تعج بهذه المعلومات ، باستثناء مسرحية «تيتوس اندرونيكس » وفي هذا المقال سياحة طبية في عدد من مسرحيات شكسبير .

ليس ما ذكرنا هو كل ما في الأمر ، فقد سبق وليم هارفي الى ذكر الدورة الدموية ، ففي المشهد الأول من الفصل الثاني من مسرحية (يوليوس قيصر) يقول بروتس لزوجته :

« أنت زوجتي الحقيقية الجديرة بالاحترام ، عزيزة علي كقطرات الدم المتوردة التي تزور قلبي الحزين » .

ولما يكن اكتشاف الدورة الدموية قد أعلن ، فقد تم ذلك بعد وفاة شكسبير بسنوات ، فلعل المسرحية لم تكتب سنة ١٦٠٣ كما أرخها كوليير ، وهذا أمر بعيد الاحتمال ، أو لعل هارفي نفسه أطلعه عليها قبل أن يعلنها على الملأ ، لكن هارفي يومذاك كان طبيبا شابا ، يدرس في « بادوا » بإيطاليا ، و لما تكن الفكرة قد اختمرت في ذهنه بعد ، بل ظهرت بعد ربع قرن ، فهل

توصل إليها شكسبير بعد دراسته لبحوث ابن النفيس المترجمة إلى اللاتينية ، وفيها ذكر واف للدورة الدموية الصغرى ، أو أن العبقري يرى بعبقريته ما لايراه العالم إلا بعد سنوات من التجربة والاستقصاء ؟ ذلك لأن أول إشارة إلى الدورة الدموية من قبل هارفي كانت سنة ١٦٢٨ ، أي بعد وفاة شكسبير باثنتي عشرة سنة ، وبعد إعلان شكسبير للنظرية بربع قرن ، ثم إن الفكرة تتكرر في مسرحية « جهد الحب الضائع » ، وتتجلى أكثر في القسم الثاني من مسرحية « هنري الرابع » ، إذ جاء فيها :

« أنهار الدم التي انسابت حتى بلغت بلاط القلب »

وفي المشهد الرابع من الفصل الثاني من مسرحية « دقة بدقة » ذكر لاحتشاد الدم في القلب ، بعد عودته من سائر أعضاء الجسم ، مما قد يسبب الإغماء أحيانا . ويتحدث في المشهد الرابع من الفصل الأول من مسرحية « روميو وجولييت » عن النظرية نفسها فيقول : « إن الشرايين لنقل الدم » وفي مسرحية « هاملت » يهتف شكسبير على لسان بطله :

« يا للفرحة ! نبضي كنبضك ، يحافظ على الوقت باعتدال ، ويوقع توقيعا موسيقيا صحيحا معافى » .

طبيب واختصاصي

وإذا جاز لنا أن نعد شكسبير طبيبا انقلب إلى كاتب مسرحي ، فما اختصاصه الطبي الذي تمثله أغلبية المعلومات الطبية التي تطرق اليها في مسرحياته ؟ إنه من غير شك طبيب اختصاصي في الأمراض العصبية ، ولذلك برز في مسرحية (هاملت) ، فكانت تاج مسرحياته جميعها ، ولم نسمع بمادة إبداعية اشتهرت أكثر من مبدعها إلا (هاملت) بعد أن ألفها شكسبير ، ويليها في ذلك (ماكبث) وهي أفظع ما أوجده الإبداع الشعري ، إذ يمثل دراسة تهم كل متحرّ لزوابع العواصف المتسمة بالللوثة العقلية ، فالمؤرخ يدرس تاريخ تطور المزاج العقلي على أشد ما يكون انفعالا وحرارة ، والسياسي يظفر بمعلومات عن المؤامرات واتجاهات الفعاليات البشرية ، والعالم النفساني يتعمق في علم النفس ، فيخفف من وقع الأمراض النفسية ، مما لايمكن أن يحاول القيام به الطبيب الاعتيادي المرتعب أمام هذه الحالة الغريبة الشاذة ، ولكن مع ذلك بوسعه أن يطلع من الناحية الطبية على الاختلال العقلي ، والفيلسوف يدرس كيفية تجنب الدورات الحياتية المدمرة .

وليس ثمة من هو أقرب إلى العالم النفساني من الشاعر الملهم كدليل ومرشد ، وشكسبير خير من يمثل ذلك ، فهو الطبيعة بأكملها ، متمثلة بصورة إنسان ، وقد كانت له بصيرة نفسانية نفاذة أكثر من أي شاعر أو كاتب .

والمجانين الذين تطرق إليهم شكسبير في مسرحياته كثر ، فقد عالج ألوانا من الجنون ، متمثلة في الشخوص التالية :

١ - « ماكبث » ويمثل جنون الملك والسلطان والحكم وحب الشهرة .
٢ - « هاملت » : ويمثل جنون الثأر والانتقام .
٣ - « أوفيليا » : وتمثل جنون الحب .
٤ - « الملك لير » : ويمثل جنون عدم تدبر العواقب والغرور .
٥ - « تيمون الأثيني » : ويمثل جنون حب الخير المتُطرف والتبذير .

وللأسف فإن معالجة مرضى العقول ، لاسيما الخطرين منهم ، في أيام شكسبير ، كانت تقصر على التعذيب والضرب بالسياط والحرمان من الطعام والتقييد والحبس في غرفة مظلمة ، أما الذين لاخطر منهم فكانوا طلقاء ، لذلك استطاع شكسبير أن يتصل بهم ويدرسهم عن كثب ، ولكنه مع ذلك أبدع في تصوير الجنون العنيف العارم ، حين قال على لسان الملكة متحدثة عن ابنها « هاملت » :

« مجنون جنون البحر والريح عندما يتنازعان من أجل أن يبرهنا على قوتهما ! »

لقد داس « هاملت » حتى على ضميره من أجل الثأر لوالده الراحل ، فقال :

« هكذا ، فإن الضمير يجعلنا جبناء ، وبهذا

ينصل لوم الحزم الأصيل ، بإلقاء وشاح شاحب على مشاريع ذات أصالة عظيمة وخطورة ، فتفقد العزيمة اسمها ! »

والضمير في « ماكبث » - خلافا لما نجده في « هاملت » - مستقل عن العقل ، فما يقوله العقل ليس ما يوحيه الضمير ، ولم يكن « ماكبث » باديء ذي بدء مجنونا أو شريرا ، بل كان - كما يقول شكسبير - راضعا من لبن العطف الإنساني ، فهو متفائل ذو كفاءة عجيبة ، ولكنه كان عرضة للتأثيرات الخارجية ، فموضوع الدراسة في « ماكبث » الأعصاب لا الضمير ، وفعالية الدماغ لا قوة الإرادة ، وتكوين الرجل « الفسيولوجي » هو المسؤول ، فالشر يفضي الى الشر ، ولا بد من كسر الحلقة المفرغة في موضع ما .

ويشير شكسبير في « الملك لير » إلى أن الاضطرابات العاطفية هي السبب الرئيس في الجنون ، وقد أعرض الأطباء عن هذا الزعم الشكسبيري ، مع ذلك لم ينجحوا في تعريف الجنون الا بما يحدثه وليس في وصف جوهره ، فالملك « لير » في القمة ، والقمة بما فيها من وحدانية وعلو تعرض العقل البشري للدوار ، لاسيما إذا كان مثقل الرأس بالتاج ، فالتفكير يكون مضطربا غير مأمون العواقب ، ففي القرن الثامن عشر كان ربع ملوك أوربا مجانين ، بينهم ملك البرتغال والدنمارك والسويد وانجلترا وقيصر روسيا ، فالسلطة التي لاحد لها هي الوحدة المخيفة بحد ذاتها ، كما قال ونستون تشرشل ، فمالكها لاصديق له ولارفيق ولاند ولانظير ، بحيث يصبح ، إلا في ما قل وندر ، غير قادر على التمييز بين الصدق والكذب ، بين الإخلاص الحقيقي والنفاق ، وأكثر الشر متأت من بطانة السوء ، لأنها تجنح الى الرياء والمداجاة جرا للمنافع واكتسابا للمغانم ، وتكون أول من يجهز على الحاكم عندما تتأزم الظروف ويحرج ، فلا يتبين المدخل من المخرج ، وقد جمع (الملك لير) بين الاستبداد والشيخوخة ، وهذه الأخيرة كثيرا ما تجعل الإنسان أنانيا ، جامد العواطف ، لا يتأثر بالانطباعات الخارجية ، ففي الشيخوخة تنضج الحكمة وتبرد العواطف ، وقد أوضح شكسبير المراحل التي تفضي الى الجنون في مسرحية (هاملت) حين يقول على لسان بولونيوس : -

« وبعد أن أصيب بخيبة أمل - ولنوجز الحكاية : اعتراه الحزن ، فأعرض عن الطعام ، وأصيب بالأرق ، ومن ثم بالضعف ، ومن بعده بالطيش . وبهذا الانحطاط انحدر إلى الخبل ، حيث يجد نفسه الآن يهذي مهتاجا »

وعندما نترجم هذا الكلام إلى لغة النثر الطبي ، يمكن التعبير عنه بقولنا : عندما أصيب « هاملت » بخيبة أمل ، ورفضت « أوفيليا » تقربه الودي الحار منها أصيب بالماليخوليا أو الكآبة ، فقد شهيته للطعام ، وكانت نتيجة صومه الأرق ، وقد أدى الصوم والأرق إلى هزال عام ، مما أفضى الى طيش وعدم استقرار ، واضطراب في الفعاليات العقلية ، مؤديا بالتالي الى الجنون .

ولكن والدته الملكة ترفض هذا التعليل ، وتقول : إن السبب هو مصرع والده وزواجها العاجل من عمه .

للجنون أسباب أخرى

والجنون كالانتحار تماما ، لايكون مصدره سببا واحدا ، بل عدة أسباب مجتمعة ، فلا يجد المرء إذ ذاك مهربا إلى أحد طريقين : إما التحرر من محاصرة العقل ، أو التحرر من



الحياة نهائيا ، فالتشوق للموت لون من ألوان الخلل العقلي ، وفي هذا يقول « هاملت » : .

« الـشيطان يتـسلل عن طريق الـضعـف والاكتئاب ، فهو قوي في مثل هذه الأحوال ، يسيء إلي ويلعنني » .

أما في مسرحية (تيمون الأثيني) التي تبدو لبعض النقاد غير كاملة ، . ومن أعمال شكسبير المتأخرة ، ففيها شخصية إنسان يكره البشر جميعهم ، ويمكن وضعها في صنف واحد مع « هاملت » و « لير » وهي شديدة الشبه بالأخيرة ، فهي مثلها في البداية مليئة بالثقة غير المعقولة ، وهي مثلها في النهاية مليئة بالحقد غير المعقول ، فتطور الشخصيتين متماثل ولكن الظروف مختلفة .

وتيمون الأثيني بعيد كل البعد عن الصورة التي يصوره بها بلوتارك ، إذ يقول : إنه أفعى خبيثة ، إنه إنسان مؤذ للبشرية ، فهو في جوهره سامي المباديء ، نبيل المشاعر ، غير أناني ، كريم العطاء ، يجد اللذة في الاحسان والكرم دون مقابل ، وطبعه لطيف ، غير أحمق ، بل له عقلية مثقفة مهذبة ، فهو عاقل في كل شيء عدا أمرين : عدم قدرته على تقدير الخصائص والمزايا ، وعدم تبينه علاقة الأشياء بعضها ببعض على نحو ما هي متميزة عن مضاداتها التي تحولها وتنقلها من وضع الى وضع ، وله كل المشاعر والأحاسيس عدا تقدير البديهيات .

ونجد مثيل تيمون أحيانا في الطبقة الأرستقراطية الانجليزية في صورة شاب يولد في عائلة ثرية ، يحمل اسما فخما ، يربى كأمير صغير ، لايحرم من رغبة يصبو اليها ، فهل يمكن للعقل أن يعتريه ضعف في مثل هذا الوسط الممتاز ؟ هل لشاب متألق المنشأ ، ذهبي الآفاق ، مترف ، أن يصاب بلوثة عقلية ؟ ربما عن طريق أصدقاء السوء ، أو بسبب سلطة المعلم المستبد ، أو بتأثير الاعتداء الذاتي ، فلا يشعر بعلاقته الحقيقية بالآخرين ، وعلاقتهم به ، لتقدير القيمة الحقيقية للحافز والدافع . فالطفل بمعاقبته على سوء تصرفاته يدرك هذه الحقيقة ، وكما أن الطفل يفهم أن النار تحرقه فكذلك الرجل البالغ ينبغي له أن يفهم التملق ليس صداقة حقيقية ، وأن الركون إليه حماقة وطيش ، ولكن تيمون الأثيني لايفهم ذلك ، فالحياة بالنسبة له حلم شاعر : طيبة قلب وجمال ، وتيمون مبذر ، لايقبل هدية من الشخص الذي دفع عنه الدين لينقذه من السجن ، فهو يبذر لمتعة التبذير ، ويعطي للذة العطاء : وهو عدو نفسه ، ولايمكن للانسان أن يكون عدو نفسه في العالم المتحضر دون أن يؤذي الآخرين . يقول تيمون الأثيني : « أعطيته مجانا ، بشكل مطلق ، فليس ثمة من يقول بصدق : إنه يمنح مادام يتسلم شيئا مقابل ما يمنحه » هكذا كان مقياس السخاء عند تيمون الأثيني . ويضيف إلى ذلك قوله :

« أموالي ترحب بكم أكثر من ترحيبها بي » .

وكثيرا ما يردد أمام الناس ، لاسيما الفقراء منهم ، قائلا : « كنت أتمنى أن أكون أفقر لأكون أقرب إليكم » . وهكذا يصل في النتيجة الى قرارة الفقر ، ويغرق في الديون ، وينفض من حوله الأصدقاء ، فيحقد على البشرية جمعاء بسبب حمقه وسفهه ، ويغضب على الجميع لسوء معاملة القلة القليلة منهم له .

كان مجنوننا فأصبح أحمق نتيجة تغير ظروفه لسوء تصرفه ، فينصحه صديق له أن يكون متملقا ، ليتقرب من الأغنياء ، فيستعيد بعض ما وهبه إياهم ، فيفعل ذلك ، ولكنه يعود فيفرق ما يحصل عليه على المحتالين والدجالين هذه المرة ، وفي هذه الأثناء يكتشف في بيته كنزا من ذهب ، يوزعه على السفلة ، ليشجع الرذيلة في البشرية المكروهة على زعمه ، ذلك لأن مقام الذهب عنده كمقام العاهر في بني البشر .

وينتهي أمره بالانتحار .

الأمور بخواتيمها

إن أكثر مسرحيات شكسبير إغراقا في الطب والمعـالجـات الـطبية هي مسرحية (الأمـور بخواتيمها) ، فعقدة الرواية بحد ذاتها طبية ، بطلتها ابنة طبيب يتيمة ، لم يترك لها والدها شيئا سوى وصفة طبية سرية ، تعد كنزا من الكنوز ،

تشفي بها علة مستعصية أصيب بها ملك فرنسا ، وذلك بعد أن عجز الأطباء كافة عن معالجته ، فيكون جزاؤها زوجا تحبه من نبلاء القصر ، فأطباء فرنسا أخفقوا في معالجة العاهل الفرنسي وشفائه من ناسور ، بل يزداد الناسور سوءا ، فتقوم (هيلينا) ، بطلة القصة ، برحلة إلى باريس لمعالجة الملك ، وتتزوج (بيرترام) ، فتمتطي صهوة جوادها وترحل ، وتشفي الملك في ظرف ثمانية أيام ، دون إرهاق له بمزيد من العذاب والألم ، وذلك بعد أن يرفض الملك تطوعها لمعالجته ، فتقول له : « ألأني شابة ؟ بيد أن أبي هو جيرارد الناربوني ! » ! ولا يكاد الملك يسمع بالاسم حتى يوافق في الحال ، فتدهشه بشفائه قبل الموعد المضروب ، وكان الناسور في أيام شكسبير عبارة عن قيح يأخذ سبيله الى أي مكان في الجسم ، أما الملك الفرنسي فكان الناسور في صدره .

ويقول شكسبير : إنه لو قيض لجيرارد الناربوني أن يعيش لجعل الإنسان خالدا ، ولبقي الموت عاطلا دون عمل ، فهل يا ترى قتل جيرارد لأنه لايعقل أن يموت موتا طبيعيا ، ما دام قد أدرك سر الخلود ؟ فهو ـ على حد تعبير شكسبير « ينفخ الحياة في الحجر »

ومن الغريب أن النبيل بيرترام يرفض الزواج من هيلينا ، لأنها ابنة طبيب معدم فقير ، فيحمله الملك على أن يتزوجها ، فيبني بها ، ثم يذهب الى الحرب ، فتلحق به على الرغم من حساسيتها إزاء القطط ، لأنها تعده قطا كبيرا

ويعد شكسبير الذهب دواء ناجعا ، وعلاجا مؤثرا ، وكان تشوسر قد سبق أن أشار الى الأهمية الطبية للذهب نفسها ، مع إشارة خفية الى جشع بعض الأطباء وتهالكهم على الذهب .

والملحوظ في مسرحية « أو تيللو » أو « عطاء الله » (عطيل ـ على رأي مطران) أن الغيرة تبلغ من القائد المراكشي حدا غير مألوف ، مشرفا بذلك على الجنون ، أو هي الجنون المطلق بعينه ، فالغيرة بشكلها الطبيعي محمودة ، بل متوقعة من أي إنسان سوي ، أما أن تصل الى حد الأوهام المريضة ونسج الخيالات التي لاسند لها من الواقع فهذا أدخل في النطاق الباثولوجي أو المرضي ، وهذا ما قد حدث لعطيل المسكين ، وعندما انكشف له الواقع الناصع استيقظ من سورة جنونه ، فانتحر على جثة زوجته الحبيبة ، « ديزديمونا » التي قتلها ظلما وعدوانا ، فعاقب نفسه بمثل ما ارتكبه إزاءها .

وأرجو ألا ينصرف الذهن الى أن شكسبير نظم ما توافر لديه من آراء طبية بصورة الشعر التعليمي الذي ألفناه في الآداب الطبية الوسطى ، لمساعدة الطلبة على ترسيخ المعلومات الطبية العويصة في أذهانهم ، لتساعدهم على الاستذكار واجتياز الاختبارات والامتحانات « الأكاديمية » ، لأن معلوماته الطبية تأتي عفوا وبشكل غير مقصود ، على نحو ما نجد في وصف حمى الملاريا التي انتابت المتنبي في فترة اقامته بمصر ، فهو شعر أصيل وليس شعرا تعليميا ، وكذلك شعر شكسبير الطبي الذي جمع بين الفن والمتعة المفيدة . □

مقالات في كلمات


● ابراهام لنكولن

× لايمكننا أن نكون شديدي الحذر في اختيار أعدائنا . (اوسكار وايلد)
× ذوو العلم الواسع ، هم من يرصفون هيكل المجد . (شامنور)
× البطل الحقيقي في عيد من الأعياد ، هو دائما من يدفع . (بوجول)
× العاشق هو الخازن الذي يعمل ليل نهار . (ناتالي كليفورد بارني)
× ليس في استطاعتك تقوية الضعيف بإضعاف القوى . (لنكولن)

عندما تستيقظ الأميرة

شعر : خالد الخزرجي

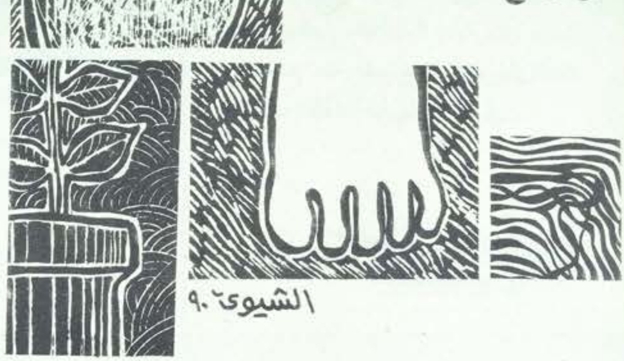
إخالُ مشّطَ الندى ضفائر الصباح
وانهمر الشذى على السهول والبطاح
وأمطرت سماؤنا
وأمرعت حقولنا
فأزهرت حدائق التفاح !
○ ○ ○
إخالَ جاءنا البشير بالهوى
فأيقظ الأنام
واعشوشب النهار في مدينة الأحلام
حبيبتي .. وانحسر الظلام
عن وطن السلام !
إخال هذا الغبش الوردي لاح
يضوع مسكا ، نرجسا ، « قداحْ »
فاستيقظي
استيقظي
فالشمس يا حبيبتي
أحلى وشاح !

إخالُ يا أميرة الفؤاد تخطرين
فوق ضفاف النرجس الظمآن تقمرين
وتزرعين الورد في
حدائق العراق !
○ ○ ○
إخالُ وجهك الندىَّ
فَضَّضَ الصباح
ورشرش الأفياء ،
ضَمَّخَ الجواء بالعبير والأقاح !
فاكتحلي
بالقمر الفضي يا سيدة الملاح
واغتسلي
في موج عطر (دجلة) الفوّاح
وأمطري
مباهجا ،
مواسما ،
« أفراحْ » ..
وهلّلي
المجدُ للعراق ! ..
المجدُ للعراق ! ..











في الصميم

● هناك اكتشاف عظيم ، ينتظر أن يتم في ميدان الأدب ، وهو مكافأة الكتّاب مالياً عن الكتب التي يتعهدون بعدم كتابتها

توماس كارلايل

● أحب كثيرا الكلام والتفكير ، أي الكلام أولا ثم التفكير .

سيتويل

● أساس الزواج الحقيقي سوء تفاهم متبادل .

أوسكار وايلد

قاموس الظرفاء

● خاصتي : شيء يخصني إذا ما كنت أستطيع الاحتفاظ به أو امتلاكه .

● الجار : شخص أُمرنا أن نحبه كأنفسنا ، وبعض الجيران يقوم بكل ما يسعه لكي يجعلنا نعصي هذا الأمر .

● إعادة نظر : البحث عن تبرير لقرار سبق اتخاذه .

من القلب

كثير العناد

● وصل الزوجان السائحان البريطانيان في سيارتهما إلى منطقة الأهرامات في مصر ، فقالت الزوجة غاضبة تلوم زوجها :

أنت دائما كثير العناد يادوغلاس ، فلقد قلت لك : إنه من أجل الوصول إلى مدريد ينبغي الانعطاف إلى اليمين في باريس .

كلا ياسيدي

● قبض رجال الشرطة على اللص ، وأحضروه أمام القاضي للمحاكمة ، ولما امتثل أمامه سأله القاضي :

هل عندك ما تدافع به عن نفسك ؟

أجاب اللص : كلا ياسيدي ، فقد جردوني من المسدس الذي كنت أحمله .

أين الثالثة ؟

● وقف قائد البحرية على ظهر إحدى بوارجه ، يشاهد مناورة يجريها أسطوله ، وفجأة صاح بمساعده ، وقد بدت على وجهه أمارات الغضب :

من المفروض أن يشترك في المناورة ثلاث بوارج ، وأنا لا أرى سوى اثنتين فقط . فأين الثالثة ؟

فتقدم منه المساعد وهمس في أذنه إنك تقف عليها ياسيدي .



لا يهمني

وقف أحد الحمقى ، أمام لافتة عليها : « حذار ، الكحول يقتل ببطء » فهز كتفه مردداً : لا يهمني ذلك ، فأنا لست على عجلة .

□□□

أفضل طرق الكتابة

ذهبت إحدى السيدات إلى مارك توين ، وقالت له : إنها تود أن تشتغل بالأدب . وسألته عن أفضل طريقة للكتابة ، فأجابها على الفور :

من اليسار إلى اليمين .

□□□

السهل والصعب

كان الكاتب « ستيفان ليكوك » يحاضر في بعض المؤلفين الشبان ، فسألوه : كيف تكتب مقالاتك الفكاهية ؟

فأجاب : كل ما يجب عمله ، هو أن يحس الواحد ، ثم يقوم بكتابة ما يحس به .

فقال أحدهم : أهذا كل ما في الأمر ؟

فرد عليه : كما ترى ، فالكتابة أمر سهل جدا ، ولكن الصعب هو الإحساس .

جميل مطران في عنق حافظ



● حافظ ابراهيم



● خليل مطران

● أقام حافظ ابراهيم مع خليل مطران في أحد فنادق لبنان ، وحدث أن فقد حافظ زر قبة قميصه . فقدم إليه مطران زرا عوضا عن الضائع ، فشكره حافظ ، ثم قال له : سأرده إليك اليوم .

فسأله مطران : وعلام السرعة ؟

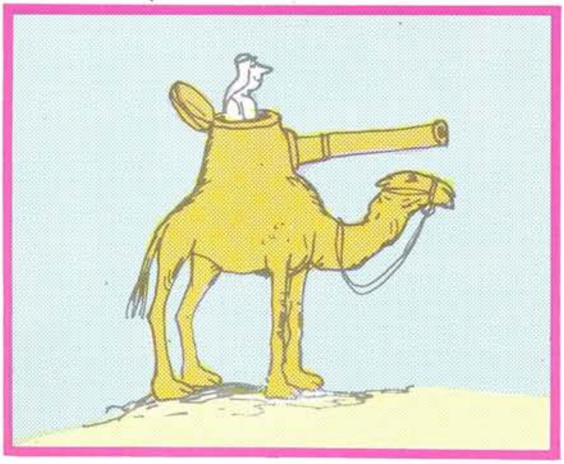
أجابه حافظ • لأنني لا أطيق أن يبقى جميلك في عنقي .

مشكلة

● كان الحريري ، صاحب المقامات ، كثير العبث بلحيته ، وكان طويل المجالسة لأمير البصرة . وحدث مرة أن توعده الأمير ونهاه ، فكان الحريري بعد ذلك يجلس كالمقيد بالأصفاد . وتكلم يوما بكلام أعجب الأمير ، فسأله :

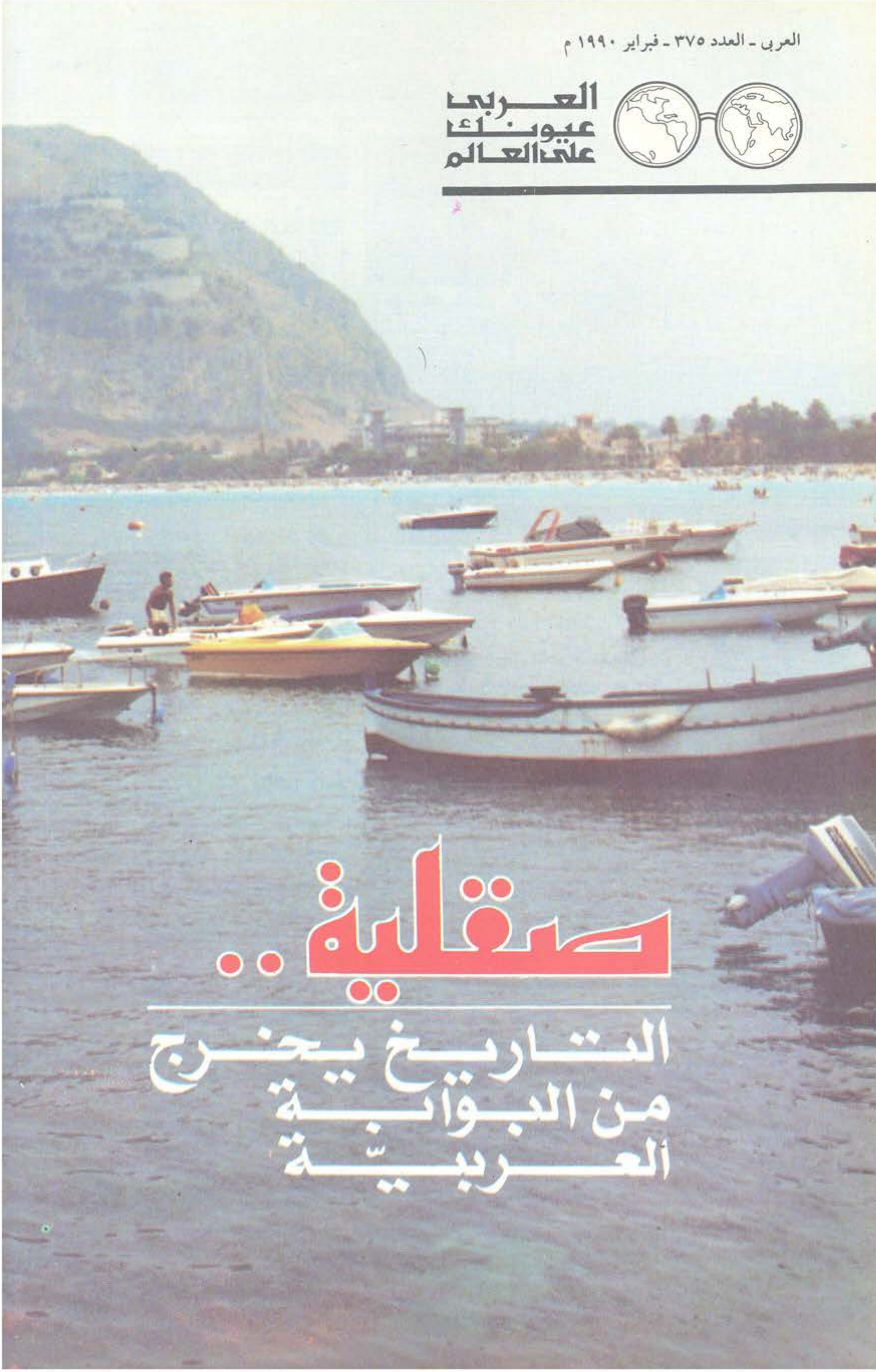
ماذا تريد أن أقطعك ياحريري ؟

فأجابه فورا : اقطعني لحيتي .



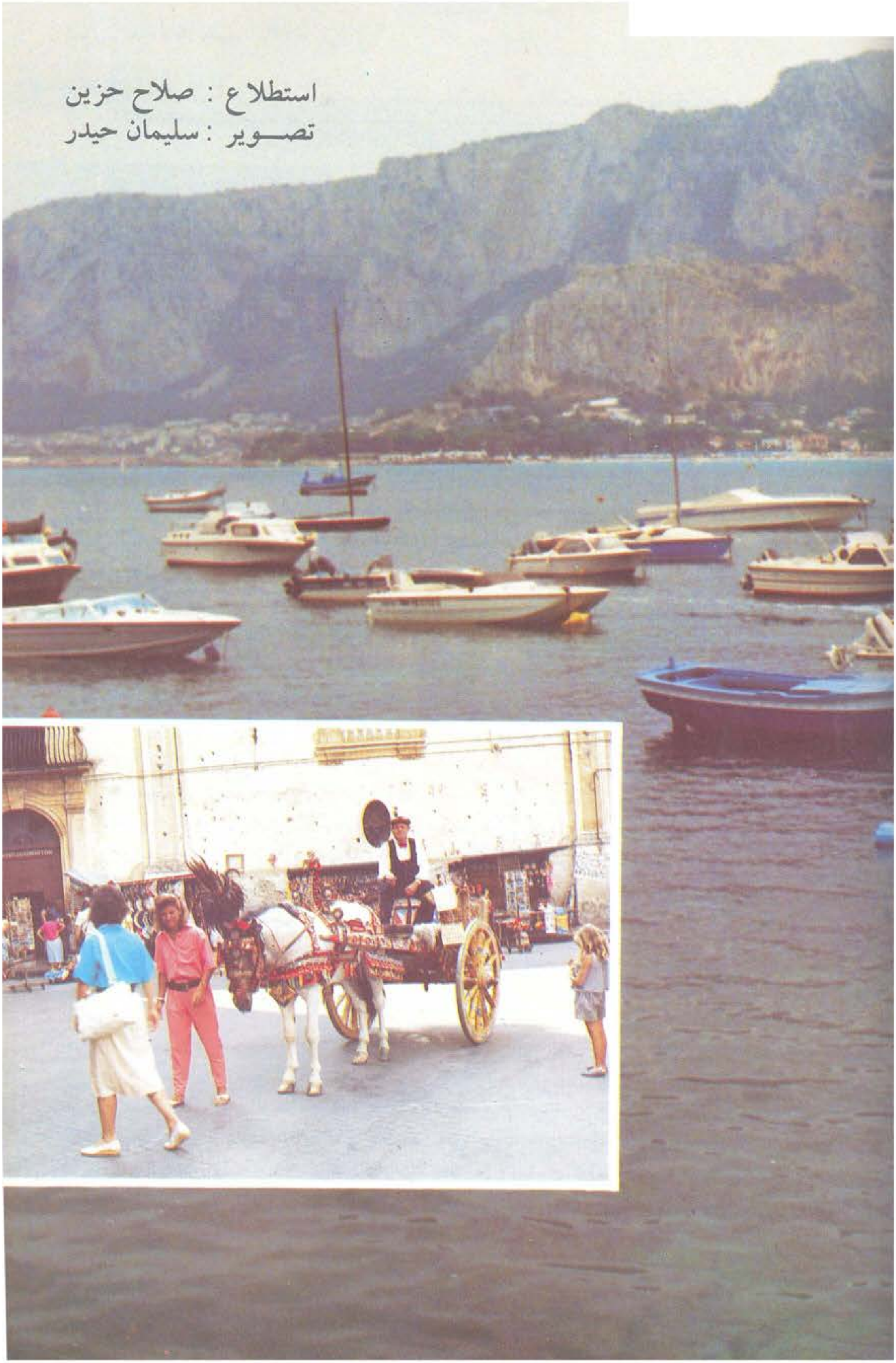
العربي - العدد ٣٧٥ - فبراير ١٩٩٠ م

العربي
عيونك
على العالم



صقلية..
التاريخ يخرج من البوابة العربية

استطلاع : صلاح حزين
تصـــوير : سليمان حيدر



على الرغم من أنها جزء من الكل الايطالي ، الممتد داخل البحر حتى وسط أوربا ، فإن من يتصدى للكتابة عنها يحتار من أين يبدأ ، من جغرافيتها ذات التنوع والثراء ، أو من تاريخها الذي لم يصبح ايطالياً قبل عام ١٨٦٠ ، أو من تاريخها العربي الذي امتد مدة تزيد على قرنين من الزمان ، ترك خلالها بصمات مازالت ماثلة في مدن الجزيرة العديدة ، أو من ارتباط اسمها بعصابات المافيا الشهيرة .

لكن الحيرة لم تطل . كما يحدث كثيرا في صقلية ، فقد حسمت المافيا الأمر ، فأصبح لزاما علينا أن نبدأ بها .

حين وصلنا إلى جزيرة صقلية كنا مسكونين بصورة عصابات المافيا . لم يكن ذلك خوفا ، وإن كان هناك شيء منه ، بل كان إحساسا خلقته أحداث اليوم السابق ، ونحن لم نزل في العاصمة الايطالية روما ، كانت المافيا قد أقدمت على قتل ضابط كبير في الشرطة الايطالية . وهو عمل كما علمنا من أصدقائنا في روما يتجاوز الحدود التي تصل إليها تلك العصابات في حربها ضد الحكومة ، فهناك حدود ضمنية ، وهناك مايشبه القوانين التي تنظم العلاقة الدامية بين تلك العصابات والحكومة . فقد تقتل واشياً أو مخبرا أو شرطيا صغيرا على سبيل الإرهاب أو التحذير ، لكن قتل ضابط بهذه الرتبة يعني فتحا لمعركة قد يسقط فيها ضحايا كثيرة . وقد يراق دم أبرياء . وفكرت في أننا قد نكون الأبرياء الذين يراق دمهم في تلك الجزيرة المرعبة ، بل لقد خطر ببالي خاطر طريف ، هو أننا قد نكون الأبرياء الوحيدين هناك .

ولم يكن المشهد الأول لباليرمو ، عاصمة الجزيرة ، مساعدا على إبعاد تلك الهواجس عنا . جبل واحد ، هائل الضخامة ، بلونه الذي يجمع بين الأخضر الداكن والبني ، يقف مثل نصب عملاق ، ملقيا ظله على المدينة التي امتدت على الشاطيء المحاذي له ببناياتها التي غلب عليها الانخفاض ، وإن برزت من بينها عمارات مرتفعة ، فرسمت تنويعا على صفحة المدينة .

عندما هبطت بنا الطائرة في المطار القريب من الجبل الرهيب خيل إلينا أن أحد جناحيها لابد أن يصطدم بإحدى نتوءات الجبل الصخري ، لكن شيئا من هذا لم يحدث . ودلفنا الى المدينة من الشارع الذي تلوى مع سفح الجبل ، حتى وصلنا فندقنا في شارع ليبرتا ، بوسط المدينة التي أعلنت عن جمال لم نكن نتوقعه . ومن هناك بدأنا جولتنا في الجزيرة الكبيرة .

صقلية ليست باليرمو فقط ، إنها أيضا سيراكيوزا أو سرقسطة كما كان يسميها العرب أيام حكمهم هناك . وهى كاتانيا ومسينا وتاورمينا واجريجنتو ومرسالا وتراباني وكالتانيسيتا ، وعدد آخر من المدن الكبيرة ، مما جعل صقلية أكثر المناطق كثافة في السكان في إيطاليا كلها . ففي هذه الجزيرة التي تبلغ مساحتها ٧٥,٧٠٨ كيلومترات مربعة يعيش نحو سبعة ملايين نسمة .

الجزيرة القارة

وصقلية ليست جزيرة واحدة فقط ، إنها الجزيرة التي اتخذت شكل مثلث ، بالإضافة الى عدد من الجزر الصغيرة التي تناثرت عند زوايا المثلث ، أهمها جزر : بانتليريا ، وسترومبولي ، وسالينا ، وباناريا ، وليباري ، وفولكانو ، وجزيرة اوستيكا التي اعتزلت في نقطة قصية قبالة مدينة باليرمو ، وبسبب شكلها الذي يشبه مثلثا



● صقلية ، حيث أقرب نقطة إلى ايطاليا ، لا تزيد على ٣ كم .

أطلق عليها قديما اسم ترينا كريا (أي المثلث) . والطريف أن كلا من هذه المدن وهذه الجزر لها طبيعة خاصة ، وشهرة مختلفة عما عداها . وما بين المدن تعددت أشكال جمال الطبيعة وتنوعت التضاريس ، سهول شاسعة ، وحقول عظيمة ، وجبال بعضها وعر شديد الانحدار ، وبعضها الآخر مكسو بالأشجار ، وغيرها تحتوي قممها على فوهات للبراكين الخامدة ، لكنها بين حين وآخر تذكر السكان بأنها هناك .

وبسبب الطبيعة المتنوعة ، وأشكال الجمال المختلفة ، وتغير المشهد مع كل خطوة تخطوها فوق الجزيرة ، فقد قيل قديما : إن صقلية أشبه بقارة .

وعلى طول ساحل الجزيرة ، ذات الشكل المثلث ، امتدت شواطيء للسباحة ، وشواطيء صخرية ، صنع التقاء الحجر مع الرمل والماء فيها أشكالا جميلة ، جذبت السائحين ، وشواطيء وعرة وجبلية أخرى لاتصلح للسباحة والسياحة ، فتحولت إلى ملاذ لسمكة السيف التي يشكل اصطيادها أحد الموارد الرئيسة للسكان قرب مضائق مسينا ، بالإضافة إلى أسماك أخرى كالسردين والتونة والحنكليس وغيرها التي يتم اصطيادها في شواطيء أخرى من الجزيرة .

بعد يوم من وجودك في باليرمو تشعر بأن هذه المدينة حميمة بشكل خاص ، وتتبدد مشاعر الرهبة التي قد تعتريك ـ مثلنا ـ قبل الوصول إليها والانهماك في التعرف على الحياة فيها بجوانبها المختلفة ، ويحل محلها شعور بالارتياح من أناسها الذين يتميزون بطبيعة وتلقائية ومرح يبدو لك عندما تتعامل مع سائق سيارة أو بائع أو موظف بمكتب سياحة أو بأحد الجالسين على مقاعد في الحدائق العامة الكثيرة المنتشرة في المدينة . قد يفاجئك الصوت العالي للناس عندما يتحدثون عن بعد ، أو يقابل بعضهم بعضا في أماكن أو أزمنة غير متوقعة . وقد تضحكك كثرة استعمالهم للإشارة التي لايستخدمون فيها الأيدي فقط،بل الرأس والكتفين والجسم كله أحيانا ، لكن هذا كله يمنح القادم من أقطارنا العربية شعورا بالألفة . أليس هذا ما نفعله نحن العرب أيضا ؟ ها هي صقلية ، وها هم أناسها الطيبون ، فأين المافيا إذن ؟ وضحكنا ولكن إلى حين .

في أسواق باليرمو

وخرجنا إلى المدينة عبر شارع ليبرتا الرئيس العريض ، تحف به من الجانبين البنايات المتناسقة بشرفاتها التي أطلت على وسط المدينة ، وفي نقطة داخل حديقة جيوسيبي فيردي التي تتوسط المدينة بدأنا بالتقاط الصور لما حولنا من خضرة وبشر وسيارات وعربات تجرها الخيول .

ومن بين البنايات جميعها مسرح ماسيمو ببنائه الشبيه بالمعابد اليونانية ، وقد تقدمت المسرح نفسه والذي يعد ثالث أكبر مسرح في أوربا بعد داري أوبرا باريس وأوبرا هاوزن بألمانيا . أما



● النخيل في شوارع صقلية يذكرنا بتاريخها العربي .

الأثر اليوناني الذي شاهدناه في أماكن أخرى بعد ذلك فمن خلال الاغريق الذين حكموا الجزيرة قبل الصياقلة الذين أعطوا الجزيرة اسمها .

وكانوا بذلك أول من غزا الجزيرة بسكانها الأصليين الذين كانوا مزيجا من الايبريين والليبيين كما تقول مراجع التاريخ الصقلي .

وواصلنا جولتنا قاصدين أن نرى كنيسة مارتورانو الشهيرة . لكننا مررنا ببناء متجهم ، أشار لنا السائق قائلا : إنه سجن ، مما أعاد إلى أذهاننا صورة المافيا مرة أخرى .

ولم يزل هذا الخاطر عنا عندما وصلنا الكنيسة فشاهدنا حفلا للزواج ، حيث وقف العروسان يتلقيان التهاني قبل دخولهما إلى الكنيسة ليعقدا القران . ونثر أصدقاؤهما الورود فوق رأسيهما . وطافت بذهني مشاهد من كتب قرأتها وأفلام سينمائية شاهدتها عن حفلات زفاف رجال المافيا ، حيث العريس يحتضن عروسه بحنان ، بينما رجاله القساة يقومون بمذبحة يقتلون خلالها خصومه الذين لايقلون قسوة عنهم .

واكتفينا بمشاهدة الكنيسة من الخارج ، وتركنا العروسين لمصيرهما المشترك ومضينا ، ولكن إلى الأحياء الشعبية القديمة هذه المرة ، في منطقة الأسواق يزول عنك شعور الغربة ، ويحل محله شعور بالألفة . فعلى أطراف السوق جلس بعض الكهول والعجائز يلعبون « الداما » و « النرد » أمام جمع قليل من المتفرجين الذين انهمكوا بين آن وآخر في حديث جانبي هامس غير مبالين بالصراخ الذي ارتفع بالقرب منهم على ألسنة البائعين أو من أصوات اصطدام النرد بالطاولات الخشبية . وبعد أن حذرنا سائقنا من اللصوص وأوصانا بأن نحرص على ما معنا ، خاصة آلات التصوير ، بدأنا رحلتنا المضنية داخل الأسواق المكتظة بكل شيء ، بعربات البيع والباعة الراجلين وباعة الخضار والفواكه ثم الأسماك واللحوم وبالشارين من كل صنف ولون . ازدحام كبير وأصوات عالية مختلفة النغمات ،



● البوابة العربية
في باليرمو .

وصخب وضجيج من بعض العنيدين ، ممن أصروا على الدخول بدراجاتهم النارية وسط هذا الازدحام الخانق .

وخلال هذه الجولة الصعبة أمكننا ملاحظة الشبه بين أسواق الخضار العربية وبين هذا السوق . المعمار القديم الذي طمسته الحياة العملية للسوق والمظلات التي تحمي البائع والخضار من حر الشمس ومطر الشتاء .

وفي سوق السمك ، وقف بائع خلف طاولة صغيرة ، يبيع وجبات سريعة من لحم الأخطبوط ، إنهم يأكلون الأخطبوط إذن .

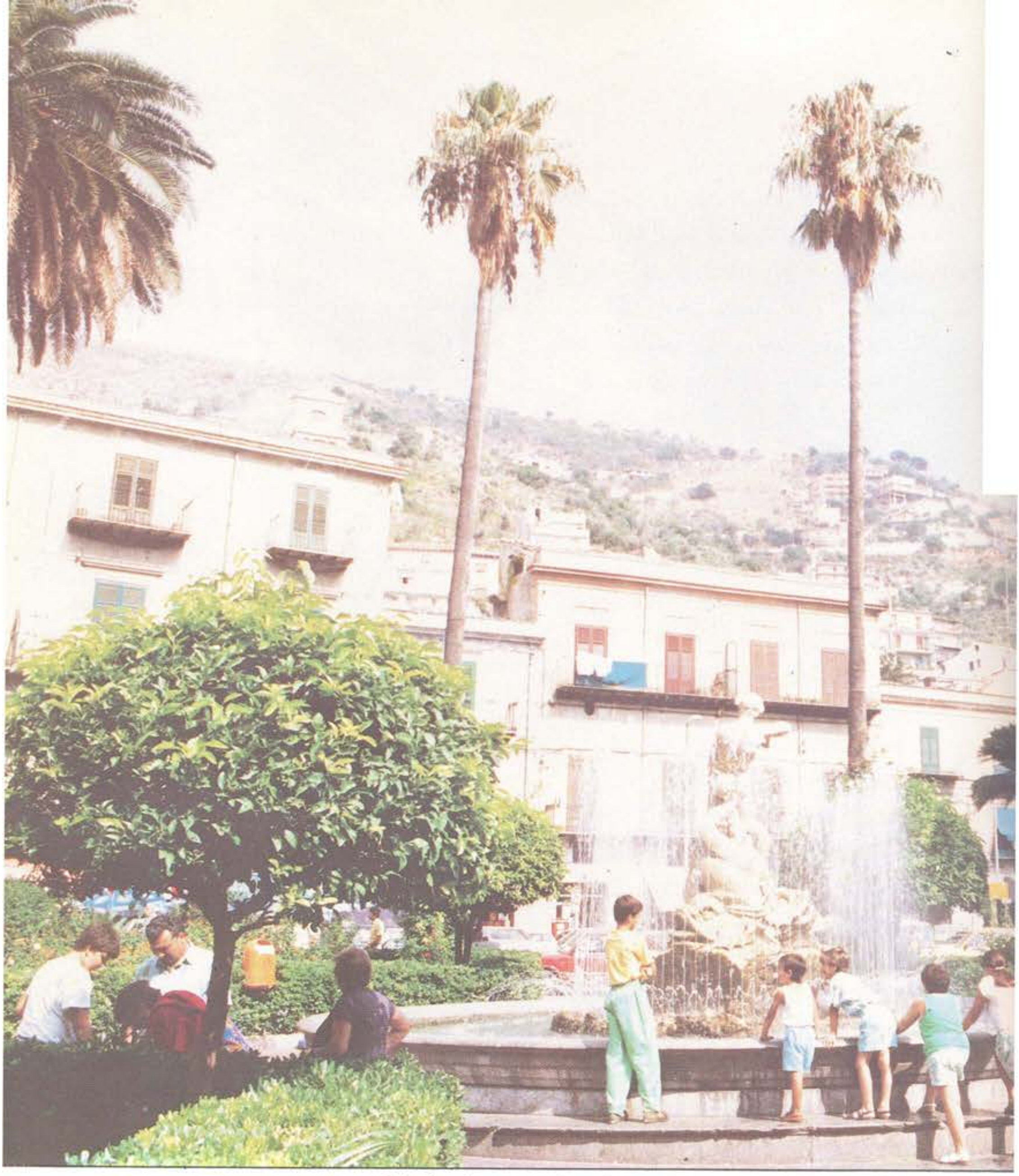
ألسنا في بلاد المافيا ؟ ومع ذلك فإنك تشعر بالألفة .

العرب والمافيا

ربما كان الشعور بالألفة الذي يلازمك وأنت في باليرمو هو أنها مدينة بناها العرب ، فقد أقامها القرطاجيون مستوطنة لهم على الوادي الفسيح الواقع تحت جبل بليغرينو العملاق الذي كادت طائرتنا أن تصطدم به ، أو هكذا خيل إلينا في أثناء هبوطها في المطار القريب . وفي عام ٢٥٤ قبل الميلاد وقعت تحت سيطرة الرومان الذين أطلقوا عليها اسم (بانورموس) ، ويعني حرفيا (جميعها ميناء) ، لكنها أهملت حتى جاءها العرب فاتحين عام ٨٣١ بقيادة أسد بن الفرات ، فأحيوا المدينة لتصبح عاصمة للجزيرة التي حكموها نحو ٢٣٣ عاما ، وأطلقوا عليها اسم (بالرمة) ، وهو كما نلاحظ تحريف للإسم اللاتيني . وحتى بعد أن دخلها النورمان ، وأقصوا العرب عن الحكم فيها ، فقد بقوا هناك عمادا للحضارة والتجارة والعلوم ، حتى طردوا منها بشكل مهين ونهائي على يد فردريك الثاني ، ومن بعده شارل دانجو الذي قضى على آخرهم عام ١٣٠٠ . وخرج العرب وبقيت لهم بعض الآثار التي فشلت جميع محاولات الطمس في إزالتها ، وظلت حتى اليوم تذكر بعصر الجزيرة



الذهبي . وعندما بدأنا في التحرك في أرجاء باليرمو كانت الأحياء والآثار العربية من بين ماقصدنا أن نراه ، لكننا اكتشفنا أن الآثار العربية موجودة على قارعة الطريق ، موجودة في أشجار النخيل والليمون والبرتقال والبطيخ وقصب السكر الذي أدخلوه الى الجزيرة ، وخرجوا لتبقى



● النخيل تراه في معظم ساحات المدن الصقلية .

تشكيلا جماليا يضاف الى المدينة الرائعة ، وأريجا يعطي الجو المائل للرطوبة عبقا بدأ مع بداية تاريخنا العربي ، وظل بعد العرب يذكر بهم بعد أن أصبحوا تاريخا يروى ، وبقيت حائرة بين التاريخ والجغرافيا.موجودة في النقوش والزخارف والكتابات التي مازال يوجد منها الكثير على جدران أعمدة الكنائس القديمة والقصور وأسوار الحدائق وما بقى من مساجد كانت يوما عامرة بالمصلين .

موجودة في البنايات التي أقامها العرب أحياء وقصورا ومساجد ومباني وبوابات وشوارع وموانىء مازال بعضها يحمل الاسم العربي محرفا

حتى اليوم ، بل إن هناك من يقول : إن كلمة المافيا نفسها تحريف عربي لكلمة « معفى » غير أن رأيا آخر يقول : إن المافيا مأخوذة من كلمة « مافيا » وتعني ابنتي ، وأن الاسم اشتق من صوت امرأة كانت تولول فوق جثة ابنتها المقتولة وتصرخ : « مافيا » ، أي : « ابنتي » . لكن أحدا لايعرف الحقيقة حول هذه العصابة التي يلف الغموض كل شيء حولها ، بما في ذلك اسمها الذي صعب عليهم تفسيره ، فردوه إلى لغتنا العربية الجميلة .

جولة بين الجثث

في ذات صباح بدأنا مساومة مع سائق يتحدث الانكليزية بلكنة صقلية ثقيلة جدا ، عرفنا أن اسمه باولو ، وأنه عاش فترة في الولايات المتحدة ، قبل أن يعود ليشتري سيارة أجرة يعمل عليها . وتساءلنا : لماذا تكون أسماء قادة



● بقايا حقن المخدرات ملقاة فوق سطح منزل مهجور . المافيا مرت من هنا .

السيارات في بلدان العالم المختلفة هي الأسماء النموذجية في تلك البلدان ؟ وتساءلنا بحذر إن كانت لباولو علاقة ما بالمافيا ، فمن المعروف أن رجال العصابة يتنقلون بين صقلية والولايات المتحدة . وحتى نتخلص من السائق المريب خفضنا السعر الى درجة قدرنا معها أنه لن يقبل ، لكنه قبل ، مما زاد شكوكنا ، لكننا وبسبب الشكوك نفسها لم نجرؤ على الرفض . وأسلمنا أمرنا للسائق الضخم ذي اللكنة الثقيلة باولو ليبدأ بنا الرحلة .

وسألنا باولو عن المكان الذي سنبدأ بزيارته فأجاب : الكاتاكومب . وفوجئت بالكلمة التي تعني بالايطالية القبور ، وعبست قليلا . ولكن كان لابد من ركوب السيارة ، وهذا ماكان . وران الصمت علينا نحن الثلاثة ، السائق وزميلي المصور وأنا ، حتى وصلنا إلى القبور .

وقفت بنا السيارة في مكان لم تبد فيه آثار لموتى أو قبور ، ساحة صغيرة بين بنايات ارتفعت وتركت بناية لايزيد ارتفاعها عن طابق واحد . وقد فتح بابها الذي بدا مثل باب مرآب لسيارة خاصة ، وقد جلس على منضدة صغيرة أمامه راهب يبيع الشموع للداخلين . كان ذلك هو الباب المؤدي إلى (الكاتاكومب) أو القبور ، ومن هناك دلفنا بضع درجات إلى الأسفل لتتسلل إلى أنوفنا رائحة نفاذة ، صحبتها برودة ، أدخلت القشعريرة إلى أجسادنا . وكانت تلك على مايبدو تهيئة ضرورية للمشهد المقبل . وعند وصولنا الدرجة الأخيرة من السلم النازل ، وجدنا أنفسنا وجها لوجه أمام عشرات الجثث ، وقد صُفّتَ بكامل ملابسها وأناقتها على جانبي الحائط الذي امتد أمامنا كسرداب يفضي إلى سرداب آخر فآخر وهكذا . وعلى جانبي كل سرداب منها ثبتت جثث لرجال ونساء شبان وعجائز وأولاد وأطفال ، على الجانبين في الأعلى وفي الأسفل صُفّتَ التوابيت المفتوحة خلف جدران من زجاج أو من شبك ، وقد استلقى فيها الموتى



المحنطون ، بعضهم تآكل وجهه ، فبانت الجمجمة بأسنانها الضاحكة ضحكة الموت ، بينما احتفظ آخرون بهيبتهم وعبوس وجوههم الذي دعمته أناقة ملابسهم التي تعود الى القرن الماضي وبدايات القرن الحالي . وتجولنا بين الجثث المعروضة ، نتأمل هذا المشهد بمزيج من مشاعر الرعب والدهشة . وفي أحد الأركان شاهدنا جمعا من المتفرجين يلتفون لمشاهدة إحدى الجثث ، وذهبنا لنزاحم الأحياء على مشاهدة الأموات ، واستولت علينا الدهشة ونحن نشاهد جثة فتاة صغيرة ، وقد استلقت في تابوتها الصغير ، وبان وجهها المغمض العينين في صفحة وجه يفيض براءة وجمالا . لا أثر للموت على الوجه الصغير





● الكاتاكومب - مقابر الرهبان الكابوتشينيين - وتشاهد الجثث المحنطة معلقة على الحائط .

الجميل . وقرأنا تاريخ وفاة الطفلة الذي يعود إلى بدايات القرن الحالي ، وعلمنا أن هذه الفتاة واحدة من أكثر الجثث شعبية ، وأن كثيرا من الناس يأتون لزيارة الطفلة التي يطلقون عليها اسم « الحسناء النائمة » .

لقد كانت هذه المقابر ديرا لرهبان يعودون إلى طائفة اسمها (الكابوتشينو) . وقد أقاموا هذه المقابر في أواسط القرن الماضي ، حيث كانوا يحنطون الجثث ويحفظونها في توابيت أو على الجدران ، وظل هؤلاء يستقبلون الجثث لتحنيطها حتى العشرينيات من القرن الحالي ، حين اتخذ قرار بمنع التحنيط ، فتحولت المقبرة الدير إلى متحف للجثث يدعى (الكاتاكومب) ؛ أي المقابر .



● مراسيم زفاف في باليرمو على الطريقة التقليدية .

وخرجنا إلى النور ، حيث كان بانتظارنا سائقنا الذي لم نثن عليه كثيرا لاختياره الأول عندما سألنا وابتسامة تلوح على شفتيه :

هل أعجبكم ذلك ؟

في فم الصقر

لم نجب عن سؤاله مباشرة ، وإن أفهمناه ضمنا أننا نريد شيئا أكثر بهجة ، فقال : حسناً لنذهب إذن إلى مونديلو ، لكن الذهاب إلى هناك يحتاج إلى مسير طويل بالسيارة ، لنؤجل ذلك إلى الغد ، ولنذهب الآن إلى مونريالي .

ودخل بنا باولو أحياء وشوارع مكتظة بالناس والعربات والسيارات ، إلى أن خرجنا إلى منطقة اتسعت فيها الشوارع ، وتباعدت المسافة فيها بين السيارات . ولاحظنا أن سائقنا يكاد يعرف كل سائقي السيارات الأخرى العامة منها والخصوصية ، وكلما التقينا سيارة أخرى أخرج يده وصاح بأعلى صوته محييا ، وأحيانا دخل في حوار ضاحك مع زميل يحاذينا بسيارته قبل أن نتجاوزه أو يتجاوزنا . ووصلنا أخيرا إلى الشارع الذي يصعد بنا إلى كنيسة مونريالي . وأشار إلى نهاية الشارع الذي التقى بمجموعة من الأبنية صعدت مع سفح الجبل ، وقال : إن هذه المنطقة تدعى « فم الصقر » . وفي الطريق إلى فم الصقر ثم الجبل شاهدنا جزءا من الحياة الشعبية اليومية يعرض أمامنا ، أطفالا يتسابقون على عجلات أمام المنازل في الشوارع الخلفية ، أولادا وبنات يركضون بعضهم خلف بعض وقد تصاعدت ضحكاتهم . ربات بيوت أنهين أعمالهن المنزلية فقصدن محلات البقالة ليتبضعن ، أو ذهبن في زيارة يتناولن مع صديقاتهن وجاراتهن شاي الصباح ، ويفتحن معهن حديث الصباح .

أحد بائعي الخضار لم ينتظر زبائنه ليأتوا إليه







● ثلاثة مشاهد للحياة اليومية في الجزيرة . سوق الخضار الذي امتدت في أعلاه المظلات على الطريقة العربية . وسوق السمك في الأسفل . وفي الوسط بائع خضار اختار أن يذهب بنفسه للمنازل ليبيع بضاعته .



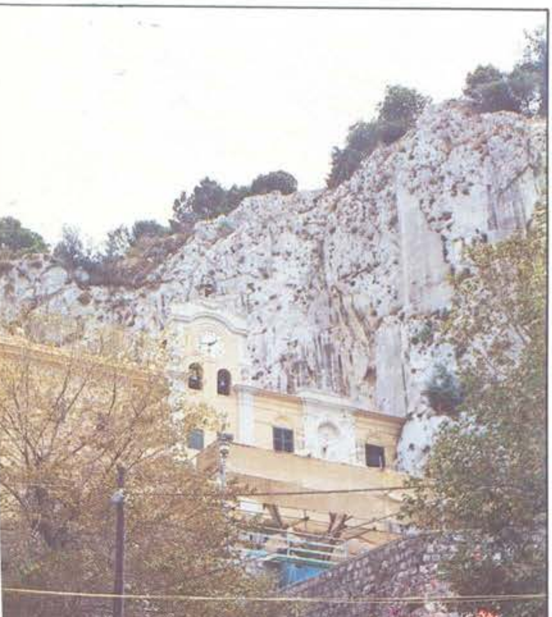
● كنيسة القديس يوحنا ، بنيت فوق مسجد مازالت آثاره ماثلة .

فأتى هو إليهم بشاحنته الصغيرة ، وأخذ ينادي على بضاعته بصوت قوي أشبه بأصوات مغنيي الأوبـرا المشهورين ، ليصـل من خـلال مكبـر صـوت « ميكـروفـون » إلى ربـات البيـوت في منازلهن ، أما التوصيل فيقوم به رفيق له استعد للأمر ، فارتدى أقل ما يمكن من المـلابس حتى لاتعيقــه في أثنـاء عمله المتعب . الـطريق إلى مونريالي يستحق أن يوصف ، فهو يصعد ملتويا ليصل إلى قمة جبل كابوتو ، تاركا المدينة تسبح في غلالة من الغبش والضباب الذي فشـل نور الشمس في اختراقه فظل المشهد هناك مزيجا من الخضرة التي اخترقت البنايات ، ثم ابتعدت عنها متسلقـة الجبـل أسفـل الـطريق ، حتى تصـل كاتدرائية مونريالي في قمة الجبل .

عنـدما بنيت الكـاتدرائيـة عام ١١٧٤ كـان العرب قد أقصوا عن الحكم ، لكنهم بقوا هناك متعاونين مع حكامهم الجدد من النورمان الذين اعتمـدوا عليهم في كثـير من شؤون الحيـاة والدولة ، حتى أن اللغة العربية بقيت لغة معترفا بها إلى جانب اللاتينية والاغريقية ، إلى أن قضي على العرب نهائيا كما ذكرنا . لذا فإن التأثيرات العربية في البناء المعماري للكـاتدرائيـة ماتـزال ماثلة بالأعمـدة والأقواس التي تحيط بـالحديقـة الداخلية ، بل إنها موجـودة في صورة عمـلاقة للسيد المسيح توسطت جدار الكنيسة الخلفي . وقـد بدت مـلامحه شـرقية تمـاما بشعـره الأسود وبشرته الحنطية وعينيه النافذتين . وقد توسطت الصـورة مسـاحـة هـائـلة من الـزخـارف الفسيفسائية ، امتدت على ٦٠٠٠ متر مربع . لكن الأثر العربي في الهندسة المعمـارية في هـذه الكاتدرائية ليس استثناء ، فالعرب موجودون فنيا في كثير من البنايـات ، سواء أكـانت كنائس أم قصوراً أم حدائق أم أنظمة ري .

موجودون في البناء الضخم الذي يدعى قصر النورمان ، وهو اليوم مقر برلمان إقليم صقلية ، وهو بزوايـاه الحادة وحجـارته الملسـاء المتجهمة والأقـواس التي علت نوافـذه وأبوابـه وبوابـاتـه يعكس تاريخ الجزيرة التي تعاقبت على غـزوها أمم كثيرة ، لكن هذا البناء كان في الأساس قلعة عربية ، تم بناؤها في القرن التاسع الميلادي ، إلا أنها هدمت وأعيد بناؤها أكثر من مرة ، حتى تحولت إلى قصر بناه النورمان ، وبقي يحتفظ بهذا الاسم على الرغم من أصله العربي والتأثير العربي الواضح في هندسته .

أما الأثر العربي الأكبر ففي كنيسـة القديس يوحنا ، ذات القباب الصغيرة الحمراء التي تعلو سقف الكنيسة والبرج . وقد بنيت هذه الكنيسة أيضـا في عصـر الملك روجـر الثـاني ، ملك النورمان ، وكان العرب مايزالون هناك . غير أن زيارة الكنيسة تزيل الشكوك حول الأثـر العربي الذي تكتشف أنه أكبر مما كنت تتوقع بكثـير ، فهناك أشجار النخيل التي انبثقت في الحديقة التي



● ديـر القـديسـة روسالينا .

تتوسط ساحة الكنيسة التي انبثقت في أرجائها روائح الياسمين والنارنج والبرتقال . وهناك القنوات وبعض النقوش والزخارف العربية ، وصف طويل من الأقواس الإسلامية الشكل والهوية . والمرجح أن هذه الكنيسة أقيمت فوق مسجد بناه العرب في أثناء حكمهم . ولكن وكما يحدث عندما تتصارع الحضارات المختلفة تحاول كل منها طمس معالم الحضارة السابقة عليها . والخاسر في النهاية هي الحضارة الإنسانية كلها . لكن هذا هو الإنسان صانع أعظم الحضارات ومدمرها في الوقت نفسه .



● بنايات ، وزخارف وتماثيل في عمارات وسط باليرمو .

الشاطيء والقصر الصيني

في الصباح الباكر من اليوم الأخير لنا في صقلية كنا على موعد مع سائقنا باولو . ركبنا السيارة وبدأنا المسير نحو مونديلو الواقعة إلى الغرب من باليرمو . ومونديلو هي أشهر شواطيء الجزيرة ، حيث يتقاطر الناس للسباحة وأخذ حمامات الشمس قرب المياه الداكنة الزرقة . وفي الداخل من البحر الأزرق الهاديء تناثرت القوارب الملونة وقد اعتلاها المجدفون . وتقع البلدة التي اخترقت شوارعها السوداء المعبدة غابات من الخضرة التي امتدت بين جبلي بيليغرينو وغالو وبين هذه المساحات الخضراء برزت السقوف القرميدية للبلدة التي قامت على مقربة منها أطلال قلعة مونديلو القديمة . لم نصر على السباحة في شاطيء مونديلو ، فقد كانت هناك مسافات طويلة وصعبة يجب أن نقطعها عائدين إلى باليرمو عبر جبل بيليغرينو الداكن المشرف على المدينة من الشرق .

غادرنا مونديلو عبر الطريق المتعرجة التي تخترق جبل غالو لنصعد بعد ذلك الجبل الآخر ، جبل بيليغرينو ، ولكن كان علينا عند ذلك أن نمر بدير القديسة روساليا الذي أقيم على منحدرات جبل بيليغرينو . وهو بناء ضخم ينبثق من بين صخور الجبل الضخم بجدرانه الصفراء المتجهمة ، وبواباته الخضراء المفتوحة للزائرين . ويعود بناء هذا الدير إلى عام ١٦٢٥ . والقديسة روساليا هي في الواقع ابنة شقيقة وليام الثاني ، ملك صقلية ، وقد توفيت عام ١١٦٦ . وعندما حل الطاعون بمدينة باليرمو بعد سنوات طويلة كانت جثتها التي عثر عليها هي الحرز الذي أنقذ المدينة وأهلك الطاعون . واليوم يقدس مقامها لأنها القديسة الحامية للمدينة .

بعد مسافة قصيرة من الدير نصل إلى إحدى قمم جبل بيليغرينو . ومن هناك يمكن مشاهدة بلدة مونديلو الساكنة بين الجبلين ، وهي ترقد



● ميناء باليرمو ، من هنا دخل العرب .

بدعة وسلام على الشاطيء الرملي ، وتأخذ ماتشاء من الصور حتى تخلد اللحظة الساحرة داخل إطار الصورة ، لأنك لاتستطيع تخليدها داخل نفسك الممتلئة . ومن هناك بدأنا رحلة أخرى نزولا إلى باليرمو من ناحية البحر .

كان الطريق الصعب المتعرج يمنحنا فرصة لمشاهدة المدينة الممتدة أسفلنا من عدة زوايا . مشهد الشاطيء يغص بالسائحين الذين استحالوا نقاطا كالنحل فوق الرمال . ومشهد الأحياء الراقية البعيدة من المدينة التي احتلت مربعات من الخضرة حددها سواد القار في الشوارع .

وفي أحد المستطيلات التي اختلطت فيها الخضرة بالسواد باللون الرمادي قام قصر غريب البناء والهندسة ، بلونه الوردي الذي لم يصمد أمام حر الجزيرة ورطوبتها ، وبهندسته العجيبة التي تجمع بين قصور الأثرياء الأوربيين وبين المعمار الصيني بزواياه الحادة وزخارفه التي لاتخطئها العين .

إنه القصر الصيني الذي أخذ اسمه من الهندسة المعمارية الصينية التي امتزجت مع المعمار الايطالي الشهير ، فكونت هذا المزيج الفريد . ولكي نزوره كان علينا المرور بالميناء الذي أعلن عن نهاية الشاطيء الرملي وبداية



الأحياء السكنية الشعبية . وكان علينا أن نمر عبر بوابة ، لفت نظرنا طرازها الشرقي الواضح ، وصور أسرى يقودهم جنود منتصرون . قال باولو : « لابورتا آرابا » ، أي البوابة العربية . من هنا إذن خرج العرب ، وخرج تاريخهم ، ليتحول إلى قطع متناثرة فوق الجزيرة .

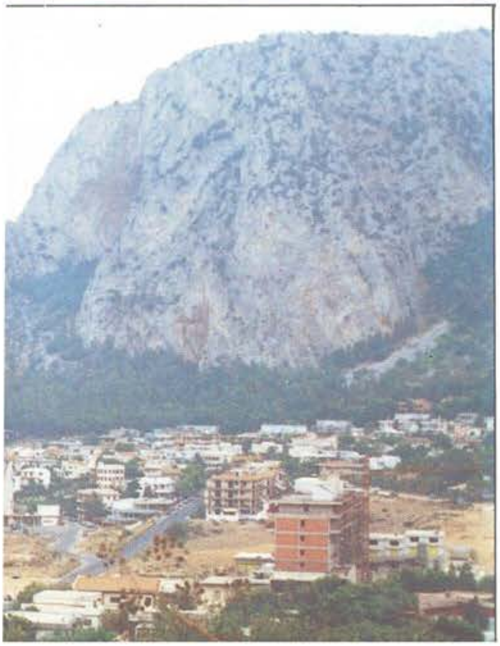
وصلنا الميناء . من هنا دخل العرب باليرمو عام ٨٣١ ميلادية . وكانت ثاني مدينة يفتحها المسلمون بعد (مازارا) التي فتحوها عام ٨٢٨ . وبعد فتح باليرمو توالى سقوط مدن الجزيرة في أيديهم ، فسقطت مسينا عام ٨٤٣ ، و (سيراكيوزا) ،أو سرقسطة ، عام ٨٧٨ ، وتاورمينا عام ٩٠٢ ، وهكذا .

لم يبق من آثار العرب غير برج قديم ، انتصب يشكو الزمان الذي تجاوزه ، فتهدمت بعض حجارته ، ونبت العشب بينها ، وضاع في زحام الحي الشعبي المطل على البحر ، والذي مازال يحمل اسما يذكّر بالعرب وزمنهم . إنه حي « الكالسا » ، والاسم ، كما هو واضح ، تحريف لكلمة الخالصة العربية .

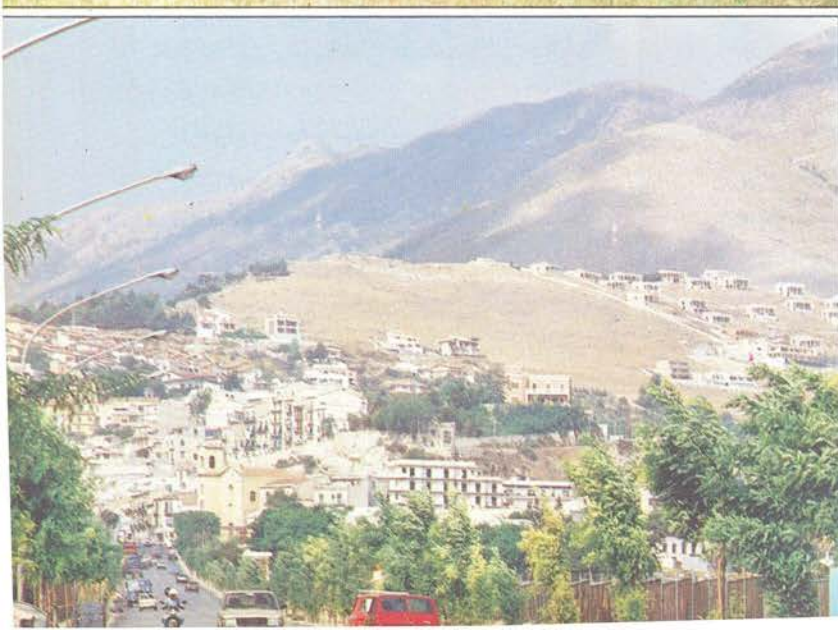
ميناء مثل كل الموانيء التي تشاهدها في المدن البحرية ، لكن ما يميز هذا الميناء تلك الصفوف غير المنتظمة من القوارب ذات الألوان الفاقعة ، وردية،حمراء ، زرقاء أو خضراء ، أو مزيج من هذه الألوان كلها . وبينها كانت جموع من الأولاد تمارس ألعابا خشنة داخل الماء الذي عرفوه وأتقنوا الغوص فيه .

وعلى الشاطيء الرملي الذي امتد طويلا منعطفا بانعطاف الشاطيء تناثرت الأجساد في مجموعات صغيرة أو كبيرة ، اختلط فيها الأطفال بالنساء والرجال الذين التفوا حول طاولة للبحر ، أو تحت مظلة تحميهم من حر الشمس الشديدة .

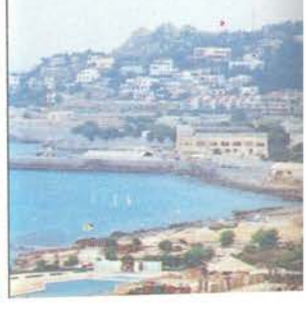
وفي نهاية شاطيء السباحة نهض جبل بليغرينو المتجهم ، ليحتضن المشهد الصيفي الزاهي الألوان .







● المدينة ، البحر والجبل ، ثلاثة مشاهد للجمال في صقلية .





● القصر الصيني بمعماره الفريد .

المافيا مرت من هنا

وصلنا إلى القصر الصيني ، فأدهشنا حجمه الكبير الذي لم نكن نتوقعه ، لذا كان لابد لنا من الابتعاد عنه لكي يلتقط زميلي صورا لـه . وابتعدنا حتى وصلنا منزلا بدا مهجورا ، وقبل أن يعتلي سطح المنزل ذي الطابقين خرج شاب من باب المنزل المفتوح وكأنه سقط من الأعلى ، وتبادلنا النظرات مع الشاب الذي أرخى شعره المسترسل على كتفيه . نحن مدهوشون من خروجه المفاجيء ، وهو مدهوش من فضولنا .

اختفى الشاب وصعدنا عبر السلم الداخلي إلى السطح لالتقاط الصور .

وفوجئنا فوق السطح وعلى درجات السلم بكميات كبيرة من الحقن المستعملة التي تناثرت في كل مكان ! .

واستنتجنا بعون باولو الذي بدا عليه الامتعاض والأسف أن المدمنين على المخدرات يلجأون إلى هذا المنزل المهجور لكي يتعاطوا الحقن المخدرة ، وأن هذه آثارهم تدل عليهم . وأشار إلى الشاب الذي كان على وشك الاختفاء داخل حرش من أشجار ، وقال : وهذا أحد الضحايا .

وتوجهت إليه أسأله إن كانت هناك علاقة بين تجارة المخدرات وبين . . . فقاطعني وقال :

المافيا ، نعم .

وأضاف : إن الكل يعرفون ، والناس يعرفون ، وبعض أطراف الحكومة يعرفون ، ورجال المال والأعمال يعرفون . وسألته إن كانت المافيا تشكل أو شكلت أي تهديد له شخصيا ، عند ذلك ضحك وقال بلغته الانكليزية ذات اللكنة الثقيلة : إن المافيا لديها ما هو أهم مني بكثير . ما نحن بالنسبة للمافيا ؟ ! إنها جماعات منظمة تنظيما جيدا ، لها مصالح وأعمال ، يحميها سياسيون ورجال مال وأعمال . وأعياه الكلام بانكليزيته الثقيلة فاختتم :

إنها . . شيء كبير . .

وغادرنا صقلية ، ومرة أخرى خيل إلينا أن الطائرة ستصطدم بالجبل ، وارتفعت بنا فوق الجزيرة ذات الشكل المثلث .

وفي روما كانت الأخبار تتحدث عن إحدى الأزمات الوزارية المستعصية في ايطاليا ، وترجم لي صديق تعليقا ساخرا بإحدى الصحف الايطالية عددته مكملا لحديث باولو . يقول التعليق : إن الجهاز الوحيد المنظم المتماسك هو ليس الجيش ولا الحكومة ولا الكنيسة ولا الأحزاب ، إنه المافيا . □

حتى لايعترف بالإخفاق !



● سأل أحد الصحفيين جورج برناردشو قائلا : أترغب في حياة ثانية بعد هذه ؟ فأجاب شو : كلا ، لأن في ذلك اعترافا بإخفاقي في حياتي الأولى .





(الحياة مجموعة من الخبرات المتنوعة ، وليس بالضرورة أن تتشابه وتتكـرر ، إنما كثير من الخبرات منفردة تضيف معنى جديداً للحياة ، وتعطيها لذة التراكم ، وقد اختارت العربي مجموعة من المتميزين العرب ليروي كل بطريقته الخاصة بعضا من ذكرياته التي أصبحت دروسا في الحياة) .

عِنْدمَا حَطَّمْتُ التمْثال

بقلم : سامي محمد الصالح*

بعض المشاهد تنطبع في الذهن أحيانا ، ولا تود مفارقته ، وتسيطر على الحواس ، وتشل التفكير في ما عداها ، وتبقى حاضرة كجرح ، أو كوشم .

هكذا حدث معي عندما شاهدت المجازر المروعة التي حدثت لعشرات الشهداء من سكان صبرا وشاتيلا الفلسطينيين أثناء الغزو الاسرائيلي للبنان سنة ١٩٨٢ .

بشاعة لاتوصف ، وفظاعات ، ومناظر تدل على الإجرام والخسة والغدر والحقد .

أطراف أطفال هنا ، بقايا نساء مسنات هناك ، جثث شبان وشابات مكومة في هذا الجانب أو في ذلك الجانب ، أي فظاعة تلك ؟!

لم يكن مع الجثث أو بالقرب منها أي أسلحة ، مع ذلك فإن جريمة الغدر قد حدثت ، وتم ارتكاب حفلة مجنونة للقتل ، لقد كانت مجزرة حقيقية .

فكيف لهذه المشاهد التي توالى عرضها في وسائل الاعلام أن تبرح الذهن ؟ كيف لها أن لاتترك في الضمير الفردي والإنساني حضورها وخدوشها وجروحها وشروخها !

يومئذ خنقتني العبرات ، وارتفع التوتر داخلي إلى أعلى مراحله ، وغزاني القلق ، وصدم الإنسان داخلي .

* فنان تشكيلي من دولة الكويت .

عايشت الأرق أياما ، ولم تفارق ذهني مشاهد الجثث المكومة ، وبقي التوتر مسيطرا على نفسي ساعات النهار والليل ، ولم أجد أمامي إلاّ خامة الصلصال أودع فيها كل ما انطبع في ذهني من آلام الضحايا ، ومقاومتهم ، وتوقهم للخروج من مصير الموت ، وشبكة الحصار . حضرت الصور ، وتجسدت ، وأخذت تتلبس الصلصال ، نظرت إليها وتمعنت بعد أن قطعت شوطا في العمل ، فلم أرض عنها ، ولم أجد أنها هي التي في بالي ومخيلتي ، فتوقفت عن العمل ، ثم عدت إليه ثانية وثالثة ، ثم تمعنت فيه ، فلم أجد فيه ما بنفسي أيضا .

وعند ذلك لم أجد نفسي إلا مندفعا لتحطيم التمثال وتفتيته ، ومغادرة المكان بأقصى سرعة . توجهت إلى شاطىء البحر فافترشت الرمل وسرح ذهني وانشغل بالموج وزرقة المياه ، والمدى البعيد البعيد ، ورصدت حركة طيور النورس وتمازجها فوق المياه ، وأخذت أقلب الأفكار ، وأعيد ترتيب شكل التمثال وهيئته في ذهني .

في اليوم التالي كنت في قمة نشاطي واندفاعي للعمل ، وتعاملت مع الصلصال من جديد ، فأودعته كثافة أحاسيسي ورؤاي الفنية . مضت عدة أيام وأنا أعالج التمثال ، وأتصارع معه ومع أفكاري .

وكلما كان يمضي يوم آخر ، كان الصراع داخلي يزداد بين رغبتي في إنهاء العمل ، وبين إصراري على تطويع المادة لتأتي متوافقة مع تصوراتي . لكن بعد مضي شهرين من العمل المضني ، والأرق والتوتر المستمرين بدأت بتحويل العمل من كتلة صلصال إلى خامة من البرونز ، وقد أنجزت عملين في هذا المجال ، أطلقت عليهما اسمين : صبرا وشاتيلا (١) و (٢) . وقد حزت على الميدالية الفضية للنحت في المهرجان العالمي للفنون ببغداد سنة ١٩٨٨ على منحوتتي رقم (١) .

تسألني أخيرا : هل خفَّ توترك ؟ وهل فارقت صور المجزرة مخيلتك ؟

فأجيب : لاشك أن التوتر قد خف ، لكن صور المجزرة ما زالت تسكن ذهني ، وتطفو على مخيلتي في بعض الأحيان ، إلى درجة تجعلني لاأسمع ولا أرى ولا أحس بما حولي من أصوات وأشياء وأمكنة !

وليس غريبا أنني كرّست معظم أعمالي بعد ذلك لتصوير الإنسان وهو يصارع كل ما يحد حريته ، أو يحاول اضطهاده .

صحيح أنني قد بدأت هذا الاتجاه في أوائل السبعينيات ، عندما جسدت صراع الإنسان مع البحر وحيواناته لانتزاع لقمته والفوز بحياته ، لكن هذا الاتجاه تكرّس وأصبح سمة غالبة على مجمل أعمالي في الثمانينيات ، خصوصا بعد حدوث مجزرتي صبرا وشاتيلا . □



صبرا وشاتيلا
(١)

الدرع الكهربائي

شعر : سليمان الفليّح

التوجه الى قيصر الروم

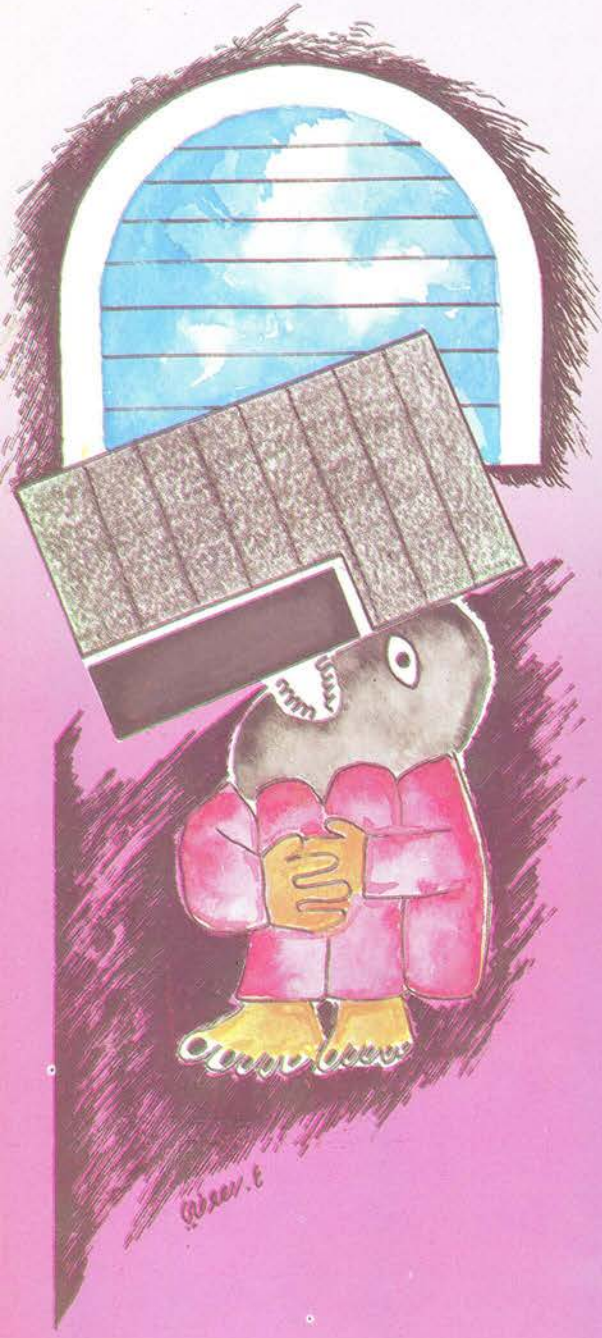
بكى صاحبي إذ رأى الدرب يلتف كالأفعوان
ولا ينتهي بامتداد الوهاد
فطمأنته أنني قد تعلمت من كاهن بدوي
بأن جميع (الجواد)*
تؤدي الى منهل للمياه
إذا كنت في صحصحان الحماد
وبعد فراسخ من حثنا للركاب الكسولة خلف السراب
رأينا الجراد
(يلوذ بأعضاد تلك المطايا)
و (يفقع)* من سطوة الشمس زهر القتاد
ولاحت قباب العلوج
تذكرت أيضا بأن جميع الدروب
تؤدي لروما
وهإننا قد هبطنا البلاد

وفدنا على قيصر الروم
ثم استجرنا
وأهدى لنا درعه القيصري
وقلنا : بلغنا المراد
شددنا الرحال مع الفجر
ملنا الى السوق نبتاع بعض النبيذ
وسرنا الى قومنا مع هبوب البراد

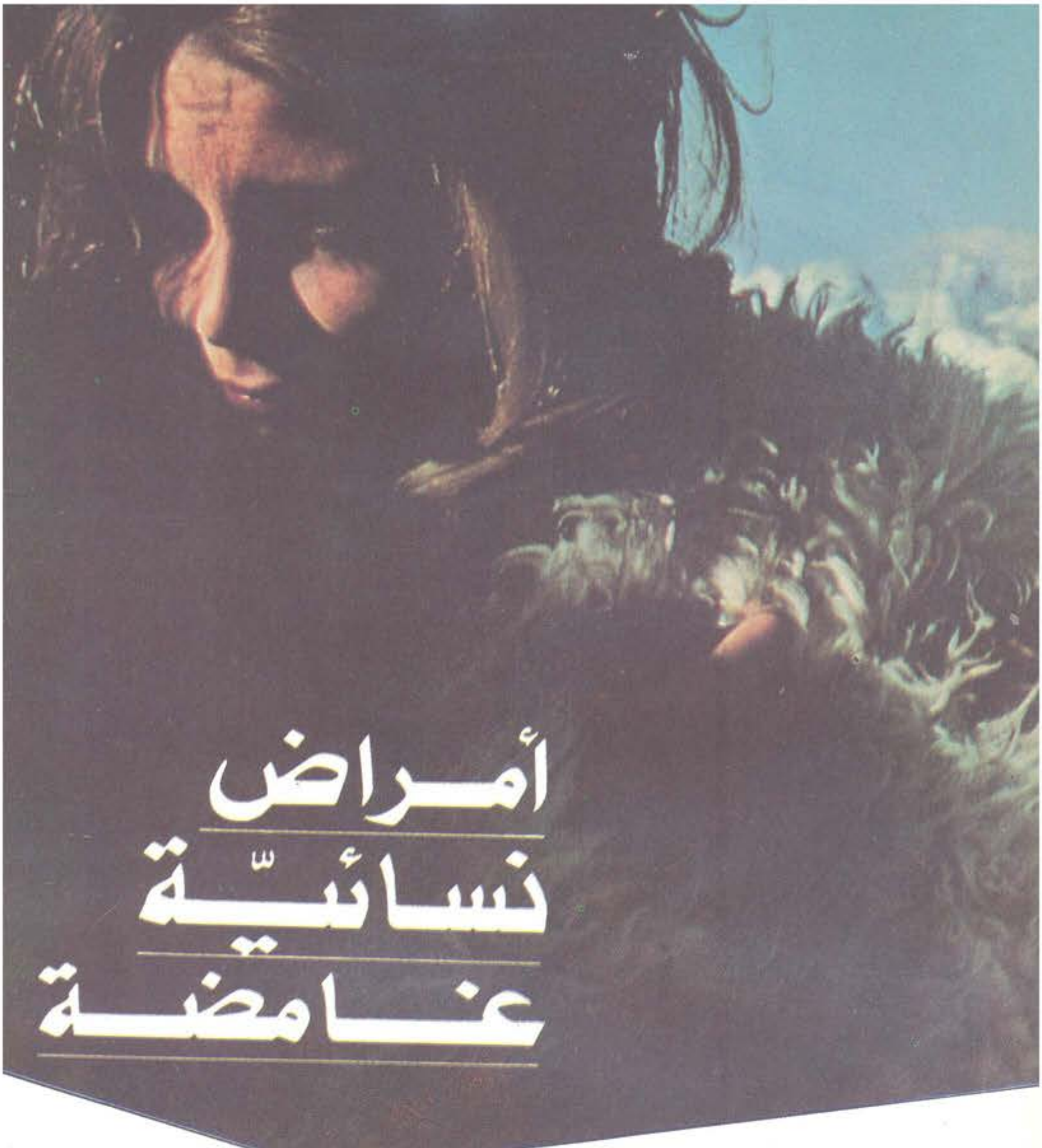
العودة

بكى صاحبي
والمسافة دهر من الحزن
قلت : أجفف دمع صديقي
فمازال بيني وبين صديقي ملح وزاد
مددت يدي نحو جيبي
فكهربها الدرع
فاسّاقطت

* (الجواد) جمع جادة وهي دروب الإبل في الصحراء
* (يفقع) يفجر .



وصرخت به :
آه ياسندي
قد فقدت يدي
فاخلع الدرع ثمة نهر من الجمر تحت الرماد
دبّت بأوصالنا كهرباء
ارتجفنا
كطيرين ينفضهما البرد
أنَّبته :
ليتنا قد أفقنا على لعبة الدرع من حيننا
ليتنا ، ليتنا
قد أطعنا وجيب الفؤاد
فها نحن نثوى بهذي المهامه
لا شجر نستظل به
ولا طائر نستدل به
ولا نادبات بأعلى (عسيب)
سيبكيننا في ثياب الحداد
ولما استبد بنا السمّ
شاهدت ضبا يصارع أفعى
فتلدغه
ثم يهرب للحرمل الجبلي
فيفرغ سماً به
كي يعود الى حربها في عناد
تعلمت أن العناد جهاد
وإذ ذاك ياقيصر الروم :
خلعنا درعك المسموم فوق الرمل
تمرغنا كما (الضبان) في الحرمل
وعدنا مثلما كنا
نواصل دربنا نكمل
وها نحن نمضي خفافا الى مجدنا المستعاد
نعيد قرانا السبية من (كندة) الباغية
ونزرع كل البوادي زهورا
ونحكم بالعدل بين العباد .



أمراض نسائيّة غامضة

بقلم : الدكتور علي مبارك*

حالة العقم عند النساء لها آثار نفسية واجتماعية، مسببة للألم في غالب الأحيان، تعددت تفسيرات الباحثين والأطباء واحتمالاتهم لأسبابها.

طبيبان ألمانيان أرجعاها إلى خلل في إفراز الهرمونات عند بعض النساء، فلماذا يحدث هذا الخلل ؟ وهل هناك علاج ؟ .

---

* استشاري رعاية الأمومة ـ منطقة الأميري الصحية ـ الكويت .

قبل نصف قرن وصف الطبيبان الألمانيان «شتاين» و«ليفنثال»، ظاهرة لها علاقة بالعقم عند النساء، عُرفت بظاهرة «شتاين وليفنثال»، وقد شرحا الظاهرة تفصيلا، وتتميز بصفات منها:

١ - يكون عمر المريضة في العشرينيات.

٢ - استطالة الدورة الطمثية لشهرين أو أكثر.

٣ - عقم أولي أو ثانوي.

٤ - سمنة أو زيادة في الوزن.

٥ - زيادة في نمو الشعر في أماكن غير طبيعية بالنسبة للمرأة.

٦ - ظهور بعض حبيبات تشبه حبيبات الشباب على الوجه والظهر.

٧ - تضخم المبيضين واختلافهما عن المبيضين الطبيعيين باحتوائهما على غلاف نسيجي سميك، مع زيادة في الأنسجة الليفية بباطنهما. ثم الخاصية التي سميت الظاهرة أخيرا بها، وهي وجود عدة تكيّسات وحويصلات مائية، تتراوح أقطار كل منها بين ٠,٥ - ١,٥ سنتمتر، منتشرة حول المبيض تحت القشرة الخارجية مباشرة. ولم تتوافر آنذاك لديهما أسباب مباشرة لهذه الظاهرة التي أطلق عليها مؤخراً اسم «متلازمة المبايض متعددة التكيّسات». وقد أجرى هذان الطبيبان سلسلة من الفحوص المعملية على طبيعة الهرمونات في أجسام المريضات، فوجدا بعض اختلال في مستوى الهرمونات لديهن، ليس مماثلا مالدى المرأة الطبيعية. واستمرا في بحوثهما للوقوف على الأسباب المباشرة، وكيفية علاجها، وإعادة المرأة المريضة إلى طبيعتها في الحمل والإنجاب، فنجحا مع بعضهن، ممن كانت الحالة عندهن خفيفة، وأخفقا مع الأخريات، وماتزال هذه المتلازمة منتشرة بين النساء، ولا تخلو عيادة للأمراض النسائية والعقم والهرمونات من واحدة أو أكثر منها يوميا. فما ملابسات هذه الظاهرة؟

النساء غير المتزوجات يراجعن عيادة الأمراض النسائية لعلاج اختلال الدورة الطمثية، واستطالتها الى أكثر من شهرين، بل حتى إلى ستة شهور أحيانا، بينما يراجع بعضهن الآخر عيادات الغدد الصماء أو بعض اختصاصيي الأمراض الجلدية للعلاج من نمو الشعر غير الطبيعي على الوجه والبطن والصدر، وهي أماكن لا تتميز بوجود شعر فيها عند المرأة الطبيعية. أما النساء المتزوجات فتكون أسباب مراجعتهن لعيادات العقم والأمراض النسائية هى التأخر في الحمل والإنجاب، إضافة الى اختلال الدورة الطمثية وبعض الأعراض الأخرى.

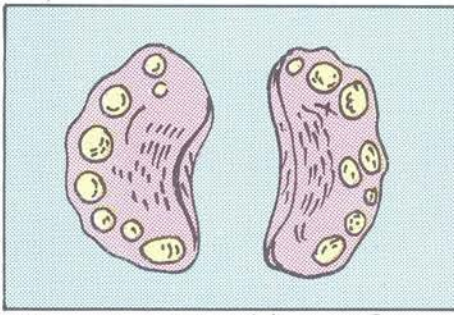
شكوى المريضات:

ولفهم أسباب الخلل هذه، لابد من استعراض الحالة الطبيعية عند المرأة أولا، فالمبيضان عبارة عن غدتين، كل منهما بحجم بيضة الحمامة الصغيرة، ويقع كل واحد منهما على جانب من الرحم، مثبت بأربطة نسيجية قوية. والمبيض مغلف بقشرة نسيجية، أما داخله فيتكون من نسيج مختلف، يحتوي على أنواع عديدة من الخلايا التي لها واجبات مختلفة أيضا. فقسم منها يكون مسؤولا عن تكوين البويضة وتطورها ونموها، وعندما تنضج هذه البويضة تكون محاطة بسائل شفاف وتسمى



● رسم تخطيطي لسيدة مع نمو غير طبيعي للشعر على الوجه والصدر.

«حويصلة جراف». وهذه الحويصلة تكبر وتنضج وتنفجر دوريا في منتصف الدورة الطمثية تقريبا، حيث يحدث التبويض الذي هو عبارة عن انطلاق البويضة إلى خارج المبيض خلال قشرته. والقسم الآخر من هذه الخلايا يكون مسؤولا عن تكوين الهرمونات الأنثوية وافرازها خلال الدورة الطمثية، ومنها هرمون «الاستروجين» الذي يزداد إفرازه بعد الحيض مباشرة، وحتى منتصف الدورة حين يحدث التبويض المذكور آنفا، فيبدأ حينئذ هرمون آخر اسمه «البروجستيرون» بالانفراز من بقايا الخلايا المحيطة بالبويضة المتحررة. المهم هنا هو التوازن



● رسم تخطيطي يبين علاقة المبيضين بالرحم وقناتي فالوب (البوقين).

الدقيق في مراحل هذا النظام، وفي كميات الهرمونات المتكونة والمفروزة من المبيضين. وهذه تعمل ضمن نظام هرموني متكامل متوازن مع بقية الهرمونات التي تفرزها بقية الغدد الصماء، وبخاصة الغدة النخامية الموجودة في قاعدة المخ. معنى ذلك أن أي خلل في هذا التوازن بين الهرمونات كلها ثم بين هرمونات الغدة النخامية وهرمونات المبيضين بصورة خاصة يؤدي إلى أنواع مختلفة من الخلل في الأداء الوظيفي لهذه الهرمونات، لينتج عنه أعراض مرضية متنوعة. ومن هذه الأعراض ظاهرة «شتاين وليفنثال» أو «متلازمة المبايض متعددة التكيّسات».

خلل الهرمونات :

الميزة الأساسية لهذه المتلازمة هي أن زيادة ملحوظة قد تحدث في معدل تكوين هرمون «الاستروجين» وافرازه، وهذه الزيادة عن المستوى المتوازن الطبيعي تؤثر على تكوين الهرمون المسؤول عن نمو «حويصلة جراف» في المبيض وإفرازه، فتقلل من إفرازه من الغدة النخامية، مما يؤدي إلى عدم نمو الحويصلة، فعدم حدوث التبويض، ومن ثم التأخر في حدوث الحمل. كذلك تحدث زيادة غير متوازنة في هرمون آخر من الغدة النخامية، له علاقة أيضا بالتبويض، مما يؤدي إلى تحريض إفراز هرمونات ذات صفة ذكرية من بعض خلايا المبيضين، وهذه الزيادة في الهرمونات الذكرية تؤدي إلى ظاهرة زيادة نمو الشعر عند المرأة وظهوره في أماكن غير طبيعية في جسمها، أو ظهور بعض حبيبات تشبه حبوب الشباب على الوجه والظهر. كما أن عدم حدوث التبويض شهريا يؤدي إلى بقاء هذه الحويصلات والتكيسات منتشرة تحت قشرة الغلاف الخارجي حول المبيضين، مما يؤدي إلى زيادة حجم المبيض الواحد إلى الضعف، وأحيانا إلى ضعفي حجمه الطبيعي.

بقي أن نضيف أنّ مسلسل الأحداث بهذا التبسيط يعني أن السبب في حدوث المتلازمة، هو زيادة هرمون معين أو نقصه، بل إن الظاهرة ماتزال غامضة مجهولة الأسباب الأساسية في كيفية حدوثها. وبعض الباحثين يعتقد أن السمنة قد تكون هي البداية، حيث تشارك، إلى حد ما، في حدوث خلل بتوازن الهرمونات، لكن السمنة ليست صفة أساسية في هذه المتلازمة، إلا أن آخر البحوث بهذا الصدد أشار إلى أن السمنة لها علاقة بحدوث اختلال توازن تركيز هرمون «الأنسولين» في الدم، نتيجة للتغيير في حساسية الأنسجة لمفعوله، كما وجد أن غدتي المبيضين تحتويان على مراكز حساسة، تتأثر باختلال هرمون «الأنسولين» هذا بدرجات مختلفة، مما يؤثر فيها بعد على توازن هرمونات الغدة النخامية. وقبل هذا نسبت دراسات وتجارب، قام بها نفر من الباحثين في أمريكا عام ١٩٨١، إلى أن السبب المباشر هو اختلال وظيفي في غدة تحت المهاد (الهايبوثالاموس)،

وهي الغدة المسؤولة عن التنظيم الدقيق لإفرازات الهرمونات في الجسم، بينما ذهب آخرون عام ١٩٨٨، إلى أن اختلال الغدة فوق الكليتين (الغدة الكظرية) هو المسؤول عن الاختلالات التالية في المبيضين، ومن ثم في نظام إفراز الهرمونات، وهذا يكون عادة مصحوبا بنمو غير طبيعي للشعر، وبزيادة في الوزن الأقرب إلى السمنة، تعود بنا مرة أخرى إلى أن لهذه السمنة علاقة بحدوث الظاهرة المذكورة.

وهكذا قد نخرج بنتيجة أخرى هي أنه على الرغم من أن تسمية المتلازمة مرتبطة بالمبيضين إلا أنها ليست بالضرورة حالة مرضية خاصة بهما، بل قد تكون مصاحبة لأمراض أخرى ليست لها علاقة بهما.

تشخيص الحالة :

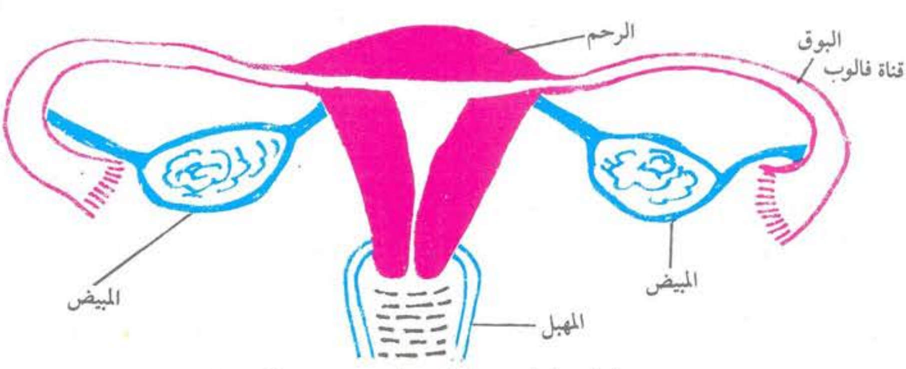
قد تبدأ خطوات التشخيص في عيادة الأمراض النسائية عندما تراجع المريضة للشكوى من اختلال الدورة الطمثية، أو - إذا كانت متزوجة - من تأخر الحمل. وكلتا الحالتين تتطلبان عمل فحوص معملية تفصيلية لمستوى الهرمونات التي لها علاقة. ولا يخفى التشخيص على الطبيب الاختصاصيّ من مجرد النظر إلى تقرير المعمل عن مستوى الهرمونات في الدم. وقد يلجأ إلى طلب كشف آخر بجهاز الموجات فوق الصوتية (السونار)، والأشعة المقطعية لرسم صورة للمبيضين، وهنا أيضا يعطي هذا الكشف دليلاً آخر، حيث يؤكد تضخم حجم المبيضين مع وجود تكيّسات تحت القشرة.

وقد تبدأ خطوات التشخيص في عيادة الأمراض الجلدية، عندما تراجع المريضة للاستشارة، وطلب العلاج من زيادة نمو الشعر غير الطبيعي على أنحاء مختلفة من جسمها.

كما قد تكون أولى الخطوات في عيادة الأمراض الباطنية للعلاج من السمنة، إلا أن هذه العيادات كلها تلتقي في مختبر الهرمونات، حيث توضح الصورة والتشخيص، ومن ثم الطريق إلى العلاج حسب طبيعة الشكوى.

ولندخل هنا مع المريضة، صاحبة الشكوى، لكل من هذه العيادات، فحين تكون الشكوى الأساسية هي السمنة، وما يصاحبها من اختلال في الدورة الطمثية، فالنصيحة الأولى هي أن تبادر السيدة إلى إنقاص وزنها إلى المعدل الطبيعي المناسب. وإنقاص الوزن هذا مهم جدا في الإقلال من زيادة تخزين هرمون «الاستروجين» في الطبقات الشحمية، ومن ثم إلى انتظام الدورة الطمثية. هذا بالإضافة إلى الحد من تأثير هرمون «الأنسولين» على المبيضين.

بعض النساء لا ينظرن بعين الاهتمام لهذه الناحية، وقد تقارن إحداهن حالتها ببعض السيدات البدينات اللواتي لا يشكين من مثل هذه الظاهرة، والرد على هذه المقارنة أن هؤلاء



● رسم تخطيطي لمقطعين طوليين لمبيض متعدد التكيسات.

النساء قد لا يعانين من اختلال في فرز الهرمونات بشكل عام، أو اختلال في وظائف المبيضين بشكل خاص.

ومن ناحية أخرى قد لا تكون المريضة صاحبة الشكوى بدينة، بل يكون وزنها طبيعيا، إلا أنها تشكو من زيادة نمو الشعر فقط، هنا يكون الاتجاه في العلاج مختلفا نوعا، فالقصد هو الإقلال من فرز الهرمونات ذات الصفة الذكرية، وهذه الحالات تحتاج إلى إعادة موازنة فرز الهرمونات، سواء بإعطاء المريضة مركبات تثبط من زيادة تكوينها وإفرازها، أو تعادل تأثيرها على أنسجة الجسم. وكل حالة تعالج حسب العوامل المسببة لها.

بقي أن نركز على حالات السيدات المتزوجات اللواتي يتأخر عندهن الحمل والإنجاب. فكما مر في البداية تكون الأسباب المباشرة عدم نضوج «حويصلات جراف» التي تحتوي على البويضات، فطبيعي أن لا يوجد تبويض أيضا، ومن ثم لا يحدث الحمل. هنا يتركز العمل على موازنة فرز الهرمونات من الغدة النخامية التي من أهمها الهرمون المغذي «لحويصلة جراف»، والهرمون الآخر الذي يساعد على انفجارها بعملية التبويض في منتصف الدورة الطمثية تقريبا. ويتم ذلك بإعطاء المريضة نوعا خاصا من العقاقير بمعرفة الطبيب المعالج، ومتابعة الحالة بالكشف عن مستوى الهرمونات، وكذلك باستعمال جهاز (السونار) لمراقبة نضوج «حويصلة جراف»، وتوقيت حدوث التبويض. وطبيعي أن يضبط الطبيب المعالج عيار هذه العقاقير حسب الاستجابة كل شهر إلى أن يحدث الحمل.

للعقاقير مخاطر:

البحوث العلمية في هذا الصدد تشعبت، وأدّى هذا التشعب إلى اكتشاف طرق عديدة لاستعمال مثل هذه العقاقير. كما أن أسماء بعض هذه العقاقير قد أصبح مألوفا لدى غالبية النساء المثقفات اللواتي مضى عليهن وقت طويل تحت العلاج. والخطورة في مثل هذه الحالات أن كثيرا منهن يبادرن إلى شراء هذه العقاقير من الصيدليات، واستعمالها بعيدا عن إشراف الأطباء المتخصصين ونصحهم، مما يؤدي إلى مضاعفات أخرى هن في غنى عنها.

ولا يُنكر أن بعض الأطباء يقوم بوصف هذه العقاقير لبعض المريضات قبل عمل استقصاء معملي لمستوى الهرمونات، للتأكد من جدوى استعمال هذه العقاقير في مثل حالتهن، وهذا التصرف يكون مساويا أيضا للخطأ الذي ترتكبه المريضة بشراء العقاقير مباشرة دون رأي الطبيب المختص.

وهناك إجراء جراحي ابتدأه الطبيبان «شتاين وليفنثال»، منذ أن اكتشفا هذه الظاهرة، وهذا الإجراء الجراحي يتم بفتح البطن تحت التخدير العام، واستخراج المبيضين، ثم استئصال جزء مقطعي من كل منهما، ورتق مكان المقطع المزال، وإعادتهما إلى وضعهما الطبيعي. وتفسير ذلك أن إزالة جزء من كلا المبيضين المتكيّسين قد يقلل من مستوى الهرمونات التي يكونانها، فينبه هذا النقص المفاجيء الغدة النخامية التي تستجيب لهذا النقص المفاجيء، بإفراز كميات أكبر من هرموناتها الخاصة المؤثرة على المبيضين، حيث يتوقع أن تحدث شبه موازنة، تشبه تلك التي تحدث من إعطاء المريضة عقاقير طبية.

وقد يؤدي تفهم المشكلة بشكل مبسط إلى تهدئة خواطر النساء اللواتي ابتلين بمثل هذه الظاهرة. والمهم أن لا خطورة على حياتهن، ولا خوف على صحتهن من حصول مضاعفات أخرى. والاستشارة المبكرة في مثل هذه الحالات قد تشفي الكثير، وتعود بالنساء إلى المسار الطبيعي. □

فكأنا ألف حازم

● قيل لرجل من عبس: ما أكثر صوابكم؟ قال: نحن ألف رجل وفينا حازم واحد، ونحن نشاوره فكأنا ألف حازم.

وجهاً لوجه





المهندس/ سعد شعبان و رؤوف وصفي

- أهمُّ وسيلةٍ لنشرِ الوعيِ العِلميِّ هي تطعيمُ المناهجِ الدراسيّةِ بالحقائقِ العلميّةِ.
- القُدرةُ على التّبسيطِ موهبةٌ يَهبُها اللهُ لبعضِ النّاسِ.
- إلى المعارضِينَ تعريبَ العُلومِ أوجّهُ سؤالاً: كيفَ يتعلّمُ اليابانيّونَ والصّينيّونَ الطبَّ والهندسةَ ؟
- لا أعتقدُ بِصحّةِ ما يُقالُ عن عدمِ وُجودِ مُقابلٍ في اللغةِ العربيّةِ للمصطلحاتِ العلميّةِ.
- تسبّبَ الحاسوبُ في تقصيرِ مُدّةِ تجديدِ التقنيةِ لنفسِها إلى أقلّ من عشرِ سنواتٍ.
- الأمّةُ العربيّةُ لديْها جامعةٌ مفتوحةٌ على الهواءِ ، لكنّها مُعطّلةٌ.

حصل عام ١٩٨٦ على جائزة الدولة التشجيعية بالقاهرة لتقديمه ٢٨ مؤلفا علميا ، بأسلوب تميز بالسلاسة والوضوح على الرغم من أن أغلبها يبحث في واحد من أدق علوم عصرنا ، وهو « الطيران والفضاء » .

وعلى مدى ربع قرن مضى توالى ظهور كتبه ، مثل : صواريخ العصر ، وأعماق الكون ، والطريق إلى القمر ، والأقمار الصناعية وسفن الفضاء ، والطريق إلى الكواكب ، والملاحة الكونية ، وأحدث الطائرات ، وعصر الفضاء ، وأسرار الفضاء ، وغيرها .

وقد أجرى الحوار معه رؤوف وصفي ، وهو كاتب عربي تخصص في الإعلام العلمي ، كما أنه أحد المشتغلين بأدب الخيال العلمي .

*** في ضوء تجربتك في تأليف الكتب العلمية ، نود أن تحدثنا عن مكان الكتاب العلمي بالمكتبة العربية في الوقت الحاضر ومكانته .**

- بعض الحقائق المعروفة لدى دور النشر في الوطن العربي تقرر أن أكثر الكتب توزيعا هو الكتاب الديني ، يليه الكتاب الأدبي ، وبخاصة القصص الغرامية أو الكتب التي تعالج الجنس ، وهما يمثلان ٨٠٪ من نسبة التوزيع . والنسبة الباقية ٢٠٪ تشمل كل ضروب المعرفة والثقافات الأخرى ، بما فيها العلوم الاجتماعية ، والكتاب العلمي الذي أعتقد أنه أقلها نسبة . وأنا لا أجد غرابة في ذلك ، لأن انتشار الأمية في الوطن العربي بنسبة تزيد عن ٩٠٪ يجعل هذه المكانة غير مستغربة ، كما أن انصراف أغلب الناس إلى التسلية من خلال التلفاز ، وبخاصة مع انتشار أجهزة الفيديو ، يجعل الإقبال على القراءة بعامة والكتب العلمية بخاصة أمرا غير شائع . وللتدليل على ذلك ، يمكن أن ننظر إلى ما تشير إليه إحصائية للإذاعة المصرية في السنوات الأخيرة ، حيث دلت عينة للرأي العام على أن نسبة المستمعين للبرنامج الثاني الذي يعنى بنشر الثقافة العلمية والفن الرفيع قليلة جداً .

*** لمن توجه كتبك العلمية ؟ هل هي للقارىء العادي أو للباحث أو للمتخصص ؟ وهل تتأثر لغة الرسالة العلمية بمن توجه إليه ؟**

- حنكة الكاتب تتركز في انتقاء شريحة قرائه ، ولا أدعي أنني أخاطب المتخصصين من القراء ، فهؤلاء لهم مراجعهم . وسر انتقائي للقارىء أو المثقف العام ، أنه يمثل الشريحة الوسطى من جمهور المهتمين بالقراءة ، وهي الأكثر عددا والأكثر تأثيرا في المجتمع . وإذا أردت مخاطبة القارىء المتخصص فسيكون لزاما عليَّ استخدام المعادلات الرياضية والحسابات ، وهذه غالبا ما تنفر حتى بعض المتخصصين . ولا أكتمك سرا أنني عندما حاولت ذلك وجدت أن أغلب المطابع ليس لديها الإمكانيات الفنية لطباعة الرموز الرياضية (الفا ، وبيتا ، وجاما وثيتا وسيجما . . . الخ) والحقيقة التي يجب أن تكون واضحة ، أن مخاطبة المتخصصين محلها الجامعات ومراكز البحوث ، وأنا عندما وجدت أن البشرية بدأت تعيش عصر الفضاء ، منذ عام ١٩٥٧ ، عمدت إلى تعريف مثقفي الوطن العربي بحقائق عصرهم ، لكي يواكبوا بفكرهم الإنجازات المبهرة للفضاء ، ولكن تسارع أحداث الفضاء بسرعة عالية لا يمكن ملاحقتها

بالكتب ، فعمدت إلى المقالات في الصحف والمجلات ، وهذه تتعامل مع الناس كافة ، متخصصين وغير متخصصين . ولا أكتمك السر بأنني عندما كنت أحاضر في أوساط المتخصصين في بعض النوادي . وهم يمثلون شريحة خاصة في المجتمع ، كنت أجدهم يعجبون لأبسط الحقائق عن الفضاء ، وليس لديهم أدنى فكرة عنها .

المناهج والمادة العلمية

*** ما أهم الوسائل التي تقترحها لنشر الوعي العلمي بين الأطفال والشباب ؟**

ـ لا شك أن أهم وسيلة لنشر الوعي العلمي لدى الشباب والأطفال ، هي تطعيم المناهج التعليمية في المدارس والجامعات بالحقائق العلمية التي نريدها ، لكي تستقر في وعي النشء منذ الصغر ، مع ركائز التعليم الأساسية . والذي لا شك فيه أن هناك وسائل تربوية معروفة ، تجعل ذلك محببا ، وبخاصة لدى الأطفال منذ نعومة أظفارهم مثل : مسائل الحساب ، والصور الملونة ، واللعب المتداولة بين الأطفال ، والمجلات المخصصة للأطفال . وأعتقد أن على رأس هذه الوسائل جميعها ، يقف الكتاب العلمي المبسط ، والكتيب الرخيص ، الغني برسوم وصور توضيحية ، لكي تغني عن كثير من الكلام .

وهنا تبرز قضية التبسيط لتطل برأسها ، كأخطر ما في الموضوع ، فالقدرة على التبسيط ملكة أو موهبة ، لم يهبها الله لكل الناس ، فأغلب المتخصصين لا يملكون هذه الموهبة ، بل قد لا يحبون التبسيط ، وقد لا يحترمونه أيضا ، وغير المتخصصين يجهلونه . وهي كما قلت موهبة ، تحتاج دربة ووقتا لصقلها .

وهناك وسيلة مفتقدة تماما في الوطن العربي ، هي المتاحف . ويحضرني في هذا المقام ذكريات ما رأيت في مدينة بوسطن ، في متحف العلوم . لقد مكثت بين بعض قاعاته ثماني ساعات في انبهار ، وخرجت لأقول لنفسي : لو دخل هذا المتحف حصان فسيخرج فاهما لحقائق علمية كثيرة !

ونحن نعيش حاليا عصرا يتسم بسرعة نقل المعلومات ، وأصبح الحاسوب فيه عملاقا من العمالقة . ولا شك في أن إدخال الثقافة العلمية من خلال شبكات المعلومات العالمية والقومية يمكن أن يغير كثيرا من المفاهيم ، ويساعد على نشر العلم بأسلوب لم تدركه الأجيال السابقة .

ضرورة تعريب الطب والعلوم

*** ما رأيك في قضية تعريب العلوم في التعليم الجامعي ؟ وما أفضل السبل لتوحيد تعريب المصطلحات العلمية في الوطن العربي ؟**

ـ ثارت في الصحف المصرية في الشهور الأخيرة معركة ، كثر حولها الجدل ، عن تعريب الطب في الجامعات ، وأغلب المعارضين للتعريب هم الدارسون في الجامعات الغربية . وإلى هؤلاء أوجه سؤالا : كيف يتعلم اليابانيون والصينيون الهندسة والطب وباقي العلوم ؟ الأمر لا يحتاج لكل هذا الجدل ، إذ يجب أن نعرب العلم ، لكي ينتشر في قاعدة عريضة ، وفي الوقت نفسه يجب أن ننشر تعلم اللغات ، حتى نلاحق العلم ، ليس في الغرب وحده ، ولكن في كل دول العالم . فالطبيب الذي درس الطب في روسيا مثلا ، إذا عرب ما درسه ، فهو يخدم بني وطنه ، وعليه أن يتابع ما يستجد في فنه ، لأنه يلم باللغة الروسية ، وفي خط متواز مع ذلك علينا ألا نغفل تعليم اللغات للأجيال الصاعدة ، حتى يلاحقوا أحداث العالم ، وحتى لا تزداد هوة التخلف بين الوطن العربي والدول المتقدمة . والاتجاه المحمود الذي بدأته دولة الكويت بتعريب واحدة من أعقد المجلات

العلمية وأعمقها ، وهي مجلة العلم Sience أمر يدعو للتقدير . ولا شك أن أولى الخطوات اللازمة لتوحيد التعريب في الوطن العربي هي العناية بقواميس « المصطلحات العلمية » . وفي هذا المجال لي تجربة بسيطة ، لكنها مؤثرة . ففي عام ١٩٦٥ وضعت مؤلفا فلكيا تحت اسم « أعماق الكون » ، وقد انتشر توزيعه ، وطبع في الكويت أربع مرات ، لأنني وضعت في آخره معجما للمصطلحات الفلكية .

وهناك جهد محمود للجان متخصصة في الجامعات العربية في الستينيات ، جمعت كل المصطلحات العلمية المدنية والعسكرية وعربتها في قاموس واحد . ولا أعتقد في ما يشير إليه المتشدقون بأن اللغة العربية ليست غنية بالألفاظ التي يمكن أن تكون مقابلا للمصطلحات العلمية ، فهذه أعذار واهية .

البحث العلمي والجوائز

* حصلت على عدة جوائز ، منها جائزة الدولة التشجيعية في تبسيط العلوم ، (مصر) عام ١٩٨٦ ، كما أنك قد حصلت على جائزة كالينجا العالمية من قبل اليونسكو . في رأيك هل نظام الجوائز الحالي كاف لتنشيط البحث العلمي في الأقطار العربية ؟

- نظام الجوائز له أثر في قليل من الناس ، وأعتقد أنه فعال بقدر ضئيل ، أولا لأن قيمة هذه الجوائز تكاد تكون رمزية ، فهي جوائز أدبية أكثر منها مادية ، ولا يمكن أن ينشط البحث العلمي إلا على خطط قومية راسخة ، قد يستغرق وضعها سنين طوالا . وللأسف فإن العلم في أغلب الأقطار العربية ما زال يعامل على أنه ترف في الحياة . ولا توجد مراكز متخصصة للبحث العلمي ، في أغلب المجالات الحيوية ، بل وفي بعض الأقطار لا توجد وزارة متخصصة تعنى بالبحث العلمي .

انظر إلى دولة نامية كالهند ، وهي بين دول العالم الثالث ، ترزح تحت وطأة كثير من مشاكل المجتمعات الكثيرة السكان ، ويهد كيانها الفقر والمرض ، ولكن لها خطتها العلمية القومية التي أولتها أهمية كبرى ، وجعلتها في مقدمة خططها الاستراتيجية ، لقد أصبح للهند طائراتها وصواريخها وأقمارها ، وبحوثها الذرية المتقدمة ، على الرغم من أنها دولة تنوء بمشاكل ألف مليون نسمة ، لهم أكثر من سبعين دينا ، وعشرات اللغات ومئات اللهجات .

التعليم على الهواء

* هل سيؤدي إنشاء جامعة مفتوحة إلى تنشيط الوعي العلمي بين الشباب العربي ؟

- عندما كنت أدرس للماجستير في الاتحاد السوفيتي في الستينيات ، كان تعداد الدارسين في الجامعة المفتوحة بنظام المراسلة البريدية أكثر من ٢٤ مليونا ، وكان نتاج ذلك أن كل صاحب مؤهل متوسط يجد أمامه السبيل لكي يستزيد من العلم ، وهو يزاول عمله ، دون ضرورة للانخراط في الدراسة بجامعة أو معهد ، ودون حاجة للانتقال إلى مقر الجامعة .

وفي انجلترا بهرت بالبرامج العلمية التي يذيعها التلفاز على إحدى قنواته ، ولقد تسمرت أمام الشاشة الصغيرة ساعات طوالا ، رأيت فيها العجب العجاب ، مثل استخراج اليورانيوم من المناجم ، وأدق أسرار الذرة ، وإجهاض السحب فوق الأراضي القاحلة ، في أفلام مبسطة ومشوقة ، ومن المعروف أن التقنية تجدد نفسها كل ١٥ عاما تقريبا ، لكن انتشار استخدام الحاسوب قصّر هذه المدة إلى أقل من عشر سنوات ، وأصبح المواطن العربي ، حتى الحاصل على التعليم العالي ، عاجزا عن ملاحقة أحداث عصره ، لأنها في تغير مستمر . ومن هنا يبرز دور الثقافة العلمية في تحقيق هذه

الملاحقة من خلال وسائل الإعلام ، وبواسطة الكتاب المبسط . فمثلا ونحن نلهث وراء منجزات الحاسوب الذي دخل كل بيت ، وكل مصلحة وكل مصرف وكل مدرسة وكل شركة في الدول المتقدمة ، يطل علينا « عالم الروبوت » برأسه ونحن ما زلنا في وقفة انبهار كأننا خشب مسندة .

وللأسف لدى الوطن العربي جامعة معطلة ، يمكن أن تمحو أمية السواد الأعظم من سكانه ، وهي القناة الجماعية في القمرين العربيين « عربسات ـ ١ ، ٢ » وهي قناة ذات إرسال مباشر ، يمكن أن تخاطب الشعوب مباشرة ، دون حاجة إلى المرور عبر محطات الإذاعات الإقليمية . فماذا لو خصصنا هذه القناة لمحو الأمية ، أو جعلناها جامعة على الهواء ينهل منها الذين يريدون العلم ما يشاءون . لقد تسببت الفرقة السياسية بين الأقطار العربية في تعطيل هذه القناة ، ولا يحتاج استعمالها إلا لوجود هوائي طبقي صغير يضعه المستخدم فوق سطح منزله أو في حديقته . فلا استفدنا منها في محو أمية السواد الأعظم ، ولا جعلناها قناة إخبارية أو ثقافية أو جامعة على الهواء .

صحافتنا خبرية

*** بم تبرر عدم وجود صفحات علمية متخصصة بصحافتنا العربية ؟**

وما السبل الكفيلة بإيجاد مثل هذه الصفحات العلمية ؟

ـ الصحافة في أغلب دول العالم ، تسعى وراء الإثارة ، ويكفي أن نتأمل في ما يتعلمه الصحفيون المبتدئون « إنه لو عض كلب انسانا فهذا ليس خبرا ، ولو عض إنسان كلبا فهذا هو الخبر » . إن أغلب ما تهتم به الصحافة هو ما يتعامل مع شغف الجماهير ويثير فضولهم . ولذلك فالرائج في الصحافة هو صفحات الرياضة ، والفن . والحوادث ، وقليل من السياسة ، وقليل من الأدب ، بينما العلم ضائع ليس له مكان وسط هذا الكم من المتغيرات ، وإن وجد ، فليس له أكثر من ركن أو زاوية أو عمود . وأعتقد أن ذلك مرجعه إلى عدم وجود الصحفي العلمي المتخصص في دور الصحف العربية .

ولقد حضرت مؤتمرا دوليا للصحافة العلمية . فوجدت أن أغلب المحررين العلميين في الصحف الأجنبية من حاملي درجة الدكتوراة ، ويكفي أن ترى في صحافتنا العربية الخلط الواضح بين المسميات والمصطلحات العلمية ، لافتقاد وجود المحرر العلمي المتخصص ، فالكوكب والنجم سواء ، والأقمار الصناعية والصواريخ لا فرق بينها ، وعندما



تكون هناك حاجة لموضوع علمي جديد فإن أغلب الصحف العربية تلجأ إلى بعض المتخصصين لالتقاط آرائهم ، لذلك هم يضعون السؤال وجوابه ، ويملون المقالات كأنها مواضيع انشاء .

وعندما تعمد سكرتاريات التحرير إلى اختصار هذه الآراء فإنها تشوهها ، وكثيرا ما تكون عاجزة عن خدمتها بالصورة أو الرسم الموضح ، لأنها تعتقد أن هذا ليس من رسالتها . ولذلك نجد أن العلم في صحافتنا خبريا وليس موضوعيا . فلا تعنى إلا بنقل قشور الأخبار عن الأحداث العلمية ، دون تعرض لتفاصيلها ، ويكفي أن يشار أن هذا العالم سافر لحضور مؤتمر ، وأنه سيقدم بحثا عن كذا وكذا . ولا بد من الإشارة الى أن اسلوب عشق التهويل ، جعلنا نستعمل « أفعل » التفضيل بصفة مستمرة . فإذا قدم أحدهم بحثا فهو « أول » بحث في هذا المجال ، واذا نال جائزة فهو « أول » من حصل عليها ، وإذا اخترع آلة أو صمم جهازا فهو « أول » جهاز « وأهم » اختراع !

*** من النادر وجود الكاتب العلمي العربي المتخصص القادر على تبسيط العلوم ، كيف يمكن إعداد جيل من الكتاب العلميين العرب ؟**

- لقد افتقدت الصحف العربية ، الصحفي العلمي المتخصص ، ففي الوقت الذي يوجد فيه محرر سياسي وآخر اقتصادي لا مكان للمحرر العلمي ، ولا حل لذلك إلا أن تكون هناك شعبة جديدة في كليات الإعلام ، للثقافة العلمية الصحفية . فكليات الإعلام تعنى حاليا بالتعليم التلفازي ، والإذاعي والصحفي وأفراد العلاقات العامة ، فلماذا لا تكون هناك شعبة جديدة للدراسات الصحفية العلمية .

ويمكن أن تكون هناك اهتمامات على المستوى الجماهيري تشجع نشر الثقافة العلمية ، من خلال وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ، بزيادة شريحة الثقافة العلمية بها . فهي حاليا في مصر مثلا لا تتجاوز ٥٪ من جملة خريطة البرامج ، وهذا بلا شك سيخلق جيلا من الكتاب العلميين ، ويزيد عدد المجلات العلمية المترجمة . □

من شعر محمد العيد خليفة

تحنُّ إلى نيلِ الحقوقِ نفوسُنا
وتأبىَ علينا نَيْلَها قوةُ الغشمِ
ونُقْصىَ عن الفُصْحىَ ، ونلهى بغيرِها
وليس سوى الفُصْحىَ لسانٌ لنا رَسْمِي
وما نحن إلاَّ من سلالةِ (يعرب)
فمن رامَ عنها فَصْلَنَا باءَ بالرغمِ



شاعر الجزائر محمد العيد خليفة
١٩٠٤ - ١٩٧٩

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

فبراير ١٩٩٠م

الوعي والفن

دراسات في تاريخ الصورة الفنية

تأليف : غيورغي غاتشف
ترجمة : د. نوفل نيوف
مراجعة : د. سعد مصلوح

الكتاب ١٤٦

٥٠٠ فلس

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص. ب : ٢٣٩٩٦ الكويت



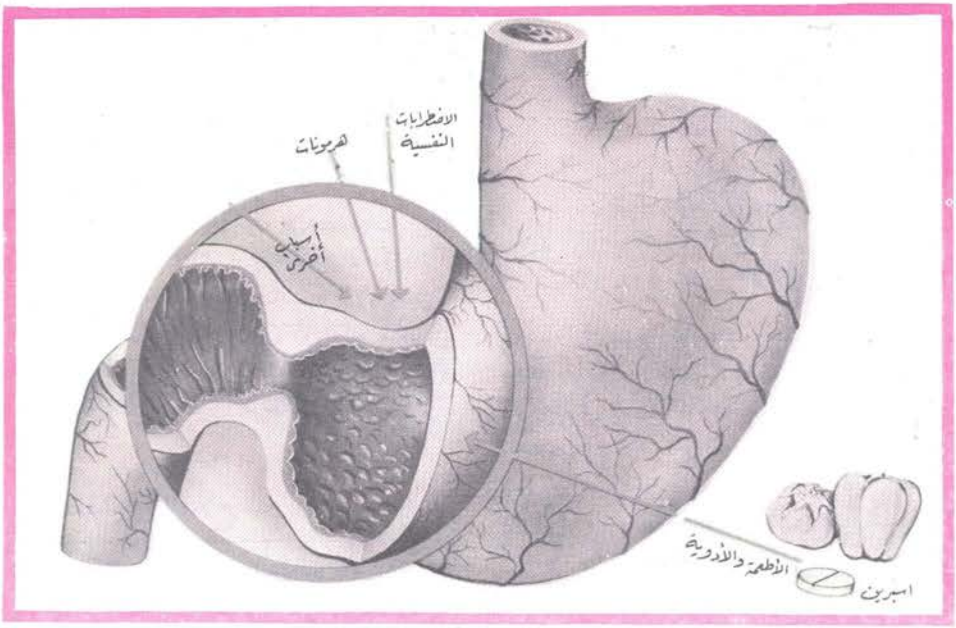
الغذاء والأعشاب علاج لقرحة المعدة والاثنى عشر

بقلم : الدكتور سامي محمود علي

نتيجة للتعقيد الذي تتسم به حياتنا المعاصرة فقد انتشرت مجموعة من الأمراض ، يطلق عليها اسم أمراض العصر ، منها قرحة المعدة والاثنى عشر اللتين تعددت أسباب الإصابة بهما ، وإن كان في مقدمتها الإجهاد والتوتر ، كما أن الغذاء قد يكون سبباً ، فهل يمكن أن يكون علاجاً ؟ وهل تصلح الأعشاب علاجا لهذا المرض ؟

القرحة هي تآكل موضعي في الغشاء المخاطي للمعدة ، أو الاثنى عشر ، أو في الطرف الأسفل من المريء . ويؤدي الافراز المتزايد والمستمر لعصارة المعدة الحمضية إلى اتساع القرحة وزيادة حجمها . والأسباب التي تؤدي إلى الإصابة بالقرحة كثيرة منها ، الوراثة : ويمكن معرفتها عن طريق دراسة التاريخ المرضي لأسرة المريض وأقاربه . والإجهاد الذهني والعصبي : حيث يلاحظ أن أعراض القرحة تزيد دائما خلال فترات الإجهاد الذهني والقلق العاطفي .

كما تزداد أعراض القرحة خلال موسم الشتاء والخريف ، وإن كانت زيادة هذه الأعراض تلاحظ أكثر مع قرحة الاثنى عشر . والأفراد



● الأسباب الرئيسية التي تنجم عنها أمراض القرحة كما يوضحها الرسم .

ذوو الفصيلة الدموية «O» أكثر عرضة للإصابة بالقرحة والنزيف . ومن أسباب القرحة أيضا زيادة الافراز المعدي من العصارة الحمضية للمصابين بقرحة الاثنى عشر ، وذلك نتيجة زيادة الخلايا الجدارية فى المعدة ، وهي الخلايا التي تفرز حمض الهيدروكلوريك ، وعصارة « البيسين » الهاضمة . ويكون هذا الإفراز حتى في حالة خلو المعدة من الطعام ، وهذا في حد ذاته يعد عاملا مهماً في استمرار الإصابة بالقرحة . وهناك عوامل تساعد على زيادة افراز العصارة المعدية الحمضية ، منها : التوابل ، والتدخين ، والشاي والقهوة الثقيلان ، والخمور ، والتوتر والاجهاد ، وشوربة (حساء) اللحم . ويزيد من احتمالات الاصابة بالقرحة عدم تناول وجبات غذائية كافية في عددها .

أعراض وإحصائيات

وأعراض الإصابة بقرحة المعدة تبدأ بشعور المريض بنوبات من عسر الهضم والألم ، عقب تناول الطعام ، مع فقدان الشهية ، نتيجة الخوف من الألم الذي يسببه تناول الطعام ، ومع تقدم المرض ، يعقب هذا الألم قيء ، ويكون هذا القيء دمويا ، ولكنه مصبوغ بلون القهوة ، وغالبا ما يزول الألم بعد هذا القيء . والمريض غالبا يحس بألم سطحي على جدار البطن تحت الضلوع من الجهة اليمنى . أما قرحة الاثني عشر فهي تشبه في أعراضها قرحة المعدة ، إلا أن المصاب بقرحة الاثنى عشر يحس بالراحة بعد الأكل ، ويزداد ألمه وهو جوعان ، بعكس المصاب بقرحة المعدة الذي يزداد ألمه بعد الأكل ويحس بالراحة وهو جوعان .

وقد أظهرت إحصائيات كثيرة ، أن الإصابة بقرحة المعدة ، أو الاثنى عشر تنتشر بصورة كبيرة عند المشتغلين بالمسائل الفكرية ، مثل : المفكرين ، والمحامين ، والأطباء ، ومديري المصارف ، والأدباء . وهؤلاء جميعا تتسم طبيعة عملهم بالقلق ، والعصبية ، والإجهاد الذي يؤدي بدوره إلى زيادة الحموضة في

المعدة . كما أظهرت هذه الإحصائيات أن النساء أقل من الرجال في الإصابة بقرحة المعدة ، أو الاثنى عشر ، وتصل هذه النسبة إلى ١ : ٥ ، وهذا ـ يعود ـ بالطبع إلى طبيعة تعامل كل من الرجل والمرأة مع المشاكل والأحداث . لكننا سوف نحزن حقا عندما نعرف أن مرض القرحة ليس مرضا محدودا ، بل إن الاحصائيات تؤكد أن ما يقرب من ١٠٪ من البالغين ـ بين سن الخامسة والعشرين والخامسة والأربعين ـ مصابين بالمرض ، أي أن في كل مائة شخص من الأشخاص في هذا العمر (٢٥ ـ ٤٥) عشرة أشخاص مصابين بقرحة المعدة أو الاثنى عشر .

دور الغذاء في العلاج

وبينما تقوم الأدوية والعقاقير التي تعالج القرحة على تسكين الألم فقط ، نجد أن الغذاء يمنح سبيلا حقيقيا للشفاء من هذا الداء ، حيث يفضل أن يتناول المريض البروتين الموجود في الحليب ، وأن يتجنب اللحوم وحساءها ، لأن حساء اللحوم يزيد إفراز العصارة المعدية ، ويعد تناول حساء اللحوم قبل الأكل بساعة أو ساعتين ذا ضرر بالغ بمريض القرحة .

وتعد الدهون (القشدة والزبد وزيت الزيتون) مفيدة جدا لمرضى القرحة ، لأنها تؤخر تفريغ محتويات المعدة وتصريفها إلى الأمعاء الدقيقة ، كما أن نواتج هضمها في الأمعاء الدقيقة يؤدي إلى إيقاف إفراز العصارة المعدية ، في الوقت نفسه يجب البعد عن الأطعمة المقلية ، لأنها أصعب هضما ، وعادة فهي تؤدي إلى تزايد شدة الأعراض .

ويُنصح بتناول الخضراوات الجيدة الطهي ، والبطاطس ، ومنتجات القمح ، مع تجنب الخضراوات النيئة .

كما يجب الامتناع تماما عن اضافة التوابل ، والبهارات ، « والصلصات » الحارة إلى أطعمة مرضى القرحة .

وتقليل تناول الشاي والقهوة بما لا يزيد عن



كوبين في اليوم يجنب المريض القرحة ومضاعفاتها ، ذلك لأن مادة « الكافايين » الموجودة في الشاي والقهوة تعمل على زيادة إفراز العصارة المعدية . كما يجب الامتناع ـ ماأمكن ـ عن تناول المشروبات الحمضية مثل : عصير الليمون ، والبرتقال ، والمشروبات الغازية ، خاصة في الحالات الحادة من قرحة المعدة . وكذلك الامتناع عن الكحوليات مثل الخمور والبيرة ، لأنها تزيد من أعراض القرحة .

ويفيد المريض أيضا تجنب المشروبات الشديدة البرودة والشديدة السخونة .

ومن الضروري تناول أي طعام كل ساعتين أو ثلاث ساعات على الأكثر ، وذلك حتى لا تفرز العصارات الحمضية على معدة خاوية . أما « الاسبرين » ، ومركبات « الكورتيزون » ومركبات « البيوتازوليدون » فيجب الامتناع عن تناولها في هذه الحالة ، ويستعاض عنها بتناول مسكنات أخرى ، مثل « النوفالجين » و « الباراسيتامول » . والحقيقة أن مركبات الاسبرين و« الكورتيزون » تعمل على زيادة نشاط قرحة المعدة ، كما أن هذه الأدوية تسبب نزفا من القرحة عن طريق الإثارة الموضعية لجدار المعدة ، وتغيير طبيعة الإفراز المخاطي له . وعند الضرورة يمكن تناول « الاسبرين » مع كوب من الحليب .

كما يجب أن يكون طهي الطعام بسيطا ، وأن يمضغ جيداً ، على أن يبتعد مريض القرحة ـ ما أمكن ـ عن الأطعمة ذات البهارات والمقلية والمحمرة ، وأن يعمد إلى الراحة قليلا بعد الوجبات الأساسية .

وصفات من الطب الشعبي

على الرغم من أن القرحة لم تكن من الأمراض الشائعة بين الأقدمين ، إلا أنهم أفردوا لها طرقا للعلاج ، تعتمد على الأعشاب والنباتات . من هذه الوصفات استعمال : ـ

مسحوق العرقسوس لمعالجة المعدة ، وذلك بتناول ملعقة صغيرة من المسحوق ثلاث مرات يوميا .

وعصير البطاطس من أنجح العلاجات إذا داوم المصاب بقرحة المعدة على شربه باستمرار .

يطحن قشر الرمان ثم يضاف إليه عسل النحل ، ويتناوله المصاب بقرحة المعدة .

وتناول ٣٠ غراماً من عسل النحل يوميا ، أو شرب ملعقة منه في كوب ماء دافيء يفيد في العلاج .

وأثبتت تجارب قام بها العلماء البريطانيون أن أكل ورق زهر البنفسج الجاف ، أو عمل مغلي منه وشربه يفيد في علاج القرحة .

أما بذور الخروب فتحمص كمية منها وتطحن كالبن ، ثم يضاف ثلاث ملاعق صغيرة منه إلى كوب مملوء بالماء ، لتغلى معه مثل القهوة ، ويترك حتى يبرد ، ثم يؤخذ منه كوب كل يوم ـ نهارا ـ على عدة جرعات ، مدة أسبوع ، ويرتاح المريض أسبوعاً ، ثم يؤخذ العلاج أسبوعا آخر ، وهكذا ، أسبوعا بعد أسبوع ، حتى يشفى المريض .

ويستخدم مستحلب زهر البابونج لمعالجة قرحة المعدة والاثنى عشر ولكن يجب الامتناع عن شرب القهوة والشاي والتدخين وقت العلاج ، ويحضر المستحلب بغلي نصف ملعقة من أزهار البابونج لكل فنجان من الماء الساخن ، ويترك مدة ٥ دقائق ، ثم يصفى ، ويترك ليبرد ، ثم يشرب بجرعات باردة طوال اليوم . ومع استخدام هذه الطريقة في العلاج يلزم الاعتماد على السوائل في الغذاء ، وتناول الحليب بكثرة ، وتهيئة الراحة النفسية للمريض بقدر الإمكان . □



« النخيل ، الطعم والرائحة »

رواية من تأليف إسماعيل فهد إسماعيل

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا

أتوقع أن يظفر قاريء هذه الرواية ببعض الجوائز الثمينة ، الجائزة الأولى فورية ، إذ سيجد نفسه منذ أول صفحة مأخوذاً بمتعة المتابعة لسلسلة من المواقف والشخصيات والأحداث ، تتسم بالإثارة النفسية والفكرية ، وتتحرك في بناء يجمع بين دقة الإحكام وروعة التلقائية ، بين نبضات قوية من الفكر والشعور تومض هنا وهناك ، وبين حبكة القصة « البوليسية » التي تتنوع خيوطها ، لكنها في النهاية تلتقي عند نقطة تجمع بين كل الخيوط .

قاريء هذه الرواية يتابع ، منذ البداية ، شخصية الراوي (البطل) الذي ينزل بأحد الفنادق الكبرى ، في مدينة القاهرة ، بجوار النيل ، وفي خطته أن يقوم باغتيال شخصية سياسية بعد ثلاثة أيام من وصوله ، في حفل بالفندق نفسه ، يقام تحت رعاية الشخصية السياسية . وتقع أحداث الرواية كلها في هذه الأيام الثلاثة ، حيث يضع القدر في طريقه امرأة ، تعمل نادلة في مقهى الفندق ، فتنشأ بينهما علاقة غير تقليدية ، في ظرف غير عادي ، ومن خلال تطور هذه العلاقة في هذه الأيام الثلاثة يتعرف القاريء على شخصية الرجل والمرأة ، ولأن الرواية مقدمة على لسان الراوي ، فإن القاريء يبدأ في التعرف على مساحات أكبر من شخصيته ، بينما يتعرف على حاضر المرأة وماضيها معا ، من خلال حضورها المباشر ، ويكاد جزء من سحر القراءة الأولى يتمثل في أمرين :

الأمر الأول : هو الطريقة التي يتعرف بها القاريء على ملامح من خلفية البطل ، فالماضي لا يقدم كنوع من التداعي الذي يثيره موقف في الحاضر ، ولكنه يجيء كرد فعل على هذا الموقف ، وكعنصر فاعل فيه ، يحاوره في الظاهر أو في الباطن ، ويصبح جزءاً منه ، ومن هنا

يتكرر استدعاء شخصيات الماضي ، مع تطور مواقف الحاضر وحالاته ، فتظهر الشخصية في كل مرة معبرة ـ وفق احتياج الموقف ـ عن ملمح جديد من ملامحها ، أو معمقة لبعض اتجاهاتها أو جوانبها ، يستدعيها التناقض أو التناظر ، أو أي درجة من درجات الاختلاف ، ويلعب توقيت ظهور هذا الجانب أو ذاك دوراً مهماً في تطور أحداث الرواية ، أو الكشف عن جوانب من شخصياتها ، ومن هنا فإن شخصيات الرواية كلها ، سواء من الحاضر أو من الماضي ، تتمتع بوهج ذلك الحضور المتميز ، محققة في بناء هذه الرواية ذلك المزج الرائع بين التلقائية والقصد !

الأمر الثاني : في تكوين سحر القراءة الأولى هو ذلك التناقض الحاد بين زمن الرجل وزمن المرأة ، فزمن الرجل جزء من شخصيته في هذه الفترة ، متوتر حذر ، لاهث ، ولا نهائي في وقت واحد ، عجول ومتريث وفضولي ، مكترث وغير عابيء ، إنساني وكوني ، فهو زمن إنسان يتسكع على ضفاف الموت !

وزمن المرأة التي ظلت لا تعرف شيئاً عن طبيعة مهمة الرجل ، هاديء تلقائي ، متطلع ، متدفق ، مبهور بتناقضات زمن الرجل ، بقدر ما هو خائف منه ، وقلق بسببه ، وحريص على حل ألغازه !

وهكذا فإن تجربة الحاضر في هذه الأيام الثلاثة تقوم في الرواية بدور مزدوج ، فهي من ناحية تسهم في تفجير جوانب من ماضي كل منهما ، تفسر سلوك الحاضر ، وهي في الوقت نفسه تمتحن رؤية البطل لنفسه ، وللمهمة التي جاء من أجلها ، بل تمتحن الكثير من الثوابت والاقتناعات الأساسية في حياته كلها . إن سلسلة من الزلازل الصغيرة تحدث في داخل الراوي ، إثر هذه العلاقة في الحاضر ، وتبدو هذه السلسلة من الهزات في داخله ، وكأنها تدخل في سباق مع مهمة الاغتيال التي اكتسبت قوة دفعها الذاتي من قرار فردي ، اتخذ في الماضي ، إن هذا السباق أيضاً جزء من السحر الخاص الذي تثيره القراءة الأولى للرواية ، فأنت حتى اللحظة الأخيرة لا تكاد تقطع بمن الذي يفوز في هذا السباق ، هل هو إنجاز مهمة الاغتيال أو المتغيرات التي أحدثتها زلازل العلاقة الجديدة في هذه الأيام الثلاثة ؟

في لحظة الحسم في نهاية الأيام الثلاثة ينجح بطل الرواية في إنجاز المهمة التي جاء من أجلها ، بطريقة شبه آلية ، تفصح عن التغيير الذي حدث في داخله ، وتكاد تحيل مشروع الاغتيال السياسي في وجدان القاريء ، بل وفي وجدان البطل ، إلى حادث قتل عادي ، حيث يبدو وكأن المهمة التي تم الإعداد لها منذ وقت طويل هي التي نفذت نفسها بواسطة البطل ، بل يبدو أن البطل الحقيقي هنا هو الزمن الماضي بقصوره الذاتي ، وأن الذي قتل حقاً ، ليس هو الشخصية السياسية التي تلقت الرصاصات ، بل هو الحب الوليد الذي عمره ثلاثة أيام ، وما كشف عنه من إمكانات ورؤى لم تأخذ فرصة للحياة .

القرار والشخصية :

في هذه الرواية يتحدث القرار كثيراً عن الشخصية ، كما تحكم الشخصية مصير القرار ، فالرواية كلها مقدمة من خلال شخصية الراوي (البطل) الذي يحمل اسم « سليمان الحلبي » ، مع أنه فلسطيني من غزة ، وربما كانت هذه التسمية هي التي حفزته عندما كبر إلى البحث في تاريخ سميه « سليمان الحلبي » قاتل كليبر ، فيقرأ ما كتبه عنه الجبرتي ، ثم ما كتب عنه من أعمال معاصرة ، مثل مسرحية ألفريد فرج ، وربما من خلال هذا البحث تكون في داخله المهاد الشعوري لفكرة الاغتيال السياسي التي تقوم حولها هذه الرواية ، وهو ما يبعد هذه الفكرة من أن تكون اختياراً حراً ، ويقترب بها

نوعاً من معنى القدر ، ولا يبتعد ظل القدر كثيراً خلال رحلة حياة البطل التي تنضج من خلالها هذه الفكرة ، وتملأ عليه أقطار نفسه ، حتى لتبدو له في النهاية وكأنها الخلاص لسلسلة الاخفاقات التي يمر بها ، وتمر بها قضية وطنه فلسطين ، وكأنها رده الوحيد الممكن على هذه الإخفاقات ، وتأكيد معنى وجوده وهويته !

من الإخفاق كانت البداية :

ربما كانت طريقة زواج البطل من « سلوى » ، المرأة الأولى في حياته تحمل بذور الإخفاقات التالية ، سواء في علاقاته بالمرأة أو في موقفه من قضايا الوطن !

رأى سلوى في بيت أحد الأصدقاء ، وهو طالب بالسنة النهائية بالكلية بجامعة القاهرة ، فبهره جمالها وذكاؤ ها . تقول له زوجة الصديق : أخطبها لك ، وتقول له سلوى : لن أفكر في الزواج قبل إكمال دراستي ! ينسحب وهو يلعق جراحه ، حيث يخبره صديقه ، بعد فترة قصيرة ، أن سلوى رفضت خطيباً آخر تقدم إليها من أجله ، يعجز عن إخفاء سعادته ، وحين تبرر له سلوى رفضها الأول بأنها كانت تخافه ، يسألها بين الخشية والرجاء : والآن ؟

تقول له : ما زلت أخافك ، لكن

* لكن ماذا ؟

ـ أحبك .

وهكذا كان « أول زواج » يعلن عما في شخصية البطل من بوادر العجز،فقراره لم يكن في يده ، ولم يكن غريباً أن يأتي منها بعد فترة وجيزة قرار الانفصال ، وكانت دهشته وتلبيته لطلبها الانفصال دليلاً على ما ينطوي عليه من نبل وهشاشة في وقت واحد . وكان قد بدأ يعيش حياته في بيروت كفلسطيني يبحث لنفسه عن دور ومكان بين التنظيمات والأحزاب السياسية والنضالية . وهناك عرف « إقبال » ، المرأة الثانية في حياته ، وعلاقته بإقبال هي التي تلقي أضواء قوية على معنى نبله وهشاشته ، فقد كانت رفيقة نضال ، عاشت معه أزمة انفصاله عن سلوى ، وهي التي قالت له بحسم : لو كانت تحبك ما طلبت الطلاق منك . وحين لمحت بقايا حزنه وتردده قالت له : لو كنت تحبها ما تركتها تضيع منك . وهكذا كان ما يزال حتى هذه اللحظة قراره في يد غيره ، وربما كانت نقاط ضعفه هذه هي التي جعلت « إقبال » تنجذب إليه ، فقد كانت تقول عنه : إنه مشروعها الخاص المتعب والممتع . كأنها تتحدى بذلك شيئاً ما ، في حياتها ، فقد كانت بشخصيتها القوية وعقيدتها السياسية الواضحة الحاسمة تقف منه في المسافة المشتركة بين الأم والرفيقة والحبيبة . وكانت تعرف أنه حرم من حنان أمه ، ولم تكن له شقيقة ، قالت له يوم أن وقفت معه فوق الروشة ، وحدثها عن نداء يصله من البحر : فيك شيء غير طبيعي ، أنت لا تترك وحدك .

ولعلها بهذه العبارة كانت تضع اصبعها على عمق الجرح في شخصيته في تلك المرحلة من حياته ، لعله كان في حاجة الى حب غير مشروط ، أما هي فقد كانت تحبه بشروط المناضلة ، لا تتردد في أن تقول له : حماسك السياسي يسبق فهمك الهادىء للمتغيرات السياسية .

ولعلها كانت تلمح المستقبل حين قالت له يوماً : من يعجز عن اتخاذ قرارات يومية هادئة ومتزنة ، يندفع في الغالب إلى قرارات كبيرة متهورة .

كان هو نوعاً من الفنان (الذي جعل من حياته نفسها مشروع فنه) تضنيه المسافة الشاسعة بين نقاء المثل الأعلى ، وغابة التفاصيل في العمل اليومي .

وكان عجزه عن استيعاب التناقض بين حب « إقبال » له ، وبين رفضها لما تسميه « نهجك المتردد باتخاذ القرار ، مزاجيتك المتحكمة في سلوكك » هو الوجه الآخر لعجزه عن هضم

التناقضات والتحولات في سياسة الأنظمة والأحزاب التي تعمل على الساحة في ظروف لبنان .

ولم يكن غريباً أن تقول له « إقبال » يوماً ، إثر مناقشة عاصفة :

* تدري أننا لا نؤمن بالاغتيال ولا نمارسه !

- التصفيات التي تطال ما حولنا الآن ستدور دائرتها لتطالنا في الغد !

* أنت تقول هذا ؟

- الوقائع تقوله !

* ما دمت مقتنعاً بآرائك هذه ، مفروض بك أن تترك الحزب .

وكان هذا الموقف بداية النهاية في موقفه من الحزب ، وفي موقف إقبال منه . كانت هي التخلي الثاني بعد سلوى ، واكتملت دائرة الإخفاق مع « الآخر » .

زمن التخلي :

من هنا بدأ شعوره بالعجز عن التعامل مع الآخر « فرداً » كان أو « حزباً » ، يدفعه إلى



● غلاف الكتاب

البحث عن مشروعه الخاص ، يفكر فيه وحده ، ينجزه وحده ، يؤكد به للآخرين أنه قادر على تحقيق التوازن بين الفكر والفعل ، وهو ما كانت « إقبال » تعيّره به !

يخاطب نفسه في هذه المرحلة قائلاً :

« وحدك » الإنسان والفعل والنتيجة ، فكانت أن عانقت حلم صباك « سليمان الحلبي » ، تنهي حياتك بإضاءة باهرة ، ليجيء ألفريد فرج آخر أو جبرتي آخر فيكتب عنك .

(لاحظ أنه هنا يفتش عن « الآخر » الذي لم يجده في زمن التخلي ، يفتش عنه في زمن قادم) .

ثم يواصل مخاطبة الذات :

« أن تعيش لنصف قرن قادم غير مواطن لأيما وطن ، مطروداً في كل عواصمك العربية ، مشبوهاً في كل الأنظمة ، منفياً في العصر ، ثقيلاً على ضمير هذه الأمة ، متطفلاً على ضمير العالم » .

تستجدي : هوية « لله يا محسنين » .

ولا يتردد البطل هنا بدوره أن يستجدي التنظير لمشروع اغتياله من سميه « سليمان الحلبي » كما كتبه ألفريد فرج . ولكن هل كان هو حقاً مثل « سليمان الحلبي » بطل ألفريد فرج ؟

يقول سليمان الحلبي ، بطل هذه الرواية ، وهو يخاطب نفسه ، وكأنه يخاطب شخصاً آخر :

للمرة الأولى - منذ اتخاذك قرارك - تحسك عاجزاً عن أن تسأل نفسك عن جدوى التنفيذ بناء على الآثار المترتبة عليه !

نحن إذن أمام « سليمان حلبي » آخر ، تكتمل ملامح صورته حين يلتقي « شيرين » في الأيام الأخيرة ، فمن هي شيرين ؟

شيرين :

هي إنسان آخر غير « سلوى » و « إقبال » ، مع أنها من مصر ، إلا أنها عاشت في قلب بلدها الذي لم تغادره نفياً ، لا يقل قسوة عن مناخ

البلدة التي قدم منها سليمان الحلبي ، تزوجت لأسبوع من زميل دراسة خليجي ، حين علم أهله بالقصة جاءوا وأخذوه ، ليتم دراسته في أمريكا ، ثم جاءوا بعد تسعة أشهر ليأخذوا ابنه ، ليتربى في مدارس لندن ، ودخلت هي مستشفى للأمراض النفسية ، لتخرج إلى الدنيا وهي تعامل كنزيلة سابقة لمصحة نفسية ، امرأة تبحث عن الاعتراف دون معرفة ، والأمان ، لا أكثر ، ولم يكن لديها ما تقدمه سوى الحب بلا شروط ، والفهم دون تعال ، ولحظة الحاضر دون أثقال الماضي . أكانت هي كل ما يحتاجه سليمان الحلبي في زمن آخر ، وفي زمنه ذاك الأخير . إن الطريقة التي تتطور بها العلاقة بين سليمان الحلبي في أيامه الثلاثة الأخيرة وبين « شيرين » هي الإنجاز الأكبر حقاً في بناء هذه الرواية !

من إنجازات البناء في الرواية :

سوف يظفر بجوائز جديدة من يعيد قراءة هذه الرواية مرة أو مرات ، من يتأمل أسرار بنائها الفني ، وكيف تم فيه توظيف كل العناصر في الرواية ؛ الشخصيات ، المكان ، الزمان ، بما يحقق درجات عالية من الإحكام والقصد ، وكيف كان هذا التوظيف نفسه يطلق طاقات هذه العناصر ، ويحررها ، لتكتسب وجوداً متميزاً خاصاً ، ودلالات خاصة ، بالإضافة إلى دورها في الرواية ككل ، وسوف يتأمل القاريء دلالة النيل ودوره في بث الشعور بالاستمرار والتجدد والعطاء والأمان ، وكيف يتردد في كل أزمنة الرواية وأمكنتها الشعور بالخوف من التخلي .

سوف يلاحظ القاريء ـ كما أشرنا ـ أن الرواية كلها مقدمة من خلال صوت الراوي (الضمير الأول) ، وأن الراوي حتى حين كان يتحدث عن نفسه أو إليها كان يخاطب ذاته كما لو كانت شخصاً آخر !

ولا شك أن هذه التقنية كانت تجسد جو العزلة التي يعيش فيها بطل الرواية ، بعد أن عجز عن التفاعل الإيجابي مع الآخر ، وكان من الطبيعي في هذا الإطار أن يخرج من ذاته « آخر » يتحدث إليه ، ويحاوره « آخر » على مقاسه ، ليزحزح جدران العزلة التي يعيش فيها ، كما أن هذه التقنية كانت تتيح له أن يعلق على أقوال الآخرين ومواقفهم ، كما كان يعلق في زمن الرواية الأخير على أقواله هو نفسه في الماضي ومواقفه ، مما يفسح المجال للكشف عن غوامض ذاته وهواجسها ، وتطورها في الوقت نفسه !

أتاحت تقنية البناء القائمة على الاستدعاء المتقطع كجزء من الموقف في الحاضر ، أن تبدو شخصيات الماضي ، وكأنها تتحرك بحريتها ، تقدم نفسها بنفسها ، تروح وتجيء ، تتمتع باستقلال كامل ، مع أنها جزء من عالم البطل الداخلي .

ما يتسم به سلوك البطل في بداية الأيام الثلاثة من حذر وانطوائية مشوبة بالبساطة والتلقائية ، هو سلوك طبيعي بالنسبة لظروفه ، وهو ما يجتذب « شيرين » إليه . وتلقائية « شيرين » نفسها هي ما تجعل « سليمان الحلبي » يطمئن إليها على الرغم من حذره !

حين يظهر الجانب الملتبس في شخصية « شيرين » يكون الارتباط بين « سليمان الحلبي » وبينها قد أصبح قوياً ، وتسهم الطريقة التي يزول بها هذا الالتباس في الكشف عن جوانب عديدة في شخصية « سليمان الحلبي » ، تقربه أكثر من « شيرين » ، وتكاد تختصر عامل الزمن المطلوب لأي تقارب حقيقي .

* النزعة العملية عند « سلوى » ، وعقلانية « إقبال » ، تبرزان تلقائية « شيرين » وقيمة عطائها غير المشروط .

*الدور القاسي للمجتمع في حياة « شيرين » يناظر ويحاور الدور القاسي لتمزق المجتمع وفقدان الهوية في حياة « سليمان الحلبي » .

* حين تتخلف الشخصية السياسية عن موعدها المحدد ، ويبدو أن العملية سوف تلغى

أو تتأجل لسبب خارجي يفضح الموقف الطاريء مشاعر البطل التي كان يكبتها طوال الوقت ، فإذا ظهر بعد لحظات أن التأخير طاريء ، وتجيء الشخصية ويتم الاغتيال ، يكون قد أصبح واضحاً أن الذي تم ليس هو إنجاز الحلم القديم ، وأن الذي تم اغتياله حقاً هو الحب الوليد في الأيام الثلاثة الأخيرة !

من سلبيات البناء في الرواية :

حين تكون قضية الاغتيال السياسي هي المحور الأساس في رواية ما ، فإن مثل هذا المحور يفرض بداهة أمرين : الأمر الأول هو البحث عن دوافع الاغتيال في ذات البطل ، ومكونات شخصيته الفردية . والأمر الثاني هو البحث عن هذه الدوافع في إطار القوى الاجتماعية (الأحزاب أو المنظمات السياسية) التي يكون عجزها عن القيام بمهام الحركة الوطنية هو في الغالب من أهم دوافع ظهور الاتجاه إلى الاغتيال السياسي الفردي تعبيراً عن اليأس من قيام هذه الأحزاب بدورها .

ولقد سمح بناء هذه الرواية الذي يقوم على تقديم أحداث الرواية كلها ، من خلال صوت الراوي ، بالكشف عن دوافع الاغتيال في أعماق شخصية البطل ، وشتى ظروفه الخاصة ، لكنه لم يكشف في الوقت نفسه وبالقدر نفسه عن هذه الدوافع في إطار الظروف الاجتماعية العامة ، وفي إطار التمزق الذي ساد عمل الأحزاب والمنظمات السياسية في ظروف « بيروت » بخاصة ، وفي ظروف الأمة العربية بعامة !

وبالتأكيد فإن اختيار الكاتب لهذا البناء القائم على عرض الرواية ، من خلال صوت الراوي وحده ، كان واحداً من أهم أسباب هذا الاختلال في التوازن ، المطلوب في عرض دوافع الاغتيال ، في جانبيها الفردي والاجتماعي ! □



من يتذكّر مملكة "الزولو"..؟

بقلم : يوسف شلب الشام *

ما يزال تاريخ أفريقيا في عمومه مجهولاً لنا ، على الرغم من وجود الروابط المشتركة بيننا وبين شعوبه ، وهذه تجربة قادها أفريقي متميز ، في مطلع القرن التاسع عشر ، عندما كوّن « تشاكا » مملكة الزولو في جنوب أفريقيا .

فمن يتذكر مملكة « الزولو » هذه .. ؟ !

قدمت قبائل « البانتو » في هجرات متوالية من الشمال إلى الشرق والوسط من أفريقيا ، بدءاً من القرن الأول للميلاد ، وربما قبل ذلك بعدة قرون . وطردت أمامها قبائل الأقزام من « البوشمن » و« الهوتنتوت » الذين كانوا يسكنون هذه المناطق من قبل ، حتى أجبرتهم على اللجوء إلى الجنوب من نهر « ليمبوبو » ، والانتشار في أصقاع أفريقيا الجنوبية . وأتى هؤلاء « البانتو » ومعهم صناعة الحديد ، فأضافوا بذلك مرحلة جديدة على حضارة أفريقيا الشرقية والوسطى ، وأقاموا فيها مجتمعات مستقرة جديدة ، عرفت درجة متقدمة

* كاتب من القطر العربي السوري .



من التنظيم ، وأقامت القرى والحكومات ، وعقدت صلات تجارية عبر ساحل المحيط الهندي مع الشعوب المحيطة ، فأثرت وتأثرت بها ، وأقامت ممالك كان من جملتها مملكة « مونوموتابا » التي ازدهرت إلى الجنوب من نهر الزامبيزي . وكان لهذه المملكة شأن في بناء الحضارة الزنجية ، حتى قضى عليها التدخل الأوربي في نهاية القرن التاسع عشر ، بعد عهد طويل من البناء والعطاء .

بداية الاقتحام الأوربي :

وبقيت شعوب البانتو قابعة في الشمال من نهر « ليمبوبو » لا تبرحه حتى مطلع القرن الخامس عشر ، حيث بدأت باجتيازه والانتشار حول الجنوب .

فطردت أمامها من جديد قبائل الأقزام من « البوشمن » و « الهوتنتوت » ، ففر الأولون إلى صحراء « كالاهاري » في الغرب ، بينما لجأ الأخيرون إلى أقاصي أفريقيا الجنوبية ، حيث وجدهم البرتغاليون هناك عندما داروا حول رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن ، كما كانوا ما يزالون هناك عندما وصل الهولنديون في منتصف القرن السابع عشر ، بعد أن انتزعوا من البرتغاليين امبراطوريتهم ، ومن جملتها جزر « الصوند » .

وقد هاجر إلى جنوبي أفريقيا بعض الهولنديين ، فعملوا بالزراعة ، وتلاهم فرنسيون من « البروتستانت » ، في أعقاب الاضطهادات الدينية التي جرت في بلادهم . فتألف من هذا الخليط شعب من المزارعين الأوربيين ، أطلق عليهم اسم « البوير » ، تغلب عليهم اللغة الهولندية ، ويعتنقون المذهب البروتستانتي .

قبائل شتى

لم تكن قبائل « البانتو » التي انتشرت جنوبي نهر « ليمبوبو » تحمل اسما واحداً ، كما أنها لم تكن تحت سلطة زعيم واحد ، فإلى الجنوب من النهر مباشرة كان يسكن شعب « السوازي » ، ويليه في الجنوب شعب « النغوني » ، ثم « البوندو » وأخيراً « الكسوزا » الذين كانوا يواجهون « البوير » عبر نهر « فيش » . وكانت مواطن هذه الشعوب كلها محصورة بين ساحل المحيط الهندي وبين سلسلة جبال « دراكنزبرغ » الصعبة المسالك ، الغنية بالينابيع . أما إلى الغرب من هذه الجبال فكانت تمتد هضاب خصيبة ، وصلتها قبائل أخرى من « البانتو » ، أشهرها « السوثو » و « البتشوانا » .

كانت الحياة الاقتصادية « للبانتو » تعتمد على الزراعة ، فهم يزرعون الذرة والدخن منذ عهد

طويل . وقد أدخلوا زراعات آسيوية من أنواع الأشجار المثمرة .

وتقدمت لديهم صناعة الفخار المزخرف ، إضافة إلى ما أتوا به من الصناعات المعدنية . وقد بنوا البيوت والقرى المحصنة ، وأوجدوا نظماً إدارية متقدمة ، وعرفوا فنون القتال بأسلحتهم التقليدية ، وعبدوا مظاهر الطبيعة التي كانوا يرون في كل منها إلهاً ، كما عبدوا ملوكهم ، وعدُّوهم صورة للآلهة على الأرض ، وقدسوا فيهم السلطة ، وأعانوهم بطاعتهم على حفظ النظام .

ولم يكن الملك في أغلب الأحيان يحكم كل شعبه حكماً مباشرا ، وإنما عن طريق أمراء ، يحكم كل منهم في أمور عشيرته . وكذلك كان شعب « النغوني » ، أحد شعوب « البانتو » ، إذ كان ملكه الأعلى يحكم عن طريق الأمراء ، وكان أحد هؤلاء الأمراء هو « سينزا نفاكونا » .

نجم أفريقي يبزغ

لم يكن « لسينزا نفاكونا » ولد ذكر يخلفه في الإمارة ، فزوجاته الثلاث لم يلدن له إلا الإناث . وفي ليلة شاهد « نانـدي » الجميلة ، وترصدها حتى أوقع بها وحملت منه ، وعند ذلك لم يجد بدا من أن يعقد عليها ، فولدت له ولداً ذكراً سماه تشاكا ، وأصبح من المنتظر أن يكون خليفته في الحكم . لكن « نانـدي » لم تكن من بيت عريق ، وحتى أنهم اتهموها بأنها كانت راقصة . وشاء سوء حظها أن تلد نساء الأمير الأخريات أولاداً ذكوراً أغنوه عن ابنها . واضطر هو تحت ضغط نسائه أن يطردها مع ابنها ، واضطر الذي كان مقدراً له أن يكون ولياً للعهد أن يعمل في أحط الأعمال وأصعبها حتى يكسب لقمة العيش .

لكن حياة الشقاء التي عاشها علمته كيف يكون صلب العود ، فمارس كل أنواع القتال ، وساعده شعوره بالظلم من إخوته وأبيه على أن يكون قوي الشكيمة ، وساعدته قناعته بأنه أمير على أن يكون قائداً لأقرانه ، يجمعهم ويوجههم حيث يشاء . وكان قوي البنية حتى أن الأخبار روت عنه أنه قادر على التغلب على الأسود ، وأنه أنقذ مرة فتاة من بين براثن ضبع ، حتى عمت قصص بطولته الآفاق ، واستدعاه ملك « النغوني » ليكون في خدمته ، وما لبث أن أصبح مساعداً له .

ولما توفي « سينزا نفاكونا » خلفه « تشاكا » في إمارة عشيرته بمساعدة من ولي نعمته ملك « النغوني » ، وانتقم من إخوته لأبيه ، ومن نسائه اللواتي كن سبباً في شقاء أمه وإذلالها وموتها . وأنشأ قوة مقاتلة من أقرانه ، ليكونوا في مساعدته عند الحاجة ، ثم عاد إلى قصر الملك ليضع نفسه في خدمته من جديد .

في غياب « تشاكا » كان عرش المملكة قد تعرض للضياع ، إذ أن الملك في بعض حملاته التوسعية نسي أن يأخذ الحذر بعد عودته ففاجأه الأعداء في عقر داره وقتلوه ، وركزوا رأسه على رمح في الساحة العامة ، حيث وجده « تشاكا » على هذه الحال عندما عاد من رحلته ، فسارع لملاحقة الأعداء حتى قضى عليهم ، ثم عاد ليهتف له الشعب بالملك ، بعد أن تزوج أخت الملك المقتول ، وبذلك بدأت سيرته في مملكة « الزولو » .

كان « تشاكا » واسع المطامع ، فأراد أن يجمع كل شعوب « البانتو » في أفريقيا الجنوبية في مملكة واحدة ، يكون هو على رأسها ، لتتمكن من الوقوف في وجه الأخطار التوسعية التي كان يمثلها « البوير » في الجنوب ، وأراد ألا تكون هذه المملكة مؤسسة سياسية عابرة ، تزول بزواله ، بل أن يجعل من « البانتو » أمة بالمعنى القومي للكلمة ، سواء كان ذلك عن قصد منه أو عن غير قصد . وكان يعتقد أن الطريق إلى ذلك يتم عن طريق إذابة اللغات المحلية لهذه الشعوب في لغة واحدة ، هي لغة النغوني ، لتكون المؤشر الثقافي

والقومي لهذه الأمة في المستقبل ، وقد عمل طول حياته لتحقيق ذلك .

بدأ « تشاكا » بتغيير اسم شعبه ، فقد كان لفظ نغوني يعني الصغير في لغة « البانتو » ، فأطلق عليهم « زولو » ، أي رجال السماء . ثم قام بتنظيمهم تنظيماً عسكرياً واجتماعياً ، لم يكن له مثيل بين الشعوب الأفريقية .

الإعداد لتكوين مملكة

أقام « تشاكا » عاصمة له ، سماها « أومغونغوند لوفو » ، أي القوية كالفيل ، وجعلها في مكان حصين ، عند التقاء عدة أنهار . وكان يحيط بها سور ضخم ، ويجتازها شارعان رئيسان متعامدان عريضان ، يلتقيان في ساحة واسعة ، كانت تجري فيها التدريبات



● مملكة الزولو في أقصى اتساع لها

العسكرية . وبالقرب منها تقع المساكن الملكية ، ودار القضاء ، ومساكن الوجهاء .

أما المجتمع فأصبح كله في خدمة الحرب ، وأصبح الرجال من سن البلوغ حتى سن الشيخوخة مجندين في الجيش ، يقضون وقتهم في القتال أو التدريب . وحتى الختان الذي كان شائعاً في مجتمع « البانتو » لم يعد له متسع من الوقت لما كان يقتضيه من طقوس . ولم يعد الذكور وحدهم يطلبون للخدمة العسكرية ، بل صار يطلب لها الإناث أيضاً ، حيث شكلت منهن فرق عسكرية ، لم تكن تقصر مهماتها على الخدمات اللازمة للجيش ، بل كان يطلب منها أن تشترك في القتال عند الضرورة وتتدرب عليه . ولم يعد الزواج خاضعاً لرغبة الرجال ، بل أصبح ضرورة اجتماعية تمليها ضرورات الحرب . والأسرة لم تبق كما كانت في الماضي ، خلية صغيرة من خلايا المجتمع ، يسأل عن إعالتها رب البيت ، بل أصبحت مسئولية المجتمع بأسره . وقد قضى « تشاكا » ألا يتم زواج الرجال إلا في سن متأخرة ، وبعد أن يكونوا قد خاضوا عدداً كبيراً من المعارك ، وأبلوا فيها البلاء الحسن . فيكون الزواج عند ذلك مكافأة لهم على شجاعتهم ، ولا يكون الزواج فردياً ، بل جماعياً ، حيث تقوم فرقة من الذكور بالتزاوج مع فرقة من الإناث ، يحددها لها القائد الأعلى « تشاكا » . ويكون الأولاد في رعاية المجتمع ، ذلك لأن الأسرة تلهي عن الحرب والحنين إلى الزوجة والأولاد ظاهرة من ظواهر الضعف التي يجب أن يتخلى عنها ـ في رأيه ـ المجتمع المحارب .

القوة والعنف

وخلال إعداد لهذه القوى الكبيرة لم يكن « تشاكا » يكف عن التوسع ، وكان توسعه الرئيسي باتجاهين : أولهما نحو الجنوب من أراضي « الزولو » ، حيث كانت تعيش شعوب

« البونـدو » و « الكسـوزا » . فـأحـرز عليهم الانتصارات المتوالية ، حتى ضم بلادهم إليه . ووصلت فتوحاتـه حتى نهر فيش . والثاني كـان نحـو الغرب ، وكـانت جبـال « دراكنـزبـرغ » تشكـل حاجـزاً طبيعيـاً صعب المسـالـك أمـام طموحاته ، وهي التي حصرت شعب « الزولو » أمداً طويـلاً بينها وبـين المحيط الهندي . ولكن جيش « تشـاكا » الـذي اعتـاد أن يتغلب عـلى الصعاب تمكن من التغلب عليها ، وانـطلق في الهضـاب الغربيـة المعتدلـة المنـاخ التي تسكنهـا شعـوب « السوثـو » و « البتشوانـا » المقـاتلة ، فتغلب عليهـا بعـد معـارك طـويلة داميـة ، وأصبحت امبراطوريته تمتد الى أطراف صحراء « كـالاهاري » ، وتشمـل ما يسمى اليـوم بلاد « التزانسفال » و « البتشوانالاند » الى الغرب من جبال « دراكنزبرغ » . وكان « تشاكا » قبل ذلك قـد ضم إليه بـلاد « السوازي » في الشمـال ، فأوصل حدوده بذلك إلى وادي « ليمبوبو » وأتم توحيد قسم كبير من شعوب « البانتو » في تنظيم سيـاسي كبير كـان يمكن أن يكـون لـه أثـره في الـوقوف أمـام الأطماع الأوربيـة لو قـدر له أن يستمر .

أخطاء تقود إلى الانهيار

كان « تشاكا » منشيء هذه الوحدة السياسية الكبيرة دموياً وقاسياً على أعدائه المنهزمين . ومن هنا جاءت كبرى خطيئاته ، فقد كان يوسع القتل بمن يدخل بلادهم إلا الشباب والصبايا الـذين يشترون حياتهم بالانخراط في جيش « تشاكا » ، ويـتخـلون عن لـغتـهم ، ويـتكـلمـون لغـة « الـزولو » ، ويقـدمون « لتشـاكـا » التقـديس الإلهي الذي يقدمه له شعبه . وكان لهذه السياسة وجهـان : أولهـا إيجـابي ، لأنـه وحـد شعـوب « البـانتـو » في ظـل لغـة واحـدة ، هي لغـة « الزولو » ، لتكون أساساً لوحدة قومية مقبلة . والثـاني سلبي ، لأن القسـوة التي عـامـل بهـا الشعوب المغلوبة جعلتها تفر أمامه طالبة النجاة ، حتى أصبحت مملكة « الزولو » مركز نبذ شـديد للشعوب ، تنطلق منها نحو الجنوب والشمال ، مما أدى إلى اضطراب ديمغرافي كبير شهدته أفريقيا الجنوبية والشرقية ، خلال القرن التاسع عشر ،

أمـا الخطيئـة الكبـرى الثـانيـة التي ارتكبهـا « تشاكا » فكانت قسوته على جنوده ، ومغالاته في خوض الحروب التوسعية .

هذه الإمبراطورية الاسبارطية البالغة التنظيم لم تهزمها قـوات خارجيـة ، ولكنها تفككت من الداخل . وقد بدأ الأمر عندمـا فرت فـرقة من الشباب مع فرقة من الإنـاث للزواج بعيداً عن متناول يد الطاغية . ثم بدأ التمرد العلني .

وهكذا انهارت هذه الامبراطوريـة الواسعـة التي لعب فيها شعب « الزولو » دور القائد الموحد المنـظم . وتعرضت أراضيهـا لغزو « البـويـر » الآتين من الجنوب . ومـا لبثت شيئاً فشيئـاً أن ابتلعتها أفريقيا الجنوبيـة . □

أحسن ما رأته



● سار أحد الشبان بخطيبته إلى دار التمثيل ، ومثلت في تلك الليلة مسرحية جميلة ، فلما خرج الخطيبان قال الخطيب :

ما أحسن شيء رأيته في المسرحية ؟

فقالت : العقد الذي كان في عنق الممثلة .



منتدى العربي

قضيّة

الحُريّة والعدالة والمساواة

بقلم : الدكتور يوسف الشين*

تظل القيم المطلقة مطلقة المعنى والدلالة ، ما لم يضع الإنسان حدوداً وتصوراً لهذه القيم وكيفية سيادتها . وعبر مسيرة الإنسان ، منذ فجر التاريخ ، استطاع أن يصنع توليفاً بين المطلق وبين الممكن والمتاح . عن أحلام الحرية والعدل والمساواة يستعرض الكاتب مسيرة الإنسان ونجاحه حيناً وإخفاقه حيناً آخر ، وهو باستعراضه ينقد حيناً ، ويطرح تساؤلات حيناً آخر ، لعل النقاش العام حول القضية يزيدها ثراء ومعرفة .

الحرية حاجة ضرورية لكل كائن حي ، وهي مطلب أساس لكل إنسان ، والمساواة في الإنسانية أمر لا خلاف عليه ، فلم يعد يقبل العقل البشري تلك الصورة البشعة التي تلهب فيها سياط السادة ظهور العبيد ، ولا تلك المعاناة الحرجة التي يعيشها أجير كادح ، يتقاضى جزءا ضئيلا مما يعادل جهده ، ولا تلك الملاحم التاريخية الساخرة التي تتمتع فيها العقول بحرية مطلقة في المفاضلة بين المعاناة والموت .

ومع ذلك إذا أردنا أن نشير إلى ثلاثة متناقضات ، لا يمكن التوفيق بينها ، فعلينا أن نستشهد بالحرية والعدالة والمساواة . ولسوء الحظ أن الإنسان ينشد سعادته في هذه المعادلة الصعبة .

* د . يوسف حامد الشين ، أستاذ الفلسفة بجامعة قار يونس (الجماهيرية الليبية) .

أسس التعايش الاجتماعي

إن الحرية المطلقة استبداد مطلق ، وهذا الأمر مبني على المنطق الجدلي من ناحية ، وعلى مسلمة أخرى ، فحواها أن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده من ناحية أخرى . غير أن الإنسان بفضل تطوره العقلي استطاع الوصول إلى مركب من النقيضين ، إنه تعايش الأفراد بالاتفاق في ما بينهم على حقوق وواجبات عامة ومحدودة ، يستوى فيها الجميع . هذه المرحلة من النضج العقلي هي التي أخرجت الإنسان من حياة الهمجية إلى حياة تتسم بنسبة من الاستقرار . لكن هذا الخروج فوّت على الإنسان في الوقت نفسه الحياة الآنية التي تخلو من همّ التفكير في الماضي والمستقبل ، ليدخل في مرحلة القلق وشقاء الضمير . وبذلك دفع الإنسان لهذا التعايش الاجتماعي جزءا لا يستهان به من حريته . غير أن فكرة المساواة في الحقوق والواجبات تعني حقوقا وواجبات عامة ومحدودة . ومن الواجبات العامة التي يجب أن يتساوى فيها الجميع واجب الدفاع عن الوطن الذي يعد التهرب منه خيانة ، مهما كان أو تحت أي ذريعة . أما الحقوق الجوهرية العامة التي يجب على المجتمع أن يوفرها للفرد ، كحد أدنى ، مقابل ما تنازل عنه من حرية ، فهي تتمثل في تشريع قوانين ثابتة ، مقدسة من الجميع ، تكفل له الشعور بالأمان ، بحيث لا يتوقع الفرد الضربة عند كل منعطف في حياته . وهذا شرط أساس ، بدونه تكون المقايضة السالفة الذكر ، صفقة خاسرة بالنسبة للفرد .

إن الشعور بفقدان الأمان عند الفرد ، في كثير من بقاع العالم ، جعله يتراجع عن هذه الصفقة ، ويجنح لاسترداد ما سلب منه بدون مقابل . وهذا الجنوح يتمثل في الثورات السياسية التي تتفجر من حين لآخر ، معلنة الاحتجاج على ممارسات استبدادية . ويظهر أيضا في ثورة الفرد ، لأخذ ما يرى أنه قد سلب منه بغير وجه حق ، في ظل قوانين ظالمة .

إن الأمان بالنسبة للفرد يعني الشعور بالطمأنينة ، تحت مظلة القانون الراسخ الذي يصنعه الجميع ، وينحنون أمامه بدون استثناء . كما يعني أيضا الركون إلى حياة هادئة ، لا تنغصها قوانين ظالمة ، أو يهددها حكم جائر . وبدون هذا الشعور عند الفرد ، يسقط كل ادعاء بالحرية ، مهما كثرت شعاراته ، أو ملأت الدنيا ترانيمه . لكن مشكلة الإنسان المستعصية ، منذ أن بدأ حياة الجماعة ، تكمن في علاقة القوانين والتشريعات الدستورية بحقوقه الخاصة . فالأمان يعني بالنسبة للفرد ، من هذه الزاوية ، القدرة سياسيا على الرفض ، والقدرة اقتصاديا على اقتناء ما يعادل جهده . ومن هنا ظهرت التشريعات السياسية والاقتصادية التي تنظم أسلوب الحكم ، وتحدد حصة الفرد من ثروة المجتمع والإنتاج العام . غير أن هذه التشريعات بقيت مشكلة المشاكل بالنسبة للفرد ، فقد فشلت في تحقيق المتناقضات الثلاثة التي ينشدها الإنسان ، أي : الحرية والعدالة والمساواة . إن هذا الفشل لا يرجع بالطبع لصعوبة الجمع بين هذه المستحيلات فحسب ، ولكنه يعود أيضا لكون هذه التشريعات صادرة عن جزء من المجتمع ، وبالتالي فهي تمثل مصالح هذا الجزء دون سواه .



المفهوم الشائع للمساواة :

المساواة قضية شائكة معقّدة ، لكنها تبدأ - عادة - بالتشريعات الوضعية التي تحدد أسلوب الحكم ، وتنظم الحياة الاقتصادية في المجتمع . ويبدو أن تباين هذه التشريعات جاء للإجابة عن تساؤلات مفادها : هل من العدل أن يتساوى أفراد المجتمع سياسيا واقتصاديا ، بغض النظر عن الجهد والقدرات ؟ وهل من العدل أن تتساوى آراء الجهلة والعلماء في تقويم الحياة العصرية ومعالجة مشاكلها ؟

إن معظم الذين يجيبون عن ذلك بالإثبات ، إما أن يكونوا من المثاليين ، وإما من الذين يجهلون تفاوت القدرات الفردية ، وإما أن يكونوا من الزعماء الذين يدعو معظمهم للمساواة نظريا ، ويخرجون أنفسهم من دائرتها عمليا . إنهم يخلدون أنفسهم في كتب التاريخ على حساب غيرهم ، كدعاة للحق وأئمة للفضيلة . وهذا في حدّ ذاته خروج عن العدل ومروق عن فكرة المساواة .

لكن الإجابة عن هذه التساؤلات جاءت مجانبة للصواب ، بسبب سوء فهم المعنى الحقيقي للمساواة التي أصبحت بمفهومها الشائع ظلما ، ونقيضا للعدل ، ومصدرا للمرارة عند البشر . إن المساواة الحقيقية التي يفرضها منطق التحضر هي « المساواة في التباين » ، أي المساواة بين من يتساوون في قدراتهم الفعالة من الناحية العقلية والعملية ، بينما يظل التباين قائما بينهم ، وفقا لاستجابة كل منهم لأداء الواجب . هنا يتوافق العدل مع المساواة ، ويصبح التباين بين الناس ثمرة حقيقية للاختلاف في النشاطات العقلية والعملية بينهم ، ويبرز الحافز عاملا فعالا ، في حثّ تلك القدرات وإثارتها .

بذلك يصبح النشاط المشروع للفرد علّة أساسية ، في ترقيه في سلم الحياة ، الماثل أمام الجميع . وهنا تتكافأ الفرص ، وتتسابق الجهود ، في إطار المفهوم الحقيقي للمساواة ، لتنال النفوس نصيبها من الدنيا ، وتقتنع بما تصل إليه في دنياها ، وفقا لجهدها الحقيقي ، فترتفع المعنويات ، وينمو المجتمع ، ويزدهر اقتصاديا واجتماعيا ، في رحاب العدالة الحقيقية ، ويختفي الحسد ، حيث لم يعد له من مبرر .

لكن العقول البسيطة والمباديء الفجّة دأبت على توأمة العدالة والمساواة في نطاق القدرات الطبيعية ، والفروق الفردية ، على الرغم من الرفض المطلق لهذه الفكرة من جانب نواميس الطبيعة ، المتمثلة في قانون الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح ، وقديما قيل : إن المساواة في الظلم عدل . وهذه مقولة زائفة ، فعندما يتساوى الناس في الظلم ، لا بد أن يكون هناك ظالم واحد على الأقل ، خرج عن دائرة الظلم ، وكان سببا للمساواة فيه .

تجارب ونتائج :

لقد عجز النظامان التقليديان في العالم الحديث - الرأسمالية والاشتراكية - في مجالي الاقتصاد والقيم الخلقية ، عن التوفيق بين المعطيات الثلاثة الآنفة الذكر . فالرأسمالية قامت على الخلط بين احترام القدرات الفردية المشروعة ، والقدرة الفائقة على الاحتيال ، والتلاعب بالقيم العامة في كسب الثراء . وهي خصال يتحلى بها « السماسرة » ، وأغنياء الفرص غير المشروعة . هذا بجانب جشع كثيرين من أرباب العمل ، وملاك العقارات ، الذين كثيرا ما يستندون في جشعهم ، وثرائهم الفاحش ، على قوانين ظالمة ، لا تراعي مصلحة المجتمع ، ولا تعبأ بمستقبل الدولة . ولهذا السبب ، كثيرا ما يئن الفرد في ظل هذا النظام ، تحت وطأة عناء الحياة المفتعل ، ويظل في حالة من القلق المستمر ، وفقدان الطمأنينة ، نتيجة لضغوط الحياة العصرية ، ومتطلباتها من ناحية ، ومغرياتها الداعية للانحراف من ناحية أخرى .

وإذا كان من صفات المجتمع الرأسمالي الحرية الاجتماعية ، والخلق والإبداع والنمو الدءوب ، الناتج عن احترام الفروق الفردية المشروعة التي يرجع إليها الفضل في إيجابيات هذا النظام ، فإن من أسوأ صفاته تردي النفوس الفردية ، وجنوحها نحو الفساد ، واستغلال بعضها بعضا باسم القانون ، وبأبشع الطرق .

وعندما تفاقمت المعضلات في النظام الرأسمالي ، جاءت الاشتراكية التقليدية ، كردّة فعل متطرفة لها ، ومبشرة بالحرية والعدالة والمساواة بين الناس في كل شيء . كما طرحت نفسها سبيلاً للمحرومين والمظلومين ، فكان لها الفضل في قهر المجاعات المتفشية بين غالبية القوم ، في وقت يعم فيه الرخاء بين الأقلية المستغلة من أبنائه . فهبّ الكثيرون وآمنوا بمبادئها ، وبشروا بها . وهذا أمر طبيعي ، فعندما لا تجد الأفواه الجائعة من يطعمها ، تستسلم للقمة العيش تحت أي نظام يوفرها . ولكن ما إن يختفي شبح الجوع عن أعين الناس ، حتى تبدأ العقول في الطموح والترقي بفعل الفطرة ، وبفعل الفروقات الفردية بينها . وهنا تنتهي القناعة بالاشتراكية التقليدية من العقول . ولما كانت صحوة التطلعات عند الفرد تعقب لقمة العيش ، كان لزاما على كثير من النظم المستبدة ، أن تتعمد التقتير على مواطنيها ، حتى يظلوا بصورة مستمرة دون مستوى هذه الصحوة ، وبمنأى عن التفكير في أسلوب الحكم ومساوئه .

لقد كانت التجارب السيئة للنظم الاشتراكية التقليدية ، دعوة للتخوف من المساواة في الفقر بصورة سرمدية ، فقد يشقى الإنسان في البؤس والفقر ، لكنه يحتمله عندما يرى فيه مرحلة عابرة من حياته ، تزول بفعل قدراته الفردية ، وطموحاته المشروعة التي لا يعيقها عائق . لكن الإنسان السوي يرفض الفقر رفضا مطلقا ، عندما يرى فيه مرحلة أولى وأخيرة من حياته ، دون مبرر مقنع . ولا يُقنع الإنسان على الإطلاق ، الادعاء بأن سعادته تكمن في قوة دولته الاشتراكية التي يحال إليها فائض جهده ، والتي قضت على جشع أرباب الأعمال لتحل محلهم في الاستيلاء على *فائض القيمة* ، والاستحواذ على ثروة المجتمع ، لتتصرف فيها كما تشاء . فقد سقط بالاشتراكية أرباب الأعمال و« سماسرة » الذمم ليظهر على مسرح المجتمع رب عمل واحد ، يطعم الأفواه الجائعة ، ويقول لهم : أنتم سواسية ، مهما تفاوتت قدراتكم في العطاء ، وأنتم مبشرون بالنعيم ، يوم تتكدس الثروة .

وعلى الرغم من قيام الدولة الاشتراكية الأولى منذ نيف وسبعين سنة فقد ظلّ مواطنوها يعيشون في معظمهم على الكفاف ، وظلّت مقتنياتها التقنية تعتمد في معظمها على ما يمكن أن يتسرب لها من ثمار القدرات الفردية في عالم ما قبل الاشتراكية . ولعل السبب الرئيس لهذا الركود الاجتماعي ، هو كون الدولة الاشتراكية ضربا سيئا من ضروب رأسمالية الدولة ، وكونها سيدة للإقطاع الصناعي بدون منازع . فهي تملك الأرض ومن عليها ، مقابل سدّ قوت الأفراد ، وبقائهم على قيد الحياة .

لقد أثبتت الأحداث التاريخية المعاصرة بواقعية حاسمة فجاجة التطرف ، والهشاشة اللامتناهية في تقييم المثل الأخلاقية ومعنويات المجتمعات ، عندما ذُهل العالم برمته ، وفوجيء بأرتال من الجيش الأحمر الصيني تحارب جنبا إلى جنب مع زعيمة الاستعمار ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ضد رفاق العقيدة من أبناء الاتحاد السوفيتي . وكان ذلك في أنجولا سنة ١٩٧٥ .

كما عكست التطورات النهائية لتقييم أوضاع الاقتصاد الاشتراكي التقليدي ، التراجعات الجريئة التي انتهت إليها القيادات المعاصرة للاشتراكية التقليدية ، فهي تصحيح المسار ، وذلك بمغازلة اقتصاد « التشاركيات » ، والعودة إلى كرامة الإنسان ، واحترام حرية الفرد .

أما المجتمعات الرأسمالية الحديثة فإنها لم تتمكن حتى الآن من التخلص من عيوبها بشكل واضح على الرغم من استقرارها النسبي ، فما زالت مجتمعات أرباب الأعمال الذين في معظمهم لا يؤمنون إلا بأنفسهم ، والذين يطوعون قوانين المجتمع كلما سنحت لهم الفرصة بذلك ، لخدمة أهدافهم الفردية .

الفروق الفردية سلاح ذو حدّين :

وعلى الرغم من أن فكرة الفروق الفردية ، والحوافز والطموحات ، تفرض نفسها في تحديد العلاقة بين فكرتي العدل والمساواة ، فإن للحذر أهمية من سوء استغلال هذه الفكرة ، فقد تميزت الديمقراطية الحديثة باستغلال الفروق الفردية استغلالا يسيء لأهميتها ، وينذر من خطر الجنوح بها عن هدفها النبيل ، وهو خلق التوازن في تحقيق الانسجام بين أفراد المجتمع من ناحية ، وتحقيق الحضارة من ناحية أخرى . إن هذا النوع من الديمقراطية يفتح للأفراد باب الصراع على السلطة على مصراعيه ، حيث يبرز الجانب المظلم للفروق الفردية ، ويصعب تحقيق القوانين ، وذلك نتيجة للتطاحنات المتفاقمة في المصالح والآراء . فيختلط الحق بالباطل ، وتسخر مهن شريفة في كثير من الأحيان تحت تطلعات الثراء الفاحش ، لغير أهدافها ، فتتحول المحاماة مثلا في بعض الأحيان عن هدف ترسيخ الحق وإبطال الباطل ، لتصبح أداة للمتلاعبين ، وهيئة استشارية لتنفيذ عمليات النصب واغتصاب الأموال العامة والخاصة .

وهنا يصل المجتمع إلى ما وصل إليه نقيضه ـ مجتمع تجاهل الفروق الفردية ـ أي إلى فقدان الطمأنينة والأمان عند الفرد .

الحرية والعدالة والمساواة لآلىء ، تتحلى بها خطابات العظماء ، ولكنها تبقى مفاهيم متناقضة ، ينشدها الإنسان . فهل من هداية لنظام جديد ، يجعل من الحرية عدلا ، ومن العدل مساواة ؟ .. تلك هي فكرة الغد . □

منتدى العربي

تعقيب

محمد علي باشا وتشريح الإنسان

بقلم : إحسان جعفر

في مقال « تشريح الإنسان بعد الموت بين العلم والدين » المنشور في العدد (٣٧١ - اكتوبر ١٩٨٩) من العربي ، أرسى الدكتور سامي محمود علي قلمه على مسألة احتدم الخلاف بشأنها عهودا بطولها ، وتفجرت ذيولها في مطلع عصر النهضة العربية ، عندما ارتطم العلم الغربي بصخرة المعتقدات الشرقية ، ولقد أحببت أن أعقب على هذا الموضوع ، بإطلاع قراء مجلة « العربي » على الكيفية العملية التى عالج بها محمد علي باشا ، عزيز مصر المتنور ، هذه

الصعوبة العائقة التي داهمته عندما أسس في أبي زعبل ، أول مدرسة طبية عالية ، أنشئت على النمط الأوربي في الأقطار العربية وافريقيا وآسيا سنة ١٨٢٧ ، وعهد بإدارتها إلى الطبيب الفرنسي « كلوت بك » ، إذ عندما اعترضته وقتذاك عقبة إضافة علم التشريح إلى مقررات التدريس ، كان عليه أن يقنع الأهالي بأن تشريح جسم الميت لايمنعه الدين ، فبذل مافي وسعه لتذليل هذه العقبة بالحصول على فتوى العلماء بإباحة تشريح الجثث ، واستدراج الحكومة إلى إجازته بها ، وكانت تأبى ذلك تفاديا لاعتراضهم ، ولكنه جادلهم طويلا ، وأثبت لهم أن التشريح له مبررات قوية ، تخدم الإنسان نفسه في مجالات عديدة ، وتقدم الفائدة للإنسانية ، فأعطوه فتوى سرية بجواز التشريح ، بشرط رعاية الاحتياط والاحتراز فيه على قدر المستطاع . وكان محمد علي نفسه يعضد « كلوت » في هذا الشأن الحيوى ، ولكنه أخذه بالتؤدة ، فلم يرخص بالتشريح ترخيصاً صريحاً ، ولكنه وعده بألايعترضه أحد .

فلذلك ، رعاية لشروط الفقهاء ، كان « كلوت » يتكتم في بادىء الأمر على العمليات التشريحية ، بإجرائها في الخفاء ، ويقيم الحرس حول قاعة التشريح (الانفتياتر) . وبمرور الأيام أصبحت مسألة تشريح الإنسان بعد الموت مألوفة ، ولكن مع هذا كاد « كلوت » يزهق روحه ثمنا لإقدامه على تشريح جثث الموتى ، عندما دنا منه أحد طلابه ـ وهو في قاعة التشريح ـ وطعنه في رأسه فلم يصبه ، فطعنه في جواربطنه فلم يصبه أيضا !!

وهكذا حل محمد علي هذه المسألة الشائكة ، بفتوى سرية وتدابير احترازية كان هو نفسه وراء اجراءاتها .

ولقد أغفل الدكتور سامي في تضاعيف مقاله ، دور مدرسة الاسكندرية القديمة في وضع أول تشريح بشري ، يستحق أن يسمى تشريحا ، بحيث جرؤ على إجراء العمليات الجراحية ، ولم يشر إلى أن أول من شرح الأجسام البشرية في القرن الثالث قبل الميلاد في مدرسة الاسكندرية وهما آرستراطس وايروفيل . والأول كان الابن الصغير لأرسطوطاليس ، والثاني كان حكيما من قرطاجنة قدِمَا إلى الاسكندرية لتعليم التشريح في مدرستها التي أسسها البطالمة . كذلك لم يشر إلى كتاب سلسوس اللاتيني ، المسمى « فن الطب » ، وهو المؤلَّف الجراحي الوحيد الذي بقي محفوظا بعد مجموعة ابقراط .

هذا ولم يجد العديد من الأطباء العرب القدامى غضاضة في تشريح الجثث البشرية ، وكان ابن النفيس يمارس ذلك سرا ، بيد أنه لم يتوان عن التصريح بإجرائه في ثنايا بعض كتبه ، ومن هؤلاء الأطباء عبداللطيف البغدادي الذي كان يدرس التشريح والتشريح المقارن لطلابه ، وينتقل بهم إلى المقابر ، كما برع العرب في تشريح العيون وجراحتها . □

أقوال سديدة

× لا تصدق من يمدح كل الناس ، ولا تسمع لنصيحة من لا يعمل بها .
× صديقك من صَدَقك عند المحنة ، وفرح لسرورك عند انفراجها .
× المرأة التي لا تعرف الغيرة ، ربما تولد غدا .
× ما أفقر أولئك الذين لا يملكون أي قدر من الصبر .
× لا يطفىء مصباح العقل ، غير عواصف النفس .



واحد من أهل الله

قصة بقلم : عبدالحكيم قاسم*

ذات عصر انحبست الرياح البحرية ، وزمتت الدنيا ، وتكدر ضوء النهار فيما بعد الظهر بمسحة من الغبار ، فتلونت الأشياء ، وتجهم أبي . وأنا كنت جالسا جنب الأب على مصطبة دارنا ، وقدامنا باحة تلعب فيها النسمات لعبة أسيفة ، تدوّم ، وما ترتفع قدر شبر حتى تهمد ، أتأملها ، وأرافق أبي ، وأرى جهامته ، وحبات مسبحته تتساقط من بين أصابعه فتصك الواحدة الحبة الأخرى صكة كهرمانية .

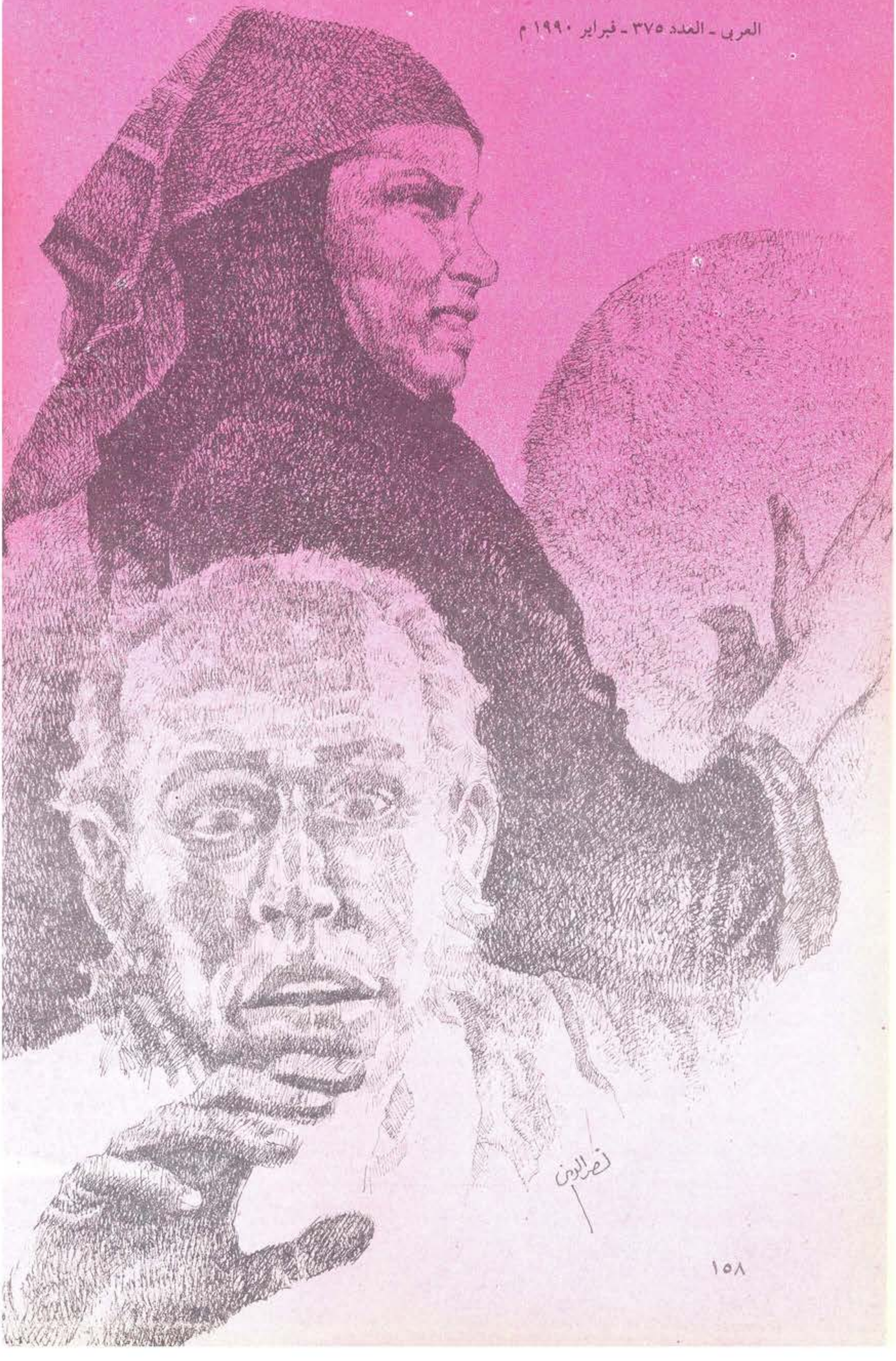
وجاء الرجل ، نراه يدرج نحونا ، وأنا فرحت به جدا ، طرت « ليمه » بأشواقي ، فرشت تحت أقدامه سجاجيد لهفتي وطيبي به ، وأبي يبتسم ، نظره متعلق بالرجل ، ورأسه يميل ميلا ، يترنم بنغمات رضاه ، حتى وقف الرجل قدامه فتصافحا ، وقبلا الكتفين ، وجلس متضائلا فائضا أدبا . وجئت بالشاي ، تناول كوبه محبورا وربت على ظهري ، وأخرج من جيبه حلوى فنفحني بها ، جلست أتلذذ بالحلو ، وقد صار الوقت حلوا ، انطلقت النسمات العصرية ، وراق .

هل يأتي هذا الرجل من الجهة البحرية مخازن الريح تبرد من حر النهار ، أم يأتي من رطم حبات المسبحة فينعم به وجه أبي ؟ جاء الناس فرحين بالرجل يسلمون ويجلسون ، حتى ازدحمت المصطبة ، ففرشت الباحة حصرا ، وجلسوا ينصتون والرجل يحكي عن حبه لشيخه ، يكنس الروث من تحت بغلته وهو لابس زيه الرسمي . حتى كان ، وترك الخدمة في القوات المسلحة ، وتكبل بالحديد ، يسمعون صلصلة حديده يخفيه تحت ثيابه . وفي كل مرة عند هذا الحد من الحكاية يتنزل من السماء إيمان على قلوب الناس ويصلون على النبي ، وتضاء الأنوار .

صلوا المغرب جماعة في هذا « المطرح » ، وفرحوا بانقضاء الغرض . ضحكوا ، وجاء الطعام ، خرجت الصواني من كل دار صينية ، واجتمعوا على العشاء ، ضحكوا فرحانين ، حتى أنهم حين وقفوا لصلاة « العشوية » المتأخرة كان في أفواههم من بقايا ضحكهم . لكنهم لما

---

* كاتب روائي وقاص من القطر العربي المصري .



جلسوا لقراءة الدلائل تجهموا والرجل معهم ، وجشت الأصوات ، وصلت النغمات الغلاظ للأوج مما يبيح به القلب .

ولما وقفوا للذكر ارتعبت ، « لبدت » في جنب أبي ، في مجلسه على المصطبة ، و « كبشت » في لحم فخذه . والذاكرون يقفون في صفين ، « جدعان » فتيان ، وعلى رأس الصفين مداحة سوداء ، بيضاء الأسنان ، في يدها دفها ، وهي امرأة شانخة ، وفيما بين الصفين يقف الرجل ناكس الرأس ، متحاضن اليدين . ولما يبدأ الذكر ، ويصل إلى أوجه احترت وتعبت فيما أريد أن أعرف ، أهي المرأة تقود الرجل وترقصه ، أم هو الذي يمسك زمامها ، وهو على صهوتها تتلعب لفارسها ؟ تعبت وأبي ساكت يقطر حبات مسبحته حبة وراء الأخرى .

الذكر بلغ أوجه ، طارت « الطاقية » من على رأس الرجل ، وثار شعره خصلات طائرة مع حركته ، وجهه اقتم ، وفمه يفيض رغاء ، وذراعاه طائران ، وقدماه يدقان الأرض ، يخضخضان جسده في قذفات متتابعة ، خلع جلبابه ، وبان حديده ، وسلاسل تلفه كله ، « تشخلل » وتصلصل وتصطك مع رقصه الجنوني الرائع .

المرأة تميل بالدف مع الآه ، وتعتدل مع الآه الأخرى ، وتغمض عينيها ، وتضحك كالنهار ، وترجرج كتفيها اثنين اثنين ، وتدفع رأسها إلى الخلف مع الآه الثالثة الحرَّى ، والدق تباعا بيدها السوداء الهائلة على قلب الدف . لا أدري أيصل تيارها الرجل ، أم يصلها الرجل بتياره ؟ وأبي صامت والشباب الذاكرون جنون مكتوم الدق .

صرخ الرجل صرخة ممطوطة طويلة ، وهو طويل ، يرفع يديه لأعلى مفروشة الأصابع . المرأة ترجع بالدف لحنا موصول المقاطع والبحات « كظت » ، و « العيال » الذاكرون يجاوبونها بالدق و « خشيش » الصدور . إذ اتخذ الرجل من حديده « جنزيرا » طويلا ، ثم يديره على رؤوس الناس دورانا حاكما باهراً ، والذكر دائب مسقوف بالحديد ، لحظات أبدية . وبدأت أرتجف ، أزنّ كما يكون إعوالا . ضمني أبي إليه ، وأسناني تصطك ، حتى سقط الرجل وهو يهتف « بألا إله إلا الله » ، وبهذا انتهى الذكر ، وأقبل الناس على الرجل يلثمون يديه ورجليه ويلتمسون البركة من حديده . وأبي هدَّأ من روعي وقال لي :

ـ إنه واحد من أهل الله . . ! □ .

مقالات في كلمات



جوته

■ لا تتشاجر أبدا ، فليس هناك إنسان قرر أن يصنع من نفسه شيئا يستطيع أن يضيع وقته في مشاحنات شخصية . . ولا شك أنه من الأفضل لك أن تتخلى عن طريقك لكلب بدلا من أن تتركه يعقرك . ابراهام لنكولن

■ إن مأساة الحرب . . انها تستخدم أفضل ما في الانسان لاحداث أسوأ ما يصيب الانسان . ايمرسون

■ تعلمت أن أعمل في الصباح عندما أستطيع أن أنزع القشدة من وجه النهار . . وبعد ذلك استخدم الباقي في عمل الجبن . جوته

■ من النادر أن يستخدم الناس الحرية التي يمتلكونها فعلا كحرية التفكير مثلا . . ومن ثم فهم يطلبون بدلا من ذلك حرية الكلام كتعويض عنها . سارة برنار

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

الأسبرين سلاح فعّال للإنسان ضد السرطان

● تناولنا الحديث عن الاسبرين في هذا الباب أكثر من مرة، وذكرنا قدرة هذا العقار القديم المستخرج أصلا من لحاء شجر الصفصاف، قدرته على تنشيط عضلة القلب وتوسيع الشرايين، ثم ذكرنا خاصيته في اكساب المرء مناعة ضد تخثر الدم. هذا الى جانب فوائد الاسبرين في التغلب على الصداع، وفي تسكين آلام الروماتيزم، وهي التي تم تطوير العقار أصلا من أجل معالجتها. كان ذلك سنة ١٨٩٧ حين عكف العالم الكيماوي الالماني «فليكس هوفمان» على استحضار الاسبرين، بقصد التخفيف من أوجاع الروماتيزم التي عانى منها أبوه.

وكـان آخر ما ذكرناه من مزايا الاسبرين قدرته على الوقاية من النوبات القلبية، وذكرنا أن قرصا واحدا من الاسبرين (٣٢٥مليغراماً) كفيل بتحقيق هذه الوقاية، حتى لو أخذ هذا القرص يوما بعد يوم لا يوميا كما يظن الكثيرون.

ونعود اليوم الى الحديث عن الاسبرين ثانية، لنتناول ميزة أخرى له، اكتشفوها مؤخرا، وهي الدور الايجابي الذي يستطيع الإسهام به في الحرب التي يخوضها الإنسان ضد مرض السرطان الخبيث.



١ ـ الاسبرين وأمراض القلب :

كانت الدراسة التي أجراها العلماء في مستشفى (بريجهام) في بوسطن باشراف الدكتور شارلز هنكنز دراسة واسعة فريدة، وذلك بقصد تحري الفوائد التي يمكن أن يجنيها مرضى القلب من تعاطي الاسبرين. لقد بدؤوا هذه الدراسة قبل سبع سنوات، في سنة ١٩٨٢ على وجه التحديد، ولم يفرغوا منها إلا في الصيف الماضي، في منتصف شهر (يوليو) تموز ١٩٨٩، وتعرف هذه الدراسة باسم دراسة (صحة الأطباء Physicians' health) نظرا لأنها لم تجر إلا على الأطباء، فقد شملت ٢٢٠٧١ طبيبا، تراوحت أعمارهم بين ٤٠ ـ ٨٤ عاما.

وقسم العلماء هذا المجموع من الأطباء إلى نصفين على وجه التقريب، وأعطيت أقراص الاسبرين (٣٢٥ مليغراماً) لأفراد الفئة الأولى ، يوما بعد يوم، وأعطيت الأقراص الوهمية المصنوعة من بودرة لا تضر ولا تفيد Placebo لأفراد الفئة الثانية، بالمعدل نفسه، قرص واحد كل ٤٨ ساعة.



٢ ـ الاسبرين والسرطان :

كانت الأخبار التي تليت على أعضاء مؤسسة الاسبرين الأوربية في اجتماعهم الأخير في بروكسل مثيرة مدهشة، فقد أثبتت التجارب العلمية التي أجراها الدكتور جول هاريس، أخصائي السرطان في كلية راش الطبية (في ولاية إيلينوي بأمريكا)، أثبتت أن الاسبرين يكسب أجهزة المناعة في مرضى السرطان مزيدا من القوة ومزيدا من القدرة على مقاومة هذا المرض الخبيث. وهو يضفي على المرضى تحسنا ملموسا في حالتهم الصحية العامة.

ذلك أن الاسبرين وأشقاءه تعمل على مضاعفة فئة معينة من خلايا أو كريات الدم البيضاء، وهي الفئة التي تعرف باسم (الخلايا القاتلة) والتي تلعب دورا مهما في الحرب ضد السرطان. هذا ما توصل اليه العلماء في تفسير قدرة الاسبرين على مقاومة الأورام الخبيثة. وقد تبين لهم أيضا أن الاسبرين ومشتقاته كفيل بتنشيط إنتاج مركب (الانترلوكن ـ ٢) وهو المركب الذي يلعب دورا رئيسا في مهاجمة السرطان، والذي تنتجه أجهزة المناعة في جسم الانسان.

ومضى العلماء الباحثون، وهم من الأطباء طبعا، في فحص أفراد الفئتين بانتظام، وراحوا يسجلون ما يهمهم من نتائج ذلك الفحص بدقة ووضوح، ومضت السنون، وتجمع لدى القائمين على الدراسة ملفات وملفات، ثم عكفوا على تحليل ما سجلوه من نتائج، فكان التقرير الوافي الذي تضمن شرح تلك النتائج، والتعليق عليها، وقد نشرته مجلة نيوانجلند الطبية في عددها الصادر في ١٩٨٩/٧/٢٠. وإليك فيما يلي موجزا بأهم ما جاء في ذلك التقرير:

الحد من احتمالات الإصابة بالنوبات القلبية :

بلغت في الذين تناولوا الاقراص الوهمية ضعف ما بلغت في الذين تناولوا أقراص الاسبرين، فقد بلغ عدد تلك الحالات التي تعرض لها أفراد فئة الأقراص الوهمية (٢٣٩) حالة، ولم تجاوز تلك الحالات من فئة أقراص الاسبرين (١٣٩) حالة، أما النوبات القاتلة فقد بلغ عددها (٢٦) نوبة، و(١٠) نوبات على التوالي، ومعنى هذا باللغة الإحصائية أن الذين يتناولون الاسبرين على نحو ما أسلفنا، يكونون أقل عرضة من سواهم للإصابة بالنوبات القلبية بنسبة ٤٤٪.

دلت الدراسة على أن فوائد الاسبرين لا تقتصر على الذين تعرضوا للنوبات القلبية فيما مضى من حياتهم، فهي تشمل الذين لم يتعرضوا لها، فتكسبهم مناعة كاملة ضدها، أي أن تناول الاسبرين (عيار ٣٢٥ مليغراماً) يوما بعد يوم، يقيهم الإصابة من تلك النوبات. وأثبتت الدراسة أن فاعلية الاسبرين هذه كانت أبلغ أثرا وأكثر وضوحا فيمن تجاوزت أعمارهم الخمسين عاما. وكذلك فيمن يعانون من ارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم، أما سر هذه الفاعلية فقد عزاه العلماء الباحثون الى خاصية الاسبرين الطبيعية في الحيلولة دون تجلط الدم. □

سلامة البشرية في سلامة البيئة

أميركا متهمة بالسلوك المزدوج

شهدت (تايبه) عاصمة تايوان ، مؤتمرا عالميا إقليميا ، استهدف البحث في التدخين ومضاره على صحة الإنسان ، واستغرق ثلاثة أيام . بدأ من ١٠ حزيران (يونيو) الماضي سنة ١٩٨٩ . وقد حضر هذا المؤتمر أطباء وموظفو صحة عامة من (٩) دول من شرق آسيا . وماكان هذا المؤتمر ليلفت النظر ويستوجب التنويه لولا الموقف الذى اتخذه من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على الأخص ، وقد ساده الشعور بالنقمة على شركات التبغ الأمريكية ، لحرصها البالغ على تصدير إنتاجها من السجاير إلى دول العالم الثالث ، ومن بينها دول شرق آسيا ، وعلى نشر العجز والموت والأمراض التي تحملها السجاير ، غير عابئة بذلك ، مادامت تجني الأرباح الطائلة التي تسعى إليها .

وانسحب ذلك الشعور بالنقمة على حكومة واشنطن بخاصة ، فقد سمحت لشركاتها في أسواق العالم الثالث ماحظرته عليها في الأسواق الأمريكية ، كارتفاع نسبة النيكوتين والقطران في السجاير ، والدعاية المضللة للتدخين ، والتشجيع على الإدمان . وقارن بعضهم بين حكومة واشنطن في هذه الأيام وحكومة لندن قبل نحو مائة عام ، حين فرضت على الصين استيراد الأفيون الذى كانت تصدره الشركات البريطانية ، وأصرت على الإبقاء على إدمان الأفيون بين أهل الصين ، حتى إذا حاولت حكومة بكين وقف ذلك الاستيراد والحد من هذا الإدمان ، تأكيدا لسيادتها وصونا لصالح مواطنيها ، أعلنت حكومة لندن عليها أبشع حروب الاستعمار في القرن التاسع عشر ، حرب الأفيون المعروفة .

ندد المؤتمرون بالأساليب التي تنتهجها شركات السجاير الأمريكية في الفلبين ، فهي تستأجر الفتيان الصغار ، من أهل الفلبين ، ليتجولوا في الشوارع ويبيعوا سجائرها ، مفردة لامعلبة . وينتشر هؤلاء الفتية عند مواقف السيارات ، حيث الإشارات الضوئية ، ويطوفون بالسيارات الواقفة ، بل بسائقيها وركابها ، ويعرضون أنفسهم للخطر ، لعلهم يبيعون سيجارة هنا وسيجارة هناك ، وتدفع الشركات الأمريكية ، بل ممثلوها الفلبينيون ، ٨٠ سنتا للواحد من أولئك الفتيان في اليوم الواحد ، أي أن الشركات اعتمدت لبيع سجائرها وترويجها في الفلبين على الأولاد الصغار ، عوضا عن آلات بيع السجائر الاوتوماتيكية ، فهذه الآلات لها ثمن لايستهان به ، وتتعرض للتلف من حين لآخر ، والأولاد بلا ثمن .





الدعاية للسجائر ممنوعة في أمريكا كما هو معروف ، ممنوعة في الشوارع والأماكن العامة ، وممنوعة عبر أجهزة الإعلام ، ولكن هذه الدعاية قائمة على قدم وساق ، نشطة جدا ، في شتى دول شرق آسيا ، والشركات هي التي تقوم بهذه الدعاية ، وتنفق عليها بسخاء ، دون أن تحرك حكومة واشنطن ساكنا ، وكأن الأمر لايعنيها مادامت هذه الدعاية تضمن الأرباح الطائلة لشركاتها ، ولاتعود بأي ضرر على أبنائها . بل لعل حكومة واشنطن تشارك الشركات مسؤوليتها عن الدعاية للسجائر الأمريكية ، وليس أدل على ذلك مما حدث في تايلاند في أثناء فصل الصيف الماضي ، فقد بادرت الحكومة التايلاندية إلى حظر دعاية السجائر في بلادها ، فسارع اتحاد تصدير السجائر الامريكية (يشمل هذا الاتحاد كل الشركات الأمريكية الكبرى تقريبا) إلى اتخاذ الاجراءات الكفيلة بإلغاء ذلك الحظر ، وطالب مكتب الممثل التجارى الفيدرالي في واشنطن بتحمل مسؤولياته بالعمل على إصلاح الضرر المترتب على إقدام الحكومة التايلاندية على حظر الدعاية لسجائرها ، وطالب الاتحاد أيضا باتخاذ إجراءات زجرية ضد حكومة تايلاند ، باعتبار موقفها السلبي موقفا ضد المنتجات الامريكية (أي السجائر) ، ويستهدف عرقلة توزيع الصادرات الامريكية ، والغريب أن مكتب الممثل التجاري أمر بإجراء تحقيق في سياسة حكومة تايلاند ، على ضوء المظالم التي تقدمت بها شركات السجائر الامريكية ، بدلا من اتخاذ موقف منسجم وسياسة حكومة واشنطن إزاء الدعاية للسجائر .

ومهما يكن من أمر فقد حققت تلك الدعاية أغراضها على أكمل وجه ممكن في بنغلاديش وغيرها من دول شرق آسيا ، وقد تضاعفت نسبة المدخنين الرجال (٧٠٪) ، الأمر الذى حدا بالشركات الامريكية إلى توجيه دعايتها إلى النساء والأطفال .

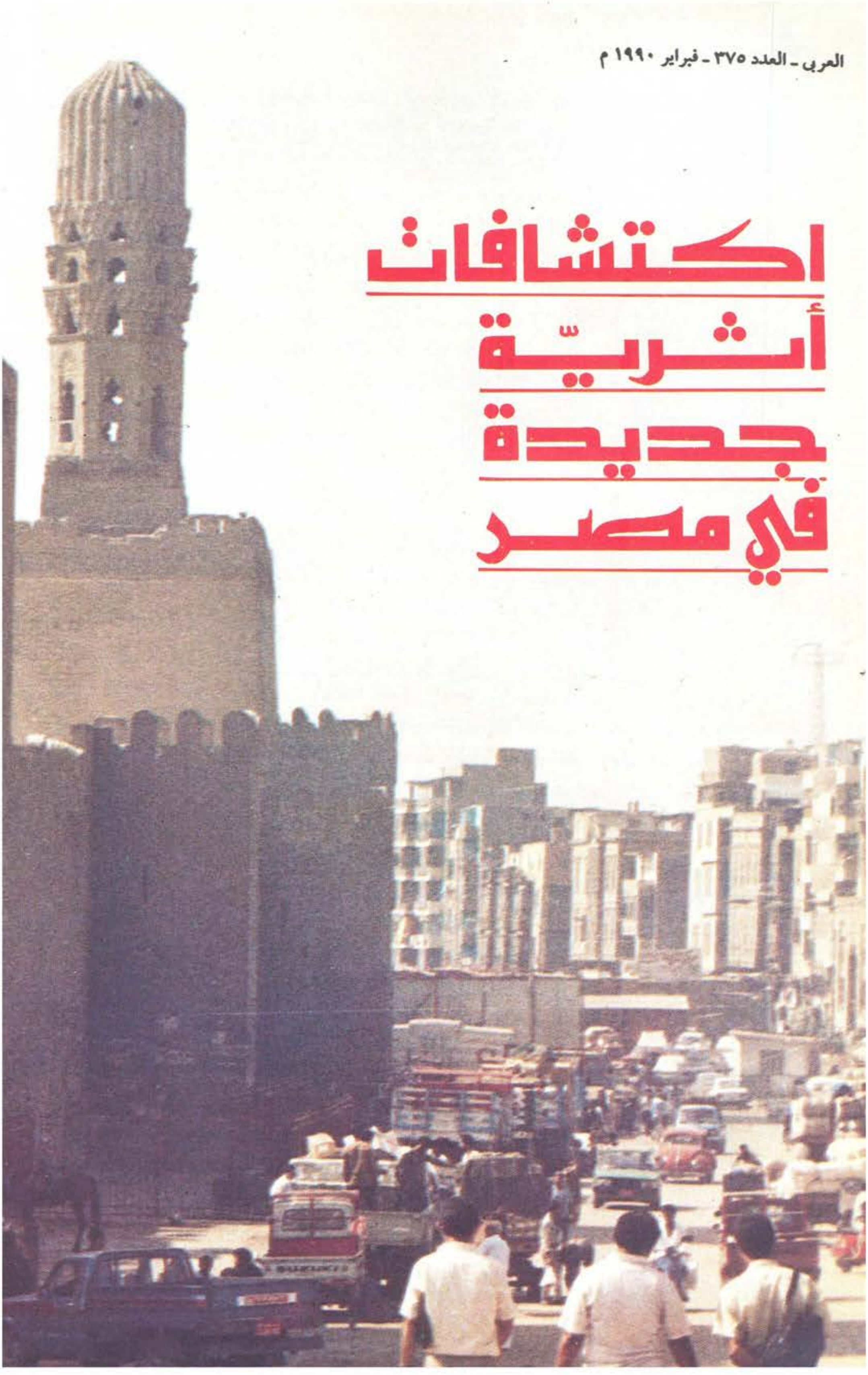
والظاهر أن اليابان تمثل الجبهة المتقدمة جدا لنشاط شركات السجائر الامريكية ودعاياتها ، وحسبك أن نكاسوني ، رئيس الوزراء السابق ، قال بالحرف الواحد : «لاخطر على الصحة من السجائر مادام التنبيه من ذلك الخطر يظهر بوضوح على كل علبة» . وعبارة التنبيه في اليابان هي : (من أجل الصحة دعنا نحرص على ألا نفرط في التدخين) .

لاعجب إذن أن وجه المؤتمرون إلى الرئيس بوش شخصيا خطابا (بتاريخ ١٢/٦/١٩٨٩) يلحون فيه على ضرورة تدخله ، لمنع الإجراءات والعقوبات التي ينوي الممثل التجاري اتخاذها ضد حكومة تايلاند . وقد ختموا خطابهم هذا بقولهم :

«إن موضوع السجائر ليس موضوع تجارة ، أو ميزان تجاري ، بقدر ماهو موضوع صحة وعافية . وصحة الإنسان ، ولعل صحة الإنسان الآسيوي لاتقل أهمية عن صحة الإنسان الأمريكي» .□

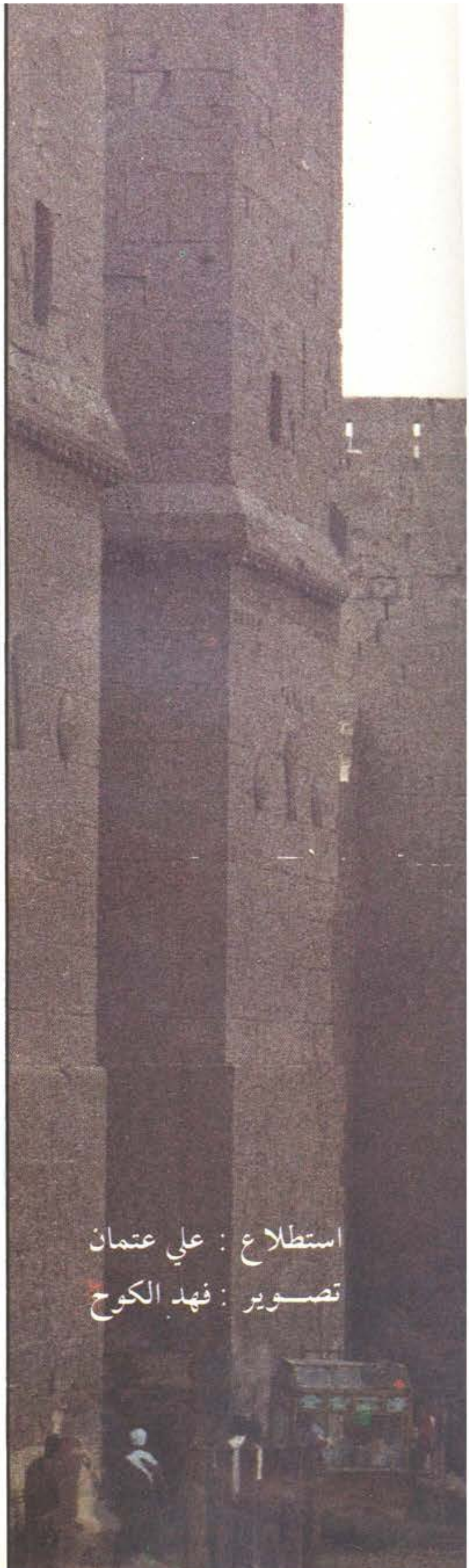
العربي - العدد ٣٧٥ - فبراير ١٩٩٠ م

اكتشافات أثريّة جديدة في مصر



عن الزمن القديم تحكي الآثار ، وتكشف شواهدها الكثيرة عن الأسرار التي كانت ، ومعاناة الإنسان ، وانتصاراته . والوطن العربي يزخر بالكثير من الآثار المكتشفة ، ولكنها جزء من إبداعات حضارية ما يزال معظمها مطموراً في جوف الصخور ، أو بين طبقات الطين والرمال ، تتطلع لمن يكشفها ، لتبوح بأسرارها .

ولأهمية الاكتشافات الأثرية الجديدة التي تنشط عمليات البحث عنها في الأقطار العربية أوفدت « العربي » بعثتها إلى مصر ، لتتابع بعض هذه الاكتشافات ، فعادت بهذا الاستطلاع .



استطلاع : علي عتمان

تصوير : فهد الكوح

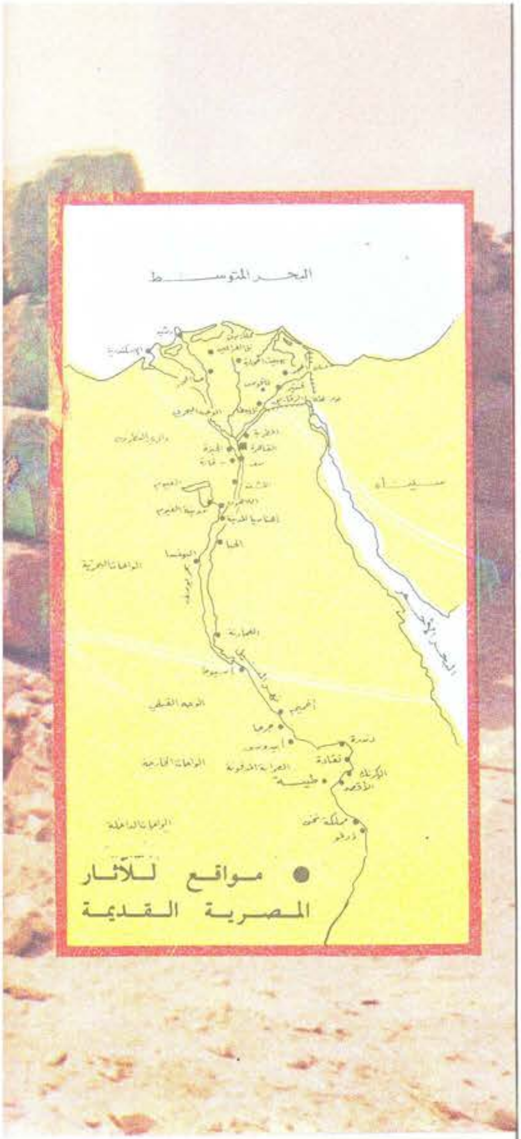
في ابريل عام ١٩٨٨ أعلنت هيئة الآثار المصرية أن إحدى بعثاتها التي تتعقب « طريق حورس الحربي » في سيناء الذي استخدمه فراعنة الدولة الحديثة ، في أثناء مطاردتهم للهكسوس شرقا ، وهم يفرون من مصر ، قد اكتشفت قلعة حربية في « تل حبوة » ، أو « تل حابو » الذي يقع في سهل الطينة ، شمال غرب سيناء ، بالقرب من قرية « لوذاة » التي كانت تعرف في العصور الفرعونية « بيلر م » .

وحسب هذا الإعلان دار جدل ساخن ، لمّا يحسم حتى الآن ، على صفحات الدوريات

البريطانية ، وبين علماء المصريات ، ولقد راحت قلة منهم تستند على هذا الاكتشاف في خلق استدلالات تاريخية ، تتوافق مع أهداف دينية وسياسية ، لها صبغة صهيونية . وقطعوا - دون انتظار اكتمال الحفائر وظهور نتائجها النهائية - بأن هذه القلعة من بقايا « اواريس » ، عاصمة الهكسوس التي حكموا منها مصر ، في أثناء احتلالهم لها ، في ما بين (١٦٧٥ - ١٥٦٨ ق . م .) ، وأن رمسيس الثاني ، أحد فراعنة مصر العظام (١٢٩٠ - ١٢٢٣ ق . م .) ، قد أقام عاصمته ، « بررعمسيس » ، على أنقاضها .

ولأن الهكسوس يهود - وفقا لاستنتاجاتهم - فقد ترتب على هذا الاكتشاف أن أصبح المكان الذي خرج منه موسى وقومه من مصر هو هذه المدينة « أواريس » في سيناء ، وليس من « قنتير » كما تفيد معظم الشواهد الأثرية المكتشفة حتى الآن . ولقد كانت هذه النتيجة هدف عدد من علماء المصريات الأوربيين ، خلال المائة والخمسين عاما الماضية ، عندما كرسوا جُلّ جهودهم البحثية في اكتشاف شواهد تاريخية ، تسند فرضياتهم وأحلامهم السياسية والدينية ، ولكن الدكتور علي حسن ، رئيس قطاع المصريات في الهيئة المصرية للآثار ، يؤكد بأنهم لم ينجحوا ، « لأن الهكسوس ليسوا هم اليهود ، لأنه استنادا إلى النصوص المسمارية والمصرية القديمة ، وحتى نصوص التوراة ، نخلص بأن العبرانيين والاسرائيليين شعبان مختلفان تماما ، ولا يجب الخلط بينهما . »

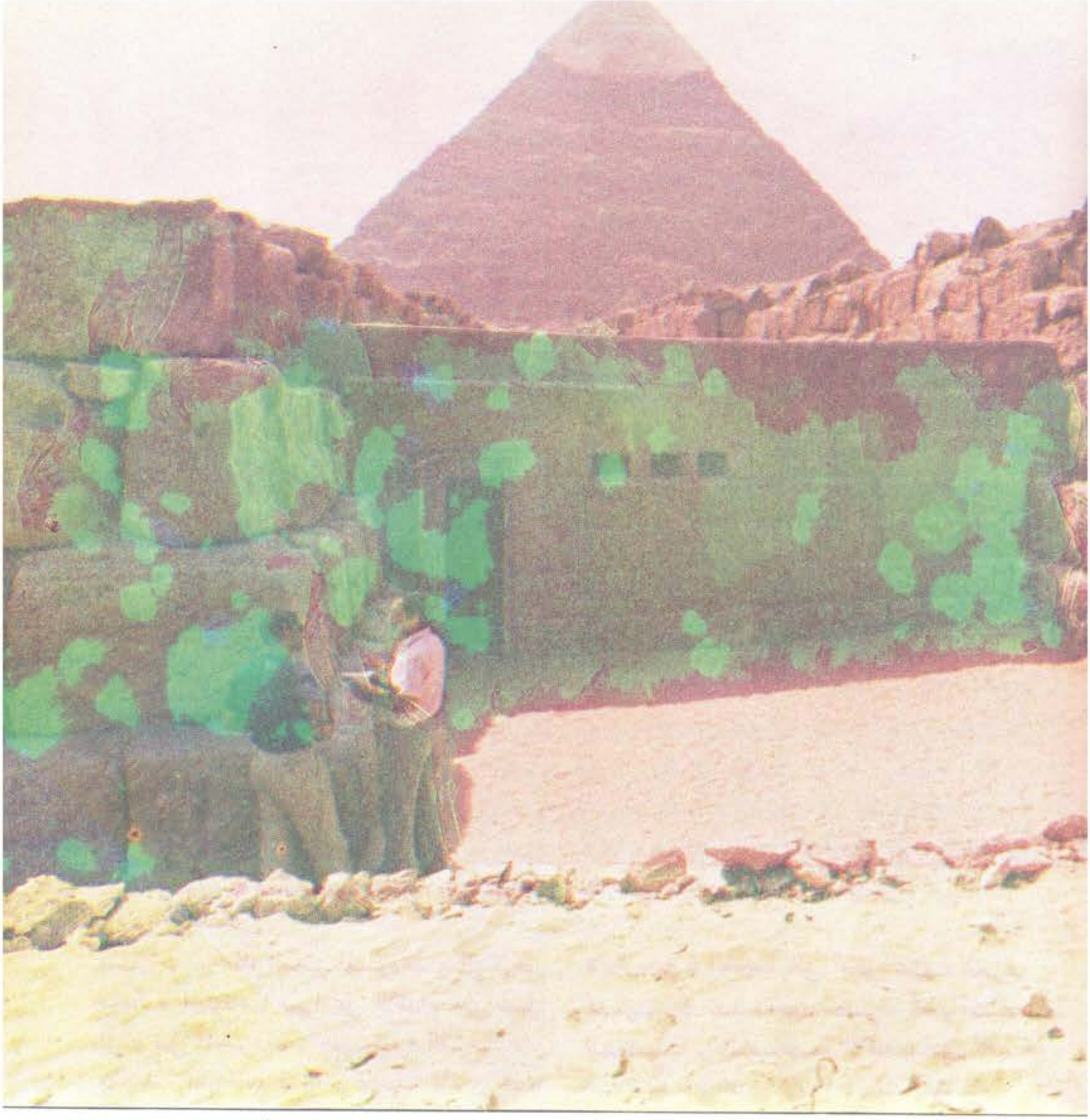
إن المجمع عليه - حتى الآن - بين علماء المصريات - كما يقول الدكتور أحمد فخري في كتابه مصر الفرعونية - أن « بررعمسيس » عاصمة رمسيس الثاني ، يتراوح موقعها ، وفقا للشواهد التاريخية المكتشفة ، بين مدينة « صان الحجر » وبلدة « قنتير » اللتين تقعان حاليا بالقرب من مدينة « فاقوس » ، شرق الدلتا ، وأن « أواريس » ، عاصمة الهكسوس ، كانت



مقامة في « تل الضبعة » ، وهي قريبة من « فاقوس » أيضا .

اكتشافات تعيد الحياة لمدن داثرة

وكما أثارت الاكتشافات الجديدة في سيناء الحوار بين علماء المصريات ، ودارسي التاريخ المصري القديم ، فقد جذبتنا لزيارة بعض مواقعها ، خاصة أن بعثات التنقيب تدافعت على



● مقبرة من « جبّانة » الموظفين في منطقة أهرام الجيزة يجري فتحها للزوار للمرة الأولى .

أرضها ، منذ جلاء (الاسرائيليين) عنها ، بحثا عن الآثار المطمورة في ثراها التي خلفتها حركة البشر وصراعاتهم منذ فجر التاريخ حتى اليوم .

اتجهنا إلى « القنطرة شرق » ، أولى محطات طريق حورس الحربي ، فعبرنا « قناة السويس » من « القنطرة غرب » إليها . تجاوزناها مع دليلنا الى سهل الطينة الذي يقع على شاطيء البحر المتوسط في الشمال الغربي من سيناء ، على بعد بضعة كيلومترات منها .

وعبر الطريق إلى قرية « بالوظة » التي يوجد بالقرب منها تلال أثرية ، أهمها « تل الطينة » ، و « تل المخزن » ، و « تل الحير » ، ومدينة « الفرما » القديمة ، لم يغادرنا الإحساس بإيقاع حركة التاريخ فوق أرض سيناء الذي أثارته داخلنا معالم المكان ، ومخلفات الحرب المتناثرة على جانبي الطريق ، وتداعيات الذاكرة المتدفقة بصور متعاقبة من عصور التاريخ المختلفة . قبل الوصول الى القرية بقليل يدخل بنا الدليل



● عمال يغلقون مدخل « مقبرة القطط » في سقارة التي تقع تحت استراحة كبار الزوار

يسارا ، باتجاه البحر المتوسط ، الى أرض ملحة ، اجتزناها سيرا على الأقدام حتى نصل الى « تل المخزن » ، جنوب « الفرما » ، وشاهدنا آثار قلعة قديمة ، قال لنا الأثري محمد عبد السميع ، المشرف على حفائر المنطقة ، بأنها تعود الى العصر الروماني ، وأشار الى آثار حمّام من العصر نفسه ، ملحق به طريقة مبتكرة للصرف الصحي ، تشبه عملية الصرف المغطى ، ويقول : إن بعض الدارسين يؤكدون أن هذه الطريقة في الصرف استخدمت أول مرة في العالم هنا . ثم يضيف : إن بعثة مصرية تواصل البحث عن آثار مدينة « بيلزيوم » القديمة التي حددت نصوص قديمة وجود منطقتها الدينية في هذا الموقع ، شرق المدينة القديمة .

أما مدينة « الفرما » التي قامت مكان « بيلزيوم » القديمة التي أطلق عليها العرب اسمها ذاك عند فتحهم مصر ، فقد أكسبها موقعها ، ونشاطها الاقتصادي أهمية استراتيجية ، حتى دثَرَت على يد الصليبين في القرن الثاني عشر . وفي مواسم الحفر الماضية اكتشفت قلعتها الضخمة ، المبنية من اللبن « الطوب » الأحمر ، ومساحتها ٨٠٠٠ متر مربع ، وعلى أسوارها ٣٦ برجا لحمايتها ، واكتشف خارجها حمامٌ كان يستخدمه سكانها .

وفي « تل الطينة » الذي كان ضاحية من ضواحي « الفرما » اكتشف أكبر صهريج للمياه في مصر الإسلامية حتى الآن ، كما يقول الأثري رفعت الطاهر ، المشرف على حفائر الآثار الإسلامية في المنطقة . واكتشفت منطقة صناعية ظهرت فيها بعض أفران الفخار ، وعثر فيها على

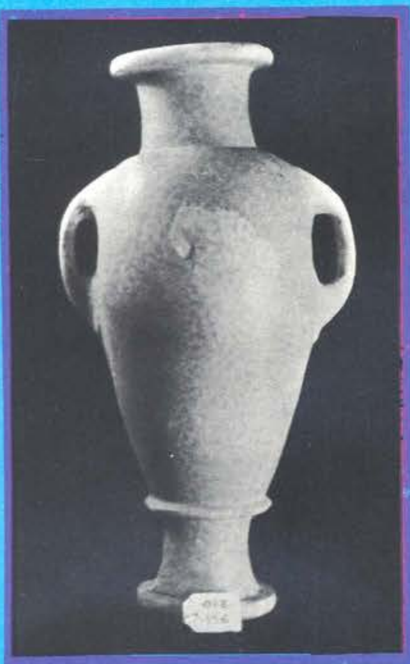
عملات ، وكسرات خزف وفخار ، وأجزاء من أساور ، وحصن يقع في شمال الضاحية ، ويرجح انتساب هذه الآثار إلى العصر المملوكي .

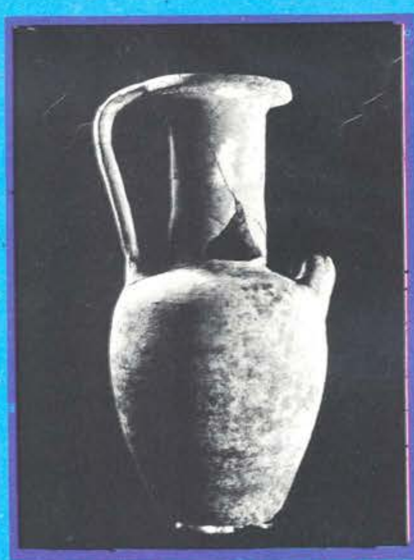
تاريخ حافل

إن للاكتشافات الأثرية في مصر قصصاً مثيرة ، تداخلت في فصولها المصادفة مع البحث الدءوب ، المغامرة مع الحلم بالثراء ، العالم مع التاجر واللص ، ولكنها جميعها أعطت للبشرية ، بالإضافة إلى المتعة والإثارة المتحصلة منها ، كنوزا من الفن والمعارف الإنسانية ، مايزال لها إبهارها المستمر .

فمنذ نجح الفرنسي « جان فرنسوا شامبليون » (١٧٩٠ - ١٨٣١) في فك رموز اللغة الهيروغليفية ، عندما فك رموز حجر رشيد عام ١٨٢٢ ، منذ ذلك الوقت ، تصاعدت عمليات الحفائر والتنقيب عن الآثار المصرية واتسعت ، وتدافع الأوربيون بجنسياتهم المختلفة على المعابد والمقابر ، وكذلك المساجد والقصور الإسلامية ، بعضهم يسعى للمعرفة العلمية ، ومحاولة فض أسرار هذه الحضارة الغامضة ، والمدهشة بالنسبة لهم ولغيرهم ، فقدموا بأعمالهم وكشوفهم أعظم الخدمات للإنسانية . وبعضهم الآخر جذبته مغامرة السرقة والنهب ، أو الرغبة في إعلاء شأن دولته ، بتكوين أكبر مجموعة من الآثار لها من هذه الكنوز المفتوحة بدون صاحب يحافظ عليها .

وعلى الرغم من عمليات النهب المتواصلة للآثار المصرية ، فإن ماباحت به المقابر والمعابد ، والأديرة ، والقصور الإسلامية والمساجد ، المكتشفة حتى الآن ، جعل مصر كلها متحفا مفتوحا ، ليس له نظير في العالم . فكما تشكلت تربتها الخصبة من طبقات متراكمة ، ترسبت على مر الأزمان ، فإن آثارها تضم طبقات حضارية





● أوانٍ عُثر عليها في غرفة دفن الوزير « عبريا » ، العلوية من الالبستر . والإناء والقاعدة كتلة واحدة ، وأسفل إناء من الفخار (غير كامل) ، يعود إلى عصر الأسرة الثامنة عشر - الدولة الحديثة .

تلي طبقات ، تبدأ من فجر التاريخ ، فالعصر الفرعوني ، ثم اليوناني ، فالروماني ، فالبيزنطي ، ثم أخيرا الإسلامي .

فمصر تملك مايزيد على ثلث آثار العالم كله ، ومن الآثار الاسلامية يوجد فيها ثلث المتبقى منها في العالم الإسلامي . متاحف ، ومعابد ومخازن مكدسة بالآثار ، غير ما نهب منها ويملأ قاعات ضخمة من المتاحف الأوربية والأمريكية . ومع ذلك يرى علماء الآثار أنها لما تفصح بعد عن كل المخبوء في باطن أرضها .

ولذلك فإن عمليات التنقيب الدءوبة عن الآثار ماتزال تفيض كل عام بالعديد من الأدلة والشواهد التي تفيد في تفسير أسرار الحضارة المصرية التي مازال يشوب بعضها الغموض ، وهذه الشواهد تبدأ من حبات قمح ، أو قطعة من الفخار ، يستدل من مادتها ، وطريقة صنعها على زمنها ، أو مشكاة كانت معلقة في صحن مسجد أو إيوان قصر ، أو برديات تحمل وقائع أحداث تاريخية ، وتنتهي بمعبد ، أو بقايا مدينة طوتها الرمال في جوفها .

وفي السنوات القليلة الماضية ، أُعلن عن اكتشافات عديدة ، بعضها أظهرته الصدفة ، وكثير منها اكتشفته بعثات التنقيب المنتشرة في أنحاء مصر . مائة وخمسون بعثة أجنبية ، فضلا عن البعثات المصرية ، كما يقول رئيس هيئة الآثار المصرية .

وعن هذه الاكتشافات يقول الدكتور على حسن ، رئيس قطاع المصريات : « لقد تم اكتشاف آثار مدينة « بوتو » ، عاصمة مصر السفلى ، قبل توحيد القطرين - مصر السفلى ومصر العليا - على يد الملك « منا - نعرمر » ، في الألف الرابع قبل الميلاد ، في « تل الفراعين » ، بمحافظة كفر الشيخ ، شمال الدلتا ، ومعبد « إيزيس » في « بهبيت الحجارة » ، بوسط الدلتا ، وخبيئة معبد « الكرنك » في الأقصر التي ضمت خمسة تماثيل نادرة لبعض ملوك الفراعنة .

وفي سقارة تم اكتشاف عدد من الأهرام الصغيرة ، تعود الى زمن الدولة القديمة ، جنوب هرم « زوسر » المدرج ، بالإضافة الى عدد من المقابر ، أهمها مقبرة الوزير « عبريا » . وفي سيناء ، وضمن الحفريات التي تسعى لتتبع طريق « حورس الحربي » ، تم اكتشاف بعض النقاط ، منها : « تل حابوة » ، « وتل الحير » . وهناك اكتشافات مهمة ، في تل « بسطا » ، وصان الحجر ، بمحافظة الشرقية ، شرق الدلتا . هذا بالإضافة الى الاكتشافات العديدة في منطقة « طيبة » بالأقصر ، والمدينة العمالية بهضبة الأهرام بالجيزة .

وفي « الكوم الفخري » ، جنوب قرية « ميت رهينة » ، بمحافظة الجيزة ، يشرف الدكتور جاب الله على جاب الله ، عالم المصريات

أُسَر بارزة

يبدأ التاريخ الفرعوني لمصر كما تعارف عليه غالبية دارسيه - من الألف الرابع قبل الميلاد ، عندما كوَّن الملك (منا - نعرمر) الأسرة الأولى من الأسر الثلاثين التي تعاقبت على حكم مصر .

ولقد برزت خلال هذه الحقبة الزمنية الطويلة التي حكم فيها الفراعنة - من ٣٢٠٠ ق.م الى ٣٤١ ق.م عندما اكتمل الغزو الفارسي الثاني لمصر - أسر تركت بصمات واضحة بانجازاتها المبهرة في كل الميادين على الحضارة المصرية القديمة ، وهي الأسر (٣ - ٦) التي عرفت باسم الدولة القديمة (٢٧٨٠ - ٢٢٨٠ ق.م) والأسرتان (١١ - ١٢) الدولة الوسطى (٢١٣٤ - ١٧٧٨ ق.م) والأسر (١٨ - ٢٠) وهي المكونة للدولة الحديثة (١٥٧٠ - ١٠٨٠ ق.م) .

وأستاذها في جامعة القاهرة ، على حفريات في موقع أعرق عاصمة في العالم ، وهي « منف » ، عاصمة الفراعنة منذ نشأة الدولة القديمة ، حتى حلت مكانها « طيبة » فى الأقصر فيما بعد .

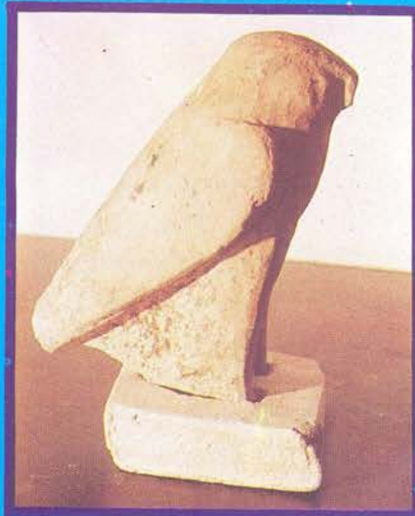
يقول الدكتور جاب الله : « إذا كانت معظم البعثات تقوم بحفرياتها في مصر العليا ، ذات التربة الصخرية والرملية التي حفظت الآثار ، فإن الكشف عن الحياة اليومية للإنسان المصري القديم يكون في الدلتا التي كان يعيش على تربتها ، وكانت نافذته المشرعة على العالم المحيط آنذاك ، ولذلك فهي تزخر بالكثير من الشواهد والأدلة الأثرية ، ولكن تربتها طينية ، لاتغري بالتنقيب فيها ، لصعوبات كثيرة ، وهذا هو التحدي الحقيقي أمام الآثاريين ، لأن مواقعها بلا نقوش .

ولقد عثرنا خلال موسمي حْفر على بيوت ، ومخازن ، وأفران صهر معادن ، و« جعارين » ، وأختام وفخار ، والنتائج الأولية للكشف تشير الى أن هذا الموقع كان منطقة عمالية ، تخدم معبد الإله « بتاح » .

وفي قطاع الآثار الإسلامية يقول الدكتور فهمي عبد العليم ، المسئول عنه : لقد تم اكتشاف « القصر الأبلق » في القلعة ، وجزء من سور القاهرة القديم ، بالإضافة الى حفريات سيناء - (مدينة الفرما والقلاع المختلفة) - وحفريات مدينة « الفسطاط » ، العاصمة الإسلامية الأولى في مصر ، وكذلك حفريات مدينة البهنسا ، في صعيد مصر .

من هم بناة الأهرام ؟

وكانت البداية ، منطقة أهرام الجيزة ، أشهر المواقع الأثرية في العالم ، بأهراماتها ومقابرها التي دفن فيها ملوك الدولة القديمة من العصر الفرعوني ، وكبار موظفيهم . على الأقدام صعدنا هضبة الأهرام باتجاهنا الى مكاتب هيئة الآثار بالمنطقة التي تقع في سفح هرم خوفو . تجاوزنا بوابات الدخول المقامة بعد تنظيم







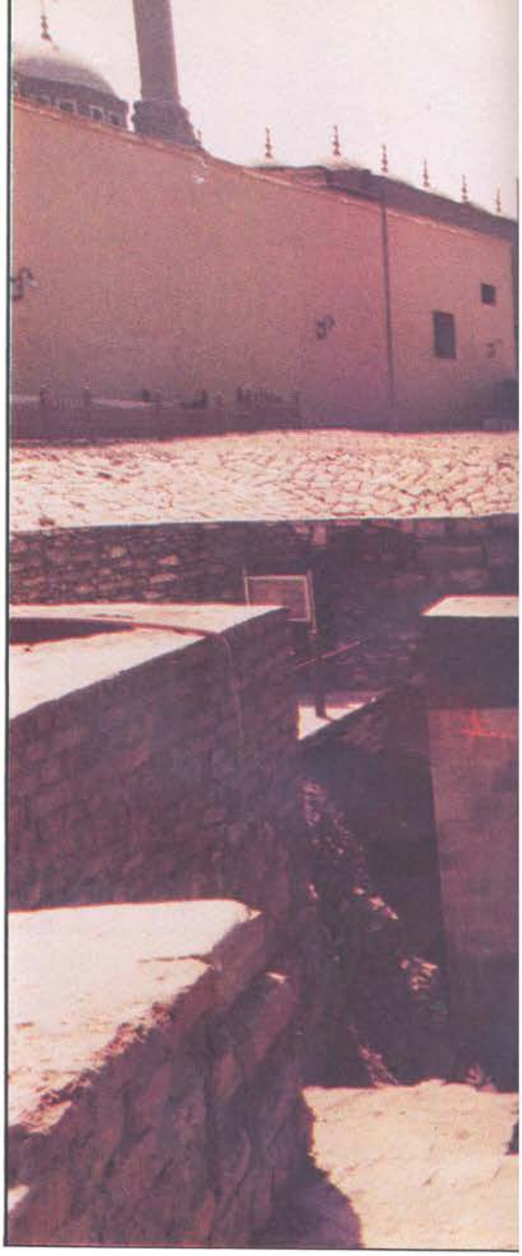
● بعض الآثار التي عُثر عليها في حفائر ميت رهينة ، صقر من الحجر الجيري يرمز للإله حورس إله السماء ، وطبق من الفخار يعود للأسرة الثامنة عشر ، وحبات خرز دقيقة كانت تستخدم في عقود لزينة النساء .



● منظر عام لجدران قصر الأبلق بعد ترميمها ، تبدو عليها آثار الفسيفساء .

المنطقة ، في خطوة أولى من مشروع متكامل ، يعيد لها احترامها .

مناخ شهر أيلول « سبتمبر » الخريفي على الهضبة صاف ورقيق ، يتداخل مع المهابة التي توقعها في النفس ضخامة الهرم ، وخلوده الممتد في الزمان ، فيثيران في النفوس متعة ممزوجة بدهشة إعجاب متواصلة ، لايمكن لإنسان أن يفلت من أسرها مهما تعددت زياراته للمكان . ولا يخل من روعة المشهد البصري والشعوري ، سوى زحف غابة المباني الحديثة المحيطة بالمنطقة ، بعدما أزاحت خضرة الأرض الزراعية التي كانت تحيط بها ، منذ سنوات قلائل ، من ناحيتها الشمالية والشرقية ، مع أن قيمة المكان الحضارية تفرض وضع حدود ، يقف عندها هذا



الزحف الخرساني الجامح الذي يفسد جلال المنطقة وروعتها ، لتكون بمثابة حرم لها يمنع تجاوزه .

واصلنا الصعود مع مجموعات السياح المتنوعة جنسية ولغة ، والذين يدفعهم انبهارهم الشديد بالمكان الى الانطلاق للتعرف على معالمه ، متأملين بإعجاب قدرة الإنسان ، ومثابرته في الخلق والإبداع .

وعلى الرغم من الجميع تهومّ الأسئلة في فضاء المكان حول بناة الأهرام : من هم ؟ وكيف ؟ وكم من السنين استغرق بناؤها ؟ لقد أجابت دراسات عديدة ، وموثقة - قدر ما سمحت به الشواهد والأدلة الأثرية المكتشفة - عن بعض هذه التساؤلات ، ولكنها لما تصل بعد الى درجة اليقين الكامل ، كما يقول الدكتور زاهي حواس ، مسئول آثار منطقة الجيزة وسقارة ، « فماتزال هناك احتمالات ، وادعاءات ، لا يدحضها إلا شواهد قاطعة بدلالاتها ، ولذلك سعت بعثة الآثار التي أشرف عليها الى الكشف عن « المدينة العمالية » ، أو قرية العمال الذين بنوا أهرام : خوفو ، وخفرع ، منكاورع (من ملوك الأسرة الرابعة من الدولة القديمة) .

سألناه : ماذا اكتشفتم فيها حتى الآن ؟

فأجابنا : « لقد عملنا في حفريات هذه القرية شهرين فقط ، كشفنا خلالهما عن الجزء الخاص بإدارة القرية ، ومخازن الحبوب ، ومواقع صناعة الخبز ، وجزء من « الجبأنة » التي كان يدفن فيها العمال . ونسعى عند استمرار أعمال البعثة في مواسم الحفر القادمة ، أن نعرف ما يمكن أن تبوح به هذه القرية من معلومات عن حياة عامة المصريين القدماء ، لأننا نعرف كثيرا عن حياة الملوك الفراعنة ، لكننا نجهل أسرار حياة العامة . وقيمة اكتشافات هذه القرية أنها تؤكد بأن قدماء المصريين - وليس غيرهم كما يدعي بعضهم عن جهل أو سوء قصد - هم الذين بنوا الأهرام » .

إن المعلومات الأولية التي توافرت عن نظام الإدارة في القرية تؤكد أن العمل في بناء الأهرام لم يكن سخرة ، كما يشيع بعض دارسي الحضارة المصرية القديمة ، وإنما كان العمال يقبلون على العمل فيه ، إما نظير الإعفاء من دفع الضرائب ، أو للحصول على أجر (حبوب وقمح) .

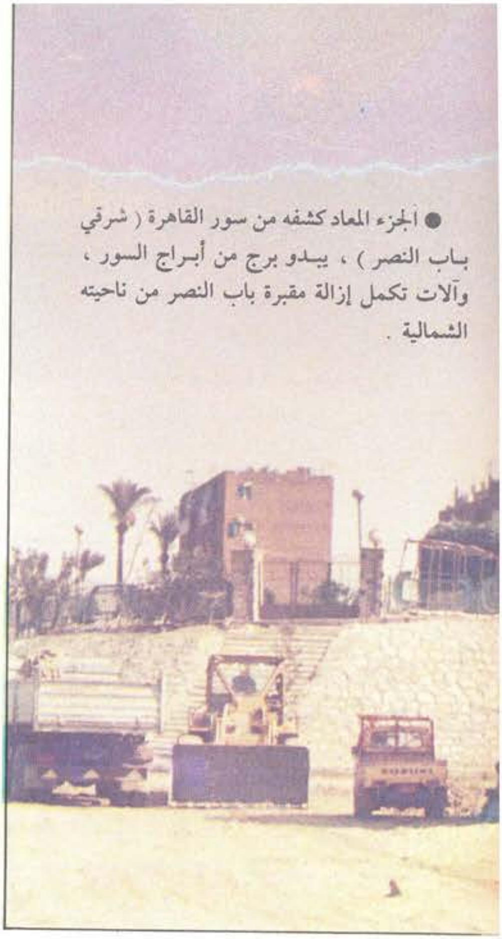


نعاين موقع المدينة العمالية جنوب شرق أبي الهول ، تبدو حدود الحفر فيها ، ولكن معالمها لا تبين بدقة ، فقد ردمت حماية لها حتى بداية موسم الحفائر القادم في شهر كانون الأول (ديسمبر) ، ثم نغادر الى منطقة سقارة .

« الجبانة » الملكية تفيض بالأسرار

سقارة تبعد عن القاهرة ٢٥ كيلو مترا جنوبا ، وتقع على حدود الأراضي الزراعية لوادي النيل باتجاه الغرب ، حيث الصحراء التي تضم صخورها ورمالها مقابر ملوك الدولة القديمة وأمرائها وكبار موظفيها . وفيها بني أول هرم في العالم القديم ، هرم « زوسر المدرج » الذي بناه المهندس المصري النابغة « ايموحتب » عام ٢٧٨٠ قبل الميلاد ، ولعله أقدم أثر حجري كبير الحجم في العالم .

ولأن سقارة كانت « الجبانة » الملكية للدولة القديمة ، فقد استمدت اسمها من إله « الجبانة » في مصر القديمة « سوكر » ، ولذلك فهي من أهم مناطق الجذب لبعثات الحفر والتنقيب ، ففيها تعمل عدة بعثات منذ سنوات : مصرية ، وأمريكية ، وفرنسية ، وتشيكية . ولقد نجحت هذه البعثات في الوصول الى اكتشافات أثرية مهمة ، في العامين المنصرمين ، منها اكتشاف البعثة المصرية التي يشرف عليها الدكتور سيد توفيق لعدد من المقابر ، ترجع الى الأسرة التاسعة عشرة من الدولة الحديثة ، وهذا الاكتشاف يثير عدداً من الإشكاليات التاريخية ، حيث إن من المعروف أن سقارة واحدة من « جبانات » الدولة القديمة ، وطيبة « الأقصر » هي « جبانة » الدولة



● الجزء المعاد كشفه من سور القاهرة (شرقي باب النصر) ، يبدو برج من أبراج السور ، وآلات تكمل إزالة مقبرة باب النصر من ناحيته الشمالية .

الحديثة . فلماذا توجد مقابر من الدولة الحديثة هنا ؟

ولعل من أهم الشواهد الأثرية ، ذات القيمة الفنية والتاريخية التي عثرت عليها هذه البعثة - كما يقول مفتشو آثار سقارة - تمثالاً نادراً للعجل « ابيس » ، رب التناسل ، ورمز الإخصاب عند الفراعنة الذين كانوا يعبدون العجل ، ويسمونه « روح الإله بتاح على الأرض » . وكان لابد أن يكون العجل المعبود أسود اللون ، وفي جبهته بقعة بيضاء . وكان يقال : إن البقرة التي تلد مثل هذا العجل لا تلد غيره ، ولذلك فإن هذا العجل المقدس ، حين يموت ، يحفظ ويدفن في مقبرة العجول المقدسة . والفريد في هذا التمثال أنه ربط « أزوريس » مع الإله « بتاح » مع العجل « أبيس » ، وعلى جبهته « الأريوس » ، أي الثعبان ، وهو الرمز الملكي . وهذا التمثال الذي يجمع بين أكثر من إله ورمز من فترات تاريخية مختلفة يثير مع المقابر المكتشفة أسئلة عديدة ، ستجيب عنها دراسات البعثة التي لما تنشر بعد .

مقبرة للقطط

عند وصولنا سقارة كان هدفنا مقبرة الوزير « عبريا » ، المكتشفة حديثا ، ولما يعلن عنها بعد ، لأننا أدركنا من حواراتنا مع علماء الآثار ، ومفتشيها ، أن الدلالات المستخلصة من المعلومات التي أباحها رئيس بعثة المعهد القومي الفرنسي مكتشفة المقبرة « ألن بييرزيفي » حول اسم صاحبها ووظيفته ، والمرحلة التاريخية التي ينتسب إليها ، ينتظر أن تثير جدلا ساخنا ، بين علماء المصريات في العالم حين الإعلان عنها .

المقبرة تقع تحت ربوة صخرية في شمال « سقارة » ، مقام عليها ، منذ زمن طويل ، استراحة كبار زوار هيئة الآثار . عندما وصلنا إليها كانت بعثة تلفاز أمريكية قد سبقتنا إلى هناك ، وأنهت تصوير مدخلها قبل إغلاقها بوقت قصير ، تمهيدا للإعلان عنها . ولذلك توافدت على المقبرة ، بدعوة من مكتشفها ، وفود إعلامية فرنسية وأمريكية .

في عام ١٩٨٠ بدأ العمل في المقبرة . في البداية عثرت البعثة في الطبقة الأولى منها على آلاف من مومياءات القطط المحنطة ، ترجع إلى العصر الفرعوني المتأخر ، والعصر البطلمي ، حيث كانت تنتشر عبادة الإلهة ، « باستت » ، معبودة منطقة « الزقازيق » ، الواقعة شرق الدلتا ، آنذاك . ولقد وُجدت بالمقبرة مقصورة لهذه الإلهة ، ولذلك أطلق عليها مقبرة « أولاد القطط » كما يقول الدكتور زاهي حواس .

لم نجد مكتشف المقبرة ، فصحبنا مساعده المصري مفتش الآثار أحمد عبد العال إلى موقعها . من مدخلها أطللنا عليها ، ولم نتوغل

فيها لانعدام الرؤية . نقوشها الجدارية تآكلت - *وإن لم تتلاش تماما - نتيجة تسرب مياه صرف* الاستراحة فوقها . اكتشف فيها بئر عمقها اثنى عشر مترا ، كانت حالتها رديئة فتم ترميمها . وفي موسم بعد آخر تواصلت أعمال الحفائر حتى ظهر سلم تحته من الناحية الشمالية أكتشفت حجرة دفن محفورة في الصخر ، على عمق اثنين وعشرين مترا ، كانت مليئة بتوابيت خشبية ، عليها نقوش وكتابات جميلة ، منها أمكن تحديد أسماء أصحابها ، وأحدهم هو « بانحس » ، وزير الملكة « حتشبسوت » .

ومنذ أسبوع واحد قبل وصولنا - كما قال مرافقنا - اكتشفت غرفة ثانية بعد عدد من الدرجات ، تبين من نقوشها أن صاحبها هو الوزير « عبريا » الذي كان وزيرا للملك « امنحوتب الثالث » « والملك اخناتون » من الأسرة الثامنة عشرة « الدولة الحديثة » .

ولقد عثر في المقبرة على كثير من الشواهد والأدلة الأثرية الفريدة من الالبستر ، والذهب ، والخشب . منها ذراعان مصريان سليمان تماما ، وهي المرة الأولى التي يكتشف فيها ذراع مصري



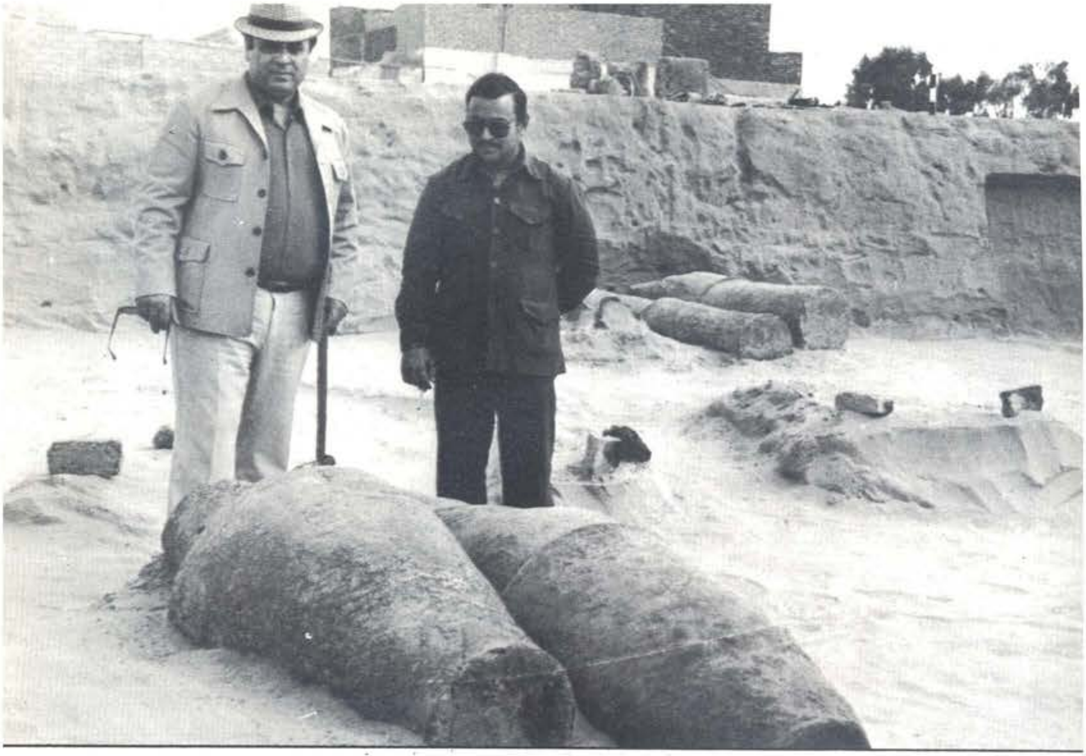
● الدكتور عبد الرحمن عبد التواب خبير الآثار الإسلامية .

سليم ، وهو أداة القياس الطولي ، وطوله ٥٢ سم . *ومنها أوان « كانوبية » من الالبستر* ، وهي أوان توضع فيها أحشاء المتوفى بعد تحنيطه ، ويوضع عليها غطاء وهو عبارة عن رأس يحاول الفنان أن يجعلها تحمل ملامح صاحب المقبرة قبل وفاته ، وتوضع بجانب التابوت من ناحية الغرب ، حتى تكون قريبة منه حين بعثه للحياة مرة ثانية .

القصر الأبلق

نغادر سقارة ، ونتجه إلى قلعة الجبل في قلب القاهرة .

من الباب الجديد الذي مهده محمد علي ، بجوار بابها المدرج القديم صعدنا ، ومع إيقاع خطواتنا على أحجار أرضياتها طفت على سطح الذاكرة بعض فصول تاريخها كثيرة الاضطراب ، فنشهد الفصل الأخير من حياة الملكة « شجر الدر » ، وهي محاصرة في حمام قصرها بالقلعة ، تتلقى ضرب الجواري لها بالقباقيب حتى تموت ، فترمى جثتها خلف أسوار القلعة لتتلقفها الغربان . ومع اجتيازنا لأبوابها ونحن متجهون إلى ساحة العلم ضمنا موكب المماليك الذين دعاهم « محمد علي باشا » لوليمة ، ثم أغلق دونهم الأبواب ، وأمر جنوده أن يُعملوا فيهم سيوفهم حتى يقضي عليهم ، إلا مملوكاً واحداً ، انطلقنا في ركابه وهو يهرب ، ثم يقفز بحصانه من فوق سطح القصر الأبلق المدفون ، إلى منطقة « باب العزب » في القسم السفلي من القلعة ، ونشاهده وهو ينجو بنفسه ، ثم نعرف أنه لاذ بالفرار إلى الصعيد . ومن البقعة نفسها التي قفز منها « أمين بك » شاهدنا بعض جدران قصر منتصبة في قلب حفائر حديثة ، عليها بقايا تكسيات رخامية ، ورسوم فسيفسائية . سألنا عنها مدير منطقة القلعة ، عبد السلام العوادلي الذي صحبنا إليها قائلا : إنها جدران الإيوان الرئيس « للقصر الأبلق » الذي أنشأه السلطان



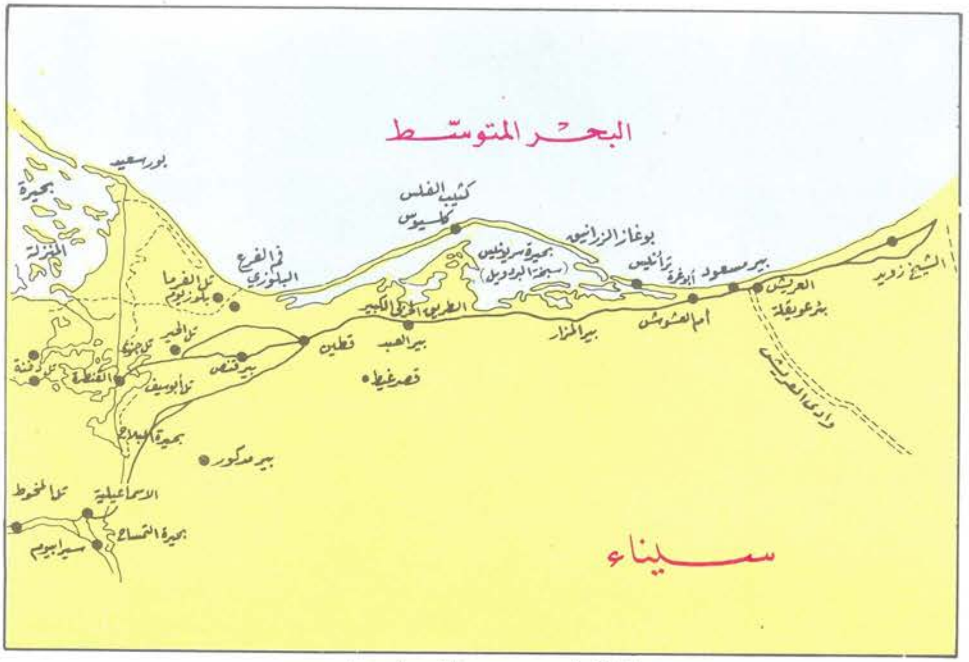
● توابيت حجرية اكتُشِفَت في القنطرة شرق ، تعود إلى العصر اليوناني (حفريات سيناء) .

الناصر محمد بن قلاوون عام ١٣١٣ م ، واتخذه قصرا للحكم . اكتشفناه في أثناء إنشاء متحف الشرطة القومي في ساحة العلم ، منذ عامين ، وهو القصر الذي ذكره المقريزي في خططه « بأنه [illegible] الناحية الغربية من القلعة ، وكانت العادة أن يجلس فيه ابن قلاوون كل يوم للخدمة ، ماعدا يومي الاثنين والخميس ، فإنه يجلس للخدمة بدار العدل ، ويمشي من باب القصر في دهاليز مفروشة بالرخام ، وقد فرشت فوقه أنواع البسط إلى قصر عظيم البناء ، شاهق في الهواء ، بإيوانين أعظمهما الشمالي ، وبجوار هذا القصر ثلاثة قصور ، وهذه القصور جميعها من ظاهرها مبنية بالحجر الأسود ، والحجر الأصفر [لذا سمي بالقصر الأبلق] وموزرة من داخلها بالرخام ، والنصوص المذهبة المسجرة بالصدف والمعجون وأنواع الملونات ، وسقوفها كلها مذهبة ، وقد موهت باللازورد ، وزينت جدرانها بالزجاج القبرصي الملون كقطع الجوهر المؤلفة في العقود » .

يقول الدكتور فهمي عبد العليم ، رئيس قطاع الآثار الإسلامية بهيئة الآثار : لقد وجدنا بقايا أجزاء من إيوان هذا القصر ، ومكان الفسقية ، وبقايا رخام ملون ، وعلى جدران الإيوان زخارف نباتية وأشجار ، وصور مختلفة منفذة من الفسيفساء المذهبة والملونة ، صورناها لأنها تحكي قصصا قديمة ، ككليلة ودمنة ، وعملنا الآن هو محاولة تجميع هذه الفسيفساء ، كي تكتمل قصصها ، ولقد أعددنا القصر المكتشف كما رأيتموه .

ويقول الاستاذ عبد الرحمن عبد التواب مسئول قطاع الآثار الإسلامية السابق ، وأحد خبراء الآثار الإسلامية في الوطن العربي ، عن تجربته مع آثار القلعة :

« لقد اتفقنا مع وزارة الأوقاف المصرية ، منذ سنوات ، على رفع ميضأة مسجد محمد علي ، على أعمدة خرسانية ، أكدت دراسات هندسية إمكان عملها ، حتى نكشف عن بقية « القصر الأبلق » وباقي القصور المملوكية المدفونة تحتها ،



● طريق « حورس » الحربي في سيناء .

فوافقت الوزارة ، ولكن قصور الميزانيات حال دون تنفيذها ، وإنني أرى أن إقامة متحف الشرطة سنة ١٩٨٥ في الموقع الذي يعلو هذا القصر عمل يجب التخلص من آثاره ، مهما كانت التكلفة ، لأن أثراً تاريخياً مثل هذا القصر ، أو غيره ، له قيمة ويجب حمايته مهما كانت التكلفة » .

أسوار القاهرة

ننزل من القلعة ، ندور حول أسوارها الشامخة ، فتذكرنا بسور القاهرة الذي بناه صلاح الدين ، ليحيط به عواصم مصر الإسلامية السابقة عليه (الفسطاط ، العسكر ، القطائع ، القاهرة المعزية) ، وجعل سور القلعة جزءا منه

يعرض علينا مرافقنا أن نرى عمليات الكشف عن الجزء الشمالي الشرقي من السور التي لما تكتمل بعد . نتوجه إلى حي الجمالية ، قلب قاهرة الفاطميين ، لنخرج من بوابة النصر . تحيط بنا أحداث التاريخ التي تفصح عنها جدران القصور والمساجد التي تغص بها شوارعه ، وحواريه ، وتتداعى صور الأحداث والشخصيات ، ثم نتوقف عند ما رواه المقريزي في خططه عن السور .

« إن القاهرة منذ أسست عمل سورها ثلاث مرات ، السور الأول كان من لبن وضعه جوهر الصقلي القائد (عام ٩٦٩ م) على مناخه الذي نزل به هو وعساكره ، حيث القاهرة الآن ، [اندثر جميعه] . السور الثاني بناه أمير الجيوش ، بدر الجمالي ، في سنة ٤٨٠ هـ ١٠٨٩ م ، وجعل السور من لبن ، وأقام الأبواب من حجارة [باق منه الآن بابا النصر والفتوح في الضلع الشمالي ، وباب زويله ـ المتولي ـ بالضلع الجنوبي] أما السور الثالث فقد بدأ عمارته السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، في سنة (٥٦١ هـ ـ ١١٧٠ م) ، وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله ، فلما استولى





● الأثري محمد عبد السميع مشرف حفائر أثرية بسيناء .

على المملكة انتدب لعمل السور الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي ، فبناه بالحجارة ، [التي جلبها من الأهرام الصغيرة بالجيزة] وقصد أن يجعل على القاهرة ومصر والقلعة سورا واحدا ، فزاد في سور القاهرة القطعة من باب القنطرة إلى باب الشعرية ، ومن باب الشعرية إلى باب البحر ، وبنى قلعة المقس [موضعها جامع أولاد عنان بميدان رمسيس الآن] ، وزاد في سور القاهرة قطعة مما يلي باب القصر ، ممتدة إلى باب البرقية وإلى درب بلوط ، وإلى خارج باب الوزير ، ليتصل بسور قلعة الجبل » .

نقترب من بوابة النصر ، أبراجها ، وبقايا السور فيها تلفت الأنظار بفنون عمارتها المتناسقة مع مهامها الدفاعية ، نتوقف عندها برهة ، ثم نخرج منها ، نتجه شرقا ، فنرى الجرافات والآلات الضخمة تواصل إزالة « جبانة » باب النصر في جانب السور الشمالي . يظهر السور على ارتفاع مقداره متر ، ومتران في بعض



● صهريج للمياه في « تل الطينة » غرب الفرما .

الأماكن بأبراجه المتعددة . أجزاء منه سليمة ، وأخرى قد أصابها البلى . نلتقي بالمشرف على أعمال كشف السور ، أسامه طلعت ، له دراسات على اسوار صلاح الدين . يحدثنا عن السور ، فيعود بنا إلى بدايات الكشف عنه على يد الأثري المصري علي بهجت ، والمهندس الفرنسي البيرجابرييلي اللذين اكتشفا ٣٥٧ مترا من السور عام ١٩١٧ ، عند كشفهما عن مدينة « الفسطاط » ، عاصمة عمرو بن العاص . ثم أضاف الأثري الانجليزي « كرزويل » عام ١٩٤٨ الباب المحروق الذي حرقه « أتباع فارس الدين اقطاي » الذي قتله عز الدين أيبك ، بعد زواجه من « شجر الدر » ، عند فرارهم من القاهرة ليلا من باب الخراطين فوجدوه مغلقا ، فعمدوا إلى حرقه ، وسمي منذ ذلك اليوم « الباب المحروق » . وأضاف الأثري عباس بدر اكتشاف باب القرافة في الستينيات .

ثم يضيف « إن الجزء الحالي الذي تم كشفه



● حمام روماني ملحق به طريقة للصرف الصحي تشبه طريقة الصرف المغطى الحديثة (اكتشافات الفرما) .



● كنيسة تحت الكشف من طراز البازليكا ، ترجع إلى العصر البيزنطي في « تل المخزن » شرق بيلزيوم .

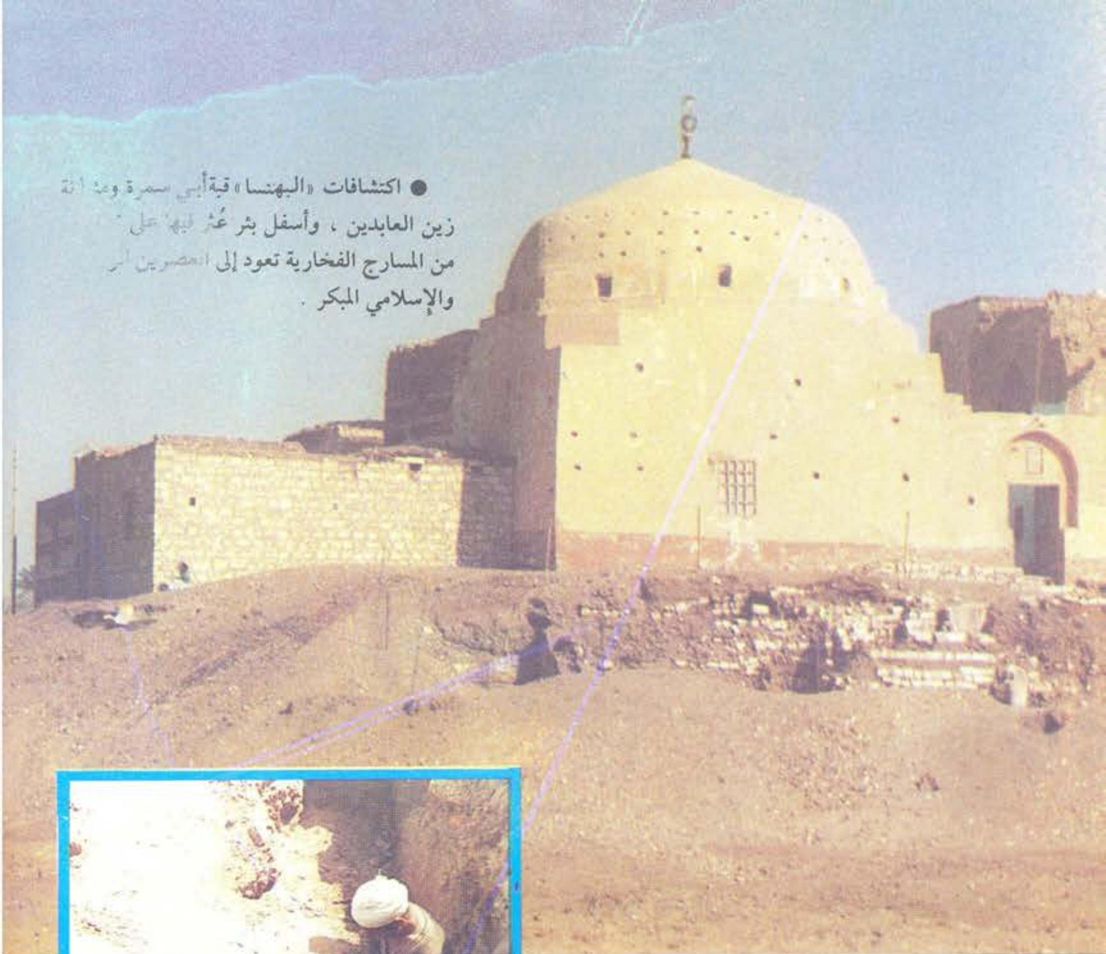
يمتد من باب النصر باتجاه برج الظفر ، والجزء المتبقي من الضلع الشمالي ، وهو الذي يلي باب الفتوح ، ما زال موجودا ، ويمكن رؤ يته من أعلى سطوح البيوت الملاصقة له من الناحيتين ، ما عدا أجزاء الشوارع التي اقتضت توسعات مدينة القاهرة فتحها ، وهو ينتهي بميدان رمسيس .

والجزء الذي نعمل فيه منذ مايو ١٩٨٩ يحتاج إلى حفريات بعمق خمسة أمتار ، وبعرض ستة أمتار من الناحيتين ، حتى نصل إلى قواعد السور الذي كان ارتفاعه ستة أمتار . وهذا قرار جريء يحتاج إلى تمويل لإقامة مساكن بديلة للقاطنين الملاصقين للسور من الناحية القبلية ، حتى نحافظ على هذا الأثر التاريخي » . ونحن نغادر الأسوار نحلم بأن تتوافر الإمكانات اللازمة لتحويل حي « الجمالية » كله ، إلى متحف ، حتى يبرز كل أثر من آثاره الكثيرة ، ويمكن المحافظة على طابعه القديم عمارة ، وفنونا ، وأنشطة .

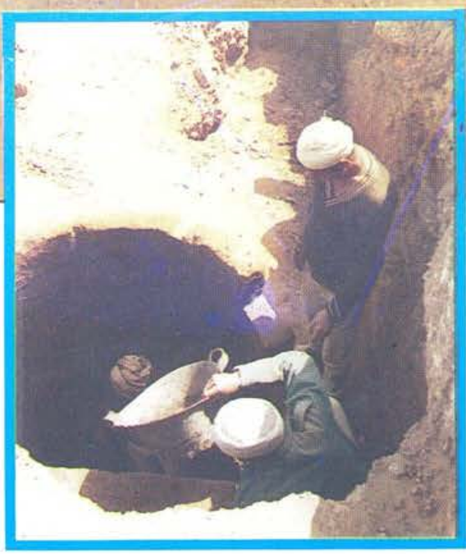
حفائر البهنسا تجربة عربية رائدة

إلى الجنوب من مدينة القاهرة ، على بعد مائتي كيلومتر ، وعلى الشاطيء الغربي لبحر يوسف ، على مسيرة ١٥ كيلومترا ، غربي مدينة بني مزار ، بمحافظة المنيا ، تقع مدينة « البهنسا » . كان اسمها في العصر الروماني « اوكسيربيتنكوس » وكانت مركزا إداريا مهما . وتؤكد روايات تاريخية قبطية أن السيدة مريم وابنها عيسى عليهما السلام أقاما فيها سبع سنوات ، عند قدومهما إلى مصر ، ثم انتقلا منها إلى القدس . ولذلك تحولت بعد ظهور المسيحية إلى مركز كثرت فيه الكنائس والأديرة التي امتلأت بالرهبان والراهبات ، كما تقول بعض الروايات التاريخية ، ولذلك اكتسبت مكانة مميزة في نفوس المصريين مسلمين ومسيحيين .

كما استحوذت على مكانة في الوجدان الشعبي ، عبر عنها القاص الشعبي عندما حكى عن فتوحات البهنسا التي يوجد فيها أكثر من



● اكتشافات «البهنسا» قبةأبي سمرة ومئذنة زين العابدين ، وأسفل بئر عُثر فيها على من المسارج الفخارية تعود إلى العصرين ال والإسلامي المبكر .



مخطوط ، أقدم واحد منها يعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي ، كما يقول الدكتور أحمد عبد الرازق ، أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة عين شمس . وكانت مركزا صناعيا لإنتاج النسيج والأخشاب والخزف منذ فجر الإسلام ، وبذلك تناظرت مع مدينة « الفسطاط » في هذا المجال ، كما أظهرت كتب المؤرخين والرحالة ، والدراسات الحديثة للأثريين .

وإلى هذه المدينة جاءت بعثات أجنبية ، للتنقيب ، منذ بداية القرن العشرين ، مهتدية بكتابات المؤرخين والجغرافيين الإسلاميين عنها ، كابن حوقل ، والمقريزي ، والإدريسي ، والواقدي . فعثروا على أكبر مجموعة من البرديات ، عثروا عليها بمصر ، وهي تنتسب إلى العصر اليوناني والعصر الروماني . ثم تواصلت أعمال الحفر والتنقيب فيها إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية ، فتوقفت ، إلى أن جاءت بعثة دار الآثار الإسلامية بالكويت ، لتعمل في المدينة أربعة مواسم حفرية ، اكتشفت خلالها آثاراً لها أهمية تاريخية كبيرة .

وتجربة البعثة الكويتية هي التجربة العربية الأولى في مجال البحث عن الآثار في مصر . تقول الشيخة حصة الصباح ، مديرة دار الآثار



الإسلامية بالكويت ، والمشرفة على أعمال البعثة : لقد برزت فكرة عمل حفائر في منطقة البهنسا عام ١٩٨٣ ، عند افتتاح دار الآثار . وفي عام ١٩٨٥ بدأت البعثة أعمالها بمساهمة علمية من جامعة لندن ، ممثلة في جهود الدكتور جيزا فهرفاري وبعض الباحثين الآثاريين ، وبتمويل من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي .

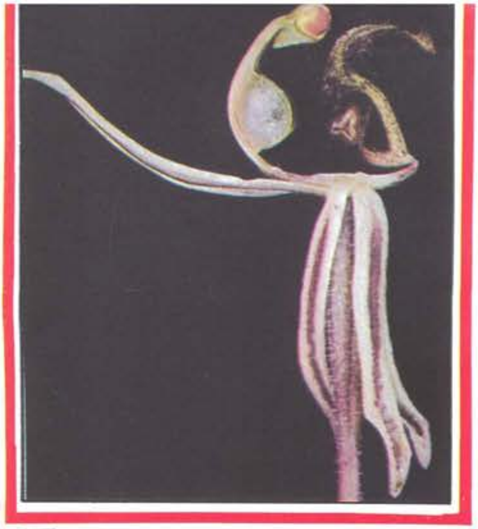
وكان هدف البعثة الإحاطة أولاً بالدور الذي اضطلعت به البهنسا في إنتاج صناعة الخزف ، ذي البريق المعدني الذي كانت تشتهر به مدينة الفسطاط ، ثم ظهر أن البهنسا كانت تنتجه ، كما أشارت بعض الفخاريات التي تنسب إليها . وثانيا رصد النمو الذي شهدته مدينة البهنسا ، منذ بدء العصر الإسلامي حتى الفترة العثمانية . وقد ضَمَّنا تقرير البعثة نتيجة أعمالها .

ولقد نجحت البعثة خلال مواسم حفر أربعة ، في عدد من المناطق باكتشاف كميات كبيرة من القطع الفخارية ، والخزفية ، المتنوعة الأساليب الصناعية والزخرفية . وعدد من قطع النسيج التي تقدم دلالة أكيدة بتميز البهنسا في صناعة الكتان والحرير ، والقطن أيضا . واكتشاف ثلاثة أفران من التي كانت تشوى فيها الفخاريات . وتم التعرف على موقع أربعين فرنا أخرى ، باستخدام القياس المغناطيسي . وكذلك اكتشفت مائتي قطعة من العملة الذهبية ، تحمل اسم الخليفة العزيز بالله ، وابنه الحاكم بأمر الله ، داخل جرة مدفونة في أحد مواقع الحفر .

كما أن البعثة جعلت لدراسة القباب الأثرية التي اكتشفت « بجبانة » المدينة أهمية كبيرة ، لأن القباب لم تنل العناية الواجبة بدراستها معماريا ، على الرغم من استخدامها في العمارة الإسلامية ، كما في جامع السلطان حسن بالقاهرة .

وتضيف الشيخة حصة الصباح قائلة : إن الشواهد والأدلة الأثرية التي عثرنا عليها في حفريات البهنسا ، من فخاريات وأنسجة وأوراق ، ستمكننا من تحصيل المزيد من المعلومات حول النشاط الصناعي للبهنسا منذ العصور القديمة حتى العصر المملوكي ، وستساعدنا في معرفة الحياة اليومية فيها خلال هذه الفترة ، عند استكمال أعمال الحفر في مواسم قادمة . ثم تؤكد أن البعثة ستقوم بترميم بعض الآثار الإسلامية الباقية بالمدينة ، كمأذنة مسجد زين العابدين ، مع بعض المساجد الأخرى ، حتى تكتمل فائدة التجربة العربية الأولى للبحث عن الآثار في مصر .

نخرج من تجربة البهنسا ، وحلم يداعبنا في أن تتكثف الجهود العربية في العمل على اكتشاف ما تحويه أرض الوطن العربي كله من آثار كانت نتاج إبداعاته الحضارية التي زخرت بها جنباته . فهل يتحقق هذا الحلم ؟ □



٢



١

أجمل الأزهار وأعجبها!



بقلم: الدكتور شكرى ابراهيم سعد *

كثير من الفصائل النباتية نجني منها الثمار، ونستمتع بجمال أزهارها، وأريجها، دون أن نعرف طريقة نموها، وتكاثرها، على الرغم من انتشارها الواسع. من هذه الفصائل أزهار الأراشد التي أعطاها الاغريق اسمها، فماذا نعرف عن الأراشد؟ وأين تنمو؟ وما فائدتها؟

* أستاذ النبات بكلية العلوم - جامعة الاسكندرية

لعل أحب الأزهار وأجملها وأعجبها هى أزهار الأراشد ، وهي تنتمى إلى الفصيلة الأراشيدية ، أكبر الفصائل النباتية ، إذ أن عدد أنواعها من ٢٠٠٠٠ ـ ٣٥٠٠٠ نوع ، وتوجد الأراشد في معظم مناطق العالم ، وبخاصة المناطق الاستوائية .

وتختلف نباتات هذه الفصيلة عن النباتات الأخرى ، ليس من حيث الشكل فقط ولكن في طريقة معيشتها ، فبعضها يعيش على الأرض وبعضها الآخر يعيش في الماء في المناطق المعتدلة ، وبعض آخر منها يعيش معلقا ومتدليا من أغصان الأشجار فى الغابات الاستوائية ، حيث يهطل المطر بغزارة .

وهناك القليل الذى ينمو ويعيش مدفونا تحت سطح الأرض لايرى النور منه مطلقا إلا الفرع الزهري .

نبات مثير للحيرة

بذور الأراشد من أصغر البذور حجما ، لايتعدى طول البذرة ٠,٣ « مليمتر » ، ولذا تحتوي ثمرة الأراشد على مئات الآلوف من هذه



١ بعض أزهار « الأراشد » المختلفة الأشكال

٢ أزهار أخرى من « الأراشد » تحاكي بشكلها السحالي وبعض الحيوانات الأخرى .

٣ نبات من « الأراشد » يعيش معلقا على الشجرة

البذور ، فتحتوي ثمرة نبات « سميديوم » على ما يقرب من ٨٥٠٠٠٠ بذرة ، ويصل العدد فى بعض الأنواع إلى مليون ونصف مليون بذرة فى الثمرة الواحدة ، كما فى ثمرة « ماكسيلدريا » ، و« كاتليا » . وإذا افترضنا أن ١٠٪ فقط من هذه البذور يكتب له النجاح فى الإنبات ، فإن الأراشد سوف تغطي سطح الكرة الأرضية ، ولكن جنين بذرة الأراشد صغير جدا ، ولا تحتوي البذرة على مواد غذائية مدخرة ، لا في الفلقتين ، ولا فى نسيج « الأندوسبرم » ، كما الحال في البذور العادية ، ولذلك من الصعب إنباتها ، والكثير منها يهلك بعد انتشاره . والإغريق هم أول من عرف الأراشد ، وعالم النبات الاغريقي « ثيوفراستس » هو الذى أطلق على هذه النباتات اسم « الأراشد » ، حيث إن البذرة عند إنباتها تكون كتلة خلوية تحاط بشعيرات ماصة ، تمتص الماء من التربة ، وتتكور مكونة جذرا درنيا ، ثم يتكون لها جذر درني آخر ، هو الذي يُكوِّن النبات بعد سنة من تكونه . هذانِ الجذرانِ الدرنيان ويسمونهما « بروتوكورم » يشبهان أحد أجزاء الجهاز الذكري للإنسان (كيس الرجل) ، وكان يعتقد أن تناول هذه الجذور يزيد القوة الجنسية للإنسان .

واختلاف الأشكال والأحجام والألوان بين نباتات « الأراشد » وأزهارها يحير الإنسان ، فمن حيث الحجم تختلف النباتات من صغيرة جدا ، لا يتعدى طولها اصبع اليد ، إلى كرمة يبلغ طولها عشرات الأقدام . أما من حيث اللون فجميع ألوان الطيف موجودة وممثلة بين أزهار الأراشد ، ويقل بينها اللون الأزرق ، وبعضها يقرب لونه من السواد . أما من حيث الشكل فمن الأزهار ما يشبه النحلة الصغيرة ، أو الذبابة ، ومنها ما يشبه البطة أو الاوزة ومنها ما يشبه الضفدعة أو السحلية .

إن الأراشد تنمو في معظم مناطق العالم ،

إلا أن أجملها ما ينمو في المناطق الاستوائية ، وبخاصة الغابات المطيرة في أمريكا الوسطى ، وكولمبيا ، وفنزويلا ، والبرازيل ، حيث تعيش النباتات معلقة ومدلاة من أغصان الأشجار ، وتحصل على غذائها من الذرات العضوية الدقيقة التي يحملها المطر ، وكذلك على الفتات الذي تصل إليه بجذورها ، وتحاط هذه النباتات بغلاف هيجرسكوبي ، يمتص الماء من الجو ، يسمى « فيلامين » ، فنباتات الأراشد لا تستخدم الأشجار إلا كدعامات فقط .

طريقة جديدة للإكثار

وعلى الرغم من الرحلات العديدة إلى هذه المناطق التى تنمو فيها الأراشد ، وجلب الأطنان منها لاستزراعها ، فقد باءت كل المحاولات بالفشل ، سواء كان ذلك في الخلاء ، أو في الصوب . وأخيرا بعد مضي مئات السنين اكتشف السر الذي احتفظت به الأراشد ، ألاوهو صغر حجم البذور ، وعدم احتوائها على غذاء مختزن ، فهي في حاجة الى من يمدها بالغذاء أثناء إنباتها ، ولقد وجدت هذه النباتات ضالتها في الفطريات ، واكتشف هذا السر العالم النباتي « نويل برنارد » ، فقد اكتشف فطرا عالقا بالبذرة الصغيرة ، يساعدها على الإنبات والنمو ، فالفطر يمد البذرة بالمواد المعدنية اللازمة لنموها ، كما يعطي الأوركيد الفطر المكان الآمن لمعيشته ، وقد يعطيه المواد الكربوهيدراتية إذا احتوى على الكلوروفيل ، وهي المعيشة التكافلية التى تشبه المعيشة والمشاركة بين الفطر والطحلب في نبات الأشن .

واليوم مع استمرار البحوث والتجارب العلمية اكتشفت طريقة جديدة سهلة سريعة للإكثار ، وهي استخدام القمم المرستيمية النامية ـ نسيج جنيني مؤلف من خلايا قادرة على الانقسام غير المحدود ـ وتنميتها في محاليل غـذائية ، وهى الـطريقة التى استنبـطها



واستخدمها العالم النباتي « جورج نويل » للحصول على نباتات بطاطس خالية من الفيروسات التي كانت تضر بمحصول البطاطس فى فرنسا .

وفى عام ١٩٥٦ طبقت هذه الطريقة في الحصول على العديد من الأراشد ، فراجت تجارتها فى العالم لشدة الطلب عليها ، والمعروف أن هذه الطريقة في التكاثر هي إحدى طرق التكاثر الخضري المعروفة التي يلجأ اليها الزراع للاحتفاظ بالصنف ، ولإكثار بعض النباتات التى يصعب تكاثرها عن طريق البذور .

الأزهار تغري

ولكن الإنسان يتطلع دائما إلى الأحسن والأجمل والجديد ، ولا يتأتى ذلك للنباتات إلا عن طريق التلقيح ، وهو نوعان : التلقيح الذاتي والخلطي . ومن الحقائق المعروفة أن التلقيح الخلطي ينتج عددا أكبر من البذور مما ينتجه التلقيح الذاتي ، ليس هذا فقط ، بل إن النباتات الناتجة عن طريق التلقيح الخلطي تكون أقوى وأصح وأجمل من النباتات الناتجة عن طريق التلقيح الذاتي ، وعلى الرغم من وجود الأعضاء الذكرية والأنثوية متجاورة في الزهرة الخنثى ، إلا أن التلقيح الذاتي لايحدث ، بل يحدث التلقيح الخلطي ، نتيجة تحورات عديدة تحدث في الأزهار . وكما تختلف الأراشد عن معظم النباتات الأخرى في شكلها ، وطريقة معيشتها ، فهي تختلف أيضا في طريقة تلقيحها ، وذلك نتيجة تحورات في تركيب أزهارها . ففي كثير من أزهار الأراشد تتحور إحدى البتلات إلى شفة ، كما يتحور أسفلها إلى مهماز يتجمع فيه الرحيق ، ويتكون الطلع في

أزهار الأراشد من سداة واحدة أو سداتين فقط ، تلتحم مع القلم في جسم واحد يسمى العمود ، كما تتجمع حبوب اللقاح في متك السداة ، وتلتحم لتكون جسماً واحداً أو جسمين يتميزان بملمسها الشمعي ، ويسميان « البولينا » ، وعندما تزور الحشرة الزهرة بحثا عن الرحيق تقف على الشفة ، وتمد خرطومها في المهاز ، فيلامس رأسها « البولينا » فتلتصق بها ، وعند زيارة الحشرة لزهرة أخرى تلامس « البولينا » مبسم الزهرة ، وتلتصق به ، وبذلك يتم التلقيح الخلطي .

ولكي تجذب الأزهار الحشرات لتلقيحها ، فانها تفرز رحيقاً ، وتتشكل بأشكال مختلفة ، منها ما يشبه أنثى هذه الحشرات ، فتنجذب الحشرات الذكور إلى الأزهار لتتزاوج ، وأثناء ذلك تلتصق كتل حبوب اللقاح (البولينا) بجسمها ، وتنقلها إلى أزهار أخرى . ومن الأزهار ما يتشكل بشكل حشرات معادية ، فتقوم الحشرات بالهجوم عليها ، لكي تفترسها ، وأثناء ذلك يتم التلقيح .

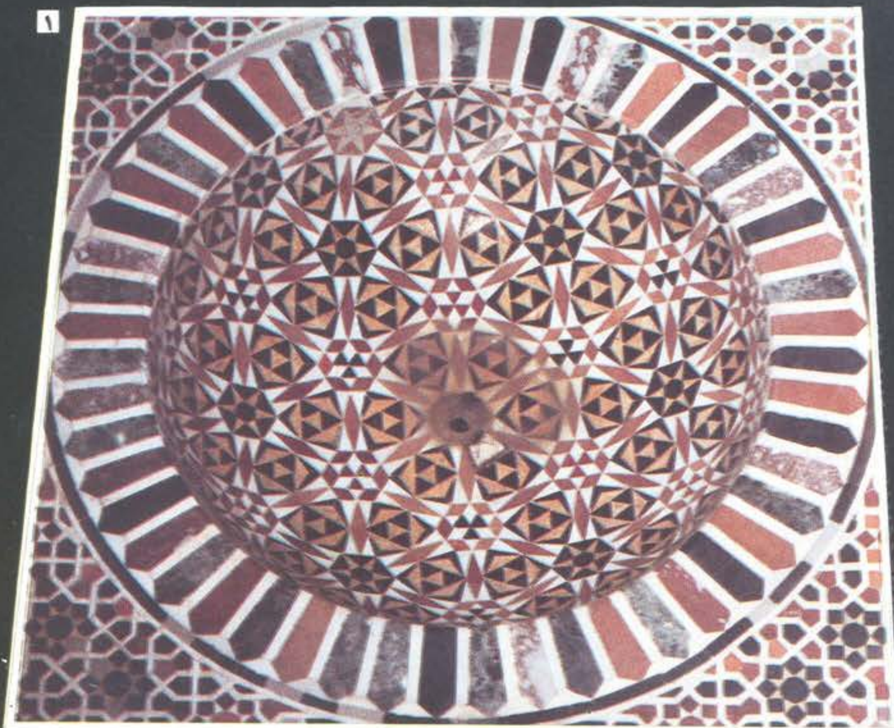
ومن الأشياء التي تجذب بها الأزهار الحشرات لتلقيحها الروائح الذكية التي تصدرها من غدد خاصة بها ، وبعض هذه الروائح يشبه شبها كبيرا الروائح التي تصدرها إناث هذه الحشرات ، ولحلاوة هذه الروائح الذكية حاول تجار العطور البحث عن مكوناتها لتقليدها معمليا ، واستطاعوا التعرف على تركيب ٣٢ منها ، وهى الآن تملأ أسواق العطور في العالم .

فوائد تجنى من الأراشد

ومن بعض الأراشد يُحصل على مادة الفانيليا ، هذه المادة العطرة التي تستعمل لإعطاء المأكولات والمثلجات والحلوى والفطائر والمشروبات الطعم والرائحة الذكية الجميلة ، وتؤخذ الفانيليا من الثمار الناضجة التامة لبعض أزهار الأراشد ، مثل نبات « فانيليا بلانفوليا » ، وهو أرشيد متسلق ، يتوطن الغابات الاستوائية الرطبة . ذو جذور عرضية درنية ، وأوراق كبيرة عصيرية ، وأزهار صفراء مخضرة ، وثماره طويلة رقيقة علبية تشبه القرون ، وتعرف بقرون الفانيلا . والقرون الخضراء لا تحتوي على مادة الفانيليا إلا بعد تسويتها ، ولذلك تجمع القرون عند اكتمال نموها قبل نضجها ، ثم تجرى لها عملية التسوية والتجفيف ، وذلك بتعريضها للشمس في أثناء الصباح ، ثم تغطى بالبطاطين بقية النهار ، وتوضع في المساء في صناديق محكمة ، وفي هذه العملية يتحلل أحد الجلوكو سيدات إلى جلوكوز ومادة الفانيليا ، بينما يتحلل الجلوكوسيد الثانى إلى جلوكوز وكحول الفانيليك الذي يتحلل بالتالي إلى مادة الفانيلين ذات الرائحة المميزة ، والنكهة الخاصة ، فتجف القرون ويسهل ثنيها ، وتصبح ذات رائحة عطرة ، ويتحول لونها إلى بني قاتم ، وتظهر بلورات الفانلين غالبا على سطحها .

وفي بعض البلدان التي تنمو فيها « الأراشد بريًا » يشرب الأهالي مستحلب الساق المكتنزة والجذور الدرنية ، لاعتقادهم بفائدتها الجنسية ويسمونها السحلب ، وتباع في الأسواق إماً على هيئة جذور جافة ، أو على هيئة مسحوق أبيض اللون ، بعد طحنها ، معبأة في أكياس تحفظها من الرطوبة ، وقبل طحنها تغسل الجذور جيدا وتجفف في أفران على درجة حرارة متوسطة . ولا يستعمل السحلب في الأغراض الطبية ، بقدر ما يستعمل كمشروب معد ، ويضاف اليه عادة السكر والحليب والمكسرات ، بالاضافة الى استخدامه لمعالجة كثير من الأمراض كالإسهال ، وبخاصة عند الأطفال ، كما يشرب لوقف النزيف الداخلي ، ولعلاج قرحة المعدة والأمعاء ، وكذلك لعلاج البواسير البولي ونزيف الرحم . وتعد ايران مركز تصدير السحلب ، والسحلب الإيراني أجود الأنواع في العالم . □

١



الرقش العربي
وفلسفة الفنّ الإسلاميّ

بقلم : الدكتور عفيف بهنسي

يتميز الفن التشكيلي الإسلامي بسمات تكسبه تفردا عن الفنون التشكيلية العالمية من حيث منطلقاته ، وأساليبه ، ومفرداته ، ويكاد الرقش العربي «الأرابسك» أن يكون أكثر نتاجات هذا الفن تعبيرا عنه ، وتجسيدا لفلسفته . فما الرقش العربي ؟ وكيف أفرغ المبدع العربي فيه رؤاه الفنية ؟



٢



٣

١ بركة داخلية من الفسيفساء الحجري الهندسي ـ دمشق .

٢ رقش ملون على خشب بتشكيلات نباتية وحيوانية واقعية .

٣ صحن خزفي عليه رقش نباتي ومجرد بمتحف دمشق الوطني .

تجلت عبقرية الصانع المبدع في الفن الإسلامي المجرد في تزيين أغنى به القطع الاستعمالية المصنوعة من الخزف ، أو الخشب ، أو الزجاج ، أو السجاد .

ولقد بدأ هذا التزيين الذي تجمعت فيه حصائل لاحد لها في متاحف العالم والمقتنيات الخاصة ، بأشكال وطرق تختلف باختلاف المادة التي صنع منها .

ولقد ميزت اللغة العربية بين طرق التزيين ، فكانت التسميات الدقيقة التي تفيد المعنى ، وكما هو شأن اللغة العربية ، ذات التركيب العضوي ، فإن فروق الألفاظ البسيطة تتماشى مع فروق المعاني ، ويبدو ذلك واضحا عندما نميز بين الأسماء ، الرسم والوسم والرشم والوشم والوشي ، وبين الأفعال ـ رقش ـ برقش ـ رقن ـ نقش ـ ونمنم ونمق . هذه الممارسات الفنية التي برع بها العرب والمسلمون ، ممتدة بين الزخرفة العفوية إلى الرقش الإبداعي .

فلسفة الفن العربي الإسلامي :

عند دراسة الفن العربي الإسلامي ، لابد أن ندرك أولا أن هذا الفن قام على أسس فلسفية جمالية مختلفة عن غيرها من الفنون ، وبخاصة الفن العربي الذي قام على الشبه والقياس الشكلي الإنساني .

فالصورة في الفن العربي الإسلامي تبقى مستقلة عن الواقع ، وهي نزوع مستمر للتحرر من الدلالة المحددة ، وسعي نحو التعبير المجرد والمطلق .

ذلك أن هذا الفن يخضع لقوانين روحية ، يحكمها مفهوم الوجود الأزلي (الله) ، ومفهوم فناء الأشياء الحية والجامدة بالوجود الأزلي ، هذا المفهوم الذي نسميه «الوحدانية» ، فالإنسان إذا كان محور القيم والفن في الفكر الكلاسيكي ، فهو في الفكر الإسلامي جزء

مغفل في رحاب الوجود الأزلي ، ولكنه يحمل صورة المطلق .

والفنان في نظرته إلى الأشياء يختلط لديه الجزئي مع الكلي ، لأنه ينظر إليها من خلال (حدسه) وليس من خلال عقله فقط أو حسه فقط . وهكذا فإن الرؤية الفنية هذه ، والخلفية الفكرية الروحية تلك ، حددتا شكل الفن الذي تميز عن غيره من الفنون ، وحمل خصائص ثابتة ، عبر تاريخ العرب والمسلمين ، وفي جميع أرجاء عالمهم .

الأصالة والحرية في الفن :

ولابد من التأكيد على أن هذا الشكل الفني المتميز ليس نتيجة لعجز عن محاكاة الواقع ، فإن كثيرا من الآثار العربية الإسلامية تدل على مقدرة عالية في تصوير الواقع ، ولكن المصور يخشى أن يضاهي الله في مقدرته على التكوين والتصوير ، وقد يكون هذا تنفيذا لإلزام خارجي فرضه الحديث الشريف ، ولكنه أيضا التزام داخلي اتبعه الفنان عبر العصور ، وهو يسير ضمن إطار مفهومه الفني الذي لم يخرج عنه إلا في عصور الانحطاط ، حيث استكان إلى مستوردات الفن والثقافة .

ولقد مارس الفنان المسلم عمله بحرية مطلقة كما يقول «غرابار» ، هذه الحرية المطلقة التي جعلت أي عنصر قابلا للتطور في أي اتجاه .

«وهكذا كانت للفن العربي في بداية الإسلام إمكانية نمو لاحد لها ، وإمكانية تطور كبيرة ، تشهد عليها واجهة قصر المشتى بوضوح ، مما يعطي فكرة عن خاصية مميزة للفن الإسلامي في عهد تكونه ، وهي (الحرية) . فليس هناك بداية وليس هناك نهاية ، وليست هناك حدود أخرى سوى إرادة الفنان» .

والرقش العربي يعبر عن ترابط إنساني اجتماعي ، وكما يقول جاك بيرك . «إن الرقش العربي هو تركيب وتلاق ، ففيه يتلاقى هدف الفنان مع الإدراك الحسي ومع المادة . وهكذا يبدو الرقش العربي مرتبطا بالمجتمع ، معبرا عن ذلك بكنيته العربية» .

لقد كان للأئمة المحدثين موقف واضح من طغيان التأثيرات الفنية الهلينية . فأكدوا على التحريم في نقل الصور الواقعية ، وألحوا على العودة إلى الصفاء والتجريد في التصوير .

الرقش العربي والزخرفة

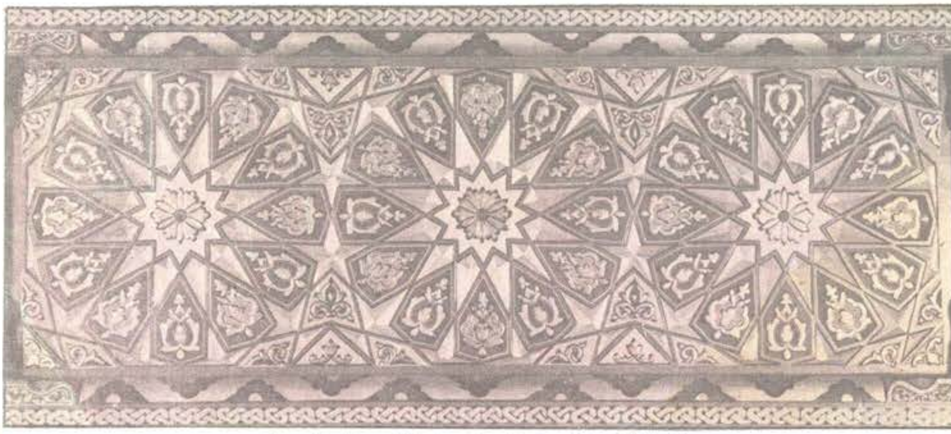
الفن العربي الإسلامي فن مجرد ، يعبر عن المطلق ، ويتجلى بصورة خاصة (بالرقش) الذى يبدو هندسيا ، يعتمد على (الخيط) ، أو نباتيا ويسمى (الرمي) .

وليس الرقش العربي زخرفة كما كان يسمى أحيانا عندما اختلطت الرؤية ولما تتضح الجمالية العربية الإسلامية بعد ، بل هو فن حي إبداعي .

يقول غرابار : «ليس الرقش العربي مجرد زخرفة ، بل كانت له دائما وظيفة رمزية ، ففي جميع أشكال الرقش ، سواء أكان هندسيا أم نباتيا ، فإن هذا الفن يبدو وقد أخضع كليا لمبادىء تجريدية هي في قمة جميع مراتب التعبير الجمالي الإسلامي ، وهذا يعني أننا نقف أمام بنية متحركة وليست ساكنة ، وأمام قالب يولد جملة تكوينات متآلفة» .

ويعتبر الرقش قمة الفن العربي ، ولقد اكتمل بعد أن انتقل عن الزخرفة ، أو تولد من تحوير الكائنات ، أو النبات ، أو من تركيب أشكال هندسية ، ثم وصل إلى التكوين المتآلف مضمونا وتشكيلا وتلوينا .

وتختلف الزخرفة عن الرقش ، فقد بدت أولا محاولة عفوية لتزيين الأشياء الاستعمالية وتزويقها ، فكانت أمام المزين أو المزوق فرص لاحد لها لاستلهام الجمال ، أو لتطوير الأشكال المجردة . وقد بدت الزخرفة مبسطة وبدائية



● زخارف هندسية (خيط) على الخشب الملون ـ دمشق .

والزخرفة لاتنتمي إلى أي جمالية محددة ، ولا تعبر عن شخصية فنية متميزة ، فقد تكون مجرد استيحاء من أشكال غير محددة ، أي إنما جاءت عفو الخاطر والخيال ، أو قد تكون نقلا عن زخرفة غريبة .

وتبدو الزخرفة أحيانا زينة للخط العربي ، وهو فن إبداعي متميز وأصيل . وبذلك تستعير هذه الزخرفة من أصالته وتتكنى بشخصيته ، ولكنها لاتبدو إبداعا مستقلا ، نرى ذاك واضحا في كثير من الأعمال الفنية التي حليت بالخط العربي الجميل ، ومثالها زخرفة قسم من مصحف مخطوط ، حيث زخرفت آيات القرآن المكتوبة بالخط الثلث بزخارف توريقية ، وهي أقرب إلى الرقش ، أما خلفية كتابة المصحف فإنها تبقى زخرفة وإن استفادت من أشكال الأوراق فحورتها وبسطتها . وخلفية ألواح القاشاني الإزنيكي (نسبة إلى مدينة أزنيك في تركيا) فهي نباتية واقعية تقريبا .

والخط العربي قد يخرج أحيانا عن أصوله وقواعده ، لكي يصبح زخرفة بحد ذاته ، وهي تحوير طوعي للخط ، حيث تبدو الكتابة المقروءة ، وقد أصبحت رقشا ، وقد نرى الخط وقد أصبح صيغة جديدة ، دون أن تكون الكتابة هي المقصودة بذاتها ونرى ذلك في أمثلة كثيرة ، تبدو على القطع الأثرية المحفوظة في دور الآثار الإسلامية .

الوحدة في الرقش العربي :

الرقش هو الفن العربي الإبداعي الذي يعتمد على خلفية فلسفية وعقائدية ، مما يجعل هذا الفن من خصائص العرب والمسلمين . ولايمكن أن يختلط الرقش العربي مع غيره من صيغ الفن في العالم ، ويكفي أن نلقي نظرة مقارنة على مجموعة من الأعمال الفنية العالمية ، لكي نميز الرقش العربي من بينها ، حاملا صيغة ثابتة ، وموحدة في جميع أشكال الفن غير المشبه مما أنتج في مختلف العصور الإسلامية .

وهو إما أن يكون هندسيا أو نباتيا ، فهو هندسي عندما تبدو الصورة على شكل أشعة ، تصدر عن مركز محدد ، على شكل وميض متناوب . ويسمى هذا الرقش (الخيط) أو تكون مستوحاة من الأزهار والأوراق على شكل صيغ متناسخة مكرورة بصورة أفقية ، ويسمى هذا الرقش (الرمي) أو (النباتي) .

ولهذا الرقش في شكله خلفية روحية ، تقوم على الوجد والمتعالي ، ففي الصورة الهندسية الإشعاعية نرى صورة الكون في نسيج متشابك ، يعطي معنى وحدة الوجود في ذروته

المتمثلة بالخالق (هو الأول والآخر) ، فالخيوط تجري بحركة جابذة ونابذة ، تنطلق من أشكال نجمية أولية ، ذات معان روحانية وفلسفية .

وفي الصورة النباتية تجري الصيغة مكرورة أو متطورة لانهاية لها ولابداية ، فهي تسعى إلى الله في تسبيح مستمر أو في ذكر دائم لاسم الله .

ولهذا فإن الرقش عمل رصين . وعلى الرقاش أن يتجه بكيانه إلى الله .

ويقوم الرقش الهندسي على فكرة سرمدية النسيج الوميضي ، وأن الله سيد الكون هو مصدر هذه السرمدية ، ويتمثل برمز صوفي في شكل نجمة . وقد تكون هذه النجمة سداسية أو ثمانية أو خماسية ، أو من مضاعفات هذه الأشكال .

والنجمة السداسية مؤلفة من مثلثين متساويي الأضلاع ، أحدهما رأسه إلى أعلى والثاني رأسه إلى أسفل ، الأول منهما يرمز إلى الأرض ، والثاني يرمز إلى السماء . وتطابقهما يرمز إلى الكون .

وكثيرا مانشاهد هذه النجمة في الزخرفة العربية الإسلامية، ويعتقد بعضهم أنها يهودية لأنها تسمى نجمة داوود ، وهي شعار «إسرائيل» الحالي ، ولكن الواقع أن هذه النجمة إذا استغلت من قبل «اسرائيل» فهي تعني عند الصهاينة معنى عنصريا ، فالمثلث المتجه إلى أعلى هو الصهيونية ، والمثلث الثاني هو الآخرون (غوييم) والسيطرة للمثلث الأول على العالم .

أما النجمة الثمانية فهي مؤلفة من مربعين ، أحدهما يمثل الجهات الجغرافية الأربع ، والثاني يمثل العناصر الأساسية الأربعة (الماء والتراب والنار والهواء) ، والنجمة الثمانية من المربعين ترمز أيضا إلى الكون .

أما النجمة الخماسية فهي اندماج المثلثين في النجمة السداسية وتحمل نفس المعنى .

والشكل النجمي يبدأ بتقسيم الدائرة إلى أقسام متساوية ٢٤ ، أو ٤٨ ، أو ٦٤ ، أو ٩٦ قسما ، والنجمة (الخمسيني) ذات ٤٨ رأسا ، تم ابتكارها في فاس (ضريح مولاي إدريس) وفي صناعة الزليج الأندلسية المغربية الرائعة .

ويبدو من هذه الأمثلة ، أن التجريد الأصيل في الفن العربي الإسلامي يختلف عن التجريد المعاصر في شكله كما في مضمونه .

فالتجريد في الرقش هو تعبير عما هو روحاني أو إلهي كما يقول «بريون» . ولكن التجريدية الحديثة إنما ترتبط باللاشيء وليس بالمتعالي الروحاني ولم ينكر الرقش فكرة المطلق ولكنها عنده هي المثل الأعلى (الله) . ولذلك سعى عن طريق الفن إلى إدراك الحق ، شأنه شأن الصوفي الذي كان يسعى عن طريق الاجتهاد إلى الاندماج بالله . □

روح العبادة



قالت السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها :
جعل الايمان تطهيرا لكم من الشرك .
وجعلت الصلاة تنزيها لكم عن الكبر .
وجعلت الزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق .
وجعل الصيام تثبيتا للاخلاص .
وجعل الحج تشييدا للدِّين .
وجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحة العامة .

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع



تدريب القرود .. وتربية الأطفال !

تدريبُ القرود وتربيةُ الأطفال !

بقلم : الدكتور غسان حتاحت

لا يهدف هذا المقال إلى عقد مقارنة بين تدريب القرود وتربية الأطفال ، بل يرمي إلى إرساء منهج إنساني خاص لتربية الأطفال ، يقوم على فهم حقيقة تبدو بديهية ، هي أن الإنسان أرقى شأنا من أن يعامل كما تعامل القرود .

قرأت في إحدى المجلات العربية ، قبل سنوات ، تحقيقا طريفا ، عن رجل يقوم بتدريب القرود ، بطرق فيها من الذكاء ، كما فيها من وحشية البشر ، الشيء الكثير . ولست أدرى إن كانت طرق هذا الرجل خاصة به أو أنها عامة لكل من يدرب قردا ، كما أنني لست أدرى إن كانت ماتزال تطبق حتى الآن أو أنها تغيرت .

كان هذا الرجل يشترى كل مرة قردا وكلبا ، وثمن القرد ، حسب ما ذكره في المجلة ، يعادل أربعة أو خمسة أمثال ثمن الكلب ، فكان يأخذ هذين الحيوانين إلى غرفة ، ويربط كلا منهما في طرف منها ، ويبدأ هو نفسه بالقيام بالأعمال التي يريد أن يعلمها للقرد ، فمثلا يقوم بتقليد مشية الكسلان ، ثم يلتفت نحو الكلب ويشير إليه أن يقلده ، وبما أنه لا توجد لدى الكلب غريزة التقليد ، كما هو معلوم ، فإنه يعجز عن القيام بذلك ، فينهال عليه الرجل ضربا مبرحا بالعصا . ثم يتابع تمثيل الحركات المختلفة التي يريد أن يعلمها للقرد ، ويشير إلى الكلب أن يقلدها . وفي كل مرة يعجز الكلب عن ذلك ، يناله الضرب السخي . وتستمر الحفلة ـ إن جاز هذا التعبير ـ حتى يموت الكلب من شدة الضرب المبرح ، فيحمل جثته ويلقيها خارجا .

عند ذلك يلتفت الرجل إلى القرد الذي كان يشاهد ما يجري منذ البداية ، ويأخذ بالقيام بالحركات المطلوبة ، ثم يشير إلى القرد أن يقوم بها ، ولدى القرد ، بطبيعة الحال ، غريزة قوية للتقليد ، وقد رأى من ضرب الكلب ما رأى ، وما جعله طوع بنان المدرب . فيقوم بالحركات المرادة أحسن قيام ، وبهذه الصورة يتعلم القرد كل ما أراد له مدربه أن يتعلمه ، ودون أن يتلقى ضربة واحدة .

لئن كانت طريقة التعليم هذه تحوي من وحشية البشر ما تحوي ، فإنها ذات فاعلية كبيرة في الوقت نفسه ، لكن ما يؤسف له أنها لا تقصر على تدريب القرود ، بل تشمل تدريب البشر أنفسهم ، وكلنا يذكر قول عنترة بن شداد كيف أنه إذا أراد أن يرهب جماعة من

أكل الزبيب » ، وما ذلك إلا لأن الزوجة تدرك أن ثمة عاطفة قوية ، هي عاطفة الحب ، تجمع بينها وبين زوجها ، مما يجعلها تحتمل في سبيلها كثيرا من الضيم !

أما عندما يطلق الزوج زوجته نراها لا تتقبل منه وقتها أي كلمة صغيرة أو إهانة يسيرة ، لأنها تعلم عند ذلك أن الحب قد ذهب .

من الأمثلة الآنفة نستطيع أن ندرك دور عاطفة الحب في التعامل مع الناس ، وفي تربية الأطفال وتعليمهم ، فبدون هذه العاطفة (بمعناها الواسع) لا يمكن أن تستقيم التربية على أصول صحيحة أبدا .

الاحترام :

كما أن للحب دوره الكبير في التأثير على الناس عامة ، وعلى الأطفال خاصة ، فإن للاحترام دوره أيضا . فكلما قابلنا سوانا من الناس - صغيرا أو كبيرا - بالاحترام قابلنا بمثله . ومن جهة أخرى فإن الناس يصبرون على أشياء كثيرة في تعامل بعضهم مع بعض ، وما لا يحتمل هو عدم الاحترام .

ذلك أن هذا الأمر يسيء إلى العلاقات البشرية كلها . علما بأن الإحساس بأهمية الاحترام يقصر على الكبار من ذوي الجاه والمال والسلطان ، بل إن الناس الذين يبدون أقل أهمية من غيرهم هم الذين يشعرون بنقص الاحترام أكثر من سواهم ، وتراهم بالتالي أقل تحملا لذلك .

وينبغي أن يشمل احترامنا للناس الأطفال أيضا ، بل إن احترامنا للطفل ، ولذكائه وطاقاته ومشاعره ، يجعله واثقا من نفسه ، ويفجر طاقاته ، ويفتح أمامه مجالات غير محدودة للإبداع ، كما أن احترام ذكائه يوقد ذلك الذكاء أو حسن استخدامه والاستفادة منه على الأقل . ولكم يدهش المهتمون بتربية الطفل وتعليمه ، وهم يراقبون إبداعه وقيامه بأعمال ما كانوا يحسبون أنه قادر على القيام بها . وما كان ليقدر على القيام بها لولا إتاحة المجال واسعا أمامه ، ولولا احترام ذاته وإمكاناته ومشاعره .

الحزم :

والحزم صفة مهمة جدا ، وأساس مكين في التعامل بين البشر من جهة ، وفي تربية الأطفال من جهة أخرى . خاصة عندما يمتزج مع الحب



والاحترام . وما من أحد منا يتعامل مع شخص ما ، ويعلم أنه حازم ، إلا ويشعر بالثقة به والاعتماد عليه ، ويفضل مثل هذا التعامل - ولو كان صعبا - على التعامل السهل مع شخص زئبقي له مائة وجه ووجه .

ويبدو هذا الأمر أكثر أهمية عند الأطفال الذين يبحثون - عادة - عن مثل أعلى ، وعن ركن شديد يلجأون إليه ويلتمسون القوة منه .

ومن الحزم أن ينفذ المرء وعده ووعيده ، وكل ما لم ينفذ من ذلك فهو من لغو الكلام ، وما أرخص لغو الكلام ومن يلغو .

الصدق :

والصدق لا يكون في شيء إلا زانه ، وليس الصدق في الكلام حسب ، بل يجب أن يشمل المشاعر الداخلية ، وما تكنه النفس ، وما تظهره الجوارح ، ذلك أن لكل جارحة في الجسم لغتها ، والناس والأطفال خاصة قادرون على أن يفهموا حقيقة المشاعر ، ولغة الجسم ، من حركات الشخص وتصرفاته وتعابير وجهه ، أكثر مما يتأثرون بكلامه ، بل إن الكذب ليرتسم على وجه الكاذب وكأنه يعترف أنه لايقول الصدق .

إن الصدق في تربية الطفل أمر أساس . ومن العبث أن نوجه الطفل وجهة لا نؤمن في صميمنا بها ، لأن ذلك سوف يؤدي إلى ارتباكه واختلاط الأمر عليه . ومن الخطأ أن نكذب أمام الطفل ، حتى لو كانت كذبة بيضاء ، لأن الطفل في هذه الحالة سَيَعُدُّنا كاذبين في كل ما نقول ، لأن الصدق كل لا يتجزأ .

التفهم :

إن تفهم مشاعر الآخرين ووجهة نظرهم تقوي تأثيرنا عليهم ، وتجعلهم أكثر تعاونا معنا . ولا شك أن لكل قول أو عمل يقوم به الإنسان أسبابا ، لا يمكن لنا أن نقدرها حق قدرها إلا بمعرفتنا بها . إننا عندما نتفهم سوانا نظهر مقدرتنا على الفهم ، وعلى حسن التعامل مع الناس الكبار منهم والأطفال .

المدح :

وهنا لا بد من أن نذكر أنه لا يوجد إنسان لديه مناعة ضد المدح . إلا من عصم ربك وحتى عندما يعلم بعض علم اليقين أن المدح كاذب يسر به ويتقبله ويثيب عليه ، ويشعر بالمودة تجاه قائله .

وفي أدبنا العربي ترى كثيراً من المدح ، شعرا ونثرا ، لممدوحين يعرفون حق المعرفة أن المدح كاذب ومبالغ فيه ، وغير حقيقي ، ومع ذلك تراهم يحتفلون به كل احتفال ، ويجازون عليه أكبر الجزاء .

على أن المدح الذي أقصده ليكون وسيلة فعالة في تربية الأطفال والمعاملة بين الناس ، يجب أن يتصف بصفات خاصة ، إذ ينبغي أن يكون واقعيا ، ويقدم في الوقت المناسب ، بعد أن يكون الطفل قد قام بعمل يستحق المدح ، ونريد أن نثبته عليه . أما المدح الدائم لكل حركة يقوم بها الطفل ، ولكل عمل يعمله ، فيؤدى إلى عكس النتائج المنوخاة منه ، بل ويثبت الصفات السيئة التي لا نريدها ، ويعيق تعلم الطفل بصورة سوية جيدة .

فالمدح سلاح ذو حدين ، ينبغي أن نتعلم كيف نجيد استعماله .

إن ماسبق أن ذكرته يلقي شيئا من الضوء على بعض الأسس التي ينبغي أن تتبع في تربية الأطفال . وهي كما رأيتم بعيدة كل البعد عن طرق مدرب القرود . فنحن أولا وأخيرا نتعامل مع البشر ، ويجب أن يكون تعاملنا معهم على هذا الأساس . □

حكاية الصداع



بقلم : الدكتورة هدى طحلاوي

يعد الصداع من أكثر الأمراض انتشارا بين الناس ، فهل هو من الناحية العلمية مرض قائم بذاته ، أو هو عرض لمرض أو عدة أمراض ، يدل عليها وينبيء بقدومها ؟

بعض الحكماء يقولون : إن الألم نعمة وهبت للإنسان ، وأن له فائدتين : أولاهما أنه يطهر النفس ، وأخراهما أنه يشير للمرض ويدل عليه . بينما يقول الفلاسفة عكس ذلك تماما ، أي أنه لا يوجد في الدنيا ما يسيء إلى النفس والروح مثل الألم ، ولذا كان الواجب الأول على الطبيب هو تسكين الألم .

عرض مشترك

وكلمة الصداع تعني كل ألم في الرأس ، وهو طبيًا عرض مشترك لأجهزة مختلفة . والأنسجة المؤلمة في الرأس محددة ، يمكن تعدادها كالتالي :

١ - جدار الأوعية الدموية ، وبخاصة الكبيرة منها .

٢ - سحايا القاعدة .

٣ - الأعصاب الناقلة للألم تكون مؤلمة بحد ذاتها أحيانا ، كعصب مثلث التوائم ، والعصب البلعومي ، واللساني ، والأعصاب الرقبية العلوية .

أما إذا أردنا أن نحصر أسباب الصداع الكثيرة فيمكن إيجازها وترتيبها على النحو التالي :

١ - الصداع النفسي

المنشأ : يشكل أكثر أنواع الصداع في العالم . وغالبا ما يكون فيه ألم الرأس في جهة القفا ، وفي الصباح أكثر منه في المساء ، وقد يصاحبه أرق ليلي ، وميل للكآبة ، وتذمر من العمل ، وقد يكون السبب النفسي واضحا للشخص ، كأن يبدأ الصداع إثر حادث أليم ، أو تعرض لمشكلة عارضة ، أو يكون غير واضح تماما ، وهذا يحتاج إلى استقصاءات عديدة لنفيه أو ثبوته .

٢ ـ الصداع السني المنشأ ، ويحدث بوجود ألم في الأسنان النخرة أو المنطبقة انطباقاً سيئاً .

٣ ـ الصداع العيني : يحدث بعد جهد عيني ، أو بسبب أمراض العين ، مثل مشكلات الانكسار التي تحدث اضطراباً في الرؤية للبعد أو للقرب وعلاجها بالنظارات المصححة .

وهناك الصداع الذي يحدث في مرض الزرق ، وهو ناجم عن ازدياد توتر العين ، ومن العلامات التي تشير إلى هذا المرض احمرار العين ، واتساع الحدقة ، وهو يتطلب علاجا فعالا وسريعا لحماية البصر .

٤ ـ الصداع العضلي : ويسمى صداع الشدة أو التعب، وينشأ عن تشنج العضلات الرأسية أو عضلات الرقبة ، وتشنج العضلات الرأسية يحدث عند الشخص النظامي غالبا الذي يشغل نفسه كثيرا بترتيب أموره إلى أبعد حد ، وينزعج لحدوث أي خلل في نظامه ، ولا يسامح فيه أبدا .

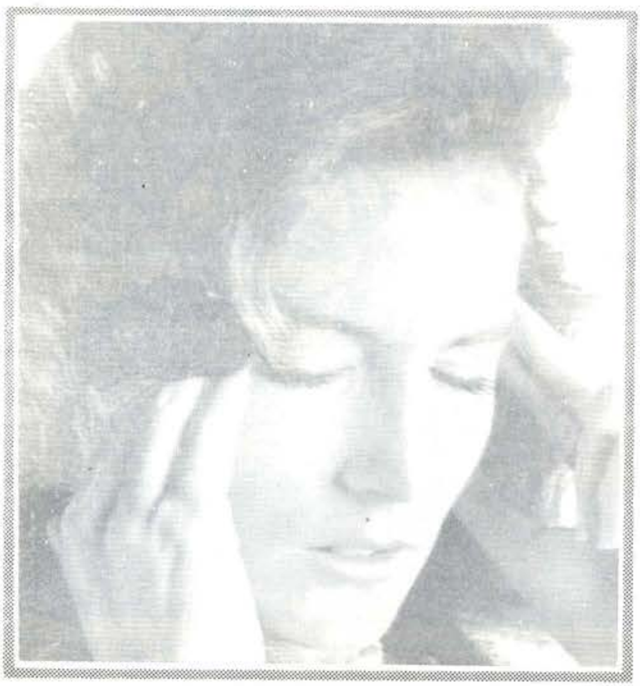
أما عضلات الرقبة فتتشنج لوجود آفات في عظام العمود الرقبي ومفاصله .

٥ ـ الصداع الأذني المنشأ : ويحدثه وجود دمل في الأذن الخارجية أو التهاب في الأذن الوسطى أو الخشاء .

٦ ـ الصداع الوعائي : يحدث في جميع الأمراض التي تؤدي إلى ارتفاع الحرارة ، لأن ارتفاع حرارة الجسم توسع شعب الشريان السباتي الباطن وجدار الأوعية من الأنسجة المؤلمة في الرأس كما ذكرنا .

الشقيقة

ويحدث هذا الصداع أيضا بوجود أمهات دم في الدماغ .



وهناك الصداع الوعائي بالخاصة ، والمعروف بالشقيقة ، وهذا من صفاته أنه نابض مزدوج أو شقي ، يأتي بنوبات ، ويترافق غالبا مع أعراض وعائية أخرى .

٧ ـ الصداع العصبي : وهو أخطر أنواع الصداع ، وسببه إما وجود كتلة في الدماغ ، أو حدوث التهاب في السحايا أو الدماغ ، وهذا النوع يترافق مع أعراض أخرى عصبية منبهة ، كالقيء ، واضطرابات الرؤية ، والشلول واضطرابات التوازن وخدر في الحس .

وهو حتما يتطلب الإسراع بمراجعة الطبيب للبدء في المعالجة المبكرة التي تعطي نتيجة أفضل قدر المستطاع . وهناك ألم عصب مثلث التوائم في الوجه الذي يعبر عنه المرض أحيانا بأنه صداع ، ولكن من صفات هذا الألم أنه برقي لامع ، يصفه المريض بأنه ألم يلمع كالبرق أو الكهرباء .

٨ ـ الصداع التالي للرض على الرأس إما لتشكل شبذ عظمي مكان الرض ، أو لوجود كسب مادي من ورائه ، يدعيه الشخص للتعويض له عن الحادث في العمل وغيره .

٩ ـ الصداع الغدي المنشأ : يحدث بوجود اضطرابات في الغدة الدرقية أو الغدة النخامية . ومن الجدير بالذكر أن الأطفال نادرا ما يصابون بالصداع المزمن ، وإذا أصيبوا به فغالبا ما يكون ذلك إحدى الحالتين التاليتين :

أ ـ شقيقة ، وتكون وراثية غالبا .

ب ـ مرض عصبي ، كحدوث التهاب سحايا ، أو تشكل ورم دماغي .

مراجعة الطبيب

وأخيرا فإنه على كل من يصاب بالصداع أن يكون على



علم بهذه الأسباب ، فإذا كان السبب واضحاً لديه ، كأن يبدأ الصداع بعد الإصابة بمرض معين ، عليه مراجعة طبيبه المختص بهذا المرض .

أما إذا احتار بمعرفة السبب ، فما عليه إلا مراجعة طبيب العائلة الخاص الذي يكشف سبب صداعه ويعالجه ، أو يحيله إلى الاختصاصي المناسب ، علما بأن هناك بعض الحالات التي تتطلب استشارة عدة اختصاصيين، إما لوجودأكثرمن سبب ، أو لعدم وجود سبب واضح معلل ، وهنا إذا نفيت الأسباب العضوية كلها يكون السبب بالتأكيد نفسيا ، وهذا السبب قد يكون كامنا لا يعيره الشخص اهتماما

وبما أن نسبة وجود العامل النفسي في الصداع كبيرة جدا أتقدم بالنصح إلى هؤلاء الأشخاص بأن يروضوا أنفسهم على الابتعاد عن الضجيج وزحمة الحياة المدنية المعاصرة ، شاغلين أنفسهم بهوايات جميلة ، وبأعمال مفيدة ، ولا يدعون الظروف والأحداث تتحكم بحياتهم ، بل عليهم أن يكونوا أسرع تكيفاً مع حوادث الحياة ، وأكثر إرضاء لأنفسهم بمنحها الرضا والقناعة من جهة ، والانفتاح والوثوب إلى كل ما هو جميل بالحياة من جهة أخرى ، وما عليهم إلا تأدية واجباتهم على قدر استطاعتهم ، وهنا لا بد أن ينالوا الراحة والطمأنينة النفسية الكافية . □

هو.. هي

مَن يحبُّهُم أكثر ؟

لا أدري كيف جاءتني فكرة أن الأب هو في العادة أكثر حبا لأبنائه من الأم . وعندما حاولت مناقشتها مع نفسي قلت : إن السبب في ذلك قد يعود إلى أن بعد الرجل عن أبنائه ، بسبب ظروف العمل ، وبالمقابل التصاق الأم بأبنائها ، هو الذي يغذي حب الأب البعيد عن أبنائه ، بينما يجعل الأم القريبة منهم ، الملتصقة بهم ، أقل حبا لهم .

ولا أعرف إن كانت هذه الفكرة صحيحة أو خاطئة ، إلا أنها راودتني بشدة مؤخرا ، عندما تقدم لخطبة ابنتنا شاب ، لانعرف عنه سوى أنه شقيق إحدى زميلاتها في العمل . وقد سارعت زوجتي بالموافقة كما فعلت مع الخاطبين الأربعة الذين سبق أن تقدموا لخطبتها . وكانت وجهة نظرها تتخلص في أن ابنتنا قد أكملت الدراسة الجامعية ، وأنها وجدت العمل المناسب ، وأنه لم يبق أمامها سوى الزواج . وحين قلت لها : إن الزواج ضروري ، لكنه يجب ألا يكون بأي ثمن ، أجابت : بأن الوقت يمر ، وأعربت عن خشيتها من أن يأتي يوم تجد ابنتنا نفسها فيه عانسا . وحين قلت : إن ابنتنا قد سلمت أمرها لنا ، وأن من حقها علينا أن نجد لها الزوج المناسب ، حتى لا تقضي بقية حياتها الزوجية تعاني من قرار متسرع اتخذناه نحن نيابة عنها ، وليست هي ، أجابت بأن الحياة الزوجية لاتخلو من المشاكل ، وأن المشاكل جزء من الحياة ، لابد أن نتعامل معه .

عند هذا الحد انتهى النقاش بالطبع . وقد أنهيته أنا ، لأنني لم أتصور أبداً أن تعيش ابنتي الصغيرة التي كانت محط رعايتي وحبي حياة تعسة ، مع زوج لا تعرفه .

وبعد ذلك قالت لي زوجتي : إن حبي لابنتي قد يصبح في فترة ما ، عقبة في سبيل سعادتها ، واستشهدت بالقول المأثور : « ومن الحب ما قتل » .

لم أجب ، بل ازددت اقتناعا بفكرتي التي مفادها أن الآباء يحبون أبناءهم أكثر .



.. هو

ومن الحب ما قتل

كثيرا ما سمعت أصدقاء ومعارف لي يستخدمون التعبير الشائع «ومن الحب ما قتل»، لكنني لم أحاول أن أتصور كيف يكون الحب شديدا إلى درجة القتل، وبالطبع فإنني لا أقصد القتل بمعناه الحرفي، بل بمعناه المجازي. ولكي أدخل إلى قلب الموضوع فإنني أريد أن أقول: إنني في خريف العمر، وهي كلمة لاتخيفني على أي حال، وان لي أكثر من ابن وابنة، وان حب الأبناء هو ما أعنيه هنا، فحب الأبناء هو الذي يقتل حقيقة، إلا أن من أخشى عليه أن يقتلهم حبا هو زوجي، والدهم، وليس أنا. فأعتقد أنني أكثر معرفة بأبنائي من والدهم، لأنني أكثر قربا منهم، وأكثر انغماسا بمشاكلهم ومعرفة بهمومهم.

ومؤخرا تقدم لخطبة ابنتنا الكبرى شاب، هو شقيق إحدى زميلاتها في العمل. وكانت تلك هي المرة الخامسة التي يتقدم فيها شاب لخطبتها.

ولأن ابنتنا لم تتعرف على الشاب شخصيا، ولأنها ترغب في الزواج الآن، بعد أن أنهت دراستها الجامعية، ودخلت معترك الحياة من خلال العمل، فقد أحالت الأمر إلينا قائلة: إنها تقبل بما نقرره.

وكان رأيي أن الشاب مناسب، فهو موظف، بسيط، وعلى درجة من الثقافة ليست كبيرة، إلا أنها كافية باعتقادي. وصحيح أننا لانعرف عنه الكثير إلا من خلال شقيقته، إلا أنه بدا لي زوجا مقبولا بالنسبة لابنتنا.

لكن المفاجأة كانت في أن زوجي رفض بشدة، وقال: إن ابنتنا تستحق شخصا أفضل منه، وأنه لايمكنه أن يزوج ابنته التي يحبها من شخص لايعرفه هو جيدا، وغير متأكد من طباعه.

وعندما قلت له: إن هذا خامس خاطب يتقدم لابنتنا، وإنني أخشى أن تجد ابنتنا نفسها عانسا، قال: إن هذا أفضل من حياة زوجية مع زوج سيىء.

وعندما قلت له: إن أحداً لايعرف إن كان الشاب سيئا. أجاب: وأن أحداً لايعرف أنه جيد. وعندما قلت له: إن هذا مستقبل ابنتنا، وأنها وضعت الأمر بين أيدينا، قال: إنه لهذا على الأخص لايريد أن يزوجها لأي كان، فهي أمانة في عنقه، وأن حبه لها وحرصه عليها هما اللذان يجعلانه متشددا إلى هذا الحد. ألستم معي في أن مثل هذا الحب هو المقصود بالتعبير الشهير؟ □

..هي





طبيب الأسرة

قضايا منزليّة

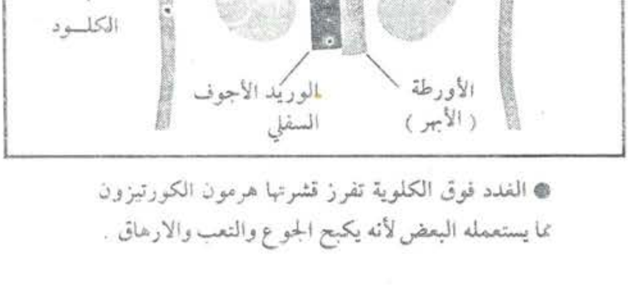
الرياضة وحكاية العقاقير

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

تتواتر القصص والحكايات في كل دورة من دورات الرياضة ، عن أبطال عمدوا إلى عقاقير ، تعينهم على فوز لاحق لهم فيه ، بعد أن أطاحوا بمبدأ تكافؤ الفرص الذي تقوم عليه الأخلاق الرياضية . وقد يضيق المقام عن سرد هذه القصص التي تواترت في دورتي ميونيخ وسيئول الأولمبية ، وأشهرها قصة العَدَّاء الكندي بن جونسون ، بطل سباق الجري الذي سحب منه اللقب ، بعد اكتشاف تعاطيه عقاقير منشطة ، ومنعه من المشاركة الدولية .

ولكن قصة الصبي السباح ، ريك دي مونت الذي لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره تستحق الذكر ، فقد اشترك هذا الصبي في دورة ميونيخ الأولمبية منذ سنين ، وفاز بالميدالية الذهبية برياضة السباحة ، غير أنهم في اللحظات الأخيرة سحبوا منه الجائزة التي فاز بها ، لأن تهمة تعاطي عقاقير منشطة قد ألصقت بهذا الصبي المسكين . لكن الأمر المثير المحزن في القضية ، لمن عرف الحقيقة ، هو أن الصبي كان يعاني من مرض الربو ، ولم يكن العقار الذي تناوله سوى عقار لعلاج الربو الذي داهمته نوبته في أثناء الألعاب الأولمبية .

من هنا ثار الجدل حول ما يسمح به من عقاقير وما يمنع ، ولعل هذا الجدل ما زال قائما



● الغدد فوق الكلوية تفرز قشرتها هرمون الكورتيزون مما يستعمله البعض لأنه يكبح الجوع والتعب والارهاق .

بين الأوساط الطبية حتى يومنا هذا ، غير أن هناك شبه اتفاق على ثلاثة أشكال من هذه العقاقير ، لا مهرب لأحد يستعملها من اتهام وشبهة .

هذه العقاقير هي :

أولا : العقاقير المنشطة .

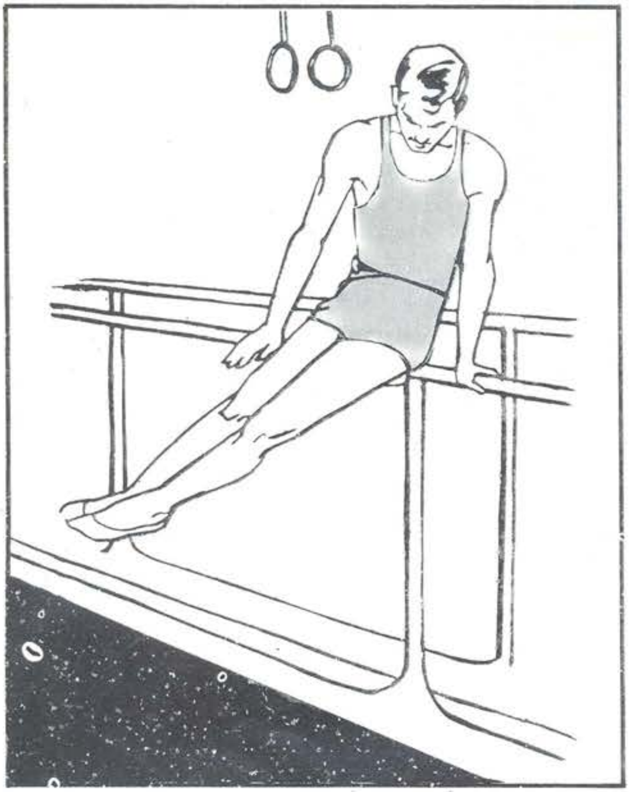
ثانيا : العقاقير المسكنة .

ثالثا : العقاقير البناءة .

العقاقير المنشطة :

هي عقاقير إذا ما تعاطاها الإنسان بددت عنه شعوره بالتعب ، وأطالت لديه مدة الجلد ، وشحنته باليقظة والانتباه ، لكن ذلك في فترة محدودة ، وهذه العقاقير تصنف على الوجه التالي :

أ ـ المنشطات : وهي عقاقير يتركز تأثيرها على المخ ، وبقية الجهاز العصبي . ولعل أهم أشكالها ما يعرف في الطب باسم « الامفيتامينات » ، وهذه أنواع عديدة ، قد يبلغ عددها خمسين ، أشهرها تلك الأقراص التي يتعمد بعضهم استعمالها لإنقاص الوزن ، بكبح الشهية ، غير أنه قد ثبت لأهل الشأن في الطب والأقرباذين (علم العقاقير) أنها مواد ذات خطورة ، من خلال إدمان صاحبها عليها ، شأنها في هذا شأن المخدرات . لهذا لا غرابة إذا اتجهت الأوساط الطبية إلى حظر استعمالها .



● الرياضة تعتمد على العضلات والمفاصل والدورة الدموية ، وأساس الفوز في المباريات الرياضية هو ـ القوة ـ الجلد ـ سرعة الاستجابة العصبية

ب ـ المنعشات : عقاقير قد وجد الأطباء فيها تأثيرا على نشاط القلب والرئتين ، لهذا استعملوها ردحا من الزمان في علاج الهبوط والصدمات العصبية ووهن القلب أو انحطاط عملية التنفس ، وإذا كان لنا أن نذكر بعض أسمائها فلن نجد أشهر من الكورامين والافدرين ، كما لا ننسى الكافيين الذي تتميز به القهوة والشاي والمشروبات الغازية والشيكولاتة .

العقاقير المسكنة :

من المألوف أن تتوتر أعصاب المتسابقين والمتنافسين في عالم الرياضة ، غير أن هذا التوتر الذي يصاحب مشاعر القلق التي تجتاحهم في أثناء المباريات قد لا تتوافق وطبيعة بعض أشكال الرياضة التي

تتطلب الهدوء والاسترخاء ، كما هو الحال مع مسابقات الرماية وإصابة الهدف مثلا ، فصاحب السهم والقوس ، الذي يطلق الرصاصة من مسدس أو بندقية ، بحاجة إلى هدوء واتزان يودي بهما القلق والتوتر ، لهذا يعمد بعضهم إلى المسكنات والمهدئات ، مما عرفت في الطب « بالديازيبام » ، واسمه التجاري « الفاليوم » لا بل ربما ذهب بعضهم إلى أبعد من هذا ، إذ يعمدون إلى تعاطي المخدرات كالأفيون والهيروين والحشيش وأقراص الهلوسة ، وهذا أمر لا يحتاج منا إلى جدل عن خطورته .

العقاقير البناءة :

تتولى جسم الإنسان عمليتان رئيستان متناقضتان ، هما عملية الهدم وعملية البناء ويعرف ذلك في لغة الطب باسم « الأيض » .

ولا شك أن تضخم العضلات يعود إلى غلبة البناء على الهدم ، ومن هنا قد يلجأ



بعضهم إلى عقاقير تعين على الإخلال بميزان الهدم والبناء ، لصالح البناء ، وهذا ما توهموا أن العقاقير تؤدي إليه . وأهمها السيترويدات والكورتيزونات التي تزرع عند صاحبها شعوراً بالنشوة والاعتداد الوهمي بالذات .

والسيترويدات هذه هي عقاقير قريبة الشبه بالكوليسترول ، تدخل أساسا في تركيب الهرمونات الجنسية ، كما تنتمي إليها مجموعة الكورتيزون الذي هو هرمون من إفراز قشرة الغدة فوق الكلوية المعروفة باسم الكظر .

لكن أخطار هذه العقاقير واثارها الجانبية دفعت بجمهور الأطباء إلى حظر استعمالها إلا بمشورة طبية معتمدة ، تؤكد حاجة المريض وضرورتها له ، حيث إن احتباس الأملاح في الجسم وهبوط القلب والإصابة بالاستسقاء والتورم ، وربما الإصابة بمرض السكر ووهن العضلات ، ما هي إلا مضاعفات تتربص بكل من يسيء استعمال هذه العقاقير ، دون رقابة طبية دقيقة .

لن يفوتنا أن نشير إلى لجوء بعضهم إلى عمليات نقل الدم الذاتي ، بمعنى أن يؤخذ دم الرياضي ليحقن به هو نفسه بعد حين ، بحجة دعم عمليات التنفس الداخلي من خلال زيادة رصيده من كرات الدم الحمراء .

ولن يفوتنا أيضا ذكر تعاطي الأقراص المضادة للحساسية ، توهما من بعضهم أنها فاتحة للشهية ، منشطة لنمو العضلات ، وهو وهم لا يعتمد على أساس علمي صحيح ، بل ربما أدى إلى عكس ما يطلب صاحبه ويتطلع إليه . □

تعويض

جلست الفتاة تعزف على البيانو لكي تشنف أسماع الضيف ببعض الألحان بينما التفتت الأم إليه قائلة في زهو واعتزاز :

لقد تكبدنا النفقات الطائلة في سبيل تعليم ابنتنا الموسيقا ! فالتفت إليها الضيف وقال متصنعاً الدهشة :

نفقات طائلة ؟ ! ولكن لماذا ؟ هل رفع عليكم الجيران قضايا تعويض ؟ !

مساحة ود!

رحيل

لم تتمالك السيدة العجوز نفسها ، فاستسلمت لبكاء صامت ، زاد مشهد الوداع حزناً .

كان ولدها الأصغر هو الذي يغادرها هذه المرة ، وعلى الرغم من أنه لم يتركها وحيدة تماما ، إذ كانت تعيش عند أحد أولادها العديدين ، فقد خرجت عن تماسكها الذي عرف عنها ، وفارقتها رباطة جأشها التي لم تتخل عنها يوما ، وأسلمت نفسها للبكاء الذي تخلله بعض النشيج .

ومع أنني لست ماهرا في قراءة الوجوه ، إلا أنني أدركت مدى الحزن ومبلغ الألم اللذين أصابا السيدة العجوز . فقبل وداع الابن الأصغر كانت قد ودعت عددا من أولادها الذين ضاقت بهم الأرض ، فاندفعوا يسعون إلى رزقهم في أرض الله الكبيرة . بعضهم ذهب وعاد ليستقر بالقرب منها . وبعضهم مضى وعاد ليمضي من جديد في رحلات عبثية تشي بفشل في الغربة لايوازيه غير فشل في البقاء . وبعضهم مضى ولم يعد . ذهب ولم يرجع لرؤية من تركهم ، فبقوا ينتظرون دون جدوى . وداوم الأبناء على الرحيل والعودة ثم الرحيل ، وبقيت هي كجذع زيتونة لايبارح .

وقبل هذا الوداع كان عليها أن تودع زوجها الوداع الأخير ، بعد رحيل ، ثم عودة ، ثم رحيل ، حتى كان الرحيل الأخير والوداع الأخير .

وخلال ذلك كله كانت الأم متماسكة لا تريم . تودع وتستقبل لتودع من جديد ، وهي ثابتة متماسكة مستسلمة لقانون الحياة الذي لا يتوقف ليستمع إلى بكاء المحزونين .

واليوم يأتي رحيل الابن الأصغر ، الابن الذي ظل والجميع يذهبون ويعودون . بقي جزءا منها وجزءا منهم ، يذكرها بهم ، ويرمز لبقائهم ، ويعزيها عن وجودهم في البلاد البعيدة .

هو المغادر الآن . فمن يبقى ؟ ومع أنني لستُ ماهرا في قراءة الأفكار . فلا بد أن تلك الأم العظيمة قد استعرضت في ذاكرتها المملوءة أسى ولوعة كل حالات الرحيل والفراق والبعد ، وكل حالات الاستقبال التي يعقبها رحيل ، والرحيل الذي ليس بعده عودة ، وهذه المرة فقط لم يكن أمامها غير الاستسلام لبكاء صامت تخلله بعض النشيج . □

صلاح حزّين

جمال العربية

بقلم : الدكتور حسن عباس

□ صفحة لغة

«بعض» وبعض أحوالها

لم تمر كلمة « بعض » مروراً هيناً سهلاً في معاجم اللغة وكتب النحو ، فقد تعددت دلالتها ، واختلف القوم في استعمالاتها . ورد في لسان العرب من معانيها : بعض الشيء : طائفة منه والجمع أبعاض . قال ابن سيده : حكاه ابن جني فلا أدري أهو تَسمُّحٌ أم هو شيء رواه . وقد اختلفوا في دخول الألف واللام عليها . قال الزجاجي : إننا نستعمل الكل والبعض استعمالاً مجازياً ، وهو في الحقيقة غير جائز ، فأنت إذا أضفت إليها الألف واللام فقد قطعتها عن الإضافة ، وهو ما لا يجوز ، لأن هذا الاسم لا ينفصل من الإضافة . وقال أبو حاتم : قلت للأصمعي : رأيت في كتاب ابن المقفع : العلم كثير ، ولكن أخذ البعض خير من ترك الكل ، فأنكره أشد الإنكار ، وقال : الألف واللام لا يدخلان في بعض وكل ، لأنهما معرفة بغير ألف ولام . على أن الأزهري يقف موقفاً يخالف فيه الأصمعي حيث يقول : النحويون أجازوا الألف واللام في بعض وكل ، وان أباه الأصمعي

ومن المحدثين من يقر دخول الألف واللام في « بعض » ، ويأتي لذلك بتعليل جائز . يقول الدكتور مصطفى جواد : إن (أل) الداخلة على (بعض) إنما هي للعوض ، أي العوض عن المضاف إليه . تقول : أصل الكتاب ، ثم تقول : (الأصل) . وتقول مذهب أبي حنيفة ، ثم (المذهب) ، و (كتاب الله) ، ثم (الكتاب) . وقوة هذه القاعدة تحملت تعويضا غريبا ، فقد قالوا (الفخر) لفخر الدين الرازي . و (السيف) لسيف الدين الآمدي . فالألف واللام في (البعض) عوض عن الضمير في الغالب ، وقد جاء في كلام الجاحظ قوله : « ولولا أن هذه الأمور قد كانت تكون في بعضهم دون بعض لما سمي ذلك البعض والبعض الآخر بهذه الأسماء » .

وجاء في كلام الثعالبي : « وهذا معنى قد اخترعه المتنبي وكرره في تفضيل البعض على الكل فأحسن غاية الإحسان ».ويضيف الدكتور مصطفى جواد : إن الباحث لايظفر ببعض معرّفة بالألف واللام في كلام قديم جدا . ويعزز مذهبه في جواز دخول الألف واللام بقول الجوهري في الصحاح : « وكل وبعض معرفتان ولم يجيء عن العرب بالألف واللام وهو جائز ، لأن فيهما معنى الإضافة أضفت أو لم تضف » . وهذا القول يتفق نصاً مع ما صرح به أبو علي الفارسي من أن كلا وبعضاً معرفتان لأنهما في نية الإضافة .

ويأتي خلاف آخر حول دلالتها على العدد ، فمن قائل بأن بعضا تعني الكل ، إلى قائل بأن بعضاً تعني ما دون النصف . فالذي يذهب المذهب الأول يعزز حجته بقول لبيد : « أو يَعتَلِقْ بعَضَ النفوس حمامُها » .

فقد فسر بعض في قول لبيد بأنه الكل . واعترض على ذلك المعترضون ، منهم ابن سيده الذي قال : « ليس هذا عندي على ما ذهب إليه أهل اللغة ، من أن البعض في معنى الكل ، هذا نقض ، ولا دليل في هذا البيت ، لأنه إنما عنى ببعض النفوس نفسه » . ومنهم أبو العباس أحمد بن يحيى الذي قال : « أجمع أهل النحو على أن البعض شيء من أشياء أو شيء من شيء إلا هشاما ، فادعى وأخطأ أن البعض ههنا (في قول لبيد) جمع ، ولم يكن هذا من عمله ، وإنما أراد لبيد ببعض النفوس نفسه » .

فالثابت إذن أن « بعض » تعني جزءاً من كل . يقول الدكتور مصطفى جواد : إن الذي ثبت عندي من معنى « بعض » المضافة إلى المعرفة ، غير المكررة ، أن المراد بها واحد أو واحدة ، من جماعة المضاف إليه وعلى حسابه في التذكير والتأنيث ، وأن إرادة أكثر من ذلك بها خارجة عن حيز الفصاحة مخالفة لاستعمال فصحاء العرب فضلا عن القرآن الكريم .

ويعزز الدكتور مصطفى جواد مذهبه بعدد من الأمثلة ، منها : قول الله عز وجل : « وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ . فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ » ، فقوله تعالى : « فقرآه » دل على أن المراد ببعضهم واحد منهم ، ولذلك أعاد الضمير إليه مفردا مذكرا ، ولم يقل « فقرآه » ولا « فقرؤوه » . وقوله تعالى : « وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ » . أراد:يلتقطه رجال القافلة ، وقد أيد ذلك قوله تعالى : « وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ » ، فالذي عثر عليه واحد ، وهو الذي التقطه بعد العثور عليه .

ومن أمثلة الشعر قول بشار بن براد :

ياقوم أذني لبعض الحيّ عاشقة
والأذن تعشق قبل العين أحيانا

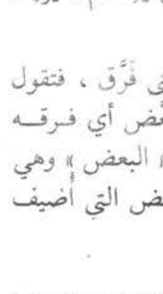
أراد ببعض الحي إحدى نسائه ، والمبدأ وراء كل ذلك أن بعضاً إذا لم تكرر دلت على واحده أو واحده في الكلام الفصيح ، أما البعض المضافة المكررة فهي تعني الجماعة وقد استفادتها من التكرار والاسم أو الفعل لها ، على أن السماع هو الأصل في ذلك . قال تعالى : « طَوَّافُونَ عليكم بعضكم على بعض » ، و « ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ » ، و « رَبَّنَا استمتع بعضنا ببعض » ، و « فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ » .

و « البعض » في هذه الجماعات وإن كان أصل وضعه للواحد والواحدة فهو يعني كل فرد من أفرادها ، فإبهامه بالتعيين هيأ له الشمول بالمعنى لا باللفظ .

وبعض مذكر في كل الوجوه ، وقد يصل بها بعض العرب كما قال الليث . وهم حينئذ يشبهونها بما ، من ذلك قول الله تعالى : « وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ » يريد يصبكم الذي يعدكم .

وقد تأتي « بَعَّضَ » فعلا بمعنى فَرَّق ، فتقول بَعَّضَ الشيء كله تبعيضا فَتَبَعَّضَ أي فرقه فتفرّق ، وينبغي التفريق بين « البعض » وهي مصدر الفعل بَعَّض ، وبين بعض التي أضيف إليها الألف واللام . □

بخيل



وقف سائل بباب بخيل يطلب احسانا ، فقال له البخيل : السيدات لسن في المنزل . . يرزقك الله .

فردَّ السائل : إنني أسألك رغيفا لا عروسا !!!

جمال العربية

□ صفحة شعر

□ هكذا غنى الآباء

بشار بن بُرْد يمدح ويفتخر

هو بشار بن برد بن بهمن أو ابن يرجوخ ، يضرب نسبه بعيدا في فارس ، وفي شجرة ذلك النسب عدد من ملوك الفرس الذين يكثر في شعره مدحهم والفخر بهم . كان أبوه برد بن بهمن أو ابن يرجوخ هو أول من أسلم من أفراد أسرته ، وكان بشار من الموالي بلا خلاف . وقد نقل أبو الفرج الأصبهاني عن حميد بن سعيد قوله : كان بشار من شَعب أدريرس بن يستاسب الملك بن يهراسب الملك ، وهو من خراسان ، وكثيرا ما ذكر ذلك في شعره .

« من خراسان وبيتي في الذرى
ولدى المسعاة فرعي قد سبق »

كان بشار مولى لبني عقيل بن كعب من بني عامر . وقع أبوه برد في الفيء في سبي المهلب من أعجام ما وراء النهر في حدود سنة ٨٠ للهجرة ، وأصله من طخرستان ، فصار عبداً لخَيْرَة القشيرية ، زوج المهلب بن أبي صفرة ، ثم وهبته مولاته خَيْرَة لامرأة من بني عقيل ، وقد وُلد له بشار ، وهو عند العقيلية ، فلما مات الأب أعتقت العقيلية بشارا . يقول في بني عقيل :

إنني من بني عقيل بن كعب
موضع السيف من طلى الأعناق

وربما انتسب بشار إلى قيس عيلان ، وقد افتخر بهم وبمواقعهم ، وأدخل نفسه فيهم في القصيدة التي اخترنا مقتطفات من أبياتها . كان بشار يُكنى أبا معاذ ، وكانت أمه رومية . ويبدو أنه ولد أعمى ، ثم أصيب بالجدري ، فجمع من قبح الصورة ما جعل منه مضربا للمثل ، أضف إلى ذلك من صفاته الشخصية سوء الخلق ، وبذاءة اللسان وسرعة الغضب ، والجهر بالمعاصي ، وغير ذلك من صفات لا تحمد . على أنه كان شاعرا من كبار الشعراء ، وهذا هو الذي أبقى على ذكره . ومما يذكر له فضلا عن شاعريته الفذة : سرعة البديهة والذكاء . كان يجلس يوما عند الخليفة المهدي ومعه أبو دلامة ، فافتخر بشار بحب النساء له ، فرده أبو دلامة قائلا : لَوَجْهُكَ أقبح من ذلك ووجهي مع وجهك ، فقال بشار : كلا ! والله ما رأيت رجلا أصدق على نفسه وأكذب على جليسه منك !

ومن مُلَحِه أنه مدح المهدي بقصيدة ، فلم يجزه ، فقيل له : حرمك أمير المؤمنين ، فقال : والله لقد مدحته بشعر لو مُدِح به الدهر ما خشي صرفه على أحد ، ولكنني كذبت في العمل ، فكُذِبْتُ في الأمل !

ولا يذكر بشار إلا وتذكر الزندقة ، فقد انتشرت في زمانه ، وعظم خطرها ، وقد قتل على الزندقة خلق كثير في خلافة المهدي . أما بشار

فقد كثر اتهامه بالشعوبية وبالزندقة ، وقد ساعد على التصاق هاتين التهمتين به كثرة أعدائه وبذاءة لسانه ، فأمر به المهدي فقُتِلَ ضربا ، وكان ذلك في عام ١٦٦هـ . وقد عُدَّ بشار أول المولدين ، وآخر المتقدمين من الإسلاميين ، ولقبه العُباب بأبي المحدثين .

جَفَا وِدُّهُ فَازْوَرَّ أَوْ مَلَّ صَاحِبُهْ ... وَأَزْرَى بِهِ أَنْ لَا يَزَالَ يُعَاتِبُهْ
خَلِيلَيَّ لَا تَسْتَنْكِرَا لَوْعَةَ الْهَوَى ... وَلَا سَلْوَةَ الْمَحْزُونِ شَطَّتْ حَبَائِبُهْ
شَفَى النَّفْسَ مَا تَلْقَى بِعَبْدَةَ عَيْنُهُ ... وَمَا كَانَ يَلْقَى قَلْبُهُ وَطَبَائِبُهْ(١)
فَأَقْصَرَ عِرْزَامُ الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا ... يَمِيلُ بِهِ مَسُّ الْهَوَى فَيُطَالِبُهْ(٢)
إِذَا كَانَ ذَوَّاقاً أَخُوكَ مِنَ الْهَوَى ... مُوَجَّهَةً فِي كُلِّ أَوْبٍ رَكَائِبُهْ
فَخَلِّ لَهُ وَجْهَ الْفِرَاقِ وَلَا تَكُنْ ... مَطِيَّةَ رَحَّالٍ كَثِيرٍ مَذَاهِبُهْ
أَخُوكَ الَّذِي إِنْ رِبْتَهُ قَالَ إِنَّمَا ... أَرَبْتُ وَإِنْ عَاتَبْتَهُ لَانَ جَانِبُهْ(٣)
إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الذُّنُوبِ مُعَاتِباً ... صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهْ
فَعِشْ وَاحِداً أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ ... مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى الْقَذَى ... ظَمِئْتَ ، وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ ؟

* * * * *

لَعَلَّكَ تَسْتَدْنِي بِسَيْرِكَ فِي الدُّجَا ... أَخَا ثِقَةٍ تُجْدِي عَلَيْكَ مَنَاقِبُهْ
مِنَ الْحَيِّ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلَانَ إِنَّهُمْ ... عُيُونُ النَّدَى مِنْهُمْ تُرَوَّى سَحَائِبُهْ
وَسَامٍ لِمَرْوَانٍ وَمِنْ دُونِهِ الشَّجَا ... وَهَوْلٌ كَلُجِّ الْبَحْرِ جَاشَتْ غَوَارِبُهْ(٤)
أَحَلَّتْ بِهِ أُمُّ الْمَنَايَا بَنَاتِهَا ... بِأَسْيَافِنَا ، إِنَّا رَدَى مَنْ نُحَارِبُهْ(٥)
وَمَا زَالَ مِنَّا مُمْسِكٌ بِمَدِينَةٍ ... يُرَاقِبُ أَوْ ثَغْرٍ تُخَافُ مَرَازِبُهْ(٦)
إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نُعَاتِبُهْ(٧)
وَكُنَّا إِذَا دَبَّ الْعَدُوُّ لِسُخْطِنَا ... وَرَاقَبَنَا فِي ظَاهِرٍ لَا نُرَاقِبُهْ(٨)
رَكِبْنَا لَهُ جَهْراً بِكُلِّ مُثَقَّفٍ ... وَأَبْيَضَ تَسْتَسْقِي الدِّمَاءَ مَضَارِبُهْ
وَجَيْشٍ كَجُنْحِ اللَّيْلِ يَرْجُفُ بِالْحَصَى ... وَبِالشَّوْلِ وَالْخَطِّيِّ حُمْرٌ ثَعَالِبُهْ(٩)
غَدَوْنَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خِدْرِ أُمِّهَا ... تُطَالِعُنَا وَالطَّلُّ لَمْ يَجْرِ ذَائِبُهْ
بِضَرْبٍ يَذُوقُ الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ ... وَتُدْرِكُ مَنْ نَجَّى الْفِرَارُ مَثَالِبُهْ
كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ ... وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ(١٠)

---

(١) عبدة : اسم محبوبته ، طبائبه : جمع طبيبة ، وهي الحبيبة المواسية المواصلة . (٢) عرزام : القوي الشديد من كل شيء . مس الهوى : جنون العشق (٣) رِبْتَهُ : شككته . (٤) السامي : القاصد بعداوة ، الشجا : ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه ، الغوارب : أعالي الموج . (٥) جعل للمنايا أما وبنات وقال : إننا الموت لمن نحاربه . (٦) المرازب جمع مرزبان وهو الرئيس . (٧) صعر خده : أشاح بوجهه كبرا . (٨) دب : مشى على هينة واستخفاء ، راقبنا : حاذرنا . (٩) يرجف : يدوي صوته ، الحصى : العدد الكثير . الخَطّي : الرمح . الثعالب : جمع ثعلب ، وهو طرف الرمح الداخل في حديد السنان . (١٠) النقع : غبار الحرب .

الأُسُود

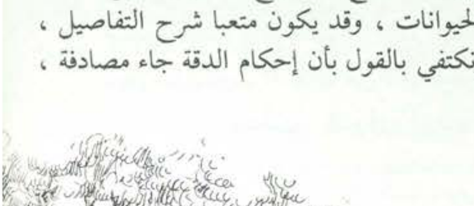
قصة : للكاتب البرازيلي مولير سلكيار
ترجمة : الدكتور زكي الجابر

لم تشكل الأسود تهديدا في أيامنا هذه ، ولكن الأمر كان كذلك في سنين قد خلت ، حين شرعت آلاف ، بل ملايين منها ، تجوب افريقيا بزئير يرتجف له الغاب ، وشاع الخوف من احتمال غزوها لأوربا وأمريكا . وقد حذر من هذا الخطر المرتقب كل من رايت وفريرمان وماسون ، وآخرون . وعليه تقرر القضاء على هذه الوحوش الماكرة . وجاءت عملية الابادة على النحو التالي :

في يوم قائظ ، ألقت طائرة قاذفة قنبلة ذرية ، ذات قوة انفجارية متوسطة ، على الحشد الكبير المتجمع عند بحيرة تشاد ، ودمرته تماما . وقد أبانت ذلك التمزق الكلي ، الصور الفوتوغرافية التي التقطت إثر انقشاع الغمامة التي كان شكلها كنبات الفطر ، ويطوقها الآن حزام بعرض كيلومترين ، تناثرت فوقه قطع مدماة من اللحم ، وأجزاء عظام ، وأرواح متسربلة بلون الدماء . وتمتد هالكة حول هذا المحيط جثث الأسود .

وصفت الجهات المكلفة بتنفيذ العملية بأنها « مُرْضية » . وكما يحدث عند تنفيذ أي عملية بهذا الاتساع ، بقيت مشاكل تنهض مصدرا للقلق . وعلى سبيل المثال ، كانت هناك مسألة الأسود التي نجت من الانفجار العنيف ، وأخذت تجوب الغابات محملة بالإشعاع الراديوي . حقا إن قبائل الزولو أجهزت على ٢٠٪ منها خلال فترة أسبوعين من تاريخ الانفجار ، إلا أن إصابات المواطنين (اثنين لكل أسد) أمر يشيع الاحباط حتى في نفوس أكثر الخبراء تفاؤلا .

صار ضرورة ، إذن ، الالتجاء الى أساليب أخرى أكثر تقدما . وتحقيقا لذلك ، تم انشاء مختبر لتدريب الغزلان ، يستهدف بالدرجة الأولى اقتلاع النوازع الطبيعية في هذه الحيوانات ، وقد يكون متعبا شرح التفاصيل ، ونكتفي بالقول بأن إحكام الدقة جاء مصادفة ،



وأنه ضرب من تقنية غسيل الدماغ ، اهتدى اليه « والش » ومساعدوه ، وتم تكييفه ليصبح ملائما للحيوان .

حقنت مجموعة من هذه الغزلان المدربة بسم نافذ ، يظهر مفعوله بعد مضي فترة من الوقت . وهرعت الغزلان تبحث عن الأسود ، ورمت بأنفسها أمامها أضحيات .

وبعد أن قامت تلك الأسود بالتهام اللحوم المسمومة هلكت في غضون أيام قليلة ، ومن غير ألم .

وهكذا يتجلى الحل فريدا في نوعه ، ومع ذلك كله ، فثمة سلالة من تلك الأسود تتمتع بمقاومة لهذا الضرب من السم وللسموم الناقعة الأخرى . ولحسن الحظ ، فإن عدد هذه الأسود ليس كثيرا . وتتكلف بمهمة إبادتها صيادون مزودون بأسلحة تتسم بالتعقيد والسرية غير الاعتيادية . وفي هذه المرة لم يفلت من الموت غير نموذج واحد . ولم يكن هذا النموذج غير أنثى قبض عليها واحتجزت قرب « برازفيل » . وفي داخل رحمها عثر على جنين حي خال من الإشعاع الراديوي . وفي داخل محضنة ترعرع هذا الحيوان الصغير جدا . وبهذه الطريقة ، كان الأمل أن يحافظ على جيل فريد من الحيوان كي لا ينقرض .

نقل الشبل ، بعد ذلك ، الى حديقة حيوان لندن ، وعلى الرغم من الحراسة المشددة فقد فتك به أحد المتعصبين ، وأخذت أعداد غفيرة من الجمهور تهلل لمصرع هذا الوحش الصغير ، وطفق أحد الجنود يصرخ وهو سكران : « من الآن فصاعدا ، ستعم السعادة كل فرد ، لقد هلكت الأسود » .

وفي اليوم التالي اندلعت الحرب الكورية . □



نتيجة مسابقة العدد ٤٧

وزارة الإعــــلام

الإعلام الخارجي

دوريات وزارة الإعلام

اسم الدورية		قيمة الاشتراك السنوي			
		الوطن العربي		البلاد الأجنبية	
		فلس	دينار	فلس	دينار
مجلة « العربي »	(شهرية)	٠٠٠	٦	٠٠٠	٨
كتاب العربي	(فصلي)	٥٠٠	٢	٠٠٠	٣
مجلة « العربي الصغير »	(شهرية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
مجلة « الكويت »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
سلسلة « من المسرح العالمي »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
مجلة « عالم الفكر »	(فصلية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »	(أسبوعية)	٠٠٠	١٧	٠٠٠	٢٠

تحول قيمة الاشتراكات في دوريات الوزارة المبينة أعلاه بالدينار الكويتي ، أو بما يعادله من العملات الأجنبية ، بموجب شيك مصرفي أو حوالة مصرفية ، باسم وزارة الاعلام ، ويرسل الشيك أو الحوالة مع اسم وعنوان المشترك والدورية التي يرغب الاشتراك فيها إلى :

الإعلام الخارجي ـ قسم التوزيع والاشتراكات
وزارة الاعلام ـ ص. ب ١٩٣ ـ الصفاة
الرمز البريدي ١٣٠٠٢ ـ الكويت

قسيمة الاشتراك

الاسم والعنوان : ....
....
....

أرغب الاشتراك في الدورية أو الدوريات المشار إليها أدناه ، وأرفق لكم طيه □ شيكا
□ حوالة مصرفية بمبلغ ....

□ مجلة « العربي »   □ مجلة « الكويت »   □ سلسلة « من المسرح العالمي »
□ مجلة « العربي الصغير »   □ مجلة « عالم الفكر »   □ الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »
□ كتاب العربي .

STATE OF KUWAIT

MINISTRY OF INFORMATION

PERIODICALS

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE				
NAME OF PERIODICAL	ARAB COUNTRIES		FOREIGN COUNTRIES	
	K.D	FILS	K.D	FILS
Al-Arabi Magazine (Monthly)	6	000	8	000
Al-Arabi Book (Quarterly)	2	500	3	000
Al-Arabi Al-Sagheer Magazine (Monthly)	5	000	6	000
Al-Kuuwait Magazine (Monthly)	4	000	5	000
Mena Al-Masrah Al-A'alami Series (Monthly)	4	000	5	000
A'alam Al-Fikr Magazine (Quarterly)	5	000	6	000
The Official Gazette (Kuwait Al-Youm) (Weekly)	17	000	20	000

The subscription fee to the above periodicals is payable in Kuwaiti Dinar, or equivalent thereof in foreign currency, by bank cheque/draft made out to the Ministry of Information. Fill in the subscription form below enclosed with the cheque/draft and send to :

— International Media-Subscription Section.

MINISTRY OF INFORMATION
P. O. Box : 193 Safat
Postal Code No. 13002 - KUWAIT

SUBSCRIPTION FORM

NAME : ....
ADDRESS : ....
COUNTRY :

I wish to subscribe to the periodical (s) ticked below and enclose herewith □ cheque □ Draft for ....
□ Al-Arabi Magazine □ Al-Arabi Book □ Al-Arabi Al-Sagheer Magazine □ Al-Kuwait Magazine □ Mena Al-Masrah Al-A'alami Series □ A'alam Al-Fikr Magazine □ The Official Gazette (Kuwait Al-Youm).

الكلمات المتقاطعة

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١		■								■
٢				■				■		
٣		■							■	
٤							■			
٥				■		■				
٦	■		■							■
٧				■		■				
٨								■		
٩		■							■	
١٠				■		■				

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة .

والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذى سينشر فى العدد القادم .

كلمات أفقية :

١ . من كبار الموسيقيين الألمان وصاحب السيمفونيات التسع الخالدة .

٢ ـ كرّر مبعثرة ، رداء يرفع على الأكتاف ، سطر .

٣ ـ سلسلة جبلية تقع في أمريكا الشمالية .

٤ . أضرمي فيه النار ، تجدها في أول « وفود » .

٥ ـ طائر يقال إنه يجلب الشؤم ، خيوط غليظة .

٦ ـ موسيقي نمساوي مؤلف « عرس فيغارو » .

٧ ـ موسيقي ألماني اشتهر بمؤلفاته الدينية ، متصّل بالآلات الوترية .

٨ ـ موسيقي ألماني وواضع أساس معهد ليبزع ، ضمير لجماعة الذكور .

٩ ـ جماعة المغنين أو المرددين .

١٠ ـ منعطف الطريق ، صوت الحمام .

كلمات عمودية :

١ ـ موسيقي أندلسي فذ أخذ الغناء عن اسحق الموصلي ، ملفوف مقلوبة .

٢ ـ مؤلف موسيقي بولندي جدّد موسيقا البيانو .

٣ ـ برعم في صيغة الجمع ، مكر .

٤ ـ الاسم الثاني لمخترع الهاتف ، حرف مكرر .

٥ ـ موسيقي روسي كبير وصاحب كسارة البندق .

٦ ـ دارة القمر ، حرفان متشابهان .

٧ ـ أول متفرقة ، « حاورنه » مبعثرة .

٨ ـ موسيقي نمساوي اشتهر بألحانه الكئيبة ، حاجز .

٩ ـ طأطأ رأسه ، خفت حرارتها وحماستها .

١٠ ـ آلة موسيقية ايقاعية في صيغة الجمع ، ينحني .

● حل مسابقة العدد الماضي يناير ١٩٩٠م

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ه	ن	د	ب	ن	ت	ع	ت	ب	ه
٢	■	ا	ي	ز	ى	س	■	ب	ن	د
٣	ح	س	■	ت	ا	ت	ش	ر	■	ى
٤	ب	■	ح	ن	■	ع	ج	■	ز	■
٥	ا	ى	ف	ا	ب	ي	ر	و	ن	■
٦	ب	ح	ص	■	د	ر	ه	■	و	و
٧	ه	ر	ة	■	ل	■	ا	ل	ب	ل
٨	■	م	■	ر	■	ق	ل	ب	ي	ا
٩	ل	■	ف	ض	■	ب	د	ن	ا	د
١٠	م	ا	ر	ى	ك	و	ر	ى	■	ة

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٧٥

فبراير ١٩٩٠

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الإجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الصفاة . الرمز البريدي 13008 ـ الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٧٥ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات إلينا هو ١٥ مارس ١٩٩٠م . والرجاء كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي واضحين ـ ورقم الهاتف إن وجد .

ارفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٧٥

١ اسم « الكويت » هل هو عربي أو برتغالي أو هندي ؟

٢ الخدمات الطبية في الكويت مجانية كما يعلم الجميع . ترى كم تبلغ تكاليف هذه الخدمات نسبيا ؟ أو بعبارة أخرى : كم يبلغ نصيب الفرد الواحد من سكان الكويت من تلك التكاليف نسبيا ؟

× حوالي ٢٥ ديناراً .
× حوالي ٥٠ ديناراً .
× حوالي ١٠٠ دينار .

٣ يذكر التاريخ العربي اليوم الذي انتصر فيه المنذر بن ماء السماء على الحارث بن عمرو بن حجر الكندي ، ملك كندة على الحيرة ، وقد عُدَّ ملكاً دخيلاً على المناذرة . وانتهت المعركة بانتصار المنذر بن ماء السماء ، فانتزع الملك من الحارث ، وارتدت فلول جيشه ، من بكر وتغلب ، إلى البادية ، فأين وقعت هذه المعركة التى تعرف باسم (يوم وارة) ؟

× وقعت عند جبل وارة في الكويت .
× وقعت في الأهوار ، وسميت يوم وارة بدلا من يوم الأهوار للاختصار .

٤ يذكر التاريخ الإسلامي معركة فاصلة من معاركه ، هي معركة ذات السلاسل ، فقد أحرزت الجيوش الإسلامية ، بقيادة خالد بن الوليد ، نصرا ساحقا على جيوش الفرس بقيادة هرمز ، والمعروف أن معركة ذات السلاسل هذه قد وقعت سنة ١٢ هجرية ، ولكن على أي أرض وقعت ؟

× في ايران ، وفي بلدة عبدان على الأخص .
× في العراق وعلى مشارف بغداد .
× وقعت معركة ذات السلاسل على أرض الكويت ، عند منطقة كاظمة .

٥ يبلغ عدد جزر الكويت حاليا تسع جزر ، وقد بلغ عددها عشر جزر بالأمس القريب ، ترى ماذا حل بجزيرة (العكاز) التي وُجدت ثم اختفت ؟

× أصبحت جزءا من الشاطيء بفعل المد والجزر .

× غاصت في البحر بسبب زلزال ضرب المنطقة في مطلع الستينيات .

× اختفت الجزيرة لأنها اندمجت بميناء الشويخ الكبير ، وأصبحت جزءا من أرضه .

٦ معهد العالم العربي في باريس مركز حضاري مهم ، ساهمت الكويت مع غيرها من أقطار ودول في إنشائه ، وجرى افتتاحه في باريس سنة ١٩٨٧م . ترى كم بلغت تكاليف إنشاء المبنى الذي يشغله هذا المعهد ؟ (والمقصود هنا قيمة البناء فحسب دون قيمة الأرض) .

× نصف مليون دولار أمريكي .

× مليونين ونصف مليون دولار .

× خمسة ملايين دولار .

٧ اشتهرت الولايات المتحدة بكثرة مستشفياتها ، وكثرة الأسرة في هذه المستشفيات ، حتى بلغ مايخص كل ١٠٠,٠٠٠ من مجموع السكان فيها ٥٨٥ سريراً ، ترى ما عدد الأسرة التي تخص كل ١٠٠,٠٠٠ من السكان في دولة الكويت ؟

× ٤٢٠ سريراً .

× ٣٢٠ سريراً .

× ٢٢٠ سريراً .

٨ في بريطانيا (١١٠٠) محطة بنزين ، تحمل العلامة الخاصة المميزة (Q8) . ترى من يملك هذه المحطات التي تضخ البنزين في السيارات يوما بعد يوم ؟

× شركات بريطانية .

× ملكية هذه المحطات لشركات بريطانية وشركات كويتية في آن واحد ، أي أن الفئتين من الشركات تملك المحطات مناصفة .

× ملكية المحطات المذكورة لشركة كويتية .

٩ يصدر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت كتبا شهرية ، تعرف باسم « سلسلة عالم المعرفة » ، وقد صدر الكتاب الأول منها في يناير عام ١٩٧٨ . المطلوب ذكر عناوين ثلاث قصص صدرت ضمن سلسلة عالم المعرفة .

١٠ يبلغ عدد سكان دولة الكويت نحو مليوني نسمة ، وبالتحديد (١,٩٥٨,٠٠٠) نسمة ، حسب آخر الاحصاءات المتاحة سنة ١٩٨٦ . ترى ما مجموع طلاب المدارس كلها ، في كل مراحلها ؟

× نحو ١٥٠,٠٠٠ طالب .

× نحو ٢٥٠,٠٠٠ طالب .

× نحو ٤٠٠,٠٠٠ طالب أو أكثر .

١١ أين توجد أحدث مصافي تكرير النفط الكويتية ؟

× في الأحمدي ، جنوب مدينة الكويت .

× في الشعيبة ، جنوب مدينة الكويت .

× في الدانمرك وهولندة .

١٢ أين تقع جزيرة أيكاروس ؟

× جزيرة فيلكا هي الجزيرة التي سماها الاسكندر الأكبر (أيكاروس) ، وذلك نسبة إلى جزيرة (أيكاروس) الأصلية الواقعة في بحر إيجة .

× ثمة جزيرة واحدة في العالم تعرف باسم (أيكاروس) ، وهي جزيرة يونانية ، وتقع في بحر إيجة .

× (أيكاروس) ليس اسم جزيرة ، وإنما هو اسم يطلق على أحد نجوم السماء . □

حل مسابقة العدد ٣٧٢

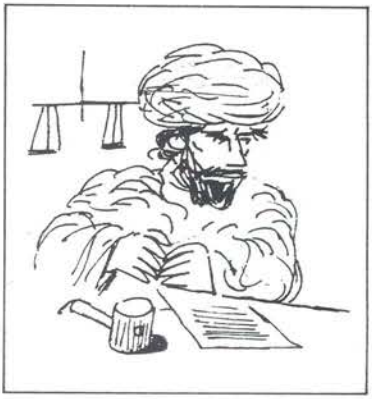
نوفمبر ١٩٨٩

١ سلّام الترجمان هو الرحال العربي الذي أوفده الخليفة العباسي الواثق بالله الى بلاد الصين ، على رأس بعثة قوامها خمسون رجلا ، وذلك في منتصف القرن التاسع . ومن أجل التحقيق في ما إذا كان سور الصين العظيم قد انهار حقا كما رأى الخليفة في منامه . وقد عاد الرحال بعد غياب ١٢ شهرا وبضعة أيام ، ليطمئن الخليفة بأن سور الصين العظيم مازال قائما وفي وضع سليم .

٢ الاصطخري (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد) هو مؤلف كتاب « المسالك والممالك » الذي تضمن وصفا شاملا دقيقا لشتى البلدان الإسلامية ، ويشمل معلومات زراعية وصناعية وسكانية ، وجغرافية . وللإصطخري كتاب آخر هو كتاب « الأقاليم » .

٣ التميمي (محيي الدين محمد عبد الواحد) هو الرحال الذي اختار العنوان الجذاب اللطيف : « تحفة النظار في ضرائب الأمصار وعجائب الأسفار » ، وقد اختاره عنوانا للكتاب الذي ألفه هو عن رحلاته . وقد أعجب ابن بطوطة بهذا العنوان ، فاختاره لمذكراته .

٤ شغل ابن بطوطة منصب القضاء طوال ٥ سنوات في الهند ، وشغله أيضا في جزر ذيبة المهل « مالديف » التي قضى بها نحو سنة ونصف سنة . وبلغ إعجاب ابن بطوطة بنساء تلك الجزر مبلغا جعله يتزوج بأربع منهن .



ابن بطوطة

٥ عنوان الكتاب الذى وضعه البيروني (أبو الريحان محمد) عن الهند ، هو كما يتراءى من السؤال نفسه « تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة من العقل أو مرذولة » .

٦ تبلغ المسافة التي قطعها ابن بطوطة في رحلاته ١٢٠,٠٠٠ ألف كيلومتر .

٧ ياقوت الحموي هو مؤلف الكتاب الشهير « معجم البلدان » . يقع الكتاب في ٣٨٩٤ صفحة ، ويعد في طليعة كتب السلف الصالح في الجغرافية والرحلات ، ومما يذكر أن ياقوت الحموي يوناني الأصل ، ولد سنة ١١٧٨م .

٨ أحمد بن فضلان هو العالم الجليل الذي كلفه الخليفة العباسي المقتدر بالله بالتوجه الى بلاد الصقالبة ، على رأس بعثة خاصة ، وذلك من أجل نشر تعاليم الدين الحنيف في تلك البلاد ، وبقصد تفقيه ملكها في الدين .

٩ المنجم (محمد بن موسى) هو الذي كلفه الخليفة العباسي (الواثق بالله) بالتوجه الى بلاد الروم ، والتحقيق في إشاعة انتشرت آنذاك تؤكد أن جثث أهل الكهف مازالت موجودة في أحد الكهوف على قمة أحد الجبال ، وماأسرع ماثبت للرحال كذب تلك الإشاعة ، فالجثث التي عثر عليها لم تكن سوى جثث محنطة لأموات عاديين معاصرين . وكان الحارس القائم على حراستها هو الذي ابتدع تلك الإشاعة ، وذلك بقصد ابتزاز المال .

١٠ الأمير النورماني روجر الثاني ، أمير صقلية في القرن الحادي عشر ، هو الذي كلف الإدريسي (أبا عبد الله محمد بن محمد) بوضع كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » الذي يعرف باسم آخر هو كتاب روجر .

١١ ياقوت الحموي يوناني الأصل كما هو معروف ، ولكنه بيع في سوق النخاسة ، واتفق أن اشتراه تاجر حموي استوطن بغداد فنسب إليه .

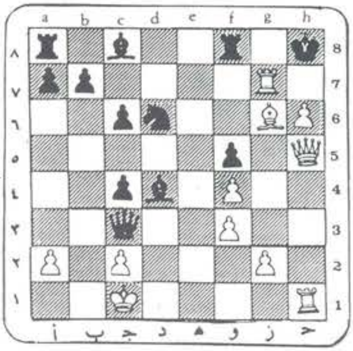
١٢ شاهد ابن بطوطة صورته مرسومة على الجدران في شتى المناطق التي زارها في الصين ، فهم يفعلون ذلك مع الغرباء ، لابقصد تكريمهم أو الاحتفاء بهم ، وإنما من قبيل الاحتياط ، فقد يرتكب الزائر الغريب ذنبا يستوجب العقاب ، عندئذ تسهل صوره المنشورة هنا وهناك مهمة البحث والقبض عليه .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٧٢ نوفمبر ١٩٨٩

الجائزة الأولى : المهندس/ عبدالسلام محمد السيف/ المملكة العربية السعودية .
الجائزة الثانية : عبدالرحمن أيوب/ الجمهورية العربية السورية .
الجائزة الثالثة : محسن محمد محسن الحامد/ الجمهورية العربية اليمنية .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ بابا عمر رمضان مسعود/ الجزائر
٢ ـ عبدالوهاب بن الزهراوي/ تونس
٣ ـ اصغير محمد/ المغرب
٤ ـ علي أحمد علي النجار/ مصر
٥ ـ ماري تاكيدا/ اليابان
٦ ـ خالد محمد أحمد بامطرف/ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
٧ ـ مصطفى عبداللطيف خطاب/ الجمهورية اللبنانية
٨ ـ عبدالرحمن نصر الهاشمي/ ليبيا



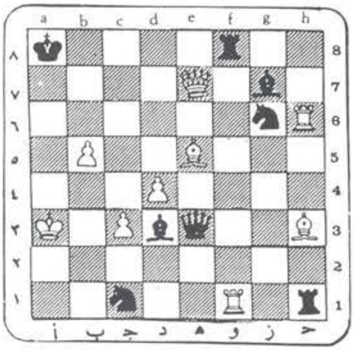
معركة بلا سلاح

الجامعات البريطانية وبخاصة جامعتي اكسفورد وكيمبردج من أكثر جامعات العالم تشجيعاً ورعايةً للشطرنج ، وتعد هاتان الجامعتان المهد الذي يحتضن المواهب الشابة ، ولا عجب أن يكون لخمسة من اللاعبين البريطانيين السبعة الكبار خلفية جامعية ، أما السادس ، ونعني به « جون نن »، فإن له خلفية جامعية أيضاً ، فعلى الرغم من أنه لم يكمل دراسته الجامعية فقد منحته جامعة شيفلد شهادة فخرية ، تقديراً لمنجزاته في اللعبة ، أما السابع ، وهو نايجل شورت ، فقد اكتفى بالحصول على شهادة الثانوية العامة ، ليتمكن من الفوز بلقب أستاذ كبير قبل الوصول إلى سن العشرين ، ووجود هذه النخبة من الأساتذة الكبار ، من حملة المؤهلات العالية يعكس اهتمام الجامعات البريطانية البالغ بإعداد الصفوة الشطرنجية في هذه البلاد. تعد السنوات من ١٦ إلى ٢١ سنوات حاسمة بالنسبة لكبار اللاعبين الذين يرغبون في الانتقال من مجرد لاعبين موهوبين صغار إلى لاعبين محترفين على المستوى الدولي، وما من مهنة تمكنهم من تحقيق حلمهم سوى احتراف الشطرنج أو الدراسة، إذ يستحيل الوصول الى المستوى الدولي دون الاشتراك في ثلاث أو أربع مباريات دولية سنوياً، وهو الحد الأدنى المطلوب للحصول على لقب أستاذ كبير.

وتبين سجلات الاتحاد البريطاني للشطرنج أن اللاعبين البريطانيين يحققون من ١٧٠ ـ ١٨٠ نقطة ، في سلم التصنيف الدولي ، قبل الوصول إلى سن الالتحاق بالجامعة ، ثم ينخفض هذا المستوى عند شغلهم بالثانوية العامة وامتحانات القبول الجامعية ، وغالبيتهم يحصلون على إجازة من الدراسة بعد ذلك ، مدتها سنة ، للحصول على لقب أستاذ دولي ، قبل الانخراط في الدراسة الجامعية .

وفيما يلي واحد من الأدوار المثيرة التي تعقد سنوياً بين جامعتي اكسفورد وكيمبردج وكلا اللاعبين من حملة الألقاب الدولية :

● مسألة العدد (٣٧٥)



مـــات ٣

من إهداء القارىء خالد العميسي (صنعاء)

□ نيل دكنسون (اكسفورد) ■ جاريث انتوني (كيمبردج)

١ . د ٤	ح - و ٦
٢ . ح - و٣	ز ٦
٣ . ح - جـ ٣	د ٥
٤ . ف - و ٤	ف - ز ٧
٥ . هـ ٣	ت (قصير)
٦ . ح - هـ ٥	جـ ٦
٧ . ف - د ٣	ح (١) - د ٧
٨ . وزير - و٣	ح - هـ ١

ح - حـ ٥ أفضل

٩ . حـ ٤	و ٦
١٠ . ح × ز ٦	حـ × ح

اضطر الأبيض للتضحية خشية هـ ٥ !

١١ . ف × ز ٦	و ٥
١٢ . حـ ٥ ؟	هـ ٥

الأسود يهدد بفتح الوسط لصالح قطعته الزائدة .

١٣ . حـ ٦	ف - و ٦
١٤ . ت ت (طويل)	هـ × و ٤
١٥ . هـ × و٤	ح - ب ٦
١٦ . و - حـ ٥	ح - د ٦

الأسود يبدأ بالتعبئة استعداداً للهجوم

١٧ . ر - د٣	م - حـ ٨
١٨ . و ٣	ح (الوزير) - جـ ٤
١٩ . ب ٣	و - أ ٥
٢٠ . ب × جـ ٤	د × جـ ٤

أخذ البيدق بالحصان أفضل

٢١ . ر - هـ ٣	ف × د ٤
٢٢ . ر - هـ ٧	و × جـ ٣
٢٣ . ر - حـ ٧+	م - ز ٨
٢٤ . ر - ز ٧+	م - حـ ٨

وينتهي الدور بالتعادل بسبب الكش المتواصل، فالأسود لايستطيع أخذ الرخ بالفيل خشية ف - حـ ٧ ثم الكش بالكشف فمات (الشكل) .

□□

الفائزون في مسابقة الشطرنج - العدد رقم (٣٧٢) نوفمبر ١٩٨٩م

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ - **محمد البنْداري** - بورسعيد/ ج.م.ع
٢ - **اوديت عطار** - حمص/ سوريا
٣ - **الحاج بن محمد** - نواكشوط/ موريتانيا
٤ - **الحسن الطيب** - حصاحيصا/ السودان
هشام الهندريس - سامراء/ العراق

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ - **توفيق الكيلاني** - الرصيفة/ الأردن
٢ - **حاتم بن سعيد** - جربة/ تونس
٣ - **عبدالرزاق عبدالغفار** - المنامة/ البحرين
٤ - **مقداد باقيان** - طهران/ ايران
٥ - **حكمت بامطرف** - عدن/ اليمن الديمقراطي

حل مسألة العدد (٣٧٣) ديسمبر ١٩٨٩م

١ . ف - د٢+	و × د٢
٢ . ح - جـ ٤+	ثم مات بالبيدق

حوار القراء

العربي ـ ص. ب : ٧٤٨ الصفاة ـ الرمز البريدي : 13008 الكويت

من آفات الثقافة

● تلقت المجلة رسالة من الدكتور علي الدين هلال بمجرد صدور المجلة رقم ٣٧١ اكتوبر ١٩٨٩ ، يذكر فيها أن المقال المنشور بعنوان « الفكر الاجتماعي وقضية التنمية » بقلم الدكتور ناول عبد الهادي سنقول نقلا حرفيا من مذكرات للدكتور علي الدين هلال نفسه في موضوع التنمية السياسية ، يقوم بتدريسها منذ أكثر من ١٠ سنوات ، وبعد دراستنا للوثائق المرسلة من قبل الدكتور علي الدين هلال ومقارنتها بالموضوع المنشور وجدنا أن الموضوع المذكور منقول حرفيا من المذكرات ، وهي ظاهرة مرضية ، أعربت المجلة في أكثر من عدد عن استهجانها لها واستنكارها لانتشارها .

إلا أن بعضهم ما زال يراهن ، على ما يبدو ، على محدودية الذاكرة ، وعلى عدم انتشار بعض الأعمال ، لينقل منها ، متصورا أنه بمأمن من الافتضاح وبدورنا فإننا نشكر للدكتور علي الدين هلال غيرته على المجلة وحسن اهتمامه ، وقد قمنا باخطار الدكتور ناول عبد الهادي بوقف التعاون معه في المستقبل ، كما كتبنا إلى بعض المجلات والدوريات العربية وأخطرناها بما حدث .

□□□

تعقيب حول النباتات الطبية

● حول مقالي المنشور في العدد ٣٦٥ (ابريل/ ٨٩) « النباتات الطبية في سوقطرة » أفاد الأستاذ إحسان جعفر في العدد ٣٧٠ (سبتمبر/ ٨٩) عدة تسميات لعصارة دم الأخوين في العربية ولغات أخرى ، وسأل عن السبب في كتابة اسم الجزيرة (سوقطرة) ولم يكتب (سقطرى) ، كما هو معروف ومتداول ولماذا أطلقت الاسم (شجرة دم الأخوين) ، في حين أن المقصود من عبارة دم الأخوين عصارة الشجرة أو صمغها . واسم الشجرة عند العرب القدماء « العندم » ؟



ولتوضيح ملاحظات الأستاذ إحسان والإجابة عن سؤاله ، أورد مايلي :ـ

(١) يسمي السكان في جزيرة سقطرى الشجرة التي تنتج مادة دم الأخوين باسم « شجرة دم الأخوين » . ويلاحظ أن كثيرا من أسماء النباتات في العربية تحمل اسم الصفة الرئيسية التي في النبات أو في الجزء المهم الذي ينتجه ويستفاد منه ، فنقول مثلا : شجرة البن ، لأنها تنتج البن ، وشجرة التمر ، ونقصد بها النخلة ، ونبات الصبر الذي هو الصبار . وبالمثل نقول شجرة دم الأخوين لأنها نتنج مادة أو عصارة دم الأخوين ، وهي المعروفة ـ أي الشجرة ـ في كتب التراث الطبية عند

العرب « بالعندم » . ولا أرى في التسمية إخلالا .

(٢) عرف دم الأخوين ـ قديما ـ على أنه عصارة النبات أو صمغه ، أما اليوم فيقصد به الإفراز أو السائل الراتنجي الأحمر الذي يفرز أو يحصل عليه من النبات ، وهو ـ لاشك ـ عصارة . وهذا واضح في المقال .

والراتنجات هي خليط معقد من أحماض ، وكحول ، وفينولات ، واسترات راتنجية ، ومواد خاملة ، تسمى الريزينيس ، وقد يرافق الراتنجات زيوت عطرية ، فتسمى راتنجات زيتية ، أو صموغ فتسمى راتنجات صمغية ، أو كلاهما فتسمى راتنجات زيتية صمغية .

(٣) إن الشجرة التي عناها شيخ العشابين داود الأنطاكي في كتابه « تذكرة أولى الألباب » عن دم الأخوين : « أو عصارة نبات حبر سقطرة » ، فإنه يقصد بنبات حبر سقطرة تلك الشجرة التي وردت صورتها في المقال ، واسمها النباتي Dracaena Cinnabari Balf.f. ، فهي الشجرة الوحيدة التي تعطي سائلا راتنجيا أحمر في جزيرة سقطرة ، كما أن الشجرة فريدة في نوعها ، إذ لا توجد في أي مكان آخر من العالم . ويوجد اليوم حوالي ٨٠ نوعا نباتيا من أشجار دم الأخوين تتبع جنس Dracaena ، وتشترك جميعها باحتواء عصارتها على راتنج أحمر « دم الأخوين » . كما توجد أنواع نباتية أخرى من أشجار دم الأخوين تتبع جنس Daemonorops .

علي سالم باذيب

□□□

تساؤلات حول حرق الهيدروجين

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير
تحية طيبة وبعد ،

● في مقال بعنوان « طائرة ركاب بدون طيار وبلا وقود » ، للأستاذ سعد شعبان ، بالعدد رقم (٣٧١) اكتوبر ١٩٨٩ ، بصفحة ٣٧ خطأ علمي ، ربما لم ينتبه إليه الكاتب ، حيث جاء مانصه :

« بحث يهدف الى تسييل غاز الهيدروجين الموجود في الهواء ، وحرقه ، فيحقق هدفين : هما سهولة المصدر ، باعتباره أحد مكونات الهواء ، وسهولة الاحتراق ، لكونه غازا جيد الاحتراق ، لكنه يحتاج للأكسجين كمؤكسد ، وهو أيضا موجود في الهواء ، ويومها شطحت أحلام علماء الطيران ، لأن مثل هذا المصدر للطاقة لو تحقق لأمكن أن تطير الطائرة بلا توقف ، فهي تستمد الهيدروجين

حوار القراء

من الوسط الذي تطير فيه » .

وتعليقي هو أن غاز الهيدروجين لايوجد في الهواء ، ولكنه أحد العناصر المكونة للماء ، والخطأ ليس مطبعيا ، حيث يؤكد الكاتب ذلك في سطور أخرى حيث يقول : « وهو أيضا موجود في الهواء » ، ويذكر أيضا : « فهي تستمد الهيدروجين من الوسط الذي تطير فيه » .

مع خالص الشكر ، ، ،

د . مسعد الحاروني
وزارة الصناعة والأشغال - الدوحة - قطر

"العربي"

وقد تلقينا من المهندس سعد شعبان التعقيب التالي حول ما ورد في رسالة القارىء الدكتور سعد الحاروني .

إن نفي الدكتور سعد الحاروني لوجود غاز الهيدروجين في الهواء تماما ، لا يستند على أي أساس علمي ، للأسباب الآتية :

١ - غاب عنه أن بخار الماء يوجد في الهواء حتى ارتفاع ١٨ كيلومترا . ويتكون كل جزء من الماء من ذرتي هيدروجين وذرة اكسجين (يد٢أ) . وبخار الماء هو السبب في تكون السحب الموجودة في الغلاف الجوي للأرض .

٢ - بصرف النظر عن هذا المصدر للهيدروجين ، فإن الهواء الجاف الخالي من بخار الماء ، يحتوي على نسبة من هذا الغاز . وهذا ما تقرره كل المراجع العلمية الخاصة بالأرصاد الجوية بكل اللغات ، وكلها تشير إلى أن نسبة غاز الهيدروجين في الهواء من حيث الحجم تبلغ (٥ × ١٠°) شأنه مثل غازات أخرى كالنيون والهيليوم والكريبتون والاكسنون .

وبالاطلاع على دائرة المعارف البريطانية ، طبعة عام ١٩٧٤ ، جزء ٩ صفحة ٩٣ ، تحت عنوان (الهيدروجين ومركباته) نجد ما ترجمته : « يشكل الهيدروجين نسبة ١٤ , ٠٪ من القشرة الأرضية من حيث الوزن . وهو يوجد بكميات ضخمة في مياه المحيطات وأكوام الجليد والأنهار وفي الغلاف الجوي » .

المهندس سعد شعبان

□□□

توضيح حول مسألة تطويل الأطراف

● نشكر الإخوة القراء على اهتمامهم ، سواء من وافى مجلتنا الحبيبة « العربي » أو وافاني شخصيا برسائل وغيرها حول مقال « تطويل الأطراف » ، المنشور في العدد رقم ٣٦٥ ابريل ١٩٨٩ .

ونود الإفادة بأن عملية تطويل الأطراف تجري في كل دول أوربا الشرقية



والغربية ، ولابد أنها تجري في بعض الأقطار العربية ، وما عليهم إلا مراجعة أطباء العظام ونقابات الأطباء أو وزارات الصحة في بلادهم . أما عن التكاليف فهي ليست باهظة على كل حال ، وهذا يتفق بشأنه مع الأطباء ، أما عن المضاعفات بعدها ، فالعمليات الجراحية الناجحة ليس لها مضاعفات ، ومن جملتها هذه العمليات ، ولا ضرر منها . أما عن العمر فهو في سن الخمس سنوات فما فوق ، وطبعا كلما كان المريض أكثر شبابا كان ذلك أفضل من أجل التئام العظم . والمريض يقضي بضعة أيام فقط في المستشفى ، ثم يمكنه الخروج والمشي على عكازين حتى نزع الجهاز ، حيث يطول العظم بمقدار مليمتر واحد يوميا .

د. وليد السباعي ـ حلب/سوريا

□□□

ردود قصيرة



● القاريء **عباس بن عبدالله الصعدي** ، من الجمهورية العربية اليمنية ، **يقول : إن المجلة لها الفضل الكبير بتوجهه إلى القراءة والاطلاع ، ويشكر كل من أسهم في بناء هذا الإبداع الثمين ، ويود أن ينوه بأنه قد ورد في حوار القراء** في العدد رقم (٣٦٨) يوليو ١٩٨٩ في رسالة المهندس محمد مصطفى عن الخط ، **فقد ذكر اسم الخطاط الشهير هاشم محمد الخطاط والصحيح أن اسمه محمد هاشم البغدادي .**

● القارئة **هويدا علي محمد** ، من القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، **تقول : إن لديها دراسة نقدية عن كتاب « الإعلان بالتوبيخ عن ذم التأريخ » للعلامة شمس الدين السخاوي ، وترغب في إرسالها للمجلة .**

ونقول لها : إنه لا مانع لدينا من ذلك .

● القاريء **ممدوح ميودة** ، من محافظة الدقهلية ، جمهورية مصر العربية ، **يبدي إعجابه بالعدد ٣٧٠ ـ سبتمبر ١٩٨٩ ـ وبخاصة حديث الشهر بقلم رئيس التحرير ، ومقالة الدكتور أسعد عبدالرحمن الذي تناول فيها القضية الفلسطينية ، واستطلاعات المجلة المفيدة الغنية بالمعلومات .**

● القاريء **نضال أبو ناصر** ، من اربد ، الأردن ، **يسأل عن كيفية الحصول على « كتاب العربي » الذي تصدره مجلة « العربي » . ونقول له : إنه باستطاعة جميع القراء الحصول عليه من الموزع المعتمد لتوزيع مجلة « العربي » ومطبوعاتها .**

● القاريء **شعبان فتحي بركات** ، من الثانوية الصناعية ، محافظة الغربية ، جمهورية مصر العربية ، **يقول : إنه من عشاق الكتابة والانتاج المسرحي والقصص القصيرة ، فهل تقبل المجلة نشر إنتاج الشباب ؟**

نقول له : لقد سبق أن نوهنا أكثر من مرة بأن المجلة ترحب بكل ما يرسل إليها إذا كان يتناسب مع سياسة المجلة وقواعد النشر فيها .

حوار القراء

● القاريء **صفوان أبو خديجة** ، من بلودان ، دمشق ، ويعيش في سكرامنتو ، كاليفورنيا ، الولايات المتحدة الامريكية ، **يقول : إن المجلة تصله بانتظام ويقترح أن تقوم المجلة باستطلاع عن أهم الأماكن السياحية والآثار التاريخية الموجودة في سوريا ، مثل : تدمر ، وبصرى .**

ونقول : لقد قامت المجلة باستطلاعات عديدة حول هذه الأماكن .

● القاريء **عبدالباسط عمر** ، الكفرة ، ليبيا ، **أرسل يقول : إنه منذ أكثر من عشر سنوات وهو يتابع مجلة « العربي » ، ويحتفظ بجميع أعدادها ، فهي خير زاد ومنهل للثقافة والعلم ، ولكنه يفقدها منذ فترة ، فهي لم تصل إلى الجماهيرية ، ويطالب بأن تعمل الجهات المختصة على إيصالها للقاريء العربي أينما وجد ، ومهما كانت (الظروف) . ويقول : لن أستطيع أن أصف الفراغ الذي نعيشه ، فقد فقدت الشهور طعمها ، لأننا لم نعد نحصل على نسخة من مجلة « العربي »** .

أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث

تأليف : الدكتور البدراوي زهران

عرض : محمود دياب محمود *

بالإضافة إلى إنجازات طه حسين الفكرية والثقافية العظيمة كان له إسهام كبير في المجال الإبداعي الأدبي ، وإن تناول كثير من الباحثين إنجازاته الأولى ، فإن إسهامه الإبداعي ، لم يحظ بالدرجة نفسها من اهتمام الباحثين .

يبدأ الباحث كتابه بإلقاء نظرة عامة على كلمة الأسلوب ، من حيث إنها لم تعد كلمة مقصورة على بحث اللغويين فحسب ، ولكنها صارت مجالاً لطوائف من العلماء ، منهم علماء البلاغة ، وكذلك علماء النقد ، وكل منهم له هويته وله طريقته وله منهجه .

وقد استشرف الباحث كلمة أسلوب من حيث معناها الدقيق ، فهي تطلق على العبارة اللغوية ، وهي في عرف الدارسين تنطلق إلى الجانب اللفظي ، ثم اقترب بنا من المعنى المحدد لهذه الكلمة ، من حيث مصطلح الأسلوب الذي عرّفه بأنه ينصب بداهة على العنصر اللفظي ، فهو الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال ، وهو العبارة اللفظية المنسقة لأداء المعاني ، ثم استشرف معناه عند «جينانج» ، من حيث إنه يعني عنده طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير ، ثم عرّفه عند عبد القاهر الجرجاني من حيث إنه يعني عنده : القرب من النظم والطريقة فيه ، وكذلك عند ابن قتيبة من حيث إنه يعني الامتنان في القول . ثم حدد الباحث موقف الخطابي من هذا المصطلح ، فهو يعني عنده نوعاً من الموازنة بين المعارضة

* كاتب وناقد من القطر المصري ـ جامعة أسيوط

والمقابلة ، حيث يُعنى الشاعر بالكلام ، ويصفه ، ويمتاز به عن نظيره من الشعراء ، بأن يكون مثلاً أشد من نظيره في هذا المجال تقصيا ، وأحسن منه تخلصاً إلى دقائق المعانى ، وأكثر إصابة فيها .

ثم ينتهى الباحث من هذا التنظير لمصطلح الأسلوب ، حيث يحدد لنا عناصر الأسلوب التي تتمثل في أربعة محاور : ١ - الكلمة ٢ - العبارة المفيدة ٣ - الجملة ٤ - النص بتمامه

والباحث يؤيد ما ذهب إليه المؤلف من تحديد لعناصر الأسلوب . حيث إن الكلمة هي البنية الأساسية للعبارة، وأن العبارة هي البنية الأساسية للجملة المفيدة ، والنص الأدبي يتكون من عدة جمل مفيدة تبلور تجربة المبدع نثراً أو شعراً .

فالكلمة هي اللبنة الأولى في الأسلوب، والألفاظ تعني مجموعة الكلمات المفردة التي تتألف منها الجمل، والكلمة تشمل: الاسم الفعل والحرف، كما تتنوع الجملة بين اسمية وفعلية - طويلة وقصيرة - متراصة أو مركبة .

ولقد تناول الكتاب خصائص الدراسة الصوتية في أدب عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، من خلال عمله الروائي الخالد «الأيام»، حيث استطاع المؤلف رصد عدة ظواهر صوتية بارزة في أدب هذا المبدع .

وأول هذه الظواهر: سرعة استجابة الأذن للنغمة الصوتية العامة المنبعثة في أسلوبه، مع تنويع في التيار الصوتي، يحتفظ معه بمستوى موسيقي ، يتلاءم مع ما يريد التعبير عنه .

فالمتامل لرواية «الأيام» يجد أن مؤلفها غالبا ما يلجأ إلى ترديد نغمة بعينها ، مع تخليصها من الرتابة التي تدعو إلى الملل والسأم ، هذان العنصران اللذان ينسفان جسور التلاقي بين المبدع وبين المتلقي ، فيقلب للعمل الإبداعي ظهر المجن ، ويبحث عن غيره .

ولنأخذ بعض الأمثلة التي تدل على تحقق هذه الظاهرة في أدب د. طه حسين:

الأيام:

قد دلل الباحث على أن عبارات من نوع « ينفق فيها الساعات حلوة مرة، يقول فيها ما يشاء، ويسمع ما يشاء الشيخ أن يقول، وما أكثر ما كان الشيخ يقول»، أو قوله: «وقد اختيرت لسفر البعثة سفينة فرنسية فقيرة حقيرة رخيصة، وكان اختيارها لوناً من الاقتصاد»، أو قوله «وإذ الحاجة تدعوه فيذهب إليه عجلاً وجِلاً، ذات ضحى، وهناك يلقى علوي باشا رحمه الله، فيستقبله باسماً له رفيقاً به». عبارات تجد صداها لدى الأذن التي تستجيب بسرعة للنغمة العامة في الأسلوب، حيث إن اختيار العميد لكلمات بعينها، ورصفها بطريقة بعينها، أعطى الأثر الصوتي الذي أسهم فيه التنويع والبعد عن الاتجاه التقليدي. ثم تعرض الباحث لمدى استخدام العميد للترادف في نسيجه الأدبي، حيث إنه كثيرا ما يلجأ إلى توظيف الكلمات المترادفة المتتابعة بطريقة متنوعة تستجيب لها الأذن.

وساق الباحث لذلك العديد من الأمثلة التي تؤكد صحة ما ذهب إليه، وفيها قول العميد في عمله الخالد «الأيام».

« . . . . . . فكان حاضرا، كالغائب، ويقظا كالنائم، ولم ينتظر أن تصلي العصر»، أو قوله: « . . . وتنقلب الآية، ويصبح المغلوب غالباً والغالب مغلوباً».

ثم يرصد الباحث الظاهرة الصوتية الثانية في أسلوب طه حسين، وهي أن أسلوبه يتسم بصفات وخصائص صوتية، وعادات نطقية، فهو يعطي صفات وخصائص صوتية لأحرف،



● د. طه حسين

كما أنه يعطي صفات وعادات نطقية لكلمات، بطريقة غير منطوقة، مما يجعل القارىء أو السامع لأسلوبه يشاركه النطق في بعض كلماته، أو على الأقل يُعْمِل خياله اللغوي في تدبر، نحو قوله:

«.... وكانت كلمات الجمال والجلال والبهاء والكمال والروعة والإشراق أكثر الكلمات جرياناً على لسانه منذ يبدأ الدرس إلى أن يتمه، وكان لا ينطق بكلمة منها إلاّ مدّ ألفها فأسرف في المدّ، وربما أخذه شيء من ذهول وهو يمدّ هذه الألف فيغرق الطلاب في ضحك، يخافت به بعضهم ويجهر به بعضهم الآخر»، وقوله: «ويمدّ ياء النيل فيسرف في مدّها، ويأخذه ذهول يرد الطلاب إلى ضحك متصل». ثم انتقل الباحث إلى ظاهرة صوتية قد خفيت على الكثير من الباحثين الأكاديميين في هذا المضمار، وهي استفادة طه حسين من الخصائص اللهجية أو اللغوية المخالفة لخصائص اللغة العربية من الناحية الصوتية، نحو قوله في هذه الرواية:

«وكان الحاج فيروز رجلا أسود فاحماً، طويلاً، قليل الكلام، فإذا تكلم لم يَكدْ يبين، وإنما كان يلتوي لسانه بالعربية التواء غريبا، ترك في نفس الصبي أثرا لا يُمحى، فهو لا يقرأ في البيان والتبيين قصة زياد مع غلامه حين أراد أن يقول له:

أهدي إلينا حمار وحشي فجعل الحاء هاءً في الكلمتين، وأنكر زياد عليه ذلك، فقال له: ويلك، قل أُهدي إلينا عير، فلما قال الغلام

ذلك جعل العين همزة، فارتاع زياد ورده إلى حمار وحشي».

فمن المعلوم في الدرس اللغوي أن أحرف الحلق توجد في اللغات السامية، أما اللغات «الهندوأوربية» وغيرها، مما هي على شاكلتها، فلا تُنطق فيها أحرف الحلق، وإنما تغلب على أبنائها عاداتهم النطقية الخاصة بلغاتهم ولهجاتهم، فمن تكلم بالعربية منهم غلبت عليه صفاته وعاداته اللهجية النطقية.

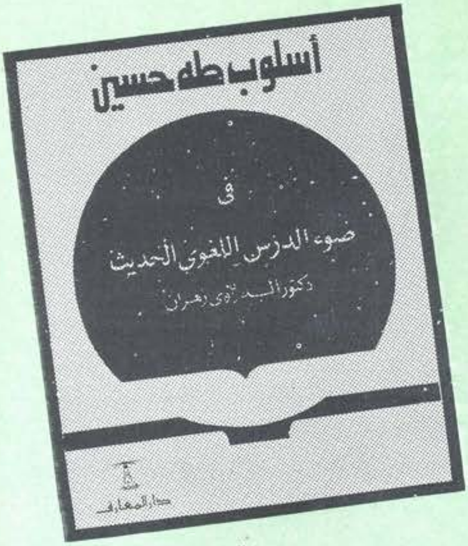
ولقد أفاد طه حسين من أساتذته الذين ينتمون إلى جنسيات مختلفة، مثل الايطاليين والألمان، وكانت إفادته من لهجاتهم عظيمة، أضافت إلى رصيده اللغوي الشيء الكثير. كما أفاد طه حسين من اللهجات المحلية، وخصوصا لهجة صعيد مصر، لا سيّما إقليمه (المنيا)، ولنتأمل قوله في رواية الأيام:

(. . . وكان إذا بلغ منه الجهد رفّه عن نفسه بهذه الجملة يوجهها إلى طلابه بين حين وحين، في لهجة «منياوية» عذبة مضحكة «فاهمين يا سيادي»).

الجانب التركيبي

ثم استشرف المؤلف في الفصل الثاني من مؤلفه دراسة الجانب التركيبي في أسلوب طه حسين، حيث أوضح في بداية هذا الفصل أن هندسة الجملة وبناء العبارة من عمل الدراسة التركيبية، أو دراسة علم النحو، وأن التراكيب لها درجات ومراحل، حيث تبدأ بمرحلة الصحة في العبارة وجريانها على قواعد النحو، وسلامتها من العيب، وتتدرج إلى أن تصل إلى أسلوب معجز في بنائه اللغوي، تتساوى عنده الأقدام في العجز، وهو أسلوب القرآن الكريم.

ولقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى النظم الفاسد بأنه يعني سقم الأسلوب في غالب



● غلاف الكتاب

الحالات وأعمها من سوء التأليف النحوي. وهكذا استطاع الباحث أن يجعل الجانب التركيبي في أسلوب طه حسين منقسما إلى عدة محاور رئيسة:

فالمحور الأول في هذا الجانب ينمّ عن اتسام الشيخ بالذكاء المتوقد، مما حدا بالباحث إلى وصف أول ظاهرة في الجانب التركيبي لهذا المبدع بالظاهرة التركيبية التي مبعثها الذاكرة الحافظة.

فلقد استطاع طه حسين أن يفيد من الموروث التراثي، وفي مقدمة هذا الموروث النظم القرآني، مما حدا بالأديب أن يصوغ تراكيبه على شاكلة هذا النظم، وأن ينسج على منواله المقدّس. ومن أمثلة ذلك ما ورد في روايته «الأيام»:

«ويتجنبها الفتى لأنه لم يكن يعرف لغة أجنبية»، «اقتباساً من القرآن الكريم» «ويتجنبها الأشقى».

وقوله « . . . . إذا أصبحت يابني فاستقل من الامتحان ولا تحضر من عامك هذا، فإن القوم يأتمرون بك ليسقطوك»، اقتباساً من قول الله جل شأنه «إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين»

وقوله أيضا : «ينأون بدروسهم وطلابهم عن الأزهر«هو مقتبس من القرآن الكريم «وهم ينهون عنه وينأون عنه»

وقوله أيضا: «وبُهِتَ الفتى حين سمع هذين الاسمين (رمسيس واخناتون)» إنما هو اقتباس من قول العزيز الحكيم «فبُهِتَ الذي كفر».

ثم تأتي ظاهرة أخرى في الجانب التركيبي لطه حسين، وهي تغلغل العامية في أسلوبه الأدبي، فلقد وشّى نسيجه الأدبي بهذه الحلية، إيمانا منه بأن العامية تتعانق مع الفصحى في النص الأدبي، فلا تكونُ مسوّغاً لسقوط هذا النص ولا بإلحاق النتوءات به، ولا يُعدُّ هذا من جانب الأديب وهناً أو ضعفاً أو أفولاً لشمسه المشرقة في دنيا الأدب.

لذلك فإننا نجد أن عميد الأدب قد استخدم بعض الألفاظ العامية في روايته «الأيام».

«شيشة ـ قرقرة ـ كوبرى ـ قهوة»، (والجمع عنده قهوات)، نحو قوله:

«إنها قرقرة الشيشة يدخنها بعض تجار الحي ويهيئها صاحب القهوة، كان أهل السعة منهم يذهبون إلى قهوة كوبري قصر النيل القريبة».

«ويختلس المتعة القصيرة بين حين وحين إن أتيح أن يخرج من حياته المألوفة إلى رياضة في الضواحي، أو تنزه في الحدائق، أو جلسة في قهوة من القهوات».

الدخيل

كما تعرض الباحث للدخيل الذي وظفه شيخنا في نسيجه الأدبي، ومن الأمثلة على هذا الدخيل ما جاء في هذا العمل الروائي نحو:

(دولتلو ـ أفندم ـ ارسالية ـ الفنقلة)

ثم استشرف الباحث قوائم ببعض الدخيل المستعمل في أسلوب العميد نحو: (دهليز ـ تونة ـ سردين ـ خان).

كذلك يؤثر العميد استخدام المشتقات والمصادر في نسيجه الأدبي.

ثم يختم الباحث هذه السمات التي ينفرد بها أسلوب طه حسين في مجاله التركيبي، بأن العميد يؤثر استعمال الجمل المتراصة المترابطة بحرف يصل بينهما، وقد يطول الأمر على هذا الحال، وتتوازى الجمل وتتراص، وترتبط كل واحدة بالأخرى بحرف هذا، وتظهر براعته اللغوية في استعماله حروف الجر وأدوات الربط المختلفة.

ما هو المال ؟

. طرحت إحدى الجرائد الانجليزية على قرائها سؤالا : ما المال ؟ فوردتها أجوبة نقتطف منها مايأتي :

× المال صنم تعبده جميع الشعوب وإن لم يكن له هيكل .
× جواب آخر : المال يحول التعب الى راحة .
× أما الجواب الذي نال الجائزة فهو :
× المال جواز سفر عالمي يمكن لحامله أن يذهب الى كل البلاد ـ خلا السماء ـ وهو يجلب كل شيء خلا السعادة .





مكتبة العربي

مختارات

اسم الكتاب : الصادرات الصناعية لدول الخليج العربية
اسم المؤلف : د . رمزي زكي
الناشر : دار الشباب - قبرص
عدد الصفحات : ١٢٧ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٩

يتناول الكتاب مشكلة الصادرات الصناعية لأقطار الخليج العربي ، وقد تناول المؤلف الواقع الراهن للصناعات التحويلية في هذه الأقطار ، والخصائص التي اتسم بها النمو الصناعي في الخمس عشرة سنة الأخيرة ، وتحديد المشكلات التي تواجهها الصادرات الصناعية ، سواء في مجال التبادل التجاري بين مجموعة هذه الأقطار،أو في مجال الأسواق الخارجية . وقد تعرض لمشكلات التنافس الصناعي وضيق الأسواق المحلية ، والمشكلات التي يواجهها المصدرون ، والقيود الحمائية المفروضة على تلك الصادرات في الدول الرأسمالية الصناعية . ثم انتقل بعد ذلك لرسم الآفاق الممكنة لنمو هذه الصادرات ، وتحديد وسائل دعم الصادرات الصناعية وحفزها بإجراءات مثل سياسات الدعم والإعانات ، والسياسات الجمركية الملائمة ، والتغلب على مشكلات تمويل الصادرات وتأمينها . وتشكل هذه الدراسة مقدمة تحليلية لفهم الجوانب المختلفة لمشكلات التصنيع والتجارة الخارجية لمجموعة هذه الأقطار .

□□□



اسم الكتاب : مرآة المنفى - أسئلة في ثقافة النفط والحرب
اسم المؤلف : د . غالي شكري
الناشر : رياض الريس للكتب والنشر - لندن
عدد الصفحات : ٢٣٤ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٩

يمثل الكتاب مرحلة دقيقة من فكر مؤلفه وسلوكه - الكاتب العربي المعروف - في مواجهاته مع النفس والوطن والأمة ، وقد أخذت هذه المواجهات شكل محاورات أجراها مع غالي شكري كتاب وصحفيون عرب في بيروت والقاهرة ودمشق وبغداد وباريس وعواصم أخرى ، على امتداد سنين طويلة ، إلا أن الإطار الجامع لهذه المحاورات هو المواجهة ، فالذي يواجه ليس الأديب ولا الصحافي ، وإنما الفكرة الطاغية المطروحة في اللحظة التاريخية التي تثيرها أسئلة كثيرة .

اسم الكتاب : مجنون على السطح
اسم المؤلف : عزيز نسين ـ ترجمة : محمد الظاهر ومنية سمارة
الناشر : دار الكرمل للنشر والتوزيع ـ عمان
عدد الصفحات : ٩٠ من القطع الصغير
سنة النشر : ١٩٨٨



عزيز نسين واحد من أهم الأدباء الأتراك المعاصرين ، ومن أكثرهم إنتاجاً ، فقد كتب في مختلف مجالات الإبداع الأدبي ، إلا أن قصصه الساخرة ذات البعد الاجتماعي والسياسي الذي يحيط بالواقع التركي ، ويتغلغل في تفاصيله وجزيئاته ، تعد من أهم الإبداعات العالمية في الأدب الساخر . ويضم الكتاب ثماني قصص قصيرة ، ومقدمة هي حديث لعزيز نسين عن نفسه ، أدلى به لإحدى الصحف اليوغسلافية . يقول نسين في الحديث : « لقد عجز سيميائيو العصور الوسطى عن تحويل الحجارة إلى ذهب ، وعجزوا عن العثور على حجر الفلاسفة ، أما أنا فقد نجحت في تحويل دموعي الحارة إلى ضحكات كبيرة ، تدوي في آفاق هذا العالم الواسع » .

□□□

اسم الكتاب : مواويل النيل المهاجر
اسم المؤلف : حسن فتح الباب
الناشر : دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة
عدد الصفحات : ١٢٧ من القطع الصغير
سنة النشر : ١٩٨٧



ديوان شعر جديد لشاعر يقدم فيه أحدث نتاجه الشعري ، وهي قصائد يسكنها عشق الوطن ، فتحمل داخلها كل ما بداخل الشاعر من فرح وانكسار وغربة وشجن وغبن وغواية . وقصائده كتبها وهو بعيد عن وطنه ، حين توغل به المدائن ، وتضيق به المطارات والقطارات والمرافيء ، ويقفز في المدى الخالي ، فتجتاحه ذكرى الوطن ، فتجري الكلمات وتتفاعل في نفسه وشغاف قلبه كجري سيل الدمع في العيون .

□□□

اسم الكتاب : الفكر السياسي في فلسطين (١٩١٨ ـ ١٩٤٨)
اسم المؤلف : د . علي محافظة
الناشر : مركز الكتب الأردني
عدد الصفحات : ٣٨٧ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٩



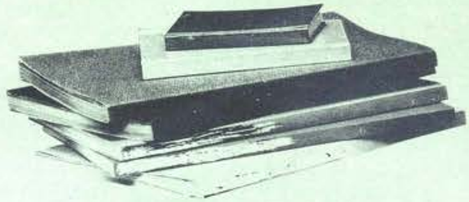
يتناول الكتاب الاتجاهات السياسية بين عرب فلسطين في عهدي الاحتلال والانتداب البريطانيين ، ويعالج الأفكار والمواقف السياسية المتصلة بالأحداث المحلية والعربية والإسلامية والعالمية ، ويحلل العوامل الاجتماعية والاقتصادية المؤثرة في هذه الأفكار والمواقف ، كما يبرز الدوافع الفردية والأسرية والدينية والإقليمية والقومية التي حركت الأفراد والجماعات، وجعلتهم يعبرون عن آرائهم ومصالحهم ومواقفهم بوضوح تارة ، وبغموض تارة أخرى ، وبصراحة أحيانا ، وبرياء والتواء أحيانا أخرى . □

السجائر ذات الأطراف المذهبة ، مرتفعة الثمن بحيث أنني لاأستطيع الحصول عليها إلا عندما تتراكم عليّ الديون .

« أوسكار وايلد »

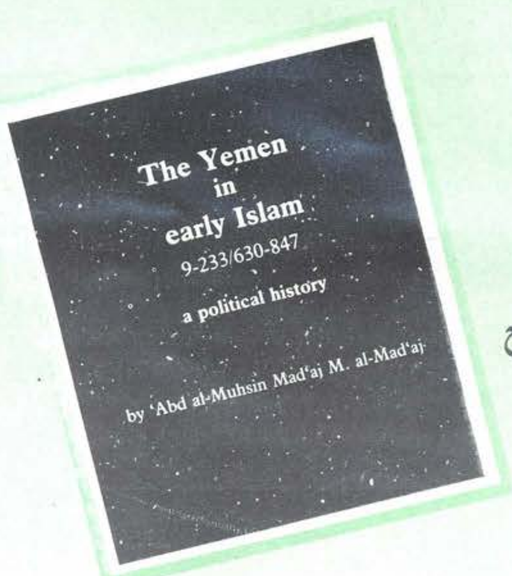


مكتبة العربي



كتاب الشهر

اليمن في عصور الإسلام الأولى



تأليف :
الدكتور عبدالمحسن المدعج
عرض : خالد عباس

يشكل اليمنيون جزءا مهما من الأمة العربية حاضرا وماضيا . وقد لعبوا في عصور ما قبل الإسلام دورا بارزا في إرساء أسس الحضارة العربية القديمة .

الكتاب الذي نعرض له في ما يلي يتناول تاريخ اليمن في العصور الأولى للإسلام وإسهامات اليمنيين فيها .

لعل أهم ما يميز الدراسات الأكاديمية التعمق في عرض الموضوع المتناول ، والإلمام بكل نقاطه ، لكن بأسلوب موجز ، لا استطراد فيه ، ولا انتقاص من قيمة الفكرة المطروحة أو النتيجة المتوصل إليها . وهذا قول ينطبق على الكتاب الذي بين أيدينا ، والذي هو ـ في أصله ـ دراسة أكاديمية جادة ، مما حدا بجامعة « ديرهام » البريطانية لأن تنشره ضمن إصدارات مركزها للدراسات الإسلامية والشرق الأوسط (١٩٨٨) ، لاسيما أن مؤلفه قد نال درجة الدكتوراة من الجامعة نفسها .

عن المؤلف تقول المؤسسة الناشرة : « د . عبدالمحسن المدعج كويتي ، تخرج من جامعة الكويت ، حصل على الدكتوراة من جامعة « ديرهام » في انجلترا ، شغل منصب العميد المساعد للشئون الأكاديمية في كلية الآداب بجامعة الكويت ، وهو الآن محاضر في التاريخ الإسلامي فيها ، ورئيس لتحرير حوليّاتها ، كما يعمل أيضا مستشارا لقسم التراث في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت » .

جاء الكتاب في مائتين وخمس وستين صفحة من القطع المتوسط ، وهو دراسة تاريخية سياسية ، تتناول وضع اليمن في عصور الإسلام الأولى ، معتمدة على عديد من المراجع : رسائل جامعية ، وحوليّات وتاريخيات محلية ، وجغرافيّات ، وأدبيّات ، وأدلة قبلية ، وعلاوة على خرائط ، وجداول ، وتذييلات مسهبة في ختام كل فصل . وتقع الدراسة في ثلاثة أجزاء مقسمة إلى ثلاثة عشر فصلا ، تغطي فترة زمنية من ٩ ـ ٢٣٣هـ ، (٦٣٠ ـ ٨٤٧ م) ، أي منذ بدء المراسلات الرسمية بين النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وزعماء اليمن ، يدعوهم بها للدخول في الإسلام ، حتى العام الأول من خلافة المتوكل العباسي .

ثلاثة جوانب

وتهدف الدراسة إلى إبراز جوانب ثلاثة ، أولها التركيز على العلاقات اليمنية مع الحكومة الإسلامية قبل هجرة القبائل اليمنية إلى مناطق الفتوحات ، أي ما بين ٩ ـ ١٢ هـ ، (٦٣٠ ـ ٦٣٤ م) ، وثانيها ، شرح وتحليل تلك العلاقات في أثناء فترة حكم الخلفاء الراشدين ١١ ـ ٤٠ هـ ، (٦٣٢ ـ ٦٦١م) ، وثالثها تغطية التاريخ السياسي لليمن ، وسياسة الخلفاء الأمويين والعباسيين تجاهه في فترة ٤١ ـ ٢٣٣ هـ ، (٦٦١ ـ ٤٨٧ م) .

عبر مائتين وأربعة وعشرين عاما ، هي الامتداد الزمني لهذا الكتاب ، يركز المؤلف على التاريخ السياسي لليمن وعلاقاته مع الحكومات الإسلامية على اختلاف أنماطها . إن الموقف السياسي في اليمن قبل الإسلام يمكن تلخيصه بأنه بلد عانى الانشقاق السياسي ، كنتيجة مباشرة لمقتل سيف بن ذي يزن الذي كاد ينجح في توحيد البلاد تحت رايته . انقسم اليمن بعد ذلك إلى أقاليم ، يهيمن عليها زعماء محليون ، كل يتمتع بتأثير سياسي قوي في الإقليم الذي يحكمه . هذا التمزق بين دويلات محلية دعا امبراطور فارس لإرسال قوات إلى اليمن تعزيزا لسلطته ، فدخل جنوده صنعاء . من هنا ، ندرك أن اليمن كان بلدا لاحكومة مركزية له تدير شئونه أجمع ، وإنما هي جماعات قبلية متفرقة ، لكنها قوية مؤثرة، وبجانبها مجتمع فارسي ، برز

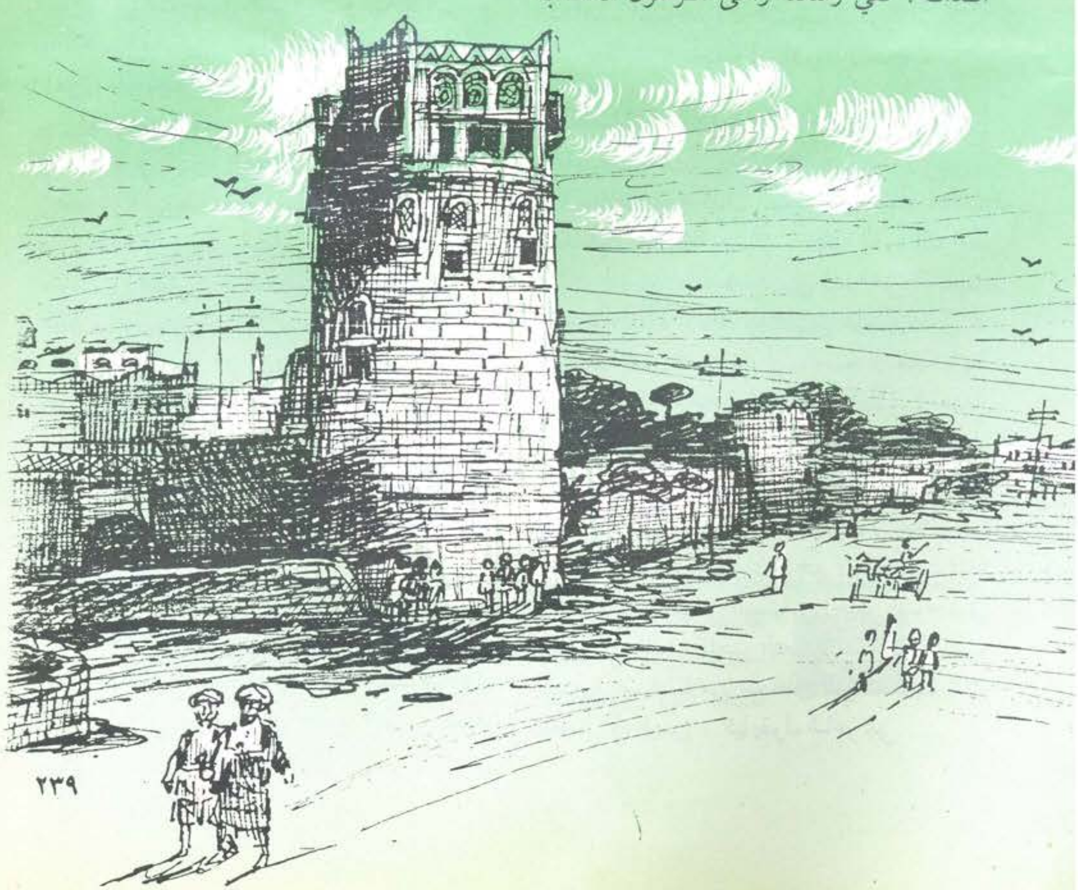
كقوة فاعلة في عدد من مدائن اليمن . ومع ظهور القيادات المختلفة ، احتدم بينهم الصراع والتنافس ، بالغين ذروتيهما في الوقت الذي بدأ فيه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يؤسس دولة الإسلام وينشر رسالته السمحاء .

إبان عهد الرسول ، وفي العام الأول من حكم خليفته أبي بكر ، رضي الله عنه ، ٩-١١هـ ، (٦٣٠ - ٦٣٢ م) ، تميزت المنطقة بنشاط سياسي على وجه الإجمال ، ولكنه كان لصالح حكومة المدينة ، على الأخص ، في نشرها للإسلام ، وإحكام قبضتها على أقاليم اليمن . وقد مارس الرسول أسلوبين في تعامله مع قبائل اليمن ، فهو أحياناً يلجأ إلى الضغط السياسي والعسكري أو التفاوض ، وحيناً يميل للدبلوماسية وإيفاد المبعوثين . ويقول المؤلف : إن مراسلات النبي مع قادة اليمن كانت شبيهة بتلك التي تبادلها مع حكام القوى العظمى آنذاك . ففي رسائله راعى الرسول الألقاب السياسية ، وسيادة الحكام - على تعددهم - على الأراضي التي يحكمونها ، كما اختار وفوده من بين أولئك الممثلين لمكانة مرموقة بين قبائلهم .

أولئك الموفدون يذكرهم المؤلف تفصيلا ، يعددهم بالاسم ، سواء في شئون الدين أو في شئون السياسة والجيش .

حروب الردة

بعد وفاة الرسول بدأت تظهر في اليمن حركات تمرد ضد الإسلام سبقتها حركة ذي الخمار أبهلة الشهيرة ، وسيطرته على صنعاء قبيل وفاة الرسول ، ولكن الرسول أخضع تلك الحركة بإرسال الرسل إلى بعض الجماعات الواقع عليها ضرر من مثل تلك الحركات ، وليس عن طريق التدخل العسكري المباشر . ومن هنا ، فإن المسلمين تدخلوا في اليمن خلال الحقبة الأخيرة من حياة النبي تدخلا لا مباشرة فيه ،



ولكنهم اضطروا إلى ذلك التدخل المباشر في أول فترة الخليفة الصديق . فبعد وفاة النبي وظهور حركات الردة ، انقسم اليمنيون ما بين مؤيد لسلطة الإسلام ، وما بين خصم لها ، وإن ظل بعض ثالث على حياد ، فلا هو مؤيد ولا هو معارض إزاء الصراع بين المسلمين والمرتدين .
على أنه بانتهاء العام الأول من خلافة أبي بكر ، كانت سلطة الإسلام قد بُسطت ، واستقرت في بعض بقاع اليمن . وفي العام الذي تلاه بدأت القبائل اليمنية هجراتها إلى المناطق التي فتحها المسلمون ، تشارك في الجهاد ، وتستقر في تلك الأراضي المفتوحة في سوريا والعراق والفسطاط ، إلى حد أنهم كونوا غالبية سكان تلك المناطق ، إذ كان المحاربون اليمنيون يصطحبون معهم أسرهم ومتعلقاتهم إلى جبهات القتال . كانت مساهماتهم في فتح البلاد كبيرة ، ودورهم العسكري في المعارك الفاصلة في بداية الغزوات مشهودا . فصار منهم القادة المميزون بين المسلمين ، وهم ذوو خبرة عسكرية عالية ، يشاركون في قيادة العسكر ، ويفاوضون على الجبهات البيزنطية والفارسية . كانت المدينة ، مركز الخلافة ، هي أساس انطلاق المتطوعين منهم إلى الجهاد ، ومنها انطلقوا يخوضون المعارك الكبرى على جبهات سوريا والعراق .

ويشير د . المدعج إلى إيثارهم الجبهة السورية على العراقية اعتزازا بخبرتهم العسكرية ، مرفقا أسماء شعائب القبائل اليمنية التي توطنت واستقر بها المقام في البقاع التي دخلها المسلمون فاتحين .
وهكذا تناول المؤلف بالتفصيل الدور البارز لليمنيين .

لعب اليمنيون دورا مهما في قمع المعارضين لبسط سلطة الإسلام في اليمن ، مثلما ساعدوا في تقوية النظام الإسلامي فيه خلال الفترة الأولى من حكم أبي بكر . من جانب آخر ، أسهم المسلمون أنفسهم في وضع حد للنزاعات السياسية المحلية في بعض مناطق اليمن ، وفي الحفاظ على الاستقرار السياسي فيها ، غير أنه في بعض المناطق الأخرى لم يتسن للمسلمين أن يدعموا سيطرتهم السياسية فيها ، لأن تلك المناطق كانت واقعة تحت نفوذ القبائل المحلية .

عهد عثمان

ويتطرق المؤلف إلى دور قبائل اليمن وتأثيرها في الأزمة الداخلية الكبرى ، خلال الحقبة الأخيرة من خلافة عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، رضي الله عنهما ، أي فترة التمرد على عثمان والحرب الأهلية ، ويتناول تأثير المهاجرين اليمنيين على الموقف السياسي في وطنهم ، وتصعيد المقاومة المحلية لنظام الخلافة .
لقد لعب المهاجرون اليمنيون دورا أساسيا في الأحداث الداخلية في الدولة الاسلامية .

بعضهم كان القوة الدافعة وراء التمرد على الخليفة عثمان ، رضي الله عنه ، في الكوفة والفسطاط . وهكذا ، كونوا أول تحد مباشر لسلطات الخلافة هناك . تلك القوة الدافعة أثبتت قدرتها بشكل مميز في المراحل العديدة للتمرد . ولأن أولئك المهاجرين اليمنيين سبق أن برهنوا على قدرتهم السياسية والعسكرية النافذة ، فقد تمتع قادتهم باليد الطولى في صنع القرار الفاصل ، كما ظهر جليا في معركة صِفّين.
ويشير المؤلف إلى التعزيزات اليمنية على الجانب السوري من جبهات القتال ، خلال فترة الحرب الأهلية ، مبيناً أن « حِمْيَر » و« كِنْدَة » كانتا تمثلان أغلبية القبائل اليمنية في الجيش المتواجد في سوريا . ولقد جاءت التعزيزات التي أرسلت لمعاوية أساسا من المناطق التي تسكنها تلك القبائل في اليمن ، كما يقول شاعر يمني :

أتتك الرجال من إمدادنا
تجود إليك الفلا من عدن
ومن سرو حمير قد أقبلوا
ومن حضرموت ومن ذي يزن
فدبوا إليك دبيب الجراد
على صعبها والذلول المحن

بعد سقوط ابن الزبير

غير أن الركود السياسي قد ألقى ظلاله على اليمن بعد انضمام قبائله إلى البعثات الإسلامية في البقاع الأخرى ، على الرغم من أن اتصال اليمنيين بوطنهم الأم لم ينقطع . ويتطرق المؤلف إلى تناول الموقف السياسي لليمن ، خلال فترة الخلافة الأموية ، من حيث تعيين الحكام ، أو موقف الخلفاء تجاه اليمن ، وما صاحب تلك الحقبة من هدوء سياسي أو قلاقل ، ذاكرا أن هجرة القبائل اليمنية إلى مناطق الفتوحات ، واستمرار الغزوات في عهد الخلافة الأموية ، كان لهما تأثير كبير على العزلة السياسية لليمن ، وإهماله من قبل السلطة الإسلامية خلال تلك الفترة من القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) . فبعد اغتيال الحسين ، كان تمرد ابن الزبير أهم حدث تال يقع في تلك الفترة ، لكنه لم يؤثر تأثيرا يذكر على اليمن . فعندما استولى ابن الزبير على مكة ، واستقر هناك ، لم يتلق منه اليمن أي اهتمام ، نتيجة ذلك ، وقع اليمن فريسة سهلة للغزاة ، وعانى فراغ القيادة السياسية . بعد سقوط ابن الزبير ، لم ير اليمن اهتماما يذكر في عهد عبدالملك بن مروان الذي لم يجد مايدعو لإرسال بعثة عسكرية إلى ذلك البلد تعزز سلطته فيه .

وأخيرا ، يتطرق المؤلف إلى عهد الخلافة في الدولة العباسية ، فيقول : إن العلاقة بين السلطة الإسلامية واليمن قد اتسمت بالبرود في العقد الأول من تلك الخلافة ، وإن أخذت في التحسن تدريجيا في العقد التالي ، كما وضح في عهد هارون الرشيد ، عندما حاولت الخلافة أن تحفظ تأثيرها هناك . لقد شهدت الإدارة العباسية المعارضة المحلية لسلطتها في اليمن . وكان أحد ملامح سياسات الخلافة آنذاك محاولة إيجاد إداريين أكفاء لتوجيه دفة الحكم في ذلك البلد ، باتباع تلك السياسة تمكن الخلفاء العباسيون الخمسة الأوائل من السيطرة على مراكز الإدارة في اليمن ، لكن العهد لم يدم طويلا ، فظهور القوى المحلية في مسيرة الأحداث في اليمن ، والاهتمام المتزايد للخلافة فيه ، وقع عندما كان العباسيون على شفا التدهور من حيث تأثيرهم على الإدارة . ثم بدأت القلاقل في تهامة في بداية القرن الثالث الهجري ، (التاسع الميلادي) ، فأجبرت الحكومة العباسية على إرسال ابن زياد لحكم المنطقة ، لعله يتمكن من حماية مصالحها هناك . وقد نجحت تلك السياسة في مناطق اليمن ، عدا منطقة المرتفعات التي خبرت توالي التمرد على سلطة الخلافة ، يقودها بعض الزعماء الطموحين والمؤثرين . نتيجة ذلك فقدت السلطة الإسلامية المركزية السيطرة السياسية على ذلك الإقليم .

ويختتم د. المدعج الجزء الأخير من كتابه بتعديده أسماء حكام اليمن في عهد الخلافة العباسية ١٣٢ ـ ١٩٤هـ ، (٧٥٠ ـ ٨٠٩ م) ، مستكملا إياها في فصل لاحق ، من عصر الأمين حتى العام الأول من خلافة المتوكل ، ١٩٣ ـ ٢٣٣ هـ ، (٨٠٩ ـ ٨٤٧ م) ، منهيا عمله بخاتمة وثبت مراجع . □

نشل

● نشل أحدهم محفظة من شخص نائم في حديقة عامة ، ولما فتحها وجدها خالية من النقود ، فعاد إلى ضحيته فأيقظه قائلا له : ليس لديك نقود واستطعت أن تنام !!

إلى أن نلتقي

ويسألني سائل

تسألني قارئة : ما شروط الكتابة في العربي ؟ أو أن الكتابة في المجلة مخصصة فقط لحملة الدكتوراة ؟ ولم تكن هي الوحيدة في إثارة هذا السؤال ، أكاد أقول - دون كثير من المبالغة - إن هذا النوع من تساؤلات القراء يصل إلى مئات في العدد ، بشكل أو بآخر ، وكله يؤدي إلى الهدف نفسه .

ما أتوقف عنده هو طبيعة السؤال المعبأ بكثير من المعاني الاجتماعية والنفسية ، حيث يبدو أن هذه (الدخيلة) الدكتوراة قد خلقت لدى كثيرين منا شيئاً يشبه الحاجز النفسي .

وأبدأ القول بأنني - على المستوى الشخصي - نتيجة لخبرتي لا أحفل كثيراً بهذا (التابو) الدكتوراة .

لقد علمتني التجربة أن اللقب العلمي ليس هو كلمة السر في الإنجاز المتميز ، فالكتابة (صناعة) ، لها أدوات وأصول ، و (فن) له مستلزماته . والاثنان ليس لهما علاقة مباشرة باللقب العلمي .

أدوات هذه الصناعة هي اللغة والمعرفة والقراءة . ومن مستلزمات الفن الموهبة . والاثنان مجدولان معاً ، يظهران عند كل كاتب بمظهر مخالف ، لا يتطابق مع ما عند كاتب آخر أو يتماثل معه .

القاعدة الأساس هي العمل ، فلا شيء في الحياة يأتي بلا عمل ، والعمل جهد ، والعمل إنكار للذات ، والعمل تواضع . والكتابة عِلْمٌ على رأسه القراءة ، والكتابة فن فيه من عناصر الفن كثير من التذوق والجمال . وتسهل عليك الكتابة الناجحة إذا قرنت الفن بالاجتهاد ، بالموهبة ، في بوتقة عمل دائب .

والكاتب الجيد كاتب متواضع ، عنده ثقة بالنفس ، لا تصل إلى حد الغرور ، فالأخير (الغرور) علامة حمراء لضعف الكاتب وهامشيته ، والتواضع مع الثقة بالنفس وسيلة الكاتب إلى الناس .

حال الكاتب الجيد - وهو حال الممثل الجيد على خشبة المسرح - أنه يمرض قليلاً كل ليلة قبل أن يواجه الجمهور ، وتنتابه حالة المرض حتى بعد سنين من عمره الفني ، فعندما يهيىء نفسه للظهور على خشبة المسرح فإن قلبه يدق كالطبل ، وفمه يصبح جافاً كجفاف العاصفة الترابية ، ويده تنضح عرقاً . وهكذا هو الكاتب الجيد ، تحيره الفكرة ، وبعد عسر يبدأ الكتابة ، مع مطارحة دائمة مع النفس ، ومع الفكرة ، فكل مقال جديد هو ميلاد جديد .

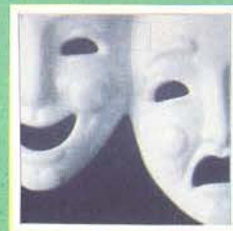
والكاتب ليس كغيره من الناس ، فالآخرون لهم أصدقاء ولهم أعداء ، وكذلك الكاتب ، لكن الفرق أن أصدقاء الأول كثيرون لا يعرفهم ، أما أعداؤه فهم أكثر وأكثر ، ولا يعرفهم أيضاً . هو حامل رسالة ، وقد لا تُفهم هذه الرسالة ، وقد لا تُقبل ، وقد تُساء ترجمتها ، لكنه في النهاية لا بد أن يقول تلك الرسالة ، وفي النهاية لا بد أن يخلق أولئك الأعداء غير المنظورين ، وفي النهاية عليه أن يتحمل كثيراً من التضحية .

ما تقول وما تكتب مهم ، ولكن متى تقول ما تريد أن تقول أكثر أهمية أيضاً ، فكم من كتابات رائعة لم يلتفت إليها الناس ، لأنها قيلت في الوقت الخطأ . ليس المهم أن تقول ما تريده أنت فتقط ، بل المهم أن تعبر عن قيم إنسانية ، لها هامش مشترك مع آمال الناس .

ولكل كاتب أسلوبه ، فلا تقلد أحداً ، أسلوبك هو بصمة إبهامك ، لكنك لا تستطيع أن تستغني عن القدوة ، وأن تجد أحداً يقول لك : إنك تستطيع ما تستطيع لا أكثر من ذلك ولا أقل .

وهكذا يا أصدقائي الذين تسألون ، فالقضية ليست بالألقاب ، وليست بالأمزجة ، إنما هي عمل ، عمل وموهبة . وإلى اللقاء ، ، ، □

الدكتور محمد الرميحي



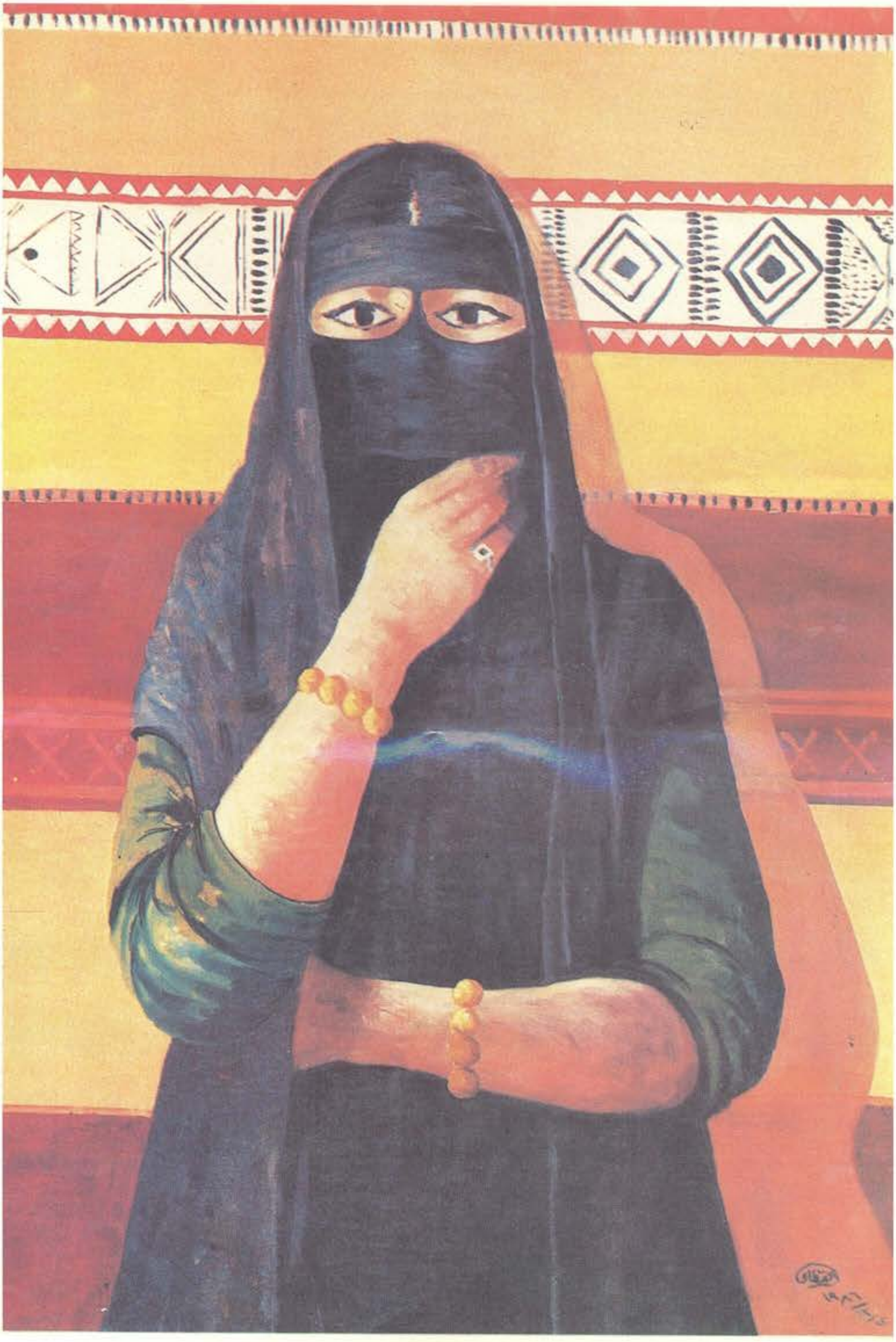
من المسرح العالمي

سلسلة شهرية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت

حورية من البحر

تأليف: هنريك ابسن
ترجمة: د. أحمد النادي
مراجعة: د. طه محمود طه
تقديم: د. عبدالله عبد الحافظ

العدد ٢٤٥ أول فبراير ١٩٩٠



«الخنصر» - للفنان الكويتي بدر جاسم القطامي

شعبان ١٤١٠هـ - مارس (آذار) ١٩٩٠م

العربي



فلسطين المحتلة

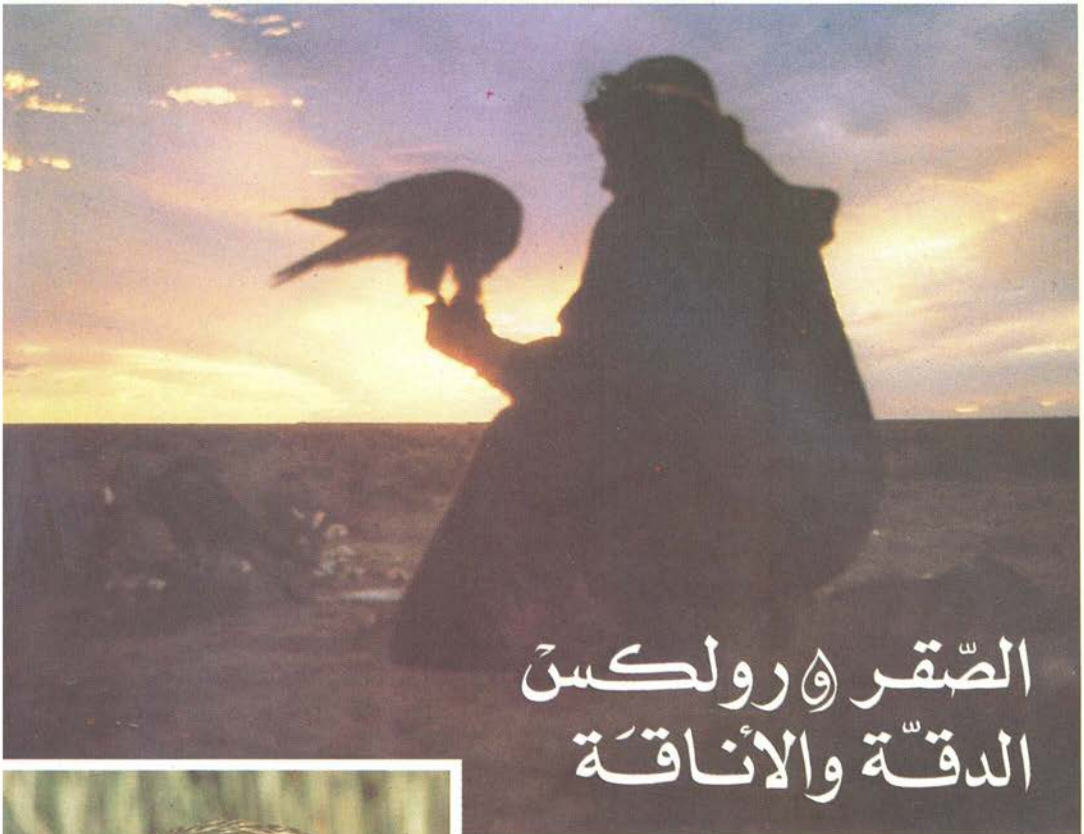
الحياة والموت في ظل الانتفاضة

استراليا

القارة البكر والقوة الجديدة وسط المحيط

من مخاطر العبث بالوراثيات

■ العرب والتحدي العلميّ ■ جديد القصة في المغرب العربيّ





منذ حضارة بلاد ما بَين النهرَين، كانت رياضة الصّقور، ولا تزال حتى يومنَا هذا، رياضَة النبلاء.

الصّقر طائر قويّ، أنيق وسَريع الحَركة، يُرَوّض ويُعَلّم خصّيصًا فنّ الصّيد. هَذا الترويض والتعليم يتمّ على يَديّ أخصائيّين لمدّة طويلة تدوم أكثر من ثلاثين يومًا. العنايَة عينهَا هيَ التي بهَا تصنَع كل ساعة رولكس.

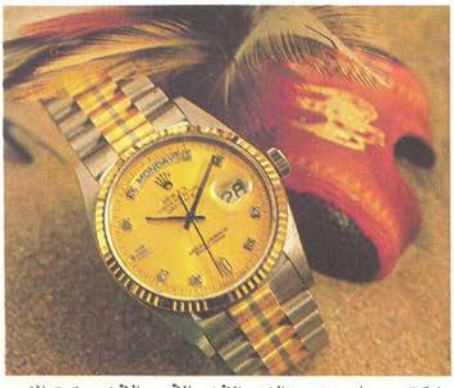
حتى اليَوم لا تزال رولكس تصنَع من قطعَة معدَن واحِدَة وتُنحَت يَدويّا، سَواء مِن الذهَب الخَالص أو الفولاذ أو الاثنين معًا.

كُل سَاعة تمرّ إفرَاديًا بمَجموعَة تجَارب قاسية قبل أن تعطي شهَادة الكرونومتر السّويسريّة الرسميّة.

جَمال رولكس غنيّ عَن التعريف وقيمتهَا تدوم وتدوم لسَنوات وسَنوات طويلة جدًا.

مجمُوعَة سَاعات رولكس رائعة ومتكاملة لترضي أصحَاب الذوق الرفيع.

رولكس والصّقر رمز الدقة والأناقة.



ساعة تريدور داي - ديت من الذهب الأبيض والأحمر والأصفر مرصّعة بالماس.

ROLEX

رولكس

العـــدد ٣٧٦ السـنة الثالثة والثلاثون مـــارس ١٩٩٠

العربي

مجـلة ثقـافيـة مصـورة
تصدر شهريًا عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

العربي
ص. ب: ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 الكويت
تلفون: ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيًا: "العربي" - الكويت
تلفون فاكسملي: ٢٤٢٤٣٧٥ - تلكس: MITR. 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI
Issue no 376. Mars 1990, P. O. Box : 748.
Postal Code No. -13008 Kuwait.
A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information
State OF Kuwait.

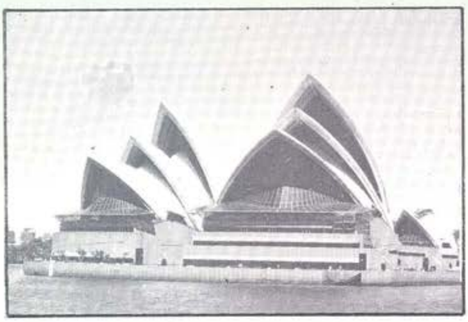
الاعلانات: يتفق عليها مع الإدارة - قسم الاعلانات

الاشتراكات: ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - الإعلام الخارجي
وزارة الإعلام - ص.ب: ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة
مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٦ د.ك أو ٢٠ دولارًا باقي دول العالم ٨ د.ك أو ٣٠ دولارًا

ثمن النسخة

الكويت ٣٠٠ فلس	تونس ٥٠٠ مليم	سوريا ١٥ ليرة
العراق ٤٠٠ فلس	الجزائر ٥ دنانير	الامارات ٧ دراهم
الأردن ٢٥٠ فلسًا	السعودية ٦ ريالات	المغرب ٥ دراهم
البحرين ٤٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٤ ريالات	ليبيا ٥٠٠ درهم
اليمن الجنوبي ٣٠٠ فلس	قطر ٧ ريالات	أوروبا: جنيه استرليني ونصف
مصر ٣٥ قرشًا	سلطنة عُمان ٤٠٠ بيسة	فرنسا ٢٥ فرنكًا
السودان ٢٥ قرشًا	لبنان ٥٠ ليرة	أميركا ٣ دولارات

محتويات العدد



● استراليا : القارة البكر والقوة الجديدة وسط المحيط . ص٦٨

أدب وفنون :



وجهاً لوجه :
د. سهيل ادريس
وجهاد فاضل ص ٩٧

منتدى العربي :

تاريخ وتراث وأشخاص :

مكتبة العربي :

أبواب ثابتة :



صــورة الغــلاف

الانتفاضة الفلسطينية ، ليست قذف حجارة ومواجهات عنيفة مع قوات الاحتلال فقط بل أسلوب حياة ... استطلاع عن حياة الشعب الفلسطيني قامت به مجموعة من الكتاب الفلسطينيين تحت الاحتلال. [طالع ص ١٣٢]

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

عزيزي القارئ

رَبِيعُ العَرَبِ .. لماذا يَجِيءُ قَائِظًا ؟

يبدو أن هذه الأمة لا تخرج من مشكلة ، إلاّ وتواجهها مشكلة أخرى أصعب وأكثر شراسة ، فلقد كان الأمل في التسعينيات أن يتنفس العرب الصعداء ، ويبدأوا في تجميع قدراتهم لإصلاح ما أفسدته العقود السابقة على كافة الأصعدة ، اقتصادية كانت أم اجتماعية أم سياسية . ولكن الشهور الأولى من التسعينيات واجهتنا بمشكلة تزايد الهجرة الكثيفة لليهود السوفييت إلى فلسطين ، بعدما أغلقت الولايات المتحدة أبوابها أمامهم ، ليتخذ الكيان الصهيوني منهم ذخيرة بشرية تمكنه من مواجهة ضغوط الإنتفاضة الفلسطينية الباسلة المستمرة للعام الثالث ، وتمكنه من ترسيخ اغتصابه للأرض العربية .

وبالإضافة إلى هذا التحدي الذي يحتاج إلى سرعة في المواجهة والحسم ، يحاط العرب بجبهة ثانية سبق لنا في « العربي » التنبيه إلى خطورتها علينا وهي جبهة المياه ، حيث تتعرض الأراضي الزراعية في سوريا والعراق لحجب المياه عنها ، وتتعرض منابع نهر النيل لمشروعات مشبوهة تقف خلفها « اسرائيل » .

وهكذا يواجهنا عقد التسعينيات بتحديات ثقيلة ، تستدعي منا اليقظة وابتكار وسائل وأساليب فعالة لمواجهتها ، بخاصة أننا نعيش في عالم سريع التغير والتبدل .

« والعربي » إدراكاً منها لأهمية هذا الدور تحاول على الساحة الثقافية أن تقوم بدورها في إشاعة الوعي بهذه القضايا ، واستثارة وإنارة التفكير حولها ، ولذلك تنشر ـ للمرة الأولى ـ استطلاعاً مصوراً من الأرض المحتلة كتبه وصوره زملاء لنا هناك ، ننشره تصديقاً لما آمنت به الكويت قيادة وشعباً من أن كل الجهود يجب أن تبذل لنصرة اخواننا هناك ، ومن يقرأ هذا الاستطلاع الذي ننشره في هذا العدد سيتعرف على ما يقاسيه أهلنا ، الصامدون ، وما يبذلون من جهد بطولي لتحقيق النصر .

وفي هذا العدد تصحبنا « العربي » في استطلاعها الخارجي إلى استراليا القارة البكر لتتعرف عليها ، وعلى المهاجرين العرب هناك ، كيف يعيشون ؟ وبماذا يفكرون ؟

وفي ملف المستقبليات الذي نتابع نشره منذ عدد يناير الماضي يحظى العلم باهتمام يليق بأهميته ، حيث يستمد منه غيرنا سر تقدمهم ، وهنا نتساءل : أين نحن من التقدم العلمي الراهن ؟ وكيف نتعامل مع معطياته ؟ . ولذلك يزخر العدد بمجموعة من المقالات العلمية منها ؛ مخاطر العبث بالوراثيات ، ورحلة خلابة إلى الزمن صفر .

وفي ملف الإبداع الأدبي العربي تتابع العربي نشر اسهامات الكتاب العرب في هذا الموضوع المهم .

أما وجهاً لوجه فهو مع الكاتب والمفكر العربي سهيل ادريس صاحب الاسهامات المتميزة في الثقافة العربية المعاصرة ، من خلال مجلة الآداب التي رفدت الثقافة العربية منذ الخمسينيات من هذا القرن باسهامات وإبداعات ثرية ومهمة .

وبعد ذلك نجد في هذا العدد باقة من الموضوعات العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية نحرص دائماً على أن تكون جديدة ومفيدة لقاريء العربية ، وقاريء « العربي » .

ذاك هو اسهامنا في هذا الشهر الذي نرجوا أن لا يمر إلاّ ويكون ضيقنا قد انفرج ، وشملنا المشتت قد التأم . □

المحـــرر

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

أصداء حركة الاستنارة

طُلب منى أن أشارك مع كوكبة من أهل الرأى والكلمة العرب ، في ندوة مفتوحة على هامش معرض الكتاب الثاني والعشرين في القاهرة ، وللقاهرة سحر خاص يزداد تألقاً عندما يكون اللقاء بين مثقفين وكتاب وشعراء ودارسين من كل أنحاء الوطن العربي الكبير . كانت الندوة جزءا من تظاهرة ثقافية منصبة على محور حركة التنوير وأصدائه في الوطن العربي ، والمدخل هو مرور مائة سنة على ميلاد العقاد ، وطه حسين ، والمازني ، والرافعي ، وميخائيل نعيمة ، أي بعض فرسان « التنوير » في منطقتنا العربية .

وكان مطلوباً منى أن أتحدث عن أصداء حركة التنوير في المشرق العربي ، وفي الجزيرة على وجه الخصوص .

والموضوع بمعناه الشامل (التنوير) وجزئيته « أصداء التنوير في الجزيرة العربية والخليج » موضوع واسع ودقيق ومحرج في نفس الوقت .

واسع لأنه يحتاج إلى سفر كبير أو أكثر للإلمام بكل تفاصيله ، وتحليل الثابت منه والمتحول ، ودقيق في نفس الوقت لأنه يضعنا أمام

أصوات الاستنارة لم تسفر حتى الآن عن أعمال أكثر بقاءً من مجرد الصدى

أنفسنا مباشرة في تحديد معنى « التنوير » وتحديد مركز أو مراكز انطلاق هذا التنوير ، وتحديد صداه أيضا ، وهو أخيراً محرج لأن السؤال يطرح ماذا كان لدى المتقدمين من « أصيل » وماذا عندهم من « منقول » حتى نستطيع على وجه الدقة أن نقول إن ذلك « تنوير » نابع من أصالة ، وتلك أفكار « تنويرية » مستوحاة من آخرين ؟

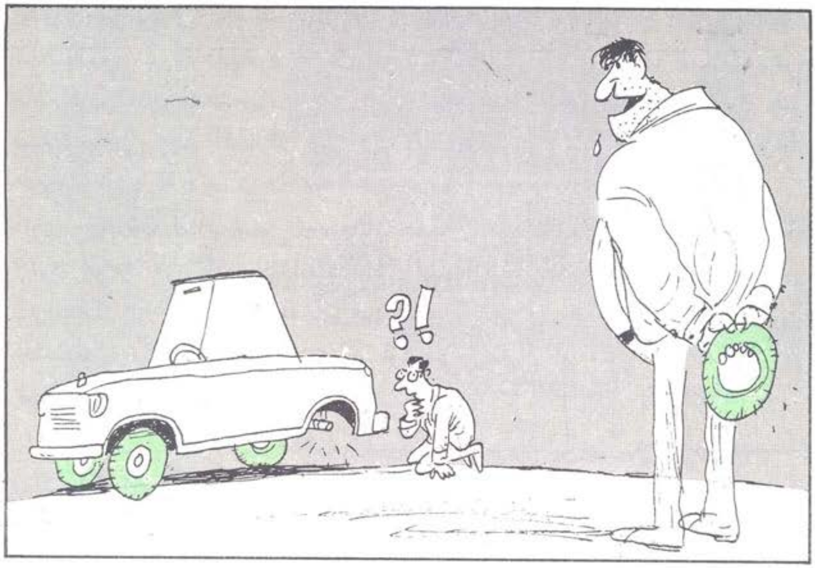
وعندما التأم شمل جمع المتحدثين على تلك المنصة في صباح ذاك اليوم البارد من أيام القاهرة - في نهاية يناير (كانون الثاني) الماضي - وجدت أن معظم المتحدثين من مصر والعراق وتونس والجزيرة العربية وفلسطين من زملائنا الكتاب يشاركونني بقليل أو كثير من الموافقة على اتساع ودقة وحرج الموضوع .

مشاكل منهجية ومعرفية :

كانت التساؤلات في البداية هل يجوز أن ندّعي أننا نحتفل بمرور مائة سنة من التنوير ؟ وهل هذه المائة سنة من التنوير تحتاج إلى مائة سنة أخرى لترسخ مفاهيم التنوير كما قال أحد الزملاء ؟ وكيف يجوز أن نتحدث عن التنوير ونحن مازلنا في بعض مجتمعاتنا نتقاتل على أساس طائفي ، وديني ، ونقف من بعض من يخالفنا الرأى موقف العداء المستحكم ؟ وكيف لنا أن نحتفل بمائة سنة من التنوير ومازال بعضنا يحارب تعليم المرأة وعملها ، ويتشبث بالخرافات على أنها حقائق ثابتة لاتقبل الجدل ؟وكيف نحتفل بمائة سنة من التنوير ومازلنا نستورد أكثر مما نصدر ، ونزداد احتياجا للآخرين في الطب والهندسة والتقنية ، ومازالت إنتاجية العامل لدينا في أدنى مستوياتها العالمية ؟ وأسئلة كثيرة إجاباتها تبرر عدم احتفالنا بالتنوير أكثر مما تجيز احتفالنا به ، فنحن مازلنا نناقش ما ناقشه الأفغانى ، ومحمد عبده ، ورشيد رضا ، وطه حسين ، والعقاد والمازني دون أن نتقدم خطوة ، بل لقد كان بعضهم في ذلك الوقت أكثر قدرة على المناقشة والدفاع عن وجهة نظره ، وطرح الموضوعات الجديدة التى أصبح بعضها اليوم غير قابل للطرح في العلن ، فهل قادتنا مائة سنة من التنوير إلى وضع أفضل - فكرياً - أم إلى وضع أسوأ ؟

وماهو مفهوم (التنوير) الذى احتج بعض المتحدثين عليه وطالب باستخدام مفهوم (الاستنارة) على أساس أننا نبحث عن النور ؟ فنحن نستنير ، والاستنارة هى الاستخدام الواعى للمعرفة ، أى استخدام العقل والتفكير السليم والتحيز لهما بما فيه نزع القداسة عن الماضى ، وإعلاء قيمة الانسان كإنسان .





ثم هل هناك إجابة شاملة عن أن حركة التنوير في الوطن العربي كانت تنبع في مكان ، وأن صداها يصل إلى مكان آخر ؟ أم أن حركة الاستنارة لم تكن تسير في « صوت » يبدأ هنا و « صدى » يتردد هناك ؟ فأحيانا ماتتوازى وأحيانا ماتتقاطع « الأصوات » و « الأصداء » لتخلق كل هذا النسيج الثرّ من الثقافة العربية المتفاعلة ، مع تسليمنا جميعا من حيث المبدأ بأن مصر فعلاً - لأسباب لايمكن حصرها في هذه العجالة - هي في كثير من الأحيان في مركز « الصوت » ولكن حركة الاستنارة لم تكن دائما تسير في هيئة صوت وصدى .

لقد هاجرت أفكار الشيخ جمال الدين الافغانى معه إلى مناطق عديدة من الأقطار الإسلامية والعربية ، بل إلى أماكن بعيدة في أوربا ، وكذلك فعل الشيخ محمد عبده ورشيد رضا ، وهاجر المفكرون من أهل الشام إلى مصر ، وأثّر المصريون في مناطق عديدة وواسعة من الوطن العربي ، وفي بعض القضايا والمجالات يسبق المغرب العربي المشرق ، وفي بعض القضايا الاخرى يسبق المشرق العربي المغرب ، في حركة تبادل مراكز المنبع والتأثير .

ثم يبرز بعد ذلك السؤال الآخر ، هل رواد الفكر في أمتنا العربية من أمثال طه حسين والعقاد والمازني والرافعي ونعيمة وجيلهم هم أول دعاة الاستنارة ، أم سبقهم أشخاص مثل رفاعة الطهطاوى وخير الدين التونسي ، وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وعبدالله النديم وأديب اسحق والسنوسى والمهدى والشيخ محمد بن عبد الوهاب ؟ وعندما نزن

بعد مئة عام من بدء عصر الاستنارة مازال المجتمع يناقش قضايا أكثر تخلفا مما ناقشه جيل الرواد

«ثروة الأمم» الرئيسية ليست في مناجم الذهب ولا في منابع النفط إنما في شيء آخر أقدر وأسمى

ماجاءوا به من فكر اليوم بميزان المنهج العلمى ، وأىّ من فكرهم ذاك كان أصيلاً وأيٌ من فكرهم المستنير كان مترجما من أدب وثقافة أوربا، بعضه عولج معالجة معقولة ليتناسب مع الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة ، وبعضه نقل كما هو طرياً غير معالج فلم يستطع أن يلج لنسيج المجتمع ، وظل خارجاً عنه ، وأصبح ككعب أخيل في إطار منهج هذا المفكر أو ذاك .

بل كيف يمكن أن نضع كل هؤلاء تحت مظلة التنوير والاستنارة ، وبعضهم قد خالف فكرالبعض الآخر بقسوة وإفراط ، كما فعل العقاد ومصطفى الرافعى عندما تبادلا أقسى أنواع الهجوم في مواقع مشهورة للجميع حول أفكار كل منهما في الأدب والنقد ؟

كل تلك أسئلة منهجية ومعرفية لابد من طرحها عندما نتذاكر بجدية قضية الاستنارة وروادها في الوطن العربي .

قرن المعرفة :

لايجادل أحد بأن المائة سنة الماضية هى قرن المعلومات والمعرفة ، وإذا كان احتفالنا بمرور مائة سنة على الاستنارة يأتى مع مرور مائة سنة على مولد كوكبة من رواد الفكر الحديث ،فهو يأتي أيضاً متماساً مع استقبالنا لمشارف قرن جديد ، قرن يختلف عن كل القرون السابقة على جميع الأصعدة ، قرن تحد ليس للمواطن العربي فقط ، بل هو تحد للانسانية فكراً وعملاً ، قرن بشائر التغير العميق فيه حولنا لاتحتاج إلى كثير من قدح الفكر . وإذا كان الآخرون يستقبلون هذا القرن الجديد وتحدياته بإمكانيات تؤهلهم للتوافق النسبى مع معطياته ، وتطوير تلك الإمكانيات وتسخيرها لصالحهم ، فإن الوطن العربى والمواطن الذى يعيش واقعاً صعباً مأزوماً تقصر إمكانياته عن الوفاء بإبقاء رأسه فوق سطح الماء .

مواطن ووطن يهاجر إلى بلد محتل منه ، مليون من البشر لايستطيع أمامهم فعل شيء ، مواطن ووطن تضربه الفرقة والتقاعس ويتجاذب شبابه التعصب من جهة والتغريب من جهة أخرى ، مواطن ووطن يملك من الإمكانيات البشرية والمادية الكثير ولكنه في جله معطل . وطن يعرف أهل الرأى فيه أن القوة الجديدة ليست في مناجم الذهب ، ولا في آبار النفط ، وإنما هي في الانسان ، وإن الثروة الأساسية ليست في الثروات الطبيعية ، وإنما في قدرات الانسان لتحويلها لشىء نافع ، وإن الثروة ليست فيما تعطيه الطبيعة ولكن في كيفية تسخير الإنسان لهذه

الطبيعة ، وإن هذا الأمر الذي يعرفه أهل الرأى لايحتاج إلى براهين وإثباتات ، يكفي أن نعرف أن دولاً تملك ـ بيننا اليوم ـ ثروات طبيعية غزيرة ظلت فقيرة ، في حين أن دولا ثرواتها الطبيعية محدودة استطاعت أن تبنى اقتصاداً مزدهراً . فاليابان أغنى من الاتحاد السوفيتى في الوقت الذي لاتملك اليابان تقريباً أى ثروات طبيعية ، بينما الاتحاد السوفيتى لايفتقر إلى شيء البتة ، ذاك على سبيل المثال .

إنها إمكانيات الإنسان العربي المعطلة ، تلك هي الإشكالية التى تواجهنا وتلقي بظلها الثقيل على الجميع .

إن المثقفين والمستنيرين العرب يفرض عليهم التحدى يومياً ، وإن عليهم أن يواجهوه كما واجه المستنيرون الأوائل هذه الإشكاليات ، مع تباين درجات الحدة واختلاف العصر والظروف .

إن قيمة الرواد طه حسين والمازنى والعقاد وميخائيل نعيمة والزيات والرافعى وغيرهم تكمن في استيعابهم لضرورات عصرهم ، وتحديات المستقبل الذى كانوا يتوقعون ، على الرغم من اختلافهم في الرؤى والمناهج والاجتهادات .

إنهم جميعا نسجوا أحلاماً وأفكاراً ، وقاموا بممارسات عملية نذروا حياتهم للدفاع عنها وترسيخها في واقع الأمة . لقد أدركوا أن عوامل الثروة الصحيحة هى الأفكار تماما كما هى عوامل الثروة الجديدة في عالمنا اليوم ، وفي مستقبلنا . إنها الأفكار ، وهى عنصر غير قابل للتوزيع بين الأمم ، أفكار تجد الحلول المناسبة لمشكلاتنا ـ لاتستوردها ولا تزيفها ـ وهذه الثروة غير قابلة للتوزيع ولا للنقل ، ولذا فلم تعد قاعدة القوة في العالم هى المساحة ، ولا عدد البشر ، إنما قاعدة القوة هى الفكر والعلم اللذان ينبعان من الانسان .

لقد مارس الرواد الحوار فيما بينهم مستخدمين العقل أداة رئيسية فيه حتى أصبحت العقلانية سمة من سمات ذاك العصر ، لقد كانت الأفكار والأسئلة والقضايا التى شغلوا بها ودعوا إليها تصدم وتهز الأفكار السائدة ، وكان عليها أن تفعل ذلك ، إن السنوسية والوهابية والمهدية بدايات موجة التحدي للحضارة الغربية الغازية ، وهى إن لم تستطع أن تقدم كل البدائل التى كانت تريد وذاك لشراسة الهجمة الاستعمارية ضدها ، وعمق أسباب التخلف وهيمنتها ، لكنها استطاعت أن تدافع عن أوطانها ضد الاستعمار ، وأن تنقي الدين الإسلامى الحنيف من الشوائب والخرافات ، وأن ترجع به إلى أصوله النقية الأولى ، لذلك كان تأثيرها محكوما بواقعها وظروفها .

> السنوسية والوهابية والمهدية بدأت كموجات تحد للغرب الغازي ونقت الدين الحنيف من الشوائب والخرافات



وإذا كان رفاعة الطهطاوى قد صدمه ورفاقه وهم في بعثتهم في أوربا التناقض في السلوك الأوربى ، الذي ينادى بالديمقراطية ويرفع شعارات الإخاء والمساواة في الداخل ، ولكنه يمارس القهر والاستعمار والظلم على الأقطار العربية في الخارج ، فإنهم بعد عودتهم إلى مصر حاولوا البحث عن صيغة توائم بين ماجاءوا بـه مـن أفكار علمية وسياسية واجتماعية حديثة ، وبين علوم الشرع ، حيث وجد الطهطاوى أن الاختلاف الظاهرى بينهما إنما هو يتعلق بالتفاصيل أكثر مما يتعلق بالمبادىء الأساسية التى يقوم عليها كل منهما ، فألفوا الكتب وأنشأوا المدارس وأصدروا الصحف ، وترجموا الكتب العلمية والأدبية ، وتحيزوا لفكرة المواطنة ، وقد ظاهر الطهطاوى ورفاقه ـ ولو بدرجة أقل ـ مفكرون في تونس والمغرب والشام .

وعرفت القاهرة بعد ذلك مفكرين من أهل الشام مثل عبدالرحمن الكواكبي ، وأديب إسحق ، وسليم النقاش ، وبطرس البستاني الذي طبع أول دائرة معارف عربية ، والأخوين صروف صاحبى مجلة المقتطف ، وشبلى شميل وفرح أنطون ، وأحمد فارس الشدياق ، وسليم تكلا ، وتفاعل الجميع مع على مبارك ، وعبد الله فكرى ، ومحمد

عبده ، وعبدالله النديم ، والبارودى ، وأحمد عرابى ، ويعقوب صنوع ، ولطفى السيد ، وسعد زغلول وقاسم أمين وغيرهم ، حيث أينعت جهود هؤلاء الرواد الأوائل وأثمرت الدعوة إلى تكوين الأحزاب والحياة النيابية وانتشار الأفكار العلمية ، وظهرت الصحافة والمسرح ، وظهرت دعوات التجديد في الفكر الإسلامى على قاعدة أمتن .

وعندما ظهر الجيل الثالث من حركة الاستنارة العربية كالعقاد وطه حسين وأقرانهما لم يظهروا من فراغ ،بل غاصت جذورهم مع فكر المجددين ، الأوائل وساعدهم التطور الاقتصادى والاجتماعى ، واتساع الطبقة الوسطى الجديدة على لعب دور أوسع في انتشار حركة الاستنارة .

إلا أن هذا المشهد لايخلو من التناقض ، فقد كانت الدول الأوربية المختلفة تنقض على أجزاء الوطن العربي ، جزءا بعد الآخر ، لتلحقه بدائرة نفوذها ، وتستخدم إمكاناته في معركة المنافسة المحتدمة بينها ، ولذلك كانت تجهض بالعنف والدهاء ثوراته ، وانتفاضاته ، وتسعى من خلال تشجيعها لأساليب التعليم التى تريد ، ونمط الحياة الأوربية التى تحبذ ، لتثبيت نفوذها الثقافى ، ومن ثم الاقتصادى ، تدعيما لمصالحها .

وفي قلب المشهد تتجمع صفوة من أبناء الوطن العربي ، تحلم وتفكر وتناقش ، تؤرقها الفجوة بين تقدم الغرب وتخلف العرب والمسلمين الذين كانوا يملكون حضارة راقية في زمن مضى ، وتشغلهم الأسئلة عن كيفية النهوض ، وإعادة تشكيل المجتمع العربى والاسلامى ، ماذا يمكن الأخذ به ، وماذا يمكن التخلى عنه مما لدى الغرب ؟ فأقبلت على العلوم الحديثة ، وراحت تبحث عن أجوبة في التراث الذى كان الأرضية التى تشكلت منها وعليها الاتجاهات الفكرية التى ملأت مساحة الزمن العربى الحديث ، علّه يسعفها بإجابات للمسائل الكبرى التى تواجهها .

نظـرة من قريب علـى المشهد بين مصر والشـام :

لاأعتقد أن هناك خلافا على أن النهضة العربية الحديثة ـ وماتلاها من عصر اصطلحنا على تسميته « بعصر الاستنارة » ـ تبلورت في إقليمين عربيين أساسا : هما مصر وبلاد الشام . ومع أن عوامل التأثر والتأثير بين الحركتين النهضويتين لم تنقطع منذ منتصف القرن التاسع عشر ، إلا أن عملية النهوض والاستنارة في كل من الإقليمين اتخذت طريقا مغايرا للآخر . وقد أدى هذا بدوره الى تقاطعات حدثت في المسيرتين النهضويتين وصلت في بعض المراحل إلى حد التعارض . إلا أن مثل هذه

المحيط المصري والتربة المصرية كانا دائمًا قادرين على استيعاب إبداعات الأقاليم العربية جميعًا

قاعدة القوة هي الفكر والعلم اللذان ينبعان من الإنسان

الحالات الأخيرة ، كانت هى الاستثناء وليست القاعدة ، وفي هذا المجال يجب أن نشير إلى أن الالتقاء بالغرب ـ بأوربا ـ كان النقطة التى انطلقت منها ـ وليس على أساسها ـ حركة النهضة والاستنارة . وهذا اللقاء بالغرب مازال صالحا لتفسير كثير من عوامل نجاح وإخفاق مشروعنا النهضوى ، الذى أرى أنه لم يستكمل بعد ، وإن تحققت خلاله انجازات كبيرة وكثيرة .

وان كانت حملة نابليون على مصر هى التى تؤرخ لبدء عملية النهوض بأشكاله المختلفة التى سنجملها بالقول : إنها عملية النهوض الحضاري ، فإن ما يؤرخ لعملية النهوض في بلاد الشام ، هو تلك الارساليات والبعثات التبشيرية التى أدخلتها دول الاستعمار الأوربى ـ فرنسا وبريطانيا ـ أساسا ، وروسيا بدرجة أقل ، فتحت ذريعة حماية الأقليات الدينية في سوريا ولبنان وفلسطين تدخلت فرنسا لحماية الكاثوليك في لبنان ، وحاولت روسيا التدخل تحت ذريعة حماية المسيحيين الأرثوذكس ، أما بريطانيا فقد تدخلت لحماية ماأسمته بالأقلية اليهودية لأنه لم تكن هناك طائفة بروتستانتية تدعى بريطانيا حمايتها ، ولكن حدث أن اعتنق بعض المسيحيين العرب المذهب البروتستنتى لكن الوجود البريطانى كان سابقا على ذلك . وقد حاولت هذه الارساليات أن تطوق جزيرة العرب في بداية هذا القرن فأسست لها مراكز في البصرة والكويت والبحرين وعمان . ومع هذه الارساليات في بلاد الشام دخلت أول مطبعة إلى جبل لبنان في خمسينيات القرن الماضى ، ونسجت عبر المدارس التبشيرية علاقة بين عرب المشرق وخاصة لبنان ، وبين دول الغرب الاوربى وخاصة فرنسا . ولعبت الارساليات الروسية دوراً لايقارن بالدور الفرنسى بالطبع ، إلا أنه كان كافيا لبروز ظاهرة تتمثل في ظهور بعض الاسماء المهمة في عالم الثقافة نهلت من معين الثقافة الروسية حيث تلقت العلم هناك . ومن أبرز هذه الأسماء المؤرخ الفلسطينى بندلي جوزى ، وكلثوم عودة وهما من فلسطين ، وكذلك ميخائيل نعيمة الذى انتقل من روسيا الى الغرب ليسهم في حركة المهجر الأدبية قبل أن يعود إلى وطنه لبنان ويبقى هناك حتى وفاته ، وغنى عن القول أن هذا الرافد الأوربى كان تأثيره بدرجة أقل في حركة النهضة في مصر .



أما بريطانيا فإن دورها الأكبر لم يكن في حجم الدور الفرنسى في البداية ، إلا أنه تعاظم بعد دخول الإنكليز إلى العراق وفلسطين وشرق الأردن ، وهنا نسجل اختلافا جزئياً عن حركة النهضة بمصر حيث التأثير البريطانى بدأ التغلغل في النصف الثانى من القرن الماضى عبر سيطرة اقتصادية ثم احتلال عسكرى مباشر .

إن الدور « الملتبس » الذى قامت به دول الغرب الاستعمارية في بلاد الشام طبع خريطة النهضة هناك بطابع مختلف عما سارت عليه الأمور في مصر ، فقد كان خطر الاحتلال البريطانى والفرنسي غير منظور مقارنة بالهيمنة التركية القابضة على أرض سوريا الطبيعية . ومع الجهل النسبي في ذلك الوقت المبكر بدأت فرنسا وبريطانيا نشاطهما المختفي تحت عباءة التبشير والتعليم ، وكأنهما بلدان صديقان قد يكونان حليفين محتملين إذا مافكر العرب بالتحرر من الهيمنة التركية ، وهذا ماتم فعلا ابتداء من عام ١٩١٦ ، حين اندلعت الثورة العربية بقيادة الحسين شريف مكة ضد الأتراك ، وبدعم مباشر من جانب البريطانيين ، وبالمقابل كان العدو الواضح والمحدد هو تركيا بحكمها العثمانى الذى تميز بالجهل ، وتحول بعد ذلك إلى غطرسة قومية بعد بروز الحركات القومية المتطرفة فيها .

ولقد كان الأمر معكوسا تماما في مصر التى كانت ترزح تحت النير البريطانى فيما بدت تركيا مركز الخلافة الإسلامية حليفا محتملاً لموازنة النفوذ البريطانى ، عند أى محاولة للخلاص ، لكن هذا لم يحدث فبقيت تركيا بعيدة عن أذهان المصريين باعتبارها ليست صديقاً كاملاً .

ولم يكن هذا بلا تأثير على حركة النهضة في كل من الإقليمين ، فبينما اتخذت حركة النهضة في بلاد الشام طابع التحرر القومى الذى تطور من تحرر له محتوى دينى كما كان عند عبدالرحمن الكواكبى إلى تحرر قومى المحتوى ، فقد اتخذ التحرر في مصر طابعا دينى المحتوى برغم أهمية الدور التنويرى الذى لعبه الليبراليون المصريون ، وكان العامل الدينى إلى جانب الوطنية المصرية هما المحركان للمشاعر ، بينما كان العامل القومى العربى هو الذى يحرك الجماهير في بلاد الشام ، وذلك قبل فترة المد القومى التى تمثلت في الحركة الناصرية في مصر في الخمسينيات .

وعلى هذه اللوحة الإجمالية لمسيرة النهضة والتنوير في كل من مصر وبلاد الشام ، يمكننا إيراد بعض الملاحظات التى تبدو مفارقة أحيانا إلا أنها في الوقت نفسه دلائل على علاقة التفاعل التى لم تنقطع بين الإقليمين العربيين .

فقد ذكرنا أسماء لرموز عصر النهضة في بلاد الشام ممن زاروا مصر وبعضهم استقر فيها ، بل إن أثره الباقى وإنجازه الأساسي تم فيها ، وتكاد هذه الأسماء تشمل جميع رموز النهضة والتنوير في بلاد الشام ، إلا أن العكس ليس صحيحاً ، أي أن انجازات رموز التنوير المصري في معظمها لاسيما في مرحلة الصفوف الأولى من الرواد ـ ولا أتحدث عن





استثناءات ـ بقيت في المحيط المصرى والتربة المصرية التى يجب أن نذكر لها أنها كانت دائما قادرة على استيعاب ابداعات الأقاليم العربية جميعا .

ومن المفارقات الأخرى التى نوردها أن التيار القومى الذى قطع شوطا طويلا من العمل التنظيرى والتنظيمى في بلاد الشام لم يجد تعبيره القومى والمؤثر إلا عندما التقى مع تيار القومية العربية في مصر في الخمسينيات ، وأن التيار الدينى في مصر الذى أسهم فيه الشيخ رشيد رضا السورى انتقل الى سوريا بعد انتشار حركة الاخوان المسلمين في مصر أساساً ، إذ عادت إلى سوريا عن طريق الشيخ أمين السباعى في نهاية الأربعينيات .

وفي حقل الثقافة تبدو ظاهرة التفاعل أكثر وضوحا . فأولاد تكلا وأبو خليل القباني وشبلي شميل وجورجي زيدان أبدعوا في مصر أساساً ، وما كان لهم أن يبدعوا على الأرض السورية لأسباب تتراوح بين العسف التركي ، وعدم صلاحيةالتربة لتقبل إبداعاتهم . ويبرز هذا في سيرة وإبداع أحد أبرز رواد المسرح العربي : أبو خليل القباني الذي أبدع فنا عظيما في مصر إلا أنه أحبط حتى مات كسير القلب في سوريا .

غير أن فترة العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن شهدت حركة متنامية بين مصر وبلاد الشام ، فقد أصبحت العروض المسرحية المصرية في بلاد الشام أمراً مألوفاً وطبيعياً ، وما أن طوت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتى أصبح نسيج الثقافة العربية متداخلا ومتزايداً بصورة يصعب رصد التأثير والتأثر ، فذهب المدرسون الكويتيون إلى السنغال ، والمدرسون المصريون إلى خورفكان في الخليج العربي ، وانتشر أبناء العرب على مجمل الساحة يتفاعلون ثقافياً كما لم يحدث في القرنين السابقين على الأقل .

أصداء التنوير انتقلت إلى الخليج عبر الصحف والمسافرين والحجاج والتجار

نظـرة من كـثب على الجزيـرة والخليـج العـربي :

في الجزيرة والخليج العربي وصلت أصداء الاستنارة متأخرة نسبياً وأثرت في الأماكن المختلفة تأثيرات مختلفة .

فقد وصلت أصداء الاستنارة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من خلال الحجاج والمسافرين إلى أرض الحجاز ، بل استوطن بعض المثقفين من مصر والشام منطقة الحجاز وبدءوا بالتعاون مع بعض المستنيرين في إصدار نشرات منها على سبيل المثال (أمّ القرى) الجريدة التي أصدرها الشيخ يوسف ياسين لصالح الملك عبدالعزيز. وكذلك طورت بعض مدارس الفقه هناك كي تحتوي على العلوم الحديثة ، وفي الخليج نجد أن الصدى وصل الى هذه المنطقة مع بداية القرن العشرين ، فأسست النوادي الثقافية ، وكانت هذه النوادي تتلقف المنشورات العربية ، خاصة الجرايد والمجلات التي كانت تصدر في القاهرة أو دمشق ، وتسافر خصوصا من مصر عن طريق البحر الأحمر إلى الهند (بومباي) ، ومن الهند إلى الخليج . في هذه الفترة عرف المستنيرون من أبناء الخليج الكتابات العربية والكتاب العرب ، وعرفوا دعواتهم بأشكالها المختلفة ومنها الدينية المستنيرة ثم القومية بعد ذلك .

هذا النوادي الثقافية أخرجت بعض المستنيرين المحليين ، وربما على رأسهم في عشرينيات هذا القرن : عبدالعزيز رشيد من الكويت الذي أصدر مجلة الكويت في نهاية العقد الثاني من هذا القرن ، وكانت هي الرائدة في مجال الصحافة ، نشر فيها بعض الأفكار المستنيرة في التعليم والثقافة وأشكال الحكم . وكذلك رجل مثل عبدالله الزايد ، في البحرين الذي أصدر جريدة البحرين في نهاية العقد الثالث من القرن الحالي .

وقد حمل أمثال هؤلاء مشعل الريادة في خطوات التنوير الحديث . لقد كان صدى الأفغاني ومحمد عبده وغيرهما يتردد في الخليج مع المسافرين والقادمين من تلك البلاد ، وكان بعضهم قد حمل ريادة التعليم على ضفاف الخليج من أمثال الشيخ حافظ وهبه ـ المصري ـ الذي عمل في كل من البحرين والكويت ، ثم انتهى مستشارا لفترة طويلة تناهز النصف قرن للملك عبدالعزيز بن سعود ، ثم أول سفير له في بريطانيا .

وكان حماس النخبة في الخليج والجزيرة كحماس إخوانهم على ضفاف النيل وبردى ، وفي بيروت وتونس والمغرب ، حماس وطني يتشوق الى الانعتاق والتحرر .

السـاد
وطـه حسَين
والمـازني
لم يظهـروا
من فـراغ
فجـذورهـم
تمتد حـتى
المجـدّديـن
الأوائـل
واتسـاع
الطبقـة
الوسـطى
سـاعـد في
انـتشـار
أفكـارهم



أما الجيل الثالث من أجيال الاستنارة في مصر والشام فقد وجد في الخليج أرضا أخصب مما وجد الجيل الأول والثاني ، حيث انتشرت في الخمسينيات والستينيات المدارس ، بل ذهبت مجموعات كبيرة من أبناء الخليج والجزيرة لطلب العلم في بيروت ودمشق وبغداد والقاهرة ، وظهرت بداية التعليم العالي المحلي ، فأصبح هناك طه حسينيون وعقاديون ومازنيون من أبناء المنطقة ، متحمسون أشد الحماس لأفكار هؤلاء المستنيرين ، وظهرت أفكار تدعو إلى محاربة الفقر والجهل والمرض ، وتتخطى الأفكار الطائفية والاقليمية بين أفراد هذا الجيل .

لقد كان صدى التنويريين في الفكر والثقافة في الخليج كصداه في السياسة ، بل في كثير من الأوقات كان الاثنان يسيران جنباً إلى جنب . لقد نظر أبناء الخليج إلى الاستعمار البريطاني الجاثم على أرضهم وقتئذ كنظرة إخوانهم في مصر ، وكانت الأفكار القومية لها الصدى الأكبر حيث إن طبيعة صغر المساحة والسكان ، ووجودهم على الطرف الشرقي للوطن العربي أحد الأسباب الموضوعية لتمسكهم واحتضانهم الدعوة القومية ، بما تشمل من تحرّر سياسي واقتصادي واجتماعي .

وكان طريقهم إلى كل ذلك هو التعليم الذي ساعدت الظروف المادية الجديدة (النفط) على انتشاره وشموله ، وكان يعني تعليم الفتيان والفتيات على حد سواء ، وفتح المجال لتطوير الإدارة الحكومية ، وكذلك المطالبة بالتحديث السياسي ، وإصدار الدساتير المكتوبة لتنظيم الحياة السياسية .

□□□

تلك مسيرة الاستنارة ، وهذه أصداؤها ، وكما قلت في صدر هذا الحديث ؛ تفاعل الصوت مع الصدى كالنسيج الذي تختلف خيوطه في الاتجاه ولكنها في النهاية تشكل نسيجاً واحداً يضفي الدفء على الانسان .

غير أن الأسئلة الكبيرة تبقى معلقة ، فبعد كل هذه المسيرة وما تحتويه من نجاحات وعثرات ، ما زال جهد الاستنارة يحتاج إلى فعل ، وما زالت الثقافة العربية الشاملة تحتاج إلى جهود وعناء . يكفي أن نقول إننا حتى هذا اليوم لا يوجد في متناول أيدينا موسوعة عربية كاملة على غرار الموسوعات العالمية المعروفة ، أوَلَا تستحق هذه الفكرة كغيرها من الأفكار النيرة أن تخرج الى الوجود ولو بعد مائة عام من الاستنارة ؟!

محمد الرميحي

أقوال



● الشيخ جابر الأحمد

■ « إننا نؤمن إيماناً لا شك فيه ، بأن المشاركة الشعبية خير يجب أن نتمسك به ، ونحرص عليه ، وندافع عنه باعتباره مبدأ أقره الدين الحنيف ، وجُبل عليه مجتمعنا الكويتي ، ومارسه منذ نشأته » .

سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح
أمير دولة الكويت



● الشيخ سعد العبدالله

■ « إن كل شيء ممكن عبر الحوار ، وعبر اللقاءات الأخوية ، وعبر الصدق في النوايا ، أما غير ذلك من الأساليب ، فإنه لا يؤدي إلى شيء ، والناس في النهاية ستعرف من كان حريصاً على مصلحتها » .

سمو الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح
ولي العهد ـ رئيس مجلس الوزراء الكويتي

■ (ليس من الضروري أن ينحط الأدب ليصبح شعبيا ، وليس من الضروري أن يبقى الشعب حيث هو ، جاهلا غافلا ، يشقى بالخمول والجمود) .

طه حسين



● طه حسين

■ « لقد كانت الممارسات العملية لهيئات الحزب والدولة متخلفة عن متطلبات العصر وعن الحياة نفسها ، وكانت معدلات تفاقم المشاكل أسرع من معدلات القدرة على معالجتها » .

ميخائيل جورباتشوف

■ « أنا لم أخدع إمرأة في حياتي . . وكيف يمكن للرجل أن يخدع الصدق والفضيلة والإخلاص والتضحية » ! .

عمر أبو ريشة



● عمر أبوريشة .

■ « اللاعب الجديد يريد التحدي أثناء ممارسة اللعب ، وإذا لم يوجد هذا التحدي فمن النادر أن يستطيع اللاعب مواجهة الضغوط النفسية والجسدية في مباريات كأس العالم » .

كارلوس بيلاردو
مدرب المنتخب الأرجنتيني لكرة القدم

ويسألونك عن المستقبل!

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

عند الكتابة عن المستقبل ، فإن قدرا من التفاؤل أو التشاؤم يدخلان في تضاعيف الرؤية والاستنتاجات . وكاتبنا لم يخرج عن هذا السياق .

فلقد كانت خبرة الكاتب العملية مجدولة بثروته اللغوية ، وسيلته للتعبير عن مرحلة عاشها بروحه وجسمه وكيانه كله ، تلك المرحلة التي خلفت ندوبا عميقة في نفسه ، لينظر من خلالها إلى المستقبل .

ترى ما عساه يقول ؟

هل تستطيع أن تواجه المستقبل وعيناك في عينيه ؟

أما أنا فليست لي هذه الجرأة « النيتشوية » على النظر في العدم ، أو على الأقل لا أستطيع حتى النظر إلى المستقبل في غير استحياء وأمل قتيل ، فورائي في الماضي القريب سلسلة من الهزائم تعوي فيها « . . والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع . . » سورة المائدة الآية (٣) .

والمستقبليات بعامة رجم بالغيب . لعلها البديل والتعزية عن المستنقع الذي نعيش . إنها أقرب إلى صنعة منجمات الغجر منها إلى الحديث الجدي ، وإنما يلجأ الإنسان إليها في الأزمات ، لعله يتبين لنفسه مهربا ، أو يجد الطريق إلى غد ، فهي أفيون المعذبين ! ودعونا هنا من التخطيط العلمي للمستقبل ، فذلك من دنيا أخرى كم تمناها ونركض وراءها ، ولكننا نقع دوما في التنجيم ، وفي إسقاط بعض العناصر الأساسية من الصورة ، لعلها تبدو أكثر قبولا !

بين التنجيم والتفاؤل المستقبلي جعلت أقرأ الكثير عن المستقبل العربي . كنت أستعيد دون أن أدري أجواء الخمسينيات والستينيات ، وأبني لنفسي بدوري ـ ولو من المقوى ـ تصورا مستقبليا للتسعينيات المطلة من هذا القرن ، لا أريد أن أنتهي في آخر العمر ومرارة اليأس في فمي .

ومضيت بإرادتي مع المتفائلين .

على مشارف التسعينيات

إنهم يتحدثون عن مؤشرات التغيير ونحن على مشارف التسعينيات ، يعدونها طيور كولومبوس التي أرقصت قلوب ملاحيه !

يتحدثون عن الانتفاضة المباركة في تلك الأرض المنكوبة المباركة . يعلقون عليها من الآمال ما تنوء به . يصرخون بها أن تتقد وتستمر وهم على مقاعدهم جلوس يدخنون ، يودون أن يعتقدوا أن حركة آلاف من الأطفال قادرة على أن تحرك ١٩٠ مليونا من النيام ، نوم الخدر ! وأن حجرا يلقى في القدس أو غزة سوف يزلزل الطغيان الجاثم ما بين المحيطين .

ـ ولعلهم يرددون ذلك باقتناع يشبه القناعة بالبديهيات . ولقد كان ذلك في الستينيات ، في عصر الرومانسيات والمثاليات المطلقة صحيحا وممكنا ، أما اليوم ، ألم يختلف « العصر » ؟ فالناس غير الناس ، والحجارة غير الحجارة .

ويتحدثون ، في تفاؤل ، عن توقف النزيف في حرب الخليج ، وعن النصر ، وما كسب الجيش العراقي من الخبرة المرة في القتال الطويل ، وما عانت الجماهير من أهوال الحرب ومن التكاليف ، وما اقتطع من خبزها ودمائها فيه .

ـ إن ركام الشهداء وسهد الليالي البيض من الغم ، وصراخ اليتامى المجروح لم يذهب سدى . لقد اختزنت تجاربها بين الشغاف والقلب ليوم موعود .

وإذا كثرت الملاءات السود في الأسواق وهي أكياس مملوءة حزنا فهي عائدة إلى بيوتها ملأى بالفرح !

ويتحدثون برضا لا يخفونه عن عودة مصر إلى أقطار الجامعة العربية أو عودة هذه الأقطار إليها . الابن البار عاد أخيرا إلى ظل البيت الأبوي ، أو عاد البيت إليه ، لا فرق ! والشمل التأم بعد جرح دام ١٢ سنة ، والشقاق الأخوي انهار بين الزغاريد . وتركنا «لكامب دافيد» أن تموت على مهل في الزاوية كالكلاب . لم نقتلها عمليا ولكن قتلناها صفحاً وغفراناً لتقود الشقيقة الكبرى بعد طول توقف معركة السلام .

ويتحدثون عن تزحزح بعض النظم عن « دوغماتية » الحزب الواحد ، وعن استعدادها المتزايد لسماع الرأي الآخر ، ويستشهدون بانقلابات السودان واليمن الجنوبي وتونس ، للبرهنة على أن ثمة انعطافا واضحا في مسيرة الوطن العربي . « البيرسترويكا » العربية بدأت إذن ، والرأي الآخر لن يكون من بعد حبيس الصدور أو السجون أو القبور !

ويتحدثون عن التكتلات الإقليمية التي بدأت تتجمع ، ولو من وراء الجامعة العربية وبعيدا عن جدرانها المتهدمة ووظائفها التي أكلها العث بعد خمس وأربعين سنة ! دول مجلس التعاون الخليجي الست جاءت في الطليعة ، ثم جاء مجلس التعاون العربي في المشرق ، والوحدة المغاربية في المغرب في يوم واحد ، كأنما كانا على موعد . والتقى النار والحطب والثوري بالرجعي على مائدة واحدة . وتنزل التفاهم الأخوي عليهم من السماء ، فهم على الإجماع والتنسيق ، وانتهى عهد النزاع والفرقة إلى غير رجعة . الزمن العربي الرديء انقشع . ومن حق العصافير أن تنطلق منتظرة الفجر الجديد . إن شيئا في الأفق يشع لا يتجاهله إلا الأعمى أو المكابر .

إذن فماذا سيكون في المستقبل ؟

لقد تحول الجو العربي اليوم إلى إشارة استفهام كبيرة . ولا يكثر السؤال إلا في أيام الأزمات والتحول . .

وكثيرٌ من السؤالِ اشتياقٌ
وكثيرٌ من رَدِّهِ تَعْليلُ !

كل جمديات القطب التي كانت تشل العمل العربي بدأت تذوب ويلتقي بعضها ببعض ، حتى طيور النورس ! ويتدفق التفاؤل مخدرا ناعما كنور القمر في الدروب « إن كل شيء على ما يرام يا سيدتي المركيزة » ! فماذا في الغد ؟

تيارات الأعماق

ولست أنكر كل هذا الذي عنه يتحدثون . كله حسن وجميل ويملأ الصدر تفاؤلا . ولعلي أقدّسُ الأيدي التي تعمل على بعضه وتصنعه . إنها دون شك تصنع الغد الأفضل !

لكن ! وكم أكره لكن هذه التي تفرض نفسها بعد كل عمل طيب ! لكن ألا تلاحظون أن كل هذه الإرهاصات « سياسية » ؟ وهذا الدفق من التفاؤل والنور يدخل من باب واحد هو باب السياسة والأبواب الأخرى مغلقة أو تكاد ؟

والسياسة نبت الشيطان ، وجانب التفاؤل فيها رواغ زئبقي . وقد يصور ما نريد أن يكون أكثر بكثير مما يصور ما هو كائن ؟ وكل هذه التطورات التي سلفت نابعة من أرض المفاجآت وليست نتيجة تطور الواقع الذي نعيشه !

ولست أدري فيم يتراكض الناس إلى السياسة الطافية على السطح ، ويتركون ، أو ينسون ، تيارات الأعماق ، وهي صانعة السياسة . فهل ثم ديمقراطية مع الأمية والفقر ، أو ثم وحدة مع التمزق الطائفي والتصادم الإقليمي المتزايدين ، أو ثم تعاون جماعي مع وجود النظم الاستبدادية ؟ وهل ثم تنمية دون قواعد لها في المجتمع ؟ أضف إلى هذا أن سياستنا ـ ككل دول العالم الثالث ـ مستعارة !! متقلبة على الرغم منا .

ولست في هذا أميل إلى التفاؤل أو التشاؤم ولا التكذيب أو التصديق أو الجدل ولكنني أعرف أن خيوط السياسة في المنطقة ليست كلها في أيدينا ، ولأنني أعرف فإنني أخشى رقصات



الشيطان . إنها قوى ليست أبدا بالمحايدة ولا مجنونة ، ولكنها محسوبة بالحاسوب « الكمبيوتر » ، تلعب بمستنقعات الدم والنار في أرضنا الشاسعة ، وترسم لها مصائر غير المصائر ، وأقدارا غير الأقدار ، وقد تصل ـ ولعلها واصلة غدا ـ حد تغيير الخرائط وإعادة الترتيب !! وكل شيء جاهز لذلك ما دامت اللوحة السياسية لدينا معلقة في ليل الأهواء « الشخصية » ، غير مرتبطة الجذور بالأعماق الحقيقية والثابتة للتطور السياسي ، ولا صلة لها بها ، فبعد أكثر من ستين سنة من آخر تخطيط للمنطقة الخطرة بيد قوتين لم يعد لهما اليوم شيء من القوة ، وبعد أن نضجت العصا الأمريكية الغليظة (اسرائيل) ، واستعدت ككل عميل رخيص ، حتى لإطلاق الصواريخ البعيدة المدى والنووية ، في حين تُكبح الصواريخ في باقي العالم ، وبعد أن وصلت المنطقة بالإرهاق السياسي والاقتصادي والقتل والقتال حد السيولة والعجينة القابلة لأي تشكل ، لم يعد لتسويات الحرب العالمية الأولى أن تصلح لأطماع الإمبراطوريات الكبرى الناشئة وهي على عتبة القرن الحادي والعشرين ! إن شيئا ينضج على المطابخ الأمريكية الهادئة ، ولنا أن نشوى نحن على نار هادئة أو حامية . ماذا في ذلك ؟

وكنت أتمنى لو أقنعتني المؤشرات التي يتحدثون عنها ، ولكنني أرددها ويدي على قلبي : أليس ثَمَّ قبلَ الفجرِ فجرٌ كاذب ؟ وأخشى ما أخشاه أن يكون تلمسها نوعا من التعامل مع المخدرات ، أو بعضا من محاولات غريق يستنجد بقشة طافية !

كنت أقتنع أكثر وأطمئن لو بنوا تفاؤلهم على أرض أخرى : من الحلم أو من الواقع . لو بنوا المستقبل العربي القادم في التسعينيات من خلال حلم قبلت الحلم ، فليس الحلم ممنوعا ، ثم إنه صناعة مجانية على حساب الواقع ، ولعب في الهواء المحايد ، ولا تثريب عليك فيه إن وضعت بينك وبينه مسافة كافية من الثلج والأفيون ، ولكنه يظل حلما ، سكة ضلال تقودك من باب إلى باب ، حتى تجد نفسك أخيرا على رصيف الشارع نفسه !

أسئلة معلقة في الهواء

ولكنهم يتحدثون في الواقع ، وهنا الخطر وموقع القلق ، وهنا تتمنى لو بنوا تفاؤلهم على مواقع أخرى أكثر صلادة وصلابة ! وحين أتأمل الواقع أجدني كارها للتفاؤل وللأحلام معا ، وأجد ما يشبه الخيول الشاردة في جبيني تسير خببا ، لتضع بدل الصور المتفائلة صورا أخرى هي منابع التفاؤل الصحيح . .

كان ممكنا أن يكونوا أكثر واقعية وإقناعا لو تحدثوا بأشياء أخرى معها تكون سندا لها وقاعدة صلدة ومنبعا للتفاؤل الحقيقي بثبات التطورات السياسية .

ـ لو تحدثوا وحدثونا مثلا عن التنمية ومؤشرات نجاحها في هذه السنوات العشر المقبلة . هل ثمة ما ينبيء أن الخطط لم تعد تقتصر على العنصر الاقتصادي ، وأنها بدأت اعتماد فلسفة شاملة لتخطيط شامل متكامل ؟ هل انقضى وهم التنمية بالاعتماد على الخارج وعلى النماذج المستوردة ؟ هل وضعت للتنمية استراتيجية واضحة ؟ هل اقتنعنا أن استيراد التقنية لا يغني عنها فتيلا إن لم يغرقنا أكثر في الاستهلاك والتخلف ؟ أسئلة معلقة في الهواء ، تنتظر جوابا ، ولا جواب !

ـ ولو تحدثوا وحدثونا عن الأمية المتوطنة في قاع المجتمع العربي ، وبخاصة الأمية الحضارية ، هل ثَمّ ما يشير إلى أنها منقرضة خلال العقد القادم ، أو أن منابعها على الأقل سوف تسد وتتخلص جماهير المواطنين من حياة الديدان والبهائم التي تعيشها ؟ إن ٦٠٪ من المواطنين (والنسبة بازدياد) يدبون كالعميان في ليل الجهل ، فهل ثَمَّ مشروع مضيء في هذا الليل المتسع ؟

ـ ولو تحدثوا وحدثونا عن التقسم الطائفي الذي زُرع ، والذي تفجر في المجتمع العربي بعد خمود ، ونما كنباتات الشوك المرة ، وقسمه عموديا إلى تجمعات يزداد التناحر بينها ، وأحيا إحنا مضى على بعضها ألف وثلاثمائة سنة ونيف أو ألفان ! ومع ذلك فنحن ندفع ثمنها المتزايد إلى اليوم . هل ثَمَّ ما يشير إلى انقشاعها أو أن نبتتها الأخيرة في نمو منذهل ، كبعض النباتات الشيطانية ، لا تقطع رأسا من رؤوسها إلا ونبتت بدلا عنه سبعة رؤوس .

ـ ولو تحدثوا وحدثونا عن النظم الاستبدادية الفردانية التي تستلهم عمامة السلطان القديم وسوطه . هل فهمت معنى الدولة ؟ هل بدأت فهم الفرد على أنه « مواطن » فعلا وليس « رعية » ، أو أدخلت أبجدية حقوق الإنسان بين حروفها ؟ وهل تركت ولو هوامش يعيش فيها الإنسان بكرامته مبرءا من الخوف ، ومن زائري

الليل ، ومن أن تسمع جدرانه دقات قلبه ، وتنقل سرائر نفسه ؟ أليس غريبا أنني وأنا أمشي في الستينيات من عمري لا أذكر أنني دعيت إلى الاقتراع أو ذهبت إلى صندوق الانتخاب سوى مرة واحدة في حياتي ؟ وفي هذه المرة نفسها كان الانتخاب مزوّراً ، بدليل أن عدد المقترعين فيه كان أربعة آلاف ، وجمعت الأصوات فإذا هي ستة آلاف !!

هل ثمة أمل ؟

- ولو تحدثوا وحدثونا عن ذئاب الرعب التي تتجول بيننا هل خفت أعدادها ، أو قصرت أظافرها والأنياب ؟ إن هذا الخوف أضحى يسكن تحت جلودنا ، يأكل معنا ويشرب وينام . فهل بدأ ينزاح عن قلوبنا وأقلامنا وشفاهنا المتقلصة ، أو أن ثَمَّ أملا في أن ينزاح ليشعر الفرد منا أنه إنسان ؟ وهل ثمة أمل ، مجرد أمل ، من أن يسمع الذئب المتسلطن صوت الأغنام التي تئن في ظلمة الأقبية ؟

- ولو تحدثوا وحدثونا عن الفقر الذي يأكل جذورنا أكلا كفئران الحقل ، هل بدأ الوعي لمكافحته بالإنتاج ؟ نحن نستورد الآن (٧٥٪ - ٨٠٪) من لقمتنا التي نأكلها ، وكنا قبل أربعين سنة نصدر منها للآخرين ، فهل تنبهنا إلى أننا سوف نُذبح بخنجر من الخبز عن قريب ، وأن التبعية الاقتصادية سوف تضطرنا أن نكون كالكلب : « إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » ولن نستجدي السلاح ولا التقنية ، ولكن سوف نستجدي الخبز ، ونضع خدودنا على الأرض من أجل حفنة قمح ؟

- والنفط لو تحدثوا وحدثونا عنه ، هل سيعود سلاحا أو يظل كما حوله المنتفعون نكبة ؟ هل ثمة ما يدل على أنه سيعود قاعدة اقتصادية متينة لأهله ؟ وهل الذين دمروه جعلوه كماء البحر بين أيدينا فأسعاره بانخفاض ، وأسواقه بتقلص ؟ هل ثابوا وأنابوا ومشى الذئب مع الحمل ؟

- والديون الخارجية التي تسحقنا وتثقب جيوبنا وتزداد كل يوم تضخما ، وتحملنا من أمرنا رهقاً ، وتتركنا راكعين على سلم صندوق النقد الدولي تارة والبنك الدولي أخرى ، والتي تضع أنوفنا في الرغام لاتباع سياسة « التقشف » ، ولنأكل النخالة والشعير بدل الخبز ، هل بدأت شرتها تنحسر وأشواكها الذابحة توحي بالاطمئنان للغد ؟ وهل جاءنا عنها خبر يوحي بأن فوائدها سوف تلغى أو تنخفض فلا تهدد بالإفلاس الاقتصادي ولا بالدمار السياسي مجتمعاتنا الهشة ؟!

- « واسرائيل » ، ذابحة الأطفال ، وما أدراك ما « اسرائيل » ، فاشية ما بعد الفاشية ، ما الموقف العسكري منها ؟ وما الموقف السلمي ؟ هل عسانا أمنا سكينها ، فنحن نمد إليها اليد المسالمة ، وهي تتأبى ، ونحن نبذل لها الأرض وهي ليست على استعداد لقبول السلام ؟ هذه الدويلة التي تكلفنا - وما زالت - المليارات من الديون في السلاح دون طائل ، وتأكل عيوننا فلا نستطيع التنمية ، ولا نكاد نقوم بمشروع منتج وهي في خاصرتنا شوكة ممتدة . « اسرائيل » ، هذه الأجيرة الامريكية بامتياز التي ترتع في أرضنا دون رادع ، هل ثمة ما يشير إلى أن التوازن الاستراتيجي معها مضمون ، أو أنه يقترب ؟ وهل ثمة توازن بين من يصنع المسدس والرشاش حتى الآن ومن يصنع طائرة (لافي) المقاتلة ، ويجرب الصاروخ البعيد المدى (اريحا - ٢) ،



ويطلق القمر الصناعي ، ويدخر في ترساناته عشرات القنابل النووية ؟

لقد أطلقت هذه الأخبار تباعا خلال السنتين الأخيرتين ، فلم يهتز جفن عربي لخطورتها . أهل الكهف سبقونا إلى النوم الطويل ، لكننا ننام كأننا محميون من كل خطر ، فهل هزت هذه الأخبار المتفجرة سرائرنا ؟ الحيوانات تستشعر الخطر وتهرب منه ، ولها ردود أفعالها واستجاباتها له ، فهل دفع هذا كله العقل العربي إلى الحركة ، أو أنه « واحدى التفكير » ، لا يستوعب الأمر ونقيضه ، ولا يستوعب البدائل ؟ وما دمنا على خط السلام فمن « العيب » أن نفكر بخط الحرب ، مع أنهما وجهان لعملة واحدة ، وأحدهما يخرج من صلب الآخر !

معنى الغد !

- والإقليمية ؟ حدثونا عنها ، وقد بلغت حدها من التجذر والتبجح ، وبعد أن ازدادت الحواجز بين الأقطار العربية فمن يريد العبور حتى ولو كان كتابا فهو في حاجة إلى سلالم عالية تعبر به من فوق الأسوار العالية ، وتتجاوز أنانية الحكام وقلم الرقيب وسكين الجمارك وسياج المخابرات وسطوة الارهاب الفكري . . هل بدأت هذه الإقليمية تتصدع ؟ لقد قامت الاتحادات الإقليمية الثلاثة ، وصفقنا لها ، فهل أقنعتنا أن بناء المستقبل القومي لا يقوم على أساس قطري خالص ، وأن التوحد القومي لا يصطدم أبدا مع التوجه الإسلامي ؟ وهل استوعبنا - على الأقل - تجارب أوربا التي تتساند لنقابل التسعينيات ككتلة واحدة ؟ وهل آمنا أن هذا التوجه ضرورة قومية مصيرية ؟ لن أجادل في هذه التكتلات أهي أضعفت الجامعة العربية أم زادتها مرونة وقوة ، فالأمر في النتيجة سواء ، ولكنني أتساءل : هل أعددنا - أو نحن في السبيل - إلى إعداد العدة لاستقبال القرن المقبل وفيه خمس كتل كبرى متزاحمة بإضافة اليابان والصين وأوربا إلى العملاقين الموجودين اليوم ؟ وهل ثمة من يُعنى بفهم معنى الغد وفيه هذه القوى الضخمة ، ويعد نفسه للتعامل معها ؟

دعونا بعد كل هذا من التساؤل عن بؤر الخطر والتوتر في الوطن العربي والعالم الإسلامي ، بين أقصى جنوب السودان وأقصى الصحراء الموريتانية وأقصى الجبال في المشرق العراقي الإيراني ، هل ثمة موقف موحد يتبلور لمواجهة هذه البؤر ؟

ولننس مؤسسة القمة العربية التي بدأت منذ خمس وعشرين سنة (أو أكثر من ذلك) ، وهل في الأفق ما يؤكد أنها ستصبح أكثر فاعلية وأصلب قرارا . . فيما يجاوز العناق والقبلات عند اللقاء والفراق .

ودعونا من الحديث عن العصافير المهاجرة والأدمغة الهاربة أيان مرساها ؟ وعن التردي الصحي متى يكافح ، وعن جبروت التقنية والهوة القائمة بيننا وبينها ومتى تردم ، وعن . . . وعن . . .

إن الحديث ذو شجون . ولقد كنا نتذاكر بعضه أو مثله ، فقام أحد الحضور وقد مل التشاؤم ليقول :

- « لا تفكر ! الله يدبر ، بكرة يدبره رب بكرة ! »

ومن تفكر في الدنيا ومهجته
أقامه الفكر بين العجز والتعب ! □

« أستعيد الماضي ، لا لكي أفتح جراحاً ، بل لكي لا تذهب التجربة هباءً ولا وتعود الذاكرة عذراء »

أميل حبيبي



العرب والتحدي العلمي

بقلم : الدكتور سعود عياش

شهد العالم في نصف القرن الماضي ثورات علمية كبرى ، ويتوقع كثيرون أن تشهد السنوات الباقية من هذا القرن نتائج وتراكمات علمية ، تفوق ما شهده العالم طوال القرن كله . أين نقف نحن العرب وسط هذا التطور ؟ وكيف نواجه هذا التحدي الذي سيحكم على من لايلحقه بالبقاء أسيرا للتخلف ؟ هذا مايعرض له هذا المقال .

من نافل القول أن يقال بأن العرب يواجهون تحديا علميا كبيرا في التسعينيات ، فهذه حقيقة واضحة ملموسة ، شأنها شأن التحديات الحضارية الأخرى التي تواجهنا ، غير أن التحدي العلمي المطروح ليس ذا طابع كمي ، يتمثل في تخلف المؤسسة العلمية العربية في بعض المجالات ، أو في وجود فجوة علمية ضيقة ، تفصلنا عن العالم المتقدم ، يمكن تجاوزها بتكثيف الجهود العلمية كميا ، إن التحدي المطروح نوعي الطابع ، إنه التأسيس لموروث علمي معاصر .

فالمؤسسة العلمية العربية تعاني من ضعف شديد وشبه غياب ، سواء على الصعيد العربي أو الصعيد العالمي . وليس لهذه المؤسسة أي آثار ملموسة في إطار المعرفة الكونية . ولا يشفع لهذا الغياب جهود فردية معزولة هنا وهناك ، نسمع عنها بين الحين والآخر .

وحين نتحدث عن التحدي العلمي نقصد بذلك تخلف الواقع العلمي العربي ، مقارنة بالواقع العلمي العالمي ، من حيث الإسهام الفعال في تطوير المعارف والعلوم الأساسية ، والعجز عن تمثل الإنجازات العلمية والتقنية واستيعابها، وتطويعها لمقتضيات تطوير الواقع العربي ، وتدني مستوى إسهام المؤسسة العلمية العربية في رفد البنى الإنتاجية في أقطارها بالمدخلات اللازمة لتطويرها والارتقاء بمستوى أدائها .

والواقع أن العرب لا يواجهون في العقد القادم تحديا علميا فقط ، بل إن التحديات مطروحة على كل الجوانب الحياتية الأخرى . وهي تحديات لا تقل حدتها عن مستوى حدة التحدي العلمي . فإذا استعرضنا واقع الأقطار العربية نجد أقطاراً منها مثقلة بالديون ، تعاني موازين مدفوعاتها من خلل بنيوي ، في ظل

سيادة النمط الاستهلاكي ، وتراجع القاعدة الإنتاجية ، وعجزها عن توفير الأساسيات الحياتية .

وتعاني الأقطار العربية أزمة بطالة حادة ، حيث تعجز البنى الاقتصادية والاجتماعية عن استيعاب ملايين الشباب ، وتوظيف طاقاتهم وإمكانياتهم بصورة مثمرة . ويعاني الواقع العربي أزمة فكرية ثقافية ، تتمثل ، في بعض جوانبها ، بانحسار منظومة القيم المعنوية ، وغياب المثل الباعثة على العطاء والإبداع ، وتشوه الثقافات السائدة ، وتقوقعها ضمن أطر إقليمية ضيقة ، أو نكوصها نحو الماضي . إن الواقع العربي يبدو كأنه يعيش في عالم غير العالم ، وعلى أرض غير الأرض . وفي إطار واقع كهذا تعيش المؤسسة العلمية العربية أزمة خانقة ، وتواجه تحديات كبيرة ، يفرضها تخلف واقعنا ، والتطور السريع للمعرفة الكونية .

العلم والتقنية في العالم المعاصر

يجدر بنا التأكيد على أن العلم والتقنية أصبحا معطيين أساسيين لبناء أي واقع اقتصادي اجتماعي ، قادر على حماية نفسه ، وتوفير حياة كريمة لأفراده . ولا يمكن في الزمن الحاضر ، لأي تشكيل حضاري ، أن يملك مقومات الاستمرار والإسهام في التطور الحضاري العالمي ، بدون الاعتماد بصورة مكثفة على العلم والتقنية . إن المقومات التقليدية للبنية الاقتصادية ، وأهمها رأس المال والعمالة والمواد الخام ، لا جدوى منها في غياب العلم والتقنية وبالعكس ، فإن توافر العلم والتقنية يمكن أن يغني عن النقص في أي من المقومات التقليدية .

يحتل العلم والتقنية مكان الصدارة بين مقومات الإنتاج ، وبدونهما لا يرجى إنجاز الكثير ، ولا توفير الأساسيات الحياتية للأفراد . والأدلة في العالم كثيرة ، وأكثرها وضوحا تجارب دول شرق آسيا التي تمكنت في عقود قليلة ، من الوقوف على قدم المساواة مع القوى العملاقة . ومهما تعددت التفسيرات والنظريات ، لأسباب التقدم الكبير الذي تحقق في تلك الدول ، فلا يمكن إنكار الدور الريادي للعلم والتقنية في ما حدث . لقد شاع رأي فترة طويلة ، وربما ما زال شائعا في بعض الأوساط ، يقول : إن اليابانيين كثيرا ما اقتنصوا أفكار الآخرين وإنجازاتهم العلمية ، وأنهم سرعان ما طبقوها وترجموها إلى نتاجات مادية . وبغض النظر عن صحة هذا الرأي فإنه يظل دليلا على الأهمية الفائقة للعلم والتقنية في العالم المعاصر .

الواقع العربي

لا أحد ينكر أن عدوى الثورات العلمية والصناعية التى شهدتها أوربا قد انتقلت إلى الواقع العربي بوسائل مختلفة . ولا ينكر أن هذا الواقع استجاب بصورة إيجابية لإفرازات تلك الثورات . وتقف تجربة محمد علي في مصر ، في أعقاب الحملة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر ، شاهدا على الاستجابة للتغيرات العلمية والتقنية والاستعداد لتمثلها وتطويعها في إحداث نهضة حضارية . وشهدت فترة ما بين الحربين العالميتين محاولات جادة ، لتطوير الواقع الإنتاجي العربي ، باستخدام معطيات العلم والتقنية ، غير أن تلك التجارب أجهضت لأسباب خارجية وداخلية . ومع أننا لسنا في معرض مناقشة ما حدث فإننا نود التأكيد على أن العلم والتقنية لم يحتلا موقعا ذا أهمية في الفكر العربي السائد ، بل غالبا ما عُدّا تحصيل حاصل ، وأمورا تتكفل بها الأيام وعوادي الزمان !

إن احتلال العلم والتقنية مكانة دونية في إطار البنية الثقافية العربية يشكل إدانة لهذه البنية، ويعكس عجزها عن التواصل مع ما يحدث على الصعيد العالمي. والأخطر من ذلك هو أن تكون المكانة الدونية للعلم والتقنية نتيجة تعارض بين الثقافة السائدة ومقتضيات تحقيق تقدم علمي تقني. وقد لا نجانب الحقيقة في القول بأن البيئة الثقافية العربية تتسم، عموما، بنظرتها الدونية للعلم والتقنية، وربما بتعارض منهجيتها مع منهجية العلم.

إن المنهجية العلمية أبرز سمات العلم وضوحا، وهي تتعامل مع الأمور من منطلق عقلاني، يخضع كل جانب معرفي للتجربة والتمحيص والنقد. والمعرفة العلمية نفسها تستند إلى التطور الدائم، وطرح مفاهيم وأفكار جديدة، تستند إلى موروث من الحقائق التي سبق أن خضعت للتجربة والبرهان. وحدود المعرفة العلمية تفرضها أحدث الإنجازات، فهي ليست محدودة بقرارات ولا تصورات مسبقة. وتعنى المعرفة العلمية بتفاصيل الأشياء ودقائق الأمور، وتسعى لتقديم إجابات واضحة محددة.



إن المعرفة العلمية ومنهجيتها تتعارضان مع الفكر السكوني والتصورات المسبقة الجاهزة والأحكام القطعية وأحكام القيمة. كما أنهما تتعارضان أيضا مع الخرافة والأسطورة، ولا مكان في إطارهما للأهواء الشخصية «والشطحات» القائمة على الخيال والتصور وافتراض ما يجب أن تكون عليه الأمور. إن المعرفة العلمية ومنهجيتها تؤسسان لفهم العالم المادي، واستنباط القوانين الفاعلة فيه، واستخدامها للارتقاء بقدرات الإنسان، وتعزيز دوره، ورفع مستوى حياته.

تعيش الثقافة العربية السائدة حالة استلاب إزاء العلم والتقنية، فهي من جانب تنبهر بإنجازاتها الضخمة، ودورهما الريادي في تشكيل صورة العالم المعاصر، وتوفير الحلول العملية لجملة من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، وتوسيع آفاق المعرفة الإنسانية وحدودها. ومن جانب آخر، وإزاء العجز عن امتلاك ناصية العلم والتقنية، تسود المواقف العدمية إزاءهما، ويتمثل ذلك بالتركيز على سلبيات التطور والاستخدام المنفلتين لمنجزات العلم والتقنية. وربما كتب في الأدبيات الشائعة عن الجوانب السلبية لاستخدامات العلم والتقنية وأخطارهما المحتملة على «إنسانية» الفرد، ومستقبل الحياة على الأرض، أكثر مما كتب في صالحهما. ويقينا، فإنه من الأسهل سرد قائمة من الاتهامات والسلبيات المحتملة، بدل الغوص في تفاصيل الأشياء ودقائقها. إن الحديث عن سلبيات الطاقة النووية والهندسة الوراثية ومخاطرهما أسهل، بما لا يقارن، من محاولة فهم أي من تفاصيلهما وتشعباتهما. وهذا الخيار السهل هو ما اختارته الثقافة السائدة.

إن إحدى السمات المعاصرة للمعرفة العلمية هي أنها أخذت تعزز شروط السيطرة على توجهات العلم والتقنية والسلبيات الناشئة عن استخدامها. ويزداد هذا الأمر تبلورا مع ازدياد

انتشار المعرفة العلمية في أوساط الجمهور . إن الحركات الجماهيرية المستندة على المعرفة العلمية أخذت تؤثر في القرار السياسي ، وتفرض توجهات محددة لمسيرة المعرفة العلمية والتقنية . وإذا كانت « الايديولوجيات » عموما قد فشلت في تشكيل قوى اجتماعية ، تحد من سطوة « الايديولوجيات » نفسها وانفلاتها ، وبخاصة حين يجري تطبيقها على صعيد الواقع العملي ، فإن المعرفة العلمية بدأت خطوات ملموسة في هذا المجال . فالحركات الجماهيرية المعارضة للتوسع في استخدام الطاقة النووية ، والمطالبة بالحفاظ على البيئة ، تشكل قوى ضاغطة ، لتوجيه مسيرة المعرفة العلمية ، بما يتلاءم وحاجات الإنسان ، دونما اعتبار للصنمية التي تسبغ أحيانا على المنجزات العلمية . ففي إطار المعرفة العلمية لا مكان للأصنام ولا الصنمية . وإذا لم يكن في الأمر غرابة فإدراكنا أن المعرفة العلمية لا تحتفظ بأصنامها ، ولا تسبغ عليها هالة من القدسية ، فهل نستغرب ، والأمر هكذا ، وجود عدد كبير من متاحف العلم الواسعة ؟

إن التحدي العلمي المطروح في التسعينيات هو تحدي التأسيس للمنهجية العلمية ، واحترام قدرات العقل البشري ، والتخلي عن العموميات والأفكار الضبابية والخرافات والأساطير . إنه تحدي الاقتراب من العالم المادي ، وتلمسه ، والدخول في عوالمه الدقيقة المتشعبة،وهو تحدي الجهود المضنية والمثابرة في البحث عن الحقائق . كما أنه تحدي تشكيل منظومة جديدة من القيم الأخلاقية والمعنوية ، توجه جهود الأفراد وطاقاتهم للإجابة عن الأسئلة ، وكشف الغموض ، وتبيان الحقائق .

المجالات العلمية في التسعينيات

إذا حاولنا استقراء التطورات العلمية في التسعينيات ، على الصعيد العالمي ، وجدنا عددا من المجالات التي ستشهد إنجازات كبيرة إن على صعيد المعرفة العلمية الأساسية أو على صعيد التطبيق العملي . وهذه المجالات هي التقنية الحيوية ، وعلوم الفضاء ، والالكترونيات وتقنية المعلومات ، والمواد الجديدة والبيئة . وستحتل هذه الموضوعات حيزاً أوسع في منظومة المعارف الكونية ، وتسهم بنصيب أكبر في اقتصاديات الدول المتقدمة .

ففي مجال التقنية الحيوية والهندسة الوراثية ينتظر أن يتسع نطاق تطبيقاتها العملية في الزراعة والصناعة والطب . فالمعارف العلمية التي تراكمت في هذا المجال تجاوزت مستوى الكتلة الحرجة ، وأصبح بالإمكان نقلها من المختبرات إلى المصانع . وسنشهد في مجال الزراعة تطوير سلالات من المحاصيل ، ذات



إنتاجية عالية ، وقادرة على مقاومة الأمراض والآفات الزراعية ، وذات قدرة أكبر على العيش في الأراضي الفقيرة ، وتحمل ملوحة المياه ، ومقاومة التغيرات المناخية . والواقع أن بعض التجارب الحقلية في هذا المجال قد بدأت ، وينتظر أن يتسع نطاقها ، وتدخل عالم الاستخدام التجاري . وفي مجال التطبيقات الصناعية ستستخدم التقنية الحيوية في إنتاج البروتينات والأعلاف واللقاحات والأسمدة والمبيدات على نطاق واسع ، كما ستستخدم في إنتاج « الايثانول » كوقود أولي ، وتطوير الكتلة الحيوية لتوليد الطاقة . وعلى صعيد الطب يمكن الإشارة إلى توسع استخدامات التقنية الحيوية في صناعة الانسولين والبروتينات والمضادات الحيوية والهرمونات والأنزيمات .

وفي مجال علوم الفضاء تتضافر الجهود العالمية ، لتوسيع نطاق استخداماته السلمية في المجالات القائمة حاليا ، مثل تيسير سبل الاتصالات ، وجمع المعلومات عن موارد المياه ، ومصادر الثروات الطبيعية ، والتعرف على أحوال البيئة والمناخ ، ومراقبة الأراضي المزروعة ،والتوسع في العمليات الصناعية . وسيشهد العقد القادم إقامة محطات فضائية دائمة مأهولة ، توفر الأساس للقيام بالمزيد من التجارب العلمية ، والتحضير لإقامة صناعات فضائية ، واستكشاف الكون المجهول .

يعاني الواقع العربي تخلفاً شديداً في هذا المجال ، ذلك أنه لا يمكن الركون إلى قمر الاتصالات (عربسات) ، أو مشاركة ملاحين عرب في رحلات فضائية ، على أنها إنجازات أساسية . ولا يشكل التقدم العلمي في هذا المجال تحديا في الاستخدامات السلمية للفضاء فقط ، بل الأخطر أنه يشكل تحديا أمنيا وعسكريا . فقد تمكنت « اسرائيل » من وضع قمر صناعي في الفضاء ، وتخطط لإطلاق قمر آخر ، مما يمنحها ميزات كبيرة لصالحها في الصراع معها . ويقتضي الدخول إلى عالم الفضاء توافر موروث علمي ضخم في صناعة الصواريخ وقاذفات المركبات الفضائية . وحتى الآن عد هذا المجال من المحرمات على العرب ، إذ ما أن يبادر قطر عربي إلى تطوير قدراته فيه حتى يتعالى الصراخ في الغرب ، توطئة لإجهاضه لاحقا .

وفي حقل الالكترونيات وتقنية المعلومات ستبذل جهود كبيرة ، لزيادة قدرات الحراسيب الآلية على معالجة المعلومات ، مثل تطوير نظم المعالجة الموازية ، وتطوير تقنيات جديدة لخزن مقادير أكبر من المعلومات . كما سيزداد استخدام الالكترونيات والنظم الخبيرة في الصناعة ، من خلال التوسع في استخدام «الروبوتات» وانتشار استخدام عمليات التحكم الآلي في الصناعة ، لزيادة الإنتاجية ، وتحسين نوعية المنتجات . وسيشهد القطاع الزراعي استخداما أوسع للالكترونيات والنظم الخبيرة في مراقبة المحاصيل ، واتخاذ الإجراءات اللازمة لحمايتها وتوفير شروط نجاحها .

وفي مجال المواد الجديدة سيجري التوسع في إنتاج المواد المخلقة صناعيا ، لإحلالها مكان المواد التقليدية ، فالكثير من هذه المواد ، مثل المواد البلاستيكية والسيراميكية ،تتمتع بخصائص فيزيائية تجعلها أكثر ملاءمة للاستخدام من المواد التقليدية ، وأكثر قدرة على تحمل ظروف التشغيل التي تفرضها التقنيات الحديثة . فخصائص مقاومة التآكل ، وتحمل درجات الحرارة العالية ، والتوصيل الفائق للكهرباء ، لا تتوافر في المواد التقليدية ، مما يحد من إمكانيات استخداماتها . غير أن المواد الجديدة تتمتع بهذه الخصائص ، كما يمكن تشكيلها حسب الطلب ، لامتلاك الخاصية المطلوبة .

وسيفتح الاهتمام المتزايد بالبيئة والتوازن « الايكولوجي » آفاقا واسعة ، لتطوير المعارف

العلمية ، وطرح الحلول العملية لجملة الأخطار البيئية التي فرضها التقدم العلمي والتقني . فالاهتمام بثغرة الأوزون يدفع إلى تطوير منتجات كيمائية بديلة للمركبات الهالوجينية التي تعد سبب اضمحلال طبقة الأوزون . والاهتمام بظاهرة ارتفاع درجة حرارة الأرض ، بسبب زيادة تركيز نسبة ثاني أوكسيد الكربون في الجو ، يشكل حافزا للبحث عن بدائل مأمونة للطاقة ، وزيادة كفاءة استخداماتها . كما أن الاهتمام بالملوثات والمواد الخطرة يدفع نحو تطوير عمليات صناعية ، أكثر أمنا وأقل خطرا على الإنسان والبيئة .

تحديات خطيرة

تلك هي المجالات التي ينتظر أن تشكل الميادين الرئيسة للنشاط العلمي في العقد القادم . غير أنه يجدر التنويه بأن سرعة التحولات العلمية ، وكثافة الجهود العلمية العالمية ، قد يحملان مفاجآت ليست في الحسبان . فقبل أشهر قليلة فاجأ باحثان العالم بإعلانهما عن اكتشاف طريقة لتحقيق الاندماج النووي البارد . ومع أن البحوث اللاحقة أثبتت عدم صحة الادعاء ، فإن المفاجأة أذهلت الجميع ، وبينت أن حدود المعرفة العلمية لاتحدها تصورات مسبقة ولا أحكام جاهزة .

وفي الخلاصة نقول : إن الواقع العربي يواجه تحديات خطيرة على الصعيد العلمي ، وأن تطوير هذا الواقع لا يمكن تحقيقه إلا بانفتاحه على المعارف العلمية والتقنية ، وانتهاج منهجها وسبلها وفلسفتها . إن ذلك يقتضي - يقينا - إحداث تحولات جذرية في النظر إلى العلم والتقنية ، وإحداث تغيرات بنيوية في الثقافة السائدة . وتلك تحديات تسهل معها تحديات كثيرة نواجهها .□



العَرَبُ وَالعَالَم

بقلم : الدكتور سامي منصور*

«في نهاية هذا القرن تكرس انقسام العالم إلى قوى ومناطق نفوذ وصراع ، ويظل الوطن العربي منطقة بالغة الحساسية ، وفي بؤرة الصراع العالمي ، نظراً لأهميتها الجغرافية وثرواتها الكامنة » .

ما علاقة العرب بالعالم في هذا العقد الذي أطل علينا ؟ وما تأثيرات التغيرات الحادثة في الشرق والغرب على علاقة العالم بنا ؟ هذه محاولة للإيضاح .

إن عملية قراءة المستقبل لسياسات الدول المتقدمة عملية بسيطة ، أو على الأقل ممكنة ، بأقل قدر من الخطأ المحسوب ، وذلك نتيجة توافر كل العناصر ، من معلومات إلى نظم وتقاليد ، تجعل تطبيق قواعد علم المستقبليات عملية رياضية ، وذلك عكس الوضع في دول العالم الثالث ، ومن بينها الأقطار العربية ، حيث تغيب المعلومة ، وإن وجدت فهي متعددة ، بتضارب يفقد الرقم احترامه ، ثم دلالته . ومع ذلك فمحاولة قراءة المستقبل

* كاتب سياسي من القطر العربي المصري .

ضرورة على الأقل للترشيد أو التحذير ، وإن كانت احتمالات الخطأ فيها أكبر . !

وأظن قبل محاولة قراءة مسيرة الأحداث في التسعينيات أنه لابد من تسجيل عدد من الملاحظات :

١ ـ إن الأمل في الغد ضرورة للشعوب ، لاستمرار الحياة . لكن هناك فارقا بين الأمل والحلم ، فالأول يقوم على معطيات من الواقع ، بينما الثاني يعتمد على الخيال والأوهام . وتغيير الواقع إلى الأفضل حق ، بينما مصاحبة الخيال خطر بالنسبة للشعوب .

٢ ـ إنه ليس هناك مفر من المحاولة ، في ظل تناقض غريب ، فالعالم يتعامل مع المنطقة على أنها نظام إقليمي واحد ، قائم على قومية عربية واحدة ، بينما المنطقة تتعامل مع العالم على أساس أنها مجموعة من الدول والأنظمة المختلفة . وأحيانا يتبادل الطرفان ـ العالم والمنطقة ـ الأدوار !

٣ ـ تقوم هذه المقالة على أساس أن المعلومات الأساسية عن المتغيرات في العالم بوجه عام والمنطقة العربية بوجه خاص موجودة لدى القارىء ، أو على الأقل لديه إلمام بعمومياتها . ولذلك فليس هناك ضرورة لسرد التفاصيل ، وبخاصة أن المساحة المتاحة تفرض ذلك .

٤ ـ إن تفاعل المتغيرات مع الواقع ، لصنع حقائق جديدة ، تتحول مع الأيام إلى ثوابت ، وهي عملية تحتاج بطبيعتها إلى وقت يقصر عادة في الدول المتقدمة ويطول في العالم الثالث . ولذلك فإن بوادر ومؤشرات التغيير في الوطن العربي قد لا تمس الثوابت في مرحلة التسعينيات وهي أقرب إلى مرحلة التفاعل ، أي مرحلة انتقال حسب التعبير الشائع .

توقعات محتملة

ويبقى بعد ذلك أن ننتقل إلى «السيناريوهات» المحتملة لعلاقة العرب بالعالم في مرحلة التسعينيات . والمعروف أن أي سيناريو يقوم أساسا على مجموعة من الفرضيات ، يستخرجها الباحث من الواقع المعاش ، ويبني عليها الاحتمالات للمتغيرات الأخرى ، أي أن هناك ثوابت لابد أن تبقى في الذاكرة طوال عملية قراءة سير الأحداث المحتمل . وأعتقد أن هذه الثوابت في موضوعنا هي :

أولا : أن المتغيرات المحتملة في الولايات المتحدة ، خلال مرحلة التسعينيات ، لا علاقة لها بشكل جوهري على السياسة الأمريكية تجاه العرب ، حيث يبقى التأييد الأمريكي المطلق «لإسرائيل» ، ومحاولة دفع العرب لتقديم التنازلات إليها . وإذا كان الاحتمال الأغلب هو بقاء «بوش» في السلطة ، معظم مرحلة التسعينيات ، بإدارة عاجزة ، لغياب الأغلبية البرلمانية عنها ، فإن احتمالات تغييره لمرشح الحزب الآخر بأغلبية برلمانية لا تحقق للعرب شيئا ، لأنه لا فرق بين السيء والأسوأ .

ثانيا : إن أدوات العرب للضغط على المجتمع الدولي ، لعمل متغيرات ، سوف تبقى معطلة عن ممارسة دورها في ظل معطيات الوضع العربي الحالي . وهذه الأدوات هي حسب ترتيب اهميتها : مشتريات السلاح ، والسوق العربية التجارية ، والطاقة ، والأرصدة العربية .

ثالثا : تصاعد دور كل من العملاقين الاقتصاديين السياسي في مرحلة التسعينيات ، وهما المانيا الغربية واليابان ، ولهما مع الوطن

العربي علاقات اقتصادية مميزة عن بقية دول العالم ، مما يعطي للمنطقة العربية أهمية بالنسبة لكل منهما .

وهكذا تتفاعل هذه الثوابت ، خلال مرحلة التسعينيات ، لتشكل مع متغيرات الواقع الاحتمالات أو السيناريوهات الأربعة التي يمكن أن تسير فيها أحداث العلاقات العربية الدولية .

الاحتمال الأول هو أن يستمر الحال على ما هو عليه ، بدون تغيير جوهري ، إذ يستحيل افتراض عدم وجود أي متغيرات ، ولكنها في هذا الإطار لا تمس الجوهر أو السياق العام للأحداث .

وإذا كان احتمال البناء على الحال نفسها مطروحا فإنه في حقيقته قد يكون وفق منطق النسبية تأخرا ، وليس حفظا للموقع نفسه ، وذلك على أساس أن العالم المحيط بنا يتطور ويتغير .

فالتجزئة العربية ، وبخاصة في الإدارة الجماعية للمنطقة على الرغم من التجمعات الإقليمية الثلاثة ، وعلى الرغم من التخفيف من أثر الصراعات الإقليمية العربية ، ما زالت تمثل أكبر إغراء للآخرين في المجتمع الدولي ، لعدم وضع حساب المخاطر بالنسبة لسياساتهم في أي قضية يكون العرب طرفا فيها .

ونجد أن العناصر الحاكمة في هذا الاحتمال هي أن يبقى للولايات المتحدة الدور المميز ، مع استمرار الإلحاح العربي بالرجاء لتغير الموقف الامريكي .

وأن يستمر التوجه العربي نحو الاتحاد السوفيتي ليس إلى السوفييت أنفسهم ، وإنما ليكونوا أداة ضغط لتغيير الموقف الأمريكي .

حتى العلاقات مع أوربا يكون توظيفها للقيام بدور الوسيط ، لترشيد الموقف الامريكي ، وليس للقيام بدور مستقل .

و"اسرائيل" من خلال واشنطن تجذب اليابان والمانيا للابتعاد عن سياسة المنطقة ، والاكتفاء بالتجارة معها ، وبذلك تبطل فاعلية التغير في القوى السياسية الجديدة على الموقف .

ويبقى عدم الانحياز مساحة للخطابة بحسبانها إحدى الهوايات العربية دون فاعلية ، وبخاصة أن أغلب الأقطار العربية مقيدة بعبء مشكلة الديون .

ويجد هذا السيناريو دعائم قيامه من خلال الأحداث المعاصرة ، وفي مقدمتها التعاقدات



على السلاح العربي من أمريكا ، والصفقات المطروحة للتعاقد ، ويتم تنفيذها جميعها بما يستغرق أكثر من نصف مرحلة التسعينيات .

ثم هناك ظاهرة استمرار التفاؤل العربي الرسمي بإمكانية تغيير الموقف الامريكي بالرجاء أو بانتظار حدوث خلاف - مستحيل - مع «اسرائيل» وذلك على الرغم من الإدراك الشعبي العام لعدم تغيير الموقف الامريكي ، على الأقل من خلال هذه الأساليب المتاحة .

أدوات قليلة للضغط

وإذا كانت الانتفاضة هي عامل الأمل الإيجابي ، إن استمرت ، وأظن أن لا بديل عن استمرارها ، فإنها وحدها ، دون عمل عربي ديناميكي ، سنوف تبقى في إطار الضغط على دائرة العمل الإنساني في المجتمع الدولي ، دون الانتقال إلى دائرة المصالح ، أي صنع القرار ، وبالتالي تغييره .

والسيناريو الثاني لمجرى الأحداث هو أن تكون مرحلة التسعينيات حقبة للتفاعل بالتغيير ، من خلال وصول الأزمة إلى ذروتها .

فإن استمر نظام الحكم الجديد في الاتحاد السوفيتي فإن ترجمة ذلك على السياسات تعني تراجعا كبيرا في الدور السوفيتي ، فالتركيز سيكون على القضايا الداخلية ، وتصبح القضايا الدولية ، وبخاصة للعالم الثالث ، رهينة بدرجة تأثيرها على حل هذه القضايا الداخلية .

وهذا يعني بالنسبة للمنطقة العربية انفجار أزمة ، أو على الأقل بداية مرحلة جفاء جديدة بين العرب والسوفييت ، وذلك لسببين : الأول منهما أن الانفراج بين العملاقين يقوم على أساس تسوية الصراعات الإقليمية ، إلى جانب تخفيف التوتر بينهما في التسلح طبعا . ووفق توزيع نسب المصالح في كل منطقة في لحظة التسوية في بداية التسعينيات تكون المنطقة العربية في الأغلب من نصيب الولايات المتحدة ، أي يكون لها الغلبة ، وهو ما يجعلها تنفرد بالمنطقة دون منافسة حقيقية ، وهو ما يجعل العلاقات مع السوفييت محدودة ، بل وباردة . والعامل الثاني الذي سوف يزيدها جفاء وبرودة هو أن سياسة الإصلاح السوفيتية سوف يترتب عليها تصاعد تيار هجرة اليهود السوفييت . وبالجهد الأمريكي سوف يتوجه هؤلاء إلى «اسرائيل» ، بعد أن كانت الولايات المتحدة هي الهدف الأول لهم ، أي يتحول السوفييت ، دون اعلان ، الى دعم سياسة الاستيطان «الاسرائيلية» . والغريب أن الانفراد الامريكي بالمنطقة سوف يدفع واشنطن إلى المزيد من حماقات الدعم «لإسرائيل» في مغامراتها وإرهابها ، مما يجعل المنطقة غير قادرة على تبرير السلوك الأمريكي في ظل انفراده ، ويضع الأنظمة في موقف بالغ الصعوبة .

وقد لا تجد المنطقة مخرجا ، في ظل هذا الوضع ، غير تشجيع الدور الأوربي ، ليس للوساطة لدى واشنطن ولكن للقيام بدور مستقل ، وذلك إلى جانب العمل على تنشيط العمل من خلال دول عدم الانحياز .

ونؤكد أن استمرار الانتفاضة الفلسطينية ، مع تطوير أساليبها ، سوف يجعل الانتفاضة وحدها أداة التشجيع لبناء الدور الأوربي المستقل ، القائم حاليا في الموقف الفرنسي والألماني ، وذلك بدعم من حركة عدم الانحياز .

ولذلك تكون السمة العامة لهذا الاحتمال في التسعينيات هي أن تكون العلاقة العربية الدولية في مرحلة إعادة التشكيل والبناء ، وليست مرحلة القرارات والسياسات الاستراتيجية .

والاحتمال الثالث محكوم بإمكانية توقف مسار السياسة السوفيتية ، حيث إما أن يتغير النظام أو أن يجد لنفسه خطوطا حمراء يصعب عليه تجاوزها ، فتعود الحرب الباردة بين العملاقين ، وبخاصة أن الولايات المتحدة ليست مستعدة لسياسات السلام مع السوفييت بالقدر السوفيتي نفسه ، والسبب اقتصادي ، حيث إن السلام أكثر خطرا على الاقتصاد الامريكي الذي يعتمـد إلى حد بعيد ، على الإنتاج الحربي في التنشيط الاقتصادي ، وزيادة معدل النمو ، واحتواء مشكلة العجز في الميزانية ، بينما العكس تماما بالنسبة للاقتصاد السوفيتي .

ووضح ذلك من خلال إسراع الولايات المتحدة ، دون دراسة جادة لرفض اقتراح موسكو بتصفية حلفي وارسو والأطلسي .

وعودة الحرب الباردة في إطار جديد تعني المنافسة بين العملاقين في مناطق النفوذ الخاصة



بكل منهما ، وفي مقدمتها المنطقة العربية .

وهي تعني أيضا تحجيم الدور الأوربي ، بحيث يبقى في إطار القيادة الأمريكية ، وإن لم يصل إلى حد التبعية الكاملة ، مثل بريطانيا .

وأكثر ما تطرحه مثل هذه المرحلة أن يكون دور العمالقة الجدد ، وبالتحديد المانيا الغربية واليابان ، هو مورد السلاح ، حيث يصعب تصور استمرار القرار الياباني بعدم دخول سوق السلاح بالتصدير ، وهو ما قد يخفف من الوجود الامريكي على الساحة العربية .

وتجد الثورة الفلسطينية دعما ماديا من السوفييت ، وسياسيا من أوربا ، بما يشجع الوطن العربي على تقديم العون المادي إلى جانب السياسي للانتفاضة في الأراضي المحتلة ، فذلك وحده الذي يمكن أن يغير إرادة الاستعمار «الاسرائيلي» ، ويجعلها أكثر مرونة .

ويبقى لحركة عدم الانحياز في ظل هذا السيناريو دور هامشي للعمل العربي .

حماقات تدفع إلى التغيير

أما السيناريو الرابع ـ الأخير ـ لشكل العلاقات العربية الدولية في التسعينيات فالعامل الحاكم فيه هو أن يصل التطرف والغباء العفوي «باسرائيل» إلى درجة يتغير معها دورها ، فبعد أن كانت «اسرائيل» أداة منع التغيير الثوري ، أو على الأقل ، منع أي تحول اجتماعي في المنطقة العربية ، فإنها تصبح على العكس ، أداة للتغيير الثوري بضرب الاعتدال من خلال التصلب الاستعماري الصهيوني .

وهنا لابد من إعادة التذكير بإحدى فرضيات هذه الورقة ، وهي استمرار الدعم الامريكي المطلق «لاسرائيل» في مرحلة التسعينيات .

وهو ما قد يشجع «اسرائيل» على القيام بعمل عسكري ضد (قطر عربي) أو أكثر ، مما يقضي تماما على دعوات السلام وقبول الأمر الواقع ، وهو ما يسقط معه الدور المميز

الوطن العربي في التسعينيات

للولايات المتحدة في المنطقة أيضا .

وأعتقد أن مثل هذا المناخ قد يكون هو الأنسب لانتقال الانتفاضة الفلسطينية إلى مرحلة حرب التحرير الشعبية .

وهو ما يفرض على السوفييت ، حتى في ظل سياسة الإصلاح ، إعادة النظر في مواقفهم ، وبخاصة في مسألة هجرة اليهود ، حرصا على مصالحهم في المنطقة ، فإن كانت سياسة الإصلاح قد توقفت عند الخطوط الحمراء الجديدة ، فإن ذلك سيكون فرصة لدعم العلاقات العربية السوفيتية .

ويصبح للعرب صوت واحد تعبيرا عن إرادة واحدة ، على الرغم من تعدد الأنظمة واختلاف السياسات الداخلية ، وهو الشرط الوحيد الذي يمكن أن يحقق معجزة تغيير السياسة الامريكية تجاه العرب . وقاعدة العلاقات العربية الامريكية خلال نصف قرن هي التي تعطي هذا المؤشر . والقاعدة تقول : إنه حين كان في المنطقة تحد للوجود الامريكي ـ قوميا ـ كان التأييد الامريكي «لاسرائيل» مختفيا خلف دول أوربية ، ولما أصبح الوجود الامريكي في ظل قبول عربي شبه كامل أصبح الدعم الامريكي «لاسرائيل» مطلقا .

هذه هي ملامح الخيارات المتاحة للعرب مع المجتمع الدولي في التسعينيات .

وإذا كانت التفاصيل لكل احتمال قد أغفلت فإن ذلك لا يغير من الخطوط الرئيسة للاحتمالات المنتظرة . □

اقرأ في عدد
أبريل ١٩٩٠

من مجلة
العربي

كريم رمضان

استطلاعات مصورة:

الأرجنتين حافة الكون الفضية
صلاح حزين

•••

صور رمضانية من بلاد الشام
سليمان الشيخ

- مستقبل التيارات الدينية في الوطن العربي — د. سعد الدين إبراهيم
- أوروبا الموحدة.. الواقع والآفاق — د. رياض معسعس
- رمضان في الجزائر — عبدالحميد بن هدوقة
- من دفتر الذكريات — بدر خالد البدر
- المقولات العلمية بين التغير والثبات — د. راشد المبارك
- حضارة المغرب العربي وأثرها في الشخصية الأفريقية — د. محمد فاروق النبهان
- الساعة البيولوجية.. ما هي؟ — د. حسن حلمي خاروف
- مسائل أساسية في قضية الوحدة العربية — د. عبدالمالك التميمي
- نجم غامض اسمه الشمس — رؤوف وصفي
- الوقاية من آلام الظهر — د. علاء محمود

ملف الإبداع العربي في الربع قرن الأخير

- القصة في وادي النيل — د. الطاهر أحمد مكي
- القصة في بلاد الشام — فخري صالح

وجهاً لوجه:
الدكتور علي فهمي خشيم و حسن حميد

وأقرأ أيضاً للكتاب:

د. محمد الرميحي * د. أحمد عبدالرحيم مصطفى * فاضل خلف * د. هند حتاحت
محمد الفايز * حسن الكرمي * عبدالرزاق المطلبي * د. محيي الدين لبنية





(الحياة مجموعة من الخبرات المتنوعة ، وليس بالضرورة أن تتشابه وتتكـرر ، إنما كثير من الخبرات منفـردة تضيف معنى جديـدا للحياة ، وتعطيها لذة التراكم ، وقد اختارت العربي مجموعة من المتميزين العرب ليروي كل بطريقته الخاصة بعضـا من ذكرياته التي أصبحت دروسـا في الحياة) .

بين الدّراسة والسّياسة

بقلم : الدكتور حسين عبدالله العَمْري

من غريب المفارقات أن الإمام يحيى حميد الدين الذي أحكم عزلة اليمن طوال النصف الأول من القرن العشرين (١٩٠٥ - ١٩٤٨م) كان قد أقنع آخر الأمر بضرورة إرسال بعثة دراسية إلى لبنان عام ١٩٤٧ - سيأتي الحديث عنها - وثانية إلى العراق ، قبل مقتله في ثورة الدستور في مطلع عام ١٩٤٨ ، وإذا بتلك الثورة تنتكس ليقرر ابنه أحمد (الإمام الجديد) إعادة تلك البعثة التي كانت قد وصلت إلى عدن ، وتنتظر السفر إلى بغداد ، وكان عددها ٣٢ طالباً منهم خمسة من العسكريين .

وحرص قادة حركة الدستور ، وفي مقدمتهم مدرب الجيش - بل وقائده الفعلي في الثورة - الشهيد الرئيس (العراقي) جمال جميل في مواصلة سفر تلك البعثة - سيئة الطالع - إلى غايتها العلمية في العراق . كانت الأحداث متسارعة ، وإذا بأوامر أحمد الذي نجح في إجهاض ثورة الدستور ، تقضي بسرعة إعادة تلك البعثة من عدن فوراً ، واللحاق به إلى معسكره في (حجة) ، حيث كان يشرف بنفسه على الإعدامات الأولى لقادة تلك الثورة . وكأنه أراد بذلك ليس حرمان أولئك الشباب واليمن

من تحصيل علمي سينفع مستقبلاً ، بل ولتلقي درس رهيب لازال بعضهم ممن عرفنا يتذكره حتى اليوم .

أما تلك البعثة السابقة المكونة من أربعين طالباً الذين جرى اختيارهم من مدارس المدن الرئيسية الثلاث ، فقد غادرت اليمن إلى لبنان في أغسطس عام ١٩٤٧ ، حيث التحق نصفهم (بكلية المقاصد الخيرية الإسلامية في صيدا)، والنصف الآخر في (كلية التربية والتعليم بطرابلس) . وبعد عام التأم شمل البعثة كلها في طرابلس ، بيد أن ذلك لم يدم أكثر من نصف عام ، تقرر بعده نقل البعثة إلى مصر ، حيث استقرت في (حلوان) ، والتحق أعضاؤها بمختلف مراحل الدراسة الثانوية ، بما كان يتفق مع أعمارهم ومستوى تحصيلهم ، وكان مقدراً لبعض أعضاء تلك البعثة أن يقوم بدور طليعي مبكر في الحركة الطلابية والوطنية بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر التي رحبت بالزعيم الوطني الكبير الشاعر الأستاذ القاضي محمد محمود الزبيري - استشهد في عام ١٩٦٥ - بعد أن كان لاجئا في باكستان . لقد التف حول الزبيري عدد كبير من بعثة (حلوان) التي قد انضم إليها عدد آخر من الطلاب اليمنيين بأوامر خاصة وحالات فردية ، فبلغ عدد أعضائها مايقرب من سبعين ، سرعان ما التحق بالجامعة من أكمل منهم الثانوية العامة ، كما التحق آخرون بالكليات العسكرية .

وفي هذه الفترة -٥٣ - ١٩٥٤م - تصاعد نشاط الاتحاد اليمني في القاهرة بزعامة الزبيري ، وهذا ما أزعج الإمام أحمد ، فقام شقيقه الحسن بزيارة مصر ، وزار البعثة في حلوان ، وكانت خلاصة رأيه لأخيه هو توزيع من حصل على الثانوية العامة ، أو من قد التحق بالجامعة على العواصم الأوربية والولايات المتحدة ، وهكذا تم إرسال بعضهم إلى فرنسا (الأساتذة محسن العيني ، يحيى جغمان ، محمد الرعدي) ، ومثلهم إلى ايطاليا ، وبريطانيا ، وأمريكا وربّ ضارة نافعة ، فقد تثقف معظم أولئك مع غيرهم ليكون منهم عماد الدولة والحكومة الحديثة بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م ، ومازال بعضهم يؤدي واجبه في أعلى مناصب الدولة ، وسلكها الدبلوماسي حتى اليوم .

بعثة إلى مصر وآمال شخصية

لم يكن بوسع الإمام أحمد ونظام حكمه الذي يتلقى هجمات نقد شديد علنية من الخارج ، وسرية في الداخل (بعضها مخلصة من بعض مقربيه لإصلاح الوضع) أن يستمر في التعامي عما يدور في عالم القرن العشرين من حوله، فلا تعليم عال ، ولا متخصص يوجد في اليمن يسد أبسط الاحتياجات التي فرضها العصر ، ومنها احتياج الدولة أو الحكومة نفسها . ولابد أنه قد ثار جدل ولغط كبير بين الإمام وأشقائه ، وعلى الأخص مع الحسن (ممثل الرجعية الأكثر تطرفاً) وعبدالله ممثلها الأكثر تنوراً ، وآخرين من المسئولين المؤيد منهم أو المعارض لسياسة البعوث إلى خارج اليمن . ويبدو أنه قد تبلور رأي جديد من كل ذلك وعلى ضوء زيارة الحسن لمصر ، وبدلاً من تطوير نظام التعليم والاستعانة على ذلك بمصر أو العراق أو سوريا ، فقد جرى الاتجاه إلى حل وسط ، هو العودة إلى سياسة البعوث إلى مصر ، ولكن ليس إلى القاهرة ، حيث يتمركز بها نشاط الزعيم الزبيري والاتحاد اليمني .

وكيفما كان الأمر ، فقد تم تجهيز بعثة من أربعين طالباً من تلاميذ المدرسة المتوسطة والثانوية ، عين على رأسها مرب فاضل ، هو القاضي أحمد الهيصمي ، وتقرر بالتشاور مع الجهات المصرية المختصة أن تكون بعيدة عن

القاهرة والنشاط السياسي المعارض للإمام ، فأرسلت على دفعتين ، بين أغسطس واكتوبر ١٩٥٤ ، إلى قرية (ساحل سليم) في محافظة أسيوط ، حيث كان يوجد بها مركز تعليمي كبير ومدرسة داخلية . غير أنه رُئي بعد ستة أشهر نقل البعثة إلى (بني سويف) ، واستؤجرت لها دار استقرت بها ، والتحق طلابها بالمدرستين الإعدادية (والنيل الثانوية) التي تخرجت فيها أول مجموعة صغيرة التحقت بجامعة القاهرة عام ١٩٥٩ ، وكان أحدهم واحداً من العشرة الأوائل في (الجمهورية العربية المتحدة) .

كان سفر تلك البعثة إلى مصر حديث الناس ، كما كان غاية الأمل والطموح لطلاب المدرستين الوحيدتين في صنعاء (المتوسطة) و(الثانوية) وإخوانهم في تعز والحديدة ، فمن تلك المدارس كان اختيار بعثتي ١٩٤٧ و ١٩٥٤م .

إنني لاأزال متذكراً - وبعد مرور أربعة وثلاثين عاماً - مدى الفرحة والزهو اللذين عمّا من كنت أعرف من زملاء تلك البعثة عشية سفرهم ، ومدى الحسرة والأسى في أنني لم أكن معهم . وواقع الأمر أنني كنت أصغر عمراً ، بما لايقل عن ثلاث أو أربع سنوات عن أصغرهم سناً . وفي العام التالي أكملتُ المرحلة الابتدائية في مدرسة (الإصلاح) ، والتحقت بالمدرسة (المتوسطة) ، فكانت عالماً جديداً عليّ . فالأساتذة من خيرة المربين والرواد التربويين ، ومعهم مدرسون من مصر وفلسطين ، كما أنها المرة الأولى التي كنا نقرأ فيها في بعض المواد كتباً مطبوعة وفق المنهج المصري ، فكانت تشعل حماسنا للتنافس والتفوق (ربما على أمل اللحاق بمن سبقنا إلى مصر ، فذكراهم لم تبرح مخيلة زملائهم ممن بقي ، فكانوا يحدثوننا بما يصل منهم من رسائل عن مستقبلهم الدراسي والعلمي ، حيث لامستقبل يرتجى بعد المدرسة الثانوية إلّا الأعمال الكتابية (الوظيفية) العادية ، أو الالتحاق بدار العلوم (المدرسة العليا) ، وهي مخصصة لسلك الحكومة ورجال الفقه والقضاء ، ولم يكن كل ذلك شاغل بال أحد منا - في المتوسطة - باستثناء مالاح في العام الثالث للدراسة (١٩٥٧) ، وهو الحديث عن إنشاء كليات عسكرية (الشرطة والطيران والحربية) التي كانت متنفساً في العام التالي لكثير من زملائي ومن سبقنا في المدرسة الثانوية ، ومنهم كانت الطليعة - مع ضباط وطنيين قدماء - التي صنعت حدث التغيير الكبير في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م .

غير أنه حدث طاريء مهم خلال عام ١٩٥٧ ، أحسب اليوم أنّ له علاقة بما كان يدور ويجري في المشرق العربي آنذاك من مشاعر وطنية وقومية ألهبت حماسها حركة التحرر العربية بزعامة الرئيس الراحل جمال عبدالناصر .

ففي ربيع ذلك العام قامت القوات البريطانية المحتلة للشطر الجنوبي من اليمن بعدوان جديد على منطقة (حريب) ، بعد سلسلة من الاعتداءات والمناوشات في العام السابق [1] . وكانت مصر وسورية من بين

---

(١) شهد عام ١٩٥٦م سلسلة من الحوادث الحدودية والاعتداءات البريطانية ، لعلها من بين أسباب توجه الحكم للمعسكر الاشتراكي وشراء السلاح منه - كما فعلت مصر - وذلك في زيارة البدر المشهورة على رأس وفد رسمي في يوليو ٥٦ لكل من موسكو وبراغ وبكين ، وهي الزيارة التي تهكم منها ساخراً الزعيم الزبيري في صورة شعرية بليغة ، أظهر فيها تناقض واقع الحكم الإمامي مع تلك الزيارة حين قال من قصيدة وطنية :

(يَبْهرُونَ الدّنيا بزَيَارة مُوسكو وعَلَيْهم غُبَار دُنيا ثَمُود !)

الدول الأعضاء ـ القليلة ـ للجامعة العربية التي تحمست لشكوى اليمن واستغاثتها بالجامعة التليدة ، فقامت بعثة منها برئاسة الأمين العام المساعد المرحوم أحمد الشقيري بزيارة لليمن في ٣ ابريل (نيسان) ١٩٥٧ لمعرفة الأوضاع ، ومؤازرة اليمن ضد الاعتداءات البريطانية المتكررة ، وبعد أن عادت البعثة إلى القاهرة قدمت تقريرها إلى الأمانة العامة ، وكان مما جاء فيه بأنه تبين لها أن في الجنوب اليمني ، حركة قوية عامة « تهدف إلى التحرر من النفوذ الأجنبي ، والانضمام إلى اليمن الأم ، إيماناً بوحدة اليمن : شماله وجنوبه ، وبالروابط القومية العربية . . » وبعد أن عرضت نتائج العدوان ونزوح عدد كبير من سكان الجنوب إلى الشمال ، وعدم تكافؤ القوة والتسليح في اليمن (الشمالي) مع القوة البريطانية المحتلة ، وضعت اللجنة جملة من المقترحات العملية والسياسية في إطار التعاون العربي والمجال الدولي..

وفد وبعثة

وفي الشهر التالي قام وفد سوري مدني وعسكري رفيع المستوى ، برئاسة وزير الخارجية ، المرحوم الأستاذ صلاح البيطار ، بزيارة لليمن ، استمرت أسبوعين (من ٢٣ مايو (أيار) إلى ٨ يونيو (حزيران) ١٩٥٧م) ، لعلها أول زيارة لوفد سوري على ذلك المستوى .

لقد تيسر للوفد السوري دون عناء كبير أن يطلع على الأوضاع السيئة المتخلفة التي كان اليمن يحياها ، ووضع أعضاؤه تقارير علمية موضوعية عن مختلف جوانب الحياة العامة فيه [٢] وجاء في مستهلها تمهيد مركز وحَصِيف للأستاذ البيطار ، أكد فيه أواصر العروبة والقربى ، وعراقة اليمن وحضارته القديمة ، وضرورة تعاون العرب لإخراجه من عزلته وتخلفه ، حيث باتت اليوم تلك العزلة الطويلة « . . ضارة وغير عملية ، . . إنها [اليمن] بحاجة لإخوانها في العروبة أن تأخذ بيدها ، وأن تفيد بتجاربها » . وأضاف مشخصاً ومُحِقاً « ولكن علينا أن نعلم بأن نهضة اليمن لايمكن أن تقوم إلّا على اليمنيين أنفسهم ، وأن تكون مساعدتنا لهم في حدود التوجيه والتعليم والتدريب . إن في عنق الدول العربية أمانة مساعدة هذا البلد الشقيق في شق طريقه إلى الأمام ، ولكن السياسة التي يتحتم اتباعها ينبغي أن تكون بعيدة عن التدخل والاستغلال ، مصبوغة بصبغة الأخوة الصادقة ، قائمة على أساس أن اليمن المتقدمة المتطورة ستكون حجراً كريماً ، ودرعاً واقياً في بناء الأمة العربية .

إن علينا واجب انفتاح اليمن إلى البلاد العربية ، القريبة والبعيدة ، ووصلها براً وبحراً وجواً بهذه البلاد ، وإن علينا واجب تقديم المساعدات المالية والاقتصادية والبعثات ، في مجال الطب والتعليم والخبرة والاختصاص . . » .

كان متفقاً على ضوء مباحثات البيطار ، فتح سفارتين في العاصمتين ، وربطهما بخط جوي منتظم ، تقوم به الخطوط السورية ، وكذلك إرسال بعثة دراسية إلى دمشق ، وهو الأمر

---

(٢) قام بنشرها الاستاذ بشير كعدان ـ عضو الوفد ـ في عدد خاص من صحيفة (الجمهورية) السورية التي كان رئيساً لتحريرها ، وقد قام (الاتحاد اليمني) في القاهرة بُعَيْد ذلك بإعادة نشرها ـ كما هي ـ في كتيب ذكر في مقدمته القصيرة بأنه « يقدم هذه التقارير من جديد لأبناء الشعب العربي في كل مكان ، ليجدوا الصور الحقيقية لأوضاع اليمن . . فهي تدين المدافعين عن الطغيان في اليمن والسائرين في ركابه من العملاء والأذناب »

الوحيد الذي تحقق في نهاية صيف ذلك العام .

لقد كان من حسن حظي ـ بعد معاناة ـ أن أكون آخر من التحق بتلك البعثة التي لم يزد عددها عن خمسة عشر طالبا حول خمسة منهم إلى (مدرسة الشويفات) في لبنان .

لقد كانت الحياة في اليمن ، حين فارقتها ، بائسةً في كل مَناحِيْها ، راكدةً رتيبةً ، تذكرني كلما قرأت أو رجعت إلى مقدمة العلامة ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) بقوله قبل ذلك بستة قرون عن حال عصره :

« وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض ، فبادر بالإجابة . . » .

ولهذا لم أصدق نفسي بعد مغادرة صنعاء إلاَّ حين هبطت الطائرة المقلة لنا من القاهرة [٣] في مطار (المزةّ) القريب ـ في ذلك الوقت من دمشق ـ وذلك في يوم بارد من أيام ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٥٧م .

لم تكن ملابسي المتواضعة صوفية ، ولم يكن لدي معطف ، وكان شتاء الشام ذلك العام قارصاً شديداً ـ أو هكذا وجدته ـ وفيه شاهدت أول مرة في حياتي هطول الثلوج التي لم أكن قد تصورتها من قبل ! .

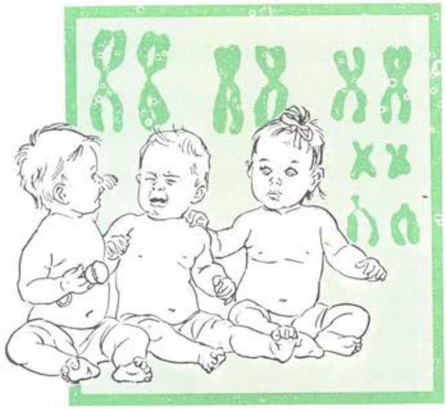
كنت في أول الأمر بعيداً عن المجموعة التي كانت تسكن في (داخلية) المدرسة الصناعية الفنية ، وتذهب للدراسة في مدرسة التجهيز (الإعدادية ـ الثانوية) القريبة ، ولم ألبث أن التحقت بهم ، وكانت أوضاعهم المادية والسكنية غاية في الصعوبة ، كما أن الدراسة كانت في واقع الأمر ـ وفي المواد العلمية على الأخص ـ فوق مستوانا جميعاً .

ووجدت نفسي مع زميلين آخرين من العشرة أصغر عمراً بكثير من زملائنا ، فكان لكل ذلك ـ مع الإحساس بفراق الأهل والوطن ، لمن كان في عمر لم يتجاوز الرابعة عشرة ـ شعور بأمور لم أكن أحسب لها أي حساب من قبل . وسرعان ما تأقلمت مع الأوضاع الجديدة ، وشغلت في تحد للسباق في الدراسة ، ثم انغمست مع زملائي في مظاهرات فرحة الجماهير بالوحدة العربية بين سورية ومصر التي عايشت أوجها . ولن أنسى يوم الرابع والعشرين وليلته من شهر فبراير (تشرين الأول) ١٩٥٨ ، ذلك اليوم الذي وصل فيه المرحوم الزعيم جمال عبدالناصر ، وانتظرناه بين عشرات الألوف في ساحة قصر الضيافة ، حتى أطل مخاطباً الجماهير ، بل والأمة العربية كلها ، ومكثنا في الساحة إلى ساعة متأخرة من الليل ، وحين رجعت مع زميلين لي إلى مدرستنا القريبة الواقعة في (١٠ زقاق الصخر) وجدنا أبوابها مقفلة ، وكان مديرها الاستاذ الأحدب شديد الصرامة ، فنمنا ليلتنا على بوابتها حتى الصباح !

نجحت في ذلك العام الدراسي ، ومع بداية الصيف عاد الأمل والحنين للالتحاق بإخواني وزملائي القدماء أعضاء بعثة (بني سويف) . وجري توحيد مناهج الإقليمين (الشمالي) و (الجنوبي) في « الجمهورية العربية المتحدة » ، ففارقت مع آخرين دمشق ، لألتحق في صيف قائظ بصعيد مصر ، حيث سعدْت بالانضمام إلى البعثة التي سبقتني قبل ذلك بأربعة أعوام ، ومعها عشت سنوات لها ذكريات عزيزة . □

---

(٣) كنت في صحبة وفد اليمن إلى اجتماع المنظمة العربية للعلوم الإدارية المنعقد في دمشق ، ومعنا زميلان أرسلا من القاهرة للالتحاق بجامعة دمشق (كلية الطب) .



من مخاطر العبث بالوراثيات

بقلم : مجدي نصيف

تطورت «الهندسة الوراثية» ، إلى درجة أننا دخلنا عصرا نخشى فيه من العبث بالوراثيات ، مما يثير معضلات أخلاقية على الأخص ، فالإمكانيات المستقبلية تكتم الأنفاس . فإذا أمكن رسم «خريطة» الجينات واللعب بعدد ضئيل منها ، فقد يتمكن الإنسان من علاج عدد كبير من الأمراض .

لكنها في الوقت نفسه تفتح إمكانية أن يعبث الإنسان بالهندسة الوراثية ، فيستخدمها للشر وليس للخير ، كما استخدم من قبل الكشف عن أسرار الذرة .

فخلف كل حلم طيب يكمن كابوس ممكن الحدوث . لذا تحاول الهيئات التشريعية في الدول الصناعية المتقدمة الإسراع ، منذ الآن ، لوضع قوانين تحول دون اللعب بالجينات من أجل هدف شرير .

تبدأ الفرص التي تقدمها المعرفة الجينية الجديدة ، قبل الولادة ، وتصاحب المعضلات المشاكل بروز هذه الفرص ، فقد أصبح من الممكن الآن ، من خلال عدد من الاختبارات المعملية على الوالدين ، تحديد ما إذا كان الطفل المرتقب ذكرا أو أنثى ، متخلفا أو معاقاً أو ضحية لبعض الاضطرابات الوراثية المميتة . فماذا يمكن أن يفعل الوالدان بمثل هذه المعلومات ؟ من المؤكد أن الأم ستحاول اللجوء إلى الإجهاض ، وهي مسألة

يثور حولها جدل شديد ، فقد يتعاطف كثيرون مع سيدة تختار التخلص من جنينها ، بدلا من أن تضع طفلا محكوما عليه بدخول صراع مؤلم مع مرض عضال طوال حياته ، أو محكوما عليه بالتخلف العقلي ، أو معاقاً طوال حياته .

لكن ماذا عن أم لثلاث بنات ، يريد زوجها لها صبيا ذكراً ؟ وماذا يحدث لو علمت الأم أن حملها المستكن به عيب خلقي ضئيل ، يمكن أن يحيا به ابنها طوال حياته . هناك الآن جماعات ضغط من الغرب ، تنادي بمنح الأم «حق الإجهاض عندما ترغب» ، ومنح الآباء حق اتخاذ قرار بالإجهاض ، حتى يمكنهم الحصول على ما يسمونه «الطفل المكتمل» .

ومما يعقد مثل هذه القرارات أن «التنبؤ الجيني» لن يصبح علما قاطعا ، فقد يتمكن العلماء يوما ما ، أن يحددوا ما إذا كان لدى جنين بعينه ، استعداد مسبق للإصابة بمرض القلب أو بنوع من السرطان ، أو بمرض من الأمراض العقلية ، لكنهم لا يمكن أن يتنبأوا بالضبط متى سيضرب المرض ضربته القاضية ، أو إذا كان سيضرب ضربته ، أو مدى ذلك المرض ، وعمر الطفل حتى مماته . ويحاول العلماء الآن عموما التوصل إلى اكتشاف عيوب ضئيلة في أحد خيوط (د . ن . أ . DNA) ،ومع ذلك سيصبح من الأصعب التمييز بين أنواع الشذوذ «الجيني» ، والتمايزات الطبيعية بين بني البشر .

وقد تأسست في الغرب مراكز بحوث لدراسة هذه القضايا الأخلاقية وغيرها ، النابعة من الدراسات في الهندسة الوراثية . أحدها «مركز الأخلاقيات البيوصحية بجامعة مينيسوتا» .

ويعترف مديره آرثر كابلان قائلا : «إننا لم نفكر كثيرا في وضع خط واضح في هذه القضايا ، وسيكون ذلك أحد التحديات الأخلاقية التي علينا مواجهتها في التسعينيات » .

قصة كروموزوم

وتعتمد تصرفات الناس على مدى معلوماتهم ، والأحداث تثبت لنا أن عدم المعرفة «الجينية» يمكن أن يكون غاية في التدمير ، ولنأخذ كمثال قصة حدثت عام ١٩٦٥ : ففي ذلك العام ، وجد مجموعة من العلماء قاموا بدراسة حول عدد من المجرمين والعتاة بمؤسسة عقلية اسكتلندية ذات نظام أمني مشدد ، أن نسبة مدهشة الارتفاع ، من بين هؤلاء المجرمين ، تتميز بشذوذ كروموزومي خاص ، فبالإضافة إلى الكروموزوم (X) ، والكروموزوم (Y) الموجودين بشكل طبيعي في كل بني البشر ، كان كل منهم يحمل كروموزوم (Y) إضافي ، وهو الكروموزوم الذكري . وتعلقت وسائل الإعلام آنذاك بفكرة أن أولئك الذين أطلق عليهم إسم «السوبر ذكور» مكتوب عليهم حياة الجريمة . لكن سرعان ما ثبت أن هذا التعميم زائف ، فلقد أظهرت بحوث تالية أن ٩٦٪ من الرجال الذين يحملون الكروموزومات (XYY) يعيشون حياة طبيعية ، لكن قبل أن تخمد الضجة قدمت عدة مقترحات لاتخاذ إجراءات لحماية المجتمع من تهديد متوقع من هؤلاء الرجال . من ضمنها تشجيع الآباء على إجراء فحوص على الأطفال قبل الولادة ، ويفترض أن يكون معنى ذلك تشجيعهم على



ترتيب عملية إجهاض إذا كان الطفل يحمل كروموزومات (XYY) ، وبادر علماء بإجراء دراسات بعيدة المدى لتحديد الأطفال الذين يحملون هذه الكروموزومات ، وتتبع تقدمهم في الحياة عبر السنين من خلال زيارات منزلية ، يقومون فيها باختبارات «سيكيولوجية» ، إلى جانب تقارير يقدمها المدرسون ، لكن في نهاية الأمر انتهت المسألة ، ولكن ليس قبل أن يلطخ عدد من الصغار الأبرياء .

ويمكن أن يدفع البالغون خطأ أيضا : فلاشك أن شركات التأمين على الحياة ، والتأمين الصحي ، ستطلب من زبائنها يوما ما ، القيام بفحص «جيني» ، لمعرفة الأشخاص المحتمل أن يتطور لديهم مرض من الأمراض المميتة أو المعيقة . وفي هذه الحالة قد لا توافق الشركات على التأمين على حياتهم ، أو توافق إذا ما دفعوا أقساطا أكبر .

ولقد استخدمت شركات تأمين في الغرب سياسة مشابهة ، عند التأمين على أشخاص افترضت أن عليهم خطرا عاليا في الإصابة بالايدز ، وقد منعت هذه السياسة قانونا في عدد من الولايات الامريكية . ومن المتصور أن يحاول أصحاب الأعمال تشغيل قوة عمل لديهم تتميز بالصحة ، والمؤكد أنهم سيطلبون في المستقبل إجراء «تحليل جيني» ، ومن الواضح «أن هناك إمكانية كامنة للتمييز الواسع النطاق ضد أولئك الذين لا تتسم جيناتهم بالمواصفات المقبولة . ومتى تمت دراسة جينات شخص ما ، فلاشك أنها ستجد طريقها إلى المصارف (البنوك) الالكترونية . ولابد في هذه الحالة من وجود قيود قانونية ، وإلا تم التشارك في هذه البيانات الجينية الشخصية من قبل الشركات والوكالات والهيئات الحكومية ، ومثلها مثل البطاقات الشخصية أو السجل «البوليسي» ، فقد يصبح تحليل (د . ن . أ) جزءا من الملف الالكتروني الدائم لشخص ما .



● الطفل المنغولي هل يمكن أن نخلصه من الصفات الوراثية غير المرغوب فيها ؟

وحتى لو تم الحفاظ على سرية المعلومات الجينية ، فإن المعلومات قد تقلق الأشخاص المعنيين ، فالكشف عن نقص وراثي لأنزيم يمكن أن يعالج علاجا مؤثرا من خلال «ريجيم» ، أي نظام غذائي . ولكن ماذا عن هؤلاء الذين يخشون وراثة مرض ليس له شفاء حتى الآن ؟ قد يريد بعض الناس تنظيم ما تبقى من حياتهم . وقد يفضل آخرون ألا يعرفوا شيئا على الإطلاق . قالت الدكتورة دورين مايكل ، أستاذة «الوراثيات» بعيادة الأعصاب ، التابعة لجامعة ميتشيجان : «قد نستطيع أن نرى المستقبل ، ولكن هل هناك من يريد أن يعرف سبب وفاته» ؟

الجينات المعيبة !

ان وصم جين بأنه معيب يمكن أن يؤدي إلى نتائج خطيرة ، فبعد أن ظهرت الاكتشافات الجديدة في القرن التاسع عشر في الوراثة والتطور ، برزت «الحركة البيوجينية» ، وهو علم زائف ، آمن أتباعه بأنه يمكن التخلص من الصفات الوراثية غير المرغوب فيها ، بطريقة منظمة ، خارج مجموعة الجينات البشرية . وكان ضمن المتحمسين لذلك العلم الزائف مجموعة من البيوجينيين الأمريكيين الذين اعتقدوا أنه يمكن تربية بني البشر كما تربى خيول السباق ، وكان من ضمنهم أيضا البيوجينيون الألمان الذين قدموا نصائح علمية لقادة «الرايخ الثالث» النازيين ، وتمثلت في تعليمات محددة لتطهير «الجنس البشري» عن طريق إبادة أجناس بأكملها ، والتزاوج الاختياري .

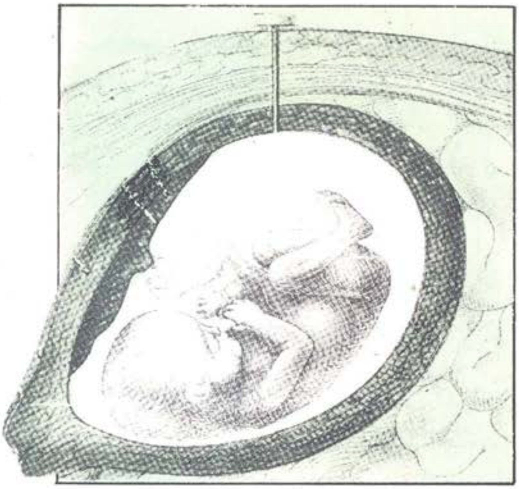
لكن الحقيقة أنه ليس هناك أي عالم جينات يتحدث اليوم عن خلق جنس ممتاز متفوق ، فالعلماء اليوم حريصون على الإشارة إلى هدف تجارب «العلاج الجيني» وهو شفاء الأمراض الوراثية ، وتخفيض الآلام البشرية وليس خلق بشر من نوع «السوبرمان» . لكن ماذا لو أراد الناس استخدام التقنية المكتسبة لتحسين جينات ليست معيبة ؟

وهل تستخدم «الهندسة الوراثية» كجراحة تجميل في القرن الواحد والعشرين ؟

وهل يتم بذلك التمييز ضد الأطفال الذين لم يتم «تعديل» جيناتهم ؟

أسئلة تعتمد إجاباتها على كيفية استخدام بني البشر لمكتشفات «الهندسة الوراثية» ، وبالتالي ـ إلى حد كبير ـ على القوانين الصادرة التي تنظم «الهندسة الوراثية» واستخداماتها .

وعلينا أن نقول هنا : إنه بنظرتنا الحالية إلى التقدم العلمي ـ فستكون إمكانية العلاج الجيني محددة في المستقبل القريب ، ذلك أنه إذا ما تم



● من سيحمي الجنين المتشوه ؟

نقل جينات إلى خلايا نسيجية ـ خلايا نخاع العظام على سبيل المثال ـ فستموت هذه الجينات المعدلة مع موت حاملها المريض ، ومعنى ذلك أنها لن تورث لأطفال المريض بعد إجراء العملية . على أنه في المستقبل البعيد قد يصبح في الإمكان تغيير الجينات فى الخلايا الجينية التى تنتج البويضات أو الحيوانات المنوية . وإذا ما نجح هذا ، أمكن أن تنتقل الجينات الجديدة ، وتورث .

لكن هذا هو بالضبط ما يخيف أعداء الهندسة الجينية ، ذلك أنه إذا تمكن علماء البيولوجيا من تغيير المسار الوراثي ، فإنهم بذلك يمسكون بين أيديهم مصير بني البشر ، وهذا ما لا يوافق عليه رجال الدين والقانون ، ويقف ضده كثيرون من المشتغلين بالقضايا العامة .

لكن علينا أن نذكر للحقيقة أنه ليس هناك علماء وراثيات يخططون في الوقت الحاضر لنقل جينات إلى خلايا جينية بشرية . وعلى الرغم من أن العلماء قد لعبوا دورا منذ القديم في تحسين المحاصيل وحيوانات المزرعة ، بالبحوث في مجال الوراثة ، لمواجهة الاحتياجات الإنسانية ، فإن العلماء لم ينادوا بأن تمتد بحوث الجينات إلى

بني البشر . ويقول العلماء : إن عليهم التزاما بحماية الإنسانية من الأمراض والآفات ، متى أصبح في إمكانهم القضاء على أحد الجينات التي تسبب خللا مميتا ، حتى يتم أيضا منع انتقاله إلى الأجيال التالية .

كان مشروع «الجينوم البشري» بالولايات المتحدة ، واحداً من أوائل مشروعات الجينات . يقول مديره ، الدكتور جيمس واطسون : إن بحوث المشروع لها مهمة إنسانية أساس ، هدفها ليس الحصول على معلومات جينية في حد ذاتها ، وإنما هدفهم منها تحسين الحياة من خلال المعلومات الجينية .

ويرى معظم العاملين في مثل تلك المشروعات ضرورة وجود قواعد تنظم تلك المشروعات والبحوث الجينية . ويتفق كثير من علماء الجينات والوراثيات وعلماء الأخلاق ، على مبادىء أساس :

* يجب ألا يطلب أي إنسان الخضوع لاختبارات جينية ضد مشيئته .

* تستخدم معلومات «التكوين الجيني» لأي شخص لمعلوماته الخاصة فقط ، وليس لإلحاق الأذى به أو لإذاعتها أو لتقديمها لجهات أخرى دون علمه .

* يجب أن تستخدم «الهندسة الوراثية» البشرية لعلاج الأمراض ، وذلك من خلال عملية «التوحيد الجيني» .

المعرفة قوة وخطر !

إن المعرفة قوة ، لكنها في حالتنا هذه «قوة خطرة» . يقول الدكتور موري عالم الوراثيات بجامعة كيس ويسترن :

أؤمن إيمانا عميقا بأن أحكام الناس ليست دائما صائبة ، لكننا ـ في نهاية الأمر ـ سنحافظ على قدر معقول من المعاملة الطيبة والعدالة . وإذا كانت البشرية قد هضمت حقوق كوبرنيكوس ، وجاليليو ، وداروين ، وفرويد ، واستوعبت اكتشافاتهم ، فلا شك أنها ستهضم حق «خريطة الجينوم البشري» .

لقد انطلق مارد «الهندسة البشرية» من القمقم ، كما انطلق قبله مارد «الطاقة الذرية» . وإذا كانت البشرية قد أخذت درسا من استخدامها الشرير للطاقة الذرية ، فالذي نرجوه أن تضع الآن على عاتقها مهمة تسيير القوة الجديدة في قنوات تؤدي إلى إنقاذ الأرواح ، والحفاظ على الميراث الجيني الغني للبشرية . □

الـدين أولا



● فردريك الكبير
ملك بروسيا

● أراد ملك بروسيا فردريك الكبير أن يكافىء أحد قواده البواسل ، فاستدعاه ، ووضع أمامه على منضدة وساما وكيسا مملوءا ذهبا وقال له :

خذ واحدة من هاتين الجائزتين .

فأخذ القائد كيس المال دون أدنى تردد .

فقال الملك : يظهر أنك لا تكترث للشرف لأنك فضلت المال على الوسام . فأجاب القائد الأبيّ : عليّ دين يقتضي شرفي أن أفيه قبل كل شيء ، أما الوسام فإنني أسعى إلى اكتسابه في المعركة القادمة .

قصّة قصيرة

حديث رجل يُحبّ الوطن..!

بقلم : محمد صوف

الحقيبة البنية أعدتها الخادمة ، وكنت قد أعطيتها التعليمات اللازمة لترتيب البذلات وربطات العنق والأقمصة والملابس الداخلية والعطر ومواد الحلاقة والتجميل . الحقيبة السوداء أعددتها أنا ، حرصت على إعدادها بنفسي ، منحتها جزءا من راحتي . عانيت السهر عن رضا وطواعية من أجلها . وأنا أخرج في الصباح ، تركت للسائق مهمة حمل الحقيبة البنية ، وحرصت على أن تبقى معي الحقيبة السوداء ، منحتها راحتي ونومي .

تركتها تجثم على ركبتي ، ألقي عليها بين الحين والآخر نظرة ، يختلط فيها العطف بالحنان بالحب ، دعوني أحدثكم عن الحب الذي أحمله لهذه الحقيبة . يقال : « الله لايطيح حبك على حجرة » (*) أما الحقيبة السوداء فهي أجدر بالحب . في سهري أفكر فيها، وفي غفوتي أحلم بها . حرصت على أن تكون من الجلد الممتاز ، وحرصت أكثر على الاعتناء بها بنفسي ، فلا أحد يفتحها غيري . كل من في المكتب يعرف ذلك . سمعت مرة أحد الموظفين يقول عنها الحقيبة المقدسة . لو يعلم الغبي أنها مقدسة فعلا لما أطلق ملاحظته الساخرة . مقدسة . لقد أفلح المعتوه في نعتها . قالت أخرى يبدو أنها عاشقة أو معشوقة أو قرأت حكايات الغرام الشهيرة: بأنني مجنون الحقيبة السوداء . لا حرج عليها ، لأنها لا تعلم ، لو علمت لعشقتها هي أيضا .

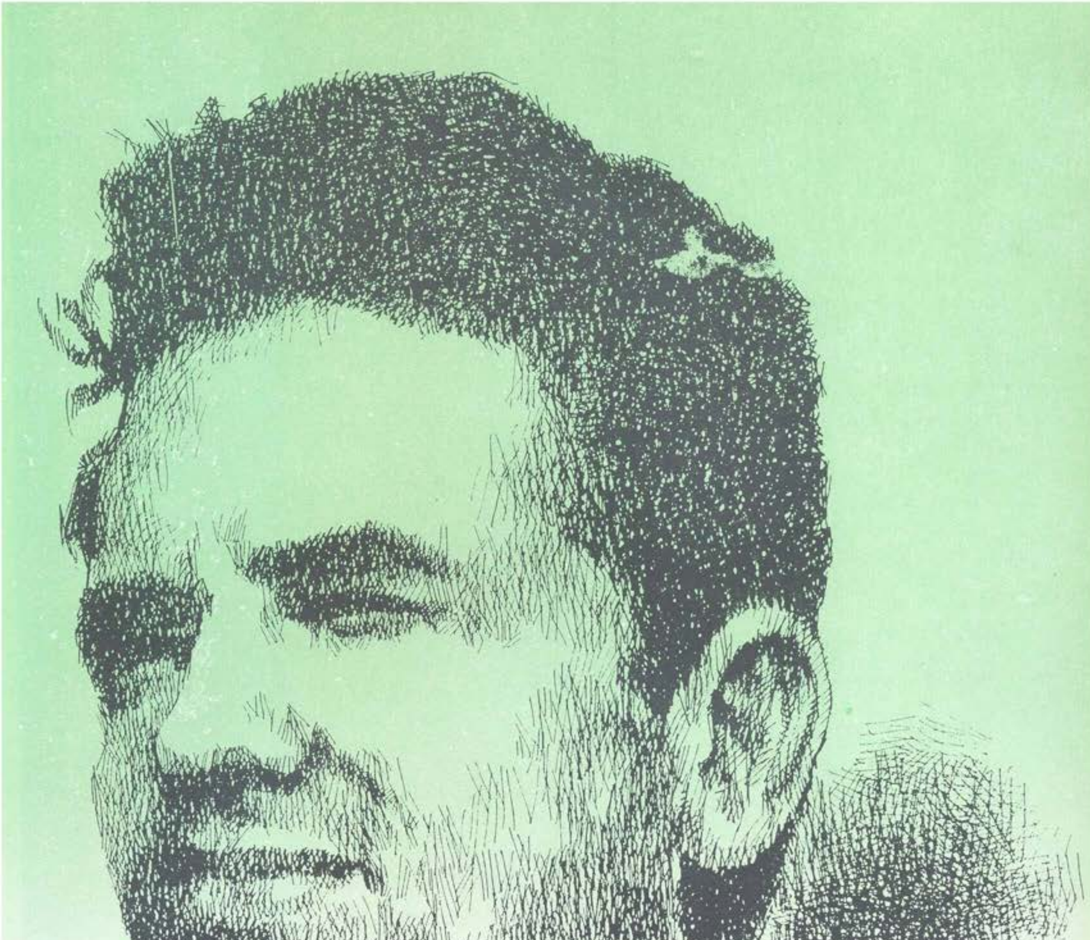
قلت : إنها إذن ترتاح على ركبتي ، ولعلّ السائق ، في هذه اللحظة يتساءل عن سرها . من حقي أن أحب حقيبتي ، ولا يوجد فصل واحد في القانون يمنع عشق حقيبة . وأنا أكثر من متأكد أنهم سيسقطون تباعا صرعى حبها التتري لو عرفوا قيمتها ، لو عاشروها ، لو فتحت لهم صدرها . لكن هذا لن يحدث .

السائق يبتسم ، لعله لاحظ أنني أكلم نفسي ، أو لعله رأى الرقة التي أتعامل بها معها . سيعتقد بدوره أنني مجنون ، فليبعث ما يبدو له .

توقف السيارة . يفتح السائق بابها وأنزل ، وحقيبتي السوداء في يدي . لقد قلت لكم : إنها لن تفارقني أبدا . يفتح خزانة السيارة الخلفية ، يخرج الحقيبة البنية ويحملها إلى داخل المطار .

كم هي متعبة هذه الصحافة . وهؤلاء الصحفيون . هاهم يترصدون خطواتي بآلاتهم ، وأجهزتهم ومعداتهم . يتسارعون نحوي ، أبتسم لهم . يتقدم أحدهم مني بآلة تسجيل ، ويطرح علي سؤالا ، ثم آخر ، ثم آخر . آلة التصوير تدور وأنا أرد . الأسئلة

(*) عبارة تتردد في المغرب تعنى « حفظك الله من حب من لا يستحق الحب »


نصر الدين



نفسها تطرح ، الأجوبة نفسها تكررها الصورة ، ويرددها الصوت عبر لاقط الصوت « الميكرفون » وتظهرها الصحف في صفحاتها الأولى في اليوم التالي .

أهم من هؤلاء كلهم الحقيبة .

هل أقول إني أكذب عليهم ، وأن الدافع الرئيس لسفري هو هذه الحقيبة الجميلة ؟ سيبتسمون ، وسيعقب أحدهم ببلادة أو بخبث : بالتأكيد ففيها كل شيء . أعتقد أنهم يعرفون أنني أكذب . وأنا أعرف أنني أكذب . ومن سيشاهد الخبر يعرف أنني أكذب ، ومن سيقرؤه يعرف أنني أكذب . وتأخذ الكذبة طريقها متنكرة في زي ، أوه ، لا داعي للخوض في حديث لايسمن ولا يغني عن حقيبة سوداء جميلة جذابة .

أعطي للسائق أوراقي كلها ، جواز السفر ، تذكرة السفر ، كل شيء ، ليقوم بإجراءات الجمارك ، إلا الحقيبة السوداء . يتسارع نحوي مسؤولو المطار ، ويقودونني بحفاوة واحترام كبيرين إلى قاعة الشرف . بالتأكيد ، فأنا كما تعلمون لا أنتظر دوري في طابور ، وأنا كما تعلمون أول من يصعد الطائرة . وأنا كما تعلمون صاحب امتيازات لاتعرفون منها إلا النزر اليسير . تفتح القاعة ، ويسارعون إلى إحضار ما أطلب من مرطبات ، يتطوع أحدهم بحمل حقيبتي السوداء ، فأكاد أنقض عليه . يعتذر بابتسامة مرتبكة . عندما يختلي بنفسه سيعاد المشهد أمام عينيه وستدور في رأسه أفكار ما . فلتدر ، أنا مجنون الحقيبة السوداء . يعود السائق بعد أن هيأ كل الترتيبات ، يودعني ، يتمنى لي السلامة والتوفيق .

تنطلق الطائرة مخترقة الفضاء ، وأقلب جريدة تقول صفحتها الأولى : إن أحد رؤساء العالم قرر أن يقوم بحرب شعواء على مهربي المخدرات . هو يعرف أن ما يقوله ادعاء . أنا أعرف ذلك أيضا . كيس واحد أبيض في حجم الكف يجلب أكداسا من الأوراق الخضراء . أين تذهب الأوراق الخضراء ؟ ألا تدخل المصارف ؟ وماذا تعمل بها المصارف ؟ ألا تساهم بها في تنمية المشاريع الاقتصادية النبيلة ؟

أتحسس حقيبتي السوداء الجميلة الساحرة . قبل دقائق تقدمت مني المضيفة الجميلة ، جميلة هي بالتأكيد ، لكنها أقل جمالا من حقيبتي ، واقترحت علي أن تضعها في الخزانة الموجودة فوق رأسي ، رفضت مبتسما ، وابتسمت رافضا ، ولم تلح . أقرأ الجريدة ، وأتحسس حقيبتي ، أتفحصها لقتل الوقت فقط . ثم لم لا أقتل الوقت بالتفكير في جميلتي الرابضة على ركبتي ، لم أقتله بقراءة هذه التفاهات ؟ نعم ، فكرة رائعة . هاهي الطائرة تنحدر نحو المطار الآخر دون أن أشعر بالوقت .

أنزل ، أتقدم نحو السلطات ، وأرى صديقي يلوح لي بيده ، أحييه ، فيتقدم نحوي بعد أن تحدث إلى الموظف هناك ، وحرك الموظف رأسه موافقا ، ثم تبادلا عبارات . وهاهو يقبل نحوي ضاحكا ، أصافحه ، أعطيه أوراقي لتنفيذ الإجراءات ، ويذهب إلى قاعة الشرف ، يطلب لي مشروبا . تمر لحظات نتبادل خلالها الحديث عن الطقس وعن الحالة العائلية . يدخل شخص يتقدم نحو صديقي في أدب جم ، ويطلب مني الحقيبة السوداء الجميلة ، أكاد أرفض ، يضحك صديقي معاتبا الإجراءات التي لم تعد تفصل بين ذوي المقام

الرفيع والحثالات التي يحفل بها العالم . أشعر بقلبي ينفطر ، وبرأسي يدور ، ولم أجد بدا من اعطائه الحقيبة الفاتنة . يتسلمها الموظف ويقول : إنه سيعود بها بعد لحظة .

كم أتمنى أن يعود بها بعد لحظة .

يتحدث صديقي كثيرا ، يقول أشياء لا أعي منها شيئا . ألم أقل لكم إنني مجنون الحقيبة السوداء ؟ لن يعود إليّ وعيي إلا بعودتها ، ويعود الموظف دون الحقيبة . أتمسك بأعصابي ، تحاول الافلات مني ، ولكنني أتمسك بها . يقترب من صديقي ويهمس في أذنه . يلتفت نحوي الصديق ، ويطلب مني أن أسمح له بالغياب لحظة ، إذن هي الواقعة .

انتظروا أنا أعلم ، انني أعلم ما أنتظر . ويعود صديقي وحده ، ويتأسف عن غيابه ، ثم يهمس بدوره بكلام كنت أنتظره . يقول كل شيء بهدوء وبسلطة . يدخل في حديث أخلاقي طويل ، لعله ينسى أنه يكلم مثقفا كبيرا غير محتاج لدروس من هذا النوع . ثم يفضي إلي بقرار رؤسائه الذين ما إن علموا بالخبر حتى رفضوا استقبالي ، وأمروا بابلاغ رؤسائي عن طريق البرق . رفضوا أيضا دخولي إلى بلدهم . وقالوا : إن احترامهم لعلاقات معينة سيجعلهم يكتفون بطردي من بلدهم .

يعتذر الصديق لأنهم كلفوه بتنفيذ إجراءات عودتي فورا ، وينصرف . أنتظر هناك وكلي غليان في غليان . إنها الواقعة .

حقيبتي الجميلة السوداء الفاتنة ذهبت إلى غير رجعة . تعود فقط الحقيبة البنية ، وأمتطي طائرة تأخذ الاتجاه المعاكس .

في المطار تنفذ الإجراءات ، وأجد السائق بانتظاري . أخبروه إذن . يحمد الله على سلامتي ويحمل الحقيبة البنية . أصل إلى البيت ، تستقبلني الخادمة ، تحمد الله على سلامتي ، تتولى مهمة حمل الحقيبة البنية ، ولا تسألني عن السوداء لعلها تتعمد ذلك . ثم أتلقى خبرا مفاده أن رئيسي يريد رؤيتي فورا . أرتجف قليلا وأذهب إليه .

يستقبلني بشوق ، ويأخذني إلى قاعة الاستقبال ، ويعطي أوامر أدرك عند تنفيذها أن رجال الإعلام قادمون يحملون آلاتهم وأقلامهم . يهمس في أذني : مبروك .

يقول رئيسي : كافأناك لأنك تستحق المكافأة . أبتسم ، وأضحك ، يعانقني . تلتقط الصحافة لنا صورا . وأفكر في اقتناء حقيبة جلدية سوداء جديدة □

ممن تعلمت الحلم ؟

● قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟

فقال : من قيس بن قيس بن عاصم ؛ كنا نختلف إليه في الحلم ، كما يختلف إلى الفقهاء في الفقه ، ولقد حضرت عنده يوما وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه ، فجاءوا به مكتوفا ، فقال : ذعرتم أخي ، أطلقوه ، واحملوا إلى أم ولدي ديته ، فإنها ليست من قومنا ، ثم أنشأ يقول :

أقول للنفس تصبيرا وتعزية
إحدى يديّ أصابتني ولم ترد
كلاهما خُلُفٌ عن فَقْدِ صاحبه
هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي



أرقام

بقلم : محمود المراغي

الفلسطينيّون

الفلسطينيون هم الخبر اليومي في الصحف والإذاعات ووكالات الأنباء ، ومع ذلك فإن صورتهم لاتكتمل ولا تتضح دون قراءة الأرقام التي تزداد أهميتها ونحن نتحدث عن الدولة .

الفلسطينيون يزيدون على خمسة ملايين نسمة ؛ أي أنهم يفوقون « إسرائيل » عددا ، لكن السؤال : أين توجد هذه الملايين ؟ كيف يعيشون ؟ ماهو نشاطهم الاقتصادي ؟ إلى آخر علامات الاستفهام التي ترسم الملامح الأساس لشعب من الشعوب .

في محاولة للإجابة ، واستنادا لأرقام الجامعة العربية ، يصدمنا الواقع .

الشتات : ذلك هو مايعرفه الفلسطينيون جيداً ، وتبرزه الأرقام بوضوح ؛ فإن ٣٩٪ يعيشون على الأرض الفلسطينية المحتلة ، بينما تعيش الأغلبية خارج الحدود ، ابتداء من نقاط التماس في الأردن ولبنان ، وامتدادا إلى بلاد الغربة في الولايات المتحدة أو أمريكا اللاتينية أو أوربا واستراليا .

هم شعب الشتات ، في الداخل والخارج ، ولأنهم كذلك فإن توزيع تجمعاتهم يأتي على غير المألوف - إن ربع الفلسطينيين - أو أكثر قليلا - يعيشون في الأردن الذي يضم أكبر تجمع فلسطيني ، ويليه التجمعات الثلاثة :

سكان الضفة الغربية (١٧,٤٪) ، وسكان الأرض المحتلة عام ١٩٤٨م من الفلسطينين (١١,٨٪) ، وسكان غزة (٩,٨٪) والرقم الأخير يقترب من عدد الفلسطينيين في جنوب لبنان .

وتشير الأرقام إلى أن أكبر الأقطار العربية استيعابا للفلسطينيين - بعد الأردن ولبنان - هو الكويت ، كما تشير إلى أن مجموع ما تستوعبه الأقطار العربية يقترب من ٥٥ ٪ من الشعب الفلسطيني .

والأرقام على هذا النحو تثير الأسى عند القارىء العربي ، لكنها عند « الاسرائيليين » تثير الفزع ، فعلى الرغم من كل محاولات التهجير للفلسطينيين التي نجحت جزئيا فإن ما بقي على الأرض يثير المخاوف لديهم .

في هذا العام - ١٩٩٠ - تذهب التوقعات إلى أن عرب الضفة والقطاع سوف يمثلون ٣٩٪ من السكان فوق الأرض الفلسطينية . ولكن . وبعد عشرين عاما ، فإن النسبة تقفز إلى (٥٠٪) ، وبما يعني - بإضافة الفلسطينيين في الأرض التي احتلت ١٩٤٨ - أن العنصر الفلسطيني سوف يكون أغلبية السكان في القرن القادم ، وربما يهدد كيان « اسرائيل » .

هذه الحياة

لا تستطيع « اسرائيل » أن تمنع الإنجاب - ونسبته عالية بين الفلسطينيين - لكنها تستطيع أن تمارس كل أنواع القهر ، والضغط الاقتصادي ، لتدفع أعداداً متزايدة إلى الخارج ، أو لتجعل لهذا التفوق السكاني أهمية اقتصادية وسياسية أقل .

داخل الأرض المحتلة (١٩٤٨) ، وطوال سنين الاحتلال أصبح التراجع سمة للاقتصاد الفلسطيني : فالأرض الزراعية التي يملكها فلسطينيون أصبحت أقل ، والأرض التي تتمتع

بالري المنتظم صارت تنكمش ، والتقنية الحديثة لليهود أولا . لذا ، وفي عام ١٩٥٥ كان نصف العمالة الفلسطينية - تقريبا - يعمل في الزراعة ، فأصبحت النسبة عام ١٩٨٦ (٨,٣٪) فقط لاغير ! وفي العام نفسه فاقت نسبة البطالة بين الفلسطينيين (١٢٪) ، بينما كانت النسبة بين اليهود نصف ذلك .

ومن الرزق ولقمة العيش يمتد الحصار إلى مجال الخدمات التي يتمتع بها الفلسطيني ، فعلى الرغم من حسبانه عند الكيان الصهيوني مواطنا « اسرائيليا » ، فإنه عند توزيع الخدمات يختلف الأمر .

مثال ذلك ، المزايا التي يجري منحها في قطاع الإسكان وتساعد في الحصول على وحدة سكنية . هذه المزايا لاتشمل الفلسطينيين ، والسبب أن القانون قد نص على أن المزايا تمنح لمن أنهى الخدمة العسكرية الإلزامية ، وبالطبع فإن الفلسطيني خارج هذه الدائرة .

مثال آخر : التعليم ، ففي عام ١٩٨٦ لم يكن هناك أكثر من ٥٨٢ طالبا في التعليم الجامعي ونصف الجامعي . وبين عام ١٩٤٨ و ١٩٦٤ لم يتخرج في كليات الطب أكثر من عشرة فلسطينيين . حتى بداية السلم - وهي روضة الأطفال - لا تستوعب أكثر من (١٠٪) من أطفال الفلسطينيين ، بينما ترتفع النسبة إلى أكثر من (٩٠٪) عند اليهود !

الحصار على جميع الجهات ، والفلسطينيون يردون من خلال تمسكهم بالمدارس العربية التي تستوعب ٩٢٪ من تلاميذهم .

الدولة

زاد عمر الاحتلال في معظم الأرض الفلسطينية على أربعين عاما ، واقترب في الضفة والقطاع من ربع قرن . فما هي أحوال السكان في غزة والضفة الغربية ؟

تقول الأرقام : إن الاحتلال الصهيوني قد استولى ، حتى عام ١٩٨٥ ، على نصف أراضي الضفة الغربية ، و (٤٠٪) من أراضي غزة ، و (٩٥,٥٪) من مخزون المياه ، حتى بات معدل استهلاك الفرد من المياه في الضفة الغربية ، طبقا للتقرير الاقتصادي العربي الموحد ، أربعة أمتار مكعبة في العام ، في مقابل تسعين مترا في المستوطنات « الاسرائيلية » .

الفارق شاسع ، لذلك فإن نسبة نمو الناتج المحلي في الضفة الغربية وقطاع غزة تأتي - إذا راعينا التضخم - بالسالب ، أي أن الدخل يتناقص تقريبا عاما بعد عام ، والمشتغلون في الزراعة والقطاعات السلعية يقلون عددا ، وطابع النشاط الصناعي حرفي في الأساس ، والخدمات تسير على الوتيرة نفسها فعدد الأسرة في المستشفيات يقل ، والأمراض تزيد ، وفرص التعليم تتراجع ، وثلث السكان يعيشون في مساكن الغرفة الواحدة ، بينما يعيش نصف السكان في مسكن من غرفتين فقط !

في هذه الظروف يصبح طبيعيا أن تلعب « اسرائيل » لعبتها .

فالاقتصاد الفلسطيني ينبغي أن لا يكون إنتاجيا ، لكن التجارة والخدمات تحتلان المكان الأول ، وقد أصبحت التجارة الخارجية هي أهم مكونات الدخل ، وأصبح العميل الأول : « اسرائيل » وتسجل أرقام ١٩٨٦ - قبل الانتفاضة - أن ٨٩٪ من واردات الضفة والقطاع قادمة من تل أبيب ، بينما تتجه ٧٣٪ من الصادرات إلى « اسرائيل » أيضا !

على الجانب الآخر جاء ضرب الاقتصاد الفلسطيني لحساب « اسرائيل » التي حصلت دائما على يد عاملة رخيصة ، ليس لها حقوق عمالية في معظم الأحوال . وبين (٢٦١) ألف مشتغل فلسطيني في الضفة والقطاع عام ١٩٨٦ اتجه (٩٥) ألفاً للعمل داخل الكيان الصهيوني .

الآن ننتظر ميلاد الدولة ، والآن ننتظر الأرقام الجديدة التي خلقتها الانتفاضة ، والتي تشير إلى أن عملية فض الاشتباك بين الاقتصاد الفلسطيني والاقتصاد الصهيوني مقدمة أساس للاستقلال ، وعلى الدرجة نفسها من الأهمية : مساندة الاقتصاد الفلسطيني ، وهي مهمة عربية ، ومهمة الفلسطينيين خارج الحدود . □

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

مارس ١٩٩٠م

الرأسمالية تجدد نفسها

تأليف

الدكتور فؤاد مرسي

٥٠٠ فلس

الكتاب ١٤٧

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت



جورج شحادة

الشعر والبراءة والمسرح الكبير

بقلم : الدكتور نديم معلا محمد*

لا يمكن للمرء إلا أن يدهش وهو يرى قامة هذا الشاعر اللبناني ، وهي تنتصب ، وسط حشد كبير من الكتاب المسرحيين الكبار الذين أسسوا التيار المسرحي الطليعي الذي ما زال تأثيره قائما حتى اليوم . فمن هو هذا الشاعر ؟ وما أهم أعماله ؟

وقف جورج شحادة جنبا إلى جنب ، مع يونيسكو ، وبيكيت ، وجان جينيه ، وآداموف ، وجان فوتيه ، أولئك الذين صنعوا ما سمي المسرح الطليعي . عزف شحادة لحنا عذبا شفافا ، جميلا ، نثر الشرق في كل زاوية ، وأطلق صوتا نادرا ، لا يشبهه صوت ، تتوحد فيه البراءة الناعمة بالطفولة المفجعة حينا والأسرة الفاتنة حينا آخر .

بين العبث والأمل في الإنسان

تشرّب شحادة الثقافة الفرنسية وأدرك سر لغتها ، لكنه بالمقابل ـ وكما قال المخرج المسرحي الشهير جان لوي بارو ـ سيد من أسياد اللغة الفرنسية . خلع على الكلمات وشاحا سحريا ، فجر فيها الصورة والإطار ، ترك الحلم يمتزج بالهواء ، وأخرج الضحكة من قلب

* كاتب من القطر العربي السوري .

الغرابة ، وفتح أعيننا على قسوة الحياة ، ولم يتوقف عن البحث ، عن الحقيقة والبراءة والشباب ، كما قال الناقد الأمريكي ليونارد برونكو ، في كتابه « مسرح الطليعة » . وعلى الرغم من أن شحادة أقرب إلى العبثيين ، باتساع مساحة الحلم وتقوض المنطق ، فإنه لا يغلق النوافذ والأبواب أمام الإنسان ، بل ثمة قبس ، ثمة ضوء يكسر أمواج العتمة . ويذهب برونكو إلى القول : « إن شحادة يقودنا إلى جنة عدن ، ويتيح لنا أن نلقي نظرة على ما في داخلها » .

ولعله يريد أن يقول : إن مسرح شحادة ليس نفقا مظلما .

إن شخصياته لا تتحلل من واقعها ، ولا تبدو على قطيعة معه ، أو متنافرة معه .

أولى مسرحياته

في مسرحية « السيد بوبل » وهي أولى مسرحياته (١٩٥١) يرسم الكاتب شخصية غريبة ، شخصية لغزا ، يملك بوبل لمسة ساحرة ، تبعث الحياة في الطبيعة ، والإنسان على حد سواء . كأنه يلقي الضوء في كل الاتجاهات ، كأنه يتسلل إلى القاع ، إلى الداخل ، فيزيح الملوث ويبسط الصفاء . دخل قرية باولا سكالا ، وهو المسافر الغريب ، فحرك كل شيء فيها . « آثرت أن أقيم إذعانا للواجب ، وطلبا للمرح والدعابة ، ورغبة في الصلاة » . قد لا يستطيع أبناء القرية تفسير سلوك بوبل ، وقد تبدو كلماته سلسلة متصلة من الألغاز التي تستعصي على عقولهم ، بل قد يبدو هو وكأنه حط رحاله تواً وجاء من قارة أخرى ، أو عالم آخر . ثمة حقيقة ساطعة بالنسبة لسكان باولا سكالا ، وهي أنه طيب ، نقي ، طفل في إهاب رجل .

السفر ، تلك النغمة الشجية العذبة القلقة في آن واحد ، تخترق مسرحيات شحادة ، تبدد السكون ، تؤجج نار الرغبة باكتشاف الأماكن القصية المجهولة التي تتحطم على صخورها السفن .

لقد تعلقت قلوب القرويين ببوبل المسافر ، وراحوا ينتظرون عودته مع كل فجر . لكن نهاية السفر موت ! كأن بوبل يفرغ ما في كيسه من مرح وشعر ودعابة ، ثم يرحل إلى مكان آخر ، ليضع رأسه على وسادة الموت ، بعد أن يكون قد خفف قسوة الحياة ، وجعل الإيمان بوجود الربيع ممكنا .

الرحيل ومهاجر بريسبان

وفي مسرحية « الرحيل » يستبد الحنين إلى السفر بالشاب كريستوفر ، فيدفعه هذا الحنين إلى التنكر بملابس البحار ، وتنكر وتقمص شخصيته ، ثم تحمل - ودون أن يدري - مسؤولية جريمته . وفي المحكمة يعلن أنه سوف يتحمل ما اقترفته يدا البحار .

لم يغادر كريستوفر بلدته إلا في الحلم ، إلا أن الحلم أقوى من الواقع . أليس السفر محركا للشخصية ، ودافعا لها باتجاه الفعل ؟

في « مهاجر بريسبان » (١٩٦٥) يستيقظ سكان القرية على مشهد غريب :

- رجل ملقى في الساحة ، وثروة طائلة تستقر في جيب ولد ، تثبت علاقة أمه بهذا الرجل الغريب .

وهكذا يلقي شحادة القنبلة في قلب القرية الهادئة ، وهكذا أيضا ، وبالقدر نفسه تشتعل النار ، نار الشرف ، ونار الثروة . يخلخل الغريب بنية القرية ، وتخرج إلى العلانية ، كل الأشياء ، تقف كلها على السطح : الفقر والحب والشرف والصبر .

الثروة إذن في مواجهة القيم كلها . الثروة تهزم البراءة ، إلا أن البراءة تحلق في الغابة (عبر شخصية آنّا) . ويشير الكاتب إلى مرورها العابر في سماء القرية ، خارج نسيج البنية الدرامية .

شيء يشبه الخرافة الرائعة ، واقع عجيب ليس أكثر من حلم ، إلا أنه يزلزل كل شيء : يا للحوذي الذي حمل المهاجر والمال ورماه في ليلة مقمرة في ساحة قرية مجهولة ، فإذا كل ما بدا متماسكا قوياً يتداعى ، كاشفا عن هشاشته الداخلية .

الغريب إذن لغز ، ووجوده العابر يتغلغل في النفس ، يلقي ظله على الطبيعة ، كما يلقيه على الإنسان ، ونهاية الرحلة موت لا يشبه الموت .

وإذا كان الكاتب لا يرغب في تحديد فضاء مسرحياته ، أو بعبارة أدق تأطيره ، فإنه في « البنفسج » (١٩٦٠) يحيل الفندق إلى مكان مسرحي مغلق ، تلتقي فيه شخصيات ، ليست غريبة فحسب ، وإنما مخيفة ، سيدة تزعم أنها أحدثت ثورة في الحساب إذ تقول : إن ٦ + ٦ تساوي ٦٦ !

في الفندق فتاة جميلة ، ابنة أخي صاحبة الفندق ، تملأ حياتها بالحب والهدوء . يأتي من يخرق التوازن السائد ، يأتي العالم كوفمان الذي يعتزل في عالمه الخاص ، ويتفرغ لإجراء التجارب على البنفسج . يتحول البنفسج الذي يتضوع عطرا ، على يديه ، إلى قنبلة .

الحب مهدد بالفناء والدمار . قد يأتي على كل ما هو رقيق وعذب .

البنفسج رمز البراءة الإنسانية ، والحب هو الذي يحمي هذه البراءة ، ولا يريد شحادة أن يكون البنفسج موتا وخرابا ، لذلك تشق الفتاة الجميلة دربها إلى قلب العالم كوفمان ، ويهرب العاشقان إلى فضاء يزهر فيه البنفسج .

يدخل كوفمان الغريب المكان ، فيحدث فيه انقساما ، ولا يرحل الغريب هذه المرة حاملا سره ولغزه ، ولا يموت على مشارف القرية أو في ساحتها ، أو في مكان آخر بعيد ، بل يمضي محطما المكان السجن إلى مكان تتموه فيه البراءة بالبنفسج .

البراءة هنا بنفسج ، وفي « مهاجر بريسبان » تتجسد في الطفلة آنّا ، وفي كلتا المسرحيتين تحلق في أجواء المكان ، ويدخل البنفسج هنا في تركيب البنية الدرامية ، بل إنه مركز ثقلها ، أما في « مهاجر بريسبان » فيحلق طيف الفتاة كعصفور ، في جناحيه يحمل الضوء .

البراءة ضوء والطفولة ضوء ، والحلم أقوى حضورا من الواقع .

وجورج شحادة ، لا ينفك يعيد صوغ الحوار العادي ، بلغة لا يفارقها الشعر

في كل مرة يمسك خيطاً درامياً لا ينقطع ، ألا وهو إيقاظ تلك الرغبة الدفينة في الإنسان ،

جورج شحادة

بطاقة :

* ١٩١٠ - ولد في الاسكندرية من أسرة لبنانية
* ١٩٣٠ - سافر إلى باريس حيث التقى الشاعر سان جون بيرس الذي نشر له بعض قصائده .
* ١٩٥١ - استقر في باريس وقدم له مسرح هوشيت مسرحية « السيد بوبل » .
* ١٩٥٤ - قدم له المخرج جان لوي بارو مسرحيته الثانية « أمسية الأمثال » .
* ١٩٥٦ - تم اللقاء الثاني بين بارو وشحادة في مسرحية « حكاية فاسكو » .
* ١٩٦١ - حدث اللقاء الثالث بين الكاتب والمخرج في مسرحية « سهرة الأنس » .
* ١٩٦٥ - مسرحية « مهاجر بريسبان » تعرض في ميونخ من اخراج كويت ميزل .
* ١٩٧٢ - نشرت سلسلة المسرح العالمي الكويتية ترجمة لأعماله المختارة وهي « السيد بوبل » « وحكاية فاسكو » ثم « مهاجر بريسبان » « البنفسج » ، قدم وترجم لهذه الأعمال الشاعر أدونيس .
* ١٩٨٩ - توفي في باريس .

استعادة طفولة مضت « أحب صخب الأطفال وعنادهم حتى يخف اضطرابهم » هكذا يردد السيد بوبل .

وعندما يموت فاسكو ، ولا يغدو بطلا كما أراد له القائد ، يصفه الضابط العدو قائلا : « له نظرة طفل وديع ، يرتعب من الذئب ، وهو مع سلته ومظلته قد اتخذ مكانه في حيز البراءة » .

الباحث المسافر دائماً

الإنسان ، في مسرح جورج شحادة ، يكافح ضد الحياة نفسها ، يتقصى دائما مثلا أعلى أفلت منه . الماضي يشده إليه ، بيد أنه ليس سجينا فيه ، لذلك فهو الباحث دائما ، المسافر دائما .

صحيح أن عالم شحادة مغلف بالأساطير والخرافات ، لكن الصحيح أيضا أنك تشعر بالخرافة والأسطورة وقد تحولت شعرا محسوسا ، يشي بالعادي واليومي . ليست الكائنات عنده متصارعة ، وإنما متآلفة ، ثمة رابط ، أو ناظم خفي ، يربط بينها (البراءة ـ الطفولة ـ المثل الأعلى) ، في كل مرة يقتحم غريب قرية أو مكانا ما ، ويمزق سكونه (مهاجر بريسبان ، السيد بوبل ، كوفمان) ، لكنه لا يدخل في صراع معه ، إذ ليس في مسرح شحادة صراع درامي تقليدي ، وقد تختلف الآراء والأهواء وتتنافر الرغبات ، إلا أنها لا تتصادم ، والصراع الدرامي في أبسط تعريف له : صدام بين قوتين .

تبحث في مسرح شحادة ، عن الأفكار والموضوعات وتجلياتها ، فلا تعثر إلا على صور ، وأحلام ، ورؤى تقترب من الخرافة . إنه لا يبشر بايديولوجيا ، ولا يروج لثقافة محددة أو لتيار محدد . ابحث في تضاعيف أعماله عن الثابت الراسخ ، غير القابل للنقض ، فلن تجد شيئا من هذا القبيل .

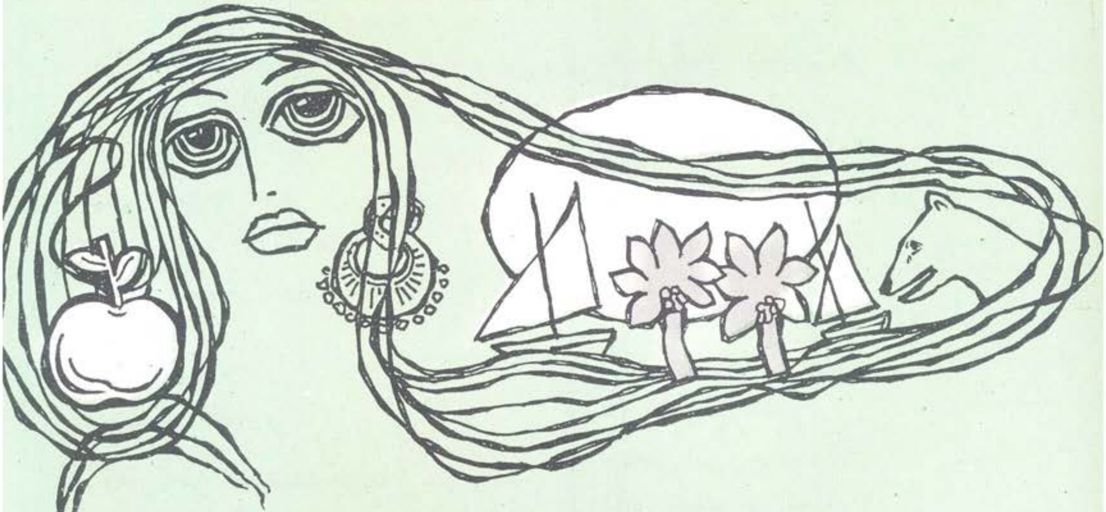
في الشهادات التي يوردها أدونيس ، في مقدمة ترجمته السلسلة التي عرفت كيف تجمع بين الشعري والمسرحي ، ثمة إجماع على أن قلة الفعل في مسرحه ، والاسترسال في الحوار ، لا يدفعانك نحو الملل ، وإنما يدخلانك أجواء كل ما فيها يأسرك . حقيقة : إن مسرحه مسرح جو ، وليس مسرح فعل أو حدث صاخب ، مسرح لا يؤخذ صاحبه بالمظاهر ، بل في البحث عن الجوهر ، عن ذلك الذي لا تقع العين عليه مباشرة .

مسرح جورج شحادة ، مسرح فضاؤه الكون ، وشخصياته تتقاذفها أمواج البراءة والطفولة والحلم الذي لا يشبه الأحلام . □

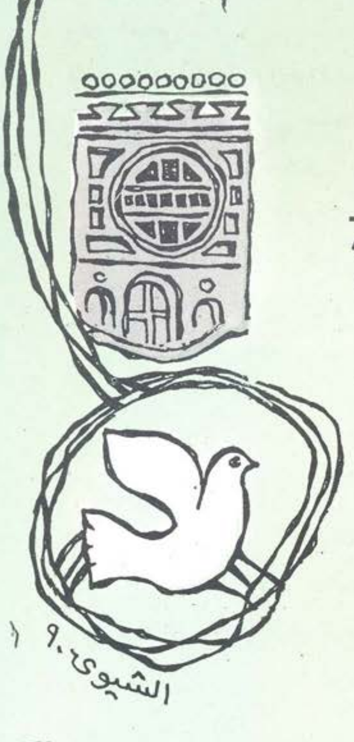
تعريفات لاذعة



* الإنسان : **هو المخلوق الوحيد الذي يولد باكيا ويعيش شاكيا .**
* الاعتذار : **تقهقر نظامي في معركة كلامية خاسرة .**
* الأرباح : **النتيجة الختامية لخسائر الآخرين .**
* الأمـل : **وجبة خفيفة ولكنها مقوية .**
* الأنـاني : **امرؤ يحرق منزلك ليسلق بيضة .**
* البخيـل : **رجل ينتحر جوعا لقتل ورثته بالتخمة .**
* الجبـان : **يفكر في حالة الخطر بقدميه .**
* الحـب : **نبتة بيتية تحتاج إلى الري كل يوم .**



كوابيس لعرس الحبيبة



شعر : شوقي بزيع *

تُزَفِّين للحرب هَذا الصَّباح
يَقْتَضِي المَشْهَدُ العاطِفِي بأن تَنْهَضِي مِنْ رُقَادِك
مُجَلَّلةً بِسَوادِك
وأنْ تَتْبَعِي دقّة الصمت
وَهُوَ يَزُفّ الفجيعةَ للحاضرين
يَقْتَضِي المَشْهَدُ العاطِفِي بأن تَخْلَعِي ثَوْبَ عُرْسِكِ
وَتَرْمِيهِ طُعْماً لذئبِ الغريزة
أَوْ تَعْصُبِي فيه جُرحَ السرير
تُزَفّين
لَيْسَت يَداكِ اللتّان تَغُوصَان تحت البياض المرير

---

* شاعر من القطر العربي اللبناني

ولا كتفاكِ اللذان يشفّان حتى الزّبد
ولا الموكب العاطفيُّ أحد
هي الحرب
تُلقِي بقفّازِها المترهّل في كُلِّ يَد
وتَجْعلُ مِنْكِ عروساً على الانهيار
لِيَفْضح عُرْسكِ عجز الجَسَد

تُزفّين للحرب
للإنْكِسار الغريزي

وَهُو يَعضُ ابْتِسامَتكِ اليانعة
وفاء انهضي ،
لا أُريدُكِ شَاحبةً ووحيدة
لا أُريدُكِ ذكرى على صفحات الجريدة
أُريدُ يَدَيْكِ لِكَي تَحْمِلاني إلى البر
عَيْنَيْك كَي تَفْضحَا قسوةَ المَرْحَلَة
هي ذي تتهادى بِبطءٍ ثقيل
تُحرِّك أعضاءها بقليل من الريح
ثُم تَسيرُ إلى عُرْسها

كالملائكةِ الْمتعبين
الجنوبية القسِمات
اليَتيمةُ بيْنَ النِّساء
التي يَنْحَني صدرها لأقلِّ البراعِم
تَمْشي إلى عُرْسِها الآن طافحةً بالسّواد
وَتَبْني مِنَ الذّكريات البعيدة فِرْدوسها المستعاد
لا ،
لَيْسَ عُرْسُكِ هذا ،
هُوَ عُرْسُ البلاد ،
هُوَ عُرسُ الذينَ أحبوا
وَأثكلهُمْ (أربعاء الرماد)
أينَ الْعروس ؟
- سيدي ،

ذَهَبَتْ تَجْمعُ الأقحوان عَنْ القاسمية .
- أيْنَ العروس ؟
- إنها تَسْتَحِمّ عَلَى ضفةِ النهر
كي تتوحد قَبْلَ الزفافِ
بموجته الأزلية
- أيْنَ العروس ؟
- إنها تَقْطِفُ التبغَ في ديرقانون
سيدتي ، امرأتي ، طِفْلَتي
لحنِي القروي الخجول
اسْتَفيقي من الحزن
شُدِّي يَدَيْك على نَخْلَة القلب
هَا هُمْ يُنَادونَكِ الآن ،
إنْ كُنْتِ راضيةً بالزواجِ فَقُولي : نعم
لا تَخَافِي مِنَ الْقُبلةِ الأبوية
يَطْبَعُها فوقَ خدك
وَحْشُ السأم
ولَا تُطْبقي راحتيكَ عَلَى مَحْبس الأسئلة
فَهَا نَحْنُ ،
لَمْ نَتَغَيَّرْ كثيرا ،
وَلَمْ يَخترِقْ لَحَمَنَا خِنْجرُ الحرب
لَكِنَّه مَوتُ بَيْروتَ فينا
حَمَلْنَاهُ مُنْذُ سِنِين لِيَقْتُلنا الآنَ ،
هُوَ عُرْسُ الْحَبيبةِ ،
بَيْروتُ طبل يَنامُ عَلَى جُثّةِ الْوَقت
بَيْروتُ سَاحَةُ عُرْسٍ وَدَبكةِ مَوْتِ
وَفي لَيْلِهَا رَجلٌ وامرأة
يَتْبَعَان مَعاً سهم رُوحَيْهما الْمُتَشرِّد
أوْ يَرْكُضَان وَحِيدَيْن ضِدَ انهياراتِ عاصمة
يَحْفُران الخنادق كَي يَحْمِيا وردةَ الشعر ،
يَحْتجزان الجمال الكسيح لأغنية البحر ،
يَفْتَرقان
لِكَي تَتزوج كَابوسَها العائلي

وَيرقُبُها ذابلا ووحيدا
وَبَيْروتُ مِنْ حَوْلِه شارعٌ مُقْفِر
وَزَواجٌ بَعِيد
هُوَ عُرسُ الْحَبِيبَةِ
هَلْ تَشَهدونَ حُضوراً لَهُ هذه الأبهة ؟
كُلُّهُمْ يَدْخُلون تِبَاعا إلى بَاحَةِ الاحتفال ،
الْجَنُوب وأوجاعُهُ ،
الشَّجراتُ الحزانى
السدود على النهر ،
مَوْجةُ صور المريضة ،
صَفُّ قبور يصفق بين الأكاليل،
أضغاثُ خوف،
مظاهر يتقدمها «حسن الحايك» المستريح
على شتلة التبغ
وأنا واقِفٌ في العراء الإلهي وحدي
أراقب حفل الزفاف الذي يتحلق من حوله
راقصون بطيئون
وامرأة تستجير
وَفَاءُ تُزفُ إلى الحرب
وَفَاءُ تُكُفُ عَنّ الحب هَذا الصباح
وَقَدْ ضَفَّرتْ شَعْرَهَا بِحطامِ بِنفسجةٍ
وارْتَدت طَرحةَ الخوفِ ،
ثُم دَعتَني لَأنْ أتزوجُ بِنْتاً سِواهَا
وَخَانَتْ ذِراعي عِنْدَ اللقاء الأخير
هُوَ عُرسِ الْمَدِينَةَ لا عرسها
افتحوا كُلَّ نافذةٍ مُغْلَقَةٍ
اضربوا الآن كفًا بِكَف
وانهضوا كي تروها تُزَفّ ،
انهضوا كيفما اتفق ،
الحكماءُ مِنَ الْخندق الحكمي ،
النِّساءُ مِنَ الوحشةِ الأنثوية ،

وانتظموا في صُفُوف
دَعوا كل شيء كَما هُوَ ،
خلّوا البنايات مقلوبة
والمتاريس مَنْصُوبة
واستعدوا ،
لِنَقْرَعَ بَيْنَ يَدَيْها الدفوف
تزَفِّين بينَ الكوابيس
بَيْروتُ سَاحةَ عُرْس مُدمًى
وَفِي وسطِها تَرْقُص امرأة بالقبور
تُصَفِّق أنْصافُ أبنيةٍ وَمَتارِيس
يَمْشُون خَلْفُ الْعَرُوس
التي لا تبين مَلامِحُها
ثُمَّ يَتَّضِحُ الْمَشهد ،
امرأة هي أنت ،
تُرافِقُها أذرعُ وأكاليلُ ،
يَحْمِلُها رَجُل باتجاه السرير الذي يَشبه القبرَ ،
ثُمَ يَهِيلُ التّراب عَلَى صدرِها الْمُتَقهقر
نَحْو الوراء
امرأة تَسْتَغيث
وَلَا مَنْ يَجِيبُ النداء
يَقولون : هذي وفاء
وَتِلْكَ ابتسامَتُها
تَتَابطُ في الصفرةِ الأنثوية شخصاً سِواك
وَتَنْسَاكَ
لِتَتْبع شخصا هُوَ الحرب ،
حَيْثُ تَزُفُّكِ بَيْروتُ دونَ ذراعي ،
كَان معاقون يحتفلون بِعَيّنيك
تَحْت الأنين الْمُزَغْرِد ،
كان مُصَابون يحيون عُرْسَك
في غرفةٍ مِنْ نُعَاس وقهقهة .

عَلى هامِشِ "قولٍ عَلى قولٍ":

هل للكبرياء وعزة النفس مجال في الحب ؟ أيهما أوقع وأكثر تأثيرا في السامع ، التماس العذر أو أخذ المحبوب بالمبدأ القائل العين بالعين ؟

أبُو السّائِب المخزومي وَظَرفه

بقلم : حسن سعيد الكرمي

كان أبو السائب المخزومي ، واسمه عبدالله ، من الظرفاء في المدينة ، ولم يكن له همة في دنياه إلا في الشعر والشعراء . يطلب الشعر الجيد أين كان ، ويطرب له ، ويسعى لسماعه من أربابه . وكان مع ذلك غير مبتذل في سلوكه . وكان الناس يحترمونه ويحبونه ، وكان أشراف المدينة يستظرفونه . وكان أبو السائب خليطا للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي إذا ذكره قال : «نعم الخليط كان أبو السائب» .

ويحكى عنه أنه أتى عروة بن عبيدالله الزبيري ، فرحب به عروة ، وسأله حاجته ، فقال : أبياتٌ لعروة بن أذينة ، بلغني أنك سمعتها منه ، وكان عروة الزبيري قد سمع الأبيات من ابن أذينة ، لما كان هذا نازلا في داره في العقيق ، فأنشد الزبيري الأبيات وأبو السائب يسمع :

إنَّ التي زَعَمَتْ فُؤَادَكَ مَلَّهَا ... خُلِقَتْ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوىً لَهَا
فِيكَ الذي زَعَمَتْ بها ، وكلاكُمَا ... أَبْدَى لصاحبه الصَّبَابَةَ كُلَّهَا
وَلَعَمْرُهَا لَوْ كانَ حُبُّكَ فَوْقَهَا ... يوماً وقد ضَحِيَتْ إذن لأَظَلَّهَا
وَإذا وَجَدْتَ لها وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ ... شفعَ الضميرُ إلى الفؤادِ فَسَلَّهَا
بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا ... بلباقةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا
لَمَّا عَرَضْتُ مُسَلِّمًا لِي حاجة ... أَخْشَى صُعُوبَتَهَا وَأَرْجُو ذُلَّهَا
مَنَعَتْ تحيَّتَهَا فقلتُ لصاحبي ... ماكانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وأَقَلَّهَا
فَدَنَا وقالَ لَعَلَّهَا مَعْذُورة ... في بعضِ رِقْبَتِهَا فقلتُ لَعَلَّهَا

ولمَّا سمع أبو السائب البيت الآخر أخذ يردده ، ثم قال : هذا والله الدائم الصبابة ، الصادق العهد ، لا الذي يقول :

إنْ كانَ أَهْلُكِ يَمْنَعُونَكِ رغبةً ... عَنِّي فَأَهْلِي بي أَضَنُّ وَأَرْغَبُ
فلئن دَنَوْتِ لأَدْنُوَنَّ بِعفّةٍ ... ولئن نَأَيْتِ لَمَا ورائي أَرْحَبُ

لقد عدا هذا الأعرابي في قوله هذا طوره ، وتجاوز قدره ، وإني لأرجو أن يغفر الله لصاحب الأبيات الأولى ، وذلك لحسن الظن بمحبوبته ، وطلب العذر لها .

وقال الزبيري : فعرضت على أبي السائب الطعام ، فقال : لا والله ، ماكنت لأخلط بهذا الشعر طعاما حتى الليل . ثم انصرف .

وكان أبو السائب يطرب للشعر الجيد ويردده ، ومن ذلك بيت عروة بن أذينة :

فدنا وقال لعلها معذورة   في بعض رِقْبَتِها فقلت لعلها

ومن ذلك قول العرجي :

فَتَلاَزَمَا عندَ الفراقِ صبابةً   أَخْذَ الغريمِ بفضلِ ثوبِ المُعْسِرِ

ومن ذلك قول قيس بن ذريح :

أَلاَ ياغرابَ البَيْنِ قَدْ طِرْتَ بالذي   أُحَاذِرُ مِنْ لَيْلَى فَهَلْ أَنْتَ وَاقِعُ ؟

أما بيت عروة بن أذينة فقد تقدم ذكره وهو شبيه بما قاله جميل لما علم بأن صاحبته بثينة علقت رجلا اسمه حجنة الهلالي :ـ

وبينا حبالٌ ذات عَقد لبَثْنَةَ   أُتِيحَ لها بعضُ الغواة فَحَلَّهَا
فَعُدْنَا كَأَنَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا هَوىً   وَصَارَ الذي حَلَّ الحِبَالَ هَوى لَهَا
وقالوا نراها ياجميلِ تبدلت   وغيرّها الواشون قلت لعلها
لعلَّ حِبَالاً كنتُ أَحْكَمْتُ عَقْدَهَا   أُتِيحَ لها واشٍ فَجَاءَ فَحَلَّهَا

وحدّث الزبير بن بكار أن أبا السائب أتاه ليلة بعدما رقد الناس ، وفي ساعة متأخرة ، وقال له : إنه سهر تلك الليلة ، وأراد صديقا يتحدث إليه ، ثم قال : قم بنا إلى العقيق ، فقاما ، وأخذا هناك يتناشدان الأشعار ، فأنشد الزبير أبياتا للعرجي ، منها هذان البيتان :

باتَا بأَنْعَمِ ليلةٍ حَتَّى بَدَا   صُبْحٌ يلوح كالأَغَرِّ الأَشْقَرِ
فَتَلاَزَمَا عندَ الفراقِ صبابةً   أَخْذَ الغَريمِ بفضلِ ثوب المُعْسِرِ

فطرب أبو السائب وأخذ يردد البيت الأخير . ومضى وأقسم أن لايكلم أحدا إلا بهذا البيت . ولقيه في الطريق عبدالله بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، فقال له : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فأجاب :

فَتَلاَزَمَا عندَ الفراقِ صَبَابَةً   أَخْذَ الغَرِيمِ بفَضْلِ ثَوْبِ المُعْسِرِ

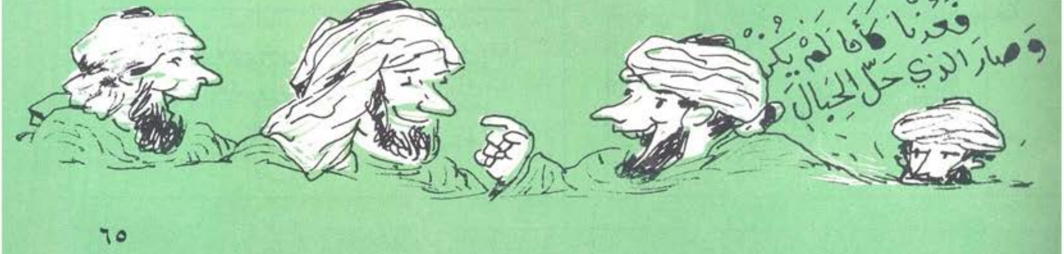
فظن عبدالله بن الحسين أن أبا السائب قد أصيب في عقله . ثم لقيه قاضي المدينة ، فسلم عليه ، وسأله عن حاله ، فأجاب :

فتلازما عند الفراق صبابة   أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

وظل أبو السائب على هذه الحالة حتى دخل بيته .

ورأيت في موضع آخر أن أبا السائب كان يطرب لأبيات أخرى للعرجي ، ولا سيما :

أُناسٌ أَمِنَّاهُمْ فَنَمُّوا حديثَنَا   فلمّا كَتَمْنَا السِّرَّ عنهم تَقَوَّلُوا
فَمَا حَفِظُوا العهدَ الذي كان بينَنَا   ولا حينَ هَمُّوا بالقطيعةِ أَجْمَلُوا



واحة العربي



□ **في الصميم :**

● بإمكاننا أن نعيش طويلا ضعفي عمرنا لو أننا خلال النصف الأول من حياتنا لم نتخذ عادات تقصر من النصف الثاني .

مارسيل آشار

● العجيب هو أن الصيادين الذين يروون أجمل حكايات الصيد ومبلغ تفوقهم بالصيد ، هم أولئك الذين يصطادون بمفردهم .

بيير لالو

● إذا قلنا شيئا للرجل دخل إحدى أذنيه وخرج من الأخرى ، ولكن إذا قلنا شيئا للمرأة فإنه يدخل الأذنين ويخرج من الفم.

جان أنوي

□ **بسرعة**

● الطبيب للمريض : في المرة القادمة حين تصفق ، ابعد رأسك من بين يديك .



□ **من القلب :**

الطارق والسيد موللر

● دق جرس الباب الخارجي للمسكن الجديد الذي استأجره شابان انجليزيان في ضاحية المدينة ، فلما فتح أحدهما الباب سأله الطارق :

- هل السيد موللر موجود ؟

فأجابه : نعم ياسيدي ، لكنك دققت الجرس مرة واحدة ، وكان يجب عليك أن تدقه مرتين مادمت تريد السيد موللر كما هو موضح بالبطاقة التي فوق الجرس .

فاعتذر الطارق آسفا ، في حين أغلق الشاب الباب في وجهه غاضبا ، وبعد قليل دق الزائر الجرس مرتين ، وقد أثار دهشته وارتباكه حين فتح الشاب الأول نفسه الباب وسأله عما يريد .

فقال له معتذرا : آسف لإزعاجك ياسيدي ، هل يمكن أن أقابل السيد موللر ؟

فأجاب الشاب في هدوء :

نعم ، أنا موللر .

□ **مجرم جبان**

● الزوج للشرطي : من فضلك ، اسجني ، لقد ضربت زوجتي بعصا غليظة على رأسها .

الشرطي : وهل قتلتها ؟

الزوج : لو أنني قتلتها ، ماحضرت لأسلم نفسي .

الفرج بعد الشدة

● سئل عبد الله بن الزبير يوما : ما الفرج بعد الشدة ؟
فقال : أن تحلف على الضيف ، فيعتذر بالصوم .

لقد صافحت « شو » ولكن :

● استقبل برنارد شو قبيل وفاته اثنين من المعجبين به ، وقد اصطحبا ولدهما البالغ اثنتي عشرة سنة . فمد إليه يده مصافحا ومرددا :
ـ بعد خمسين سنة يابني سوف تقول باعتزاز : لقد صافحت برنارد شو ، فيسألك سامعوك ، ولكن من كان برنارد شو هذا ؟



برنارد شو



المدينة الأكثر ضبابا

● شكا أحد الأصدقاء الأجانب للممثل الانجليزي الك جينيس من ضباب لندن الكثيف فثار جينيس وقال :
ـ هذا مبالغ فيه ، فلندن ليست أكثر المدن ضبابا ، فأنا شخصيا عرفت مدينة أكثر ضبابا منها .
ـ ما هذه المدينة ؟ وأين تقع ؟
ـ لم استطع معرفة مكانها لكثافة الضباب فيها .

سر الاعرابى

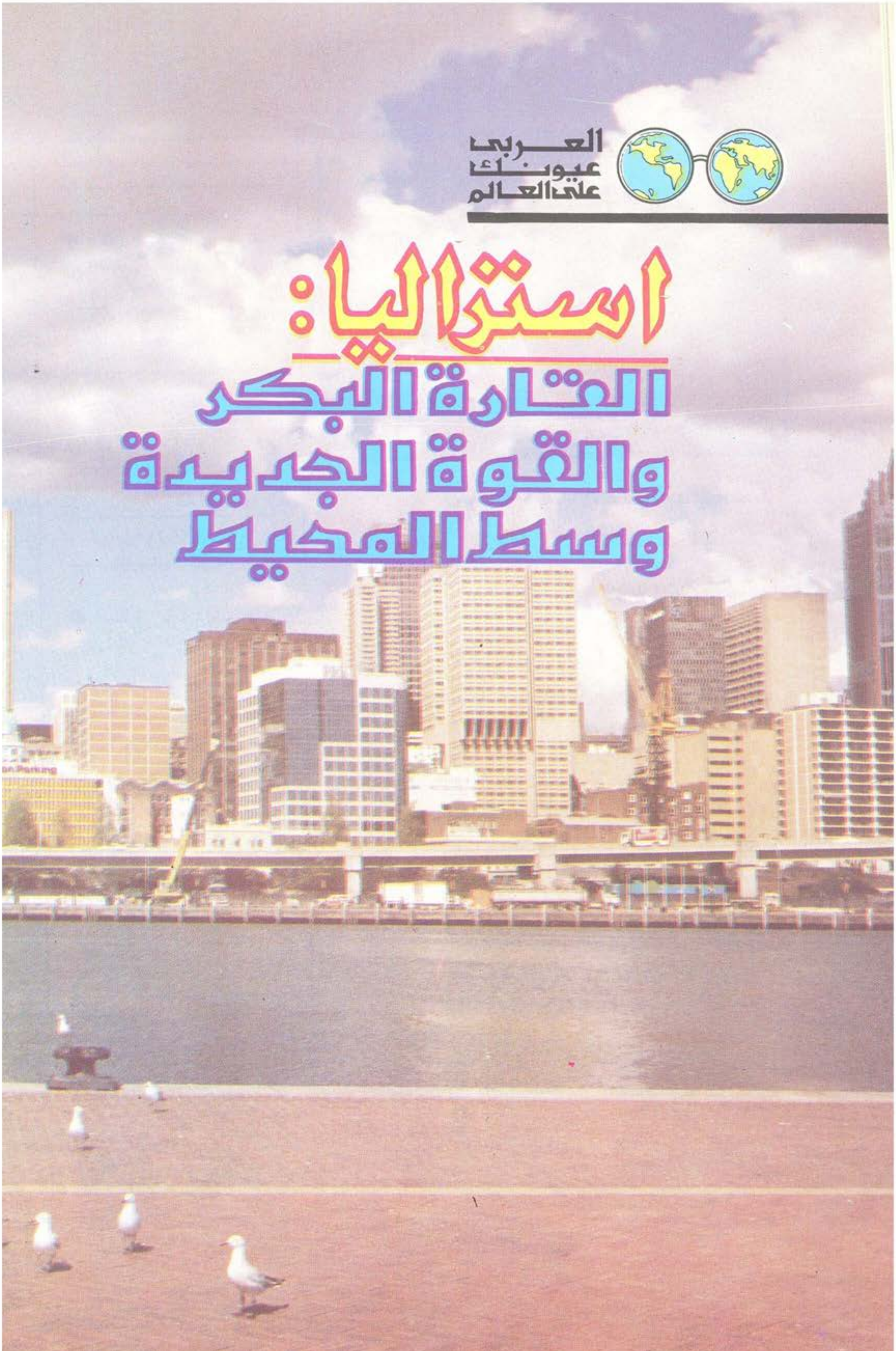
● قيل لأعرابي استودع سرا فكتمه : أفهمت ؟
قال : لا ، بل نسيت .
وقيل لآخر : كيف كتمانك السر ؟
قال : أجحد المخبر ، وأحلف للمستخبر .
وعندما سئل أعرابي : كيف حفظك السر ؟
قال : أنا لحده !

لحظة حرجة

● قالت السيدة لجندي المظلات : لابد أنك تعرضت للحظات حرجة في حياتك.
أجاب الجندي : بالتأكيد ، هبطت في إحدى المرات في حديقة عامة ، ونزلت بجوار لافتة مكتوب عليها « ممنوع السير على الحشائش » .

العربي
عيونك
على العالم

استراليا:
القارة البكر والقوة الجديدة وسط المحيط



استطلاع : أنــور الياسين
تصــوير : طالب الحسيني



«تقع في طرف العالم الجنوبي ، وسط مياه المحيط ، وعلى الرغم من ذلك فإن لها حضوراً في الذهن العربي ، فآلاف من الشباب العرب يحلمون بالهجرة إليها ، وعلى موائد ملايين البيوت لحومها الشهيرة ، وفي الأحاديث اليومية مئات الترددات لوصف «البغل الاسترالي» وحكايات عن «الكنغر» .

وبحثا عن الصورة القريبة كانت رحلة «العربي» للبلد «القارة» .

كثيرة هي الأقطار التي نتداول أفكاراً عنها ، وبعد حين تصدقها وتصبح كالحقائق تشيع بيننا ونؤمن بها .

واستراليا واحدة من هذه البلدان : قبل أن تسافر بعثة «العربي» كنا نسمع من الناس أنها أنظف بلدان العالم ، وأنهم - الاستراليين - من شدة حرصهم على النظافة يقومون بعملية «تبخير» للقادمين إليها بالمبيدات والمواد الكيميائية وهم في الطائرات قبل أن تفتح الأبواب ويدعونهم للنزول ، وكنا نسمع أنها أرض ممتدة وشواطيء ووديان وسهول وصحارى وجبال ، ثروة هائلة ، وعدد قليل من السكان ، وأن حاجتها للسكان لاتنتهي ، وأن ثرواتها لم



● الكنغر شعار استراليا الذي لا يخطئه أحد .

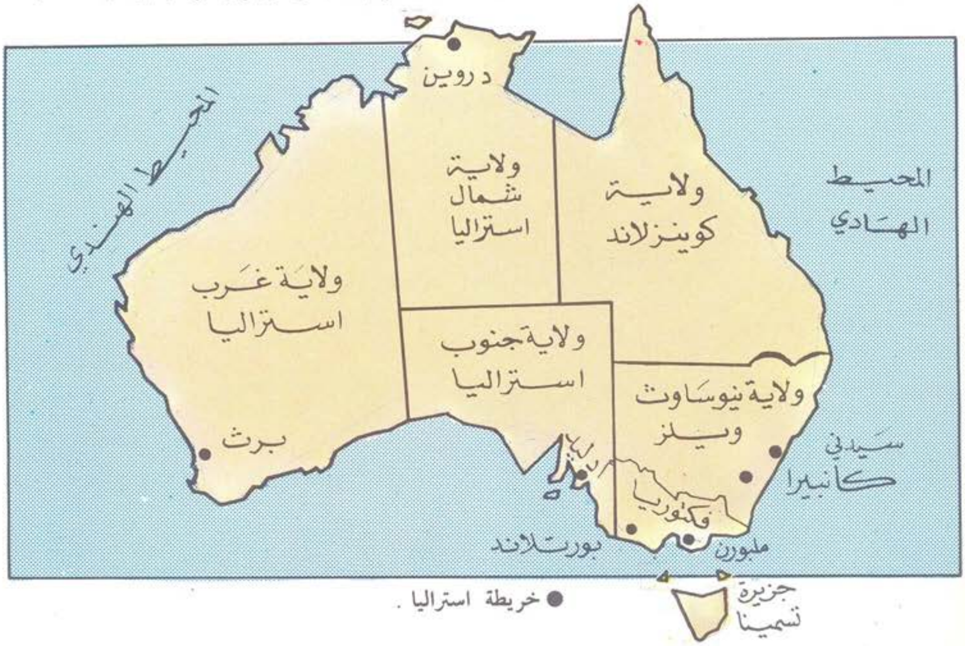
تستغل الاستغلال الكافي لندرة العنصر البشري ، وكنا نسمع عن العرب هناك ، وقصص النجاح الكثيرة التي حققوها . وكنا نسمع ، ومثلنا سمع كثيرون عن استراليا . وبعد وصولنا حاولنا أن نبحث عن الصورة الحقيقية ، ونختبر صحة ماسمعناه ، ونضبط الخيال على الواقع ، فماذا رأينا ؟

تاريخ قديم

قبل مائتين وعشرين عاما فقط ، لم يكن أحد يعرف أن هناك أرضا في هذا الجزء من العالم ، حتى اكتشف الرحالة البريطاني ، كابتن جيمس كوك ، الساحل الشرقي من استراليا في عام ١٧٧٠ وقد تم احتلال القارة على ثلاث مراحل : المرحلة الأولى بدأت بوصول اسطول انجليزي إلى القارة ، يحمل ١٠٣٠ شخصا ، منهم ٧٣٦ من السجناء ، وقد استمرت مرحلة إرسال السجناء إلى استراليا فترة ، تلتها مرحلة إرسال المزارعين ، ثم آخر مرحلة استيطانية ، وهي وصول المنقبين عن الذهب .

وقد استمرت حركة السفر إلى استراليا نشطة طوال القرن الماضي الذي تم خلاله تطوير المستعمرات التي احتلها البيض ، لتتحول إلى مدن وعواصم . «فسيدني» التي تعد كبرى مدن استراليا حاليا هي أول مستعمرة سجناء تكونت في استراليا ، وهكذا فالمستعمرات المختلفة التي كانت مقامة للسجناء أو للمزارعين أو للمنقبين عن الذهب تحولت إلى مدن وعواصم للمقاطعات الرئيسة في استراليا حاليا ، ولأن الازدهار الذي حدث في استراليا قد تم خلال القرن الماضي فإن معظم المدن تأخذ طابع

● استراليا : القارة البكر والقوة الجديدة وسط المحيط .



● خريطة استراليا .

العصر «الفيكتوري» في التصميم والبناء والتخطيط .

الموقع والسكان

تقع استراليا في قلب مايعرف بمنطقة «الباسيفيك» ، وهي تشغل مساحة شاسعة ، تطل بسواحلها الشرقية على المحيط الهادي الجنوبي ، بينما يقع ساحلها الغربي على المحيط الهندي ، وتبلغ مساحة استراليا (٣,٦٨٢,٠٠٠ كم٢) ثلاثة ملايين وستمائة واثنين وثمانين ألف كيلو متر مربع ، وهي بذلك تعد سادس دولة في العالم من حيث المساحة بعد الاتحاد السوفيتي وكندا والصين والولايات المتحدة والبرازيل ، وهي القارة الوحيدة التي يشغلها «شعب» واحد بدولة واحدة . ويقدر عدد سكان استراليا اليوم بما يقارب ١٦ مليون نسمة ، وفق احصاءات الحكومة الفيدرالية وإن، متوسط الدخل السنوي يبلغ حوالي ١١ ألفا و ٩٢٠ دولارا أمريكيا ، وتملك استراليا قدرا هائلا من الثروات ، ففي الجزء الشمالي منها يتركز ٢٠٪ من جملة الاحتياطي العالمي من اليورانيوم ، بالإضافة إلى ثروات معدنية مهمة كثيرة ، كالذهب والفضة والنحاس والزنك والرصاص .

وسكان استراليا خليط من السكان الأصليين الذين يعيشون في الجزء الجنوبي من القارة وهي الأقلية التي تكاد أن تنقرض ، وأجيال المستوطنين القدماء الذين جاءوا سجناء مبعدين ومنفيين أو مغامرين باحثين عن الذهب أو مهاجرين حديثا .

وقد قدر عددهم وقت الاستيطان الأوربي بحوالي ٣٠٠ ألف شخص ، أما في الوقت الحاضر فهم حوالي ١٥٠ ألف شخص .

بصمات أوربا

وعلى الرغم من أن الهجرات الاسيوية أسبق تاريخا من الهجرات الأوربية ، فإن هذه الهجرات لم تصمد طويلا أمام الهجرة الأوربية ، فالأوربيون قد جاءوا من مناطق كانت في ذلك الوقت - القرن الثامن عشر - مناطق ازدهار نسبيا ، وكان العالم قد عرف آلة البخار والمدفع والبندقية . وكانت الثورة الصناعية قد تبلورت آثارها الاجتماعية والعمرانية ، وبدأت هذه الهجرات في صياغة الحياة التي تعثرت في البداية

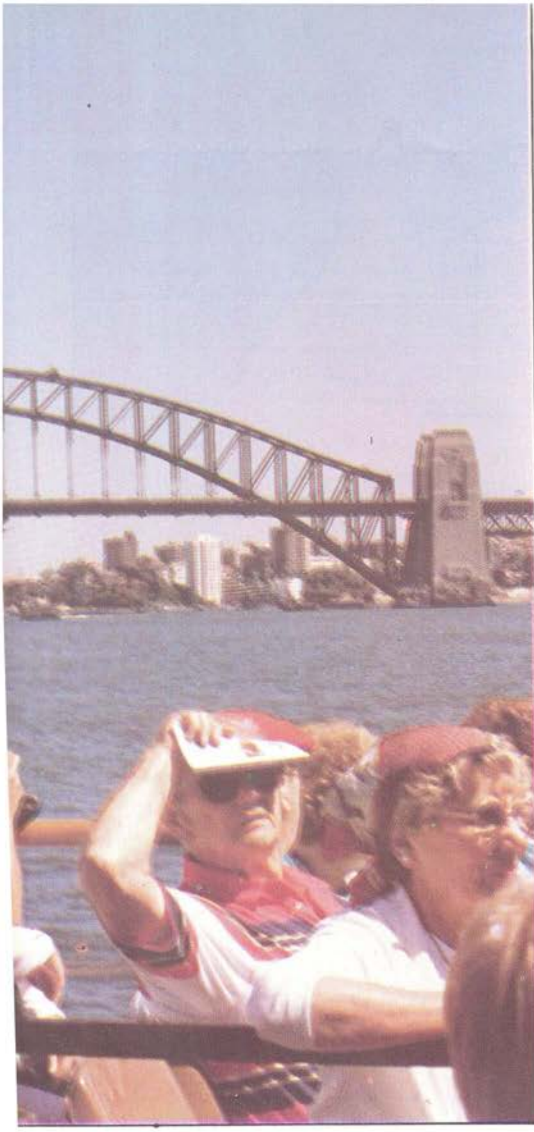
لأسباب البعد المكاني والموقع الجغرافي ، ولكنها عندما انطلقت أخذت أشكال الحياة الأوربية وأنماطها ، فالعمارة القديمة ـ كما قلنا ـ هي نمط العصر الفيكتوري ، والحياة السياسية والاقتصادية ، وفقا للنظام الليبرالي المتبع في أوربا الغربية . بل مازالت استراليا حتى اليوم تعد الملكة اليزابيث الثانية (ملكة بريطانيا) ملكة على استراليا ، ويمثلها الحاكم العام الذي هو بمثابة رئيس الدولة ورئيس السلطة التنفيذية (ولو اسميا) .

لا أعرف

هناك واقعة طريفة شهيرة تقول : إن أحد المستوطنين الأوربيين قد رأى الكنغر أول مرة ، فسأل أحد السكان الأصليين عن اسم هذا الحيوان ، فرد عليه الساكن : إنه لايعرف لغته ولا يفهم مايقول مختصرا ذلك في كلمة واحدة (كنغرن) ، وهي تعني : لاأفهم بلغة السكان الأصليين ، فأطلق الأوربي الكلمة اسما على هذا الحيوان ، وشاعت الواقعة ، واستقر هذا الاسم لذلك الحيوان ، وانتقلت الكلمة كتعبير مجازي في الأدبيات السياسية ، فصار يقال : مفاوضات وحوار الكنغر دلالة على أن الطرفين يتحدث كل منهما عن شيء يختلف عن الشيء الذي يتحدث عنه الآخر ، كالمقصود بقول العرب «حوار الطرشان» .

وصلنا سيدني صباح يوم أحد ، وكان الجو في نصف العالم الذي نحن منه في بداية الخريف ، أما هناك فكانت بدايات الربيع الذي يستمر حتى أول ديسمبر ليبدأ بعد ذلك الصيف حتى نهاية فبراير (شباط) .

فور عبورنا حاجز الجوازات بمطار سيدني بدأ موظف الجمارك في تقليب وتفتيش حقائبنا ونبشها بعناية شديدة ، حسبنا أنه يبحث عن ممنوعات ، ولكن عرفنا بعد لحظات أنه يبحث عن أطعمة أو مواد غذائية ، ثم بدأ يقلب صفحات جواز السفر ، ويستفسر عن البلاد التي زرناها ، وتاريخ آخر زيارة ، ثم سألنا سؤالا بدا غريبا : هل عندك مزرعة خاصة ؟



وهل تقتني حيوانات أيا كان نوعها ؟

عندما قدمنا له هويتنا الصحفية قال لنا : إن هناك إجراءات مشددة ، وذلك لضمان عدم انتقال عدوى الفيروسات والجراثيم التي تصيب المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية ، فنحن في جزيرة معزولة عن العالم ، ولا نريد أي نوع من أمراض العالم تأتي إلينا خاصة إلى مصادر ثروتنا الزراعية والحيوانية ، ونظرا للخوف الشديد من هذه العدوى فإنهم يمنعون دخول أي نوع من المأكولات ، ويدققون كثيرا خوفا من العدوى التي من الممكن أن تصيب الحيوانات ، حيث ان ثروتهم الأساسية تتمثل في الأغنام التي



● من خليج سيدني ومينائها يمكن مشاهدة جسر سيدني المشهور ، ومبنى الاوبرا .

يملكون حوالي ١٧٠ مليون رأس منها ، ويعتمدون عليها في صناعة الأصواف واللحوم المجمدة وتصديرها .

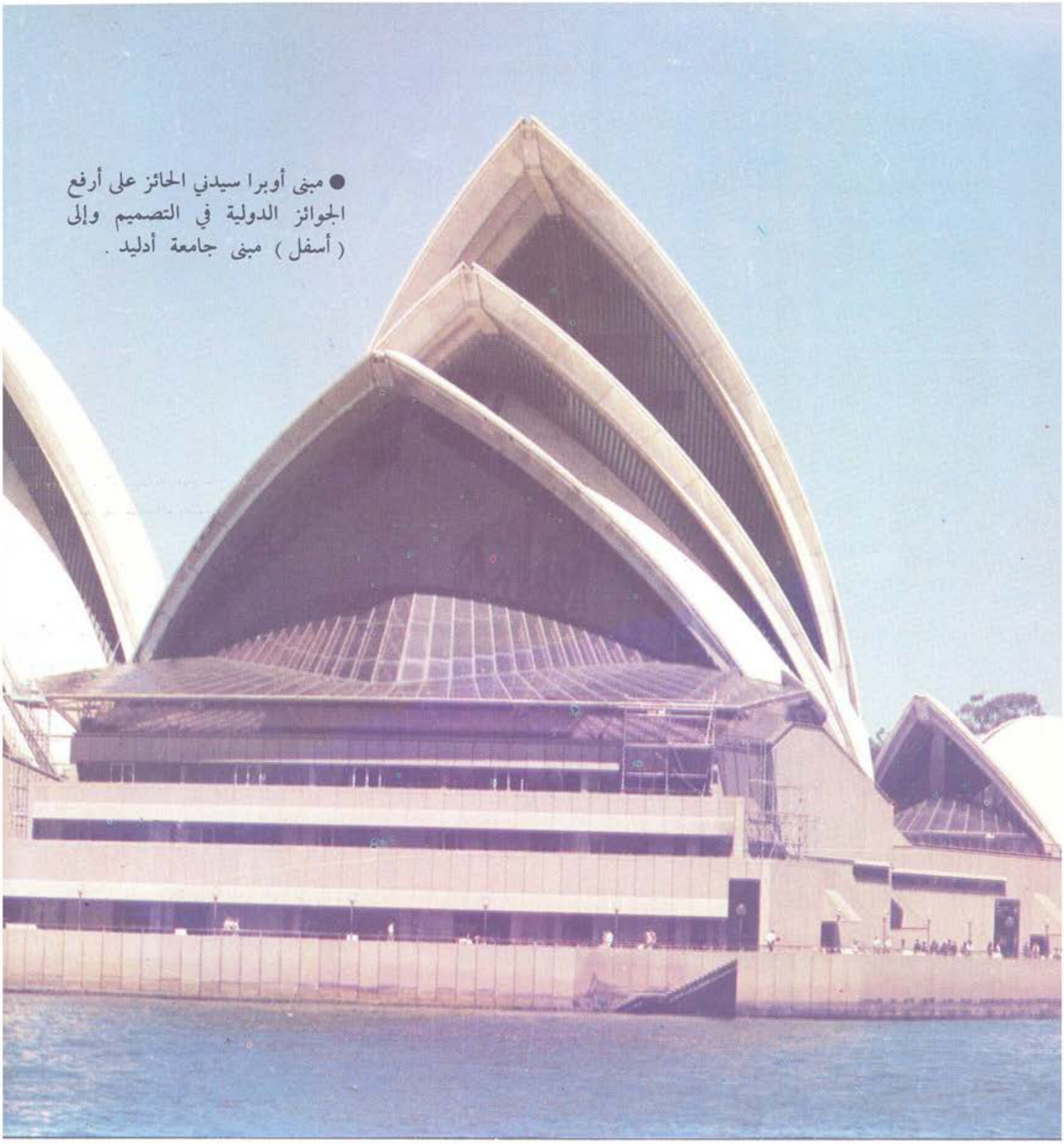
خرجنا من مبنى المطار ، ووقفنا في طابور سيارات الأجرة ، وجاء دورنا فإذا بسائق السيارة يتمعن بملامحنا العربية ، ثم يفاجئنا بالحديث باللغة العربية ، وبلهجة لبنانية محببة : مرحبا بكم في سيدني .

وسألنا إن كنا مهاجرين جدداً ؟ ولماذا لم ينتظرنا أحد من معارفنا ؟ وطوال الطريق من المطار إلى الفندق أخذ يحكي لنا كيف أن المهاجر العربي الجديد عندما يصل ، كثيرا مايذهب أقاربه وأهل بلدته ومعارفه وأصدقاء أقاربه إلى المطار حتى يكاد يصبح طابور استقبالهم ، ممتدا من المطار حتى منزل القريب ، أو محل إقامته المؤقتة .

ويقول لنا سائق سيارة الأجرة : إن هذا ليس تعبيراً عن الروابط والصداقة فقط ، ولكن أي مهاجر جديد يأتي وهو يحمل لنا أخبار الوطن ومعلومات جديدة عنه نتشوق لسماعها ، خاصة أن معظمنا قد انقطع فترة طويلة عن بلده .

العاصمة غير المتوجة

سيدني هي عاصمة ولاية نيوساوث ويلز ، وهي أكثر الولايات الست التي تتكون منها

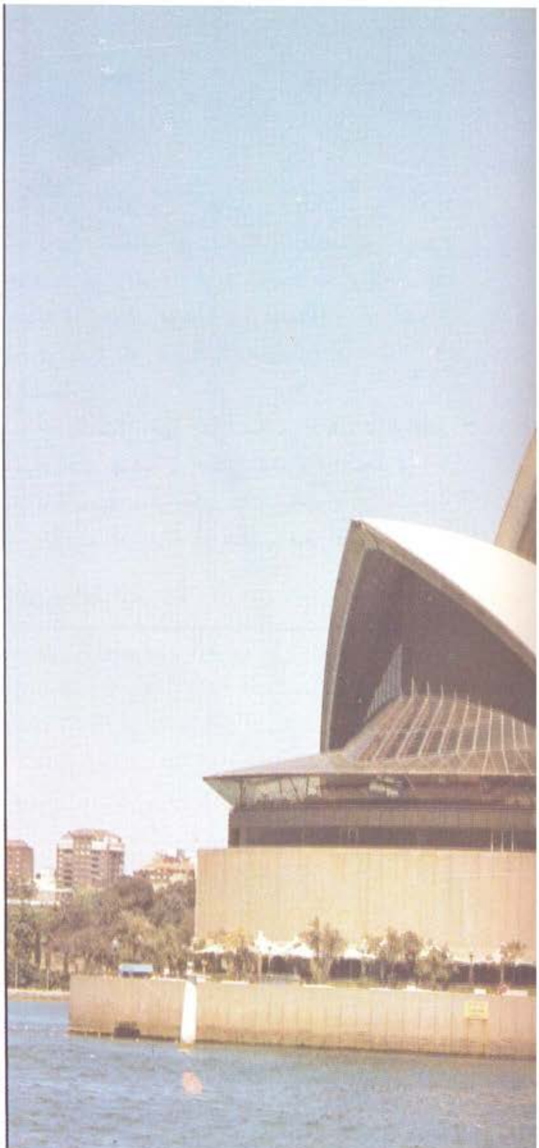


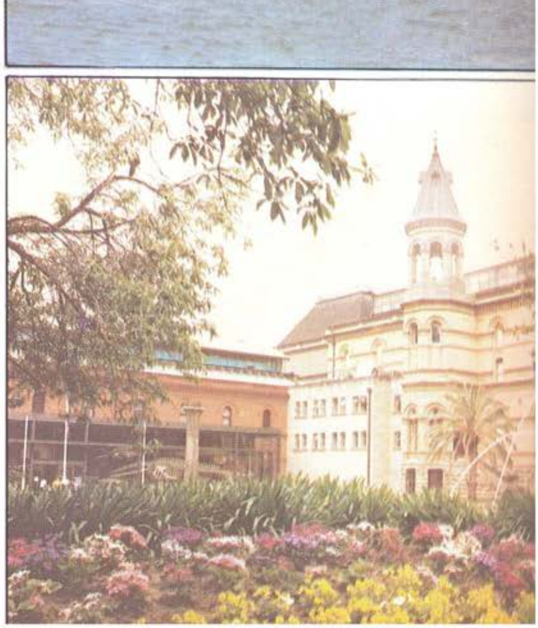
● مبنى أوبرا سيدني الحائز على أرفع الجوائز الدولية في التصميم وإلى (أسفل) مبنى جامعة أدليد .

استراليا اكتظاظا بالسكان ، ويعيش فيها حوالي ستة ملايين نسمة ، يمثلون ٣٤٪ من مجموع سكان استراليا ، وتبلغ مساحة الولاية ٨٠٠ الف كيلومتر مربع ، وسيدني هي أكبر مناطق الولاية ازدحاما بالسكان ، إذ يبلغ مجموع سكانها ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة أي مايعادل ٥٨٪ من سكان ولاية نيوساوث ويلز .

وتعد سيدني أقدم المدن وأكبرها ، وهي العاصمة غير المتوجة لاستراليا ، على الرغم من أن مدينة كانبيرا التي يبلغ تعداد السكان فيها ٢٥,٠٠٠ خمسة وعشرين ألف نسمة هي العاصمة السياسية لاستراليا ، وهي تقع على بعد ثلاثمائة كيلومتر (٣٠٠ كيلومتر) جنوب غرب سيدني ، وفيها أيضا مقر الحكومة الفيدرالية ، ومقر البعثات الدبلوماسية .

اقتربت السيارة من قلب مدينة سيدني ، الشوارع واسعة رحبة ، والبنايات الحديثة شاهقة الارتفاع كأي مدينة عالمية كبرى كأنك في لندن أو باريس أو فرانكفورت ، الخضرة والأشجار والزهور في كل مكان ، وكل مافي الشوارع نظيف ، وتلفت انتباهك ظاهرة سير المشاة بخطوات جادة سريعة . قلت لزميلي المصور :





● استراليا : القارة البكر والقوة الجديدة وسط المحيط .

من المؤكد أنك سوف تجد في هذه المدينة مجموعة من العرب ، ولكنهم هنا لايتسكعون في الطرقات ، ولا يسيرون على مهل مثل مانفعل في بلادنا . التقط سائقنا ابراهيم السؤال وقال مجيبا وبسرعة : هنا ، إذا لم تعمل مثل الأوربيين فستدوسك الأقدام ، وهنا لاأحد يرحم ، قلنا له : لكننا نسمع أن هنا بطالة وناسا لاتشتغل ؟ فأجاب : نعم كنظام اقتصادي يعتمد على أسلوب التجارة الحرة وحرية رأس المال ، الناس تدفع ضرائب باهظة وعالية للدولة ، وبالتالي هنا نظام للتأمينات الاجتماعية ، وتعويض العامل إذا كان عاطلا عن العمل ، بأن تدفع له مبلغا محترما من المال ومساعدات أخرى مثل إيجار المنزل والتأمين الصحي وغيرها ، أي أنه لا أحد يموت من الجوع نظريا ، ولكن كما قلت فالعملية ليست سهلة في تدبير العمل ، والرزق يأتي بالحركة .

كنا نسمع كثيراً أن استراليا هي بلد المهاجرين ، وأن هناك جالية عربية وإسلامية تعيش في استراليا ، وقد لاحظنا ذلك في لوحات الإعلانات في بعض المناطق التي كتبت بالعربية : مطعم لبنان ، ملحمة الزهور ، مكتبة المعارف ، صيدلية الأمل .

الجالية العربية

تعيش في استراليا جالية عربية يبلغ عددها تقريبا حوالي ٤٠٠ ألف نسمة ، من لبنان ، ومصر ، والعراق ، وسوريا ، والأردن ، ومن أقطار عربية أخرى مختلفة ، لكن الجالية العربية في استراليا تتميز بطابع واحد ، وهو أنهم نقلوا معهم عاداتهم وتقاليدهم ومأكولاتهم وصحفهم ، ونقلوا إليها خلافاتهم وأحزابهم أيضا ، إنهم سعداء في حياتهم ، أو هكذا يعتقدون ، وإن كان ذلك شعوراً بالراحة المصطنعة التي ماتكاد تزيح عنها بعض الرمال حتى تراها على حقيقتها ، كل شيء يملكه الواحد منهم جميل ، منزل تحيطه حديقة ، وسيارة ، وهاتف ، وغسالة كهربائية ، وجهاز «فاكس ميلي» وتلفاز ، ولكنه لما يملكها بعد ،

لأنه يشتريها بالتقسيط الطويل الذي يمتد إلى ٢٥ سنة في بعض الأحيان ، مع فوائد فاحشة مركبة ، ولكنك تجده على الرغم من هذا كله سعيدا بشوشا ، لأنه يقتنيها اليوم في منزله ، ويتمتع بها مع أسرته ، وهذا هو المهم عنده . لقد اعتاد العيش على هذا الأسلوب الاسترالي ، يفكر بيومه ليومه ولعائلته وبكيفية دفع الأقساط ، وتعبئة استمارات ضرائب الدخل ، وجمع إقرارات الكسب ، وإرسالها بالبريد إلى مكتب الضرائب ! .

حياة جديدة غريبة ، يعيشها المغترب العربي ، في بلاد لايعرف أهلها أي شيء عن العرب إلا ماندر ، وقلة منهم تتعامل مع الأقطار العربية اقتصاديا . ويتركز العرب في استراليا في مدينتين : سيدني وملبورن ، ولهم أكثر من مائة جمعية وناد ، عدد ضخم ولكنه في بعض الأحيان لايعني شيئا فكل فريق له جمعية ، وهي تعمل على مستويات طائفية ، وعائلية ، وعشائرية ، وحزبية ، واقليمية .

الغالبية من المغتربين العرب في استراليا من اللبنانيين والمصريين ، ويمثلون حوالي ٨٥٪ من



● تدريس الطلاب العرب في فصول خاصة الدين الاسلامي واللغة العربية .

مجموع المغتربين العرب ، ولكل من أفراد الجاليتين أسلوبه في الحياة ، فالمصري يسعى جاهدا إلى اتباع طريق السلامة والأمان في حياته ، يعمل موظفا في المصارف أو الدوائر الحكومية ، أو طبيبا أو صيدليا أو أستاذاً في الجامعة .

أما اللبناني فهو على عكس ذلك ، فينطلق بمبادرات فردية ، مثل مشروع تجاري أو جريدة يومية ، أو مكتب سفريات ، أو مكتبة أو دار توزيع أو بقالة أو مطعم مع أفراد أسرته .

الصحافة العربية

من المغامرات العربية في استراليا إصدار الصحف العربية اليومية التي بدأت في الصدور عام ١٩٥٧ م ، حيث تنوعت وتعددت الإصدارات ، حتى وصلت إلى مايقارب مائة إصدار ، مابين جريدة ومجلة ، توقف بعضها أو مازال . ومن أشهر الصحف التي ماتزال تصدر : التلغراف الوطني ، والبيرق ، والأنباء ، وصوت المغترب ، والمحرر ، وهي توزع إما مرة في الأسبوع أو مرتين أو ثلاث مرات . وترسل من سيدني إلى كل أنحاء استراليا ، وبخاصة إلى المدن الكبيرة ، مثل بيرث ، وملبورن ، وادليد .

ولهذا السيل من الصحف جمهور ، هم القراء من الجالية العربية المتشوقة لأخبار الوطن العربي ومتابعة أحداثه ، كما أنها تشكل ـ حسب رأي صاحب جريدة البيرق ورئيس تحريرها الاستاذ جوزيف الخوري التي تصدر في سيدني وتوزع مرة في الاسبوع ـ رافداً آخر لفهم بعض المسائل القانونية وترجمتها ، والتي يجهلها بعض المغتربين الذين ليست لديهم قدرة على قراءة القوانين الاسترالية ومعرفتها ، كما أنها تنقل للحكومة الاسترالية طلبات الجالية العربية ومشاكلها ، وتتولى نشر النشاطات الاجتماعية التي تقوم بها الجالية العربية ، كما تمثل لهم نوعا من الخدمة الإعلانية ، سواء للمغترب العربي أو الحكومة الاسترالية ، وتقوم المكتبات العربية المنتشرة بتوزيع المجلات العربية التي تصدر في

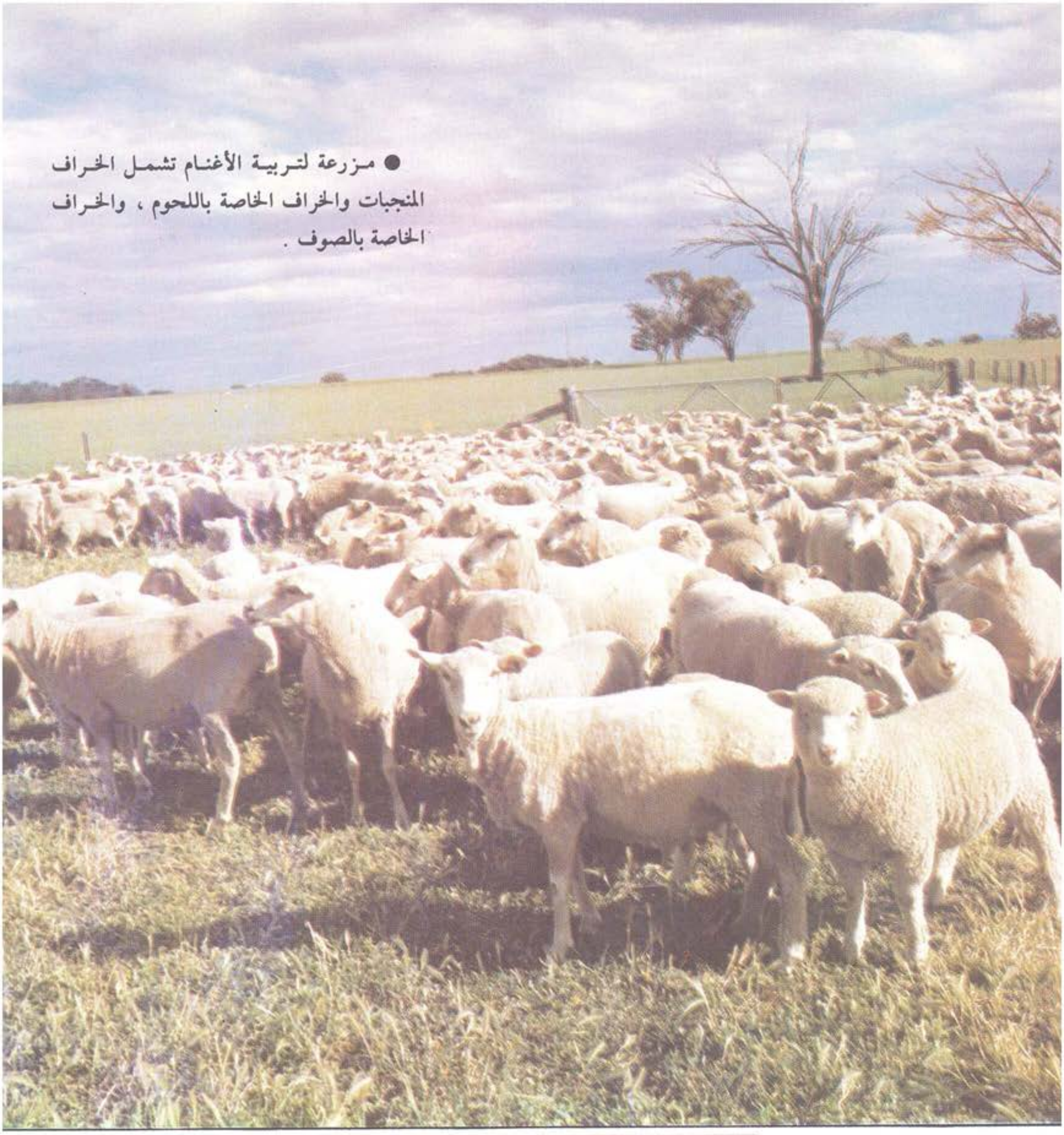


● من معالم سيدني الشهيرة برجها الذي يحتل موقعا ممتازا في وسط المنطقة التجارية ، وكذلك القطار الكهربائي الذي يخترق المدينة .

الوطن العربي .

وهناك إذاعة خاصة موجهة للجالية العربية ، تشرف عليها الحكومة الاسترالية ، وتبث برامجها يوميا مدة ساعتين صباحا ، ومثلها في المساء ، ويقوم المنسق العام للإذاعة الاستاذ نبيل طنوس ، بدور كبير في ربط المغترب العربي بالوطن العربي ، من خلال البرامج ونشرات الأخبار واللقاءات ، كما تقدم قنوات التلفاز الأربع الرسمية في استراليا في بعض الأوقات برامج موجهة بالعربية لأبناء هذه الجالية ، كما أن لأبناء الجالية العربية مراكزهم الثقافية ، ودور السينما الخاصة بهم ، وأماكن الترفيه التي يتم فيها إحياء الليالي العربية حيث تعزف الموسيقا العربية ، ويصدح الغناء العربي ، وتقدم الأطباق المصرية واللبنانية ، بأنواعها ، فأنت هنا لاتشعر أنك تعيش في الغربة ، سوى بتعاملك بعملة نقدية هي ليست عملة بلدك .

من المشاكل التي تصادف العربي في استراليا



● مزرعة لتربية الأغنام تشمل الخراف المنجبات والخراف الخاصة باللحوم ، والخراف الخاصة بالصوف .





● صاحب جريدة البيرق جوزيف الخوري مع المخرج في المرحلة النهائية للطبع . (وأقصى اليسار) ناقلة المواشي الكويتية « اليسرة » في ميناء بورتلاند تستعد للتحميل في طريقها إلى الخليج العربي .

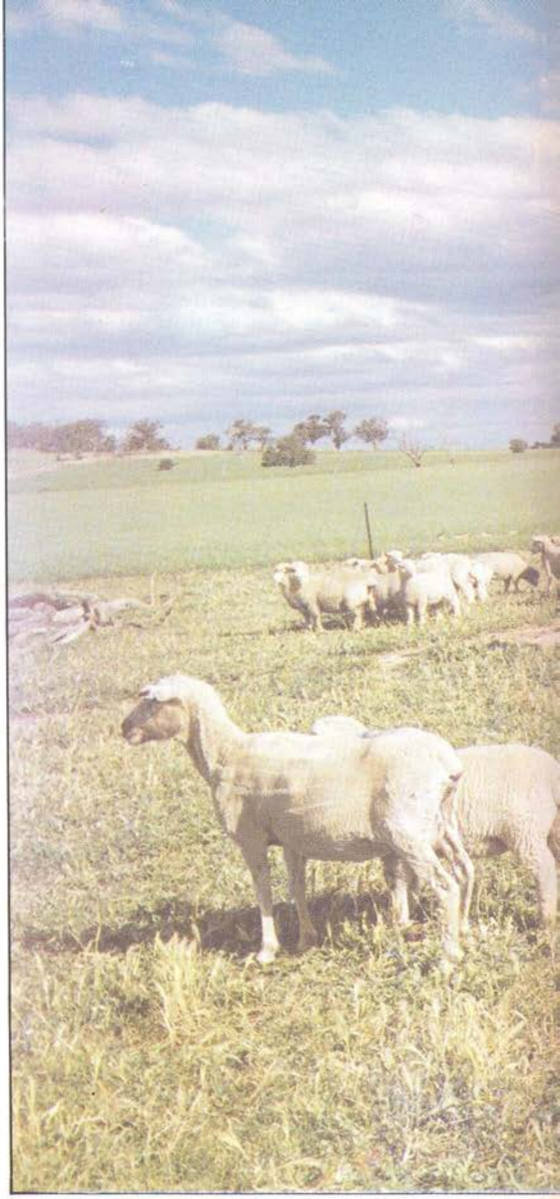
هي اصطدامه بتقاليد وعادات تختلف تماما عن العادات المتبعة في بلاده ، فحرية المرأة حرية مطلقة ، وهذا شيء لم يتعوده في بلاده ، ولهذا تظهر بشدة المشاكل الأسرية وخاصة خروج البنات عن طاعة أولياء أمورهن ، ومن هنا يحرص كثيرون من العرب على الزواج من عربيات للمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم ، وهذا يسبب للجيل الجديد المولود في استراليا ، نوعا من عدم الاستقرار بسبب تناقض ما يتعلمه في البيت بذلك الذي يراه في المجتمع ناهيك عن مشاكل الجهل بالقوانين ، واللغة .

حال الإسلام والمسلمين

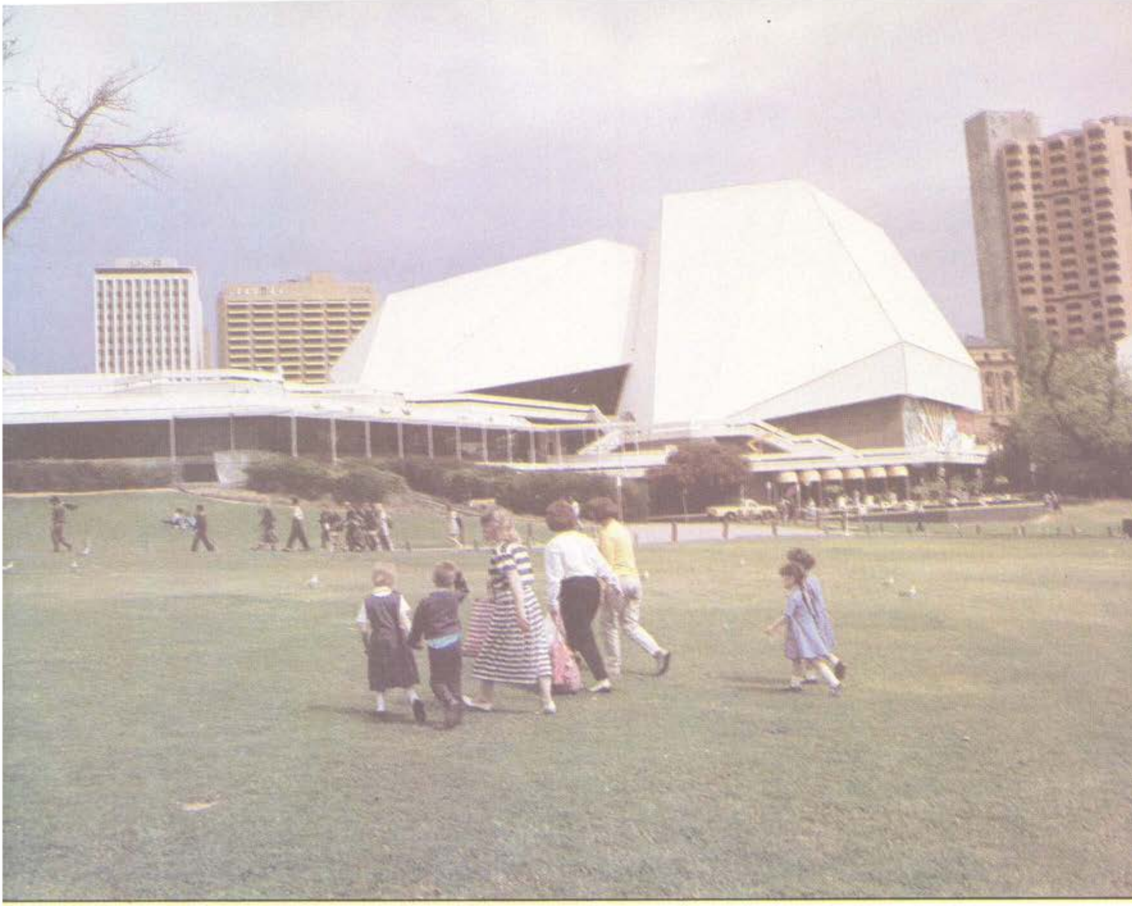
تعيش في استراليا جالية إسلامية كبيرة ، تقدر بمائتي ألف نسمة من مختلف الجنسيات ، معظمهم عرب وآخرون من بلدان أخرى كالأتراك والبنغلاديشيين واليوغسلاف ، ويتولى أحوال الجالية الإسلامية ويشرف على أنشطتها الاتحاد الاسترالي للمجالس الإسلامية الذي أسس عام ١٩٥٦ ، وكذلك المركز الاسلامي العام في استراليا ، وجمعيات إسلامية أخرى ، ولديها مراكزها الثقافية الإسلامية المنتشرة في جميع أنحاء استراليا ، كما توجد هناك الجمعيات الإسلامية المحلية في كل ولاية ، وتشرف عليها مجالس محلية ينظمها الاتحاد الإسلامي للمجالس المحلية . والمسلمون لهم ظروفهم الخاصة ومشاكلهم التي تبدأ بأوضاعهم الاقتصادية ، حيث إن معظمهم قدموا من مناطق فقيرة ، مثل بنغلاديش وباكستان والهند ، وتنتهي بخلافاتهم المذهبية ، وطرق دفنهم موتاهم . وللمسلمين مساجدهم التي يترددون عليها لأداء الصلاة ، والدولة هنا تؤمن بأن لكل فرد كامل الحرية في ممارسة معتقداته الدينية .

كما يشرف الاتحاد على عملية ذبح المواشي بالطريقة الإسلامية بترخيص من الحكومة الاسترالية التي ترسل جزءاً منها إلى منطقتنا العربية .

وفي مدينة سيدني العديد من المساجد ،







● المركز الثقافي في مدينة أدليد .

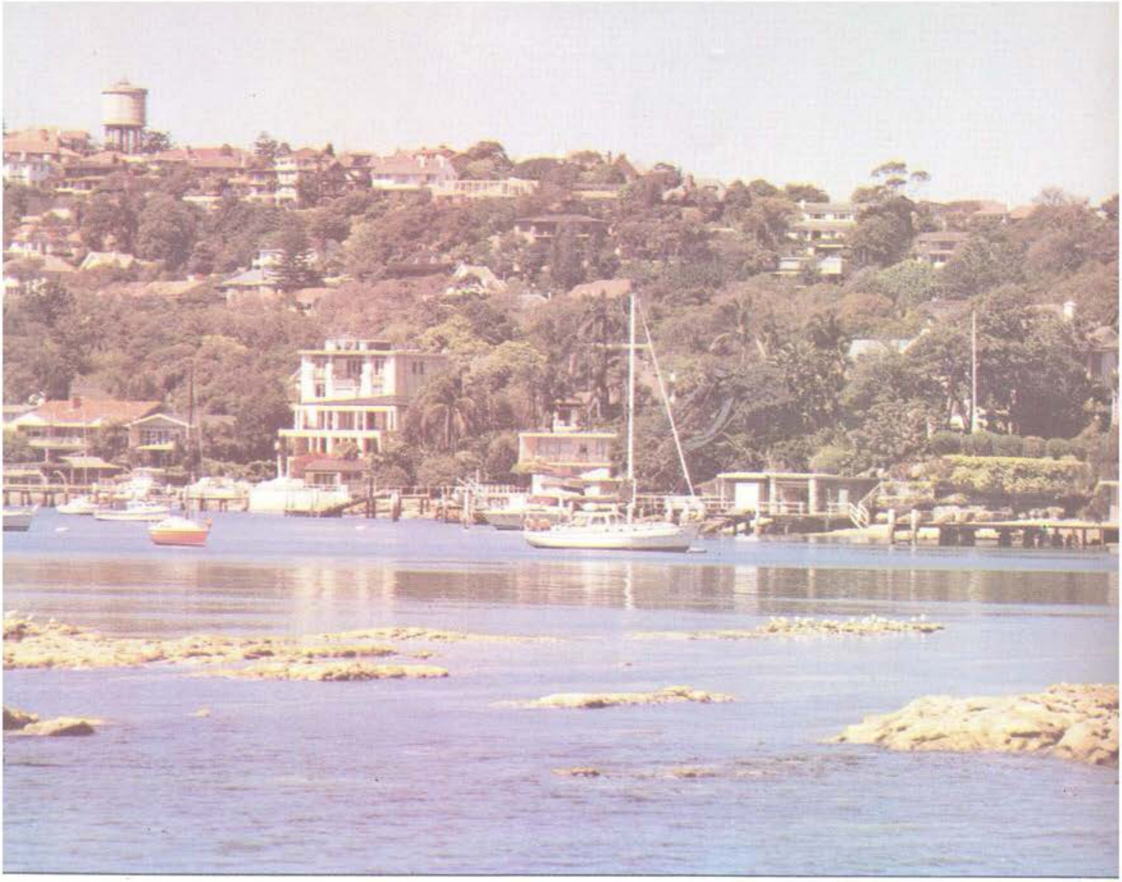
أكبرها مسجد (لاكنبه) ، نسبة إلى المنطقة التي بني فيها ، ويحدثنا عنه مفتي استراليا الشيخ تاج الدين هلال . فيقول : إن مسجد (لاكنبه) يعد من أكبر المشاريع الإسلامية في استراليا ، وهو عبارة عن مركز إسلامي يحتوي على جامع يتسع لحوالي ألفي مصل ، كما يوجد به قسم خاص للنساء يستوعب ٥٠٠ مصلية ، ويضم مكتبة عربية ضخمة . إضافة إلى مدرسة لتعليم الأطفال ، وجمعية للمرأة المسلمة ، تسمى رابطة المرأة المسلمة ، وقد أنشئت عام ١٩٨٣ . ومن دورها المشاركة في البرامج الثقافية وتعليم اللغة العربية التي هي في الواقع هاجس كل أسرة تخاف أن ينسى أطفالها اللغة العربية ، وقراءة القرآن الكريم ، إضافة إلى أنشطة اجتماعية وثقافية أخرى .

ويضيف الشيخ هلال : إن موضوع الأحوال الشخصية والمنازعات التي تدور حوله واحدة من المشاكل التي تؤرق المغترب العربي المسلم في استراليا ، وأننا نعمل جاهدين على تسهيل مهام كثيرة ، منها عمليات الزواج والإرث وغيرها ، كما تواجه العرب المسلمين مشكلة وضع أموالهم في المصارف الربوية ويقول الشيخ هلال : (إن الإسلام دين تسامح يجيز في بعض الأحوال وضع الأموال في المصارف ، وأخذ الفوائد مادامت هذه المصارف غير إسلامية ، وقد تغلبنا مؤخرا على غسل الموتى ودفنهم بفضل جهود الجالية العربية المسلمة ، فقد كانت هذه المشكلة تسبب لنا متاعب في الماضي .

إننا في (لاكنبه) نعيش أجواء إسلامية في رمضان ، حيث تقام الاحتفالات ، ويتزاور الناس ، وتقام دورات تحفيظ القرآن .)

أمسية فنية .

في سيدني تقع أجمل دار أوبرا في استراليا كلها ، وإذا لم نبالغ فهي ربما أجمل مبنى



● المساكن والشقق التي تقدر قيمتها بالملايين لكونها فقط تطل على ميناء سيدني .

للاوبرا في العالم ، وهي تطل على البحيرة والمرفأ في سيدني ، وقد بلغت تكاليف بنائها مائة مليون ومليونين من الدولارات الاسترالية ، أي مايعادل خمسة وسبعين مليون دولار أمريكي ، بعد أن كان المبلغ المقرر لها حوالي سبعة ملايين دولار استرالي ، في بداية المشروع . وقد استغرق البناء ١٩ سنة ، وتم افتتاحها عام ١٩٧٣ . المبنى من تصميم الفنان الدانماركي العالمي : جورن أوتزن . وهو يتكون من قاعة عرض رئيسة ، ومسرح صغير ، وقاعة ثالثة لعروض الباليه ، وقاعتين للموسيقا . وبجوار هذه القاعات مطعم فاخر ، وهو من أغلى مطاعم استراليا ، به شرفة رائعة ، تطل على البحيرة والميناء . تقول السيدة مارلـن المـديرة العـامـة لدار الأوبـرا : إن (الكـافتـيريات) الملحقـة بالأوبـرا التي تقـدم الوجبات السريعة لزوار الأوبرا فقط تمثل دخلا لابأس به إضافة إلى مساعدات الحكومة المحلية ، لمواجهة الأعباء المالية لإدارة الأوبرا .

وتضيف قائلة : إن سعة الأوبرا تبلغ سبعة آلاف متفرج . وكذلك هناك مبنى للإدارة ، يتولى تنظيم العمل فيها ، وهي جهة مستقلة لا تخضع لأي إدارة حكومية .

والمشاهد للدار يلاحظ أن الشكل الهندسي للمبنى فريد من نوعه ، فهو من الخارج يبدو كالشراع لونه (بيج) وزجاجه من نوعية خاصة ، تم استيراده خصيصا من فرنسا ، وبني من حجارة تم احضارها من الجبل الأزرق ، المحيط بسيدني من جهة الشرق . أما القاعات الداخلية فكلها من الخشب الفخم ، ومقاعد الجلوس من الجـلـد ، حتـى تمـتص ترددات الـصـوت والموسيقا .

الخضرة والأغنام حولنا

غادرنا سيدني في الصباح الباكر ، مستقلين سيارة هذه المرة ، المطر الربيعي يتساقط من حولنا ، وعندما استوينا على الطريق الخارجي



● منظر للبحيرة التي حفرها نيزك سقط على مدينة مونت جامبيا على الحدود بين ولاية فكتوريا وجنوب استراليا .

(الاتوستراد) ، أحاطتنا خضرة المزارع الشاسعة ، ووسطها تبدو قطعان الأغنام كنقاط بيضاء ، وسط الخضرة وقفنا في بلدة «كورا» في نيوساوث ويلز ، على بعد مائتي كيلو متر من سيدني ، البلدة عبارة عن مزرعة هائلة للأغنام .

أمام إحدى المزارع الخاصة توقفنا ، استقبلنا صاحب المزرعة ديفيد هنبلي وزوجته . تبلغ مساحة مزرعته قرابة عشرة آلاف هكتار ، وكان عائداً تواً من مزاد لبيع الأغنام ، ويعلق على ذلك قائلا : إن الأسعار منخفضة ، وأنه إذا استمرت الحالة على ذلك ، فإن هذا الموسم سيكون كارثة على أصحاب المزارع ، ويقول : إن السبب هو قلة الأمطار التي هطلت خلال الأسابيع الماضية ، وأن الناس تتوقع فصل صيف جافاً ، وبالتالي ستكون هناك مشكلة في توفير المياه والأعلاف للأغنام ، مما يعني أن الجميع سيبيعون أغنامهم بسرعة وهذا يخلق سوقا غير مستقرة ، فيها فائض في العرض والطلب قليل ، وهذا هو الذي سيحدد الأسعار ، والمسألة مناسبة لكم في المناطق العربية لأنكم ستحصلون على أغنام بسعر منخفض !!

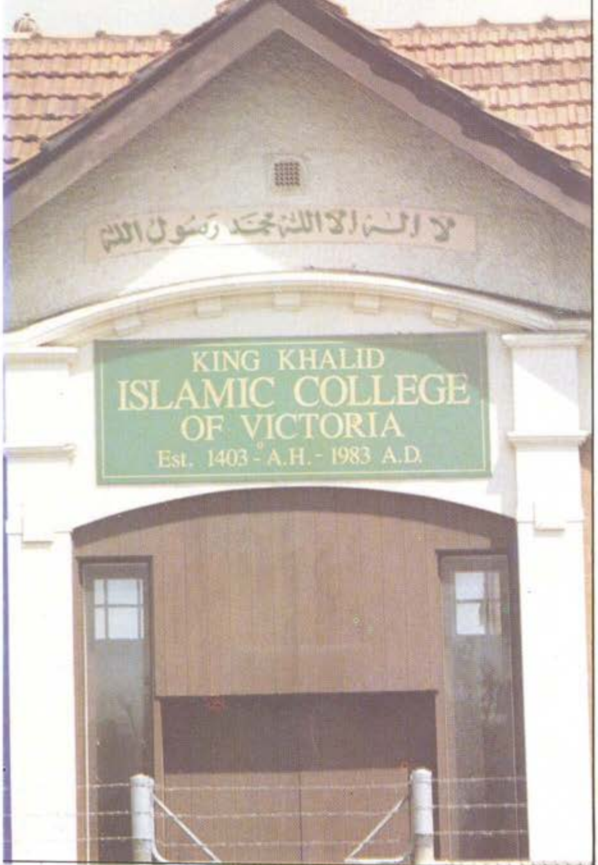
القادم إلينا

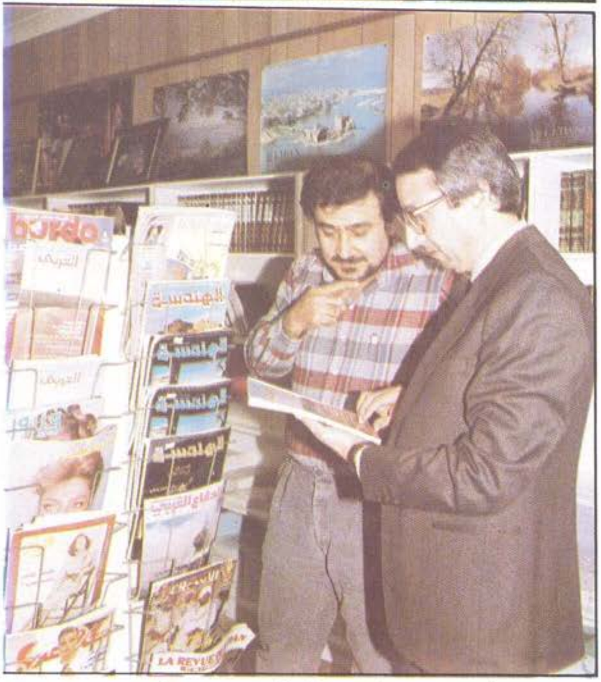
حول تجارة الأغنام مع منطقة الشرق الأوسط يحدثنا السيد لويدبيبي ، المدير الاقليمي لمنطقة الشرق الأوسط بالهيئة الاسترالية للحوم والمواشي ، في سيدني ، حيث يقول : لقد بدأت استراليا في تصدير الثروة الحيوانية ، وعلى الأخص الأغنام ، مع بداية الخمسينيات من هذا القرن ، إلى دول مثل سنغافورة وماليزيا ، وقد كانت الكويت أول دولة في منطقة الشرق الأوسط تستورد الأغنام من استراليا عام ١٩٦٠ م ، حيث شملت الشحنة ٢٥٠٠ رأس من الأغنام ، وارتفع هذا العدد إلى حوالي ٩٢ ألف رأس عام (٦٢ - ١٩٦٣) وإلى حوالي ١٩٠ ألف رأس عام (١٩٦٨/٦٧) .

ثم بدأ معدل الاستيراد يرتفع في السنوات الأخيرة ، حيث بلغ جملة ما استوردته الكويت عام ١٩٧٨ حوالي مليون رأس من الأغنام . وحوالي مليونين عام (١٩٨٣/٨٢) ولكن الرقم حافظ على مستوى يصل إلى مليون ونصف مليون عام (١٩٨٩/٨٨) ، مما جعل الكويت تصبح ثاني أكبر دولة مستوردة في العالم للأغنام الاسترالية بعد المملكة العربية السعودية ، وهي علاقة متطورة وقوية مع شركة المواشي الكويتية التي لديها نظامها الخاص في شراء الأغنام من استراليا ، كما أن لديها أسطولها البحري الخاص لنقل الأغنام وإطعامها ، وكذلك عملية الذبح وتوزيع اللحوم ، إضافة إلى شركة كويتية خاصة أخرى ، تقوم أيضا باستيراد الأغنام من استراليا ، ولكن بكميات محدودة . وإذا نظرنا إلى بقية الأقطار العربية الأخرى نجد أن المملكة العربية السعودية تأتي في مقدمة مستوردي الأغنام من استراليا في العالم ، حيث تستورد مامتوسطه - حسب احصائيات ١٩٨٨ - حوالي (٣,٥) ثلاثة ملايين ونصف مليون رأس ، أي حوالي ٥٢٪ من مجموع صادرات استراليا من الأغنام ، علماً بأن ثروة استراليا من الأغنام يبلغ مجموعها حوالي ١٧٠ مليون رأس تستورد الكويت منها ٢٠٪ ، ودولة الإمارات المتحدة حوالي ٧٠٠ ألف رأس في العام ، أي بنسبة ١١٪ وتظل تجارة تصدير الصوف هي الأساس في هذا القطاع الاقتصادي المهم من حياة استراليا ، والذي يصدر إلى أوربا واليابان والولايات المتحدة الأمريكية .

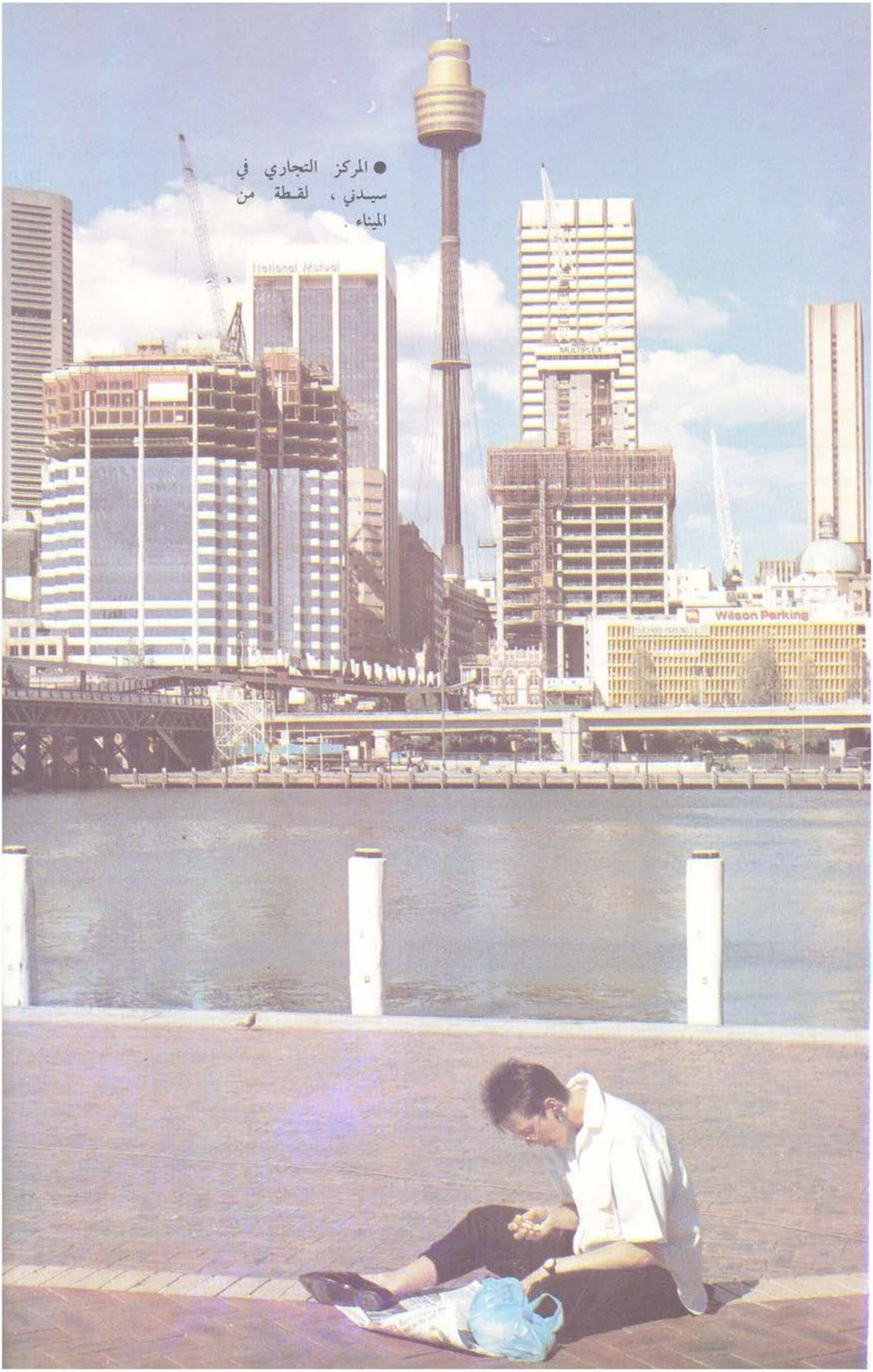
مدينة الذهب والمال

ولاية (فكتوريا) هي صغرى الولايات مساحة ، حيث تعادل حوالي ٣٪ من مساحة استراليا ، وهي الثانية في جولتنا ، وملبورن عاصمتها انشأت عام ١٨٣٥ ، وتطورت بشكل سريع في عصر اكتشافات الذهب - من ١٨٥٠ إلى ١٨٧٠ - وهي الآن ثاني أكبر مدينة في استراليا ، ومعقل رجال المال والأعمال والصناعة ، ويقطنها حوالي مليونين ونصف





● إلى (أعلى) كلية الملك خالد في ملبورن وإلى **(أسفل) الجالية العربية تتشوّق إلى قراءة الصحف والمجلات العربية .**



● المركز التجاري في سيدني ، لقطة من الميناء .

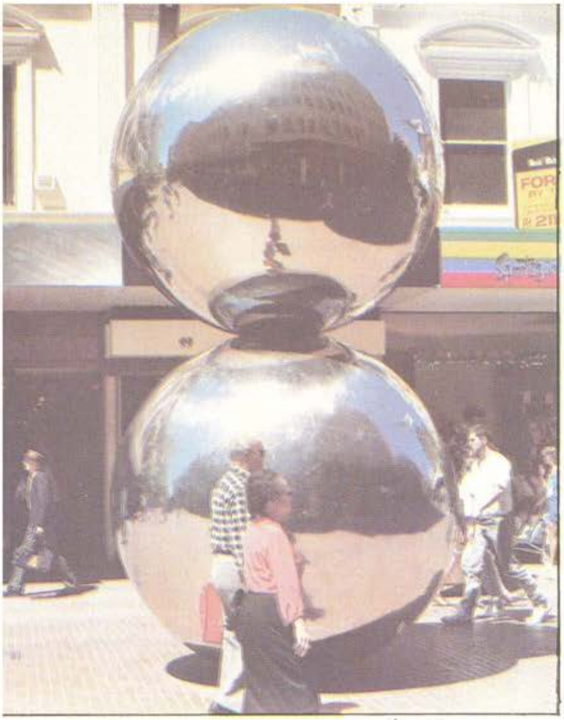
مليون نسمة أغلبهم جاؤوا مهاجرين من أوربا خاصة انجلترا ، كما أنها تتمتع بطبيعة خضراء وأشجار عالية ومبان لها طابع القرن التاسع عشر ، كما أنها تملك طرق مواصلات سهلة ويسيرة ، تحيط بها شبكة من الطرق البرية ، تربطها بمختلف الولايات الشمالية والجنوبية ، وعندما تسير في الأسواق تشدك الروعة والجمال في المحلات التجارية الضخمة ، كما يخترقها مجرى نهر «دلميري» الذي يمتد من ولاية نيوساوث ويلز ويخترق ولاية فكتوريا ليصب في ولاية جنوب استراليا في بحيرة الاسكندرية .

والعرب الموجودون في ملبورن هم عرب الصفوة ، الموظفون منهم قلة ، لكن الغالبية أصبحوا أصحاب مطاعم وملاه ، وهو فن يمتاز به اللبنانيون . وإعلانات السهرات اللبنانية تملأ الصحافة والشوارع ، وهي إعلانات أنيقة ضخمة .

إلى الكويت في خمسة وعشرين يوما

بالقرب من ملبورن يقع ميناء بورتلاند ، وهو من أهم موانيء تصدير الماشية على الساحل الجنوبي ، حيث تتركز كل تجارة تصدير الأغنام الاسترالية إلى العالم . والميناء مخصص - إضافة لتصدير الأغنام والأبقار إلى الشرق الأوسط - لتصدير بعض أنواع الحبوب والألومينا (أكسيد الألومنيوم) إلى اليابان ودول شرق آسيا كما أنه مجهز بشكل فني حديث .

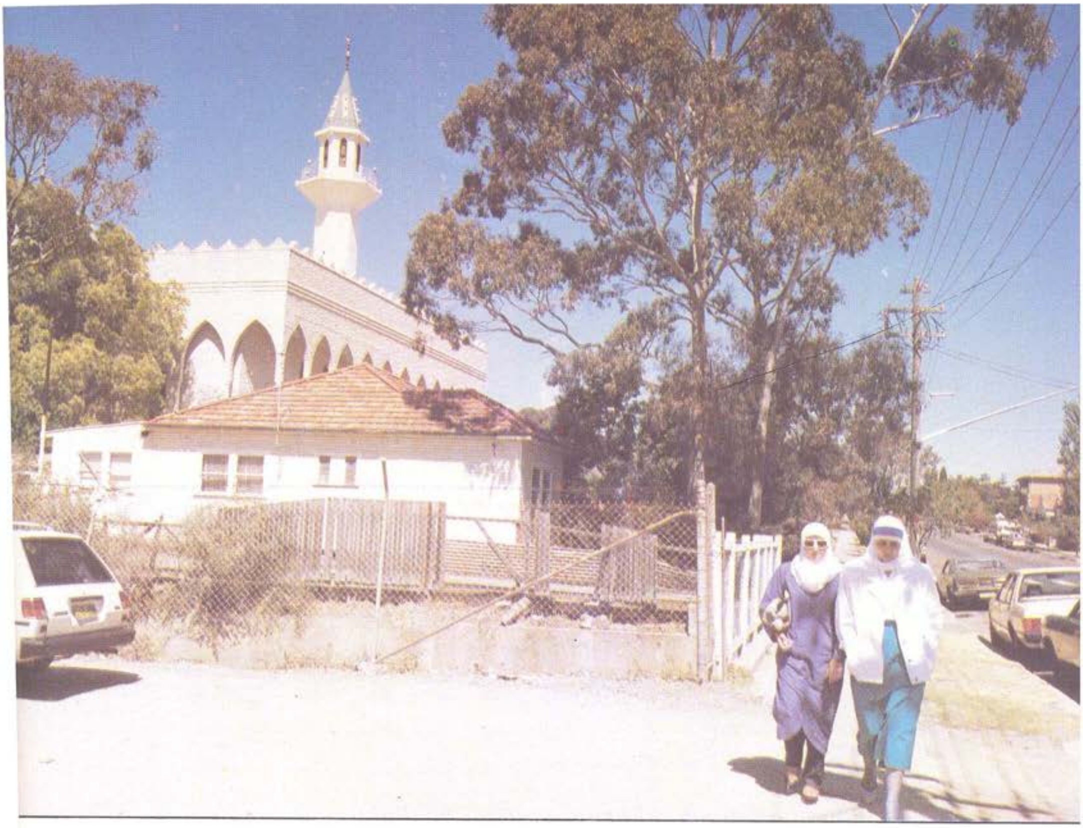
ناقلة ضخمة رابضة على رصيف ميناء بورتلاند ، يوحي شكلها بأنها سفينة ركاب من النوع الفاخر ، ومشعلة أنوارها أثناء الليل ، ويمكن للسكان القاطنين في هذه القرية الصغيرة ، في ولاية فكتوريا ، أن يروا ناقلة المواشي الكويتية (اليسرة) ، ذات الحمولة التي تبلغ مائة وعشرة آلاف رأس من الأغنام بشكل دوري ، وهي قابعة تحت السماء الصافية ، تحمل الأغنام الاسترالية ، في رحلة تستغرق خمسة وعشرين يوما إلى ميناء التفريغ في



● مدينة أدليد أهم مركز لتجارة الصوف .

الكويت . وقد عملت هذه الناقلة وشقيقتها بشكل خاص لنقل الماشية في رحلة تقطع خلالها حوالي ١٠,٠٠٠ عشرة آلاف كيلو متر ، مخترقة المحيط الهندي ، ثم بحر العرب ، مرورا بخليج عمان ، ثم البحرين فالكويت ، وهي الوسيلة الوحيدة للنقل ، لذا فليس هناك بد لتجنيد جميع الإمكانيات لنجاح هذه العملية في هذا الميناء المهم على الساحل الجنوبي لاستراليا .

وشركة المواشي الكويتية تملك تسهيلات كثيرة في الميناء ، فالعملية تحتاج إلى إعداد مسبق . قبل النقل ، فمجرد العلم بقرب وصول الباخرة التي ستنقل الأغنام يتم قبلها بأسبوعين تحضير الحظائر بالقرب من الميناء لتجميع الأغنام ، فهي تأتي من مصادر مختلفة ، ثم تتم عملية الفحص الطبي لها ، كما يتم ترتيبها في مجاميع ، وتنقل إلى الباخرة في الوقت الذي يتم فيه تزويد الباخرة بالمياه لشرب الأغنام وتحميلها بالعلف للرحلة . يتم تصدير حوالي مليون رأس من الأغنام من هذا الميناء فقط إلى منطقة الخليج العربي كل سنة ، بمعدل ٢٢ سفينة في العام ، ويمكن شحن ٦٠ ألف رأس من الأغنام في اليوم الواحد .



● المركز الإسلامي في « لاكنبه » في سيدني والذي يخدم الجالية العربية والإسلامية .

رفاهية ورعاية

في طريق عودتنا من بورتلاند إلى «مونت جامبيا» في جنوب استراليا ، قمنا بزيارة مركز أبحاث علمي ، متخصص بدراسة كل ما يتعلق بالأغنام ، والأغنام في استراليا مدللة ، وكما يقولون في المركز : فإن المزارع عندما يتم تخصيصها لاتحصل على الموافقة بتربية أي كمية وأي عدد من الأغنام ، ولكن هناك حداً أقصى لعدد الأغنام في المساحة المعينة ، وفي المتوسط فإن الهكتار الواحد يخصص له ٦٠ رأساً من الغنم . وآخر أبحاث المركز هي دراسة التغيرات التي تطرأ على حالة الأغنام أثناء السفر البحري ، فقد لوحظ مؤخرا أن هناك نسبة بين ٣ ـ ٤٪ من كل شحنات الأغنام على السفينة لاتأكل مكعبات الغذاء الذي يقدم لها ، سواء في مركز التجميع قبل نقلها إلى الباخرة، أو في أثناء الرحلة ، وتموت نتيجة لذلك ، وهي في المركز ، حسب مايقول الخبير الدكتور ادريان كيلي ، يبحثون أكثر من افتراض لهذه الظاهرة : فهل هو الأسر بعد الحرية ، أو هو تغير نوعية الطعام ، حيث إن الأغنام على السفينة لاتأكل الغذاء الأخضر ؟ ولهذا بدءوا سلسلة تجارب طويلة ، تهدف في النهاية للوصول إلى حل ، لتخفيض كمية الأغنام التي تمتنع عن الأكل في أثناء الرحلة على السفينة .

ادليد المدينة الهادئة

ختام جولتنا كان في الولاية الثالثة ، وهي «ساوث استراليا» ، وبالتحديد مدينة ادليد ، عاصمة الولاية ، وهي مدينة يبلغ عدد سكانها ٩٦٠ ألف نسمة ، وهي عاصمة الأغنام في استراليا ، فالولايات الجنوبية في استراليا هي مناطق تربية المواشي ، وفي ادليد تتجمع كبرى شركات البيع والتصدير للأغنام التي تشترى عن طريق مزادات الأغنام من أصحاب المزارع ، ثم تعدها للتصدير ، كما أنها مركز تجمع شركات الأصواف الكبرى التي تبيع منتجاتها خاما



● سيدني بعدسة عين السمكة .

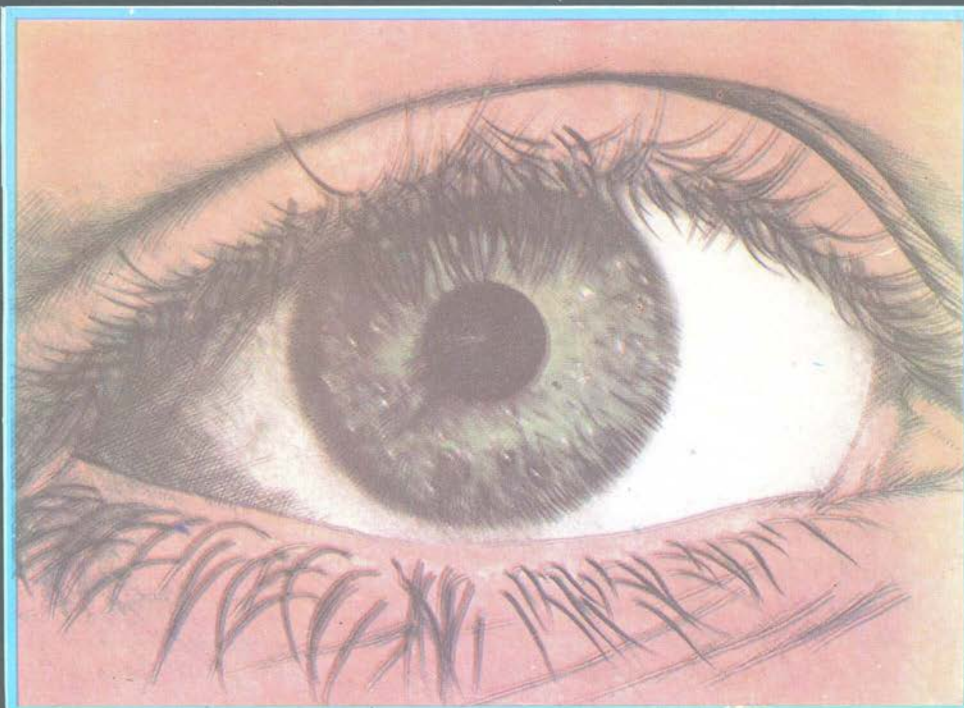
لبريطانيا وايطاليا واليابان وفرنسا . ثم تستوردها استراليا ملابس جاهزة تباع بأغلى الأسعار . وهم في استراليا يتندرون على هذه القضية .

فاستراليا أكبر دولة في العالم تنتج الأصواف الناعمة المستخدمة في صناعة الملابس . وهناك حوالي (٨٠,٠٠٠) من منتجي الصوف في استراليا يملكون حوالي ١٥٠ مليون رأس من الأغنام ، حوالي (١٦٪) من عدد أغنام العالم ، وتؤلف أغنام المارينوس حوالي ثلاثة أرباع الأغنام الموجودة في استراليا ، وهي أغنام ذات أصواف غاية في النعومة ، ويمتاز الصوف الاسترالي باتساق خيوطه . ويتم تصدير أكثر من ٩٠٪ من الصوف الاسترالي . وتقدم استراليا حوالي ٧٠٪ من صوف الملابس المتداول في التجارة الدولية .

وفي ادليد مكاتب شركات بيع منتجات الكروم ، فهي مدينة فيها إدارات الأغنام والزراعة ، وتتمتع بساحل طبيعي جميل جدا ، ولذلك فإن أغلب سكانها إما موظفون في هذه الشركات ، أو «سماسرة» للشراء وللبيع ، أو أصحاب المزارع المحيطة بالمدينة . وحيث يسيل المال توجد أشهر طرق صرف المال وإنفاقه ، فيقام فيها في شهر نوفمبر من كل عام واحد من أكبر سباقات السيارات السريعة في العالم . وحول السباق تدور المراهنات وتحصد الأرباح أو الخسائر الفلكية .

وفي المدينة مكاتب تمثيل للمستوردين الرئيسيين من استراليا . والشوارع على جمالها وهدوئها تمتلىء بإعلانات أنواع الأغنام ، وبإعلانات أنواع الكروم والعصائر ، فالمدينة تعلن عن كل منتجاتها ، أمام زوارها الكثيرين .

قاربت الرحلة على الانتهاء ، ولم يعد في الإمكان البقاء أكثر من ذلك ، ولكننا لم نقدم صورة كاملة لهذا البلد القارة ، ومحاولة تقديم استراليا كاملة لايمكن أن تتم إلا بإقامة طويلة وانتقالات واسعة بين أجزائها الشاسعة ، ولكننا حاولنا أن نقرب صورة هذا البلد التي كانت حلم المكتشفين ، وأصبحت الآن حلم الكثيرين بالهجرة إليها وبدء حياة جديدة . □



بومة تكشف سر قزحية العين!

بقلم : محمد فيض الله الحامدي *

عندما لم يجد الإنسان ما يفسر به بعض الأمراض ، أعادها إلى « عين » أحد الآخرين التي أصابته ، لكن العلم يقول : إنه عن طريق عين الشخص المريض يمكن معرفة إصابته !

* كاتب ومدرس علوم بالقطر العربي السوري .

عندما كان الطبيب المجري « ايفناش بيكسيلي » في الحادية عشرة من عمره ، في نزهة ، في إحدى الغابات ، شاهد عش طائر ، فيه بيضة ، فاقترب منه مادا يده لتناول البيضة ، فهجمت عليه بومة بشكل مفاجيء ، وبشكل لاشعوري أبعدها « بيكسيلي » بعنف فكسر إحدى رجليها ، وقد لاحظ على الفور ظهور خط عمودي أسود على قزحية عين البومة .

تركت هذه الحادثة أثرا في ذاكرته ، مما جعله يركز اهتمامه ـ فيما بعد ـ على دراسة تأثيرات الأمراض الداخلية على قزحية العين عند الإنسان ، وتمكن من وضع مخطط تفصيلي لقطاعات القزحية ، مبينا علاقة كل قطاع بعضو معين من جسم الإنسان ،نشره في كتابه : « اكتشاف في مجال الطبيعة وفن العلاج » عام ١٨٦٦م .

القزحية : كيف تعمل ؟

القزحية جزء متسطح من الطبقة المشيمية لكرة العين الغنية بالأوعية الدموية التي تكسب جوف العين ظلاما ، وتظهر على شكل قرص دائري في وسطه ثقب ، يدعى الحدقة (إنسان العين) يضيق ويتسع حسب شدة الإضاءة ، وقطره في الإضاءة الشديدة مليمتر واحد ، أما في الظلام فيبلغ ٨ مليمترات .

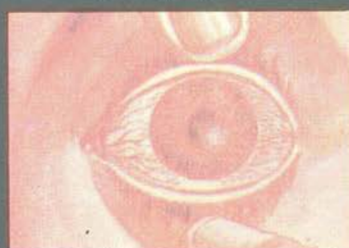
وتعمل عضلتان على تغيير اتساع الحدقة ، أولا العضلة الدائرية المضيقة ، وهي عضلة ملساء ، تحيط بالحدقة ، على شكل حلقة ، وتنقبض بتأثير العصب المحرك للعين ، الوارد من الدماغ ، أما العضلة الثانية فهي العضلة الشعاعية الموسِّعة ، وهي عضلة ملساء ، تمتد من حافة الحلقة باتجاه حافة القزحية ، وتتلقى أوامرها بالانقباض من الأعصاب الودية (السمبثاوية) وهى أعصاب مرتبطة بالجملة العصبية الودية التي لها تفرعات في الصدر



● التهاب الجفون .



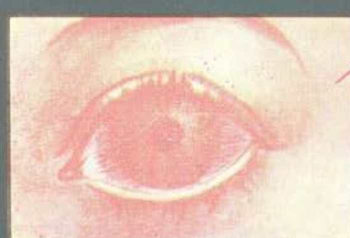
● كيس دهني بالجفن .



● قرحة القرنية .



● كتاركت (المياه البيضاء) .



● التهاب القزحية



● نماذج من القزحيات الملونة ، تفرز لتجميل العين عند فاقدي البصر .

والرقبة ، وتتصل بالغدة الصنوبرية أيضا . ولهذا لايستبعد أن تكون للحالات العصبية والعاطفية انعكاساتها على القزحية .

وتتأثر القزحية بالضوء المباشر ، ففي النور الشديد الساطع يتأثر العصب الحسي - غير البصري - في الشبكية ، فينتقل الإحساس إلى المخ ، فيقوم بدوره بإرسال أوامره عبر العصب المحرك إلى العضلة الدائرية في القزحية ، فتتقلص ، وتضيق الحدقة بسرعة ، لحماية الشبكية من أذى الأشعة ، وتمكين العين من الرؤية الصحيحة .

أما في النور الخافت ، فإن العضلة الدائرية ترتخي ، بينما تتقلص العضلة الشعاعية بتنبيه الأعصاب الودية، بآلية مازال بعض أسرارها خافيا ، فتتسع الحدقة نتيجة لدخول حزمة أوسع من الأشعة الخافتة ، فتتمكن العين من الرؤية بوضوح أيضا .

كما أن النظر إلى جسم بعيد يوسع الحدقة ، وإلى جسم قريب مماثل يضيقها ، فالعضلتان فعلهما متعاكس ، ولكن كلا منهما تتلقى الأوامر من مراكز مختلفة متباعدة،وهذا الأمر مدعاة للتأمل !

ألوان العيون

وتعود درجة تأثر القزحية بالضوء إلى كمية القتامين ، وهي مادة صبغية محمولة على تكوينات مجهرية ، تدعى (حملة اللون) ، وهي التي تعطي القزحية لونها المميز ، فكثافة هذه المادة الكبيرة تعطي القزحية لونا أسود ، وكلما قلت كثافتها تدرج لونها البني حتى اللون الأزرق . وقد وجد أن الحدقة في القزحية الزرقاء أوسع منها في القزحية السوداء ، في الظروف نفسها . كما ثبت أن قشرة المخ تتأثر بانفعالات القزحية بالضوء ، فالتخطيط الكهربائي للدماغ أثبت أن ذوي العيون الفاتحة أكثر تأثرا من ذوي العيون الغامقة ، وهذا ينعكس على دوام الرؤيا الليلية (الأحلام) أيضا ، وعلى الرغم من أن لون القزحية صفة

وراثية ، يسود فيها اللون الأسود على اللون الأزرق فإن هناك عوامل أخرى تؤثر على هذا اللون ، فلكل مجتمع في منطقة جغرافية ومناخية معينة ظروف خاصة ، تنعكس تأثيراتها على ألوان القزحية بشكل عام ، فالذين يعيشون في المناطق الشمالية الباردة قزحيات أعينهم زرقاء ، بينما قزحيات عيون سكان المناطق الاستوائية سوداء ، وفي المناطق المعتدلة تسود القزحيات البنية ، ويعود هذا ، بالإضافة إلى العامل الوراثي ، إلى شدة الإضاءة في كل منطقة ، ودرجة الحرارة السائدة .

وقد لوحظ أن صاحب العين الزرقاء ، إذا انتقل إلى المنطقة الاستوائية ، يصاب بصدمة عصبية ، وبتشنج في الأوعية الدموية ، ويميل ضغطه الشرياني إلى الارتفاع ، كما يصاب صاحب العين السوداء بالاحباط عندما ينتقل إلى المناطق الشمالية الباردة ، ويعاني ضعفا وتعبا عاماً وركوداً في الدم ، حتى يتأقلم . وتكشف الإحصائيات أن ذوى العيون البنية في السويد وانجلترا ـ مثلا ـ يصابون بالسل الرئوي بمعدلات أكبر من ذوي العيون الزرقاء .

القزحية ملف طبي

تصاب القزحية كنسيج حيوي بأمراض معينة ، وما نقصده هنا هو العوارض التي تبديها القزحية نتيجة اعتلال أعضاء داخلية في الجسم ، كالقلب والرئتين والكلية ، واضطرابات الدم ، وغير ذلك .

ولقد ظهر إلى الوجود علم خاص ، يدعى علم القزحية inidolgoe ، له فرعان : الأول علم القزحية التربي ، ويدرس تغيرات القزحية الناتجة عن اختلال تركيب الدم ، والتبديلات الطارئة التي تنشأ عن وصول الدم إلى القزحية .

والثاني علم القزحية القطاعي ، ويدرس تغيرات قطاعات معينة من القزحية ، تتأثر باعتلال الأعضاء الداخلية ، وتنتقل إليها بطريق عصبية .

ويمكن أن تظهر تغيرات (تربية) أو (قطاعية) على قزحية العين ، قبل ظهور الأعراض الجسمية للمرض ، لهذا فعلم القزحية بطاقة هوية لما ورثناه ، لماضينا المرضي ولما ينتظرنا من أمراض في السنين المقبلة ، كما يقول روبير ماسون Robertmasson الفرنسي المختص بالمعالجة الطبيعية للأمراض عن طريق التغذية . فالفراعنة في عهد توت عنخ آمون كانوا يشخصون الأمراض بواسطة

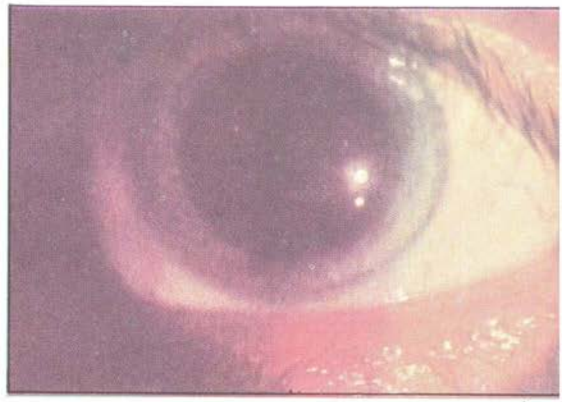


● « روبير ماسون » فرنسي مختص بالمعالجة الطبيعية للأمراض عن طريق التغذية .

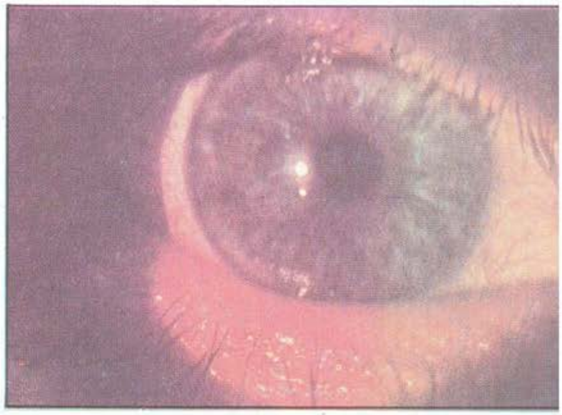
القزحية ، وكثير من رعاة القبائل الجبلية يكتشفون أمراض الأغنام من ألوان عيونها . لكن الدراسة العلمية لتشخيص الأمراض عن طريق الكشف على القزحية لم تظهر إلا مؤخراً .

أمراض بالساعة !

ولتسهيل عملية التشخيص هذه تم ترقيم حافة القزحية إلى (١٢) رقما كالساعة تماما ، وبذلك قسمت القزحية إلى (١٢) قطاعا رئيساً ، وكل قطاع مرتبط بنهايات عصبية ، تتأثر باعتلال أعضاء معينة ، فاضطرابات القلب مثلا تظهر على قزحية العين اليسرى ، في



● الحدقة في النور الضعيف .



● الحدقة في النور الشديد .

القطاع المناظر للساعة الثالثة والربع ، والاختلال المهبلي في قطاع الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، وهكذا .

ولكن كيف تتأثر القزحية بالأمراض الداخلية ؟ عند اعتلال القلب ـ مثلا ـ يتأثر المخ ، فيرسل تنبيهات الألم إلى القزحية (القطاع المختص فيحدث تشنج بسيط للأوعية الدموية المغذية لهذا القطاع ، ويقل إمداد الاكسيجين (لحملة اللون) ، فتصاب بالخمول ، وتعجز عن أداء وظيفتها بالشكل المطلوب ، فتظهر رقع على القزحية ، ومنها يستدل المختص على العضو المريض ، ومازالت أسباب هذا الارتباط بين القزحية وأعضاء الجسم الداخلية غير معروفة تماما .

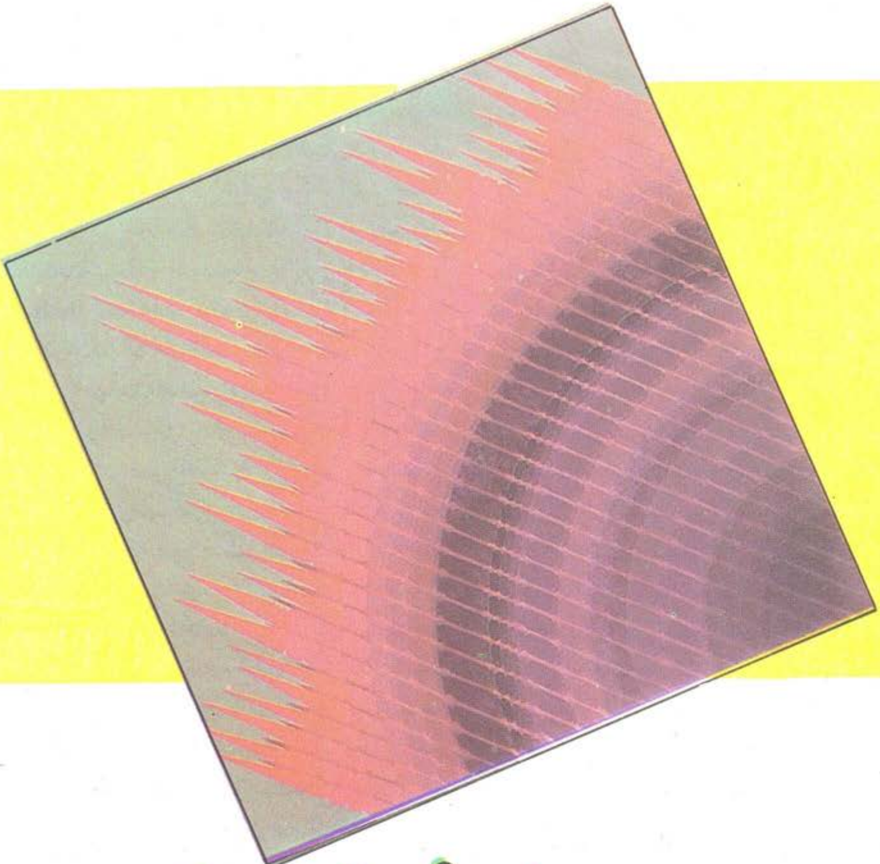
لكن العين جملة نافذة الدماغ على الوسط الخارجي ، والطبقة المبصرة هي امتداد للنسيج العصبي ، والدماغ هو المهيمن الأساس على ضبط نظام عمل الأعضاء في الجسم . وقد لوحظ أن أكثر من ٦٨٪ من المصابين بالروماتيزم تظهر على قزحيات عيونهم نقاط مبعثرة ، بألوان بيضاء وصفراء وبنية وسوداء ، ولدى المصابين بأمراض المرارة الحادة ، والتهاب البنكرياس ، وقرحة المعدة ، والذبحة الصدرية ، واحتشاء عضلة القلب ، تظهر بقع صبغية لدى ٩٥٪ منهم ، ويزداد ظهورها إذا ترافقت تلك الأمراض مع الألم .

واليوم تشخص الأمراض عن طريق الكشف على القزحية بنجاح كبير ، كما يؤكد على ذلك الطبيب السوفيتي الشهير المختص بالأمراض العصبية (يفغيني فيلخوفر) .

إن قزحية العين التي تعطي جمالا وسحرا للوجه لها أكثر من معنى ، وأكثر من وظيفة ، وقد تكون بحق مرآة النفس البشرية « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » . □

التوفير أفضل . . !

● كان للشاعر حافظ ابراهيم صديق شديد البخل على الرغم من ثروته الكبيرة ، فلما زاره حافظ ذات يوم ، وجده واجما حزينا ، فسأله عما به ، فأجابه الصديق البخيل : أشار الطبيب عليّ بضرورة إجراء عملية جراحية لي تكلفني خمسين جنيها ، وإلا فإن مصيري الموت ، فما رأيك ؟ فأجاب حافظ : أرى أن توفر الخمسين جنيها !



حسن غنيم
وَفَنّ الطُمَأنينة

بقلم : محمود بقشيش

من سمات الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي ، استلهامه عناصر التراث العربي ، خاصة تراث الفن الإسلامي ، ومزجه بتقنيات الفن ومدارسه الحديثة .

الفنان حسن غنيم الذي يعرض هذا المقال أبرز أعماله ، واحد من الفنانين العرب المحدثين الذين يسعون بإبداعاتهم للبحث عن هوية فنية مميزة .

منذ رفع المثال المصري « محمود مختار » - في العقد الثاني من هذا القرن - شعار « نحو فن قومي » ، لم تخمد جذوة دعوته ، بل ازدادت اشتعالاً على الرغم من تحديات سلطان النموذج الأوربي في الفن . وأسهمت إبداعات بعض الفنانين العرب في توكيد هذا الشعار الذي صار تياراً . ومثلما تعددت أسباب الدعوة إلى اكتشاف خصوصية لفن عربي قومي ، تعددت تجليات تلك الخصوصية ، فمن الفنانين من اكتفى باستلهام إرث بيئته ، ومنهم من رأى عدم الاكتفاء بإرث المنطقة الاقليمية التي ينتمي إليها ، بل تجاوزها إلى استلهام إرث يجمع الشتات . وكان من الطبيعي أن يكون الجامع الموحد لهذا الشتات هو الفن الإسلامي بتنويعاته الغنية . واتجه بعضهم إلى محاولات اكتشاف إمكانات « الحرف والكلمة العربية » الجمالية والتعبيرية . ولمعت أسماء من كل الأقطار العربية ، واستطاع بعضهم أن يحصل على اعتراف دولي . وعلى الرغم من تنوع



● لوحة من أعمال الفنان حسن غنيم « زيت على توال »

إبداعات الفنانين العرب في هذا المجال ، واستقلال كل قطر بملامح خاصة ، فإن المشاهد الأجنبي لا يلحظ تلك الاختلافات البينية ، ولا تلتقط حواسه إلا ما يدل على انتمائها إلى « كتلة ثقافية » واحدة ، لهذا كان - وما يزال - الطريق أمام استلهام الحرف العربي والزخرفة الاسلامية مفتوحا إلى الذيوع العالمي ، والتميز ، وربما التأثير ، على شرط أن تتبنى ذلك مؤسسات عربية كبرى ، تثق بدور الفن ، والفنان الحضاري .

والفنان الذي نقدمه إلى القارىء العربي ، هو الفنان المصري « حسن غنيم » الذي ينتمي إلى تيار مستلهمي الفن الإسلامي ، بتجلياته المختلفة ، وتكشف إبداعاته في فن الرسم الملون عن جوانب مختلفة ، لاجتهادات متميزة ، تضعه ، بغير تردد ، بين المبدعين المرموقين في وطننا العربي .

سيرته الذاتية :

لو حاولنا أن نبدأ الرحلة مع إبداع الفنان المصري « حسن غنيم » وشخصه ، بالنظر إلى كليهما نظرة إجمالية ، خاطفة ، أو بلغة الهندسة « منظور عين الطائر » فإننا نلاحظ خطين أساسين . أولهما : التزام الفنان بمنبع رئيس واحد ، ظل منحازاً له حتى الآن ، وهذا المنبع المختار هو الفن الإسلامي . ثانيهما : حرصه على أن يصل فنه إلى جمهور عريض ، فلم يكتف بقاعات العرض التقليدية ، بل أقام معارضه في محطات السكك الحديدية ، ومراكز التجمع الشبابي ، ووصل بها إلى القرى والنجوع . والطريف أنه لم يدرس الفن - وربما لحسن الحظ - دراسة معهدية ، ولو استثنينا تشجيع أستاذه في الرسم في المدرسة الابتدائية ، فإنه لم ينل أي قسط من الدراسة المنهجية . وعلى الرغم من حصوله على عديد من الجوائز في المرحلة الإعدادية والثانوية فإنه كان يلقى مقاومة شديدة من أسرته ، مما اضطره إرضاءً للأسرة ، أن

يلتحق بكلية التجارة ، لكي يحصل على « شهادة » ، وبعد تخرجه من الكلية عمل في وزارة الثقافة مسئولا في قاعات العرض الرئيسة ، في أواخر الستينيات ، وما يزال يعمل في مجال العروض الفنية ، وبذلك يكون قد حقق لأسرته ما أرادته ، ولنفسه ما أرادت . أتاح له هذا العمل الاحتكاك الدائم بالإبداع والمبدعين ، وأتاح لموهبته ، بالتالي ، أن تصقل . يعترف « حسن غنيم » بأن أستاذه الأول كان جامع العارف بالله ابراهيم الدسوقي ، بمدينة « دسوق » ، شمال الدلتا ، وتولاه هذا الجامع ، منذ صباه حتى شبابه المبكر بتهذيب حواسه أو تثقيفها ، بما يملكه من إبداع معماري وزخرفي . كان يداوم على المجيء إلى الجامع للصلاة واستذكار الدروس ، مثل معظم أبناء الفقراء الذين لا يملكون من وسائل الإضاءة غير « لمبات » الغاز . وتركت تلك العلاقة آثارا عميقة في نفسه ، لهذا فإن انحيازه لم يأت استجابة لتيار قومي سياسي ، أو ركوب موجة كما يقال ، بل انحياز المحب إلى الحبيب ! .

البرتقالات المثمرة !

إذا تأملت كل لوحاته ، فإنك لن تجد أثرا واضحا للملامح الخارجية الوصفية لتلك العلاقة الحميمة بينه وبين أستاذه الأول : جامع ابراهيم الدسوقي ، على غير الحال مع علاقته بالمناظر الطبيعية لمدينته ، فقد كانت علاقته بها علاقة الدارس ، الواصف الناقل لما تراه حاسة العين ، وتطرب له النفس ، بينما اختفت وقائع الجامع ، وظهرت إيحاءاته في صور شتى ، تحركها ، أحيانا ، بعض المصادفات السعيدة ، مثل مصادفة « البرتقالات » ! . وقد يتساءل القاريء : وما علاقة البرتقال بالفن الإسلامي ، أو علاقته أصلا بسياق الحديث ؟ وأجيب : لقد كان شكل البرتقال بداية لبحث طويل ، وطريقاً شاقاً إلى النضوج . إنه من المؤكد أنه رأى أهرامات البرتقال على عربات الباعة ، غير أن لحظة « ارشميدسية » قد تألقت في حواسه وعقله ، فاكتشف في لمحة خاطفة أنه لم يشاهد من قبل برتقالاً . كانت كتل البرتقال الاسطوانية البراقة ، وفراغاتها البينية ، تشكل في مجملها نسقا هندسيا ، ورياضيا ، يشبه - في جوهره - نظام المشربية . وكان حينئذ ما يزال غارقا في رسم مناظر من مدينته بأسلوب وصفي ، غير أن الوصف الأكاديمي البارد ، كان قيداً ، فقاومه برسم غطاء هندسي مجرد شفاف ، واحتفظ لتلك المربعات الفسيفسائية بألوان اللوحة الوصفية ودرجاتها نفسها فكأنهما لوحتان جمعتا في مشهد واحد ، يجمع بين نقيضين ، لا يشكلان وحدة عضوية . وأذكر أنني اقترحت عليه حينذاك أن يفض الاشتباك المتعسف بين اللوحتين ، وفعل ، ثم جاءت البرتقالات ، فحسمت علاقته بالمنهج التشخيصي ، ورجحت كفة التجريد الهندسي غير المقطوع الصلة بمثيرات الواقع ، أو بمعنى أدق : بمخزون ذاكرة تعلقت بوحدات وفنون من



● صورة للفنان حسن غنيم

التراث الإسلامي ، مثل : الفسيفساء ، والخرط الخشبي العربي ، والخط العربي ، والمشكاة ، وربما كان طبيعيا أن « يقترب » في تلك الفترة من أسلوب « الأوب آرت » كما فعل ، دون أن يلتزم به ، فبينهما - أعني : نظام المشربية والفن البصري - بعض الشبه ، وإن اختلفا فلسفة وتوجها .

استدعاء مفردات جديدة !

مع لوحات كرات البرتقال ، حدث التوفيق بين نظام المشربية والمدرسة البصرية ، أو بين القديم والمعاصر ، وقد حال نظام « الفسيفساء » دون الانحياز إلى الطابع الإعلاني الذي تدعو إليه المدرسة البصرية . وكشفت لوحاته الأولى عن روح الدارس ، الباحث ، الدؤوب . في جوانب مادة اكتشفها ، أو علاقة التقطها : علاقة كتل البرتقال بفراغاته البينية من ناحية ، وما يمكن أن توحي به تلك العلاقة من مشابهات مع نظام المشربية من ناحية أخرى ، وعندما وظف كتل البرتقال في سياق لوحاته الأولى ، التزم بمصدر ثابت للضوء ، ولم يترك للظلال أن تنزلق على اسطوانية الكتل ، بل قسم حدودها الداخلية إلى وحدات مربعة صغيرة ، التزمت بدرجات الظل ، وأوحت بمستويات « كريستالية » ، تناقضت مع منهج بناء منطقة النور ، وربما لهذا السبب أو غيره ترك هذه الطريقة ، وبسط كتلة البرتقالة ، وجعلها دائرة ، مسطحة ، وما تزال تلك الدوائر تحتل مركزا مرموقا في لوحاته ، وقد ولد منها وحدات أخرى : وحدات المشربية ، ووحدات الخرط الخشبي العربي . وفي البداية لم يلتزم بنظام المشربية حيث الانتشار إلى ما لا نهاية ، والانضباط الرياضي المحكم ، بل اصطنع حدودا خارجية ، ترسم نهايات شبكة الوحدات الهندسية ، وتوحي لنا بأننا أمام منظر طبيعي ، كما في لوحة « تكوين من الخرط العربي » ، على سبيل المثال ، ففي اللوحة نشاهد عند حدود التماس بين نهايات التكوين العلوية ، وفضاء اللوحة ، ما يوحي بأننا أمام كثبان صحراوية ، تتوجها دائرة قمرية أو شمسية ، تتردد في إطارها الداخلي كلمة : (لا إله إلا الله) ، ويظهر الإيحاء بالمنظر المستلهم ، أو المتولد من صورة ذهنية ، عن جماليات البيئة المصرية المنبسطة أكثر وضوحا ، ونضوجا في مجموعة لوحات تسمى « سحر الشرق » . في تلك اللوحات تنتشر الأعمدة في صفوف ، وفي مستويات مختلفة ، وتتسم تلك الأعمدة بملامح جامعة ، تفصح عن أصولها ، دون أن تتطابق معها ، ففيها ملامح من المشربية ، والخرط العربي ، والشمعدان .

تألق في تلك المجموعة ، دور الفضاء التصويري ، كما تألق دور اللون الأبيض ، وبمعنى أدق : رذاذ اللون الأبيض الذي كان يمطر به اللوحة ، فتكسوها غلالة شفافة ترقق كتل الأعمدة والأقواس ، وتُذَوِّب بعضها في فضاء اللوحة الأبيض ، ويسبغ هذا التدرج في درجات الغامق والفاتح ، مع غطائه الأبيض ، في إرضائنا ودعوتنا إلى نوع من السكينة والطمأنينة . □

من حفظ السر .. كان الخيار له



قال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : أسرّ اليّ معاوية حديثا ، فأتيت أبي فقلت له : إن أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثا ، ولا أظنه كان يطوى عنك فأخبرك به . فقال : لايابني ، من كتم سرا كان الخيار له ، ومن أفشاه كان الخيار عليه ، فلا تكن مملوكا بعد أن كنت مالكا ، فقلت : إن هذا لايدخل بين الرجل وابنه . فقال : لا يابني ، لكن أكره أن يتذلل لسانك بأحاديث السر ، فدخلت على معاوية فحدثته بما جرى بيني وبين أبي ، فقال : يا وليد اعتقك أبوك من الخطأ .

وجهاً لوجه





الدكتور سهيل إدريس و جهاد فاضل

- حَمَلَتْ مجلة «الآداب» هُمومَ الجيلِ الجديدِ، ولواءَ الحداثةِ الأصيلة، ولَمْ تَبتعدْ عن التراث.
- صِلتي بالرّوايةِ لم تنقطعْ، وآملُ أن أعودَ.
- لمْ ننقلْ مِن الوجوديّةِ إلا ما يحضُّ على التحرّرِ وتحمُّلِ المسؤوليّة.

الدكتور سهيل إدريس ، صاحب مجلة « الآداب » ، ورئيس تحريرها ، شخصية ثقافية متعددة الجوانب ، فهو قاص وروائي ومترجم وواضع قواميس . وفي كل باب من هذه الأبواب له أعمال كثيرة معروفة ، ولكن عمله الخالد بنظر كثيرين هو مجلة الآداب ذات الأثر التنويري البارز ، فقد حملت « الآداب » ، منذ نشأتها ، روحاً عربية تجديدية ، وعلى صفحاتها كتبت أجيال من الكتاب والأدباء والشعراء والمفكرين العرب ، ولعل سر « الآداب » كامن في روح التجديد التي حملتها ، فهي لم تدر ظهرها للتراث العربي الإسلامي ، بل انطلقت منه ، دون أن تعتقل نفسها فيه . أدار الحوار جهاد فاضل ، وهو صحفي من لبـــنــان .

*** متى كانت بدايتك مع الأدب ؟ وكيف استطعت بلورة أحاسيسك الأولى في أعمال أدبية ؟ هل لك أن تحدثنا عن تلك البداية ؟**

ـ ميولي الأدبية أحسست بها منذ نعومة أظفاري كما يقولون . ولابد أن الأحداث التي عشتها ، ضمن عائلتي وفي حياتي الاجتماعية ، قد حددت هذا المسار الأدبي . أذكر الآن أن أول انتاج كتبته عنونته بعنوان يدل على المرحلة الرومانطيقية التي بدأت بها الكتابة . كان عنوان ذلك الأثر : أشعة فؤاد ، وقد كتبته بوحي من حب وقعت فيه ، في أحد المصايف ، لفتاة كنت أسكن في الطابق السفلي في بنايتها . وكنت في تلك الفترة شيخا صغيرا ، معمما ، لا يتجاوز الحادية عشرة من عمره . وقد أحسست ذات لحظة أن هذا الزي كان عائقا لانطلاق عاطفتي المشبوبة نحو هذه الفتاة . فخرجت من هذا الزي ، أو صممت على الخروج منه ، لشعوري بأنني لم أخلق له ، وتقدمت إلى شهادة البكالوريا بعد دراسة دينية مكثفة، وكانت تلك وسيلة أو ذريعة للتوجه نحو الدراسة المدنية . لكن وضعي العائلي لم يكن يسمح لي بالاستمرار في الدراسة الثانوية مدة طويلة ، فانتسبت إلى الصحافة ، وعملت في مجلة « الصياد » ، وجريدة « بيروت » ، و « بيروت المساء » ، فترة سبع سنوات ، كتبت في أثنائها مجموعتي القصصية الأولى التي صدرت عام ١٩٤٧م بعنوان « أشواق » وفيها طغيان تلك النزعة الرومانطيقية التي تتناسب تماما مع سن ذلك الفتى المشغوف بالحب والأدب الفرنسي الذي جذبني إليه أستاذ اللغة الفرنسية في كلية المقاصد الإسلامية آنذاك ، السفير السابق خليل عيتاني .

وأذكر أن أول رواية فرنسية ترجمتها كانت لكاتب ، ترك طابعه في أدب ما بعد الحرب العالمية الأولى ، وهو آلان فورنيه ، صاحب رواية « مولن الكبير » ، ومازلت أعتقد أن هذه الرواية من أروع الروايات التي تصور مأساة الحب لدى شاب حاربته الأقدار ، فحاول أن ينتصر عليها بالهرب إلى آفاق الأوهام والأحلام .

ثم أصدرت مجموعتين أخريين ، هما : « نيران وثلوج » ، و « كلهن نساء » ، عامي ١٩٤٨ و ١٩٤٩م .

كان الهم القومي قد بدأ يشغل فكري ووجداني ، وكانت أول قصة كتبتها ، بوحي من هذا الهم ، بعنوان : « قصة شهيد » ، نشرت في مجموعتي الأولى ، ثم تنبهت فجأة إلى أن الصحافة كانت تلتهم مني القصاص والأديب ، وتحاول أن تسطحه ، فقمت بالتمرد الثاني على نفسي ، وهجرت الصحافة الأسبوعية واليومية ، بعد قضاء سبعة أعوام فيها ، لأجد نفسي بعد ذلك مرة أخرى طالبا في باريس ، يحاول أن

يعد رسالة دكتوراة في الأدب ، فيصطدم بكثير من المصاعب والمتاعب ، إلى أن تغلبت عليها ، وأعددت رسالة الدكتوراة مع المستشرق بلاشير ، وكانت بعنوان : « الرواية العربية الحديثة والتأثير الأجنبي عليها من ١٩٠٠م إلى ١٩٥٠ »

إن قضاء ثلاثة أعوام في العاصمة الفرنسية هو الذي أدى الى تكوني الأدبي الجديد ، بتأثير الحياة الثقافية بشكل عام ، والحياة الثقافية الفرنسية وهموم المثقف العربي الذي يواجه في عاصمة أجنبية صدمة الغرب بحضارته وثقافته وعلومه ، ويحاول أن يستخلص هويته بعد هذه الصدمة ، ليجد أنه لا مفر له من العودة إلى الجذور ، وهو الذي قاد مسيرة الفكر الأدبي الذي تبنيته مرتبطا ارتباطا جذريا بالتراث العربي ، ساعيا إلى خلق جديد يأخذ بالمعاصرة ، فيما هو يستشعر أثر الحضارة العربية والماضي البعيد الذي يناقضه مناقضة عميقة واقع العرب بعد هزيمة ١٩٤٨م .

وحين عدت إلى بيروت عام ١٩٥٢ صممت على أن أحمل هموم الجيل العربي الجديد ، في مجلة تعبر عن آلامه وآماله وطموحاته ، أنشأتها عام ١٩٥٣ ، تحمل جروح الهزيمة ، وتطمح إلى الإسهام في الخروج منها ، عن طريق تأسيس ثقافة عربية جديدة واعية ، لا تستطيع أن تنفصل عن الماضي ، ولا تستطيع أن تنفصل أيضا عن هم التجديد والتحديث ومسايرة التطور في مختلف ميادينه .

وبعد ذلك - باختصار - بدأت الإنتاج : قصة قصيرة ، ورواية ، ودراسة : « الخندق العميق » ١٩٥٢ ، « الحي اللاتيني » ١٩٥٣ ، « الدمع المر » قصص ١٩٥٦ ، « رحماك يادمشق » ١٩٦١ ، « أصابعنا التي تحترق » ١٩٦٢ ، « العراء » ١٩٧٣ . وكتبت مسرحية ، مثلت في بعض الأقطار العربية ، عنوانها : « زهرة من دم » ، وهي من وحي نضال الشعب الفلسطيني والفدائيين .

وفي هذه الأثناء ترجمت زهاء عشرين كتابا ، بين رواية ودراسة وأقاصيص ، وكانت ترجمتها تنوء بهذا الهم : تحديث الإنتاج العربي ، وربطه باستمرار بالهم القومي الذي ينفتح على النزعة الإنسانية ، ويبتعد بعيدا عن الشوفينية .

هذا ما يمكن أن نعده مسيرة أدبية ، متروك أمر تقييمها لمؤرخي الأدب ونقاده .

مجلة الآداب ودورها الطليعي

*** إسهامكم الأدبي ، من قصة ورواية ودراسة ، إسهام متميز ، ولكن هناك من يقول : إن أعظم ما أنتجه سهيل إدريس هو مجلة « الآداب » ، ذات الأثر الأدبي والفكري والقومي في مسيرة النهضة العربية المعاصرة، وهو دور تاريخي إذا ما قيس بأدوار مجلات أخرى، لم تحفر عميقا كما حفرت « الآداب » .**

ـ قد تكون مصادفة أن « الآداب » ظهرت عام ١٩٥٣، عند احتجاب مجلتين مهمتين في مصر ، هما : « الثقافة » و « الرسالة » . ومع أهمية هاتين المجلتين في المسيرة الثقافية العربية إلا أن احتجابهما ذو مغزى، وهو أنه تزامن مع سقوط العهد الملكي في مصر . ولذلك تزامن صدور « الآداب » مع قيام الثورة المصرية في عام ١٩٥٢ . فهل هي مصادفة أو أن ذلك منطق التاريخ، يفرض نفسه بين مراحل الانتقال من عهد إلى عهد ؟

على أي حال ، حملت مجلة « الآداب » ، كما ذكرت، جراح حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وبدأت تؤسس للنهوض من هذه الهزيمة، وقد استوعبت مقولة أن هذا النهوض لا يمكن أن ينقطع من التاريخ العربي والحضارة العربية . من هنا كان التخطيط يأخذ بالحسبان، عندما أنشئت مجلة « الآداب » أن كل تجديد لابد أن يكون مرتبطا بالجذر التراثي ، بخلاف التفكير الذي قاده بعض المثقفين العرب في لبنان ، وغير لبنان ، عندما أخذوا بفكرة تبني التيارات الأجنبية على اختلافها ، يسارية كانت أو يمينية ، في وجه الارتباط بالتاريخ والتراث العربي . وقد كان هذا التخطيط لا يخلو من

صعوبة في التنفيذ، لكن استجابة المثقفين العرب لهذا التوجه هي التي مكنت المجلة من أن تفتح الطريق أمام هذه الحداثة الأصيلة، فكان الشعر العربي الحديث هو الذي يخرج عن تقليدية الأوزان الخليلية، ولكنه لا يدمر أصل الشعر الذي هو التفعيلة . وهذا ما تجسد في القصائد الأولى التي نشرتها « الآداب » منذ صدورهـا ، وظهـرت على صفحـاتهـا قصـائـد السياب، ونازك الملائكة، وصلاح عبدالصبور، وأحـمـد عبـدالمعـطي حجـازي، والبياتي، وسواهم، ممن أخذوا بناصية القصيدة العربية الحديثة، كاسرين البحور والقوافي، لكنهم متشبثون بالجذر الشعري الذي هو التفعيلة كما ذكرت .

وبعد صدور « الآداب » بسنوات ظهرت مجلة « شعر » التي اختطت لنفسها طريقا آخر، اجتهدت بأن يكون في رأيها قائما فحسب على تقليد الشعر الأجنبي، وعلى اقتباس قصيدة النثر منه، تلك القصيدة التي لا علاقة لها بالشعر العربي، والتي لم تستطع مجلة « الآداب » ، في توجهها أن تهضمها إلا في ما ندر، إذ نشرت بعض إنتاج محمد الماغوط، وجبرا ابراهيم جبرا، مما كان يتميز بنفس شعري خاص. غير أن المجلة لم تقتنع بمشروعية هذه التي يسمونها قصيدة النثر، والتي لا نعتقد حتى الآن أنها تركت أي أثر في تطور القصيدة الشعرية العربية على الرغم من ادعاءات مجلة « شعر » وسواها، بأنها هي التي قادت مسيرة التجديد في الإنتاج الشعري .

إلى جانب ذلك، كان « للآداب » دور ريادي، على ما أظن في مستوى النقد، فالهم النقدي الذي كانت تؤكد عليه، سواء بنشر الدراسات المعمقة التي تتناول الآثار الأدبية الحديثة، أو بذلك الباب الذي فتحته المجلة، وكان يشهد إقبالا واهتماما كبيرين من القراء، باب « قرأت العدد الماضي » . وهو الذي يعترف معظم الشعراء والقصاصين والدارسين الذين نشأوا في « الآداب » أنه قد كان له أثر كبير في تأصيل مواهبهم الأدبية، وبلورة توجهاتهم الفنية .

واهتمام « الآداب » بالقصة القصيرة ، وإنشاء المسابقات لإبرازها أسهم كذلك في تقديم نتاج قصصي ناضج ، دعمته دار « الآداب » بنشر نماذج مختلفة من هذه القصص، في مجموعات صدرت في وقت مبكر، وأتاحت لكتابها أن يبرزوا كطليعيين في كتابة القصة .

ونـحـسـب أن اهـتـمام « الآداب » بالأدب الأجنبي ، وبفتح نوافذ واسعة له ، ارتبط بها القارىء العربي مع تيارات التجديد الفكري في الغرب ، واستكمل البعد التحديثي لأدبنا العربي .

وفي هذه الأثناء أصدرت دار « الآداب » ، تكملة رسالة « الآداب » كثيرا من الروايات المترجمة التي أقبل عليها القراء العرب ، بما يتـوافق مع أشـواقهم إلى مضـامـين الحـرية والمسؤولية .

عائد إلى كتابة الرواية

*** ما آخر رواية كتبتها ؟ وهل تعتقد أنك لم تزل على صلة بفن الرواية ؟**

ـ كانت آخر رواية كتبتها هي : « أصابعنا التي تحترق » ، عام ١٩٦٣ ، وبدأت بعدها بكتابة رواية جديدة ، بعـنـوان : « زمـن الهـزيمـة والنصر » ، وكانت مصممة لترصد المسيرة الصاعدة للقومية العربية ، الهادفة لتحرير فلسطين . وكان تخطيطي الروائي يستشرف النصر في المعركة التي كان العرب يعدون لها ، والتي جاءت نكسة ١٩٦٧ لتحمل لهم منها الاحباط، إن لم نقل اليأس. وأعترف أن تلك الهزيمة قد رجت أعماق الوجدان العربي، ووعي المثقف العربي، وهزتها، وهي التي جعلتني اتساءل : أين هو زمن النصر ؟ وأوقفت عملي الروائي على الرغم من أن الأديب المسؤول هو الذي يتجاوز الحدث، ليكون حدثا آخر، يحمله أشواق المستقبل لا مرارة الواقع. على أنني لم أقطع الصلة نهائيا بتلك الرواية، وإنما وضعت لها تخطيطا جديدا، يأخذ بعين الاعتبار مأساة لبنان المرتبطة بمأساة فلسطين. وآمل أن أعود إلى استكمال هذه الرواية، وأنصرف مجددا

إلى العمل الروائي، بعد أن أنجز العمل المعجمي الذي انصرفت إليه منذ سنين طويلة.

*** اقترن اسم «الآداب» بالفكر الوجودي الذي اهتمت به المجلة اهتماما خاصا، وعن دار «الآداب» صدرت كتب عديدة لسارتر، وسيمون دوبوفوار، والبيركامي، وسواهم. هل جاء ذلك بالصدفة، أو أنكم رأيتم في هذا التوجه انسجاما مع الخط القومي الذي كان متصاعدا آنذاك؟**

ـ أود أن أوضح باديء ذي بدء أن اهتمامي بالأدب الوجودي لم يكن منفصلا على الإطلاق عن اهتمامي بالوازع القومي، بل إنني لم أقصد أن أنقل من هذا الأدب إلا ما وجدته منسجما ومتزامنا مع تطور الحدث القومي في وطننا العربي، وما جذبني إلى إنتاج الوجوديين ـ وعلى رأسهم سارتر ـ هو اهتمامهم الكبير بنضال الشعوب للتحرر، واهتمامهم الخاص بنضال الجزائر. كانت الثورة الجزائرية في تلك الفترة هي التي تستقطب اهتمام العرب، ولأن أصواتا كصوت سارتر أتت لتدعيم هذه الثورة، ولتقوم في وجه الاستعمار الفرنسي، كان لابد من أن يعني بها المثقف العربي المهتم بالحدث السياسي الذي يقرر مصير الشعب العربي. وبينما كنت أنقل الكتابات التي كتبها سارتر ودوبوفوار وسواهما، في تأييد القضية الجزائرية، وإدانة الوحشية الفرنسية، مما نشرناه فيما بعد في كتاب عنوانه: (عارنا في الجزائر)، جمعنا فيه عددا من دراسات سارتر ومقالاته. اهتممت اهتماما خاصا بكتابات هذا الكاتب، واكتشفت فيها محورين أساسيين، كنا نحن العرب بأشد الحاجة إلى استيعابهما، وهما محور الحرية ومحور المسؤولية. ولم تهمني الفلسفة الوجودية بمجموعها، بل همني منها هذان القطبان اللذان كانا يمسان أوتار الإنسان العربي، لأنه كان يفتقدهما بعد تلك الهزيمة التي منينا بها، والتي شعر فيها هذا الإنسان أن من أول أسبابها فقدان الحرية، بل القمع السياسي والاجتماعي، وعدم تحمل المسؤولية في القيادة.

إذن لم ننقل من الوجودية إلا ما كان متجاوبا مع هذا الهم، ودليلنا على ذلك أننا استبعدنا الاتجاه الإلحادي في الوجودية، وهو ما لا ينسجم مع الغاية من تأسيس مجتمع عربي جديد، شديد الحرص على الاتجاه الإنساني في تاريخه وحضارته ودينه.

وإذا كنا نؤمن بالتطور والتجديد، فإنه كان لابد لنا، وقد بدأت الوجودية بالانحسار أمام تيارات كثيرة أخرى أن ننصرف إلى تيارات أخرى، تساعدنا في هذه المسيرة القومية. ونحن نؤمن بأن بإمكاننا أن نستفيد في مسيرتنا هذه من جوانب عديدة في التيار التقدمي، دون أن نكون ملزمين على الإطلاق بتبني تيار معين.

ماذا عن المستقبل؟

*** هل لكم رأي في حاضر الأدب في لبنان؟ وماذا عن مستقبل هذا الأدب وتأثيره في الأدب العربي المعاصر؟**

ـ المأساة التي يعيشها لبنان منذ اثني عشر عاما تحفر عميقا في الوجدان العربي، هذا الوجدان الذي لم يكن يجد في بيروت عاصمة للانفتاح والتطور الفكري فحسب، بل يجد فيها وترا مرهفا للحدث العربي القومي، يهتز كلما تعرض العرب لامتحان جديد. كانت بيروت أول عاصمة وأكبر عاصمة عربية تحتضن الحدث، وتعبر عنه، وتتأثر به، من أجل هذا كانت محط أنظار الإنسان العربي، لأنها ترمز إلى الوعي والحب والإنسانية، إلى جانب كونها ملجأ للحريات. وكانت كذلك، وبالدرجة الأولى، ملجأ لحرية الفكر، بها تمارس تأثيرها العميق في كل مكان من أرجاء الوطن العربي الكبير، وبها تتميز عن سائر العواصم.

كان كل أديب عربي، يستشعر الاختناق في بلده، يتجه إلى بيروت، وقد كان يعرف أن هناك منابر يستطيع أن يتنفس عليها، ونعتز بأن «الآداب» أحد هذه المنابر.

أما الآن، وإذا أردنا أن نتحدث عن مستقبل بيروت، ومستقبل حرية الفكر، فنحن نشعر

بأسى شديد لهذا البلد الذي مزقته الطائفية ، بل المذهبية والإقليمية ، حتى كدنا نيأس من أن تستعيد بيروت ، في خضم التنازع على السلطة فيها ، مكانتها كعاصمة فكر ونشر .

أنا لا أستطيع الآن في بيروت أن أتكلم كما كنت أتكلم منذ خمسة عشر عاما ، وأصبحت في ذلك لا أختلف كثيرا عن أي مواطن عربي . متى نستطيع أن نسترد وجهنا المشرق ؟ وهل يستطيع جيل أولادنا أن يستشرف مرة أخرى هذا الضوء الذي كان يغمر بيروت ؟

حاضر النقد

*** شغلت « الآداب » بالنقد ، مثلما شغلت بالشعر ، فقد كانت تخصص بابا شهريا بعنوان : « قرأت العدد الماضي من الآداب » يتعاقب عليه نخبة من الأدباء والنقاد ، فما رأيك بالنقد الآن ؟**

ـ لا أعتقد أنني أظلم تاريخ الأدب ، ولا الواقع الإبداعي ، إذا ذهبت إلى القول بأن الشعر الحديث قد استطاع في الخمسينيات والستينيات أن يؤكد هويته ، ويثبت أقدامه في عالم الشعر ، ويؤكد على تغير الشعر العربي الحديث . وعلى الرغم من أن بعض الأصوات أو الأقلام تتجاهل دور « الآداب » ، وتعزو أمر الإطلاق أو التشجيع لتيار الشعر الحديث إلى مجلات أخرى ، فإن التاريخ حاضر، يثبت أن « الآداب » التي صدرت عام ١٩٥٣ هي التي احتضنت ، قبل أي مجلة عربية أخرى صدرت عام ١٩٥٦ أو ١٩٥٧ ، هذه الحركة الشعرية . وليس ذلك فقط ، بل إن النوع الجديد الذي احتضنته « الآداب » ، ويسرت له سبل الانتشار ، كان هو النوع الذي لا يتنكر للشعر التراثي ، وإنما ينبثق منه ، ويتطور عنه ، لأنه يقوم أصلا على هم أساس ، هو المحافظة على الإيقاع الشعري بالتفعيلة . صحيح أن التفعيلة لم تعد موحدة ، وأن القافية الواحدة قد أسقطت من هذا الشعر الوحيد ، وأن بحور الشعر تطورت على يديه ، ولكن هذا كله يظل مرتبطا ارتباطا وثيقا بتطور الشعر الحديث عن شعر التفعيلة التي عرفها قبل ذلك الشعر الأندلسي .

ويذكر القراء أنه في الخمسينيات صدرت أول دواوين الشعر الحديث من دار « الآداب » ، ونشر عدد من قصائد هذا الشعر في مجلة « الآداب » . أما ديوان « الناس في بلادي » ، لصلاح عبدالصبور ، فكان الإطلالة الأولى للشعر الحديث ، وتبعه بعد ذلك دواوين : لأحمد عبدالمعطي حجازي ، وأمل دنقل ، ومحمد ابراهيم أبو سنة ، ومحمد عفيفي مطر ، وكثيرين سواهم .

وليس هناك ناقد يشكك في ثبات قدم الشعر العربي الحديث ، وفي أن الأمر أصبح مفروغا منه في أن القصيدة الحديثة تقف جنبا إلى جنب بشكلها الجيد ، مع أي قصيدة عمودية جيدة الشكل هي أيضا ، إلا إذا كان هذا الناقد رجعيا أو مغرضا .

وبالطبع يهمنا أن نربط دائما تطور قصيدتنا الحديثة بمعطيات التراث ، فإننا أبعد ما نكون عن التنكر للقصيدة العمودية . إن هذا الشعر العربي متكامل بين كلاسيكيته وحداثته ، وليست القصيدة الحديثة إلا لتنويع الشعر العربي كله وإغنائه . □

فاصنع ما أحب الله



● تغيظ عبدالملك بن مروان من « رجاء من حيان » فقال : « والله لئن أمكنني الله منه لأفعلن كذا وكذا » .
فلما صار بين يديه ، قال له رجاء : « ياأمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت ، فاصنع ما أحب الله ، فعفا عنه ، وأمر له بصلة » .

تطور الشعر العربي الحديث في الخليج والجزيرة العربية

بقلم : الدكتورة نورية الرومي *

يمكن القول بأن الثقافة العربية تشبه الشجرة الكبيرة التي تتكون من فروع وأغصان وأوراق هي حصيلة تفاعل هذه الثقافة في كل قطر من أقطار العرب .

فما حال الشعر في الجزيرة والخليج العربي ، خصوصاً في خمس وعشرين سنة ماضية من هذا القرن ؟

شهدت منطقة الخليج والجزيرة العربية في خمس وعشرين سنة ماضية تغيرا مفاجئا وسريعا نتج عنه تطور له خطورته وأهميته في حياتها ، لأنه قد شمل أشكالها المختلفة : السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والاقتصادية ، فقد استقلت دول المنطقة ، وبدأت عهدا سياسيا جديدا ، واكبه تغير في بنية المجتمع ، وفتح الباب أمام أبناء المنطقة ، فانطلقوا إلى بلدان العالم ، ورأوا مابها من حضارة ومظاهر تقدم ، أثارت إعجابهم ، كما أعجبوا أيضا بثقافة هذه البلدان ، وسلوكها الاجتماعي ، ورغبوا أن يحملوا معهم في قطار العودة شيئا من ذلك الذي أعجبوا به إلى بلادهم ، لكن هذا الشيء الجديد ووجه بمعارضة شديدة ، أوجدت صراعا حادا بينه وبين القديم المتوارث . نتج عنه وجود حالة من القلق ، والإحساس بالغربة ، والتمزق ، والظلم السياسي ، والاجتماعي . إحساس بدأ يغزو نفوس الشباب ، ويحملهم على الشكوى والتبرم بماضيهم وواقعهم ، ويدفعهم أحيانا إلى البحث عن عوالم مثالية ، والتمرد على الواقع بغية تغييره .

بدايات التجديد

واستمرت حدة الصراع في كل ميدان من ميادين الحياة ، وهذا أمر طبيعي ، فالحياة لا تعرف الجمود أو التوقف ، إنها في حركة دائبة ،

* مستشار سلسلة عالم الفكر وأستاذ مساعد فى قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة الكويت

وتطور مستمر .

والأدب بألوانه المختلفة مظهر من مظاهر الحياة ، يعكس ما فيها من حركة وصراع وتجدد ، والشعر فن من فنون الأدب ، يدخل في ساحة الصراع الدائر أبدا بين القديم الذي ألفناه ، والجديد الذي يشق طريقه إلى النور ، ويعنى برصد هذا التحول ، والتعبير عنه .

وقبل تناول هذه المرحلة ـ مرحلة التجديد والتحديث بشيء من التفصيل ـ لا بد من الإقرار بالفضل لبعض شعراء الجزيرة العربية الذين ارتقوا بالقصيدة التقليدية ، وجعلوها تستجيب بسهولة لطبيعة التحولات التي عرفها الشعر العربي المعاصر في الأقطار العربية المتقدمة ، والذين نجحوا في إدراك مفهوم حركة التجديد ، وتمثل خصوصيتها الشعرية . كما يتحتم بيان أن الجديد لم يستطع القضاء على القديم ، بل سارا معا ، وأصبح لكل منهما جمهور من المؤيدين والمعارضين ، لأن العلاقة بينهما تقوم على التعدد والتباين ، على نحو يعكس تعدد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتغيرة في المنطقة . كما تقوم على التداخل والتصارع ، والتأثير والتأثر ، بما يحدث في المنطقة من تصارع أدبي ، وفكري ، واجتماعي .

لقد شهدت بداية هذه الفترة « طبقة من الشعراء » ، ونمطا من الشعر يشكل محطة الانتقال خطوة خطوة من التقليد إلى التجديد ، ويسمى هؤلاء الشعراء « المعتدلين » وهم المزاوجون بين الاتباع والابداع ، وبين الشعر المحافظ ، والشعر الجديد ، فلهم من الشعر المحافظ قدر من شعر المناسبات والمديح ، والديباجة الصافية والأسلوب القديم ، ولهم من الجديد تنوع الموضوعات ، والالتحام بقضايا الأمة ، وطرق لموضوعات الشعر الاجتماعي والوصف ، وهم لذلك يقفون على شاطيء النقلة ، مشدودين إلى الماضي ، يسيرون إلى الأمام ببطء وتثاقل . كما جاء في كتاب « في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية لعبدالله الحامد العلي » .

وقد أسهم هؤلاء الشعراء بالانتقال بالشعر من طور إلى طور تبرز فيه قوة الصياغة وإشراقتها ، والمحافظة على الوزن ، وايثار القافية الواحدة ، أو المقاطع المنوعة القوافي ، والمزاوجة بين القديم والجديد ، لكن هذه الظاهرة ليست طابعا شائعا في شعرهم .

وقد تأثر الشعراء المخضرمون بالشعراء القدامى ، كما تأثروا بالمدارس الجديدة ، وبخاصة المدرسة الرومانسية ، وبالشعراء الرومانسيين من أمثال الشابي وناجي .

وقد تطورت هذه المحاولات إلى ما يقرب من الاتجاه الرومانسي في شكله الحقيقي لغة وصورا شعرية ، وموقفا من الطبيعة ومن الحياة « وامتزاج ذات الشاعر بذوات الكائنات ، وظواهر الطبيعة من حوله ، أو ما نسميه الامتزاج الشعري بالطبيعة » خاصة في شعر ابراهيم العريض الذي استطاع أن ينقل لغة الشعر من التقليدية إلى لغة الوجدانيين والرومانسيين .

الرومانسية تلاحق المجددين

وإذا كانت مدرسة الإحياء ثمرة العودة إلى التراث العربي ، ومحاكاة لعصور ازدهاره فإن طبقة الشعراء الرومانسيين في الغالب ثمرة لصلتنا بالحضارة الغربية ، ظهرت لتكون تعبيرا صادقا عن الذاتية ، والوجدان ، والشخصية الفنية المستقلة ، ورفضا للنهج التقليدي .

وظهرت الذاتية وهي من أبرز سمات الشعراء الرومانسيين ، حيث عمق المعاناة في التجربة الشعرية ، وصدق التعبير عنها ، وهم يجنحون إلى الخيال إلى حد بعيد ، فالشعر عندهم تعبير عن العاطفة والوجدان ، وقد ظهر في شعرهم

الخيال الجزئي ، والصور الشعرية الممتدة ، والتعبير عندهم يمتاز بالظلال والإيحاء ، والألفاظ حية نابضة فيها رقة وعذوبة .

وليست الرومانسية خاصة بالمجددين ، فهي موجودة عند شعراء من المحافظين والمخضرمين ، لكنها كانت روافد تتلوى ، وتلوح وتختفي ، ولا تشكل مذهبا عاما لشعر المحافظين والمخضرمين .

ومن أبرز الشعراء الرومانسيين الذين نمت وتطورت واكتملت خصائص الشعر الرومانسي على أيديهم ، فهد العسكر الذي شخص شعره ولع الوجدانيين ، باتخاذ ظواهر الطبيعة وسيلة للتعبير الرومانسي ، وأحمد العدواني الذي لم يعد شعره مجرد ضيق بالحياة ، وشكا في نوايا الناس ، وإنما أصبح نظرة عميقة تفلسف الحياة وتنقدها .

ويمثل شعر غازي القصيبي ولع الرومانسيين العرب بنقل الدلالات اللغوية ، والايغال في الصور المجنحة .

كما يشخص شعر خليفة الوقيان أحاسيس الغربة والقلق اللذين يتخذهما طريقا إلى البحث عن عالم مثالي ، يختفي منه الظلم ، وترحل عنه الأحزان ، ويعيش الناس سعداء لا تثقل كواهلهم هموم الحياة .

من نماذج الرومانسيين

لقد عاش فهد العسكر فترة التحول الاجتماعي والثقافي والاقتصادي ، وأحس بهذا التغير الذي يؤثر في الحياة من حوله ، واستجاب له ، لما وجد فيه من نزوع نحو التحرر ، ولكنه اصطدم بالتقاليد الموروثة اصطداما أسلمه إلى شيء من السخط والحزن ، والإحساس بالغربة ، فجاءت قصيدته : « بلبل » تعبر عن حالة نفسية بعينها ، تعكس موقفه من الحياة وما فيها من آلام ، أو تصور ثقته بالمستقبل وتبشر به ، يقول :

ولهانُ ذو خافقٍ رَقَّتْ حَوَاشِيه
يَصْبُـو فَتَنْشُرُهُ الـذِّكْرىَ وَتَـطْوِيـهِ

كأنه وهو فوقَ الغصن مضطربٌ
قلبُ المَشُوقِ وَقَدْ جَدَّ الهَوىَ فِيهِ
رأى الربيعَ وقد أَوْدَىَ الخريفُ به
بَيْنَ الطيورِ كَمَيْتٍ بَيْنَ أَهْلِيهِ
لا الورد زاهٍ ، ولا الأكمامُ باسمة
ولا عرائسـه سَكْـرَى فَتُـلْهِـيـهِ

ثم يعاوده الأمل ، والتطلع إلى مستقبل أفضل ، يخلصه مما هو فيه من ألم وحزن فيقول :




● أحمد مشاري العدواني ● د . خليفة الوقيان

وَلَّى الشتاءُ فَوَافَى الدوحَ بُلْبُلهُ
وجـاء آذارُ بالـبُشْرىَ يُهَـنِّـيـهِ
وأَقْبَلَتْ سحـراً نَشْـوىَ نسـائمُـهُ
تهفـو ، وتلثمُـهُ شوقـاً فتشْفيـهِ
واستقبل الروضَ بالأطيافِ شاعرُهُ
وهَـبَّـتِ الـطيرُ أسرابـاً تُحَـيِّيـهِ

إننا نلمس في هذه الأبيات مدى اهتمام الشاعر بالطبيعة ، واتخاذ وصفه لمظاهرها في الفصول المختلفة رمزا على حالته النفسية ، وعلى مواقفه من الحياة والناس ، كما نلمس فيها استخدامه لمفردات اللغة استخداما جديدا يظهر في نقل صفات الأشياء بعضها إلى بعض وامتزاجها بالنفس والمشاعر .

بدايات التطور

وقد أدى إغراق الرومانسيين في النزعة الذاتية ، والغلو في عرض الأنا وخلجات النفس

إلى النفور منها ، والتمهيد للظهور والانتشار للشعر الواقعي الموضوعي اللاشخصي الذي تتوارى فيه ذات الشاعر لتحتل مكانها ذوات الآخرين ، ومشكلات الناس والمجتمع .

لقد أخذ الشعر في هذه المرحلة يواكب المسار الشعري ، ويجاري سنن التطور ، فاتجه نحو الواقع اتجاها فنيا وموضوعيا ، فلم يعد - كما قلنا - نغما ذاتيا ، يتغنى بالأحاسيس الإنسانية ويعبر عنها ، متطلعا إلى عالم مثالي ، يخلقه خيال الشعراء ، بل أصبح الشعر في منطقة الخليج بخاصة ، والوطن العربي بعامة ، يتخذ من الواقع الوطني موضوعا تدور حوله قصائد الشعر .

لقد دخل المجتمع العربي في تلك الفترة التي يعرض لها البحث ، مرحلة جديدة من حياته الاجتماعية والمدنية ، خلقت جوا من الحيرة والإحساس بالتناقض لدى جيل الآباء الذين ظل ولاؤهم باقيا للماضي ، بكل ما فيه وما يمثله من قيم وتقاليد ، وجيل الأبناء الذين لم يكن لهم بالماضي صلة بالقوة نفسها التي تقوم في نفوس الآباء .

وقد عبر جيل الآباء عن حيرته بطريقة حملتهم على إنكار كثير من مظاهر الحياة الجديدة ،ومعارضة كثير من أنماط السلوك التي يندفع إليها الأبناء .

أما جيل الأبناء فإن همومهم تعود إلى سبب آخر هو هذه المفارقة السياسية ، والاجتماعية ، التي يحسون بها ، بين أوطانهم وبين العوالم الجديدة التي انفتحوا عليها ، مما عمق في نفوسهم الشعور بالظلم الاجتماعي والسياسي ، فبالغوا في ذلك مبالغة لا تسوغها حقيقة الأحداث في هذه البيئات الخليجية المختلفة ، وإن كانت صدى لهذا التناقض الحاد بين الحياة في منطقة الخليج ، والحياة في غيرها من أقطار الوطن العربي .

ما بعد الرومانسية

على أن هذا يجب ألا يحملنا على الظن بأن ظهور هذا اللون من الشعر كان محض صدى لحركة الواقع ، ذلك أن الأدب الحق الذي يعي وظيفته ، ما هو إلا انعكاس لواقع الحياة وتطورها ، ولكنه ليس مجرد انعكاس آلي ، فهو يرتد ثانية إلى الحياة ، ليحث خطاها ، ويدفعها نحو مزيد من التطور والتقدم ، أي أنه يتعامل مع حركة الواقع انفعالا وفعلا . ولكنه انفعال وفعل يدوران - في منطقة الخليج العربي - حول تجربة واحدة ، يسعى الشعراء ، إلى التعبير عنها من خلال موضوعات وأشكال فنية مختلفة ، يمكن تلخيصها في عبارة واحدة « هي مواجهة السلطة القائمة مواجهة ذاتية وفردية » .

على أن المنطلق العام للشعر الواقعي الجديد هو الالتزام والإيمان بقوة الكلمة ودورها الفاعل في المواجهة .

في هذا الشعر تذوب « الأنا » ، لتصبح ذرة من ذرات تلك الذات الجماعية الكبرى .

وقد كان من الممكن أن يكتب لهذا اللون من الشعر الاستمرار في الذيوع والانتشار والقدرة على إزاحة كل ما عداه من الأشكال الفنية ، لولا أن الشعراء قد وقفوا عند وجه واحد من وجوه مأساة هذه البيئة ، هو الوجه السياسي ، الأمر الذي جعل من هذا الشعر ، في أكثر نماذجه ، شعرا سياسيا خالصا .

وظاهرة الرمزية شديدة الالتصاق بالشعر الحر ، وهو شعر موزون ، يتخذ الشاعر « التفعيلة » وحدة الموسيقا في البيت ، دون التقيد بعددها . ويستعمل فيه الرمز بكثرة ، ولا يقيم شعراء الشعر الحر علاقات لغوية واضحة بين صورهم ، وانما يعولون على ما يطلق عليه العلاقات النفسية ، وقد نتج عن استخدام الرمز بكثرة ، والاعتماد على العلاقات النفسية ،

غموض شديد في صورهم ، مما يجعل الوقوف على مقاصدهم ليس ميسورا لكثير من المثقفين .

وأغرى فريقا آخر ، ممن يجيدون كتابة النثر ، ولهم تجارب رمزية عميقة ، فيها الفكرة النفاذة ، والخيال المجنح ، وسموا هذا الشعر شعرا منثورا ، وهم يعلمون تماما أن الفارق الواضح بين الشعر والنثر هو الوزن ، وأن هذه التسمية قد جانبها الصواب .

فالشعر الحر ليس شعرا منثورا ، وإنما هو شعر كتب بأسلوب جديد .

ومن الشعراء الذين عالجوا هذا اللون من





● د . أسامه عبدالرحمن ● د . غازي القصيبي

الشعر الحر : سيف الرحبي ـ عُمان ، قاسم حداد ، علوي الهاشمي ، حمدة خميس ـ البحرين ، عارف الخاجة ـ الإمارات ، أسامة عبدالرحمن ـ السعودية ، على السبتي ، محمد الفايز ، سعاد الصباح ، خليفة الوقيان في ديوانه الثاني « تحولات الأزمنة » ـ الكويت ، عبدالعزيز المقالح ـ اليمن ، وشعراء غيرهم ، تضافرت جهودهم ، وأسهمت في إحداث تغير في شعر هذه المنطقة ، أدى إلى ظهور نزعة جديدة في هذا الشعر ، هي نزعة الحداثة التي جاءت ثمرة طبيعية لبذرة التمرد الكامنة فيما سبق من المراحل التي مر بها الشعر ، كما جاءت نتيجة لتأثر المنطقة بالتحولات الأخيرة التي حدثت في الشعر العربي المعاصر . بمعنى أن هؤلاء الشعراء لم يبدؤوا من فراغ ، بل كانت لهم تجارب ناجحة في مجال الشعر التقليدي ، وما تبعه من تحولات واتجاهات ، مكنتهم من استيعاب فنون العصر ، والتعامل مع المتغيرات باقتدار ، والاستفادة من المستجدات في مجالات الفن والحضارة ، مع المحافظة على استمرار التواصل ، وتقوية الصلة بالماضي . وكانت وسيلتهم في إيجاد هذا التلاحم اللغة ، مع مراعاة توظيف مفرداتها توظيفا جديدا ، يناسب حركة الحياة ، وينسجم مع روح العصر ، ويعبر عن إرادة التغيير .

من شعراء الحداثة

والحداثة إبداع وتجريب ، فالتجريب مشروع إبداعي ملحوظ في شعر شعراء الحداثة ، لأنهم لا يكادون يصلون إلى مرحلة حتى يتجاوزوها إلى غيرها ، من أمثال :

أسامة عبدالرحمن ، فقد عرف بتجاوز عدد تفعيلات البيت الواحد ، كما في قصيدة « بيروت » التي يقول فيها :

بيروت بين يديك يقتل كل شيء حتى مساحيق الحضارة

في الشفاه وفي الأظافر والحواجب

فالقصيدة من بحر الكامل ، وتفعيلاته ست ، زاد عليها تفعيلتين ، كما أنه يمزج في القصيدة الواحدة بين تفعيلات بحرين مختلفين ، ولا يساوي بين التفعيلات ، كما حدث في قصيدته (الليل والبحر) :

غابت وولى خلفها
كل النهار
غير ظل من شفق
يتمطى من بعيد يتراءى
من خلال السحب

فالقصيدة من بحر الرجز « مستفعلن مستفعلن مستفعلان »

ومن بحر الرمل « فعلاتن ، فاعلاتن ، فعلاتن »

وكما حدث في قصيدته « عطر العتاب » التي يقول فيها :

هل أعجبتك قصيدتان
الشعر بين دفاترى
كم تنتشى فيه المطالع والمقاطع

كلها ان أعجبتك ولو قصيدة
ومشاعري تزهو وتنمو
في اللظى الموّار منها وردتان
وبليلي المحلولك الوجنات ترقص نجمتان

فقد نجح هذا الشاعر في استلهام روح التراث ورضي من ملهمته هذه في القصيدة حكمها على ديوانه ، فرأيها عنده هو الرأي ، وهو حين يسأل ويرضى إنما يستحضر موقف الشاعر الغزلي جميل من بثينة حين يقول :

« وإني لأرضـــى من بثيـنـــة بالـــذي
لَو ابصره الواشي لقرت بلابله »

فالحداثة موصولة بالتراث ، وإن اختلف الشاعر هنا عن الشاعر القديم في استخدام مفردات اللغة ، ونقلها من المحسن إلى المجرد ، وتجسيم المعنويات وتشخيص الجمادات فالعتاب عطر ، والمطالع تنتشى ، والمشاعر تزهو ، كما جعل لليل وجنات .

والحداثة إذ تبقى على الجسور الممتدة بينها وبين التراث ، تعترف بقوة التأثير والتأثر بين الشعراء ، ولا تعد ذلك نقلا . وقد تأثر الشاعر : سيف الرحبي في قصيدته « مرايا القفار » بالشعراء السابقين الذين استخدموا « المرايا » بوصفها رمزا شعريا ، وهو رمز موجود عند كثير من شعراء « الشعر الحر » ، وقد انفرد ـ أدونيس ـ بالتركيز على هذا الرمز بوجه خاص ، حيث تغدو « المرايا » صورا شعرية ممتدة ، تنعكس فيها مختلف جوانب الواقع والتاريخ . يقول الشاعر : سيف الرحبي :

في القطارات التي تحملني دائما
إلى البعيد
وعبر مرايا أفقية ، نزقة
لا أكاد أتعرف
على وجهي الذي
خشته طيور الهجرة
لكني حين أنزع قفازات الرؤية
عن صدفة الظلام
وفي الأنفاق السحيقة
للألم الإنساني
أتجشم المسير ثانية
لعلي أرى ما لا تراه عين الصوفي
أو السندباد

فقد انتقل من الوصف المادي للقطارات إلى المعنى الإيحائي الأوسع ، ورمز بها إلى اليد التي تحمله دائما ، وترحل به بعيداً إلى سفر غير قاصد ، ومحطة وصول مجهولة المكان ، ولم يكتف بتوظيف وسائل العصر ومستحدثاته التي أغنته عن استعمال « الناقة » . هذه المفردة التي كانت قاسما مشتركا في قصائد الشعر التقليدي ، بل وظف أيضا الأسطورة ، فالسندباد المسافر دائما ، أسطورة وعتها عيون التراث ، وتناولتها بالتفصيل في مواضيع شتى .

كما استعار الشاعر عين الصوفي التي ترى القفر روضا ، والجوع والظمأ شبعا وريا وغذاء للكادحين .

كما جعل اللغة وسيلته إلى إدراك الأشياء من حوله . والقدرة على التعامل معها ، إن مرايا الشاعر نزقة ، لا تريه إلا الجانب القبيح من الحياة .

المراحل نفسها

وبعد ، فلقد مرّ الشعر العربي في منطقة الخليج والجزيرة بجميع المراحل التي مرّ بها الشعر في الوطن العربي ، ابتدأ بالتقليد ، ثم تابع مسيرته بشكل طبيعي ، فلم يقدر له أن يقفز على الواقع ويتخطاه ، أو يتخلف عن الركب .

كما واكب النقد حركة الشعر العربي في منطقة الخليج والجزيرة العربية ، ولازمه في جميع مراحل تطوره ، وإن كانت مواكبة تحتاج إلى المزيد ، فلن ترتقي حركة الشعر بصورة خاصة والأدب بصورة عامة ، ما لم تكن حركة النقد حركة واضحة ، ومسيطرة على الساحة الأدبية . □

حــــول جـــــديد
القصّـــــة القصـــــيرة
في المغــــرب العــــربي

« الدّخُول إلى بَهْوِ المرَايَا »

بقلم : الدكتور أحمد ابراهيم الفقيه*

لأسباب متعددة ظل الإبداع الأدبي في أقطار المغرب العربي مجهولا في غير هذه الأقطار ، ما عدا بعض الأسماء التي اجتازت حواجز الصمت . وهذا المقال يتناول بالتعريف مبدعي القصة القصيرة ونتاجاتهم في أقطار المغرب العربي الذين ينشطون في إثراء المكتبة العربية بإبداعاتهم ، خاصة الأجيال الجديدة التي تقتحم مناطق خصبة من تجربة الإنسان وهمومه .

إذا كانت بلاد المشرق العربي ، قد عرفت منذ بداية القرن ، جهودا تأسيسية في مجال القصة القصيرة ، فإن مرحلة التأسيس والتجذير ، وترسيخ هذا اللون الأدبي ، تأخرت كثيرا في بلاد المغرب العربي ، ويمكن عد الجهود الرائدة التي عرفتها مرحلة الثلاثينيات إرهاصا وتمهيدا للمراحل التالية ، فقد كانت أقطار المغرب العربي تعيش تحت سيطرة مخططات الاستيعاب الثقافي التي مارستها السلطتان الايطالية والفرنسية ، بحسبانها استعمارا استيطانيا ، حاول في بعض الحالات اقتلاع أهل البلاد اقتلاعا ماديا ، بالتهجير والإبادة ، وسعى دائما إلى طمس شخصيتهم الحضارية ، ليكونوا توابع لثقافته ، وهو استعمار لم تعرف الأقطار العربية الأخرى شبيها له سوى في فلسطين .

وفي مواجهة مخططات الاستيعاب والتغريب وإنهاء الوجود الثقافي العربي ، انكفأ أبناء المغرب على مصادر الثقافة الإسلامية التقليدية ، يستمدون منها عونا على الصمود والمقاومة ، وباستثناء عدد قليل من المراكز العلمية الدينية ، مثل جامعة القرويين بفاس ، وكلية بن يوسف بمراكش ، وجامع الزيتونة بتونس ، فقد كانت المدارس القرآنية التي تكتفي بتعليم الأبجدية وتحفيظ القرآن ، مصدرا وحيدا للثقافة والتعليم في هذه البيئة التي عرفت على مدى التاريخ العربي والإسلامي ، ببنيتها الثقافية الفقهية .

* كاتب من القطر العربي الليبي .

ومنح هذا النوع من المقاومة ملامح مشتركة ، تميزت بها الشخصية الثقافية لأقطار المغرب العربي ، وزاد تعزيز هذه الملامح أن المنطقة تملك ميراثا ثقافيا مشتركا في العادات والتقاليد والفنون الشعبية والطعام واللباس ، فالغناء الذي يعتمد على الموشحات الأندلسية ، وما يضاف إليه من تنويعات محلية ، تسمى « المألوف » ، هو ما يهزجون به في الأعراس والاحتفالات الشعبية والمواسم الدينية . وظل اللباس الشعبي متشابها ، فما يسمى « البرنوص » أو « البُرْنس » وهو لباس أهل الريف في مناطق المغرب، وظلت أطعمة شعبية كثيرة متشابهة ، أشهرها وجبة « الكسكسي » . أما الأثر الناجم عن اختلاف المستعمر بين ليبيا وبقية أقطار المغرب العربي ، فهو أثر محدود وطارىء ، ولا يشكل عائقا دون التواصل بين هذه الأقطار ، خاصة بعد نجاح برامج التعريب ، وانتهاء « الفرنسة » في التعليم . وكان لابد لهذه الخصائص المشتركة أن تعبر عن نفسها في إبداع المبدعين ، فكيف كان المشهد الذي جاءت القصة القصيرة لتحتل مكان الصدارة فيه عشية استقلال هذه الأقطار .

كانت السيادة لفني الشعر والمقالة ، وكانت منابر التعبير المتاحة هي الصحافة ، فلم تكن هذه المنطقة من الوطن العربي قد عرفت حركة نشطة في مجال نشر الكتاب .

صوت عربي

وإذا أردت أن أقحم نفسي هنا ، فإنه يمكنني القول بأنني بدأت كتابة المقالات عام ١٩٥٩ ، ونشرت أول قصة عام ١٩٦٠ ، وكان عدد من الكتاب في أقطار المغرب العربي يعاصرونني وهم الذين حققت القصة العربية في المغرب تطورها على أيديهم ، وقد امتدت أسباب التواصل والمودة بيني وبين هؤلاء الكتاب ، وجمعتنا هموم واهتمامات مشتركة ، فقد كنا جميعا ، في ذلك الوقت ، مشدودين بانجازات الثورة الجزائرية التي تشتعل قريبا منا ، وكانت طرابلس ملتقى للمناضلين والمثقفين الجزائريين ، وكان أحد كتاب القصة القصيرة الجزائريين يعمل في ذلك الوقت مندوبا للثورة الجزائرية في طرابلس ، وهو محمد صالح الصديق الذي أسهم مع أحد زملائنا الليبيين في إصدار مجموعة قصصية من وحي الثورة الجزائرية ، وكان يرافقه ويعاصره عبدالله الركيبي الذي ترك كتابة القصة فيما بعد ، وانصرف للتأريخ لها ، والتعريف بإنجازاتها ، والمساهمة في معركة تعريب التعليم في الجزائر . وهذا ما فعله أيضا زميل ثالث لهما ، هو الجنيدي خليفة الذي كتب القصة في ذلك الوقت ، ثم انصرف إلى الجهد الأكاديمي ، وكان هؤلاء الكتاب هم الصوت العربي في مجال القصة



القصيرة التي نمت في أحضان الثورة ، وكانت تعبيرا عنها ، وتأكيدا للشخصية الحضارية العربية الإسلامية ، قصة موظفة توظيفا مباشرا لخدمة أهداف الثورة . وكان رائد القصة القصيرة في الجزائر الذي سبقهم في هذا المجال هو أحمد رضا حوحو الذي كان إنتاجه مواكبا للجهود السياسية ، والانتفاضات الشعبية التي سبقت قيام الثورة المسلحة .

وفي تونس كان الطريق الذي أسهم في تمهيده علي الدوعاجي ، ومحمود المسعدي ، ومحمد المرزوقي صاحب الجهود النبيلة الأمينة في استخراج كنوز التراث الشعبي ، بما في ذلك الاهتمام بالجانب القصصي ، قد بدأ يفضي إلى قصة أكثر استجابة لشروط المعالجة الفنية ، يكتبها الجيل الذي توافد على ساحة الكتابة بعد هؤلاء الرواد ؛ من أمثال محمد العروسي المطوي ، والطاهر قيقة ، والطاهر لبيب ، ومصطفى الفارسي ، وعز الدين المدني ، وسمير العيادي ، ومحمد صالح الجابري ، ورضوان الكوني ، ممن أنشأوا ناديا للقصة ، وأصدروا مجلة فصلية بعنوان : « قصص » ، وقادوا حركة أدبية ، تميزت بالحيوية والتفاعل مع القضايا العامة .

وفي المغرب ، ومع الاستقرار الذي جاءت به مرحلة ما بعد الاستقلال عام ١٩٥٦ ، بدأت القصة القصيرة تشهد نضجا وتطورا على يد طلائع الكتاب الذين جاءوا مسلحين بثقافة عربية ، مع اتصال مباشر بالثقافة الأوربية ، حيث التقينا بنتاجات مبارك ربيع ، وعبدالجبار السحيمي ، ومحمد برادة ، ومحمد زنيبر ، ورفيقة الطبيعة وخناثة بنونة ، وادريس الخوري ، وكانوا جميعهم يستندون إلى تراث قصصي ، أسهم في إنجازه عبدالمجيد بن جلون ، وعبدالكريم غلاب ، وعبدالله ابراهيم ، وأحمد بناني ، وعبدالرحمن الفاسي ، ومحمد عزيز الحبابي الذي اتجه متأخرا إلى كتابة القصة ، بعد أن أسهم في تأسيس الأرضية الفكرية والفلسفية للحركة الأدبية الحديثة في المغرب . وفي ليبيا التي كانت أكثر قربا إلى المشرق العربي ، وأكثر تأثرا بتطور الحركة الأدبية في مصر ، بدأت القصة التي كتب أول نصوصها الناضجة وهبي البوري ، في منتصف الثلاثينيات ، ولاقت رواجا لدى كتاب جاءوا في أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات ؛ من أمثال السيدة زعيمة الباروني ، وطالب الرويعي ، وخليفة التليسي ويوسف الدلنسي ، وعبدالقادر أبو هروس ، ومصطفى بادي ، وعلي العنيزي ، ومحمد فريد سيالة . ثم عرفت هذه القصة أفضل إنجازاتها ، وشهدت أهم مراحل تطورها على أيدي كتاب صاروا يكرسون جهدهم كاملا لها ، بعد أن كانت جزءا من رسالة إيقاظ الوعي التي يقوم بها كتاب يكتبون المقالة السياسية ، ويحررون الصحف ، ويتولون المهمات التعليمية ، وتوافر على كتابة القصة كتاب من أمثال خليفة التكبالي ، وعبدالله القويري ، وبشير الهاشمي ، وعلي مصطفى المصراتي ، وكامل المقهور ، ويوسف الشريف ، وصادق النيهوم ، ومحمد علي الشويهدي الذين واكبوا بإنتاجهم القصصي التحولات الاجتماعية الكبيرة ، وأسهموا في بلورة ملامح متميزة للقصة العربية القصيرة . وبدأت موريتانيا التي اخلص أهلها للشعر ، حتى صارت تنعت بأنها بلاد المليون شاعر ، تعرف هي أيضا كتابا يؤسسون أرضية جديدة لهذا الفن ، وصرنا نلتقي بنتاجات قصصية ناضجة ، مثل التي يكتبها اليوم محمد فال عبدالرحمن ، ومحمد كابر هاشم ، وأحمد عبدالقادر ، وغيرهم ممن يكتبون قصة تحتفظ بولائها لتقاليد المدرسة الواقعية .

علاقة جديدة مع القاريء

هكذا عرفت القصة في المغرب كتابها الذين صنعوا لحظتها المجيدة ، هؤلاء الكتاب الذين

استفادوا من إنجازات القصة في بلاد المشرق العربي ، كما استفادوا من تواصلهم مع الثقافة الغربية ، وجاءوا يكتبون قصة تختلف عن القصة التي يكتبها جيل ما قبل الاستقلال ، عندما كانت القصة مجرد وسيلة لنقل رسالة ، قصة هدف ومضمون ، ووعاء للقضية الاجتماعية والقضية الوطنية . كان الاتجاه الغالب هو الواقعية الفوتوغرافية والتوثيقية ، يوازيه اتجاه عاطفي انفعالي ، ولكن المضمون الوطني أنقذ قصص هذا الاتجاه من عيوب العاطفية الفجة التي تجعل العمل الأدبي هروبا من الحياة ، أو تمحورا حول الذات . وكان هناك اتجاه ضعيف ، يحاول أن يستفيد من طرائق القصص الشعبي ، أو الحكايات العربية والصيغة التراثية للسرد القصصي ، وهي المدرسة التي طورها فيما بعد الأستاذ محمود المسعدي ، وكتب بها « حدَّث أبو هريرة قال » ، وكانت المعالجة السردية ، والأسلوب التقريري المباشر ، والوصف الخارجي ، والتناول العاطفي للقضايا ، أهم مواصفات تلك القصة . كانت القضايا محددة محسومة ، وكان للقصة هدف دعائي تبشيري ، لابد أن تلبيه ، حتى لو أدَّى ذلك إلى ضياع المقاييس الفنية . وكان العامل الثاني في اختفاء المعالجة الفنية الراقية هو البيئة القارئة ، أو ذلك « المتلقي » الذي يستطيع أن يرتفع إلى مستوى المعالجة الفنية الراقية ، والذي لم يكن موجودا في تلك المرحلة ، نتيجة تخلف التعليم ، وارتفاع نسبة الأمية ، وسيطرة اللغة الفرنسية في الأجزاء الخاضعة للنفوذ الفرنسي . ومع انتهاء ذلك النفوذ ، واتساع رقعة المتعلمين ، وارتفاع وتيرة التنمية ، ومجيء هذه الأفواج الجديدة من المبدعين ، بدأت القصة القصيرة في المغرب العربي تبني علاقة جديدة مع القارىء ، مستفيدة من هذا التراث الذي جعلها قريبة الصلة إلى هموم المواطن وقضاياه ومعاناته ، دون أن تجعل نفسها ارتهانا كاملا لهذه الهموم والقضايا . قصة لا تتكىء على أيديولوجية ، أو قضية اجتماعية ، أو سياسية ، من أجل تسويغ وجودها ، فهي تكتفي بذاتها ، ولا تحتاج إلى تبرير لكتابتها ، حيث تتحول القضية إلى رحيق يسيل في عروق النص ، وإلى جزء من نسيج العمل القصصي وبنيته .

طرق جديدة

وانفتح الكاتب القصصي على ثراء العوالم الداخلية ، فصار يستفيد من إنجازات القصة النفسية ، ويستخدم تيار الوعي ، وأسلوب التداعيات ، وتداخل الأزمنة ، والاستعانة بالرمز والأسطورة والمواريث الثقافية الشعبية ، في تعزيز نصه القصصي ، دون أن يتنازل ، وهو يعني بتطوير أدواته ، عن رغبته في التغيير ، أو يعلن تصالحه مع الواقع . وكما يقول ادريس الخوري ، وهو واحد من كتاب جيل الستينيات في المغرب ، ومن المهتمين بقضايا الحداثة ، في مقدمة مجموعته القصصية « ظلال » : « إن القصة المغربية رغم خصوصيتها وتميزها ، وانطلاقا من الواقع السياسي الذي توجد فيه ، وكفرع أساسي في القصة العربية الحديثة ، لا تزال ساذجة ، إنها تتعامل مع الواقع تعاملا مباشرا ، تعاملا صادقا وإنسانيا ، حيث تطغى الرؤية الإنسانية على الرؤية النقدية ، ومن ثم لا تسهم في اكتشاف الواقع ، بل في تجميده وتحييده » .

وهو كاتب يأتي مسلحا برؤية جديدة ، ووعي جديد ، ورغبة في التصادم مع الواقع وتغييره .

ولعل أهم تطور أصاب القصة القصيرة التي يكتبها كتاب المغرب العربي في السنوات الأخيرة هو ذلك التطور الذي يتصل بطريقة الأداء والمتابع لهذا الفن في هذا الجزء من الوطن العربي سوف يدهش لهذا الاستغراق في قضايا الشكل والتقنية الذي صار يشغل المهتمين بالقصة نقاداً ومبدعين . وكأن الساحة الثقافية تحولت إلى محترف كبير ، وورشة أدبية ، مهمتها الارتفاع بدرجة الأداء ، وتجريب كل الأساليب التي تصل بهذا الأداء إلى آفاق جديدة ، انخفضت وتيرة الحديث عن الموضوع ، الأفكار والمضامين ، وصار الحديث ينصرف انصرافا كاملا إلى قضية أساليب السرد ، وصيغة الحكاية ، وآفاق المتخيل ، وحيوية النص ، ولغة القصة ونسيجها ، وآليات العمل القصصي وبنائه الفني ، وإذا كانت المدارس البنيوية في النقد قد جاءت تعيد الاعتبار لمثل هذه القضايا التي أهملها النقد الشيمي (الفي) ، فإن ذلك ليس هو السبب الوحيد لهذا الانشغال بالشكل ، وإنما الوعي بأن طريقة الأداء صارت هي عصب الفن القصصي ، بمعنى أنه لا أهمية لما نقوله إلا إذا عرفنا كيف نقوله ، لقد طور كتاب الستينيات ، على مدى هذه العقود الثلاثة ، أدواتهم وإمكانياتهم ، وجاء جيل جديد ، تحرر من سلبيات المراحل القديمة ، واستفاد من تجارب من سبقوه وإنجازاتهم ، وهو جيل السبعينيات والثمانينيات ، ليُسهم في تحقيق هذه القصة الجديدة التي صرنا نقرؤها هذه الأيام .



بهو للمرايا

ولعلنا نستطيع أن نهتدي إلى دلالة هذا التحول الذي عرفته القصة ، عندما نكتشف أن أكثر الأصوات تمثيلا لهذه المرحلة الجديدة هي أصوات نسائية ؛ مثل السيدة فاطمة محمود التي يمكن عد كتاباتها القصصية نموذجا لهذا التطور الذي شهدته القصة ، فهي كاتبة ليبية ، جاءت من هذه البيئة ذات الجذور الصحراوية ، ومن محيط اجتماعي ، ظل عصوراً طويلة محكوما بأكثر التقاليد تزمتا وانغلاقا ، لتكتب القصة الثائرة على هذا الميراث ، وتختار أسلوبا يتفق مع هذه الثورة على مستوى المضمون ، فهي تكتب القصة التي تتمرد على القوالب القديمة ، والتقاليد الموروثة ، في كتابة القصة ، القصة التي تكون تحريرا للذات ، وتفجيرا للطاقة الشعرية الكامنة في أكثر المشاهد التي نمر بها تعاسة وبؤسا ، والتي لا نستطيع أن نراها إلا بعين الفن ، القصة التي تكون اقتحاما ومغامرة ، وولوجا إلى الغرفة السرية التي تحتوي على الأشياء المهملة في بيت الذاكرة ، والتي لا تعنى بالحديث عن القضايا التي يثيرها الرأي العام ، كما كان شأن القصة سابقا ، وإنما القضايا المسكوت عنها ، القضايا التي لا نجرؤ عادة على النظر إليها ، والتي ندير عنها وجوهنا ، لكي تأتي القصة التي تكتبها فاطمة محمود ، وترغمنا على النظر إليها . القصة التي تشبه بهو المرايا ، لأنها لا تنقل صورة واحدة لما يحدث ، وإنما تنقل صورا كثيرة لتعدد الأبعاد والاتجاهات وزوايا النظر . وفاطمة محمود ليست إلا صوتا من هذه الأصوات التي جاءت بعد جيل الستينيات ، من أمثال خليفة حسين مصطفى ، وابراهيم الكوني ، ورضوان أبو شويشة ، وسيد قذاف الدم ، وسالم الهنداوي ، وسالم العبار ، ومحمد المسلاتي ، ومهدي العدل ، وعمر أبو القاسم الككلي في ليبيا . ولماذا لا نقول أيضا : إن القصتين اللتين كتبهما أخيرا قائد الثورة معمر

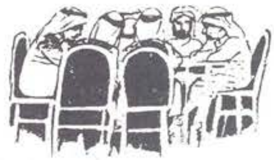
القذافي نفسه ، وهما « الموت » و « الهروب إلى جهنم » ، تحملان الكثير من خصائص هذه المدرسة . وليس غريبا أن الحساسية نفسها والتقنية نفسها والاستفادة نفسها من روح العصر وأسلوب التداعيات وإثارة ، ما هو مهمل ومهمش ، ومسكوت عنه ، هي ما يستخدمه في تونس كتاب وكاتبات من أمثال : عروسية النالوتي ، ونافلة ذهب ، وحسونة المصباحي ، ومحمد رضا الكافي ، والحبيب السالمي ، ومحمود التونسي ، وغيرهم .

والانتقال بالقصة القصيرة إلى مثل هذه الآفاق هو ما يسعى إلى تحقيقه في الجزائر كتاب من أمثال : عمار بالحسن ، ومرزاق بقطاش ، وحرز الله محمد صالح ، والزاوي محمد الأمين ، وفي المغرب فإن معالجات محمد زفزاف ، ومحمد عز الدين التازي ، وأحمد المديني ، والأمين الخمليشي ، ومحمد الهرادي ، ومصطفى المسناوي ، والميلادي شغموم ، ومحمد الدغمومي ، والقمري بشير ، يمكن عدها إنجازا على طريق تأسيس النص المفتوح الذي يفجر طاقة الشعر ويطوعها لخدمة الحدث القصصي ، ويستعير لغة الحلم ، ويعتمد الزمن النفسي ، ويعني بالبحث عن الرموز والدلالات . فهي معالجات قصصية ، « لا تكتفي باستنساخ الواقع وتكرار نماذجه ، بل تطمح إلى جعل القصة مميزة في خطابها وشكلها وصيغتها وثيمتها (خصوصيتها) ، لتكون حاملة لمنظور مغاير لما يمكن أن نجده في بقية الخطابات » . هذا ما يقوله الدكتور محمد برادة في دراسته التي قدم بها نماذج من القصة المغربية القصيرة ، في كتابه : « لغة الحلم والطفولة » . ويمكن القول بأن كثيرا من الاتجاهات والمدارس الفنية التي عرفتها القصة المغربية القصيرة ، في بداياتها ، مازالت حاضرة وفاعلة حتى الآن ، فالعطاء الإبداعي في هذا المجال يتنوع بتنوع الرؤى والأفكار والمفاهيم ، وهي أيضا تتطور بتطور هذه الأفكار والمفاهيم ، والواقعية الاجتماعية التي تطورت إلى واقعية نقدية صارت الآن تتجاوز شكلها القديم إلى واقعية لا تكتفي بالواقع ، وإنما تغنيه بالرمز والبحث عن الدلالة خلف الواقع . والاتجاه العاطفي الانفعالي هو الذي أوصل الكاتب إلى قصة الكشف والبوح وسبر أغوار النفس البشرية ، وهكذا مع بقية الاتجاهات والمدارس . وكان التحدي الذي واجه القصة المغربية هو أن تحقق ، في ثلاثة عقود ، ما حققته القصة القصيرة في العالم ، عبر مسيرة تواصلت مدة مائة وخمسين عاما ، فهو نوع من حرق المراحل ، وتعويض الفرص التاريخية الضائعة . □

هاتان الحالتان



● دخل سليمان بن عبدالملك مسجد دمشق فرأى شيخا ، قال : ياشيخ أيسرك أن تموت ؟ فقال : لا والله ، وقال : ولم وقد بلغت من السن ما أرى ؟ قال : مضى الشباب وشره ! وبقي الشيب وخيره ، فأنا إذا قعدت ذكرت الله وإذا قمت حمدت الله ، فأحب أن تدوم لي هاتان الحالتان .



مشكلاتنا الثقافية وصورة العالم وعلاقات السيطرة

بقلم : الدكتور صبري حافظ

« هل ثقافتنا قادرة على تخليق ما يمكن تسميته بالمشروع التحديثي ؟ وهل نحن قادرون ، من خلال ثقافتنا ، على تأكيد ذاتنا القومية ومواجهة العالم ؟ وما آثار الاختراق المستمر لوسائط الإعلام العربية ؟ هذه القضية واحدة من القضايا التي تشغل بال مفكري هذا الوطن ومثقفيه ، وهذه محاولة للإسهام فيها » .

لا شك أن العقدين الأخيرين قد طرحا على متابع الحركة الثقافية العربية مجموعة من المشكلات التي تنبثق عن تردي الواقع الثقافي ، وتفاقم إشكالياته . والواقع أن البحث عن الأسباب الكامنة خلف الأزمة الثقافية التي يعاني منها الواقع العربي المعاصر ، سيقودنا إلى التنقيب في طبقات الوعي الثقافي الدفينة ، للتعرف على المنابع التي ترتوي منها أكثر مشكلات واقعنا الثقافي إلحاحا ، وأشدها استعصاء على العلاج ، بدءا من إشكاليات التناقض التاريخي الحاد ، بين المثقف والمؤسسة السائدة ، سواء أكانت مؤسسة السلطة ، أم غيرها من المؤسسات الاجتماعية الراسخة ، حتى مشاكل حرية التعبير ، وعزلة الكتابة عن جماهير الشعب العريضة ، وإخفاق الحركة العقلية في تحويل إنجازاتها إلى مؤسسة ، تبني الأجيال اللاحقة فيها على إنجازات الأجيال السابقة ، ولا تحتاج إلى إعادة خوض معاركها من جديد ، وفي ظروف أسوأ عادة .

صورة العالم

ولا بد أن يؤدي بنا هذا التنقيب إلى التعامل مباشرة مع الجذر الأساسي الذي ينبثق عنه كثير من مشكلات واقعنا الثقافي ، وهو غياب « تصور عربي للعالم » ، ولمكان الذات العربية فيه لدى معظم مثقفينا ، وتقبل العقل العربي للصورة التي

رسمتها أوربا للعالم ، ثم تبناها الغرب عامة فيما بعد ، بشرقه وغربه ، بعدّها « صورة العالم » ، لا مجرد « تصور » بين « تصورات » عديدة له . ذلك لأن تقبل هذه الصورة بعّدها « الصـورة » التي يتجلى عليها العالم ينطوي على مجموعة من المسلمات الإشكالية ، أولها إعفاء العقل العربي من رسم صورة خاصة به للعالم ، يحدد فيها مكانه به ، ومكانته فيه ، والاستنامة إلى دعة تقبل تلك الصورة الأوربية ، دون الوعي بضرورة التعامل مع المشاكل التي تطرحها ، أو حل الإشكاليات التي تنطوي عليها . وثـانيها أن مكـانة الـوطن العربي ، بل والعالم الذي يدعى (ثالثا) برمته في هذه الصورة مكانة متدنية إلى أقصى حـد ، لا تسمح له حتى بالوقوف على قدميه ، ناهيك عن التميز والتحقق الفعلي . وثـالثها أن قبـول هذه الصورة هو في حقيقتـه عقد إذعـاني ، بإضفـاء الشرعية على السيطرة الغربية على العالم ، بل إن السيطرة الأوربية الحقيقية على العـالم لا تتحقق بـالفعل ، لا في مـرحلة السيطرة الاستعمـارية المبـاشـرة ، ولا حتى في المرحلة الحـديثـة التي اتـسمـت فيـهـا تلك الـسيـطرة بـشـيء مـن اللامباشرة ، إلا بتقبل هذه الصورة .

فتقبل الصورة التي يقدمها الغـرب للعالم



ـ ولا بد لنا هنا من توسيع مفهوم الغـرب نفسه ليشمل الشمال المتقدم كله باستثناء اليابان لأنها لم تحقق نهضتها وتفوقهـا على الغـرب نفسه ، إلا بحفاظها على تصورها الياباني الخاص للعالم ـ هي الأسـاس الأول لتبريـر مشروعيـة سيطرتـه على المجتمعات التي تعرف باسم العالم الثالث ، أو بالأحرى لمجتمعات الجنوب كلهـا ، باختـلاف القارات التي تنتمي إليها ، أو الحضـارات التي انحدرت منها . وليس استثناء اليابان هنا شيء عرضي ، وإنما لأن اليابان هي الاستثناء الوحيد في دول العـالم المتقـدم التي تمسكت بتصـورهـا القومي الخاص للعالم ، وحافـظت على ذاتيتهـا الثقافية ، مخضعة كل شيء لهـما ، من مؤسسة السلطة حتى نظام الإنتاج في المصانع . ولذلك فلا غرابة في أنها استطاعت فضـلا عن منافسـة الغـرب الانتصـار عليه في عقر داره ، بصورة يؤكد تأملها أنها تستحق الاستثناء الـذي يدعم القاعدة العامة التي تقول : إن التخلي عن صياغة صـورة قوميـة للعـالم هـو في الـواقـع تخـل عن طموحات الذات القومية في التطور والتقـدم . وعـلى الرغم من عـمـومية هـذه الظاهـرة ، بل ومعاناة بعض البلدان الغربية نفسها منها في مـا يتعلق بـالتنـاقضـات ، داخـل بلدان الشمـال نفسه ، فإن ما يهمنا هنا هو مدى تأثيـرها عـلى مشكلات الواقع الثقافي العربي . ولذلك سيتسم تناولنا لتبدياتها بشيء من التركيز على خصوصيتها العربية بشكـل أساس ، حتى لـو كانت هنـاك عموميات مشتـركة بيننـا وبين غيـرنا من بلدان العالم .

فبدون التقبل الطوعي ، أو الإذعاني ، لتلك الصورة تتأزم مجموعة كبيرة من علاقات القوى الاجتماعية والسياسية في العالم وتبدأ صورته في التغير . ذلك لأن وجود الغرب الفكري في وطننا العربي واحتلاله لمكانة اجتماعية راقية فيه ، هي إحـدى ثمار إخضـاعه للعقـل العربي نفسـه ، وتحكمه في آليات تفكيره . وهي نتيجة مبـاشرة

لتجذر هذه الصورة في الوعي الجمعي العربي ، وتنفيذه لما يترتب على تبنيها من إجراءات . وقوة هذا الوجود هي التي تعفي العقل العربي من إشكاليات العمل على رسم صورة للعالم خاصة به ، والدخول بهذه الصورة في عملية جدل خلاقة مع الصورة الغربية له . لأن الثقافات تزدهر بالحوار المستمر ، لا بالانغلاق ولا بالتبعية . ويزداد الأمر تفاقما إذا ما لاحظنا أن صورة العالم التي يقدمها الغرب ، والتي يحتل فيها بطبيعة الحال أرقى المكانات ، تجعل نمط الحياة الغربي الذي يعرض على شاشات التلفاز في كل بلدان العالم ، عبر مسلسلات (دلاس) و (دايناستي) و (أهل القمة وأهل القاع) وغيرها ، هو المرادف العصري للفردوس الأرضي . بينما لا تظهر بلاد العالم الثالث ، حتى على شاشات محطات تلفازاتها الخاصة ، إلا بعدّها موطنا طبيعيا للكوارث ، والمجاعات ، والفظاعات ، والحروب ، حيث تدور في ساحتها أشد الأعمال الإنسانية فظاعة ووحشية ، وتفيض علاقاتها فيما بينها باللامنطق والغباء . ومن هنا تقوم الذات القومية بتكريس آليات القضاء عليها ، أو إبقائها في مرحلة الدونية ، دون أن تعي ذلك .

الهوية القومية

وعلى الرغم من كل تناقضات هذه الصورة ، بل وبسببها ، يضعنا إعفاء العقل العربي لنفسه من مشاق تخليق هذه الصورة في قلب حركة النهضة ، أو بالأحرى في مواجهة مع ما اصطلح على تسميته المشروع التحديثي برمته . فلا يمكن أن تكون ثمة نهضة حقيقية ، إلا إذا قامت عبرها الذات القومية برسم صورة للعالم ، تحتل فيها تلك الذات مكانة كفيلة بإشباع مطامحها ، وتحقيق هويتها . ولا تنفصل صورة العالم عن مسألة الهوية القومية بأي حال من الأحوال ، لأنها تشتبك بمختلف العناصر المشاركة في صياغة هذه الهوية ، من دين ولغة وتاريخ وأنساق للعلاقات الاجتماعية . وإذا كان النيل من الدين من أكثر هذه العناصر حساسية بالنسبة لأي شعب من الشعوب ، ناهيك عن الشعب العربي الذي كان مهد الأديان السماوية الثلاثة ، فإن المؤسسات التعليمية التي صيغت على النمط الغربي ، استطاعت أن تتعامل مع عنصري اللغة والتاريخ ، وأن تكسر شوكتهما إلى حد ما . صحيح أن الرباط الوثيق بين الدين الإسلامي واللغة العربية لم يمكن العرب طوال سنوات الاستعمار في المنطقة ، من القضاء على اللغة القومية ، كما فعل بنجاح في أماكن كثيرة من العالم ، لكن تركيز النظام التعليمي نفسه على أهمية اللغات الأوربية ما لبث أن تحول مع الزمن ، لمرارة المفارقة ، إلى أحد المطالب « الشعبية » ، وأصبح تعليم الأبناء في مدارس اللغات الأجنبية من مظاهر الوجاهة الاجتماعية في كثير من أرجاء الوطن العربي . وبعد موجة الاعتزاز بالشخصية القومية واللغة القومية ، في الخمسينيات والستينيات ، شهدت السبعينيات تراجعا كئيبا ، أسفر عن نفسه في تسييد اللغة الأجنبية والزراية باللغة القومية في كثير من مناحي الحياة ، لا سيما تلك التي تتصل مباشرة بالعلاقة مع العالم الخارجي ، أو ببعض نشاطاته التي تحاول التجذر في المنطقة . أما من حيث الذاكرة التاريخية للشعوب العربية فحدث عن طمسها بلا حرج ، فليس ثمة اهتمام بالتاريخ القومي أو بتكريس بعض ملامحه ، بصورة تصبح معها من المكونات الأساسية للشخصية الفردية .

وإذا كان من المكرور تعديد شتى أشكال استهداف اللغة والتاريخ العربي عبر المراحل الأخيرة ، فإن من الضروري التعرف على بعض أشكال إيهان القاعدة التي ينهض عليها النسيج القومي ، أو أنساق العلاقات الاجتماعية ، وأهمها تغيير البنية الاقتصادية ، وتفكيك الروابط الاجتماعية القديمة ، فعلى الرغم من أن عددا من

مفكري الغرب أنفسهم قد اعترفوا بوجود نمطين اقتصاديين مختلفين : نمط غربي وآخر آسيوي ، فإن عملية فرض النمط الغربي على الوطن العربي قائمة على قدم وساق ، منذ بدايات الحركة الاستعمارية قبل عدة قرون حتى الآن . وحينما أتحدث عن الحركة الاستعمارية فإنني أتحدث عن الأساس الفكري لحركة التاريخ ، أكثر مما أتحدث عن وقائع ، أو مراحل تاريخية معينة . وفرض هذا النمط الاقتصادي قد أدى بالتالي إلى فرض نمط حضاري برمته ، بكل ما به من مؤسسات للدولة ، ونوعية لأسلوب الحكم ، وتنظيم للعلاقات بين المؤسسات المختلفة ، وتسييد لسلم معين للقيم الاجتماعية والثقافية . ومن هنا ازداد الصراع بين المثقف والسلطة ، وانعزلت الجماهير الواسعة عن هذا الصراع ، وكأن عزلتها شكل من أشكال المقاومة السلبية للاكتساح الذي جرف المثقف في طريقه . وانتظار عن بعد لما تسفر عنه المسيرة الثقافية من حصاد ، قد يخرج بالذات القومية من الدوران في فلك الآخر ، ويحل بالتالي بعض إشكالاتها ، وتناقضاتها . وكأن الجماهير الشعبية تعي أن لا جدوى من الانخراط في فلك الآخر ، لأن هذا الانخراط لا يؤدي إلى تغيير الصورة ، ولا يشي بتوليد صورة جديدة ، أو حتى بتحول الذات بحق إلى آخر ، وإنما كل ما يمكن أن يؤدي إليه هو خلق مسخ مشوش الهوية والملامح ، تفقد فيه الشخصية القومية أصالتها وذاتيتها الثقافية ، ولا تفلح في أن تصبح جزءا من الثقافة الجديدة .

إشارات مهمة

ولا تكمن استحالة الدوران في فلك الآخر في عناد الشخصية القومية أو عجزها عن « استيعاب » أسس الحضارة الجديدة ، وإنما تعود أساسا إلى أن مكانة الوطن العربي ، في تلك الصورة الغربية التي تبناها للعالم ، مكانة متدنية إلى أقصى حد ، ولا تسمح له حتى بالوقوف على قدميه . ولأذكر هنا بعض الأرقام الإحصائية الدالة التي تسمح بتجسيد ما أعنيه من ناحية ، وتؤكد التناظر بين القوة الاقتصادية والقدرة على رسم صورة العالم وفرضها على الآخرين . إذ تقول إحصاءات منظمة الأمم المتحدة : إن العالم المتقدم - أو العالم الأول الذي يضم الولايات المتحدة وكندا وأوربا الغربية واليابان واستراليا ونيوزيلندة وجنوب أفريقيا - يعيش فيه خمس سكان العالم ، ولكنه يتمتع بنسبة ٦٠٪ من إنتاجه الإجمالي . بينما يعيش في العالم الثاني أو الاشتراكي الذي يضم الاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية والصين وفيتنام وكوبا ثلث سكان العالم ، ويستهلك أقل من ٣٠٪ من إجمالي إنتاجه . أما العالم الثالث ، أو بالأحرى بقية العالم من الدول النامية الذي يملك نصف مساحة الكرة الأرضية ، ويعيش فيه نصف سكانها ، فإن عليه الاكتفاء بما تبقى من فتات الإنتاج العالمي الذي لا يصل إلى ١٢٪ من إجمالي الانتاج العالمي . وإذا ما وضعنا هذه الإحصاءات المهمة بجوار مجموعة أخرى من الإحصاءات الثقافية التي لا تقل عنها دلالة ، نستطيع أن نتعرف على طبيعة العلاقة الجدلية بين الواقع والإنتاج الثقافي . إذ تقول تلك الاحصاءات الأخرى ، الصادرة عن منظمة اليونسكو : إن هذا النصف الفقير من سكان العالم ، ومعه الجزء الآسيوي الاشتراكي ، يشكل ثلثي سكان العالم ، ولكنه لا يصدر إلا أقل نصف صحفه ، وأقل من سدس مجموع النسخ المطبوعة منها . ولا يصدر إلا ١٦,٩٪ من الكتب الصادرة في العالم . أما الثلث الآخر ، وهو الثلث الغربي ، فإنه يحتكر إنتاج ٨٣,١٪ من كتب العالم ، ويصدر أكثر من نصف صحفه ، ويقرأ خمسة أسداس النسخ الصادرة من كل الصحف في العالم . ولا يقتصر الأمر على ذلك ، فإنه من بين ٤٠٠ مليون جهاز هاتف في العالم عام ١٩٧٧ كان ٨٠٪ من هذه الأجهزة في عشر دول متقدمة .

قوة المعرفة

والغريب أن هذه الدول العشر نفسها هي الدول التي تمتلك مصادر تزويد العالم بالأنباء ، أي مصادر صناعة صورة العالم ، لأنها هي الدول التي تمتلك وكالات الأنباء الخمس الكبرى في العالم (أسوشيتد برس ، ويونايتد برس ، ورويتر ، وفرانس برس ، وتاس) . وحينما فكرت دول العالم النامي في أن يكون لها وكالة أنبائها العالمية ، ودعت إلى نظام إعلامي جديد ، قامت الدنيا ولم تقعد ، حتى أطاحت بكل من سولت له نفسه من أبناء العالم الثالث التفكير في هذا الأمر ، وعلى رأسهم رئيس منظمة اليونسكو السابق ، ورئيس إدارة حرية تدفق المعلومات فيها ، لأن امتلاك بلدان العالم الثالث لوكالة عالمية للأنباء هو الخطوة الأولى نحو مشاركتها في رسم صورة العالم الذي احتكر الغرب رسمها بالنيابة عن بقية سكان الكرة الأرضية . ولأن امتلاك أدوات المعرفة لا يقل خطرا عن امتلاك أدوات الحرب ، فالمعرفة قوة . ولأن طرح أكثر من صورة للعالم في ساحة الإعلام الدولي ليس أقل خطرا من قيام حرب عالمية ، لا يعرف أحد نوعية نتائجها . وإذا كان من العسير علينا أن نأخذ على عاتقنا طرح صورة جديدة للعالم من منظور العالم الثالث كله ، فلا أقل من أن نستوعب بعض دروس المجتمع الأوربي وسوقه المشتركة ، حتى نبادر بالعمل على خلق صورة عربية للعالم ، تتخلل مكوناتها كل مناحي حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . عندئذ ستتغير طبيعة طروحاتنا لكثير من القضايا ، وسنستطيع أن نحل كثيراً من مشكلاتنا الثقافية التي تبدو مستعصية على العلاج ، لأننا ما نزال نفكر فيها بمنطق ليس نابعا من ذاتيتنا الثقافية ، وبطريقة لا تنبثق عن آليات تكون تلك المشكلات . □

أغنية الساقية

شعـــــــــــر :
الدكتور أحمد محمد المعتوق*

بُعَيْدما تَنْضُجُ تُفا-ـةُ غَابَاتِنا
وَيَنْضُجُ النَبْقُ ، وتُبرِزُ الكنوزُ مَا حَوَتْه مِنْ دُرَر
وَيَهْتِفُ الربُّ : أيا ذا الجناح
كُنْ ، فَيكون الصَّباح
وَيسكر الضوء عَلى دالية الفجر وَيَنْدى الوتر
بُعَيدما تَنْضُجُ تُفَاحَةُ غَابَاتِنا
وَتَقْرَعُ البَاب بُعيد الصباح
تَرتِيلَةُ الـ.اقيةْ
وَتَسْحَبُ الذَّيلَ عَلَى الرابيةْ
تَزلّق الضوء عَلَى الآنية
يَهْتِفُ : يافاتِنَةُ النهار يامَعين شمسِه
حَواءُ يا أغنية الساقية
قَدْ مَلأَ الدورَقَ هَمْسُ المَطر
وانْسَرَح الظلّ كَنَهر مباح
يَرْكُضُ في ضَاحية العُمر فَتَخْضرّ رُفاة البَشر
وَيَطْعَمُ الخَلقُ نَضيجَ الثمر
وَيغمِسُ الطائر منقاره
في شَفَق الشّمس فَلا يَسْتَعِر
قَدْ تَعِبَ الشّوق فَيامن ظفر !
سَمِعْتُها أغنية الساقية
في لَيْلةٍ أنجمها راقِدة ، في لَيْلة شاتية
سَمِعْتُها وَحَيْرة الغَرِيب في حُروفِها
وَلَحنُها كأنه الجريح كالرنين في الضلوع
بِلَيْلة ساهرة غَافِيةْ
كِلابُها السود غَدتْ جائِعَة لاهثة عَاوِية
تَحومُ حَوْل الرابيةْ
سَمِعْتُها حَواء في ليلتها العارية
تَنْشج والرياح خَلْفَ بابِها تأزُّ والدوار
يَضجُ في ستائر الأصيل
في الغرفةِ الحمراء والرفُوفِ والمرايا
في الشال في طنافِس الحرير في حَقَائِب الرحيل
وَهَمْسُها ، وزفرة توقدها عند جبال الضجر :
يالرغيف بارد يأكله السهر !
وَقُبلة أرخَصُ من قَهْقَهة الريح بمهوى الحجر !
وَعِنْدَما ينقر مرآتها
تَفْرَح أم تَفْزَع أم تَمْنَعه أنْ يطير ! !
تَهْمِسُ : يافرخ رماك المساء
وَبَعْدَما شَبَّ جناحاك رماك المساء
في وَحَل الدرب كسير الجناح
يمضغُ منقارك شوك الطريق
يَشْرَبُ نَهر العقيق

* شاعر وأستاذ جامعي وكاتب من المملكة العربية السعودية .



ويضرم النار بجفنيك فياللحريق !!
وصغت من أجنحة الزنبق للصدر وشاح
وقلتَ لي : قد ملأ الدوّرق هَمْس المطر
وانسرحَ الظل كما الخيمة في حُضْنِها يُقمر لون السمرْ
بنيتَ لي العرشَ وقلتَ احملي
فَوق ذراعَيْك جنون الهوىٰ
ورقَصي تحت ندى الفجر قلوب البشر
أسقط كالنيزك ذاك الملاك
في سدم الوحشة كالصرخة أو كالهباء
وَرَاحَ غول الليل ما أوحشه
يسلخُ وجه القمرْ
يَسْرقُ ظِلّ الشجرْ
وَجنةُ قَدْ عَرِشَت للنجمِ حلو كرمها
ولألأت للطير ضوء حلمها
في الليّلة الماضية
يتقد الصيف على جُفونِها
وَيَسهرُ الغراب فوق دوحها
صوحت الواحة ، والساقية
تركتها يابسة القلب على المنحدر !



(أنت منذ اليوم)

رواية من تأليف: تيسير سبول

بقلم : غالب هلسا

كنا نعد هذه المقالة للمطبعة حين حملت إلينا الأنباء خبر الوفاة المفاجئة للكاتب الروائي الناقد « غالب هلسا » وهو بدمشق ، بعد ٥٣ عاما قضاها متنقلا بين موطنه في الأردن ومصر والعراق ولبنان وسوريا ، مشاركا أبناء أمته في كل هذه الأقطار همومهم الفكرية والإنسانية ، مساهما بإبداعه الروائي والنقدي في إثراء المكتبة العربية بإنجاز متميز رفيع .

وإننا إذ نقدم لقارىء « العربي » آخر مقال كتبه غالب هلسا لنتقدم إلى أسرته في الأردن وإلى الأدباء العرب جميعا بخالص العزاء .

قدمت رواية تيسير سبول (أنت منذ اليوم) ، المكتوبة بعد هزيمة سنة ١٩٦٧م إضافة مهمة للرواية المشرقية ببنائها التقني . وسوف نحاول ، هنا ، أن ندرس تلك التقنيات التي نرى أنها تشكل إضافة .

تبدأ رواية « كامو » (الغريب) هكذا :

« اليوم ماتت أمي ، أو ربما ماتت الأمس ، لا أعرف ، تلقيت برقية من مأوى العجزة تقول : توفيت والدتك . الدفن غدا . لك أصدق مشاعر الأسى . ومثل هذا القول لايفيد بشيء . ربما ماتت يوم أمس » . وعندما طلب إجازة من رب العمل تصور « ميرسو » أنه غضب ، فقال : إن موت أمه ليس غلطته ، وعندما سئل عن السبب الذي جعله يطلق الرصاص على البدوي ، قال : إن ذلك بسبب ضوء الشمس . فكيف نصف رؤية « ميرسو » للعالم ؟

إنها رؤية تلغي المنظور ، أو البعد الثالث ، من الصورة ، من العالم من حوله ، فيصبح ذا بعدين ، أي أنها تفتقد بعدها الاجتماعي ، بُعْد التقاليد والقيم والمفاهيم التي صاغت البشر ومؤسساتهم الاجتماعية التي تشكل بمجموعها

الرؤية الكلية للذات وللآخرين .

يطلق الوجوديون على هذه الحالة اسم : (حالة ميرسو في « الغريب ») ، صفة العبثية المضحكة . لقد شاعت ترجمة « Absurd » بالعبث في الأدبيات العربية . ولكن الكلمة الأصلية تحتمل المعنيين ، إنها الحالة التي يفقد فيها الإنسان ثقته بكل المسلمات الاجتماعية ، ويكون عاجزا ، في الوقت نفسه ، عن إيجاد قيمه الخاصة ، أوالتزامه النابع من ذاته .

يرى « كامو » أن هنالك خيارين أمام إنسان كهذا : الانتحار ، أو بناء التزام نابع من ذاته ، وقد اختار تيسير ، مع كل أسف ، طريق الانتحار .

رؤية تبسيطية لواقع معقد

ومأساة « تيسير » هي مأساة الشباب العربي الذين تم إدخالهم في دائرة شريرة ومفرغة ، ولكنها صادفت في « تيسير » حالما كبيرا ، ذا حساسية مرهفة ، فكانت الفاجعة .

إن الشباب العربي ، وتيسير بشكل خاص ، قد تخلوا عن مسلمات مجتمع متخلف ، مستبدلين إياها بمسلمات الديماغوجية السياسية ، باليقين نفسه والامتثال نفسه .

قال له الديماغوجيون : إن الأهداف الكبرى للعرب : الوحدة والديموقراطية ، في أعلى أشكالها ، والعدالة الاجتماعية والرخاء ، وسحق الأعداء سوف يتم بسرعة ، ودون جهد كبير .

من خلال هذه الديماغوجية بنى صورة جميلة لعالمه المقبل الذي سوف يتحقق بسرعة ، دون جهد . والسمة الأساسية للديماغوجيا أنها تبسيطية ، تغفل أو تجهل ، تعقيدات الواقع ، ومن ثم تقفز فوقها . رأى تيسير وشباب جيله ، أن الواقع لايطيع أحلامهم ، فانساقوا إلى الرؤية العبثية المضحكة ، حيث فقد كل شيء معناه ، وأصبح مضحكا .

كانت روايتي « الضحك » التي كتبتها قبل رواية « أنت منذ اليوم » بفترة طويلة ، تعبر عن الأزمة نفسها ، ففيها تفتت رؤية كاملة إلى شظايا عبثية .

إذن هذه هي المشكلة الفاجعة : أمام عالم شديد التعقيد ، لاتحدد مساراته الأحلام الوردية والنوايا الطيبة ، لشبان لم يرغبوا في رؤية تعقيده ، بل رغبوا أن يتحدد سيره بمصالح الداخل والخارج المتقاطعة والمتعارضة ونواياهما واستراتيجياتهما . أمام عالم كهذا وقف تيسير ـ ونحن كلنا ـ يعلن خيبة أمله ، لأن أمته لم تحقق أحلامها ، ولأن الزعماء الديماغوجيين ، أنصاف الأميين ، لم يفوا بوعودهم . وهكذا أصبح كل شيء مضحكا ، بلا معنى ، عالم بلا منظور ، كل ما يدور فيه عشوائي ، لايندرج في سياق رؤية ، أو نظرية موحدة . فكيف عبر تيسير في روايته : « أنت منذ اليوم » عن هذه الرؤية الفاجعة ؟

السخرية من الذات كتقنية

رواية « أنت منذ اليوم » تعكس ، في بنيتها ، تهشم الرؤية المتكاملة : لوحات قصيرة متتالية ، لايربطها زمان أو مكان أو حدث واحد . تتاليها يأخذ بشكل القصيدة الجاهلية ، حيث يتم الترابط بين الأجزاء من خلال التداعي ، فتثير الصورة أو مشاعر اللحظة ، صورا ومشاعر تخضع لعملية التداعي هذه . وهذه الرؤية بذلك تشكل خروجا عن نمط الكتابة الروائية العربية السائد . وللتداعي بين المشاهد دينامية خاصة ، فما يعاش في اللحظة الحاضرة ؛ أي ماهو عياني ومباشر ، يستدعي ذكرى قديمة ، تستدعي بدورها مشاعر وأحاسيس قديمة وجديدة ؛ أي أن مجرى الوعي لايتم على مستوى واحد ، بل على مستويات متعددة ، فهو الحاضر المباشر ، وهو تاريخنا الشخصي ، وهو ما احتفظت به الذاكرة أيضا من حكايات وأحداث .

إن الرابط بين مستويات التداعي ، عند تيسير ، ينبثق من عناصر المفارقة والتناقض ، والانفعال . فالعياني يستدعي نقيضه ، أويشكل مفارقة معه ، أو يستثير إحساسا مماثلا ، ولكنه قديم .

يعني هذا أن الرواية تعتمد اللحظة الحية ، المعاشة حاضرا ، عبر تداعيات تفتح على أكثر من مستوى .

ولاتقصر هذه الدينامية على العلاقة بين مشهد وآخر ، بل تقوم أيضا على العلاقات بين العناصر المكونة للمشهد . وعلينا أن نتأمل جيدا هذه العلاقات التي سوف نسميها تقنيات ، لأنها أهم ماقدم تيسير في تاريخ إبداعه الموجز والواعد .

سوف نبدأ بتقنية ، سوف نطلق عليها اسم : السخرية من الذات . ولتسهيل الحديث سوف نورد اقتباسا من الرواية .

دعونا نقرأ هذه الفقرة :

« قال ـ الراوي ـ للرفاق بأنهم عانوا من نقص الكراسات العقائدية هناك،وأنه يعترف بنقص ثقافته ويريد المزيد فطمأنوه وامتدحوا رغبته » .

نلاحظ أن الجملة خالية من النقاط والفواصل التي تم استبدالها بواو العطف . إنها بهذا تخرج عن إيقاع الكتابة الأدبية ، لتندرج في إيقاع الكلام اليومي . فالسخرية من الذات تنبثق أولا من هذا الإيقاع الملهوف للعبارة ، وتأتي كذلك من رغبته الواضحة في استجداء المديح ، وقد تحققت هذه الرغبة « فطمأنوه وامتدحوا رغبته » .

والمصدر الثاني للسخرية من الذات هو أن الراوي يكشف نفاقه هو على الأخص ، ففي الوقت الذي يطالب منه بزيادة الكراسات العقائدية يقول لنفسه : « غير أن الكراسات الحزبية تضجره . لقد عرف بأنها متشابهة ، ولا معنى لتوزيعها كل أسبوع » .

ويستعمل المؤلف تقنية أخرى للسخرية من الآخرين ، تعتمد التقنية السابقة نفسها في وجه من وجوهها ، وهي تحويل الحديث المباشر إلى حديث غير مباشر ، مثال ذلك : وصفه لردود فعل الناس بعد فك الوحدة بين مصر وسوريا .

« ففرح بعض الشعب ، وابتأس بعض الشعب ، وصمت كثيرون ، غير أن المذيع طالب الناس ألا يحزنوا ، ووعد بوحدة صحيحة تقوم بين كل العرب .

إلا أن هناك من لم يصدق ، فبكى ما استطاع البكاء ، وَوُجِدَ أفرادٌ لزموا الفراش مرضا ، ثم أَبَلُّوا بعد يوم أو اثنين . . . » .

إن السخرية هنا تتولد من وضع سياق في القول بدلا من سياق آخر .

إن عبارة « وَوُجِدَ أفرادٌ لزموا الفراش ثم أَبَلُّوا بعد يوم أو اثنين » ذات نكهة جسدية خالصة ، يكون استعمالها في العادة للحديث عن إنسان أرهقه العمل ، أو أصيب بالزكام ، فلزم الفراش يوما أو يومين .

وهكذا فإن إحالة مشاعر وطنية إلى حالة جسدية خالصة يجعلها مضحكة . يشبه ذلك قولنا في وصف إنسان : إنه كان شجاعا



وسمينا . فإن اقتران الصفتين المادية والمعنوية يجعل قولنا مضحكا .

نجد الشيء نفسه في فقرة أخرى :

وأما تحويل الحديث المباشر إلى حديث غير مباشر فهو واضح في الاقتباسات السابقة منها :

« غير أن المذيع طالب الناس ألا يحزنوا ، ووعد بوحدة صحيحة ، إلا أن هناك من لم يصدق ، فبكى ما استطاع البكاء » .

المذيع يصدر أوامر لايمكن أن تطاع ، إذ طالب الناس ألا يحزنوا ، وكأن الحزن يأتي بأمر ، وينتهي بأمر مضاد . كما أنه يقدم وعودا محددة ، بقيام وحدة صحيحة ، لم يكن قادرا على تحقيقها . إنه مضحك في أوامره ووعوده ، وكذلك كانت استجابة المستمعين ، فبدلا من اكتشاف حماقة المذيع انخرطوا في البكاء . عندما نتأمل هذه العبارات جيدا نكتشف أن حماقة المذيع اتضحت لنا بسبب استعمال تقنية القول غير المباشر . يكفي أن نعيد هذه العبارات إلى أسلوب الخطاب المباشر ؛ أي نقل كلام المذيع كما قاله ، حتى يتضح لنا أنه فقد طابعه المضحك ، وأصبح مجرد مادة إعلامية عادية ، لاتثير السخرية .

إن استعمال المؤلف لهذه التقنية يتميز بالأصالة ، ويكشف عن حرية داخلية ، يمتاز بها الفنان الموهوب .

علاقات جديدة بين المفردات

ربما كان أهم هذه التقنيات وأكثرها كشفا لموهبة المؤلف هي تلك التي يستعملها في إقامة العلاقات بين المفردات التي تشكل المشهد . إن تلك المفردات غير محالة إلى بناء ذهني - إلا كإطار عام - أو إلى الحبكة الروائية ، بل إلى ردود الفعل التلقائية . إن هذا يمنح الرواية جدة مطردة .

يقول الراوي في وصفه امرأة عجوز ، كانت تحاول أن تعبر الجسر الذي دمرته الطائرات « الاسرائيلية » ، إلى الضفة الأخرى من النهر :

« ورغم أنني سمعت دائما من يتحدث عن صفرة الوجوه الخائفة ، فلم يحدث أن رأيت وجها صغيرا كهذا مصفرا تماما كقشرة ليمونة دون رواء القشرة » .

إن المؤلف يقيم علاقة بين الذاكرة والواقعة العيانية : صفرة الوجه الخائف كصورة رسخت في الذاكرة ، وهذا الوجه الأصفر الصغير . إن لهذه العلاقة بين المعطيين وظيفة ابستمولوجية (معرفية) محددة ، فالمسلمات القائمة في وعينا (ولا وعينا) تحال إلى مضمونها الواقعي ، ليتم نفيها أو تأكيدها .

إن قاصا مثل يوسف ادريس ، مثلا ، يسعى إلى تحطيم قبلياتنا ، أي أفكارنا الثابتة عن العالم . فصورة السفاح الرهيب في خيال الطفل تنهار عند رؤيته . كان ضئيل الحجم . كما تعني صورته مزيدا من الانهيار عندما يراه ينتحب ، لأن زوجته تخونه . (هذا في رواية الغريب) .

وهذه وظيفة ابستمولوجية ، (معرفية) لأنها تقودنا إلى جوهر المعرفة ، إذ هي ليست مجرد معلومات يحشى بها الدماغ ، بل اقتراب تدريجي مستمر نحو الحقيقة . يتم ذلك من خلال تحطيم أطر معرفية قديمة ، سلخت عن معطياتها الواقعية ، وأصبحت مجرد أشكال فارغة ، واستبدالها بأطر جديدة ، انبثقت من الواقع توا .

وبكلمة أخرى : إن المعرفة عملية متصلة مستمرة إلى مالانهاية ، تقوم على تحطيم القديم وبناء الجديد .

هكذا يصبح السؤال المطروح : هل الأدب يعبر عن التجربة كما عشناها ؟ أو هل تتم مصادرتها خضوعا للطقوس الاجتماعية ؟

إن تهمة قتل البدوي تجد رافدا لها في ملاحظات مدير مأوى العجزة حول سلوك « ميرسو » خلال جنازة أمه :

« وردا على سؤال آخر ، قال : إنه فوجيء بهدوئي ، يوم دفن والدتي ، ولقد سئل عما يعنيه بقوله (هدوء) ، فنظر المدير إلى حذائه ،

وقال : إنني لم أبد الرغبة في مشاهدة أمي ، ولم أبك مرة واحدة عليها ، وأنني ذهبت فورا ، إثر دفنها دون أن أنحني بكل حواسي فوق قبرها .

وقال : إن شيئا آخر فاجأه أيضا : فقد ذكر له أحد مستخدمي الجنّاز بأنني كنت أجهل كم تبلغ أمي من العمر » .

وتبلغ هذه الاتهامات حدا جعل المحامي يتساءل : « أخيرا ، نريد أن نعرف ما إذا كانت التهمة الموجهة إلى موكلي هي دفن أمه ، أم لأنه قتل رجلا ؟ » ، فيصر المدعي العام : « نعم ، إنني أتهم هذا الرجل بأنه دفن أمًّا ، بقلب مجرم » .

فما خطيئة « ميرسو » الحقيقية ؟

إنه وقد فقد القدرة على فهم المنظور ، أو بعد المسلمات الاجتماعية قد خضع تماما لتداعياته التلقائية ، وأصبح سلوكه نتاج رؤية ، يظهر فيها العالم وقد اتسم ببعدين . وهكذا نستطيع القول بأن خطيئة « ميرسو » الكبرى التي تم تضخيمها إلى الحد الأقصى هي أنه لم يخضع تداعياته للمواضعة الاجتماعية .

عند تيسير ، في هذه الرواية ، لاتقيم تداعيات الراوي اعتبارا للمواضعة الاجتماعية ، ولا للمنطق الاجتماعي الذي نطلق عليه صفة الحس السليم .

دعونا نقرأ هذه المقاطع من الرواية :

« ولاحظ عربي أن الخادمة التي يحشرونها تنام معه في الغرفة . . كانت غائبة عن حسه لفترة . ثم عراها ، واكتشف أن جسدها الداخلي نظيف جدا ، فجاس خلاله بلذة ، ويبتئس حين يرى أن وجهها ، بعد أن تضع ملابسها ، وسخ جدا . . .

« ولأن الخادمة ظلت وسخة الوجه ، أحب من بعيد صبية سمراء ، تغدو لمدرستها كل صباح في الميعاد نفسه » .

هنا نجد الانطباعات الأولى للراوي قد حددها منطق تداعياته الخاص . إنها تحيلنا إلى تداعياتنا نحن ، لايحكمها منطق المسلمات والطقوس ؛ أي عندما نكون أحرارا . وبهذا المعنى نستطيع أن نقول : إن الأدب الجيد يحررنا . كيف ؟ سنشرح ذلك بعد قليل .

والآن : هل نستطيع أن نضع هذه الملاحظات المتفرقة في سياق مفهوم منسجم ؟ سنحاول ذلك .

علاقة الوظيفة بالجمال

نتبين أهمية هذه التقنيات التي تحدثنا عنها عندما نقيم رباطا بينها وبين مسألتين : وظيفة الأدب وجماليته .

إحدى وظائف الأدب ، وأخطرها ، أنه يجعلنا نعيش تجارب حياتنا اليومية مرة أخرى ، ولكن برؤية وفهم مختلفين . إن تجاربنا اليومية مستلبة ، لأنها محالة دوما إلى إطار مرجعي متكلس ، قد فقد مضمونه الواقعي ، وأصبح شكلا فارغا ، أعني بالإطار المسلمات الاجتماعية . يكفي أن نطرح على المواضعة الاجتماعية سؤالا منطقيا واحدا ، حتى يتكشف لنا فراغ هذا الشكل الميت . إن لهذا الشكل ، بالطبع ، مضمونه ، ولكنه أولا ليس ما يدعيه ، وثانيا أن مضمونه الأساس مضمون قمعي .

مثال ذلك أننا نوافق أن تعمل الفتاة موظفة ، وقد يكون عمليا أن تجلس في حجرة واحدة مغلقة مع زميل ، لايدخلها أحد إلا بإذن ، ذلك مقبول تماما . ولكن حين يدعوها هذا الزميل إلى شرب فنجان قهوة في مكان عام ، فإن موافقتها تصبح فضيحة . هذا هو منطق المواضعة الاجتماعية : الخلوة مع رجل ست ساعات يوميا أمر مقبول ، والجلوس في مكان عام أمام مئات الأعين شيء مستنكر .

المضمون الحقيقي

وراء ذلك استعباد المرأة ، وعدها وسيلة إنتاج بلا حقوق ، فخلوتها مع الرجل تأتي بالمال ،

وجلوسها في مقهى يحقق العكس ، ويعطيها حق الـراحة والمتعـة . وهذا أمـر غـير مقبـول . إن المسلمة الاجتماعيـة بتصلبها وعنجهيتهـا تخفي مضمـونها الـوحشي بغـلاف من شـرف المـرأة وسمعتها .

وهكذا تصبح ردود أفعالنا وأفكارنا وانفعالاتنا مقننة . إننا نلغي أبعادها ، ونقتصـر على ردود الفعل التي حددتها القيم السائدة . أما الكيفية التي يتم بها ذلك فتنقلنا إلى البحث في آلية الجهاز العصبي لـلإنسـان . وهـذا البحث يحتـاج إلى متخصص . يكفي أن نقول : إن التداعي الحر للأحداث والأفكار يتوقف ، أو ينحرف ، نتيجة لكوابح في الجهـاز العصبي ، مصدرهـا القمع الاجتماعي ، بكل أشكاله .

من هنا تبرز الوظيفة الخطيرة للأدب الجيد . إنه يقدم لنا تجاربنا الخاليـة من الحياة والمعنى ، ليشحنها بطاقة معرفية هائلة . فعنـدما نقـرأ في رواية : (أنت منذ اليوم) أن الراوي زهـد في جســد الخــادمــة ، لأن وجههــا يكشـف عن وساخته ، عندما ترتدي ملابسها ، فإن الرواية تجردنا من مسلمة طبقية ، وتكشف لنا رغباتنـا الحقيقية . كذلك فإن العقل الطقسي يقبل خطبة المذيع الحمقاء : لاتحزنوا ، سأحقق لكم وحدة صحيحـة . ولكن بمجـرد أن نصيغهـا بصيغـة خطاب غير مَبـاشر يكتشف العقـل الخامـل أنه خدع . لأن المؤلف قد غـير الصياغـة النمطيـة للخطاب . فلم نعد ـ في خطبة المذيع ـ مضمرين كمستمعين ، بل أصبحنا نقادا .

هذا عن علاقة هذه التقنيات بوظيفة الأدب التي حددناها بقولنا : إنها وظيفة معرفية ، فماذا عن علاقتها بالمعطى الجمالي ؟

الفصـل بين وظيفـة الأدب وجماليتـه فصـل تعسفي ، فالوظيفـة جزء من جمـاليته ، ولكننـا نستعمل هذا الفصل للإيضاح . الجمالي يعني : الكفاءة التي ينقل بها الأديب تجربته إلى المتلقي ، إضافة إلى الوظيفة .

واستعمال التقنيات التي ذكرناهـا كان بهـذا المعنى جميلا . إنها تجدد التجربة اليومية ، فتثير خيـال المتلقي ووعيه لتجـربتـه الخـاصـة . إنها تعرض الوجوه الجديدة للحدث ، فتوقظ جهازا عصبيا تعود التكرار ، وبالتـالي تعود عـلى تلقي وقائع الحياة وهو نصف نائم . ولكنه يستيقظ أمام الجدة . وبكلمة أخرى ، فإن جمالية هذه الرواية تكمن في جـدتها ، في كشفهـا واقعـا نعيشـه ، ولكننا لا نعرفـه . إن هذه الجـدة على الأخص تجعل القاريء مبدعا . □

الحقيقــة



الحقيقة هي أن نكون مع الذين يتألمون .
وهي أن نبكي مع الذين ينتحبون .
وأن نجد فرحنا في تخفيف الألم .
وفي الامتناع عن الغناء والضحك حين يبكي الآخرون .
وأن نفتح أعيننا على بؤس البائسين ، فنعمل لتخفيفه بإخلاص ، بدلا من أن نغسل منه أيدينا .

الحقيقة ليست الفن ولا الموسيقا ولا الأبهة ولا روح النكتـة ولا القهقهات ولا الفرح الذي يدفع الآخرون ثمنـه عرقـاً ، إنها عناء غيرنا ، حين نشترك فيه ، إنها دمعة نمسحها وبسمة نبعثها ، وطفل نساعده على الحياة ، وشيخ نواسيه .

الجديد في العلم والطب

إعداد : يوسف زعبلاوي

علاج جديد لسرطان البروستاتا

سرطان البروستاتة هو السرطان الأكثر انتشارا بين الأمريكيين ، الرجال منهم دون النساء ، فهو يصيب عشرهم بالتقريب ، وبالتحديد ، واحداً من كل (١١) رجلا أمريكيا إن عاجلا أو آجلا ، ويموت من هؤلاء المصابين مالايقل عن ٢٨٫٠٠٠ رجل سنويا ، ولايعرف السبب ، وهو غير آفة التهاب البروستاتة أو تضخمها . لكن المعروف أن احتمالات الإصابة تزداد مع تقدم العمر ، وقد درج الأطباء على معالجة سرطان البروستاتة بإحدى طرق ثلاث :

١ ـ عالجوه بالجراحة ، لكن عملية سرطان البروستاتة خطيرة ، وقد تسبب مضاعفات عديدة ، كالعقم وفقدان الكفاءة الجنسية فقدانا تاما ، وقد تشمل مضاعفات في التبول والتبرز .

٢ ـ وعالجوه أيضا بالأشعة التي تسلط من الخارج تباعا مدة ٣٥ يوماً ، والتي قد تكون لها آثار جانبية ، وهي آثار بالغة الخطورة .

٣ ـ وعالجوه كذلك بزراعة في الورم السرطاني على الأخص بإحدى المواد المشعة ، وغالبا ما كانوا يفضلون اليود لهذا الغرض . ولكن الاعتراض على هذه الطريقة هو البطء الشديد النسبي الذي تتم به المعالجة .

ولما كان هذا الاعتراض لايمس الفاعلية العلاجية للمواد المشعة ، وإنما البطء الذي تؤثر فيه إحدى تلك المواد ـ مادة اليود بالتحديد ـ ومعنى هذا أنه لو أمكن العثور على مادة مشعة أخرى ، غير اليود ، تستطيع معالجة سرطان البروستاتة بأسرع مما تفعل هذه المادة ، لكان في ذلك حل للمشكلة ، وجاء يوم ـ قبل نحو سنتين ـ بدأ فيه الأطباء استعمال مادة مشعة أخرى ، هي البلاديوم ، وهو معدن يشبه البلاتين ، وراحوا يزرعون بذور البلاديوم في سرطان البروستاتة مباشرة ، وقد أثبتت التجارب أن باستطاعة بذور البلاديوم هذه تحطيم خلايا السرطان بأسرع مما يستطيع اليود ، بربع المدة تقريبا ، إذ يبلغ البلاديوم نصف حياته في ١٧ يوما ، ولايبلغها اليود إلا في ستين يوما .



أضف إلى ذلك أن البلاديوم لايحتاج إلى تخدير موضعي ، ولايوجب بقاء المريض في المستشفى ، ولايتسبب بمثل المضاعفات (التبول والتبرز)

التي قد تسببها الطريقتان الأخريان السالفتا الذكر ، ويؤكد الأطباء الذين مضوا مؤخرا في زرع بذور البلاديوم الجديدة (رقم ١٠٣ كما اصطلحوا على تسميتها) ، أن المرضى يستطيعون الوقوف والمشي على أرجلهم في غضون أيام قليلة من عملية الزرع ،وفي ذلك يقول الدكتور هارولد ماكدونلد ، أخصائي المسالك البولية ، وأحد مؤسسي مركز جورجيا للبروستاتة في مدينة أتلانتا :

« لاريب أن البلاديوم هو أفضل الخيارات وألطفها بالنسبة للمريض ، ولكن حسنات البلاديوم لاتقف عند اللطف ، فهو ذو أثر علاجي فعال ، يضاهي أثر الجراحة ، ويضمن التخلص من سرطان البروستاتة بسرعة ، ودون آثار جانبية تذكر . ويضيف الدكتور ماكدونلد إلى ذلك قوله بأنه يزرع في المريض الواحد حوالي (٦٠) بذرة بلاديوم بالمتوسط ، يغرسها في البروستاتة بواسطة إبر رفيعة ومثبتة على قالب خاص بها ، ومتصلة بمدس أو مسبار (فوق سمعي) ، وتبث البذور إشعاعها في البروستاتة من الداخل ، دون أن تعرض للخطر أيا من الأعضاء أو الأنسجة القريبة من الورم أو المحيطة به ، ويأتي يوم بعد ذلك تخمد فيه البذور وتتوقف عن الإشعاع ، ولكنها تبقى حيث هي ولاحاجة لاستئصالها فهي ليست ضارة ».

ويوجد في الولايات المتحدة حاليا ١٥ مركزا تعالج سرطان البروستاتة بالبلاديوم ١٠٣ .

□□□

طريقة أجدى للتلقيح خارج الرحم



يقول العلماء والباحثون في هولندة : إنهم عثروا على طريقة تضمن مضاعفة فرص النجاة في التلقيح خارج الرحم ، بإعطاء المرأة الهرمونات المعروفة ، لكن وفق « تقنية » جديدة ، وتقتضي إعطاء المرأة الهرمونات الضرورية للمبايض في أوقات متقاربة على مدى ١٤ يوما ، قبل انتزاع البويضات من جسمها لكي يجري تلقيحها خارجه ، وقد درج الأطباء في الماضي على حقن المرأة بتلك الهرمونات (بقصد تنشيط المبايض أو إثارتها) مرة في اليوم مدة أسبوعين .

يقول الدكتور فردريك براك في ذلك : « لكننا نعطي المرأة تلك الهرمونات ، ولا نعطيها حقنا في العضل ، كما جرت العادة سابقا ، نعطيها دفعا بواسطة مضخة متصلة بأنبوب يزرع في الذراع ، وتثبت المضخة على الخاصرة ، ويجري الضغط عليها مرة كل تسعين دقيقة ، وحسبك أن (٢٠) امرأة من أربعين إمرأة شملتهن التجربة الأولى قد حملن بالتقنية الهولندية الحديثة . □

سلامة البشرية في سلامة البيئة

قارة القطب الجنوبي بيئتها معرضة للخطر

لعل القارة القطبية الجنوبية والحاجة الملّحة إلى حمايتها من المخاطر التي تتهددها ، هي القضية البيئية الرئسية التي مازالت منذ شهور الصيف الماضي (١٩٨٩) تشد كل الدول إلى عقد المؤتمرات،ومناقشة الإجراءات والاتفاقيات الكفيلة بالحفاظ على سلامة البيئة في تلك القارة .

فقد شهدت العاصمة الفرنسية آخر تلك المؤتمرات ، وهو المؤتمر الذي عقد في أواسط شهر اكتوبر (١٩٨٩) ، والذي حضرته الدول التسع والثلاثون التي وقعت على معاهدة القطب الجنوبي الشهيرة سنة ١٩٥٩ ، وقد حضر المؤتمر رجال دولة بارزون مثل المسيو دوشار ، رئيس الحكومة الفرنسية ، وحضره علماء متميزون كعالم البحار الفرنسي جاك ايفز كوستو . ودارت أبحاث المؤتمر ومناقشاته حول : هل يسمح بالتنقيب عن المعادن في القارة القطبية الجنوبية ؟ وهل يسمح باستخراجها أو يحظر هذا وذاك حظراً تاما ، أو يسمح بهما شريطة الخضوع لنظم وقواعد صارمة يتفق عليها وفقا لمقتضيات سلامة البيئة ؟

وسبق مؤتمر باريس هذا اجتماع آخر ، شهدته ولنجتون ، عاصمة نيوزيلندة ، في شهر يونيو (١٩٨٩) ، وحضره أكثر الدول الموقعة على معاهدة سنة ١٩٥٩ ، وبالتحديد حضرته ٣٣ دولة من مجموع ٣٩ ، وقد انتهى اجتماع ولنجتون هذا إلى الاتفاق مبدئيا على السماح بالتعدين في القارة القطبية الجنوبية ، على أن تتعاون الدول المعنية على وضع الأنظمة والقواعد المناسبة السالفة الذكر ، بما يضمن التحكم بشتى أعمال التعدين من جهة ، ويكفل حماية البيئة من جهة أخرى .

ولم يكد يمضي على اتفاق ولنجتون المبدئي شهران حتى تراجعت عنه دولتان من الدول الموقعة عليه هما فرنسا واستراليا ، فأدى تراجعهما الى التهديد بانهيار الاتفاق المذكور ، أما الباعث على تراجعهما فلم يكن سوى رقّة أو شفافيّة البيئة في القارة القطبية الجنوبية .

ولعل موقف فرنسا واستراليا هذا متأثر بوجهة نظر عالم البحار المعروف كوستو ، فالقارة القطبية الجنوبية ، كما يقول العالم الفرنسي ، ذات بيئة هشة ، ولابد من الإبقاء عليها برية طهورة .

ذلك أن الصقيع والجليد المتراكم في هذه القارة يلعب دورا حيويا جدا في تكييف المناخ العالمي ككل ، فهي أشبه بالمختبر الكبير الفريد الذي يسمح



بإجراء الأبحاث الميدانية لظواهر بيئية خطيرة كظاهرة التآكل التي بدأت تحل بطبقة الأوزون وظاهرة البيت الزجاجي .

أما هشاشة البيئة في القارة القطبية ، فقد تجلت بوضوح في شهر يناير (١٩٨٩) ، حين غرقت سفينة التموين (باهيا برايزو) التابعة للبحرية الارجنتينية ، فأدى غرقها إلى ظهور بقعة زيت الديزل على سطح المياه الجليدية القريبة من شبه جزيرة انتارتيكا ، فكان التلوث المزمن المستعصي ، وقد التصقت البقعة بحواف الغطاء الجليدي الذي يغطي المنطقة ، وكان التلف البالغ الذي حل بالمنظومات البيئية في القارة القطبية .



لاغرابة إذن ان دعت فرنسا واستراليا ودول أخرى غيرهما إلى إعادة النظر في اتفاقية ولنجتون ، على الرغم من العقبات الكبيرة التي تعترض ذلك السبيل . وحسبك أن تلك الاتفاقية قد استغرقت مالا يقل عن ست سنوات حافلة بالاجتماعات والمناقشات ، قبل التوصل إلى الاتفاق على أحكامها ونصوصها ، على الرغم من أنه اتفاق مبدئي .

ولاندري ماالذي ستتمخض عنه الشهور القليلة القادمة ، وهل سيسمح بالتعدين في القارة القطبية الجنوبية ، أو تجمع الدول على حظره ، ومن طريف مايذكر أن الثروات المعدنية التي كثر الحديث عن وجودها في تلك القارة مازالت في عالم الغيب ، فالعلماء ليسوا على يقين من وجودها بكميات تجارية في أرض نائية وخافية تحت غطاء جليدي يبلغ سمكه ٣ أميال في بعض الأحيان .

□□□

مرض الايدز وعلاقته بتلف طبقة الأوزون

تآكل طبقة الاوزون ، الحزام الواقي ، كما هو معروف ، يعرض الإنسان لأكثر من علة ، فقد اكتشف الباحثون مؤخرا أن بعض مايسببه ضعف المناعة ضد الأمراض المعدية ، وقد يتسبب بالإصابة بمرض الجذام ، وببعض الآفات التي يعاني منها مرضى الايدز .

جاء ذلك في دراسة نشرتها مجلة المناعة في شهر نوفمبر ١٩٨٩ ، وقد أجرى تلك الدراسة علماء من جامعة تكساس ، بإشراف مارجريت كرايب ، رئيسة قسم المناعة في الجامعة المذكورة .

ويعلل العلماء ذلك بالتأكيد على أن الأشعة فوق البنفسجية تتلف إلى حد كبير ، قدرة خلايا المناعة على محاربة البكتريا المرضية ، وقد أثبتت الدراسة السالفة الذكر ذلك بالتجارب العديدة التي أجريت على الفئران ، وبينت أن جرعة من الأشعة المذكورة،جرعة قليلة ولا تكاد تفي بأغراض الحمام الشمسي كفيلة بكبح جهاز المناعة بالفئران،والنيل من قدراتها على محاربة المايكوبكتريا بنسبة لاتقل عن ٥٠٪ . □

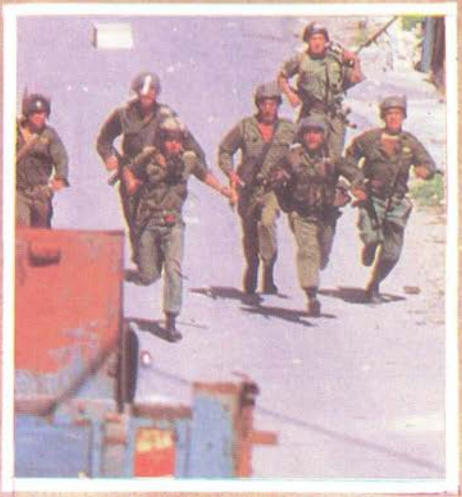
فلسطين المحتلة

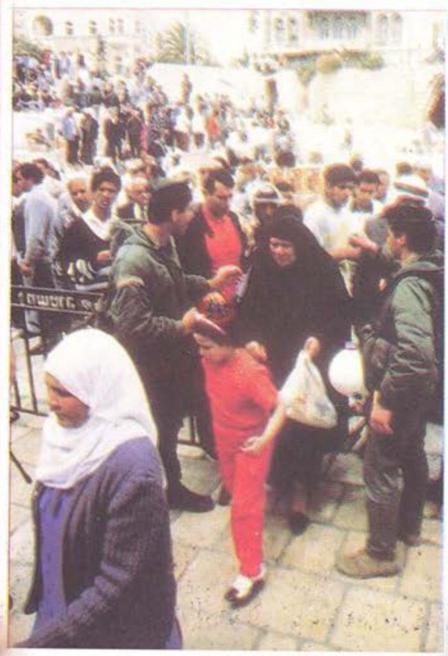
الحَياة والمَوْت في ظـلّ الانتفاضة

استطلاع وتصوير: مجموعة من الكتاب الفلسطينيين تحت الاحتلال









ليست الانتفاضة التي يقوم بها
الشعب الفلسطيني في
الأراضي المحتلة حجارة
تقذف في وجه العدو
المحتل ، وجنودا مدججين
بالأسلحة ، يقتلون
ويقمعون ، وينسفون المنازل
فحسب ، إنها أسلوب
للحياة ، اختاره شعب فلسطين
لمواجهة سلطات الاحتلال
« الاسرائيلي » ، وحياة لها
مظاهرها وأسسها وقوانينها ،
ولها تجلياتها في الحياة والموت
والزواج والدراسة والسياسة
والنضال والعلم .

قبل أن يمر عامان على بدء انتفاضة الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة اعترف وزير الحرب « الاسرائيلي » اسحق رابين ، أنه تعرض للاعتقال ٤٠ ألف فلسطيني ، وأصيب ١٥ ألفا بجراح ، واستشهد ٥٠٠ مواطن ، منهم ١٢٠ طفلا دون الخامسة عشر من أعمارهم ، واعترف في مؤتمر صحفي ، عقده في منتصف شهر/ اكتوبر / تشرين أول الماضي أن الانتفاضة ثورة شعبية مشكلة بنواة صلبة ، مكونة من ٨ آلاف مواطن ، بتأييد من جمهور واسع .

وأكد هذه التصريحات امنون ستراشنوف ، المدعي العام العسكري الذي أضاف بأن آلاف الملفات الأمنية لم تغلق أمام المحاكم العسكرية ، وبرر إطلاق النار على الملثمين بأن « اسرائيل » تعيش حالة حرب مع مواطني الأراضي المحتلة .

هذه الاعترافات العلنية من أعلى السلطات العسكرية في « اسرائيل » تعكس مدى العنف الذي يمارسه الجيش « الاسرائيلي » ضد المواطنين العزل ، ومدى المقاومة الصلبة التي يتحلى بها الشارع الوطني الفلسطيني . فكيف بدأت المصادمات الأولى ؟ وكيف تطور أسلوب العنف العسكري في مواجهة المقاومة ؟ وكيف أمكن تحقيق كل هذا الثبات الشعبي والوطني ؟

جباليا الشرارة الأولى

سجلت الأحداث التاريخية اندلاع شرارة الانتفاضة الأولى في مخيم جباليا ، بقطاع غزة ، في التاسع من ديسمبر ـ كانون أول عام ١٩٨٧ ، عندما صدمت شاحنة « اسرائيلية » سيارتين لعمال عرب ، وأوقعت أربعة قتلى وعددا من الجرحى ، وفي أثناء تشييع الجنازات وقعت الصدامات الأولى في المخيم ، وامتد لهيب الانتفاضة مباشرة الى نابلس ، حيث استشهد المواطن ابراهيم العكليك في اليوم الثاني لأحداث غزة . وفي الحادي عشر من ديسمبر ـ كانون أول من العام نفسه (يوم الجمعة) اندلعت مظاهرة



خارطة فلسطين .

عنيفة ، بعد الظهر ، في مخيم بلاطة ، وأطلق جنود الاحتلال النار بغزارة على المواطنين ، مما أدى إلى استشهاد المواطنة سهيلة صالح الكعبي (٥٧ سنة) ، والفتى علي مساعد (١٤ سنة) ، والشابة سحر الجرمي (٢١ سنة) ، وانتشر الشرر في أرجاء الوطن المحتل ، فاندلعت الانتفاضة ، وتعاظمت ، واستمرت لتدخل عامها الثالث .

وسجلت الأشهر الأولى فيها عددا لا يستهان به من القتلى وآلاف الإصابات ، وكانت سياسة الاحتلال تقوم على الضرب بعنف قوي لإخماد الانتفاضة ، لكن الرد الشعبي أخذ يتصاعد ضد إجراءات القمع ، وانتظمت المسيرة في الشهر الأول عندما تشكلت القيادة الوطنية الموحدة

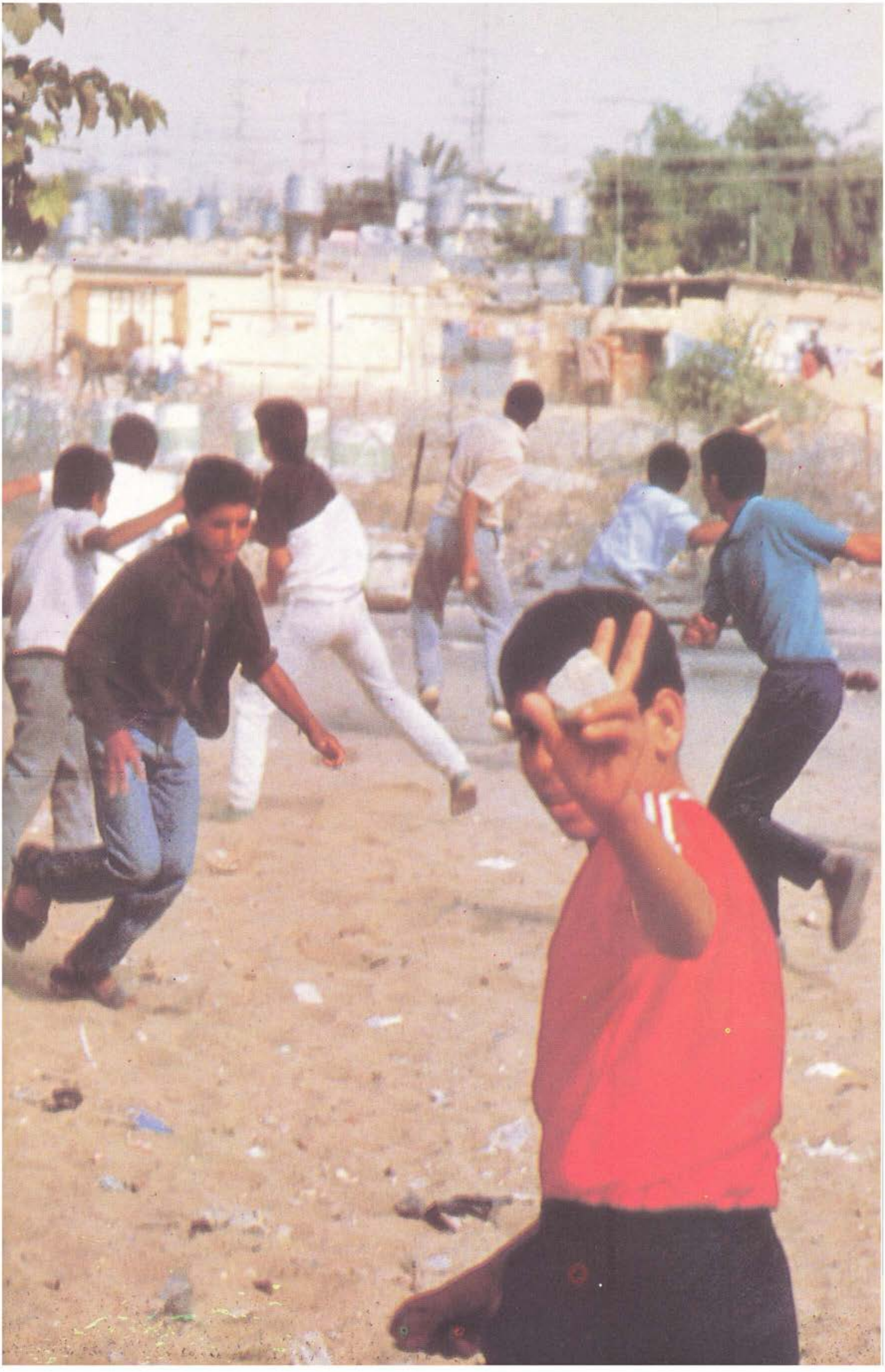


● الشرطة « الاسرائيلية » تقمع بوحشية المسيرة العالمية للتضامن مع الشعب الفلسطيني .

(قاوم) ، وأصدرت منشورها الأول في الرابع من يناير ـ كانون ثاني عام ١٩٨٨ ، ولعبت دورا في تحديد أيام الإضراب والاحتجاج والتضامن والتظاهر والتصعيد .

وشكلت السلطات العسكرية غرفة عمليات خاصة ، للإشراف على قمع الانتفاضة ، بإدارة عدد من كبار الضباط العسكريين ، وبدأت لجنة العمليات الخاصة بالبحث عن أنجع السبل لوقف الانتفاضة ، واقترح رابين تكسير عظام المواطنين بالهراوات ، وكان نتيجة هذه السياسة استشهاد العديد من المواطنين ، كان من بينهم الشهيد هاني الشامي في غزة ، وإصابة ثلاثة شبان بجراح خطيرة إثر ضربهم بالحجارة على أطرافهم في جبال نابلس ، وإصابة آخرين إثر محاولة آثمة لدفنهم أحياء في قريتي سالم قرب نابلس ، وعارورة قرب رام الله ، وتصدى المواطنون لهذه السياسة ، وصمدوا في مواجهتها . وعندما فشلت تراجعت للخلف ، لكنها لم تتوقف .

وطرح « الجنرالات » فكرة توسيع العقوبات الجماعية ، والتهديد بترحيل قرى فلسطينية بأكملها ، أو نسف جميع منازلها في حالة إثبات علاقة بعض شبانها بالانتفاضة ، ولقيت الفكرة استحسانا عند بعض العسكريين الذين قاموا بنسف ١٤ منزلا في قرية بيتا ، المجاورة لمدينة نابلس ، وأبعدوا على الفور ستة من شبانها ، واعتقلوا عددا كبيرا من أهلها مازال أغلبهم في السجون ، بحجة اشتباكهم مع مستوطنين كانوا

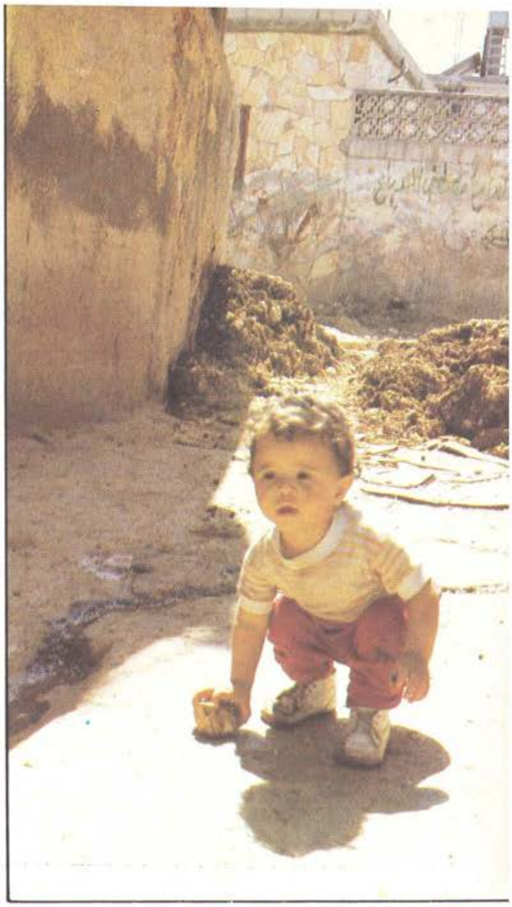


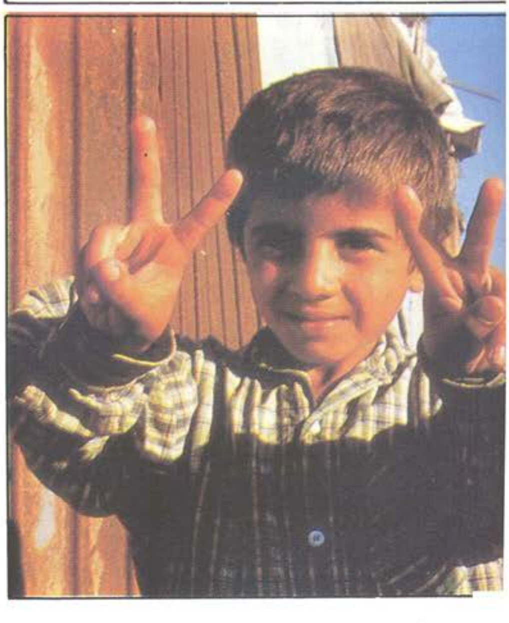
« يتنزهون » قرب القرية ، وتسببهم في موت إحدى الفتيات تبين فيها بعد أنها قتلت برصاص المستوطنين أنفسهم . وخضعت بلدة بيتا لفترة طويلة من الحصار ، في حين لاقت بلدة نحالين ، القريبة من بيت لحم ، مصيرا مشابها ، عندما كمن الجنود عند الفجر ، وأطلقوا النار على المصلين ، مما أدى إلى استشهاد خمسة من المواطنين وإصابة الكثير . ومع ذلك كان الرد على القمع بمزيد من الصمود في مواجهته .

وأعيد طرح فكرة « الترانسفير » ، أو الترحيل الجماعي ، للمواطنين العرب ، وتبناها العديد من الأطراف داخل « اسرائيل » ، مثل حركة « موليديت » الصهيونية الممثلة بعدد من الأعضاء في الكنيست « الاسرائيلي » ، لكن الفكرة لم تنجح ، لكونها غير واقعية برأي بعضهم ، واستعيض عنها بترحيل قائمة من النشيطين والوطنيين ، وقدم مجلس المستوطنات قائمة بأسماء ثلاثة آلاف شاب عربي طالبا إبعادهم إلى خارج فلسطين ، وعدت هذه القائمة امتدادا لفكرة « الترانسفير » ، لكن عملية الإبعاد لم تتوقف وسارت إلى الأمام على الرغم من « الاعتراضات » الدولية ، وتم إبعاد أكثر من ٧٠ مواطنا إلى خارج فلسطين منذ بدء الانتفاضة ، بحجة تزعمهم اللجان الشعبية ، ومع ذلك تواصلت الانتفاضة .

ولجأت سلطات الاحتلال إلى مضاعفة فترة الاعتقال الإداري إلى سنة كاملة قابلة للتجديد ، بدلا من ستة أشهر ، وهذه العقوبة يمكن أن تنال أي مواطن في الأرض المحتلة ترى السلطات أنه يشكل « تهديدا للأمن »

ولم تتوقف الإجراءات الصهيونية عند هذا الحد ، واتخذت السلطات العسكرية قرارات بإطلاق النار على الملثمين في الشوارع ، وأعطت السلطات القضائية في « اسرائيل » « شرعية » لهذا القرار ، وأصبح أمرا مشروعا ساري المفعول ، وتمت تصفية العديد من الشبان تحت حجة أنهم ملثمون .





● أطفال الحجارة : شوكة في حلق الاحتلال « الاسرائيلي » .

موت وحياة

لم تقصر أشكال المقاومة التي استخدمتها الانتفاضة على الصدامات والمواجهات والاعتصامات والأشكال النضالية الأخرى فحسب ، بل امتدت لتشمل شتى جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، إذ بدأت الجماهير بصياغة حياتها الاجتماعية والاقتصادية بتوجهات وطنية جديدة ، بعيدة كل البعد عن سلطة الاحتلال العسكري . وكان الاحتلال الصهيوني وعلى مدى عشرين سنة ماضية قد وجه ضربات قوية للاقتصاد الفلسطيني ، وعمل على تغيير العديد من المفاهيم الاجتماعية لدى الجماهير الفلسطينية ، مما أدى إلى تحول جذري في كثير من العادات والتقاليد الاجتماعية المتوازنة ، فالزواج في المجتمع الفلسطيني رافقته - تقليدياً - مظاهر البذخ والترف والمظاهر الغربية المستوردة ، وارتفاع المهور ، والتكاليف الباهظة ، وأحيانا الخيالية ، كحفلات الخطوبة والزواج ، لدرجة أن العائلات الميسورة تنافست فيما بينها لإظهار ثرائها من خلال حفلات الزواج .



● أطفال فلسطين وقود الانتفاضة .

ثم جاءت الانتفاضة الشعبية الفلسطينية في أوائل شهر ديسمبر كانون أول ١٩٨٧ لتفرض نمطا جديدا قديما من العادات والتقاليد ، فلقد أسهمت الانتفاضة في إحداث تطورات مهمة ونوعية في المفاهيم والسلوك للأفراد والمجتمع في المناحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية . فعلى مستوى التغير الجذري في العادات والتقاليد لوحظ أن العادات والتقاليد لدورة الحياة التي تشمل الميلاد ، والزواج والوفاة ، وعادات الأعياد والمناسبات المرتبطة بالدورة العامة ، من أعياد دينية وقومية ومواسم زراعية ، وأخيرا عادات الفرد في المجتمع ، من مراسيم اجتماعية ، وعلاقات أسرية ، وإطلاق سجناء ، وشفاء من امراض ، وفض للمنازعات كل هذه قد تفاعلت مع مفاهيم الانتفاضة وتطورت معها .

الزواج في ظل الانتفاضة :

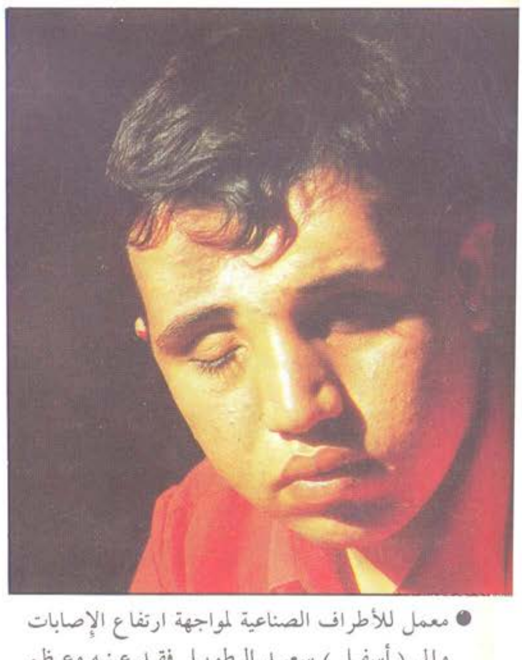
أصبح الزواج ينعقد في أقصر وقت ، وبأقل عدد من الحضور ، ويعود ذلك لعدم المساس بمشاعر المواطنين المتضررين من القمع الوحشي الصهيوني ، وحالات الاستشهاد والحصار وحظر التجول ، وتوفير الوقت . إذ أصبحت مراسيم الزواج تتم بأبسط الأشكال وأكثرها عملية واختصارا . وسجلت عشرات الحالات من الزواج التي تمت بحضور العروسين وولي أمر كل منهما فقط . وأدى هذا التغير إلى اختصار تكاليف الزواج ، إذ انخفضت المهور بشكل كبير جدا ، بعد أن وصلت إلى أكثر من خمسة آلاف دينار قبل الانتفاضة . أما خلال الانتفاضة فلم تتعد المهور أكثر من ٣٠٠ دينار في العديد من القرى ، وبخاصة في منطقة شمال الضفة الغربية ، حيث اتفق على توحيد المهور وتخفيضها في العديد من

قرى نابلس ، مثل بيتا وبيت فوريك إلى ٣٠٠ دينار أردني فقط ، وكانت لهذه الخطوات آثار إيجابية في نفوس الشباب ، خاصة الذين لم يستطيعوا الزواج قبل الانتفاضة لأسباب مالية . يقول أحد الشبان حديثي الزواج من مدينة الخليل : « إن الانتفاضة رحمة لنا على مستوى المهور وتكاليف حفلات الزواج ومشاكلها ، فلقد وفرت علينا الانتفاضة آلاف الدنانير التي كنا سنضطر لاقتراضها وتسديدها خلال عدة سنوات » . وأكد شاب آخر من القدس أنه « لولا الانتفاضة لما استطعت الزواج في هذه المرحلة ، لأنني لا أملك ، ولا أستطيع الاقتراض ، وقبل الانتفاضة كنت مقتنعا بأنني لن أتزوج قبل عشر سنوات ، والآن لدي طفلة عمرها ٤ أشهر » .

وقد حظيت هذه التغييرات التي كانت نابعة من الموقف الشعبي باستجابة واسعة حيث ارتفع عدد حالات الزواج من ٧٤١٠ عام ١٩٨٧ إلى ٨٣٠٨ عام ١٩٨٨ ، بينما انخفضت حالات الطلاق من ٧٣٢ عام ١٩٨٧ إلى ٥١٣ عام ١٩٨٨ ، وارتفعت معدلات الزواج بحوالي ٢٠٪ في قطاع غزة في العام الأول من الانتفاضة . وبالتدريج انحسرت مفاهيم المكانة الاجتماعية كعنصر رئيس في الزواج ، كما سجلت عدة حالات من الزواج المختلط بعيدا عن الطائفية ، بالإضافة إلى أن إلغاء حفلات الزواج قد عبرت عن مفاهيم التضامن الاجتماعي مع الأسر المتضررة .

وأعد الأستاذ عبدالعزيز أبو هدبا عضو لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني ، التابعة « لجمعية إنعاش الأسرة - البيرة » دراسة ميدانية حول العادات والتقاليد في ظل الانتفاضة ، شملت ١٩ موقعا في الضفة الغربية وقطاع غزة من مدن وقرى ومخيمات ، ركز فيها على التغيرات في العادات والتقاليد للزواج ، وجاءت نتائجها كما يلي :-





● معمل للأطراف الصناعية لمواجهة ارتفاع الإصابات وإلى (أسفل) سعيد الطويل فقد عينه وعظم الجمجمة في مواجهة مع المحتلين بمخيم النصيرات

١ ـ انخفاض تكاليف الزواج من حيث التلبيسة ، أو (الشبكة) والخطبة ، والمهور ، والسهرات والمآدب .

٢ ـ عدم الغناء ، إذ أن الانتفاضة وجوها النضالي البطولي وقوافل الشهداء الأبرار قد فرضت عدم الغناء على الناس حرصا وتضامنا مع مشاعر الأسر المتضررة ، حتى الأغاني الوطنية والزجل الشعبي لم يعد لها مكان في الأعراس .

٣ ـ ولم تعد الزفة تشاهد كزفة العريس ، وحشود الناس التي تملأ الشوارع تغني للعريس ، وتحولت الزفة إلى عرس من نوع آخر ، إنها زفة الشهيد .

وصل عدد شهداء الانتفاضة حتى شهر اكتوبر تشرين أول ١٩٨٩ إلى حوالي ٧٥٠ شهيدا ، شكلوا نسبة ليست قليلة من عدد الوفيات خلال فترة الانتفاضة ، فقد تحولت مآتم الشهداء إلى أعراس تزغرد فيها الأمهات والنساء ، وينشد الشباب والأطفال ، وحولت الجنازات إلى مظاهرات حاشدة . لذلك فقدت مظاهر الحزن على الموتى العاديين أهميتها ، وأصبح الهدف الرئيس للحركة الوطنية والجماهير الفلسطينية استغلال الجنازات لمواجهة جيش الاحتلال ، ولذلك عمدت سلطات الاحتلال إلى فرض حظر التجول على مناطق عديدة عند وفاة أحد الشخصيات . فمثلا تحولت جنازة رئيس بلدية غزة السابق ، رشاد الشوا ، إلى مظاهرة كبيرة شاركت فيها جماهير حاشدة من فلسطينيي القطاع ، وكذلك الحال بالنسبة لجنازة رئيس بلدية جنين المنتخب ، أحمد موسى التي شارك فيها أكثر من ٥٠٠ شخص ، كسروا أمر حظر التجول المفروض على المدينة .

التكافل

منذ بداية الانتفاضة تداعت الجماهير الفلسطينية وقواها الوطنية من أطر سياسية ونقابية وجماهيرية إلى تشكيل اللجان المتخصصة في جميع المواقع والمجتمعات لمساعدة الناس على حل



مشاكلهم اليومية ، وازدادت هذه المظاهر بعد الأشهر الأولى من الانتفاضة ، وعلى إثر الدعوات الوطنية لمقاطعة العمل في الداخل ، ومقاطعة المنتجات (الاسرائيلية) ، ومقاطعة مؤسسات الحكم العسكري ودوائره المتفرعة المعروفة بالإدارة المدنية ، والعمل على تشكيل سلطة وطنية محلية بديلة . وكان الإطار الأوسع لهذه الأطر هو اللجان الشعبية التي كان من أهم فروعها على مستوى الخدمة الاجتماعية والاقتصادية اليومية للجماهير:لجان الإغاثة .



● جانب من احتفال بذكرى الاستقلال الفلسطيني .

فلقـد شكلت لجان إغـاثة عـلى مستوى القـرية والمخيم وأحياء المدن . ووصل الأمر إلى تشكيل أكثر من لجنة أحيانا داخل الموقع الواحد ، من منطلق المنافسة بين الأطـر السياسية . والهـدف الأساس لهذه اللجان هو جمع التبرعات وتوزيعها على المناطق المحاصرة الخاضعة لحظر التجول ، وعلى العائـلات المتضررة من القمـع الصهيوني الوحشي ، والعائلات التي لا معيل لها . وشارك الرجل المرأة في هذه اللجان ، وكان للمرأة دور مميز في توزيع الإغاثات ، وخصوصا على المناطق المحـاصرة الخـاضعة لحـظر التجول ، لسهـولة تحـركهن بعكس الشبـان المـلاحقـين من قبـل السلطات . وتعد هذه اللجـان التي هي امتداد لتجارب سابقة على مستوى المخيمات خصوصا (في أثنـاء فتـرات حـظر التجـول في السنـين السابقة) ، عـلامات مضيئـة في الحياة اليـومية لـلانتفـاضـة ، وأحـد ألمع أشكـال التكـافـل والتضامن بين الجماهير الفلسطينية الرازحة تحت نير الاحتلال .

وفي مجال التكافل والتضامن بين أبناء الشعب

الواحد سجلت حالات مثالية جدا . ويروي أحد أعضاء لجنة الإغاثة في أحد مخيمات منطقة وسط الضفة الغربية ، أنه « في الأشهر الأولى للانتفاضة فرضت سلطات الاحتلال حظر التجول والحصار الغذائي على أربعة مخيمات ، في منطقتي القدس ورام الله ، وسارعت الأطر الجماهيرية والوطنية في هذه المخيمات بتشكيل لجان للإغاثة لدعم أهالي المخيمات المحاصرين ، ووصل عدد أعضاء إحدى هذه اللجان إلى حوالي ٣٠ عضوا ، معظمهم من النساء . وفي أحد أيام الحصار حضرت شاحنة محملة بالمواد الغذائية من منطقة بيت لحم ، لدعم أهالي مخيم شعفاط في القدس الذي كان أهالي القدس قد تبرعوا بمواد تموينية ، سدت حاجة سكانه في ذلك اليوم ، فحولت لجنة مخيم شعفاط هذه المواد إلى مخيم قلنديا ، وبدورها قامت لجنة



● طفل وعلم وكتابات على الجدران .

قلنديا بتحويلها إلى مخيم الأمعري ، ومن هناك حولت إلى مخيم الجلزون . وكان مرافقو الشاحنة مواطنين من بيت لحم يواجهون بالإجابة نفسها من لجان الإغاثة في هذه المخيمات : « لدينا ما يكفي لسكان المخيم لعدة أيام ، حولوا هذه الكمية إلى المخيم الآخر » . وفي النهاية تم تخزين هذه المواد بجانب مخيم الأمعري ، وأرسلت في صباح اليوم التالي إلى أهلنا في قطاع غزة عن طريق وكالة الغوث . هذه إحدى أروع صور التكافل والتضامن الاجتماعي التي سجلت خلال الانتفاضة ، ومن جماهيرنا في المخيمات الصامدة ، عرين الانتفاضة . ويؤكد العديد من أهالي المخيمات أنهم كانوا يجدون أكياسا مليئة بالمواد التموينية في ساحات بيوتهم ، خلال فترات الحصار وحظر التجول ، ومع استمرار الانتفاضة تداعت الجماهير الفلسطينية في الضفة والقطاع والمنطقة المحتلة عام ١٩٤٨ إلى تشكيل لجان التضامن والإغاثة في كل قرية ومدينة ومخيم .

يقول مدرس في إحدى مؤسسات التعليم العالي ، في منطقة رام الله : إن نقابة العاملين في المؤسسة طلبت من العاملين الذين يزيد عددهم على ٥٠٠ موظف تخصيص أجرة يوم عمل من رواتبهم الشهرية لدعم متضرري الانتفاضة ، وشكلت لجنة إغاثة داخلية لهذا الغرض ، قامت بجمع وتوزيع أكثر من ١٥ ألف دينار أردني ، وزعت على أكثر من ٤٠ قرية ومدينة ومخيماً ، على شكل مواد تموينية ، وعلاجات ، وأدوية . كما أن حالات التبرع بالدم للمستشفيات ، لمعالجة الجرحى ، سجلت أرقاما قياسية . يقول أحد الأطباء المقيمين في مستشفى المقاصد : إنه « بعد ساعات قليلة من إعلان المستشفى في الصحف المحلية عن الحاجة لمتبرعين بالدم ، لمعالجة الجرحى ، توافد المئات من مختلف المناطق ، لدرجة أن وسائط النقل استمرت لأكثر من كيلومتر بالقرب من المستشفى . وأعلنت إدارة



● توديع شهيد مناسبة لإذكاء الشعور الوطني .

المستشفى عن أخذ حاجتها ، وسد النقص ، بينما المئات من المتبرعين مازالوا ينتظرون دورهم خارج المستشفى .

وسجلت حالات التكافل الاجتماعي في تعزيز مفهوم « العونة » والتعاون الجماعي ، خصوصا في حالات الشدة . فعندما تقوم سلطات الاحتلال بهدم أحد المنازل أو إغلاقه يتسارع الأهالي بالمساعدة في إخراج الأثاث وتوفير السكن الملائم للعائلات المتضررة . وعندما تحرق قطعان المستوطنين أشجارا أو محاصيل زراعية فإن كل الجماهير في ذلك الموقع تهب للمساعدة . وهذا ما حدث عندما منعت السلطات أهالي عدة قرى من قطف المحاصيل الزراعية وبخاصة الزيتون ، كعقاب جماعي ، إذ كان الأهالي من القرى المجاورة يتوجهون إلى الحقول القريبة من أراضيهم ، ويقطفون هذه المحاصيل حتى رفع الحصار . وتتوجه الجماهير لمساعدة أهالي الجرحى والشهداء والمعتقلين في قطف محاصيلهم الزراعية ، أو قضاء بعض الحاجات اليومية لهم ، ومجالات العمل الأخرى . ففي قرية كفر الديك ، في منطقة نابلس ، توجه أكثر من عشرين شابا ، من منطقتي رام الله ونابلس ، لمشاركة أهل أحد المعتقلين في قطف محصول الزيتون ، وهذه بعض من الصور الكثيرة التي سجلتها جماهير الانتفاضة الشعبية الفلسطينية في التكافل والتضامن الاجتماعي .

ملحمة التعليم

تخضع المدارس في مراحلها الابتدائية والإعدادية والثانوية في الأراضي المحتلة مباشرة لسلطة الاحتلال ، من خلال ما يعرف باسم « ضابط التربية في الإدارة المدنية » ، ويشرف هذا المسؤول على « لجنة تربوية » ، تدير عملية التعليم في المدارس .

وطبيعي أن تمارس سلطة الاحتلال دورها في



● متظاهرات من جميع أنحاء العالم أتين للتضامن مع الشعب الفلسطيني .

تكييف المناهج المدرسية حسب مصلحتها ، فقد أقدمت مباشرة ، وبعد احتلال ما تبقى من أرض فلسطين سنة ١٩٦٧ ، على تغيير الكثير من مواد التربية التي كانت تدرس في العهد الأردني ، وحذفت عددا من موضوعات الجغرافية والتاريخ وقصائد الشعر الوطني ، وكل ما يتعلق بجوانب القضية الفلسطينية ، وحظرت على معلمي المدارس حق الانضمام إلى نقابات تمثلهم ، بل طاردت الناشطين منهم ، وفصلتهم من وظائفهم ، وتعرض الطالب والمدرس معا لعملية قمع منذ بداية الاحتلال ، فالمعلم النشيط وطنيا مصيره الاعتقال والفصل من الوظيفة ، وأحيانا الإبعاد إلى خارج الوطن ، والطالب الملتزم بقضايا شعبه مصيره السجن والطرد من المدرسة .

وأقدمت السلطة على إغلاق المدارس والجامعات والمعاهد العليا فترات زمنية طويلة ، واحتجزت عددا كبيرا من الطلاب والمعلمين في مراكز الاعتقال ، وعملت على تخفيض رواتب العاملين في المدارس إلى نصف القيمة ، ووضعتهم في مأزق معيشي بالغ الخطورة ، لدفعهم بالتالي إلى الهجرة خارج فلسطين .

التعليم الشعبي بديل وتحدٍّ

منذ إغلاق المدارس بدأ تفكير جاد بين مدرسي ومثقفي الحركة الوطنية ، لوضع حلول سريعة ، بشأن قضية التعليم ، وتجاوز عقبة الإغلاق الطويل للمدارس ، وضمان حد معقول من التدريس للطلبة ، فأخذت تتشكل لجان التعليم الشعبي في المدن والأرياف

والمخيمات الفلسطينية ، استجابة للنداءات الوطنية التي تضمنتها بيانات اللجان الشعبية والقيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة وحركة حماس .

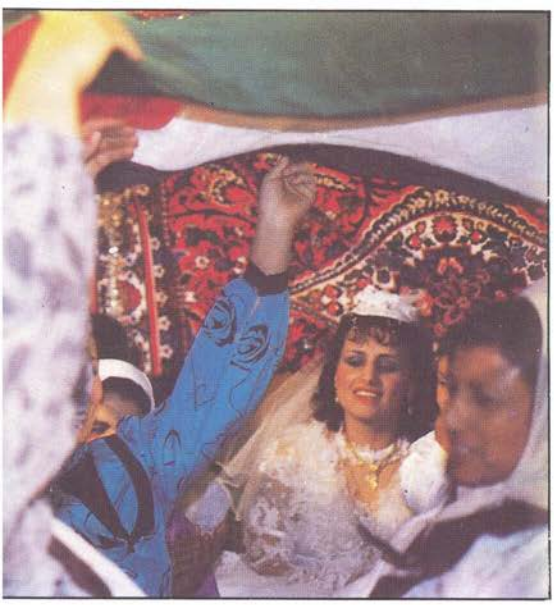
في صيف عام ١٩٨٨ تمكنت لجان التعليم الشعبي من افتتاح عشرات المواقع وغرف الدراسة في البيوت ومراكز الشباب والأندية والمخازن ، في مختلف مدن الضفة الغربية وقطاع غزة ، وقد تمكنت اللجان من اختصار عام دراسي كامل في أربعة شهور متواصلة من التعليم المكثف ، تركز على طلاب المرحلة الابتدائية بشكل واضح جلي ، وعلى مادتي اللغة العربية والرياضيات .

وجرى حديث مع عدد من المدرسين النشطين في مجال التعليم الشعبي بمنطقة رام الله حول نجاحه وبعض ثغراته .

الأستاذ أبو أحمد ، مدرس معروف في رام الله ، كان قد تخرج في السبعينيات في إحدى الجامعات العربية ، لخص تجربته في التعليم الشعبي قائلا : « لابد في البداية من التأكيد على أن التعليم الشعبي لم يكن عشوائيا ، بل كان منظما بدرجة كبيرة ، وكانت هناك خطوات تنسيق متواصلة بين المواقع المختلفة في أحياء المدينة والقرى والمخيمات المحيطة ، وفي كل موقع هناك لجنة محلية ، تخضع للجنة الإشراف على مواقع الأحياء التي تقوم بتنسيق خطوات عملها مع اللجنة التنفيذية في مركز المدينة . هذا الأسلوب المنظم حافظ على تعليم شعبي دائم فترة ليست قصيرة ، وضمن مادة تعليمية متشابهة بمستوى واحد في جميع المواقع ، وتجاوزت اللجان الشعبية المنهاج الرسمي الذي قررته سلطات الاحتلال في المدارس ، وأدخلت عليه تعديلات كبيرة ، تنسجم مع المطالب الوطنية لشعبنا العربي الفلسطيني ، فقد تم تدريس كتاب بعنوان : « تاريخ وجغرافية فلسطين » ، وهو كتاب يدرس في المدارس الفلسطينية التابعة لوكالة الغوث في لبنان ، واستبدلت قصص الخيال في المنهاج الرسمي بالحكايات الوطنية والأشعار الشعبية التي تحمل هوية شعبنا . »

وحول استجابة الأهالي للنداءات الوطنية بالتبرع بغرف في بيوتهم أو محلاتهم ، من أجل تسهيل التعليم الشعبي ، قال الأستاذ رمضان أيوب ، معلم الرياضيات ، وخريج إحدى الجامعات في فلسطين : أبدى المواطنون استجابة عالية لتسهيل كل الظروف ، من أجل ضمان استمرار التعليم الشعبي البديل ، ولم يبخلوا في تقديم غرف بيوتهم كمواقع للتعليم ، أو التبرع بالبيوت الفارغة . وهناك من عرض الجوامع والكنائس لتكون مواقع أخرى ، يتلقى الطلاب فيها علومهم الأساس ، وقد تطوع المئات من الشبان والشابات للقيام بدورهم التعليمي ، وأبدوا قدرا عاليا من المسؤولية ، وحافظوا على تعليم متواصل فترة زمنية معقولة .

قال مدرس ، اعتذر عن ذكر اسمه : « منذ بداية نجاح فكرة التعليم الشعبي ، وتشكيل



● عرس تحت الراية الفلسطينية .

اللجان المتخصصة ، اتضح بصورة لا مثيل لها عداء الاحتلال لهذا النوع من التعليم ، وبدأ بملاحقة الطلبة والمدرسين ، وأصدرت الأوامر العسكرية بهذا الخصوص ، وأصبح التعليم الشعبي « جريمة » يعاقب عليها القانون ، وتعرض عدد لا بأس به من الطلبة والمدرسين إلى الاعتقال ، وصدرت بحقهم عقوبات بالسجن الفعلي ، وبغرامات مالية . هذا الوضع دفع اللجان المشرفة على التعليم لنقله تحت الأرض ، ليصبح سريا ، فانتشر بسرعة ، لأنه أصبح شكلا من أشكال التحدي للاحتلال . »

وحول إعادة افتتاح المدارس يقول هذا المدرس : بتقديري أن إعادة افتتاح صفوف المرحلتين الابتدائية والإعدادية يعود لسببين : الأول استمرار الضغط العالمي ، وبخاصة من منظمة اليونسكو الدولية على سلطات الاحتلال ، من أجل افتتاح المدارس ، لأن إغلاقها فترات طويلة يتناقض مع القوانين الدولية ، وثانيا خوف السلطات من ازدياد نفوذ التعليم الشعبي وتعاظم دوره بين الجماهير ، وبالتالي نقل المدارس من قبضة المحتل إلى سلطة الشعب ، وهذا يضع السلطات في مأزق يفقدها السيطرة على أمور التعليم والعملية التربوية . هذا إضافة إلى أن فتح المدارس (شكليا) ، كما هو الحال الآن يعطي الاحتلال فرصا لإغلاق معظمها بشكل فردي كلما ضرب حجر واحد من جانب مدرسة ، وبهذا يتجنب النقد بأنه أغلق كل المدارس . مع أن الحقيقة أن الأكثرية مغلقة .

ويقول (زكي) وهو مدرس من غزة : « على الرغم من الادعاء بأن مدارسنا كانت مفتوحة في العام الماضي ، فقد داومنا ٦٢ يوما فقط » .

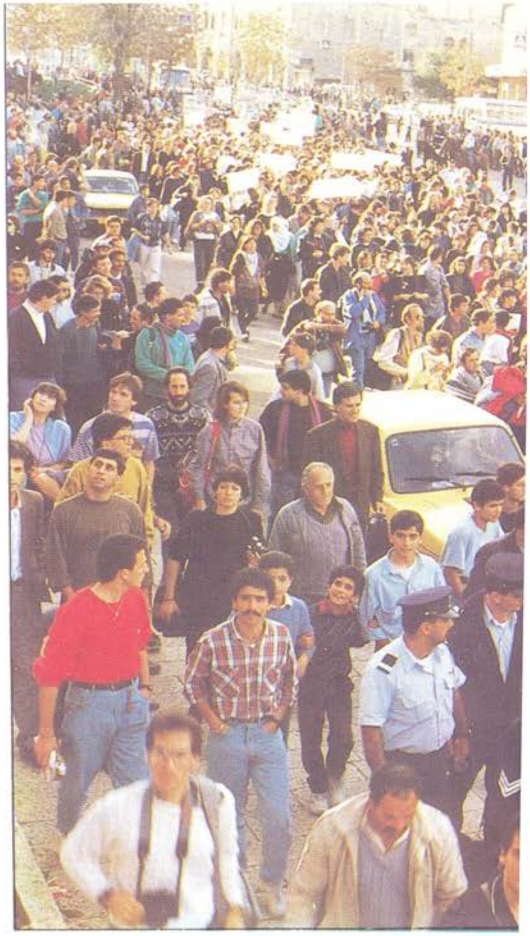
دور للأكاديميين

وحول دور الأكاديميين الوطنيين قال الأستاذ أبو عمر : يقع على كاهل الأكاديميين المتخصصين في التربية والتعليم دور كبير ومسؤولية عظيمة في



هذا المجال ، فهؤلاء مدعوون إلى المباشرة في وضع مناهج تعليمية فلسطينية وطنية ، بدلا من مهزلة المناهج الرسمية ، لتكون جاهزة عند الحاجة . ومع اندلاع الانتفاضة أعلن عن إغلاق جميع الجامعات والمعاهد العليا إلى إشعار آخر .

وفي بداية الإغلاق واجهت الجامعات مشكلة كبيرة ، تمحورت حول كيفية استمرار التعليم الجامعي ، وتخريج طلبة السنة الأخيرة ، لتوفير إمكانيات استقبال طلبة جدد ، أخذت الهيئات التدريسية على عاتقها مواجهة المشكلة ، وطرحت قضية التعليم المستمر في البيوت ومراكز الشباب ، وبدأت اللجان المتخصصة بالتحضير لاستكمال شروط التعليم ، أو ما يعرف باسم « التعويض » في أوساط محاضري الجامعات ،



● مسيرة القدس العالمية (١٩٩٠ عام السلام) .

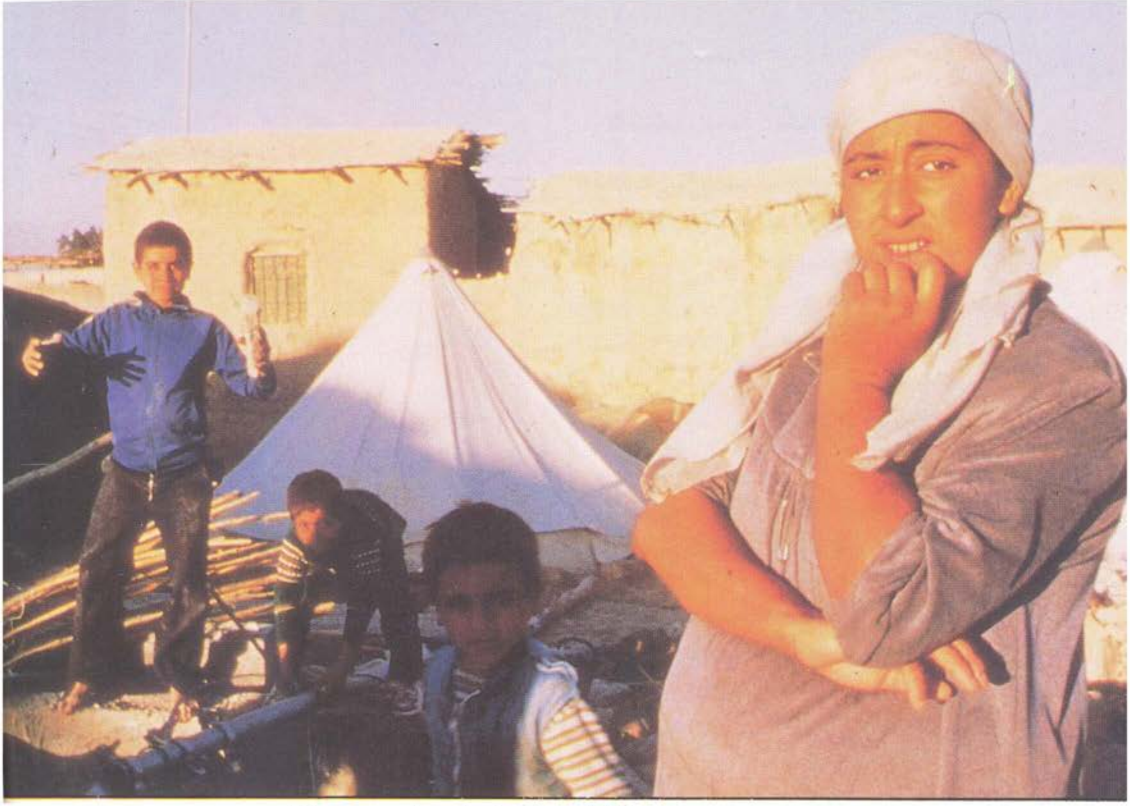
ونجحت عملية تعويض الطلبة بصورة غير متوقعة ، على الرغم من ملاحقات السلطة للطلبة والمعلمين ، ومحاولات تقييد حركتهم ، وأحيانا مداهمة مراكز التعليم ، واعتقال الأساتذة والطلبة ، وكل هذه الإجراءات لم تستطع أن توقف استمرار العملية « الأكاديمية » في جامعات : النجاح بنابلس ، وبيرزيت ، وبيت لحم ، والخليل ، وكليات جامعة القدس ، والجامعة الإسلامية في غزة .

الانتفاضة أُم الاختراع

يقول أحد الأطباء من مدينة رام الله : إن الانتفاضة خلقت حالة أو شكلا من أشكال الحرب ، وعلى المؤسسات الصحية أن تعمل على تغيير الوحدات الصحية ، حسب حالة الحرب القائمة ، بمعنى أنه إذا كان هناك تخطيط لإقامة مستشفى ولادة أو مستشفى متخصص في القلب فلابد من تغيير هذا التخطيط والعمل على إنشاء وحدات (بولي ـ اكلينيكية) ، وتوسيع دائرة انتشارها في الأرياف ، شرط أن تكون مجهزة بغرفة طوارىء وأشعة ومختبر وجهاز تخطيط ، ولديها سيارة إسعاف لنقل الحالات الطارئة ، من أجل القدرة على إنقاذ حياة المصابين بالرصاص ووقف النزيف . ويقول الطبيب : إنه يذكر حالة مصابة بالرصاص من قرية مجاورة ، نزفت حتى الاستشهاد ، قبل أن تتمكن من وصول مستشفى رام الله . وأضاف : هناك حالات كثيرة جدا فقدت دما بغزارة ، ولم تتمكن الطواقم الصحية من إنقاذها ، لغياب وحدات طبية متكاملة في الريف ، وعدم توافر سيارات الإسعاف المجهزة .

وطالب الطبيب الذي اعتذر عن ذكر اسمه بضرورة أن يكون هناك تنسيق بين جميع الوحدات الصحية المشرفة على الصحة في البلاد ، وطالب أيضا بتنويع الخدمات الطبية ، وتحضير المستشفيات لاستقبال الإصابات ، وتوفير غرفة طوارىء متكاملة،وسيارات إسعاف مجهزة لنقل المصابين في أصعب الظروف ، وأشار إلى ضرورة قيام الجمعيات بمهمة نقل المرضى والمصابين إلى المراكز الصحية .

وأشار الطبيب إلى غلاء تكاليف العلاج في الأراضي المحتلة ، وقال : إن تكلفة ليلة المبيت الواحدة تساوي ١٢٠ دولارا في مستشفى رام الله ، وقال : إن بالإمكان توفير تأمين صحي جماعي للسكان ، من خلال مؤسسة تأمين عربية ، على أن يغطى جزء من تكاليف العلاج من الأموال العربية في الخارج ، ويسهم المواطن في الأرض المحتلة بدفع اشتراك شهري حسب قدرته وإمكانياته ومستوى دخله ، وبهذا الشكل يمكن ضمان علاج جيد للجميع ، واستغلال الأموال التي تصرف بصورة عشوائية لرفع مستوى الخدمات الصحية .



● عائلة فلسطينية نسف العدو الصهيوني منزلها .

وأبدى الطبيب ارتياحه لمراكز العلاج الطبيعي التي بدأت بالانتشار في رام الله وبيت لحم ، وقال : إن إعادة تأهيل المصابين في الانتفاضة عن طريق العلاج الطبيعي يساعد كثيرا على خلق جو نفسي للمصاب ولذويه ، ويساعد المصاب كذلك على العودة إلى وضعه الطبيعي قدر الإمكان ، ليشارك في بناء وطنه وتحريره .

وفي مستشفى رام الله التقينا الشاب رامي بركات ، ١٦ سنة ، من بلدة عنبتا ، وحدثنا عن إصابته في ساقه اليسرى ، ببلدته المجاورة لمدينة طولكرم ، قال : نقلت فورا إلى مستشفى رفيديا بنابلس ، ومكثت فيه خمسة أيام ، ولم يستطع الطاقم الطبي إنقاذ ساقي ، فتم تحويلي إلى مستشفى رام الله ، وأجرى الأطباء عددا من العمليات ، إلا أنهم فشلوا في إنقاذ ساقي ، حيث أصيبت بالغرغرينة ، وتم بترها . ويقول والده : إن سبب ذلك يعود إلى الإهمال الطبي من جانب ، وعدم توافر الأجهزة الحديثة من جانب آخر .

ونتيجة لتزايد إصابات الرأس بالرصاص اضطر الجهاز العلمي الطبي في مستشفى المقاصد الخيرية الإسلامية في القدس إلى تصنيع جهاز متخصص لالتقاط الرصاص من الرأس . ويذكر أحد الأطباء المشرفين أنه تم تسجيل الجهاز دوليا لصالح المستشفى ، وتم تطويره بناء على تزايد عدد الإصابات في الرأس ، وقدم جدولا إحصائيا لهذا النوع من الإصابات .

وبلغ عدد الإصابات التي سجلت رسميا ، حسب كلام وزير الدفاع « الاسرائيلي » ، حوالي ١٥ ألف إصابة ، منذ اندلاع الانتفاضة ، ويؤكد أحد الأطباء في منطقة الوسط في الأراضي العربية المحتلة ، أن ثلث مجموع الإصابات يعالج بمبادرات طوعية في العيادات الخارجية ، أو على أيدي أطباء في الأرياف ، ولا يتم تسجيلها . ومن المعتقد أن الرقم الحقيقي للإصابات يصل إلى ضعف الرقم الذي أشار إليه وزير حرب « اسرائيل » اسحق رابين .

وفي مستشفى الاتحاد بمدينة نابلس يلاحظ



● أم تعتني بابنها المصاب .

الاكتظاظ الهائل في غرف المستشفى ، على الرغم من أنه يعمل بكل طاقته . والتقينا عددا من الجرحى ، كان من بينهم شاب في العشرين من عمره ، أصيب بجراح في يده ، وتعرض لضرب مبرح من قبل الجنود . يقول الشاب جهاد : أصبت في مخيم مجاور لمدينة نابلس ، وحاولت الفرار ، إلا أن الجنود ألقوا القبض علي ، وتعرضت لضرب مبرح ، ونقلني الجنود إلى إطار مشتعل ، وقاموا بوضع رأسي في وسط النار ، فترة زمنية ، شعرت فيها بسكرات الموت ، ونقلت إلى مستشفى الاتحاد مهشم الأنف ، محروق الوجه ، حيث أجريت عدة عمليات جراحية لأنفي من أجل وقف النزيف .

هذه حالة من بين آلاف الحالات التي تصل إلى المستشفيات والمراكز الصحية في الأراضي المحتلة ، وهي تشرف على الموت وتصارع الحياة ، فمرة تنتصر الحياة ويعيش المصاب ، ومرة تنتصر الإصابة ويسقط المصاب .

وفي أواخر اكتوبر تشرين أول لعام ١٩٨٩ اقتحمت قوة من جيش الاحتلال « الاسرائيلي » ستة مراكز صحية ، تابعة لوكالة الغوث الدولية ، في قطاع غزة والضفة الغربية ، وقامت بالتحقيق مع العاملين فيها ، بحجة تقديمهم خدمات صحية للقوى الضاربة ، وهددت سلطات الاحتلال بإغلاقها ، وقد احتجت رئاسة وكالة الغوث الدولية في مقرها الدولي بفيينا على هذه الممارسات ، وعدتها تدخلا في شؤونها ، ولا تملك سلطات الاحتلال صلاحية التحقيق مع الموظفين في العيادات والمراكز الصحية التابعة لوكالة الغوث في أمور ليست أمنية .

اللجان الصحية

في ظل هذه الأوضاع الصحية المتردية نشطت لجان الإغاثة الطوعية من أجل توفير العلاج الطبي الممكن للمواطنين ، وتقديم الإسعافات الأولية اللازمة ، من أجل الحفاظ على حياة المصاب .



● أطفال فلسطين خلف الأسلاك .

وفي الأراضي المحتلة الآن أربع لجان طوعية ، تقدم خدماتها الصحية للمواطنين . وقد لعبت دورا متميزا في الانتفاضة ، فتمكنت من علاج كثير من حالات الإصابة ، وأوصلت المصابين في وضع لا بأس به إلى المستشفيات لاستكمال العلاج ، واللجان الأربع هي : لجان الاغاثة الطبية ، ولجان الخدمات الصحية ، ولجان الرعاية الصحية ، واللجان الشعبية للخدمات . وهذه اللجان امتداد للقوى السياسية الفاعلة في الأراضي المحتلة .

التقينا عددا من الأطباء المشرفين على اللجان الشعبية للخدمات الصحية في المقر المركزي لمدينة القدس ، وتحدثوا عن فكرة تشكيل اللجان ، وخدماتها الصحية ، ومدى انتشار مراكزها الصحية ، في ظل ظروف الانتفاضة الشعبية .

الدكتور يوسف ، طبيب عام ، ومتخرج حديثا ، يقول : تشكلت اللجان الشعبية للخدمات الصحية في منتصف عام ١٩٨٥ ، على أسس طوعية ، ووضعت لنفسها برامج صحية سنوية ، ضمن ظروف وإمكانيات ذاتية محدودة جدا ، آملة في تطويرها وإنضاجها ، إلى درجة تصبح فيها قادرة على تغطية جزء من المناطق المحرومة صحيا ، أو تنقصها الخدمات الصحية بشكل ملحوظ . ومن الأسباب المباشرة التي دفعت لتشكيل اللجان الشعبية قلة عدد المؤسسات الصحية في بلادنا ، وانعدام الخدمات في الأرياف والمناطق النائية ، وانخفاض مستوى الوعي الصحي لدى جماهير



● طفلة تزور ضريح شهيد

شعبنا العربي ، في معظم المناطق ، نتيجة لعدم توافر البرنامج الصحي التثقيفي المتكامل ، وصعوبة التنقل بين المناطق الريفية والنائية وبين المدن ، وكذلك تردي الوضع الاقتصادي ، وعدم توافر التأمين الصحي الشامل الذي يكفل العلاج المجاني للسكان ، وارتفاع تكاليف العلاج ، أدى إلى عدم إقبال الأهالي عليه ، ولجوئهم إلى الوسائل التقليدية والبدائية ، ولهذه الأسباب ، وضمن ظروف الانتفاضة ، وعلى الرغم من الإمكانيات المحدودة ، دأبت اللجان على تنفيذ برامجها ، ووضعت نصب عينيها عدة أهداف منها رفع المستوى الصحي في المناطق النائية والقرى والمخيمات والأحياء الفقيرة في المدن ، من خلال إقامة المراكز الصحية الثابتة ، والقيام بإغاثات دورية للمناطق المحتاجة ، ونشر الوعي الصحي ، عن طريق النشرات ، وتقديم المحاضرات والنصائح الطبية ، وإجراء الدراسات والأبحاث على الأمراض المنتشرة ، والتنسيق مع المؤسسات والأطر الصحية المحلية والأجنبية ، لتحقيق هذه الأهداف .

وحول نشاطات اللجان الشعبية ، وانتشار فروعها ، مع استمرار الانتفاضة الشعبية ، قال أحد الأطباء المشرفين : يتمركز عمل اللجان حول تقديم الخدمات الصحية ، وإصدار النشرات الثقافية الصحية ، وتنظيم المحاضرات والندوات . ولدى اللجان الشعبية للخدمات الصحية٣١ عيادة منتشرة في الأراضي المحتلة ، موزعة على الشكل التالي : فرع القدس : عيادتان ، قطاع غزة : ست عيادات ، فرع رام الله : أربع ، نابلس : اثنتا عشر عيادة ، جنين : ثلاث عيادات ، بيت لحم : عيادتان ، طولكرم وقلقيلية : عيادتان . وعاينت هذه العيادات حوالي (٣٤) ألف حالة مرضية في الفترة الممتدة بين يناير كانون ثاني ٨٨ ، ويونيو حزيران ٨٩ .

وتهدف اللجان الصحية للوصول مستقبلا لصيغة تنسيق مع كل اللجان والمؤسسات الصحية الوطنية ، لدعم الوضع الصحي وتطويره في الأراضي المحتلة ، والعمل على تغطية المناطق التي تنقصها الخدمات الصحية ، عن طريق إقامة المراكز الثابتة ، ليضم كل مركز عيادة وصيدلية ومختبرا في الحد الأدنى ، والرغبة في زيادة عيادات الطفولة والأمومة والأسنان ووحدات الأشعة .

وأصدرت اللجان الشعبية للخدمات الصحية عددا لا بأس به من النشرات حول مرض جدري الماء ، وطريق الوقاية منه ، والالتهاب الرئوي (النزلة الصدرية) ، وطريق الوقاية والعلاج ، ونشرة حول السعال الديكي ، وأخرى عن الحمى المالطية ، ونشرة عن الإسعاف الأولي ، ومعالجة الإصابات والكسور . □

رحلة خلاّبة إلى الزمن صفر: ميلاد الكَوْن

بقلم : سمير صلاح الدين شعبان

المؤكد أن نظرية النسبية التي خرج بها آينشتاين في بواكير القرن العشرين هي أعظم النظريات العلمية التي عرفتها البشرية حتى الآن ، ويزداد الإعجاب بهذا الانجاز إذا أخذنا بعين الاعتبار أنها توصلت إلى نتائج تقع خارج حدود مقدرة البشر على التصور تقريبا : « فالكون الذي توصل إليه آينشتاين هو كون « أحدب » ذوسطح مغلق ، ولذلك فهو دون حدود ، لكنه نهائي ، أي أن له حجما محددا ، لا يمتد بلا نهاية كما كان يعتقد قبل ذلك » .

عندما نشر آينشتاين نتائج أبحاثه حول نظرية النسبية العامة في عام ١٩١٧م انطلق من الأفكار التي كانت سائدة وقتها ، فعند النظر إلى الكون بمجمله (وعدم الاكتفاء بدراسة بقع صغيرة محددة منه) يبدو الكون متجانسا في سائر أرجائه ، ساكنا لا يتعرض لأي تغيير أو تبدل .

إلا أن هذه القناعات التي كان يسلم بها مع معاصريه أوصلته إلى نتائج محيرة ، فقد قام بحل معادلاته الجديدة التي استخدمها لوصف الكون الأحدب مرارا وتكرارا ، وفي كل مرة كان يحصل على النتيجة المدهشة نفسها : الكون لا يتمتع بالديمومة والاستقرار ، ولابد له إما أن ينكمش وينهار، أو أن ينفجر متناثرا، وهذا يعارض الاعتقاد السائد بثبات الكون وعدم تحوله .

عند هذا الحد بدأ الشك والريبة في نفس البرت اينشتاين ، فقد بدت له هذه النتيجة غير واقعية ، وكأنها خيالية جداً ، لذلك فضل أن يضيف إلى معادلاته ـ بشكل متعمد ـ حدا مختلفا ، اختاره بشكل يعيد للكون استقراره .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الإضافة بدت حتى لزملائه الاختصاصيين مقنعة ومسموحا بها ، لأن أيا منهم ما كان ليشك في توازن الكون واستقراره ، وقد قام اينشتاين بإضافة حد مختلف إلى معادلاته لسبب بسيط جدا ، هو عجزه عن « تصور » كون عدم الاستقرار ، لكن عدم وفائه لمعادلاته جعله ينال عقابه بسرعة ـ بعد حوالي ١٠ سنوات فقط ـ من خلال الاكتشاف التالي .

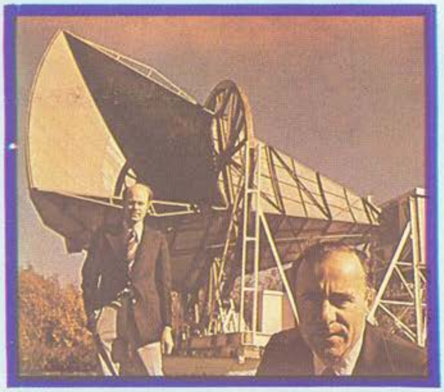
تمدد الكون :

قبيل الحرب العالمية الأولى تم افتتاح مرصد جبل ويلسون في ولاية كاليفورنيا الذي استغرق بناؤه قرابة ١٠ سنوات ، وبلغ قطر العدسة المركبة في هذا المرقاب الفلكي (التلسكوب) ٢,٥ مترين (١٠٠ بوصة) ، وظل متربعا على عرش أكبر المراصد في العالم قرابة ٣٠ سنة .

ولم يكن من المستغرب أن يقوم رئيس المرصد (أودين هَبل) بتسخير أكبر مرقاب في العالم لحل لغز « السَدم الحلزونية الضبابية» التي كانت أشبه بلطخات براقة في السماء ، وعندما سلط هَبل المرقاب على سديم المرأة المسلسلة (أندروميدا) وجد أن هذه « السحابة » مكونة من عدد هائل من النجوم ، وأنها تشبه مجرتنا درب التبانة، وبذلك قدم هَبل - للمرة الأولى في تاريخ البشرية - الدليل على وجود مجرات أخرى غير مجرتنا ، درب التبانة ، لكنها كانت تظهر في السماء بشكل لطخات مضيئة لعجز المراقب الصغيرة عن رؤية تفاصيل أجزائها، وقد أشار هَبل إلى أن المسافات الشاسعة التي تفصلنا عن هذه المجرات هي التي تمنع رؤيتها بالعين المجردة .

فقد دلت المشاهدات المتراكمة منذ ١٩١٢م أن الخطوط الطيفية الملتقطة « للسدم الحلزونية» تقع بشكل عام في زمرة الموجات الطويلة ، أي في منطقة الموجات الحمراء من طيف « قوس قزح» ، لذا قام هبل ومساعدوه بدراسة مكثفة «للانحراف الطيفي الأحمر» وحللوه بدقة ، وتأكدوا من تعرض الضوء الواصل إلينا من جميع السدم الحلزونية المدروسة للانحراف الطيفي الأحمر، إلا أن العامل الحاسم هنا هو إقامة الدليل على أن مقدار انحراف خطوط الطيف باتجاه القسم الأحمر يزداد كلما كبرت مسافة السديم المدروس، وبعد دراسات مضنية استغرقت سنين طويلة، أعلن هَبل في ١٩٢٩م تفسيره لظاهرة الانحراف الطيفي الأحمر :

لابد أن يعبر الانحراف الطيفي الأحمر هذا - استنادا إلى فعل دوبلر - عن حركة تباعدية



● بواسطة هذه (الأذن العملاقة) سمع ويلسون وبنزياس صدى الانفجار الأزلي، الذي يمثل واحدة من أقوى دعائم وجود بداية للكون.



● منقوشة أوربية من القرون الوسطى لعالم بالنجوم، وصل إلى نقطة تقاطع الأرض مع الشمس. نجد في أعلى اليسار بعض العجلات التي تحرك النجوم.

(تناثرية)، تتعرض لها السدم الحلزونية قاطبة ، وينتج عن ذلك تباعد جميع السدم عن بعضها، في جميع الاتجاهات بسرعة عظيمة، وكلما كبر البعد الفاصل بين السدم (أو المجرات) كبرت سرعة التباعد تبعا لذلك .

فإذا نظرنا إلى الكون نظرة شمولية في ضوء اكتشاف هَبل فإننا نشاهد صورة «انفجار ضخم جدا يفوق حدود التصور البشري» .

جاء رد الفعل الأول على هذا الاكتشاف المفاجيء المحير من قبل آينشتاين صاحب النظرية النسبية الذي كان قد أضاف إلى معادلاته التي تصف كونا متمددا أو منكمشا حدا مختلقا، يجعل الكون يتسم بالاستقرار، وكان اكتشاف هَبل لتمدد الكون صفعة عقاب لآينشتاين الذي لم يخلص لمعادلاته، إلا أنه لم يواجه هذه المحنة بالتعنت والتشدد، بل قابلها بروح رياضية علمية، بعد أن تأكد أن المعادلات لم تعد بحاجة إلى تصحيح، لأنها كانت تقول الحقيقة الصرفة، وقد قام بحذف الحد المختلق الذي أضافه إلى معادلاته، معلقا على ذلك بسخرية : «إنها أكبر حماقة ارتكبتها في حياتي» .

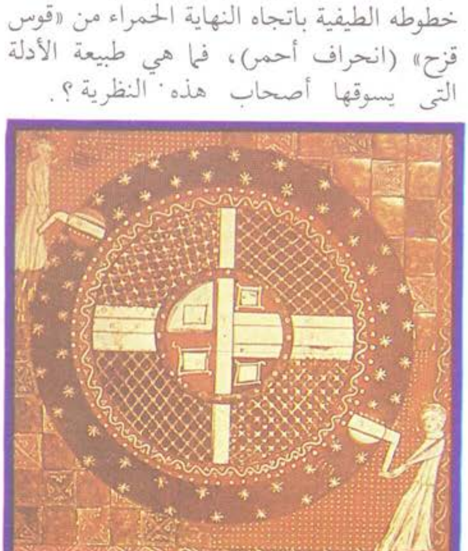
وهكذا تبين أن الكون ليس محدود الحجم كما عرف في الماضي، بل غير مستقر أيضاً، وكذلك لا يستمر في المستقبل «إلى الأبد» (أو فلنقل إلى زمن دون نهاية). وغني عن الاثبات أن الكون المنفجر هو عكس الكون المستقر، ومن البديهي أن خصائص الكون غير المستقر «تتغير» في كل لحظة نتيجة «تمدد» المادة الموجودة فيه، فإذا عدنا بالزمن إلى الوراء في الكون المتمدد فإننا سنجد أن الأجرام السماوية تقترب من بعضها شيئا فشيئا، حتى تتجمع في «نقطة» وحيدة، في زمن يرجع إلى ١٣ مليار سنة، استنادا إلى حسابات هبل: لقد واجهت العلماء أدلة تشير إلى حتمية وجود «بداية الكون» .

تعارض النظريات

بدت فكرة «نشوء الكون وبدايته» للعديد من علماء الطبيعة الغربيين «ثورية» و«غير علمية» . يقول (هويمار فون ديتفورت) في كتابه «في البدء كان الهيدروجين» إن فكرة نشوء الكون وخلقه حدت بهؤلاء العلماء «للخروج على العالم بالعديد من النظريات الجديدة، وذلك تجنبا للرضوخ لنتائج هذه الحقائق التي تذكرهم بالأساطير القديمة» .

لم يختلف المتصارعون على سلامة قياس الانحراف الطيفي الأحمر، الذي اعتمد عليه هَبل في استنتاج تمدد الكون وبدايته، بل اختلفوا في «تأويله»، وقد ولد هذا الصراع أزمة علمية حادة بين أنصار تمدد الكون وأعدائه، تمخضت عن العديد من النظريات العلمية المتصادمة .

وتعتبر نظرية «الضوء المتهالك» من أشهر الأسلحة التي أشهرت في وجه نظرية «الكون المتسع»، يقول أنصار «الضوء المتهالك»: إن الضوء الواصل إلينا من الأجرام والسدم السماوية البعيدة يقطع مسافات شاسعة، يمر أثناءها عبر العديد من حقول الجاذبية والمغناطيسية ومجالات تأثير الإشعاعات الأخرى، التي يصادفها في طريقه، وهذا يؤدي إلى «إضعاف الضوء وتعبه وتهالكه»، وبذلك يكبر طول موجته، فنكشفه على الأرض على هيئة انحراف خطوطه الطيفية باتجاه النهاية الحمراء من «قوس قزح» (انحراف أحمر)، فما هي طبيعة الأدلة التي يسوقها أصحاب هذه النظرية ؟ .



● فلكيون مسلمون يقيسون حركة الأجرام السماوية، بينما كان علم الفلك متخلفا في أوربا.

في عام ١٩٥٣م هاجم الفلكي الأمريكي (زويكي) في كتابه «المجرات المضاعفة» نظرية الكون المتمدد، دون تقديم أي دليل، فهو يقول إن عناقيد المجرات تتوزع في كون منبسط غير متمدد، وأن مفهوم الكون المتمدد قد واجه صعوبات جدية خلال ١٥ سنة الماضية. و«يفترض» زويكي أنه إذا تبين أن الكون - بمجمله - لا يتمدد، عند ذلك يتوجب تفسير الانحراف الطيفي الأحمر - بشكل عام - كنتيجة لتأثر الضوء الواصل إلينا من مسافات شاسعة مليئة بالمادة وبالأضواء الأخرى، وعند ذلك يمكن النظر إلى الانحراف الأحمر كتابع لتوزع المادة التي يصادفها الضوء أثناء رحلته الكونية. وفي الختام يكشف زويكي إفلاس أدلته بالقول إنه مهما كان شأن عمليات التمدد «ضمن» الكون فإن تمدد الكون «ككل» لا يعدو كونه أحد مفاهيم «ما وراء الطبيعة».

حميَ وطيس المعركة عندما اعتمد بعض المفكرين على نظرية الكون المتسع، في إثبات ميلاد الكون وخلقه، وعلى سبيل المثال فقد كتب الفلكي الانكليزي الشهير (السير آرثر إدينغتون) في كتابه «الكون المتمدد»، بأننا نعتلي خشبة مسرح الحياة لنعرض مسرحية للخالق (المتفرج الكوني)، وكذلك صرح البابا (بيوس الثاني عشر) في كتابه «إثباتات وجود الله في ضوء علوم الطبيعة الحديثة» بأن تمدد الكون مشتق من عقيدة الكنيسة، وبأن جميع الدلائل توحي بأن الكون المادي كانت له بداية عنيفة قبل زمن محدود نهائي.

عارض الانكليزي (سكريفن) فكرة بداية الكون وتحديد عمره، في مقال نشرته مجلة «فلسفة العلم» الانكليزية، قائلا: «لم يتمكن العلم ولن يتمكن من تحديد عمر الكون على الإطلاق».

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المعارضة (العلمية) كانت تلبس أحيانا ثوب «المعاجزة والمهاترات»، فطلبت من أنصار فكرة بداية الكون الإجابة على تساؤلات لا تمت إلى العلوم الطبيعية بصلة، مثل: «ماذا وجد قبل خلق الكون؟»، و«متى خلق الكون؟»، و«لماذا خلق الكون؟». وعلى الرغم من ذلك فقد أجاب دوبوار ريموند على هذه التساؤلات في مجلة «فلسفة العلم» الانكليزية بقوله: «يعجز الفكر البشري عن التغلغل إلى الأسرار الأبدية للطبيعة، ولن يفهم وسائل مهندس الكون العظيم وأهدافه».

لكن مرور الزمن شهد تزايد عدد العلماء الذين يقبلون بأن الانحراف الأحمر ليس له مسبب آخر غير تمدد الكون، وبعد إجراء الحساب على أعداد كبيرة من السدم والمجرات، اعتمادا على مسافاتها وسرعاتها، توصلوا إلى صورة غريبة جدا للكون، تمثل «انفجارا، بكل ما في الكلمة من معنى».

الانفجار الأزلي:

وعليه فقد تصور العلماء حينذاك «ميلاد الكون» كما يلي:

قبل حوالي ١٣ مليار سنة كانت جميع أجزاء المادة المحتواة في الكون مركزة في حجم صغير جدا، وقد ابتدأت حياة كوننا الذي نعيش فيه قبل حوالي ١٣ مليار سنة «بانفجار» هائل، أدى إلى تناثر المادة الموجودة في هذه البقعة المركزة. وقوة الانفجار هذه كانت عظيمة جدا، إلى حد يسمح لنا بمشاهدة آثارها الطاغية بعد مضي ١٣ مليار سنة على وقوع الانفجار، وما تمدد الكون الذي نلاحظه الآن إلا استمرار «لأعظم انفجار في التاريخ»، وقد أطلق عليه اسم «الانفجار الأزلي».

في البدء لم يتعد الأمر حدود النظرية، وقد كانت تفاصيل هذه النظرية متكاملة بعضها ببعض، وقد قدمت صورة متناسقة للكون، إضافة إلى ذلك فقد شكلت نبوءة انشتاين بحتمية انكماش الكون على نفسه أو تمدده دعامة قوية لصحة نظرية الانفجار الأزلي.

وعلى الرغم من كل ذلك فقد كانت النظرية بحاجة إلى «دليل مباشر» يثبت أقدامها، ويسكت معارضيها إلى الأبد، وتساءل العلماء: كيف يمكن قطع الشك باليقين؟ وكيف السبيل إلى تقديم إثبات مباشر على حادثة مضى على



● لوحة من القرن السابع عشر الميلادي تجعل الشمس مركزا للكون، تدور حوله ـ ظاهريا الأرض ونجوم الزودياك: الشريط الذي تتحرك فيه الشمس والقمر وسائر الكواكب.

وقوعها ١٣ مليار سنة؟

كان العديد من العلماء غير مقتنعين بأن كوننا نشأ من العدم بشرارة هائلة، على الرغم من الانحراف الطيفي الأحمر، ونظرية النسبية، وجميع المؤشرات الأخرى المؤيدة للانفجار الأزلي. وقد تساءل هؤلاء: من يجزم بأن الانحراف الأحمر ناتج عن تمدد الكون، وليس عن سبب غير معروف حتى الآن؟ أليس من حقنا أن نطالب بإثبات مباشر دامغ، يزيل الشبهات إلى الأبد؟

مخلفات البداية العنيفة:

تصدى الفيزيائي الأمريكي (روبرت ديك) للإجابة عن هذه التساؤلات، وحاول تقديم الدليل اليقيني الذي ينهي الجدل حول موضوع بداية الكون، والذي شغل عقول المفكرين منذ أقدم العصور.

كان من المعروف بالنسبة(لديك)أن النظرية العلمية المرشحة للقبول من جمهور العلماء، يجب أن تعتمد على «حقيقة ثابتة» أو واقعة أكيدة في العالم المحيط بنا، ويمكن أن تنال الرضا أيضا إذا «تنبأت» النظرية بإحدى الظواهر المحددة، وأمكن التحقق من صحة هذه «النبوءة» بالقياس أو التجربة.

حاول ديك جهده لتصور الظروف التي كانت سائدة في الثواني الأولى من حياة الكون، وبدون عناء كبير تبين له أن الإتيان «بحقيقة ثابتة» عن تلك الحقبة المغرقة في القدم ضرب من المستحيل، لذا رجح الاعتماد على النوع الثاني من «طرق الاستدلال» لإثبات نظرية الانفجار الأزلي، وأخيرا استقر رأيه على اشتقاق بعض النبوءات، التي يعتقد بإمكانية التحقق من صحتها، في أيامنا هذه، بالاعتماد على القياس والتجربة.

تصور ديك كوننا «الوليد» على هيئة كرة صغيرة ملتهبة، تقدر حرارتها بمليارات الدرجات المئوية، ويحيط بها فراغ مظلم بارد، درجة حرارته تساوي الصفر المطلق (حوالي ٢٧٣ تحت الصفر المئوي المألوف). وفجأة ـ قبل حوالي ١٣ مليار سنة ـ انطلقت شرارة الانفجار الأزلي، وبدأت كرة الكون الوليد الملتهبة تتناثر شظايا، وتتسع على حساب الفراغ البارد «الميت»، وكلما تقدم العمر بالكون، اتسع حجمه، وانخفضت درجة حرارته تبعا لذلك.

فما الذي يتخلف عن هذا الميلاد العنيف لكوننا حتى يومنا هذا؟ لا بد أن يتبقى «اشعاع» يصدر عن أجسام يقارب متوسط درجة حرارتها ٣ درجات فوق الصفر المطلق، أو فلنقل (٣ كلفين)، إضافة إلى درجة الحرارة هذه، فلا بد أن يحقق هذا الاشعاع المزايا المشتقة من طبيعة من «كرة وحيدة» متناثرة: عليه أن يصل إلى المراقب الأرضي من الاتجاهات كلها في اللحظة نفسها، وبالشدة عينها وبالتردد (أو طول الموجة) عينه.

كان كل هذا صحيحا «وسهلا»ـ من الناحية النظرية الصرفة، لكن الأمر بدا ـ من الناحية العملية ـ مفرطا في الخيال، لأن نتائجه تبدو مستحيلة الاختبار والتدقيق على الاطلاق. كانت مواصفات هذا الاشعاع غريبة جدا، وكانت الصعوبات التقنية في غاية التعقيد، لكن ديك صمم على السير قدما في أبحاثه الهادفة إلى تقديم الدليل الصامد على صحة نظرية الانفجار الأزلي وبداية الكون، وعلى الفور بدأ ديك

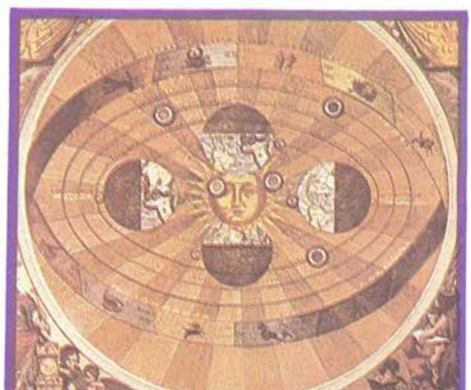
بتصميم هوائيات استقبال خاصة في جامعة برنستون الأمريكية، وهنا لعبت الصدفة دورها.

صدى الانفجار الأزلي:

في ربيع ١٩٦٥م كان (أرنو بنزياس) و(روبرت ويلسون) يعملان في قسم الأبحاث التابع لشركة (بل تليفون) على تطوير هوائي استقبال خاص، لاستخدامه في عمليات الاتصال البعيدة عبر القارات، حاولت الشركة اختبار إمكانية إجراء الاتصالات هذه بواسطة ما يسمى «بأقمار الصدى الصناعية»: وهي عبارة عن كرات ضخمة من رقائق الألمنيوم الرقيقة جدا، يقارب سمكها صحائف الورق العادي، وقد أمكن وقتها مشاهدة هذه الأقمار ومتابعتها بالعين المجردة ليلا، أثناء دورانها حول الأرض، لأنها كانت تعكس أشعة الشمس كالمرايا تماما.

لم تقم هذه الكرات الضخمة المتنقلة فوق الغلاف الجوي الأرضي بعكس ضوء الشمس فحسب، بل كانت مهمتها الأساسية تكمن في عكس الإشارات اللاسلكية القادمة من الأرض، وإعادتها إلى سطح الأرض مرة أخرى.

وبغية التقاط الإشارات اللاسلكية المنعكسة عن أقمار البالونات هذه، فقد قام علماء شركة (بل) ببناء هوائيات خاصة، قادرة على التقاط حتى أضعف الإشارات، وقد حرص العلماء



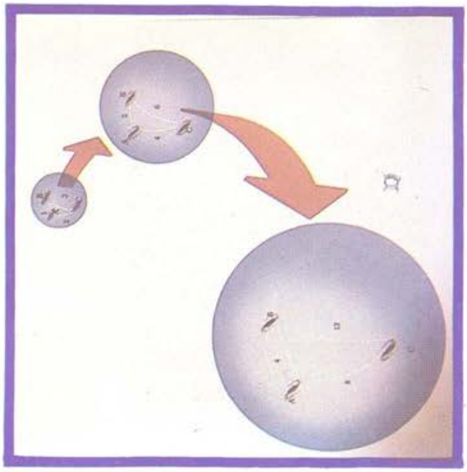
● لوحة من كتاب هولندي، تجعل الأرض مركزا للكون، تدور حوله الكواكب ونجوم الزودياك.

كذلك على تخليص الإشارات الأساسية من جميع الإشارات الطفيلية (الضجيج) غير المرغوب فيها.

وظهر الهوائي الذي قام ويلسون وبنزياس بتصميمه لهذه الغاية فريداً من نوعه، فهو يشبه «قرنا» يزيد طوله عن ١٠ أمتار، وينتهي عند أحد طرفيه بفتحة جانبية واسعة، (طولها ٨ أمتار وعرضها ٦ أمتار)، بينما أخذت النهاية الأخرى شكل «قمع»، ينتهي عند جهاز القياس، يذكرنا الشكل العام للهوائي بأنابيب ضعاف السمع القديمة، التي كانت تستخدم من قبل ابتكار التجهيزات الألكترونية الحديثة، ولا يفوتنا أن نتذكر هنا أن المهمة الأساسية لهذا الهوائي كانت شبيهة - من حيث المبدأ - بوظيفة الأنابيب السمعية القديمة هذه.

ما كاد العالمان يباشران تجاربهما سنة ١٩٦٥م، حتى بدأ الشك يعتريهما، فقد كان جهاز الاستقبال يصدر «ضجيجا لاسلكيا ثابتا»، على الرغم من تجهيزات «التصفية»، لذلك فقد غير الباحثان توجيه الهوائي المتحرك «في جميع الاتجاهات»، لكن النتيجة لم تتغير، واستمر الضجيج الثابت نفسه.

أطبقت الحيرة الكاملة على الباحثين، فقد حاولا إصلاح الجهاز مرارا وتكرارا، دون أن يتمكنا من اكتشاف أي خلل في جهاز الاستقبال المستخدم، ومن ناحية أخرى لم يقبلا - بأي شكل من الأشكال - باحتمال وجود مصدر خارجي للضجيج، كان بمقدورهما أن يتقبلا حدوث تشويش (ضجيج) «مؤقت» نتيجة التقاط بعض الإشارات اللاسلكية التي تتبادلها القطع العسكرية، لكنهما وجدا أن «الضجيج اللاسلكي الثابت» يستمر دون انقطاع، وعندما حاولا تفسير الضجيج بأنه صادر عن بعض أجهزة الاتصالات اللاسلكية التي يمتلكها بعض الهواة «العابثين»، الذين «يعاكسون» طاقم شركة (بل)، وجدا أن هؤلاء «العابثين» لن يقدروا - مهما أوتوا من مهارة التنظيم - على تأمين وصول الضجيج «والإزعاج» إلى هوائيات الشركة من «الاتجاهات كلها».



● تمدد الكون

ومرة أخرى لعبت الصدفة دورها، فما كاد ديك يسمع بالتفاصيل الأولى حول طبيعة «الضجيج» الذي أقلق ويلسون وبنزياس شهورا طويلة، حتى حشد مساعديه، وانطلق معهم على الفور إلى قسم البحوث التابع لشركة (بل) في هولمديل.

بددت المعلومات التي رواها العالمان لديك، والأصوات الكونية التي سمعها بأذنيه آخر شكوكه: كان هذا الضجيج الغامض هو البرهان القاطع على صحة نظرية الانفجار الأزلي.

وهكذا نجح ويلسون وبنزياس في اكتشاف هذه الظاهرة عظيمة الأهمية بطريق الصدفة المحضة، ودون أن يعرفا عنها أي شيء، حتى قيام طاقم جامعة برنستون بزيارتهما، إن تلك الإشعاعات التي استقبلتها أجهزتهم، وهذا الضجيج المحير الذي كان آتيا من جميع الاتجاهات في الوقت نفسه، وبالشدة نفسها، وعلى الرغم من تغيير اتجاه الهوائي مرارا وتكرارا، لم يكن «عطلا» كما توهما للوهلة الأولى، وإنما هو «صدى» الشرارة الهائلة التي سببت الانفجار الأزلي، الذي وقع قبل حوالي ١٣ مليار سنة، وأدى إلى نشوء الكون وتمدده، هذا «العطل» الذي كشفه هذان العالمان بالصدفة، وكانت الدلالة التجريبية المباشرة الأولى على أن الكون ليس دون نهاية لا في المكان (الفراغ) ولا في الزمان، وقد أطلق عليه اسم «صدى الانفجار الأزلي».

عود على بدء:

وهكذا فنحن نعلم اليوم، اعتمادا على علوم الطبيعة وحدها، أن كوننا الذي نعيش فيه كانت له بداية، وأنه نشأ ـ حسب معارفنا العلمية الحالية ـ بشرارة عنيفة، كانت من الضخامة بشكل يسمح لنا بسماع صداها حتى يومنا هذا.

ربما تعترينا الدهشة إذا سمعنا بأن كشف صدى الانفجار الأزلي لا يتطلب ـ بالضرورة ـ تجهيزات وهوائيات معقدة باهظة التكاليف!! فنحن نعلم اليوم أن هذا الإشعاع يسبب جزءاً مما يسمى «بالضجيج الضوئي لسقوط الثلج»، الذي نشاهده على شاشات التلفزة بشكل بقع بيض كبيرة نسبيا تتحرك بصورة عشوائية على الخلفية الداكنة، وذلك عندما نترك الجهاز شغالا بعد انتهاء بث البرامج!

وعلى هذه الشاكلة فإن صدى نشوء الكون يصل في أيامنا هذه حتى إلى داخل بيوتنا، وهذا يسمح لكل إنسان بالتأكد بنفسه من «البداية الانفجارية» لكوننا الذي نعيش فيه. □

بين الحازم والعاجز



● دخلت امرأة على بزرجمهر حكيم فارس فقالت له: أيها الحكيم، ما بال الأمر يلتئم للعاجز ويلتاث على الحازم؟ فقال لها: ليعلم العاجز أن عجزه لن يضره، وليعلم الحازم أن حزمه لن ينفعه، وأن الأمر إلى غيرهما.

لَمْ يَعْلَمُوا سِرَّهَا

شعر : محمود العتريس *

لا تسـألـوني إلام أنـتـظر … وكـلّهـم من جوارهـا نفـروا
لم يعلموا سرها ، وليس لهم … مثلي ، بما في خبائها خبر
لعلني قد علمتُ ما جهلوا … من أمرها ، أو لعله القدر
سيان عندي ، فليس ينقصني … إلا الليـالي وخـطوي الحـذر

. . . .

إني - كما شئت - عاشق أرق … من معشر في مدى الهوى سهروا
وعاقروا الحب ملء طاقتهم … وفـوق أيـامهم ، ومـا سكـروا
بقيـة من خريف صبـوتهم … لما تزل بالـربيـع تأتـزر
لن أسأم السعي بالهجير ففيّ … رياض قلبي العيون والشجر
ولن أمـل الـدجى ، أبـدده … بأنـجـم في الضـلع تسـتـتر
ولست أخشى الزمان يخدعنا … فالشمس عندي ، وعندها القمر

. . . .

لا تسألوني ، بل اسألوا فلقد … نذرت أن لا تخيفني النذر
كم احتويت اللظى ، فألهبني … كم هزّأتني الـريـاح والمـطر
ولم أتب عن هواي أو أرقي … مادمت في ذا وذاك لا أزر
لم يعلمـوا سرّهـا ، وأعلمـه … فيـه المنى والأمـان والخـطر
وهكذا الحسن فتنة سبقت … وفـتـنـة في الـزمـان تنتـظر
أجـل سأبقى ويـوم أدركهـا … سيعلم النـافـرون ما خسروا

* شاعر من القطر العربي المصري



صدر العدد الجديد من:

مارس ١٩٩٠



العربي الصغير

مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي

رئيس التحرير: د. محمد الرميحي



يشترك في تحريرها مع الفتيان والفتيات العرب نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين.

في هذا العدد:

- استطلاع عن الحدائق العائمة في المكسيك.
- مسلسل بالألوان: عبد الكريم الخطابي.
- دعوة لزيارة مدينة نواكشوط.
- عفريت الكمبيوتر "قصة من الخيال العلمي".
- الزير سالم "الحلقة الثالثة".



إضافة إلى الأبواب الثابتة:

- إسلاميات.
- كمبيوتر.
- ٨ صفحات لأخيك الصغير وأختك الصغيرة.



نتيجة مسابقة العدد ٤٨

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع



تلك المعركة بين الحماة والكنّة

تلك المعركة
بين الحماة والكنة

بقلم : ريم الكيلاني

أيام قليلة بعد الزواج وتبدأ المشكلة في الظهور ، يرتفع صوت النفير معلنا بدء معركة قديمة قدم المجتمعات البشرية ، طرفاها الحماة والكنة ، تبدأ كل منهما بالإعداد للمواجهة وتحقيق النصر ، والفوز بالغنيمة الكبرى ، (الابن - الزوج) ، لكن المعركة لاتنتهي أبداً ، ولواء النصر لاينعقد لأي منهما،وتستمر الحرب قائمة طالما بقيت هناك حماة وكنة ، وزوج لاتدرك واحدة منهما ما له وما عليه .

إنها قضية قديمة ، وعلى الرغم من ذلك فإن رياح الزمن لم تنجح في تبديدها كما فعلت بكثير من القضايا القديمة . إنها قضية تتحكم فيها طبيعة المرأة ورغبتها الشديدة بالتملك ، فهي تندفع بحكم غيرتها ، لكسب الرجل ، وإن كانت كثيرا ماتعاني في ما تقوم به لتحقيق هدفها .

ربما تكون الحياة العصرية قد حدت بشكل ضئيل من الاحتكاك المباشر بين الكنة والحماة ، بحكم مشاغل الحياة ومشاكلها ، وبحكم البعد الزماني والمكاني ، وعلى الرغم من شيوع نظام الأسرة الصغيرة .

لكن يبقى هناك من تجبرهم الظروف الصعبة على العيش مع الأسرة في بيت واحد ، أو الاستعانة بالحماة في رعاية الطفل في أثناء وجود الزوجة في العمل ، مما يسبب الاحتكاك بين الخصمين الأزليين ، فتنشب المعارك ولا تهدأ .

المدعى عليه

تقول سيدة حديثة العهد بالزواج : اتفقت منذ البداية ، على أسلوب الحياة مع زوجي ، وعلى تحديد العلاقات الأسرية بالشكل الذي يضمن لنا ولأسرتنا الهدوء والانسجام ، لكن حماتي كانت تصر على التدخل في شؤوننا بمناسبة وبدون مناسبة ، وكأنها تريد أن تشعر زوجي باستمرار وجودها في حياته حتى بعد الزواج ، وكنت أتحمل ذلك احتراما لكبر سنها ، وحرصا على مشاعر زوجي الذي كان قادرا دائما على حسم الأمور بطريقة ترضي كل الأطراف ، إلا أن هذا كان يقلقني ويكلف زوجي كثيراً من الجهد والأعصاب .

وتقول سيدة أخرى : أجبرتني ظروف زوجي المادية على العيش في بيت أهله الكبير . لم أعترض في البداية ، لأنني أعتقد أنني سأنتقل من بيت أهلي إلى بيت أهلي الثاني . فكانت البداية معهم من هذا المنطلق ، لكن حماتي لم تكن تترك مناسبة إلا وتذكرني فيها بطريقة مباشرة

حينا ، وبطريقة غير مباشرة أحيانا ، بأنهم أصحاب الفضل في إعالتي أنا وزوجي ، وأنني يجب أن أرجع إليها إذا أردت شراء شيء ، أو الخروج إلى أي مكان ، مما كان يشعرني بالضيق والحرج ، فأحس بأنني وزوجي وأولادنا شخصيات هامشية ، لا وزن لها ، ولا رأي في البيت الكبير .

لكن هذا ليس حال كل النساء بالطبع ، فالمشكلة لاتخص المرأة وحدها ، بل تمس الرجل بشكل أو بآخر ، وتؤثر على سلوكه وشخصيته ومستقبله ، كما تؤثر على الأطفال بشكل خاص ، وإن كان يميل بعض الناس إلى الاعتقاد بأن معاناة الرجل أقل دائما ، لأن الحماة تسعى لإرضاء زوج ابنتها ، مراعاة لمشاعر الأبنة ، وحفاظا على سعادتها الزوجية .

ويتحدث زوج حول تلك القضية قائلا : لاحظت أن والدة زوجتي تحاول اصطناع الود معي دائما ، فهى تبدي لي كل حب واهتمام ، ولا تتوانى عن إرضائي أبدا ، ولكن حقيقة ماتكنه لي حماتي بدأت تظهر ، بعد عدة زيارات كانت تقوم بها زوجتي إلى بيت أهلها وحدها ، وحينئذ أدركت الحقيقة ، ففي كل مرة كانت تعود زوجتي إلى البيت محملة بأفكار وآراء وطلبات غريبة ، ولاينتهي هذا اليوم إلا بمشكلة كبيرة . وأعلم فيما بعد ، وعندما تهدأ الأمور ، أن أمها هي التي دفعتها إلى ذلك ، بما تقوله لها من كلام حول الرجال ، وضرورة عدم الثقة بهم ، ومراقبتهم الدائمة ، حتى لايبدءوا بالتفكير بغير زوجاتهم . وزوجتي تسمع وتطبق دون أن تفكر ، مدفوعة بقوة أمها وثقتها بها .

وهذا زوج لاندري إن كانت الحياة هي التي أنصفته أو زوجته أو حماته ، فهو يفتح فمه مشدوها من مجموعة الحكايات التي يسمعها عن الحموات فيقول : ومع ذلك لم تتدخل حماتي يوما في حياتنا ، ولم تبد رأيها في تأثيث المنزل ، أو في تنظيم حياتنا ، حتى لو طلبنا منها ذلك . ويضيف : اختلفت يوما مع زوجتي ، فخرجت إلى بيت أهلها غاضبة ، لكن حماتي قالت لها : أهلا بك ضيفة عندنا ، حتى تصفى النفوس ، وتعودين بعد ذلك إلى بيتك وزوجك .

لعلك تلاحظ ـ عزيزي القاريء ـ خلال هذه الأمثلة أن لكل إنسان تفكيره الخاص الذي يتناسب مع حياته ، ويتوافق مع الظروف الاجتماعية المحيطة به ، إلا أن ماهو ثابت ، وما تؤكده كتب علم النفس أننا جميعا نحب أن نشعر بحاجتنا لأن نكون محبوبين مرغوبين . وإن فقدان مثل هذا الشعور ينتج عنه سلوك غريزي ، يذهب بصاحبه نحو البحث عما هو مفقود : الحب والود والإيثار . وحول هذه المشاعر تدور المعركة بين الحماة والكنة .



ومن الواضح أن هؤلاء الذين يكرسون حياتهم لأهلهم يعانون كثيراً من المصاعب والمشاكل في حياتهم الزوجية ، فالفتاة يجب عليها عند ذلك أن تكون قادرة على أن تفصل نفسها عن أسرتها ، وأن تقبل بمستقبلها في المحيط الذي يختاره لها زوجها . كما أن هناك رجالا لايستطيعون أن يتخلصوا من هذه المسألة ، فيقعون ضحية الحيرة بين الزواج والانفصال عن أهلهم أو البقاء دون زواج ، مفضلين صحبة أمهاتهم وأفراد أسرتهم الآخرين .

إن أي علامة للإفراط بالاتصال بالأسرة ينبغي أن تكون علاقة تحذير ، لأن ذلك معناه الزواج بشخص يحاول أن يكون نصف زوج ونصف ابن أو نصف زوجة و نصف بنت ، وهذا لا يفي للزوج أو الزوجة بحقه في حياة زوجية هادئة . يقول الدكتور فرانك كابريو ، المؤلف والطبيب النفساني الأمريكي ، في كتابه تفسير السلوك : « إن البالغين الذين لا يستطيعون أن يقطعوا العلاقات البيئية غير السليمة ليسوا بأهل للزواج ، فإذا تزوجوا فالمشاكل قريبة منهم ، وعلى وشك أن تعصف بهم » .

الطبيعي والشاذ

ويبقى لدينا سؤال : هل هذا هو الوضع الطبيعي لكل أسرة ؟ وهل يعني ذلك أن يعيش كل زوجين وشبح الحماة يهددهما ، أو تعيش الأم متربصة لكنتها في كل كبيرة وصغيرة ؟

يتفق كثيرون من علماء النفس والاجتماع على أن هذا الوضع حالة غير طبيعية ، تخص فئة قليلة من المجتمع ، تأثرت بشكل واضح بالموروثات الثقافية والاجتماعية التي نشأت مؤمنة بها ، والتي أثرت في كثير من سلوكياتها وتصرفاتها بعد ذلك .

يقول الدكتور محمد عودة ، أستاذ علم النفس التربوي ، بجامعة الكويت : لعله من المناسب هنا أن نسأل أولا : ماذا تريد الأم من ابنها الذي تزوج وكوّن أسرة ؟ وماذا تريد الزوجة من حماتها ، بعد أن انتقلت إلى بيت الزوجية ؟

إذا قصرت حاجة الأم على السؤال عنها ، والاهتمام بها ، ومعاونتها ، فهذه مطالب عادلة ، بعيدة تماما عن المغالاة ، أما إذا زادت المطالب عن هذا الحد ، كأن تطلب الأم من ابنها أن يبقى ملتصقا بها ، كما كان قبل الزواج ، أو أن تصطنع الغضب إذا لم يحقق لها أمرا غير معقول ، فإن هذا بالطبع يربك مسيرة الحياة الزوجية ، ويسير بها إلى حافة الهاوية . فمحاولة التوفيق بين الطرفين ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، ينتج عنه وفاق ووئام ، أما عدم الإدراك الحقيقي لدور كل من الأم والزوجة ، وعدم العمل على إشباع حاجات كل منهما على الوجه الأكمل ، فينجم عنه الخلل ، ومن ثم الخلاف .



ويجب ألا يفوتنا هنا أن الأم قد أمضت عمرا في رعاية هذا الابن وتربيته ، وهي تبحث دائما عن سعادته وراحته ، وقد تشعر بالأسى إذا تجاهلها ابنها ، أو أنكر حقوقها عليه .

ولعل الطبيعة الإنسانية هنا هي التي توجه الإنسان لمثل هذا السلوك ، فسنة الحياة وطبيعة البشر جعلتا لكل دوراً يؤديه في الأسرة ، لكن الإحساس بأن شخصا ما ، قد يحل محل أحد أفراد الأسرة يثير الغيرة ، ومن ثم تبدأ محاولة التخلص من «الخصم» الجديد ، للاحتفاظ بالدور له وحده .

والمشكلة هنا لها جذورها الاجتماعية في الدرجة الأولى ، فكل فتاة تتشرب هذه المعرفة الخاطئة عن طريق ماتسمعه ، أو ماترويه لها أمها ، أو أختها ، أو صديقاتها اللاتي سبقنها في هذه التجربة .

لكن السؤال الذي يطرح هنا هو : هل للعوامل الاجتماعية دور في هذا الصراع ؟

إن التوافق التام بين الوظائف النفسية مع القدرة على مواجهة الأزمات العادية التي تطرأ على الإنسان يضفي نوعا من السعادة على النفس البشرية . والحقيقة أن سلوك الفرد خاضع لعوامل المجتمع التربوية التي أثرت فينا ، وأحيانا ما ورثناه عن آبائنا .

وقد انقسم علماء النفس إلى قسمين في تفسير السلوك الإنساني ، فبعضهم قال : إن السبب الأول المؤثر في السلوك هو الوراثة . بينما أكد بعضهم الآخر أن البيئة هي المؤثر الأول الوحيد في سلوك الإنسان ، وأن هناك ملكة في الشخص ، تساعده على التمييز الفطري بين الخير والشر . وقد سميت هذه «الحاسة الخلقية» . ومن المعروف أن الغيرة وحب الملكية تشكلان جزءا من سلوك الإنسان ، وأن لهما دورا فعالا في إخراج هذا الصراع إلى حيز الوجود . لكن العقل في النهاية هو الذي يوجه الإنسان الوجهة السليمة للتعامل مع الظروف الجديدة المحيطة به ، خاصة أننا نعيش في مجتمع شرقي ، ونواجه ضغوطا نفسية كبيرة ، بسبب العوامل الاجتماعية المحيطة بنا التي تشكل عبئا هائلا على الأفراد ، مما يجعل الانفكاك عن العادات والتقاليد غاية في الصعوبة ، لتصبح بعد ذلك هذه العادات عبئا على صاحبها ، تنتج عنه مشاكل وخلافات تتباين حدتها حسب طبيعة الإنسان ، وحسب المنهج الذي ينتهجه لنفسه للتعامل مع ماحوله من عوامل . وقد يرفض بعض الناس هنا تطور الحياة ، وما قد يطرأ عليها من متغيرات ، خوفا من تغير دوره أو اضمحلال قيمته كفرد يؤدي عملا خاصا إلى فرد ذي شخصية هامشية في المجتمع .

وعلى الرغم من ذلك فالوضع اليومي للأسرة الحالية أفضل بكثير مما كان عليه سابقا ، عندما كانت الأسرة كبيرة ، حيث تجتمع زوجات الأبناء معا في بيت العائلة ، فيحدث الاحتكاك ، ومن ثم الخلافات التي تنشأ عنه التي تصبح مع الوقت أمرا مألوفا تماما .

المدعي

علينا ونحن نطرق هذا الموضوع مقابلة بعض الحموات للتعرف على وجهات نظرهن في هذه القضية .

تقول أم ستة أولاد متزوجين ، يعيش كل واحد منهم في بيت مستقل : «لم أكن راضية عن تفرق الإخوة ، وعيش كل واحد منهم في بيت ، بعيدا عن جو الأسرة الكبيرة الذي اعتدنا عليه وعشناه نحن من قبلهم ، لكن كل زوجة أصرت أن تستقل بحياتها بعيدا عن سلطة الأسرة ، كذلك رفضن تدخلي في اختيار المنزل أو الأثاث ،

وأنا أجلس في بيت لاأعرف عن أحدهم شيئا سوى ما أراه منهم عندما يأتون لزيارتي، وغالبا فإن هذا لايحدث إلا مرة واحدة كل أسبوع، وغالبا ما تتشاجر إحداهن معي، أو يتشاجر بعضهن مع بعض، وينتهي اليوم بتوتر بين الإخوة».

وتقول أم ولد وحيد بكثير من المرارة: لقد قضيت عمري في تربية هذا الولد ورعايته، قدمت له أقصى مايمكن أن تقدمه أم لابنها، لكنه اليوم ملك لزوجته، ويبدو أنه وجد لنفسه شخصا آخر يشاركه حياته، ويطمئن إليه، ويفضي بهمومه، وكأنه يعلن انتهاء رسالتي في الحياة. لم ينقطع ابني عن زيارتي، خاصة عندما أنجبت له زوجته طفلا، عهدا العناية به لي، لأن زوجته امرأة عاملة، لكنها تعترض دائما على طريقة تعاملي مع الولد، سواء كان ذلك في تغذيته أو لباسه أو تربيته، وغالبا مايحتد النقاش بيننا، فهي تصر دائما على اتباع ماتتعلمه في الكتب لتربية ابنها، بينما أرى أنا طريقتنا القديمة في التربية أفضل. والمشكلة أن ابني يؤيد زوجته ويقف إلى جانبها، مشككا بقدرتي وخبرتي اللتين لاأملك غيرهما.

الدفاع

إن الاختلاف قائم بين جيلين مختلفين، بحكم البعد الزمني وفي العادات والسلوك، لكن التكيف والقدرة على المواءمة والتحمل لهما أكبر الأثر في الحد من هذه الخلافات، وللزوج كما للزوجة دور مهم جدا، فهما الأكثر قدرة على التكيف بحكم السن، كما أن الأبوين أكثر قدرة على التسامح بحكم التجربة. ويتحدث الدكتور فهد الناصر، مدرس بقسم الاجتماع بجامعة الكويت، مدافعا عن الأم الكبرى أو الحماة قائلا: هذه قضية تختلف عواملها وأسباب وقوعها من مجتمع لآخر، من ثقافة لأخرى، تبعا للتباين الاجتماعي الذي من شأنه تحديد الكثير من العلاقات، وفي مختلف المجالات. ولكنني أرى أن الأسرة الممتدة هي أحد عوامل اكتساب الخبرة لكل زوجين حديثين، كما أن لها دورها الفعال في تحديد مسار الحياة الزوجية والسير بها إلى بر الأمان.

خاصة أنه مهما اختلفت تربية ونشأة الأم (الحماة) والزوجة فإن الدين والجنس والخلفية الثقافية والاجتماعية غالبا واحدة، ويجدر بنا ونحن نتحدث حول تلك القضية أن نضع كلا من الزوجين في بؤرة المسئولية، فهما وبسبب صغر سنيهما قادران على التكيف، مع الظروف المحيطة بهما، مراعاة لحقوق الأهل ونفسياتهم.

هذا هو ملف القضية، وقد تحدث فيه كل من المدعي والمدعى عليه، وألقى الدفاع كلمته. لكن هل يتوقع أحد منا أن يصدر حكم في هذا الشأن؟ الحكم سيبقى في النهاية للواقع الاجتماعي الذي يعاني كثيرا من الأمراض، وإن كان هذا النوع من الاحتكاك ليس أخطرها. وللنفسية الإنسانية التي ملكت عبر السنين عادات تحولت إلى موجهات للسلوك الإنساني. □

● الحب الحقيقي لا يطفئه حرمان، ولا يقتله فراق، ولا تقضي عليه أي محاولة للهرب منه، لأن الطرف الآخر يظل شاخصا في الوجدان.

(مصطفى محمود)



أطفالنا
والخوف من الطبيب

بقلم : الدكتور محمد مروان النحاس*

كثيرا ما نسمع أمهات يخوِّفن أبناءهن بأخذهم إلى الطبيب . ومع أن مهمة الطبيب الأولى هي المساعدة على تخليصنا من الألم إلا أنه مبعث خوف لكثير من الأطفال على الأخص . فهل هذه حالة خاصة بنا ، أو أنها ظاهرة منتشرة في كل أنحاء العالم ؟

يعد الخوف من الأطباء أحد أشكال الخوف الذي يوجد في أعماق كل منا . وقد كان مرده في السابق إلى أنهم كانوا يقبعون في برجهم العاجي، نظرا لقلة عددهم، وحاجة الناس إليهم، يمارس الواحد منهم كل الاختصاصات، بغض النظر عن مدى خبرته فيها، وقلة الإمكانات الطبية المتوافرة بين يديه .

أما في عصرنا الحاضر، فقد اختلف الأمر جذريا، فمع ظهور الاختصاصات الطبية المختلفة، وازدياد عدد الأطباء، ساد الوعي الطبي بين شعوب العالم بعامة، وأصبح الطبيب أكثر صلة واحتكاكا بمجتمعه، وصار للمريض الخيار في انتقاء طبيبه الذي يرتاح إليه ويثق فيه، فتراجعت نسبيا عقدة الخوف هذه من النفوس . إلا أن جذورها ما تزال متأصلة في كثيرين من أطفال العالم الثالث بعامة والوطن العربي بخاصة، وتعزى لأسباب عديدة، مردها الأهل والطبيب.

الصغار والأطباء

فبعض الأهل يخافون أصلا من الطبيب، وكم سمعنا عن مرضى انسحبوا خلسة من المشفى، خشية إجراء عملية جراحية مقررة، أو تخلصوا من يدي طبيب الأسنان بوسيلة ما، مخافة قلع ضرس ، أو الاحساس بآلة الحفر داخل الفم، ناهيك عن تهديد أطفالهم المتواصل بأخذهم إلى الطبيب، كي يزرقهم بحقن عضلية مؤلمة . فحين تقع الواقعة لا يكاد الطفل يرى وجه الطبيب، حتى يملأ العيادة صراخا وعويلا من شدة الخوف المزروع في نفسه وكيانه، ولاحظت أن غالبية المرضى الذين يبكون في عيادات مشافي الأطفال بالدول الغربية هم من شعوب العالم الثالث. لهذا تقع على الأهل مسؤولية بذر محبة الطبيب في قلوب الصغار منذ نعومة

* طبيب وكاتب من القطر العربي السوري .

أظفارهم، ومحاولة شرح ما سيقوم به قبل أخذهم إليه، كي لا يفاجأوا بما هو واقع. كما يفضل إخبار الطبيب مسبقا عن نفسية الطفل والأشياء التي يرغبها، ولهذه الناحية أهمية إذا مادعت الضرورة إدخاله المشفى. عليهم أيضا مساعدة الطبيب في مرحلة المعالجة، واتباع التعليمات الموصى بها، ولا يغيب عن ذهني طفل أجريت له عملية مفاغرة (توصيل) في الأمعاء الغليظة، وأعطيت الإرشادات بتغذيته وريديا مدة عدة أيام، يقرر الجراح بعدها متى تبدأ تغذيته عن طريق الفم تدريجيا، وبعد يومين من الجراحة استجابت الأم لرغبة ولدها، فأطعمته خيارا خفية عن أعين الممرضات، مما أدى إلى تمزق مكان العملية، وإصابة الطفل بالتهاب حاد في البطن، وبالتالي تعرضه لعمليتين جراحيتين كان في غنى عنهما. ومن الحب والجهل ما قتل.

أما الطبيب فهو الطرف الآخر في هذه المشكلة، ويشير الطفل إليه بأصابع الاتهام. لقبه العرب قديما (بالحكيم)، لاستعماله الحكمة في علمه ومعاملته للمرضى، فممارسة الطب عند الأطفال تتطلب حنكة وخبرة في معاملة كل من الطفل والأهل، لكسب ثقتهم ومحبتهم، بصورة لا تقل أهمية عن المعالجة نفسها، كما تختلف عنها لدى الكبار، فعلى قدر مايكون الطبيب جديا في فحصه أو معالجته، تزداد مخاوف الطفل وسلبيته، فوجب أن يحسن الطبيب التصرف بحكمة وروية في موقف كهذا بالتعامل معه حسب عمره وتفكيره بالإضافة إلى بث الطمأنينة في نفسه، والتودد إليه، قبل الشروع في فحصه سريريا، وتزخر العيادات الحديثة بألعاب منوعة، تستهوي الكبير قبل الصغير، كي يستمتع بها في أثناء الكشف، ويمكن أحيانا فحص بعض النواحي من الجسم (كالصدر مثلا) والطفل في حضن أحد والديه، وقد يكافئه الطبيب بهدية متواضعة، كقطعة من الحلوى أو ما شابهها. أما إذا تطلبت الحالة عملا جراحيا، فيمكن شرحه للطفل والأهل بما يتفق ومداركهم. كما يفضل اللجوء إلى التخدير الموضعي أو العام قبل أي إجراء طبي قد يؤلم الطفل (كخياطة جرح أو شق خراج)، وبعض الأطباء يستعين أحيانا لدى فك غرز بعض جروح العمليات (خاصة التجميلية) بالتخدير العام، مما يريح الطفل من الألم والذعر النفسي، وتتضح أهمية ذلك بالممارسة الطويلة.

وقد يلجأ الطبيب في بعض البلدان المتقدمة إلى مشورة الطبيب النفسي لكل من الطفل والأهل في حالات مرضية خاصة، كالتي تتطلب إجراءات جراحية كبيرة، سواء قبل المعالجة أو بعدها.



ممارسة نفتقر إليها

أما بالنسبة لمشافي الأطفال على وجه الخصوص، فجميع العاملين فيها مجندون لمعالجة المرضى وخدمتهم بمحبة وإخلاص، وملائكة الرحمة يحفونهم بأجنحة العطف والعناية تعويضا عن حنان الأبوين، بالإضافة إلى صالة للألعاب ومكتبة صغيرة، بإشراف مربيات متخصصات. وبث برامج إذاعية وتلفازية محببة لديهم. كما يحتفل كل قسم في المشفى بأعياد ميلاد مرضاه، إضافة إلى مناسبات أخرى سعيدة على القلوب. وتعد هذه الوسائل المذكورة من فنون الممارسة الطبية المتقدمة التي تفتقر إليها مشافينا. ولن أنسى ما حييت تلك الطرفة التي جرت وقائعها كالحلم العابر في مشفى جامعي للأطفال في بريطانيا ليلة رأس السنة الميلادية، حيث كنت الجراح المناوب، وكان كل شيء هادئاً، وقبل منتصف الليل بساعة جاء إلي الجراح المقيم، بقامته الطويلة وتقاطيعه الاسكتلندية المميزة، وعلى وجهه ابتسامة عريضة قائلا: يا دكتور لقد وقع الخيار، بأن تقوم أنت بدور الحورية الشقراء، وأنا بدور «بابا نويل» لزيارة أطفال المشفى هذه الليلة، وتقديم الهدايا إليهم، وفي هذا شرف عظيم لنا. فسألته بارتباك: ومن



اتخذ هذا القرار؟. قال: لجنة من المشرفين على هذا الاحتفال، تضم أساتذة وممرضات. أجبته محرجا وقد طفح الدم في وجهي: لماذا أنا على الأخص، ولدينا طبيبات وممرضات يقمن بالمهمة أفضل مني؟. قال بلطف وعفوية: لا أدري، وعلى كل حال أنت من وقع عليه الاختيار لهذه المناسبة السعيدة، حيث لم يسبق لأحد أن رفض قبول هذا الشرف الرفيع، ولا حتى وزير المالية البريطاني المعروف بعبوسه وصرامته لم يتردد في قبول دعوة برنامج الأطفال والظهور على الشاشة الصغيرة منذ أيام متقمصا دور ساحر مخيف بعباءته السوداء وعصاه السحرية.

الاستاذ «بابا نويل»

ذهبنا إلى غرفة مكدسة بالهدايا، حيث انطلقنا بها إلى أقسام المشفى، نوقظ الأطفال النيام على أصوات أجراس العيد، لنعطيهم الهدايا، فتملأ وجوههم البريئة المسرة والبهجة، بحلول عام جديد، والأمل بشفاء عاجل. استمر بنا المطاف حتى الثانية صباحا، عدت بعد ذلك الى منزلي، معتقدا بأنني اقترفت ذنبا شائنا بحق نفسي، ستلوكه غدا ألسن جميع العاملين في المشفى، من أطباء وممرضات إلى أدنى مرتبة من العاملين، فبت ليلة ليلاء من تأنيب الضمير، وتمنيت ألا يبزغ الفجر. ذهبت في الصباح إلى قسم الجراحة، وما أن لاحت لي ردهته حتى شاهدت جمعا غفيرا من الناس يغنون ويصفقون بهجة وسعادة، يتوسطهم ثنائي آخر من «بابا نويل» والحورية. بحثت بين الوجوه عن أستاذي القدير، فإذا هو المتنكر بزي «بابا نويل»، وحوريته أستاذ آخر جليل القدر، ولما قطعت شك ما رأيت باليقين، أثلج صدري وهدأت سريرتي. وبعد انتهاء هذا الاحتفال الصباحي، دنا المحتفلون مني يهنئونني بإطلالة العام الجديد، ويشكرونني على الدور الناجح الذي أديته بعبارات رقيقة، مايزال صداها يهز مشاعري، وقدم لي الأستاذ «بابا نويل» هدية أعتز بها على الرغم من تواضعها، وكأنني الفائز الأول في سباق فريد، غايته الوصول إلى هذه القلوب البريئة بالعطف والتواضع، كي يتحول خوفها من الطبيب أمناً وطمأنينة، وتغرس في حناياها محبة ومودة. □

هو.. هي

فوضى

لا أدري كيف اكتشفت ذلك ، لكنني اكتشفته ؛ اكتشفت أن زوجي فوضوي كبير ، على الرغم مما يبدو عليه من اتزان ووسامة وأناقة . أما اكتشافي الأكبر فكان تلك المفارقة التي مفادها أن الشخص قد يكون الشيء ونقيضه في الوقت نفسه . وفي حالة زوجي فإن اتزانه ووسامته وأناقته لا تنفي حقيقة كونه فوضوياً ، لا مبالياً ، قليل الإحساس بالجمال .

فهو ما أن يأتي من عمله حتى يتحول إلى شخص آخر ، يقذف ملابسه في كل اتجاه ، ويهرع إلى المطبخ ، ليتناول قبل الغداء بعض المأكولات السريعة . وربما بعض الفواكه أو الحلوى ، فيفسد موعد الوجبة التي أرى أننا يجب أن نتناولها معاً برفقة أبنائنا . وكثيراً ما نكون - الأولاد وأنا - قد انتظرناه طويلاً ، حتى يأتي ، لنلتم جميعاً حول المائدة في جو عائلي .

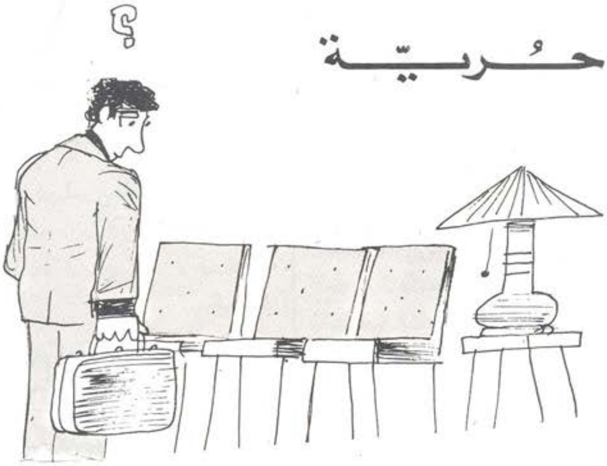
المشكلة الكبرى هي أنني نبهته مراراً إلى أن هذه السلوكيات الصغيرة تسيء إليه أولا ، كما أنها لاتساعده على إعطاء صورة جيدة عن أب مثالي بالنسبة للأولاد . ولكنني أقلعت عن ذلك عندما لاحظت أنني كلما قلت له مثل هذه الأمور البديهية ، استشاط غضباً ، وبدأ يتحدث عن الحرية والتلقائية والراحة التي لا يتسنى له ممارستها خارج المنزل . ولاينسى في غمرة انفعاله أن يتهمني بأنني أحول المنزل من مكان للراحة والتحرر من كل الرسميات إلى ما يشبه المعابد التي يجب أن تكون فيها كل خطوة محسوبة ، وكل كلمة لها درجة صوت مناسبة ، وكل حركة لها تبريرها .

وأمام سيل كلماته الجارف لا أجد أمامي سوى الصمت الذي لا يرضيه ، لأنه لا ينهي المشكلة التي تفجرت ، ولا يرضيني لأنه لاينهي مشكلتي التي تبدأ مع عودته من العمل كل يوم .



.. هي

حُرِيَّة



■ سامح الله زوجتي ، فهي تضايقني دون أن تدري ، وتوبخني دون أن تقصد ، وتخلق المشاكل في بيتنا الهادىء وهي تنوي تنظيم الحياة فيه وترتيبها ، لكي يصبح بيتاً مثالياً ، تفاخر به صديقاتها الحميمات واللدودات على حد سواء .

والمشكلة تكمن في أنني أؤمن بأن المنزل لم يخلق للراحة والسكينة فحسب ، بل وجد ليكون المكان الذي تمارس داخله ما لا يمكنك ممارسته خارج المنزل . وإن كان خارج المنزل هو العمل بالرتابة والانتظام والمعاملات الرسمية والسلوكيات والجدية ، فإن المنزل يجب أن يكون المكان الذي نتخلص فيه من السلوكيات الجدية ، ونكسر فيه الرتابة والانتظام . وإن كان الخارج هو الأماكن العامة ، مثل المطاعم والمقاصف والمقاهي أو شاطىء البحر ، حيث الرسميات والآداب العامة والحركات المحسوبة جيداً ، فإن المنزل يجب أن يكون المكان الذي نتحرر فيه من الرسميات والحركات والأصوات المحسوبة ، وننطلق فيه على سجيتنا ؛ نأكل متى ما أردنا ، وننام حين نرغب ، ونلعب مع أطفالنا ألعاباً قد تزرع الفوضى في المنزل ، لكنها تزرع في نفوس أبنائنا الفرح ، وتكسر الحواجز بيننا وبينهم ، وتجعلنا أكثر قرباً إلى عوالمهم الصغيرة .

لكنني ما أن أعود من العمل المضني حتى أجد المنزل في صورة تذكرني بصور الدعاية للأثاث ، فكل شيء مرتب ، وكل قطعة تقف بأناقة في مكانها المخصص ، فأشعر أنني إذا شئت احترام كل هذه الأناقة ، وهذا الترتيب ، علي أن أخرج من المنزل ، إلى أيّ مكان آخر ، أمارس فيه صخبي المكبوت ، وحريتي المقيدة خلف المكاتب والمعاملات والأناقة المفتعلة والابتسامة المصطنعة .

إلا أنني أعترف أن شيطان الفوضى يسيطر عليّ في تلك اللحظة ، فلا أستطيع المقاومة ، وعند ذلك تبدأ مشكلة كل يوم التي أعتقد أنها إن انتهت فإن تغيراً جوهرياً قد طرأ عليّ . وهذا أمر بعيد الاحتمال . □

.. هو



طبيب الأسرة

قضايا منزلية

عندما يكون الولد سر أمه لا أبيه

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

« الدجاجة أو البيضة أيهما الأصل ؟ » قضية قديمة عقيمة ، لم يصل حولها الجدل إلى قرار ، لهذا يضرب بها المثل في كل نقاش يطول ، أو جدل يدور لاطائل منه ، ولن ينتهي إلى حسم .

غير أن قضية الدجاجة والبيضة هذه قد أصبحت نمطا من أنماط التفكير عند بعض الأقوام ، ربما كان أبرزها ذلك الجدل الذي ثار في قديم الزمان حول الرجل والمرأة ، أيهما هو الأصل في الوجود ؟

الغريب في أمر هذه القضية أن الغلبة كانت من نصيب الرجل ، ولعل هذا هو الذي أعطاه حق التفوق والتسلط ردحا من الزمان ، حين تصوروا أن الرجل هو الذي يضع بذور الحياة ، يزرعها في تربة المرأة التي تقوم بدور الأرض ، وهكذا تنمو شجرة الحياة وتثمر أجيالا متعاقبة ، لابل قد ذهب الخيال بهؤلاء الأقدمين إلى أن صوّر لهم خيالهم أن بذور الحياة الأولى تتخلق في النخاع الشوكي داخل العمود الفقري للرجل ، حيث كل بذرة منها ما هي إلا إنسان صغير متناه في الصغر ، دقيق الهيئة ، يزرعه الرجل في رحم المرأة التي تقوم على تغذيته وترويته لينمو ويكبر مع الأيام ، حتى يحين يوم ولادته .

هكذا وجد الإنسان حلا لقضيته على الرغم من فشله في حل قضية الدجاجة والبيضة الأزلية .

نعم ، لقد وجد حلا ، ربما يرضيه ، ولكنه لم يرض الحقيقة العلمية التي قدمتها لنا المجاهر والاختبارات العلمية الحديثة .

أما القضية الأخرى التي احتار في أمرها الإنسان في ما مضى من الزمان ، وقد ذهبت الأقوام في أمرها مذاهب شتى ، وأفتى في حلها من شاء له الهوى أن يفتي ، فهي قضية الذكر والأنثى ، ولعل الإغريق القدامى كانوا أول من ذهب بهم تصورهم إلى أن للمرأة رحمين ، الأيمن منهما يختص بحمل الذكور ، والأيسر يختص بحمل الإناث ، وحيث يكون نصيب بذرة الرجل من الرحمين يكون جنس المولود .

ولم يخرج عن إجماع آراء هؤلاء الإغريق سوى عميدهم الطبيب أبقراط الذي أعلن أن خصية الرجل هي سر الجنس ، وليس رحم المرأة ، لأن خصية الرجل اليمنى هي التي تنتج الذكور ، وأما الخصية اليسرى فتنتج إناثا .

هكذا ثار الجدل ، واحتدم النقاش ، حول سر الذكورة والأنوثة في سالف الزمان ، إلى أن حسمه اكتشاف سر الوراثة الذي تبلور فيها اكتشف عام

١٩٥٦ من وجود الكروموزومات أو الصبغيات في الخلية الحية .

الـكـــرومـــوزومــات

مع مطلع القرن العشرين بدأت براعم علم الوراثة التي زرع بذرتهـا العـالم الـراهب مندل ، وصحبه ، تتفتح ، وما أن حل عام ١٩٥٦ حتى تمكن العلماء من انتزاع قناع الخلية الحية ، فإذا بهم أمام سر الوراثة الذي يتمثل في تراكـيب خيطية الشـكــل ، داخل نواة الخلية ، ذات أعداد محددة لكل نوع وجنس ، أطـلقـوا عليهـا اسـم الكـرومـوزومـات ، وعـربـوها فسموها بالصبغيات ، وهي تحمل على متنها خصائص الوراثة وهي ما عرف باسم الجينات أو المورثات .

وعددها في مطلع تجاربهم وأبحاثهم (٤٨) صبغية ، في كل خلية من خلايا جسم الإنسان ، ثم تبين لهم خطأهم فيما بعد ، حين اكتشفوا أنها (٤٦) فقط ، ولـيســت (٤٨) ، كما توهموا في بادىء أمرهم .

وهــذه الكـرومـوزمـات أو الصبغيات الست والأربعون وجدوا منها (٤٤) صبغية تنتـظم في أزواج متشـابهــة الشكل والطول والصفة . قالوا عنها : إنها تحمل الصفات الوراثية المشتركة من الأم ومن



الأب معا ، أما الصبغيتان الباقيتان فهما مختلفتان طولا ووضعا وصفة ، كما تختلفان في ما تحملان من مورثات ، لهذا سموا الصبغة الأولى (X) (اكس) كما سمو الصبغة الثانية لها Y (واى) ،نسبة الى شبهها بالحرفين X و Y (واي) من حروف الأبجدية الانجليزية .

لقـد وجـدوا أيضـا أن الصبغية (X) (اكس) أكبر حجما ووزنا ، كما أنها تحمل من المورثات عددا أكبر مما تحمل Y (واي) .

وهنا تكمن بداية السر في قضية الجنس من ذكر ومن أنثى ، وقد وجدوا أن خلية الذكر ـ كل خلية فيه ـ تحمل من هذه الصبغيات واحدة من نوع X (اكس) ، وأخرى من نوع Y (واي) . بينما تحمل كل خلية في جسم الأنثى صبغتين متشابهتين من نوع X (اكس) .

ولما كانت المورثات التي تحملها الصبغيات على متنها هي سر صفات المخلوق ، فإن اعتـلال إحـداهـا أو شذوذه سوف يؤدي إلى ولادة طفل معتل أو شاذ ، وهذه هي الأمراض الوراثية ، وهذا هو سرها .

غير أنهم وجدوا أيضا أن عامل الوراثة يكون على إحدى درجتين ، فهو إما أن يكون صفة قوية ، أطلقوا عليها اسم الغـالبـة ، أو يكـون صفـة ضعيفـة ، سمـوهـا الصفة المتنحية .

ولو التقت صفة غالبة من أحد الوالدين صدفة مع صفة متـنـحـية من الآخــر ، فإن التفوق يكون للصفة الغالبة في جسم الابن المشترك ، لكن الصفة المتنحية إذا لم تجد ما يغلبها أو يعادلها فإنها تحكم المولود ، وتظهر عليه ، ويتميز بها .

وهنا يكمن سر من الأسرار التي حار العلماء في تعليلها ، لأنه قد تكون مورثة ذات صفة متنحية ، تعتلي متن صبغية (كرومـوزوم X اكس) ، ووجود مورثة سليمة على متن الصبغية الأخرى X (اكس) عنـد الأنثى سوف يخفيهـا ويكبتها لكنها لو كانت في خلية الذكر فإن صبغة كروموزوم Y (واي) المقابلة لصبغية X (اكس) لاتـتـغـلـب على قرينـتـهـا ، لأن كرومـوزوم (صبغية) Y (واي) خال من مورثـة مقـابلة للمـورثـة

المعتلة ، وبهذا تجد المورثة المريضة المتنحية فرصتها في الظهور .

وهذا ما أطلق عليه الأطباء اسم الأمراض المرتبطة بالجنس .

وهي مجموعة من الأمراض يعاني منها الذكور فقط ، ولاتعاني منها الاناث إلا فيما ندر ، كما أنها أمراض تنقلها الإناث إلى مواليدهن الذكور ، بينما لاينقلها الذكر إلى أولاده .

لقد حيرت هذه الأمراض كل المشتغلين في أمر الطبابة ردحا طويلا من الزمن ، ولم يعرفوا لها سرا ، لهذا قامت الشعوذات لحلها وغلفت قصصها بالأساطير ، ولعل أشهرها ماكان من أمر ظهور الدجال المشعوذ المعروف في روسيا القيصرية باسم الراهب « راسبوتين » الذي ادعى قدرته على شفاء ولي عهد القيصرية « الكسي » من مرضه الذي كان يعاني منه ، ، وهو أحد هذه الأمراض ، ويعرف بأم النزاف أو الهيموفيليا .

في مبدأ الأمر عرف الطب سر عدد محدود من هذه الأمراض ، قد لايتعدى عدد أصابع اليد الواحدة ، ثم توالت الاكتشافات الطبية ، فإذا بالعدد يتجاوز العشرات ، مما لايتسع المجال لحصره وتعداده في هذه العجالة ، لهذا نأتي على ذكر نماذج من هذه الأمراض ، ربما كانت الأشهر والأكثر شيوعا .

مرض الهيموفيليا :

يعرف هذا المرض بالعربية باسم النزاف أو الناعورة ، وربما أطلقوا عليه اسم المرض الملكي ، لأنه شاع بين أفراد الأسر الحاكمة في أوربا، خلال القرن التاسع عشر، فأصاب كثيرا من أمرائها وملوكها ، ممن ارتبطت سلالاتهم بأواصر القربى بملكة بريطانيا فكتوريا التي كانت حاملة لهذا المرض فنقلته الى أولادها وإلى أحفادها ، عبر بناتها . ولعل أشهر ضحاياه كان ابن الملكة نفسها ، الأمير ليوبولد وكان من ضحاياه أيضا ولي عهد العرش الأسباني .

ومرض الهيموفيليا يشكل قصة حزينة عند ضحاياه الذين ينزفون دون توقف ، ودون قدرة على تجلط دمائهم ، وسببه نقص مورث لأحد عوامل تخثر الدم ، وقد حددوه باسم العامل الثامن . أمكن توفيره في وقتنا هذا ليحقن به المصاب المريض فلا يموت من النزيف .

عمى الألوان :

ربما كان اسم مرض عمى الألوان شائعا ومعروفا ومألوفا ، غير أن كثيرين قد يدهشون لو علموا أنه مقصور على الذكور دون الإناث ، لأنه من مجموعة الأمراض المرتبطة بالجنس ، إذ يرث المولود نقصا في الأقماع المتخصصة برؤية الألوان ، وبخاصة اللون الأحمر منها ، إذ تتميز شبكة العين السليمة بوجود ثلاثة أشكال من الخلايا المتخصصة بالألوان ، تعرف باسم الأقماع ، قد يغيب منها نوع أو أكثر في شبكية الانسان المصاب ، وهذه علة قد تنقلها له أمه ، دون أن تعاني هي منها .

مرض الفولية :

هكذا سموه ، لعجز في الطفل ينصب على التمثيل الغذائي لأخد العناصر الموجودة في الفول ، أو ربما أيضا في مواد أخرى مثل الأسبرين وأقراص الكينا ، بسبب غياب الخميرة المختصة المعروفة باسم (ج٦ ف د) ، فيصاب المريض بتكسر في كرات دمه الحمراء ، ويعاني من فقر الدم الشديد .□



*** الزوج الأصم ، والزوجة العمياء ، هما أسعد الأزواج !**
(مثل دانمركي)

مساحة ود!

بعد المعركة

لم أكن قد التقيت صديقي القديم منذ سنين طويلة . وبطبيعتي الحذرة ، ذهبت لزيارته ، دون أن أهجس بفرحة لقاء صديق عزيز فارقته سنين عديدة ، فقد كانت فرحتي مشوبة ببعض الخوف مما قد أجده من تغير في ذلك الصديق القديم ، فالحياة التي عشتها لم تعلمني التفاؤل بغير حساب ، ولم تمنحني فرصة الاستسلام للأوهام الجميلة .

ولأن الفراق غير القطيعة فإنني بقيت أتابع عن بعد أخبار صديقي الذي عرفته أيام بؤس وقسوة وتشرد ، جعلته يدخل معركة مفتوحة مع الحياة ، لم يكن يملك شيئا يخسره ، لذا فقد كان مجرد عدم الخسارة بالنسبة له مكسبا ، يقيه من الانهيار ، ويعينه على مواصلة المعركة مع هذا الخصم غير المرئي ، فتمكن من الصمود والبقاء ، ثم أفلح بالفوز بحياة مريحة .

واحدة من قصص العصامية التي نشاهدها تنسج من حولنا ، لا جديد فيها سوى أن هذا العصامي هو صديقي القديم .

استقبلني على باب منزله الكبير دون فخامة ، ثم بداخله الفسيح دون ترف ، وبدأنا حديثا كان لا بد أن يمر بالماضي الذي يمثل الموضوع المشترك بيننا . تحدث بلا حماس عن تلك الأيام التي ولت بغير رجعة . وبالوتيرة نفسها انتقل يتحدث عن حاضره ، بصيغة تدل على قناعة تامة وسلام مطلق . ولم يكن في ذلك ما يضير .

لكنني وأنا أتأمل تلك الدعة وذلك الرضا في عيني صديقي شعرت أن هناك شيئا مفقودا . فأنا لم أجد تلك الحيوية التي كانت سمته المميزة،وذلك النشاط الدائب الذي لا يتوقف . وخفتت نبرة صوته التي عرفتها سريعة متحفزة ، ومكان التعليقات السريعة النافذة حلت الأفكار التقليدية عن الحياة والناس .

حين افترقنا شعرت أنني فقدت صديقي القديم . لقد أدى واجب الصداقة من كرم ومجاملة وحسن ضيافة على أكمل وجه ، ولم تنقطع من حديثه طوال اللقاء كلمات الود والاحترام ، لكنني مع ذلك لم أجد صديقي القديم .

لقد انتهت معركته مع الحياة ، وفاز بالراحة والسلام وتحول إلى انسان جديد ، لكنني خسرت صديقي القديم . □

صلاح حزين

جمال العربية

□ صفحة لغة

بقلم : الدكتور حسن عباس

العربية ووسائل الإعلام

هل هناك لغة مميزة أو أسلوب مميز للصحافة وأجهزة الإعلام ؟ اللغة واحدة في حقيقة الأمر ، ولكن لكل قطاع من قطاعات الحياة مفردات يكثر تداولها دون غيرها ، تكاد تكون الرموز الاصطلاحية لهذا القطاع دون غيره . من هنا نجيز لأنفسنا القول بأن هناك لغة أو مفردات لغوية تخص الصحافة وأجهزة الإعلام ، ونعني بها تلك المفردات التي يكثر تداولها في نقل الأخبار ، ووصف الأحداث السياسية والعسكرية ، وصياغة البنود والاتفاقيات ، بل إن الصحافة وأجهزة الإعلام لم تعد تترك مجالاً لا تخوض فيه . وقد يكون ما يظهر في الصحافة وغيرها من وسائل الإعلام مكتوبا بأقلام محلية أو مترجما عن لغات أجنبية ، وفي كلا الحالين تشيع أخطاء ما كان ينبغي لها أن توجد . وقد تنبه الزميل الدكتور كامل ولويل - بحكم اشتغاله في واحدة من وسائل الإعلام - إلى مثل هذه الأخطاء ، ورصدها في كتابه الذي صدر حديثا بعنوان «اللغة العربية في وسائل الإعلام» .

يضع المؤلف الترجمة في مقدمة الأسباب التي تعمل على إشاعة الخطأ إذا قام بها من يترجم ترجمة حرفية . فمن الكلمات التي تتداولها أجهزة الإعلام كلمة Cover الانجليزية ، فيضع لها المترجم الكلمة التي يحددها القاموس ، وهي : «يغطي» ، فهل يفيد هذا الفعل في العربية معنى نقل الخبر ، كأن تقول : «قام مراسل جريدة الشعب «بتغطية» أنباء القتال الدائر في بيروت بين فئات متنازعة»؟ ،الغطاء والتغطية ليس لهما علاقة بالأخبار ، ومعاجم اللغة تضع أفعالاً غير هذه الأفعال لدلالة نقل الخبر فتقول : نَقَل الخبر ، أو أبلغه ، أو أوصله ، أو سرده .

ومن الكلمات التي يساء استخدام ترجمتها كلمة : reach بمعنى : يصل ، فإن أجهزة الإعلام ، على اختلافها ، تقول في نقل خبر إحدى الشخصيات الرسمية : «وصل الكويت مساء أمس وزير الاقتصاد في دولة (. . . . .)» ، وهذا الاستعمال خاطىء ، لأن الفعل «وصل» بالانجليزية متعدٍ ، أي يحتاج إلى مفعول به ، ولكنه في العربية لازم لايتعدى ، فهو لذلك ليس بحاجة إلى مفعول ، بل إلى حرف الجر (إلى) ، فتقول ؛ وصل إلى الكويت مساء أمس . .

ومن تلك الكلمات كلمة : Via بمعنى : عَبْرَ ، يقولون : «عبر أجهزة الاتصال» ، والأكثر صوابا من ذلك أن نقول : «بأجهزة الاتصال أو بواسطة الاتصال» . ومنها أيضا كلمة : «طبقا» المترجمة عن كلمة : according ، فهي ترد في أمثلة كثيرة في الصحافة والإذاعتين المسموعة والمرئية ، من ذلك مثلا قولهم : سيتم نقل

الأسرى يوم الأحد طبقا لوكالات الأنباء ، وسيعقد الاجتماع طبقا لمسئولين بريطانيين غدا . يعقب الدكتور ولويل على هذين المثالين بقوله : اللغة العربية لا ترضى باستعمال (طبقا) في مثل هذين الموضعين ، وإنما تتطلب استعمال الكلمة الصحيحة لهذا الوضع ، وهي : (وفقا) ، أو كلمة (وفاقاً) ، أو (على وفق) ، هذا إذا أردنا التمسك بحرفية الترجمة ، ولكنك تستطيع أن تذكر عدة جمل تؤدّي المعنى بصورة سهلة واضحة ، فتقول : ذكرت وكالات الأنباء أن الأسرى سينقلون يوم الأحد القادم ، أو سيتم نقل الأسرى يوم الأحد القادم وفقاً لما ذكرته وكالات الأنباء ... وكذلك تقول : ذكر مسئولون بريطانيون أن الاجتماع سيعقد غداً .

ثم تأتي أخطاء النحو بعد أخطاء الترجمة ، ولا يتسع المجال إلا لذكر بعض منها. فبعضهم يقول : لا زالت الاجتماعات منعقدة في مجلس العموم ، ويقول : لا زالت الجهود تبذل لإصلاح الوضع .. وهذا استعمال خاطيء لكلمة (لازال) ، فهي تفيد الدعاء لا الاستمرار . يصح أن يقال : لازالت الديار قوية عزيزة بأهلها ، فهو دعاء للديار بدوام القوة والعز ، أما ما يفيد الاستمرار فهو (مازال) ، كأن تقول : مازال الجو مغبراً ، ومازال المجلس منعقداً . وكثيراً ما يختلط الأمر على العاملين في وسائل الإعلام ، فيأخذون بالاستعمال الأول للدلالة على الثاني .

أما كلمة : (حيث) التي يقع لبس في فهم معناها ووظيفتها ، فهي ظرف يضاف إلى جملة مكانية . تقول : أجلس حيث أجد الراحة . لابد أن نقاتل عدونا حيث نجده . ولكن بعضهم يتخذ من (حيث) أداة ربط بين الجمل ، فيقول : اجتمع الوفدان لمناقشة القضية حيث عرضا وجهتي نظرهما ، والخطأ في هذا الاستعمال هو أن الجملة التي تلي حيث لا تدل على المكان ، والأفضل أن تضع بدلا منها أحد حروف العطف مثل : ثم ، قد ، و ..

وهناك تركيب (مِنْ قِبَلْ) الذي يدخل الجمل دون استئذان ، على الرغم من خطئه فيقولون : دونت الملاحظات من قِبَل اللجنة . هل في استعمال (مِنْ قِبَل) أي ضرورة في هذا السياق ؟ ألا يمكن القول : دونت اللجنة الملاحظات .

أما عن الخلط بين حرفي الجر (إلى) و (ل) فهو كثير ، فلكل منهما معنى واستعمال ، أما المعنى فهو : أن (إلى) تعني انتهاء الغاية ، في حين تستعمل اللام للدلالة على الملكية والتخصيص ، ويتحدد استعمال كل منهما تبعا للمعنى الذي تدل عليه . تقول مثلا : سلمت الملف كاملا إلى العضو المنتدب ، وهذا خطأ وصوابه : سلمت الملف كاملاً للعضو المنتدب ، والسبب أن الملف سيوضع تحت تصرفه ، كأنه ملك من أملاكه ، ولم يكن الغرض سفر الملف من مكان كذا ابتداء إلى مكان كذا انتهاء .

وتقول : سافرت صباح الخميس الماضي للقاهرة ، وهذا خطأ أيضا والصواب قولك : سافرت صباح الخميس الماضي إلى القاهرة ، لأن حرف الجر (إلى) في هذه الجملة يحدد انتهاء غايتك من السفر . □

حُسْـن التفـرس

● **قال أبو سعيد الخراز : رأيت في الحرم رجلا فقيرا ، ليس عليه إلا ما يستر عورته ، فأنفت نفسي منه ، فتفرّس فيّ ، وقال : « واعلموا أن الله يعلم مافي أنفسكم فاحذروه » ، فندمت على ذلك ، واستغفرت في نفسي فقال : ﴿ وهـو الذي يقبـل التوبـة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾ .**

جمال العربية

□ صفحة شعر

□ هكذا غنى الآباء

المقصورة

للشاعر محمد مهدي الجواهري

ولد الجواهري في عام ١٩٠٠ على الأرجح ، وإن لم تتفق مصادر كثيرة على تاريخ محدد لولادته ، بل ويساعد الشاعر نفسه على التعمية عن ذلك التاريخ ، فيذكر أرقاما مختلفة ، فهو الآن في التسعين من عمره . وكانت ولادته في النجف ، وهي مدينة نبغ فيها كثير من الشعراء والأدباء ، ولا غرابة في ذلك ، فهي بيئة دينية أدبية معا .

صدر له في عام ١٩٢٨ أول ديوان شعر ، وهو يحمل عنوان : «ديوان بين الشعور والعاطفة»

أصدر ديوانه الثاني «ديوان الجواهري» في عام ١٩٣٥م ، وفي أواخر عام ١٩٣٦م أصدر جريدة «الانقلاب» بعد الانقلاب العسكري الذي قاده بكر صدقي ، لكن حكومة الانقلاب أوقفت الجريدة ، وزجته في السجن . بعد سقوط الانقلاب عادت جريدته لتحمل اسم : «الرأي العام» ، وأصدر جرائد أخرى كالثبات ، والدستور ، والأوقات البغدادية ، وغيرها ، وكثر اصطدامه بالسلطة ، وقد دأب على مغادرة العراق والعودة إليه كلما سمحت له الظروف بذلك . حضر عدداً غير قليل من مؤتمرات الشعر والأدب ، وكانت تربطه بالدكتور طه حسين علاقة ودية ، فقد دعاه لزيارة مصر أكثر من مرة .

أما قصيدته التي اخترنا عدداً من أبياتها فهي «المقصورة» ، وهي من عيون شعره ، نظمت عام ١٩٤٧ ، ونشرت أجزاء منها في معظم الصحف العراقية ، ونشرت كاملة في جريدة «الرأي العام» سنة ١٩٤٨م . يقال : إنها في الأصل تتألف من حوالي ٤٠٠ بيت ، لكن عدداً غير قليل من أبياتها فُقد . وفي الأبيات التالية - كما في غيرها - تتجلى شاعرية الجواهري الفذة ، تبدو اللغة طوع بنانه ، يختار من فصيحها وجزلها وعذبها ما شاء له الاختيار . والأبيات مثقلة بالعاطفة الصادقة وحب الوطن ، يتبدّى ذلك من السلام الذي يلقي به على كل مظهر من مظاهر الطبيعة ، وقد بدت لعينيه عرائس من فتون وتغنٍ .

سَلامٌ عَلى هَضَباتِ العِراق ... وَشَطّيهِ والجُرْفِ والمُنْحَنى
عَلى النَّخْلِ ذي السَّعَفاتِ الطِّوالِ ... عَلى سَيِّدِ الشَّجَرِ المُقْتَنى
عَلى الرُّطَبِ الغَضِّ إذ يُجْتَلى ... كَوَشْيِ العَرُوسِ وَإذْ يُجْتَنى (١)
بِإيسارِهِ يَوْمَ أعْذاقُهُ ... تَرِفُّ ، وبالعُسْرِ عِنْدَ القِنى (٢)

وبـالـسَّعْفِ والكَـرَبِ المُسْتَجِـ . . .   . . . ـدِّ ثوباً «تَهَـرّا» وَثَـوْباً نَضَـا
وَدِجْـلَـةَ إذْ فَـارَ آذِيُّـهَـا   كَمَـا حُـمَّ ذُو حَـرَدٍ فَـاغْتَلـى (٣)
وَدِجْـلَةَ تَمْـشِـي عَـلَـى هَـوْنِهَا   وَتَمْـشِـي رُخاءً عَلَيْـهَا الصَّـبَا (٤)
وَدِجْـلَـةَ زَهْـوِ الصـبـايـا المِـلاَحِ   تَخَوَّضُ مِـنْهَـا بمَـاءٍ صَرَى (٥)
تُـرِيكَ الـعِـراقيَّ في الحَـالَـتَـيْـ   ـنِ يُسْرِفُ في شُحِّهِ والنَّـدَى
سَلاَمٌ عَـلَـى قَـمَرٍ فَـوْقَـهَـا   عَـلَيْـهَا هَـفَـا وإلَـيْـهَا رَنَا (٦)
تُـدَغْـدِغُ أَضْـوَاؤُهُ صَـدْرَهَا   وَتَمْـسَـحُ طَـيَّـاتِهَا والـثِّـنَى (٧)
كأن يَداً طَرَّزَتْ فَـوْقَـهَـا   مِـنَ الحُسْنِ مَوْشِيةً تُجْتَلى (٨)
رُوَاءُ الـنَّـمِـيـرِ لَهَـا لُحْـمَـةٌ   وَذَوْبُ الـشُّـعَاعِ عَـلَيْـهَا سَدَى
وَنَـجْمٌ تَـغَـوَّرَ مِـنْ حُـبِّـهَـا   وَنَـجْمٌ عَـلَيْـهَا ادَّنى فَـادَّلى
عَـلَى الجِسْرِ مَاانْفَكَّ مِنَ جَانِبَيْـهِ   يُتِيحُ الهَوَى مِنْ عُيُونِ المَهَا (٩)
فَـيَـا لَيْـتَـهُـنَّ الـذي يَـعْـتَدِي   ويـالـيـتَـكَ الـرّجـلُ المُـعْـتَـدى
وَيـا لَـيْتَ بَـلْواكَ قُبُّ الصُّـدورِ   ولُعْسُ الشّفَاهِ وَبِيضُ الطُّلَى (١٠)
وَيَـا لَـيْتَ أنَّـكَ لا تَـشْـتَـكِـي   ظَماءَكَ إلا لِهَـذا اللَّمَى
وَلَيْتَ بِهِـنَّ وَلاَ غَيْـرِهِـنَّ   تَنَقَّلُ في غَضَبٍ أوْ رِضَا
بِهِنَّ وَلاَ بِغِلاظِ الرِّقَابِ   قِبَاحِ الوُجُوهِ خِبَاثِ الكُشَى
سَجَا اللّيلُ إلا حَمَاماً أَجَدَّ   هَدِيلاً وتَرْجِيعَ كَلْبٍ عَوَى (١١)
وَجُنْدُبَةً طَارَحَتْ جُنْدُباً   وَبُوماً زَقَا وَسَحِيلاً ثَغَا (١٢)
وَدِيكاً يُؤَذِّنُ في جَمْعِهِمْ   بِأنْ قَدْ مَضَى اللّيلُ إلا إنَى (١٣)
وَدَوَّى قِطَارٌ فَرَدَّ الحَيَا   ةَ عَفْواً إلى عالَمٍ يُنْبَتَى
وَمَا بَرِحَ القَمَرُ المُسْتَدِيـ   ـرُ يَسْبَحُ في فَلَكٍ مِنْ سَنَا
تَلُوذُ النُّجُومُ بِأذْيَالِهِ   هَفَتْ إذْ هَفَا وَدَنَتْ إذْ دَنَا
إلى أنْ تَضَوَّرَ غُولُ الصَّبَاحِ   وَدَبَّ الهُزَالُ بِهِ فَانْضَوَى

---

(١) جلا الفضة : صقلها ولمعها ، وجلوة العروس : تحسينها وتجميلها . (٢) أي سلام عليه في حالة ايساره باعذاقه الرافة وفي حالة اعساره إذ قنواته متعثلكة يابسة . (٣) آذى البحر أو النهر : ماؤه الكثير «المواضع العميقة» . ذو حرد : صاحب ثأر . يشبه دجلة في تدفق مياهها الفوارة بصاحب ثأر يغلي غضباً . (٤) الصبا : ريح الصبا . (٥) ماء صرى : وشل بقية الماء . (٦) يسلم على القمر وهو يرنو إلى دجلة . (٧) الثنى بالكسر : جمع ثنية وهي الطية (٨) ريح الصبا تحدث أمواجاً صغيرة ، والقمر يرسل بضوئه الجميل فيحدث منظراً رائعاً ، كأن يداً طرزته . (٩) يشير بهذا إلى بيت علي بن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر   جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

(١٠) قب الصدور : مرتفعات الصدور . والواحدة قباء ، وأقب للمذكر . لعس الشفاه : حمرة الشفاة المائلة إلى السمرة . والطلى : الرقاب ، والواحدة طلية . (١١) سجا الليل : خيم وهدأ . (١٢) الجندب : الصرصر . وسحيل : الثعلب . (١٣) اني : بقية قليلة .

إجازة

قصة من تأليف : بولسواف بروس[١]
ترجمها عن البولندية :
الدكتور محمد هناء متولي[٢]

مساء كالعادة حضر إليّ رفيق الدراسة ، كنا نسكن معا في القرية ، يبعد بيت كل منا عن الآخر بضعة كيلومترات . كنا نتقابل يوميا على وجه التقريب . كان شابا أشقر أنيقا ، لعينيه الساحرتين المريحتين جاذبية ، يمكن أن تسحر قلب كل امرأة ، أما ما كان يجذبني إليه فهو هدوؤه الساكن ، وتفكيره الواعي المتريث .

في هذا اليوم لاحظت أن شيئا ما يثير نفسه ، ينظر إلى الأرض ، وفي إيقاع ساخن يربت بسوط حصانه على ركبتيه في دقات رتيبة . لم أعط لنفسي الحق في أن أسأله عن سبب هذا المشكل الذي وقع فيه ، لكنه بدأ يحدثني :

قال : أتعرف أنه قد حدثت لي اليوم حادثة غريبة ؟

شعرت بالدهشة ، فقد كان شيئا من رابع المستحيلات أن يستثير رجلا مثله أي حادث ، حتى لو كان مجرد حادث غبي ، أو يفقده صوابه على هذا النحو الذي أراه فيه .

استطرد قائلا : في قريتنا شب حريق ، احترقت دار من دور القرية .

قاطعته قاصداً لأوقف ذلك الطابع الساخر الحزين الذي انطبع به صوته : ربما تكون قد قفزت الى النار .

حرك كتفيه ، وأظن أنه قد احمر وجهه قليلاً ، ربما يكون السبب في هذا أشعة الشمس المتساقطة على وجهه وقال :

احترقت أكوام القش التي تغطي سقف الدار .

واستمر في حديثه بعد لحظة صمت : وبعد دقائق احترق السقف بكامله ، كنت آنئذ أقرأ فصلا شيقا للكاتب « ساي » بينما ظهرت سحب الدخان الأسود ومن ورائها رذاذ النار المتناثرة ، تستطير من ثقوب المدخنة . سيطر الشوق على نفسي لمعرفة ما يحدث ، خرجت إلى مكان الحريق في الحال ، كان الناس يبذلون جهدهم من أجل إطفاء الحريق ، قابلت عدة أشخاص منهم : امرأتان تقومان بالعويل على الشقاء الذي حل ، أما زوجة عازف « أرغن » الكنيسة ،فكانت

---

١ ـ المؤلف في سطور :

بولسواف بروس BOLESŁAW PRUS (١٨٤٧ ـ ١٩١٢) . اسمه الحقيقي « الكسندر جوافتسكي » ، روائي وكاتب قصة قصيرة ، لعب دوراً مهما في تحديث الرواية البولندية في بداية القرن العشرين . إنه مبدع تيار الواقعية النقدية الأقرب إلى الإتجاه النفعي في الأدب البولندي المعاصر . من أهم أعماله الروائية : « الأوتاد » ، و « المتسيدات » ، و « الدمى » ، وروايته التاريخية السياسية « فرعون » .

٢ ـ كاتب من جمهورية مصر العربية .



تمسك في قبضتي يديها بقوة لوحة القديس فلوريان* تواجه بها النيران المشتعلة ، لكي يساعدهم ببركته على إطفائها على الفور ، بينما شاهدت فلاحاً آخر كان ينظر طويلاً إلى الذي يحدث أمامه ، وفي يده دلو فارغ من الماء . سمعت من الفلاحين أن أبواب الدار موصدة بإحكام ، فصاحبها وزوجته قد ذهبا إلى الحقل .

بعد بضعة دقائق أصبح السقف أنقاضا ، أما الدخان فقد ملأ عيون الحاضرين ، والنيران بدأت بسرعة في تقلية الطقس من حولنا ، ولخوفي من أن يحترق « الجاكيت » انسحبت عدة خطوات إلى الوراء . هرول أناس أكثر فأكثر وبأيديهم هراواتهم ومعاولهم : بعضهم يقلب سور الدار الخشبي الذي لم يزعج أحداً رأسا على عقب ، ولم يتسبب في تزايد الاشتعال ، أما بعضهم الآخر فيسكب المياه من الدلاء بطريقة لا تلمس النيران ولا تقترب منها ، بل تغرق المتجمهرين بها ، ناهيك عن أنهم تسببوا في وقوع امرأة فوق الأرض . لم أفصح عن ما بداخلي ، ولم أسر بملاحظاتي معلقا على الذي يدور حولي ، مرتئيا أنه ما دام الحريق لم يصل إلى الجانب الآخر من البناء فكل شيء على ما يرام ، أما الدار فلم يكن ثمة ما يمنع احتراقها . صرخ فجأة شخص ما : « هناك في الداخل طفل ، إنه « ستاشيك » الصغير » . سأل شخص صارخا : « أين ؟ » ورد عليه : « في داخل الدار ، ينام تحت النافذة في سريره الخشبي ، فليكسر واحد منكم زجاج النافذة ويأخذه حيا . . »

ومع ذلك لم يتحرك أحد ، وغرقت أكوام القش فوق السقف في النيران ، أما الحواجز الخشبية المحيطة بهذه الأكوام ، فقد أغلقت وتكسرت كما تتلوى الأسلاك المعدنية عندما تحترق .

اعترف لك حينما سمعت ذلك ، اهتز قلبي بشدة .

« إذن لن يذهب أحد لإنقاذه ؟ سأذهب أنا لإنقاذ الطفل ، تكفي دقائق ثلاث ، وربما أقل . وفكرت قليلا متريثا : ولكن هناك حرارة كالجحيم . »

صاحت النسوة : فليتحرك واحد منكم يا ناس . وصرخت امرأة : أنتم يا أولاد السفاح ، أنتم لا تستحقون أن يطلق عليكم اسم رجال !

« فلتطيري أنت بمفردك الى النيران » . غمغم واحد من الجمع الغفير : « أنت أيتها الحكيمة العاقلة ، هناك الموت ، والطفل ضعيف كالفرخ ، من المؤكد أنه لن يعيش . »

فكرت في أعماق نفسي : شيء غريب ، لا يذهب أحد ، أما أنا فما أزال أتردد . بداخلي الرؤية المنطقية للتفكير في الأمور : ما الذي يدعني إلى مغامرة لا أمان فيها ؟ وهل أعرف أنا أين يوجد هذا الطفل على وجه التحديد ؟

صرخت امرأة من بعيد صرخة عالية ملتاعة : انقذوا الطفل !

صاح واحد من الناس المستغربين غير المصدقين : أمسكوها ، ستقفز إلى النيران .

* القديس فلوريان في تراث الدين المسيحي يمثل المُدافع عن الأكواخ والبيوت في مواجهة النيران

سمعت خلفي أصوات مشادة والصراخ نفسه : « اتركوني ! . . إنه طفلي ! » أجاب أحد الحاضرين : امسكها من وسطها حتى لا تفلت منك !

لم أستطع احتمال ما يحدث ، وتحركت إلى الأمام ، أحاطت بي النيران ، طوقني الدخان ، تكسر السقف ، ومن مدخنة الدار هرولت الأحجار النيرانية ، شعرت بأن شعر رأسي يحترق ، وانسحبت إلى مكاني ثانية غاضبا :

فكرت : يا لها من « رومانتيكية » متميعة ، من أجل حفنة من الرماد البشري ، أجعل نفسي خيال مآته ؟ ! يقينا سيقول الناس : إنني بثمن بخس أردت أن أصبح بطلاً !

دفعتني إلى الخلف فتاة شابة ، هرولت إلى داخل الدار التي تحترق . سمعت رنين زجاج ينكسر ، وحين جمعت ريح شتات سحب الدخان شاهدت الفتاة تنحني مائلة من خلال النافذة داخل الدار حتى أنني شاهدت قدميها غير المغسولتين .

صحت بها : « ما الذي تفعلينه يا مجنونة ؟ ! في الداخل جثة وليس طفل حيّ ! »

صاح عليها الجمع الغفير : « ياَ جْنَا ، ارجعي ، عودي ! » ودون توقع سقط السقف لتنطلق الرذاذات النيرانية إلى السماء ، لقد تلاشت الفتاة في الدخان ، أما أنا فقد طفرت الدموع من عيني .

صاح على الفتاة عويل الجمع الغفير :
يا جْنَا .
- انتظروا ، انتظروا .
أجابتهم الفتاة التي هرولت إلى ناحيتي من جديد .

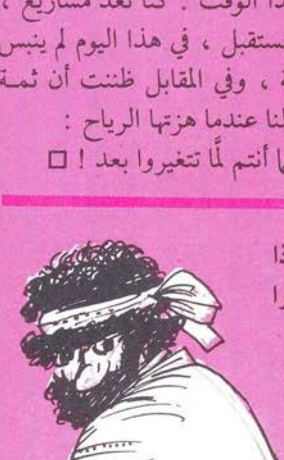
في جهد كبير أسرعت الفتاة بالخروج من الدار المحترقة مع الطفل الذي تحمله بين يديها ، حيث كان يصرخ عندما استيقظ من نومه صراخا أقرب إلى العويل منه إلى البكاء .

سألت صديقي الراوي : إذن كان الطفل حيا ؟ !
ـ في أتم صحة وعافية .
ـ والفتاة ، أهي أمه ، أخته ؟
أجاب : ليست لها أي صلة قرابة به ، إنها غريبة عنه ، ولا علاقة لها بالطفل على الإطلاق ، بل إنها تخدم في دار أخرى ، ولا يتعدى عمرها خمسة عشر عاما .
ـ ولم يحدث لها شيء ؟
ـ أضاف صديقي : احترق منديلها ، وقليل من شعر رأسها ، حينما أتيت إليك شاهدتها ثانية ، كانت تقشر البطاطا ، وتغني بصوت فيه « نشاز » . أردت أن أعبر لها عن تقديري لشجاعتها ، ولكن تبادر إلى ذهني فجأة حبها الصارخ واندفاع مشاعرها ، وعقلي المتريث وحكمتي المتأنية ، أمام هذا الشقاء الذي واجهناه معا ، لقد سيطر الخجل علي لدرجة أنه لم يكن لدي قدر من الشجاعة ، لأن أتكلم معها كلمة واحدة ، لقد أصبحنا على ما نحن عليه .

ظهرت في السماء النجوم ، واشتد عويل الرياح الباردة ، كان يسمع من نهير صغير صوت نقيق ضفادع ، وأصوات طيور مائية تعد نفسها للنوم .

وكالعادة في هذا الوقت : كنا نعد مشاريع ، ونرسم خططا للمستقبل ، في هذا اليوم لم ينبس أيٌ منا ببنت شفة ، وفي المقابل ظننت أن ثمة شجيرات تهمس لنا عندما هزتها الرياح :
ـ إنكم أنتم كما أنتم لمَّا تتغيروا بعد ! □

● سأل القاضي سارق المجوهرات وهو ماثل أمام المحكمة : لماذا سرقت الخاتم ؟ فأجاب السارق : سيدي القاضي ، لقد كان محفورا فوقه بحروف كبيرة : اغتنموا الفرصة البديعة ، فاغتنمتها .



وزارة الإعـــلام

الإعلام الخارجي

دوريات وزارة الإعلام

اسم الدورية		الوطن العربي		البلاد الأجنبية	
		قيمة الاشتراك السنوي			
		فلس	دينار	فلس	دينار
مجلة « العربي »	(شهرية)	٠٠٠	٦	٠٠٠	٨
كتاب العربي	(فصلي)	٥٠٠	٢	٠٠٠	٣
مجلة « العربي الصغير »	(شهرية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
مجلة « الكويت »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
سلسلة « من المسرح العالمي »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
مجلة « عالم الفكر »	(فصلية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »	(أسبوعية)	٠٠٠	١٧	٠٠٠	٢٠

تحول قيمة الاشتراكات في دوريات الوزارة المبينة أعلاه بالدينار الكويتي ، أو بما يعادله من العملات الأجنبية ، بموجب شيك مصرفي أو حوالة مصرفية ، باسم وزارة الاعلام ، ويرسل الشيك أو الحوالة مع اسم وعنوان المشترك والدورية التي يرغب الاشتراك فيها إلى :

الإعلام الخارجي ـ قسم التوزيع والاشتراكات
وزارة الاعلام ـ ص. ب ١٩٣ ـ الصفاة
الرمز البريدي ١٣٠٠٢ ـ الكويت

قسيمة الاشتراك

الاسم والعنوان : ....
....
....

أرغب الاشتراك في الدورية أو الدوريات المشار إليها أدناه ، وأرفق لكم طيه □ شيكا
□ حوالة مصرفية بمبلغ ....

□ مجلة « العربي » □ مجلة « الكويت » □ سلسلة « من المسرح العالمي »
□ مجلة « العربي الصغير » □ مجلة « عالم الفكر » □ الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »
□ كتاب العربي .

STATE OF KUWAIT

MINISTRY OF INFORMATION

PERIODICALS

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE				
NAME OF PERIODICAL	ARAB COUNTRIES		FOREIGN COUNTRIES	
	K.D	FILS	K.D	FILS
Al-Arabi Magazine (Monthly)	6	000	8	000
Al-Arabi Book (Quarterly)	2	500	3	000
Al-Arabi Al-Sagheer Magazine (Monthly)	5	000	6	000
Al-Kuuwait Magazine (Monthly)	4	000	5	000
Mena Al-Masrah Al-A'alami Series (Monthly)	4	000	5	000
A'alam Al-Fikr Magazine (Quarterly)	5	000	6	000
The Official Gazette (Kuwait Al-Youm) (Weekly)	17	000	20	000

The subscription fee to the above periodicals is payable in Kuwaiti Dinar, or equivalent thereof in foreign currency, by bank cheque/draft made out to the Ministry of Information. Fill in the subscription form below enclosed with the cheque/draft and send to :

— International Media-Subscription Section.

MINISTRY OF INFORMATION
P. O. Box : 193 Safat
Postal Code No. 13002 - KUWAIT

SUBSCRIPTION FORM

NAME : ....
ADDRESS : ....
COUNTRY :

I wish to subscribe to the periodical (s) ticked below and enclose herewith □ cheque □ Draft for ....

□ Al-Arabi Magazine □ Al-Arabi Book □ Al-Arabi Al-Sagheer Magazine □ Al-Kuwait Magazine □ Mena Al-Masrah Al-A'alami Series □ A'alam Al-Fikr Magazine □ The Official Gazette (Kuwait Al-Youm).

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر فى المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة .

والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذى سينشر فى العدد القادم .

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
■										١
			■				■			٢
					■					٣
				■				■		٤
	■						■			٥
			■	■						٦
					■					٧
		■				■			■	٨
	■									٩
										١٠

كلمات أفقية

(١) شاعر وفيلسوف عربي عرف برهين المحبسين .

(٢) حب يصنع منه مشروب شعبي ، من المُكَسّرات ، حرف مكرّر .

(٣) خفقان القلب ، « شاوَرَه » معكوسة .

(٤) احتباس المطر ، قَدِما .

(٥) تجدها في « ويل » ، الاسم الأول لأشعر شاعرات العرب .

(٦) أهل ، ثقافة وذوق .

(٧) تَعيس متفرّقة ، يتملكه ميل إلى النوم .

(٨) تجدها في « راض » ، دَفَن ، بئر .

(٩) شاعر أندلسي فحل .

(١٠) فارس جاهلي من شعراء المعلّقات ينقص اسمه الأول حرف .

كلمات عمودية

(١) شاعر من شعراء المجون ، تجدها في زاع .

(٢) مخدّر يستخدم للأغراض الطبيّة ، يُقْبِلْن .

(٣) تجدها في ريق ، ساعَدَت .

(٤) شاعر من بني طيِّيء اشتهر بوصف الطبيعة والعمران ، زر .

(٥) حرف امتناع لامتناع ، مِنطَبّ متفرّقة ، عطر .

(٦) امرأة اقترن اسمها باسم شاعر عذري ، نُحَضِر .

(٧) أرض مُخْضَرّة بأنواع النبات ، جَمْع عرش .

(٨) أمير شاعر عاصر المتنبي وسيف الدولة ، مَثيل .

(٩) فني + حرف ، غير هازِل معكوسة .

(١٠) شاعر أعمى اشتهر بالهجاء الذي أوْرده حتفه .

● حل مسابقة العدد الماضي فبراير ١٩٩٠م

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
■	ن	ف	و	ه	ت	ي	ب	■	ز	١
ط	خ	■	ل	ا	ش	■	ر	ك	ر	٢
ب	■	ش	ا	ل	ا	ب	ا	■	ي	٣
و	ف	و	■	ه	ي	ل	ع	ش	ا	٤
ل	ا	ب	ح	■	ك	■	م	و	ب	٥
■	ت	ر	ا	ز	و	م	■	ب	■	٦
ي	ر	ت	و	■	ف	■	خ	ا	ب	٧
م	ه	■	ن	و	س	ل	د	ن	م	٨
ي	■	س	ر	و	ك	أ	ا	■	ر	٩
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	■	[illegible]	■	[illegible]	[illegible]	[illegible]	١٠

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٧٦

مارس ١٩٩٠م

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الإجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الصفاة . الرمز البريدي 13008 - الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٧٦ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات إلينا هو ١٥ ابريل ١٩٩٠م . والرجاء كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي واضحين - ورقم الهاتف إن وجد .

ارفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٧٦

١

تعرضت سان فرانسيسكو لزلزال مدمر في ١٧/ ١٠/ ١٩٨٩ .. ترى كم استغرق هذا الزلزال ؟

× ١٥ ثانية .
× ٣٠ ثانية .
× ٤٥ ثانية .

٢

الزلزال الذي تعرضت له سان فرانسيسكو في شهر اكتوبر سنة ١٩٨٩ ، لم يكن الزلزال الأول الذي تعرضت له تلك المدينة ، فقد تعرضت عروس المحيط الهادي إلى زلزال آخر في مطلع القرن العشرين سنة ١٩٠٦ بالتحديد .. ترى أي الزلزالين الأقوى بمقياس ريختر ؟ وأيهما الأكثر ضحايا والأكثر دماراً ؟

× زلزال ١٩٠٦ هو الأقوى والأكثر ضحايا والأكثر دماراً .
× زلزال ١٩٠٦ هو الأكثر ضحايا والاكثر دماراً ، ولكن زلزال ١٩٨٩ هو الأقوى بمقياس ريختر .
× زلزال ١٩٨٩ هو الأقوى والأكثر ضحايا والأكثر دماراً .

٣

يذكر التاريخ ثلاثة زلازل كبرى هي زلزال لشبونة سنة ١٧٥٥ ، وزلزال طوكيو سنة ١٩٢٣ ، وزلزال الصين سنة ١٩٧٦ .

ويتميز أحد هذه الزلازل بأنه الأقوى بمقياس ريختر ، ويتميز الثاني بأنه الأكثر دماراً ، أما الثالث فيتميز بأنه الأكثر ضحايا .. المطلوب تحديد ماتميز به كل من الزلازل الثلاثة ؟

٤

اشتهرت سان فرانسيسكو بناطحات السحاب التي قد لاتقل ضخامة ولا ارتفاعا عن نظيراتها في نيويورك .

٥ تـرى كم عدد نـاطحات السحـاب التي دمرها زلـزال سان فـرانسيسكو الأخـير اكتوبر ١٩٨٩ ؟
× دمر خمس ناطحات تدميراً كليا و ١٥ ناطحة تدميراً جزئياً .
× دمر عشر ناطحات تدميراً كليـاً و ٣٠ ناطحة تدميراً جزئياً .
× لم يـدمر أيـا من ناطحـات السحـاب لاجزئياً ولا كلياً .

٥ يتردد ذكر مقياس ريختر في الحديث عن الـزلازل ، ولا غرابـة في ذلـك ، فهـو المقياس الذي يحدد قوة الـزلزال . وقـد سمى بهذا الاسم نسبة إلى مبتكره « شارلز فرنسيس ريختر » عالم الجيولوجيا . . ترى ما جنسية هذا العالم ؟
× أمريكي
× ألماني
× سويدي

٦ لِمَ تكـثر الزلازل في كـاليفورنيـا وفي غيرها من شـواطيء أمريكـا الغربيـة ، وتكثر أيضا في اليابان وعلى شواطيء آسيا الشرقية ، ولا تكثر في انكلترا وفرنسا ولا حتى في نيـويـورك وشـواطيء أمـريكـا الشرقية ؟
× نظراً للمناطق الزلزالية التي تقع فيهـا كاليفورنيا .
× انكلتـرا قريبـة من القـطب الشمـالي وبعيدة عن خط الاستواء .

٧ هـل الـزلازل وقـف عـلى المنـاطـق الزلزالية . . أم أنها قد تحدث في مناطق أخرى غير مناطق الزلازل ؟
× طبعا لا وجود للزلازل إلا في المناطق الزلزالية .
× الـزلازل ليست وقفا عـلى المناطق الزلزالية ، وقد تحدث في مناطق أخـرى غيرها

٨ تسجل الأجهزة الـدقيقة كـل الهزات والزلازل التي تضرب العالم ، وأكثر هذه الهزات ضعيفة ولا نحس بها ، ترى كم عدد الهزات الضعيفة (٢ ـ ٩ر٢ بمقياس ريخـتر) التي تضرب العـالم سنويـا وفق تسجيل تلك الأجهزة ؟
× ٣٠٠٠ هزة
× ٠٠٠ر٣٠ هزة
× ٠٠٠ر٣٠٠ هزة

٩ مقيـاس مر كـالي مقيـاس آخـر غـير مقياس ريختر خاص بالزلازل ، فما الذي يحدده مقياس مر كالي هذا ؟
× يحدد مقياس مر كالي مقدار ما أحدثه الزلزال من دمار .
× يحدد مقياس مر كالي قوة الزلزال ، تماما كمقياس ريختر فهو إذن بحكم البديل
× يحدد المقياس مكان الزلزال وزمانه .

١٠ الزلازل ليست وقفا عـلى اليابسـة ، فهي تضرب قيعان البحار والمحيطات ، كما تضرب اليابسة . . ترى أي الظواهر التالية تسببها الزلازل البحرية .
× العواصف البرقية والرعدية .
× فيضان الأنهر التي تصب بالقـرب من مواقع الزلازل البحرية .
× أمـواج البحـر العـاتيـة العمـلاقـة (التسونامي) .

١١ يسعى العلماء إلى التنبؤ بـالـزلازل ، وتحديد مكان وقوعها وزمانها على نحو من الدقة يضمن الوقاية من كوارثها . . ترى هل نجحوا في مسعاهم هذا ؟

حل مسابقة العدد ٣٧٣

ديسمبر ١٩٨٩

١ تعد مخطوطة « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » للإدريسي من أثمن المخطوطات العربية وأشهرها التي تحتفظ بها المكتبة الوطنية في صوفيا . ونذكر من تلك المخطوطات أيضاً « فضائل الشام » للفزاري ، و « الخلفاء » للسيوطي ، ومخطوطة « المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار » للمقريزي .

٢ الصورتان لبلد واحد هو « غدامس » في الجماهيرية العربية الليبية ، وتمثل إحدى الصورتين غدامس الحديثة ، بينما تمثل الأخرى غدامس القديمة ، ولا يخفى أن اسم غدامس تحريف لعبارة : (تغدوا فيه أمس) .

٣ هذه هي حارة « درب قرمز » ، حارة الروائي العربي الكبير نجيب محفوظ ، وقد ولد في بيت يقع على رأسها .

٤ يزيد عدد المسلمين في بريطانيا على مليوني نسمة ، ومدينة برمنجهام هي التي يبلغ عدد المسلمين فيها (١٠٠ ـ ١٥٠ ألف نسمة) نصف هذا العدد تقريباً في مدينة برادفورد (٦٠ ـ ٨٠ ألف نسمة) .

٥ تنمو هذه الشجرة في جزيرة سوقطرة ، حيث تعرف باسم (دم الأخوين) أو (Dragon's blood)، أو إن شئت الاسم العلمي (Dracaena cinnabari) . وهي تنمو في المرتفعات في الغالب ، وتبلغ من الارتفاع نحو (٣) أمتار أو أكثر . وتفرز الشجرة من جذعها وفروعها المادة التي تسمى « دم الأخوين » بالتحديد ، وهي عبارة عن راتنج أحمر ، يستعمل في معالجة المغص .

٦ هذه هي مياه حمامات (ماعين) في المملكة الأردنية الهاشمية ، وهي مياه كبريتية معدنية حارة (٥٥ ـ ٦٠ درجة مئوية) ، وتنحدر من قمة جبل بازلتي ، يقع على مسافة ٣٧ كيلومتراً من مأدبا . وقد اشتهرت حمامات (ماعين) بمنافعها الصحية ، وأصبحت من أشهر المنتجعات المعدنية في الشرق الأوسط .

٧ العقاب هو أقوى الطيور وأشجعها ، وهو يتغذى على الحيوانات التي ينقض عليها من أعالي الجو ، أما النسر فهو طائر مسالم ، لا يهاجم الحيوانات أو الطيور الأخرى ، بل يقنع بالجثث الميتة ، فهو من آكلات الجيف .

٨ تمثل الصورتان مدينة « أغادير » : أغادير القديمة (في الصورة العليا) ، وأغادير الحديثة (في الصورة السفلى) ، وقد أنشئت أغادير الحديثة على مكان غير بعيد عن أغادير القديمة ، وذلك بعد أن ضرب المدينة القديمة زلزال مدمر في فبراير ١٩٦٠م ، فأصبحت أثراً بعد عين .





٩ شركة البترول الكويتية العالمية (K.P.I.) هي التي اختارت الرمز (Q 8) اسماً تجارياً لها ، وقد أنشئت الشركة سنة ١٩٨٣م ، واتخذت مقراً لها في لندن ، ومضت في شراء ممتلكات شركة (جالف أويل) ، ومحطات شركة (B. P) ، حتى أصبحت تملك ٥٠٠٠ محطة بنزين منتشرة في شتى بلدان غرب أوربا وشمالها ، كالمحطة التي ترى في الصورة .

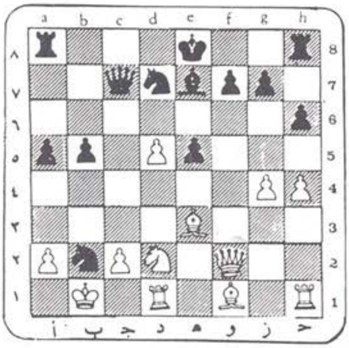
١٠ يبلغ عدد الأبقار والأغنام في جمهورية مالي أربعة ملايين ونصف مليون ، وحوالي عشرة ملايين على التوالي ، أما الجمال فلا يقل عددها عن (٣٠٠,٠٠٠) جمل . □

الفائزون في مسابقة العدد ٣٧٣ ديسمبر ١٩٨٩

الجائزة الأولى : بلقاسم برهومي/الجمهورية التونسية
الجائزة الثانية : شريفة حسين معرفي/دولة الكويت
الجائزة الثالثة : علي فضل أحمد ناصر/جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ محمد اعماروش/المملكة المغربية
٢ ـ سيف بن عامر بن سيف الجهضمي/سلطنة عمان
٣ ـ غسان حلواني/الجمهورية العربية السورية
٤ ـ منى يحيى شريف/الجمهورية اللبنانية
٥ ـ يعقوب علي النعيمي /رسكوف/ الدانمارك
٦ ـ محمد أحمد علي/جمهورية مصر العربية
٧ ـ رفيعة عبد الشهيد حسن/الجمهورية العراقية
٨ ـ أحمد عثمان علي/جمهورية السودان الديمقراطية الشعبية





معركة بلا سلاح

يحتل الاتحاد السوفيتي المرتبة الأولى في العالم ، في لعبة الشطرنج ، ويليه في ذلك بريطانيا ثم أمريكا ، غير أن المُتَتَبِّع للأحداث الشطرنجية الدولية يلاحظ أن مكانة بريطانيا حاليا ، في مباريات الشباب الأوربية والدولية ، لمن هم دون سن العشرين ، آخذة بالتراجع بشكل ملحوظ ، بعد أن كان اللاعبون البريطانيون الشباب يتربعون على عرش هذه المباريات ، طوال عقد السبعينيات تقريبا .

وقد أدى اهتمام السوفييت المتزايد بإعداد الناشئة إلى تغيير الصورة تغييرا تاما ، فمنذ ذلك الحين أصبح اللاعبون السوفييت الشباب هم الذين يحتلون المراكز الأولى ، في مباريات الشباب الأوربية والدولية ، في حين أصبح اللاعبون البريطانيون الشباب يحتلون المراكز المتأخرة . وقد تَجَلَّت مقدرة اللاعبين السوفييت بشكل واضح في بطولة العالم للشباب ، قبل الأخيرة ، المقامة في اديلايد ، في جنوب استراليا ، حيث احتل أربعة من اللاعبين الشباب الصدارة ، بينهم ثلاثة من السوفييت ، وواحد فرنسي يدعى « لوتير » .

وفي بطولة العالم للشباب لعام ١٩٨٨ ، المنعقدة في آرنهم الهولندية ، احتل البريطاني مايكل آدامز المرتبة الثالثة ، وحصل السوفيتيان دريف وجلفاند على الميداليتين الذهبية والفضية ، برصيد قدره ١٠,٥ من ١٣ نقطة ، في حين لم يسجل اللاعب البريطاني سوى ٥٠٪ من النقاط . وقد خسر آدامز أمام دريف في ١٧ نقلة ، وأمام جلفاند ، كما سنرى في الدور المثير التالي من الدفاع الصقلي في ٢٩ نقلة .

□ مايكل آدامز	■ بوريس جلفاند
١ ـ هـ ٤	جـ ٥
٢ ـ ح ـ و٣	د ٦
٣ ـ د ٤	جـ×د٤
٤ ـ ح×د٤	ح ـ و٦
٥ ـ ح ـ جـ٣	أ ٦

● مسألة العَدَد ٣٧٦



مـات ٣

إهداء من القارىء أحمد الابراهيم (الرقة)

٦ ـ ف - هـ٣	هـ ٥
٧ ـ ح - ب٣	ف - هـ٦
٨ ـ و - د٢	ح(١) - د٧
٩ ـ و ٣	ف - هـ٧

لو بيّت الأسود لهاجمه الأبيض ببيادق جناح الملك وفـاز

١٠ ـ ز ٤	حـ ٦
١١ ـ حـ ٤	ب ٥
١٢ ـ ت ت (طويل)	ح ـ ب٦
١٣ ـ و - و٢	ح(٦و) - د٧
١٤ ـ م - ب١	و - جـ٧
١٥ ـ ح - د٥	ف×د٥
١٦ ـ هـ×د٥	ح - جـ٤
١٧ ـ و ٤ ؟	أ ٥
(ح - د٢ أفضل)	
١٨ ـ و×هـ٥	د×هـ٥

١٩ ـ ح - د٢	ح×ب٢ !
	(الشكل)

حاسمة ! لو أخذ لكشّه بالفيل ثم الوزير

٢٠ ـ ف - د٣ مضحيا بالفرق ح×د٣

٢١ ـ جـ×د٣	ح - و٦
٢٢ ـ ح ـ هـ٤	ح×د٥
٢٣ ـ ر (حـ) - ز١	ب ٤
٢٤ ـ ر (ج) ـ و١	ف×حـ٤
٢٥ ـ و - و٣	ح×هـ٣
٢٦ ـ و×هـ٣	ب ٣
٢٧ ـ أ×ب٣	ر - ب١
٢٨ ـ د ٤	ت (قصير)
٢٩ ـ ز ٥	حـ×ز٥

يستسلم متوقعا و - جـ ٤ أو أ ٤

□□□

الفائزون في مسابقة الشطرنج العدد رقم ٣٧٣ ديسمبر ١٩٨٩

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ **عصام أحمد الغزّاوي** ـ دمياط / ج.م.ع

٢ ـ **محمد مبروك عبد الله** ـ مسقط / عمان

٣ ـ **سهير عبد الرزاق عبد الغَفّار** ـ المنامة / البحرين

٤ ـ **عبد الوهاب هنداوي** ـ أدلب / سوريا

٥ ـ **جيهان عبدال سقْيان** ـ نينوى / العراق

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ **سعدي أسعد جبر** ـ عمان / الأردن

٢ ـ **الفقيه بن صالح** ـ لكرام سعيد / المغرب

٣ ـ **رواء محمد حسني** ـ الفروانية / الكويت

٤ ـ **عبد الله محمد بخيت** ـ رفحاء / السعودية

٥ ـ **خالد حسن علي** ـ عدن / اليمن الديمقراطي

حل مسألة العدد رقم ٣٧٤ ـ ينـاير ١٩٩٠م

١ ـ و - و ٣	م - ز ١
٢ ـ و - هـ ٣ +	م - حـ ١

ويظل الوزير يتنقل بين الأبيض والأسود إلى أن يصل إلى أ ٨ فيكش مات في أ ١

حوار القراء

العربي ـ ص.ب : ٧٤٨ الصفاة ـ الرمز البريدي : 13008 الكويت

صور حية



الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

تحية طيبة وبعد ،

● أنا أحد قراء مجلة « العربي » الغالية على قلبي ، وعلى قلوب العرب جميعاً ، مجلة كل القراء العرب والمثقفين ، نبع الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة التي تشهد صفحاتها أجمل ما يسطره المفكرون العرب في جميع المجالات ، وعلى الأخص حديث الشهر ، واستطلاعات « العربي » لدول العالم .

في العدد رقم ٣٧١ أكتوبر ١٩٨٩ نال إعجابي حديثكم الشهري « إزالة الحواجز أو خفض ارتفاعها » ، حيث إن العرض موضوعي مختصر لما يحدث من تغيرات وتجديد وإعادة بناء في الدول الاشتراكية ، وقد تفضل الدكتور رئيس التحرير مشكوراً ، فأعطى صورة حية للقراء العرب عما يدور داخل الدول الاشتراكية ، وهذا العرض الموضوعي يختلف عما تنشره الصحافة الغربية والعربية ، ففيه بعد في التحليل ، وعرض شامل للظروف التي ساعدت على حدوث هذه التغيرات .

نحن سعداء بهذا التوجه الصريح الصادق في تناول القضايا التي يواجهها هذا العالم ، عبر صفحات مجلتنا الغراء « العربي » ، متمنياً لها مزيدا من التقدم والنجاح في مسيرتها الطويلة .

القارىء : عبد الرزاق غدرون

قرية الدار الكبيرة ـ حمص ـ سوريا

□□□

حول السلوك الاجتماعي

● تعقيباً على مقال الدكتور علي الوردي ، وعنوانه « الأنوية » ، المنشور في عدد رقم ٣٧٠ سبتمبر ١٩٨٩ الذي تفضل فيه الدكتور شارحاً ما يسمى النزعة الاجتماعية ، وكيف أنها مكتسبة متعلمة وليست نظرية ، ولقد تحدث بعد ذلك عن الأطفال الذين ينشأون بين الحيوانات ، والذين لديهم أدنى درجة من النزعة الاجتماعية للحياة بين البشر . وليسمح لي د . الوردي بأن أضيف مثالين إلى ما أشار إليه ، لم يأت على ذكرهما ، الأول طفل أفيرون ، والثاني الطفلتان الذئبتان .

طفل أفيرون يبلغ من العمر الحادية عشرة ، عثر عليه في غابات فرنسا متسلقاً الأشجار ، عاري الجسد ، طويل الشعر ، يمشي على أربع ، والطريف أنه كان



متسيّداً مجتمع القرود ، وذلك لأنه كان أقواها . انتزع الطفل من الغابات ، وخضع لبرنامج تدريب تحت إشراف الدكتور (ايتادر) مدة خمس سنوات ، وذلك لتدريبه حسياً على الكلام والمشي على الرجلين ، واستعمال الملعقة لتناول الطعام ، والتعبير عن نفسه . وبعد انتهاء فترة البرنامج أعلن الدكتور فشله الذريع ، فلم يتعلم الطفل شيئا أكثر من بضع كلمات .

أما الطفلتان الذئبتان ، فقد وجدتا في غابات الهند الشرقية ، وكانتا عاريتين ، تمشيان على أربع ، وقد اكتسبتا سلوك المجتمع الذئبي ، فكانتا زائغتي النظر ، والشعر يغطي بعض جسميهما ، وتأكلان اللحوم افتراساً . وعندما خضعتا لبرنامج علاجي وتدريبي لتحسين أدائهما السلوكي ، ماتتا على الفور .

وعليه فإنني أقول : إن السلوك الاجتماعي البشري سلوك تعلم مكتسب .

القارىء : حسني مصطفى شعبان

امبابة ـ الجيزة ـ جمهورية مصر العربية

□□□

العرب ودورهم في نشر العلوم

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

تحية طيبة وبعد ،

● أود أن أعرب في أول الرسالة عن إعجابي الشديد بمجلتنا العربية الأولى ، فأهنىء نفسي وأهنئكم على النجاح الذي وصلت إليه .

لقد اطلعت على العدد ٣٧١ أكتوبر ١٩٨٩ ، وقد قرأت فيه معلومة بعنوان (هل اخترع العرب قلم الحبر ؟) ، وفكرت في التساؤلات التي ستحدث لدى القارىء العربي أو الأجنبي ، حول هذا الاختراع ، ومن الذي اخترعه ، العرب أو العجم ، والدليل كما ذكر في العدد الكتاب المخطوط (المجالس والمسامرات) . وقد اقتبس العلماء الأجانب عن العرب كثيراً من المخترعات والمكتشفات والمعلومات . وبدلاً من أن يشكروا للعرب فضلهم ، ويقدروا جهدهم فعلوا العكس تماماً ، إذ نسبوا هذه المعلومات والمخترعات لأنفسهم ، كما في اكتشاف الدورة الدموية التي اكتشفها ابن النفيس ، وغيرها من المكتشفات . فماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة أن زادت مهابة الغرب وعلا مجدهم في السماء في كل ذلك ، على حساب العلماء العرب ، وبالمقابل طوى النسيان العلماء العرب .

لذلك ، وبما أن مجلة « العربي » واسعة الانتشار ، ويقرؤها كثيرون من قوميات مختلفة متعددة فإنني أهيب بكم في المجلة العناية بنشر هذه المعلومات التي قد تصحح كثيراً من المعلومات الخاطئة وترد الحق إلى أصحابه .

القارىء : محمد العبدة

دمشق ـ سورية

حوار القراء

العربي

إن من أهداف « العربي » وسياستها بيان مجالات الإبداع لدى الإنسان العربي ، ونشر كل ما يحقق ذلك في المجلة ، بحيث يصبح حافزاً ورافداً للعلماء العرب في توسيع آفاقهم العلمية ، وموضحاً للحقائق والمنجزات العلمية .

□□□

دفاعاً عن العقل العربي

● قرأت مقال الدكتور محمود عبد الفضيل في عدد ٣٧٠ سبتمبر ١٩٨٩ الذي يتحدث فيه عن كتاب (اغتيال العقل العربي) للمؤلف د. برهان غليون . ولي ملاحظات على ما أورده د. عبد الفضيل الذي يعد الصحوة الإسلامية سبباً رئيساً لاغتيال العقل العربي ، وعدّ أن الجماعات الإسلامية في بعض الأقطار العربية التي اشتهرت بالتشدد واللجوء إلى العنف تمثل هذه الصحوة الإسلامية ، علماً بأن هذه الجماعات لا تشكل إلا نسبة ضئيلة من المفكرين الإسلاميين ، وأن الكثرة الغالبة من الإسلاميين تقف موقف المعارضة منها .

كما أننا لا نتفق معه في تفسير القول بأن الحاكمية لله ، وأنها تشمل الأصول والفروع ، فمن البديهي أن الأصول هي أركان الإسلام ، وأركان الإيمان ، والمحرمات المذكورة في القرآن الكريم ثابتة إلى آخر الزمان ، من صدقها وعمل بها فهو مسلم ، ومن أنكرها كان مرتداً أو كافراً ، وما عدا ذلك ففيه مخالفة . وربط ضياع العقل العربي بالصحوة الإسلامية خطأ جسيم .

لكنني أرى أن هناك سبباً جوهرياً لضياع العقل العربي ، لم يأتِ الكاتب على ذكره إلا سريعاً وبشكل عام ، وهو أشكال أنظمة الحكم في بعض أقطار الوطن العربي ، وتركيز وسائل الإعلام على إبراز الحاكم بأنه الملهم والمرجع الوحيد لكل القرارات السياسية وغيرها ، وعدّ مخالفته جريمة يعاقب عليها بالسجن أو بالنفي أو بالتصفية الجسدية ، وقد ألمح الكاتب د. عبد الفضيل إلى بعض ضحايا حرية الفكر في لبنان ، وتغاضى عن ذكر غيرهم من الضحايا في أقطار عربية عديدة .

د. عبد الله الأمين
الصالحية ـ دمشق ـ سورية

□□□

ربط الجامعة بالمجتمع

● إن ربط الجامعة بالمجتمع عملية تفرضها عوامل بيئية واجتماعية ، وعلى القائمين بمسئوليات وضع خطط التنمية والمثقفين في الوطن العربي أن يدركوا هذا ، وأن يعملوا بقدر المستطاع على تحقيقه ، لأن ذلك من المسلمات الموضوعية . على سبيل المثال ما قرأته في مجلة « العربي » العدد ٣٦٧ لشهر يونيو ١٩٨٩ ، بعنوان « العمارة للفقراء » ، أتساءل هنا : لماذا لم تجد أفكار المهندس المعماري المبدع



(حسن فتحي) طريقها إلى المناهج التعليمية الجامعية في الوطن العربي ، في الوقت الذي وجدت فيه الذيوع والانتشار في أمريكا اللاتينية وغيرها ؟ ولماذا وجد هنا من يحاربها ؟

إن النتاج البحثي للعلماء والباحثين العرب في مختلف المجالات العلمية جدير بالتقدير والتشجيع ، وأن تأخذ جامعاتنا العربية بالمفيد والجديد من هذه الأبحاث .

إن بيئتنا تختلف عن البيئة في الشمال الأوربي البارد ، وبالتالي ستكون الانعكاسات الطبيعية والاجتماعية والسلوكية مغايرة كذلك ، فليس كل الأمراض الموجودة في المناطق الباردة موجودة عندنا ، وقد لاتوجد عندنا مطلقاً . وعندنا أمراض عديدة ، تخص بيئتنا فقط . ولهذا هل يجوز أن نأخذ نتائج الأبحاث من الشمال الأوربي كما هي ؟

تبعاً للمناخ والتربة تنمو أنواع من المحاصيل الزراعية ، وإنتاجها مختلف عن بقية مناطق العالم ، فليس بالضرورة أن نقرر أن ما يصلح من أبحاث ونتائج في الغرب يصلح تطبيقه في الوطن العربي .

أعتقد أن التنمية في أي بلد لا يمكن بلوغها وتطويرها إلى الحد المطلوب إلا بوجود « كادر » وطني ، وهذا « الكادر » سيكون أكثر عطاء عندما يكون مستوعباً المتغيرات الطبيعية وخصائص بيئته ، وهذا يتأتى من جعل الجامعة أكثر قرباً من المجتمع وطبيعته .

القاريء المهندس : محمد عبده الحيلي
حمص - سوريا

□□□

ردود واقتراحات

● القاريء هادي علي ناجي دباش ، من محافظة الضالع - قرية الحود - جمهورية اليمن الديمقراطية ، يقترح زيادة كمية المنشور من الشعر .

● القاريء حسام عبد الرزاق عبد الفتاح ، من جامعة المنوفية ، كلية التربية - جمهورية مصر العربية - يقترح تخصيص باب بالمجلة لأخبار الرياضة في الوطن العربي .

● القاريء صالح الصابري ، من البروج ، إقليم سطات ، المملكة المغربية ، يسأل عن كيفية الاشتراك في المجلة . ونقول له : إن هناك قسيمة اشتراك في العدد ، يمكن أن تملأها وترسلها إلى العنوان المكتوب ، مع المبلغ النقدي المطلوب ، ستصلك المجلة بانتظام .

● القاريء : علي حمود دعيبل ، كلية الهندسة الكيميائية والبترولية - حمص ، من أدلب - سوريا - يقول في رسالته: إنه قام باستفتاء بين طلبة الكلية وباقي الكليات الأخرى في جامعة حمص ، وكذلك بين زملائه خارج الجامعة ، فوجد أن قراء « العربي » نسبتهم ٨٤٪ من المجموع العام ، وأن هذه النسبة بازدياد مستمر ، ويقترح في رسالته أن تنشر المجلة مقالات متنوعة عن نشأة الموسيقا العربية وتطورها ، وأن تخصص بابا ثابتا للرياضة في الوطن العربي .

حوار القرّاء

● القارىء سامح محمود محمد ، من القاهرة - جمهورية مصر العربية - **يقترح إعادة باب « قاموس العربي » ، أو إعادة نشر القديم . ونقول له : إننا إذا رأينا أن هناك حاجة لإعادة أي باب توقف فإننا لن نتردد في ذلك .**

● القارىء : عمار عدرا ، من اللاذقية - سوريا - **يقترح أن تنظم المجلة مسابقة لأفضل قصيدة شعر ، وأفضل قصة قصيرة ، وأن يكون الاشتراك فيها مقصوراً على الهواة فقط .**

● القارىء : شيخ محمد الشيخ - دير الزور ، سوريا - **يقترح إيجاد باب بعنوان « من دفتر القراء » ، تطرح فيه مواضيع يقوم القراء بإعدادها .**

● القارىء علي محمد عباس ، من عمان - الأردن - **يقترح نشر موضوع مفصل عن آخر ما توصل إليه العلماء حول « مثلث برمودا » .**

● القارىء : شهاب عبدالحميد ، من معهد إعداد المدرسين - قسم اللغة العربية ، دير الزور - سوريا - **أرسل مقالا عن العلاقة التي تربط اللغة العربية بالفلسفة ، وأهمية إعادة الاعتبار إلى اللغة العربية .**

التعددية السياسية والديمقراطية في الوطن العربي

تحرير : الدكتور سعد الدين ابراهيم
عرض : الدكتور فهد الفانك

في الآونة الأخيرة كثر الحديث عن التعددية بحسبانها الأمر الذي لا غنى عنه لحل المشكلات المستعصية التي يعاني منها وطننا العربي . وقد كان هذا التعبير مع تعبير الديمقراطية عنوانا لندوة فكرية كبرى ، عقدت في عمان ، في ربيع العام الماضي ، وأصدر كتاب في خريف العام نفسه .

حتى وقت قريب كانت التعددية السياسية أو الاثنية مرادفة في أذهاننا للانقسام والتمزق . وكان الفكر القومي العربي في الخمسينيات يرفض الاعتراف بالتعددية ، أو يعدها ظاهرة مرضية ، تزول بيقظة الوجدان العربي ، ويجب مواجهتها بسياسة الانصهار القومي دون هوادة .

لكن التعددية أخذت تحظى أكثر فأكثر بالقبول ، ليس كواقع لاخيار لنا في وجوده ، ولابد من الاعتراف به والتعامل معه بايجابية فقط ، بل كعنصر قوة وإثراء للمجتمع والدولة ، طالما كان تنوعا في إطار المجتمع المدني المتماسك الحر أيضا .

ويأتي كتاب « التعددية السياسية والديمقراطية في الوطن العربي » الذي أصدره منتدى الفكر العربي بعمان (١٩٨٩) بمثابة تكريس لهذا التوجه الجديد بين المثقفين العرب ، ونقل له من دائرة التردد والحيرة إلى مكانة عالية على جدول أعمال السياسة للمرحلة العربية المقبلة .

يتألف الكتاب من ٣٦٠ صفحة من القطع المتوسط ، وهو يوثق أعمال الندوة الفكرية التي عقدها منتدى الفكر العربي في العاصمة الأردنية في الفترة من ٢٦ إلى ٢٨ آذار (مارس) ١٩٨٩ . وشارك فيها نحو مائة شخصية

عربية - سياسية ، من المفكرين والممارسين على السواء .

ويضم الكتاب أكثر من ٤٠ ورقة عمل ، أو شهادة شخصية ، أو مساهمة في مائدة مستديرة ، أو تعقيبا مُعدّا ، فضلا عن خلاصة وافية لمناقشات كل جلسة من جلسات العمل ، مما جعله مجلدا عالي القيمة للمهتمين بحاضر الوطن العربي ومستقبله واتجاهات الفكر السياسي العربي المعاصر .

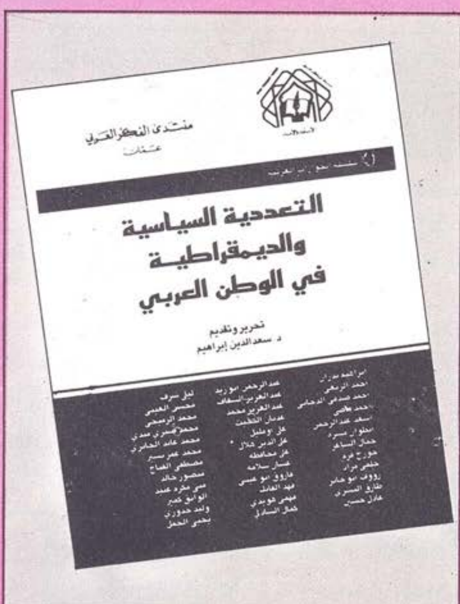
مفهوم التعددية

يشير مفهوم التعددية السياسية إلى مشروعية تعدد القوى والآراء السياسية ، وحقها في التعايش والتعبير عن نفسها ، والمشاركة في صنع القرار العام . والتعددية بهذا المعنى هي إقرار واعتراف بوجود التنوع الاجتماعي ، وبأن هذا التنوع لابد أن يترتب عليه اختلاف في المصالح ، أو خلاف على الأولويات . والتعددية السياسية هنا هي الإطار المقنن للتعامل مع هذا الاختلاف والخلاف ، بحيث لايتحول إلى صراع يهدد سلامة الدولة وتماسك المجتمع .

يبدأ الكتاب بتحليل موسع لأحمد صدقي الدجاني للتعددية السياسية في التراث الفكري الإسلامي ، وفي الممارسة العربية الإسلامية ، منذ بداية دولة المدينة ، حتى سقوط الدولة العثمانية . وينطلق الباحث من افتراض أن الشورى هي المصطلح الذي يدل على التعددية السياسية والمشاركة في الحضارة العربية الإسلامية ، على صعيدي الفكر والممارسة . وقارن بين شورى دولة المدينة وبين التعددية والديمقراطية ، من حيث الاعتراف بالتنوع الديني ، وتعدد القوى ، وحقها في التعايش وفي التعبير عن نفسها .

وبعد هذه الخلفية العامة يعرض محمد الرميحي الصيغ التقليدية المعاصرة للتعبير عن التعددية السياسية في الواقع العربي الراهن ، وعلى الأخص في مجتمعات الجزيرة العربية . ويركز على آليات ضبط التعددية ، وتحقيق الاستقرار التي لجأ اليها الحاكم، ابتداء من السيف « والمنسف » ، وانتهاء بالهجرة (الجلاء) كتعبير عن عدم الرضى ، ومرورا بالمصاهرة ، والمؤسسة الدينية ، والتعبير عن الرأي المضاد ، وإنشاء التجمعات الشعبية التقليدية .

وفي هذا المجال نبّه محمد عابد الجابري ، في إحدى مداخلاته ، إلى أهمية التمييز بين ثلاثة مستويات في التراث ، وهي : الشريعة ، والفكر السياسي في الإسلام ، والتاريخ الإسلامي ، بحسبان أن التعددية يمكن أن تعالج ضمن المستوى الثاني .



● غلاف الكتاب

كما اعترض علي الدين هلال على إصرار بعض المفكرين على إيجاد أصل أو جذر في تاريخنا القديم لكل فكرة جديدة . فليس هناك ما يحول دون خلق أفكار جديدة في هذا العالم المتحضر ليس لها سوابق في تراثنا . وفي هذه الحالة يكفينا أن لا تتناقض الفكرة مع ديننا وتراثنا ، ولاحاجة لأن نجد لها أو نفتعل لها جذرا في الدين والتراث .

ويتناول الكتاب بعد ذلك عملية الصيغ التقليدية إلى الصيغ الحديثة للتعددية السياسية ، وذلك من خلال دراسة حالات قطرية ، حيث قدم طارق البشري حالة مصر ، وقدم محمد عابد الجابري حالة المغرب ، أما حالة الخليج والجزيرة العربية فقد جرت تغطيتها بمائدة مستديرة ، شارك فيها كل من محمدالرميحي الذي تناول التطبيق الخليجي للديمقراطية ، وأحمد الربعي الذي تكلم عن سلبيات غياب التعددية والديمقراطية في مجتمعات الجزيرة العربية ، وعبد العزيز السقاف الذي طرح الصيغة اليمنية الحديثة للديمقراطية .

وقد جرى التركيز على خصوصية مجتمعات بعض الأقطار العربية ، وضرورة مراعاتها ، وعدم إصدار الأحكام الشاملة عليها ، وكأنها نسخ متشابهة ، الأمر الذي أثار حفيظة عصام الدين جلال الذي رفض استعمال الخصوصية ، وكأنها قيمة خلقية والتزام تاريخي يجب المحافظة عليهما ، فالتخلف مثلا قد يكون خصوصية لبعض المجتمعات في بعض المراحل ، لكن ذلك لايعني تكريسها والمحافظة عليها دون مبرر علمي .

حوارات ساخنة

قدم غسان سلامة حالة المشرق العربي التي أثارت قدرا كبيرا من الحوارات الساخنة ، نظرا لأسلوب الصدمة الفكرية الذي استخدمه الباحث في تصويره للوضع السائد في الحزام العربي الشمالي ، حيث لخص الموقف في أن اللحظة الليبرالية التي شهدتها الأقطار المشرقية العربية في أعقاب الجلاء والاستقلال كانت لحظة كاذبة ، وأن النزعات السلفية والأصولية جاءت كنتيجة للهزيمة العسكرية لمدرسة التعبوية العسكرية ، وأن الأقطار العربية المشرقية كلها تسلطية ، وأن الصيغ التقليدية للتعددية في المجتمع العربي قد تم تدميرها تماما ، وأن الناصريين والبعثيين صاروا ديمقراطيين في وقت متأخر ، أي بعد أن فقدوا السلطة ، وأن الدولة التسلطية قامت بتفكيك المجتمع كتنظيم وتجمعات ، وأن شعار الوحدة


● احمد صدقي الدجاني


● محمد عابد الجابري

العربية استخدم كأداة لطمس التعددية والديمقراطية ، وأن المواءمة بين الوحدة والتعددية هي تحدي العرب في عقد التسعينيات . وبعبارة أخرى فقد لخص غسان سلامة نصف القرن الماضي بثلاث محطات : لحظة دستورية ، دولة تسلطية ، حلم تعددي . وكان من الطبيعي أن تتعرض هذه الورقة للتحدي والاعتراضات من قبل أربعة معقبين وثمانية مداخلين .

وفي الكتاب قسم خاص للشهادات الشخصية التي أدلى بها تسعة من الساسة والحزبيين المخضرمين حول تجاربهم الشخصية في الممارسة العربية المعاصرة من التعددية إلى

الحزب الواحد ، مع التركيز على تجارب العمل الحزبي في الأردن ومصر والسودان وتونس والجزائر . ومن ضمن هؤلاء جمال الشاعر ، ومحمد حلمي مراد ، وعادل حسين ، ويحيى الجمل ، ومنى مكرم عبيد ، وفاروق أبو عيسى ، ومحمد المنجي حبيب ، ومحمد برغام .

وقد خصص الكتاب قسما للتعامل السياسي مع التعددية الاجتماعية الكثيفة في كل من لبنان والسودان ، بحسبانهما نموذجين صارخين للنتائج المأساوية التي يمكن أن يؤدي إليها الفشل في إدارة التنوع الاجتماعي والطائفي والاثني . فقد قدم حالة لبنان انطوان مسرة





● د . محمد حلمي مراد ● د . محمد عمر بشير

الذي كشف ظاهرة تسييس التباينات الاثنية والاقتصادية والثقافية واللغوية ، بشكل يولد النزاعات والشعور بالحرمان . ورفض الباحث الفرضيات التي كانت تؤخذ كمسلمات ، كالقول بأن الانتماءات التحتية يتخطاها الزمن في سياق العصرنة ، وأن التربية المدرسية هي الوسيلة الأولى لتحقيق الانصهار ، وأن « شرعنة » بعض الانتماءات التحتية في أطر مؤسسية ثقافية أو غيرها يؤدي إلى تحجرها والحؤول دون تطورها .

أما السودان فقد تم تناوله على مائدة مستديرة ، ضمت عدداً من قادة المعارضة الفكرية والسياسية في السودان ، من ضمنهم منصور خالد ، والواثق كمير ، ومحمد عمر بشير . حيث تم تحليل الواقع السوداني وسلبياته ، بشكل أثار الاكتئاب والتشاؤم ، وكان الطرح الغالب هو طرح المعارضة . وقد اتضح خلال أسابيع أن الديمقراطية السودانية كانت بالفعل تقوم على رمال متحركة ، وتفشل في التعامل مع قضايا السودان الحقيقية ، وفي طليعتها مشكلة الجنوب والأزمة الاقتصادية .

من الماضي إلى المستقبل

أما القسم الأخير من الكتاب فقد نقل بؤرة الاهتمام من الماضي والحاضر إلى المستقبل ، حيث تلمّس ملامح المجتمع المدني العربي المنشود في ظل تحول ديمقراطي ، في محاولة لبلورة ما يمكن أن يكون عليه العقد الاجتماعي السياسي الجديد في الوطن العربي في عقد التسعينيات ، حيث عقدت مائدة مستديرة ، شارك فيها محسن العيني الذي طالب باحترام الرأي الآخر ، وفاروق أبو عيسى الذي تناول البعد القانوني للتعددية السياسية ، مع التركيز على حقوق الإنسان الأساسية ، وليلى شرف التي اقترحت بعض المضامين السياسية والاجتماعية للميثاق الوطني المنشود ، وعلي الدين هلال الذي طالب بوضع معايير محددة للاتجاهات ، مع التمييز بين التعددية والديمقراطية والليبرالية والتداخل فيما بينها ، وأحمد الربعي الذي قدم ملاحظات سريعة حول التعددية في الخليج العربي ، وغسان سلامة الذي حاول الإجابة عن السؤال

الأساس : لماذا التعددية ؟ وكيف ؟

ولا شك أن تعددية مضامين الكتاب والآراء المطروحة فيه كانت هي نفسها نموذجا حيا للتعددية الفكرية البناءة . إلا أن التعدد والخلاف في الآراء ، لم يمنع بروز شبه إجماع على التعددية الديمقراطية ، ورفض مقايضتها بأي هدف قومي آخر ، كالتنمية الاقتصادية والاجتماعية أو محاربة الفساد أو التصدي للأخطار الداخلية والخارجية أو الحرب نفسها . ومع أن عنوان الندوة والكتاب يدور حول التعددية السياسية ، فإن كلاً من الندوة والكتاب تناولا التعددية بمعناها الأوسع ، لتشمل ، إلى جانب الأحزاب والتنظيمات السياسية صنوفاً أخرى من التنوع الاجتماعي والقبلي والقومي والديني والمذهبي والعرقي التي يحفل بها الوطن العربي الكبير .

ويبدو من خلاصة اتجاهات المناقشة أن التعددية مثل الحرية والديمقراطية ، هي غاية ووسيلة في الوقت نفسه ، لأنها تجسيم للحريات الأساس وحقوق الأفراد والجماعات من جهة ، كما أنها عامل إيجابي في تحقيق الوحدة العربية والتنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية من جهة أخرى .

وبشكل عام فإن قارىء هذا الكتاب يخرج بقناعة عامة بأن الوطن العربي ، بجميع أقطاره ، زاخر بالتنوع والتعدد ، وأن هذا التنوع وذلك التعدد يشكلان طاقة هائلة ، إذا لم نحسن التعامل معها وتوظيفها لتقوية المجتمع العربي وإغنائه ، فإن العدو سوف يتعامل معها ، ويوظفها لتفتيت الأقطار العربية ، وإطلاق شرارة صراعات دموية تنتهي بالدمار ، كما هو حاصل في أكثر من قطر عربي . فالتعددية إما أن تكون قوة دفع للأمام أو طاقة تفجير تدميرية . □



مكتبة العربي

مختارات



اسم الكتاب : في السياسة والإعلام وقضايا أخرى .

اسم المؤلف : د . فؤاد عبد السلام الفارسي

الناشر : الكتاب العربي السعودي ـ تهامة للنشر ـ جدة .

عدد الصفحات : ٤٠٩ من القطع المتوسط

سنة النشر : ١٩٩٠ م

يضم الكتاب مجموعة من المقالات ، تتناول قضايا في السياسة والإعلام ، وتناقش من القضايا السياسية موضوعات كدبلوماسية السلاح ، والصراع الدولي ، والظاهرة الخمينية ، والسلام الدولي ، والعلاقات السعودية الأمريكية ، والعلاقات السعودية البريطانية ، والصراع العربي « الاسرائيلي » ، ومن قضايا الإعلام تناقش موضوعات كالرأي العام ، والسيطرة الإعلامية الدولية ، والحرب النفسية وآثارها ، والإعلام والعلاقات السياسية . يقول الكاتب : إنه اختار ربط قضايا السياسة بالإعلام ، لأن قضايا هذين الميدانين شديدة الارتباط بعضها ببعض ، وأنه لا يمكن فصل أداء الإعلام ودوره عن ميدان السياسة وعملياته .

اسم الكتاب : الانكفاء على الذات

اسم المؤلف : د . سعيد بن علي بن مانع

الناشر : مطابع الصفاة ـ مكة المكرمة

عدد الصفحات : ١١٢ من القطع المتوسط

سنة النشر : ١٩٨٩

دراسة جديدة لأحد موضوعات علم النفس ، وهو موضوع الانكفاء على الذات الذي يعنى به « التمركز العقلي حول الذات » ، وهو حالة شائعة في السلوك العام للأفراد في المجتمعات وفي المستويات الاجتماعية المختلفة . وهو حالة تعكس عدم تمتع الإنسان بقدرة عقلية معرفية عليا . يعرض الكتاب في البداية لمراحل النمو المعرفي ومحدداته ، ثم يتناول التفكير المتمركز حول الذات ، وبعد هذا الإطار يتناول بالعرض والشرح الاتجاهات الجديدة في دراسة الظاهرة والاتجاهات الجديدة في دراسة التفكير المتمركز حول الذات .

□□□

اسم الكتاب : أمريكا والوحدة العربية (١٩٤٥ ـ ١٩٨٢)

اسم المؤلف : د . علي الدين هلال

الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت

عدد الصفحات : ٢٦٩ من القطع الكبير

سنة النشر : ١٩٨٩

يتناول الكتاب موقف الولايات المتحدة الأمريكية من قضية الوحدة العربية ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٨٢ ، وهو بالتالي لا يعرض لتطور موقف الولايات المتحدة من قضايا المنطقة ، ولا العلاقات العربية الأمريكية على إطلاقها ، ولكنه يخصص موضوعه للموقف الأمريكي من قضية الوحدة العربية . وقد انقسم الكتاب إلى ستة فصول وخاتمة ، تناول الفصل الأول الإطار النظري والتاريخي ، والفصل الثاني مشروعات الاتحاد العربي (٤٣ ـ ١٩٥٠) . والفصل الثالث الصدام مع عبد الناصر ، وحركة القومية العربية ، والفصل الرابع (من محاولات الاحتواء إلى استخدام العنف) . وفي الفصل الخامس تسوية الصراع العربي « الاسرائيلي » ، وأخيراً الفصل السادس الذي تناول أمريكا والوحدة العربية (الاقتراب غير المباشر) .

- وفي الخاتمة ناقش الكاتب الولايات المتحدة والوحدة العربية بين الموقف الفكري والاستراتيجية السياسية ، فعرض لأربعة أنواع من الاستراتيجية هي :

استراتيجية المواجهة ، واستراتيجية التحالف والالحاق ، واستراتيجية الضغط والتحييد ، وأخيرا استراتيجية توزيع الأدوار .

□□□

اسم الكتاب : ديوان خالد الفرج
اسم المؤلف : خالد الفرج
الناشر : مطابع القبس ـ الكويت
عدد الصفحات : ٢٩٢ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٩



يضم الكتاب سيرة حياة الشاعر الكويتي المرحوم خالد الفرج وأعماله . وقد قام بتقديم الكتاب وتحقيقه الأديب الشاعر خالد سعود الزيد ، حيث جمع أشعار خالد الفرج ، وسيرة حياته التي خطها الفرج بنفسه ، وقام بتحقيقها ، وترتيبها وإعدادها للنشر ، وفق تصنيف زمني ومكاني وموضوعي .

□□□

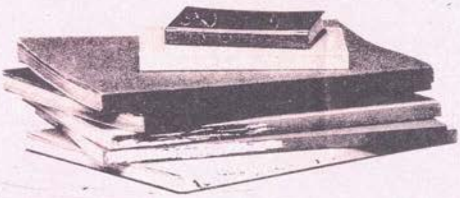
اسم الكتاب : تأملات في بنيان مرمري
اسم المؤلف : جبرا ابراهيم جبرا
الناشر : رياض الريس للكتب والنشر ـ لندن
عدد الصفحات : ١٧٠ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٩



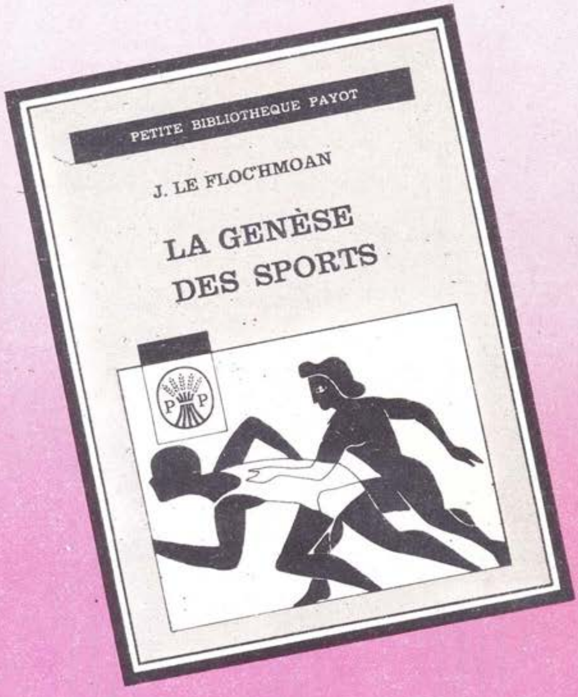
مجموعة من المقالات للكاتب الكبير جبرا ابراهيم جبرا ، في الفن والموسيقا والأدب ، ترصد الموضوع الفني في شتى ألوان الإبداع والأفق الإنساني والصلات العميقة بين موضوعات الفنون ، كتب فيها المؤلف عن صلة الشعر بالفن الروائي ، وعن الظاهر والكامن في الخطاب الأدبي ، وعن الثنائيات والأضداد ، وموضوعاً في الفن التشكيلي والموسيقا والأدب ، بحس جمالي راق ، ونفس ذواقة ، وثقافة ناقد مطلع على الثقافات العالمية ، وحساسية كاتب متميز . □

قيل :

● لا مروءة لمن لا أدب له ، ولا أدب لمن لا عقل له ، والعقل أمير والأدب وزير ، فإن لم يكن وزير ضعف الأمير ، وإن لم يكن أمير بطل الوزير .



كتاب الشهر



مَولِدُ الألعَابُ الرّيَاضِيّة

تأليف : جان لوفلوك همووان   عرض : نجوى قلعجي

يعرض هذا الكتاب على مدار ١٨٠ صفحة مولد الألعاب الرياضية ، راجعاً إلى ينابيعها ، عبر الأمكنة والأزمنة ، مقدماً للقاريء « بانوراما » شاملة لكل أنواع الرياضة الممارسة عبر العصور ، محدداً جذورها ، وكيفية تطورها ، واختفاء بعضها وظهور بعضها الآخر ، بدءاً من المحاولات الإغريقية ، وانتهاء بالانبعاث المجدد للألعاب الأولمبية المعاصرة .

لماذا الرياضة ؟ في كل الأزمنة يحب الناس معرفة حجم قوتهم ، وليونتهم وسرعتهم ولياقتهم . كثيرون عبر العصور أرادوا أن يبينوا أنهم الأفضل ، إما للحصول على ميدالية ، أو رتبة شرف ، أو من أجل المال ، أو المجد ، أو ـ ببساطة ـ لحب الذات .

ويرجع المؤلف إلى ليل الأزمنة السحيقة ، ليقول : « نستطيع أن نتخيل مباراة فيها المتبارون يبرهنون قوتهم برفع أو برمي حجر ضخم ، ففي مصر القديمة في حوالي ٢٥٠٠ قبل الميلاد ، كان العسكر يمارسون تمارين المعركة بالعصي ،وفي جزيرة « كريت » ١٥٠٠ ق.م ، كان يسرهم الرقص والركض ومصارعة الثيران . وفي اليونان يحدثنا هوميروس في الالياذة بأن اليونانيين أحضروا الحصان من الشمال الأوربي ، وأسسوا الحركة الرياضية اليونانية التي هي أساس الحركة الرياضية في العالم » .

رياضة للجنسين

في القرن الرابع ق.م . كانت مدينة « اسبارطة . . أقوى المدن الاغريقية ، لكن الفترة الزمنية لتأسيس الألعاب الأولمبية تبقى غير محددة ، فبعضهم يرجعها إلى « بيسوس » ، وآخرون يرجعونها إلى « هيراكليس » أو « هرقل » الذي تقول الأسطورة : إنه إثر انتصاره على « اوجياس » أقام عيداً في « أولمبي » ، لشكر « زوس » . ويقال : إن عام تأسيس الألعاب كان في زمن الملك ايليد عام ٨٨٤ ق.م . لكن بدأ حساب تاريخ الأولمبياد رسمياً بدءاً من عام ٧٧٦ ق.م . وتعد لعبة « الروموس » اللعبة الوحيدة التي كانت تجري عام ٧٧٦ ق.م . يركض المتسابقون « الاستاد » ، حوالي ١٩٢ متراً ويقال : إن « كوروبوس » ، وهو تاجر من « ايليس » ، كان أول رابح لسباق الركض ، فقد تلقى مكافأة هي عبارة عن تاج من أوراق الزيتون . أما المصارعة فقد بدأت عام ٧٠٨ ق.م . وفيها يقف المتصارعان وجهاً لوجه ، ويحاول أحدهما أن يفقد الآخر توازنه بلوي الذراع ، أما المنتصر فهو من ينجح في رمي الآخر على ظهره ، أو يحني خصره ، أو كتفه ، حتى تمس الأرض مرتين . ولقد كان المتصارعون يدهنون أجسامهم بالزيت خوف الإصابة بالبرد ، ولجعل عملية الإمساك أمراً صعباً .

أما بالنسبة لرياضة رمي القرص ، فقد كان القرص من حجر ، قبل أن يصبح من برونز ، وكان يزن بين كيلوغرام واحد و ٥ كيلوغرامات ، ويبلغ قطره بين ٢٠ و ٣٦ سنتيمتراً .

كذلك شجعت مدينة « اسبارطة » الفتيات على ممارسة الرياضة ، فقد جاء في أحد القوانين : « أن الدور الأساس للنساء الأحرار إنجاب أولاد أقوياء » ، ولقد كانت الألعاب الأولمبية النسائية تتبع الألعاب الرجالية ، وكذلك في أيلول ـ سبتمبر ـ ولقد بدأتها « هيبودامي » ، واستمرت مساهمة النساء في الألعاب الأولمبية طوال فترة ازدهار مدينة اسبارطة .

ماذا كن يفعلن ؟ سباق للركض ، وفي كل الأعمار ، والمنتصرات يربحن تاج الزيتون وقطعة من لحم البقرة المقدمة « لهيرا » . وما المسافة التي كانت البطلات الأولمبيات يركضنها ؟ حوالي ١٦٠ متراً .

ولقد تطورت فيها بعد عدة ألعاب ، منها الملاكمة حوالي عام ٥٢٠ ق.م . فلم يكن الأسبارطيون يضعون خوذاً في أثناء الحرب ، بل يعلمون محاربيهم حماية أنفسهم بقبضات أيديهم .

في القرن السادس أصدر « صولون » ، في

أثينـا ، تشريعـات ، ووضع الخطوط الكبـرى للتربية الأثينية ، وهذا هو مبدؤها : « يجب أن يتعلم الصبيـان ، قبل كـل شيء ، السبـاحـة والقـراءة ، والفقـراء عليهم ممارسـة الـزراعـة وصناعة ما ، أما الأغنياء فيجب أن ينصرفوا إلى المـوسيقا ، والسبـاحة ، وتمـارين الـريـاضـة ، والصيد ، والفلسفة » .

إن تأثير اليونان عـلى الرومـان كان كبيـراً ، فجميـع الألعاب اليـونانيـة أصبح لهـا مثيل في روما ، خاصة عندما أعلن « اوكتاف » نفسه بعد معركة « اكتيوم » امبراطورا باسم « اوغسط » ، وأنشأ الألعاب الأغسطية ، وأصبح من ثم لروما ألعابها . و « دوميتيوس » الذي أصبح فيها بعد الامبراطور « نيرون » كان من المتبارين البارزين في سباق عربات الخيل (كاروسيل) . ونيرون هذا قد أنشأ ألعاب السيـرك التي تستمر خمسة أيام ، وذلك في القرن الأول الميلادي . ومما لا شك فيه أنه كان في السيرك الروماني بعض ألعاب القوى ، ومنها نوع من المصارعة وسباق العربات والخيول .

الكرة العربية

في عام ١٤٩٥م وصل كريستوف كولومبوس إلى جـزر « هـايتي » ، وهنـاك أسـرتـه رؤيـة الكاريبيين يلعبون بكرة مطاطية ، مصنوعه من



مطاط الشجر . ويبدو أن سكان أمريكا الجنوبية هـم أول مـن صنـع الكـرة مـن أشجـار « اللاتكس » ، ولم يكن هناك بـد من الانتظار حتى القـرن الثامن عشـر ، حتى تعـرف أوربـا المـطاط « الكـاوتشـوك » ، ويتم اعتمـاده في الألعاب الرياضية .

وقبلهم بكثير عرف العرب « الكرة » ، فقد كان اللاعبون ينقسمون إلى فريقين ، يتنافسون على كرة مصنوعة من ألياف أشجار النخيل ، أو من غصن العناب البري . ولقد انتقلت هذه اللعبة إلى أسبانيا ومنها إلى أوربا .

في مطلع القرن السـابع عشـر بدأ الانكليـز بـإنشاء المعـاهـد الـريـاضيـة ، وقـدر عـددهـا بخمسـة ، وجميعها تغلم « الـرجبي » ، وكـرة القدم . وفي القرن الثـامن عشر ولـدت نوادي « الغولف » أيضاً في انكلترا .

أما انكلترا في ذلك القرن فقد انتشر فيها سباق الخيل والملاكمة والركض . وفي عام ١٧٤٧ أنشأ « جـاك برونجتـون » معهداً لتعليم المـلاكمة ، واخترع قفازات حـامية لليـدين ، تحمي أيدي طلابه في أثناء التمارين ، كـما أنشأ أول صـالة للملاكمة في شـارع أوكسفورد في لنـدن . وفي نهايـة القرن انتشـر سباق المسـافات الطويلة ، والسباقات المهمة في تلك المرحلة كانت تجرى في مدينة « مانشستر » ، ويحضرها أكثر من ٣٠ ألف متفـرج ، كـما أن الجـامعـات الكبيـرة شجعت الرياضة ، فقد تأسست في كل جامعة ومعهد نواد تضم مئات الطلاب ، وفي « أوكسفورد » أنشيء ناد للملاكمـة في مطلع القـرن التـاسـع عشـر ، وأنشئت نـواد للعبـة « الكـريكـت » . وفي « كامبريدج » ظهر منذ عام ١٨٥٥ نـاد لألعاب القـوى . وكتبت « التايمـز » عـام ١٨٦٤ هـذا الإعـلان : « إن مباريـات ألعاب القـوى بـين أوكسفـورد وكامبـريدج ستجـري يـوم ٥ آذار ـ مارس ـ ظهراً » ، وكانت هذه أول مباراة لبطولة ألعاب القوى بين طلاب الجامعتين .

كتاب الشهر

أحد كتاب القرن التاسع عشر ، ويدعى « بياردو كوربيتان » ، يشرح في كتابه : « التربية الرياضية » كيفية مولد الرياضة الحديثة ، ويبين ظهور رياضة التجديف أول مرة فوق نهر التايمز ، في سباق بين طلاب جامعتي كامبريدج وأوكسفورد عام ١٨٣٦ . ويقول : إنه لم تكن هناك حتى منتصف القرن التاسع عشر كرة للعبة كرة القدم من « المطاط » فقد ظهرت عام ١٨٧٠ على يد رجل يدعى « ريتشارد ليندن » ، وتم اعتماد هذه الكرة « المطاطية » في النوادي منذ ذلك الحين . ويقول أيضاً : إنه في القرن التاسع عشر انتشرت لعبة « التنس » في انكلترا .

ويبدو أن نهاية القرن التاسع عشر كانت تمهيداً لميلاد رياضة السباحة وانتشارها ، ويمكن عد الشاعر الانكليزي اللورد بايرون أول أكبر السباحين في الأزمنة الحديثة .

والجدير بالذكر هنا أن السباحة لم تكن مدرجة في الألعاب الاولمبية الاغريقية على الرغم من أن أهل أثينا يتقنون السباحة .

وفي عام ١٨٦٩ اجتمع رجال السباحة في لندن ، لجعل هذه الرياضة أكثر جدوى . وهكذا ولدت السباحة الحديثة في انكلترا ، أما « التزلج » ، فقد أتى كذلك من وراء المانش ، في انكلترا .

« غوته » والتزلج

إن الهولنديين كالعصافير في الهواء ، يطيرون أكثر مما يمشون ، فالتزلج رياضة مهمة في هولندا منذ القرن الثامن عشر . أما أول ناد للتزلج في انكلترا فتأسس في ديسمبر ١٨٧٦ . وإذا كان التزلج قد أدرك ذروته رياضياً في هولندا وانكلترا فإن كل بلاد أوروبا الشمالية تعرفه تقريباً ، وكذلك روسيا ، فجميع تلك الشعوب تعرف في الشتاء لذة التزلج على الثلج الذي يغطي الشوارع والساحات ، والألمان كانوا يمارسون هواية التزلج . والشاعر الألماني الكبير « غوته » كان من الهواة المتحمسين لهذه الرياضة .

وظل « غوته » طوال حياته يمارس الرياضة ، وأولها التزلج ، والتمارين البدنية ، والحمامات المرطبة ، « وكان ينتعش ويرطب عبقريته » كما يقول المؤرخ « جورج بوردان » .

وإذا انتقلنا من التزلج إلى الرياضة البدنية وجدنا أنه في عام ١٨٠٥ بادر معلم سويسري ، يدعى « هنري بيستالوزي » ، لإنشاء معهد لتطبيق تعاليم الرياضة البدنية المستوحاة من كتاب « أميل » لروسو ، بيد أنه يمكن عد « جاهن » من النمسا ، و « لانغ » من السويد المؤسسين الفعليين للتمارين البدنية الحديثة .

رحلة الرياضة من أوربا إلى أمريكا

وكان الهولنديون في « أمستردام الجديدة » التي أصبح اسمها « نيويورك » يمارسون لعبة « الغولف » في شوارع المدينة ، لكن السلطات أصدرت عام ١٦٥٩ قراراً بتغريم هؤلاء اللاعبين . أما في « فرجينيا » ، حيث كانت الحياة أسهل فإن المهاجرين الانكليز كانوا يتسلون بلعبة الكرة الطائرة . وفي عام ١٧٠١ تأسست جامعة « يال » وفي برنامجها حيز للألعاب الرياضية ، ومن هناك ظهرت لعبة كرة السلة .

في عام ١٨٩١ كان « جيمس نيسميث » - من أصل كندي - يحلم بكرة قدم داخل صالة مغلقة ، فتذكر لعبة من ألعاب طفولته في كندا ، تسمى لعبة « البط فوق الشجرة » يلتزم فيها اللاعب إصابة هدف عال بحجر . وهكذا أبدع « نيسميث » رياضة جديدة ، هي كرة السلة ، وقد انتشرت انتشاراً سريعاً ، خاصة في

المعاهد . وبعد ذلك بعامين طور « نيسميث » مع أحد المربين ، ويدعى « ويليام ج . مورغان » هذه اللعبة ، ففصل اللاعبين بشبكة ، وهكذا أيضاً ولدت لعبة جديدة ثانية تسمى الكرة الطائرة « الفولي بول » .

أما بالنسبة للألعاب الآتية إلى أمريكا من العالم القديم فلقد تم إدخال لعبة التنس مثلاً عام ١٨٩٠ ، وقد استقرت تلك اللعبة في كاليفورنيا ، وفي الوقت نفسه أدخلت « الغولف » التي أصبحت رياضة أصحاب المليارات .

عام ١٨٩٠ أيضاً أدخلت لعبة « الهوكي » من كندا ، واستقرت في بوسطن ، وشيكاغو ، وديترويت ، ونيويورك ، وتم إنشاء فريق متخصص بهذه اللعبة .

سكرتير « فيكتور هيجو » والدراجات

نعود إلى أوربا لنشهد ولادة رياضة سباق الدراجات في القرن التاسع عشر ، فلقد تم سباق للدراجات ذات عجلة واحدة ، تسمى « بيسيكل » ، في ٧ نوفمبر ١٨٦٩ ، وتبين أنه يمكن قطع مسافات معتبرة دون تعب القدمين . وكانت الجائزة الأولى ألف فرنك ذهبي . ولقد اهتم سكرتير الشاعر والروائي الكبير « فيكتور هيجو » مؤلف « أحدب نوتردام » بتلك الرياضة ، فكان ينظم مسابقاتها ، ولقد نظم مسابقة باريس روان التي شارك فيها أشهر أبطال ذلك الزمان : الانكليزي « جيمس مور » ، لكن الدراجة ذات العجلة الواحدة كانت خطرة لصعوبة التوازن ، لذا تم استحداث الدراجة التي نعرفها اليوم عام ١٨٨٥ ، وقد صممها الفرنسي « جورج جوزان » ، لكن الانكليز هم الذين صنعوها وأطلقوها في الأسواق ، أما الدراجة النارية فقد انتشرت عام ١٩٠٢ ، وتفوقت على الدراجة العادية ، لتأتي بعد ذلك السيارة وتتفوق فترة من الزمن على الدراجة النارية ، ففي ١ تموز ١٩٠٣ جرى أول سباق للسيارات من فرنسا .

وماذا عن القرن العشرين ؟

لقد عرف القرن العشرون رياضة « الجيدو » ومشتقاتها القادمة من اليابان ، ومنها انطفأت هالة الملاكمة فترة من الزمن ، وبخاصة في فرنسا ، ومع مطلع القرن العشرين كثرت سباقات السيارات ، وبدأت تنهض صناعة السيارات الخفيفة الخاصة للسباق الرياضي .

ولقد أقسم اللورد « بيار دو كوربيتان » أن يعيد إحياء الألعاب الأولمبية ، ففي ذات مساء من نوفمبر ١٨٩٢ ، وفي صالة جامعة السوربون ، ألقيت محاضرات حول الرياضة ، وحول ضرورة إحياء الألعاب الأولمبية . وبعد ٤ سنوات من ذلك التاريخ تقرر إقامة أول دورة للأولمبياد المعاصرة في أثينا . وفي الفترة من ٥ إلى ١٥ نيسان ـ ابريل ـ من عام ١٨٩٦ كانت أول أولمبياد معاصرة حضرها أكثر من ٨٠ ألف شخص . □

بهذا أدبت نفسي



● **قيل لابن المقفع : من أدبك كل هذا الأدب ؟**

قال : نفسي .

فقيل : أيؤدب الإنسان نفسه بغير مؤدب ؟

فأجاب : كيف لا ، كنت إذا رأيت في غيري حسنا أتيته ، وإن رأيت قبيحا أبيته ، وبهذا وحده أدّبت نفسي .

إلى أن نلتقي

تلك اللحظة

ليس من الدقة أن نقول : إنها لحظة سعادة ، مع أنها تطلق تلك القوى الروحية التي يطلقها الفرح ، ولا أنها لحظة حزن ، مع أنه يشوبها شيء من القلق الذى تبثه الأحزان .

لعل أهم ما يميز تلك اللحظة هو أنها تأتي فجأة ، دون أسباب واضحة للفرح أو للحزن ، تجد نفسك فجأة قد أصبحت أكثر خفة ، تبصر الأشياء من حولك ذات وجود متميز ، وكأنها تريد أن تقدم إليك نفسها ! .

اللوحة التى كنت تراها كل يوم على الحائط دون مبالاة تسطع ألوانها فجأة ، وتتحاور خطوطها وألوانها بلغة صامتة ناطقة ، تصلك لأول مرة الأفكار التي كانت تدور برأسك أحيانا دون رابط ، وقد تسبب لك الدوار ، تتماسك فجأة كأيدي مجموعة من الراقصين ، تضبط منهم الخطوات ، وتتوافق حركات أجسادهم مع ضربات أقدامهم ، فتتشكل الموسيقا من الحركة المتوائمة ، ويولد معنى شامل من هذه الأفكار ، حين تترابط في شكلها الجديد .

ما الذى يحدث في داخلك أو في الخارج ، فيتوازن العالمان الداخلي والخارجي في موسيقا صامتة أو ناطقة ؟ وتطرد عن رأسك هذا السؤال وغيره ، فرغبتك في أن تعيش اللحظة أقوى ألف مرة من رغبتك في أن تدرك أسبابها ، أو تفهم منطقها !

ربما تخشى أن تعصف محاولتك للفهم بهذه اللحظة نفسها !

وتبدأ في التعامل معها كأنها منحة سماوية ، فما تنجزه في هذه اللحظة يكاد يصل إلى كماله الخاص ، ويحقق جماله الفريد ، فنا أو علما أو فكرا ، أو عملا من أي نوع . إنها لحظة تشعر خلالها أنك تبدع كما تتنفس !

وتؤرقك الأسئلة الخفية : إلى متى تبقي هذه اللحظة ؟ هل أنت الذي يملكها أو هي التي تملكك ؟

ما الذى ينبغى أن تفعله للإمساك بمثل هذه اللحظة ؟

يقول لك من يعنيهم الأمر : لكل شيخ طريقته في الإمساك بهذه اللحظة !

ويقول لك يحيى حقي : « لايكفي أن تنتظرها ، قابلها في منتصف الطريق » .

ويقول لك نجيب محفوظ : « انتظرها كل يوم في موعد ثابت ، حتى ولو لم تجيء إليك » !

ويقول لك بعض علماء النفس : « سوف يأتي يوم نتنبأ فيه بقدومها كما يتنبأ علماء الإرصاد بمقدم العواصف والأمطار ! »

وإلى أن تختار الاجابة التي تروق لك دعني أهمس في أذنك : ليست هناك طريقة للإمساك بهذه اللحظة سوى أن تفتح لها الأبواب حين تجيء ، سوى أن تنجز في ظلها كل ما حلمت بإنجازه ! لاتقل لها أبداً : "انتظري ريثما أنتهي من حديثي مع « الملك سليمان » ، أو ريثما تفرغ « بلقيس » من ارتداء ملابسها !

ويا أيها الذين تملكهم هذه اللحظة أو يملكونها ، لاتتركوها ترحل ، دون أن تفعلوا فيها شيئا ، فقد لاتعود إليكم أبداً ، وحينذاك سوف تشعرون بأنكم موتى ولو عشتم ألف عام !

أبو المعاطي أبو النجا



من المسرح العالمي

سلسلة شهرية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت

أيولف الصّغير

تأليف: هنريك ابسن
ترجمة: د. أحمد النادي
مراجعة: د. طه محمود طه
تقديم: د. عبدالله عبد الحافظ

العدد ٢٤٦ أول مارس ١٩٩٠



"سُوق العطارين" - للفنان التونسي عليّ القرماسيّ

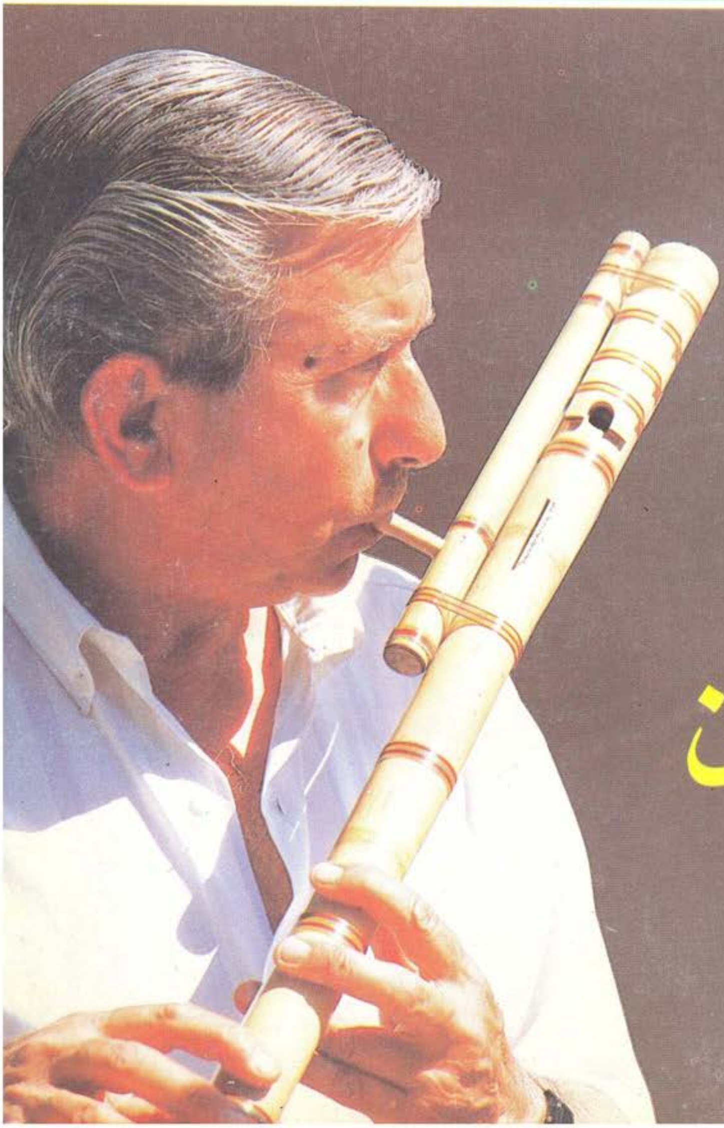
رمضان ١٤١٠هـ - ابريل (نيسان) ١٩٩٠م

العربي

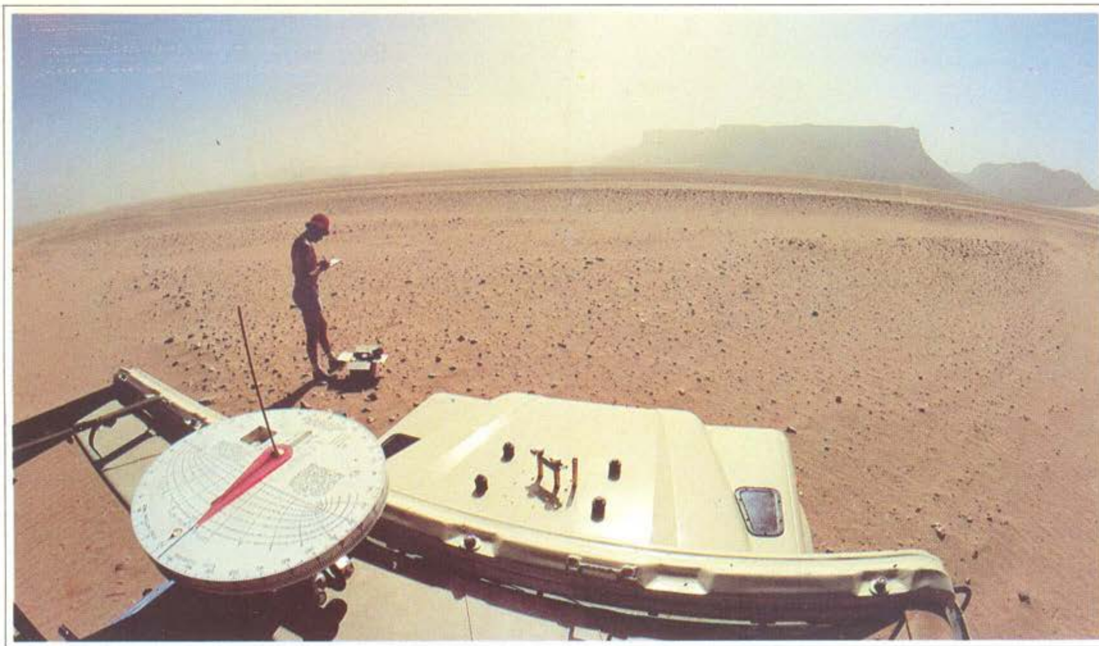
رمضان كريم



- صور رمضانية من بلاد الشام
- نجم غامض اسمه الشمس
- زرع أصابع قدم في يد!



الأرجنتين
حافة الكون الفضية



في الصحراء يَبقى توم شبارد واثقاً من اثنتين : الشـــمس وَ رولكـس

حين يتوقف توم شبارد عن ارتياد الصحاري مستكشفاً ، يبحث عن أسباب وجيهة تعيده إليها . فهو يقول : "الصحاري تستهويني ، ففيها أشعر كأني أول إنسان على الأرض ."

لقد وجد منذ سنة ١٩٦٧ سبعة أسباب دعته إلى استكشاف الصحراء ، وأصبح كل منها مشروعاً كبيراً . ولكل منها أخطاره الخاصة به .



توم يسترشد بالبوصلة الشمسية

غير أن توم يكره الاندفاع الطائش وما ينطوي عليه من تهوّر . فهو يقول : "صحيح أن الصحراء لا ترحَم ، لكن يمكن التغلب عليها بالتخطيط والانتباه ، لا بالرعونة" .

ومع ذلك جاءت مغامرته الأخيرة كأنها تطوّر تلقائي . قال توم : "الاهتمام الذي أثارته رحلتي الاستكشافية سنة ١٩٧٩ واتصالاتي داخل الجمعية الجغرافية الملكية دعتني إلى استكشاف مفازة اهنيت . فقررت الذهاب إليها لأرى ما فيها ." وكانت نتيجة ذلك رحلة حملته إلى أرض مجهولة امتدت نحو ٥٠٠ ميل في صحراء لم ترسم لها خريطة وافية .

كانت الرياح المثقلة بالغبار تحجب الرؤية ، وكثيراً ما استحال عليه تحديد موقعه من المعالم الظاهرة في الصور الفضائية لتلك المنطقة .

وبسبب الخلل الحاصل في معدات الملاحة اضطر توم إلى الاعتماد في الدرجة الأولى على البوصلة الشمسية للاسترشاد بها . وكان ، كعادته في كل مرة ، أخذ معه ساعة رولكس أويستر كوارتز التي ، كما يقول : "عملت دون خلل في الماضي ، وهي مع البوصلة آخر وسيلة ملاحية يُلجأ إليها ." غلافها المنيع المعروف بأويستر أثبت جدارته أيضاً في واحدة من أسوأ العواصف الرملية التي عرفها توم .

إنه يقول : "يسهل عليّ التآلف مع الخصائص الهندسية التي تتفوق بها رولكس ."

من صفات توم أنه لا يهمل أصغر التفاصيل في تخطيطه . وفي الصحراء ، فإن ساعته أبعد ما يكون عن أصغر هذه التفاصيل .

ROLEX

رولكس



ساعة رولكس أويستر كوارتز ديت جست كرونو متر ، من الفولاذ بحافة من الذهب الأبيض عيار ١٨ قيراطاً ، أو من الفولاذ والذهب عيار ١٨ قيراطاً .

العدد ٣٧٧ السنة الثالثة والثلاثون - أبريل ١٩٩٠

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

العربي
ص. ب: ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 الكويت
تلفون: ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيًا: "العربي" - الكويت
تلفون فاكسملي: ٢٤٢٤٣٧٥ - تلكس: MITR. 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL - ARABI
Issue No.377-Apr. 1990, P.O.Box: 748
Postal Code No. -13008 Kuwait.
A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information
State OF Kuwait.

الاعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الاعلانات

الاشتراكات ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - الإعلام الخارجي
وزارة الإعلام - ص.ب: ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة
مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٦ د.ك أو ٢٠ دولارًا باقي دول العالم ٨ د.ك أو ٣٠ دولارًا

ثمن النسخة

الكويت ٣٠٠ فلس	تونس ٥٠٠ مليم	سوريا ١٥ ليرة
العراق ٤٠٠ فلس	الجزائر ٥ دنانير	الامارات ٧ دراهم
الأردن ٢٥٠ فلسًا	السعودية ٦ ريالات	المغرب ٥ دراهم
البحرين ٤٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٤ ريالات	ليبيا ٥٠٠ درهم
اليمن الجنوبي ٣٠٠ فلس	قطر ٧ ريالات	أوروبا: جنيه استرليني ونصف
مصر ٣٥ قرشًا	سلطنة عُمان ٤٠٠ بيسة	فرنسا ٢٥ فرنكًا
السودان ٢٥ قرشًا	لبنان ٥٠ ليرة	أمريكا ٣ دولارات

محتويات العدد

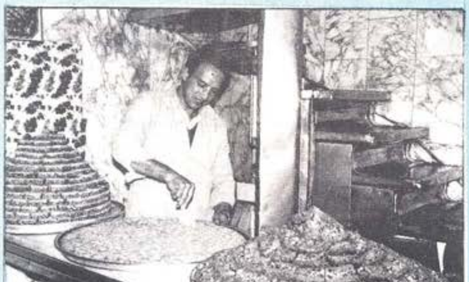
قضايا عامة :

عروبة وإسلام :

سياسة واقتصاد :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :



● صور رمضانية من بلاد الشام .... ص ١٣٢ .

أدب وفنون :



منتدى العربي :

تاريخ وتراث وأشخاص :

مكتبة العربي :

أبواب ثابتة :



صورة الغلاف

الأرجنتين ، أرض الفضة التي تحتل تلك المساحة بين مدار الجدي والقطب الجنوبي ، كانت موضوع استطلاع العربي هذه المرة . لقد ذهبت بعثة العربي بعيداً إلى حافة العالم الجنوبية لتنقل للقراء صورة عن الحياة والناس في تلك الأرض الجديدة . [ص ٦٨]

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع .

هذا التواصل الحميم

بريد « العربي » يكتظ كل يوم تقريباً برسائل القراء ، وهي مختلفة في الدافع والقصد ، بعضها فيه من المطالب الشخصية ما لا نستطيع أن نحققه ، أو نتابعه ، وبعضها فيه من القضايا العامة ما لا نستطيع أن نعطيه المساحة المناسبة ، وذلك لأن « العربي » مطبوعة شهرية ، تستوعب عدداً محدوداً من الموضوعات والصفحات .

ونحن نتفهم هذا في « العربي » ، فعلاقة القارىء بمطبوعته فيها قدر من الخصوصية ، وقدر من التواصل الشخصي ، وقد ألف الناس مع الوقت أن يعدوا كُتّاب مطبوعاتهم أصدقاء لهم ومعارف ، وأنهم - القراء - أصحاب حق على المطبوعة وعلى كُتّابها . وليس هناك مطبوعة في العالم تحظى بثقة قرائها ، وتحرص عليهم إلا ويسعدها هذا النوع من العلاقة مع القارىء ، الا اننا لا نستطيع من جهة أخرى تلبية ما لا يتوافق مع قدراتنا .

ومن أبرز ما احتوته بعض الرسائل في الفترة الأخيرة الكتابة عن ظاهرة بيع المجلة ومطبوعاتها بأكثر من سعرها الرسمي ، بل وقد شكا إلينا بعض القراء أن بعض الموزعين باعوا عدد يناير الممتاز خلواً من الهدية ، وهي خريطة لطرق المواصلات البرية في الوطن العربي ، وعلى الرغم من أننا نتفهم دوافع هذه التصرفات لدى بعض الباعة ، فإننا لا نتفق معهم ولا نوافقهم عليها ، فالمجلة كأي سلعة تخضع لقانون العرض والطلب ، ونحن نعترف أن الطلب على المجلة يتزايد يوماً بعد يوم ، ولكن طاقة الطباعة لا تستطيع أن تلبي كل طلبات الزيادة هذه ، ولأن « العربي » مطبوعة تصدر لخدمة الثقافة العربية وليس بغرض الربح ، فإننا نهمس في أذن القراء قائلين : في كل قطر عربي هناك شركة تتولى حق التوزيع ، وما عليك - عزيزي القارىء - إلا أن تتصل هاتفيا بهذه الشركة ، لتشكو ما يفعله الباعة .

عندما يصل إليك هذا العدد - عزيزي القارىء - نكون قد استقبلنا شهر رمضان الفضيل منذ أيام قلائل . ولشهر رمضان وقع خاص وجمال خاص ، ولأمسياته دفء حنون ، ولأيامه ذكريات نضرة ، ففيه نجوع ونعطش ونجتمع ونتسامر ونتزاور . ولذا فقد حاولنا أن يكون عددنا هذا أنيساً ، ورفيقاً وسميراً ، ليتناسب مع الشهر الكريم . من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب ، نطوف بك - عزيزي القارىء - في مساجد الجزائر وبيوتها وشوارعها ليقدم لك الكاتب العربي الكبير عبد الحميد بن هدوقة صورة مكتوبة عن رمضان في الجزائر ، وكيف يحتفي به الناس ، وذكرياته هو في صباه وطفولته . ومن الجزائر إلى درة الشام ، دمشق ، ومنها إلى حلب الشهباء ، ننقل لك صوراً ووقائع عن رمضان واستعدادات الناس له ، وكيف تصنع المشهيات التي ألفناها في رمضان ، كقمر الدين والمشمشية والقراصية .

في هذا العدد يكتب الدكتور سعد الدين ابراهيم في إطار ملف العرب في التسعينيات ، فيتناول مستقبل التيارات الدينية في الوطن العربي ، كما تقدم لك « العربي » في ملف الإبداع العربي مقالين عن القصة في وادي النيل ، والقصة في بلاد الشام .

والعدد حافل بالموضوعات المتنوعة ، فقد حرصنا على أن نقدم لك مادة تحظى برضاك ، وتلبي رغبتك في المعرفة والقراءة حرصاً منا على ثقتك التي نعتز بها ونسعد .

وإلى العدد ، وكل عام وأمتنا وقراؤنا بخير وصحة وعافية . □

المحرر

حديث الشهر

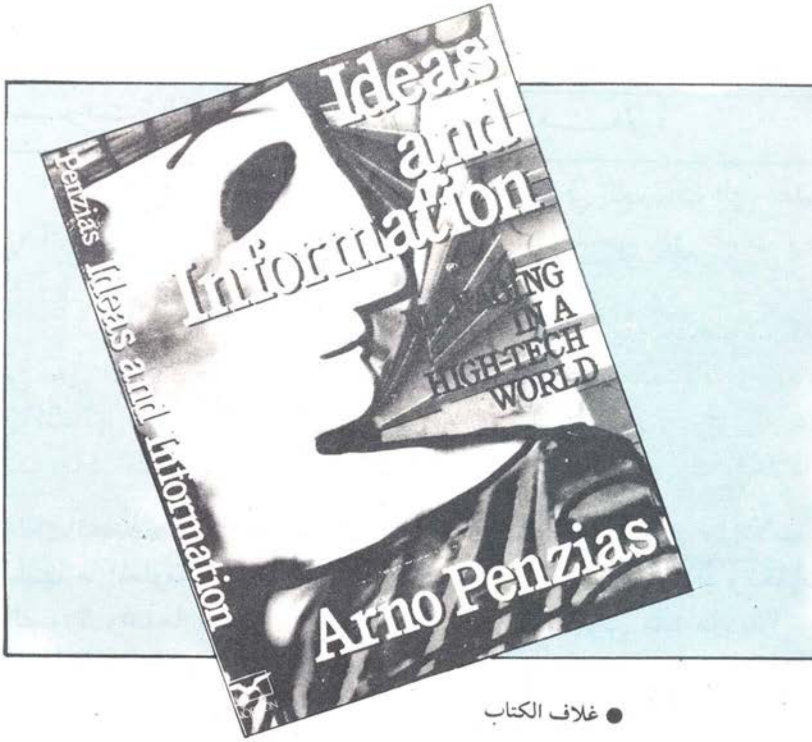
بقلم الدكتور
محمّد الرميحي

تأثير الأفكار والمعلومات في المجتمع العصري

« الأذكياء من الناس فقط هم الذين يدركون أن هناك أشياء كثيرة مازالوا يجهلونها »

تبدو هذه العبارة وكأنها متناقضة بعض الشيء، فنصفها ضد نصفها الآخر، أو قل : فيها إدراك لقصور في الادراك - إن صح التعبير - وهو عملية انسانية صعبة لا يتقبلها إلا القليلون، القليلون الذين هم هدف هذا الكتاب الذي قرأته في اجازة قصيرة، وعنوانه «أفكار ومعلومات : الحياة في مجتمع تقني متقدم». واذا كان ذلك هو هدف الكاتب من كتابه - فهو ليس غرضي من عرضه والتعليق عليه، بل غرضي مناقض للخصوصية، وهو أن يفهم قصد هذا الكتاب كثيرون.

لقد جذبني أول وهلة الى الكتاب مؤلفه وموضوعه، فالمؤلف هو أرنو بنزياس ARNO PENZIAS الحائز على جائزة نوبل في العلوم الطبيعية لعام ١٩٧٩ الذي عمل ومايزال يعمل في مختبرات شركة « بل » المهتمة بتطوير



● غلاف الكتاب

بعد عصر الثورة الصناعيّة نعيش الآن عصر الحاسوب وصناعة المعلومات

البحوث في الاتصالات المتقدمة. وموضوعه هو محاولة شرح ـ بكلمات بسيطة واضحة ـ علاقة انسان اليوم بالتقدم التقني، خاصة في أجهزة الحاسوب التي تتطور كل يوم. ويؤكد الكاتب من جديد على أن الانسان هو الأصل، وذلك التأكيد مصدر راحة لنا نحن في العالم الثالث، فالانسان هو الذي صنع الحاسوب الذي أخذ يحول بدوره حياة الانسان الى واقع جديد لم يعرفه تاريخ البشرية من قبل، ومصدر راحتنا أننا أيضاً يمكن ان نبدأ بالانسان.

كل من كتب في موضوع تطور الاتصالات الجديدة يتفقون على أن مانشهده اليوم أمامنا هو ثورة بكل معاني الثورة، انقلاب جذري يعتمد على المعلومات، إنه عصر المعلومات، فخلال جيل واحد فقط تحول العمل الذي تنجزه (عضلات) الانسان إلى عمل يعتمد انتاجه على (معلومات) الانسان. المعلومات التي عرفها الانسان فصنع الآلة التي تنجز العمل. إننا نعيش عصراً يعتمد الانتاج فيه على الحاسوب ذي القدرة الخارقة، والذكاء المشكوك فيه.

السرعة التي غيرت وجه العالم :

الفرق بين انجاز الانسان وانجاز الحاسوب، في العمليات التي نطلب منه أن يقوم بها، هو فرق في السرعة، هذه السرعة هي التي غيرت وجه العالم.

المؤلف بنزياس كتب هذا الكتاب، بعد خبرة طويلة بالموضوع، كتبه من أجل الكشف عن أسرار لا نعرفها، تحيط بعمليات هذه الآلة وخدماتها في المستقبل، ومشروع العلاقة بينها وبين عقل الانسان، وبما أنه عالم الكترونات متمكن فقد عرف تلك الأسرار وبدأ يكشف تلك العلاقة.

إنسان هذا العصر ـ عصر المعلومات ـ تُفرض عليه تساؤلات : بدايتها ما المعلومات ؟ هل هي مجرد مجموعة من الرموز والأعداد والكلمات والصور؟ وعندما يتعامل الانسان معها كيف يستخلص منها مايريد؟ وما مقدار كفاءة هذه الآلات التي نعتمد عليها للحصول على المعلومات؟ والى أي مدى قد تصل دقتها وكفاءتها؟ والأهم من ذلك : ما أثر كل ذاك على الدور الذي يقوم به الانسان في الحياة الحديثة؟ هل ستصبح الحياة بكل تفرعاتها أسهل أو أكثر تعقيداً عندما نستعمل هذا الجهاز؟

وسؤال عام يلح على المؤلف يبحث له عن جواب في ثنايا هذا الكتاب هو : كيف يمكن أن تصبح العلاقة بين «العقل البشري» و الحاسوب ؟ هل هي علاقة مشاركة أو علاقة منافسة؟

ان هذا الجهاز الجديد الذي نسمع عنه، ونكتب عنه يقوم بالتنبؤ لنا عن حالة الطقس، ويحدد مسار الطائرات والصواريخ، ويكشف دقائق جسم الانسان، ويكتشف لنا الخلل في محطات الكهرباء الضخمة، ويلتقط اشارات الاذاعة بجهاز استقبال صغير، ويقوم بعشرات الأعمال، وبدأ ـ باختصار شديد ـ يغزو جميع أعمال الإنسان في العالم، فكيف يعمل ؟ وما المدى الذي يمكن أن تصل اليه امكانياته؟ ثم ما وقع هذا التقدم التقني الذي يكتسح العالم على حياة الناس؟ وأخيراً ما آفاق هذا التقدم؟



يقول المؤلف إن أفضل الاجابات، عن مثل هذه التساؤلات تكون حينما يتفهم الناس كيف يوفقون بين العقل البشري والآلة، ويشركونهما معاً ليؤدي كل منهما الدور المنوط به لما فيه خير البشرية وسعادتها . فالحاسوب الحديث له دور وعمل يقوم بهما، لكن دوره لا يلغي دور العقل البشري



الحاسوب يحوّل الحياة الإنسانية الى واقع جديد لم يعرفه الإنسان من قبل

ومنجزاته على مر العصور، كما أنه لا يستطيع أن يلغي التقنية القديمة التي كان يستخدمها الانسان قبل اختراع الحاسوب .

فالعقل البشري هو الذي اخترع الكتابة والرسم، والحساب، واستخدمها وسائل لنقل الأفكار وحفظ المعلومات قبل أن يُخترع هذا الجهاز ، وهو الذي اخترع الورق والطباعة وكثيراً من الوسائل اللازمة للاتصال والتذكير والتفكير، والانتقال من الوسائل القديمة الى الوسائل الجديدة، فهي اذن عملية تقدم وتطور طبيعية لا يمكن أن تلغي دور العقل البشري .

إن ما يطلقون عليه اسم ـ «ثورة الكومبيوتر» ـ يجب أن لا ينسينا أن ما يستطيع هذا الجهاز انجازه باستخدام الرموز والأرقام والكلمات والرسوم، إنما يخضع لقواعد علمي المنطق والحساب التي يستخدمها الانسان. هذه القواعد التي تمكن هذا الجهاز من ايجاد الحلول للمشاكل التي نعرضها له . وهي التي تمكن العقل البشري في الوقت نفسه من الوصول الى حلول لها عن طريق استخدام الذكاء الطبيعي، فالحاسوب مثلاً يستطيع التعرف على الخطوط، وكسب مباريات في الشطرنج، وتحديد مكان الخلل في الآلة، وكلها أمور يستطيع أن يقوم بها الانسان، ولكن الفرق في ذلك أن الانسان يحتاج الى وقت أطول مما يحتاج الجهاز الذي يقوم باختصار الزمن، ومن جهة أخرى فالانسان قد وهبه الله نعمة الذكاء الذي يمكنه من الربط بين الامور ونتائجها، والانتقال من السبب الى النتيجة بقوة الفكر وألمعية الذكاء، وذاك ما لا يستطيعه الحاسوب .

صناعة المعلومات :



يشرح لنا مؤلف الكتاب الصعوبات التي لقيها في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات عندما كان يعمل لانجاز بحثه في رسالة الدكتوراة، وكانت عن الاتصالات اللاسلكية في الفضاء، وماكان يعانيه في تتبع المجالات بين المجرات، ليعرف ما إذا كان بينها هيدروجين أولا، وعلى الرغم من أجهزة الرصد المتقدمة التي كان يستخدمها حينذاك فقد كان عليه أن يُثبت عدة شاشات رادار في وقت واحد، وأن يقوم بتوجيه هوائياتها الى بقع جديدة في الفضاء كل بضع ثوان، وهي أمور غاية في الصعوبة بالنسبة للانسان، بل تكاد تكون متعذرة، ويقارن المؤلف بين تلك المصاعب في ذلك الوقت وبين التسهيلات التي يمكن أن يقدمها الحاسوب لو أنه أجرى الأبحاث نفسها اليوم، فأجهزة الحاسوب الآن تستطيع أن تقوم بعدة مئات من عمليات المراقبة في اللحظة نفسها، وتسجل كل منها على حدة وتقدمها لطالبها فوراً عبر شاشة العرض، كما تستطيع هذه الأجهزة القيام بعمليات المراجعة والتدقيق واستخراج المعدلات، وإجراء المقارنات بين المعلومات السابقة واللاحقة.

هذا الجهاز إذن يساعد العقل البشري بفيض من المعلومات، وبسهولة كبيرة تعينه على الوصول الى الافكار الخلاقة، ليس في المجالات العلمية فقط بل في معظم النواحي التي تمس الانسان، ولكن ما أهمية تزويد الانسان بفيض من المعلومات؟

مجالات الاختصاص في عالمنا الحديث كثيرة متشعبة، ولكل من هذه المجالات معلومات خاصة به، قد تضطر الباحث في الظروف العادية الى قراءة عشرات بل مئات الكتب والمراجع لاختيار ما يحتاج اليه من معلومات، كي يتخذ قراراً في أمر معين، وهنا نصل الى الاجابة عن السؤال السابق. **فاتخاذ القرار** هو الدافع الأول للبحث عن المعلومات، وهو الرابط الذي يصل بين جميع مجالات الاختصاص، واتخاذ القرار في بعضه قد يكون أمراً سهلاً كاختيار اسم لأحد المتغيرات في برنامج الحاسوب، أو اختيار نوع من الاقلام للكتابة به، وقد يكون أمراً معقداً كالتنبؤ مثلا بمقدار النمو في مجمل الدخل القومي لبلد ما، أو تأثير المدخلات الاقتصادية في بلد على النسيج الاجتماعي والعلاقات السياسية، أو تأثير إقامة مجموعة من المصانع الجديدة على البيئة المحيطة.

هل تؤثر التقنية على قيم الناس ومعتقداتهم؟

صناعة القرار السليم لا يُمكن أن تتمّ إلّا في ضوء معلومات دقيقة

صلب الموضوع أن القيام بأي عمل، صغيراً كان أو كبيراً في أي مجال من مجالات الحياة والعيش، يتطلب أولاً وقبل كل شيء اتخاذ قرار، فإذا اتخذنا قراراً وباشرنا العمل توصلنا إلى معلومات جديدة، هذه المعلومات قد تتطلب القيام بعمل جديد وقرار جديد، واتخاذ القرار يتطلب معلومات، والمعلومات تقود الى قرارات. البحث والتطوير حلقة متصلة لا تخلو منها مؤسسة حديثة أو دولة لها قواعد الدول المعاصرة. إن البحث والتطوير هو استمرار في البحث عن المعلومات (في المؤسسة أو مجموعة المؤسسات) حتى نصل الى اتخاذ قرار يوصلنا الى الهدف الذي نريد.

الحصول على المعلومات واختيار ما نريده منها عملية صعبة طويلة معقدة، تتطلب تضافر الجهود وتعاون الكثيرين للحصول عليها وتصنيفها بشكل يُسهل على الباحث المقارنة بينها، واختيار ما يحتاجه منها في وقت قصير، وهذا هو المهم، فعملية معقدة كعملية اطلاق صاروخ الى الفضاء مثلاً، تتطلب الحصول على معلومات دقيقة ومفصلة دفعة واحدة، وبسرعة فائقة، تفوق قدرة الانسان منفرداً أو حتى متضافراً مع غيره. وحتى العمليات الأقل تعقيداً من اطلاق صاروخ، كعمليات انزال منتج جديد إلى السوق كنوع جديد من السيارات، أو افتتاح مخزن جديد، هذه الأعمال تستغرق كثيراً من الجهد والوقت والمال، وتستلزم اتصالاً بالمختصين، كل في مجال اختصاصه، أي الحصول على معلومات قبل الوصول الى قرار نهائي.

تيسير سُبل الحياة:

لقد أصبح الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات أمراً أساساً لا غنى عنه في كل ناحية من نواحي النشاط البشري، بل إن نجاح مؤسسة وتفوقها على قريناتها في ميدان اختصاص معين، يعتمد على مقدار ماتملكه من معلومات.

من هنا ندرك أهمية الحاسوب الذي استطاع ان يتخطى كل هذه المصاعب ويحلها كلها دفعة واحدة، ويوفر الكثير من جهد الانسان ووقته وماله بتقديم فيض من المعلومات فور طلبها وفي وقت قياسي.

لقد أثبتت الدراسات، كما يقول الكاتب، بما لا يدع مجالاً للشك، أن النجاح يكون دائماً حليف الانسان الذي يستخدم التقنية الحديثة، للحصول على أحسن النتائج، فمستخدمو الوسائل التقنية يتفوقون دائماً على غيرهم من التقليديين الذين يفضلون الإبقاء على الطرق والوسائل القديمة. ويضرب

طلب المعرفة لا ينقص من قدر صاحبه لكن الجهل هو الذي يزري به

مثلاً على ذلك بشخصين في شمال اسبانيا كانا مشهورين قبل الحرب العالمية الثانية بالصناعة الدقيقة لبنادق الصيد، وكانا ينتجان - يدوياً - بنادق جميلة دقيقة الى حد كبير، وانتاجهما لا يتعدى بندقيتين كل اسبوع. وعندما تقدمت وسائل التقنية، وأدخلا الآلات الحديثة، استطاعا أن ينتجا عدداً أكبر من بنادق الصيد، وبمواصفات ودقة أفضل. فالتطور والتحول نحو الأفضل سنتان من سنن الحياة لا يستطيع أحد إنكارهما، فالبريد مثلاً تطور من استخدام الدواب الى القطارات الى السيارات ثم بواسطة الأجهزة الحديثة التي تنقل الرسائل آلاف الأميال بعيداً فور الانتهاء من كتابتها.

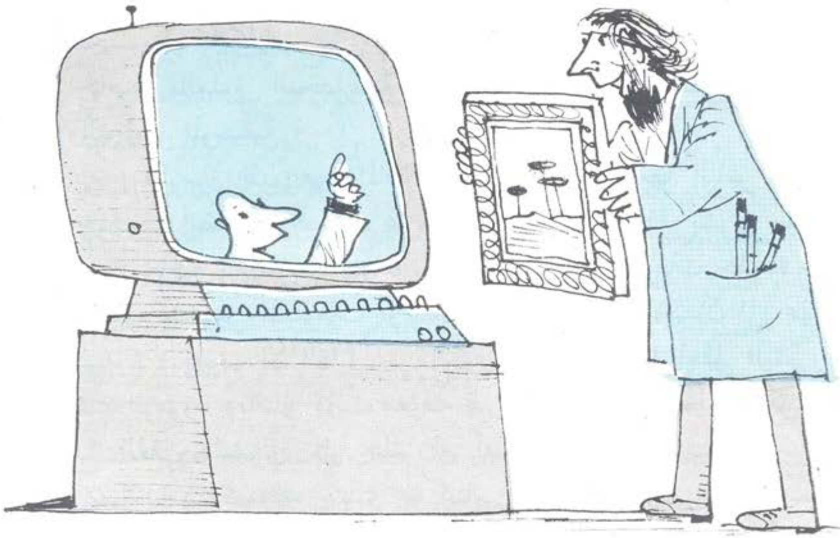
إلا أن الأمر الآخر الذي يلاحظه الكاتب، أن استخدام التقنية الحديثة لا يعني بالضرورة إحداث تغيير كبير في قيم الأفراد ومعتقداتهم، فكثيرون من الناس يستخدمون المبتكرات التقنية الحديثة، دون أن يؤثر ذلك في نظرتهم للحياة وللآخرين التي درجوا عليها. فالتقنية تيسر سبل الحياة، وتسهل مهمة الباحث للحصول على المعلومات، وتختصر الوقت اللازم للوصول الى النتيجة المطلوبة. لقد أصبح بالامكان - بالاستعانة بالتقنية الحديثة - اختصار الزمن من بضعة أشهر إلى بضعة أيام، بل إلى بضع ثوان. المعضلة: كيف يغير الانسان فكره عن نفسه، وعن الآخرين؟ وكيف ينظر إلى الحياة؟

الثورة الصناعية والثورة التقنية :

كثير ما يخطىء بعض الناس بتشبيه الثورة التقنية وثورة الاتصالات التي يعيشها العالم اليوم، بالثورة الصناعية الثانية التي شهدها العالم الغربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فبينهما أكثر من اختلاف، فالثورة الصناعية كانت تهدف الى زيادة الانتاج في السلع والمواد المصنعة، أما الثورة التقنية والاتصالية فإنها تهدف الى تحسين نوعية الحياة وتسهيلها، والى التغلب على المصاعب الناتجة عن عدم كفاية الموارد المادية بتيسير الحصول على المعلومات اللازمة عن أماكن توافرها، وطرق الاستفادة القصوى منها. الثورة الصناعية اعتمدت على (ماديات) والثورة التقنية والاتصالية تعتمد على (معلومات) وعناصر بشرية مدربة تستطيع مواجهة حاجات الانسان المتزايدة.



الثورة الصناعية استلزمت تدريب البشر، والثورة التقنية والاتصالية يخلقها ويطورها بشر مدربون، فالحاسوب الذي يعتمد أساساً في عمله على



علمين رئيسين هما: علم الحساب وعلم المنطق، يستطيع أن يحل لنا مشكلات تعتمد على ما لقناه له في حدود هذين العلمين من مشاكل، ولكنه لا يستطيع أن يقدم لنا أي خدمة في مجال الالهام أو الابداع الفني، فالالهام والابداع الفني مازالا مقصورين على العقل والذكاء البشريين، وهما لا يوجدان عند البشر بالتساوي. ولا يستطيع الحاسوب أن يحكم لنا، أي لوحة من اللوحات الفنية أفضل من غيرها، ولكن مازالت مجموعة كبيرة من البشر الأذكياء تعمل لايجاد حل لهذا العجز في الحاسوب وأمثاله.

هذا يعني أن طريقة تجميع المعلومات، وخزنها، والاستفادة منها في الحاسوب اليوم لم تعد ثانوية في حياتنا، بل أساسا، وانها تؤثر في طريقة تعامل بعضنا مع بعض، وفي القرارات التي نتخذها أيضاً.

الأرقام والكلمات والصوَر:

هل علاقة الحاسوب بالعقل البشري علاقة مشاركة أو منافسة؟

دون إثقال على القارىء وتكليفه مشقة التجوال داخل أجهزة الحاسوب المعقدة، وهي أمور فنية لاتهم إلا المهندسين والمختصين، يقول الكاتب: إن هناك مدخلاً آخر لفهم عمل هذا الجهاز، إنه ببساطة العلم بأن الطرق التي تتم بواسطتها الاستفادة من المعلومات المخزونة في هذاالجهاز تعتمد على استخدام الرموز، فبالرموز تستطيع التعبير عن الأفكار وتحديد



الشروط والنوعيات وغيرها من الأمور التجريدية، بالاضافة الى الأمور المحسوسة كالكلمات والرموز والصور، وعلامات التنقيط، والاشارات الخاصة بالعلوم التخصصية، كالرموز الحسابية والمعادلات الكيميائية والنوتات الموسيقية.

فالرموز إذن هي المادة الخام التي يستخدمها الناس ويستخدمها الحاسوب أيضاً في الحصول على المعلومات، وكل عقل بشري يبتدع لنفسه رموزاً خاصة يتعامل بها عندما يريد أن يكتسب معلومات جديدة محسوسة، أو يقوم بتحويل المعلومات أو بتخزينها. وقد ظل الانسان الى عهد قريب نسبياً، لا يعرف إلا القليل عن الكيفية التي يقوم بها العقل البشري بخلق تلك الرموز، وبالتالي كانت معرفته غير كافية لتحويل عملية الخلق التي يقوم بها العقل البشري الى علم له أصول وقواعد وأسس يمكن كتابتها واستخدامها كنموذج يهتدي به الناس عندما يريدون القيام بعملية خلق للرموز جديدة.

الرموز بحد ذاتها ليست شيئاً جديداً في حياة الانسان، فقد ابتدعت منذ عهد بعيد جداً، وقبل أن يدرك الانسان - كما يعتقد بعض الناس - وجود عقل في رأسه، يسيره ويعطيه القدرة على الخلق والابداع. فقد كانوا يعدونها جزءاً من طبيعة الانسان التي فطر عليها، وبالتالي لم يكونوا قادرين على وضع قواعد وأسس ثابتة لهذه القدرة، حتى وإن كانوا يريدون ذلك.

بدلاً من ذلك عمد الانسان الأول الى استخدام رموز بسيطة للأمور المحسوسة كالاشارات بالاصابع لتبيان العدد، واستخدم نغمات خاصة في قرع الطبول وسيلة للاتصال بين الناس، لنقل رسالة معينة، صحيح ان هذه الرموز صادرة عن العقل، ولكن استخدامها يختلف في غاياته عن الرموز الحديثة التي ابتدعها العقل البشري لاستخدامها لأغراض أخرى أكثر تطوراً وتعقيداً من الحاجات البدائية، ولقد لقنها للحاسوب للاستفادة منها على نطاق واسع، فالرموز إذن هي وسيلة للوصول الى غاية هي نقل المعلومات.

لقد استخدم الانسان الصور للتعبير عن الاشياء قبل عشرات الآلاف من السنين، ثم استخدم مسميات لتلك الصور، أما استخدام الحروف الابجدية والأرقام العشرية في الكتابة فقد بدأ في الشرق الاوسط، ومنها امتد إلى بقية أنحاء العالم ولم يصل الى فرنسا مثلاً الا في أواسط القرن الثاني عشر.

ومما يجدر ذكره هنا ان البنائين اليوم لا يستطيعون ان يبنوا حجرة

كلّ الحضارة بُنيَت على نظام الترقيم العشري الذي ابتدعه العرب

صغيرة إلا بعد اجراء بعض الحسابات، ووضع بعض الرسوم، ولكن من قاموا ببناء كنيسة نوتردام في باريس لم يكونوا يستطيعون ضرب عدد صغير في عدد صغير آخر والوصول إلى جواب صحيح، ولم يكونوا يعرفون عملية القسمة بتاتاً. والنظام العشري لم تعرفه اوربا إلا بعد الألف الأول من الميلاد عندما قام النورمانديون (١٠٩١م) بالاستيلاء على صقلية التي كان يسكنها المسلمون، ولحسن الحظ - كما يقول المؤلف - عرف الفاتحون الجدد قيمة الغنائم التي حصلوا عليها من المهزومين، وكان من ضمنها مخطوطات حوت النظام العشري للارقام الذي سرعان ما أدرك الغرب قيمته، واعتمده أساساً لعلم الرياضيات.

وما لبث النظام الرقمي الجديد ان فتح الباب واسعاً امام تفهم أفضل للرياضيات، حتى فتح للغرب آفاقاً جديدة في مجالات فكرية أخرى كعلم الفلك وعلم الديناميكا الهوائية الذي يبحث في القوى المتحركة عبر الهواء. وهكذا انتقل الغرب من حالة الجهل المطلق الى حالة الاعتماد الكلي على الأرقام، حتى أصبحت الحياة بدون أرقام في حياة معظم البشر غير ممكنة ولا يتصور أحد منهم قيامها.

ولولا الأرقام التي قدمتها الحضارة العربية الاسلامية للعالم ما اخترعت الآلة الحاسبة وما اخترع الحاسوب بكل ما يقدمه لنا من مساعدة في انجاز الأعمال بسرعة فائقة.

مساهمة العرب المسلمين في خلق الارقام والاضافة إليها تعني شيئاً واحداً هو أن الانسان إذ ذاك كان قادراً على الاستيعاب والبحث والتطوير بما فرضه عليه زمانه وعصره، وليس أمام الانسان العربي اليوم عذر مهما تعددت المسميات والعوائق ان لا يتابع البحث والتطوير من المكان الذي انتهى إليه الآخرون في العلم والتقنية.

الآلــة والإنســان :

بعض الآلات يقوم بتحريك أشياء مادية (كالزوارق والقطارات والرافعات) وبعضها يقوم بتحريك أشياء رمزية (كالساعات وأجهزة الحاسوب). الأولى تقوم بعمل هو أشبه ما يكون بالعمل (العضلي) للانسان، والثانية تقوم بعمل هو أشبه مايكون بالعمل (العقلي) للانسان. بمعنى أنها تقدم للانسان المعلومات التي يحتاجها في مجالات الزمان والمكان والشكل.

جيل جديد من أجهزة الحاسوب يتلقى الأوامر من مستخدمه مباشرة

الآلات التي تقدم المعلومات للانسان، مطلوب منها تخزين الرموز ونقلها والتعامل معها، وتحويل الرموز الى رموز اخرى حسب قواعد علمي المنطق والرياضيات، أي أن هذه الآلات مطلوب منها القيام بمهمات لم تكن تسند الى آلات تحريك الاشياء. الآلات التي تقوم بتقديم المعلومات مبتكرات حديثة، من مبتكرات عصر الاتصال. فقد كان الانسان يصنع الآلات في عصر الثورة الصناعية لتقدم له معونة مادية ملموسة، ففي منتصف القرن الثامن عشر كانت ساعة ميدان واحدة في وسط المدينة كافية لخدمة سكان تلك المدينة، ولكن في كل مدينة العديد من دواليب الغزل، والعربات، وأحجار الرحى، والرافعات. وفي النصف الثاني من القرن العشرين فقط بدأت ثورة الاتصال تأخذ تدريجياً مكانها المرموق، وجاء اختراع «الترانزستور» والحاسوب و«الفاكس ميلي» لتغير صورة الآلة ونوع عملها، وقد أدت الاختراعات التي تعتمد على الدورة التقنية المدمجة، الى سلسلة من الاختراعات الاخرى في مجال الطب، والطيران والبناء والاتصال، وهكذا تغيرت صورة المجتمع في فترة زمنية قصيرة نسبياً، وأصبح وجود مجتمع دون حاسوب أمراً نادراً.

التحدي هو التطور المستقبلي لهذا الجهاز العجيب، ويعتقد المؤلف انه لن تقف أمام الحاسوب عقبات كبيرة، حيث ستصبح أجهزته قادرة في وقت قريب على استخلاص المعلومات من اللغة الطبيعية للانسان. أي أنك تستطيع أن تأمره في المستقبل بلغتك المباشرة طالباً منه ماتريد بدلاً من الصيغ الرمزية المستخدمة الآن.

الأفكار والذكاء:

كيف تتولد الأفكار؟

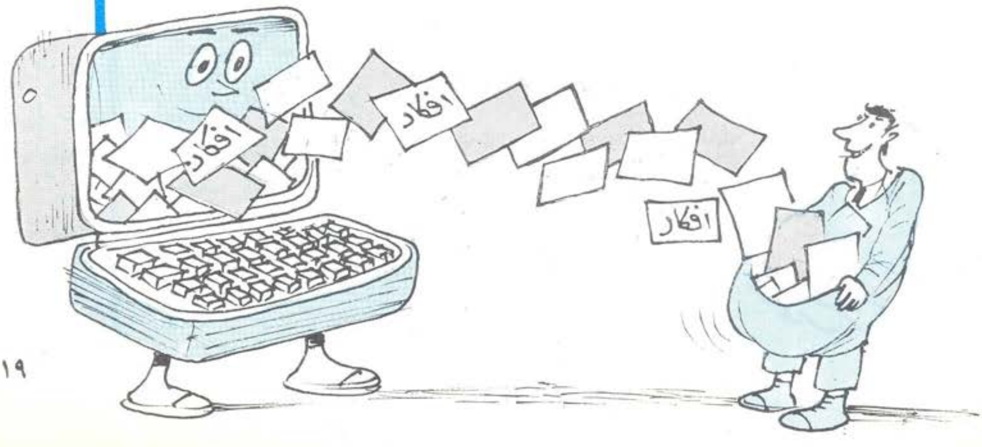
لا توجد اجابة قاطعة عن هذا السؤال، ولكن المعروف في الغالب ان المصدرين الرئيسين للأفكار الجديدة هما عمق المعرفة، وسعة الاطلاع. وهذان لا يتوافران للانسان إلا إذا كان محباً للاستطلاع بطبيعته، لا يأنف من الاستفسار عن كل أمر يجهله، حتى لو بدا سؤاله لبعض الناس بسيطاً ساذجاً. المهم أن يكون السؤال في صميم الموضوع، ويتعلق بناحية من نواحي المعرفة، وإلا كيف يستطيع أي انسان أن يأتي بأفكار جيدة إن كان يخجل من السؤال عن أمور لا يعرفها بينما هي معروفة لدى الآخرين؟

فحب الاستطلاع يولد مع الطفل، مع بداية إلمامه بالحديث حيث تكون معرفته ضحلة، ولا يتردد في السؤال عن كل أمر، وتقل الأسئلة مع التقدم في السن وتراكم المعرفة، ولكنها لا تتلاشى، لأن العالم زاخر بكل أنواع المعارف القديم منها والجديد، والمعضلة أن تبنى ثقافة ما على قمع هذا التوجه، وأعني به حب الاستطلاع المعرفي، فيرسخ في الأذهان أن السؤال عما لا نعرف: فيه حط من شأننا الاجتماعي والثقافي!

أهل الفكر والأذكياء يدركون أن السؤال عما لا يعرفون ليس فيه مثلبة، وانهم مهما حصلوا من ثقافة وعلم، ومهما قدر لهم المجتمع ذلك، فهم يدركون أن هذا التقدير مبالغ فيه، لأنهم مهما حصلوا من علم يبقون قد علموا شيئا وغابت عنهم أشياء كثيرة، فلا صَغار في توجيه الأسئلة الى أصحاب الاختصاص.

لا يخجل الانسان العاقل من أن يتعلم ممن هم أدنى، كما يتعلم ممن هم أعلى مرتبة علمية وثقافية، فنحن لا نعرف أننا لا نعرف إلا بعد أن نسأل.

وزيادة المعرفة وتطوير الافكار لا يقصران على الأمور النظرية، فالامور التقنية تتطور وتتقدم كل يوم أيضاً. والحاسوب إحدى أدوات العصر للفهم والتطور، وفي تقدير الكثيرين أن تدريسه في المدارس والجامعات لم يعد قضية ثانوية أو اختيارية، بل يجب أن تكون أساسا وإجبارية. وليس الجلوس أمام هذه الآلة والعبث بمفاتيحها هو الهدف، فذلك لا يخلق تفكيراً خلاقاً، وإنما الهدف فهم الفلسفة من وراء هذا الجهاز، ألا وهي البحث والتطوير، وتخزين المعلومات واسترجاع المراد منها وخلق الأفكار الجديدة من كل ذلك، أي استخدامه للبحث والاطلاع فمنها تنطلق الافكار الجديدة، أما الابتكار فهو حتى الآن خاص بالانسان وهو مجدول بصفة الذكاء التي خص الله بها الانسان وحده.



البشـــــر .. البشـــــر :

ثــورة الاتصـالات قـام بها بشرٌ ذوو دُرْبَـةٍ متعـلمون

لقد قلنا وقال الآخرون إن الانسان هو الذي اخترع الآلة، كما أن الآلة لا تستطيع أن تحل محل الانسان، إنها تستطيع أن تقوم ببعض الأعمال التي يقوم بها الانسان، كما أنها تغير من طبيعة المؤهلات المطلوب توافرها في المنتجين، فالعامل أو الموظف الذي يشرف على الآلة، لابد له من حد أدنى من الخبرة والمعرفة والثقافة، وإلا سيطرت عليه الآلة - أي أنها أصبحت تعطيه انتاجاً متدنياً - بدل أن يسيطر عليها.

الآلة المتقدمة تساعد الانسان وتفرض عليه التقدم في المعرفة، فهي تغير من طبيعة البشر والمجتمعات، والانسان الجاهل والمجتمعات التي لا تهتم بالعلم والثقافة لا تستطيع أن تستخدم الآلة المعلوماتية. والآلة المعلوماتية بدورها تحتاج الى تخصص، لأن أي خطأ في عمل أي جزء منها يفسد العمل الكلي ويعطله.

● ● ●

وعالمنا يتجه في كل يوم الى المزيد من الترابط، ومزيد من الاعتماد المتبادل بين أجزائه، فوسائل المعلومات الحديثة صار بمقدورها أن تأتينا بالمعلومات التي نريدها وتنقل كلماتنا وأفكارنا الى حيث نريد، وبسرعة مذهلة، ولا يجوز في المعادلة الدقيقة أن يخضع الناس للآلة مهما بلغت دقتها إذ ستعطل الروح الخلاقة للافراد، ولا يجوز من جانب آخر اهمال هذه الآلة أو عدم الاستفادة من حسناتها.

إن البشر هم الذين يتولون تنظيم النشاط التقني، وهم الذين يستفيدون منه، فالانتاج الفكري والإنتاج التقني يجب أن يسيرا جنبا الى جنب في المجتمع الواحد. وأن نتذكر دائما أن هذه الأجهزة المتطورة وجدت كي تعين الانسان ليتخذ القرار الصحيح، من ضمن معطيات المعلومات المتراكمة الكثيرة، ولم توجد الآلة لفرض قرار ما على الانسان، فالعقل البشري كان وما يزال هو الأقوى وسوف يظل كذلك، وهو سيد الموقف وصاحب المكانة الأولى. إن اهتمامنا الأقصى يجب أن يتوجه إلى البشر القادرين على التحكم في الآلة المعلوماتية الجديدة □

محمد الرميحي

مستقبل الحركات الإسلامية في الوطن العربي

بقلم : الدكتور سعد الدين ابراهيم

« كان من أبرز سمات عقد الثمانينيات المنصرم تصاعد حركة التيارات الإسلامية على امتداد الوطن العربي ، وهي حركة دار حولها الحديث والاجتهاد والاختلاف والاتفاق .

وهذه المقالة تحاول أن تربط الظواهر وتفسرها ، وترصد المستقبل وتتنبأ به ، لكي تقدم محاولة لتفسير حركة التيارات الإسلامية ، خلال عقد التسعينيات » .

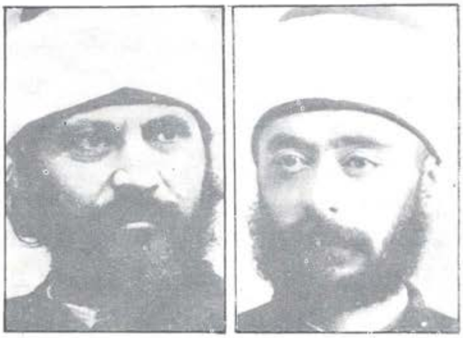
شهد عقد الثمانينيات استمرار نشاط الحركات الإسلامية قوة سياسية نامية على الساحة العربية . وكان هذا النشاط قد بدأ في مصر بشكل ملحوظ ، في أعقاب هزيمة ١٩٦٧ ، وإن كان بلا إفصاح عن رسالته السياسية المباشرة ، إلا بعد رحيل الزعيم جمال عبدالناصر عن دنيانا في سبتمبر ١٩٧٠ . ففي أوائل السبعينيات أفرج الرئيس أنور السادات عن بقية المسجونين والمعتقلين من الإخوان المسلمين ، وأعطاهم الضوء الأخضر لكي ينشطوا سياسيا ، وبخاصة في الجامعات المصرية التي كان يسيطر على العمل السياسي فيها حينئذ اليساريون والناصريون المناوئون لنظام الرئيس السادات . ونمت التيارات الإسلامية في مصر باطراد منذ ذلك الحين ، وبدأت تشكل ظاهرة اجتماعية سياسية اقتصادية ثقافية متصاعدة . ومن مصر بدأت الظاهرة نفسها تنتقل إلى أقطار عربية وإسلامية أخرى طوال السبعينيات والثمانينيات . وعلى الرغم من أن هناك خصوصيات قطرية تصبغ الحركات الإسلامية في كل قطر عربي إسلامي بصبغتها ، فإن هناك قواسم مشتركة في عوامل ظهور هذه الحركات ونموها . كما أن هناك قواسم مشتركة في الاستراتيجية والتكتيك والمسيرة لهذه الحركات ، فهي تبدأ عادة حركات احتجاجية عنيفة ، ثم تتحول تدريجيا إلى قوى سياسية ، تهدف إلى المشاركة في الحياة العامة ، والتأثير في صناعة القرارات بطرق سلمية .

وهذا ما نتوقعه لمعظم الحركات الإسلامية في عقد التسعينيات .

الإسلام السياسي بديل قديم جديد

حينما نقول : إن الحركات الإسلامية المعاصرة قد بدأت في أعقاب هزيمة ١٩٦٧ ، فإننا نقصد بذلك الجولة الحالية من « الإسلام السياسي ».وهذه نقطة جديرة بالتأكيد في بداية المقال ، فالإسلام دين الأغلبية العظمى من السكان في الوطن العربي ، وهذا شأن لا جديد فيه ، حيث ذلك هو واقع حال هذه الأمة منذ أربعة عشر قرنا ، أي منذ ظهور الإسلام في الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي . كما أنه ليس أمرا جديدا أن يكون العرب المسلمون من اكثر شعوب العالم تمسكا بدينهم المتميز ، لأن الاسلام دين ودنيا وأسلوب حياة وتفكير ومعاملات .

والإسلام السياسي تسمية اصطلاحية حديثة ، فالاسلام منذ بدايته كان سياسيا ، بمعنى أنه دين ودنيا ودولة . وقد ظل كذلك طوال ثلاثة عشر قرنا من تاريخه . ولم تكن هناك حاجة خلال هذه القرون لإضافة صفة « السياسي » للإسلام ، فقد كانت « السياسة » ركنا هيكليا في مكونات الإسلام ، فباسم الاسلام حكم النبي ﷺ دولة المدينة . وباسم الإسلام حكم خلفاؤه الراشدون ، ثم بنو أمية ، ثم العباسيون ، انتهاء بسلاطين آل عثمان، إلى أوائل القرن العشرين .



● عبد الرحمن الكواكبي ● جمال الدين الأفغاني

ولكن استحداث مصطلح « الاسلام السياسي » في أواخر القرن الماضي ، وطوال هذا القرن ، جاء ردا أو استجابة لأنظمة الحكم ومصادر الشرعية الجديدة التي بدأت تفد إلى المنطقة من أوربا ، والتي تعتمد على الدساتير والقوانين والتنظيمات الوضعية . وقد تزامن وفود هذه البدائل الوضعية ؛ أي ذات المصدر الإنساني وليس المصدر الإلهي أو السماوي ، مع الاختراق الغربي لديار العروبة والإسلام ، عسكريا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا . وكان هناك ما يشبه الإجماع على ضرورة مقاومة هذا الاختراق الاستعماري الغربي ، لكن العرب المسلمين اختلفوا على أنجع الوسائل لمقاومة هذا الاختراق ، وانقسم فكرهم في هذا الصدد على ثلاث مدارس رئيسة :

. المدرسة الرافضة لكل ما هو غربي .
. المدرسة القابلة لكل ما هو غربي .
. المدرسة الموفقة بين بعض ما هو غربي وبعض ما هو تراثي .

وعلى الرغم من أن أصحاب المدارس الثلاث كانوا ، ومايزالون ، يريدون أن يكونوا أندادا للغرب ، وأن ينهضوا بأقطار العروبة والإسلام ، فإن منطقهم في كيفية الوصول إلى هذه « الندية» وهذا « النهوض » ، هو الذي تباين واختلف .

فالمدرسة الرافضة لكل ما هو « غربي » ، كان منطقها وما يزال هو أن « الغرب الاستعماري » وحدة لاتتجزأ ، فَرَفْضُ هيمنته العسكرية والاقتصادية ينبغي أن يرافقها رفض لكل أنظمته وقوانينه وأسلوب حياته . وان في إسلامنا وتراثنا ما يكفي ويزيد ، للنهضة والتقدم وإحراز الندية المطلوبة ، لقهر الاستعمار ، والمحافظة على الاستقلال . وكل ما هو مطلوب من العرب والمسلمين المعاصرين هو التمسك بدينهم الصحيح الحنيف وتطبيق شريعته .

أما المدرسة القابلة لكل ما هو غربي ، فقد كانت تميز بين « الغرب الاستعماري » الذي ترفضه ، كما ترفضه المدرستان الأخريان ، « والغرب الحضاري » ، فالأخير هو حضارة التنوير والعلم والحرية والديموقراطية والتقدم الاقتصادي والصناعة الحديثة . وهذه هي التي أعطت الغرب قوته ، وجعلته يسود العالم ، ويتمكن منا ، ويقهرنا في أقطارنا . لذلك علينا نحن العرب المسلمين أن نتعلم طرق الغرب وأسلحته ، حتى نستطيع أن نقاومه ، ونكون أندادا له . وفي رأي هذه المدرسة أن يكون الاسلام ديناً ودنيا ، ولكن ليس بالضرورة « دولة » . فآخر دولة للخلافة الإسلامية « سلاطين آل عثمان » لم تستطع أن تواكب التقدم الغربي ، وبالتالي لم تتوافر لها أساليب القوة والمنعة التي تذود بها عن « دار الاسلام » .

اسلوب انتقائي

وحاولت المدرسة الثالثة أن توفق بين المدرستين السابقتين بأسلوب انتقائي ، فرأت أن التراث العربي الاسلامي زاخر بالجيد و « السيء » من الأفكار والقيم والممارسات ، ففيه من الأفكار والممارسات ما عفا عليه الزمن ، وتجاوزته الظروف والتطورات . ولكن به في الوقت نفسه قدرا كبيرا مما لايزال صالحا لكل زمان ومكان . وفي الوقت نفسه فإن الغرب الحضاري الصناعي يمثل امتدادا للحضارة الانسانية في أكثر صورها تقدما في العصر الراهن . وكما تعلمت كل المجتمعات من حضارات سابقة ، ومنها الحضارة العربية الإسلامية في أبهى عصورها الماضية ، فإنه لاغضاضة في أن يتعلم العرب المعاصرون من الحضارة الغربية ، وأن يفعلوا ذلك دون أن يفقدوا أهم وأعظم ما في تراثهم العربي الاسلامي وحضارتهم .

وهكذا قام سجال بين المدارس الثلاث منذ نهاية القرن التاسع عشر . وأصحاب المدرسة الأولى (الرافضة لكل ما هو غربي) هم الآباء الشرعيون للتيارات الإسلامية السياسية المعاصرة في وطننا العربي . ومعظم هذه التيارات لاتكتفي بالدعوة إلى مدرستها فكريا ، ولكنها تذهب إلى أكثر من ذلك ، وهو التنظيم والعمل السياسيان . وقد رأينا خلال مائة سنة الأخيرة أقطاب هذه المدرسة الإسلامية السياسية يصولون ويجولون على ساحة العمل العام ، فالرعيل الأول من هذه المدرسة تمثل في الشيخين : جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، في أواخر القرن الماضي . والرعيل الثاني من المدرسة نفسها تمثل في الشيخين : عبدالرحمن الكواكبي ورشيد رضا ، في أوائل هذا القرن .

والرعيل الثالث تمثل في الشيخين : حسن البنا وأبو الأعلى المودودي ، في فترة ما بين الحربين وإلى أواخر الأربعينيات . والرعيل الرابع تمثل في أشخاص : سيد قطب وحسن الهضيبي وعمر التلمساني ، منذ الخمسينيات وإلى السبعينيات . أما الرعيل الخامس المعاصر فيتمثل في عديدين ، مثل : حسن الترابي (السودان) ، وراشد الغنوشي (تونس) ، والشيخين : محمد الغزالي ويوسف القرضاوي (مصر) ، وليث شبيلات (الأردن) . هذا فضلا عن كثير من الاسماء الشابة التي تصدت لقيادة أكثر فصائل التيارات الاسلامية نزوعا إلى العنف في أقطار عربية مختلفة .

دائرية الصعود والهبوط

كان لابد من الخلفية السابقة ، لكي ندرك أن الحركات الاسلامية السياسية العربية في الثمانينيات تعبير معاصر لتيار يمتد قرناً كاملا من الزمن ، وأن هذا التيار أخذ الصبغة « السياسية » في مواجهة تيارات فكرية سياسية مستحدثة على الساحة العربية ، منذ أواخر القرن الماضي .

ولكن الملاحظ هو أن تيار « الإسلام السياسي » هذا قد شهد لحظات مد واتساع ، كما شهد لحظات انحسار وتقلص ، خلال القرن الأخير (١٨٨٠ ـ ١٩٨٠) . وكانت لحظات المد والاتساع مرتبطة دائما بفشل أو تعثر لأصحاب المدرستين الأخريين ، في مواجهة أزمات خانقة متزامنة . وكان مؤشر الفشل والتعثر يتمثل في هزيمة أو انكسار في مواجهة مشاريع الهيمنة الأجنبية . ويمكن الحديث عن ثلاث لحظات تاريخية ، شهد فيها التيار الإسلامي مداً هائلا : الأولى في أواخر القرن الماضي ، حينما فشلت الأنظمة الحاكمة حينئذ في مواجهة مشكلات داخلية ، وتحديات خارجية . من أمثلة ذلك الحركات : الوهابية (الجزيرة العربية) والمهدية (السودان) ، والسنوسية (شمال افريقيا العربية) ، وحركات الإحياء والتجديد الديني في مصر .

أما اللحظة الثانية للمد الاسلامي السياسي فقد كانت في أربعينيات هذا القرن العشرين ، ممثلة في الإخوان المسلمين (مصر والأقطار العربية) ، « وفدائيان » اسلام (ايران) ، والجامعة الإسلامية (شبه القارة الهندية ثم باكستان) . وكانت اللحظة الثانية هذه في أعقاب فشل أو تعثر للقوى والتيارات السياسية الأخرى ، في مهام التحرير أو تكريس الاستقلال . فعلى الرغم من أن حركة مثل الإخوان المسلمين في مصر ، كانت موجودة على الساحة ، منذ عام ١٩٢٨ ، فإنها ظلت محدودة الحجم والتأثير إلى الأربعينيات التي شهدت تفاقم المسألة الوطنية (استكمال الاستقلال) ، والمسألة الاجتماعية (اختلال العدالة والتوزيع) والمسألة السياسية (تعثر الديموقراطية الليبرالية) .

وجاءت اللحظة الثالثة للمد الاسلامي السياسي في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات بعد هزيمة العرب الفادحة في حرب ١٩٦٧ في مواجهة « اسرائيل » ، ثم بسبب الاختلالات الاقتصادية الاجتماعية التي أعقبت حرب ١٩٧٣ ، والطفرة النفطية ، واستمرار أنظمة الحكم الشمولية والاستبدادية ، في الوطن العربي والعالم الاسلامي . ولحظة المد الثالثة هذه هي التى استمرت طوال العقد المنصرم (الثمانينيات) والتي نتوقع لها أن تستمر ، ولو بدرجة أقل عنفا في عقد التسعينيات . وهذه اللحظة الثالثة التي يصل عمرها الآن إلى أكثر من عشرين عاما ، هي التي شهدت أحداث المواجهات الدموية العنيفة بين فصائل مختلفة من التيار الإسلامي وأنظمة الحكم القائمة في مصر (الفنية العسكرية ١٩٧٤ ، التكفير والهجرة ١٩٧٥ ، واغتيال الرئيس السادات ١٩٨١) وفي أيران (١٩٧٨ ـ ١٩٧٩) ، وفي سوريا (١٩٧٧ ـ ١٩٨١) ، وفي السعودية (احداث الحرم المكي ١٩٧٩) ، وفي تونس (١٩٨٥ ـ١٩٨٧) ، وفي الجزائر (١٩٨٨) . هذا ناهيك عن الأحداث الدينية الطائفية التي شاركت فيها فصائل إسلامية في لبنان (١٩٧٥ ـ ١٩٨٩) ، وكذلك الاضرابات الواسعة التي قادتها الجبهة الإسلامية في السودان في السنوات الأربع التالية لاقتلاع نظام الرئيس النميري

فكر وضعي

بين لحظات المد هذه للتيار الاسلامي السياسي كان يغلب وجود أنظمة حكم واعدة ، تتبنى ايديولوجيات وضعية ، بشكل ضمني أو صريح . وتنوعت هذه الايديولوجيات الوضعية نفسها من قطر عربي إسلامي الى آخر . فمنها ما كان ليبرالياً رأسماليا ، ومنها ماكان قومياً اشتراكياً ، ومنها ما كان استبدادياً عسكرياً أو قبليا . ولكنها جميعها اشتركت في صفة أن فكرها وممارساتها كانت وضعية ، غير ملتزمة بتطبيق الشريعة الإسلامية في كل مناحي الحياة (اقتصر معظمها على تطبيق الشريعة فقط في



● الشيخ محمد الغزالي



● الشيخ محمد عبده

قوانين الأحوال الشخصية والميراث).

وعادة ما كانت أنظمة الحكم الوضعية هذه ترتبط بوجود زعامات أو قيادات « كارزمية *» وطنية ملهمة ، على الأقل في البداية ، تحوز على رضا أو تأييد جماهيري واسع (سعد زغلول ومصطفى النحاس وجمال عبد الناصر في مصر ، الملك محمد الخامس وعلال الفاسي في المغرب ، الحبيب بورقيبة في تونس ، أحمد بن بلا وهواري بومدين في الجزائر) . ولذلك كانت هذه الأنظمة الوضعية (بما في ذلك الأنظمة المسماة الثورية) تبدو واعدة في البداية . وكانت تحقق بالفعل إنجازات ملموسة في سنواتها الأولى ، سواء في مجال التحرر الوطني أو التنمية الاقتصادية ، أو النهضة الاجتماعية العامة . وفي تلك الظروف كان تيار « الإسلام السياسي » يتوارى خلف هامش الحياة العامة ، ويتقلص أتباعه ، ولكن دون أن يختفي تماما عن الساحة . فإذا ما فقدت أنظمة الحكم الوضعية هذه قوة اندفاعها ،وتكالبت عليها المشكلات بعد عدة سنوات ، وبخاصة ما اقترن بممارسات القمع وانتهاك الحريات الأساس وحقوق الإنسان . وأدهى من ذلك إذا أصابتها هزيمة خارجية ، فإن تيار الاسلام السياسي سرعان ما يتحرك من هوامش الساحة العامة إلى قلبها ، ويصبح احدى قوى الاحتجاج الرئيسة إن لم يكن القوة الوحيدة ، ضد الأوضاع القائمة المتردية .

ذلكم هو تفسير لحظات الصعود والهبوط للتيار الإسلامي السياسي على الساحة العربية ، كما استنتجناه من رصدنا مسيرة ومسار هذا التيار خلال مائة سنة الأخيرة ، بما في ذلك عقد الثمانينيات المنصرم . فماذا عن العقد القادم ، أي تسعينيات هذا القرن ؟

من العنف إلى المشاركة السلمية

على الرغم من أن استخدام العنف في العمل السياسى العربي ليس وقفا على تيار الإسلام السياسي الاحتجاجي ، وعلى الرغم من أن فصائل عديدة في هذا التيار لاتلجأ عادة إلى العنف ، فإن الملاحظ أيضا ان بعض هذه الفصائل كانت أكثر شراسة ونزوعا لاستخدام العنف وسيلة لتطبيق برنامجها السياسي ، أي اقامة دولة اسلامية ذات نظام حكم يستند الى الشريعة الاسلامية .

ومن دراستنا ودراسات آخرين لفصائل التيار الإسلامي التي لجأت إلى العنف ؛ وبخاصة في السبعينيات والثمانينيات ، يمكن استخلاص مجموعة من القواسم المشتركة العامة في أقطار عربية مثل : مصر وتونس وسوريا والجزائر والسودان والسعودية :

أولا : إن اللجوء إلى العنف لدى بعض هذه الفصائل كان يستمد أبعاده ومبرراته الفكرية الايديولوجية من تفسير خاص لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنماذج التاريخية الفعلية ، فالحاكمية ، أي الحكم بما أنزل الله ، في نظر العديد منهم ، فريضة على كل مسلم حقيقي . وعليه أن يعمل من أجلها بيده ولسانه وقلبه . وبعضهم يقرأ السيرة النبوية من هذا

* كارزمية: أي لها حضورها وتأثيرها على الجماهير .

المنطلق ، ويستشهد بغزوات الرسول ﷺ ضد قريش والكافرين عموما . فالجهاد في نظر بعضهم هو « الفريضة الغائبة » (محمد عبدالسلام فرج زعيم تنظيم الجهاد الذي اغتال الرئيس أنور السادات في ١٩٨١/١٠/٦) وخلاص المسلمين هو في العودة إلى هذا الجهاد .

ثانيا : إن الفصائل التى لجأت إلى العنف يغلب على زعمائها وأعضائها الصفة الشبابية (العشرينيات والثلاثينيات من العمر) ، والتعليم العالي الجامعي أو شبه الجامعي ، ومن الشرائح الدنيا في الطبقة المتوسطة ، ومن ذوي الخلفيات الريفية . وهذا ما كشفت عنه عدة دراسات لهذه الفصائل في السبعينيات في أقطار عربية وإسلامية أخرى .

ثالثا : إن معظم الفصائل التي لجأت أو تلجأ إلى العنف ضمن التيار الاسلامي ، هي فصائل منشقة عن الجسم الرئيس لهذا التيار ، بعد أن قررت فصائله الأساس أن تلجأ إلى الطرق السلمية في نضالها ، من أجل إقامة نظام حكم إسلامي . ويتضح ذلك جليا بوجه خاص في قطر عربي مثل مصر ، فتنظيم « الفنية العسكرية » الذي قاده صالح سرية ، وتنظيم التكفير والهجرة الذي قاده شكري مصطفى ، وتنظيم الجهاد الذي قاده محمد عبدالسلام فرج ، وغيرها ،هي جميعها فصائل منشقة عن التنظيم الأم ، وهو الإخوان المسلمين ،فبعد أن اتخذ الأخير قراره الاستراتيجي بنبذ العنف في أواسط الستينيات ، انشقت بعض العناصر الشبابية ، واستلهمت فكر المرحوم سيد قطب (معالم في الطريق) . وكفر بعضها الدولة فقط (الفنية العسكرية والجهاد) ، بينما كفر بعضها الآخر الدولة والمجتمع معا (التكفير والهجرة) .وفي كلا الحالين أصبح العنف منهجا لإسقاط « الدولة الكافرة »، أو « الدولة والمجتمع الكافرين » معا .

ومسألة الانشقاق هذه هي مدخلنا إلى رصد واقع الجسم الرئيس للتيار الاسلامي في الثمانينيات ، واستشراف مستقبله في التسعينيات . فمن الواضح أن الجسم الرئيس للاسلام السياسي في مصر وتونس والسودان والأردن والكويت ، قد خلص إلى عبثية استخدام العنف في الظروف الراهنة على الأقل . وبدلا من ذلك بدأ هذا الجسم الرئيس للتيار الاسلامي ينشط سلميا في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية ، كلما وجد إلى ذلك سبيلا .

التوقعات المستقبلية

ففى خلال الثمانينيات ، مثلا ، شارك أصحاب التيار الاسلامي السياسي الرئيس في الانتخابات النيابية في كل من مصر والسودان والكويت والاردن . وفي مصر مثلا زاد تمثيلهم النيابي من سبعة مقاعد (١٩٨٤) إلى خمسة وثلاثين مقعدا (١٩٨٧) ، أي بزيادة خمسة أمثال في غضون ثلاث سنوات فقط . وكذلك حظي هذا التيار في السودان بحوالي ربع مقاعد « البرلمان » السوداني في انتخابات ١٩٨٦ (الجمعية التأسيسية) وبأكثر من ربع المقاعد في مجلس الأمة الأردني في انتخابات ١٩٨٩ .

كذلك نلاحظ أن العديد من المؤسسات الاقتصادية والمصارف والمؤسسات الخدمية قد أنشأت بواسطة أصحاب هذا التيار ، أو المتعاطفين معه ، خلال العقدين الأخيرين (السبعينيات والثمانينيات) ، وكذلك نمت دور النشر والصحافة الاسلامية نموا هائلا خلال الفترة نفسها ، بل وكان نجاحها مدعاة لركوب العديد من العناصر الانتهازية (الدخيلة على التيار) لهذه الموجة الواسعة ، وأصبحت مصدر إزعاج وإحراج لأصحاب هذا التيار ، كما حدث في مصر في السنوات الاخيرة مع شركات توظيف الأموال الإسلامية (فضيحة الريان) .

ولا يعني كل ذلك ان الجسم الرئيس السلمي للتيار الاسلامي ينمو بلا مشكلات ، بل إن هناك من الشواهد ما يشير إلى أن مسيرة نموه تتباطأ بعض الشيء في الوقت الحاضر ، وذلك لأسباب أهمها تعثر « الثورة الإسلامية » في ايران ، وانتهاكاتها الواسعة لحقوق الإنسان ، ثم هزيمتها العسكرية في حرب الخليج ، مما أدى إلى خفوت بريق البديل الإسلامي نوعا ما . كذلك فإن ارتباط اسم التيار الاسلامي في السودان بعهد النميري الاستبدادي ، والتعسف في تطبيق « الحدود » قد جلب انطباعات سلبية عديدة للتيار الاسلامى ككل في أنحاء الوطن العربي . وأخيرا ما أشرنا إليه أعلاه من فضائح شركات توظيف الأموال الاسلامية في مصر .

ومع ذلك فإنه من الواضح أن الجسم الرئيس للتيار الاسلامي السياسي سيبقى حيا نشطا مؤثرا على الساحة العربية ، في عقد التسعينيات ، وسيتكرس منهجه السلمي في العمل السياسى العام ، وبخاصة في الاقطار العربية التي بدأت تحولها الديموقراطى . فقد اتضح للعقلاء والحكماء في هذا التيار أن سجل إنجازاتهم في اللحظة الثالثة لانتعاش هذا التيار (السبعينيات والثمانينيات)، باستخدامهم للوسائل السلمية ، هو قطعاً أعظم وأعمق مما أنجزوه في لحظتي الانتعاش السابقتين (أواخر القرن التاسع عشر ، وأربعينيات هذا القرن ، على التوالى) . كما أنه من الواضح أن قبولهم للتعددية السياسية ، وإقلاعهم عن الثنائية الزائفة ، يكسبهم مزيدا من القبول والاحترام بين القوى السياسية الأخرى . فإذا استمر هذا النهج السلمي فإننا نتوقع للتيار الإسلامى السياسي الرئيس أن يصبح معلما من معالم التضاريس السياسية العربية في التسعينيات . □

ابن سينا أول من استخدم التخدير في العمليات الجراحية :

● إن ابن سينا هو أول من اكتشف مرض « الانكلوستوما » ، وسبق بذلك المكتشف العالم الايطالي « دوبيني » بما يزيد على مائة سنة . كما أشار إلى عدوى السل . وهو أول من قال بوجود أورام المخ ، وكان من أعمق الباحثين علماً في أمراض قرحة المعدة . وهو أول من قال بالأسباب النفسية للاضطرابات المعوية ، كما كانت له تشخيصاته السليمة المحكمة في أعراض الأورام السرطانية وسرها. وكان تشريحه للعين (القزحية وإنسان العين والقناة الدمعية) على درجة كبيرة من الدقة . وكان أول من كشف انقباض عضلات العين . بالإضافة إلى طرقه المشوقة في وصف الأمراض العقلية وعلاجها .

ولابن سينا يرجع الفضل العظيم في كشفين مهمين في عالم الطب ، فهو أول طبيب قام بحقن المريض بحقنة تحت الجلد ، وكذلك أول من استخدم التخدير لإجراء العمليات الجراحية ، مستخدما في ذلك بعض النباتات كالزوان والشيلم . كل هذا التفوق في الوقت الذي كان الطب في الغرب قد غلبت عليه الخرافات والجهل ، فقد كان المريض يصلب على شجرة ، ثم ينهال عليه الطبيب ومساعدوه بالضرب حتى يخرج الشيطان من جسده ، فقد كان المرض في تصورهم شيطانا يسكن جسد المريض .



● ابن سينا





(الحياة مجموعة من الخبرات المتنوعة ، وليس بالضرورة أن تتشابه وتتكـرر ، إنما كثير من الخبرات منفـردة تضيف معنى جديـدا للحياة ، وتعطيها لذة التراكم ، وقد اختارت العربي مجموعة من المتميزين العرب ليروي كل بطريقته الخاصة بعضـا من ذكرياته التي أصبحت دروسـا في الحياة) .

قصتي مع القطط

بقلم : بدر خالد البدر

هذه القصة الواقعية تنقسم إلى قسمين : الأول كان معقط في أيام ما قبل النفط في الكويت ، أما الثاني فكان بعد ذلك .

كنا في أواخر العشرينيات من هـذا القرن ، وكان عمري آنذاك في حدود خمس عشرة سنة ، وكان الوقت صيفا ، وكنا ننام كعادة تلك الأيام فـوق سطح الـدار . وكانت العـادة أن تفـرش الفـرش قبـل الغـروب بقليـل ، تجنبـا لحـرارة الشمس ، واستقبالا لنسائم الليل الباردة نسبيا .

وقد بلينا في أحد الأيام بقط منحوس ، ينتهز فرصة مد الفرش فيفرز فضلاته على أحـدها . وتكـررت هذه العـادة إلى حـد الإزعـاج ، مما اضطرنا إلى ترك الفرُش مطوية إلى وقت النوم .

وفي إحدى الليالي المقمرة من ذلك الصيف ، وبينما كنت أغط في سبات عميق ، وكان الليل قد انتصف ، وإذا بالوالدة رحمها الله تناديني بصوت خافت مضطرب ، وتهزني بيدها محاولة إيقاظي ، فانتبهت فزعا وهي تقول : اسمع ! اسمع ! وإذا بصوت غير مألوف وقرقعة في الـطابق السفلي . وخيل إلي أن شخصا يدحرج علبة أو برميلا من التنك الفارغ . وظل ذلك الصوت المزعج يهدأ قليلا ، ثم يعود ، وبقينا الوالـدة وأنا في حيـرة ونحن نعرف أن لا أحد في البيت غيرنا وخادمة هي نائمة بالقرب منا .

وبعد فترة من التردد قررت النزول إلى حوش البيت عـلى الرغم من ممـانعة الـوالدة . نـزلت والـوالدة تتبعني وهي تحـوقل وتبسمـل ، وتردد بعض الآيات القرآنيـة والأدعية . وكنت أحمـل

بيدي سراجا نفطيا ، وإذا بالصوت يتكرر في إحدى زوايا الحوش ، قرب الحائط ، فاتجهت نحو مكان الصوت وإذا بي أرى منظرا لم يخطر لي على بال !

قط أسود أدخل رأسه في إناء من معدن الألمنيوم ، كنا نسميه (دلّة) نستعمله لغلي الحليب وما زال اسمه سائراً إلى يومنا هذا . وهذا الإناء يكون عادة واسعا عند القاعدة ، وضيقاً عند الفتحة . والظاهر أن القط أدخل رأسه عنوة في ذلك الإناء بحثا عن الماء ، ولما رفع رأسه ارتفع الإناء معه ، فأخذ يقفز هنا وهناك ضاربا الحائط تارة وبعض الأبواب تارة أخرى ، وهكذا . وكان الصوت يتضاعف بسبب سكون الليل . وبعد رؤيتنا لهذا المنظر الغريب هدأ روعنا ، وبدأنا نضحك ، ثم سألتني الوالدة : ماذا ستفعل به الآن؟ قلت لها : سأشنقه ، قالت : تشنقه ؟ قلت لها : نعم ، حتى نتخلص من أذاه . فأبدت الوالدة معارضتها الشديدة لهذا القرار القاسي . وعلى الرغم من ذلك شكلت في ذلك الوقت محكمة عرفية ، كنت أنا فيها الخصم والحكم والجلاد ، كما يفعل الطغاة بخصومهم . وانتهى الأمر .

أما القصة الثانية فتختلف عن الأولى ببعض أوجه الشبه المحدودة في بعض فصولها ، فقد حدثت في عصر ما بعد اكتشاف النفط ، فقد انتقلت العائلة إلى منزل مريح في أحد الأحياء السكنية في منتصف الخمسينيات ، ولم تكن هناك حاجة للنوم فوق السطوح ، بسبب وجود المكيفات الهوائية . وكانت للبيت حديقة صغيرة تابعة له . ومنذ نزولنا بدأت القطط الضالة تتوافد على البيت ، بعضها عابر سبيل يقيم فترة قصيرة ثم يرحل ، وبعضها يطيب له المقام ، فيطيل الإقامة ، مستمتعا بفضلات الطعام بعد كل وجبة . ولم يكن ذلك يزعجنا كثيرا ، لأن إقامتها كانت في الحديقة ، وأحيانا تجتذبها رائحة الطعام إلى المطبخ ، لا سيما رائحة السمك ، وفي هذه الحالة تتولى الطباخة أو الخادمة مهمة طردها .

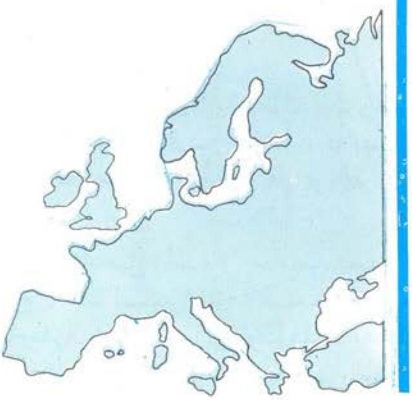
وتمر الأيام ، ويزور البيت قط غريب منفوش الشعر ، ضخم الجثة ، من النوع الذي نسميه (سليماني) ، ذو لون أغبر . وفي إحدى الليالي الباردة تسلل ذلك القط إلى داخل البيت ، ربما طلبا للدفء ، وأخذ طريقه نحو غرفة الضيوف ، وقام بعملية تشبه عملية القط الأول . وبعد هذه الحادثة المزعجة أوصينا الخدم وأهل البيت بإغلاق الأبواب بعد تفتيش الغرف كل ليلة . وبدأنا نفكر في كيفية الخلاص من هذه المشكلة الجديدة . وتذكرنا موضوع (الدلّة) ، وقد كان للصدفة دورها ، لا سيما أن المياه أصبحت متوافرة في كل مكان ولله الحمد ، وكذلك فإن الوقت شتاء . كما استبعدنا فكرة قتله ، وتركنا الحل لعامل الزمن ، إذ ربما يقرر الانتقال إلى مكان آخر بعد أن حرمنا عليه الطعام من فضلات البيت .

وتمر الأيام ويظل القط الشرير ملازما البيت ، على الرغم من كل وسائل المضايقات التي وضعناها في طريقه . وذات مساء صعدت إلى سيارتي قاصدا زيارة بعض الأصدقاء ، وعند خروجي باتجاه الطريق العام سمعت حركة غريبة داخل السيارة ، وإذا بالقط نفسه يبدأ بالقفز فوق أكتافي وطورا يقفز نحو النوافذ الزجاجية المغلقة ، فقلت لنفسي : لقد جاءت ساعة الخلاص . وبعد أن ابتعدت إلى مسافة معقولة ، من المستبعد أن يعود بعدها إلى البيت ثانية ، أوقفت السيارة على جانب الطريق العام ، وفتحت أحد الأبواب الخلفية ، وإذا بالقط ينطلق منها كالسهم نحو عرض الشارع ، وصادف قدوم سيارة مسرعة فارتطم بها بقوة ، وتمزق جسمه تحت عجلاتها !

وتسمرت يدي فوق مقبض باب السيارة وأنا أشاهد هذه المأساة المحزنة . وتذكرت آلاف البشر الذين يموتون في مثل هذه الميتة وأشباهها في كل لحظة في كل أنحاء الدنيا ، كما تذكرت شاعرنا العربي زهير بن أبي سلمى ، أحد أصحاب المعلقات السبع ، وهو يقول :

رأيتُ المنـايـا خَبْطَ عَشْـواءَ مَنْ تُصِبْ
تُمِتْـهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّـرْ فَيَهْـرَمِ □

العربي ـ العدد ٣٧٧ ـ ابريل ١٩٩٠



يظل حدث الاتفاق على وحدة أوربا
هو من أهم أحداث العقد الذي مضى ،
لكنه لم يحدث فجأة ،
ولم تكونه النوايا الطيبة ،
بل كان مرحلة في مسار طويل ،
شهد الصراع والاختلاف والاتفاق .
عن جذور هذه الوحدة وآفاقها يلقي هذا المقال الضوء .

أوربّا الموحّدة
الواقـــع والآفـــاق

بقلم : الدكتور رياض معسعس

لم يعرف التاريخ أمما أكثر تناحراً واختلافا من الأمم الأوربية ، ولا عرفت منطقة جغرافية شعوباً أكثر تنوعا من منطقة أوربا ، إذ يكفي أن نذكر بأن الحربين العالميتين كانتا من صنع دول أوربية ، وأنهما أدتا إلى تدمير اكثر من دولة ، وسفك دماء عشرات الملايين ، وأن المجتمعات والشعوب الأوربية تتكلم لغات متعددة ، وتدين بأكثر من ديانة ، ويتميز كل منها بعادات وتقاليد خاصة ، لا تمت بصلة إلى عادات وتقاليد الآخرين ، لنعرف إلى أي مدى تصل هوة الشقاق والاختلاف فيما بينها .

بيد أنه غداة الحرب العالمية الأخيرة ، وجدت هذه الدول نفسها أمام تحديات كبرى ، لا يمكن التغلب عليها إلا ضمن تضافر الجهود ، وتوحيد الصفوف ، مما حدا ببعضها إلى طرح مشاريع توحيدية ، على المستوى السياسي ، والاقتصادي ، والثقافي ، فشل بعضها ، ويسير بعضها الآخر في طريق النجاح . لا سيما المجموعة الأوربية التي تتأهب لإعلان الوحدة فيما بينها في عام ١٩٩٢ .

ويتساءل المرء : ما الأسباب الظاهرة والخفية التي حدت بهذه الدول للتكتل والاتحاد ، على الرغم من جميع هذه الاختلافات والتناقضات فيما بينها ؟

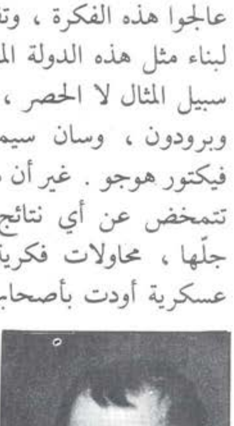
وما مستقبل هذا الكيان الجديد ، وتأثيراته على المستوى المحلي والدولي بشكل عام ؟

وللجواب عن هذين السؤالين لا بد لنا من العودة إلى التاريخ ، لدراسة بداية الفكرة ، وتطورها ، والمراحل التي مرت بها .

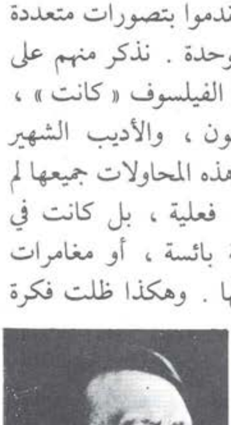
ولادة الفكرة

لم تكن فكرة أوربا الموحدة وليدة هذا القرن ، إذ لاحت في فكر أكثر من مفكر ، وكانت محط طموح أكثر من حاكم منذ أقدم العصور ، فمنهم من كان يريد ضمها ، بقوة السيف أو المدفع ، تحت لوائه ، لتشكل امبراطورية واحدة ، كالملك « شارلمان » ، أو الامبراطور « نابليون » فيما بعد ، أو الفوهرر « أدولف هتلر » مؤخرا . ومنهم من كان يرغب في لمّ شملها عن طريق الإقناع بالمفاوضات السياسية ، كوزير الملك هنري الرابع « سولي » الذي مات وفي قلبه شيء من أوربا الموحدة ، إذ أنه كان قد تصور قيام دولة أوربية موحدة ، قوامها خمس عشرة دولة ، يحكمها مجلس مسيحي أعلى .

كما أن الفلاسفة وبعض رجالات الفكر قد عالجوا هذه الفكرة ، وتقدموا بتصورات متعددة لبناء مثل هذه الدولة الموحدة . نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ، الفيلسوف « كانت » ، وبرودون ، وسان سيمون ، والأديب الشهير فيكتور هوجو . غير أن هذه المحاولات جميعها لم تتمخض عن أي نتائج فعلية ، بل كانت في جلّها ، محاولات فكرية بائسة ، أو مغامرات عسكرية أودت بأصحابها . وهكذا ظلت فكرة



●نابليون بونابرت



●ادولف هتلر

أوربا الموحدة ما بين مد وجزر ، إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية . فعلى إثرها دخلت عدة عوامل أخرى ، لتعيد إلى الأذهان الفكرة القديمة ، ولتدفع الحكومات الأوربية لتنفيذها وترجمتها على أرض الواقع بمعاهدات أو اتفاقيات متعددة الأطراف ، فجاء ونستون تشرشل ، رجل الحرب المنتصر ، ليقترح إقامة « الولايات الأوربية المتحدة » ، وذلك على غرار الولايات المتحدة الأمريكية ، وبمباركة منها ، في خطابه الشهير في زيوريخ في عام ١٩٤٦ الذي دعا فيه أعداء الأمس ، لا سيما فرنسا وألمانيا ، للصلح ونبذ الفرقة فيما بينهم ، وتشكيل ما سماه « المجلس الأوربي » .

وفي عام ١٩٤٨ ترأس تشرشل نفسه ، في مدينة لاهاي ، أول اجتماع « لمؤتمر أوربا » الذي ضم ممثلين عن تسع عشرة دولة أوربية ، جاءت لتضع أول حجر في صرح أوربا المستقبل .

على صعيد آخر فإن الولايات المتحدة التي كانت تسعى إلى إقامة دولة أوربية موحدة قوية ، لتقف في وجه الاتحاد السوفيتي ، اشترطت على الدول الأوربية بأن مساعداتها لإعادة بناء أوربا (المعروفة بخطة مارشال) ، لن تصرف إلا ضمن إطار أوربي موحد ، وهذا ما دفع الدول الأوربية إلى إنشاء أول منظمة اقتصادية موحدة (OECE) ، أو المنظمة الأوربية للتعاون الاقتصادي لهذا الغرض ، وقد تحولت هذه المنظمة فيما بعد إلى (OCDE) ، أو منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية التي تضم الدول الصناعية الكبرى ، بما فيها الولايات المتحدة .

على المستوى العسكري ، خرجت الدول الأوربية من الحرب العالمية منهكة البدن ، مكسورة الأجنحة ، تتخبط في كابوس الرعب النازي ، فجاءها الاتحاد السوفيتي ليدخلها مرحلة جديدة من الرعب في حربه الباردة مع الغرب ، الأمر الذي دفعها إلى توقيع معاهدة

بناء الحلف الأطلسي في ٤ ابريل ١٩٤٩ في واشنطن (الدول التي وقعت على هذه المعاهدة هي : فرنسا ، بريطانيا ، بلجيكا ، هولنده ، لوكسمبورغ ، كندا ، ايطاليا ، النرويج ، الدانمارك ، البرتغال ، ايسلندا ، الولايات المتحدة . غير أن فرنسا قد انسحبت من الحلف في أثناء حكم ديغول) ، إلا أن الحدث المهم الذي كان له مضاعفات كبيرة لاحقة هو التوقيع على معاهدة (CECA) ، أو مايسمى « المجموعة الأوربية للفولاذ والفحم » في عام ١٩٥١ ، والذي تم بموجبها رفع الرسوم الجمركية ، وضمان حركة البضائع بين الدول الموقعة على المعاهدة .

في ٢٥ مارس ١٩٥٧ تم التوقيع على معاهدة روما الشهيرة التي وضعت أسس السوق الأوربية المشتركة بين ست دول هي : فرنسا ، ألمانيا الغربية ، ايطاليا ، هولندا ، لوكسمبورغ ، بلجيكا . وكانت بريطانيا قد تقدمت بطلبين للالتحاق بهذه المجموعة ، إلا أن الجنرال ديغول ، رئيس الجمهورية الفرنسية حينذاك قد رفض طلبيها بحجة أنها « أطلسية » ، أي موالية لأمريكا ، أكثر منها أوربية ، وكان لابد من انتظار رحيل ديغول ، حتى يفتح باب الانتساب من جديد للدول الراغبة في الالتحاق بحظيرة المجموعة ، وبناء على ذلك تم في عام ١٩٧٢ قبول عضوية كل من بريطانيا ، وايرلندا ، والدانمارك . وفي عام ١٩٧٩ انضمت اليونان ، وفي عام ١٩٨٥ انضمت كل من أسبانيا والبرتغال .

وبذلك يكون مجموع الدول التي انضمت للمجموعة الأوربية اثنتي عشرة دولة ، تصل كتلتها البشرية إلى ٣٢٢ مليون نسمة (مقابل ٢٣٨ مليون نسمة للولايات المتحدة ، و٢٨٠ مليون نسمة للاتحاد السوفيتي ومساحتها إلى ٢,٢٥٤,٠٠٠ كم٢ مقابل ٩,٣٥٩,٠٠٠ كم٢ للولايات المتحدة و٢٢,٣٩١,٠٠٠ للاتحاد السوفيتي) ، ووزنها الاقتصادي إلى ٢٤٢٢ مليار دولار (الانتاج الوطني الخام) ، (مقابل ٣٨٦٥ مليار دولار للولايات المتحدة ، ١٧٧٠ مليار دولار للاتحاد السوفيتي) ، أما على المستوى العسكري فإنها تعد القوة العالمية الثالثة ، دون منازع ، بعد القوتين العظميين . هذا وقد حددت دول المجموعة عام ١٩٩٢ بداية لدخولها في وحدة كاملة ، تلغى فيها الحدود ، ويتمتع فيها كل مواطن بحرية التنقل والإقامة في كل دول المجموعة دون قيد أو شرط ، كما سيعمل على رفع الحواجز الجمركية ، وتوحيد القيمة الضريبية ، وجعل « الإيكو » وحدة نقد أوربية للتعامل بها .

الهيئات والتنظيم

ينظم سير عمل المجموعة الأوربية خمس هيئات مختلفة ، تهتم بالشؤون السياسية والاقتصادية ، والقانونية المتعلقة بها ، وهي : اللجنة الأوربية ، المجلس الأعلى ، محكمة العدل الأوربية ، المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان ، البرلمان الأوربي .

أ ـ اللجنة الأوربية : تتألف هذه اللجنة من ١٧ عضواً ، يعينون من قبل حكوماتهم لفترة مدتها سنتان قابلة للتجديد ، (تعين كل من فرنسا ، وألمانيا ، وبريطانيا ، وايطاليا ، عضوين داخل هذه اللجنة ، بينما تعين باقي الدول عضوا واحداً) . وتهتم هذه اللجنة بالشؤون الاجتماعية ، والزراعة والصناعة ، والتعليم ، وهي مسؤولة أمام البرلمان الأوربي ، كما أنها تعمل على مراقبة احترام بنود المعاهدة من قبل الدول الأعضاء .

ب ـ المجلس الأعلى : ويضم هذا المجلس ١٢ عضواً ، يرشحون من قبل دولهم على مستوى وزراء ، ويترأس أحد الوزراء المجلس مدة ستة أشهر بطريقة دورية ، ويهتم هذا

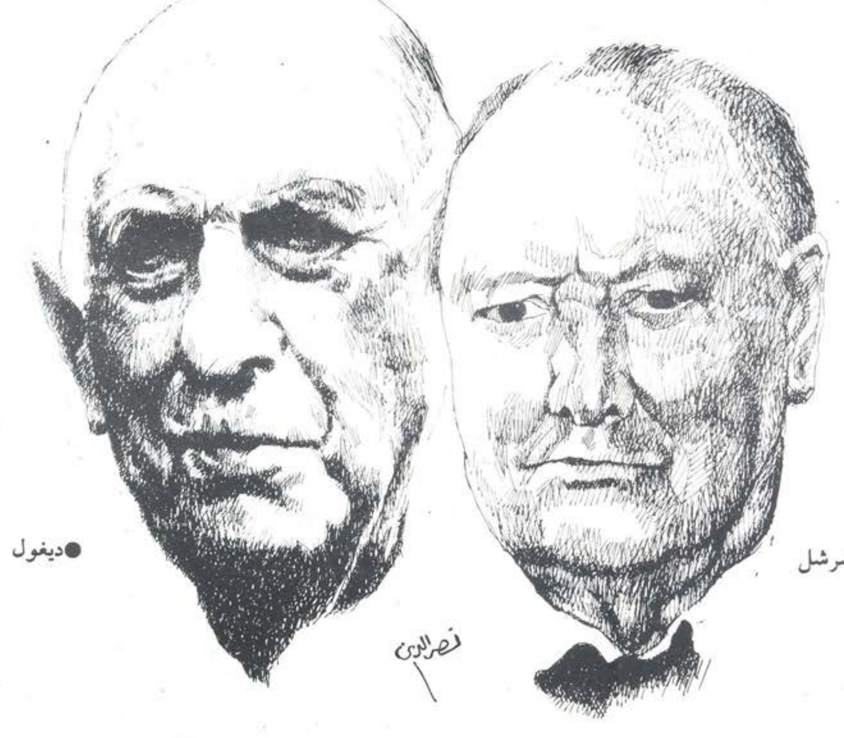
المجلس بجميع المشكلات الطارئة بين حكومات المجموعة .

جـ ـ محكمة العدل الأوربية : تتألف من ١٢ عضواً ، يعينون من قبل دولهم لفترة مدتها ست سنوات ومهمتها دراسة المسائل القانونية والشكاوى المتعلقة بدول المجموعة .

د ـ المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان : تتألف من ١٢ عضواً ، يعينون من قبل دولهم ، ومهمتها الدفاع عن المواطنين داخل المجموعة في ما يتعلق بانتهاكات حقوق الإنسان والحريات الفردية .

هـ ـ البرلمان الأوربي : يعد البرلمان الأوربي أكبر هيئة في المجموعة وأهمها ، وقد اتخذ مدينة ستراسبورغ الفرنسية مركزاً له ، في حين أن الهيئات الأخرى موزعة بين بروكسل ولوكسمبورغ . وكان البرلمان قد أنشىء في عام ١٩٥٢ ، غير أنه لم يعقد أول اجتماع له إلا في عام ١٩٥٨ (١٤٢ عضواً) ، وكان أعضاء البرلمان الأوربي يعينون مباشرة من قبل برلمانات الدول الأعضاء . إلا أنه أصبح يتم عن طريق الانتخابات المباشرة فيما بعد ، إذ أقيمت الانتخابات النيابية الأوربية أول مرة في عام ١٩٧٩ ، وتبلغ مدة الدورة البرلمانية الأوربية خمس سنوات . أما عدد أعضائه حاليا فيبلغ ٥١٨ عضواً ، توزع على الدول بالشكل التالي : (فرنسا ٨١ ، ايطاليا ٨١ ، ألمانيا ٨١ ، بريطانيا ٨١ ، اسبانيا ٦٠ ، هولندا ٢٥ ، بلجيكا ٢٤ ، البرتغال ٢٤ ، الدانما ك ١٦ ، ايرلندا ١٥ ، لوكسمبورغ ٦) .

وتجدر الإشارة إلى أن البرلمان الأوربي يقسم حسب التشكيلات السياسية ، وليس بحسب الدول ، (إذ يشكل الاشتراكيون حاليا أكثرية في البرلمان ، فيصل عدد مقاعدهم إلى ١٧٢ مقعداً ، ويتلوهم الديمقراطيون المسيحيون ١٠٧ مقاعد ، والمحافظون ٤٨ مقعدا ، والليبراليون ٤٤ مقعدا ، والخضر ٤١ مقعدا ، والشيوعيون ٤١ مقعدا ، واليمينيون المتطرفون ١٥ مقعدا) .



● تشرشل

● ديغول

وهذا البرلمان يمثل ٣٢٢ مليون أوربي ، ويعمل على معالجة الشؤون الأوربية المطروحة عليه ، ويناقش القضايا المتعلقة بالسياسة الدولية ، وله صلاحية اتخاذ القرار ، إذ أنه يتمتع بشخصية مستقلة . (على سبيل المثال ، في الوقت الذي كانت فيه الدول الأوربية ترفض استقبال ياسر عرفات ، وجه البرلمان الأوربي دعوة له ، وعمل على استقباله في مدينة ستراسبورغ) .

زواج الحب ، وزواج المصلحة

مما لاشك فيه ، أن عصر القوميات الذي ولد في القرن التاسع عشر وترعرع في القرن العشرين ، قد لاحت عليه علائم الشيخوخة ، وربما لاقى حتفه في القرن القادم تحت ضربات العصر الجديد : عصر التكتلات ، أو بمفهوم آخر ، وبلغة علم السياسة هذه المرة ، فإن مفهوم الأمة ـ الدولة قد ولى وسيحل محله مفهوم آخر ـ هو الكتلة الدولة ، فما كان يشترط به في الأمس من عوامل ومقومات لبناء الدولة (لغة ، عرق ، دين مشترك ، . . .) لم يعد ضروريا لبناء دولة الغد التي ستعتمد بالدرجة الأولى على عنصرين أساسين هما السياسة والاقتصاد ؛ أي أن المصلحة السياسية والاقتصادية المشتركة فوق جميع المصالح والاعتبارات . فما تقوم به المجموعة الأوربية منذ نيف وربع قرن ، في التقارب فيما بينها ، عن طريق المؤسسات والمشاريع المشتركة ، وتدعيم العلاقات السياسية والاقتصادية بشكل خاص ، والاجتماعية والثقافية بشكل عام ، لا ينبع من عواطف صادقة تكنها هذه الدول بعضها لبعض ، بل من عدة عوامل داخلية وخارجية ، حتمت عليها التكتل ، وسلوك طريق الوحدة ، والعمل على تحقيقها بشتى السبل ، وإلا فإن مستقبلها كدول وأمم متقدمة سيكون محط شك .

فإن هذه الدول ـ على الصعيد الأمني ـ ما انفكت تشعر بأن الخطر المحدق بها سيأتي من الشرق ، وبالتحديد من الاتحاد السوفيتي ، كما أنها تيقنت بأن الولايات المتحدة ، إذا ماوقعت الواقعة ، ونشبت الحرب القارعة ، سوف تتخلى عنها ، وتتركها حطبا جافا يذكى نار الشيوعية ، ومسرحا لدبابات حلف وارسو ورؤوسها النووية التي ستحيل الأرض الأوربية في أقل من قليل قاعا صفصفا ، وأرضا يبابا . وما تصريحات رونالد ريغان ، رئيس الولايات المتحدة السابق ، إلا تأكيد على ذلك . إذ قال : « بأنه فيما لو اندلعت حرب نووية ، فإنها ستكون مقتصرة على أوربا » .

فهذا التفكير ، وهذا الواقع دفعا الدول الأوربية إلى التوقيع على مشروع أوريكا للدفاع ، وهذا المشروع يوازي مشروع حرب النجوم الأمريكي ، على الرغم من أن عددا من الدول الأوربية يوجد ضمن حلف « ناتو » الذي ينص على معاهدة دفاع مشترك بينها وبين الولايات المتحدة .

ومهما يكن من أمر فإن دول المجموعة ، لاسيما فرنسا ، ترفض التخلي ـ ضمن السياسة الجديدة للعملاقين بنزع الأسلحة النووية ـ عن قوتها النووية الضاربة ، إذ تعدها الضمانة الوحيدة في الردع والدفاع ، لم تجد نفسها معنية بخيارات الصفر أو الصفرين ، أو الأصفار الثلاثة ، ولا أي صفر آخر يضاف إلى مجموعة الأصفار السابقة . ومن هنا يتضح أن الهاجس الأمني الذي يقض مضاجع أوربا ، يرغمها على الاعتماد على نفسها قبل كل شيء أو بمعنى آخر : أن تضافر جهودها في خلق قوة أوربية مستقلة ، تستطيع مجابهة أي خطر خارجي .

أما على الصعيد الاقتصادي ، فإن المعطيات الاقتصادية الحديثة ، المحلية والدولية التي فرضت نفسها ، خلال النصف الأخير من هذا القرن ، لاسيما منذ عشرين سنة خلت ، جاءت

لتوقظ أوربا الغافية على أمجاد الماضي ، وهي تمضغ حلمها اللذيذ بالسيطرة على أسواق التجارة الدولية ، فمن الشرق البعيد جاء أول تنين آسيوي ليمد ألسنته إلى الأسواق ، ويغرقها بمنتجاته المصنعة ، فاليابان أضحت وبفترة وجيزة عملاقا تجاريا ضخما ، داهم أوربا حتى في عقر دارها ، فباتت تخاف على أسواقها الداخلية ، وتدافع عنها باتباع قانون الحماية الذي يحد من كمية البضائع اليابانية المستوردة ، غير أن الامر لم يقتصر على ذلك فقط ، إذ استيقظ في شرق آسيا أكثر من تنين التي تطاولت ألسنتها بدورها على ماتبقى من أسواق ، بل راحت تزاحم كلا من أوربا واليابان على حد سواء ، فها هي كوريا الجنوبية ، وهونغ كونغ ، وتايوان ، وسنغافورة ، والصين تنذر بصعود كتلة اقتصادية جبارة يحسب لها ألف حساب ، لايمكن مواجهتها إلا بقوة أكبر وكتلة أضخم ، ضف إلى ذلك أن المشاريع الاقتصادية الكبرى التي تملي نفسها على القوى العظمى تتطلب إمكانيات هائلة فنية ، وتقنية ، ومادية ، لاتقوى عليها دولة بمفردها ، لذا كان من الحكمة بمكان أن تجتمع أكثر من دولة في مشروع واحد لإنجازه ، وعلى هذا الأساس تم دخول دول أوربية مختلفة في مشاريع مشتركة ، مثل الصاروخ القاذف « أريان » ، والاقمار الصناعية ، وطائرات ايرباص ، والمركبة

إذا كانت دول المجموعة الأوربية قد وجدت فيما بينها قاسما مشتركا . فيما يخص الميادين : الفضائية هرمس ، والنفق الكبير تحت المانش ، ولو اقتصر إنجاز هذه المشاريع على دولة واحدة لما استطاعت إلى ذلك سبيلا .

الاقتصاد ، والدفاع ، فإنها لم تتمكن حتى الآن من أن تجد القاسم نفسه في ميدان السياسة الدولية . فمواقفها فى ما يخص قضايا عدة مازالت غير موحدة ، بل مختلفة حينا ، ومتضاربة أحيانا أخرى ، ويمكننا في هذا المجال ذكر بعض هذه المواقف على سبيل المثال لا الحصر ، حتى يتضح لنا جليا ، بأن صرح الوحدة الأوربي ، وعلى الرغم من أن بناءه الاقتصادي يكتمل شيئا فشيئا ، فإن شقه السياسي مازال قيد البناء ، فإذا ما أخذنا المشكلة الفلسطينية ، نرى أن الدول الأوربية لاتتخذ جميعها الموقف نفسه من قيام الدولة الفلسطينية ، حتى أن مواقفها كانت مختلفة تماما في ما يخص الحرب العراقية ـ الايرانية ، فمنها من كان يؤيد العراق ، ومنها من كان يؤيد ايران ، كما أننا نراها حاليا لاتتخذ مواقف موحدة إزاء الحكم العنصري في جنوب افريقيا وغيره .

وهذا ما يدعونا للقول بأن جميع العوامل التى لعبت دورا حاسما في لم شمل البيت الاوربي ، وإعادة أفراده إلى كنف العائلة الواحدة ، إنما جاءت ضمن عقد زواج مصلحة مفروض ، وأبعد ما يكون عن زواج محبة . □

من مكارم الأخلاق



● قال خالد بن صفوان : شهدت عمرو بن عبيد ورجل يشتمه ، فما ترك منه شيئا ، فلما فرغ قال له عمرو : آجرك الله على ما ذكرت من صواب ، وغفرلك ماذكرت من خطأ ، قال : فما حسدت أحدا حسدي لعمرو على هاتين الكلمتين !

● شتم رجل أبا ذر فقال له : ياهذا لاتستغرق في شتمنا ودع للصلح موضعا ، فإنا لا نكافيء من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه .



الحضارة في المغرب والشخصيّة الافريقيّة المسلمة

بقلم : الدكتور محمد فاروق النبهان

كان للمغرب دور مهم في نشر الإسلام ، والثقافة الإسلامية في غرب افريقيا ، وهذا الدور بعناصره المختلفة ، تفاعل مع واقع الشعوب الافريقية وتكويناتها النفسية ، فأفرز شخصية متميزة ، استطاعت مقاومة المحاولات الاستعمارية في إذابة الشخصية الافريقية الإسلامية .

فكيف تكونت هذه الشخصية ؟ وما عناصر الدور المغربي ؟

لا نستطيع أن ننكر خلال دراستنا لتاريخ الشعوب ، المؤثرات الداخلية والخارجية التي تطبع خصائصها التي تتكون من خلال تفاعلات تلك الشعوب مع الحضارات والثقافات المجاورة والمؤثرة التي تملك خصائص القوة التوجيهية ، ومؤهلات الإقناع العقلي والعاطفي .

ولقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى أثر الجغرافيا في تكوين خصائص الشعوب ، لأن الطبائع الإنسانية محكومة بالمؤثرات الطبيعية ، والظروف المناخية ، والأحوال الاجتماعية والاقتصادية ، انطلاقا من استعداد الإنسان للتفاعل العقلي والعاطفي مع المحيط الذي يعيش فيه .

إن المؤثرات التاريخية والفكرية والعقيدية والسياسيّة ، إلى جانب العوامل الجغرافية تسهم بطريقة واضحة ومؤكدة في تكوين خصائص الشعوب وسلوك الأفراد .

والمؤثرات التاريخية والثقافية والسياسية هي الأقوى في تكوين الخصائص الذاتية للشعوب ، فالجغرافيا تولد الاستعدادات للحركة ، إلا أن تأثير الجغرافيا يظل محدود الأثر ، بخلاف المؤثرات الحضارية والثقافية ، فهي العامل الأهم في تكوين القابليات النفسية للشعوب ،



وتلك القابليات هي العامل المباشر في اختيارات الشعوب لخصائصها الذاتية والسلوكية .

والشخصية الأفريقية متميزة بخصائص متقاربة من حيث الاستعدادات الذاتية المرتبطة بالطبيعة ، والمتأثرة بالعاطفة ، إلا أن تلك الخصائص متباعدة من حيث الاستعدادات النفسية لتقبل قيم الحضارة ، والمفاهيم الأخلاقية ، فالشخصية الأفريقية المسلمة تملك خصائص متميزة ، في عمق رؤيتها الحضارية ، واستيعابها الواعي للمفاهيم الإنسانية المتعلقة بحرية الإنسان ، وكرامته ، وسمو سلوكه .

ومن اليسير علينا أن ندرك أثر ذلك من خلال دراستنا لطبيعة الحركة والأداء في الفنون الإفريقية ، وفي أبعاد التصورات التي تحكم تلك الفنون ، ففي الوقت الذي نلاحظ فيه سيطرة الأسطورة والخرافة في الخيال الأفريقي ، في المناطق الجنوبية التي لم ينتشر فيها الإسلام ، فإن الفنون الإفريقية في البلاد التي انتشر فيها الإسلام أرقى في نظرتها لمعنى الفن ، وأسمى في طبيعة الحركة والأداء ، وهي تعبر عن رؤية إنسانية ، ذات طبيعة أخلاقية .

وتعد الحضارة المغربية هي المؤثر الحاسم في تكوين معالم الشخصية الإفريقية المسلمة ، لأن الحضارة المغربية حضارة إسلامية ، ودور الإسلام بارز في تكوين الشخصية المغربية وصياغتها ، والمغرب عندما اعتنق الإسلام تخلى عن قيمه المناقضة للإسلام ، وأخذ بالقيم الإسلامية نقية صافية ، ولهذا فإن الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب أصيلة الانتماء إلى المصادر الأصلية للفكر الإسلامي ، شديدة الارتباط بالسنة النبوية ، وبما كان سائدا في المدينة المنورة ، وهذه الظاهرة أعطت للشخصية الإسلامية في البلاد المغربية طابعها المميز .

خصائص المدرسة المغربية :

تمتاز المدرسة المغربية بخصائص ، كفلت للشخصية الإسلامية المغربية الاستمرار والصمود ، ومن اليسير علينا أن نلاحظ تكامل الرؤية المغربية المتعلقة بالعقيدة والمذهب والفكر ، وقلما نجد ذلك التناقض والتباعد اللذين نجدهما في المذاهب الإسلامية السائدة في المشرق ، ولعل من أسباب وحدة الرؤية المغربية ، وتقارب آرائها ، أن المغرب العربي عاش مرحلة تاريخية ، في إطار دولة مغربية واحدة ، وكانت تلك المرحلة هي أهم المراحل عطاء وتأثيرا في تاريخه ، والدولة الموحدة هي العامل الأهم في تكوين خصائص التقارب بين الشعوب .

وأهم مايمكن أن نلاحظه من خصائص المدرسة المغاربية مايلي :

أولا : الوحدة المذهبية : ويعد هذا العامل من أهم العوامل التي أسهمت في تكوين شخصية إسلامية متكاملة متقاربة متعاونة ، فالمذهب المالكي هو المذهب الفقهي السائد في افريقيا ، ولاشك أن المدرسة المغربية التي خدمت الفقه المالكي ، وعمقت أصوله وفروعه ، وأضافت إليه الكثير ، مما جرى عليه العمل في المغرب والأندلس ، هي السبب المباشر في انتشار هذا المذهب في افريقيا .

ولا شك أن الدولة المرابطية أسهمت في أن يكون المذهب المالكي هو المذهب الأقوى في عهدهم ، لأنه كان السائد في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان الحجاج المغاربة في أثناء حجهم يأخذون هذا المذهب عن تلاميذ مالك في المدينة أو في مصر .

ولم تستطع الأحداث السياسية التي أدت إلى إنشاء دول مغربية متعددة في المغرب الأوسط والأدنى ، في نهاية عصر الموحدين ، أن توقف ظاهرة التكامل الثقافي . وكان العلماء يتنقلون بين المغرب الأقصى والأوسط والأدنى دون أن يشعروا بأي حاجز أو عقبة .

وتعد الوحدة المذهبية في البلاد المغربية اليوم من أهم عوامل الوحدة في الشمال الإفريقي ، وبفضلها فإن المغرب العربي يملك من خصائص الاستقرار السياسي والاجتماعي ما لا يملكه المشرق العربي الذي تهدد وحدته المذهبيات المتناقضة والمتنافرة .

ثانيا : وضوح العقيدة : والعقائد التي تملك خصائص الوضوح تظل آمنة من الانحرافات والتأويلات الخاطئة ، لأن التأويل لايكون إلا في حالات الخفاء ، والخفاء أداة الإنحراف ، والعقيدة المرتبطة بالسنة بطريقة واضحة تملك القدرة على تصحيح اتجاهها ، لأن السنة كفيلة بردها إلى الصواب .

ومن اليسير على المتتبع لمنهج الفكر الإسلامي في البلاد المغربية أن يلاحظ الاهتمام البالغ بدراسات السنة النبوية رواية ودراسة ، وكان أهل الحديث يتبوأون مكانا متميزا في المجتمعات المغربية ، خلال التاريخ المغربي .

ثالثا : عمق المشاعر الروحية : وهذه الظاهرة تفسر لنا انتشار الطرق الصوفية في افريقيا المسلمة ، وأثر تلك الطرق في تكوين الشخصية الافريقية المسلمة ، فالافريقي المسلم شديد الارتباط بالاسلام ، وبقيمه الروحية ، قوي الاستجابة لندائه ، وبسبب هذا الاستعداد كانت الزوايا الصوفية من أهم مراكز التعبئة لمواجهة الوجود الأجنبي ، وكانت المعاقل الحقيقية لتكوين الجيوش المؤهلة للدفاع عن الأرض الافريقية وعن الإسلام في افريقيا .

فالطريقة هي الرابطة الروحية التي تملك إمكانات تفوق إمكانات العصبية القبلية في المجتمعات القبلية ، فعنصر التلاحم الذي تكونه العصبية يقل في أثره عن حجم التلاحم وعمقه الذي تكونه الطريقة .

ولو تأملنا قليلا في طبيعة الشخصية الافريقية المسلمة لوجدنا أن خصائص الحضارة المغربية كامنة فيها ، وهذه ظاهرة طبيعية ، فالحضارة المغربية كانت حضارة متكاملة ، في خصائصها الفكرية ، ومدرستها الاجتهادية ، وشخصيتها الاعتبارية ، وكان المغرب في بداية أمره ، بعد دخول المولى ادريس الأول إلى المغرب ، وإنشاء أول دولة إسلامية فيه ، عرضة لتيارات فكرية ومذهبية وسياسية متناقضة متباينة ، لأن هذه التيارات كانت تجد في البلاد المغربية أمنا وأمانا ، ولأن المغرب بعيد عن المشرق ، وعن قبضة السلطة السياسية والمذهبية التي كانت سائدة هناك .

ففي القرن الثالث الهجري انتشرت في المغرب مذاهب إسلامية ، كالمذهب الخارجي في إمارة بني مدرار في سجلماسة ، والبرغواطي ، والاعتزالي ، والشيعي ، ثم انتشر المذهب المالكي في المغرب ، بفضل جهود العلماء والفقهاء من الأندلسيين الذين تلقوا الفقه عن تلاميذ الإمام مالك في المدينة ومصر ، ولما جاءت الدولة المرابطية انتصرت لهذا المذهب ، ودعمت مكانته ، ونشرته في كل مكان .

المذهب المالكي ينتشر في افريقيا

وأعتقد أن أسباب انتشار المذهب المالكي في افريقيا الغربية يعود إلى الأسباب التالية :

أولا : طبيعة المذهب المالكي : الذي يتميز بمنهج اجتهادي أصيل ، وهو شديد الصلة بالسنة النبوية ، بعيد عن التعقيد ، وهذه الخصائص كفلت له الاستمرار والانتشار ، فأصبح من أقوى المذاهب نفوذا في افريقيا .

والشعوب الافريقية لم تواجه تحديات سياسية ، مثل تلك التحديات التي واجهت مناطق الاحتكاك بين الحضارات والشعوب في بلاد العراق وفارس ، ولذلك كان المنهج المالكي هو الأقرب للفطرة ، والأبعد عن الانحراف والتأويل .

ثانيا : قوة الدولة المغربية : في عهد المرابطين

كانت الدولة قوية مهيمنة ، ذات نفوذ في الشمال والجنوب ، والدول القوية مؤثرة في توجيه الاتجاهات العامة ، والناس بطبيعتهم يميلون إلى تقليد الأقوياء ، ولذلك فإن الدول القوية لابد أن تترك بصماتها الفكرية وثقافتها واختياراتها المذهبية .

ودولة المرابطين قد بسطت نفوذها السياسي في الجنوب الافريقي المتاخم للمغرب ، وبسطت نفوذها المعنوي في المناطق الغربية من افريقيا ، ولهذا لم تستطع دولة الموحدين أن تقاوم ذلك الانتشار الواسع لمذهب مالك .

ثالثا : ارتباط المذهب المالكي بالتاريخ المغربي : يعد ارتباط المذهب المالكي بالمغرب ارتباطاً تكاملياً ، فالمغرب معتز بمذهبه ، ولهذا انصرف العلماء المغاربة لخدمة هذا المذهب ، تدوينا لأحكامه ، وتعريفا بأصوله ، وتأليفا لكتبه ، وتعميقا لمناهجه ، وتلقينا لأحكامه ، ولهذا نجد انعكاس هذه العلاقة على الحياة العامة والتقاليد الاجتماعية والقيم الأخلاقية .

وبسبب هذه الخصائص اتجهت اهتمامات الحضارة المغربية إلى نشر القيم المغربية الإسلامية في افريقيا ، وكانت افريقيا بسبب الفراغ الحضاري والثقافي مؤهلة من الناحية النفسية للاستجابة لجهود المغاربة في الدعوة إلى الاسلام ، ونشر مفاهيمه العقيدية ، وقيمه الأخلاقية والاجتماعية .



دور التجار والعلماء

وانطلقت مواكب الدعوة إلى الإسلام في افريقيا ، مقتحمة المجاهل الافريقية ، داعية ومبشرة ، وتمثلت تلك المواكب في الوسائل التالية :

أولا : جهود التجار : تشير الوثائق التاريخية إلى أن التجارة كانت مزدهرة بين شمال افريقيا وجنوبها ، وغربها ، ويعود تاريخ تلك العلاقات التجارية إلى ماقبل الإسلام بقرون . ويؤكد المؤرخون أن الفينيقيين والقرطاجنيين والرومان شجعوا التجارة مع غرب افريقيا وجنوبها ، وحملوا إليها صناعة الزجاج والحديد والنحاس والأواني الفخارية والحياكة ، وكان الذهب الافريقي يشجع هؤلاء على التجارة .

ويبدو أن الطرق التجارية التي اختطها الفينيقيون هي التي مهدت الطريق أمام الفتوحات الإسلامية ، وكانت المحطات في الطرق الصحراوية منظمة بطريقة دقيقة ، لتيسير مهمة القوافل التجارية ، وتعد «سجلماسة» التاريخية من أهم المدن التجارية في جنوب المغرب .

وتذكر بعض المراجع التاريخية الأجنبية أن أهل السودان الذين يملكون الذهب كانوا يخشون من تجار الشمال الافريقي ، وكانت المبادلات تتم بطريقة دقيقة حماية للتوازن ، وأبرز ماكان يتمتع به التجار المسلمون أنهم كانوا أهل ذمة وأمانة وصدق ، وهذا مامنحهم قدرا كبيرا من محبة أهل السودان والاطمئنان إليهم ، وأصبح للتجار المغاربة أحياء خاصة في المدن التجارية التي كانت تمر بها القوافل التجارية .

ولم يكتف التجار المسلمون بمهمتهم التجارية ، وإنما أنشأوا في تلك الأحياء التجارية مساجد ومدارس ، كانوا يعلمون فيها القرآن والسنة ، وأصبحت تلك المدارس والمساجد من أهم معاقل الدعوة إلى الإسلام ، وهذا مايفسر ظاهرة التسابق إلى بناء المساجد في البلاد الإسلامية .

ومن الطبيعي أن يطرح الافريقي البسيط على نفسه ذلك التساؤل الضروري ، عن ذلك الدين الذي يؤمن به أولئك التجار الذين آمنوا به ، وبفضله أصبحوا أكثر قوة ووعيا وحضارة .

ثانيا : دعوة العلماء : يأتي دور العلماء والفقهاء في المرحلة التالية بعد مرحلة التجار ، فهم المؤهلون للتعليم والتكوين والتوجيه ، ومن الطبيعي أن هؤلاء ينقلون إلى المجتمعات الافريقية مذهبهم الفقهي ، وعقيدتهم السنية ، ومفاهيمهم الاجتماعية ، وقيمهم الأخلاقية ، وبفضل هذه الجهود أنشئت المساجد والمدارس العلمية وخزانات الكتب ، ونشطت بفضل ذلك حلقات التدريس في المساجد ، وحركة التأليف .

وكان العلماء يتنقلون بين أطراف الدولة في المغرب الأقصى والأوسط والأدنى ، دون أن تمنعهم السيادة السياسية من التنقل ، وكانت هذه الحركة من أهم عوامل النشاط الفكري والثقافي في تلك العصور .

وللطرق الصوفية دورها

لا أحد يستطيع أن ينكر ظاهرة الطرق الصوفية في افريقيا ، ودورها في نشر الإسلام ، وحماية مقدسات المسلمين ، وفي مقاومة كل مظاهر السيطرة الأجنبية ، فالزوايا الصوفية هي المعاقل الحقيقية للدفاع عن السيادة والكرامة والعقيدة ، لاتستسلم ولا تساوم ، ولهذا انصرف اهتمام أعداء الإسلام للسيطرة على تلك الطرق أو تشويه دورها في نشر الإسلام .

والبلاد المغربية بشكل عام في الشمال الافريقي ، وأعني بها المغرب الأقصى ، والمغرب الأوسط ، والمغرب الأدنى ، هي الينابيع الحية للشخصية الإسلامية في افريقيا ، وهي الضامن لاستقامة خصائص تلك الشخصية ، بما ينسجم مع القيم الإسلامية ، لأن هذه البلاد هي مواطن الحضارة ، ومواطن العلم والثقافة في المغرب الافريقي ، ومن الطبيعي أن ينتقل الإشعاع من هذه المواطن إلى أفريقيا كلها عن طريق العلماء والتجار .

ومن الطبيعي أن تتعرض الشخصية الإسلامية في افريقيا لمحاولات التشويه والتفكيك ، وأن تطوقها مؤامرات الإضعاف والتمزيق ، لكي تكون مؤهلة لقبول قيم الحضارة الغربية وثقافتها المؤكدة لتميز الشمال على الجنوب ، في الخصائص العرقية والمؤهلات العقلية ، والقيم الأخلاقية ، إلا أن الشخصية الافريقية المسلمة تظل أقوى صمودا ، وأكثر قدرة على المقاومة .

والمغرب العربي الموحد هو القوة الفعلية المؤهلة لاحتضان الشخصية الافريقية المسلمة ، نظرا لما تمثله عواصمه ومدنه من رموز حضارية ، وثقافية وروحية ، فمعظم الشخصيات الافريقية مدينة للحضارة الإسلامية في المغارب الإسلامية التي صنعت تاريخ افريقيا المسلمة ، وصاغت معالم الشخصية الافريقية في العقيدة والثقافة والحضارة . □

فضل الحرفة

● **قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب العبد المحترف » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله يبغض العبد الصحيح الفارغ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة . لو تعلمون ما أعلم عن المسألة لما سأل رجل رجلا شيئا وهو يجد قوت يومه ، وليس عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده ، إن الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة » .**

أقوال



● فهد بن عبد العزيز

■ « الارتفاع بمستوى الشعب يسير في الطريق الصحيح ، ولئن كنا أنفقنا أموالاً فنحن كسبنا مواطنين » .

خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

■ « ادعاء شامير أن الأردن أرض فلسطين ، يعني العودة إلى بداية الصراع التاريخي » .

الرئيس المصري حسني مبارك



● حسني مبارك

■ « لقد وصل بنا الأمر أن نمنع كتاباً تراثياً ، لأنه يذكر أسماء « الطوائف » . إن الرقابة في النهاية عبارة عن إرادة موظف ، وأسهل على الرقيب أن يمنع من أن يجيز ، لأنه إذا منع مائة كتاب فإننا لانحاسبه ، ولكنه عندما يجيز كتاباً ، وتظهر فيه كلمة ممنوعة فيمكن أن تقوم عليه القيامة » .

دكتور سعدون حمادي

نائب رئيس مجلس الوزراء العراقي

■ « الحرية لا يمكن أن تُعطى على جرعات ، فالمرء إما أن يكون حراً أو لا يكون حراً » .

الزعيم الأفريقي
نلسون مانديلا



● د. سعدون حمادي

■ « خطايا أحد المعسكرين العالميين لا تعني أن المعسكر الآخر هو الفضيلة المجسمة ، أو هو الملجأ والملاذ الأخير » .

د . فؤاد زكريا

■ « نحن لا نزال نقوّم الظل .. بدلاً من قيامنا بتقويم العصا » .

الشاعر السوفيتي رسول حمزاتوف



● نلسون مانديلا

■ « منذ أن عاش البشر في جماعات . كان هناك دائماً تساؤل حول كيفية التعامل مع زوجة الرئيس » .

نانسي ريغان

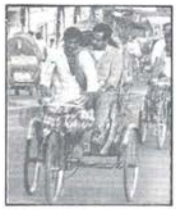
زوجة الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريغان في كتابها « جاء دوري » My Turn

اقرأ في عدد مايو ١٩٩٠

من مجلة

العربي

استطلاعات مصوّرة



صراع العضلات والعجلات في بنغلاديش

سليمان الشيخ



بيروت .. هكذا تموت المدن هكذا تحيا

محمود عبدالوهاب

- المسلمون في التسعينيات — د. أحمد كمال أبو المجد
- السياسة النفطية الجديدة في الاتحاد السوفيتي — د. يوسف سليمان الفاضل
- من دفتر الذكريات — أحمد السقاف
- الترجمة إلى العربية قبل الإسلام — عبدالرزاق البصير
- العرب والمجتمع المدني — د. مصطفى التير
- الزهو مرض أوّله نفاق — د. علي الوردي
- آفاق الفكر الاقتصادي العربي في التسعينيات — عامر التميمي
- محبوبة المصرية أميرة أوروبية — محمد المواسي
- أضواء جديدة على المرض العقلي — د. أنيس فهمي

ملف الإبداع العربي في الربع قرن الأخير:

- الرواية في وادي النيل — د. شكري عياد
- مستقبل فن القصة في الخليج والجزيرة العربية — د. محمد حسن عبدالله



وجهاً لوجه:

الشاعر عبدالله البردوني و فاديا الزعبي

واقرأ أيضاً للكتّاب:

د. محمد الرميحي ★ خالد القشطيني ★ د. حسن فتح الباب ★ د. عبدالمهدي رحمة الله
أنيسة عبود ★ د. مصطفى فهمي ★ د. فؤاد أبو حطب ★ صباح شمسي باشا

المقولات العلميّة
بين التغير والثبات

بقلم : الدكتور راشد المبارك

وصف بعض المشتغلين بنقد الشعر،المتنبي بأنه الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس ، وإذا كان في هذا الوصف شيء من المبالغة حمل عليها الإعجاب بعطاء المتنبي ، فإن المبالغة تسقط عن هذا الوصف إذا أطلق على العلم التجريبي ومنجزاته في هذا العصر التي تملأ الدنيا وتشغل الناس حقيقة لا مجازا .

لقد نفذ العلم إلى أدق الأشياء وأخفاها ، فكشف عن الذرة ، وعرف مكنوناتها ، وأطلق ما كمن فيها من طاقات . ومد بصره إلى الكواكب والمجرات ، ووصل بالإنسان إلى خارج كوكبه ، وامتدت بعثاته الآلية إلى القريب والبعيد مما يجاوره من أجرام ، وأبان كثيرا من قوى الطبيعة وخواصها ، ووظف ذلك لبلوغ أهداف الإنسان البار منها والفاجر . ولم يبق شعب من شعوب الأرض ارتفع في السلم الحضاري أو انخفض إلا وتعامل مع كل منجزات ذلك العلم أو بعضها ، منتجا لها أو مستفيدا منها أو مستهلكا لها . وصار في قفزاته لا يستجيب لحاجات الناس وأمانيهم فحسب ، بل أصبح يحدث احتياجات غير معروفة ، ويكشف عن آفاق لم يصل إليها الخيال . فلا غرابة إذن إذا بُهِرَ الناس بذلك الشيء ، وأحلوه من عقولهم ووجدانهم محلا لا يرقى إليه سواه .

وينبغي أن نقف موقف الفهم المتأني . إذ نتج عما تقدم أن نظر كثير من الناس إلى العلم ـ أي ما يسمى كذلك ـ نظرة تقرب من النظرة إلى مقدس ، وعُد كل ما ينسب إليه من مقولات حقائق مسلمة ، ووقفوا ممن يناقش في صحة بعض مقولاته أو دقتها موقفا لا يخلو من الاستصغار لمدارك ذلك المناقش أو المستريب ؛ أي أنهم وقفوا من العلم موقفا يرفضه العلم . وإذا كان ينبغي أن نتلقى هذا الموقف بالعذر

المبني على فهم بواعثه ، فإن ذلك لا يمنع من محاولة تصحيحه ، للخروج مما أدى إليه من إشكال .

« العلم » خطأ من البداية !

هل كلمة « العلم » في أذهان ناس كثيرين صحيحة الدلالة ؟

لقد نشأ عن الموقف السابق سلسلة من الأخطاء ؛ خطأ في التسمية ، وخطأ في الاستنتاج ، بني عليهما خطأ في الحكم والموقف .

ابتداء نجد خطأ في التسمية والتعريف ، حين تطلق كلمة (العلم)على جانب واحد من جوانب المعرفة ، وهو الجانب الذي مجاله المادة القابلة للتجربة والاختبار ، أو التحليل المنطقي القائم على البرهان الرياضي ، ذلك أن أداة التعريف هنا تعني الاستغراق ، أو العهد الذهني ، أو الذكرى .

وإطلاقه بهذه الصورة ، أي باستخدام أداة التعريف ، يحصر العلم في هذا الجانب من جوانب المعرفة ، ويخرج من التعريف ما عداه ، مما يتعلق بالإنسان في تاريخه واجتماعه وسياساته ودياناته ولغاته وفلسفته ، وجوانب أخرى كثيرة ، ثم بني على الخطأ في التسمية خطأ في الاستنتاج ، مؤداه أن العلم بمفهومه الاستغراقي المطلق هو ما يكون مجاله المادة ، وصار التقسيم إلى تخصص « علمي » وتخصص « إنساني » ، ولازم هذا التقسيم شعور خفي أو ظاهر ، بأن المعرفة البشرية نوعان : علمية ؛ كل مقولاتها حقائق ، وإنسانية ؛ تقوم على الظن والتخمين . وأدى ذلك الاستنتاج الخاطيء المبني على تعريف غير صائب إلى نظرة تجعل كل مقولات العلم التجريبي من المسلمات . ولا ينبغي أن يفهم هذا على أنه تقليل من شأن العلم التجريبي ، لكنها دعوة إلى نظرة وموقف من هذا العلم ، وفقا لمقاييس هذا العلم نفسه ووفقا لضوابطه .

الفرض والنظرية والقانون

يمكن تصنيف المعارف في العلم التجريبي إلى مجموعات ثلاث : إحداها قوانين كونية لها - في ما عرف البشر - طبيعة الصحة والثبات ، وهي من سنن الله في الكون . ومن هذه القوانين قانون التجاذب بين الكتل ؛ ومنه جاذبية الأرض ، وقانون التنافر والجذب بين الشحنات الكهربائية ، وقانون بقاء الكتلة والطاقة - في نظام معزول - وعدم انعكاس الانتقال الحراري ، وما ماثل هذه القوانين ، وهي قليلة بالنسبة إلى سواها . وعمل الإنسان في هذه القوانين لا يزيد عن اكتشافها وصياغتها في علامات رياضية ، تمكنه من التعبير عنها والتنبؤ بما تحدثه من أثر .

المجموعة الثانية هي مقولات قامت على حدس ، أملاه ذهن ثاقب ، واستمد صحته من أحد أمرين : الثبوت عن طريق الاشتقاق الرياضي ، وانطباق ما تنبأ به من نتائج على التجربة . وفي هذا الحال يرتفع الحدس إلى نظرية ، وهي افتراض ثبتت صحته بواحد من هذين الطرفين أو بكليهما . ومن هذه النظريات



ما يبقى صحيحا حتى يظهر ما يعارضه ، أو يحدد مجال صحته ، وذلك يعني أن بعض هذه النظريات يبقى صحيحا حتى إشعار آخر .

من الأمثلة على النظريات التي استمدت صحتها من الاشتقاق الرياضي الكثير من النظريات في الهندسة ، وعلم الحركة ، وحساب المثلثات ، وانتشار الموجات وغير ذلك . كما أن قوانين نيوتن في الحركة ، والمقدمات التي وضعها كل من بلانك وبور واينشتاين ، وهي المقدمات التى بنيت عليها « ميكانيكا الكم » ، والمفروض الأساس لهذا العلم من الأسئلة على الفروض التي استمدت صحتها من اتفاقها مع نتائج التجربة .

أما المجموعة الثالثة فتمثلها مقولات ، سميت تجاوزاً نظريات ، وهي فروض لم يثبت صحتها الاشتقاق الرياضي ، ولم تختبر صحتها بالتجربة ، فهي لا تعدو أن تكون فرضا ، قدم التفسير الأقرب لبعض ظواهر هذا الكون . ومن أبرز الأمثلة على ذلك الفروض المتتالية لمعرفة عمر الأرض .

حركة المادة أو التاريخ ؟

لقد تأثر المجتمع في الغرب تأثرا بالغا بما قدمه العلم التجريبي من قوانين وكشوف ، وانعكس ذلك انعكاسا مباشرا على قادة الفكر في فروع العلم الأخرى ، وجاءت نظرياتهم في السياسة والاقتصاد والاجتماع ترجمة مباشرة لتلك القوانين والكشوف .

وإذا كان من المؤكد أن الإلمام بالطريقة التي تعاملت بها مجتمعات الغرب مع هذه القوانين والكشوف ، وما صاغته ، مبني عليها أو متأثر بها من مباديء سياسية واجتماعية واقتصادية ، يمد بزاد من الخبرة والعبرة ، يقي من الوقوع في كثير من المحاذير ، فإن الإلمام بنموذج من طريقة التفكير في الوصول إلى مقولات المجموعة الثالثة ، وهي المقولات التي لم تصل إلى مستوى القانون أو النظرية من الصحة والثبوت ، يكشف طريقة التعامل والمعالجة لمشكلات العلم التجريبي ومسائله ، كما يبين ما أشرنا إليه في صدر هذه الكلمة ، من أن كثيرا مما يصل إليه العلم التجريبي ، في بعض مجالاته ، لا يزيد عن كونه فرضاً من الفروض ، ولو في فترة زمنية محدودة في أقل التقديرات .

من أهم القوانين التي كان لها تأثير لا يحد على فلاسفة الغرب في القرون الثلاثة الأخيرة هي قوانين نيوتن في الحركة . وقد صار لهذه القوانين من الانتشار والذيوع ما لم تعرفه قوانين أخرى في تاريخ العلم ، وأصبحت من أهم القواعد الأساس في العلوم التطبيقية والبحتة ، وجاء كثير من الكشوف نتيجة لتطبيق هذه القوانين . وإذا كان كل من له إلمام بعلم الفيزياء ، والرياضيات ، يعرف قوانين نيوتن وأثرها في معظم فروع العلم التجريبي ، فإن قليلين فقط يعرفون تأثير دلالات هذه القوانين في علوم الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

أما قانون نيوتن الأول الذي ينص على أن أي جسم يبقى على حالته من الحركة في خط مستقيم أو السكون ، ما لم تؤثر عليه قوة تغير حركته واتجاهه . وقانونه الثاني الذي ينص على أن معدل التغير في حركة جسم واتجاهه يتناسب تناسبا طرديا مع القوة المؤثرة . قد ترجما ترجمة مباشرة في ما كتبه عام ١٧٥٠ جاك تورجو ، أستاذ التاريخ في جامعة السوربون ، عن سير التاريخ ، وما كتبه آدم سميث عن فلسفة الاقتصاد في « ثروة الأمم » ، وما كتبه جون لوك في « مقالات إلى الحكومات » ، كما يبدو أثر القانون الأول واضحا في ما ذهب إليه هيجل في فلسفة التاريخ . لقد رفض تورجو الفكرة الموروثة عن الإغريق في تفسير مسار التاريخ ، القائلة بأنه دورات متصلة ، تعلو ثم تهبط ، ثم تعود للصعود ، في حركة دولاب مستمرة ، كما رفض التفسير الديني من أن العالم يسير إلى نهاية

محتومة ، وقال بدلا مما تقدم : إن التاريخ سلسلة من التطور ، وإنه يتحرك في تطوره في خط مستقيم . وكانت فلسفة هيجل في التاريخ تقوم على أن العقل يحكم العالم ، وأن التاريخ يتخذ مساراً عقليا .

وكما تأثر كل من تورجو وهيجل في تفسيرهما للتاريخ بقوانين نيوتن ، فقد جاءت محصلة فلسفة كل من آدم سميث وجون لوك في الاقتصاد والاجتماع متأثرة بتلك القوانين ، إذ كان محور هذه الفلسفة أن المسار الطبيعي لحركة المجتمع والاقتصاد بخط مستقيم ، لو سلما من تدخل قوى خارجية تعيق الخط أو تغير اتجاهه ، واستنتج الاثنان أن أفضل المجتمعات هي المجتمعات المتحررة من العوائق ، وأن أفضل الحكومات هي أقلها وضعا للقيود على حرية الفرد في التصرف والاكتساب . وهذه النظرة هي الأساس الفلسفي والأخلاقي لما يحكم أغلب مجتمعات الغرب من النظم حتى تاريخنا هذا .

قوانين غير معمرة

عند هذا الحد يكون من المفيد والطريف معاً أن نعلم أن هذه القوانين التي بدت للناس حتمية في صحة دلالتها ، مطلقة في حدودها ، لم تعمر بهذا المفهوم أكثر من قرنين ، فقد ظهر من قوانين الطبيعة ما أبان خطأ الدلالة المستنتجة منها ، ثم تلا ذلك ما كشف أن لصحتها حدودا . ففي سنة ١٨٦٨ أعلن رودلف كلوزيس القانون الثاني من قوانين الحركة الحرارية الذي يمكن أن يعبر عن مدلوله بصيغ عديدة ، منها أن « الانتقال الحراري يحدث باتجاه غير قابل للعكس تلقائيا » ، ومنها أن « درجة الاضطراب في منظومة معزولة ، درجة حرارتها فوق الصفر المطلق ، أكبر من الصفر » ، ومنها « أن تحولات الطاقة تتم من صورة الطاقة المفيدة إلى غير المفيدة » .

هذا القانون الذي لا ينافسه قانون آخر في بساطته ، قد يكون أثبت القوانين الطبيعية التي عرفها الإنسان وأكثرها شمولا ، ولا ينافس أثره في طبيعة المادة إلا عمق أثر دلالته على تصور الإنسان للكون ومجرى التاريخ ، فبينما استنتج من قوانين نيوتن استمرار حركة التاريخ ولا نهائيته ، فإن القانون الثاني للحركة الحرارية يدل على عكس ذلك ، تماما ، أي أن الكون على درجة من الاختلال متزايدة ، ستبلغ به إلى نهايته ، وكما أن له حركة امتداد في المستقبل فإن له حركة ارتداد في الماضي ، وهذا يعني أن لهذا الكون بداية ونهاية لابد أن يصير إليها . وينطبق هذا القانون على الكون الواسع ، كما ينطبق على مجموعتنا الشمسية ، ومنها الأرض . كما أن من نتائجه « أن ما في هذا الكوكب من طاقة ، في صورتها القابلة للاستعمال ، يسير بخطا متسارعة إلى التلاقي والنفاد »

إذا كان هذا القانون أبطل ما استنتج من قوانين نيوتن ، وبالتالي ما بني على هذا الاستنتاج من فلسفات ، فإن نظريات ميكانيكا الكم ، وفروضها الأساس ، وهي النظريات



والفروض التي شارك في وضعها أساطين الطبيعة الحديثة ، أمثال : ماكس بلانك ، ونيلز بور ، والبرت اينشتاين ، وشرودنجر ، وغيرهم ، وهي التي تحكم حركة الدقائق الصغرى كالذرات والكهارب والجزئيات ، قد كشفت أن صحة قوانين نيوتن مقيدة بحدود معينة من حجم الجسم المتحرك وكتلته ، ومدى البعد الذي يتحرك فيه ، وأن قوانين نيوتن حالة خاصة في ميكانيكا الكم ، لا تنطبق على عالم الدقائق كالكهارب والذرات .

ومحصلة ذلك ودلالته على درجة من الوضوح لا نحتاج معها إلى كثير من القول بأن هذه النظريات التي أملاها حس ثاقب وأيدتها التجربة فارتفعت إلى صحة القوانين وثبوتها تحتمل الخطأ في فهم دلالتها ، أي في الجانب المتعلق بالإنسان عن هذه الدلالات ، وقد يتبين أن لصحتها حدودا .

كم عمر الأرض ؟

إذا كان هذا هو شأن المجموعة الثانية فإن النظر إلى المجموعة الثالثة ، وهي الأدنى درجة في ثبوتها ، يجب أن لا يختلف عن النظر إلى فرض نسبة احتمال صحتها تساوي نسبة ما يحتمل فيها من خطأ .

من أظهر الأمثلة على ما دعوتها في هذه الكلمة « المجموعة الثالثة » هي الفروض التي وضعت لتقدير عمر الكوكب الذي نعيش عليه .

ففي عام ١٦٥٠ حسب قسيس يدعى جيمس أشر عمر الأرض ، بانيا حساباته على ما استنتجه من المصادر الدينية لديه ، فتوصل إلى تقدير مضحك ، وهو أن الأرض تكونت في الساعة الثامنة من صباح الثاني والعشرين من أكتوبر عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد !!

وفي عام ١٧٤٥ قام عالم الطبيعيات الفرنسي ، جورج دوبيفون ، بأول محاولة لتقدير عمر الأرض ، تقوم على الملاحظة والاستنتاج ، فذهب إلى أن الأرض تكونت نتيجة اصطدام مذنب بالشمس ، فانفصلت عنها الأرض ، وقدر أن ذلك حدث منذ ٧٥٠٠٠ سنة .

ثم نشر عالم الجيولوجيا الاسكتلندي ، جيمس هلتون ، كتابا له بعنوان : « نظرية تكون الأرض » عام ١٧٩٥ ، بناء على دراسته للصخور المكونة لسطح الأرض ، وهي الصخور الرسوبية والنارية ، وذكر أن القوى المؤثرة في تكون تلك الصخور قوى غير متغيرة ، وأنها تعمل في الحاضر كما كانت تعمل في الماضي ، وسميت نظريته : « مبدأ وحدة التكوين » ، وقد أخذ كثيرون من المشتغلين بعلم الجيولوجيا بهذه النظرية ، وتوصلوا من دراسة الصخور الرسوبية وتكون أحواض الأنهار ونسبة الأملاح في المحيطات إلى أن ذلك يستدعي ما لا يقل عن مئات الملايين من السنين .

ووجه عالم الفيزياء الالماني ، هلمهولتز ، نظره للبحث عن المصدر الذي يمد الشمس بطاقتها ، وافترض أن المصدر الوحيد المقبول هو انكماش حجم الشمس بعامل التجاذب الكتلي ، وتحول طاقة حركة الجسيمات أو الجزيئات المكونة لها إلى طاقة حرارية .

ثم قام بعد ذلك لورد كلفن ، وهو عالم في الطبيعة أيضا ، بمناقشة الفكرة السابقة ، وبين أنه بافتراض صحتها فإن قطر الشمس قبل ٢٥ مليون سنة يبلغ ١٥٠ مليونا من الكيلو مترات . وهذا يعني أنها تملأ مدار الأرض حول الشمس ، وعلى ذلك فإن عمر الأرض لا يزيد عن ٢٥ مليون سنة . ولتوكيد ذلك قام بحساب المدة التي تصل فيها القشرة الأرضية إلى درجة حرارتها الحاضرة ، فكانت لا تختلف كثيرا عما قدره عمراً للأرض .

وباكتشاف العناصر المشعة في أواخر القرن المنصرم ، ومعرفة أنها تعطي بتحللها قدرا من

الطاقة ، يكفي لإمداد الأرض بحرارتها الحاضرة إلى آماد طويلة تقوضت نظرية هلمهولتز ، وما بناه كلفن عليها من تقديرات .

وعندما عرف أن الرصاص هو النتاج الأخير لعناصر اليورانيوم والثوريوم المشع ، وعرف نصف عمر النظائر المشعة الممثلة للموجود منها على الأرض ، وبعض النيازك الواصلة من أجرام خارج الأرض ، تبين منها أن الاحتمال الأكبر لعمر الأرض هو ٤,٦ بلايين سنة .

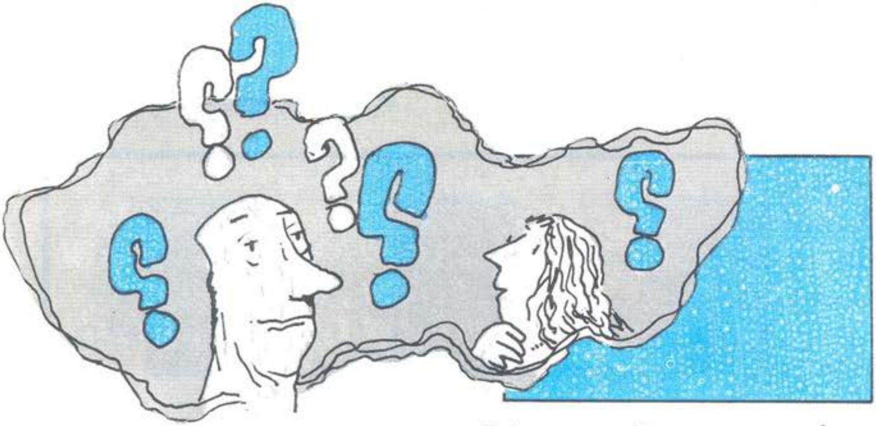
العلم يخطيء ويصيب

ما تقدم لم يقصد منه العرض التاريخي ، وإنما قصد منه دلالته على كيفية محاولة علماء العلم التجريبي الاجتهاد في تفسير ظاهرة من ظواهر هذا الكون ، أو خصائص جزء من أجزائه ، وكيف أن هذا الاجتهاد قد يخطيء وقد يصيب ، وهذا يؤدي بنا إلى التالي :

أولا : أن هناك خطأ شائعا في التسمية ، جاء من إطلاق لفظ العلم على جانب منه ، وأنه يجب أن يصحح هذا الخطأ الشائع بتقييد العموم عن طريق الوصف ، فيقال : العلم التجريبي ، أو العلم الطبيعي ، أو ما هو قريب من ذلك .

ثانيا : أن المقولات في العلم التجريبي ليست على درجة واحدة من الصحة والثبات ، فمنها ما هو ثابت الصحة ، في حدود ما عرف الناس ، وألفوا من مدركات ، ومنها ما هو صحيح حتى إشعار آخر ، ومنها ما لا يعدو كونه حدسا يحتمل من الصحة بقدر ما يحتمل من الخطأ .

ثالثا : خطأ الاندفاع نحو ما يترتب على بعض دلالات قوانين العلم التجريبي ونتائجه ، مما يتعلق بالأفراد والمجتمعات . □



الساعة البيولوجيّة
ساعة لكل زمان

بقلم : الدكتور حسن حلمي خاروف*

هل سألت نفسك يوما : لماذا أستيقظ من نومي في ساعة محددة من كل صباح ؟ ولماذا أشعر بالنعاس في الوقت نفسه من كل مساء ؟ ولماذا أشعر بالجوع كلما حان وقت تناولي الطعام ؟ إنها الساعة البيولوجية .

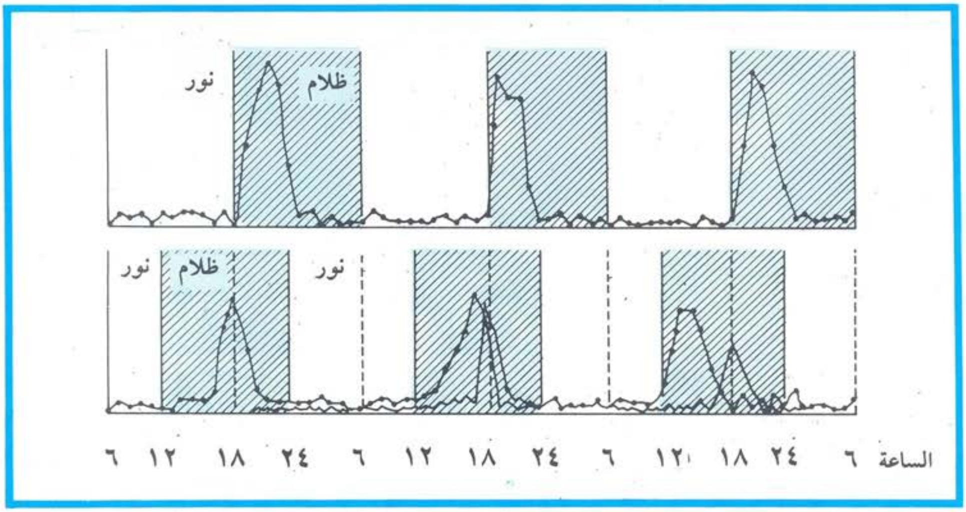
لاحظ العلماء تكرار هذه الظواهر من تنبه ونعاس وجوع ـ وكثير غيرها ـ في حياة الإنسان ، وعزوا ذلك إلى ما سموه الساعة البيولوجية . والساعة البيولوجية هي تلك الآلية التي توقت الحوادث الحيوية ومعظم نشاطات الكائن الحي ، فهي توقظ فلانا من الناس في الرابعة ، وفلانا آخر في السادسة ، وثالثا في الساعة الثامنة ، إذا « اعتاد » هؤلاء على الاستيقاظ في الساعات المذكورة . ويندر أن تخطيء « ساعتهم » في إيقاظ الواحد منهم في وقت مختلف عما اعتاد عليه .

ولا يقتصر تأثير هذه الساعة البيولوجية على ممارسات الإنسان اليومية ، بل إنها تؤثر أيضا على أجهزة الجسم المختلفة . فمن المعروف مثلا أن نشاط الكلية عند الإنسان يكون في أدنى درجاته بين الساعة ٢ ـ ٥ بعد منتصف الليل ، ثم تعود الكلية إلى نشاطها الطبيعي باقي ساعات اليوم ، أو حرارة الجسم تكون في أقل قيمها بين الساعة ٤ ـ ٥ صباحا ، ثم ترتفع إلى قيمتها الطبيعية درجة مئوية واحدة زيادة بعد ذلك . وكذلك دقات القلب وضغط الدم التي تكون منخفضة في الصباح ، وكمية السكر في الدم تكون في أدنى قيمة لها في الساعة السادسة مساء ، وعلى أكثر ما تكون في الساعة التاسعة صباحا .

لكلٍ ساعته

ولكن هل ينفرد الإنسان بوجود مثل هذه الساعة ؟ في أول ملاحظة حول هذا الموضوع

* أستاذ علم الحيوان في كلية العلوم ـ جامعة دمشق .



● في هذا الشكل ينشط الصرصور عند حلول الظلام في الساعة ١٨ مساء ويسكن باقي الأوقات ، وحين تُقَدَّمُ ساعة الظلام لتصبح الساعة ١٢ ظهراً يبقى الصرصور على نشاطه بضعة أيام إلا أنه لا يلبث أن يبدي مظاهر التأقلم بدليل ظهور موجة نشاط له بعد الساعة ١٢ وبقاء نشاطه بصورة أخف في الساعة ١٨ .

ذكرها عالم سويسري هو « أوغست فورِلْ » ، عندما لاحظ قدوم النحل إلى شرفة منزله كل يوم في أثناء تناوله طعام الإفطار ، فاستنتج وجود « ذاكرة زمانية » لدى النحل ، تدفعها للحضور في وقت محدد لتلك الشرفة ، لمشاركته إفطاره الغني بالمواد السكرية . ثم توالت الملاحظات حول عالم الحيوان . ويعرف الآن أن الصراصير والبوم والخفاش والجرذان تنشط ليلا ، وتهجع في النهار ، بينما الحيوانات الأخرى يكون نشاطها الأعظم في أثناء النهار . فالنحل يطير مفتشا عن الأزهار من أجل رحيقها في النهار ، وقد تبين أنه يفعل ذلك في ساعة معينة من النهار . « فالساعة » تُنَبِّهُ النحلة إلى أن « الوقت قد حان لجمع الرحيق » ، فتنطلق لتجمع ما تصنع منه العسل ، مخزونها الغذائي في وقت الشدة . والحيوانات التي تعيش على الشاطيء ، كالسراطين وغيرها ، تتناول غذاءها فقط في أثناء المد ، وتتوقف عن ذلك في أثناء الجزر . فارتفاع مستوى الماء في البحر يحرك « جرس ساعة التغذي » لدى السرطان ، فيباشر بالتفتيش عن غذائه ويتناوله .

حتى التكاثر والنشاط الجنسي لوحظ أنه يتغير باختلاف ساعات اليوم . والعامل المسبب للملارية ، وهو وحيد الخلية « البلاسموديوم » يوجد منه ثلاثة أنواع الأول يتكاثر كل ٢٤ ساعة ، والثاني يتكاثر كل ٤٨ ساعة ، والثالث يتكاثر كل ٧٢ ساعة . وبما أن أعراض مرض الملارية مرتبطة بدورة تكاثر الملارية (تظهر أعراض الملارية لدى تفجر الكريات الحمراء للمصاب وانطلاق العناصر البذيرية للبلاسموديوم) لذلك فإن هذه الأعراض تظهر ، حسب النوع المسبب للمرض ، كل ٢٤ ساعة أو ٤٨ ساعة أو ٧٢ ساعة . أي أن أعراض مرض الملارية تظهر أيضا بصورة دورية .

في يوم في شهر

كل ماذكرناه من حوادث يثيره منبه كل ٢٤ ساعة ، لذلك تسمى بالدورية اليومية ، إلا أن

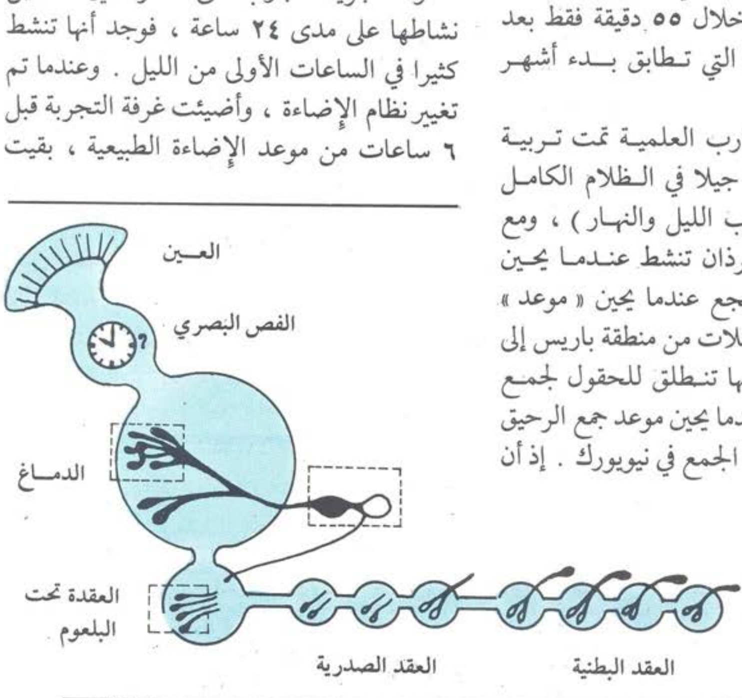
هناك فعاليات يثيرها منبه مرة كل شهر . من هذه الحوادث انطلاق البويضة لدى المرأة الذى يتم كل ٢٨ يوما . لذلك تعد الدورة الطمثية لدى المرأة خاضعة لدورية شهرية قمرية ، ومن الحوادث ما يخضع لدورية سنوية ، فمعظم الحيوانات لا تتكاثر إلا في الربيع ، والهرة مثال نموذجي في هذا المجال . فهي لا تتكاثر إلا مرة واحدة في السنة : تحمل في شهر شباط (فبراير) ، وتضع حملها في آذار (مارس) من كل عام . ومثال تغذي السرطان في أثناء المد يمثل دورية مد جزرية ، وبعض الحيوانات تشرك في نشاطها الجنسي الدورية السنوية والقمرية ، فديدان البالولو وهي ديدان بحرية تكثر حول جزر ساموا في المحيط الهادي ، تتكاثر في منتصف ليلة مقمرة من شهر تشرين أول (أكتوبر) - تشرين ثاني (نوفمبر) عندما يكون البحر في حالة جزر . كما أن ديدان النار التي توجد في مياه جزر برمودا تطلق بيوضها خلال ٥٥ دقيقة فقط بعد مغيب شمس الأيام التي تطابق بدء أشهر الصيف .

وفي إحدى التجارب العلمية تمت تربية جرذان على مدى ٢٥ جيلا في الظلام الكامل (أي أُلغي تأثير تناوب الليل والنهار) ، ومع ذلك بقيت هذه الجرذان تنشط عندما يحين « موعد » الليل ، وتهجع عندما يحين « موعد » النهار . كما تم نقل نحلات من منطقة باريس إلى نيويورك ، فلوحظ أنها تنطلق للحقول لجمع الرحيق في نيويورك عندما يحين موعد جمع الرحيق في باريس وليس موعد الجمع في نيويورك . إذ أن « ساعتها البيولوجية » مازالت مبرمجة على « توقيت » باريس .

والمثال الذي نعيشه يعد مثالا واضحا لثبات الدورية ، فعندما ينتقل أحدنا غربا إلى الطرف الآخر من الكرة الأرضية ، حيث الوقت يتأخر نحو ١٢ ساعة ، نلاحظ أنه ينشط عندما يحين منتصف الليل . فجسمنا « مبرمج » لأن نكون نشيطين في الساعة ١٢ ظهرا حسب توقيت بلادنا ، أي عندما ينتصف الليل في نصف الكرة الآخر ، والعكس صحيح . من أجل ذلك تضطرب كثيرا حياة من يضطر بحكم عمله ، الانتقال باستمرار شرقا وغربا ، كما في طواقم الطائرات ، وكذلك حياة من يضطرون أن يقوموا بمناوبات ليلية ونهارية كالممرضات .

إعادة ضبط الساعة

وقد أجريت تجارب على الصراصير لتسجيل نشاطها على مدى ٢٤ ساعة ، فوجد أنها تنشط كثيرا في الساعات الأولى من الليل . وعندما تم تغيير نظام الإضاءة ، وأضيئت غرفة التجربة قبل ٦ ساعات من موعد الإضاءة الطبيعية ، بقيت



● شكل تمثيلي للجملة العصبية لدى الحشرات في منظر جانبي يُظهِر الموقع المحتمل للساعة البيولوجية فيها .

الصراصير تنشط في وقتها الأصلي بضعة أيام ، إلا أنها بدأت بإظهار ملامح التأقلم مع التوقيت الجديد ، فكانت تنشط خلال فترتين : الأولى في بداية « الليل الجديد » والثانية في بداية « الليل القديم » . إلا أن النشاط في بداية « الليل القديم » سرعان ما يتلاشى ، لتعود الصراصير نشيطة في بداية الليل حسب التوقيت الجديد .

ومعروف أن النحل يزور الحقول لجمع الرحيق مرة واحدة في اليوم ، إلا أنه أمكن تدريب بعض النحلات على زيارة الحقول مرتين في اليوم . ولكن يجب الانتباه إلى أن الدورة كانت تستغرق ٢٤ ساعة وليس ١٩ ساعة مثلا .

إنها تعمل بالضوء !

لم يستطع العلم أن يحدد بالضبط الدافع لهذه الدورية ، فقد تكهن العلماء بوجود أسباب جيوفيزيائية ، كالضغط الجوي والجاذبية الأرضية والإشعاعات وتغيرات الحرارة . أما السبب الحقيقي فمايزال مجهولا . إلا أنه لوحظ وجود عامل مشترك ، يجمع بين هذه الحوادث كافة ، ألا وهو الضوء . والواقع أن أول من قام بالدراسة العلمية حول هذا الموضوع باحثة اسمها « هاركر » ، عام ١٩٦٠ ، إذ وجدت أن العين البسيطة عند الصرصور تلعب دورا مهما في دورية الحوادث . ثم تبين فيما بعد أن العين المركبة لدى الحشرة ، وليست العين البسيطة ، هي مفتاح الدورية . وهذا ما أوحى بأن الضوء هو العامل الأساس في قضية الساعة البيولوجية . وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات التالية بينت أن دور العين ثانوي جدا ، إذ أن تغطية العين المركبة لا يلغي الدورية ، ويؤكد ذلك أن تغطية عيون الطيور أيضا لا يلغي دورية هجرة الطيور (تخضع هجرة الطيور أيضا لدورية معينة وساعة بيولوجية محددة) ، فالضوء عندها يخترق جدران عظام الجمجمة التي تتصف بكونها اسفنجية ، مما يسهل اختراق الضوء لها ووصوله إلى الدماغ . وقد تبين فيما بعد أن العامل المنبه ليس الضوء بحد ذاته ، وإنما ما يسمى « الفترة الضوئية » ، أي فترة التعرض للضوء بالنسبة لفترة التعرض للظلام من كل ٢٤ ساعة يومية ، فالنهار في الشتاء قصير بالنسبة لليل ، إذ يتمثل بنحو ٩ ساعات نور ، مقابل نحو ١٥ ساعة ظلام ، بينما النهار الصيفي طويل ، يتمثل بنحو ١٥ ساعة ، يقابله ليل بتسع ساعات ظلام فقط .

إن ماذكرناه سابقا يوحي بأن الساعة البيولوجية في مكان ما من الدماغ . ويعتقد أن هذا المكان ، في الصرصور ، هو العصب البصري ، حيث توجد عقدة عصبية تنبه ، « بدورية معينة » ، خلايا عصبية موجودة في الدماغ ، لتعطي أوامر أو تفرز هرمونات تثير « دورية معينة » .

أما عند الإنسان فيعتقد أن الغدة الصنوبرية هي التي تمثل الساعة البيولوجية عنده ، وهي التي تتأثر بالفترة الضوئية المشار إليها سابقا . □

هل تعلم ؟



* أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ هو أول من فكر في حماية الصخرة الموجودة في بيت المقدس ، فأمر بإنشاء مظلة من الخشب فوق الصخرة حماية لها من المطر والمشي فوقها .

* أول من اتخذ الدفاتر لأمور المملكة هو يوسف الصديق عليه السلام ، حين ولّاه فرعون خزائن مصر .

امرأة في الظـل

قصة بقلم : عبد الرزاق المطلبي*

منذ أن سكنت المرأة خياله ، تغيّر خليل الوحيد ، ويوماً بعد يوم ، كان خليل الوحيد ينفصل عن جماعته في مقهى المحلة ، ولأن أصدقاءه تنبهوا لحالته من أيام ، فقد تركوه يجالس نفسه على بعد شبرين منهم ، كانوا يطلقون النكات ويضحكون ، ويستمعون إلى أخبار بعضهم ، أما هو فينظر إلى الأشياء أمامه من دون أن يبصر أي شيء منها ، تأتيه الأصوات من كل جوانب المقهى ، ولا يميز أي صوت ، بدا وكأنه في جزيرة وحده . في الأيام الأولى احتجوا ، وحاولوا سحبه إليهم ، وما لبثوا أن تركوه ، خاصة حين رأوه يختصر بقاءه معهم عما اعتادوه جميعاً .

وهذا اليوم ، شرب شايه ، ودخن سيجارته ، وهز ساقه وهي فوق ساقه الأخرى كعادته ، ثم تلفت ونهض عائداً ، وقد احتلت المرأة خياله ، وعزلته عما حوله ، لكنه لم يدع أحدا من أصدقائه يقف على سره ، فما أن يستقر على حصير المقعد الخشبي الطويل ، حتى يتذكر وجهها ، وحفيف ثوبها ، وكفها الناعمة التي تمررها على وجهه وهي تسوي الغطاء عليه .

في الليلة الأولى أيقظته حرارة كفها الغريبة ، وفتح عينيه ، غير أن ظلام غرفته أغلق عليه المكان ، وحين اعتاد عتمته ، رأى أشياءها التي يعرفها في أماكنها ، ولم ير امرأة أو ظلاً لإمرأة ، فعرف أنه رآها في حلم ، شعر أنه يود لو بقي فيه ، ولم تقطعه يقظته السريعة ، وبقي لحظات يفكر بها ، يستعيد وجهها ، ولمسة كفها ، والوهج الخفي المنبعث منها ، ورغبته التي استراحت على ظلها ، لكنه ما لبث أن دار بوجهه إلى جهته اليسرى ونام .

في الليلة الثانية كان قد نسي كل شيء عن الفتاة ، كشأنه في كل مرة يحلم فيها بامرأة ، ولم يكن يتذكر غير وجوه أصدقائه في المقهى حين استلقى على فراشه ونام .

وهذه الليلة رآها تنحني عليه ، حتى شعر بحرارة أنفاسها تلفح وجهه ، ورأى نفسه مأخوذاً إلى بياض صدرها ، وفتنته ابتسامتها الخفية ، وبكثير من الرغبة والسرور مد يديه ليمسك يديها ، لكنه فزّ ، ومثل الليلة السابقة وجد نفسه في فراشه يحدق وحده في عتمة غرفته .

ترك فراشه وراح يطوف حافياً في غرف البيت وممراته ، ووقف عدة مرات،وأطرق أذنيه ، لكنه لم يسمع غير حفيف كائنات الليل الخفية ،

---

* كاتب قاص من القطر العربي العراقي .

والأصوات التي اعتاد سماعها ، بل لم يكن ثمة غير ليل صامت ، يتنفس بحذر وحرص ، لئلا يوقظ الحياة النائمة في مثل هذا الوقت .

في النهار تذكرها مرات ، شرد بفكره الذي قادته أخيلته إلى ظلالها الباقية في رأسه ، كان يستعيد مرآها شاعراً بكثير من الراحة ومن الرغبة الدفينة في أن تكون حقيقة .

في الليلة الثالثة لم يصبر إلى نهاية سهرته مع رفاقه في مقهى المحلة ، بل أسرع إلى بيته قبل موعدهم بنصف ساعة ، وراح يتخيلها وهو يخرج مفتاح البيت ، ثم وهو يدخل ، وحين خلع ملابسه ولبس منامته ، وحين غسل وجهه ، وأكل بعض ما لديه مما في « الثلاجة » من طعام جاهز ، وعندما استلقى على فراشه ، بدا كأنه ذاهب إلى موعد قد لا يتحقق ، إذ كانت ثمة ارتعاشة قلق في عينيه ، وابتسامة هائمة تطوف على شفتيه ، كانت تجربته من المتعة والسرية حتى شعر كأنه وحده يعيش هذه التجربة المسرة ، كان يعلق صورتها في خياله ، وهو ينظر في السقف ولا يراه ، راغباً بكل ما في روحه من ميل إلى المرأة .

لما زارته هذه الليلة ، كانت بثوب شفاف قصير ، وبوجهها الحلو المغسول بنور روحها الهائجة ، مد يديه إليها لحظة ، أقبلت من تحت ستار ظلام الغرفة ، وأمسك بيديها وجذبها إلى السرير ، حيث جلست على حافته ، وعيناها تغرقان في عينيه المتسعتين فرحاً ودهشة ، وبدا أن شيئاً فيه كان يرقص طرباً لوجودها قربه ، وأن شيئاً دافئاً بات يتدفق في روحه المتلهفة على مساكنة امرأة ، وأي امرأة ؟ إنها زائرته الغريبة المجهولة التي يأخذه سروره الآن إليها ، حتى ليكاد يمسك بها بين ذراعيه ، ويحتضنها ، فلا تستطيع فكاكاً يتيح لها أن تذهب ، ويبدو أن ظلالاً من هذه الفكرة قد تحركت في رأسه ، وأنها أدركت هذه ، فقد تملصت كفاها بعجلة من يديه ، وهي تبتسم له ابتسامتها التي تسيل عذوبة وحبا ، وبسرعة غاصت في الظلام ، فما كان منه إلا أن قفز من فراشه ليمسك بها على الرغم منها ، لكنها كانت كظل محض ، انسحبت وغابت .

بقي وقتاً طويلاً يجمد في جلسته على سريره ، وقد أزعجه غيابها ، تائها تيهانا لم يعرف غيره مثله .

ترك سريره ، وانطلق يبحث مضيئا كل مصابيح البيت ، متفقداً الأبواب والنوافذ ، والمنافذ ، وما لبث أن توقف يضحك من نفسه ، وهو يردد : « إنها طيف ، حلم ، وهل تمسك الجدران ظلاً أو طيفاً ؟ » .

كانت ما تزال بقية من نشوة تداعب رغبته المستيقظة الآن ، وتستدرجه إلى معايشة مشاعره ، وهو يستعيد صورتها إلى الإحساس بالمتعة الخاصة والسعادة التي يؤمله أنها بدت مقطوعة ، لم تستمر ولا مرة واحدة ، غير أنه الليلة يعجب ، وهو يستغرب أن مثل هذا يمكن أن يحدث ، هو نفسه لم يحدث أن حلم بامرأة واحدة أو بوجه واحد في ليال متتالية ، بل لم يحلم بوجه لم يكن مألوفاً لديه ، ممن يلتقي بهن في دائرة أو مكان أو مجال ، إنها وجه جديد في حياته ، يخيل إليه أنها حقيقة ، وهي موجودة في البيت في وضع لا يفهمه ، وأنها تختار أن تأتيه في حلم ، بقدرة لا يعرف أنها وجدت عند غيرها من الناس العاديين .

وحين يشطح به خياله إلى أنها يمكن ألا تكون امرأة حقيقية ، حية ، ومن لحم ودم ، يداخله شيء من الأسف والألم والخوف ، فقد تكون ميتة ، وجد شبحها طريقه إليه ، أو أنها روح سكنت هذا البيت ، وأحبت ساكنه ، وصارت تزوره طيفاً غامضاً ، يمنحه المتعة والسرور لحظات ، ثم ما يلبث أن يستيقظ ، فيزول كل شيء .

لم يعد يطيل جلوسه في مقهى المحلة ، بل صار يتعجل شربه لكأس شايه المعتاد ، ويكمل تدخين سيجارته في طريقه إلى بيته ، وعند وصوله



يتعجل خلع ملابسه وارتداء منامته ، ليسرع في استلقائه على فراشه ، متعجلاً خدر عينيه وجسده ووعيه ، ليندس في نومته ، حيث سيلتقي بفتاته ، وقد صار الليل موعده الثابت معها ، فيعد نفسه ويتحرك ويتصرف وكأنه ذاهب إلى موعد معها نهاراً ، وذهب أبعد في هذا ، فغدا يحرص على أن يغسل جسده ، ويتعطر كل ليلة قبل أن يأوي إلى فراشه . وأكثر من هذا ، صار يحرص على ارتداء منامة جميلة أنيقة ، يعتني بكيّها أكثر من اعتنائه بكي بدلته التي يخرج بها إلى عمله ، لهذا صار النهار وكل ما يتصل به ثقيلاً عليه ، يتعجل ذهابه ، وصار الليل واحته التي يتعجل دخولها ، وهكذا أخذ يسير طويلاً في النهار ، ولا ينام الظهيرة كما تعود ، ويرهق جسده وعقله ، حتى إذا حلّ المساء ، أخذه نعاسه سريعاً إلى هذه المرأة التي لم يعد قادراً على البعد عنها ، أو غيابها عنه ليلة واحدة ، وكم كان يغضب ويثور حين تقطع يقظة مفاجئة لقاءه بها ، وشرع يتضرع إلى الله ، وأحياناً إليها ، وكأنها موجودة معه على نحو ما ، تستمع إليه ، وقد تستجيب لرجائه في أن تزوره أكثر من مرة ، بل مرات في الليلة الواحدة .

غدا أكثر هياماً واندفاعاً من عاشق حقيقي ، بل هو أكثر من أي عاشق ، إنه وإن كان يلتقي بها هذه الليالي كلها ، لكنه لم يستطع أن يبادلها حديثاً ، حتى التحية لم يسبق أن تبادلاها ، ولا مرة واحدة ، ولأنها عاشت في روحه وعقله ليلاً ونهاراً ، بات يهمل كل شيء نهاراً ، حتى نفسه ، ولم يعد ينتبه له أو يكترث به أي صديق من أصدقائه ، أو زميل عمل من زملاء مهنته ، فلم يعد يتبادل مع أي أحد كلمة واحدة ، لقد أغلقت عليه مشاعره كل المنافذ ، وعاش في عزلة داخل أهوائه الهائمة بلا وصول .

في نهار ، كان يقف في ركن شارع ، ينتظر الحافلة ، حين شده فجأة ، واخترق شيء روحه ، فقد كانت عيناه تسرعان إلى وجه ليس في خياله وعقله غيره ، كانت هي نفسها ، فتاته ، تقترب مقبلة بصحبة رجل وامرأة ، نسي الناس والحافلة ، وتقدم إليها يبتسم ابتسامته التي خبأها لها من زمان ، ومد كلتا ذراعيه صوبها ، من دون أن يفكر بأي اعتبار ، وقد ألفها تماماً ، أكثر مما ألف أصدقاءه أو نفسه ، وبقي يتقدم وابتسامته تتقدم ، ذراعيه الممدودتين ، وبدا عليه أنه لم ير أحداً ، لا الرجل ولا المرأة بصحبتها ، ولم ينتبه حتى للحالة التي اعترت المرأة التي أخذت بحركته تجاهها ، وتوقفت أولاً تنظر إليه ، مستغربة متسائلة ، ثم تراجعت مستنكرة غاضبة ، ودهش الرجل والمرأة قربها ، وراحا ينظران تارة إليه وتارة إليها ، وعندما رأيا ما اعترى المرأة ، تنبّها إلى تجاوز الرجل عليها الذي قد يكون واحداً من مشاكسي الشوارع ، فتقدما ليصيرا بين المرأة وبينه ، وصاح به الرجل :

ـ ماذا تريد ؟

ولم يبد عليه أنه سمع ، أو شعر بحركتيهما ، فقد كانت فرحته بلقائها نهاراً ، تهيج مكامن لوعته المؤجلة ، وأطلقت أهواءه الحبيسة ، فاندفع صوبها ، منتظراً أن يسمع صيحة فرحتها ، مثلما أطلق هو صيحة فرحته ، وأن تحتضنه ، ويحتضنها ، بيد أنه لحظة اصطدمت كفاه بجسم الرجل ، تنبّه لما حوله ، ورأى ظلال الخوف والانزعاج تغيران وجه المرأة الذاهلة تماماً ، وعجب عجباً أخذه عن نفسه وعن المكان وعن وجوده كله اللحظة ، وطاف به في لحظات الليل وملامح وجه فتاته المتوهجة بفرحتها وسرورها عنده ، فظلت يداه ممدودتين ، وظل في وقفته حبيس طيوف زياراتها الليلية ، وبدا كأنه تائه أو غريب تغيرت عليه الحال ، كأنه يجهل حقيقة ما جرى ، ولماذا جرى ، وكيف جرى ، مع أنها كانت تتلهف مثله لياليها الفائتة كلها ؟ ! .

كان الرجل والمرأة قد أمسكا الفتاة ، وقاداها بعيداً عنه ، في حين لا يزال هو في مكانه واقفاً ،

وقد خيل إليها أنه مجنون أو به مس على نحو ما ، فأسرعا بها إلى الاتجاه البعيد ، وهي بين أيديهما تكاد تتكوم جسداً متهالكاً من فرط ما عانته من خوف ودهشة .

تنبه هو ، وأسرع نحوهم ، صائحاً بهم ليتوقفوا ، فأخذت المرأة الفتاة ، وتوقف الرجل ليواجهه بعينين تشتعلان غضباً ، لما رآه خليل هكذا ، عاد إليه شيء من عقله ، وخشي اللحظة أن يداهمه موقف لا يريده ، أو أن يوصم بمس في عقله، توقف ، ثم استدار منسحباً ، عائداً إلى مكانه ، في موقف انتظار الحافلة ، غير فاهم ما رآه حد التشكك بعينيه وعقله ، فربما كانت أخرى تشبهها فقط ، ولم تكن هي عينها ، ولام نفسه على تهوره وتسرعه ، قبل أن يتثبت من شخصيتها ، ثم كيف يكون هذا ، وتلك فتاة حلم ، وهذه حقيقة ؟ ! .

مع هذا فإن هاجساً غريباً ركبه ، وصار يطوف به في الشوارع والأماكن والأسواق ، متوقعاً أن يرى الفتاة في مصادفة غير منتظرة ، ورآها فعلاً مرات كثيرة ، الفتاة نفسها التي كانت مع الرجل والمرأة ، ولم يصدق هذه اللحظة ، إنها يمكن أن تكون غير فتاة أحلامه ، إنها من فرط شبهها بها ، يكاد ينسي نفسه ويكلمها ، بل ترك نفسه مرات كثيرة واقفاً أمامها ، متوقعاً أن تقترب منه وتكلمه ، أو أن تفهمه على نحو ما سبب إنكارها معرفته ، وتجاهلها لوجوده ، لكن شيئاً من هذا لم يحدث ، وبقي حبيس حيرته وعجبه .

وفي ليلة،كان غضبه كبيراً على نفسه وأخيلته ، فصمم على رفض النوم في سريره ، وقرر أن يظل مستيقظاً الليل كله ، فلم يعد يكتفي بزيارة في حلم ، بل لم يرد فتاة توافيه في حلم ، إن عقله يئز ويكاد ينفجر من فرط احتدام تفكيره ، وفجأة وهو يطفو على أمواج بحره الهائج ، إذا بمفتاح يدور في قفل باب البيت الذي سمعه يفتح ويغلق ، ثم رأى مقبض غرفة الجلوس يدور ، ويفتح الباب ، وتدخل .

ذهل ذهولاً طاغيا ، نسي نفسه معه ، ووقف بطول قامته يستقبلها ، يحتويها بابتسامته ، كما احتوته هي ، بكيانه كله ، بابتسامتها العذبة التي ألفها إلفته لدمه .

كان بكامل يقظته ، وكانت بكامل يقظتها ، صارت ابتسامتها ضحكة بلا صوت ، وهو يضطرب في حضرتها ، فمدت يديها إليه ، وأخذت كفيه ، ثم جذبته ، إليها ، وقبلا بعضهما قبلة واحدة طويلة ، أزاحت كل ما حولهما من أشياء وجدران ، ووحدتهما معاً ، حتى صارا كياناً واحداً ملتفا على نفسه .

في الصباح تعجبت المرأة التي اعتادت أن تغسل له ملابسه وتنظف البيت ، إذ وجدت باب البيت وباب غرفة الجلوس مفتوحين وعلى بلاط الغرفة ، كان الرجل ينطرح بهيئة أظهرته وكأنه حي يتنفس ، كانت ذراعاه تحتويان فراغاً ، وكأنهما تضغطان شيئاً إلى صدره ، وكانت ابتسامته الخفية تلون شفتيه ، وتضيء وجهه الذي اكتسى بجلال الموت ورهبته ، وبطيوف سعادة لا توصف ، كانت تلوح في ملامحه المستريحة عند حدود الحياة . □

ماذا تعرف عن « حذاء الست » ؟!

* « حذاء الست » زهرة برية ، من الفصيلة السحلبية « الاوركيد » ، موطنها الأصلي المنطقة المعتدلة الشمالية . وتوجد في أمريكا الشمالية .

وهي أنواع ، وذات أزهار بيضاء أو صفراء أو وردية ، تشبه « حذاء الست » .

على هامش «قول على قول» :

عُمَرُ بنُ عبدِ العَزيزِ وَالغِناءُ

بقلم : حسن سعيد الكرمي

مثالان للتواضع تمثل الأول في موقف إنساني سمت فيه النفس عندما استجابت إلى ما هو عفوي فطري فيها ، وتمثل الثاني في الرقي الذي اتخذ من التواضع سلما !

يروى أن رجلا من أهل العراق أتى المدينة في طلب جاريته ، فسأل عنها ، فقيل له : إنها عند قاضي المدينة . فأتى الرجل القاضي وسأله أن يعرض الجارية عليه ، فقال له القاضي : وما حاجتك بها ؟ فقال الرجل : إنها تغني فتجيد . فعرضها القاضي . ولم يكن يعرف أنها تحسن الغناء . وقال لها أن تغني فغنت :

إلى خالدٍ حتى أنَخْنَ بخالدٍ ... فنعم الفتى يُرْجى ونعم المؤَمَّل

ففرح القاضي بجاريته حتى أقعدها على فخذه ، واستزادها من الغناء فغنت :

أروحُ إلى القصّاص كُلَّ عشيّةٍ ... أُرَجّي ثوابَ الله في عَدَدِ الخُطَا

فاشتد الطرب بالقاضي ، وأخذ نعليه وعلقهما في أذنيه ، وجثا على ركبتيه ، ثم قال للرجل : ياحبيبي . انصرف،قد كنا نرغب فيها قبل أن نسمعها تغني ، ونحن الآن أرغب فيها بعد سماعنا غناءها . وانصرف الرجل .

وبلغت القصة عمر بن عبد العزيز ، فساءه من القاضي أن تكون هذه حاله ، فعزله .

فقال الرجل : نساؤه طوالق ، لو سمعها عمر لقال : اركبوني فإني مطية . فبلغ هذا القول عمر بن عبد العزيز فأمر بإشخاص القاضي وبإشخاص الجارية معه .

فلما دخلا على عمر ، قال عمر للقاضي : أعد ما قلت ، فقال القاضي : نعم لو سمعتها يا أمير المؤمنين لقلت : اركبوني فإني مطية ، ثم قال للجارية : غني فغنت :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكةَ سامرُ
بَلَى نحن كنا أهلها فأبادنا ... صروف الليالي والجدود العواثِرُ
وأبدلنا رَبي بها دارَ غربةٍ ... بها الذئب يعوي والعدو المُخَامِرُ
وأخرجنا منها المليكُ بقُدْرَةٍ ... كذلك ياللناس تجري المَقَادِر

فصرنـا أحـاديـثـا وكـنـا بغـبـطةٍ كذلـك عَضَّـتْـنـا الـسنـون الـغَـوَابـرُ
وَسَـحَّـتْ دمـوعُ الـعـينِ تبكـي لبلدةٍ بهـا حَرَمٌ أَمْـنٌ وفـيـهـا المـشـاعِـرُ

حتى فرغت من الشعر ، فطرب عمر طربا شديدا ، وأقبل يستعيد المغنية الغناء . واستعادها ثلاثا ، فبكى حتى بلت الدموع لحيته ، ثم أقبل على القاضي وقال له :

لا بأس عليك ، لقد بر قسمك ، ارجع إلى عملك راشدا

وكان عمر بن عبد العزيز لا يثيب الشعراء على شعرهم كعادة الخلفاء . وكان جرير الشاعر أكثر الشعراء تأذيا بذلك ، وكان لا يبخل على الفقراء والمساكين ، ولا على الأرامل والمساجين ، وهو الذي منع سبَّ على بن أبي طالب رضي الله عنه من على المنابر ، وهو أشج بني مروان ، وكان يقال : أعدلا بني أمية الأشج والناقص ، والناقص يزيد بن الوليد ، وللاسمين حكايتان .

من أخبـارِ أبي بَكْرٍ الصِّـدّيق

بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه البيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة ، فقام يخطب في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إني وُلّيتُ عليكم ولستُ بخيركم ، فإن أحسنتُ فأعينوني ، وإن أسَأْتُ فقوّمُوني ، الصدقُ أمانة ، والكَذِبُ خيانة . لايدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشةُ في قوم إلا عمهم الله بالبلاء . أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله ، فإذا عصيتُ الله فلا طاعة لي عليكم .

ومن أخباره رضي الله عنه أنه وصل إليه مال من البحرين ، فساوىَ فيه بين الناس ، فغضب الأنصار ، وقالوا له : فضلنا على الناس . فقال أبو بكر : صدقتم ، إن أردتم أن أفضلكم صار ما عملتموه للدنيا ، وإن صبرتم كان ذلك لله عز وجل . فقالوا : والله ما عملنا إلا لله تعالى . وانصرفوا ، فرقى أبو بكر المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا معشر الأنصار ، إن شئتم أن تقولوا : إنا أويناكم في ظلالنا ، وشاطرناكم في أموالنا ، ونصرناكم بأنفسنا لقلتم ، وإن لكم من الفضل مالا يحصيه العَدد وإن طال به الأمد ، فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوي :

جزى الله عنـا جعـفـرا حين أُزلِـفـت بنـا نعـلـنـا في الـواطـئـين فزلـتِ
أبـوا أن يمـلـونـا ولـو أن أُمَّـنَـا تلاقـي الـذي يلقـون منـا لَمَلَّتِ
هم أسـكـنـونـا في ظلالِ بيـوتِـهـم ظلال بيـوت أدفـأن وأظَـلَّـتِ

وكان النبي ﷺ أوصى بالأنصار فقال : انهم كرمتي وعيبتي التي أويت إليها ، فأكرموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم . قد أصبحتم يا معشر المهاجرين تزيدون والأنصار لا يزيدون .

ومن أخباره رضي الله عنه ماجرى له مع بلال بن رباح ، فقد كان بلال من أول المسلمين إسلاما ، وكان أمية بن خلف يخرج بلالا إذا حميتْ الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بصخرة عظيمة ، فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فكان بلال يقول وهو في هذا البلاء : أحد أحد . حتى مر أبو بكر يوما وهم يصنعون ذلك به فقال لأمية بن خلف : ألا تتقي الله في هذا المسكين ، حتى متى ؟ فقال أمية : أنت أفسدته فأنقذه مما ترى ، فقال أبو بكر : أفعل ذلك ، عندي غلام أسود أجلد أعطيكه به ، فقبل أمية ، فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالا وأعتقه . □

زرع أصابع قدم في يد



بقلم : الدكتور محيي الدين لبنية

في العقدين الأخيرين من هذا القرن ، شهد العالم تطورات مثيرة في عمليات نقل الأنسجة الحية من مكان إلى آخر في الجسم البشري ، استعملت فيها أجزاء من نسيج واحد ، أو أكثر ، بما تحتويه من أوعية دموية وأعصاب ، كعملية زرع أصابع قدم في يد ، فكيف تتم هذه العملية ؟

وهل يمكن لأصابع القدم أن تقوم مقام أصابع اليد ؟

في مطلع الستينيات من هذا القرن ، أدى نجاح الجراحين في استعمال المجهر الجراحي ، في عملية توصيل الأوعية الدموية للأنسجة المنقولة ، الى تطور علم الجراحة الترميمية الذي استخدم فيه ما عرف باسم « الشرائح الحرة » ، بما تحتويه من أوعية دموية وأعصاب ، تمكنها من التأقلم في مكانها الجديد ، وبقائها حية ، وقسمت إلى نوعين هما :

الأول : شرائح بسيطة : تتكون من نوع واحد من الأنسجة الحية ، وهي إما جزء من نسيج عضلي ، أو عضلة صغيرة ،أو جزء من عظم ، أو غضروف .

الثاني : شرائح مركبة : تتكون من أكثر من نوع واحد من الأنسجة ، سواء كانت جزءاً من

عضلة مغطاة بالجلد ، أو جزءاً عضليا مع عظم صغير عار ، أو مكسو بالجلد ، أو ما شابه ذلك .

وفي البداية تركزت جهود أطباء جراحتي التجميل والترميم ، على إعادة تشكيل أصابع اليدين أو الرجلين ، وإزالة التشوهات الظاهرية فيها ، دون الاهتمام باستعادة أي منها لوظائفه الطبيعية . ثم تحولت رغبتهم أخيرا نحو عملية الترميم الوظيفي ؛ أي استعادة تلك الأعضاء المنقولة في لوظائفها الطبيعية مكانها الجديد . كالقدرة على الحركة ، والإحساس العصبي بالمؤثرات الخارجية ، بالإضافة إلى استعاضة الأجزاء المبتورة ، وإخفاء معالم التشوهات الظاهرية . وعموما هناك ضرورة لقيام الأطباء الاختصاصيين ، في هذه الجراحة الدقيقة ، بوضع خطط متكاملة موضحة بالرسوم لما يمكنهم تنفيذه ، للحصول على أفضل النتائج التجميلية والترميمية .

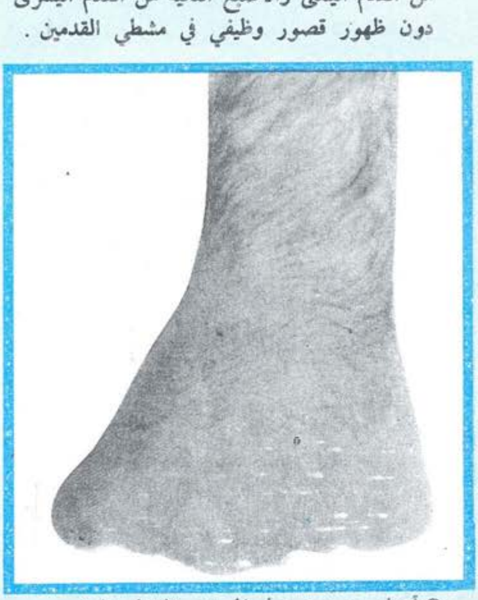
إعادة تشكيل أصابع يد

حققت عمليات ترميم كف يد إنسان فُقِدَ منها أصبع واحد أو أكثر ، نتائج جيدة ، فلقد تمكن فريق من الجراحين من نقل أصبع قدم واحدة ، أو أكثر لمصاب ، إلى إحدى كفي يديه ، استعمل فيها الأصبع الثاني ، أو الأصبع الثالث ، أو عدة أصابع ، أخذت من إحدى القدمين أو من كلتيهما . كما نجح فريق طبي ثان في نقل أجزاء من أصابع قدم المصاب ـ ليس بكاملها ـ مع الظفر إلى كف إحدى يديه ، عوضا عن الأصابع المفقودة منها . ولم تؤد هذه العملية إلى حدوث إعاقة في أصابع قدمه بعد التبرع ، ووفرت للمريض أصبعا واحدا جديدا ، أو أكثر ، في كف يده ، وقد أصبح لها شكل مقبول ، وقدرة على الحركة والإحساس بالمؤثرات الخارجية .

لم تتوقف جهود جراحي الترميم عند إعادة زرع الأعضاء المبتورة ، ونقل أصابع من قدم



● قدمَا المصاب بعد سنة راحة من نقل الأصبع الثالثة من القدم اليمنى والأصبع الثانية من القدم اليسرى دون ظهور قصور وظيفي في مشطي القدمين .



● أصابع يد مبتورة في المستوى المشطي السلومي .

المصاب ، أو أجزاء منها ، للتعويض عن أصابع اليد المبتورة ، وإنما ذهبت إلى أبعد من ذلك . فلقد نجح فريق من الجراحين في نقل بعض الأصابع المفصولة من قدمي مصاب إلى كف يده اليمنى المبتورة ، عند مستوى مفاصل مشط السلاميات ، لتوفير وسيلة طبيعية للمصاب ، لمسك الأشياء الصغيرة ، عن طريق نقل الأصبع الثانية من القدم ، لتصبح بديلا لإبهام اليد المبتورة ، وزرع الأصبع الثالثة من القدم الأخرى له ، عوضا عن الأصبع الوسطى في مشط اليد ، واستبعد استعمال الأصبع الأولى من مشط القدم في عملية الاستعاضة ، لأن غيابه يعيق بدرجة كبيرة قيام قدم المصاب بوظائفها الطبيعية . ولقد قام أولئك الأطباء بتثبيت أحد الأصابع المنقولة من القدم إلى امتداد عظم الزند في اليد ، كما ثُبتَ أصبع القدم الثانية بامتداد عظم الكبرة ، ثم خيطت الأربطة العضلية في تلك الأصابع المزروعة بالجزء المتبقي منها في اليد ، ثم أجريت عملية توصيل الأوعية الدموية للأصابع المزروعة في مكانها الجديد ، واستعملت عند الضرورة طعوم جلدية ، ذات ثخانة جزئية ، مأخوذة من جسم المصاب نفسه ، في تغطية المناطق المكشوفة التي أجريت فيها هذه الجراحة الدقيقة ، ولقد ثبتت أصابع القدم المزروعة في وضع متقابل على اليد اليمنى للمصاب ، لتوفير أداة مسك قوية له ، واختيرت عملية زرع عظام مشط القدم في وضع متواز لسببين .

الأول : أن مدى التحرك الطبيعي لأصابع القدم ضيق

الثاني : ضرورة وجود منطقة من الأنسجة الطرية بين المفاصل المشطية السلامية في أصبع القدم المحتوية على رباط .

ونجحت مثل هذه العملية الترميمية في زرع أصبعين في اليد اليمنى لمصاب ، وساعدته على القيام بأعماله اليومية البسيطة ، مثل مسك الأشياء الصغيرة ، كالنقود وغيرها .

نقل مفاصل بين عظمين

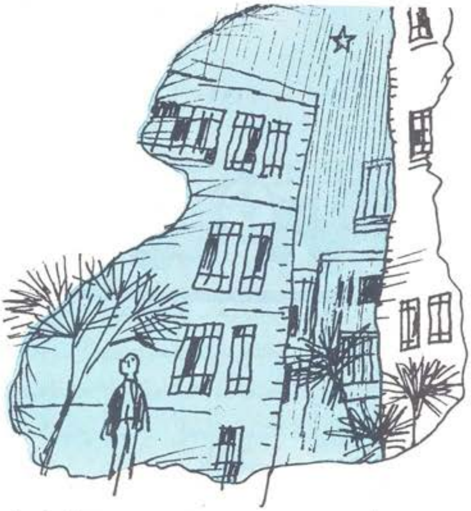
كما نجح الجراحون حديثا في نقل مفصل صغير ، بما يحتويه من أوعية دموية وأعصاب ، إلى كف يد مصاب ، سواء كان ذلك المفصل سلاميا ، أو واقعا بين سلاميتين طرفيتين في القدم ، وتمكن المرضى الذين عانوا من تشوهات خلقية في المفاصل ، أو عيوب حدثت فيها نتيجة للإصابات العارضة ، بعد إجراء تلك الجراحة ، من استعادة الوظائف الطبيعية للمفصل المنقول . ولقد أثار النجاح المتكرر لهذه العملية طموح الأطباء ، للتوسع في استخدام جراحة الترميم في نقل الأنسجة الحية من مكان إلى آخر في جسم الإنسان . □

● ماذا تعرف عن البكتيريا ؟



ليست كل أنواع البكتيريا ضارة ، بل إننا لا نستطيع الحياة بغير معونة بعضها ، فهناك البكتيريا التي تساعد النبات على النمو والنضج ، وهناك البكتيريا التي تحيا في التربة ، وتعمل على استصلاحها ، والبكتيريا في الجهاز الهضمي للبقرة ، مثلا ، هي التي تعاونها على هضم الحشائش التي تأكلها في غذائها .

أيضا هناك البكتيريا التي تقوم بتحويل الحليب إلى روب ولبن وجبن .



الشارع القديم

شعر : علي عبد الفتاح عيسى*

هنالك خلف الغيم وشّته بهجة — وغطّت حواشيه الملاحة والعُجبُ
ومدّت عليه الأغنياتُ ظلالَها — وحفّت به الأشواقُ والزهرُ والحبُّ
وقبّلت الأشجارُ وجنةَ دُورِهِ — وفي قدميه صفّق الماءُ والعُشْبُ
وضمته أشواق كثار ولهفة — وماجت به الأحلام والأمل الرحبُ

★ ★ ★

عبرت به يوما ، فأجهش منزل — وأومأت الشرفات ، واستعبر الدربُ
ونادتني الذكرى ، وشدت على يدي — وفاض على أهدابها الشوق والعتبُ
وهزت بقلبي طيف ماضٍ وأيقظت — بقية آمال على خاطري تحبُو
تطوّفُ حولي ضارعاتٍ ، وتنثني — تعانق شوقا من مآقيّ ينصبُّ

★ ★ ★

هنا بعض عمري ، بعض أيامي التي — تعيش بأعماقي وتحضنها الهُدْبُ
هنا ذكرياتي حينما كنت يافعا — أُخَطّطُ للأقدار ما يرسم القلبُ
أفاقت على شدوي الغريب ببابها — وأصغتْ لي الأقمار والبدر والشهبُ
وأرختْ على فجري غمائم وُدّها — ولوّن أحلامي بأفراحه القُربُ

★ ★ ★

هنا حيث كنا نصنع الفجر وارفاً — فينجاب عن آفاقنا الغيم والسحبُ
ونرسم وجه الصبح في شرفاتنا — فيكسو المرائي حولنا ضوؤه العذبُ
ونمشي فتنساب المروج أمامَنَا — ويمتد حقل من أغاني الهوى خصبُ
يحيط بنا من نشوة الزهر موكبٌ — ويخضرُّ أُفقٌ بين أحداقِنَا رَحْبُ

★ ★ ★

لقد عُدْتُ لكنْ لم يعُدْ في مواكبي — حنينُ المرايا ، والأناشيدُ والصَّحْبُ
وسرت غريب الذكريات يلوكني — هتافٌ من الماضي ، وَيُنْكِرُني الدَّرْبُ
أنا ياليالي الشدو طير مفزَّعٌ — أَحَاطَتْ به الأنواءُ والليلُ والغهبُ
فغنّى ، وهل يجدي الغناء مُضَيَّعاً — إذا ضل حاديه ، وقد فَصَلَ الرَّكْبُ ؟

* شاعر من القطر العربي المصري .

أرقام

بقلم : محمود المراغي

السنوات العجاف

إنها سبع سنوات عجاف !

هكذا تقول أرقام الجامعة العربية عن الأحوال المالية للوطن العربي في سنواته الممتدة من عام ١٩٨١ وحتى عام ١٩٨٧ . وقد استمر الحال على ما هو عليه مع قليل من التحسن في بقية سنوات حقبة الثمانينيات .

بين عامي (١٩٨١) و (١٩٨٧) انخفضت ايرادات النفط إلى أقل من الثلث ، كانت (١٨١) مليار دولار فأصبحت (٤٧) ملياراً ، ومعها انخفضت موارد الحكومات إلى أقل من النصف ، وتراجعت النفقات العامة .

جيوب الحكومات

في عام (١٩٨١) خرج من جيوب الحكومات العربية (١٩٣,٢) مليار دولار ، وفي عام (١٩٨٧) انكمش الرقم إلى (١٥٥,٥) ملياراً .

المعادلة ليست سهلة ، فكيف ينكمش إنفاق حكومي بعد أن يزداد،وبعد أن يصبح التزاما في مجال الأجور والخدمات والاستثمار على السواء ؟ كيف تنفق « حكومة ما » نصف ما كانت تنفقه بعد أن استخدمت موظفين وفتحت مشروعات ، ومدت شبكة الخدمات ، وزادت التزاماتها ؟

ويبدو أن هذه المعضلة قد واجهت مختلف الحكومات العربية نفطية وغير نفطية . ويبدو أن أنماط الانفاق التي تم رسمها في السبعينيات كان من الصعب التراجع عنها ، فتراجعت النفقات بنسبة أقل من تراجع الايرادات .

بالطبع كان معنى ذلك : تزايد العجز .

وكان معناه : اللجوء إلى القروض الداخلية والخارجية في معظم الأحوال ، أو السحب من الأرصدة القديمة في القليل من الأحوال لدى الدول التي توافرت لها مثل هذه الأرصدة .

ومع ذلك فلم يكن ذلك أهم ما تحمله الأرقام من معنى ، بل كان الأهم سقوط الكثير من المسلمات والبديهيات والقواعد المتعارف عليها .

كانت القاعدة التي يدرسها طلاب علم المالية العامة أنه بقدر الموارد تكون النفقات ، وأن كلمة « الميزانية » و « الموازنة » قد جرى اشتقاقها من هذه العملية الحسابية التي يجري فيها موازنة الايراد بالمنصرف ، كأي « ست بيت » لا تستطيع أن يتجاوز انفاقها ما يدخل جيبها .

لكن في الثمانينيات ضربت الحكومات العربية بهذه القاعده عرض الحائط . فأصبح العجز في معظم الأقطار عجزاً مزمناً ، وأصبح الاقتراض ونقل العبء لأجيال وسنوات مقبلة قاعدة معمولاً بها ، وكلما أتى موعد سداد الديون جرى ترحيلها إلى ميسرة .

كان ذلك جانبا ماليا واختياراً سياسياً واجتماعياً في الوقت نفسه ، لكنه لم يكن الاختيار الوحيد ، بل لم تكن « قاعدة الموازنة » هي القاعدة الوحيدة التي تمت الاطاحة بها .

كنا نقول إن الحكومة التي تأخذ بالنظام الاشتراكي أو الاقتصاد الموجه أكثر تدخلا في الاقتصاد ، وأكثر تأثيرا على مسارات الدخل والانفاق من تلك الحكومة التي تؤمن بالحرية الاقتصادية .

كان ذلك هو الشائع ، لكن ما جرى في الوطن العربي خلال الثمانينيات ـ وقبله في السبعينيات ـ يقلب هذه المفاهيم .

طبقا لأرقام التقرير الاقتصادي العربي الموحد سنة (١٩٨٨) فقد تزايد دور الحكومات العربية في الحياة الاقتصادية . كانت النفقات العامة تمثل ٤٥٪ على وجه التقريب من الناتج المحلي الاجمالي للوطن العربي فأصبحت النسبة عام (١٩٨٧) ٥٢٪ ، أي أن معظم الدخل قد أصبح يمر بأيدي الحكومات ، وأصبح معظم التصرف موكولا لهذه الحكومات التي بات دورها يفوق ـ وبالأرقام ـ دور الأفراد . تستوي في ذلك حكومات الاقتصاد الحر والاقتصاد الموجه .

بالأرقام ـ في عام ١٩٨٧ ـ كانت نسبة النفقات العامة للناتج المحلي الاجمالي : ٦٤٪ في كل من قطر والكويت ، و ٥٧٪ تقريبا في السعودية و ٥٤٪ في سلطنة عمان ، و ٨٢٪ في اليمن الجنوبي و ٥٣٪ في الاردن ، وكانت الحكومة اللبنانية حالة استثنائية فأنفقت ٢٥١٪ من دخلها خلال هذا العام .

وباختصار : لقد اقترب انفاق الحكومات النفطية من نصف الناتج المحلي ، وفاق انفاق الحكومات غير النفطية النصف بمقدار (٧ ٪) .

استثناء من ذلك ، تأتي الصومال حيث لا تنفق حكومتها أكثر من (١١ ٪) من الناتج ، وموريتانيا (٢٣ ٪) تقريبا ، والمغرب التي تقل مساهمة حكومتها في انفاق الناتج عن ٣٠٪ .

وبصرف النظر عن الاستثناءات فالحالة العامة : دور أكبر للحكومات . . نفطية وغير نفطية ، اشتراكية ورأسمالية .

إنه التكريس لظاهرة الدولة في حياة المجتمع ، وبصرف النظر عن النظم السياسية .

أين تذهب الأموال ؟

وحين نطرح السؤال حول مسارات الانفاق تتضح الحقيقة الثانية ، وهي أن كل الدول ـ اشتراكية ورأسمالية ـ تضع على عاتقها التزاما قويا بتقديم الخدمات للمواطنين ، حتى بلغ الانفاق على الخدمات العامة والاجتماعية عام ١٩٨٧ نصف الناتج المحلي ، بينما احتلت نفقات الأمن والدفاع ٢٧٪ ، واحتلت الشؤون الاقتصادية وغيرها أقل من ربع الانفاق . وكان الاستثناء في دول ارتفعت فيها نفقات الأمن والدفاع مثل سوريا التي احتلت فيها هذه النفقات حوالي (٥٥ ٪) من مجموع الانفاق . وسلطنة عمان التي تقترب فيها النسبة من نصف الانفاق ، والامارات والاردن ٤٢٪ و ٤٣٪ على التوالي .

وهكذا تسقط قاعدة أخرى تقول : إن الدول الاشتراكية أو ذات الاقتصاد الموجه أكثر التزاما بالخدمات العامة والاجتماعية . لقد سقطت القاعدة لأسباب مالية وليست ايديولوجية ، فدولة الرفاهية كانت أكثر قدرة ، والأرقام تقول : إن نصيب الفرد من النفقات العامة في الدول النفطية كان ٣٠ ٣٩ دولاراً في العام سنة ١٩٨٠ ، فتراجع الى (٢٣٧٢) دولاراً عام ١٩٨٧ ، لكن المتوسط في ذلك العام الأخير لم يتجاوز (٣٥٣) دولاراً في احد عشر قطرا عربيا لا تنتج النفط .

وبعيداً عن المتوسط العام يرتفع متوسط نصيب الفرد من نفقات الحكومة إلى (٩٤٨١) دولاراً في قطر ، ويهبط إلى (٣٥) دولاراً في الصومال و (٧٠) دولاراً في لبنان و (٨٦) دولاراً في السودان .

لقد كانت الثمانينيات هي السنوات العجاف التي تراجع فيها مجموع الايراد والانفاق على المستوى العربي . وسجلت دول النفط تراجعا شديداً بينما تزايد إنفاق الآخرين ، ولكن بقي البون شاسعاً بين المجموعتين . □

واحة العربي



في الصميم

● إذا أردت أن يُحفظ سرك فلماذا لا تحفظه أنت ؟

« مثل ايطالي »

● تقول المصفاة للابرة : إن فيك ثقباً .

« مثل هندي »



ساعة

● تعطلت ساعة خياط يوماً ، فحملها إلى « الساعاتي » لإصلاحها فأخذ « الساعاتي » يتفحصها بمنظاره ، ثم قال للخياط :

- إن إصلاحها يكلفك ريالاً ونصف ريال .

ولما كان الخياط قد اشتراها بريال واحد فقط قال « للساعاتي » :

- حسناً ، أصلحها وخذها ، ويبقى لك بذمتي نصف ريال .

قاموس الظرفاء

● **الضمير** : هو ما يجعل المرء يعترف بسوء أفعاله قبل أن يسبقه الآخرون إلى ذلك .

● **القلق** : كرسي هزاز ، يتيح لك أن تفعل شيئا ، لكنه لا يوصلك إلى أي مكان .

● **المشاعر المتناقضة** : حماتك على حافة منحدر صخري داخل سيارتك الجديدة .

□□□

سيدة في المحكمة

● تقدمت سيدة إلى المحكمة لأداء الشهادة ، فسألها الرئيس عن عمرها ، فظهر الارتباك على وجهها ، ولزمت الصمت طويلا ، فقال لها :

- من الأفضل ألّا تتمهلي كثيراً ، لأن الوقت الذي تضيعينه قد يزيد خطورة الجواب .

□□□

رقيق

الأول : ياله من جدار رقيق ، يمكنك أن تنظر من خلاله .

الثاني : ولكنه نافذة .

بسرعة

الطبيب للمريض : مفعول هذا الدواء قوي جداً ، ولكي تستطيع أن تتناوله يجب أن تكون بصحة جيدة .

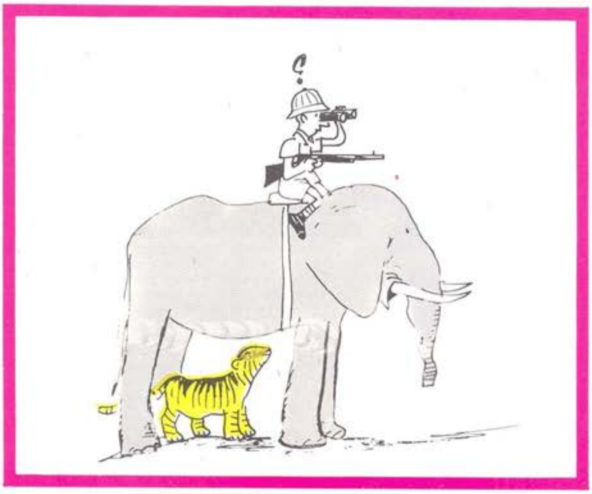
غريب جداً

كان المطر يتساقط بكثرة خارج القصر الانجليزي القديم النائي ، والرياح تصفر ، ونباح كلب يتصاعد من بعيد منذراً بالشؤم . ووقف الخادم المخلص الأمين مصعوقاً من الخوف ، وبيده الشمعدان ليدل الضيف على حجرته لقضاء ليلته . وسرت عدوى الخوف إلى الضيف المسكين ، فسأل الخادم بقلق ظاهر : هل حدث شيء غريب في هذه الغرفة ؟

فأجابه الخادم : لم يحدث شيء غريب منذ أربعين سنة ياسيدي . فتنهد الضيف المذكور ، وتنفس الصعداء ، لكنه ما لبث أن طرح سؤالاً جديداً على الخادم :

- ولكن ماذا حدث منذ أربعين سنة ؟

- شيء غريب جداً ياسيدي ، فالرجل الذي قضى ليلته في هذه الغرفة وجد في صبيحة اليوم التالي حياً يرزق .



هل هو مشغول ؟

● كان الشاعر الانجليزي السير أوسبرت سيتويل في مكتبه منهمكاً في وضع كتاب جديد له ، عندما طرق سمعه هذا الحوار بين خادمين خارج غرفته :

- هل هو مشغول ؟

- لا ، إنه يكتب .

□□□

سريع جداً

● عرف عن الروائي « البوليسي » الإنجليزي إدغار والاس أنه كان سريعاً في الكتابة ، حتى أنه كان يعتقد أن بضع ساعات تكفي لكتابة رواية « بوليسية » كاملة . وذات يوم رن جرس الهاتف ، وكان المتحدث صديقاً له ، فقالت له الخادمة :

- لا يمكنني إزعاج سيدي ، فقد بدأ قبل لحظات بكتابة رواية جديدة .

فقال المتحدث :

لا بأس ، سأنتظره حتى يفرغ منها .

□□□

الكذب

● عوتب أحد الأعراب على الكذب ، فقال للذي عاتبه : والله لو غرغرت به لهاتك ما صبرت عليه .

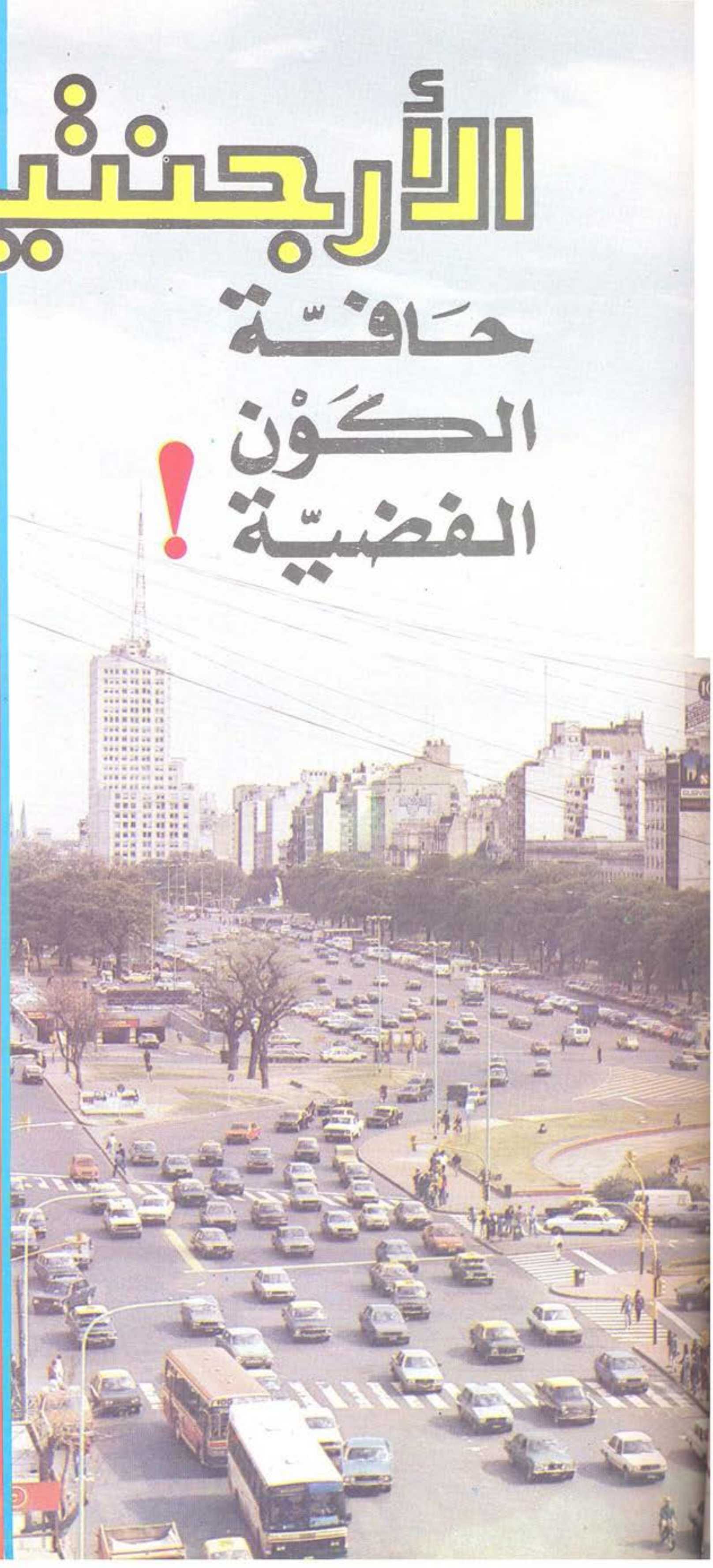

AGFA
AGFA
movicom
es "el sistema".
MOTOROLA
es "el equipo"
TELEFUNKEN
BGH Lifton
TRANSPORTANDO
DOCUMENTOS A
TODO EL MUNDO

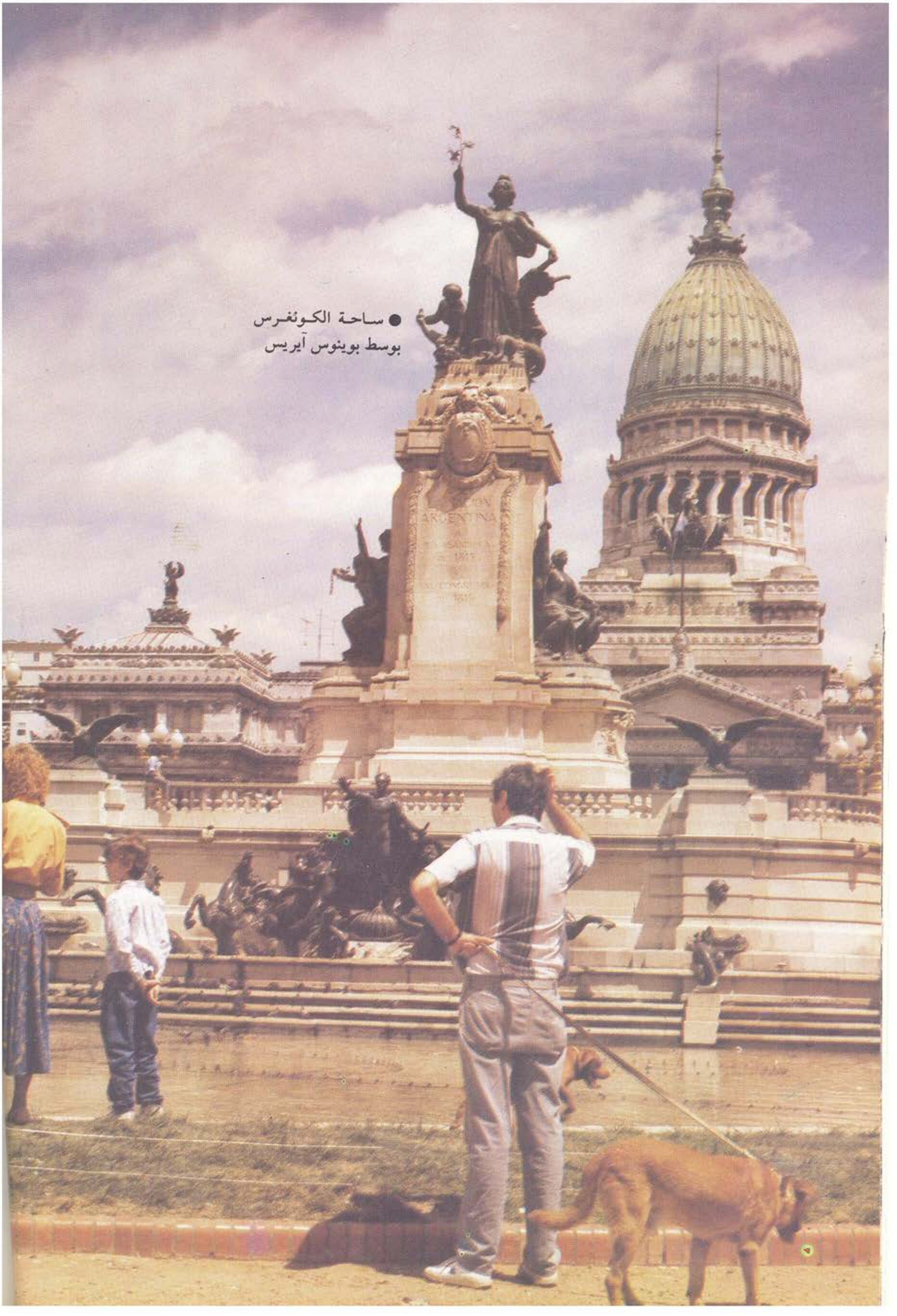
الأرجنتين

حافّة الكوْن الفضيّة !

كذبة بيضاء أعطت
الأرجنتين اسمها ،
فهي ليست أرض
الفضة فحسب ، بل
أرض التنوع
والاختلاف : اختلاف
يبدأ من أقصى نقطة
خضراء في الشمال حتى
البياض الذي يمضي بك
إلى حافة العالم جنوبا .
إلى تلك الأرض كانت
رحلة «العربي» .

استطلاع :
صلاح حزين
تصوير :
سليمان حيدر





● ساحة الكونغرس
بوسط بوينوس آيريس

عند وصولك إلى الأرجنتين تكون قد عبرت الحدود الأخيرة إلى حافة العالم الجنوبية ؛ فالأرجنتين هي الأرض الأخيرة التي تفصل عالمنا عن القارة المتجمدة الجنوبية . ولكن قبل أن تمضي إلى حافة الأرض تلك عليك أن تعبر المدار ، فالأرجنتين هي تلك المساحة بين المدار والقطب الجنوبي ، وهي مساحة هائلة على أي حال ، إذ أنها تعادل مجموع مساحة ١٢ بلدا أوربيا هي : اسبانيا والبرتغال وفرنسا وايطاليا وبريطانيا والمانيا الاتحادية والنمسا وبلجيكا وهولندا والنرويج وفنلندا وسويسرا .

ومع أننا كعرب ننتمي إلى ما يعرف بدول الجنوب فإننا أتينا إلى الأرجنتين من الشمال ، فكل بلاد العالم بالنسبة للأرجنتين شمال ، حتى نحن الجنوبيين جغرافيا وسياسيا .

وابتسمنا - زميلي المصور وأنا - لهذه الأفكار الطريفة التي كنا نتسلى بها طوال طريق السفر الطويلة ، ولم ننته منها إلا في مطار « بوينوس آيريس » الدولي الذي غص بالقادمين لاستقبال الأهل والأقارب والأصدقاء .

في طريق الخروج من المطار إلى العاصمة مررنا بسيدتين ، تجاوزتا مرحلة الشباب ، لكنهما لم تدخلا مرحلة الشيخوخة ، وقد ارتديتا ملابس متشابهة في اللون والتصميم . وصففتا شعرهما بطريقتين متماثلتين ، ووضعت كل منهما نظارة سوداء ، ثبتت فوق تقاطيع وجهها الصارمة . كانت السيدتان تبذلان محاولات جاهدة لإيقاف سيارة أجرة تقلهما إلى « بوينوس آيريس » . واسترعى انتباهنا منظرهما الذي جعلهما أشبه بثنائي فني ، يؤدي دورا أمام جمهور لم ينقطع عن التحديق فيهما ، ولم يشذ عن ذلك سائقنا الذي هز رأسه بسخرية وقال : لن تقف لهما أي سيارة .

استفسرنا عن السبب فأجاب :

أولا : لأنهما تقفان على الجانب الخطأ من الطريق ، وثانيا لأنهما تحاولان إيقاف سيارة في مكان يحمل إشارة « ممنوع الوقوف » .

وضحكنا والسيارة تعبر البساتين والغابات التي اختفى تحت أشجارها كثير من العشاق ، وقليل من العائلات ، حتى وصلنا إلى الهواء العليل ، أو « بوينوس آيريس » ، فهذا ما يعنيه اسم العاصمة الأرجنتينية بالأسبانية ، لغة البلاد الرسمية ، وهذا هو لفظها الدقيق .

أرض الفضـــة

خورخي لوي بورخيس ، كاتب الأرجنتين وشاعرها العظيم الذي توفي منذ سنوات قليلة ، قال عن مدينته : « لا أكاد أصدق أن « بوينوس آيريس » قد ولدت في زمن ما ، فهي بالنسبة لي أزلية ، مثل الهواء والماء » . وعلى الرغم من جمال الفكرة وشاعريتها فإن « بوينوس آيريس » قد ولدت ، وتاريخ ميلادها يعود إلى عام ١٥٨٠ ، حين تحطمت سفينة بعض المستوطنين الأسبان ، قرب نهر ، ظنوه بحرا لاتساعه الهائل الذي يزيد عن ٢٥٠ كم ، إلا أنهم عرفوا حقيقة النهر العظيم حين اكتشفوا عذوبة مياهه الفضية ، فأطلقوا عليه اسم (ريو ديل بلاتا) ؛ أي النهر



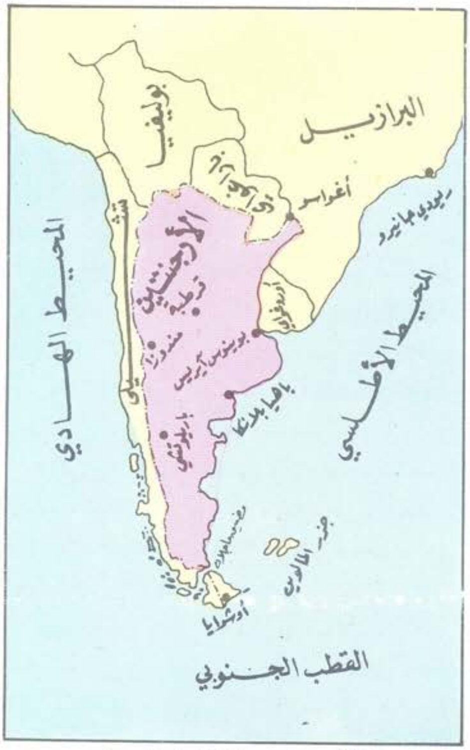
● لقطة من أعلى الجبل لمدينة كارلوس باس

الفضي الذي يعد أعرض نهر في العالم . وأطلقوا على تلك البلاد اسم « بلا تنزي » ، نسبة إلى النهر الفضي ، فكلمة بلاتا تعني بالأسبانية المحكية : الفضة .

وقد أعطى سكان البلاد الأصليون هؤلاء التعساء الذين فقدوا سفينتهم بعض الأواني الفضية ، فعادوا إلى أسبانيا يتحدثون عن جبال من الفضة في تلك البلاد . أما كلمة الأرجنتين فإنها تعني : الفضة باللغة اللاتينية . وهكذا فإن الأرجنتين هي أرض الفضة بالعامية الأسبانية ، والفصحى اللاتينية .

ومضينا نحو « الهواء العليل » . « بوينوس آيريس » مثل كل المدن التي بناها المستوطنون الأسبان أخذت شكل رقعة الشطرنج ، حيث الشوارع المتعامدة تترك رقعا مربعة . قامت عليها البنايات السكنية والتجارية ، أو أنها خلت من البنايات ، فبقيت ساحات ، ارتفعت عليها التماثيل وسط الأشجار والزهور ، والمساحات الخضراء تتنفس منها المدينة الواسعة . وقد صممت المدينة القديمة ـ وهي الجزء الذي أصبح الآن وسط المدينة ـ بحيث تتوازى فوق جسدها الكبير أربعة شوارع صغيرة يتلوها شارع عريض ، فأربعة شوارع صغيرة أخرى ، وآخر عريض . . وهكذا . لذا فعندما تسأل أحداً عن مكان ما ، يجيبك : « إنه يبعد عنا ثلاثة شوارع ، أو خمسة ، أو عشرين شارعاً » وهكذا . وفي وسط المدينة تعامدت الشوارع الصغيرة والعريضة مع شارع عملاق ، هو شارع ٩ يوليو ، ولعله أعرض شارع في العالم . إذ يبلغ عرضه ١٤٤ مترا ، وتتوسطه مسلة ضخمة ، بنيت من الحجر الأبيض ، فأصبحت مع الشارع الهائل رمز بوينوس آيريس .

وفي فندق يطل على الشارع والمسلة كانت إقامتنا في المدينة التي اكتشفنا أنها لا تنام ، وإن نامت فإن عيونها تظل مفتوحة ، تراقب الساهرين على أرصفة شوارعها التي ازدحمت



● الأرجنتين ، حافة العالم الجنوبية

بالمقاهي والمطاعم والمحلات التجارية والمسارح ، وأماكن اللهو ودور السينما ، وانتشرت فيها الفرق الموسيقية الصغيرة ، وأصبحت مسرحا للمهرجين والمغنين وممارسي ألعاب خفة اليد ، وبعض السحرة والمشعوذين ، ممن يملأون شوارع وسط المدينة . وقد ساعد على ذلك قانون يمنع دخول السيارات إلى هذه المنطقة ، ويستثنى من ذلك سيارات الأجرة التي يسمح لها بالدخول إلى بعضها ، فتبقى الشوارع المتعامدة مكانا لكل هؤلاء ولغيرهم ، ليقدموا بالمجان فنونهم التي رأينا أن مستواها لا يقل عما يشاهده الزائر في بعض المسارح الشهيرة ، ويرجح كفتها بالطبع قدرة المشاهد الجوال على مغادرة العرض في أي وقت يريد ، والانتقال إلى عرض آخر من العروض العديدة المنتشرة في شوارع المشاة تلك .



● ريكوليتا ، حي الأثرياء في العاصمة

وصل وفصل

بدأنا جولتنا وبنا فضول النظرة الأولى التي ترى وتراقب وتتفحص ، الناس والشوارع والأبنية والمحلات التجارية . ونستمع للأغنيات والأصوات الموسيقية وغير الموسيقية التي انبعثت من شوارع المدينة .

جماعات لا تنتهي من الناس ، شبان وفتيات وعجائز وكهول ورجال في مقتبل أعمارهم . لا شيء يميزهم كشعب من حيث المظهر الخارجي ، فهناك الملامح الأوربية ، وهي الغالبة ، وهناك الملامح الافريقية والآسيوية والشرق أوسطية ، وأشكال قريبة الشبة بالجنس المغولي ، وهو جنس سكان البلاد الأصليين الذين حملوا اسم الهنود الحمر . ونستمر في التحديق ، ويستمر نهر الرجال والنساء الجارف في التدفق ، رجال ونساء شقر وسمر وصفر وبعض السود ، رجال ونساء قصار وطوال ومتوسطون ومربوعو القامات ، لا يغلب على أشكالهم طابع معين ، طابعهم الاختلاف ، وميزتهم التنوع ، تماما مثل الأبنية التي امتزج فيها المعمار الفرنسي بالأسباني والايطالي والكولونيالي . نموذج فريد للمدينة (الكوسموبوليتية) التي لا تنتمي إلى ثقافة أو عرق أو أمة بعينها ، بل هي مدينة صنعها العالم أجمع ، ثم تركها تنسج ثقافتها وفنها ومعمارها وأدبها وتاريخها .

ومع ذلك فإن الشكل الأوربي هو الغالب على شعب الأرجنتين ، إذ أن أكبر جاليتين هناك هما الأسبانية والايطالية اللتان تتساويان في العدد تقريبا ، تليهما الجالية العربية الآتية من سوريا ولبنان أساسا ، ثم الجالية اليهودية التي تعد الأكبر والأقوى نفوذا في بلدان أمريكا الجنوبية

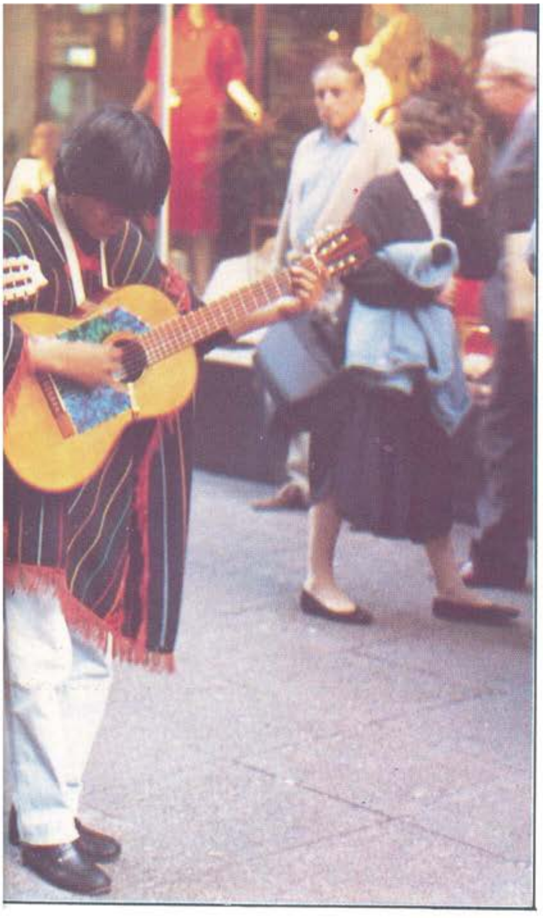
كلها ، ويأتي بعد ذلك خليط من كل شعوب الأرض .

من بين الشوارع العريضة التي تخترق جسد المدينة شارع مايو الذي يقوم بمهمتي الوصل والفصل في آن واحد ، فهو يصل بين أهم ساحتين في العاصمة ، هما ساحة مايو ، وساحة الكونغرس ، وفي الوقت نفسه يفصل أحياء الأغنياء عن أحياء الفقراء ، مما سهل علينا مهمة التعرف على المدينة التي يسكنها نحو ١٣ مليونا ؛ أي ما يقرب من نصف سكان الأرجنتين الذين يزيدون قليلا عن ثلاثين مليونا . وتأتي أهمية الساحتين من ارتباطهما الوثيق بتاريخ الأرجنتين ، فساحة الكونغرس تمثل تحول الأرجنتين إلى دولة مؤسسات ، أما ساحة مايو فقد سميت كذلك نسبة إلى ٢٥ مايو ١٨١٠ حين التقت في ثكنة (كابيلدو) - القائمة حتى الآن بطرف الساحة - مجموعة من القادة الأرجنتينيين وأعلنت الثورة على الحكم الأسباني ممثلا بنائب الملك هناك . ومنذ ذلك التاريخ بدأت حرب الاستقلال الأرجنتينية التي استمرت حتى ٩ يوليو ١٨١٦ الذي يحتفل به يوما للاستقلال .

أما مهمة الفصل التي يقوم بها شارع مايو فهي بين أحياء الأغنياء وأحياء الفقراء ، وهذا الفصل ليس اجتماعيا فقط ، بل يشمل المعمار والثقافة والفن أيضاً .

في أحياء الفقراء

ودون انتظار طويل حزمنا أمرنا وبدأنا جولتنا في سان تلمو هو أشهر أحياء الفقراء ، وهو حي يغلب على أبنيته الطراز الكولونيالي ، بغرفه الواسعة ، وأعمدته وبواباته الكبيرة نسبيا ، وبالعدد القليل لطوابقه . وهو من أقدم أحياء بوينوس آيريس . ومنه كانت بداية جولتنا . كان ذلك يوم أحد مشمسا ، ينذر بقدوم صيف حار ، فمن المعروف أن صيف الجزء الجنوبي من العالم يأتي في أشهر الشتاء عندنا ، لذا فالحرارة



تصل ذروتها في أشهر ديسمبر ويناير وفبراير .

بدت لنا حركة المرور في سان تلمو هادئة ، لكن أعداد المارة أخذت في الازدياد كلما اقتربنا من منعطف يقود إلى شارع يفضي إلى ساحة صغيرة غصت بكل شيء : بالناس والعربات والبضائع والمظلات التي تقي الباعة والشارين حر الشمس التي توسطت السماء . وبجولة لم تخل من صعوبة بسبب الازدحام الكبير اكتشفنا أن كل شيء يمكن أن يعرض للبيع في هذا السوق العجيب ، المصنوعات النحاسية والجلدية والتحف الأثرية والمصنوعات النسيجية والقلائد والخناجر والسيوف والأواني ،

اسطوانات وكتب قديمة وآلات خياطة وسروج ومهاميز ولوحات قديمة . ولفت نظري بائع يحتفظ بآثار هيبة قديمة بشاربه المفتول ووجهه

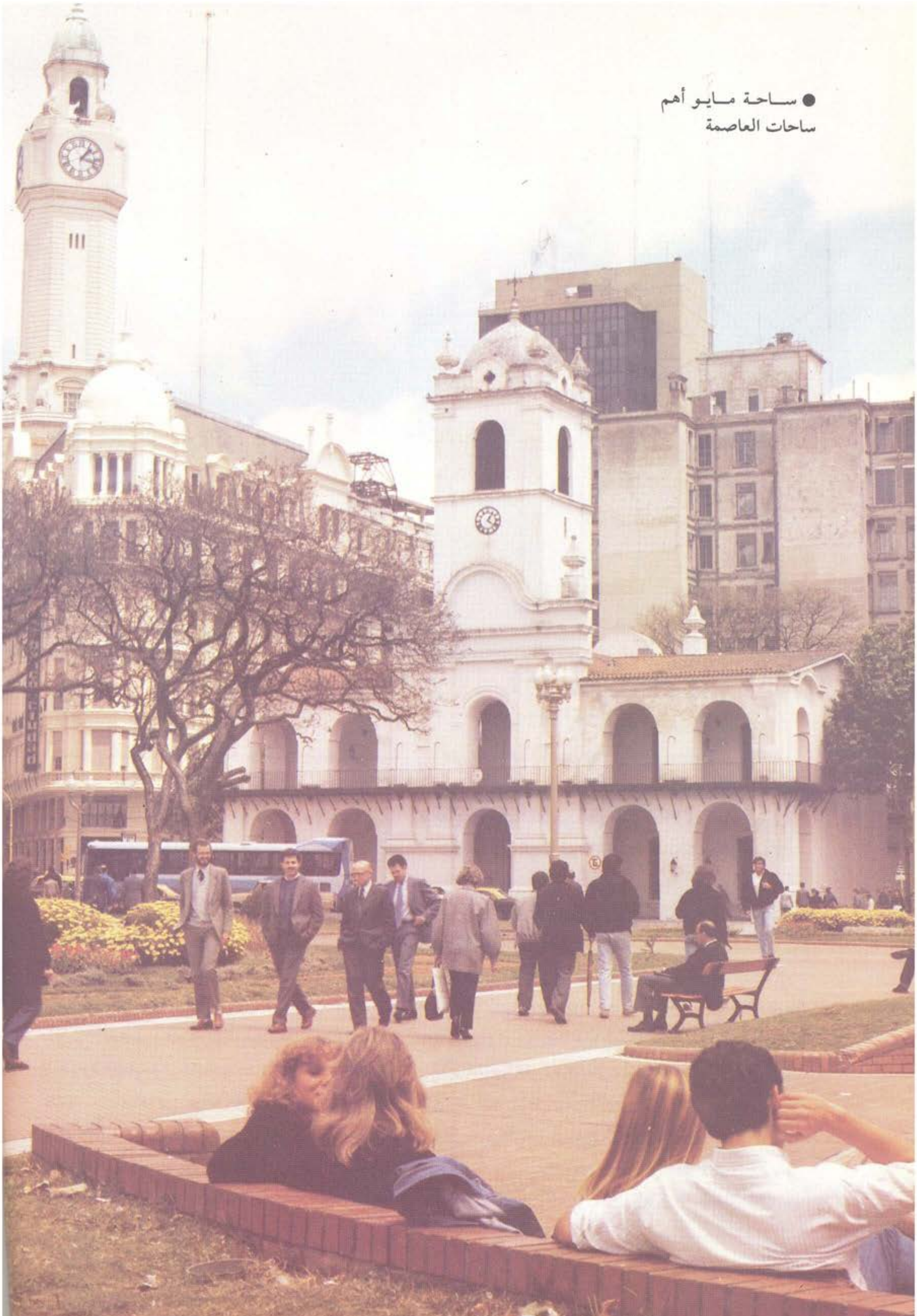


● شوارع بوينوس آيريس تتحول مساء إلى مسرح مفتوح للفرق الموسيقية

الصارم النظرات ، وقد جلس يبيع أوسمة ارتاحت بجلال فوق قطعة قماش سوداء . لقد انتهى زمن المجد ، فما نفع الأوسمة ؟ .

وفي أحد أركان السوق المكتظ تحلق رجال ونساء عجائز حول ثلاثة رجال ، لا يقلون عنهم عمراً ، حمل كل منهم آلة موسيقية ، وأخذوا يعزفون عليها . وفي الحلقة الضيقة رقص عجوزان على صوت مغن هرم ، أمام متفرجين عجائز ، شاركوهم لحظة استعادة جزء من الماضي القديم الجميل ، أو متفرجين صغار وقفوا ينظرون بفضول للمشهد القديم يبعث من جديد ، فاستدعى بعض ضحكاتهم الساخرة .

وعلى بعد عدة شوارع من سان تلمو ، وبجانب البحر الذي هو نهر (ريوديل بلاتا) ، يقوم حي شهير آخر ، اسمه لابوكا ، وهي كلمة تعني باللغة الايطالية الفم ، ويقصد به فم البحر أو النهر ، حيث يقع الحي . لابوكا حي يعلن اختلافه من النظرة الأولى ، فواجهات منازله التي بنيت دون تخطيط صنعت من أسمنت وخشب وصفيح وحديد ، وصبغت بألوان فاقعة غريبة ؛ زرقاء وحمراء وخضراء وبنفسجية وبرتقالية توهجت في شمس صيفهم الشاذ ، لتعطي الزائر شعورا بخصوصية شديدة في المسألة . ببساطة كان هذا هو المكان الذي اختاره المهاجرون الايطاليون لسكنهم عندما قدموا إلى الأرجنتين عبر الأطلسي قبل نحو ثلاثة قرون . ولأن المهاجرين الايطاليين كانوا فقراء معدمين فقد بادروا إلى انتزاع القطع الخشبية والحديدية من سفنهم ، ليصنعوا منها منازل لهم ، يأوون إليها عند فم النهر الكبير . ولم يبال المهاجرون



● ساحة مايو أهم
ساحات العاصمة

الفقراء بتلك الأشكال الغريبة والألوان المتنافرة التي بدت عليها منازلهم . ومع الزمن تحولت هذه الأشكال غير المنتظمة والألوان الفاقعة المتنافرة إلى طابع مميز لهذا الحي الذي لم يمنع الفقر سكانه من الرقص والغناء والتمتع بالحياة الفانية ، فتحول إلى مكان يقصده الناس لمشاهدة الراقصين والراقصات ، وقد ملأوا الشوارع الفقيرة ، مما جعله موطنا للفنون ؛ فمنه خرجت أجمل أغاني التانغو ورقصاته ، ومنه خرج أشهر المغنين والراقصين والموسيقيين . وحتى بعد أن تحسنت أحوال الكثيرين من سكان الحي ، ظل هؤلاء محافظين على ذكريات أيام فقرهم البعيدة ، فحافظوا على الألوان الفاقعة والمواد الغريبة التي صنعوا منها منازلهم ، وأصبح هذا الحي محجا للسياح ، وأقفل أحد الشوارع فيه أمام السيارات ، وخصص للمشاة ، وحمل اسم « كامينيتو » وهو اسم واحد من أشهر راقصي التانغو في الأرجنتين . وتحول هذا الشارع الذي امتد بين الأبنية ذات الألوان المتنافرة إلى شارع للفنانين التشكيليين والنحاتين ورسامي الكاريكاتير ، يعرضون فيه أعمالهم ومواهبهم أمام المتفرجين . ولا بأس أن اشترى هؤلاء شيئا !

وعلى مقربة من هذا الشارع قام « استاد » ضخم تقام فيه مباريات كرة القدم التي تشتهر بها الأرجنتين . وفي فسحة صغيرة ، بجانب هذا الملعب ، كان بعض الأطفال يلعبون كرة القدم بهمة ونشاط مستعجلين الزمن لكي يكبروا ، فلعل أحدهم يصبح نجما شهيرا من نجوم الكرة ، فمن هنا تخرج بعض أشهر لاعبي كرة القدم في التاريخ ، ومن بينهم لاعب تحول الى ما يشبه الأسطورة الرياضية اسمه دييغو مارادونا

وقفنا في شارع كامينيتو نشاهد اللوحات المعروضة على الجانبين ، ونسترق النظر بين آن وآخر إلى بعض الأطفال الذين انهمكوا في مباراة حامية بكرة القدم ، في فسحة على الطرف الآخر من الشارع ، وفجأة صدرت صرخة مكتومة عن امرأة وقفت إلى جوارنا فاجأتها الكرة التي ركلها أحد اللاعبين الصغار فعبرت الشارع وأصابت المرأة التي كانت تتأمل بإعجاب مصطنع من خلف نظاراتها السوداء وبتقاطيعها المتجهمة ، إحدى اللوحات المعروضة في شارع الفن . كانت تلك إحدى السيدتين اللتين شاهدناهما بطريق المطار ، أما الثانية فوقفت بنظارتها السوداء وملامحها التي لا تقل جدية وتجهماً تهدىء من روع صديقتها وسط ضحك مكتوم لرواد الشارع .

المرقص والمقبرة

حي الأثرياء في بوينوس آيريس هو حي ريكوليتا . شوارع عريضة تحيط بها بنايات راقية منتظمة الهندسة ، محلات تجارية تعرض الأزياء الحديثة . وعلى ركن أحد الشوارع انتشرت مقاهي الرصيف الراقية ، بزبائنها الذين ارتدوا الملابس الأنيقة ، والسيدات اللواتي تبارين في ارتداء أحدث الأزياء وأغلاها ثمنا .

وفي الداخل التفت حول المناضد العامرة بالطعام والشراب مجموعات من الرجال ذوي الياقات المنشاة ، والنساء الجميلات الأنيقات المعطرات ، يتبادلون الأحاديث والابتسامات والأنخاب ، بحركات وإيماءات محسوبة تماما . وبالقرب من هذه المقاهي والمطاعم الأنيقة الراقية انتشرت مجموعة من المراقص ، ارتفع من داخلها صوت الموسيقا الصاخبة ، وأبرقت نوافذها السميكة الزجاج بالألوان المتحولة مع تحول الأنغام الموسيقية السريعة الصاخبة في الداخل .

ومثل وسط المدينة وأحيائها الفقيرة الأخرى فإن هذا الحي لا ينام ، بل يبقى ساهرا حتى ساعات الصباح الأولى ، ولكن بطريقته الخاصة المترفة .

الطريف في الأمر أن هذا الحي الصاخب الذي يضج بالحركة ويعد مثالا لانطلاق شهوة

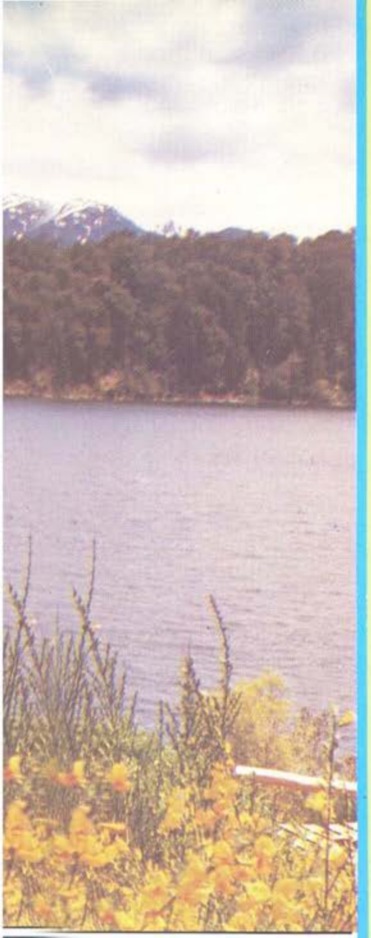
الحياة وجموحها ، لا يفصله سوى شارع فقط عن المقبرة ! نعم،ففي الشارع المقابل تقوم مقبرة ريكوليتا الشهيرة التي تضم رفات رجال الأرجنتين العظام ، ومن بينهم (إيفابيرون) ، الزوجة الشهيرة لرئيس الأرجنتين السابق ، وبطلها القومي « خوان دومنغوبيرون » ، .

عبرنا رصيف الحياة إلى رصيف الموت ، فواجهتنا الجدران الصفراء الصارمة للمقبرة التي كتب فوق بوابتها جملة « ارقدوا بسلام » .

وفي الداخل انتصبت قبور ليست كالقبور ، قبور فوق الأرض لا تحتها ، قبور صنع بعضها من الرخام ، وبعضها من الحجر الأبيض أو البركاني ، وقليل منها من الأسمنت ، وقد اتخذت شكل منازل صغيرة من طابق أو أكثر ، تفنن في هندستها المعماريون الأرجنتينيون لتكون مثاوي للعظماء وللأثرياء. ومن الغريب أن أثرياء الأرجنتين يدفعون في بعض الأحيان مبالغ خيالية من المال لقاء مكان في هذه المقبرة الشهيرة ، وكأنهم يحاولون أن يتميزوا عن الفقراء حتى في موتهم ، فيجعلون موتهم شيئا مختلفا عن موت الفقراء الذين يدفنون في مقابر بعيدة تفتقد هذه الفخامة . لكن الموت هو الموت ، وإن اختلفت المقابر وتميزت الأضرحة .

وتعد المقبرة بطابعها الغريب أحد الأماكن السياحية الكثيرة في الأرجنتين ، فالأرجنتين بلد سياحي كما هو معروف .

لكن الأرجنتين ليست بلدا سياحيا فحسب ، بل هي بلد نصف صناعي كما توصف عادة ، فباطن الأرض الأرجنتينية مليء بخيرات لما تستخرج بعد ، من النفط الذي يكفي احتياجات البلاد ، حتى المياه المعدنية ، ومن الفضة حتى اليورانيوم الذي تملك منه واحدا من أضخم الاحتياطيات في العالم ، مرورا بعدد هائل من المعادن التي تسكن جوف الأرض البكر ، وقد وصلت الصناعة في الأرجنتين حدا متقدما بفضل هذه الثروات ، فقائمة صناعاتها



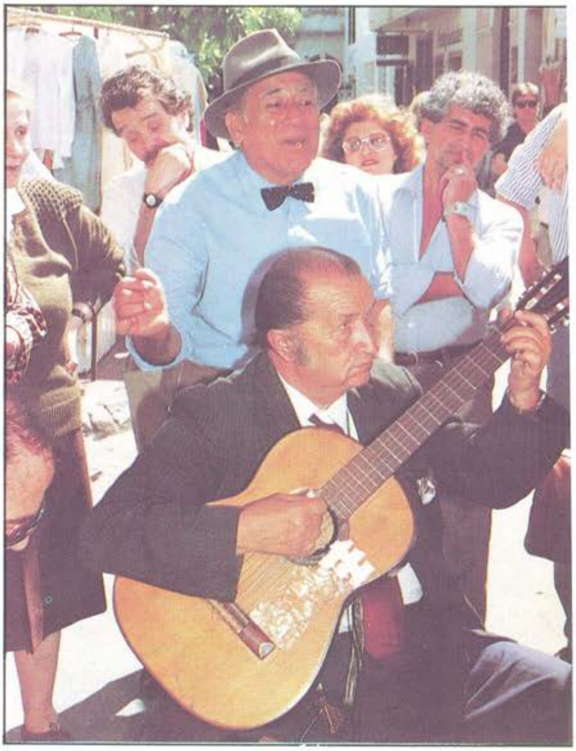


● (إلى أعلى) مشهد رائع للطبيعة الساحرة التي تميز المنطقة الجنوبية من الأرجنتين والصورة لبحيرة (ناهويل هوابي) في منطقة باريلوتشي ، وتبدو خلفها سفوح جبال الانديز .
(وإلى الأسفل) أقصى شمال الأرجنتين والصورة لنهر اغواسيو الذي يفصل حدود الأرجنتين - حيث التقطت الصورة - عن كل من البرازيل (الضفة اليسرى) وباراغواي (الضفة اليمنى)





تبدأ بالصناعات الخفيفة ؛ مثل : التعليب والألبان والأسماك ، حتى الصناعات الذرية ، ومن المتوقع أن يكون في الأرجنتين ستة مفاعلات ذرية مع نهاية القرن الحالي . وتشمل القائمة أيضا صناعة المحركات والسيارات والسفن والآلات الزراعية وأجهزة الحاسوب « الكمبيوتر » وغيرها . ومع ذلك فإن التضخم المستشري في الاقتصاد الأرجنتيني ، وسياسة القروض التي اتبعتها الأرجنتين في السنوات الأخيرة ، انعكستا سلباً على الأوضاع الاقتصادية هناك ، مما جعلها واحدة من أكثر الدول المدينة في العالم ، تعبيرا عن الأزمة الاقتصادية التي تظهر على شكل اضرابات ، تنظمها نقابات العمال القوية هناك ، فالقطاع الصناعي يستوعب ٢٥٪ من السكان القادرين على العمل .



● مطرب يستعيد زمنه القديم بسوق سان تلمو

لأن الأرجنتين بلد شاسع ، مترامي الأطراف ، فقد كان علينا أن نخطط جيدا لزيارة أكثر من منطقة ، والتمتع بأكثر من لون من ألوان الجمال ، ومشاهدة أكثر من نوع من أنواع الحياة في تلك البلاد .

بدأنا بالشمال ، بمدينة بويرتواغواسيو ، تلك المدينة الصغيرة العجيبة ، الواقعة على حدود كل من البرازيل وباراغواي . ويرتبط اسم هذه المدينة الحدودية أساسا بالشلالات التي يشق هديرها سكون الغابات الكثيفة ، المحيطة بنهر اغواسيو بمياهه العظيمة . وكلمة اغواسيو تعني : الماء العظيم ، بلغة هنود الواراني الذين كانوا يسكنون المنطقة قديما ، ويتوزعون الآن بين الارجنتين وباراغواي والبرازيل .

التشكيلة اللونية في أغواسيو غاية في البساطة والثراء ، في الوقت نفسه ، فهي بسيطة لأنها تتكون من اللون الأخضر الداكن ، وهو لون الأدغال التي تمتد مئات آلاف الأميال عبر الحدود البرازيلية ، ولون التربة الأحمر بسبب درجة التأكسد العالية ، وبينهما لون الماء الذي يتردد بين الأزرق المخضر ، وبين البني حين يجرف ماء نهر اغواسيو التربة ، ويأخذها معه وهو ينحدر باندفاع وحشي من علو يزيد أحيانا عن ٩٠ مترا . ماء وشجر ، شجر كثيف أخضر ممتد ، وماء عظيم ، يشكل مجرى نهر اغواسيو الذي يفصل في تلك المنطقة بين حدود الأرجنتين والبرازيل . وتعيش فيه مئات الأنواع من الطيور والفراشات والزواحف والحيوانات المفترسة أيضا . فهناك نحو ١٢ من النمور التي تجوس أرجاء الغابة في الجانب الارجنتيني فقط . وقد روى لنا مرافقنا ذو الأصل الهندي الأحمر الذي لا يرضى عن البقاء في منطقة الغابات بديلا ، أن السابحين والمتشمسين حول حمام السباحة بفندق اغواسيو انترناشيونال الفخم ، فوجئوا مرة بنمر يشرب باطمئنان من حمام السباحة القريب من طرف الغابة ، وأنه لم يزأر إلا بعد أن جفل الرواد



● شارع كامينيتو وتشاهد على الجانبين البنايات الملونة للايطاليين الأوائل

وبدءوا بالصراخ ، عند ذلك فر النمر مذعورا لا يلوي على شيء .

حنجرة الشيطان

أما ما يعرف بالشلالات فهي مساقط مياه النهر العظيم ، وعددها ٣٧٥ مسقطا ، منها ٣٧٠ داخل الأراضي الأرجنتينية ، و ٥ فقط في البرازيل . وهذه المساقط ليست متجاورة ، بل تمتد على عرض مئات الأمتار ، لتلتقي في ما يشبه زاوية ، ما تلبث أن تنفرج مكونة مساقط أخرى ، وفي بعض المناطق تبدو الشلالات كأنها مكونة من طبقتين ، إذ ما تلبث المياه المتساقطة أن تسير على سطح مستو ، لتهوي من جديد في لجة رهيبة . ويصل المشهد ذروته في طرف الزاوية الحادة ، حيث تتجمع مياه النهر العظيم في ما يشبه البحيرة الكبيرة التي تكونت بين الغابات ، لتسير بوتائر تتسارع لتصل أقصى سرعتها قرب جرف غير منتظم الاستدارة ، يشكل زاوية المثلث المذكور . وهناك تلتقي كل هذه المياه الغاضبة ، لتهوي من ارتفاع يزيد عن ٩٠ مترا ، محدثة دويا هائلا ، أشبه بزئير أسد جريح . وبين آن وآخر ، عندما تتكاثر المياه ، ويزداد سقوطها سرعة ، تتصاعد من جوف المكان الذي التقت فيه المياه الغاضبة ، غيوم من الرذاذ ، تصعد عاليا لتسقط على السائحين والمتفرجين والمترجمين والمصورين والمرافقين الذين اصطحبوا أفواجهم السياحية نحو هذا المكان الرهيب الذي يطلق عليه اسم « حنجرة الشيطان » . فقد كان الهنود الحمر من سكان البلاد الأصليين حين يسمعون صوت المياه النازلة من ذلك الارتفاع الكبير ، يعتقدون أن هذه الاصوات ليست سوى أصوات الشيطان ، يخرجها من حنجرته الرهيبة ، وأن الرذاذ الصاعد من جوف المسقط هو أنفاسه الشريرة .

وعبر ممرات أسمنتية ثبتت فوق ماء النهر وعبر الغابات المحيطة يمكن للزائر مشاهدة الشلالات

الكثيرة من زوايا متعددة ؛ من الأسفل حيث تهوي المياه المزبدة ، حاملة معها الطمي وبعض الحجارة نحو الأرض الصخرية ، أو من الأعلى حيث تزبد الشلالات في الأسفل مكونة أقواس قزح صغيرة فوق جسم البحيرة التي غطاها الرذاذ . أو عبر النهر لتصل إلى نقطة لا تبعد سوى أمتار قليلة جداً عن حنجرة الشيطان . لكن ذلك سيعرضك للبلل بفعل الرذاذ الشيطاني الذي يخرج بين حين وآخر وكأنه عقاب لمن تجرأ على الوصول إلى هذه النقطة المحرمة .

وحين وصلنا هناك كان الرذاذ يلاحق عدداً من السياح غامروا بالاقتراب من حنجرة الشيطان ، فأطاح بقبعات بعضهم ، وأفسد تسريحات بعضهن ، وعندما دققنا في وجوه الهاربين من غضب الشيطان لفت نظرنا - زميلي المصور وأنا - وجهان مألوفان وقد زادنا معرفة بهما النظارتان السوداوان اللتان لم تكونا متناسبتين أبداً مع هذا المكان على الأقل ، لكنهما كانتا هناك تكملان تقاطيع الوجهين اللذين بقيا متجهمين حتى في هذا الموقف الذي ضحك له الجميع سواء من ابتلوا أو من لم يكونوا قد ابتلوا مثلنا . ولم يكن هذان الوجهان سوى وجهي سيدتي المطار العجيبتين .

في قرطبة

ومن هناك إلى (كوردوبا) أو قرطبة ، وهي ثاني أكبر مدن الأرجنتين ، إلا أنها تبدو مختلفة ، فليس لديها نضارة بوينوس آيريس ، ولا حيويتها ، ولا تألق أحيائها ، لكنها تشبه العاصمة بازدحامها وبشوارعها المتعامدة .

المنطقة السياحية لقرطبة هي بلدة كارلوس باس القريبة التي سكنت بين عدد من التلال والجبال المخضرة . وخارج حدود البلدة الصغيرة نسبيا ، تتعدد وتتنوع مظاهر الجمال : غابات ، بحيرات ، جبال . وتتعدد لذلك وسائل الوصول إلى هذه الأماكن السياحية الجميلة : الحافلات السياحية المتعددة الأحجام ، والسيارات الصغيرة التي تأخذك إلى نقاط صعود الجبال بالكراسي الطائرة أو « التلفريك » أو تمضي بك إلى شاطيء البحيرة التي أحيطت بجزء من مباني البلدة الآخذة في التمدد . وبإمكانك أيضا استخدام القدمين ، وهذا ما فعلناه .

توجهنا نحو واحد من أعلى الجبال التي تشرف على المدينة والبحيرة والتلال والغابات المحيطة ، من أعلى الجبل بدا منظر البلدة الخلاب ، بلدة تغفو على ضفة بحيرة رائعة ، تتحرك فوق سطحها الهاديء نقاط بيضاء أو ملونة ، صنعت خلال سيرها فوق سطح البحيرة خطوطا متحركة ، إنها القوارب التي تستخدم هناك للتزلج على الماء الوفير في تلك البلاد .

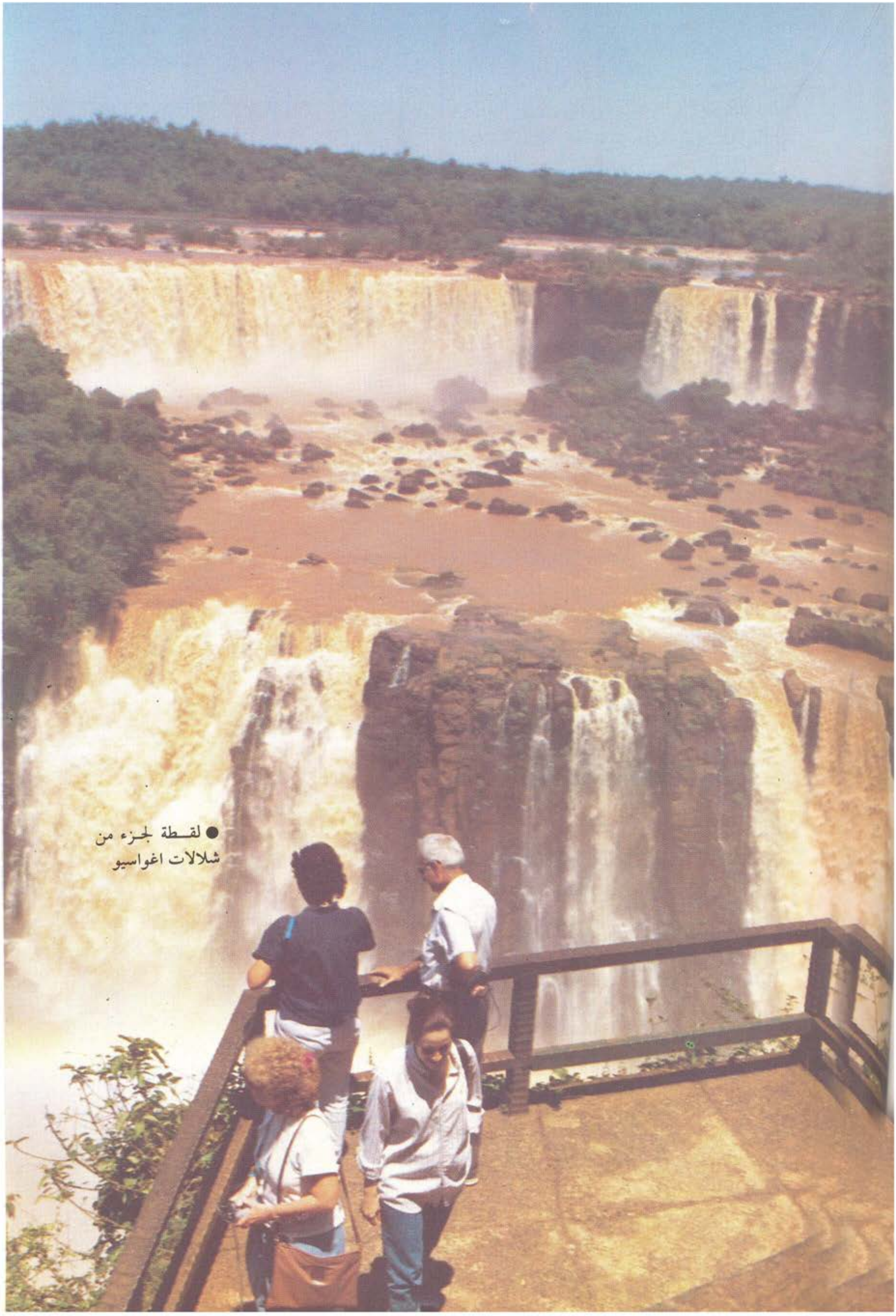
عندما نزلنا من أعلى الجبل ، لننتقل إلى مكان آخر من مواطن الجمال ، شاهدنا جمعا من الناس ، وقد التفوا حول سيدتين عجزتا عن إفهام الآخرين ماذا تريدان . ولم يكن صعبا على زميلي المصور وأنا أن نميز سيدتي المطار الغريبتين بنظارتيهما السوداوين ، وملامحهما المتجهمة .

وقفنا مع الواقفين بدافع الفضول ، وتوجهت إحداهما إلينا سائلة إن كنا نتحدث الانكليزية . أجبنا بنعم . فاندفعت تشرح لنا بلكنة مبهمة كيف أنها فقدت آلة التصوير . وفي نهاية الحديث سألتني إن كنت فهمت كل ما قالته لي ، فلما طمأنتها على ذلك قالت : أرجو إفهام قصتي لهؤلاء ، فأنا لا أجيد الاسبانية ! !

واستغرقنا - زميلي المصور وأنا - في نوبة من الضحك قبل أن أقول لها:« ولا نحن » .

إلى حافة الأرض

خلال رحلة الطائرة التي أقلتنا إلى مدينة باريلوتشي بالجنوب رحنا - زميلي المصور وأنا - نتحدث عن المصادفات العجيبة التي جعلتنا نجد هاتين السيدتين في مأزق عند كل موقع سياحي نذهب إليه . وكنا واثقين من أننا سنراهما في أشهر



● لقـطة لجزء من
شلالات اغواسيو


● النوارس تلتقط ما يلوح به الركاب بمهارة فائقة

مدن الجنوب السياحية .

تمثل باريلوتشي لونا آخر مختلفا من ألوان الجمال الارجنتيني الساحر ، فهذه المدينة الجنوبية الرائعة تمتد على طول سلسلة من جبال الانديز التي تفصل بين الارجنتين وتشيلي ، وتحاذيها بحيرة هي واحدة من عدة بحيرات سكنت بين الجبال والتلال المحيطة ، وأشهرها بحيرة « ناهويل هوابي » ، وهي كلمة هندية تعني : جزيرة النمر ، وتمتد هذه الجزيرة مثل أصابع ضخمة انتشرت في كل اتجاه ، وعلى الخارطة تبدو البحيرة مثل تخطيطات عشوائية لطفل عابث .

إحدى الأشياء التي يجب أن تفعلها إذا وصلت إلى باريلوتشي القيام بجولة في بحيرة (ناهويل هوابي) ، ابتداء من الميناء الذي يقع قرب فندق « جاوجاو » . هكذا قال لنا المرافق الذي عاد توا من الولايات المتحدة ، لأنه افتقد مدينته كثيرا .

اعتلينا المركب التي ستأخذنا في جولة بالبحيرة ، وعلى الرغم من الهواء المشبع بالرطوبة والبرودة فقد آثرنا البقاء على سطح المركب مع عدد كبير من الركاب ، ظل يتناقص بالتدريج ، حتى بقينا مع عدد قليل من الشبان والشابات الذين التفوا حولنا عندما سمعونا نتحدث هذه

اللغة الغريبة التي تكتب من اليمين إلى اليسار ، مما أثار فضولهم . وقد عرفنا من خلال استعمال عدة لغات ، أهمها لغة الإشارة ، أن هؤلاء تلاميذ مدارس ، أنهوا تعليمهم المدرسي ، وأن من التقاليد أن يأتي هؤلاء لزيارة باريلوتشي قبل أن ينتقلوا إلى مرحلة دراسية أعلى .

وانفض عنا الطلاب الذين لم تهدأ حركتهم أبداً بعد أن زالت الدهشة عنهم ، وبدأت أتأمل المنظر الساحر أمامي ، بعد أن أصبحت جزءا من البحيرة ، فبدت الجبال والسهول والأشجار والغابات ذات الألوان المتدرجة على درجة من الجمال ، يصعب وصفها ، فأصابني شعور ، امتزج فيه العجز بالحزن ، أيقظتني منه أصوات طيور النورس التي دوت في السماء ، وكأنها ضحك مزعج لساحرات أوقعن ضحاياهن في الشراك ، فطوال الرحلة تحلق على علو منخفض جداً ، تلك الطيور البحرية تنتظر بشكل غريزي أن يرمي لها ركاب السفينة قطعة من الخبز ، ليلتقطها أحد الطيور بمهارة فائقة قبل أن تسقط في الماء .

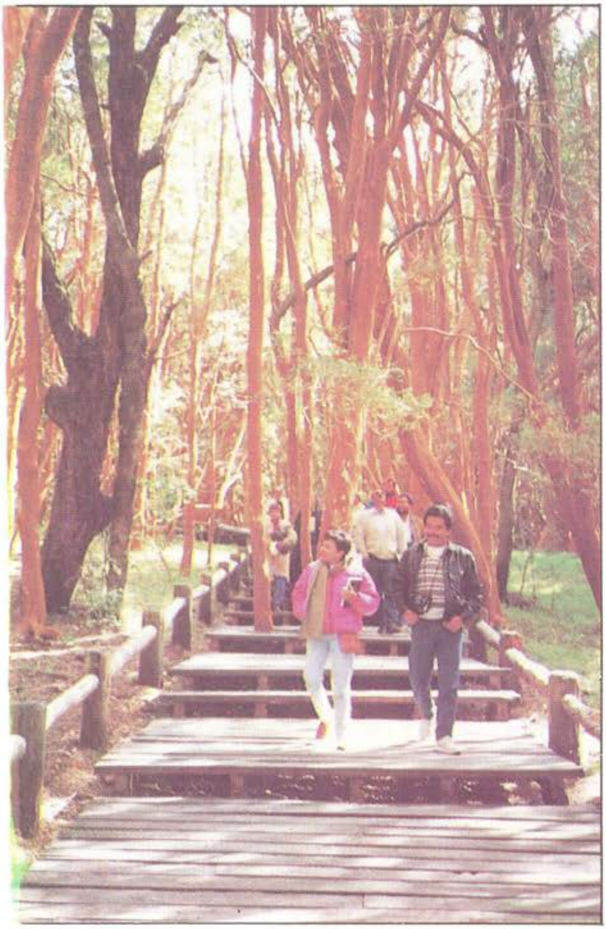
ويحدث أن يتصارع اثنان منها على قطعة واحدة ، فيفقدانها ، وفكرت كيف أن هذه الطيور الجميلة ذات الريش الأبيض والرمادي هي أيضاً لها عادات سيئة كالطمع .

غابة الأراجانيس

لا جديد في هذه الجزيرة التي تغطيها الغابات سوى إتاحة الفرصة للزائرين ، لالتقاط صور لمشاهد مذهلة الجمال ، هكذا اعتقدنا في البداية ، لكننا أدركنا خطأنا حين دخلنا غابة « الأراجانيس » الوحيدة في العالم .

والأراجانيس شجرة عارية الجذوع والفروع والأغصان بلونها القريب من لون قشور الدارسين أو القرفة ، وهي قد توجد في أماكن قليلة من أوربا أو الارجنتين ، ولكن عددها لا يتجاوز الشجرة أو الاثنتين .

وكان علينا أخيرا أن نعود من حافة العالم الفضية ، مغادرين تلك البلاد الساحرة الجمال ، وفي أنفسنا شيء من الحزن الممتزج بفرح العودة .

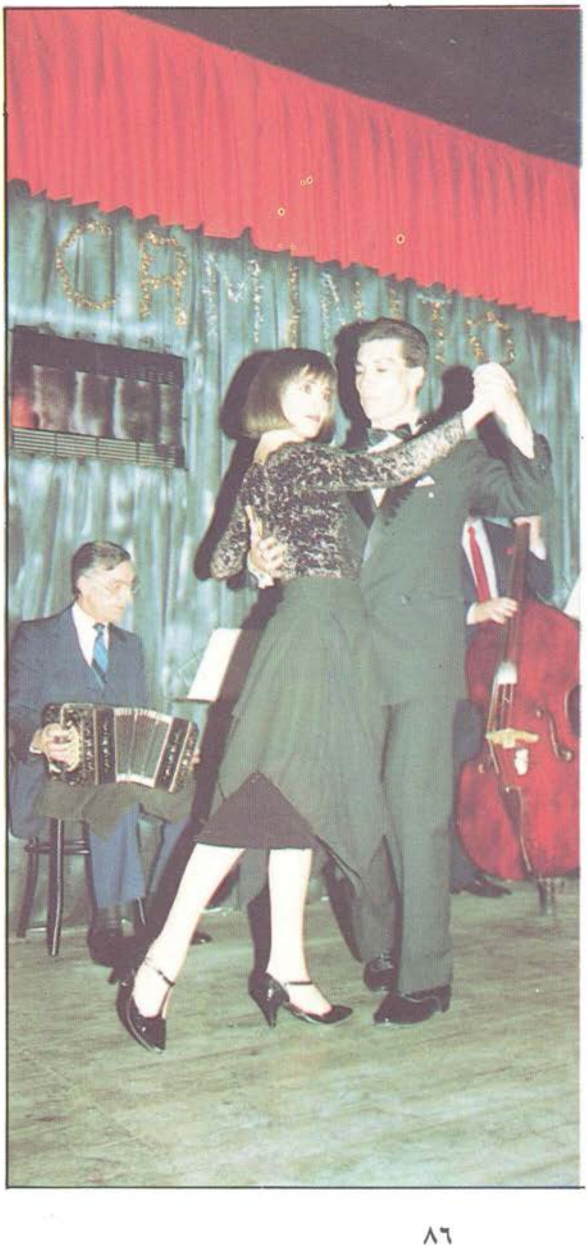


● غابة الأراجانيس الوحيدة الباقية في العالم

ركبنا الطائرة ، وانتظرنا طويلا ، لنستمع إلى الطيار وهو يعلن عن اعتذاره عن تأخر الطائرة لأسباب خارجة عن إرادته . وعلمنا فيما بعد أن اثنين من ركاب الطائرة يعانيان من بعض المشاكل ، وأننا بانتظار وصولهما .

وطال الانتظار ، وتأفف الركاب ، حتى جاء الراكبان أخيرا . ولم يكن هذان سوى السيدتين المتجهمتين بنظارتيهما السوداوين .

التــــانغـو الأوّل في بُـويـنـوس آيـريـس



كثيرا ما فكرت بتلك الوجوه العابسة لراقصي وراقصات التانغو ، تتلاقى ثم تستدير بنظراتها الصـارمة وسمـاتها الجـدية ، لتخـطو خـطوات طويلة إلى الأمام ثم تبتعد الأجساد وتعود لتقترب بقـوة وعنف محسـوبـين ، وتتـداخــل الأرجـل بحركات سريعة منتظمة ، ما تلبث أن تتحول إلى حـركات شـد وجذب بين الراقص والراقصة ، وقد عرفت أن هذه الرقصة التي ابتكرتها مدينـة بـوينوس آيـريس ، في أواخر القـرن الماضي ، كانت رقصة يؤديهـا رجلان ، يحمـل كل منهـما سكينا يلوح بها في وجه الآخر ، ويقترب أحدهما من الآخر ، ويشتبك الاثنان معا في عراك وهمي خطر ، تتداخل فيه الأرجل والأيدي ، وتحتدم النظرات ، وتعبس الوجوه

لكن نهاية القرن الماضي شهدت امتزاج عدة فنون راقصة ، منها الهابانيرا والبولكا في رقصـة جديدة ، أصبح يؤديها راقص وراقصة على أنغام موسيقا الـزنوج الـذين قد تحـرروا تواً حينـذاك وانضمـوا إلى المهـاجـرين الايـطاليـين الفقـراء .

وقد استقبل التانغو الأول في بوينوس آيريس ببرود من جانب الطبقات العليا في المجتمع ، إلا أنها قبلت أخيرا كفن لا يعبر عن هموم الطبقات الشعبية وإبداعها فقط ، بل كفن راق من فنون الارجنتين ، خاصة بعد أن دخلت آلة موسيقية جـديدة هي البـاندونيـون القريبـة الشبه بـآلـة الاكورديون المعـروفة . وقـد أحضر هـذه الآلة المهاجرون الألمان ، وحولـوها من آلـة تستخدم لإقـامة القـداسات الكنسيـة إلى آلـة مـوسيقيـة راقصة ، هي الأساس في موسيقا التانغو . وما لبث هذا الفن الجميل الـذي شارك في إبـداعه أكثر من شعب وجنس ولون أن أصبح فنا معروفا على المستوى العالمي ، وتعددت أنواعه .

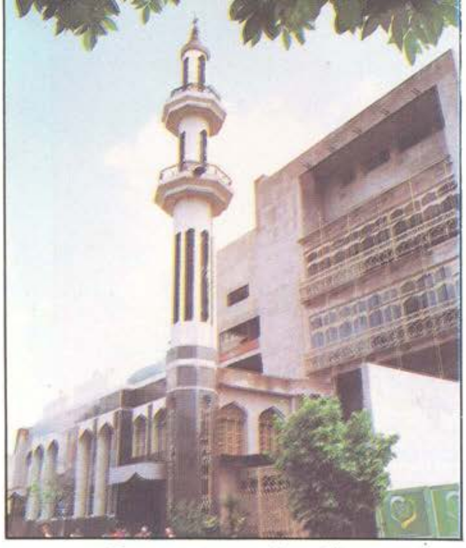
وكلما شـاهدت رقصـة تانغـو في العـاصمـة الارجنتينية كنت أتوقع أن يؤدي خطأ في حركة أحد الراقصين إلى سقوط الاثنين معا ، لكن هذا لم يحدث أبدا . ولا أدري كيف !

أرجنتينيّون وعَرَب

يعود زمن الهجرة العربية إلى تلك البلاد إلى الستينيات من القرن الماضي ، حين هاجرت أفواج من السوريين واللبنانيين وبعض الفلسطينيين إلى تلك الأرض البعيدة ، واستقروا هناك ، ودخلوا في نسيج الحياة الاجتماعية لتلك البلاد . واليوم فإن الجالية العربية هي الثالثة من حيث العدد ، إذ تأتي بعد الجاليتين الاسبانية والايطالية . ويقدر عدد أفرادها بين مليونين وثلاثة ملايين ، ويرجح السيد سطام القدور ، مسؤول العلاقات الخارجية في الجمعية العربية الارجنتينية أن يكون العدد مليونين .

وقد تعرفنا على أكثر من سائق سيارة أجرة عربي الأصل ، وموظف الفندق الذي نزلنا فيه كان عربي الأصل ، وقد ذهبنا لمشـ ـدة عرض للتانغو فكان الجالس إلى جانبنا على المنضدة عربي الأصل ، قدم لنا نفسه باعتباره (ابن عرب) ، وهو اللفظ الذي يستخدمونه في وصف أنفسهم . وليست تلك سوى أمثلة قليلة على المصادفات العديدة التي تعرفنا خلالها على أرجنتينيين من أصل عربي . وفي مصادفة مثيرة أخرى قرأنا لافتة في مدينة قرطبة تحمل اسم شارع فلسطين .

وقد حاولنا مقابلة الرئيس كارلوس منعم من خلال موعد حاولنا الحصول عليه من مسؤول الإعلام القومي الارجنتيني ، والسكرتير الصحفي له ، وهو أيضا من أصل عربي ، واسمه خورخي راول رشيد ، ولم نوفق في الحصول على موعد للقاء الرئيس ، لكننا في أثناء دعوة كريمة على العشاء من جانب اثنين من « أبناء العرب » ، هما المهندس حسين هاجر ، صاحب المكتب الهندسي الناجح ، وفاطمة سليمان المسؤولة بمكتب السياحة الخارجية ، وكنا على وشك مغادرة المطعم فوجئنا بالرئيس أيضا يتأهب للخروج ، وقد وقف يودع الطهاة والنادلين .



● مسجد المركز الاسلامي في بوينوس آيريس

تقدمنا منه وأخبره مرافقنا بأننا صحفيان عربيان ، نود لقاءه ، فعانقنا والتقطنا معه صورة للذكرى ، ووعد بلقاء إن سمح له برنامجه ، إلا أن برنامجه لم يسمح ، فلم نلح .

وفي أثناء وجودنا هناك ، وخلال عملية صرف النقود التي كانت معنا وتبديلها بالاوسترال ، وهي العملة الارجنتينية الجديدة لاحظنا ارتفاع سعر الدولار ، ولما سألنا عن السبب عرفنا أنه بسبب اعتقال محمد علي زين الدين ، وهو من أكبر الضباط العسكريين في الأرجنتين ، وهو شخصية عسكرية مهمة داخل القوات المسلحة ، اكتسب شعبية واسعة في أثناء حرب فوكلاند أو المالوين عام ١٩٨٢ ضد البريطانيين الذين كانوا وما زالوا يحتلون هذه الجزر الأرجنتينية .

وبينما نحن نغادر بوينوس آيريس كنت أفكر بأبناء العرب الذين استوطنوا في تلك البلاد البعيدة ، وأصبحوا رجال فكر وأدب وسياسة وحرب ، واصبحت لهم قضاياهم التي يستبسلون في الدفاع عنها . وقبل أن نصل المطار شاهدت قطعة معدنية كبيرة ، رسمت عليها خارطة جزر فوكلاند او المالوين ، وقد كتب تحتها « المالوين أرجنتينية » . وشعرت بالأسى لأن إخوتنا العرب الارجنتينيين هم أيضا لهم أرض سليبة . وطافت في ذهني آلاف اللافتات التي شهدتها وقد كتب عليها « فلسطين عربية ». □

ما أشبه العشاق بالأنهار والأسرى

شعر :
علي عبد القيوم

في آخر الليل الذي أسرى
دَلَفَ الجنودُ بجثتين إلى الجبانةِ الكبرى
الجثةُ الأولى :
جسدٌ نحيلٌ خِلته جسدي
فوجدته بلدي
لافرق يا مولاي بين النهرِ والمجرى !
والجثةُ الأخرى :
جسدٌ نحيلٌ خِلته ولدي
فوجدته جسدي
لافرق يامولاي بين الموتِ والميلاد والمَسرى !

★ ★

مولاي . . . يامولاي . . . يابلدي ويا ولدي
يا أنت يازادي ويا عضدي وياسندي
أسرى بِنا عشقٌ لجراحنا . . أسرى
فاحمل صليبك صاعدا
متحدرا
كالنهر في المجرى
وأحمل معي بلدي
متحملا كمدي
يا أنت يانبت الجراح الغرِّ يا ولدي
وأملأ عيونك بالأصيل



وقد كسا بدمائه أفق الفجيعة
مدهشا ظلماتها . . .
سيفا أضاء ببرقه ديمومةَ الذكرى
وأشعل ضميرك بالأحزان يا أملي
وحدثني
عن لحظة حُبلى
حظيتْ بأحلامِ القرونِ
توهجت آفاقُها
بالمجدِ والبُشرى

★ ★

يأنت ياطفلَ الجراح البكر
يالهفَ المواعيدِ
توج فؤادَك
- غِبَّ اليأسِ -
بالإنشادِ
يزحمُ ساحةَ العيدِ
لافرق يامولاي
بينَ العاشقينَ الكاظمينَ الوجدَ والأسرى
فأنهض فديتك مثل النهر في المجرى
وأشبع بلادك من أشعارها شعرا
لافرق يامولاي بين العاشقينِ الكاظمينَ الوجدَ والأسرى

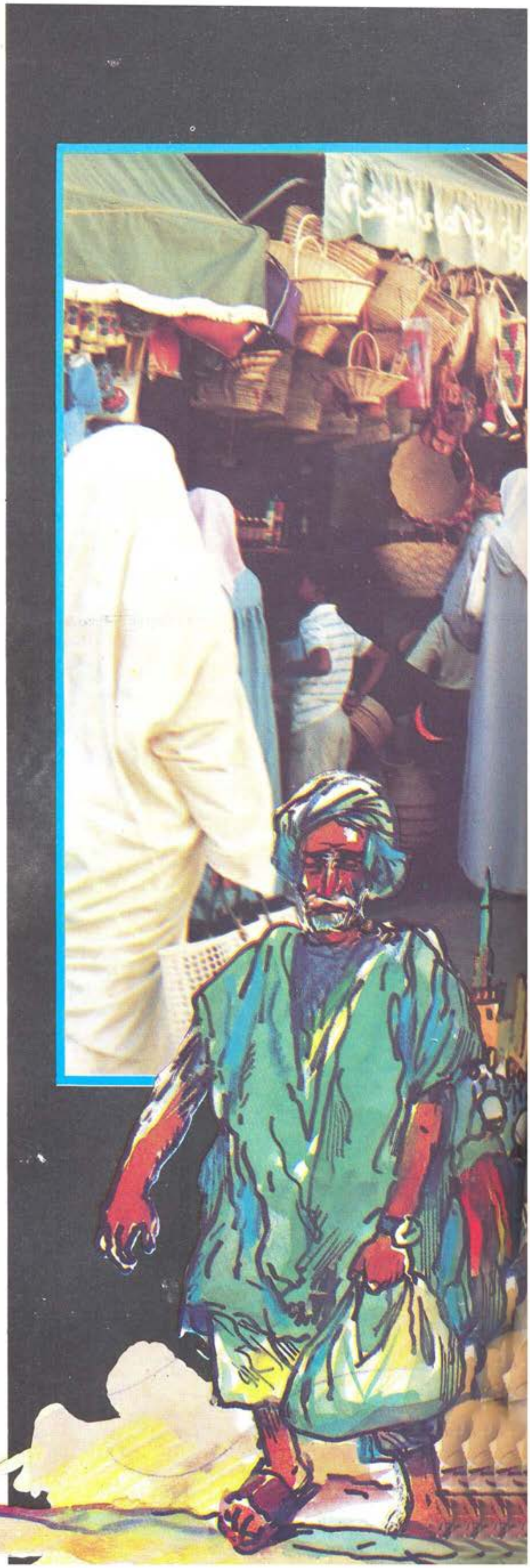




الجزائر في رمضان



بقلم: عبدالحميد بن هدوقة



صعب أن يلم المرء بكل تقاليد الجزائر
وعوائدها في شهر رمضان.
فمن العاصمة إلى تمنراست جنوبا
مسافة تزيد عن ألفي كيلومتر.
وما بعد تمنراست إلى أقصى الجنوب
ما يزيد عن ربع تلك المسافة.
كما أن المسافة بين الحدود الغربية
والشرقية تتجاوز ألفاً ومائتي كيلومتر.
والعوائد من مدينة إلى أخرى،
ومن قرية إلى قرية،
تختلف وتتباين!

يقصر هذا الحديث على المشتركات المميزة لعامة الشعب الجزائري، خلال شهر رمضان المعظم، معتمدا في ذلك على ما عشته شخصيا في هذا الشهر على الأخص، سواء في الريف أو في المدينة. وأركز كلامي على عناصر ثلاثة: رؤية الهلال، والحياة الدينية والثقافية، والحياة الاجتماعية.

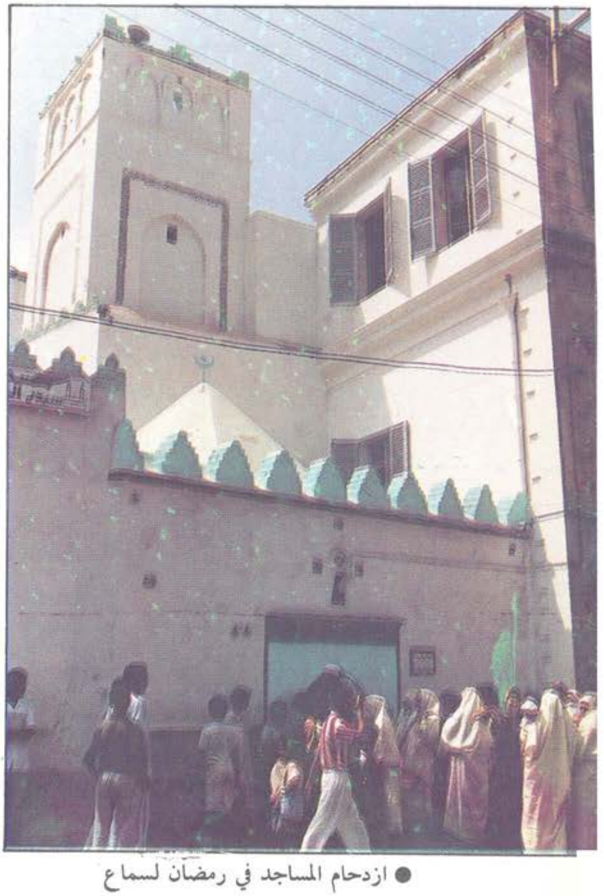
رؤية الهلال

في الماضي كان الصيام والفطر يعتمدان أساسا على رؤية هلال رمضان أو هلال شوال، أو بإكمال عدة الشهر ثلاثين يوما. وفي الأرياف كان أعيان القوم يجتمعون في الأماكن العالية، حيث تتسنى لهم مراقبة الهلال. فإذا تمتِ الرؤية أشيع الخبر بإعلاء النداء في الناس بذلك، من طرف شخص يقوم عادة بإعلام الناس بما يهمهم من أخبار طارئة، يسمى «البرّاح». يبدأ غالبا نداءاته هكذا: «يا اللي يسمعكم بالخير والهنا والعافية...». كما يؤذن المؤذن في غير وقت الصلاة المكتوبة. أما إعلام السكان الذين

يسكنون بعيدا عن تجمع دور القرية، من مربي المواشي، وأصحاب المزارع، فتوقد مشاعل النيران على الربا والتلال العالية، بحيث تمكن مشاهدتها من كل أرجاء القرية.

والشيء الذي يمكن أن تؤاخذ عليه هذه الطريقة هو أن الرؤية إذا لم يصدقها كبار القوم، وهم غالبا من المسنين، فإنها تبقى بلا أثر. لاسيما إذا لم تكتمل عدة الشهر ثلاثين يوماً.

أتذكر حادثة عشتها شخصيا في الأربعينيات. لم يكن حينئذ عند الناس أجهزة مذياع، ولم يكونوا يعرفونها. وما كان منها متوافرا كان لدى قلة من سكان المدن المحظوظين الذين يستنيرون بالكهرباء.



● ازدحام المساجد في رمضان لسماع قراءة صحيح البخاري.

كان الناس بصدد ترصد الهلال. الشمس غابت وراء الأفق الغربي، منذ دقائق قليلة. الزمن كان صيفا. الشفق لم يكن بدرجة من الحمرة تحول دون رؤية الهلال. وإذا بشاب يصيح: «الهلال! الهلال!». ويشير بسبابته إلى مكان الهلال. يصرخ شاب آخر: « رأيته هو ذاك! إنه هناك على نحو ذراعين إلى الغرب من قمة الجبل!» يتقدم شيخ مسن، هو الحاجّ الوحيد الباقي على قيد الحياة في القرية. له حظوة ومكانة بين السكان. يعتم عمامة صفراء ضخمة، من نمط القرن التاسع عشر، تسمى «القنور»، بالقاف المعقودة. يسأل الشابين:

- أين هو؟ - هناك، إلى جانب القمة.

يتمعن قليلا في الأفق، ثم يلتفت إلى الشابين:

- هل مسحتما جيدا أعينكما؟ إنه عمش أو شعرة تشكلت لكما في صورة هلال! أين هو هذا الهلال؟ لماذا لم أره أنا، إذا كان حقا هناك؟

يحاول الشابان عبثا تأكيد رؤيتهما. ثم يتفرق الناس. الحاج لم ير الهلال. شعبان لم تكتمل عدته. إذن فلا هلال ولا صيام! الحاج لا يراجع. من ذا غيره من السكان اكتحلت عيناه بأنوار الحرمين الشريفين؟ من ذا منهم صلى مثله في الروضة، على مقربة من منبر الرسول صلى الله عليه وسلم؟ ثم أليس هو أكبر الناس سنا؟ أي تجربة ومعرفة. رمضان إذن مازال في أحشاء الأفق الغائب! الكبار فرحوا! لن يصوموا غدا، يوم بلا عطش في هذه الأيام الطويلة المحرقة لا يرفض.

الأطفال خابوا، سينامون في هذه الليلة كما في الليالي السابقة. ليس هناك ما يتذرعون به للخروج.

تغير الحال

الآن تغير الأمر. أصبحت الكهرباء تتسلق الجبال إلى القرى الجاثية فوقها، وتشق كثبان

الرمال لتنير لسكان الصحاري. المذياع «الترانزيستور» صار في جيب كل راع وفلاح. أجهزة التلفاز تمد أذرعها إلى بلدان ما وراء البحر، فضلا عن الجزائر! المسافات ألغيت، أصبحت الأرض مكورة فعلا! تدور بما يجري في أصقاعها على مرأى ومسمع من جميع سكانها! كما أن المدينة أصبحت هي المنتجع للحصول على المعرفة. منها تستمد رؤية الهلال، ومسائل العلم والدين، وأشياء الحياة الأخرى. الأماكن العالية مهما علت لا تصل إلى الهلال. بينما في المدينة يقدم الهلال بالألوان على الشاشة!

حتى الحج نفسه لم يعد حكرا على قلة من الناس، مكة والمدينة أصبحتا قريبتين كأي مدينة أخرى. من لم يتجول فيهما بروحه وجسده، في حج أو عمرة، تجول ببصره، من خلال ما تقدمه الشاشة! رؤية الهلال الآن في الجزائر تقوم على قاعدتين: الحساب الفلكي، والرؤية البصرية.

في ما يتعلق بالحساب الفلكي لا يشترط ميلاد الهلال ووجوده حسابيا في الأفق فقط، بل لابد مع وجوده أن تكون رؤيته ممكنة، لاتحول بينه وبينها الأشعة. أما إذا كان موجودا حسابيا لكن رؤيته تستحيل بالعين المجردة، لحيلولة أشعة الشمس دون ذلك، فلا يعتد به.

أما الرؤية البصرية فتشكل من أجلها لجان في مختلف ولايات الوطن، لاسيما الجنوبية منها، حيث تكون الرؤية حسنة عادة، وترسل بمعلوماتها إلى اللجنة العليا بالعاصمة التي تُشكَّل خصيصا لذلك بمقر وزارة الشؤون الدينية. وبعد تجمّع كل المعلومات لديها تُصدر بلاغا بثبوت رؤية الهلال أو عدم ثبوتها، تبثه قنوات الاذاعة والتلفاز.

والغاية من هذه الطريقة هي الجمع بين العلم والسنة.

إثر البلاغ الرسمي بثبوت الهلال تقدم الاذاعة والتلفاز معزوفات موسيقية أندلسية على «الزرنة» (مزمار عتيق) والطبول. وهي



● أماكن خاصة للنساء في المساجد.

معزوفات تقدم عادة في الأفراح والمناسبات السارة.

الحياة الدينية والثقافية

في شهر رمضان تقام في الجزائر ـ كما في المجتمعات الاسلامية الأخرى ـ صلاة التراويح، مباشرة بعد صلاة العشاء. وهي في الجزائر، يسود المذهب المالكي، إحدى عشرة ركعة، ثماني ركعات تراويح، يتلى في كل ركعة مع الفاتحة ربع جزء من القرآن، وركعتان شفع، وواحدة وتر. وهذه الطريقة عامة في مختلف أنحاء الجزائر. وهناك من يفضل أن يصلي التراويح في بيته مع أهله. كما تكثر تلاوة القرآن خلال هذا الشهر، سواء في المساجد أو في البيوت.

وتتميز عاصمة الجزائر بقراءة صحيح البخاري، ابتداء من فاتح رجب إلى غاية السابع والعشرين من رمضان. وذلك يحدث كل يوم بعد الظهر. وهناك من يرتب قراءة البخاري في بيته خلال شهر رمضان، ويوم

ختمه يدعو معارفه وأصدقاءه لحضور حفل يقيمه بالمناسبة.

في الغرب الجزائري قيل لي: إنهم يقرؤون في بعض الجهات صحيح مسلم أيضا.

وتقدم خلال هذا الشهر العظيم محاضرات دينية وثقافية عامة في المساجد والنوادي والقاعات العمومية، وقنوات الاذاعة والتلفاز.

كما تقام حفلات موسيقية في القاعات والساحات العمومية خلال هذا الشهر، مما يضفي على المدينة جوا متميزا.

وتنتهي هذه الاحتفالات في مجموعها ليلة السابع والعشرين من رمضان، وتبقى الأيام الباقية باهتة، كأنها ليست منه، باستثناء ليلة العيد!

لكن مشاغل الناس، ابتداء من نصف رمضان تأخذ طريقها إلى الدكاكين والمحلات التجارية لبيع الملابس. فالأطفال في العيد يلبسون الجديد، ولو كانوا يملكون من الثياب القناطير! ولذلك كلما قرب العيد اشتد الاكتظاظ على المحلات التجارية، لاسيما بعد السابع والعشرين من رمضان. كما أن النساء



● الأماكن العالية مهما علت لا تصل إلى الهلال.

بعد السابع والعشرين يخصصن جل وقتهن لإعداد حلوى العيد.

في ليلة السابع والعشرين إذن تختتم الاحتفالات، كما يتم ختم القرآن والبخاري، وتقام حفلات رسمية وشعبية. يشرف على الحفل الرسمي رئيس الجمهورية، حيث توزع الجوائز على الأطفال والشبان من حفظة القرآن. إذ تجري في هذا الشهر مسابقة خاصة بذلك كل سنة.

وليلة السابع والعشرين لها اعتبار كبير في الأوساط الشعبية فهي ليلة القدر المجيدة، فيها يختن الأطفال الأيتام والفقراء، من طرف جمعيات خيرية. كما أن الكثير من الأسر يختنون أطفالهم في هذه الليلة، إذا كان الفصل فصل ختان. (فصل الصيف غالبا). فيها أيضا تقع الخطوبات والزفاف، تيمناً بخيرها وبركاتها.

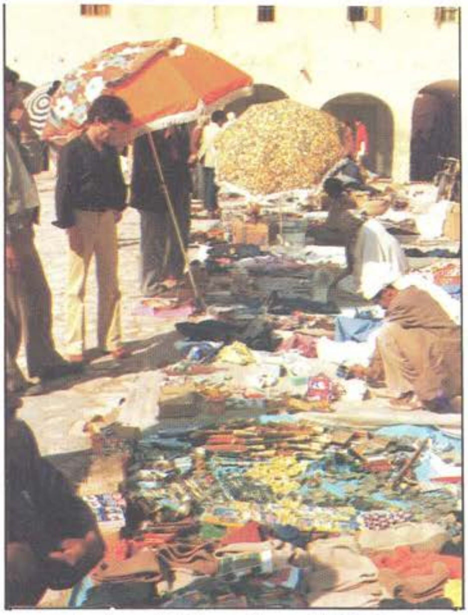
الحياة الاجتماعية

يكثر التزاور بين العائلات في ليالي رمضان. كثير من النساء يقمن حفلات نسوية موسيقية، يغنين فيها ويرقصن، ويتحاكين القصص والفكاهات والشائعات «والموضات» الجديدة، ويعلقن على المسلسلات والممثلين والممثلات، وآخر أفلام الفيديو المعروضة للكراء، وآخر الزيجات والطلاق، والمواد التي وصلت إلى السوق أخيرا، بعد أن افتقدها الناس، حتى كادوا ينسون وجودها.

أما الرجال فهم بعد صلاة التراويح يقضون سهراتهم في المقاهي والملاهي والنوادي، حتى وقت السحور. ومنهم من يسهر مع أهله أمام شاشة التلفاز.

الأطفال يسهمون أيضا في إحياء ليالي رمضان بالصخب والضجيج والطرق على الأبواب، والتطبيل على الأواني القصديرية، وإشعال النار، أو إطلاق الشماريخ.

من الناحية الاقتصادية ينسى الناس مستوياتهم وإمكانياتهم المادية. الكل ينفق بلا



● كلما قرب العيد كلما اشتد التزاحم على المحلات التجارية .

حساب، يزول التقتير والشح من الرؤوس ومن الأيدي. تتسع ثقوب الجيوب حتى لا تمسك شيئا! الأسعار تعرج إلى السماء حتى لا تكاد ترى الأرض، أرض الفقراء وذوي الدخل البسيط! ولِمَ تنظر إلى الأرض مادام الناس لا يفكرون إلا فيما يملؤون به قفافهم؟ كل شيء يشتهى في رمضان، وكل شيء يباع. تجارة الأرصفة والطرقات تنشط إلى درجة الجنون! هذا يبيع «الزلابية»، ذاك «الكزبرة»، الآخر «الذيول» (لفائف نيئة من العجين تستعمل في الحلويات وفي بعض الأطعمة)، الحمص النيء الذي يستعمل في بعض الأطباق وبخاصة «الشربة»، علب التبغ الأمريكي والأوربي والجزائري، «المحارق» (مفرقعات يستعملها الأطفال)، قصص رأس الغول، وعنترة، والسيد علي، و«تودد الجارية»، كل شيء يباع، وكل شيء موجود!

أما أوقات العمل في رمضان فهي غالبا ما تكون من التاسعة صباحا إلى الرابعة بعد الظهر. لكنك بعد الساعة الثانية قلما تجد أحدا في مكان عمله. الكل له مبرر للخروج. هذا يذهب منذ الساعة الواحدة إلى الصلاة، ثم يبقى لسماع البخاري في المسجد الذي غالبا ما يكون في أقصى نقطة من مكان العمل! وذاك يذهب مبكرا لانتظار خروج أطفاله من المدرسة، لأن ذريعة حركة المرور تبرر كل شيء. والمدرسة طبعا لا تبعد عن السكن أكثر من مائتين أو ثلاثمائة متر على الأكثر.

الآخر قرر مع مجموعة من زملائه الذهاب إلى قرية مشهورة ببيع لحم الخروف الجيد، أو الزلابية المصنوعة بالعسل المصفى، لا بعسل السكر، كما هو الشأن في المدينة!...

هكذا لا يبقى أحد بعمله حتى نهاية الوقت، إلا من اضطر اضطرارا، ولا يبقى هناك من يؤمن برفع الإنتاج وبذل الجهد في رمضان إلا أصحاب الأحاديث الدينية الرمضانية التي تبثها الإذاعة والتلفاز.

أعباء المرأة في رمضان

لعل أكبر عبء في رمضان يقع على كاهل المرأة، فهي التي منذ الصباح الباكر يبدأ يومها ومشاغلها. عليها أن تساعد أطفالها في غسلهم وملابسهم، وتناولهم فطورهم قبل الذهاب إلى المدرسة. عليها أن تقوم بتنظيف البيت وترتيبه، وغسل الأواني التي تكثر بشكل مريع في رمضان. عليها أن تغسل الثياب لأفراد الأسرة، وخياطة أو كيّ ما هو في حاجة إلى خياطة أو كيّ. بعد ذلك عليها أن تعد الغداء لأطفالها الذين لم يبلغوا سن الصوم. وليست هناك أسرة بلا أطفال في الجزائر، فالنمو الديموغرافي لا يماثله إلا نمو البطالة! ثم من بعد عليها أن تقوم لتحضير طعام الافطار الذي يكلفها يوميا وقتا وجهدا وعناية، خاصة بالأطباق المعروفة لديها، أو تلك التي نقلت وصفاتها خلال هذا الشهر عن التلفاز. وكل أطباق رمضان معقدة ومنوعة، وتحتاج إلى مزيد من الانتباه. إن حرمان النهار لا يزيله إلا تنوع الأطباق على مائدة الإفطار! لا لأن الناس يتناولون من



● المساجد في الشهر العظيم ـ قاعات للمحاضرات الدينية والثقافة العامة .

الطعام قدرا أكبر مما يتناولونه في غير رمضان، ولكن لأنه رمضان، تهوى النفس فيه ما لا تهواه في غيره، ولأنه أيضا شهر التزاور والضيافات. ماذا لو أتي طارق مع المغرب، هل تقدم له «الشربة» مع طبق عادي؟ ماذا يقول الناس عن ذلك؟ لا، رمضان هو رمضان، جُعِل للموائد الفاخرة، والحياة الكريمة التي لا تعرف التقتير، فالمرأة إذن هي المسؤولة الأولى عن سمعة العائلة، وعن طعامها. عليها أن تفكر كل يوم تفكيرا جديدا ولو في الأطباق القديمة المعروفة لديها. عليها أن تجد لها بعض الإضافات التي تخرجها من «قدمها وعاديتها»، وتبرزها في شكل مغر جديد!

والشربة تقدم مع قطع ليمون أو فلفل حار، وتتناول بـ«البوراك» (لفائف عجينية محشوة بلحم مفرمل وبيض)، أو مع الخبز. ثم تقدم بعدها الأطباق الأخرى المالحة، كالمثوم والمبطن والمغلف وشباح الصفرة، و«السفيرية» والتمر المحشو، والمحمرات أو المفوّرات أو المقليات، ثم الأطباق الحلوة السكرية كاللحم بالبرقوق، أو باللوز، أو بالتفاح، أو بالاجاص.

ويكون الختم بالفواكه، ثم القهوة في النهاية، أو الشاي بالنسبة لسكان الجنوب.

بعد ذلك كل واحد من أفراد الأسرة يذهب لشأنه، ولقضاء ليلته. غير أن السهرة الحقيقية تبدأ بعد الانتهاء من صلاة التراويح. حينئذ ترى الأنهج (الطرق) تتحول إلى خيوط متواصلة من نور. فحركة المرور الحقيقية تبدأ بعد الصلاة، حيث يحار العقل أين كانت هذه السيارات؟

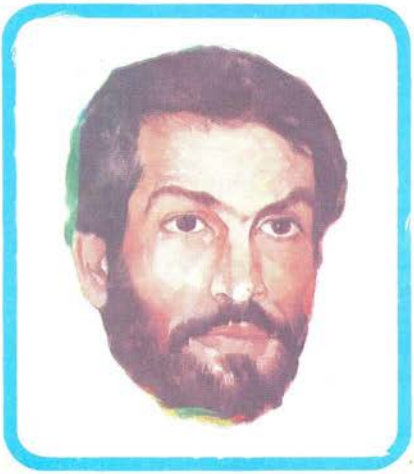
إن «ديموغرافية» السيارات لا تقل عن ديموغرافية السكان!

ثم تلتقي الأسرة من جديد على مائدة السحور، حيث يقدم غالبا «المسفوف»، وهو كسكسي يقدم بلا مرق ولا لحم، وإنما بالسكر الأحمر والزبيب المفوّر، مع الرائب.

وفي الصباح تصبح المدينة نائمة، حتى إذا أخذ وقت الظهر يقترب دبت الحياة في الأنهج (الطرق) والشوارع، والازدحام بعد الساعة الثالثة لتعود الحياة إلى شيء من هدوئها بعد الخامسة، أو قبيل المغرب بساعة أو بنصفها، حسب الفصول. حينئذ يسود جو استثنائي، تسبح فيه الأنفس في ملكوت من الذهول والغبطة الروحية التي لا يعرفها إلا المسلمون، في هذا الشهر العظيم!□

وجهاً لوجه





د. علي فهمي خشيم و حسن حميد

- مَعارك الشعبِ العَربي في التاريخ الحديثِ تمتزجُ فِيها العُروبة بالإسلام.
- كثيرون يخلطون بين الدين والتراث . الدين شيءٌ، والتراث شيءٌ آخر.
- مفهومُ العَودة إلى الماضي ليس مفهوماً عربياً خالصاً، فقد اتكأت الحضارة الأوربيّة على عودةٍ مماثلةٍ.

لا شك أن التراث العربي بمؤلفاته الأدبية ، وفلسفته العقلانية ، والدينية وسيره الشعبية ، وعلومه المختلفة ، هو حافظة وجدان الأمة العربية ، وما قدمته للبشرية والحضارة الإنسانية من منجزات فكرية وإبداعية وعلمية .

حول موضوعات التراث ، والهوية الثقافية ، والمخطوطات العربية ، وأماكن تواجدها ، ومدى الفائدة المرجوة من نشرها ، يتحدث المفكر العربي الليبي الدكتور علي فهمي خشيم الذي أصدر كتباً عديدة في الفلسفة والفكر والأدب ، نذكر منها : « النزعة العقلية في تفكير المعتزلة » ، و « نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى » ، و « بحثاً عن فرعون العربي » ، وغيرها .

أدار الحوار الكاتب العربي الفلسطيني حسن حميد الذي يكتب القصة القصيرة ، ويعمل في الصحافة الأدبية بسوريا .

*** التراث العربي غني ، متشعب الجوانب ، متعدد الينابيع ، والحضارة المعاصرة باتت غنية أيضاً ، ووسائل التوصيل الثقافية وأنماطها باتت متعددة كذلك .**

الآن ، إذا ما أردنا تقديم هذا التراث العربي ، بروح عصرية ، مواكبة ومساعدة ، ودافعة إلى التقدم ، فماذا نقدم من هذا التراث ؟ وكيف يتم التقديم ؟

ـ هناك تراث انساني شامل ، وهذا يشترك فيه البشر جميعهم ، ونحن جزء منهم ، وبالتالي فنحن نشارك في هذا التراث ، وهناك تراث قومي ، يخص كل أمة من الأمم ، وقد يكون مؤثراً في غيره أو متأثراً بغيره أيضاً . بالنسبة للتراث العربي الإسلامي ، أحب أن أقول : إن كثيرين يخلطون بين التراث والدين ، وهذا غير صحيح على الإطلاق ، فالدين أو الجانب الإسلامي شيء ، والتراث شيء آخر ، الدين محدد وواضح بالنسبة للإسلام ، وذلك بالقرآن الكريم ، وليس هناك أوضح منه اعتقاداً أو معاملات أو عقيدة وشريعة .

أما التراث فإنه يشمل النتاج الثقافي والحضاري للأمة العربية ، في المعرفة والفلسفة والفن والعلم والعادات والتقاليد ومظاهر الحياة المختلفة ، وفي هذا التراث على الأخص أشياء كثيرة ليس لها صلة بالدين .

أضرب لك مثلاً : (الشعر) مسألة لا تتعلق بالدين ، فالشعر هو أحد جوانب التراث العربي الإسلامي . من يقول ، مثلاً ، أن شعر الخمريات ـ وهو من أجمل الشعر ـ له صلة بالدين ، أو أن الفنون في العصر العباسي ـ الغناء والرقص ـ لها صلة بالدين ، أو أن العمارة الأندلسية لها صلة بالدين ، أو أن الأفكار الفلسفية عند العرب المسلمين ، وكثيراً من أفكار المتكلمين لها صلة بالدين .

أما كيف أقدم هذا التراث ، فذلك يرجع إلى موقفي منه ، فقد أكون محترماً لهذا التراث ، فأقدمه للناس بصورة زاهية ، وقد أكون كارهاً له ، غير قابل به ، فأتلمس جوانب السوء في جنبات هذا التراث ، فأسلط عليها الضوء ، وبالتالي أبغضه عند الناشئة ، وهذا ما اتخذه بعض المستشرقين ، وبعض المستغربين من العرب .

أنا أنظر ببساطة إلى التراث ككياني الماضي ، وأقرؤه ، وأنتقي منه ما يواكب العصر ، وما يحدد شخصيتي القومية ، بشرط ألا يبتلعني هذا التراث ، ألا يأكلني ، فأعيش في الماضي متغنياً به .

نحن يمكننا أن نستلهم الجوانب المضيئة من تاريخنا ، ونعمقها ، ونضيئها ، ونغرسها في نفوس الشباب ، ليكونوا أكثر اعتزازاً بأمتهم ، نقدم الأمثلة من الشخصيات والمواقف والنماذج ، لكي يصبح الإنسان العربي أكثر احتراماً لماضيه ، وتقديراً لتراثه ، ويتبع هذا أن يصبح أشد اعتزازاً وثقة بنفسه في مواجهة الآخر .

ماذا ننشر من المخطوطات ؟

*** نبقى في الجانب التراثي د. علي ، ففي المدة الأخيرة كثر الحديث عن المخطوطات العربية ، وضرورة إخراجها إلى الناس ، وقد أنشئت لهذا الغرض المعاهد والمراكز ، في عدد من الأقطار العربية لجمع المخطوطات العربية وتحقيقها . كيف تنظر إلى هذه المسألة ؟ وهل كل ما هو مكتوب وقديم ، عبر العصور الغابرة ، صالح للأحياء ؟**

- العودة إلى المخطوطات ، والنظر إليها ، وبيان أهميتها ، وإعادتها إلى حيزها الواقعي (تاريخياً وجغرافياً) ، وإنصاف أصحابها ، هذا عمل طيب من حيث المبدأ ، لكن لا أرى أن كل ما هو مخطوط يصلح أن يهتم به . في المخطوطات التي عثر عليها كثير من الهذر والكلام الفارغ والعبث والتكرار والركاكة ، لأسباب كثيرة ، في مطلعها أنها جاءت نتيجة عصور التخلف ، أي لأنها كتبت في تلك الآونة .

أما الأعمال العظيمة ، مثل آثار المعتزلة ، وبعض مؤلفات الجاحظ وأمثالها ، فينبغي أن تُقرأ ، لأنها في الواقع تراث إنساني عظيم القيمة ، ومؤثر أيضاً ، وذو صلة بالواقع ومعطياته ، وذو صلة قوية بالإبداع العقلي العربي . وقولي هذا ينطبق على كثير من التراثيات .

نحن نعيش في عصر مختلف ، لكنه مرتبط أيضاً بما سبقه ، أخشى إذا ما صرفنا النظر عن تراثنا كله أن نصبح أمة دون هوية ، أن نصبح شعباً تابعاً ومقلداً ، لا أصالة له .

المسألة إذن هي مسألة موقف ، دون الإيغال في الرفض ، والإمعان في تلبس هذا التراث .

وبالمناسبة أود الإشارة إلى أنه ينبغي أن تتضافر الجهود ، جهود الأفراد والمؤسسات والأقطار العربية ، لإعادة ما نهب من مخطوطات عربية مهمة جداً ، ذات صلة شديدة الأهمية بالتراث العربي الإسلامي ، وشديدة الصلة بالتاريخ العربي ، والإبداع أيضاً . فمن المعلوم أن المستعمرين نهبوا أشياء كثيرة من بلادنا ، وحاولوا طمس إشراقات الفكر والإبداع ، ومن بين الذي فعلوه سرقاتهم للمخطوطات العربية .

مفهوم العودة إلى الماضي

*** د. علي، يبدو أن مفهوم العودة إلى الماضي ، يكاد يكون على نحو ما ، مفهوماً عربياً خالصاً ، فما من أمة تريد أن تستعيد أمجاداً بنتها قبل مئات السنين بإلحاح شديد ، كما هو حال الأمة العربية . أرجو أن تجلو لنا هذه المسألة .**

- أود أن أقول : إن هذا الطرح ليس صحيحاً ، فمفهوم العودة إلى الماضي ليس عربياً خالصاً ، إذ أن الحضارة الأوربية الحديثة نفسها قامت على أساس مفهوم العودة إلى الماضي .

بدايات هذه الحضارة الحديثة ، أو ما يسمى النهضة الأوربية (عصر التنوير) كان يعتمد على جانبين :

الجانب الأول : الأخذ من الحضارة العربية المتفوقة آنذاك ، في ميادين الطب والكيمياء والفلك والبناء ، والموسيقا ، والشعر ، والأسلحة ، وغيرها . واستعمالها للمنهج التجريبي ومبدأ الشك .

والجانب الثاني : العودة إلى المنابع الأولى لمكونات الحضارة الأوربية ، أعني التراث اليوناني اللاتيني ، وهذا التراث تجده في حياتنا الحاضرة في الحضارة الأوربية واضحاً كوضوح الشمس ، فليس هناك طالب في المدارس الأوربية إلاّ ويقرأ تراث الإغريق في الفلسفة والأسطورة (الميثولوجيا) والشعر ، والتراث اللاتيني المتنوع ، والاهتمام بأسماء شعراء ومفكرين من اليونان واللاتين واضح جداً في الجامعات والنتاجات الثقافية الأوربية .

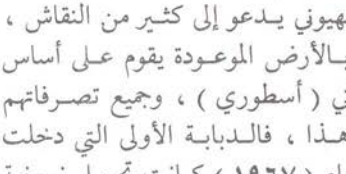
واليابان أيضاً لم تقم حضارتها إلا على الاستفادة من تقنية الغرب ، والتشبث بالتراث الياباني . حتى الآن ، في يومنا هذا لا يمكن للياباني أن يتخلى عن ماضيه ، من عادات وتقاليد وعبادة . وأضرب لك مثلاً : منذ أكثر من (٦٥٠) عاماً تحاول البعثات التبشيرية تنصير اليابانيين ، فماذا كانت النتيجة ؟ إلى يومنا هذا لا يوجد بين (١٢٠) مليون ياباني أكثر من نصف مليون نصراني ، أما الباقون فكلهم بوذيون .

والصين كذلك على الرغم من الثورة الماركسية أو الشيوعية ، فهناك حتى الآن عودة إلى مبادىء كونفوشيوس التي طحنتها الثورة الثقافية أيام ماوتسي تونغ .

هناك عودة إلى أفكار كونفوشيوس ، وأفكار لوكس (مؤسس الديانة البوذية) ، ولكن أحب أن أقول : إن شعار العودة إلى الماضي لا يعني العودة إلى خمسة عشر قرناً من الزمن .

أنت تريد أن تقول : العودة إلى الإسلام ، أنا أؤيد العودة إلى خمسة عشر قرناً ، أعني العودة إلى مبادىء الإسلام الصافية ، إلى سيرة الرسول محمد ﷺ ، وسيرة الرجل العظيم جداً عمر بن الخطاب ، لكن الخطر أن نعود إلى خمسة قرون فقط ، أي إلى عصر الركود والانحدار ، عصر تحكم الكهنوت المبتدع ، إذ ليس في الاسلام كهنوت ، ولا مشيخة ، ولا سلطة دينية . هذه هي العودة الخطيرة ، العودة إلى النظام الاكليري ، العودة إلى القيادات الدينية المتخلفة ثقافياً وعقلياً ودينياً أيضاً . إذن ليس صحيحاً أن مسألة (العودة إلى الماضي) قد قصرت على العرب ، فالعودة إلى الماضي سمة عند جميع الشعوب . لدينا مثل من العدو الصهيوني : فقد عاد إلى تراثه وخرافات توراته ، ليؤكد « وجوده الحضاري » ، ليبتدع « وجوده الحضاري » ، وقد أحيا العبرانيون لغة ميتة منذ ألفي سنة ، وجعلوا التوراة تاريخهم وشريعتهم في الوقت نفسه ، على الرغم من أن المرتكز الديني عند العدو الصهيوني يدعو إلى كثير من النقاش ، فادعاؤهم بالأرض الموعودة يقوم على أساس خرافي توراتي (أسطوري) ، وجميع تصرفاتهم تنبىء عن هذا ، فالدبابة الأولى التي دخلت سيناء في عام (١٩٦٧) كانت تحمل نسخة مزخرفة من التوراة .

وفي حفلات تخرج ضباط الهيئة العسكرية يقسم الضباط يمين الولاء على التوراة ، وهناك في



كل عام مسابقات لعيد يُسمى « عيد الاستقلال » ، تجرى فيه مسابقات لحفظ أجزاء من التوراة .

لهذا ينبغي ألاّ نخدع كثيراً ، وينبغي أن نفرق ما بين العودة الواعية ، والردة الجاهلية بالنسبة لتراثنا ثقافة وديناً .

انحدار وليس انقطاع

*** د. علي،يستغرب المرء بأننا نحن العرب نحاول استعادة تراثنا من الغرب ، وذلك عن طريق أمور عدة ، من بينها دراسات وكتب كثيرة ومخطوطات مهمة تتحدث عن تاريخنا وأبطالنا ، والمناطق الأثرية ، والإبداعات والرسائل التي كانت متوافرة في عصر من العصور ، يضاف إلى ذلك لهاث نفر منا إلى أخذ الشهادات العليا من جامعات الغرب (في التاريخ العربي أو الأدب العربي) ، وبالتالي تنفيذ توجيهات المستشرقين ومناهجهم ـ كيف ترى هذه القضية ؟**

ـ ربما أقول : إنه حدث انحدار في تاريخنا ، وليس انقطاع ، وربما في فهمنا للتراث !

صحيح أن هذا الامتداد الحقيقي أثر في الغرب ، إذ أن الغربيين استفادوا من تراثنا حضارياً ومادياً ومعرفياً وتجريبياً ، ومن الثقافة الشاملة ، لكن هذا الانحدار ليس جديداً ، أي يعود إلى السنوات القليلة الماضية ، الانحدار بدأ منذ أواخر الدولة العباسية ، نتيجة لغزو عناصر أخرى للحضارة العربية ، وعلى الأخص العنصر التركي الذي استعانت به الدولة العباسية منذ عهد المعتصم . وهناك عوامل أخرى متعددة ، مثل : الغزو الصليبي ، والحملات العسكرية (وغير العسكرية) على المشرق والمغرب معاً ، واكتشاف طرق أخرى للتجارة مع الشرق الأقصى ، ومجموعة من المؤثرات الداخلية والصراعات بين الطوائف والأحزاب الداخلية ، والتمزق الذي حدث بعد الدولة العربية الواحدة . كل هذا أدى إلى خلخلة البنية الحضارية للمجتمع العربي ، وتفككها ، ومن ثم هبوطها ، لكن الصلة مع التراث ظلت خيوطاً هنا وهناك في التيار الشامل .

وقد ذكرت أننا نستعيد تراثنا من خلال الغرب . أنا لا أفهم بالضبط ما المقصود بهذا التعبير !

فإذا كنت تقصد المستشرقين ، فأنا أقول بوضوح : إنني شخصياً أعظم جهود عدد كبير منهم في تجلية التراث العربي ، وإعادة النظر إليه ، بل



والحفاظ عليه أيضاً ، لكن هذه الجهود لم تكن تخلو من الهوى ، إما من باب الاستفادة من هذا التراث الضخم لرفد التطور الأوربي منذ عصر النهضة ، وإما من باب محاولة فهم مكونات هذا التراث والاستناد إلى هذا الفهم في تمزيق وحدة الأمة أيديولوجياً وسياسياً .

ونظرة واحدة إلى جهود المستشرقين تثبت أن جهودهم لم تكن غير ذات غاية ، المصيبة أننا عدنا إلى تراثنا كما ذكرت ، بالنظر إليه من خلال المستشرقين أنفسهم ، وبالتالي تبنينا تفسيراتهم ومواقفهم هم من هذا التراث ، وصرنا مدافعين عن نظرة الغرب إلى تراثنا نحن ، هذا يوضحه الاتجاه منذ الستينيات إلى ما يسمى إعادة تفسير التاريخ ، أو إعادة قراءة التاريخ من جديد على أسس أيديولوجيا معينة ، فصار عندنا تفسير للتاريخ : ماركسي ، ورأسمالي ، ومثالي ، وواقعي ، إلى جانب التفسيرات الدينية .

ببساطة ، ومن وجهة نظري ، أدعو إلى أن يقرأ العرب أنفسهم تراثهم ، مستعينين في ذلك بالمنهج ، وليس بالموقف الاستشراقي ، فالمنهج الاستشراقي منهج محكم دقيق ، له ضوابط . أما الموقف الاستشراقي فله دوافع سياسية ودينية وحضارية تحكمه (إلا من عصم) ، ولا يخلو أي مستشرق من النظرة الذاتية المتأثرة بتركيبه وتكوينه الثقافي ، أما ما يسمى الموضوعية فذاك أمر لا وجود له على الإطلاق ، وهو مجرد أكذوبة علمية صارت مسلمة ولا حقيقة لها !



الطائفية في المشرق دون المغرب

*** يلحظ المرء في المشرق العربي بروز الطائفية على أرضية سياسية ، وعلى نحو ملفت للانتباه ، دون أن نرى مثل هذا البروز والتنامي في المغرب العربي فما مرجع ذلك حسب رأيك ؟**

ـ أدى إلى بروز الطائفية في المشرق العربي أمران يعودان لأسباب واضحة جداً : هناك أسباب خارجية تتدخل لتمزيق هذا المشرق ، حتى لا يَتَوَحّد ! فتفتعل تمزقات مختلفة ، لتجعل أهل هذا المشرق يحارب بعضهم بعضاً ، فيحاربون أنفسهم بأنفسهم ، والأصابع الأجنبية غير خافية . هناك أيضاً أسباب داخلية ، وهي ذلك الإرث الذي وضعه المستعمرون قبل أن يرحلوا ، وضعوه في نباتات عربية الشكل ، لكنها غربية المضمون ، فمن تراهم من قادة هذه الطوائف كلهم نتاج لزرع أوربي استعماري ، عن طريق مدارس الإرساليات والبعثات ، وعن طريق مسوح العلماء الكاذبة ، يؤججون نوازع إقليمية ، أو محلية ، ويوقدون النار تحت المذاهب الطائفية ليعلو لهيبها ، فتحرق الجميع ، ويظلون هم يتفرجون من بعيد على هذا المشرق وهو يحترق .

هناك الكيان الصهيوني الذي زُرِعَ في أرضنا أداة لاستمرار المصالح الغربية ، ولضمان استمرار السيطرة على مقدراتنا ، هو أيضاً يعمل من خلال أطره لتفريق الصف الواحد ، وإنهاء فكرة قيام دولة عصرية ، حتى وإن كانت متعددة الاتجاهات . هم يسمحون بقيام هذه الدولة المتعددة الاتجاهات والمذاهب والأديان واللغات كالهند مثلاً التي تضم (٢٧٠) لغة وأكثر من (٥٠) ديناً مختلفاً ، لكنهم لا يسمحون حتى بهذا

● وجها لوجه . . . د . علي فهمي خشيم وحسن حميد .

في الوطن العربي ، إذ يدركون خطورة توحد العرب في أمة واحدة في مواجهة حضارية شاملة .

والحق أن المواجهة الحضارية لم تكن قد بدأت اليوم ، أو لنقل بنت اليوم ، ولا هي جاءت مع الإسلام . هذا الصراع الحضاري قائم منذ القديم بين الأمة العربية والغرب : أعني بين الشاطيء الشرقي والجنوبي للبحر المتوسط والشاطيء الشمالي ، منذ أن غزا الكنعانيون بلاد الإغريق في الألف الثاني قبل الميلاد ، وحتى حرب هانيبال (حسن بعل) ضد روما في قرطاجنة (الشمال الأفريقي) هذه مواجهة حضارية . .

العرب ، يا أخي ، خصوصاً في تاريخهم القديم ، كانوا باستمرار بناة للحضارة الإنسانية ، وهم واضعو أسسها الأولى ، هم الذين أرسوا قواعد المعرفة الإنسانية ، هم مخترعو الكتابة ، مبتدعو العلم ، ففي أرضهم ظهرت الأديان ، وفي بلادهم عرف الإنسان قيمته .

أوربا ، على مدى التاريخ ، كانت ناقلة ، وناقلة حاقدة أيضاً . أوربا نقلت الحرف الكنعاني عن طريق اليونان ، وأوربا أخذت المسيحية من بلاد العرب ، وأوربا استعارت العلم العربي بعد الإسلام ، وهي الآن ، ومنذ القرن التاسع عشر ، بعد أن قويت ، تحاول تكسير وحدة الأمة العربية لتنفرد هي بالهيمنة العالمية (فاتق شر من أحسنت إليه) .

وعندما أقول أوربا لا أعني أوربا الغربية فقط ، بل أعني كل ما كان له اتصال بأوربا ، سواء أكان في أوربا نفسها أم في أمريكا أم حتى في استراليا .

مواقفهم السياسية في هذه القارات الثلاث واحدة ضد هذه الأمة العظيمة ، أمة العرب التي لم يعرف أبناؤ ها قدرها حتى الآن . □



البنية اللغوية في نصوص «الخروج من الدائرة»

للشاعر خليفة الوقيان

بقلم : فاضل خلف

خليفة الوقيان شاعر يستروح من التراث أنسامه النقية ، ومن القرآن نفحاته العاطرة ، أضف إلى ذلك ملكته الفنية التي أمدته بالوعي اليقيني بأصول التجربة وطبائعها الشعرية الحديثة ، وأساليب التعبير عنها بفنية زاخرة مواكبة للحساسية المستحدثة والمعاصرة ، شاعر يحرك صور عرائس المأثورات الشعبية العربية بوعي ملحوظ ودقة أداء ، شاعر ورث من ميراث العرب العظيم أضخم إرث ، ولم يبخل به على متلقيه ، بل أخذ على عاتقه أن يمده بين الحين والحين بمقتنيات الإرث العظيم بتشكيل لغوي قائم على « الحوار الفني » .

تجربة شاعرنا الوقيان الكبرى التي تقتات منها عرائس شعره حتى الآن ، هي تجربة تعلقه الوجداني بالانسان في كل مكان ، الانسان المغترب عن وطنه ، والإنسان المعاني للاغتراب المرير في وطنه . وهذه التجربة يمدها شريانان حيويان : شريان تنثال فيه تيارات من أمل يترقرق، وشريان يموج فيه الكثير من آلام عذاب التردي الأعمى في مهمة التيه ، في كون ليس بالمأمول ، ووجود فقد معاني الوجود . واغتراب الوقيان يرجع إلى احساسه الحاد بأن الانسان ، كل انسان ، مرصود من قوى الشر ، وهذا من شأنه أن يزود طبعه الشاعري بانعكاسات غير مقصودة ، تأثر بها أسلوب وسائله التعبيرية ، إذ اقترنت هذه التجربة

بالإفضاء إلى الإنسانية المحبوبة ، بلغة هي مزيج من ابتهالات الصوفيين ، وتسابيح الزهاد ، وحديث الانسان العربي المناضل من أجل فتح كل مستغلق في شتى المجالات .

وجوه مختلفة لتجربة واحدة :

أصدر شاعرنا الوقيان ديوانه الأخير « الخروج من الدائرة » عام ١٩٨٨ ، وأصدر قبلا « المبحرون مع الرياح » عام ١٩٧٤ ، ثم « تحولات الأزمنة » عام ١٩٨٣ ، وله أعمال شعرية متفرقة هنا وهناك ، أصدرها على صفحات الجرائد والمجلات قبل السبعينيات ، بيد أن التصنيف التاريخي يحتم علينا أن نعدّه من جيل السبعينيات ، من شعراء الحداثة العربية ، على الرغم من تفوقه الملحوظ في قصائد النمط القديم من العمودي ، وعلى الرغم من تباينه الشديد عن شعراء هذه الفترة بقدرته الفنية والفكرية واستخداماته اللغوية . وبالنظر إلى عناوين أعماله نلحظ عمق تجربته وأصالتها ، من بداية ابحاره مع الرياح ، ثم



● غلاف الكتاب

رصده للتحولات الزمنية ، وإتمام ذلك بالخروج من الدائرة ، الدائرة التي اتسعت لتجربته ، واحتدمت فيها حيرته وشوقه إلى إماتة هذا الاحساس المرير بالاغتراب بين شجاعة اقتحامه لمراصد قوى الشر والعدوان ، وبين تجمله بالصبر وتظاهره بعدم اللامبالاة إلى أن يتمكن من رصد أبعاد عالمه المنشود . من هنا يكون انتظار عودة المبحرين مع الرياح لإنقاذ ضحايا التحولات الزمنية ، ومساعدتهم على الخروج من الدائرة مشوبا بألوان متباينة من القلق النفسي . إذن لاريب في أن التجربة قد ازدادت اتساعا وعمقا في عمله الأخير « الخروج من الدائرة » الذي استوعب الوجود الشعري للشاعر ، ملقيا الضوء على أن الانسان موجود طبيعي ، أوجدته السماء بصورة كلية غير قابلة للتجزئة ، وهو مقيد بوطنه وانسانيته ، ولكل منهما حرمة يجب أن لاتنتهك ، وهذا أوجد لدى الوقيان حالات الوجد والعشق والهيام ؛ فالشاعر يعشق وطنه في انسانيته ، ويهيم بعروبته في شخصيته ، وقد تساوت بذلك لديه حالات الرضا والغضب ، فهو يغضب ليرضى في آونة وفي أخرى يرضى ليغضب ، وفي الحالتين يستمتع بإنسانيته أيما استمتاع ، ذلك أنه يثبت أنه موجود انساني ، كونه هو وطنه ، وعروبته هي دمه ، وهو بهذا يرمز إلى أسمى معاني العشق .

لغة خاصة :

هذه العجالة كان الغرض منها إلقاء الضوء على عناصر تجربة الوقيان . والآن آن لنا أن نتساءل : ما الأسلوبية التي انتهجها الوقيان في أشكاله اللغوية التي تمخضت عن هذه التجربة ؟

وقبل الإجابة عن هذا التساؤل لأبد أن أعلن أن هناك شاعرين : شاعر له مختبره الخاص ، وشاعر يعيش على مختبرات الآخرين ، فالشعر

وجود لغوي لابد له من مبدع ، وهذا المبدع لابد أن يكون مستلهما ، ولا يأتي إلهام بغير معاناة ، والمعاناة هي عنصر اشتعال لإتمام التجربة . ولقد سبق أن قلنا : إن شاعرنا يستروح نسائم التراث بملكة فنية ، ومن هنا يمكننا التأكيد على خصوصيته في انتاج لغته الخاصة وانتقائها .

وقبل أن نعرض للسمات الأساس لشعر الوقيان لابد أن نتأمل هذه الأسطر من قصيدة : (مذبحة الفواكه)

يجيء سليمان
بعد وضوء صلاة العشاء
تعشعش في ركبتيه
مواجع عصر من الغوص والقهر
والسفر المستديم
إليّ بشاي بلا سكر
وشربة ماء
لقد هدني الضغط و « التنك »
والسكر الأزلي اللعين
ويأتي خليل
بأكياس فاكهة للصغار
ويبقى يراقب في صمته المئذنة
وحول المراجيح
يلتف جمع من الصبية المتعبين
يؤرقهم هاجس المدرسة
وتسعدهم لحظة مؤنسة
وتبقى النساء
تروح تجيء
تراقب أطفالها في حذر
تجمع أشياءها
الماء ، البسط ، والأطعمة
لقد هبط الليل
هيا إلى البيت
لا ، سوف نبقى قليلا

بنية روائية :

هنا يتضح للمتأمل أن البنية الروائية هي الفاعلة فيما يمكن تسميته « المرويات الشعرية » التي هي ـ غالبا ـ من صنع الشاعر ووضعه ، معتمدا فيها على اسلوبية الروائي ، كما يمكن أن نطلق عليها أيضا « البنية الاخبارية » . وقد يتوهم بعض أنها اخبارية كإخبارية وسائل الاعلام ، ولكنها من الخطورة بمكان لاعتمادها على الفاعلية الدرامية ذات الحس الشعري ،



خليفة الوقيان

فالشاعر هنا يسرد كالراوي تماما ، فلا بد له إذن من أن يتباين مع الرواية ، وفي الوقت نفسه يحرص عليها ، ولن يذعن له ما يريد إلا بعد أن ينتج له شكلا من الأشكال الشاعرية الموائمة ينفي عن شاعريته الاخبارية النثرية ، وتكثر في قصائده من هذا النوع عبارات أخرى زمانية استهلالا وحشوا ، أخذت نمط السرد التاريخي ، مثل : جئنا معا حين اشتعال الماء والصلصال في الزمن الوليد ، ومثل : هذا زمان تستفيق به البشارة ، وهذا زمان تسقط الأوثان فيه ، وهذا زمان تستفيق به الحجارة ومثل :

من عهد بابل لم يزل قبس
بيديك حين سراجهم يخبو

ومثل :

كان لابد - في البدء - من قصيدة « من وحي صنعاء » .

وأهمية هذا البناء اللغوي تتضح فيما يلي :

١ - إثارة التشويق بالسرد القصصي ، وهذا من شأنه الحد من سآمة روح الغناء المهيمنة على القصيدة .

٢ - توظيف اللغة الشعرية في خدمة الدراما ، لاسيما في العبارات الختامية كقوله :

يجيء - يطل
محمولا على اسم الله
- جل الله -
يرقي سدة المنبر

ولعل من أروع هذه المرويات الشعرية التي تولدها الأنا الشعرية ، بقصد الاشتعال والرمزية الفنية المبتكرة لما يكابده من رؤى السقوط الانساني في قصيدته « تعويذة في زمن الاحتضار » التي يخاطب فيها الانسان المقهور ، مناديا إياه بمعنيين معنويين وهما الغضب المهجر ، والألق المغيب . يقول :

تفجر
أيها الغضب المهجر
أيها الألق المغيب
في المدى المخنوق
في الأفق المعفر

* * *

تفجر
إن دود الأرض يزحف
والدبا المسعور يحصد حقلك الأخضر

* * *

تفجر
قد ذبحت الآن
مرات ومرات
تراودك الذئاب السود
تسرق منك نبض الروح

* * *

تفجر
إن أفعى الدار تخرج
من شقوق ، صخور جدرانك
ثقوب عريشك القشي
نسيج لحافك الهش

لاشك في التفاف العديد من المتلقين حولي إذا ارتأيت أن هذه القصيدة من أبرز التجارب للشاعر ، بل ومن أخطرها ، لاسيما إذا نظرنا إليها من خلال منظور مستوى البناء الفني واللغوي

نبع قرآني :

ولعل أهم ظاهرة من الظواهر اللغوية عند الشاعر هي منبعه القرآني الذي يمد النص بالكثير من التضمينات القرآنية ، في شكل تحويلي إلى جمل قرآنية ، تعد لبنة ذات دلالة عميقة بمنأى بعيد عن السطحية ، وليس ذلك إلا لارتباطها بقواعدها الأصلية القديمة التي قويت جذورها وتعمقت في أرض ذاكرة المتلقي ، فانظر إليه كيف يقول :

إنها قرية فاسقة
كان يأتي لها رزقها رغدا
حينما أمرت مترفيها
ثم شاع بها الفسق ،
حل العذاب
نعى رَبّها بغتة مفسديها

إن هذه الصور ستوقظ لدى المتلقي صوتا يردد :
(وَإذا أَرَدْنَا أَنْ نُهلِكَ قَريةً أَمَرْنَا مُتْرفِيها فَفَسقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْها الْقَولُ فَدَمَّرناها تَدْمِيراً) (الأية ١٦ من سورة الإسراء) .

ومن الأسطر الشاعرية ذات التضمينات القرآنية أيضا قوله :

جاء الطوفان
وتفجرت الأرض عيونا
كالبركان
وجبالا من موج
يغمر كل الوديان
كنعان الجانح يلقي السيل وحيدا
يطفو حينا
يرسب حينا
وتمر الفلك
فتحمل من كل زوجين اثنين
القوم ، الخيل ، الغزلان ،
الجرذان ، ال . . .
وتشق إلى الجودي سبيلا
ويغيب في الموج الطامي
كنعان
رب إن ابني من أهلي
لاجبل يعصم من أمر الرحمن

وكذلك نرى أن التضمينات القرآنية كثيرة ، ولكنها بأوجه مستحدثة للتضمين ومتباينة مع مفهوم التضمين المتعارف عليه في البلاغة التقليدية القديمة ، فانظر إليه كيف ضمن معنى قوله تعالى : (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) ومعنى قوله تعالى : (ما يَلْفِظُ مِنْ قول إلاّ لَديه رَقِيب عَتيد)

هذه الأسطر الشعرية ، ومن القصيدة نفسها : -

في فمي جرعة الماء تنمو
تزيد
وعلى جانبي لظى النار يصرخ
هل من مزيد
نحن والصخر كنا الوقود
نحن والصخر نبقى الوقود
جلّ مُحصي الوجود
ما تلفظ من كلمة أو تزيد
فعليها رقيب عتيد . .

وعلى هذا تضمنت « قصيدة تسابيح » آيات قرآنية من أكثر من سورة بأسلوب تمثيلي تصويري عام ديدنه الحساسية الجديدة ، كبعد مهم من أبعاد المعاصرة .□

من كلمات العقاد



في الدنيا العادة وهي معطلة لحكم العقل
وفي الدنيا الجهل وهو معطل لحكم العقل
وفي الدنيا الفرض وهو معطل لحكم العقل
وفي الدنيا عقول لا تتفق وهي معطلة لحكم العقل ، وتسمع أن كل شيء في هذه الدنيا بالعقل !!

القصّة في وادي النيل
تيّارات وأجيال

بقلم : الدكتور الطاهر أحمد مكي

عادت القصة القصيرة في منطقة وادي النيل تحتل مكانا متميزا في ساحة الإبداع الأدبي العربي في الفترة القريبة الماضية. فما أسباب هذه العودة ؟ وما تياراتها، وأجيالها، واحتمالات تطوراتها المستقبلية ؟

بدأ ربع القرن الذي نؤرخ له بحدث سياسي رهيب هز وجدان الأمة العربية، وهو انهيار أول وحدة عربية كاملة في عصرنا الحديث بين مصر وسوريا عام ١٩٦١، فشاع اليأس والقلق في نفوس المفكرين والمثقفين من دعاة الوحدة والحالمين بها، وأدّى سياسيا إلى نتائج بالغة السوء في مصر داخليا، فاشتدت القبضة الخانقة، وازداد الناس خوفا، ولاذ بعض المثقفين بالصمت حيطة، وآثر آخرون الهجرة نجاة، واحتمى فريق بالأفكار الذهنية المجردة، ونجا المسرح وحده حين وظف التاريخ، وقال الكتّاب من خلاله بعض ماكانوا يريدون، وجاء ازدهار المسرح على حساب القصة، فهاجر إليه خيرة كتابها.

وخلال انحسار القصة جاءت هزيمة ١٩٦٧، فأحدثت شرخا عميقا في جدار الخوف، عند الجماهير والكتاب على السواء، وردت المثقفين إلى ذواتهم، وأحدثت في داخلهم جروحا وندوباً، وأنستهم الإنجازات الكبرى التي تحققت داخليا وعربيا وعالميا، وفي هذا المناخ عاد إليها من كان يكتبها، واتجه إليها من كان معرضا أو صامتا، وجاء نتاج هؤلاء يختلف عن سابقه في الشكل والمحتوى، فيه كثير من الحزن والمرارة والتمرد، وأصداء واضحة من التيارات الجديدة في عالم القصة العالمية.

ثم كانت حرب الاستنزاف، ولمّا يتنبه لدورها غير قلة، وتلتها ملحمة العبور الرائعة، فمسحت عن قلوبنا الحزن والعار واليأس، على الرغم من أن الأحداث السياسية التي تلتها ذهبت بالجانب الأكبر من بهجتها. ومعها تراجعت الانطوائية وأدب الهروب والانكسار، ليحل مكانه أدب التحدي والصمود والتضحيات.

جيل ما بعد الروّاد

في هذه المرحلة من تاريخ القصة كان جيل الرواد قد أدى دوره ومضى، لم يبق منه أحد مبدعا، وفيها بلغ الجيل الأول بعدهم قمة نضجه، وأخذ يواجه الحياة المتغيرة بأسلوب جديد، فبدأ نجيب محفوظ، منذ عام ١٩٦١، مرحلة عني فيها بالجانب الفكري والفلسفي، كما في قصته «جوار الله»، وسوف يستخدم تيار الوعي على مهل، للتعرف على المعالم الداخلية والنفسية لشخوصه، وتجاوز مرحلة التعبير بالسرد الوصفي، لأنه لم يعد كافيا للتعبير عن أفكاره التجريدية بصورة محددة، فاتخذ من الحوار قالبا، يوضح من خلاله القضايا والمشكلات الفكرية التي قد تحجبها عناصر القص السردية، كفكرة الصراع بين العلم والدين في «حكاية بلا بداية ولا نهاية»، وفي «حارة العشاق»، على حين عالج في «عنبر لولو» التناقض بين مثاليات الثورة وواقعها، وبين طموحاتها وإمكاناتها، والصراع بين الحرية والعدالة، وبين الماضي والحاضر، والجديد والموروث.

وفي هذه المرحلة تجاوز يوسف إدريس الإحساس العميق بقضايا المطحونين في



● نجيب محفوظ



● د. يوسف ادريس

الأرض، ليعالج هموما إنسانية عامة، في مجموعته «لغة الآي آي»، وفيها بلغ القمة نضجا، وتطغى هموم شخوصها النفسية على أزماتهم الاقتصادية، وأصبحت تشغله المشكلات الفلسفية المتصلة بالإنسان، مصيره وعلاقته بالعالم، وتراجعت الأفكار التقدمية عنده، لأن التبشير بها لم يعد مهما، بعد أن حققت ثورة ١٩٥٢ الجانب الأكبر من أهدافها. وسوف يتوسع في استخدام الرمز، ويصعد من الواحد إلى الكل، ومن الفرد إلى الجماعة، ومن الواقع المحسوس الى الفكر المجرد، وتجيء مجموعته «النّداهة» - صدرت ١٩٦٩ - امتدادا للمجموعة التي سبقت، ويبدو فيها الجنس صارخا أحيانا، وموظفا فنيا توظيفا جيدا على الدوام، على حين أنه في «بيت لحم» - صدرت ١٩٧١ - يجمع بين الواقعية والرمزية الفلسفية، مستفيدا من التجارب الجديدة في الآداب العالمية، وفيها ينقد صمت الشعب إزاء الأوضاع الفاسدة، ويضغط بشدة على لا مبالاة الناس، وتقبلهم أي شيء مهما كان غريبا وشاذا.

وبقية هذا الجيل واصلوا سيرهم، دون أن يبتعدوا فنيا إلى مسافات بعيدة عن النقطة التي بدءوا منها.

الهزيمة تُعمّدُ جيلاً جديداً

أما الجيل الثاني، الأكثر شبابا، فقد بدأ خطاه حين كانت الواقعية تلفظ أنفاسها فعلا، لأن كتابها أغفلوا اللحظات النفسية الخفية التي ترتبط بالفرد إنسانا وذاتا متميزة، ولا تتصل مباشرة بمشكلات المجتمع الظاهرة، ولكنها أقدر على كشف خبايا النفس، وكان تأثير هزيمة ١٩٦٧ في نفوسهم أقوى منه عند غيرهم، فأصابهم بالإحباط، ولكنهم تماسكوا أمام هول الكارثة، ومحاولة الخروج من نفق اليأس

والاستسلام، وتولد عندهم رفض لكل ما أدى إليها، وتمثل ذلك فنيا في البحث عن أشكال جديدة لمواجهة مواقف جديدة، وبعض هذه التقنيات كان معروفا على استحياء، والآخر متواريا، أو مجهولا تماما، ولكنها سوف تصبح منذ الآن تيارات بينة، يردها الجميع كلّها أو بعضها.

كان توظيف الحلم إحدى الظواهر التي أخذت طريقها إلى القصة في شكلها الجديد، ووراء شيوعه تقنية، نظريتان في علم النفس، تتصلان بالأحلام، وتركا أثرهما في الإبداع الأدبي: نظرية فرويد في الأحلام وتفسيرها، ونظرية كارل يونج عن «اللاوعي الجمعي» «الذي يختزن الماضي الجنسي، وولّد الأبطال الأسطوريين عند البدائيين، ولايزال يولّد أخيلة فردية مشابهة عند الرجل المتمدين، ويجد تعبيره الأكبر في رمزية تتجاوز حدود الزمان، ولكنها مألوفة نسبيا، وهي رمزية لا تزال تتكرر أبدا».

والنظريتان على الرغم من تأثيرهما في الإبداع الأدبي، والقصة بخاصة، يختلفان منحى، لأن فرويد جعل نظريته تسيطر على تفسير أحلامه وتداعياته، فهو يجعل الحلم الظاهر تمويها وإخفاء، والكامن رغبة وإلحاحا، على حين يعده يونج كشفا لا إخفاء، ولكنهما يتفقان على أن الحلم لغة.

على أن نظرية الأحلام هذه لم تسقط على أرض مجدبة، وإنما وجدت في العربية تربة غنية بالموروثات الشعبية، المتصلة بالأحلام وتفسيرها، من ابن سيرين في القرن الثامن الميلادي إلى عبدالغني النابلسي في القرن الثامن عشر الميلادي، ومن هنا شاع توظيف الحلم في القصة منذ البداية، في صورته البسيطة المباشرة، فتصرح به الشخصية: «حلمت ... رأيت في نومي»، ويجيء الحديث عنه سردا مباشرا، لا يعتمد على التداعي الحر، ويقل فيه التناثر والإسراع، والتكثيف، وتجيء الأحداث متسلسلة، والحوار منسقا، ويقرب من التفكير العادي، واستخدامه في هذه الصورة كثير، ونلتقي به عند كثيرين، وفي كل المراحل.

أما غير المباشر فجاء تطورا على مهل للصورة الأولى، وأصبح ظاهرة فنية متميزة، يستغرق كاتبها في لحظات الشعور والتداعي، ويهتم بتصوير الذات داخليا وخارجيا، وسوف يكون مقدمة لاستخدام تيار الوعي، لأن هذا يعتمد بالضرورة على تداعي الصور، وتعاقب الأحداث، على نحو لا يحكمه نظام، في الظاهر على الأقل، وإنما يقع الحدث وينمو ويتطور داخل عقل الشخصية، ويعكس تيار وعيها، أو التداعي لخواطرها، إذا شئت، كل



● ادوار الخراط



● يحيى الطاهر عبدالله

القوى التي تعيها، وليس الحلم هنا إلّا ذكريات تتداعى، ونجد توظيف الحلم عند يحيى الطاهر عبدالله، ومجيد طوبيا، وبهاء الطاهر، وغيرهم.

غير أن تيار الوعي، والحلم غير المباشر على نحو ما، على النقيض من المباشر، يبتعد عن السرد المباشر، والتتابع الزمني، ويعتمد على التكثيف، وفيضان الفكر وجريانه وسيولته، دون مراعاة الربط المنطقي، وفيه يتلاشى الزمان أو يتداخل، ويتجلى استخدامه واضحا عند إدوار الخراط ومحمود عوض عبدالعال، وآخرين.

بصمات السينما

وفي هذه المرحلة سوف تترك السينما بصماتها واضحة في فن القصة، وبفضلها أصبح من

الممكن أن يعود الإنسان إلى الماضي، لا عن طريق القراءة أو التذكر أو الصور واللوحات، وإنما عن طريق العيش في الماضي نفسه، وسط مشاهد متعددة، تعرضه بأشكاله وألوانه وأصواته وحركاته، فأثر هذا في تقنية القصة، وعرف بناؤها فن «المونتاج»، والاختفاء التدريجي، والارتداد، والتصوير البطيء، واللقطة الخاطفة، وغيرها.

يستخدم «المونتاج» في القصة على طريقتين: المونتاج الزمني، وفيه تظل الشخصية ثابتة في مكانها، ويتحرك وعيها في الزمان، بأن يضع الكاتب صور زمن معين وأفكاره على مثيلاتها في زمن آخر، والمونتاج المكاني، وفيه يبقى الزمن ثابتا، ويتغير المكان، ويتجلى ذلك واضحا في قصص تيار الوعي، ويستخدمه أغلب كتاب الجيل الثاني والثالث، مع تفاوت في الإجادة والتمكن، ويتجلى استخدامه أروع ما يكون في قصة «ذراعان» لمحمد أبوالمعاطي أبو النجا.

أعتقد أن «أبو النجا» أعظم قصاصي هذا الجيل، وإن لم يأخذ حقه من الدرس والتحليل، فهو كثير التأمل والتفكير والمناقشة، يقف طويلا أمام جزئيات الحدث وتفصيلاته، ويلم بها دون



أن تفلت من بين أصابعه أي جزئية، ولديه قدرة واعية على تفتيت اللحظة النفسية الواحدة الى جزئيات غنية بالدلالات، وعلى توليد فيض من الأفكار الجزئية من معنى كلي، «لتصبح القصة على قلمه أشبه بالقصيدة التي تدور حول إحساس واحد، ولكنها في دورانها تستقطب عالما ثريا من الأحاسيس التي تزيد التجربة عمقا، ولكنها لا تنفصل عنها».

استلهام الموروثات

ولأن هناك علاقة جدلية بين الفنان ومجتمعه، يعبر فيها الإبداع عن ذات الفنان من جانب، وعن واقع المجتمع من جانب آخر، وكان المجتمع المصري في هذه الحقبة يعاني من أزمات اجتماعية وسياسية عميقة، فقد كان على الإنسان الذي واكب حركة التغيير هذه، ولفته أعاصير الضياع والحيرة، أن يرتد إلى تراثه، تأكيدا لذاته في مواجهة الحضارة الغربية التي بدأت تحاصره من كل جانب، متمثلا فضائل أمته المتوارثة، وهكذا بدأ كتاب القصة يستلهمون الموروثات، دينية وشعبية وتاريخية، أحداثا وشخصيات، ويوظفونها كليا أو جزئيا، يستوحون منها شخوصهم، أو يقتبسون الألفاظ ذات المدلول الديني، آيات من القرآن الكريم، أو فقرات من التوراة والإنجيل.

في الموروث الإسلامي شاع استلهام شخصية الصوفي، يبشر بالقادم الذي لما يأت، أو بالخضر كما في «الجد حسن» ليحيى الطاهر عبدالله، أو «الحوت ويونس» لأحمد الشيخ، ويحاول مخمود عوض في قصته «علامة الرضا» أن يجسد المعاني التي يريدها، مستخدما كثيرا من الآيات القرآنية.

ونجد بعض الصدى للمأثورات المسيحية، وتجيء في جملتها من كتاب مسيحيين، لأن داخلهم يمور بهذا اللون من الثقافة، وربما -

ولو بغير وعي منهم ـ لإثبات ذواتهم، وهكذا يؤكد جميل عطية إبراهيم في قصته «الأيقونة» على صورة مريم العذراء، والشيء نفسه نجده عند نبيل نعوم في قصته «النيل عند المنبع وعند المصب».

ولأن كتاب هذه المرحلة عرفوا الاغتراب ماديا وذهنيا فقد دخل الموال والأغنية عالم القصة، وأكثر ما يكون استخداما عند «طه وادي» في مجموعتيه «الدموع لا تمسح الأحزان» و«حكاية الليل والطريق».

وبتأثير من كتاب المسرح الذين أسرفوا في هذه الحقبة في استخدام الأحداث والشخصيات التاريخية، بجعلها تتعاصر مع الواقع، بما تحمل من هموم وإسقاطات، من خلال حقبة تاريخية بعينها، حاول بعض كتاب القصة أن يسيروا في الطريق نفسه، ومنهم من اتخذ من أسلوب التاريخ الوسيط قالبا، يصب فيه حدثه وأفكاره، وهو اتجاه لم يوفق كثيرا، وقراءة ماكتب فيه مملة، لأن العصر غير العصر، والذوق غير الذوق، ولأن التقليد غلب على كاتبيه، والتقليد يقيد الخيال ويقتل الابتكار.

وهناك نوعان من القصة ازدهرا عالميا، بعد الحرب العالمية الثانية، وهما: القصة «البوليسية» وقصة التجسس، والأولى عرفت على نحو شاحب في نهاية المرحلة التي تسبق الفترة التي نعرض لها ثم ماتت، ولم يكتب أحد في الثانية، على الرغم من أن صالح مرسى برز وأبدع في



● الطيب صالح



● صالح مرسي

هذا المجال روائيا، وقدم لنا: رأفت الهجان والحفّار، وهما من خير ماكتب في هذا النوع، في الأدب العربي، دون أن يكون مسبوقا بأحد في لغتنا.

القصة في جنوب الوادي

لم يتخلف ظهور القصة في السودان طويلا عن مصر، إلا بمقدار المسافة التي تبلغ فيها تيارات شمال الوادي جنوبه، أو التي يستغرقها مجيء السوداني للدراسة في القاهرة، ويمكن القول إن المسافة الفاصلة لا تتجاوز إجمالا ثلاثة عقود من الزمان.

وكان الاتجاه الغالب في البدء احتذاء الأدب في مصر، ومتابعة ما تنتجه المطابع المصرية، دون التفرقة بين اتجاه وآخر، أو نوع ونوع، وفشل الاستعمار البريطاني في وقف أي تفاعل ثقافي بين شطري الوادي، وشاعت الدعوة لأدب وادي النيل دون تفرقة بين مصري وسوداني. وإذا كان جيل الرواد في جنوب الوادي قد تأثر بمثيله في الشمال، فإن الجيل الأول بعده ـ ونشأ بعد الحرب العالمية الثانية ـ تأثر بنجيب محفوظ ويوسف إدريس، وبالآداب الأجنبية مترجمة إلى العربية أو في اللغة الانجليزية.

ومع ذلك لا يمكن تجاهل الواقع في جنوب الوادي، من بيئات متنوعة، ومستويات متفاوتة، وتقاليد مختلفة، وموروثات متباينة الجذور، فنشأت «رابطة أصدقاء نهر عطبرة»، في مدينة عطبرة، مدينة الطبقة العاملة في السودان، حيث مصانع السكك الحديدية وورشها، وقامت بدور رئيس في الحركة الوطنية، وكان المبدعون من أبنائها، وبرز منهم أحمد الأمين البشير، وعبدالله علي ابراهيم، واهتما بتصوير الحياة في المدينة، ورصد حياة العمال على المستوى الإنساني.

وكانت هناك رابطة أدباء جامعة الخرطوم، واهتم كتابها بتصوير الطبقات الشعبية، وهي تعاني من المستعمر، ووطأة الاحتلال، والعنصرية والتعصب، وتعطي كل ما عندها،

لكنها لا تأخذ غير القليل، ومن أشهر كتابها عثمان الحوري ومحمد عبدالله عجيمي.

وفي هذه المرحلة بلغ الاتجاه الواقعي في السودان قمته، مخلفا وراءه الرومانسية بصورها الزاعقة، وتجلى واضحا في قصص محمد سعيد، والزبير علي، وخوجلي، واتخذوا من الخرطوم مسرحا لأحداثهم، والتزموا بالطبقات الفقيرة، وشخوص قصصهم مسحوقة، تعاني وطأة الاستغلال والاضطهاد، ولكنها إيجابية متفائلة، تتجمع وتحتج وتتكاتف لمواجهة مصيرها وتغيير واقعها، ونلحظ أن قصصهم خلت من المرأة محورا يدور حوله الحدث، لأنها فيما يرون جزءا من مجتمعها ومن طبقتها

ودفع أبو بكر خالد والطيب زروق بالقصة خطوة واسعة إلى الأمام، وكلاهما تعلم في مصر، الأول في دار العلوم والثاني في كلية الطب، وهما يتوجهان إلى القاريء العربي عموما، ويحمل إبداعهما طابعا تعريفيا بالسودان، أو ببيئة معينة فيه.

وهذا الإنتاج الذي ألمحنا إليه بعضه جيد، لكن جانبا كبيرا منه يغلب عليه السرد والتقرير والرتابة والميل الى الوعظ، ومخاطبة القاريء مباشرة، والفقر في التعبير لفظا وصورة، والإسراف في استخدام العامية السودانية في الحوار.

نقلة نوعية

غير أن الطيب صالح يجيء (أمة) وحده في هذه الفترة، فقد نقل القصة السودانية الى عمق التوهج الذي تشهده في بقية الأقطار العربية، بناء واتجاها ومادة، وهو يجمع الى ثقافته العربية الأصيلة قراءة واسعة واعية بالأدب الإنجليزي، وقد تأثر على نحو واضح بعلم النفس، وبخاصة نظرية يونج في «العقل الجمعي»، وقاده هذا إلى استخدام تيار الوعي بمهارة فائقة، ويتجلى ذلك واضحا في قصته «الرجل القبرصي».

وتتلون قصص الطيب صالح بصوفية واضحة، ومعظم شخوصه أولياء صالحون، يتنبأون وتتحقق نبوءاتهم، وفي كتاباته حنين جارف الى القرية، وقد قدم واقعها في الشمال وما يعتمل في أعماقها من مفاهيم وقيم وأخلاق، ومنها يستمد مادة تشبيهاته، ولأنه كان يقدم أعماله إجمالا من خلال الإذاعة البريطانية حيث يعمل، وينشره في المجلات التي تصدر عنها، جاء تقديمه للقرية السودانية مثاليا لا تعيشه القرية واقعا.

وكرد فعل لإقامته في لندن، ونظرة الناس إليه من خلال لونه الأسود، عالج في قصصه حياة المغتربين العاطفية في لندن من ذوي البشرة السوداء، وألمح إلى التصادم بين الحضارتين الشرقية والغربية، ويرى الإفادة من تقنياتها دون أن نفقد الجانب الروحي في حياتنا.

لقد استطاع الطيب صالح أن يطور أسلوبه في زمن قصير، من عادي متعثر في «نخلة على الجدول» الى ناضج سلس في «دومة ود حامد»، وهو يستخدم الموال، وحتى الشعر الفصيح، كما هو الحال في مصر، ويستخدم العامية السودانية كثيرا، واحيانا عامية القرية التي تدور الأحداث فيها، ولكنها عامية راقية، ذات مستوى، يفهمها كل من يجيد الفصحى.

وماذا عن الجيل الصاعد الآن في مصر والسودان؟

يحسب له إحساسه الشديد بواقع الحياة حوله، وعزوفه عن الموضوعات المطروقة والمكرورة، ولكن يؤخذ عليه تحرره من القواعد الفنية بزعم التجديد، وفقره اللغوي الشديد، وميله إلى التقرير والمباشرة، ومن ثم فهو يخبرنا

بالحدث بدل أن يصوره لنا، وحين يتحرر الكاتب من قواعد الفن، ويتجوز في استخدام اللغة، تصبح القصة مجرد غموض وثرثرة، والثرثرة وحدها لا تصنع فنا.

القصة حكايات شعبية

ونبلغ آخر أقطار العروبة في وادي النيل، وأعني به الصومال. وهو قديم العروبة وعلاقته بالجزيرة العربية بدأت قبل الإسلام هجرة وتجارة، وبمصر من عهد الفراعنة، وكان يؤلف جزءا من الدولة المصرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مع أجزاء أخرى في شرق افريقيا ووسطها، وعروبته لغويا تعتمد على المشافهة، وعمادها حفظ القرآن الكريم، وتضطلع به «الدكسيات» (أي الكتاتيب) في القرى، وتقوم الصومالية لغة حياة إلى جانب العربية.

وقد حال الاستعمار الأوربي دون أن تتطور هذه الأقاليم ثقافيا، وأن تتطور العربية بالتالي لتصبح لغة الإدارة والتعليم. فوقف تعليمها عند حد الكتّاب، ومع ذلك أصبحت لغة الشعر، لأنه فن يعتمد على الانشاد والرواية، ولا يحتاج الى الكتابة، وفيه يراعي الشعراء القافية دائما والوزن الخليلي غالبا.

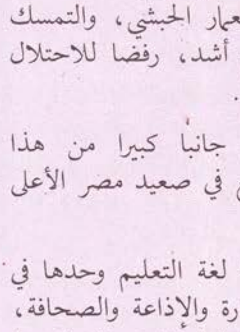
وفيما يتصل بالقصة ما يزال الصومال في مرحلة الحكاية التي تلقى شفاها. وهي حكايات عربية في جملتها، ألقت عليها بيئة البلاد، وهي صحراوية رعوية، بعض ظلالها، فبدت مستقلة إلى حد ما، وذات ملامح خاصة، وتنسب الحكايات الساخرة في معظمها إلى أبي نواس، وينطقونه «بينواس»، ويقوم عندهم مقام جحا عندنا، وإلى جواره «عفال سَيداد»، والكلمة الأخيرة محرفة من «شديد» العربية، وتوصف بها هذه الشخصية سخرية، لأنها تتصف بالخوف والجبن الشديد، إلى جانب السذاجة والغفلة التي تبعث على الضحك والسخرية.

ونجد الملامح نفسها في جمهورية جيبوتي، وهي قطر عربي آخر، تلتقي مع الصومال في خصائصه الطبيعية واللغوية والعرقية، وإن يكن التأثير الفرنسي فيها أوضح لقرب عهدها بالاستقلال. والشيء نفسه يمكن أن يقال عن أريتريا، وهي تكافح من أجل الاستقلال، والتحرر من نير الاستعمار الحبشي، والتمسك فيها بالعروبة والعربية أشد، رفضا للاحتلال ومقاومة لمحو شخصيتها.

ويلفت النظر أن جانبا كبيرا من هذا القصص الشعبي شائع في صعيد مصر الأعلى دون تغيير يذكر.

حين تصبح العربية لغة التعليم وحدها في المدرسة والجامعة والإدارة والإذاعة والصحافة، فمن المؤكد أن مستقبلا طيبا سوف ينتظر العربية هناك، من قوم يتسمون بالذكاء الفطري، ورهافة الحس البالغة، ويحرصون على أن يكونوا في مصاف إخوانهم في بقية أقطار العروبة. □

التساؤل طريق الابداع:



« إن المعنى الأساسي الذي تتجلى فيه حرية الفكر هو حرية التساؤل والشك، والبدء دوماً من نقطة اللاقبول. والابداع هو انطلاق من التساؤل والشك نحو الوصول إلى نتيجة معينة، من خلالها تبدو عملية الإبداع مستمرة، وأي كبت أو قمع لهذا المسار في الفكر هو خنق لحريته ».

« د. كمال أبو ديب »

القصة القصيرة في بلاد الشام

تحوّلات نوعيّة

بقلم : فخري صالح*

في نتاج القصة القصيرة في بلاد الشام ، خلال السنوات الماضية ، نلمس تعقداً وتشابكاً في أساليبها ، ورؤاها ، وهي تعكس مع الأجناس الأدبية التعبيرية الأخرى ، تعقد الواقع الاجتماعي والسياسي ، وغموضه وتناقضه . وفي هذا المقال يستعرض الكاتب ، بإيجاز ، بعض نماذج القصة القصيرة ، عبر مسيرة تطورها ، محدداً قسماتها الرئيسة ، وملامحها الفنية .

يصعب الحديث عن الكتابة القصصية في بلاد الشام بعد ١٩٦٧ ، دون الإشارة إلى تاريخ هذا النوع الأدبي الذي بدأ في التغير الجذري ، بعد هزيمة حزيران ، ليبدأ تاريخاً من التحولات النوعية في الشكل ، وعلاقات عناصره ، وكيفية النظر إلى العالم ، وكيفية إعادة تشكيله عبر سرده وحكاية أخباره . وعلى الرغم من أن الإرهاصات الأولى لتغير كيفية النظر إلى العالم كانت كامنة في الحقبة الزمنية السابقة على هذا التاريخ الذي حددته بدءاً لعملية التغير ، فإن الهزيمة ، وما أنتجته من التباس في فهم ما حدث وتغير في نظرة العربي إلى نفسه ، قد عملت على تفجير علاقة السرد والمتخيل بما يحكيه السرد ويجعله موضوعاً للتخيل . ولو القينا نظرة سريعة على القصة القصيرة في (سوريا ، ولبنان ، وفلسطين ، والأردن) ، قبل ١٩٦٧ ، لوجدنا أن التوجه نحو ترسيخ هذا النوع ، عبر سرد واقعي ، يحكي التفاصيل ، من منظور يشي بامتلاك فهم تفصيلي للواقع ، هو الهاجس الذي يحكم هذه الكتابة القصصية . إن قصص سميرة عزام ، وسعيد حورانية ، مثلاً ، تلتقي في بؤرة مركزية ، هي سرد تفاصيل الحياة اليومية ،

* ناقد أدبي من القطر العربي الأردني .

والبحث عن الأسباب الفعلية التي تقيم في أساس التناقضات الاجتماعية والسياسية . إن العالم بالنسبة لهذين القاصين (وكثيرين من جيلهما) يبدو مفهوماً على الرغم من تناقضاته وفواجعه . وعلى الرغم من أن هذين القاصين يعاصران ، في الحقبة الزمنية نفسها ، قصاصين تختلف في أعمالهم اللغة القصصية وطرق اختبار الأشياء ، ودرجة اليقين التي يواجهون بها العالم ، فإن نموذج الكتابة الواقعية ، المتمثل في عملي حورانية وسميرة عزام ، كان هو المهيمن ، وستبدأ عملية التغير والتطور في النوع تجاوزاً لهذا النموذج .

اللغة أداة لفهم الواقع :

في الحقبة نفسها كان قصاصون ، مثل غسان كنفاني ، وزكريا تامر ، وجبرا ابراهيم جبرا ، واميل حبيبي ، يجترحون لغة جديدة في الكتابة القصصية . كان السرد القصصي في عمل غسان كنفاني سؤالاً ملوعاً حول المصير ، وقد انعكس هذا السؤال على اللغة القصصية التي تتخذ من استعارة مركزية محوراً لها ، لقد دخلت القصة القصيرة حقل الشعر ، عن طريق تنمية الاستعارات والمجازات ، في سياق ما تحكيه من قصص . إن صوراً استعارية ، مثل البندقية التي تتحول إلى عصاً لا نفع فيها ، أو لحم الاسكافي الذي يلتصق بأحذية الرجل الغني ، تتحول لتصبح البؤرة التي يتمركز حولها معنى العمل القصصي كله . في السياق نفسه يعمل زكريا تامر على إعادة قارئه إلى مدينة الحلم ، إلى مدينة الطفولة والبراءة الأولى ، ليصدمه ، ويؤرق وجدانه ، حين يصور بشاعة اقتحام عناصر الدمار لهذا العالم الحلمي . وإذا كان كنفاني يحكي دائماً قصة واقعية ، نستطيع تلمس حوافها ، والقبض على تسلسل أحداثها ، فإن تامر يستعيض عن المادة الواقعية بإعادة تشكيل الأساطير والحكايات الشعبية « وأنسنة » الحيوان والنبات للتعبير بصورة موازية عن الواقع الضاغط الذي ينوء بثقله الإنسان العربي في حقبة الدخول في مرحلة الاستقلال ومرحلة النكبة الأولى عام ١٩٤٨م .

إن القصص المكتوبة بعد ١٩٦٧ لا تشكل انقطاعاً تاماً ونهائياً عن المرحلة السابقة ، فهناك دائماً حلقات اتصال ، ومراحل وسيطة ، وقصاصون تشكل أعمالهم إرهاصاً بالتحول . لكن القصص المكتوبة في الربع الأخير من هذا القرن تشكل انقطاعاً عن التيار العام للكتابات القصصية ، عن تلك الكتابة القصصية التي كانت تظن أنها تقبض على العالم والأشياء ، بينما كان العالم والأشياء يفلتان من بين أصابعها



● جبرا ابراهيم جبرا



● غسان كنفاني



● أميل حبيبي

المتشبثة بالفراغ . لقد كان قصاصون ، مثل جبرا ، وكنفاني ، وتامر ، واعين تماماً بأنَّ حلم اليقظة الذي عاشه الناس ، في حقبة الحلم القومي ، كان مهدداً بالانكشاف عن كابوس ، وهذا ما حدث فعلاً بوقوع هزيمة ١٩٦٧ . ومن هذه الكتابات القصصية المليئة بالتساؤلات والشكوك تولدت تجارب قصصية ، قُدِّر لها أن تؤثر تأثيراً عميقاً في مجرى تاريخ الكتابة القصصية في هذه الرقعة من الأرض العربية . في « دمشق الحرائق » ١٩٧٣ ، و « النمور في اليوم العاشر » ، يسجل زكريا تامر تتويجاً لتجربته القصصية التي تلتصق في هاتين المجموعتين بالشعر و « الفانتازيا » .

إن اللغة الشعرية « وأنسنة » كل شيء ـ النبات ، والحيوان ، والنهر ، والبحر ، والغيمة ـ ثم ترميز أدوات القمع وفاعلياته ، وتبيان بشاعة آثار القمع على الروح الإنسانية ، هي المعالم الأساس في تجربة زكريا تامر .

إن لغة الشعر المستعارة ، في قصص زكريا تامر ، تكشف عن تناقض تام بين اللغة ومخلوقاتها ، وبين الحلم والواقع الذي يحجبه هذا الحلم . ولقد أثر هذا الأسلوب عميقاً في التجارب القصصية الطالعة في بداية هذه الحقبة ، حتى أصبح لدينا تيار عريض من القصاصين ، نلمس في كتاباتهم ملامح القصة التامرية وأسلوب سردها . في قصص جمال أبو حمدان ـ وفخري قعوار ـ وهما من الأردن ـ ومحمود شقير ـ فلسطين ـ نشهد تأثيرات هذا الأسلوب ، باللجوء إلى لغة الشعر أو « الفانتازيا » ، وترميز أدوات القمع وفاعلياته ، لكتابة قصة تغادر بيت الواقعية المحتشد بالتفاصيل ، ونثر الحياة اليومية ، وتتجه إلى الفُسْحة التي يوفرها الشعر للتعبير عما هو أساس ومُمثّل ، ما هو أسطوري ، في الحياة الانسانية .

المقاومة تلتهم القصاصين :

لكن إذا كان زكريا تامر قد طور تجربته في الاتجاه الذي تحدثنا عنه سابقاً فإن غسان كنفاني ، مع اكتمال بدر المقاومة الفلسطينية ، وبلوغ الكفاح المسلح الفلسطيني أوجَه ، بعد الهزيمة مباشرة ، قد بدأ يكتب قصصاً شديدة الواقعية ، محتشدة بتفاصيل حياة المخيم وحياة المقاوم الفلسطيني . لقد انتهى غسان إلى كتابة نشيد الثورة الفلسطينية ، متأثراً بعمله السياسي اليومي ، ومشاركته الجسدية في هذه الثورة ، وصولاً إلى الاستشهاد عام ١٩٧٢ . وكان لهذا التحول أثره الكبير خاصة على الكتابة الفلسطينية ، حتى أن جيلاً من كتاب القصة الفلسطينيين يجد في عناية غسان كنفاني بأثر فعل المقاومة على الحياة اليومية للإنسان الفلسطيني في المنافي ملهما أساسا للكتابة القصصية في هذه الحقبة . إنَّ قصص يحيى يخلف ، ورشاد أبو شاور ، (وحتى توفيق فياض الذي كتب قصصه أو استوحاها من عيشه ومن حياته اليومية في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨) ، تصدر عن الاصطدام اليومي بعلاقة المقاومة بالشارع ، وتتشكل هذه القصص من محاولة شرح أثر فعل المقاومة على الإنسان الفلسطيني ، بإعطائه شحنة متجددة من الأمل الذي يمكنه من مواصلة العيش والالتصاق بالمقاومة . ولقد امتد هذا الأثر بالتأكيد إلى قصاصين آخرين (من الأردن وسوريا ولبنان) ، ليشكل عامل توليد لكتابة واقعية جديدة ، تجمع إلى لغة الشعر بعداً طوباوياً يرفده الفعل المقاوم .

إن قصص حيدر حيدر (سوريا) ، ومؤنس الرزاز (الأردن) ، مثلاً ، تكتب عن المقاومة الفلسطينية ، ونماذجها الإنسانية ، بوصفها الإشعاع الأخير في الظلام الزاحف الذي رآه القاص العربي قبل الهزيمة .

هكذا يتجاور أسلوبان في الكتابة القصصية في هذه المرحلة ، فيمتزج الشعر بالفانتازيا ، وتعود الكتابة الواقعية لتتصدر المشهد . ولقد ولّد اجتماع عوامل اليأس والرغبة في المقاومة هذا الانقسام في الحساسية القصصية ، مما جعلنا نشهد التجاء كاتب قصصي مثل غسان كنفاني إلى كتابة واقعية تبسيطية تشرح وتفسر ، وتعقد المقارنات بين الماضي والراهن ، بين التقاعس والانخراط في المقاومة ، وعلى الرغم من أن قصص كنفاني في « أم سعد » ، و « عن الرجال والبنادق » ، تحمل في أحشائها عناصر الرؤية الاستعارية للمعاش الفلسطيني فإن خط الواقعية الإيجابية قد نما في عمل كنفاني القصصي ، مؤثراً على حقبة بكاملها من الكتابة القصصية . في الوقت نفسه كانت القصة القصيرة تشهد تحولاً باتجاه كتابة ، يأخذ فيها البعد الشعري ، في العمل القصصي ، دوراً طاغياً ، حتى اختفت من بعض هذا الإنتاج القصصي ملامح السرد ، لتحل محل السرد تقنيات الكتابة الشعرية والصور والخيالات المجنحة ، لا لتصبح هذه العناصر المحسوبة على الإبداع الشعري ذات بعد وظيفي في العمل الشعري ، بل لتمحو كل ماله علاقة بالسرد وأدواته ووظائفه . وإذا نظرنا إلى هذه المرحلة من الكتابة القصصية استرجاعياً فسوف نفاجأ بأن القليل من هذه الكتابات قد صمد ، وأن العديد من الأسماء التي حولت القصة إلى نوع ملحق ببيت الشعر قد انطفأت وامّحى أثرها . لقد كان عمل زكريا تامر عملاً محسوباً بدقة بهذا الخصوص ، فالشعر لم يكن ليتعدى وظيفته في سياق السرد ، وكان حضوره ذا وظيفة محددة ، تتمثل في قابليته لإثارة التضاد في اللوحة التفصيلية للعمل القصصي . إن الشعر قد اجْتُلِبَ إلى حقل الكتابة القصصية ، ليُنْفَى ، وتُمْحَى فاعليته الحُلميَّة ، بفعل الحضور الطاغي لتفاصيل الحياة اليومية الشرسة القامعة المعادية لفعل الحياة نفسه . لم تكن استعارة وسائل الشعر وعناصره مقصودة لذاتها ، بل لوظيفتها ، وهذا ما لم ينتبه له كثيرون من كتاب القصة القصيرة في السبعينيات .

رؤى غائمة :

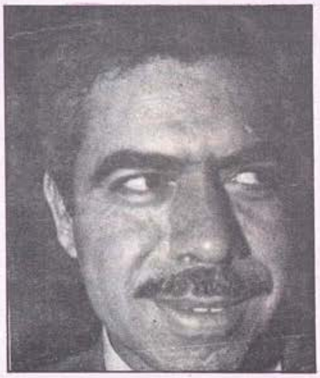
إن ما يسجل لهذه الحقبة التي تمتد إلى منتصف السبعينيات هو أن تحولات نوعية بارزة قد لحقت



● فخري قعوار



● رشاد أبو شاور



● يحيى خلف

منتدى الإبداع الأدبي العربي

بشكل الكتابة القصصية وتقنياتها وأسلوب معالجتها للواقع . لقد اتسمت مقاربة الواقع ، في هذه الفترة ، بتشكك وارتياب ظاهرين ، مما انعكس على أسلوب السرد ، وعلاقة السارد بما يسرده . في هذه المرحلة يتقلص الراوي الكلي العلم ، الراوي الذي يعلم كل شاردة وواردة في حياة شخصياته ودواخلهم ، ليحل محله راو ، لا يعرف إلا ما تشهده عيناه . لكن هذا الراوي الشاهد سرعان ما ينكفيء إلى داخله ، لعدم قدرته على تأويل ما يشهده . لقد أضحى العالم غير مفهوم ، مستغلقاً شديد الغرابة ، كيف إذن يمكن للقاص أن يواجه عالماً غريباً عنه ، عالماً معادياً إشكالياً معقداً ، بالكتابة القصصية ؟

هناك حلان تقدمها الحقبة التالية لمنتصف السبعينيات : إعادة إنتاج غموض العالم ، عبر محاكاة تناثره وانحلاله ، أو محاكاة هذا الواقع محاكاة ساخرة ، تشوهه أو تبالغ في رسم أبعاده بصورة كاريكاتورية ، مثيرة للضحك والإشفاق في الوقت نفسه . إن حيرة القاص وتشككه في الأشياء من حوله يدفعانه إما إلى ذهول وارتباك ، يعيد إنتاجه في أدواته القصصية ، في لغته وأسلوبه في الرواية عن الأشياء ، أو أنهما يدفعانه إلى ضحك أسود مرير . وهكذا تلتقي إعادة تصوير تشوش مظاهر الحياة اليومية لغوياً مع السخرية المرة ، في كون الأولى والثانية محاولتين لاحتمال العيش في عالم من العمى والخراب العميم .

في سياق إعادة إنتاج غموض الأشياء والعالم يكتب حيدر حيدر ، في بعض قصصه الأخيرة ، رؤية سديمية للأشياء والعلاقات ، إنه يصور الأشياء من خلال عدسة ، يلفها الضباب والغبار والغبش ، حتى تنقل لنا الكتابة القصصية صورة مشوشة غير شفافة للأحداث . إن الوضوح الذي نصادفه في الأعمال القصصية التقليدية يغيب هنا ، لصالح تقديم منظور ، تنقصه الشفافية ، بسبب عدم وضوح الرؤية ، من خلال وسط يلفه الضباب والغموض . بهذه الطريقة ينفذ القاص في العقد الأخير إلى تصوير حيرته ، أمام ما يحدث ، وعدم فهمه لما يجري . إن الوسط الذي ينظر القاص من خلاله شديد الأهمية هنا ، وما كان هذا الوسط ليلفت انتباه القاص العربي قبل هذه الفترة ، فلم يكن القاص من قبل بهذه الحصافة الفنية ، لكي ينقل رسالته من خلال استخدام عناصر السرد ، بوصفها جزءاً أساساً من عملية إنتاج المعنى . يلتقي إلياس خوري مع حيدر حيدر في استخدام عناصر السرد للإيحاء بمعنى أساس .

إن استخدام أكثر من راوٍ في « المبتدأ والخبر » ، وكذلك في أعماله الروائية والقصصية الأخرى ، يتيح للكاتب تقليب الحدث ، وعرضه من زوايا نظر متعددة . لكن هذه التقنية الأسلوبية تقوم بوظيفة أكثر أهمية في القصص ، لأن استخدام رواة متعددين يتسلحون بموضوعية زائفة يتيح تقديم صورة عبثية للحرب الأهلية اللبنانية ، كما تقدم هذه التقنية الأسلوبية عملاً ذا رؤية مشققة غائمة ، محيت فيها ملامح الأشخاص بصورة قصدية ، لتجلو لنا عبثية الحرب ، وطاقتها التدميرية ، وقدرتها على تخريب العلاقات الإنسانية ، وتحويل المجتمع إلى مستشفى للأمراض العقلية .

صورة معكوسة للواقع

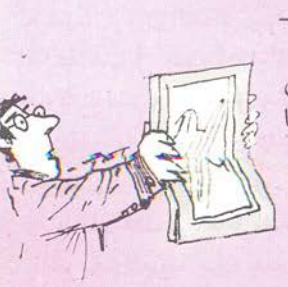
إن الوسيلة السابقة ، من وسائل تقديم تصور للعالم وأشيائه ، بتشويش عناصر العمل الفني ،

لكي يشبه في بنيته بنية الواقع ، توضح لنا كيف أن العناصر الشكلية التي كان القاص التقليدي يظن أنها زخرفية الطابع ، ذات وظيفة تزيينية جوهرية ، من أجل إنتاج معنى العمل القصصي ، بدونها يستحيل أن نصل إلى دلالة العمل القصصي . بالمقابل فإن المحاكاة الساخرة للواقع تنتج أيضاً صورة كاريكاتورية له ، وتؤشر إلى عدم التناسب بين أجزائه . ليست هذه الوسيلة الأخيرة جديدة طبعاً ، فهي تعود إلى عصور نضوج فن (الشعر والنثر) ، ولكن إعادة استخدامها ، بتطعيمها ببعد شعري ، تخلق تضاداً ، ليس بين عناصر المشهد غير المتناسبة فقط ، بل بين هذه العناصر من جهة ، والمعنى الذي يراد التشديد عليه من جهة أخرى . إن عمل محمود الريماوي القصصي ، على سبيل المثال ، يتلاعب بعلاقات الأشياء ونسبها ، ويقلب سلم القيم رأساً على عقب ، حتى تحتل صغائر الأشياء سلم الهرم القيمي ، وتُحطُّ القيم « الكبيرة » في أسفل هرم القيم . بهذا المعنى يصبح تحطيم العالم القائم ، وإعادة صياغته عبر النظر إلى عناصره من خلال عدسة تشوه أجزاءه ، وسيلة للكشف عن عدم اتساقه على صعيد الواقع ، وعدم تناسب عناصره . إن التشويه الذي يبديه لنا الفن ما هو إلا الصورة الفعلية المعكوسة للواقع نفسه . ومن هنا يصبح القاص العربي المعاصر الذي أنتج قصصه في حقبة خمس عشرة سنة الأخيرة أكثر واقعية من القصاصين الذين درجنا على اضفاء الواقعية على قصصهم .

لا شك أن هذه التحولات النوعية في حقل الكتابة القصصية ، بدءاً من طريقة الرواة في تقديم الأحداث ، مروراً باللغة المستخدمة في القص ، وانتهاء بالوسط المستخدم لتقديم السرد من خلاله ، هي نتاج للظروف الواقعية الشديدة القتامة التي بدأت تطبق على المشهد العربي منذ منتصف السبعينيات .

فلقد ولَّد التقهقر السياسي ، والهزائم المتلاحقة ، وازدياد العزلة الإقليمية ، وتكريس هذه الإقليمية على مستوى المؤسسة والمشاعر الشعبية ، نوعاً من الوعي الشقي الذي استطاع أن يتحسس الظرف الراهن بكل معطياته الكئيبة . وأدى ذلك إلى ازدياد الخيبة لدى المبدع العربي ، وهو يشهد انهيار الأحلام القومية الكبيرة ، وهي تتحطم على صخرة الممارسات اليومية الصغيرة . وقد ولَّدت جهامة الواقع وبؤسه أدباً قصصياً قاتماً ، ينضح بالتأزم والمرارة . وليست القصة في أقطار بلاد الشام فريدة في ذلك ، كما أن النوع القصصي ليس وحيداً في هذا المضمار ، فلو قرأنا الرواية ، أو الشعر ، أو حتى النقد ، لوجدنا أن الأزمة نفسها تعيد إنتاج ذاتها في الأنواع الأدبية جميعها . □

بيكاسو والكرم :



●حصل أحد التجار من الذين كانوا يتشوقون إلى الحصول على لوحة بتوقيع بيكاسو على فرصة لزيارته ، وراح التاجر يشيد بكل ما تقع عليه عيناه ، ظنا منه أن يحمل بيكاسو بذلك على الكرم ، ، وأخيرا وقعت عيناه على رسم ملقى في سلة المهملات ، فتناوله وقال : سيدي بيكاسو ، ماثمن هذه اللوحة ؟ فأجابه : إنها لك كعربون للصداقة ب ١٢,٥٠٠ جنيه استرليني !



منتدى العربي

قضية

المسائل الأساسيّة في قضيّة الوحدة العربيّة

بقلم : الدكتور عبد المالك التميمي

التاريخ علم المتغيرات ، فهل المتغيرات والتجارب التي مرت بها قضية الوحدة العربية أدخلت الجديد عليها ، وجعلتها أقرب إلى التحقيق ؟ وما المسائل الأساس في هذه القضية المهمة في حياة العرب ؟

تزايدت في الفترة الأخيرة الكتابات حول قضية الوحدة العربية . وتفسير العودة للاهتمام بالوحدة يرجع إلى أن الأمة العربية قد اكتشفت ، أو لنقل : إن المثقفين العرب قد اكتشفوا بأن سبب ضعف الأمة وتخلفها وتشتيت جهودها وهدر طاقاتها يعود إلى حالة التجزئة التي تعيشها ، وأن التفكير بهذه القضية والكتابة المكثفة عنها في الصحافة والدوريات يدل على أن محاولات تشويه فكرة الوحدة والتعتيم عليها ، أو حتى تغييبها ، من قوى عديدة معادية لها قد فشلت .

الملاحظ عند تأمل الكتابات هذه الأيام عن الوحدة العربية بأن هذه الكتابات تختلف عن تلك التي كانت تكتب في الماضي ، لأن كتابات اليوم عن هذه القضية تغلب عليها المعالجة العقلانية ، على عكس الطرح العاطفي الذي كان يغلب على الخطاب القومي العربي الوحدوي ، في الخمسينيات والستينيات .

إن الدوافع الحقيقية للتفكير في الوحدة تنبع من خصائص الأمة ، وعوامل وضرورات يفرضها الأمن القومي العربي ، والمصلحة المشتركة ، والتنمية الاجتماعية والاقتصادية لبناء المجتمع العربي المتحضر المتقدم .

فما المسائل الأساس في قضية الوحدة العربية التي يجب أن تشغل فكر المثقفين الوحدويين العرب في هذه المرحلة التاريخية ؟

المسألة الأولى : الأساس في هذه القضية هي أن الفكر العربي لم يتكون على أساس وحدوي

حتى الآن ، على الرغم من الجهود التي بذلت في هـذا الاتجاه ، فلن يستطيع السياسيون إقامة وحدة عربية ، أو نموذج لها ، ما لم يخض المثقفون العرب الوحدويون معركة تأسيس الفكر العربي ، على أساس وحدوي . لكن ذلك يشترط الربط العضوي بين الفكر والممارسة على أرض الواقع ، لبناء الوقائع التي تؤدي ـ مهما طال الزمن ـ إلى تحقيق ذلك الهدف القومي .

ولا نبالغ أو نتجنى إذا قلنا : إن المثقفين العرب بعامة ، على الرغم من الأحداث الجسام التي مرت وتمر بالأمة العربية ، ما يزالون يلهثون وراء الأحداث ، فبعد وقوع الحدث يبدؤون في نقده وتقييمه ، وهذه الحالة تعطل تقدمنا خطوات باتجاه الوحدة ، على الرغم من إقرارنا بأهمية ذلك النقد والتقييم في حياتنا السياسية والثقافية ، فالدعوة الملحة اليوم هي إعادة تأسيس الفكر العربي ، على أساس وحدوي ، ليس في إطاره النظري فحسب ، ولكن أيضاً في الممارسة العملية التي تعطي لذلك الفكر معنى جديداً ، يحفر الطريق الثابت القومي نحو الوحدة العربية . أما كيف يكون ذلك فهذه مسألة بحاجة إلى تفكير ومناقشة في المستقبل .

بين الوحدة والتضامن :

المسألة الثانية : في قضية الوحدة العربية هي : « القطرية » .

لقد عمل الاستعمار على تجزئة الوطن العربي جغرافياً ، وبذل جهوداً كبيرة ، لإحداث تجزئة اجتماعية وثقافية في هذه الأمة ، ونجح في ذلك .

وكان التحدي الكبير لذلك المشروع الاستعماري هو النضال الوطني والقومي في مرحلة ما بين الحربين العالميتين ، من أجل تحقيق الاستقلال الوطني ، وتحقيق الوحدة العربية ، وقد تحقق استقلال الأقطار العربية ، ولم تتحقق الوحدة العربية . فلماذا لم يتم ذلك ؟

لقد أقيمت أنظمة وطنية في هذه الأقطار ، بعد رحيل الاستعمار ، ولكن الاستعمار القديم والجديد استطاعا فرض التبعية ، واستنزاف الجهود والطاقات والثروات ، في تلك الأقطار المستقلة . ثم بدأت الدولة القطرية تترسخ تدريجياً من خلال شعارات الاستقلال والوحدة وتحرير فلسطين ، وساعد على ذلك اختلاف التوجهات للأنظمة العربية وصراع بعضها مع بعض . ثم جاء النفط ليكون عاملاً إضافياً ، يجعل أقطاره تتقدم مادياً ، وتبقى متخلفة ثقافياً واجتماعياً ، كما جعل النفط هذه الأقطار تتشبث أكثر بقطريتها ، وأصبحت الأقطار الأخرى غير النفطية لها مبرراتها الخاصة بها في التشبث في قطريتها وترسيخها ، كما أصبح لكل قطر عربي (ثقافته) ، وتوجهاته التي قد تتعارض مع توجهات قطر أو أقطار عربية أخرى . وتغيرت الشعارات بين الحين والآخر من الوحدة إلى الاتحاد ، إلى التضامن ، إلى التعاون . واعتقد بعضهم أن بناء النموذج الوطني القوي هو الأساس ، لتحقيق الأهداف القومية ، وعلى رأسها الوحدة العربية ، وتحرير فلسطين . لكن واقع الحال أكد بأن الزمن كان يمر ، وطالت فترة بناء النموذج ، ولم يتحقق البناء المنشود ، فتأرجح وتعطل بفعل عوامل عديدة ، داخلية وخارجية ، وشيئاً فشيئاً استمرت الدولة القطرية ، وترسخت بأجهزتها وحدودها واقتصادها وجيشها وثقافتها ، وفي المقابل ابتعدت الوحدة العربية شيئاً فشيئاً فكرة وتطبيقاً . ولم تعد المسألة اليوم عندما نتكلم عن التجزئة بأنها من فعل الاستعمار فقط ، وإنما أسهم العرب أنفسهم أيضاً في ترسيخها واستمرارها .

المسألة الثالثة : في قضية الوحدة العربية هي فشل تجارب الوحدة العربية . ولا بد من معرفة الأسباب الحقيقية لذلك الفشل ، فقد فشلت على مستوى التضامن من خلال الجامعة

العربية ، وفشلت اندماجاً من خلال الوحدة المصرية السورية ، وفشلت اتحاداً فيدرالياً من خلال الاتحاد الثلاثي لمصر وسوريا والعراق . أما التنسيق بين قطرين عربيين أو أكثر فإنه كان يغلب عليه « التكتيك » ، وينتهي أحياناً قبل أن يبدأ .

أسهم فشل هذه التجارب الوحدوية العربية في خلق روح الإحباط وضعف الشعور بالوحدة ، والأسباب تاريخية وسياسية وثقافية . إن المأساة قد وصلت حداً حارب فيه العربي أخاه العربي ، في أكثر من ساحة عربية ، كما أن التطبيق الخاطيء للتجارب الوحدوية لم يقنع المواطن العربي بأنها حالة أفضل من القطرية ، أو أنها يمكن أن تحقق أهداف العرب الأساس في الديمقراطية والبناء الاجتماعي . إن أقطاراً عربية محددة ، لها وزنها الاستراتيجي ، يجب أن تكون محور الوحدة وعمودها الفقري ، مثل : مصر وسوريا والعراق ، وذلك بطبيعة الحال لا يقلل من أهمية الأقطار الأخرى عند معالجة هذه القضية .

لقد بذلت القوى المعادية للوحدة العربية في الداخل والخارج جهوداً كبيرة ، لخلق حالة معادية للوحدة العربية ، ولتأكيد الإقليمية تحت ستار الوطنية وترسيخها ، وكانت النتيجة تأكيد التجزئة وترسيخها على أساس جغرافي وعرقي وطائفي وعشائري ، وأن زوال أسباب التجزئة هو الطريق السليم لتحقيق الوحدة .

قراءة التاريخ من جديد :

وبإلقاء نظرة على تجارب التاريخ الإنساني ، في قضية الوحدة عبر العصور المختلفة ، نرى أن الوحدة قامت على أساسين : الأول : إقامة الوحدة بالقوة العسكرية . والثاني : إقامة الوحدة على أساس أيديولوجيات حركات التوحيد . فالوحدة الألمانية ، والوحدة الإيطالية ، وغيرهما قد قامت على القوة . أما وحدة ليبيا والسودان والمملكة السعودية فقد قامت على أساس أيديولوجية الحركة السنوسية ، والحركة المهدية والحركة الوهابية ، وقبل ذلك كله فالوحدة التي أقامها العرب والمسلمون بعد الفتوحات العربية الإسلامية قامت على الأساسين المذكورين معاً : الايديولوجية والقوة . وإذا قلنا : إن الطريق أمام الوحدة العربية لا بد أن يبنى على الأيديولوجية والقوة ، فعلينا أن ندرك أن الظروف القائمة اليوم مختلفة ، وأن هناك صعوبة حقيقية لتطبيق ذلك نظراً لتعدد الأيديولوجيات ، وتقدم التقنية المعاصرة ، وهيمنة القوى العظمى في العالم ، وإقامة الدولة القطرية الراسخة ، وعدم وضوح الفكر العربي وتأسيسه وحدوياً .

إن هناك صعوبات حقيقية تعترض تحقيق الوحدة العربية ، لكنها ليست مستحيلة ، لذا فإن الحاجة ماسة إلى إعادة قراءة التاريخ العربي ، لاكتشاف عناصر القوة والتوحيد في الأمة العربية ، حتى يبدأ المشروع الوحدوي من جديد . وإذا كانت تجارب الوحدة قد فشلت فإن تلك التجارب قد علمتنا الكثير ، ودراستها ستخدم بدون شك أي تجربة وحدوية عربية في المستقبل .

المسألة الرابعة : في قضية الوحدة ، هي الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المناسبة لبنائها ، والأدوات التي توصل إليها ، وتحافظ عليها ، فأي أيديولوجية تقوم على أساسها الوحدة لا تحتوي مضموناً اجتماعياً



واقتصادياً وسياسياً ، يعبر عن مصالح قطاعات المجتمع وطبقاته الأساس في الأقطار العربية ، ستكون فاشلة ، ولن تعمر طويلاً ، كما أن الأيديولوجية الناجحة هي التي تهدف الى هدم البنى السياسية والاجتماعية المعيقة للوحدة ، ولكنها في الوقت نفسه ينبغي أن تتمتع بالوعي والنضوج الذي يحافظ على كل ما هو إيجابي وحضاري في حياة شعبنا العربي .

المسألة الخامسة : هي التنظيم المؤسسي . كان التنظيم السياسي وما يزال مسألة مهمة في رحلة الوحدويين العرب ، منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، ولا تفتقر الساحة العربية ، في الماضي والحاضر ، إلى التجارب التنظيمية ، بيد أن نقد تلك التجارب ، والانطلاق إلى واقع تنظيمي أفضل ، هو السبيل إلى إيجاد الوسائل والأدوات التي توصل الى الوحدة بوعي تاريخي مستفيد من الماضي ، ومدرك لطبيعة مشكلات الحاضر ، يملك تصوراً مستقبلياً واضحاً ، مبنياً على أساس فهم علمي كامل للماضي والحاضر .

المسألة السادسة : هي « العقلانية » . لقد حفل النضال العربي الوحدوي ، خلال نصف قرن ، بالغموض الفكري ، وسيطرة العاطفة . فمرحلة ما بين الحربين العالميتين ساد فيها الفكر السياسي الوطني المطالب بالاستقلال وتوحيد العرب ، في الوقت الذي كانت تنتشر فيه السلفية والعلمانية ، ثم جاءت فترة ما بعد الاستقلال ، ليسود الحماس باتجاه الوحدة ، فتظهر (اسرائيل) عقبة أساس في طريقها ، وندخل عصر الاستعمار الجديد الذي فرض التبعية السياسية والاقتصادية ، وترسخت القطرية ، ونمت أيديولوجيات غير محددة وغير مبلورة ، من البحث عن نظرية قومية عربية ، إلى الماركسية ، إلى الفكر الديني . وحدث غياب وتغيب كامل ، كما أحدثت النكسات فعلها السلبي في واقع الأمة ، وبخاصة هزيمة العرب عام ١٩٦٧ .

إلى أن وجدنا أنفسنا اليوم في واقع ضعيف ومتناحر ومشتت ، يبحث عن طريق للخلاص ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بعقلنة الفكر العربي ، كي يتمكن العرب من الاقتراب أكثر من الوحدة العربية ، تطبيقاً يملك ضمانات الاستمرار ، ويتجنب الانتكاسات ، ويحشد الطاقات الإيجابية في هذه الأمة ، للبناء الحضاري . وقبل الشروع في ذلك تشكل قضية فلسطين وتحريرها التحدي الحقيقي للوجود العربي ولوحدة العرب مستقبلاً .

ضعف وقوة :

المسألة السابعة : قضية فلسطين . لقد كانت قضية فلسطين ، منذ بدايتها حتى اليوم ، عاملاً أساساً مهماً في ضعف العرب وقوتهم في آن واحد ، فالمؤامرة على فلسطين التي بدأت قبيل الحرب العالمية الأولى وفي أثنائها ، واستمرت حتى قيام الكيان الصهيوني ، كانت عاملاً مهماً موجهاً ضد وحدة العرب ، فقرار اللجنة البريطانية في الشرق الأوسط عام ١٩٠٥ قال : « لا بد من إقامة حاجز بشري غريب ، يفصل الجزء الآسيوي عن الإفريقي في هذه المنطقة » ، وقد كان وما يزال موضوع تحرير فلسطين ، قضية العرب الأولى منذ اغتصاب هذا الجزء العزيز من الوطن العربي ، القضية التي توحد نضالهم . وقد كانت وما تزال أيضاً مسألة تحرير فلسطين حتى تتحقق الوحدة العربية ، أو تحقيق الوحدة العربية لتحرير فلسطين مسألة جدلية ، والتجارب التاريخية قد علمتنا بأن الوحدة هي الطريق إلى التحرير ، فهكذا فعل صلاح الدين الأيوبي قبل عدة قرون . ولكن ، بقدر ما يجب أن نستفيد من التجارب التاريخية ، علينا أن نستوعب المستجدات والمتغيرات المهمة الخطيرة في تاريخنا المعاصر ، ونفهم جيداً بأن التاريخ علم المتغيرات ، فقد تكون مسألة تحرير فلسطين هي الطريق إلى تحرير الإنسان العربي ووحدة الوطن العربي . □



منتدى العربي

تعقيب

تغيير ملكية القطاع العام ظاهرة تنتشر

أثار الدكتور سلطان أبو علي في مقالته الجديرة بالتأمل ، في مجلة « العربي » العدد ٣٧٣ ديسمبر ١٩٨٩ ، طائفة من الآراء التي قد تبدو في الوهلة الأولى كأنها دقات نواقيس عالية الرنين ، وهي آراء بحاجة للمناقشة والتمحيص .

ركيزة للتنمية

وبغض النظر عن الإبقاء على القطاع العام كإحدى أدوات التنمية في الاقتصاد الذي يعتنق فلسفة التخطيط المركزي ، أو إعادة هيكلته ، على نحو يرفع عنه وزره الذي أنقض ظهره ، فإن القضية برمتها ينبغي ألا تطرح على هذا النحو الذي يختزل كل مكونات التحديات القائمة في صيغة (إما . . أو) ، لأن آليات القطاع العام في أي قطر هي في حقيقة الأمر انعكاس دقيق لمجمل آليات الاقتصاد الذي اعتمد على القطاع العام ، لتكون أدوات لتحقيق خطط التنمية ، ووضع على كاهلها العبء الأكبر في عمليات التراكم الرأسمالي بشقيه العيني والمالي .

ولا بد في هذا الصدد من الحيلولة دون حدوث تضاربات ما بين تقويم عمليات القطاع العام ونتائجه ، وإصدار الأحكام عليها ، وأن لا ندع مرج البحرين يلتقيان بخلط السياسات والنظم الإدارية كإطار تعمل من خلاله هذه القطاعات والكفاءات والكفايات الإدارية والتنظيمية التي تتوافر على ملء هذا الإطار بمستويات أداء ، تظل مهما عظمت آفاق مطامحها رهينة هذه الأطر التي فرضت عليها ، دون مراعاة للتغيرات . ومن مصاعب مثل هذه الحالة توزع فلسفة القطاع العام ما بين الاشتراطات الاقتصادية الواجبة لإدارة وحدات هذا القطاع ، واعتبارات العدالة والاستقرار الاجتماعيين التي تقاطعت وتداخلت في نسيج الأهداف التي أنيط بالقطاعات العامة تحقيقها .

لقد كان يبدو مبدئيا أن هناك إمكانات تنطوي على قوى دفع هائلة ، سوف تتولد بصورة تلقائية من تحقيق الاستقرار الاجتماعي ، والتشغيل الكامل للقوى العاملة القادرة على العمل والراغبة فيه ، تفضي بدورها إلى تحسين شروط تطور القطاع العام ، بحسبان أن وضع استراتيجية شاملة لتنمية الاقتصادات الجزئية ، يعد مرادفا لتنمية الاقتصاد الكلي ، بيد أن الإطار الاجتماعي الذي نتج عن هذه القطاعات وأحاط بها قد خلق أنساقا من المشكلات العنقودية ، باعدت ما بين حقيقة المفهوم الاقتصادي لتنمية المجتمع ، والمفهوم الاجتماعي لتنمية الاقتصاد ، وتأسيسا على ذلك اتسعت الفجوة ما بين قدرة المجتمع على استغلال قواه العاملة في تركيم الفوائض ، من خلال الدخول والمدخرات ، لتكوين قواعد من الطاقات الانتاجية ، وإمكانات كفالة الاقتصاد ، لديمومة رفع مستوى المعيشة ، وتحسين ظروف الحياة ، وصولا إلى الرفاه الاجتماعي .

وفي غيبة التنمية الادارية للقوى العاملة، والهياكل التنظيمية والتقنية، تكشفت الأمور عن إيجاد تشوهات في أجهزة إدارة التنمية وأساليبها، مما أحدث بدوره اختلالات واعتلالات في العمليات التنموية، لا يمكن التهوين من شأنها، يتوازى مع ذلك في الأهمية أن نعرف أن الإخفاقات التي اكتنفت عددا لا بأس به من وحدات القطاع العام، يمكن رصد مثقالها من الإخفاقات التي أحاقت بوحدات عديدة من القطاع الخاص، ذلك أن التشابكات القطاعية والتكاملات الأفقية والرأسية في كلا القطاعين لم تحظ بوجود الأسس المحفزة لذلك، فضلا عن أن غياب التنسيق والتضافر حال دون إدراك أن التنمية في حد ذاتها وسيلة للوصول إلى النمو الاقتصادي، وأن النمو الاقتصادي بدوره بمثابة أداة لتحقيق مستوى أفضل من المعيشة، ودرجات أرقى للحياة، وأن ترقية مستويات المعيشة والحياة، بمنزلة زخم للحفاظ على دفع دواليب التنمية والنمو إلى أعلى التل، لكي لا تنحدر عربة التقدم والتطور إلى السفح، ثم إلى الحضيض.

ليست مفاضلة

بيت القصيد إذن ليس في المفاضلة ما بين (خصخصة الاقتصاد) أو (عمعمته)، وإنما في توفير اشتراطات التوازن ما أمكن في ربط غايات مجمل عمليات التنمية، بمرتكزات تخطيطية وتنفيذية، توائم مواءمة فعالة ما بين متطلبات الجهود الانمائية، وامكانات المجتمع وموارده، سواء أكان ذلك من خلال قطاع عام، يقوم بمهام الريادة، أم قطاع خاص يحمل مسئوليات القيادة، أم من خلال سبيكة تجمع ما بينهما في بنية اقتصادية، تسمح لهما بالتجاور، والتحاور، والعمل معا، دون إخلال بمعادلات التطور المأمون وصيغه تحت مظلة اقتصاد كلي واحد.

ومع ذلك يبقى التساؤل الجوهري الذي يشكل لب القضية المنظورة في الآونة الراهنة، وهو: هل للقطاعات العامة بمالها وما عليها، مستقبل في الأقطار العربية؟ وهذا السؤال بدوره عسى أن يفتح الأبواب لسؤال آخر، فحواه: إلى أي مدى سوف تبقى القطاعات العامة في الأقطار العربية بمعزل عن التحورات والتحولات التي تجتاح العالم من كل أركانه؟ إن طرح التساؤلات في أحيان كثيرة تبدو أسهل بكثير من الإجابة عنها.

ولعلي أتفق مع خاتمة الدكتور سلطان، في المبدأ، وإن كنت أخالفه في التطبيق، فهو يذهب إلى أن (تمليك القطاع العام لأفراد الشعب، أصبح ظاهرة متزايدة، ونتوقع أن يتعاظم تطبيقها في المستقبل في كثير من البلدان)، هذا التوقع هو مثار الخلاف. صحيح أن على القطاعات العامة، في الجزائر ومصر والعراق أن تخلص نفسها من ورطة الكم أو عقدته، بالإصرار على تملك وحدات اقتصادية، تتوافر لها مستويات نوعية، وتتمتع باقتصاد الأحجام الكبيرة ذات الوفورات، وإذا كان القطاع الخاص - كما يقال - يملك الكفاءة، والقطاع العام يحوز القدرة، فلماذا لا نصنع مزيجا جيدا من هاتين الميزتين؟ وأن نجعل من هاتين (المنظومتين) ركيزتين في (نظام) الاقتصاد الكلي الذي بوسعه قيادة عمليات التنمية الشاملة، ويحمل عبء النمو الاقتصادي بجدارة القدرة والكفاءة؟ سؤال لا نضعه في ختام مقالنا كمحطة وصول أخيرة، وإنما نفتح به آفاقا للتأمل والحوار. □

سمير معوض

● سأتوقف عن الموت إذا طرأت لي كذبة أو قول لاذع.

«فولتير»

الجديد في العلم والطب

إعداد : يوسف زعبلاوي

ثورة في جراحة زراعة الأعضاء

تجرى عمليات زرع الأعضاء لحوالي (١٢٠٠٠) مريض سنويا في الولايات المتحدة وحدها ، ولا مفر للمرضى إذا هم أرادوا النجاح لعملياتهم من تناول عقار سايكلوسبورين يوميا دون كلل أو ملل ، فمن شأن هذا المستحضر أن يحول بين أجهزة المناعة عند المرضى وبين الأعضاء المزروعة ، فيمنعها عن مهاجمتها ، ولكن العقار المذكور أبعد ما يكون عن الكمال ، فهو لايجدي نفعا في أكثر من ٣٠٪ من حالات زرع الكبد ؛ فأجهزة المناعة في أجسام المرضى لا تتقبل الكبد الجديد على الرغم من أنهم يتناولون الجرعة اليومية من سايكلوسبورين بكل أمانة وانتظام ، أضف إلى ذلك أن للمستحضر المذكور آثارا جانبية ، لعلها أخطر من العلة الأصلية التي يستهدف المستحضر معالجتها ، فالذين يتناولونه معرضون لاحتمال الإصابة بمرض القلب وبالسرطان . وشاءت الأقدار أن يكتشف العلم عقارا آخر ، أقوى فاعلية من سايكلوسبورين ، وأقل خطرا ، اكتشفه الدكتور توماس ستارزل ، أحد الباحثين الذين كان لهم فضل الريادة في استعمال المستحضر القديم ، ويعمل في مركز زراعة الأعضاء ، في جامعة بتسبورغ .

وليس للعقار الجديد اسم يعرف به حتى الآن ، فهم يسمونه (FK-506) ، وهو رقم الأرشيف الذي يحمله العقار .

لقد تناول هذا المستحضر أكثر من ١٠٠ مريض طوال ٨ شهور ؛ وتناول المستحضر القديم (سيكلوسبورين) بالمقابل عدد مماثل من المرضى مدة مماثلة (٨ شهور) ، وكانت النتيجة أن عدد الذين عانوا من ظاهرة رفض الأعضاء من الفئة الثانية بلغ ٦ أضعاف نظرائهم من الفئة الأولى ، أما الآثار الجانبية التي تعرض لها أفراد الفئة الأولى فكانت معدومة تقريبا .

لاعجب إذن أن علقت وكالة الغذاء والدواء على المستحضر الجديد ، بأنه مثير حقا ، ويبعث على العجب ، وقد صرحت بهذا التعليق لدى مباشرتها الأبحاث والتجارب التي تجريها بقصد تقييم العقار ، وإقراره في مستقبل قريب .

ولكن كيف يعمل العقار الجديد ؟ وماتأثيره على جهاز المناعة عند المريض ؟ لاشيء أكثر من الحيلولة دون تكاثر بعض خلايا الدم البيضاء أو تفاقمها ، ويرى كثير من العلماء الباحثين أن اكتشافات FK-506 إنما هو بمثابة مؤشر لثورة ستجتاح جراحة زراعة الأعضاء في مستقبل قريب .



بقي أن نذكر أن المستحضر الجديد ياباني ، مستخلص من فطريات ، عثر عليها العلماء اليابانيون في تربة بلادهم ، ولم يعلم العالم الأمريكي الدكتور ستارزل عن هذا المستحضر شيئا قبل اجتماع هلسنكي الذي عقد سنة ١٩٨٦ ، وقد عرفه علماء آخرون غير ستارزل ، ولربما قبله أيضا ، ولكنهم أسقطوه من حسابهم نظرا للنزف الذي أحدثه المستحضر في الكلاب التى جرب المستحضر عليها ، ولم يجارهم في ذلك ستارزل ، لاعتقاده بأن النزف كان وقفا على الكلاب ، وقد ثبت له ذلك بالتجارب العديدة التي أجراها على حيوانات أخرى عديدة ، شملت الفئران وقرود البابون .

ثم جاءت مرحلة تجربة المستحضر على الإنسان ، وأصاب المستحضر نجاحا كبيرا في هذه التجارب ، حتى بلغ الذروة في شهر فبراير (١٩٨٩) حين جرب مستحضر FK-506 على السكرتيرة روبين فورد البالغة من العمر ٢٦ عاما ، فقد فشلت عمليتا زرع الكبد اللتان أجريتا للفتاة ، وكان سبب الفشل رفض جسمها للكبد المزروع في كلتا العمليتين ، وأجريت لها عملية ثالثة أخرى ، وساد الاعتقاد بأن جسمها سيرفض ، لكنه تقبل الكبد الجديد لأنها تناولت المستحضر الجديد ، وشفيت تماما كما يؤكد الجراحون والأطباء المعنيون بعد أسبوعين من تناول عقار FK-506 .

□□□

مرض الايدز وآخر الاحصاءات

مازال مرض الايدز ماضيا في الانتشار والتفاقم ، وقد بلغ مجموع حالات الايدز في العالم ، حسب إحصاءات منظمة الصحة العالمية الصادرة في شهر ديسمبر ١٩٨٩ ، مايقارب ٢٠٠,٠٠٠ حالة ، والمقصود هنا المجموع الاجمالي منذ اكتشاف المرض . وقد بلغ مجموع الضحايا الذين فتك بهم هذا المرض ، حتى نهاية شهر نوفمبر ١٩٨٩ ، مايزيد عن (١١٠٠٠) مصاب .

وقد بلغ نصيب الولايات المتحدة من الإصابات بالايدز مانسبته ٥٦٪ من المجموع الإجمالي (١١٠,٣٣٣ إصابة) . وجاءت فرنسا في الدرجة الثانية ، وتلتها البرازيل ، وقد بلغت حصة كل منهما (٨٠٢٥) إصابة ، و (٧٧٨٧) إصابة على التوالي .

واستأثرت برمودا بالمرتبة الأولى من حيث الإصابات بمرض الايدز بالنسبة إلى عدد السكان ، وقد بلغت نسبتها هذه (٤٩,١) إصابة لكل ١٠٠,٠٠٠ من السكان . وقل مثل ذلك في الباهاما ، المصيف المحبب الثاني ، وقد بلغت نسبة الإصابات فيها ٣٨ إصابة لكل ١٠٠,٠٠٠ من مجموع السكان ، ومعنى هذا أن الولايات المتحدة في نعيم نسبي ، فعلى كثرة الإصابات بمرض الايدز فيها ، فإن نسبة تلك الإصابات لاتزيد عن (١٢) إصابة فقط لكل ١٠٠,٠٠٠ من عدد السكان .

بقي أن نذكر أن الإصابات التي تتحدث عنها إحصاءات المنظمة العالمية ، إنما هي إصابات بمرض الايدز الفعلي لا الكامن . □

سلامة البشرية في سلامة البيئة

التلوث يحطم الأرقام القياسية في هولندا

● اشتهرت هولندة على مدى السنين بكثافة سكانية ، تفوق كثافة أمريكا بنحو ١٤ مرة (مجموع سكانها = ١٤,٧ مليون نسمة) ، واشتهرت أيضا بوجود أكبر عدد من السيارات فيها ، نسبة إلى مساحتها . وتميز المزارعون الهولنديون كذلك بإقبالهم على استعمال الأسمدة الكيماوية ، وتفوقوا في زراعة زهور التيوليب التي يصدرونها إلى كل أنحاء العالم . أضف إلى ذلك استهلاك الطاقة ، فحصة الفرد الواحد ، من سكان هولندة تفوق حصة أي فرد أوربي آخر في استهلاك الطاقة الأحفورية ، ولاننس أن هولندة كانت ومازالت كذلك البلد الوحيد الذي قهر أمواج البحر ، وحملها على الانحسار ، وكادت تلك الأمواج أن تغرق البلاد الواطئة وتغمرها ، وإذا بها تتراجع وتترك للهولنديين أرضا يابسة إضافية جديدة ، تضاعف مساحة البلاد بنسبة لايستهان بها ، وتضاعف أراضيها الزراعية ، وحدائقها الغناء .



لكن لهولندة وجها آخر ، لم نكد نعرف عنه شيئا قبل شهور معدودة ، فعدد الأبقار والخنازير فيها يفوق عدد البشر ، ومعنى هذا أن الزبل فيها كثير ، يفيض عن الحاجة ، وقد لاتتحمله التربة الهشة ، وقل مثل ذلك في صناعاتها المكثفة ، والنفايات السامة المتراكمة التي تلفظها تلك الصناعات يوما بعد يوم ، وسنة بعد سنة . والأسوأ من هذا وذاك هو أن موقع هولندة الجغرافي يحتم عليها أن تكون بحكم المزبلة لجاراتها ، إذ يصب فيها ثلاثة أنهار في وقت واحد : نهر الراين ، ونهر الموبز ، ونهر شلد . ولو ذكرنا أن هذه الأنهار كلها - وبخاصة الراين - مثقلة بالنفايات الصناعية الضارة السامة التي تلقيها في مياهها المصانع الكثيرة المتناثرة على ضفافها ، لأدركنا المقصود بقولهم : إن هولندة أصبحت بحكم خزان زيت المحرك لجاراتها : ألمانيا وبلجيكا ولوكسمبورغ ، وغيرها ، فهذا التلوث البحري هو المصدر المسؤول عن ٨٠٪ من التلوث العام الذي تعاني منه هولندة ، لكنه ليس المصدر الوحيد ، فهناك السخام والأمطار الحمضية .

وهذه الأمطار أكثرها يأتي من جاراتها : ألمانيا الغربية بنسبة ٢٢٪ ، بريطانيا ١١٪ ، فرنسا ٩٪ ، اسكندنافية ٤٪ ، شرق أوربا ٤٪ ، ولاتزيد نسبة الأمطار الحمضية الهولندية المنشأ عن ٣٨٪ .

لاعجب إذن أن احتلت حماية البيئة مركز الصدارة في نظر الساسة ورجال الدولة كلهم دون استثناء ، وبلغ من حرص الملكة بياتريس على الحفاظ على البيئة ، أن أصبح لها لقب جديد « الملكة الخضراء » ، ويصدق ذلك على

أفراد الشعب الهولندي ، فقد دلت الاستبيانات الأخيرة على أن الكثرة الساحقة من الهولنديين يفضلون الهبوط في مستوى معيشتهم ، وذلك على سبيل التضحية من أجل حماية البيئة .

بيد أن الشعب الهولندي شعب نشط ، ذو عزيمة جبارة ، فقد قرر استعمال أخدود في قاع البحر - بحر الشمال - كمقبرة للنفايات الصناعية السامة التي تحملها إليها الأنهار الثلاثة ، والأخدود قريب من ميناء روتردام . عريض لايقل عرضه عن نصف ميل ، ويكاد هذا الأخدود أن يكون في منأى عن الأمواج ، وقد قامت بينه وبينها سدود ، كأنها الفواصل العازلة ، لكن هذه المقبرة المغمورة لن تبقى إلى الأبد ، فقد لايمضي عشرون عاما حتى تمتلىء ، وتفيض بمحتوياتها ، كما أن هناك مشروعا مطروحا على المواطنين لمناقشته وإقراره من قبل السلطات المختصة ، يتلخص في القضاء على ٧٠٪ من كل صنوف التلوث في هولندة ، في غضون ٢٠ عاما ، وبتكاليف تبلغ (٦٥٠٠) مليون دولار حتى سنة ١٩٩٤ ، مما يعني حماية البيئة على نحو متواصل ، والإنفاق على حماية البيئة ، ومكافحة التلوث ، بنسبة من الدخل القومي تفوق نسبة شؤون الدفاع .

ولعلنا على يقين من أن بلوغ النجاح في المشاريع البيئية سيسهل على الهولنديين ، فقد سهل عليهم طمر مياه البحر ، واستصلاح الأرض ، بل واكتساب اليابسة منها .

□□□

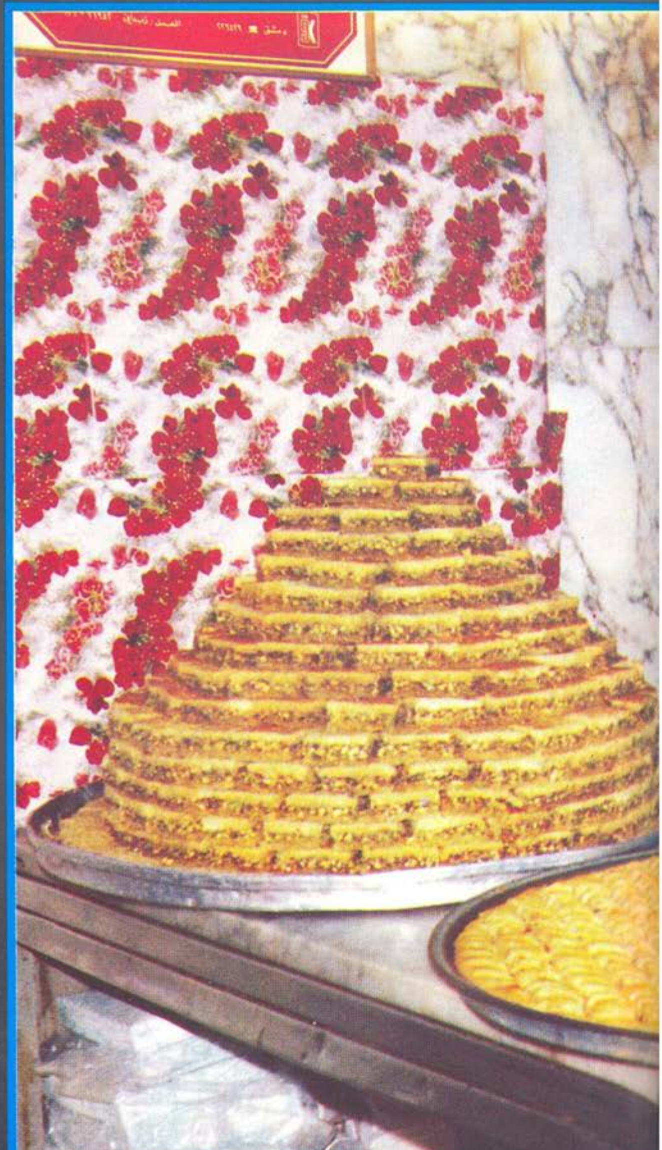
طبقة الأوزون تسترد سلامتها ، لكن إلى متى ؟

● أعلنت الإدارة الوطنية للشؤون الجوية والبحرية في واشنطن أن الثقب الخطير الذي عانت منه طبقة الأوزون الواقعة فوق القارة القطبية الجنوبية ، والذى بلغ ذروة تفاقمه في شهر اكتوبر سنة ١٩٨٩ ، قد اختفى ، بل إنه قد التأم . وأكدت الإدارة المذكورة في إعلانها الصادر في شهر ديسمبر ١٩٨٩ أن الالتئام السالف الذكر سيطول أمده سنة كاملة في الغالب .

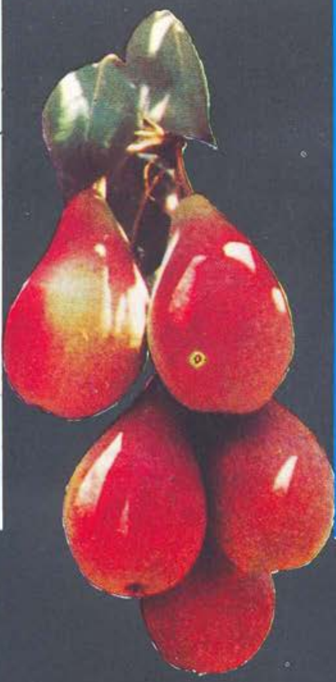
وأوضح الإعلان أن ثقب طبقة الأوزون إنما هو نتيجة التفاعل بين غاز الأوزون (الأكسجين الثلاثي) وبين المواد الكيماوية المعروفة باسم كلورو - فلوروكربونات ومن شأن هذا التفاعل ، أن يعرض طبقة الأوزون للتآكل ، أو فقدان الكثافة السوية الكافية لصد الأشعة فوق البنفسجية وامتصاصها ، ويحدث هذا التفاعل في فصل الربيع ، حين تلف القارة القطبية الجنوبية رياح فاصلة عازلة ، تحول دون اختلاط هواء تلك القارة بهواء القارات الأخرى ، فتهبط حرارته إلى (١٢٥) درجة فهرنهيتية تحت الصفر ، أو دون ذلك ، فهذه البرودة الفائقة هي التي تهيىء الفرصة للتفاعل الذي ذكرناه ، والذي لايلبث أن يتوقف حين تبدأ الحرارة بالارتفاع ، وتبدأ الرياح الفاصلة بالاختفاء . □



صور رمضانية من بلاد الشام



استطلاع :
سليمان الشيخ
تصوير :
فهد الكــوح



لا يختلف اثنان على معنى الصوم ، وكيفية القيام بتكاليفه عند المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، لكن كيفية استقبال هذه الفريضة ، والطقوس والعادات المرافقة لأيام هذا الشهر الفضيل تختلف من قطر إلى آخر .

فكيف يستقبل مسلمو بلاد الشام هذا الشهر ؟ وما الطقوس التي يتبعونها ؟

لا تتعب نفسك ، إن المشمش الذي تبحث عنه غير موجود الآن .

× **إذن متى يمكن أن أجده ؟**

اضطر محدثي ، الدكتور موفق شفيق الشلاح ، استاذ الاقتصاد السابق ومدير أعمال شركة بدر الدين وشفيق الشلاح ، إلى الابتسام ، ثم علق متسائلاً : ألم تسمع « بالجمعة المشمشية » ؟

× علقت مبتسماً : **نعم سمعت ، لكن ليس عندي فكرة كاملة عن ثمر المشمش ، وما يحيط به من أمثال وحكايات .**

– قال : إذن اسمع : إن المثل الشعبي ـ جمعة مشمشية ـ كناية عن أن عمر ثمر المشمش حين نضوجه قصير ، فهو ما إن يبدأ بالنضوج حتى يبدأ جنيه ، وإلا تساقط عن الشجر وتعفن ، وإن لم يؤكل في أيام قطافه الأولى ، فإنه سرعان ما يتعرض إلى التلف .

× سألت : **ألا توجد طريقة تحفظ ما لم يتم استهلاكه بالأكل ؟**

ـ أجاب الدكتور موفق : طبعا توجد ـ هل نسيت قمر الدين* ، والمشمش المجفف ، وغيرها من مصنوعات المشمش ؟

× علقت : **طبعا سمعت . . طبعا سمعت . .**

في دمشق ، عاصمة الجمهورية العربية السورية ، على سبيل المثال : كيف كان الدمشقيون يستقبلون قدوم الشهر الكريم ؟ وكيف أصبحوا الآن يستقبلونه ؟

إن العادات والتقاليد ما هي في النهاية إلا نتاج لما يجري في المجتمع من تفاعلات وتغيرات .

وقد ظلت المدينة الإسلامية تحمل طابعاً مميزاً ، على الرغم من تتابع قيام الدول الإسلامية وسقوطها .

طابع خاص

من صور التميز للمدينة الإسلامية أن مسجدها الجامع يقوم في وسطها ، ثم تبنى حوله الأحياء والطرق والأسواق . ودمشق لم تشذ عن هذا الطابع ، إذ احتل المسجد الأموي قلب المدينة ، وقامت حوله أحياء وأسواق وسكك متعددة .

وصلنا المسجد الأموي ، وطفنا بأركانه ، وقرأنا الفاتحة على أرواح بُناته ومرمميه . الحفريات التي جرت حوله ، أظهرت بوابة أثرية قديمة في الجهة الشمالية منه ، تحمل طابعاً رومانياً ، مما يؤكد أهمية المكان في كل العصور التي تعاقبت من رومانية وبيزنطية وعربية إسلامية .

سوق الحميدية المسقوف المرمم يحاذي البوابة القديمة ، ويمتد طولياً حوالي كيلومترين ، ويغص بمتاجر الأقمشة ، والملابس الجاهزة ، ومحلات الصاغة والعاديات ، وبعض محلات الحلويات . باعة الحلوى من سمسمية ، وفستقية ،

*** قمر الدين : هو عصارة ثمر المشمش الذي يصنّع ، ويحول إلى شرائح تؤكل بكثرة عند الفطور أو السحور في شهر رمضان الكريم . ولأن لونه يشبه شفافية ضوء القمر ، فقد سمي بقمر الدين ، نظراً لاستعماله في شهر الصوم .**



● مكسرات من جميع الأصناف ، وحركة البيع والشراء مستمرة .

وجوزية ، ولوزية ، وغيرها ، ينقلونها على عربات صغيرة ، ويرخمون أصواتهم عند النداء على بضاعتهم .

ندلف إلى أسواق أخرى : « البزورية » * ، وسوق الهال ، والسوق الطويل ، ثم نوالي جولتنا : هذا حي القيمرية ، والحريقة ، والشاغور ، والحيمرية ، وباب مصلى ، والعمارة ، وباب بريد ، وغيرها من أحياء وأسواق وطرق وسكك صغيرة ضيقة متداخل بعضها ببعض ، في هذه المدينة القديمة الجميلة التاريخية .

شاهدنا الترميمات التي تمت لبعض المباني ، ومحاولة إعادة الرونق والبهاء إليها ، كبعض الخانات - كان الخان بمثابة فندق للسائحين والمسافرين في هذه الأيام - كخان سعد باشا ، وخان التتن - الدخان - وخان النشا ، وقصر العظم ، والحمامات التي تغري الفسيفساء اللماعة والرقش والتخريمات والألوان الجميلة في بلاطها وأشكال نوافذها وأبوابها ، وطرز بنائها بالدخول والمشاركة مع المشاركين . كما أن الترميمات ما زالت جارية لإظهار معالم قلعة دمشق وسورها .

* البزورية : نسبة إلى « البزور » أو « البذور » . وسوق « البزورية » سوق مسقوف ، طوله يزيد عن نصف كيلومتر ، وعرضه لا يتجاوز خمسة أمتار ، وقد تم ترميم بعض الخانات والحمامات القديمة الكائنة فيه .

في سوق « البزورية » الذي تباع فيه المكسرات . . من فستق وبندق وجوز ولوز وما يصنع منها من حلويات كالفستقية واللوزية ، أو أنواع المن والسلوى بالهيل ، أو النوغا بالهيل ، والزهورات ، والفواكه المجففة ، والحلويات ، والمشروبات ، والنقولات - غمس اللوز في معقود يحمل ألوانا عدة - وغيرها من السكاكر ، ومعلبات الفواكه المحفوظة ، والمصنوعات المتنوعة من قمر الدين ، والبهارات ، وغير ذلك .

وقفنا أمام دكان بدر الدين العوف في السوق . كان مغلقاً بقطعة من المشمع اللماع .

سأل الأديبان شوقي بغدادي ، وخيري الذهبي اللذان رافقانا عن الرجل ، فقيل لهما إنه ذهب إلى بعض أعماله وسرعان ما يعود .

تذكرت ما كانت عليه أسواق الكويت وبعض الأقطار العربية الأخرى في فترة سابقة ، إذ كان التاجر يغطي باب دكانه بقطعة قماش عندما يضطر إلى المغادرة لبعض أشغاله . إنها الظاهرة نفسها ما زالت حية هنا في دمشق .

× **سألت الأديب الشاعر شوقي بغدادي عن تعليقه على هذه الظاهرة .**

- أجاب : كما أن أهل مكة أدرى بشعابها ، فإن أصحاب الدكاكين المسقوفة الملاصق بعضها بعضاً كما ترى ، بعضهم أدرى ببعض منذ سنين طويلة ، لذا فإن الثقة بينهم راسخة ، ولا غضاضة في أن يتولى الجار بيع بضاعة جاره المشغول خارج الدكان أحيانا ، أو يحافظ عليها ويحميها من أيدي العابثين .

ذكريات رمضانية

وصلنا إلى دكان محمد غالب السمان في السوق نفسه ، ووجدنا فيه الشيخ عبد الكريم الهندي ، الملقب بأبي النور ، وهو إمام مسجد بيت سحم في غوطة دمشق .

تولى السيد محمد غالب السمان (أبو شاهر) ذو الشخصية المرحة الترحيب بنا وملاطفتنا ، بينما أخذ الشيخ الهندي ذو الشعر الأحمر مراقبة ذلك .

عن ذكرياتهما الرمضانية حدثانا ، فقالا :

- كان الناس يستعدون لاستقبال الشهر الفضيل قبل مجيئه بأسابيع ، فيجمعون المأكولات المتنوعة للفطور والسحور ، وكأن ذلك دين على جميع الناس ، أغنياء وفقراء ، طبعاً كل حسب قدراته ، وكانت بعض الحارات تزين طرقاتها ، وتتفنن في ذلك ، وبعضها يستقبل رمضان بألعاب الفروسية من سيف وترس ، وتطلق المدافع الطلقات ، ويسهر بعض الناس ليلة رمضان عند بعضهم ، أو يذهبون إلى المساجد ، أو يشاركون الطرق الصوفية في إحياء طقوس الشهر الكريم . ويبقى الجميع ساهرين حتى السحور ، حيث ينطلق المسحراتي - كان لكل حي مسحره الخاص - فيطرق الأبواب ، أو



● خارطة الجمهورية العربية السورية .



● بائع حلويات في حي « القيمرية » تحلق حوله صبية بغية الشراء .



● عشبة العرق سوس قبل تحويلها إلى مادة مصنعة .

يضـرب عـلى طبلتـه ، وينـادي عـلى النـاس بأسمائهم ، ويترنم بأهازيجه ، ويتبعـه الأطفال أحياناً .

يتكون السحور من الأكلات الخفيفة كالجبن والزيتون واللبنـة وقمر الـدين ، وشراب التمـر هنـدي ومربى المشمش ، أو التفـاح ، لأن هذه الأكلات ترطب الجوف .

وبعـد السحـور يـذهب بعض الأفـراد إلى المسجـد لصـلاة الصبـح ، ويقـرأون الأوراد والأذكار ، ويستمعون إلى احاديث بعض العلماء الأفاضل .

× والفطور . . مم كان يتكون الفطور ؟

ـ أطلق أبو شاهر « قفشته » : إنكم تفتحون شهيتنا بأسئلتكم هذه . ضحكنا « للقفشة » ثم علق قائلا : على كل لا نملك ـ في الدكان ـ إلا الشاي ، كي نسد به شهيتنا وشهيتكم المفتوحة، ضحكنا ثانية ، وتابع أبو شاهر حديث الذكريات مع زميله الشيخ أبي النور .

ـ أتسألون عن الفطور الرمضاني ؟ لقد كـان حسب إمكانيات الأفراد .

وكان وما زال عبء تحضير أكلات رمضـان يقع على سيدة البيت ، حيث كان يومها يمضي وهي تحضر المشروبات والأكلات والحلويات التي تتفنن في صنعهـا ، وكـانت تصف مشـروبـات العـرق سوس والتمـر هندي وشـراب الورد ، ومنقوع قمر الدين ، وغير ذلك ، على حـواف سـور نافـورة البيت ، وتضـع عـلى الـطاولات بجانب ذلك أنواع الشوربة المختلفة والسلطات و« الفتوش »* ، ثم الأطعمة المختلفة من محاشي الكوسة والباذنجان ، والفول والفتة والمقبلات ، ثم الرز المطبوخ مع الفاصوليا أو البامية ، وغير ذلك .

كان الأطفال يتجمعون في ساحات الأحياء ، وينتظرون انطلاق دوي المدفع ، لينقلوا بشـارة

---

* الفتوش : نوع من السلطة الفاتحة للشهية ،ويؤكل قبل الصحن الرئيس ، ويتكون من كسرات من الخبز المحمص المضاف إليها الخيار والطماطم « البندورة » والخل والزيت والبقدونس والخس والنعنع ، تماما كسلطة الخضار .

الإفطار للأهل . وكان الأهل يتجمعون حول النافورة ، بعضهم يستغفر ويستذكر ، وبعض آخر منهم يساعد أهل بيته .

والناس يفطرون على لقيمات ، ثم يصلون صلاة المغرب ، في المسجد أو في البيت ، وبعضهم كان يتناول كل فطوره ثم يقوم للصلاة .

ثم إن الناس يتبعون وجبة الفطور الأساسية بالحلويات والفواكه ، ثم يضعون ابريق الشاي على السماور الذي كان منتشراً بكثرة حتى خمسينيات هذا القرن . ومن أنواع الحلويات المطلوبة في رمضان القطايف بأنواعها المحشوة بالجوز أو اللوز أو المحشوة بالقشطة أو بالجبن ، والنمورة والكنافة والمدلوقة والبلورية وغيرها ، ومن أنواع الفواكه كالمشمش والأجاص والكرز والتفاح وغيرها .

ويخرج الناس بعد ذلك إلى المساجد لصلاة العشاء والتراويح ، أو لحضور بعض دروس القرآن ، أو لزيارة الأهل والأقارب والمعارف ، أو لقضاء متطلبات البيت وحاجاته ، أو للسهر في المقاهي والاستماع « للحكواتي » ، أو لحضور خيال الظل ، قبل دخول التلفاز وسيطرته على حياة الناس .

شكرنا أبا شاهر والشيخ ، وعدنا من حيث أتينا .

قابلنا في سوق « البزورية » ثانية السيد صالح صادق ، فذكر أنه يملك مصنعاً صغيراً لقمر الدين ، ويصدر جزءاً كبيراً من إنتاجه إلى منطقة الخليج العربي ، وأن موسم التصنيع يبدأ ببداية شهر حزيران - يونيو - ويستمر شهراً واحداً فقط .

ثم التقينا بالسيد زهير سرور ، عضو لجنة سوق « البزورية » ، وهي اللجنة التي تشرف على السوق ، وعرّفنا على الأصناف الموجودة فيه .

عادات رمضانية

شكرنا الرجل وتوجهنا إلى دكان بدر الدين العوف ، فوجدنا غطاء المشمع قد أزيل ، والرجل في دكانه يبيع لزبائنه . طلبنا منه أن يطلعنا على حي الحمراوي الذي يرأس لجنة الحي فيه ، ويطلعنا على بعض التفصيلات المتعلقة بالعادات الاجتماعية في شهر رمضان .

يقع حي الحمراوي جنوب غرب المسجد الأموي ، ويحاذي قصر العظم من جهة ، وسوق الصاغة القديم الذي احترق في الستينيات من جهة أخرى . يبلغ عدد بيوت الحي ٨٠ بيتا ، ويوجد فيه ٦٠ محلاً تجارياً . تتلاصق البيوت فيه ، وتضيق الطرق ، إلى درجة أن بعضها قد لا يتسع لسير أكثر من فرد واحد . بعض البيوت تم ترميمها فظهر الجمال العريق فيها ، وبعضها متشقق الجدران ، تخال أنه سينهار في التو واللحظة .

بعد أن تجولنا في الأزقة الضيقة دلفنا إلى بيت السيد بدر الدين العوف (أبي أسامة) .

يتكون البيت من طابقين ، تحتل وسط الطابق الأول نافورة مسيجة بالرخام ، تنمو حولها بعض شجيرات البرتقال وزهور تجميلية ، وعروق من نبات الكرمة (العنب) . (هكذا كانت معظم البيوت الدمشقية القديمة) .

صعدنا مع أبي أسامة إلى سطح بيته ، خاصة أن زميلي المصور كان يتحرق شوقاً لتصوير المنطقة التي تحاذي المسجد الأموي . مبنى المسجد ومنارته ظهرا واضحين من الجهة الجنوبية .

رؤوس أشجار البرتقال و « الاسكى دنيا »* بانت وحاذت سطوح المباني . تخال سطوح البيوت كأنها سطح واحد من شدة تلاصقها ، حذرنا أبو أسامة بعدم الاقتراب من زاوية معينة لأنها آيلة للسقوط ثم ذكر :

- هذه هي السطوح التي كان الثوار يتنقلون

* الاسكي دنيا : من فواكه الصيف

عليها بسهولة ، كي يواجهوا القوات الفرنسية أيام الاحتلال الفرنسي ابتداء من عشرينيات هذا القرن ، حتى أربعينياته .

حمام يحط ويطير ، مآذن شامخة ، قمم البنايات العالية في الأحياء الجديدة تبرز من بعيد ، وجبل قاسيون* ما زال على شموخه على الرغم من أن المدينة قد احتلت سفوحه وتسلقت إليه ، وأخذت تزحف إلى ما فوق وسطه . بدأ الشفق الأحمر يحتل مساحة الأفق وبعد أن أخذت الشمس تتلاشى تدريجيا ملأ صوت الآذان الآفاق ، وبدأت العتمة تلقي رداءها رويداً رويداً على المدينة . نزلنا إلى الطابق الأرضي ، وفي قاعة الجلوس ارتدى أبو أسامة العباءة العربية وعلق :

ـ ها أنا بين أيديكم .

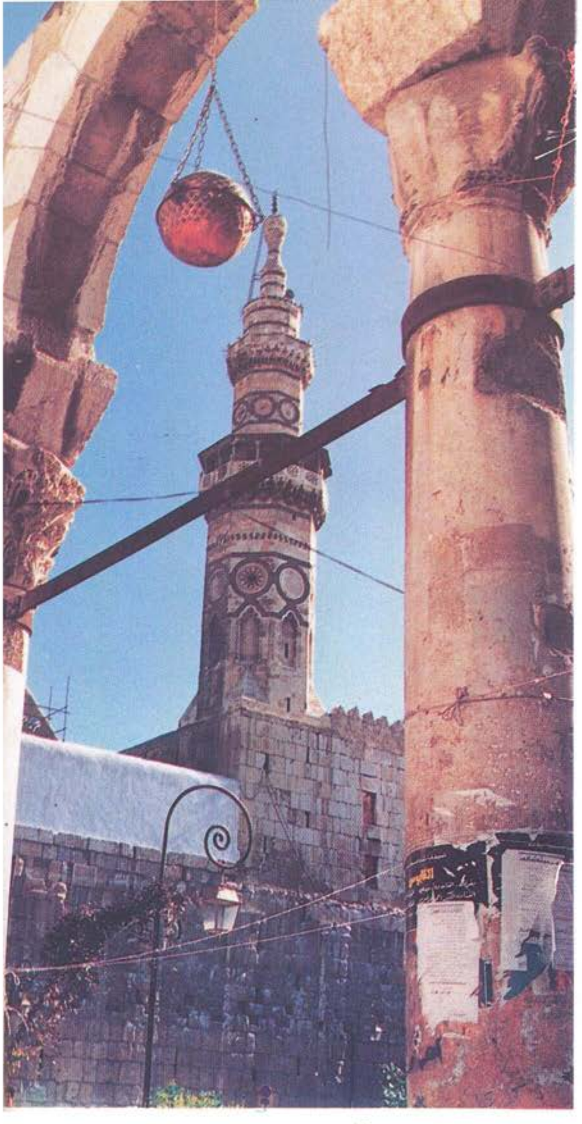
تمعنت في المكان في الحائط المقابل للباب . هناك واجهة زجاجية « فاترينة » ، احتوت على الزجاجيات والصيني من صحون وأباريق وفناجين وآنيات زهور وغيرها .

وفي زاوية الداخل على يمين المكان ، وجدنا صندوقا ، جوانبه محلاة بالنقوش والرقش . قال أبو أسامة : إنه « البيرو » . كان صندوق ملابس ما قبل الخمسينيات ، وهو بديل خزائن هذا الزمان .

الدلة العربية والفناجين والصينية المليئة بالنقوش تحتل ركنا مميزا ، والسجاد العجمي يحتل أرضية المكان ، والمقاعد من الخشب المحفور والمنقوش .

في زاوية المكان اليسرى ، رأينا تشكيلا خشبيا من عدة طبقات مختلفة في الأحجام والأشكال ، وتم تلوينه بعدة ألوان .

علق أبو أسامة : إنه يدعى « السَّبَت » ، تعبأ طبقاته بالحلوى المتنوعة الأصناف والأشكال ، ويقدم هدية للعروسين ليلة عرسهما . وكانت الإضاءة ، قبل دخول الكهرباء حياتنا ، بالقناديل أو الشموع ، أما الآن فإن الكهرباء كفيلة بذلك .



● المسجد الأموي بنقوشه الجميلة .

عندما أنار أبو أسامة ـ السَّبتَ ـ ظهر بحلة جميلة تغري بالنظر ، فكيف لو كان مليئا بالحلوى ، فإنه كان سيغري بالأكل طبعاً .

حلال المشاكل

عن العادات المترافقة مع شهر رمضان ذكر أبو أسامة : من العادات التي أذكرها عادة

* قاسيون : جبل يطل على مدينة دمشق من الناحية الشمالية .



● سوق « البزورية » . . يمتلىء بعشرات الأنواع من البذور والحلويات .

« السكبة » ، حيث يتولى الأقارب والجيران تبادل بعض الوجبات الرئيسة قبل الإفطار طبعا . وكان بعض أغنياء الأحياء يقيمون سرادق لاستضافة الفقراء أو عابري السبيل .

كما أن إخراج الزكاة عن الأموال المنقولة وغير المنقولة ، وفطرة رمضان كانت ومازالت توسع على الفقراء الرزق ، ومن أهم الظواهر الاجتماعية أن القلوب كانت تصفو في هذا الشهر الفضيل ، وتتم مصالحات عديدة فيه كان حلها عويصا من قبل . إن الحالة الاجتماعية في هذا الشهر كانت تحمل كل معاني التكافل والتضامن وصفاء القلوب وحل المنازعات وتوطيد الوشائج .

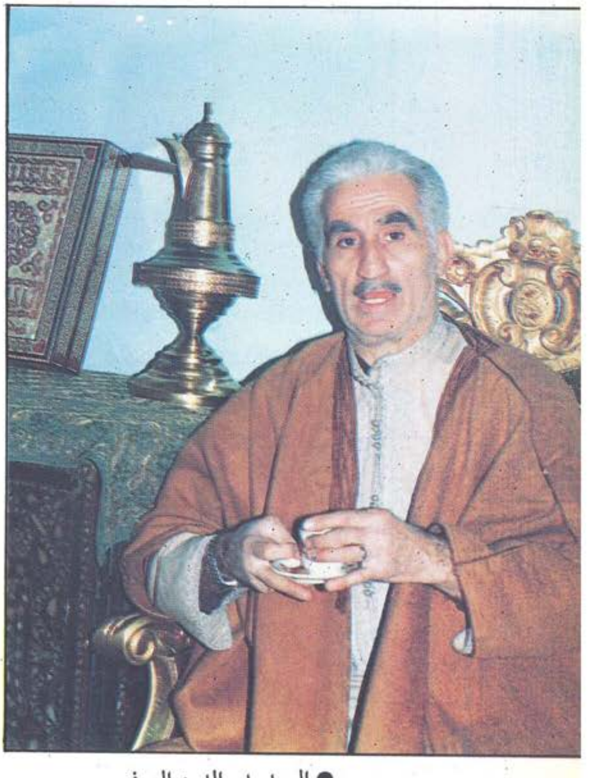
ومن أهم الليالي في رمضان ليلة ٢٧ منه ، أي ليلة القدر ، ففيها يتجمع الناس في المساجد ، يتلون القرآن والأوراد والأذكار ، وتتولى بعض الطرق الصوفية إقامة الاحتفالات على حسب طريقتها ، وتعرض شعرة النبي ، ويتبارك بها الناس ، وتقوم الزوايا والتكايا بإقامة الاحتفالات التى تقوم على الابتهالات وتلاوة الأذكار . ويبقى الناس ساهرين حتى السحور .

بعد ذلك فإن النساء يقمن بعمل المعمول والكعك والحلويات استعدادا ليوم العيد ، ويأخذ الناس بشراء الملابس الجديدة ، وحلويات العيد .

قال الروائي خيري الذهبي : كان الفرح سهلا وتلقائيا وبسيطا .

×علقت : لاحظت أن معظم صيغة كلامكم تحمل معنى الماضي ، فهل فقد الحاضر رونق الأشياء ، وفقدت الأيام والمناسبات البهاء ؟

ـ جاءني الجواب مشتركا : مازال للأيام والمناسبات رونقها ، لكن بعض التقاليد والعادات تغيرت وتبدلت ، لم يعد السيف والترس حاضرين حضورهما الكثيف في استقبال الشهر الكريم وتوديعه ، وانزوت عادة المآدب الكبيرة في بعض زوايا المساجد ، وفقدت بعض



● السيد بدر الدين العوف .

الحارات مسحريها بالموت ، وهجم التلفاز ، واحتل مكان الحكواتي وخيال الظل . وتلقت بعض القلوب كدمات الفقر والفاقة ، وهموم الحياة الخاصة والعامة ، بل واختفت أحيانا الأكاليل والزينات ، وشغل الأفراد بعائلاتهم الصغيرة بدلا من عادة الاهتمام بالعائلة الكبيرة ، لأن العائلات توزعت ، ولم تعد في البيت الكبير ، أو في بيوت العائلة الواحدة ، المتلاصقة أو القريبة بيوتها بعضها من بعض ، والتي كان كبيرها الموقر من الجميع يدير مصالحها وشؤونها إلى حد كبير .

وذكر أبو أسامة أن فرحة العيد كانت ومازالت لاتنسي الناس أمواتهم ، فكانوا ومازالوا يتوجهون إلى المقابر بعد صلاة العيد ، ويضعون نباتات الزينة والأزهار على قبور موتاهم ، ويقرؤون الفاتحة على أرواحهم ، ويرشونها بماء الورد ، ويوزعون عن أرواحهم الحلويات والفواكه والمأكولات .

ثم يبدؤون بزيارة الكبير فيهم ، وتتوالى الزيارات ومظاهر الفرح من دبكات وأغان في بعض الساحات العامة ، ويبدأ الصغار بالتوافد على الساحات المليئة بالألعاب والمسليات والملهيات .

صناعات قديمة

وآثرنا في تلك الليلة أن لانغادر السوق إلا بعد أن نقف على بعض نشاطاته وصناعاته ، فزرنا بعض المحلات التي تصنع القطايف والكنافة ، وهما الصناعتان القديمتان في دمشق . وقد ذكر لنا السيد محمود رمضان أنهم يعملون بهذه المهنة منذ حوالي مائة سنة ، وأنهم يتوارثونها أبا عن جد ، وذكر لنا تفصيلات صنع هذه الحلويات ، ومايتم حشوها به من جوز ولوز وقشطة وغير ذلك .

ثم انتقلنا إلى المحلات التي تصنع وتبيع الحلويات العربية من بقلاوة وبرما وبللورية المحشوة بالفستق ـ الحلبى ـ وغيرها من أصناف الحلويات ، « كل واشكر »وغريِّبة ومعمول



● قشور ثمر المشمش يمكن تحويلها إلى صناعة مطلوبة .

وبرازق ومدلوقة وكنافة ومفروكة وغيرها من حلويات .

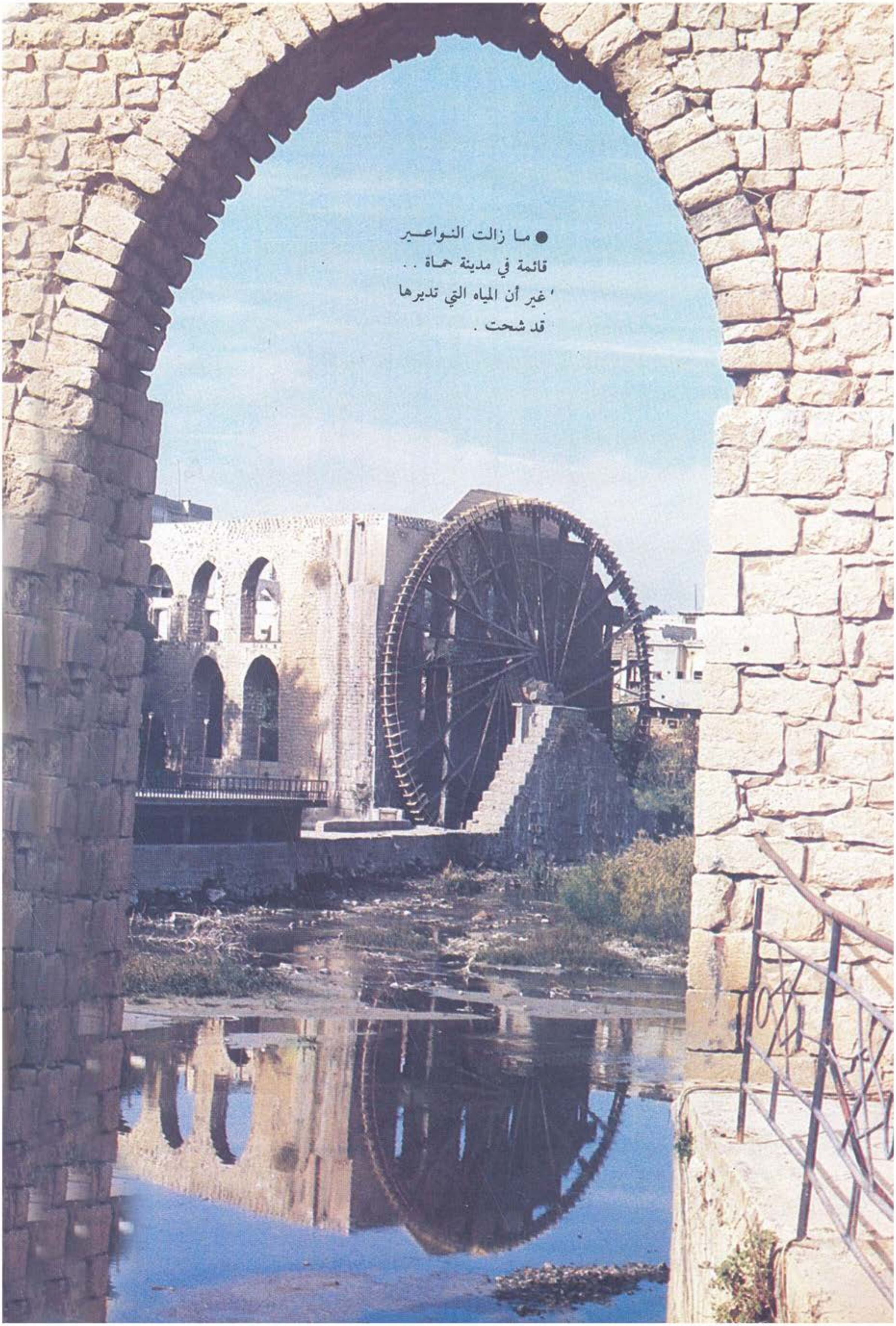
ذكر لنا السيد شفيق السمان ، صاحب أحد المحلات المشهورة في ساحة المرجة* ، أن المحل تم افتتاحه سنة ١٩٥١ ، وأن جل الإنتاج يشتريه زوار دمشق من السياح ، في حين أن محلات كثيرة تم افتتاحها في أحياء دمشق القديمة والحديثة ، وأنه توجد بعض الحلويات التى تروج في رمضان فقط ، مثل القطايف ، والكولاج ، والنهش المحشو بالقشطة ، والبقلاوة ، عدا الهيطلية والرز والبوظة وغيرها .

وذكر أن إنتاج دمشق من الحلويات يصل إلى حوالي أربعة آلاف طن يوميا ، وأن معظم مواد صناعة الحلويات تنتج محليا ، وذكر أن الخلطة الأساسية للمصنوعات يتابعها ويشرف على صناعتها معلمون خبروا هذه الصناعة وواكبوها منذ زمن طويل .

الغوطة

إذا ذكرت دمشق ، فإن الغوطة يجب أن تذكر معها ، هي بستانها ومتنفسها وسلة فواكهها وسهل غذائها ومكان الترويح لأهلها ، لكن مدينة دمشق كبرت وتوسعت ، ويقال : إن عددها وصل إلى حوالي أربعة ملايين نسمة الآن . وأن البناء على الأراضي المزروعة جار ، وقد تقلصت مساحاتها ، ولم يبق إلا القليل القليل من المساحات المزروعة في الغوطة الغربية ، وتقلصت ـ كما تذكر بعض المصادر ـ

* ساحة المرجة : هي الساحة الرئيسة في مدينة دمشق ، وفيها نصب الشهداء الذين أعدمهم جمال باشا التركي أثناء الحرب العالمية الأولى .



● ما زالت النواعير قائمة في مدينة حماة .. غير أن المياه التي تديرها قد شحت .

مساحة الغوطة الشرقية الى النصف (تذكر بعض المصادر أن مساحتها كانت ٣٠ ألف هكتار) ، وشحت مياه الأنهار التي تسقيها ، فنهر بردى قلما يصل الى مصبه في بحيرة العتيبة ، وبعدما كان يشق دمشق ويهدر بين جنباتها ، فإنه قلما يصل إلى حدودها إلا في بعض السنوات ، وعين الفيجة وهو النهر الآخر الذى كان يروى دمشق أيضا ، ويلتقي بنهر بردى ، ويشتركان بإرواء بساتين الغوطة وسكان دمشق أخذت المياه تقل فيه ، وقد غاض في بعض مناطق جريانه ، ولم يبق له أثر ، لذلك فإن سقاية الغوطة الآن تعتمد على الآبار الارتوازية .

ذكر لنا الدكتور موفق الشلاح الذي رافقنا لزيارة مزرعة الفواكه الخاصة بهم في الغوطة الشرقية ، والذى أشرنا إلى حديثه معنا في بداية هذا الاستطلاع ، أن الغوطة القديمة كانت تصل إلى منطقة يقال لها : « خرابو » ، وفيها كلية زراعة متوسطة الآن . وقامت في الغوطة قرى متعددة ، مثل : النشابية وبالا وجسرين وزبدين . والأراضي في الغوطة موزعة على ملكيات خاصة بالأفراد ، وملكيات عامة تابعة للدولة . ويصل أقصى بعد للغوطة الشرقية حوالي ٥٠ كيلومترا شرقي دمشق .

تبعد مزرعة الشلاح القائمة في الغوطة حوالي ٢٥ كيلومترا من قلب دمشق .

عن ثمر المشمش ذكر لنا الدكتور موفق شفيق الشلاح أن المشمش ثمر متوطن في غوطة دمشق منذ قديم الزمان ، وأنه توجد عشرات الأنواع من هذه الثمرة ، مثل البلدي ، والعجمي ، والحموي والامريكاني والفرنسي والتدمري ، والكلابي ، وذكر أنه يوجد حوالي ٢٠ نوعا من هذه الثمرة .

وأن أفضل الثمار التي يمكن تحويلها إلى قمر الدين هو الكلابي ، وأحيانا الامريكاني والفرنسي ، ومنها يمكن صنع المربى ، أما البلدي فهو للأكل والنقوع .

وذكر أنهم يصنعون حوالي ٥ آلاف طن في السنة من قمر الدين ، ويصدرون بعضه إلى أقطار الخليج العربي ومصر والسودان ، وبعضه يصدر إلى انكلترا والولايات المتحدة الأمريكية ، وذكر أيضا أن كل ٦ كيلوغرامات من ثمر المشمش تتحول إلى كيلوغرام واحد من قمر الدين .

قمر الدين

عندما وصلنا المزرعة أطلعنا الدكتور الشلاح على كيفية صناعة قمر الدين ، ثم أطلعنا على كيفية الاستفادة من نوى المشمش ، حيث شاهدنا تلالا عالية من قشوره ، فيما يصدر النوى الذى يشبه حبة اللوز إلى بعض البلدان كالسويد ، إذ يصنع منه السكاكر والمعجنات بعد معالجته من المرارة التي تعلق بالنواة .

وأطلعنا على المعصرة التي تعصر النوى . وأن ما ينتج عنها من زيوت تستعمل للطبخ والاستعمال الآدمي بعد معالجة المرارة الموجودة في نوى المشمش .

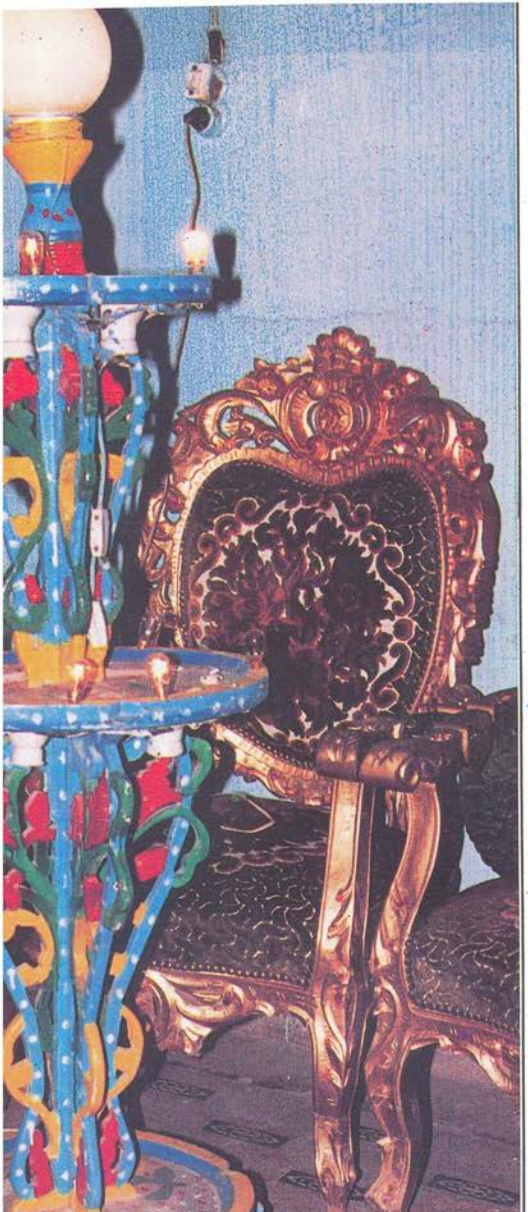
أما تلال قشور نوى المشمش فذكر الدكتور الشلاح أنهم كانوا يصدرونه من قبل إلى بعض البلدان لكي يطحن ويستعمل طحينه للحفظ والتبطين في بعض الآبار النفطية كالاسمنت ، وهو يستعمل كالفحم أيضا ، لأنه يحفظ الحرارة بشكل جيد .

وذكر أنهم يفكرون بتحويل القشور إلى خشب مضغوط .

× **علقت : يبدو أنكم لم تتركوا شيئا في ثمرة المشمش إلا استفدتم منها ؟**

- قال باسما : إنها ثمرة مباركة ، أليست هي الغذاء المرغوب في الفطور والسحور في الشهر الفضيل ، شهر رمضان ؟

وذكر : من المعروف أن ثمر المشمش غني بالحديد والفيتامينات وغيرها ، وهو يقي الجسم من الإنهاك والتعب بسبب الصيام .



● « السَبَّتْ » رفيق العرسان والأفراح .

تعال اشرب

من ضمن المشروبات التي تترافق مع الفطور والسحور في رمضان في الجمهورية العربية السورية ، يحتل العرق سوس مكانة مفضلة ، بل إن عرق السوس هو أحد المشروبات المفضلة في فصل الصيف ، وتجد باعته يجوبون الطرق بطاساتهم النحاسية ، يوقعون بها أنغاما مميزة ، وتضفي أزياؤهم الغريبة طابعا خاصا عليهم ، فتشد الجمهور إليهم .

والعرق سوس مشروب صيفي ، وهو متوافر بالأسواق بعلب وأكياس تشبه أكياس الشاي في السوق ، وكانت العبوات تحمل اسم المصنع ، إنه في الكسوة ، البلدة التي تبعد عن دمشق حوالي ٢٠ كيلومترا من ناحية الجنوب .

انطلقنا إلى المصنع مع مرافقنا السيد بسام العبيسي ، فوجدنا أكواما من الحشائش ، موزعة في المكان ، وحزما من الحطب بأحجام وأشكال مختلفة . قال لنا السيد رمزي البيرقدار ، صاحب المصنع : إنه العرق سوس . وأضاف : إن العرق سوس ماهو إلا نبات ينبت على ضفاف الأنهار في المناطق المعتدلة الحرارة ، كسوريا والعراق وإيران والهند والصين وتركيا والاتحاد السوفيتي وغيرها من بلدان .

وذكر السيد رمزي : لقد بدأ والدي العمل في هذه المهنة منذ سنة ١٩١٤ . وأضاف : أفضل الطرق للحصول على العرق سوس هي طريقتا النقع والغلي . والطريقة الأفضل حسب رأي السيد رمزي - طالب الصيدلة السابق ، ومن مواليد سنة ١٩١٦ - هي طريقة النقع . وهناك أشكال وأصناف يصنعها المصنع الآن ، مثل القوالب والعيدان المقشورة والمطحونة ، والمبروشة ، كالشاي ، ويتم وضعها في عبوات توزع في الأسواق ، والأفضل استعمالها مع الماء البارد .

× سألت : لكن ثبت علميا أن مادة عرق السوس ترفع ضغط دم الإنسان ؟

ـ كأن السيد رمزي كان متوقعا هذا السؤال فأجاب :

كل شيء يزيد عن حده ينقلب إلى ضده كما تعرف ، اشرب العرق سوس باعتدال ، فإنه لن يؤذيك . وأضاف : إن مادة العرق سوس هي مادة قلوية ، يمكنها أن تخفف من حرقة المعدة ، وتسهم بمعالجة الربو ، ويستفاد من مادة العرق سوس في صناعة الأدوية والحلويات ، والدخان ، فهو يعطي نكهة جيدة لهذه المصنوعات . وأضاف : أن إنتاج المصنع يتراوح بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف طن سنويا ، تستورده بعض البلدان مادة خاما ، تقوم هي بتصنيعه وإدخاله في مصنوعات أخرى . ومن هذه البلدان : فرنسا ، وايطاليا ، واسبانيا ، وانكلترا . وتستورد منه مصر وبلدان الخليج العربي كميات أخرى .

× علقت : يبدو أن صيت العرق سوس منتشر في مصر ، لكن صناعته قائمة في سوريا ؟

ـ أجاب : إن ذلك صحيح تماما .

جلنا في المصنع ، وشاهدنا المراحل التي تمر بها الصناعة ، لكن نداء بائع العرق سوس : « تعال اشرب وخذ مني كباية » بقي هو المهيمن على أذهاننا .

الفستق الحلبي

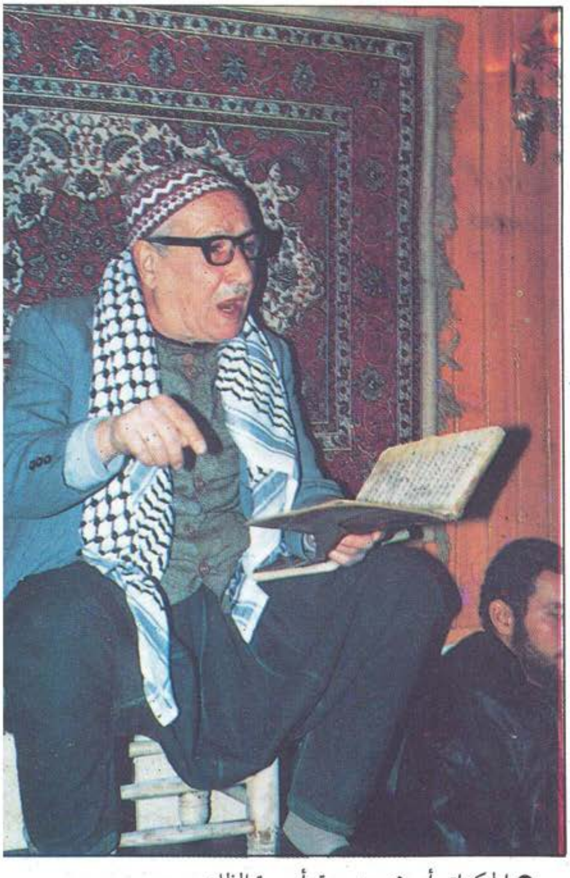
الفستق المسمى الحلبي يدخل مادة أساس في كثير من الصناعات ، خصوصا المستعملة في شهر رمضان الكريم ، كالحلويات والبوظة وغيرها .

وكي تصل من دمشق إلى حلب عليك أن تقطع حوالي ٣٦٠ كيلومترا ، تمر فيها على أهم المدن السورية ، مثل : حمص وحماة .

تتذكر أن حماة هي بلد النواعير ، وتتذكر أيضا أن أحد أشهر أصناف المشمش هو المسمى الحموي ، فنعرج على حماة ، كانت نواعيرها متوقفة نظرا لشح المياه ، خصوصا أن سد الرستن الذي أقيم في مدينة الرستن التي تقع بين حمص وحماة قد حجز كثيراً من مياه نهر العاصي الذي ينبع من لبنان ويمر في المدن الثلاث السابقة .

الحديقة المحاذية للناعورتين في وسط مدينة حماة كانت تغص بالمستروحين ، والرائحين والغادين . خرير المياه في جنباتها كان يتردد . والبط يسبح مطمئنا في البركة التي تقع في وسطها .

أوراق المشمش كانت متساقطة ، ولم نر إلا عيدانا وفروعا بدون أوراق في السهول القريبة من مدينة حماة . (كانت زيارتنا في الاسبوع الأول



● الحكواتي أبو محمود ، يقرأ سيرة الظاهر بيبرس .



● الدكتور موفق الشلاح .



● السيد رمزي البيرقدار .



● السيد محمد غالب السمان .

من شهر (ديسمبر) كانون الأول من سنة ١٩٨٩ م) .

تابعنا طريقنا إلى حلب ، المدينة الثانية بعد دمشق في الجمهورية العربية السورية ، وسكانها حسب تقدير بعض المصادر يصلون إلى حوالي ثلاثة ملايين نسمة .

المعلم البارز في المدينة هو قلعتها الضخمة التي تحتل مكانا مهما في وسطها ، وقد تم ترميم بعض معالمها ، فبانت شاهداً بارزا على الأهمية التي كانت تحتلها القلعة في مراحل سابقة .

الأسواق المسقوفة ـ يطلق عليها اسم التللية ـ تحاذي القلعة ، سقوفها منخفضة ، بقيت على حالها ولما يتم ترميمها بعد ، المحلات على امتداد جوانب الأسواق متلاصقة بعضها ببعض ، وتحتوي على أصناف عديدة من العباءات والملابس ، والحلويات ، والمكسرات والفواكه والخضراوات وغيرها .

دخلنا أحد محلات المكسرات ، فذكر صاحبه عبد القادر صابر أن مهنة المتاجرة بالمكسرات يتوارثونها أبا عن جد ، وربما يعود ذلك إلى حوالي مائتي سنة .

وذكر أن الفستق المسمى الحلبي ما هو إلا اسم الشهرة له ، لكن مصادره متنوعة ، وأسماءه عديدة ، مثل : الماوردي ، والعاشوري والباتوري والعليمي وناب الجمل (تشبه حبته ناب الجمل) وفستق بوظة ، وهذا الصنف حبته صغيرة ولون قلبه أخضر .

وذكر أن موسم قطافه في فصل الصيف ، وأن الشجرة تكون عارية من الأوراق في فصل الشتاء .

اصطحبنا السيد عبد القادر إلى مصنع التحميص التابع لهم في السوق نفسه ، فوجدنا العمال يحمصون عدة أنواع من المكسرات ، مثل الفستق المسمى السوداني ، وهو يزرع في الساحل السوري قرب اللاذقية ، و « وبزر » البطيخ ، والبزر الأبيض ، والفستق الحلبي ، والحمص « قضامة » ، وغير ذلك .



● أشهر مكان في حلب ، إنها القلعة التي تتوسط المدينة ، وتشرف على أحيائها .

الحكواتي يحرق كتابه !

كـان الحكواتي وخيـال الـظل وغيـرهـما من مسليـات هي أجهزة تسليـة الناس قبـل انتشار الإذاعة والتلفاز والمسارح الحديثة ، وكانت ليالي رمضان وبعض ساحات الأحياء ومقاهيها تشهد كثيراً من صولات وجـولات الحكواتي ، إلا أن ذلك كان في زمن مضى . هكذا ذكر لنا السيد عدنان منصور (أبو عمر) الذي يعمل في مقهى تشـرين ، في بـاب بـريـد القـريب من سـوق الحميدية .

× علقت : لكن الحكواتي ما زال مادة أساساً في مقهاكم .

ـ قال : مـا زال مقهانـا ومقهى آخر يتـردد عليهما الحكواتي فقط في هذه المدينة الكبيرة ، بعد أن كان مسليا وحكيما في زمان مضى .

بعد أذان العشاء جاء الرجل متأبطا كتابه ، همس أبو عمر : إنه الحكواتي ، يـأتينا في هـذا الوقت من كل مساء .

كان رجلاً كبيراً في السن ، يضع على رأسه طـاقية من الصـوف ، وتلفح بشمـاغ (غترة) منقـطة بـالأبيض والأسـود ، يلبس سـروالا ـ شروالا ـ أسود كعادة الرجال الكبار السن في بلاد الشـام ، ويـرتـدي معـطفـا أزرق . جلست بجانبه ، وبدأت أسأل وهو يجيب ، قال :

ـ أنـا عبد المهيمن حمصي ، المعـروف بـأبي محمـود الحكـواتي ، ومن مـواليـد دمشق سنـة ١٩١٨ ، عملت في الحيـاكة مـدة من الزمن ، واستمعت لعـدة حكـواتيـة ، كنت أستمتـع بـالـروايـات والقصص ، وأقـرؤ هـا في البيت وحدي ، وعندما خف نظري قليـلا ـ يستعمل نظارة طبية ـ قررت أن أتحول إلى حكواتي ، وتم



● عدة أصناف من الفواكه تتحول إلى عصائر .

ذلك منذ سنة ١٩٤٠ ، وها أنا ما زلت أعمل .

ـ أتسألني عن السير التي أقرؤها ؟ إنني أقرأ سيرة عنترة وأبي زيد الهلالي والأميرة ذات الهمة والظاهر بيبرس وغيرهم .

× هل تستعمل الربابة والغناء مع القراءة ؟

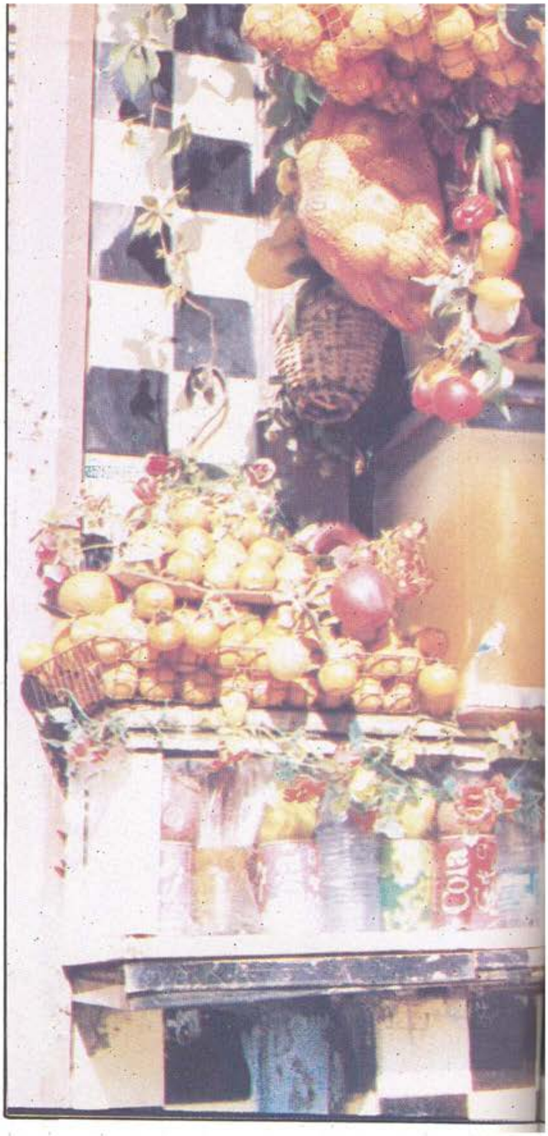
– لا ، إنني أقرأ فقط ، والعادة في دمشق درجت على هذه الصورة .

× هل تغار من التلفاز ؟

– طبعا أغار ، إنه منافسنا الخطير ، إنه يعمل حوالي ٨ ساعات ، وأنا أعمل وأقرأ ساعة واحدة .

شاشة التلفاز كانت تشد انتباه رواد المقهى ، وصوت قرقرة « الأراكيل » كانت تملأ المكان ، ونداءات : شاي ، قهوة ، نارة يا أبا عمر ، كانت تتردد في المقهى .

تنحنح الرجل ومسح نظارته ثم أغلق أبو عمر التلفاز ، ووضع كرسيا على طاولة قصيرة انتبهت لحظتها أن سجادتين كانتا معلقتين خلف الرجل ، مرسوم عليهما صورة متخيلة لعنترة وأخرى للأميرة ذات الهمة .



وضع أبو عمر مكتة سجائر أمام الرجل وكوب ماء . تنحنح ثانية ، فتوجهت إليه أنظار الرواد الذين كان معظمهم من الشبان .

قلب الرجل كتابه ثم بدأ باسم الله . وانطلق يروي سيرة الظاهر بيبرس ، همس لي أبو عمر : إن سيرة الظاهر بيبرس قد تستمر سنة ، وهي تؤكد في النهاية على ضرورة الوحدة وتحرير البلاد من الغاصب الأجنبي .

استمر الرجل يروي ويتكلم تارة بالفصحى وأخرى بالعامية السورية أو المصرية ، تتداخل معها الكلمات التركية .

قرقرة « الأراكيل » مع صوت الحكواتي كانتا تترددان في المكان مع همس خفيف بين هذا الزبون والذي يليه .

أخذ الحماس الرجل وهو يروى معارك الظاهر بيبرس ، وأشعل سيجارة ، وتوالت القرقرات والهمسات وتأشيرات الأيدي من قبل الحكواتي .

تكلم شاب بصوت مسموع مع زميله ، فوجه الحكواتي أنظاره إليه ، شبت نار السيجارة ببعض أطراف الكتاب في تلك اللحظة ، فأطفأها مساعد الحكواتي بسرعة .

× **همست للحكواتي بعد أن انتهى من ساعة القراءة المحددة به : من هو مؤلف الكتاب الذي تروي عنه ؟**

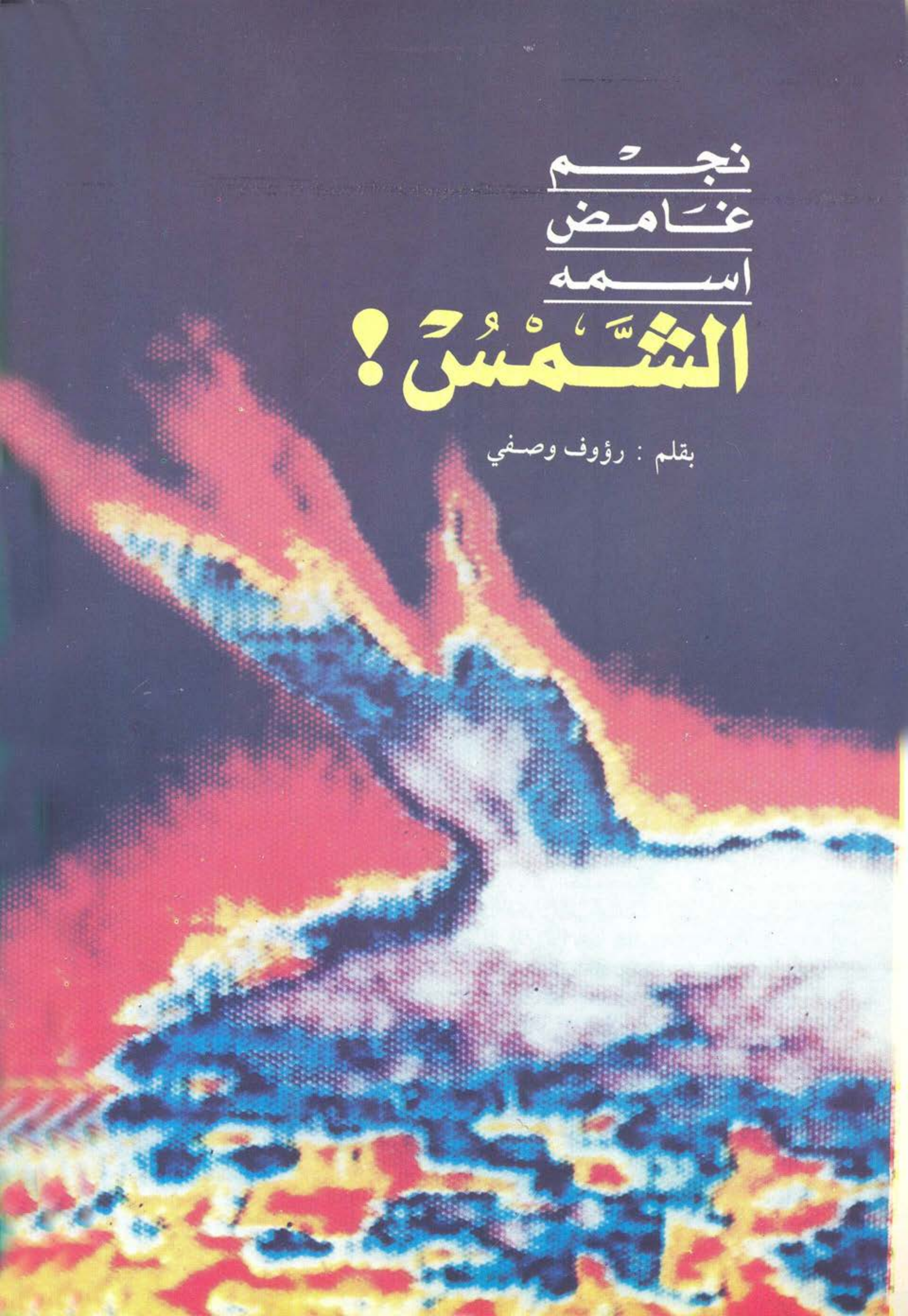
ـ علق : لقد ورثته ، ولا يوجد اسم المؤلف عليه .

مبالغات وانقراض

علق أحد الرواد هامسا لي : إن رواية كتب الحكواتي فيها كثير من المبالغات والخرافات ، صحيح أن الظاهر بيبرس شخصية حقيقية ، لكن ما يرويه الحكواتي فيه كثير من المبالغات ، وأنا آتي إلى المقهى كي أسلي نفسي ، وليس للاستماع إلى الحكواتي ، وإدارة المقهى جلبت الحكواتي كي تكسب الزبائن ، لكن كما ترون فإن الحكواتي قلما يجذب الزبائن ، خصوصاً جيلنا الذي قرأ وخبر الكثير .

أغلق الرجل كتابه ، وهيأ نفسه للخروج .

تذكرت تعليق الشاب الهامس ، واستعرضت ما سمعت من الحكواتي ، فأدركت بعض أسباب انقراض مهنة كان لها حضورها الأخاذ في زمن مضى ، خصوصا في شهر رمضان ، وأدركت أيضا أسباب انقراض بعض المهن والعادات والتقاليد التي ربما لم تعد تتوافق مع زمان أخذ يركض نحو المستقبل بسرعة الصاروخ ! □



نجم غامض اسمه الشَّمْسُ !

بقلم : رؤوف وصفي

تشهد الشمس منذ شهر مارس ١٩٨٩ انفجارات هائلة فوق سطحها ، ألسنة من النيران تندفع إلى آلاف الكيلومترات في الفضاء ، وتنشط مجالات مغناطيسية وكهربية مروعة ، وتهب عواصف شمسية عنيفة تتكون من جسيمات مشحونة ، وصل مداها إلى كل كواكب المجموعة الشمسية ، كما انتشرت على الشمس مناطق باردة نسبياً ، يطلق عليها اسم البقع الشمسية ، وقد تستوعب سبعين كوكبا مثل كوكب الأرض . إنها ثورة تحدث كل حوالي أحد عشر عاما ، وتمثل ذروة النشاط الشمسي الذي يتأثر به مناخ الكرة الأرضية ، فيحدث الجفاف في بعض المناطق ، ويكثر الفيضان في مناطق أخرى ، وتتأثر طبقة الأوزون وتحدث فيها الثقوب ، كما تتعطل الاتصالات اللاسلكية ، وتفسد أجهزة الأقمار الصناعية ، وتنشأ ظاهرة الشفق القطبي .

كرة من الغازات

من بين مائة بليون نجم تحتشد في مجرتنا (درب التبانة) تعد الشمس أقرب النجوم لكوكب الأرض ، فهي تبعد ١٥٠ مليون كيلومتر فقط عنا ، وهذه مسافة ضئيلة جدا بالمقاييس الفلكية . وقد عاش الناس قرونا طويلة قبل أن يكتشفوا أن الشمس هي إحدى النجوم ، وكانوا يعتقدون بأنها مجرد كوكب فضائي متميز .

ومنذ قديم الزمن أدرك الصينيون والبابليون أهمية الشمس منبعاً حيوياً للضوء والحرارة ، كما عبدها المصريون القدماء والإغريق والرومان . وكانت ظاهرة كسوف الشمس من أكثر الظواهر الطبيعية إثارة لخوف الإنسان ورعبه .

والشمس كرة هائلة من الغازات ، يبلغ قطرها نحو مليون وثلاثمائة وأربعة وثمانين كيلومتراً ، وهي متماسكة بتأثير جاذبيتها الذاتية . ويمنعها من الانهيار إلى الداخل ذلك الضغط الهائل المستمر الذي ينتج عن درجة الحرارة العالية في مركزها التي تصل إلى عشرين



● البقع الشمسية وهى تبدو واضحة فوق سطح الشمس

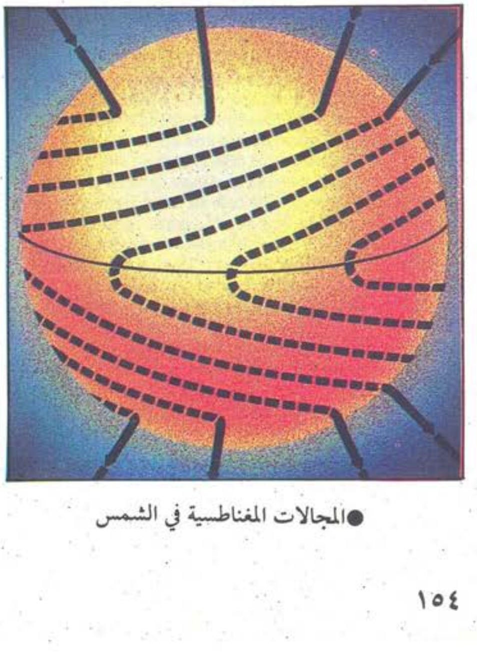
يعتقد علماء الفلك بأن ما يحدث للشمس منذ فترة قصيرة يعد من أعنف الثورات التي رصدها الإنسان عبر التاريخ البشري . فما حكاية الشمس ، هذا النجم الغامض الذي يهبنا الدفء والطاقة والحياة ؟

مليون درجة مئوية ، بينما سطح الشمس بارد نسبياً ، تصل درجة حرارته إلى نحو ستة آلاف درجة فقط . وتنظم الشمس حركة دوران كواكب المجموعة الشمسية وتوابعها ، فتجذبها بقوة شديدة ، ومن ثم تحافظ على حركة كل منها في مداره، وهي تسير بسرعة هائلة ومعها الكواكب التسعة، في حركتها الدورانية حول مركز مجرتنا .

ولو نظرنا إلى قرص الشمس الضخم وقت الشروق أو الغروب لخيل إلينا أن سطحها هادىء ساكن، وما هذا إلا خداع نظر لبعد الشمس عنا ، فحقيقة الأمر أن سطح الشمس أقرب ما يكون إلى محيط هائل من النيران المتأججة ، دوامات وانفجارات وعواصف مروعة مثلها مثل باقي النجوم في مجرتنا ، وكذلك في بلايين المجرات الأخرى في الكون .

طبقات الضوء واللون

يطلق على الجزء الخارجي من الشمس « الفوتوسفير » ، أو الطبقة الضوئية ، ويبلغ عمقها نحو أربعمائة كيلو متر ، ومنها يشع الجزء الأكبر من الحرارة والضوء اللذين يصلان إلينا



● المجالات المغناطيسية في الشمس

فوق كوكب الأرض ، وتخفي هذه الطبقة الجزء الداخلي من الشمس . واتضح من الدراسات الفلكية المستمرة أن عنصري الأيدروجين والهليوم هما أكثر العناصر شيوعاً في منطقة الفوتوسفير ، إذ تبلغ نسبة الأيدروجين ٩٠٪ والهليوم ٩,٩٪ بينما تمثل العناصر الأكثر ثقلا ١,٠٪ .

وتمتد فوق « الفوتوسفير » منطقة ، يصل ارتفاعها إلى نحو عشرة آلاف كيلو متر ، تسمى « الكروموسفير » ، أو الطبقة الملونة ، وقد اكتسبت هذه التسمية بسبب ذلك اللون الوردي المميز الذي يحدثه غاز الأيدروجين ، ويبدو واضحاً عند حدوث الكسوف الكلي للشمس عندما يكون القمر بين الشمس وكوكب الأرض ، فيحجب قرص الشمس ، فيبدو « الكروموسفير » كهالة مضيئة ، ذات لون يميل إلى الاحمرار ، تحيط بظل القمر . وترتفع درجة حرارة هذه المنطقة إلى نحو مليون درجة مئوية .

ومن « الكروموسفير » تمتد الهالة الشمسية إلى ملايين الكيلو مترات في الفضاء ، وتتكون من غازات خفيفة جدا . ويعتقد علماء الفلك أن كثيراً من كواكب المجموعة الشمسية تدور داخل حدود هذه الهالة العظيمة .

عندما تموت الشمس

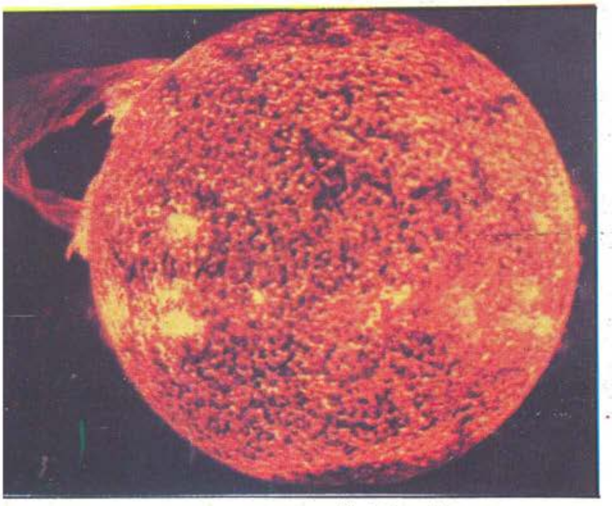
كان المصدر الذي تستمد منه الشمس طاقتها من المسائل المهمة التي ظلت زمناً طويلا أحد ألغاز الكون المبهمة . تحصل الشمس على طاقتها من عملية تسمى (الاندماج النووي) ، تحدث في مركزها الذي تسود فيه درجة حرارة تبلغ ملايين الدرجات المئوية ، وضغط يصل إلى ملايين الملايين من الأطنان فوق السنتيمتر المربع الواحد . وهذه الظروف تفوق كل خيال بشري ، إذ يضغط الغاز إلى حد تصبح فيه كثافته أكبر من كثافة السوائل العادية أو الأجسام الصلبة ، ولا يبقى أي تركيب ذري ، بل توجد

فقط الجسيمات دون الذرية ـ كالألكترونات والبروتونات ـ حرة طليقة . وأول خطوة في التفاعل النووي هي اصطدام بروتونين ، إذ يكونان معاً نواة النظير الثقيل للأيدروجين (الديوتيريوم) ، وتصدر طاقة ، كما يتم إنتاج جسيمين آخرين هما « النيوترينو » و « البوزيترون » . و « النيوترينو » جسيم ليس له ـ على الأرجح ـ كتلة أو شحنة ، وهو لا يتفاعل مع معظم مواد الكون ، وبمجرد نشأته في مركز الشمس فإنه ينطلق مخترقاً كتلتها حتى السطح ، ثم إلى الفضاء ، وعندما تصل أعداد هائلة من هذه الجسيمات إلى الأرض فإنها تخترقها ، وكأن طريق مرورها خال من أي كوكب .

أما « البوزيترون » فهو مادة مضادة للألكترون . فمن المعروف أن « الألكترون » جسيم دقيق عليه شحنة سالبة ، أما « البوزيترون » فهو ألكترون يحمل شحنة موجبة ، وبمجرد تحرر البوزيترون ـ في جزء من الثانية ـ يصطدم بالألكترون فيتلاشيان معاً ، ويصدر عنهما وميض من الطاقة .

وتخطف نواة « الديوتيريوم » « بروتوناً » آخر ، فتتحول إلى نواة للهليوم ، وينتج عن هذا التفاعل انطلاق أشعة جاما ، وهي أشعة قصيرة الموجة ، ذات طاقة عالية ، فيتحرر مزيد من الطاقة الشمسية . ويتم بواسطة هذا التفاعل النووي الحراري ـ في كل ثانية ـ فَقْد ما يعادل ٤ ملايين طن من كتلة الشمس ، تتحول إلى طاقة شمسية .

ويقدر علماء الفلك أن العمر الباقي للشمس نحو خمسة بلايين سنة ، فهي في الوقت الحاضر في مرحلة الشباب ، ولن تظل نجماً مستقراً فترة طويلة من الزمن ، بل ستنتابها تغييرات أساسية ، فبعد أن يتم استهلاك حوالي ١٠٪ من الأيدروجين الموجود في داخل الشمس ، سيتراكم رماد الهليوم الناتج عن الاندماج النووي في المركز ، ويؤدي هذا إلى انكماش الشمس

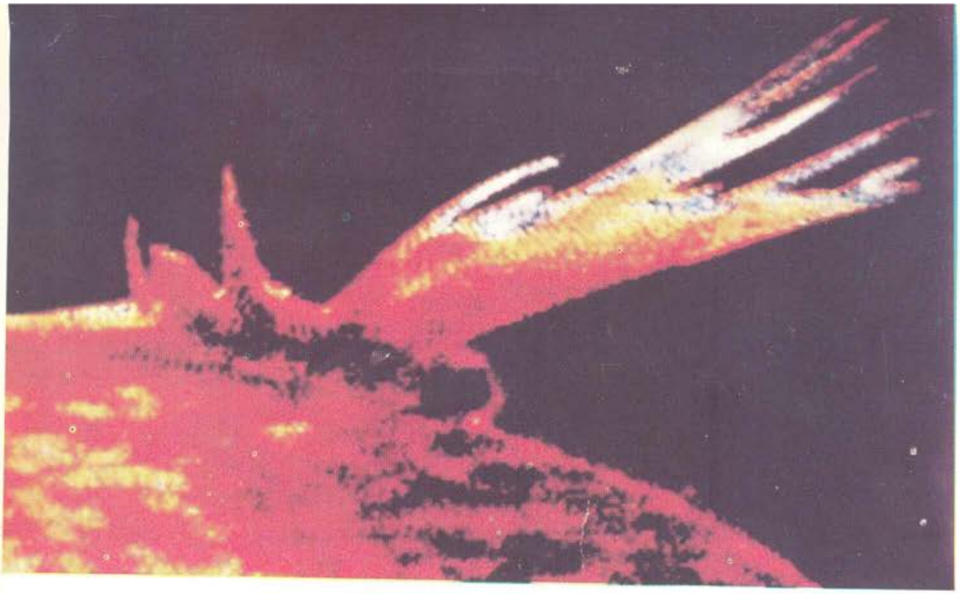


●ثورة فوق الشمس

تحت ضغطها الذاتي المتزايد ، وتنطلق طاقة تؤدي إلى تمدد المناطق الخارجية للشمس ، ومن ثم تصبح أكبر حجماً وأقل حرارة في مناطقها الخارجية ، ويأخذ لونها في الاحمرار وهنا تسمى الشمس (العملاق الأحمر) . وبمجرد انتهاء الوقود فإن مركز الشمس يبرد تدريجياً ، وتصبح السيطرة للجاذبية ، فتتقلص الشمس حتى تكاد تصبح جسيماتها متلاصقة ، وهكذا لن يكون هناك مجال لأي تفاعل نووي ، بعد أن يصبح مركز الشمس نعشاً أبيض للعناصر الثقيلة التي تراكمت فيه ، ويطلق عليها في هذه الحالة اسم (القزم الأبيض) ، وسرعان ما يتوقف القزم الأبيض عن الإشعاع ويبرد تماماً ، ويصبح مجرد جسم أسود ميت معلق في الفضاء .

ثورة الشمس وثورات الأرض

تتولد على سطح الشمس المستعر بقع داكنة وسط المناطق المضيئة البيضاء اللامعة ، إنها البقع الشمسية التي تعد أكثر ظواهر الشمس وضوحاً ، كما أنها الإشارة الوحيدة الدالة على نشاط الشمس .



● التأجحات الشمسية

وتـظهر البقـع الشمسية أقـل لمعانـاً من بقية السطح ، إذ أن درجة حرارتها تقـل عنه بنحـو ٢٠٠٠ درجة مئوية . وتظهر البقع الشمسية في شكل مجموعات ، يحتوي كل منها على عدة مئات من مختلف الأحجام ، ويتضح من رصدها أنها مراكز لدوامات هائلة ، يعزلها عما حولها مجالات مغناطيسية وكهربائية مروعة .

وهناك عدة نظريات تحاول تفسير ظهور البقع الشمسية . تقول إحدى النظريات أن الشمس عبارة عن جسم غازي ، غير متماسك ، ومن ثم تـدور أجـزاؤ هـا بسـرعـات مختلفـة ، ويكـون الدوران أسرع نسبياً في المناطق الاستوائية عنه في المناطق القطبية ، وينتج عن هذا الاختلاف في السرعات تكوين دوامات على سطح الشمس ، وهي البقع الشمسية . بينما ترى نظرية أخرى أن البقــع الشمسيــة تتكــون بسبـب المجــالات المغنـاطيسية والكهـربائيـة القـادمـة من مـركـز الشمس ، ولهذا يشبه علماء الفلك الشمس بمولد للطاقة هائل في الفضاء .

ولا يبقى عـدد البقع الشمسيـة ثابتـاً ، بـل يتدرج من حد أدنى إلى حد أقصى ، ثم يهبط مرة أخـرى إلى الحد الأدنى خـلال دورة تبلغ نحـو إحدى عشرة سنة ، وعندما تزداد البقـع تكون الشمس في حـالة نشـاط ، أما عنـدما ينخفض عددها فإن الشمس تصبح « هادئة » .

وتحدث عدة ظـواهر أرضيـة في أثناء ظهـور البقع الشمسية ، منها الاضطرابات اللاسلكية ، والتغير في درجات الحرارة ، ونشوء ظاهرة الشفق القطبي ، وتلف أجهزة الأقمار الصناعية . كما يحاول بعض الربط بين التكرار الـدوري للبقع الشمسية والتغيرات التي تحدث في أوقات هجرة الـطيـور والـزيـادة أو النقص في المحـاصيـل الـزراعيـة ، وكـذلـك حـدوث الثـورات الاجتماعية ، إذ سجلت نهايات عظمى للبقـع الشمسية عند اندلاع الثورة الفرنسية (١٧٨٩) ، والثورة الروسية (١٩١٧) ، لكن لا يمكن الجزم بوجود مثل هذا الارتباط . كما اتضح أن الأشجار تنمو أسرع في سنوات تكاثر البقع الشمسيـة ، وتم التحقق من هذا الأمر عند قطع الأشجار ، وفحص الحلقات التي تتكون سنوياً وتظهر عند جذوعها .

نصيبنا من الانفجارات

تصاحب البقع الشمسية انفجارات هائلة ، تسمى (التـأججات الشمسيـة) ، وهي تنشأ أيضاً ـ على الأرجح ـ بسبب المجالات المغناطيسية

على الشمس ، وتظهر بشكل فجائي ، وباندفاع صاخب .

وفي وقت ذروة النشاط الشمسي تظهر العشرات من التأججات الصغيرة التي تنتشر في منطقة البقع الشمسية . وعندما حدثت الانفجارات فوق سطح الشمس في شهر مارس من العام الماضي انطلقت منها تيارات هائلة من أشعة اكس والأشعة فوق البنفسجية التي تسير بسرعة الضوء ، حتى وصلت إلى الطبقة العليا من الغلاف الجوي المحيط بكوكب الأرض ، فتخللته البروتونات ذات الشحنات الكهربائية الموجبة ، والألكترونات ذات الشحنات الكهربائية السالبة ، مما أدى إلى ارتفاع حرارة حافة هذه الطبقة ، ومن ثم تمددت في الفضاء . وقد أثر هذا على الأقمار الصناعية ، فقلّت سرعتها ، وهبطت إلى مدارات أكثر انخفاضاً ، ومن بينها القمر الصناعي (سولارماكس) الذي أطلق عام ١٩٨٠ لرصد نشاط الشمس .

ويندفع طوفان من الجسيمات المشحونة من التأججات الشمسية ، لتصطدم هذه الجسيمات بالغازات التي توجد في طبقة الغلاف الجوي (الايونوسفير) التي تعكس الموجات اللاسلكية ، فتتوهج ، وينشأ عن ذلك مشهد بالغ الروعة في الفضاء ، يتمثل في وهج ملون ، يتراوح بين الأخضر والوردي ، وتسمى هذه الظاهرة الشفق القطبي .

أما خطر الانفجارات الشمسية على الجنس البشري فمحدود ، إذ يحميه الغلاف الجوي للأرض ، ولكن الخطر الحقيقي على رواد الفضاء الذين يقومون برحلاتهم بعيداً عن كوكب الأرض ، وبشكل أقل على المسافرين في الطائرات الأسرع من الصوت كالكونكورد .

وفي شهر يونيو عام ١٩٨٩ ، قام العلماء في معظم دول العالم بدراسة مكثفة لنشاط الشمس غير العادي ، وقد اشترك مائة مركز شمسي في شتى مناطق العالم في هذه الدراسة ، وتم ربطها بشبكة من البريد الألكتروني .

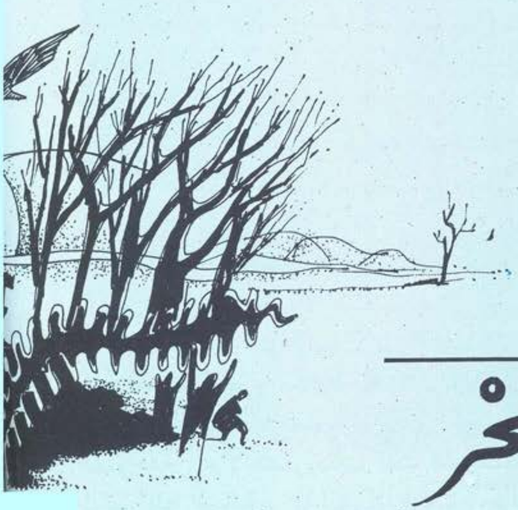
وتعد الشمس نموذجاً لدراسة النجوم الأخرى ، فإذا تمكنا من فهم التفاعلات والظواهر الطبيعية في الشمس أمكننا بالتالي أن نتعرف على طبيعة النجوم البعيدة . لهذا يعكف علماء الفلك على دراسة ثورة الشمس في الوقت الحاضر ، في محاولة تكشف بعض ألغاز هذا الكون الغامض . □

من الشرق والغرب

* **بشاشة الوجه عطية ثانية** . (علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) .
* **من تغدى وتعشى ولم يأكل بينهما ، سلم من الأوجاع** . (عبدالله بن جعفر) .
* قال الإمام الأوزاعي : « **إذا أراد الله بقوم سوءاً أعطاهم الجدل ومنعهم العمل** » .
* **يتعلم المرء حين يعلمّ** . (سنيكا) .
* **نكران الجميل أشد وقعا من سيف القادر** . (شكسبير) .
* **الذوق سمة الرجل المهذب ، والخيال سمة الرجل المنتج ، واتزان العاطفة سمة الرجل الناضج** . (فيليب بوتز) .



● شكسبير



لبنان وطيور البحر

شعر : محمد الفايز

ويا لبنان يا حزنا جديدا   نعانيه ويا جبلا يثور
لماذا يرجمون الورد ؟ ماذا   جنت تلك الخمائل والطيور ؟
وظل مثلما نعست رياش   وأشجار كما وقف الحرير
وبيت كنت ألقى فيه سلمى   وتلقاني إذا التهب الهجير
تطاردنا الرياح بكل أرض   وتحذفنا على الصخر الصخور
وإنسان يهاجر عن هواه   وآخر فيه من دمه نفور
تناهبنا حماس لايؤدي   إلى شيءٍ ونزَّقنا الحبور
وأرض مثلما انفتحت سماء   وبحر فيه تنصبّ البحور
كأن طيوره رسل عليها   إشارات تُشير بما تُشير
ولو لم يأت هذا الغزو ممّن   لهم من قبله غزو مرير
لجاء الآخرون ، لذاك قالوا   بأن الآخرين هم السعير
وما اختلفت حروب عن حروب   وإن بعدت وما زالت تدور
تراكمت النقائض فاستحالت   حروبا واستوى فيها المصير



ومن يدري ؟ لعل الكون فيه … كما في الناس حس أو شعور
هي الأيام تخلع ما عليها … وتنفض من كواهلها الدهور
وتفقد من توازنها جبال … فتسقط أو تقوسها الفطور
وما لبنان أول من أطاحوا … ولكن عبئت فيه الشرور
وما دخل الغزاة به ولكن … توارى خلفهم غزو كبير
وصارت حجة للغزو أرض … بها شتى الحروب بدت تدور
تناقضت الظواهر والخفايا … وخُبِّئت الحوافز والأمور
وقد كانت حروباً ساكناتٍ … مخبأةً كما دُفِنَت بذور
وجاء أوانها . ولكل حرب … أوانٌ والقويّ هو القدير
يبرِّر ظالمٌ ظلماً جناه … بصولته فيفسق أو يجور
كأنَّ لكل مرحلةٍ ثياباً … تجددها كما سقطت قشور
تجدد من منازلها الليالي … وتخلع من حراشفها العصور

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت
أبريل ١٩٩٠م

علم الأحياء

والأيديولوجيا والطبيعة البشرية
"ليس في جيناتنا"

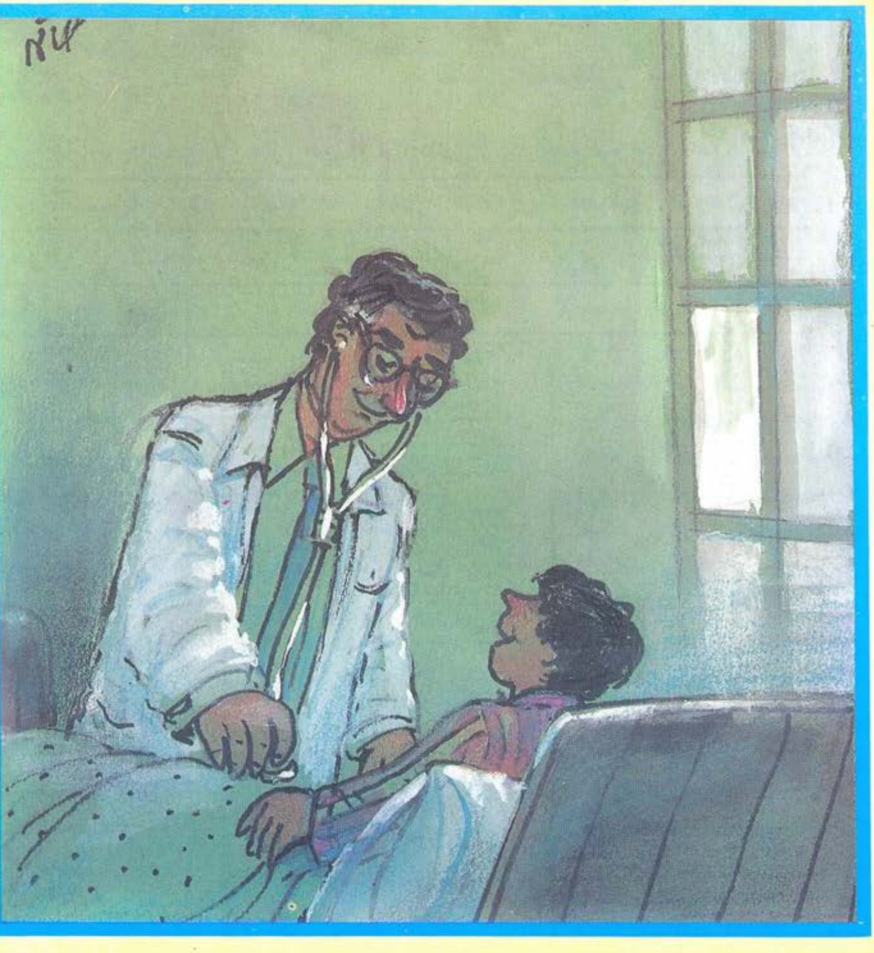
تأليف : ستيفن روز
ترجمة : د. مصطفى إبراهيم فهمي
مراجعة : د. محمد عصفور

الكتاب ١٤٨
٥٠٠ فلس

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص. ب : ٢٣٩٩٦ الكويت

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع



الوقاية من آلام الظهر تبدأ من الصغر

الوقـــاية من آلام الظهــر تبـدأ من الصّغـر

بقلم : الدكتور علاء محمود

هل يوجد من لا يعاني من آلام الظهر ؟ إن الجواب عن هذا السؤال ليس بالسهولة التي يتصورها بعض الناس ، فعملية البحث عن محظوظين ، لا يعانون من متاعب في عمودهم الفقري تعد عملية صعبة نسبيا !

تقول الإحصائيات : إن كل شخص تخطى الثلاثين سنة من عمره ، يعاني من مشاكل صحية في العمود الفقري بدرجة أو بأخرى . فمن لم يحصل في صغره على الاهتمام بصحة جهازه الحركي ، وتفادى الممارسات المؤذية للجهاز الحركي ، يعاني طوال عمره من مشاكل في العمود الفقري . فعلينا على الأقل أن نحاول مساعدة أطفالنا ، لتجنب مشاكل العمود الفقري في الوقت المناسب . ولتكن البداية بتوجيه السؤال التالي : هل الاجراءات المتخذة في المدارس تعد مناسبة لسلامة الجهاز الحركي عند الأطفال ؟ وللجواب عن هذا السؤال نورد نتائج دراسة أجريت في شهر مارس ١٩٨٧ ، على عدد من التلاميذ في النمسا كمثل توضيحي .

فلقد أظهرت دلالة الإحصائيات ، أن ٣٨٪ فقط من مجموع ٣٢٥٦ تلميذاً ، أجريت عليهم فحوصات للمفاصل والعظام ، عدوا من هذه الناحية سليمين صحيا .



● بروفيسور نويغباور .

فقد ظهرت على ٢٦٪ من التلاميذ تغييرات مرضية في العمود الفقري ، كما ظهرت على ٤ر١٣٪ من المجموع أعراض تقوس الظهر ، كما كان عدد التلاميذ الذين يعانون من ظاهرة الظهر المسطح يمثل ٦٪ من المجموع العام ، وكان ٧٪ من التلاميذ أيضا يعانون من اعوجاج في العمود الفقري . هذه النتائج سجلها البروفيسور هيرمان نويغباور ، رئيس مستشفى العظام والمفاصل ، في كيرستهوف في فيينا . وهو رائد في مجال العمود الفقري عند الأطفال . والبروفيسور نويغباور ضد مصطلح (الأعراض المؤقتة) ، ويعتقد أن اعوجاج العمود الفقري



● صورة تخطيطية لطفل يجلس بشكل غير صحي أمام جهاز التلفاز .

وتقوس الظهر الجزئي ، ليسا من الأعراض المؤقتة ، وإنما أمراض حقيقية .

إن معوقات النمو ومعاناة الاستقلاب (تحول الغذاء إلى طاقة) التي تسببها التغذية في الوقت الحاضر ، تلعب أيضاً دوراً مهماً في هذا المجال . ومن أجل تقديم العلاج السريع الصحيح يفترض أن يتم تشخيص أمراض العمود الفقري بشكل مبكر . فالتصرفات غير المدروسة في الصغر هي السبب المباشر في معاناة الناس البالغين خلال حياتهم . لذلك فإن مراقبة الأطفال وفحصهم في وقت مبكر سيؤدي إلى تفادي ٢٠٪ من المشاكل من هذا النوع على الأقل .

منذ أيام المدرسة

في هذا المجال يمكن التطرق في البداية الى ثقل الحقيبة المدرسية ، فليس من واجب التلميذ أن يحمل كتبه ودفاتره ولوازمه الأخرى معه إلى المدرسة ، وفي آن واحد .

ومن الصحي المناسب للعمود الفقري حمل الحقيبة المدرسية على الظهر ، لكي يتحقق توازن وتوزيع للثقل مناسبان . هناك مسألة أخرى جديرة بالمناقشة ، وهي تخص الجدول اليومي للدروس ، وتوزيع الحصص وتنوعها . من الواجب هنا أن نأخذ بالحسبان مدة بقاء التلاميذ في المدرسة ، وتأثيرها على صحة التلاميذ ، وبخاصة الساعات التي يجبر التلاميذ فيها على البقاء داخل الغرف ، وبوضع غير مريح للجسم ، إضافة إلى ما تسببه الساعات الأخيرة من الدوام من حالة ملل مستمرة ، وتأثيرها النفسي على الطلاب . إن اختصار الساعات الدراسية له فوائد عديدة ، من زاوية الصحة النفسية والجسمية للطلاب .

ففي معظم المدارس لم يتم أي تحسن ، في ما يخص صحة الجهاز الحركي ، كراسيّ الجلوس تضطر التلاميذ إلى جلوس غير مريح وغير صحي .

إن الوضع المناسب والصحي للجسم في أثناء العمل لا يمكن تحقيقه من خلال الجلوس على كراسيّ مسطحة . هذا ما توصل إليه الدكتور سيغر قبل مئة سنة . واليوم ، ينبغي ألا تكون هناك أي مدرسة غير مجهزة بمصطبات أو كراسيّ مائلة للجلوس .

التلفاز متهم أيضاً :

وهنا من المفيد أن نلاحظ أن ظروف التلاميذ في البيت - في معظم الحالات - ليست أحسن كثيرا من المدرسة ، لأن

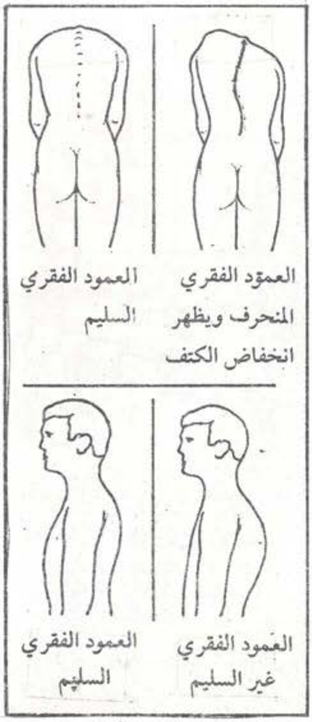
٧٠٪ من الطلاب يقومون بواجباتهم المدرسية في المطبخ أو في غرفة الجلوس أمام التلفاز . وهذا الوضع لا يحقق ما نتمناه لأطفالنا من أجسام سليمة . ويوجه البروفيسور نويغباور سهامه باتجاه التلفاز ، فيقول بهذا الخصوص : « إن برنامجاً للأطفال يستمر ساعتين أو أكثر يعد كارثة حقيقية » .

ويضيف : « أنا لا أريد البحث عن التأثير النفسي والتربوي الذي ينتج عن مشاهدة التلفاز مدة طويلة يوميا والتي تسبب أضراراً كثيرة للأطفال » . وحل هذا الموضوع سهل جدا ، كما يرى ، ويتلخص في توفير مقعد خشبي مع مسندين جانبيّين ومسند للقدم . وفي الوقت نفسه سيتم بهذا الشكل البسيط توفير ظروف صحية للطفل .

من المهد

تعود الشكاوى من المشاكل الصحية بالعمود الفقري والمفاصل إلى زمن الرضاعة والطفولة ، فنقص فيتامين (د) ، والاستعمال الخاطيء للفة الطفل الرضيع (القماط) ، إضافة إلى وضع الطفل في الفراش بشكل خاطيء ، يعد كل ذلك بداية الأخطاء التي تستمر في المدرسة كما أوضحنا سابقا . ومما يزيد الطين بلة طريقة الأكل الخاطئة في الكبر ، والتي عمادها الحلويات والمأكولات الدهنية التي تؤدي الى زيادة غير صحية في الوزن ، تزيد بدورها مشاكل الجهاز الحركي سوءا . وعندما نتكلم عن الكبار يجب أن لا ننسى هنا الجلوس المستمر في مواجهة جهاز التلفاز الذي قد يؤدي أيضا إما بسبب طريقة الجلوس الخاطئة ، أو بسبب قلة الحركة أو بهما معا ، إلى زيادة المشكلة . كما يجب أن لا ننسى أن لبس الأحذية الضيقة ، وغير المناسبة ، قد يؤدي بمرور الوقت إلى عوارض غير سليمة .

لذا فإن المطلوب من أولياء أمور التلاميذ ومسؤولي التربية المدرسية إتخاذ الإجراءات المناسبة لحماية صحة المواطنين على المدى البعيد ، وقد قيل قديما : « درهم وقاية خير من قنطار علاج » . □



● صورة تخطيطية

أمثال مختلفة

* الربيع : عذراء ، والصيف : أم ، والخريف : أرملة ، والشتاء : زوجة .

(مثل بولوني)

* أحبي زوجك كصديق ، واخشيه كعدو .

(مثل اسباني)





ليته يرضى

بقلم : الدكتورة هند حتاحت *

هل يمكن لطبيب ناشيء ، لما تنضج بعد خبرته وتجربته الإنسانية أن يوفق بين مشاعره تجاه مريضه ، وبين أصول العمل الطبي وآدابه وقواعده ، أو أنه يدور مع مريضه في فلك شخصية المريض الاجتماعية والنفسية ، إضافة إلى حالته الصحية وشكواه ؟

هذه بعض الأوراق من مذكرة طبيبة ناشئة .

كنت أمارس العمل في قرية نائية ، وكنت فيها حديثة عهد ، راجعتني سيدة تصطحب كنتها وحفيدها الصغير ، قصت علي طوال ربع ساعة ظروف والد الطفل الذي أصيب بآفة ، مما حال دون نيله حظاً كبيراً من العلم والمهنة والتدريب ، مما جعل وضعه يختلف عن إخوته المتفوقين . ثم اضطرت إلى تزويجه فتاة محدودة الوعي ، قاصرة الإدراك ، هي هذه المسكينة . لذا أرجوك أيتها الطبيبة أن ترأفي بهذا الطفل ، أسير هذه الحال .

أما الطفل فكان عمره سبعة أشهر ، يشكو من حمى منذ ساعات . قمت بفحصه فلم أجد أي علامة سريرية ، أو ما يشير إلى تشخيص بعينه . قلت لهما إن الأمر يحتاج لمراقبته ، فلا شيء حالياً ، وقد يكون بزوغ أسنانه سبباً لما ألم به ،

* طبيبة وكاتبة من القطر العربي السوري



ووصفت لـه دواء خـافضـاً للحرارة . بعد ساعة جاءت الجـدة متلهفة وقـالت : لـمَّا يتحسن الطفل بعـد ، هـل نأخذه إلى طبيب آخر ؟

قلت : افعـلي إن شئت ، لكن ليسـت هنـاك ضـرورة لـذلـك . وتصـورت هـاتـين المسكينتـين وهمـا تحمـلان الطفل ، وتقطعان الطريق إلى أقـرب طبيـب ، وهـو ليس بقريب ، وقدرت ما ستكلفهما هذه المعاينة الجديـدة دون مبرر .

ولأنـني لا أتـكـلف في تصرفاتي ، استدعيتهما وقلت لهما : دعوني أراقب مـا وصل إليـه طفـلكـم ، علـني أطمئنكم . حضـرت الجـدة وقـدمت لي ابنتهـا الـواعية المثقفة قائلة : إنها تريد التعرف عليّ .

ولكن التعارف أخذ شكلاً لا يوصف ولا يقبل . بادرتني :

هـل المـريض مسلسـل ليفحص عـلى دفعات ؟ أين شهاداتـك ؟ لِمَ لا تعلقينهـا ؟ وتابعت ، وتابعت . ولم أعِ كل ما تقول ، لأنني لم أكن أتـوقع هـذا ، كنت آمـل أن تتفهم موقفي ، وأن تدرك ما معنى أن يطلب الطبيب متابعة مـريضه حباً له .

قيـل لي : سـوف يسقط اسمك في هذا المكان ، ولكن الله سلّم ، فالحكم لا يكون من مـرة واحـدة ، لأن الآتيـات يشفعن للسـابقـات إن أسيء الفهم .

ويتعلم الطبيب يوماً بعد يوم أن لا يضطر في غمرة الإشفاق والرحمة بمريضه أن يفعـل أكثر مما يمليه واجبه وعمله ، وليته يرضيه .

الشفقـة والخطـأ :

أي شـروط تـداخـلت فجعلت هـذا المسكين الـذي أرهقه مرض وليده ، وثقل عليه جهله ، يجرني إلى خطأ ما كنت أريد أن يصادفني وأنا أضع أولى خطواتي المهنية راجية أن تسير في طريق العلم ، وإتقان العمل ، والتفـاني في الخدمـة ؟ ولكنني كنت صغيرة .

في الأيام الأولى بعد تخرجي في الجـامعـة،عملت في مشفى كبير ، وكان العمل لذيذاً ومحبباً ومتعباً ودقيقاً في آن واحد ، فقد أشـرفت عـلى قسم الحـواضن الـذي أحببتـه .

أحضر الطفل لؤي ، وكان عمره يوماً واحداً ، وكان مصاباً بانسداد أمعـاء خلقي ، وكان والـداه عـلى درجـة كبيـرة من الجهل ، وقلة تقديـر الأمور . حـارا وحيـراني وهمـا يـطلبـان إخراج الطفـل في الصباح من المشفى عـلى مسؤوليتهـما الشخصيـة ، فتـأملت . مـاذا ستقدمان له في البيت ؟ دونكما ومـا تفعـلان . وهيهـات أن يذعنا . وفي المساء ذهبا به إلى عيادة الأستاذ الكبيـر ، فأشـار عليهما بإدخاله المستشفى فعادا به واستبشرا . وفي اليوم التالي طلبا بمزيد من الإلحاح إخراجه على مسؤوليتهما ، وفعلت ذلك مـرغمـة ، وفي المسـاء عـادا

يرجوان إعادته الى المستشفى ، ولم أملك أن أرفض . وقلت لنفسي : إن الجاهل لا يعرف كيف يتخذ قراره في ظرف قاهر ، ولا يدري أي طريق يسلك ، فكيف ألومها ؟

وفي عصر اليوم التالي كنت في عيادة الحواضن برفقة طبيب يفوقني خبرة ، وإذا بوالد الطفل يأتي ويخرجني من غمرة انشغالي ورغبتي في إتمام ما نحن بصدده من عمل . جاء والدموع تملأ عينيه ، قال لي وقد حمل بيده أوراق المريض : لقد توفي طفلنا ، نريد أن نأخذه إلى البيت ، هلا تكرمت وسجلت ذلك على أوراق المريض ليتسنى لنا إخراجه من المشفى ؟ ووقع في روعي أن ممرضة الجناح هي التي أرسلته ، وهي التي دلته على مكاني في هذه اللحظة ، كما كانت بساطته وضعفه كافيين لجعلي أيسر له ما طلب دون استشارة من هو أعلم مني .

بعد ذلك صحوت ولكنني اكتشفت أنني وقعت على شهادة وفاة الطفل دون أن أراه .

ونسيت كم جريت :

وفي إحدى الليالي كنت في العيادة ، حضر طفل بحالة عامة سيئة ، يحمل تشخيصاً مؤكداً من أستاذنا الكبير ، مرفقاً بإشارة إلى الطبيب المناوب ـ وكنت أنا الطبيب المناوب حينذاك وبمفردي ـ أن يضع هذا المريض على علاج محدد . قمت بواجبي على أتم وجه ، وحين طلبت المصل المذكور قيل لي في الصيدلية المناوبة : أأنت سيئة الحظ إلى هذا الحد . لقد نفدت آخر عبوة منه منذ ساعة فقط ، وعليك الانتظار حتى الصباح ، لتؤمنه لك الصيدلية الرئيسة في المستشفى . ذهبت إلى مشفى التوليد القريب ، فقيل لي : نحن لا نستعمل هذا المصل في المشفى ، سارعت إلى مقسم الهاتف واتصلت بمشفى آخر وآخر ، وكان الرد بالنفي .

وحرت ، وما أشد الحيرة حين تتملك النفس : كيف أهمل مريضاً ما ؟ هل عدم وجود المصل في الصيدلية كاف لجعلي أنام ما بقي من ليلتي والطفل ينقصه العلاج ؟

لم يطل ترددي ، هرعت إلى خزانتي ، وارتديت معطفاً فوق ردائي الطبي ، وسارعت إلى أقرب صيدلية ، أنشد فيها جدول الصيدليات المناوبة .

دخلت الصيدلية والأمل يحدوني أن أجد المصل ، وتناولته وحملته كمن يحمل الجوهرة الثمينة التي قطع رحلة جزيرة الكنز ليحرزها .

كان شعوري هذا أقوى مشاعر الفخر التي ذقتها في هذا الموقف ، لقد كانت الفرحة تغمرني على أشدها حين راقبت الطفل وهو يتماثل للشفاء شيئاً فشيئاً وكأنه يشكرني ، ونسيت كم جريت . □

البخل على أصوله



● كان الاسكتلندي يقرأ كتابا اقترضه من صديق له ، وكان ينهض من مكانه كل دقيقتين فيطفىء نور الكهرباء ، ثم يعود فيجلس ، لينهض مجددا وينير المكان ، فدهشت زوجته وسألته : ماذا تفعل ياجورج ؟

ـ إنني اقتصد قليلا من الطاقة الكهربائية ، هل تحسبين أنني بحاجة إلى نور لأقلب الصفحات ؟

هو.. هي

انهيار الأحلام

تقبلت الأمر في البداية بكل اقتناع ، حبي له وإيماني بضرورة الوقوف إلى جانبه كانا دافعين قويين للموافقة على رغبته في السكن مع والدته في بيت واحد ، فهو الابن الأكبر بين أربعة أولاد وبنات ، وهو المسئول الوحيد عن إعالتهم بعد وفاة والده . كثيرا ما أكد لي أنه سيحقق لي كل أحلامي ، وأن قضية السكن مع أهله لن تغير شيئا من حبنا وعلاقتنا . لكن ما وجدته أمامي كان مختلفا تماما ، فعلاقته بأهله حميمة جدا ، تدخلات أمه في ما يعنيها وما لا يعنيها تزداد يوما بعد يوم ، لدرجة أفقد معها قدرتي على إقناعه بأي مطلب من مطالبي . وهو يسمع ويعرف ، ولا يملك سوى الصمت القاتل . كان علي أن أساعدهم في أعمال المنزل ، وأن أخدم إخوته ، بينما هو يرفض أن أنجب أكثر من طفل إلى أن تستقر أحوالنا المادية .

كنت كلما شكوت له أمري تهرب مني لمشاهدة التلفاز إلى جانبهم ، أو النوم . ويجد في دعوتي له لتناول العشاء أو متابعة برنامج يحبه داخل غرفتنا نوعا من المبالغة التي يجب أن لا أظهرها أمام أمه أو إخوته . كان علي أنا أيضا أن أصمت ، أن أكبح كل انفعالاتي ، حتى لا أغضب أحدا من أهله الذين يحظون دائما بوقته القصير الذي يقضيه في البيت ، بينما لا أحظى أنا إلا بلحظات قليلة قبل النوم غالبا ما نتشاجر فيها ، إذ كثيرا ما كانت أخته الصغرى تصر في كل ليلة على النوم في سرير أخيها لتسمع منه قصة المساء .

بدأت حياتنا تتوتر ، وبدأ البرود والغربة يجتاحان ركننا الصغير . افتقدت في هذا البيت الحب والحلم والخصوصية ، وأصبحنا نعيش غرباء .

توسلت إليه لكي نخرج إلى شقة أخرى ، وفي كل مرة كان يتذرع بالوضع المادي له ولأسرته من بعده .

ولما طفح بي الكيل أنجبت طفلي الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، حتى بدأ البيت والحياة يضيقان بنا . فعد ذلك خروجا على طاعته وتحريضا واضحا على أهله ، فحكم علي بالبقاء في ذلك الركن المظلم إلى أن تسنح الظروف .

إن الحياة تتصدع ، ولم يعد هناك الكثير لنحتفظ به من الحب القديم . ولا أدري إن كنا سنتمكن من اللحاق بها قبل الانهيار .

..هي



امتلاك

كنت متردداً قبل أن أعرض عليها الأمر ، لكن حبها لأهلي واهتمامها بمستقبلي ، شجعاني على عرض موضوع السكن المشترك مع أهلي عليها ، بشيء من الحذر . وقد تقبلت ذلك دون قيد أو شرط ، بل رأت أن هذا طبيعي ، لأنني الابن الأكبر ، ولأن حالتي المادية ضعيفة ، ولأن المصروف سيتضاعف لو سكن كل منا على حدة . أنا لم أقطع لها وعودا كاذبة . وضعت لها ركنا في هذا البيت الصغير ليكون ملكا لنا ، ولكنني كنت ساذجا عندما صدقت وعودها بضرورة الصبر وتحمل الحياة لتحقيق مستقبل مشرق .

فمنذ الأشهر الأولى لزواجنا بدأت تتأفف من عمل المنزل الذي تعاونها فيه أمي وأختي ، تنتظر أي كلمة يقولها أحد في المنزل ، لتجعلها حكاية تلوكها في جلساتها مع الجيران .

نسيت زوجتي كل ماقالته في أثناء فترة الخطبة ، وتحولت من الحبيبة العطوف إلى نمرة



شرسة ، لم أكن قادرا على ترويضها ، وتحول همها في الحياة من الصبر لتكوين مستقبل زوجها إلى النجاح في معركة مع أمي أو إخوتي .

لم تكن تحب الجلوس مع العائلة لمشاهدة برنامج تلفازي ، أو تناول العشاء معهم على مائدة واحدة . وهي تطالبني أنا ابن هذه العائلة الأكبر أن أشاهد التلفاز أو أتناول العشاء داخل غرفتنا المغلقة

كانت تريد أن تبعدني عنهم بأي وسيلة . مضت تنجب طفلا وراء آخر ، حتى أصبحوا ثلاثة ، معتقدة أنها بذلك ستضغط علي للخروج إلى منزل منفصل ، لكن الأمر ازداد سوءا بوجود الأطفال ، وأصبحت الحياة أصعب .

حقا لقد بدأت حياتنا تتصدع ، وأحلامنا تتلاشى ، لكن ، من السبب في ذلك ؟ ولم وصلنا إلى هذا الحد معا ؟ هل أنا ضعيف حقا أمام أمي ، أو أنني أحترمها ولا أود إيذاء مشاعرها ، وأريد للحياة أن تستمر بهدوء ، دون مشاكل ؟ أخي سيتخرج هذا العام ، وسوف يتسلم عمله الجديد ، وستبدأ المسئوليات تقل ، عند ذلك قد أتمكن من أن أحقق لزوجتي رغبتها بالسكن وحدنا ، ولكن هل مازالت الأحلام القديمة باقية في النفوس ؟ إن الشرخ بيني وبين زوجتي يكبر ، فهل ستتمكن يوما من إصلاحه ؟□

..هو



طبيب الأسرة

قضايا منزلية

المريضُ الذي يَعدي نفسَهُ !

بقلم : الدكتور حسن فريد ابو غزالة

في معرض الحديث عن تصنيف الأمراض ، يلجأ المختصون في أحد تصانيفهم إلى توزيعها بين فريقين :

أحدهما فريق الأمراض المعدية ، والآخر فريق الأمراض غير المعدية .

والفرق بين هذا وذاك قائم على التمييز ، إذا ما كان المرض قابلا للانتشار ، ومن طبيعته التنقل بين مصاب وآخر ، وهذا ما يسمونه المرض المعدي ، وقد اصطلحوا على تعبير يطلقونه بينهم هو « مجموعة الأمراض السارية » .

أما إذا التزم بصاحبه ، فلم يبارحه ، لأنه ينشأ من خلل ذاتي في الوظيفة أو التركيب ، ولا يصيب غير هذا المصاب ، فهذا مرض غير معد .

والأمثلة على هذا وذاك عديدة لاتحصى ، فإذا ذكرنا الكوليرا ، على سبيل المثال ، أو ذكرنا البلهارسيا ، أو حمى التيفوئيد ، أو السل أو الحمى المتموجة (حمى مالطة أو البروسيلا) ، فهذه كلها أمراض معدية ، تصيب ضحيتها إذا ما انتقلت من مريض أو مصاب آخر حيوانا كان أو إنسانا .

ولكننا لو جئنا على حديث مرض السكر ، أو علة ضغط الدم المرتفع ، أو فشل الكلى ، أو تضخم البروستاتا ، فهي جميعا علل لا تبرح صاحبها لتصيب غيره ، لهذا فهي غير معدية .

ومن المألوف أن يكون مصدر العدوى من الحيوان أو الانسان إلى الضحية التالية ولايتم ذلك حتى تكتمل حلقة العدوى ، وتتوافر أسباب الحياة والبقاء لمسبب العدوى .

وحلقة العدوى تتطلب لاكتمالها توافر شروط أربعة ، لا يكون المرض معديا دونها ، وهذه هي :

أولا : وجود مصدر للعدوى ، وهذا المصدر إما أن يكون إنسانا مريضا ، أو هو إنسان مصاب ، يعرف في اصطلاح الطب باسم « الحامل للمرض »، أو لعله حيوان أيضا يكون مريضا ، أو يكون حاملا . والحامل في التعريف الطبي هو من دخلت أسباب المرض جسمه ، واستقرت دون أن تبدو على هذا المصاب أعراض المرض .

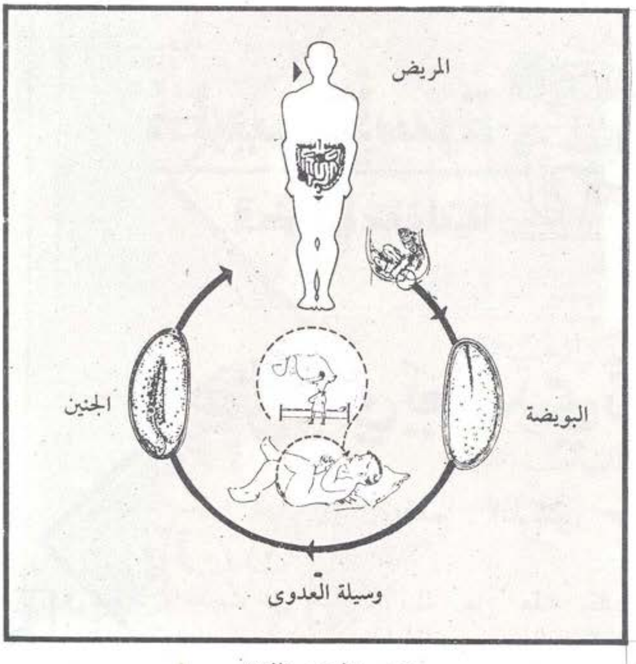
ثانيا : وجود المسبب ، والمسببات أنواع شتى ،

وأشكال متباينة ، منها ما يعرف باسم الفيروس ، ومنها ما يعرف باسم الجراثيم « البكتيريا » ، ومنها مايسمونه الديدان ، أو الحشرات . وهذه أغلبها من طبيعتها التطفل ، تنشد المأوى والمأكل على حساب غيرها .

ثالثا : وجود وسيلة للانتقال ، بين ضحية وأخرى ، فهناك أمراض ينقلها الهواء ، ومعبرها جهاز التنفس ، وأمراض ينقلها الطعام ، ودربها الجهاز الهضمي ، وأحيانا يكون الاحتكاك ما بين مصاب وسليم هو أسلوب العدوى ، أو ربما كان نقل الدم كما هو الحال في التهاب الكبد المعدي أو الايدز أو الملاريا ، وهكذا .

رابعاً : أما الشرط الرابع للعدوى فهو توافر وجود الضحية التالية ، حيث تكون بلا مناعة ، أو قدرة على مقاومة الغزو الجديد .

وفي أحوال خاصة ، وأمراض معينة ، نجد الشروط الأربعة قد توافرت في الشخص نفسه ، فإذا به يكون المصدر ، كما يكون هو الضحية أيضا ، وبهذا تكتمل حلقة العدوى دون حاجة إلى انتقال ، فتكون العدوى بلا عدوى ، أو هي الأصلح أن يُسَمُّوها عدوى الذات .



● دورة العدوى الذاتية .

قد يبدو الأمر غير مألوف لغير المتخصص ، غير أن الأمثلة قد تعين القاريء على استيعاب القضية ، لتبدو سهلة ، بعد أن كانت صعبة ، وتتضح معالمها بعد اللبس .

الطفيليات المفصلية :

مجموعة من المخلوقات تميزت أبدانها بأطراف متعددة المفاصل ، تعد منها الحشرات والعناكب والحيوانات القشرية .

إن بعض هذه المخلوقات قد اختار لنفسه حياة التطفل على غيره ، بل أصبح قادرا على التكاثر والتنامي على جسم الضحية دونما حاجة إلى تنقل ، بل تميز بالاستقرار والتواصل في موضعه كما صار في حال :

١ ـ القمل : يتميز القمل بقدرته على استمرارية البقاء في موضع واحد ، دون حاجة إلى حياة التنقل ، حيث عرفت القملة كيف تبيض في موقعها ، وتتغذى وتتكاثر على جسم عائلها ، دون حاجة إلى البحث عن عائل آخر ، مادام هذا العائل حيا يزودها بالدفء والمسكن والطعام .

وما إن وجدت القملة مخلوقا يوفر لها الجهد في البحث عن طعام ومأوى ،

حتى تشعبت أنواعا وأشكالا ، فهذه قملة تعيش في شعر الرأس ، وتلك قملة لاتبارح شعر البدن ، فيما نجد ثالثة تقبع في شعر العانة .

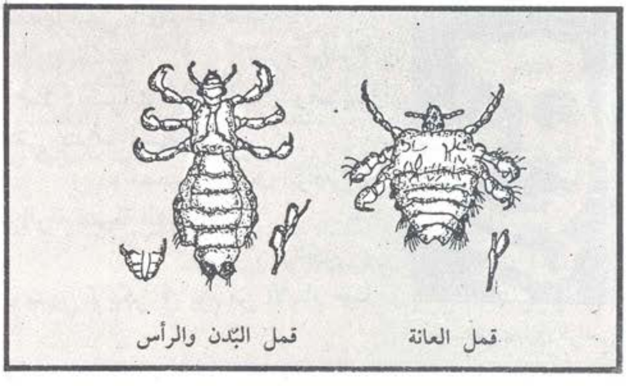
والقملة جاحدة لهذه النعمة التي يوفرها لها الإنسان المضيف ، فهي لاتتورع عن أن تنقل له مرض التيفوس الوبائي ، أو مرض الحمى الراجعة ، وهذا من أخطر ما عرفت البشرية من أمراض وأوبئة ، لهذا كان لها من الضحايا ملايين متعددة عبر عصور حياة البشر .

غير أن أمانة الحديث تقتضي منا تبرئة قمل العانة من هذه التهمة ، حيث لم يثبت لأهل الطب دور قمل العانة في نقل المرض ، على خلاف شقيقاتها من قمل الرأس والبدن .

٢ - مرض الجرب : ربما كان الاسم مألوفا للناس ، لكن السبب مجهول ، وسببه حلمة خاصة تنتمي إلى ما يعرف باسم العنكبوتيات ، وهي تتخير قطاع الجلد الخارجي ، مما يعرف باسم البشرة ، لتحفر لنفسها دروبا وقنوات صغيرة وقصيرة تصل إلى طول مقدار سنتيمتر واحد أو بعضه ، حيث تأوي وتأكل وتبيض ، وتتبرز ، ومن هنا تميز الجرب بحكة شديدة لاترحم صاحبها .

وبيض القمل إذا مافقس ، خرجت صغاره إلى سطح الجلد ، لتتزاوج الإناث مع الذكور ، ثم تعود الإناث لتبحث لها عن مسكن جديد ، فتحفر نفقا جديداً . لهذا فإناث القمل هي السبب في المعاناة .

وهكذا تتكرر المأساة عند الشخص نفسه وتتوالى ، غير أن هذا لايمنع انتقال العدوى إلى الآخرين عند الاحتكاك والمعاشرة .



قمل العانة — قمل البَدن والرأس

٣ - الديدان : عالم الديدان واسع ، وأشكالها متعددة متنوعة ، ولكل منها حياة تخيرتها ، تتناسب وحاجاتها وقدرتها ، وهذه التي اختارت أسلوب التطفل في حياتها لها دورات ونظم وأساليب في البحث عن عائل جديد لها ، تتطفل عليه ، غير أن بعضها قد تحايلت على الأمر ، وعرفت كيف تتوالى وتتواصل عند العائل نفسه ، دونما حاجة إلى ترحال ، وتنقل ، ولهذه الديدان نضرب مثلا :

أ - الديدان الدبوسية : وقد يسمونها بالاسم الشائع « ديدان الاكزوريوس » ، أو ربما عرفها بعضهم باسم « ديدان المقعدة » . وجسم هذه الديدان اسطواني مستدير ، لهذا فهي تنتمي إلى عائلة تعرف باسم الديدان المستديرة . أما اسم الدبوسية فهو لأنها أقرب شبها بالدبوس ، حيث يتراوح طول أنثى الدودة بين سنتيمتر واحد وسنتيمتر ونصف ، وهي تعيش داخل تجويف الأمعاء الغليظة ، ثم إنها إذا ما حملت ، فإنها ترحل عبر قناة الهضم ، حتى تصل إلى فتحة الشرج ، لتضع بيضها حول المقعدة ، في أثناء الليل ، مما يثير عند المصابين الذين هم في غالبيتهم من الأطفال حكة وهرشا ، يقوم به الطفل دونما ضرر ولا شعور ، فتعلق

البويضات بأظافره ، وهو إذا ما أكل دون غسل يده أو مص أصابعه ، فإنه يبتلع البويضات فتفقس في جوفه ، وتعيد سيرتها الأولى .

ب ـ الديدان الشريطية القزم : ديدان ذات جسم على شكل شريط ذي عقد ، وذات قرابة بالديدان الشريطية التي ينقلها الخنزير أو البقر ، غير أن هذه الدودة القزم ، قصيرة الطول ، يتراوح طولها بين سنتيمترين , وأربعة سنتيمترات ، ولاتعيش وحيدة كأقاربها ، بل هي مئات وآلاف تتوطن الأمعاء ، حيث تتغذى وتبيض وتفقس أيضا ، محققة معادلة الأمراض المعدية ، وهي قابعة في مكانها لاتبرحه .

ج ـ الديدان الاسطوانية الغائطية : شكل غريب فريد في عالم الطفيليات ، مما ينتمي إلى الديدان الاسطوانية ، وهي قادرة على التناسل العذري ، بمعنى أن الأنثى قد تستغني عن تلقيح الذكر ، فتتوالد دون حاجة إليه ، كما أن بويضاتها قادرة على إنتاج أكثر من شكل من أشكال اليرقات ، فمنها يرقة على صورة خيطية ، لاتبرح مكانها في الأمعاء ، وإنما تكبر وتتوالد دونما حاجة إلى الخروج من جسم العائل ، وهي بهذا تواصل العدوى وتكرر نفسها أجيالا بعد أجيال .

الفيروسات :

الفيروسات هي أصغر ما عرف الإنسان من كائنات حتى الآن ، حتى قيل عنها : إنها الوسط بين الأحياء والجمادات ، فهي لهذا ميتة خارج جسم العائل ، وحية نشطة داخل جسم العائل ، ثم إنها تنتقل بين هذا وذاك من الضحايا ، غير أن لبعضها القدرة على الانتقال من العائل وإليه ، في ما يعرف بعدوى الذات . نذكر منها فيروسات الثآليل الجلدية التي تتوالد في مواضع متباينة من الجلد ، وأشكال مختلفة ، فمنها ما هو ناعم ، ومنها ما هو خشن الملمس ، بعضها جاف ، وبعضها الآخر رطب ، وعدواها تأتى من اللعب بها أو من الاحتكاك ، أو من محاولة قطعها باليد .

ونوع آخر من فيروسات الجلد التي لاتصيب سوى البشر ، وتتميز بالعدوى الذاتية ، ما يعرف باسم « الدرنات الملساء الناعمة » التي لو تركت وشأنها لضمرت وذبلت . □



مصطفى صادق الرافعي

● **العفة في الحب كلمة ، نطقها سهل ، وفهمها صعب .**

(فولتير)

● **الحب إحدى كلمتين هما : ميراث الإنسانية ، وهدية التاريخ ، والطرفان اللذان تلتقي عندهما السماء بالأرض .**

(مصطفى صادق الرافعي)

● **في الحب كما في الصناعة الرقة فضيلة الضعفاء .**

(فرانكلين)

● **إن حبا أمكن يوما أن ينتهي لم يكن في يوم من الأيام حبا حقيقيا .**

(أرسطو)

مَسَاحَةُ وُدّ!

وَتُنْجِبُ المأسَاةُ أطفالهَا

وحده كان يجلس ، يخفي وجهه براحة يده ، ويداري هزيمة لم يتحملها . وجهه الحزين ينبيء عما في داخله من ألم ، وهو الذي لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره . كنت أتوقع النتيجة ، لذلك ذهبت إليه ، هناك حيث كان يجلس .

عندما رآني أتقدم نحوه جرى إليّ بكل ما يملك من قوة ، لم يكن يجد سواي يرتاح إلى صدره ، ضممته ، وبكل ما أملك من عزيمة تماسكت ، حتى لا أنهار أمامه ، لعله يلتمس شيئا من قوتي .

أمسكت يده ، مشينا معا ، حاولت أن أتكلم ، وأن أجعل من وضع والديه المنفصلين حديثا أمرا طبيعيا . حدثته عن فقدان التفاهم بين الزوجين ، وعن الخلافات التي قد تقع ، فتجعل الحياة مستحيلة . كنت أريد انتشاله من حالة القلق التي تعصف به ، أبحث عن الكلمات المناسبة لأخفف عنه وطأة الألم ، وكان في كل التفاتة ينظر إليّ صامتا وفي عينيه ألف كلمة وكلمة .

أعرف أمه جيدا ، وأعرف قصتها مع أمها ، تلك الأم التي تفوقت أنانيتها على كل مشاعر الحب ، واختارت لنفسها طريقا ، حلمت به منذ الصغر ، فرحلت بعيدا عن قيود المجتمع لتعيش في حرية مطلقة متخلية عن زوجها وطفلتها التي كانت في عمر الزهور .

ومع رحيل الأم فقدت الطفلة كل حنان ، ولعلها ظلت طوال حياتها تبحث عبثاً عن هذا الحنان المفقود ، وجاء اليوم الذي أصبحت فيه في سن الزواج ، تتقدم خطوة وتتراجع خطوات ، فهي لا تريد أن تنجب أطفالا يعانون ما عانت منه ، لكن لم يكن هناك مفر .

الزواج كان تجربتها الأكثر قسوة ، ولكنها لم تقدر على الاستمرار،فقد كان البحث عن الحب المفقود ، يشعرها دائما بالعجز عن تقديم شيء افتقدته وهي طفلة . وخلال سنوات الزواج القليلة لم تستطع ممارسة أمومتها . واتخذت القرار ، وراحت تبحث عن طريق جديد ، تسير فيه وهي تحمل في داخلها مأساتها وتمضي في طريقها ، لتلد من جديد مأساة أخرى مماثلة .

ومن جديد تتكرر المأساة بصورة طفل يجلس هناك في قلب الظلام يخفي رأسه براحة يده ، ولا يعلم أي زمان ينتظره ! .

ريم الكيلاني

جمال العربية

بقلم : الدكتور حسن عباس

صفحة لغة

اللغة ووسائل الإعلام

كنا في العدد الماضي قد وقفنا على عدد من الأخطاء اللغوية التي يكثر انتشارها في وسائل الإعلام العربية على النحو الذي أشار إليه كتاب الدكتور كامل ولويل ، والذي صدر حديثا بعنوان : « اللغة العربية في وسائل الإعلام » ونود الآن أن نرصد عدداً آخر من تلك الأخطاء اللغوية ، لما للتنويه بها ، وترديد ذكرها ، من فائدة مرجوة ، تتجلى في تقويم أساليب العاملين في الحقل الإعلامي لنبذها والتخلي عنها . من ذلك مثلا استعمالهم عبارة : « كل على حدة » ، فهي ترد مرفوعة ومنصوبة ومجرورة ، يقول المحرر : التقى وزير الخارجية فلانا وفلانا كل على حدة ، ويقولها مرة أخرى : كلا على حدة ، ويقولها ثالثة : كل على حدة ، وقد ترد هذه الاستعمالات للعبارة نفسها في صفحة واحدة ، مما يوحي بأنه يضع العبارة في السياق كيفما اتفق ، وكأن ليس لها ضابط ، ولو كان يعلم قاعدة استعمالها لا جتنب الوقوع في الخطأ . الأصل في كلمة « كل » الداخلة في هذه العبارة أنها مبتدأ في كل الأحوال ، وقد وردت في القرآن الكريم مرفوعة دائما على اختلاف الجمل التي ذكرت فيها : جاء في سورة الإسراء الآية ٨٤ :

« قل كلٌ يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا » ، وفي سورة طه : « قل كل متربص فتربصوا » الآية ١٣٥ ، وفي سورة الأنبياء : « وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون » الآية ٣٣ ، وفي السورة نفسها : « واسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين » الآية ٨٥ .

وقد يلجأ الصحفي إلى اللهجات العامية ، فيأخذ منها ظنا منه أن ما اقتبسه فصيح ، من ذلك مثلا قولهم : يوما عن يوم ، وأولا بأول . وهو يقصد بالأولى : تتالي الزمن ، وبالثانية : تعاقب الأفعال ، وذلك غير صحيح ، فإن الحرف (عن) في العبارة الأولى يفيد التجاوز لا التتالي ، مثل قولهم : ابتعدت عن المكان ، أي ابتعدت متجاوزاً ذلك المكان ، إنما الصحيح هو قول القائل : تزداد ثروة هذه الشركة يوما بعد يوم (لا يوما عن يوم). ورب قائل يقول : ينجز الموظف عمله أولاً بأول ، وهذا خطأ ، لأن حرف الجر (ب) لا يفيد التتالي والتعاقب ، وإنما الذي يفيد هذا المعنى هو حرف العطف ، فنقول : ينجز الموظف عمله الأول فالأول .

ومن الأخطاء التي يقع فيها العاملون في الصحافة قول بعضهم : يعتبر الاتفاق لاغيا منذ مساء اليوم . فالاعتراض ينصب على كلمة (لاغيا) ، فهي اسم فاعل من الفعل لغا

يلغو ؛ أي كثر كلامه ، ومن ذلك ما جاء في الآية الكريمة : « **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم** » ؛ أي في أيمانكم التي تأتي عن غير قصد أو نية . ولكن السياق الذي تدخل فيه الصحافة كلمة (لاغيا) لا شأن له بكثرة (الكلام) أو قلته ، بل بإبطال اتفاق مسبق . وكان يجدر بالكاتب أن يقول : « ملغي » ، وهو اسم المفعول من الفعل ألغى يلغي . فالصحيح إذن أن يقال : يعد الاتفاق السابق « ملغي » منذ مساء اليوم .

ومن العبارات التي ترد في بعض الأساليب عبارة : (هكذا عمل) ، وهي عبارة تأتي فيها الصفة قبل الموصوف ، على غير ما هو متعارف عليه في العربية ، فإن كلمة هكذا صفة لكلمة عمل ، فكيف يقدمون الصفة على الموصوف على الرغم مما يبدو عليها من ثقل وعُجمة ؟! يقولون مثلا : لا يمكن أن نقبل هكذا عملاً (أو عمل) ، وهذا غير صحيح ، والصحيح هو قولنا : لا يمكن ان نقبل عملا كهذا .

ومما يتصل بالصفة والموصوف أيضا قولهم في الخبر : اكتشفوا مبيداً للحشرات ولا يترك آثاراً سلبية . والخطأ في كتابة الخبر على هذا النحو يتمثل في فصل الصفة عن الموصوف ، فإن جملة : « يترك آثاراً سلبية » صفة للمبيد ، ولا يجوز الفصل بين الموصوف والصفة بحرف العطف (و) ، والصواب في كتابتها هو : اكتشفوا مبيداً للحشرات لا يترك آثاراً سلبية .

وهناك كلمة شاع استعمالها شيوعا خاطئاً ، فلا تكاد تخلو منها جملة ، فهي ترد في لغة الكتابة ، وترد في اللهجات المحلية سواء بسواء ، وهي كلمة (بالنسبة) التي يستطيع الكاتب أو المتحدث التخلي عنها دون حدوث إخلال في الجملة ، فضلا عن أن استعمالها يجافي اللسان العربي السليم .

يقولون : انخفضت أسعار العملات ، وبالنسبة للين الياباني فقد انخفض مقابل الدولار ، وهذا تركيب خاطيء للجملة ، والصواب أن يقال : أما الين الياباني فقد انخفض مقابل الدولار .

ويقولون : وقد بحثوا الوضع في المنطقة بالنسبة لجهود السلام ، وجواب هذه الجملة هو : وقد بحثوا الوضع في المنطقة في ضوء جهود السلام . ويقولون : تعطي الشركة تخفيضا في الشراء الموحد ٢٥٪ بالنسبة للشراء الفردي . يعقب الدكتور كامل ولويل على صياغة هذه الجملة بقوله : « أسلوب العبارة مبهم جداً والمقصود بها هو :

أن الشركة تفضل الشراء الجماعي على الشراء المفرد ، فتعطي الأول مزية في البيع ، هي ٢٥٪ ، من تخفيض الثمن . فالصواب : تميز الشركة الشراء الجماعي بتخفيض مقدار ٢٥٪ عن الشراء الفردي » .

ويقولون : هناك نقص بالنسبة للأطباء ، وهو قول خاطيء ، والصواب أن يقال : هناك نقص في الأطباء . وأي نظرة للقاموس تدل على أن النسبة هي القرابة أو ما تعلق بها . كانوا يقولون للغريب انتسب ، فيذكر نسبه ، واستعمل منها كلمات مجازية للشعر والتشبيب إذا كان الحديث عن المرأة فقط . أما أن تدخل كلمة (بالنسبة) خبط عشواء في كل الكلام فلا يجوز .□

المحافظة بالسخرية

حينما تسخر الجماعة الواحدة من غيرها من الجماعات ، فإنها تحافظ بهذه السخرية على صميم كيانها الاجتماعي .

الفيلسوف الانجليزي « سلي »

جمال العربية

□ صفحة شعر

□ هكذا غنى الآباء

الجنة الضائعة

لأبي القاسم الشابي

اشتهر أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم الشابي بقصيدته الذائعة الصيت « إرادة الحياة » ، وبلغ من إعجاب الأجيال العربية بها وحماستهم لها حداً جعل كثيراً من أبياتها أمثلة حية على طموح الشباب ، وسعيهم لبلوغ القوة ، واقتحام الخطر ، وطلب الحرية ، فقد حفلت نفسه الكبيرة بحب الحياة .

ولد الشابي في ربيع ١٩٠٩ على الأرجح ، فالاختلاف حول تاريخ ولادته قائم ، شأنه في ذلك شأن كثير من الشعراء العرب . وكانت ولادته ببلدة الشابية ، وهي من ضواحي مدينة توزر في جنوب تونس . وقد كان لنشأته في تلك الربوع الخضراء أثر في شعره ، ظهر جلياً في عدد من أجمل قصائده .

انتقل إلى العاصمة تونس ، والتحق بالكلية الزيتونية ، ونال فيها شهادة « التطويع » . وقد أتاح له انتقاله إلى العاصمة الاطلاع على أجواء جديدة ، فيها كثير من الحرية والنشاط الأدبي ، مما لم يكن يحظى بمثله في مسقط رأسه . وكان أبرز أثر في تكوينه الأدبي اطلاعه على ما كان يبدعه شعراء المهجر (جبران وأبو ماضي ونعيمة ، وغيرهم) ، وكانت الموجة الرومنطيقية التي دقت أبواب الأدب العربي الحديث في عنفوانها فنهل من أخيلتها وموضوعاتها الشيء الكثير . على أن زهو الشباب والاستمتاع بجمال الطبيعة لم يطل بهما العهد ، فقد مات أبوه (١٩٢٩) وهو في العشرين من عمره ، فألقيت على كاهله تبعات لم يكن له بمثلها عهد من قبل .

عبس الزمان بوجهه ، وتجهمت الحياة ، وزاد من وطأة ذلك مرض عضال ألم به ، ولم يفارقه قبل أن يقضي عليه . وقد اختلفوا في طبيعة المرض الذي مات فيه ، هل هو السل ، كما يذكر عدد ممن كتبوا عن حياة الشابي ، أو هو تضخم في القلب ، كما يؤكد أبو القاسم محمد كرو ؟ ومهما يكن من أمر ذلك المرض فقد توفي الشابي في أكتوبر عام ١٩٣٤ ، ولم يكن قد جاوز الخامسة والعشرين من العمر إلا قليلا .

أما القصيدة التي اخترنا عدداً من أبياتها فهي من عيون شعره ، وقد تمثل فيها عهدان من حياة الشابي : عهد الشباب الباكر اللاهي ، وعهد المرض وسوء الحال ، وقد ارتقى التعبير الشعري في الحالين رقيا لا يخطئه الذوق السليم .

كَمْ مِنْ عُهُودٍ عَذْبَةٍ في عدوةِ الوادي النَّضِيرْ
فضيَّةِ الاسحارِ مذهبةِ الأصائلِ والبُكورْ
قضَّيتُها ومعي الحبيبةُ لا رقيبَ ولا نذيرْ
إلَّا الطفولة حولَنا تلهو مع الحبِ الصغيرْ
أيَّامَ كانتْ للحياةِ حلاوةُ الروضِ المطيرْ
وطهارةُ الموجِ الجميلِ ، وسحرُ شاطئِهِ المنيرْ
ووداعةُ العصفورِ بينَ جداولِ الماءِ النَّميرْ
أيامَ لم نعرفْ من الدنيا سوى مَرَحِ السرورْ
وتتبُّعِ النحلِ الأنيقِ وقطفِ تيجانِ الزهورْ
وتسلُّقِ الجبلِ المكلَّلِ بالصنوبرِ والصخورْ
وبناءِ أكواخِ الطفولةِ تحتَ أعشاشِ الطيورْ
نبني فتهدمُها الرياحُ فلا نضجُّ ولا نثورْ
لا نسأَمُ اللهوَ الجميلَ ، وليسَ يدركُنا الفتورْ
فكأنَّنا نحيا بأعصابٍ من المرحِ المثيرْ
وكأنَّنا نمشي بأقدامٍ مجنَّحةٍ تطيرْ
آه توارى فجري القدسيُّ في ليلِ الدهورْ
وفنى ، كما يفنى النشيدُ الحلوُ ، في صمتِ الأثيرْ
أواه ! قد ضاعتْ عليَّ سعادةُ القلبِ الغريرْ
وبقيتُ في وادي الزمانِ الجهمِ أدأبُ في المسيرْ
وأدوسُ أشواكَ الحياةِ بقلبيَ الدامي الكسيرْ
وأرى الأباطيلَ الكثيرةَ والمآثمَ والشرورْ
وتصادمِ الأهواءِ بالأهواءِ في كلِ الأمورْ
ومذلَّةَ الحقِ الضعيفِ وعزَّةَ الظلمِ القديرْ !
ماذا جنيتُ من الحياةِ ومن تجاريبِ الدهورْ
غيرَ الندامةِ والأسى واليأسِ والدمعِ الغزيرْ !
هذا حصادي من حقولِ العالمِ الرحبِ الخطيرْ !
هذا حصادي كلُّه في يقظةِ العهدِ الأخيرْ !
قد كنتُ في زمنِ الطفولةِ والسذاجةِ والطهورْ
أحيا كما تحيا البلابلُ والجداولُ والزهورْ
لا أحفلُ الدنيا تدورُ بأهلِها أو لا تدورْ
واليومَ أحيا مرهقَ الأعصابِ مشبوبَ الشعورْ
هذا مصيري .. يا بني الدنيا . فما أشقى المصيرْ !!



الخبز

قصة : للكاتب الألماني فولفانج بورشرت *
ترجمة : سمير مينا *

استيقظت فجأة ، الساعة الثانية والنصف. أخذت تفكر في الذي أيقظها ، آه . لقد اصطدم شخص ما في المطبخ بأحد المقاعد . أصاخت بسمعها ناحية المطبخ . كان البيت يلفه الصمت . صمت أكثر من المعتاد . وعندما مرت بيدها على الفراش وجدته خاليا . إذن فهذا هو سبب الصمت غير العادي . لقد خلت الحجرة من صوت تنفسه . نهضت وتحسست طريقها إلى المطبخ عبر الشقة الغارقة في الظلام . وتقابلا في المطبخ الساعة الثانية والنصف . رأت شيئا أبيض في خزانة المطبخ . أنارت المطبخ . وقفا وجها لوجه في ثياب النوم . ليلا في الثانية والنصف .

كان طبق الخبز على مائدة المطبخ . لاحظت أنه قطع لنفسه خبزا . ما زالت السكين بجانب الطبق . وعلى المفرش تناثر فتات الخبز . إنها تقوم بتنظيف مفرش المائدة دائما عندما يذهبان للنوم مساء . كل مساء . ولكن ها هو ذا الفتات على المفرش الآن . والسكين أيضا هناك . أحست ببرودة البلاط يتسلل إليها ببطء . حولت نظرها عن الطبق .

قال وهو يتلفت حوله في المطبخ :

ـ تصورت أن شيئا ما هنا .

ردت قائلة :

ـ لقد سمعت أنا شيئا أيضا

لاحظت في تلك الأثناء أنه يبدو ليلا ـ في ثياب النوم كهلا بالفعل ـ كهلا كعمره الحقيقي الذي يبلغ ثلاثة وستين عاما ، على الرغم من انه يبدو في أثناء النهار أصغر سنا . « كم تبدو عجوزاً » قال لنفسه : إنها تبدو عجوزا بالفعل في ثياب النوم . لعل ذلك يرجع الى الشعر . يرجع ذلك

---

* فولفانج بورشرت (١٩٢١ ـ ١٩٤٧) ولد بمدينة هامبورج وعمل بائعا للكتب وممثلا إلى أن جُنّد . اشترك في الحرب العالمية الثانية ، وأصيب إصابة خطيرة . خلال عامين أبدع بورشرت كل أعماله ، وتتركز كلها حول مأساة الحرب ، وقصة « الخبز » مثال على ذلك : فقد عبر فيها عن مأساة عجوزين ليس لهما في الحرب ناقة ولاجمل ، رصيده في الابداع : مسرحية « في الخارج أمام الباب » ومجموعة قصص قصيرة ، منها : الخبز ، حتى الجرذان تنام ليلا ، ساعة المطبخ ، على طول الطريق الطويل الطويل . وافته المنية قبيل يوم واحد من افتتاح مسرحيته الخالدة : « في الخارج أمام الباب » لتكون حياته تعبيرا عن مأساة الحرب ؛ تلك المأساة التي حاول أن يعبر عنها في إبداعه القصصي والمسرحي ، ونجح في ذلك أيما نجاح .

* كاتب ومترجم من القطر العربي المصري



دائما عند النساء في الليل إلى الشعر ، إنه يجعلهن فجأة كبيرات السن .
قال لها :
ـ كان يجب أن تلبسي حذاء . هكذا حافية على البلاط البارد ، ستصابين ببرد .
لم تنظر إليه ، لأنها لم تستطع تحمل كذبه . أن يكذب بعد زواج دام تسعة وثلاثين عاما . قال مكررا وهو يتنقل ببصره من زاوية إلى أخرى بنظرات لامعنى لها :
ـ اعتقدت أنه يوجد شيء هنا . سمعت صوتا فاعتقدت أنه يوجد شيء .
أجابته قائلة :
ـ أنا سمعت صوتا أيضا ، لكن بالتأكيد لم يكن هناك شيء .
رفعت الطبق من فوق المائدة ، وأزالت الفتات من على المفرش .
ردد بارتباك :
ـ لا ، بالتأكيد لم يكن هناك شيء .
وساعدته قائلة :
ـ تعال ، من المؤكد أن هذا الصوت كان في الخارج . تعال إلى الفراش ، ستصاب بالبرد هكذا . على البلاط البارد .
التفت ناحية النافذة وقال :
ـ نعم ، لابد أن هذا كان في الخارج . اعتقدت أنه هاهنا .
رفعت يدها إلى مفتاح النور . قالت في نفسها : لابد أن أطفيء النور الآن ، وإلا سأنظر نحو الطبق ،لاينبغي أن أنظر ناحيته .

قالت له وهي تطفيء النور :

ـ تعال ، كان هذا بالتأكيد في الخارج . إن المزراب يصطدم دائما بالجدار عند هبوب الريح ، كان هذا بالتأكيد صوت المزراب . يصدر دائما هذا الصوت عند هبوب الريح . وتحسسا طريقهما عبر الممر المظلم إلى غرفة النوم . صدر عن أقدامهما العارية صوت خافت في أثناء سيرهما على الأرض .
وقال لها :
ـ نعم هي الريح ، فهي تهب طوال الليل .
عندما رقدا على الفراش قالت :
ـ نعم ، إن الريح تهب طوال الليل . كان بلا شك المزراب .
ـ اعتقدت أنه في المطبخ ، لكنه كان المزراب .
نطق بتلك الجملة وكأنه على وشك النوم . لاحظت كيف يبدو صوته مهتزا حينما يكذب .
قالت له وهي تتثاءب بصوت خفيض :
ـ الجو بارد ، سأندس تحت الغطاء . تصبح على خير .
أجابها :
ـ وأنت من أهله
ثم أضاف :
ـ نعم، الجو بارد فعلا .
وساد الصمت . مرت دقائق كثيرة قبل أن تسمع صوته الخافت الحذر وهو يمضغ . وتعمدت أن تتنفس بعمق وانتظام ، لكي لايلاحظ أنها لما تنم بعد . ولكن مضغه كان رتيبا لدرجة أنها شيئا فشيئا نامت عليه .

عندما عاد إلى المنزل في مساء اليوم التالي قدمت له أربع شرائح من الخبز . كان لايستطيع في ما مضى أن يأكل سوى ثلاث .
قالت له وهي تبتعد عن المصباح :
ـ يمكنك أن تأكل أربع شرائح . لم أعد أستطيع تحمل هذا الخبز ، فلتأكل أنت شريحة أكثر ، أنا لاأهضمه بسهولة .
رأته وهو ينحني على الطبق حتى كاد يلامسه . لم يرفع نظره . آلمها منظره في تلك اللحظة .
قال لها وهو منكب على طبقه :
ـ لكنك لن تستطيعي أكل شريحتين فقط .
ـ بلى ، لاأتحمل هذا الخبز مساء . كل أنت ، كل .

لم تجلس إلى المائدة ، تحت المصباح ، إلا بعد مرور برهة من الوقت .□

وزارة الإعلام

الإعلام الخارجي

دوريات وزارة الإعلام

اسم الدورية		قيمة الاشتراك السنوي			
		الوطن العربي		البلاد الأجنبية	
		فلس	دينار	فلس	دينار
مجلة « العربي »	(شهرية)	٠٠٠	٦	٠٠٠	٨
كتاب العربي	(فصلي)	٥٠٠	٢	٠٠٠	٣
مجلة « العربي الصغير »	(شهرية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
مجلة « الكويت »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
سلسلة « من المسرح العالمي »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
مجلة « عالم الفكر »	(فصلية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »	(أسبوعية)	٠٠٠	١٧	٠٠٠	٢٠

تحول قيمة الاشتراكات في دوريات الوزارة المبينة أعلاه بالدينار الكويتي ، أو بما يعادله من العملات الأجنبية ، بموجب شيك مصرفي أو حوالة مصرفية ، باسم وزارة الاعلام ، ويرسل الشيك أو الحوالة مع اسم وعنوان المشترك والدورية التي يرغب الاشتراك فيها إلى :

الإعلام الخارجي ـ قسم التوزيع والاشتراكات
وزارة الاعلام ـ ص. ب ١٩٣ ـ الصفاة
الرمز البريدي ١٣٠٠٢ ـ الكويت

- - - ✂ -

قسيمة الاشتراك

الاسم والعنوان : ....
....
....

أرغب الاشتراك في الدورية أو الدوريات المشار إليها أدناه ، وأرفق لكم طيه □ شيكا
□ حوالة مصرفية بمبلغ ....

□ مجلة « العربي »   **□ مجلة « الكويت »**   **□ سلسلة « من المسرح العالمي »**
□ مجلة « العربي الصغير »   **□ مجلة « عالم الفكر »**   **□ الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »**
□ كتاب العربي .

STATE OF KUWAIT

MINISTRY OF INFORMATION

PERIODICALS

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE				
NAME OF PERIODICAL	ARAB COUNTRIES		FOREIGN COUNTRIES	
	K.D	FILS	K.D	FILS
Al-Arabi Magazine (Monthly)	6	000	8	000
Al-Arabi Book (Quarterly)	2	500	3	000
Al-Arabi Al-Sagheer Magazine (Monthly)	5	000	6	000
Al-Kuuwait Magazine (Monthly)	4	000	5	000
Mena Al-Masrah Al-A'alami Series (Monthly)	4	000	5	000
A'alam Al-Fikr Magazine (Quarterly)	5	000	6	000
The Official Gazette (Kuwait Al-Youm) (Weekly)	17	000	20	000

The subscription fee to the above periodicals is payable in Kuwaiti Dinar, or equivalent thereof in foreign currency, by bank cheque/draft made out to the Ministry of Information. Fill in the subscription form below enclosed with the cheque/draft and send to :

— International Media-Subscription Section.

MINISTRY OF INFORMATION
P. O. Box : 193 Safat
Postal Code No. 13002 - KUWAIT

SUBSCRIPTION FORM

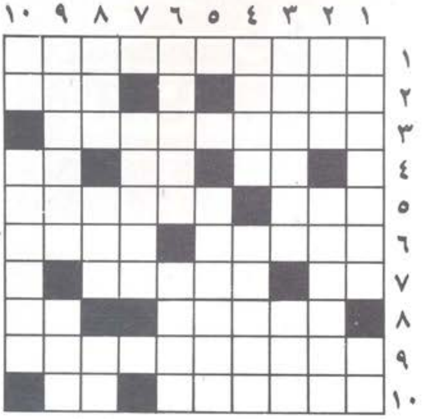
NAME : ....
ADDRESS : ....
COUNTRY :

I wish to subscribe to the periodical (s) ticked below and enclose herewith □ cheque □ Draft for ....
□ Al-Arabi Magazine □ Al-Arabi Book □ Al-Arabi Al-Sagheer Magazine □ Al-Kuwait Magazine □ Mena Al-Masrah Al-A'alami Series □ A'alam Al-Fikr Magazine □ The Official Gazette (Kuwait Al-Youm).

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر فى المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة .

والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذى سينشر فى العدد القادم .



كلمات أفقية

١ . معجزة معاصرة في فن العمارة تناطح السَّحاب .

٢ . من أشهر متاحف باريس دون (ال) التعريف ، قبر .

٣ . إحدى المعجزات السبع في العالم القديم .

٤ . إله ، فعل أمر بمعنى ابتعد ، سيدة .

٥ . وجهة نظر ، سؤال بمعنى « هل أكلها ؟ »

٦ . أمر لولاه لكانت الحياة كئيبة ، تقال عندما تكون السلعة رائجة .

٧ . وقف في الناس إماماً ، لمس مضافة إلى كاف الخطاب ونون النسوة .

٨ . أمانة مستردّة ، بخل بالغ .

٩ . قصر يعد من أهم الآثار الإسلامية في مدينة سامراء في العراق .

١٠ . معبد فرعوني مشهور في صعيد مصر ، دُرَر .

كلمات عمودية

١ . قصر يعد من روائع فن العمارة الإسلامية في الأندلس ، تجدها في قام .

٢ . تجدها في آخر كلمة عمود ، مدينة عراقية تقع بقربها أنقاض مدينة نينوى .

٣ . مملكة وجمهورية سابقة تقع جنوب ألمانيا ، أقصى قعر الشيء .

٤ . بئر معكوسة ومنصوبة ، ألف ملنون .

٥ . الشيء الظاهر غير الخفي .

٦ . شاءوا ، حِصَّتك .

٧ . مدينة أردنية أثرية تشتهر بقلعتها .

٨ . المفرد من أتربة ، احد الألوان ، محبّة .

٩ . يجعلها ملساء ، ثناء .

١٠ . ست مقلوبة ، معجزة معمارية تعبّر عن الطراز الهندي وتعد رمزاً للوفاء .

● حل مسابقة العدد الماضي العدد ٣٧٦ - مارس ١٩٩٠ م

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	أ	ب	و	ا	ل	ع	ل	ا	ء	
٢	ب	ن		ل	و	ز		ب	ب	ب
٣	و	ج	ي	ب		ة	ر	و	ا	ش
٤	ن		ق	ح	ط		و	ف	د	ا
٥	و	ي		ت	م	ا	ض	ر		ر
٦	ا	ق	ا	ر	ب			ا	د	ب
٧	س	ت	ع	ي		ن	ع	س	ا	ن
٨		ر	ا		ط	م	ر		ج	ب
٩	ا	ب	ن	ز	ي	د	و	ن		ر
١٠	ع	ن	ت	ر	ب	ن	ش	د	أ	د

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٧٧

أبريل ١٩٩٠

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الإجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الصفاة . الرمز البريدي 13008 - الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٧٧ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات إلينا هو ١٥ مايو ١٩٩٠م . والرجاء كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي واضحين - ورقم الهاتف إن وجد .

أرفق هذا الكوبون بالحل
كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٧٧

١

ما الدافع لابتكار المسماع الطبي (السماعة) الذي لا غنى لطبيب عنه ؟

* المكافأة التي أعلنت عنها الجمعية الطبية الفرنسية .
* جائزة نوبل ، وقد طمع بها طبيب شاب طموح .
* حياء الطبيب الشاب وخجله من الجنس الآخر .

٢

متى أقرت الكنيسة الكاثوليكية تخدير المرأة في حالات الوضع والولادة ؟ وكيف تم ذلك ؟

* سنة ١٨٥٣ ، ووفقا لقرار اتخذه مجلس الكردينالات .
* سنة ١٨٥٣ ، وتبعا لمرسوم ملكي أصدرته الملكة فكتوريا آنذاك .
* سنة ١٨٥٣ ، فقد انتشر التخدير ، وعم استعماله في حالات الولادة جميعها ، ولم يقم الناس وزنا لحظر الكنيسة .

٣

الموت الأسود أو الطاعون البوبوني اجتاح أوربا وآسيا في العصور الحديثة ، وحصد الملايين من سكانها حصداً . ترى ما أسباب انتشار هذا المرض الفتاك في نظر العلماء والأطباء ؟

* أسباب فلكية تتصل بالتنجيم كالتقاء الكواكب .
* البخار السام المنبعث من الشهب والنيازك ، أو السم الفتاك المنبثق من باطن الأرض عبر الشقوق التي تحدثها الزلازل .
* العدوى وانتقال المرض وانتشاره بسببها .

٤

الحجر الصحي إجراء وقائي سليم معروف ، تأخذ به دول العالم جميعها . ترى لم يسمى هذا الإجراء - (كورنتينا) ؟ ولم حددوا المدة بأربعين يوما ؟

* استنادا إلى قول الإنجيل بأن المدة التي استغرقها الطوفان كانت ٤٠ يوما ،

فالمدة التي كانت كافية لانحسار الطوفان ، لابد أن تكون كافية أيضا لانحسار الأمراض .
* اعتقادا منهم بأن المدة التي يحتاجها المرء للوصول إلى بيت المقدس سيرا على الأقدام كانت أربعين يوما .
* ظنا منهم أن حياة الطفل الرضيع تظل في خطر ، وتعرضه للموت ، حتى يبلغ ذلك الطفل أربعين يوما .

٥ متى عرف الأطباء المسلمون العدوى ، وأدركوا أن انتقال الأمراض وانتشارها غالبا ما يتم بالعدوى ؟

٦ الكسندر فلمنج ، مكتشف البنسلين الشهير . ترى لماذا أطلق اسم بنسلين على المادة العلاجية التي عثر عليها في العفن ؟
* نسبة إلى ابنته ، واسمها (بنسلين) .
* نسبة إلى المادة الفعالة في العفن .
* نسبة إلى طبيب إغريقي قديم ، كان يحظى بتقدير فلمنج الشهير .

٧ متى عرف العرب المضادات الحيوية أو الأدوية السحرية كما سموها ؟
* لم يعرف العرب المضادات الحيوية من قريب ولا من بعيد .
* لجأ العرب إلى عشبة ست الحسن في معالجة الأمراض البكتيرية ، لكن العشبة المذكورة سامة ، ولا يمكن أن تقوم مقام المضادات .
* عرف العرب المضادات الحيوية ، واستعملوها في معالجة كثير من الأمراض منذ أيام الجاهلية .

٨ التخدير الذي لاغنى عنه للجراحين والأطباء في هذه الأيام ظهر أول مرة في مطلع الأربعينيات من القرن الماضي ، واستعمل في البداية لعمليات جراحة الأسنان ، ثم شاع استعماله في شتى مجالات الجراحة والطب . يستثنى من ذلك حالات الوضع والولادة . فلماذا امتنعوا عن تخدير المرأة الحامل في أثناء الوضع ؟
* خوفا من تعرض الوليد لأي أذى بسبب مادة التخدير .
* نزولا عند تعليمات الكنيسة الكاثوليكية ، فقد حظرت التخدير في أثناء الولادة لأسباب دينية .
* للاعتقاد الشائع بأن التخدير يمسخ الجنين ، فيولد قردا لا بشرا .

٩ قصة التخدير الطبي بدأت في أوربا في القرن التاسع عشر . فمتى عرف الأطباء العرب التخدير ؟

١٠ جراحة التجميل فن من فنون الطب الحديث ، لكن التاريخ يذكر أن قدماء الهندوس عرفوا جراحة التجميل ، وأتقنوها منذ القدم . فما سبب وجود كثرة من الذين قطعت أنوفهم ؟
* طريقتهم في التوليد ، فقد كانوا يمسكون أنف الوليد بملقط حديدي ويشدونه بعنف إلى الخارج فيؤدي ذلك إلى قطع رأس الأنف في كثير من الأحيان .
* كانوا يعمدون إلى قطع أنف الوليد لدى ولادته ، لاعتقادهم بأن الأنف المفتوح يسهل عملية تناسخ الأرواح .
* كان قطع الأنف هو العقوبة التي أنزلها الهندوس ببعض الجناة .

١١ وليم كونراد رونتجن (١٨٤٥ - ١٩٢٣) عالم فيزياء ألماني ، ظفر بجائزة نوبل سنة ١٩٠١ ، فما الإنجاز الذي استحق عليه هذه الجائزة ؟
* اكتشاف ألوان الطيف في أشعة الشمس .
* اكتشاف الذرة
* اكتشاف أشعة (اكس) .

١٢ عرفت أوربا الإسعافات الأولية في العصور الحديثة . ترى هل عرف أطباء العرب شيئا ولو بدائيا عن الإسعافات الأولية ؟ ومتى ؟

حل مسابقة العدد ٣٧٤

ينـــايـــر ١٩٩٠

١ يذكر التاريخ أن خبز القمح صنع أول مرة في ما بين النهرين وذلك قبل نحو ١٠,٠٠٠ سنة .

٢ أول ما سخرت الثيران لجر المحاريث في مصر القديمة ، وذلك في حوالي سنة ١٥٠٠ ق.م .

٣ بلغ انتاج القمح في الصين وكندا في سنة ١٩٨٨ - ١٩٨٩ كما يلي :
الصين ٨٩,٠٠٢,٠٠٠ طن .
كندا ١٥,٧٠٠,٠٠٠ طن .

٤ استعمال الذرة علفاً للحيوان يفوق استعمالها لأي غرض آخر ، وذلك من حيث الكمية التي يستهلكها .

٥ تعد الدانمرك في طليعة الدول الزراعية ، من حيث انتاجيتها في زراعة القمح ، وقد بلغ انتاج الفدان الواحد فيها - بالمتوسط - ٢٢ بوشل من القمح (والبوشل مكيال شائع للحبوب ويساوي ٨ جالونات) .

٦ في البلاد المعتدلة الباردة يزرع القمح في الخريف ، وفي الأقاليم القارية يزرع القمح في الربيع ، وفي البلدان الاستوائية الحارة يزرع القمح في الشتاء .

٧ الاتحاد السوفيتي يتفوق على الولايات المتحدة على كلا الصعيدين:انتاج القمح واستيراده . فقد بلغ انتاجه من القمح سنة ١٩٨٨ ما يزيد عن ٨٣ مليون طن ، ولم يجاوز انتاج الولايات المتحدة ٥٧,٣٠٠,٠٠٠ طن . أما من حيث استيراد القمح ، فالولايات المتحدة لا تستورد القمح ، بينما الاتحاد السوفيتي يستورده ولا يصدره .

٨ اعتمد الإنسان على القمح البري الذي ينمو في الطبيعة قبل اعتماده على القمح المزروع ، وقد تحول عن الأول إلى الثاني حين اكتشف زراعة القمح بطريق الصدفة ، وكان ذلك سنة ٨٠٠٠ ق.م على وجه التقريب وفي بلدة جارمو في العراق وأريحا في فلسطين .

٩ تحتوي حبة الشعير على ١١,١٥٪ بروتينات ، وتحتوي حبة الأرز على ٦,٤٤٪ بروتينات ، وتجدر الاشارة إلى أن نخالة الأرز غنية بالبروتينات ، إذ تبلغ محتوياتها ١٣,٥٪ .

١٠ القمح هو النبات الذي يتمتع بقابلية للنمو في أقاليم مناخية مختلفة .

١١ يحتوي القمح على نحو ٣٣٣ ملغم من الحريرات (في المائة جرام) ، وتحتوي الذرة (الطرية) على ١٢٥ ملغم من الحريرات (في المائة جرام) ، علما بأن الذرة القاسية تحتوي على ٣٤٢ ملغم من الحريرات .

وتجدر الإشارة إلى الفارق الكبير بين القمح والذرة ، من حيث محتويات البروتينات ، فهذه تبلغ ١٣٪ في القمح ولا تزيد عن ٤,٧٪ في الذرة الطرية ، و ١١٪ في الذرة القاسية .

١٢ ينبغي التمييز بين ثلاثة صنوف من الخبز لا صنفين فحسب . الخبز الأبيض والخبز الأسمر والخبز الشامل (راسه بعبه) . فهذان الأخيران مختلفان من حيث نسبة الاستخلاص ، وهي تبلغ ٨٥٪ في الخبز الأسمر ، ولكنها تصل إلى ١٠٠٪ في الخبز الشامل ، وهي لا تزيد عن ٧٢٪ في الخبز الأبيض .

والفرق قليل بين الصنوف الثلاثة من الناحية الغذائية ، ولعله لا يزيد عن ١٪ بروتين لصالح الخبز الأبيض ، على أن الفارق المهم بينها هو بالألياف . والخبز الشامل هو المتفوق من حيث مقدار ما يحتويه من ألياف هضمية ، يليه الخبز الأسمر فالأبيض ، ولا يخفى أن هذه الألياف أو إن شئت - النخالة - أصبحت ذات قيمة كبيرة هضمية وعلاجية ، فهي تسهم في جعل رحلة الطعام في القناة الهضمية أكثر سرعة ، وفي جعل البراز أكبر حجماً وأكثر خشونة ، ثم إنها تسهم في معالجة بعض الأمراض ، وأهمها السكري والأمراض المترتبة على ازدياد الكولسترول في الدم .

١٣ القمح هو الأكثر انتاجاً من الأرز والأكثر تداولاً في الأسواق العالمية . فالدول المنتجة للأرز تستهلك ٩٥٪ مما تنتج ، وقد بلغ مجموع انتاج القمح والأرز حوالي ٢٦٥ مليون طن و ٢٥٥ مليون طن على التوالي ، وذلك وسطياً وسنوياً وفي المدة الأخيرة .

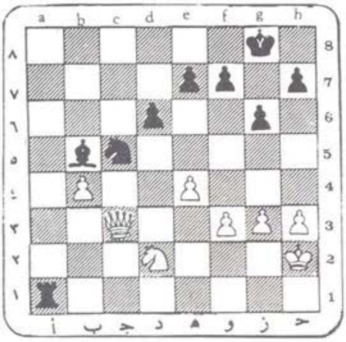
الفائزون في مسابقة العدد ٣٧٤ يناير ١٩٩٠

الجائزة الأولى : محمد أحمد علي/ المحلة الكبرى - جمهورية مصر العربية .
الجائزة الثانية : أروى عبد الغني محمود/ المملكة الأردنية الهاشمية .
الجائزة الثالثة : بنسلام أحمد مرزوق/ المملكة المغربية .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١- الهادي بنبراهيم /آزمور/ نابل - الجمهورية التونسية .
٢- وضاح عبدالحق القاضي/حلب - الجمهورية العربية السورية .
٣- عناية كمال فرحات / مستشفى الأميري - دولة الكويت
٤- وهيب قائد مكرو العبس/ تعز - الجمهورية العربية اليمنية .
٥- عبدالسميع عمر محمد/ بورسودان - جمهورية السودان
٦- نور الدين ياسين خضير/بغداد - الجمهورية العراقية .
٧- محمد صالح أنيس علوية/ بيروت - الجمهورية اللبنانية .
٨ - حسن عبدالرحمن ابراهيم مرواني/ سلطنة عمان .

معركة بلا سلاح



من الأحداث الشطرنجية المهمة على الساحة العربية بطولة الفرق العربية الأولى التي أقيمت في العاصمة السورية دمشق ، من ٧ ـ ١٧ اكتوبر ١٩٨٩ . وقد اشترك في هذه البطولة اثنا عشر فريقاً للرجال ، وخمس فرق للسيدات ، يمثلون أحد عشر قطراً عربياً . وإلى جانب بطولة الفرق المذكورة أقيم ملتقى للحكام ، حضره لفيف من مشاهير الحكام العرب .

بلغ عدد الأبطال العرب المشاركين في البطولة ٣٦ لاعباً ، يحمل أربعة منهم لقب أستاذ دولي ، ثلاثة منهم تونسيون ، هم : سليم أبو عزيز ، وصلاح الدين حمادي ، ومجدي الكعبي ، أما الرابع فهو البطل السوري المعروف عماد حقي . وثلاثة يحملون لقب أستاذ اتحادي ، و ١٢ يحملون تصنيفا دولياً .

وفي ما يلي نتائج فرق الرجال المشاركة بالنقاط : سوريا (١٩) ، تونس (١٨,٥) ، مصر (١٥) ، الإمارات (١٢) ، الجزائر (١١) ، اليمن (١٠) ، ليبيا (٨,٥) ، لبنان (٧,٥) ، الأردن (٧) ، البحرين (٧) ، فلسطين (٦) .

أما فرق السيدات فكانت نتائجها كما يلي : سوريا (١٤) ، مصر (٩) ، الجزائر (٨,٥) ، فلسطين (٣,٥) .

وفي ما يلي دور مثير ، بين البطلة المصرية سهير بسطا والبطلة الإماراتية فريدة عبد الكريم .

والدور من البطولة العربية الفردية الأخيرة المقامة في الكويت .

■ سهير بسطا (مصر)

■ فريدة عبد الكريم (الإمارات)

١ . ح ـ و ٣	ح ـ و ٦
٢ . ز ٣	ز ٦
٣ . ف ـ ز ٢	ف ـ ز ٧
٤ . ت	ت

● مسابقة العدد ٣٧٧



مات ٣

إهداء من : سعيد محمد شكري (اليمن)

٥ . جـ ٤ — جـ ٥
٦ . ح جـ ٣ — ح - جـ ٦

إلى هنا والتناظر تام

٧ . د ٤ — جـ × د ٤
٨ . ح × د ٤ — أ ٦
٩ . هـ ٤ — ح × د ٤
١٠ . و × د ٤ — د ٦
١١ . و - د ٣ — ر - ب ٨
١٢ . حـ ٣ — ف - د ٧
١٣ . ف - هـ ٣ — ب ٥
١٤ . جـ × ب ٥ — أ × ب ٥
١٥ . ر (و) - د ١ — ب ٤
١٦ . ح - هـ ٢ — ف - ب ٥
١٧ . و - د ٢ — و - د ٧
١٨ . ح - د ٤ — ر (و) - جـ ٨
١٩ . ر (أ) - جـ ١ — ف - أ ٦
٢٠ . ر × جـ ٨ — و × جـ ٨
٢١ . ر - جـ ١ — و - د ٧
٢٢ . ف - حـ ٦ — ف × حـ ٦
٢٣ . و × حـ ٦ — ف - ب ٧
٢٤ . و - هـ ٣ — م - ز ٧
٢٥ . م - حـ ٢ — ر - أ ٨
٢٦ . ر - أ ١ — ح - هـ ٨
٢٧ . ف - و ١ — ح - جـ ٧
٢٨ . ح - و ٣ — و - هـ ٦
٢٩ . و - د ٤ — م - ز ٨
٣٠ . ح - د ٢ — ر - أ ٢

الأسود يقع في الشرك الأول

٣١ . ف - جـ ٤ — ر × أ ١
٣٢ . ف × هـ ٦ — ح - هـ ٦
٣٣ . و × ب ٤ — ف - جـ ٦ ؟
٣٤ . و ٣ — ح - جـ ٥

الأسود يسير إلى الفخ مغمض العينين

٣٥ . و - جـ ٣ — ف - ب ٥
٣٦ . ب ٤ — يستسلم (الشكل)

□□□

الفائزون بمسابقة الشطرنج ـ العدد (٣٧٤) يناير ١٩٩٠

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ عبدالرحمن درويش مصطفى ـ اربد / الأردن .
٢ ـ مصطفى كامل أحمد ـ الاسكندرية / ج.م.ع .
٣ ـ الصغيّر حبنون ـ تونس / الجمهورية التونسية
٤ ـ معتز أحمد العلبي ـ دمشق / سوريا .
٥ ـ سحر نديم ملاّح ـ رأس الخيمة / الامارات .

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ هدى سعيد عبدالله ـ العمرية / الكويت .
٢ ـ محمد عبدالسلام عواد ـ بني سويف / ج.م.ع .
٣ ـ ياسر عمر أبوزيد ـ الإقليم الأوسط / السودان .
٤ ـ الهادي بن عبيد ـ قبلّي / تونس .
٥ ـ أحمد حمودة عبدالباري ـ أسيوط / ج.م.ع .

حلّ مسألة العدد (٣٧٥) فبراير ١٩٩٠

١ . ر - و ٧ يلعب ما شاء ٢ . ر - أ ٦ + م - ب ٧ ٣ . ر × هـ ٧ مات

حوار القراء

العربي - ص. ب : ٧٤٨ الصفاة - الرمز البريدي : 13008 الكويت

العمل المشترك في مواجهة التبعية



الأستاذ الدكتور/ محمد الرميحي المحترم،

تحية طيبة وبعد،

قرأت مقال الدكتور «عبدالرحمن زكي ابراهيم» في العدد ٣٧٢ الصادر في نوفمبر ١٩٨٩ بعنوان: «الغرباء»، وقد تناول فيه بنظرة علمية فاحصة وبمتابعة دقيقة مؤامرات الرأسمالية العالمية التي تهدف لاستنزاف الموارد الاقتصادية للدول المتخلفة، وجعلها تدور في فلك التبعية الاقتصادية، حتى تجد الفرصة الواسعة للاستثمار وتصدير البطالة، والحصول على عوائد ضخمة على حساب تلك الدول، تحت غطاء التوازن في ميزان المدفوعات، ودفع التنمية، ودعم البنى التحتية - والتي تخدم أهدافها - لاقتصاديات تلك الدول، وبالتالي إغراقها في الديون، مستخدمة في ذلك ما يسمى الشركات العابرة للقومية.

أرى أن الدكتور عبدالرحمن زكي قد وضع النقط على الحروف في تحليل الواقع تحليلا غطى كل جوانب المشكلة، وأبان خطورة مثل هذه الأنشطة الاقتصادية الغربية داخل خلايا الاقتصاديات المحلية، أبان خطورتها على التخطيط الاقتصادي وقت الحاجة، وهيمنتها على حركة رؤوس الأموال بتأثيرها على مؤسسات النقد الدولية وبيوت الأموال.

لقد نجح في تحليل الواقع، وبقي أمامنا مسئولية تغيير هذا الواقع، مستفيدين من مفكرينا الاقتصاديين في فضح الاستعمار الجديد، وتعريته، والدعوة للعمل المشترك، حتى نستطيع أن نخرج عن دائرة التبعية إلى الاستقلال الاقتصادي.

القاريء: عابدين محمد زين الصديق
جامعة الزقازيق - جمهورية مصر العربية

□□□

غريب عالم الطيور

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

تحية طيبة وبعد،

تعقيبا على مقال الدكتور محمد رشاد الطوبي، المنشور في العدد (٣٧٢) نوفمبر ١٩٨٩ الذي جانبه الصواب في أكثر من موضع، على الرغم مما وفر للموضوع من إثارة وتشويق، وما أكثر ما تحفل به مملكة الحيوان من غرائب وعجائب، تشكل عبرة بالغة للإنسان.

لقد حصر الكاتب هذه العائلة من الطيور التي عرفها العلماء بالطيور

على هذه الصفحات ... ترحب «العربي» بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

المعرشة، أو(الخطافة)، جغرافيا في آسيا وجزيرة غينيا الجديدة، بينما تتوزع هذه الطيور المعروفة عندنا هنا بالمشرق العربي، وهي (العقعق)، في أطراف شبه الجزيرة العربية، حيث تفرخ في سورية وفلسطين، وهي قليلة في لبنان، وتقضي الشتاء في بلد الكاتب (مصر) وتعرف هناك باسم (غراب الحديقة)، كما تفرخ في الأجزاء الجنوبية من شبه جزيرة العرب.

كما أن هذه الطيور (العقعق) تمتاز إلى جانب الخطف بالثرثرة، وبيئتها الأراضي الزراعية المكشوفة والمنتزهات والبساتين.

بقيت ملاحظة مهمة في هذا المجال، وهي أن العرب قد عرفوا طيور (العقعق) منذ الجاهلية، فأقسم مسيلمة الكذاب بها عندما وضع قرآنا خاصاً به!!

وبعد، لا يفوتني التنويه بأهمية هذه الموضوعات، لما تحققه من تفاعل وتكيف للإنسان مع بيئته، فقد أصاب عرى العلاقة بينهما الفتور والإهمال، في وقت نحن أحوج فيه لتفهم هذه العلاقة المفروضة علينا منذ الأزل وهندستها.

مع تقديري الخالص لهذا التوجه الذي تضطلع به (العربي) سعيا وراء كل ما هو أفضل.

عبدالغني عبدالهادي
عمان ـ الأردن

□□□

تراكم الغبار يعطل «فوبوس»



الاستاذ الدكتور رئيس التحرير المحترم،

تحية طيبة،

نشرت العربي في عددها (٣٧٣) الصادر في ديسمبر ١٩٨٩ مقالا لطاهر سكر القيسي (رحلات إلى أعماق الفضاء)، أود هنا أن أعقب عليه: لقد أطلق السوفييت، كما ورد في المقال، في ٧و١٢/٧/١٩٨٨ «فوبوس(١)»، «فوبوس(٢)»، المسيرة آليا إلى المريخ. ومما يذكر أن فوبوس اسم أحد أقمار المريخ، الذي سميت الرحلة فوبوس باسمه. وللمريخ قمر آخر يسمى «كوبوس(١)». ومما أعلنه العلماء السوفييت المشرفون على البرنامج أن «فوبوس(١)» فُقِدَ نتيجة إشارة خطأ من مركز التحكم الأرضي في أعماق الفضاء. ومن المفروض أن يكون «فوبوس(٢)» قد التقى بالقمر كوبوس، وليس بفوبوس كما ورد في المقال. وقد وصل كما خطط له، وأرسل إلى الأرض إشارات. ولسوء الحظ كانت هذه الإشارات ضعيفة جداً، لم يتمكن القمر من التقاطها وتنفيذ المطلوب، والاستفادة منها. وهذا مما حدا بالمسئولين عن الرحلة إلى الإعلان عن فشلها النهائي فيما بعد. والسبب الذي ذكر

حوار القراء

هو ضعف الاشارات لتراكم الغبار على الأجزاء المولدة للطاقة، مما جعلها تعمل بطاقة ضعيفة.

وقد قال العلماء في حينه: إنهم يأملون تلافي مثل هذا الخلل في المستقبل.

القاريء: د. مهيب عواد
عمان ـ الأردن

□□□

ردود سريعة

● القاريء فاخر بيطار ـ ادلب، سوريا ـ **يقترح أن تقوم المجلة باستطلاع عن مدينة ادلب الخضراء، كي يتعرف عليها القاريء العربي، ويتعرف على ما فيها من أماكن أثرية، وموقعها الجغرافي الاستراتيجي، فهي نافذة الوطن العربي برا على أوربا.**

● القاريء: الهادي السعيدي، من سوسة ـ تونس ـ **يشيد بالاستطلاعات والمقالات العلمية والتاريخية والاجتماعية وغيرها من مواد «العربي»، ويطلب زيادة الكمية المنشورة من القصائد التي تعتمد في نظمها أصول الشعر العمودي وقواعده.**

● القاريء خالد عتيق مزروع، من صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية ـ **يطلب تخصيص باب بعنوان «الأدب القديم»، لنشر قصائد من الشعر في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام، فهذا يسهل على الباحثين في المستقبل متابعة هذا اللون من الشعر الذي يكاد ينقرض هذه الأيام.**

● القاريء: جمال يوسف، من الاسكندرية ـ جمهورية مصر العربية ـ **بعث يشكو من تأخر وصول المجلة إلى المكتبات في الاسكندرية، ويطلب العمل على سرعة وصول المجلة كما كانت في بداية كل شهر. ونحن نقول له: إن هذه المسألة سوف تحل إن شاء الله في القريب العاجل.**

● القاريء: حسام رمضان عبدالسلام، من اسيوط ـ جمهورية مصر العربية ـ **يقترح أن تقوم مجلة «العربي» باستطلاع حول المراحل التي تمر بها هذه المجلة حتى صدور العدد.**

● القارئان: سميح أحمد الخطيب ـ محافظة الجيزة بمصر ـ و طلال عبود ـ حلب، سوريا ـ **يقترحان تخصيص صفحة للتعارف والمراسلة. ونقول لهما: إن طبيعة المجلة لا تسمح بتخصيص مثل هذه الصفحة، وصفحات المجلة كلها مفتوحة للقاريء العربي للمشاركة في كتابة المفيد.**



● القاريء : جابر عبدالعظيم بكر ، من الاسماعيلية ـ القنطرة شرق ، جمهورية مصر العربية ـ **يشيد بالمجلة ، ويثني على موضوعاتها العلمية الشيقة ، ويود لو زادت كمية المنشور فيها . ونقول له : إن المجلة تحاول نشر الجديد ، المفيد المتنوع ، كما نحاول جميعا أن نوازن بين مواد العدد ، حتى يكون هناك تنويع وتنسيق في المجلة .**

● القاريء : سامي سالم طالب ، من كلية الأسنان بجامعة حماة ـ سوريا ـ**يقول : إنه قرأ في العدد (٣٦٨) يوليو ١٩٨٩ عن « بالونة تنقذ مرضى القلب » فهل هناك بالونة توضع في المعدة لإنقاذ مرضى البدانة ؟ وإذا وجدت مثل هذه البالونة فأين يمكن الحصول على مزيد من المعلومات حولها ؟**

● القاريء : عبدالمجيد عبدالكريم علي ، من جزيرة سعود ـ جمهورية مصر العربية ـ **يقترح تخصيص مساحة من المجلة شهريا للتعريف بمدن الكويت وأهم معالمها الأثرية . ونود أن نفيد القاريء أن المجلة تنشر بين فترة وأخرى استطلاعات مصورة عن الكويت ، وسوف يجد فيها ما يود معرفته .**

● القاريء : بركات محمد ، من ولاية بسكرة ـ الجزائر ـ **يطلب تزويده ببعض أعداد مجلة « العربي » القديمة والجديدة ، لأنه يجد صعوبة في الحصول عليها من مكتبات الجزائر . ونقول له : إن بإمكانه أن يشترك مباشرة في المجلة ، لضمان حصوله باستمرار على الأعداد الجديدة منها ، أما الأعداد السابقة فبإمكانه مراسلة وزارة الإعلام ـ الإعلام الخارجي ـ بشأنها ، كما يمكنه الاطلاع على شروط الاشتراك المنشورة على الصفحة الثالثة من المجلة .**

● القاريء : عادل محمد عز الدين ، من شبرا مصر ـ القاهرة ، جمهورية مصر العربية ـ **يقول : طالعت في العدد رقم ٣٦٧ يونيو ١٩٨٩ مقالا بعنوان : (العمارة للفقراء) ، للدكتور عبدالرحيم ابراهيم أحمد ، وأنا مع مجموعة من قراء « العربي » نشكركم على هذا الجهد الطيب في كل النواحي التي تهم غالبية القراء في الوطن العربي ، وإنه لجهد كبير في توثيق فن العمارة الإسلامية وإحيائه .**

● القاريء: طاهر السراج، من كلية الهندسة، بجامعة دمشق، سوريا، **يعتب علينا لكثرة نشر القصص المترجمة، ويقترح بأن نقصرها على نشر قصص من نتاج المبدعين العرب. ونقول له: إننا في المجلة ننشر لجميع الأذواق، ومن الضروري أن نقرأ للمبدعين العالميين، ونتعرف على ما ينشر خارج الوطن العربي، فعن طريق هذا التواصل توجد الفرص للتطوير والاستفادة للجميع.**

● **القاريء: مطر بن سالم بن علي السعيدي، صحم ـ سلطنة عمان،** يشيد بالموضوع الذي نشرته المجلة في العدد ٣٦٩ أغسطس ١٩٨٩ بقلم د. نعيم الشربيني. وعنوانه: «النمو الاقتصادي: لماذا يتعثر في الوطن العربي؟»، ويقول: إننا في أمس الحاجة إلى مثل هذه المواضيع المطلوبة في الوطن العربي في قضية تطوير الاقتصاد الوطني المتنامية، بحسبانها من أخطر التحديات التي تواجهها دول العالم الثالث، ولا سيما الوطن العربي.



● القاريء: نضال علي ديبة، اللاذقية، سوريا، **بعث رسالة فيها كثير من الاقتراحات، بخصوص تطوير بعض أبواب المجلة، وإضافة أبواب جديدة.**

حوار القراء

● القاريء الدكتور تامر أبو القاسم العماري، من جامعة باسن، رومانيا، بعث مجموعة من الاقتراحات، تتعلق بالجوانب الفنية والرسوم، كما يقترح استخدام حروف كبيرة، غير التي تستخدم الآن في المجلة.

● القاريء: خالد الحلي من ملبورن باستراليا، أرسل يقترح بأن تتوافر مجلة «العربي» في استراليا، نظرا للطلب الشديد عليها، ولكونها منارة ثقافية يحرص الجميع على اقتناء نسخة منها.

● القاريء: محمد نعيم الجاني، من كلية الفنون الجميلة، بجامعة دمشق، سوريا، بعث لوحة فنية، بعنوان: «لن يولد حي من خبر»، وهي مهداة إلى طفل فلسطيني رضع من ثدي أمه حجراً. واللوحة معبرة عن فرحته بدخول الانتفاضة الفلسطينية عامها الثالث.

● القاريء: سليمان فؤاد أحمد، من طرابلس، لبنان، بعث رسالة يعبر فيها عن صمود الشعب اللبناني البطل أمام كل أشكال الطائفية والدعوة إلى التقسيم، وهبوب رياح من الخارج، وخلق عدم التوازن. □

من المكتبة العربية

فاروق وسقوط الملكية في مصر
١٩٣٦ - ١٩٥٢

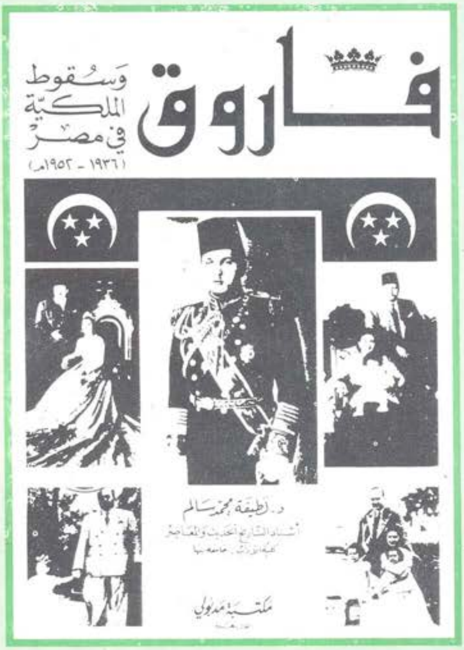
تأليف : الدكتورة لطيفة محمد سالم
عرض وتعليق : الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى

تاريخ فاروق ، ملك مصر الأسبق ، ينتمي إلى حقبة تاريخية قريبة بعيدة . قريبة لأنها سبقت الثورة المصرية التي فتحت الباب على مصراعيه أمام قوى جديدة ، ما زالت موجودة في الحكم بشكل أو بآخر ، وبعيدة لأنها تنتمي أساساً إلى عالم الحرب العالمية الثانية وما قبلها ، بكل ما تحتوي من نقاط مضيئة ومظلمة .

وهذه استعادة لهذا التاريخ من خلال عرض للكتاب التالي .

لم يكن عهد الملك فاروق ، حتى الآن ، موضعا للدراسة الجادة والموضوعية بمعنى الكلمة ، فخلال حكمه ألفت فيه القصائد ، ولحنت الأغاني ،في الوقت الذي أحيط فيه بتملق من بعض الكتاب الذين أثنوا عليه ثناء مبالغا فيه ، وإن قلب الكثيرون منهم له ظهر المجن بعد رحيله إلى خارج البلاد في عام ١٩٥٢ ، وحينئذ بولغ في وصف فساده وشذوذه ، واوتوقراطيته ، وتعرض حكم أسرة محمد علي برمته للنقد الشديد ، فألصقت به السلبيات ، وتجوهلت الايجابيات . وهذه الظاهرة تتكرر في البلدان الخاضعة للحكم الأوتوقراطي التي يطفو فيها المتملقون على السطح ، ويضطهد من يجرون وراء تحري الحقيقة ، مما يحجب الأحكام الموضوعية ، ويغلب النظرة الواحدة والنفاق ، ويطمس الحقائق ، ويوجه التاريخ لخدمة أهداف

الحكام وإرضائهم . ولعل الكتاب الذي نعرض له في طليعة المؤلفات المتوازنة التي لا تقصد إلا وجه الحقيقة ، فقد تتبعت المؤلفة شخصية الملك فاروق منذ ميلاده حتى خلعه ، وربطت ربطا موضوعيا بين صفاته وبين أهم أحداث مصر الداخلية ، وعلاقاتها الخارجية في عهده الذي وصفته بأنه « أخصب الفترات في تاريخ مصر » . وقد استنبطت عرضها وأحكامها من الوثائق البريطانية ، والمذكرات الشخصية ، ومحاضر جلسات « البرلمان » المصري ، والدوريات المصرية ، بالإضافة إلى المصادر العربية والأجنبية المتاحة . ولكنها لم توفق ، حين استبعدت المقابلات الشخصية ، على اعتبار أن أصحابها « ذوو رؤى معينة » ، وأن الأحداث تتداخل في ذاكرتهم ، مما يقلل من أهميتها . فمثل



● غلاف الكتاب

هذا المنحى يتضمن نوعا من المبالغة : فأيا كانت الأحكام التي يدلي بها المعاصرون للأحداث ، فإن من واجب المؤرخ أن يرجع إلى كل المصادر المتاحة ، وأن يطبق المنهج العلمي على المعلومات التي يحصل عليها ، ويخرج في النهاية بأحكامه وآرائه .

وعلى الرغم من أن الكثيرين ممن كتبوا مذكراتهم ، أو فتحوا صدورهم للمؤلفين ، يميلون عادة إلى عرض معلوماتهم من زاوية ميولهم الشخصية إلا أن هذه المعلومات قد لا تخلو من حقائق تفيد المؤرخ .

تتبعت المؤلفة شخصية فاروق منذ طفولته وشبابه المبكر ، خاصة أن التربويين والنفسانيين يتتبعون مفتاح الشخصية خلال السنوات الخمس الأولى ، وما قد يترسب خلالها من ميول وعقد وغير ذلك . فقد وكل أمر فاروق وهو طفل إلى مربية انجليزية ، كانت تقسو عليه ، وتعاقبه إن خالف أوامرها ، ومن ثم كانت مسؤوليتها عن عزله عن أنداده ، وهو الأتجاه الذي أيدهّ الملك فؤاد ، فلم يسمح له بمخالطة أنداده ، بل أحاطه بطائفة من الأتباع ، ومن ثم افتقاده صداقة الند للند ، واعتياده مجالسة الخدم الذين تسابقوا إلى إرضائه . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد وُضِعَ له برنامج تعليمي مكثف ، يمتد من الصباح الباكر إلى غروب الشمس ، وحين بلغ الخامسة عشرة أبدت الدوائر البريطانية ، صاحبة السلطة الحقيقية في البلاد ، رغبتها في أن يستكمل تعليمه في بريطانيا ، وبالتالي فإنه توجه في اكتوبر **١٩٣٥** إلى هناك ومعه بعض الرجال ، وعلى رأسهم أحمد حسنين ، ممن آلوا على أنفسهم أن يسترضوه ، ويلبوا رغباته ، حتى يسيطروا على مقاليد البلاد بعد وفاة الملك فؤاد الذي كانت أحواله الصحية تنذر بالخطر . وفي ابريل **١٩٣٦** توفي الملك



●الملك فاروق

فؤاد ، وعاد فاروق إلى مصر ولما يستكمل تعليمه بعد ، وجرت مراسم توليه الحكم .

صراع الوفد والقصر :

منذ البداية زينت له حاشيته أن يملك وأن يحكم ، ومعنى ذلك اشتراكهم في حكم البلاد ، على أساس أوتوقراطي ، بخاصة أن مصر لم تكن مهيأة حينئذ للحكم الديمقراطي الحقيقي ، بمعنى استئناف الصراع الذي بدأ في عهد والده بين بريطانيا تستغل هذا الصراع لخدمة مصالحها ، بمساندة هذا الطرف أو ذاك . وظل الصراع بين الوفد والقصر قائما حتى زوال النظام الملكي في مصر ، وعلى حين أن الوفد كان يحظى بمساندة أغلبية المصريين ، فإن الملك أحيط في بداية عهده بشعبية قل أن حظى بها أحد حكام البلاد السابقين ، وهي الشعبية التي تفنن مستشارو الملك ، وعلى رأسهم علي ماهر ومحمد مصطفى المراغي ، في اختلاق الوسائل التي تعززها ، وتحبب الشعب في الملك الشاب .

وكما واجه الملك مخططات حزب الوفد الذي اتجه إلى التضييق على سلطته ، فإنه واجه النفوذ البريطاني في الوقت الذي لاحت فيه نذر الحرب القصر وبين حزب الأغلبية (الوفد) الذي كان قادته يميلون إلى جعل الملك يملك ولا يحكم ، حتى وإن أدى الأمر إلى تنازله عن العرش أو عزله ، خاصة أن سير مايلز لامبسون ، سفير بريطانيا الذي لم يكن احتراما للملك ، وكان يشك في اتصال بعض رجال حاشيته بايطاليا الفاشستية ، كان لا يمانع في خلعه . وفي ديسمبر ١٩٣٧ أقال الملك الحكومة الوفدية ، وأزمع حرمان الوفد من العودة إلى الحكم ، مما جعل العالمية الثانية ، مما جعل حدود مصر الغربية تواجه الخطر الايطالي . فقد سعي لامبسون في بداية عهد فاروق إلى ابعاد النفوذ الايطالي عن مصر ، واحتواء الملك الذي ورث عن أبيه ميوله الايطالية التي صبغت القصر بالطابع الإيطالي ، ولما كان فاروق يتمسك بالايطاليين فقد خشيت بريطانيا أن تميل مصر إلى الحياد في حالة نشوب الحرب التي بدأت بالفعل في عام ١٩٣٩ ، ودخلتها ايطاليا إلى جانب ألمانيا في عام ١٩٤٠ ، ولم يرضخ علي ماهر ، أهم مستشاري الملك ، ورئيس الوزراء ، في بداية الحرب ، لطلب بريطانيا إعلان الحرب على ألمانيا ، فطبق شعار « تجنيب مصر ويلات الحرب » ، مما جعل

بريطانيا تبعده عن الحكم ، في الوقت الذي واصل فيه فاروق اتصالاته بألمانيا ، رغبة منه في المحافظة على عرشه في حالة خروجها منتصرة من الحرب . ولما كانت دوائر المعلومات البريطانية على ثقة من اتصاله بدولتي المحور ، فإنها هددته بالخلع في أوائل عام ١٩٤٢ ، في الوقت الذي كانت فيه القوات الألمانية - بقيادة روميل ، قد اقتربت من الاسكندرية - ما لم يكلف النحاس بتأليف الوزارة ، فكانت حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ التي فرض فيها الانجليز النحاس على الملك ، على اعتبار أنه رأس وفد المفاوضة الذي وقع معاهدة ١٩٣٦ ، وبالتالي كان من المتوقع أن ينفذ بنودها نصاً وروحاً .



● مصطفى النحاس

حرب فلسطين

وبعد انتصار الانجليز في العلمين وهي من المعارك الفاصلة في الحرب العالمية الثانية تقرب فاروق من الانجليز واستسلم لهم في ٤ فبراير ، وكان هدفه من ذلك ألا تساند بريطانيا النحاس بما يمكنه من خلعه ، وحين ابتعد الخطر المحوري عن مصر ، أقال الملك النحاس في عام ١٩٤٤ ، واستند في حكمه للبلاد على ما عرف باسم « أحزاب الأقلية » التي سعت إلى تعديل معاهدة ١٩٣٦ ، في الوقت الذي كانت فيه الحرب العالمية قد تمخضت عن مشاكل اجتماعية واقتصادية ، آلت إلى ازدياد السخط والمعارضة في البلاد ، سواء على الملك أو الحكومات المتعاقبة . ولكي يحول الملك الأنظار عن هذه المشاكل ، في الوقت الذي زين له فيه بعض المحيطين به أن يتزعم العرب والمسلمين ، زج بالجيش في حرب فلسطين في عام ١٩٤٨ ، ولم يوفق في تحقيق النصر الذي وعد العرب والمصريين به ، مما آذن باضطرابات لا حصر لها ، على أيدي التنظيمات الدينية والماركسية على حد سواء .

ولامتصاص السخط القائم سمح للوفد بأن يشكل آخر حكوماته في عام ١٩٥٠ ، بعد أن علمته التجارب أن بقاءه في الحكم رهن برضا الملك عن طريق الاستسلام له ، على غير العادة ، مما زعزع مكانة الحزب في نظر الجماهير المصرية التي لم تعد تكن للملك أي احترام ، في الوقت الذي اتضح فيه أن الحزب قد شاخ ودب فيه الفساد . ولكي يستعيد النحاس شعبية حزبه ، ويغطي على النقد أقدم في اكتوبر ١٩٥١ على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ ، مما أدى إلى نشوب القتال في منطقة القناة بين الانجليز والفدائيين المصريين . ولكي تواجه بريطانيا انقلاب الوفد ضدها سعت إلى الاعتماد على الملك ، فكان

حريق القاهرة في أوائل ١٩٥٢ الذي استغل في التخلص من حكومة الوفد ، وتخفيف حدة القتال في منطقة قناة السويس ، في الوقت الذي اتضح فيه أن الملك يود الاعتماد على الولايات المتحدة ، في التوصل إلى اتفاقية مع بريطانيا ، مما جعل السفير الأمريكي جيفرسون كافري يصبح هو المحرك للأحداث ، فأخذ يحث حكام مصر على القيام بالإصلاح الاجتماعي ، حتى لا تستغل الاتجاهات الراديكالية سوء الأوضاع ، خاصة أن الصحافة المحلية قد جاهرت بانتقاد الملك ، ونددت بالأسرة الحاكمة ، وبالنظام القائم .

الحرس الحديدي

حاول الملك أن يواجه كل ذلك بالاستناد إلى الجيش الذي أبدى بعض صغار ضباطه سخطهم على الزج بهم في حرب فلسطين ، دون استعداد أو خطط سليمة ، ورد الملك على ذلك بتشكيل « الحرس الحديدي » الذي استهدف التخلص من العناصر الساخطة ، وبخاصة بعد أن تكاثرت منشورات « الضباط الأحرار » الذين استطاعوا ، في يولية ١٩٥٢ ، أن يقضوا على النظام الملكي .

بينما تتناول المؤلفة الأحداث التي انتهت بسقوط الملكية ، نجدها تفرد فصلا خاصا عن حياة الملك الخاصة ، وشراهته للمال والنساء ، وهذا يدخل في نطاق تداخل تبويب الكتاب ، وسيطرة المادة على المؤلفة ، حتى لم تستطع تجنب الاستطراد الذي أدى إلى تضخم حجم الكتاب إلى ما يزيد عن ألف صفحة ، يمتلىء الكثير منها بالتفاصيل مما يجعله من الكتب المهمة عن الملك فاروق وعهده . □



مكتبة العربي
مختارات

اسم الكتاب: دراسات في الحضارة.
اسم المؤلف: د. لويس عوض.
الناشر: دار المستقبل العربي ـ القاهرة.
عدد الصفحات: ٢٩٠ من القطع الكبير
سنة النشر: ١٩٨٩م

كتاب جديد للمفكر الكبير د. لويس عوض، يقدم فيه بعض مقالاته التي تتناول قضايا مختلفة حول الحضارة العربية والمصرية والإنسانية، يثير فيها قضايا تاريخية وفلسفية عميقة، لكنه يقدم وجهة نظره ـ كالعهد به ـ وفق منهج علمي وأسلوب شيق، وينفتح على آفاق إنسانية رحبة.

وينقسم الكتاب إلى أربعة أبواب، خصص الباب الأول لمقالات وتأملات في المسألة القومية، والباب الثاني عن لقاءات حضارية، والباب الثالث خصص لمواجهات حضارية، والباب الأخير ضمنه مقالات «المحاورات الناقصة».



□□□

اسم الكتاب: الصمت مزرعة الظنون.
اسم المؤلف: يعقوب السبيعي.
الناشر: رابطة الأدباء في الكويت.
عدد الصفحات: ١٤٠ من القطع الصغير
سنة النشر: ١٩٨٩م



ديوان جديد للشاعر المبدع يعقوب السبيعي، يقدم فيه عشرين قصيدة جديدة، يحمل بعضها سمات القصيدة التقليدية وظواهرها، ولكن بعضها الآخر يدخل الحداثة من بوابة حمل هموم العصر، والتجديد في بعض التراكيب والصور. يقول في قصيدة «العطش الأسود»:

تقول: غداً، ويمر غدُ
يمر بلا غدها الأبد
كأن الزمان الذي ينتهي
إلى غدها قدر موصد
كأن الليالي خلت من غدٍ
وأفزعها العطش الأسود
أصيح بها: أين منا غد؟
يرد الصدى: أين منا غد؟

ولا تخلو قصائد الشاعر من بعض الصور الساخرة التي تحمل حساً نقدياً عالياً.

□□□

اسم الكتاب: حضور الإبداع
اسم المؤلف: الأب يوسف سعيد
الناشر: دار مصباح الفكر ـ بغداد
عدد الصفحات: ٢٤٨ من القطع الكبير
سنة النشر: ١٩٨٩م

دراسة نقدية لأعمال الشاعر العراقي الكبير حميد سعيد، يقدمها الناقد الكاتب الواعي الأب يوسف سعيد، حيث يقدم

الكاتب في كتابه دراسة ست مجموعات شعرية للشاعر، وقد ألزم الكاتب نفسه بإفراد جزء لكل مجموعة، وتناولها ككل بالدراسة، ثم عرض لكل قصيدة على حدة، فتناولها بالنقد والدراسة والتحليل، ليقدم في النهاية كتابا نقديا بالغ الأهمية لكل دارسي الشعر والنقد.

□□□

اسم الكتاب: قصص من الخيال العلمي
اسم المؤلف: رؤوف وصفي
الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
عدد الصفحات: ١١٩ من القطع المتوسط
سنة النشر: ١٩٨٩م



مجموعة قصصية من قصص الخيال العلمي، يمتزج فيها الخيال الأدبي بالخيال العلمي، ليحاول أن يقدم صورة فنية عن الحياة في عصر قادم، وفي عوالم غير التي نعرفها. يضم الكتاب ثماني قصص، يبدو بعضها بعيدا عن التصديق، وبعضها الآخر ممكناً في زمن القفزات العلمية التي نعيشها.

□□□

اسم الكتاب: فهرس مخطوطات الفلاحة - النبات - المياه والري
اسم المؤلف: د. محمد عيسى صالحية وعبدالله الفليح
الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت
عدد الصفحات: ٤٣٦ من القطع المتوسط
سنة النشر: ١٩٨٨م



فهرس جمع فيه صانعاه كل المعلومات المتعلقة بالكتب العربية التراثية المخطوطة في علوم: الفلاحة والنبات والمياه والري، عند العرب والمسلمين، عبر قرون نهضتهم وتصدرهم للعالم في الحضارة والإبداع في شتى العلوم.

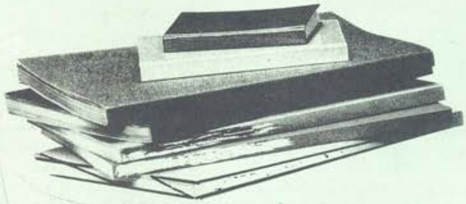
وقد حوى الكتاب بين دفتيه عناوين تلك الكتب المخطوطة وأسماء مؤلفيها وناسخيها، وتواريخ التأليف والنسخ، وأعداد أوراقها، وتوصيفات لحالاتها، وذكراً لأبوابها وفصولها، وتحديداً لأماكن وجودها في المكتبات التي تضم مخطوطات عربية في كل أقطار الأرض.

هذا الكتاب أول دليل علمي للباحثين حول الكتب المخطوطة في الفلاحة ووسائلها وأساليبها وأنواع الأراضي والسرقين، وفي النبات وأنواعه ومنافعه واستنباته وإكثار إنتاجه وتهجينه، وفي المياه وأنواعها ومصادرها وإصلاح الفاسد منها واستنباطها وحفظها صالحة للشرب أو للزراعة، وفي الري ووسائله من شق القنوات وتجهيز الأفلاج وطرق إسالة المياه ورفعها إلى الأماكن العالية وبناء السدود والأحواض للزراعة والحروب. □

لم لا تقول الشعر؟

● **قيل للخليل بن أحمد: لم لا تقول الشعر؟ أجاب: يأباني جيده وآبى رديئه.**

وقيل للمفضل بن سلمة: لم لا تقول الشعر، وأنت أعلم الناس به؟ فقال: علمي به ضيعني منه.



كتابُ الشهرْ



أصُول الصّهيونيَّة

تأليف : آلان بوابيه عرض وتحليل : الدكتور جليل العطية

لقد مضى الوقت الذي كانت فيه الصهيونية فوق النقد في الفكر الأوربي الغربي ، فأمام وحشية أداتها القمعية « اسرائيل » ، وصعود الأطراف الأكثر فاشية لتسلم زمام السلطة فيها ، بدأت تظهر بعض الدراسات التي تعيد البحث فيها كان يوما مسلمات بشأن هذه الحركة ، من وجهة نظر لا تخلو من نقد .

كتاب الشهر

على الرغم من وفرة الكتب التي تتناول الحركة الصهيونية ، تاريخها ، أهدافها ومطامعها ، فإن الكتب التي أعدت عنها من قبل مؤلفين أوربيين موضوعيين تظل أجدر بالمطالعة والاهتمام والتأمل .

و « أصول الصهيونية » أحد هذه الكتب المهمة ، فقد ألفه « آلان بواييه » ، وهو أستاذ جامعي بارز في فرنسة ، ونشرته دار الصحافة الجامعية ، إحدى دور النشر الفرنسية الرصينة ، وهي دار عرفت بالموضوعية والاتزان في ما تنشره وتوزعه ، ليس في فرنسة فحسب ، بل في أنحاء العالم .

تناول الكتاب « الأبعاد السياسية » للحركة الصهيونية ، وسلط الأضواء على جذورها ، ونشأتها ، وأبرز العاملين في سبيل بلورة أفكارها .

ولا بد من التذكير أن « الصهيونية » تعبير أطلقه الصحفي الألماني اليهودي « ناتان بيرنبوم » عام ١٨٩١ م ، ثم حدده في مؤتمر عام عقد في ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٢ ، ومنذ ذلك الوقت أخذ تعبير « الصهيونية » طريقه ، وانتشر عبر وسائل الإعلام المختلفة .

الجيتو :

عاش يهود أوربة في القرون الوسطى ، في ظل قانون استثنائي ، عرف باسم « قانون الأجانب » ، وهو قانون جعلهم متقوقعين في أحيائهم الضيقة المعروفة « بالجيتو » ، حيث كانوا معزولين فكرياً واقتصادياً عن المجتمعات الأوربية التي تحيط بهم ، وكانوا يمارسون في أحيائهم طقوسهم الغريبة ، وكأنهم وحدة اجتماعية مستقلة .

لقد استمرت هذه الحالة طوال قرون ، حتى اندلاع الثورة الفرنسية « ١٧٨٩ م » التي رفعت شعارات : المساواة والعدالة والحرية ، وغيرها من المبادىء التي هزت العالم حينذاك . تأثر اليهود بهذه المبادىء ، فطالبوا بتحطيم نظام « الأحياء اليهودية » الذي اشتهر باسم « الجيتو » ، فتم لهم ما أرادوا . غير أن غالبية اليهود الذين كانوا يسكنون في أوربة الشرقية بقوا على حالتهم ، وتعرض اليهود في روسية إلى مشكلات في أعقاب اغتيال الامبراطور الكسندر الثاني (١٨٨١ م) ، فبدأت موجة من الأعمال الانتقامية ضدهم ، وأدى ذلك إلى فرض قيود جديدة على يهود روسية الذين عاشوا في نوع خاص من « حارات اليهود » عرف باسم « رقعة الاستيطان » .

ويمكن القول بأن النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي شهد حصول يهود أوربة الغربية على نوع من الحرية ، بينما بقي يهود أوربة الشرقية يراوحون في جمودهم ، ولم يتم « تحررهم » إلاّ في العقد الثاني من القرن العشرين .

وبسبب الثورة الفرنسية وغيرها بدأت الظاهرة « القومية » تنتشر في أوربة ، وراح المفكرون القوميون يستحثون اليهود على الالتحاق بهم ، بعد أن تحطمت « الأحياء اليهودية » ، وأتاحوا المجال أمام اليهود للاندماج في المجتمعات الأوربية ، ولكن فور حدوث لقاء بين الجماعات اليهودية والمجتمعات الأوربية بدأت الفروقات العميقة بين الطرفين ، سواء على الصعيد اللغوي أو الاجتماعي أو الطبقي . وشاركت الحركات القومية الأوربية في تعميق هذه الخلافات بتأكيدها على قومياتها الخاصة ، وعدها الجماعات اليهودية في أوربة مجرد مجموعة من الدخلاء .

مؤتمر بال

وحين اكتشف « اليهود » أن قوى « التحرر » أعطت نتائج عكسية ، حيث تعمقت « اللاسامية » ، راحت تظهر في الجماعات اليهودية ردود فعل متعددة ، هدفها إيجاد حلول للقضية اليهودية .

وشارك عدد من المفكرين اليهود في بلورة الفكر الصهيوني ، ومن أبرز هؤلاء المنظرين : الحاخام زفي هيرش كاليشر ، وموسى هيس وليوبنسكر وثيودور هرتزل .

ولا شك أن هرتزل كان أنشط هؤلاء في بناء « الفكر الصهيوني » .

يرى المؤلف أن اليهود الغربيين كانوا وراء « البناء الأيديولوجي للصهيونية السياسية » ، بينما قدم لها اليهود الشرقيون « بعدها الروحي » .



ثيودور هرتزل

ومن خلال اللقاء التاريخي والجغرافي لهذين التيارين (الغربي والشرقي) تشكل الطرح الذي أدى إلى انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بال بسويسرة عام ١٨٩٧ م ، حيث تم وضع أسس بناء المنظمة الصهيونية العالمية .

في التاسع والعشرين من آب (أغسطس) ١٨٩٧ م افتتح ماركس ليبي المؤتمر ، حيث ناقش المؤتمرون قضايا مهمة ، منها البرنامج الصهيوني الذي عرف لاحقاً ببرنامج بال ، وإعلان قيام المنظمة الصهيونية العالمية . وفي ختام المؤتمر تم انتخاب مجلس عام يتكون من ثلاثة وعشرين عضواً .

هنا لا بد أن نلاحظ أن المؤتمر الصهيوني الأول تميز بمسألتين :

- الأولى : أنه تصرف وكأنه مؤتمر تأسيس ، وأنه أعطى الحياة لمنظمة أصبح هو نفسه جزءاً من جهازها التشريعي .
- الثانية : أن المشتركين في أعماله لم يكونوا مندوبين - شرعيين - حيث إنهم لم ينتخبوا من قبل يهود العالم ، وبالتالي فإنه لا يحق لهم النطق ، والتعبير عن مشاكل اليهود وطموحاتهم .

أدرك جميع زعماء الحركة الصهيونية ضرورة قيام تنظيم قوي مركزي مستمر ، غايته جمع شمل اليهود المؤمنين بالفكرة الصهيونية وأهدافها ، غير أن صعوبات جمة واجهت هؤلاء الزعماء ، منها صعوبات سياسية وأخرى جغرافية واقتصادية ، وهكذا .

على أن من جملة هذه الصعوبات مسألة غاية في التعقيد ، هي :

رفض كثير من اليهود أنفسهم للصهيونية ، وعلى الرغم من هذا سار زعماء المنظمة الصهيونية في تنفيذ ما اتفقوا عليه ، ففي عشية انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول كتب هرتزل :

« في بال وجدت الدولة اليهودية » .

وأضاف في مذكراته اليومية الخاصة ، حول

الموضوع نفسه :

« لو قلت ذلك اليوم بصوتٍ عالٍ لأثرت موجة من الضحك والسخرية . ربما سيحدث هذا بعد خمس سنوات ، لكنه بعد خمسين عاماً سيكون محتماً ، وسيعترف الجميع بذلك » .

شكل المؤتمر الصهيوني الأول أجهزة لتنظيم الحركة الصهيونية ، وتعرضت تلك الأجهزة للتغييرات والتعديلات ، حسب الظروف الخارجية والداخلية ، وبعد المؤتمر مباشرة أقيمت في كل بلد من بلدان أوربة منظمات فرعية ، تضم جماعات يهودية ، وشمل هذا أمريكة الشمالية والجنوبية والشرق الأوسط ، ومن ضمنه الأقطار العربية والدول الإسلامية .

وفي ١٨٩٨ م نشأت اتحادات صهيونية في الولايات المتحدة وكندة ، كما تأسست الاتحادات الصهيونية في بريطانية (١٨٩٩ م) .

مؤتمرات ومخططات

وفي آب (أغسطس) ١٨٩٨ م عقد المؤتمر الصهيوني الثاني الذي بلغ مجموع أعضائه أربعمائة عضو ، أي ضعف عدد المشاركين في المؤتمر الأول ، وبعد ذلك بعام واحد ، عقد المؤتمر الصهيوني الثالث ، وتميز بزيادة عدد المشاركين . وكان ذلك نتيجة لازدياد عدد أعضاء المنظمة الذين بلغت نسبة زيادتهم الثلث في روسية ، والربع في البلاد الأخرى ، مقارنة بعدد الأعضاء المشاركين في المؤتمر الثاني . وكان أهم قرار للمؤتمر الثالث تبني الأجهزة الدائمة للمنظمة التي حلت مكان الأجهزة المؤقتة .

وفي المؤتمر الصهيوني الرابع الذي عقد في آب (أغسطس) ١٩٠٠ م ، تبين أن عدد الجمعيات الصهيونية في بريطانية قد بلغ ٣٩ جمعية ، بينما لم يكن يتجاوز العشر . وفي الولايات المتحدة ارتفع العدد إلى ١٣٥ جمعية ، وهكذا زاد عدد الجمعيات الصهيونية نتيجة لنشاط اليهود المدروس .

وشهد المؤتمر الصهيوني الخامس الذي عقد عام ١٩٠١ م ، ظهور الحزب الصهيوني الأول الذي عرف باسم « الجناح الديمقراطي الصهيوني » .

واتخذ المؤتمر قرارات خطيرة لتنفيذ المخطط الصهيوني ، لعل أهمها :

- إنشاء الصندوق القومي اليهودي الذي عهد إليه (شراء) أرض فلسطين .

وعمل هرتزل على إقامة « بنك صهيوني » وأوضح أهمية ذلك المصرف في « استيطان فلسطين » ، وذلك في كتابه : « الدولة اليهودية » .

وقد شهد هذا المصرف (البنك) الذي أطلق عليه اسم « صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار » النور عمليا عام ١٩٠٠ م .

وعندما انعقد المؤتمر الصهيوني السادس (١٩٠٢ م) كان هذا المصرف الصهيوني قد حقق ربحاً مقداره ستة آلاف جنيه ، ثم تم إنشاء مصرف فرعي للصندوق في يافا بفلسطين ، برأسمال مقداره ٥٠ ألف دينار ، وقد حمل هذا المصرف اسم « البنك البريطاني - الفلسطيني » .

في هذا الوقت استفادت الحركة الصهيونية من مشاركة اليهود في الحركات الثقافية والاجتماعية والسياسية ، خاصة في القرن التاسع عشر ، وذلك إثر ابتعادهم عن « النزعات التقليدية » ، وبدأ العديد من مثقفي اليهود الابتعاد عن « الأرثوذكسية » التي بدت لهم مرتبطة إلى حد كبير بفكرة « الجيتو » .

كان « سبينوزا » المفكر الهولندي المرفوض من قبل السلطة الدينية اليهودية (الحاخامية)

يجسد المفكر الحر الذي يطالب بالحرية الفكرية ، ورفض الممارسات العتيقة لليهود ، وفي الوقت نفسه انخرط اليهود في المجتمعات الأوربية بشكل واسع .

إن تأكيد المؤلف على هذه المؤثرات الفكرية والفلسفية ، يهدف إلى اعتبار أن :

الصهيونية كمشروع سياسي حديث ، يأتي نتيجة التميز عن النزعة اليهودية التقليدية .

وبشكل آخر يؤكد المؤلف ، أن فكرة إقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين ، كانت فكرة سياسية غربية ، استخدمت الصهيونية الدينية والثقافية ورقة رابحة .

وفي ختام الكتاب يعقد المؤلف مقارنة بين « الحركة الصهيونية » و « حركة القومية العربية » ، فيقول :

« إذا كانت الحركة الصهيونية قد ظهرت متأخرة في أوربة ، فإن الحركة القومية العربية هي - على العكس - من أولى حركات التحرر في العالم الثالث » .

ويقرر « بواييه » أيضا ، أن اليهود ليسوا مالكين مقدراتهم بأنفسهم ، إنهم في كل مكان خاضعون لسلطات ليست يهودية ، غريبة عنهم ، إنهم مستغلون مادياً ، قلقون .

كذلك يوضح المؤلف الضغوط التي مارستها الصهيونية وتمارسها منظماتها على اليهود . إذ يتوجب على كل يهودي ، سبق أن أقر برنامج مؤتمر « بال » ، أن يدفع مبلغاً من المال بالعملة المحلية للبلد الذي يعيش فيه ، وقد شكل « التنظيم العالمي » للحركة الصهيونية مصدر قوتها الرئيس بين مختلف التيارات اليهودية ، على الرغم من أنها كانت « أقلية » في البداية .

وفي الختام يعترف المؤلف بأنه لم يعط الموضوع حقه في الدراسة ، إذ « لم تكن فلسطين حقيقة بمثابة أرض بدون شعب » ، بل « إن الحركة القومية العربية كانت قد بدأت تؤكد وجودها هناك » . □

إلى أن نلتقي

كأنهم في حياتهم نوارس

آخر ما يراه المسافر بحراً من موانيء الانطلاق ، ليس رؤوس البنايات العالية ، وليس رؤوس المنارات والفنارات ، أو حتى رؤوس الجبال العالية ، بل هو النورس . ذلك الطائر الذي اتخذ من البحر موطناً له ، وملعباً وملجأً ومجال حياة .

وأول ما يراه المسافر بحراً عندما يقترب من اليابسة ، ليس المنارات أو رؤوس الجبال ، بل هو النورس ، ذلك الطائر الذي يقترب في حجمه من طائر الحمام ، والذي لا يكل عن الطيران والتشاقي وركوب الموج . نعم ركوب الموج !

راقبت ذلك جيدا ذات مرة ، فرأيت أجساماً غريبة قد حطت على الموج ، لقد اقترن اللون الأبيض بزرقة البحر ، فاعتقدت لأول وهلة أنه لون الموج ورغوته البيضاء ، فاقتربت أكثر . فإذا هي صفوف من مئات النوارس بألوانها البيضاء ، الموشاة أجنحتها وأعرافها ببقع سوداء أو بنية ، قد حطت على سطح الموج ، وأخذ بعضها يفرد أجنحته ويغمسها بالماء ويرفرف ويتشاقى ، وبعضها كان ينقر بعض ما يطرحه الإنسان أو البحر من أكل وأعشاب وغيرها . . . كانت صفوف طويلة وكثيرة تفعل ذلك ، تعيش وتمضي ، وتتابع دورة حياتها على الرغم من عصف الموج وهيجانه أحياناً ، أو شدة الريح وتقلباتها أحياناً أخرى ، فأدركت حينئذٍ أنه حتى الموج المتقلب الهادر ، الغدار يمكن اتخاذه وطناً ! نعم وطناً ، فهل رأى أحدكم نورساً خارج محيط الموانيء والبحار !؟

وإذا ما كانت النوارس توجهها غرائزها للعيش واختيار هذا النوع من الحياة ، فإن الإنسان المبدع ، كان دائماً وأبداً ، ومنذ أن نشأت الحياة ، يملك قدرة اجتراح معجزات البقاء والاستمرار ، وتجنب كل ما يهدد حياته من أخطار الطبيعة ، أو الأخطار التي تخرج من بين يديه ، أو هي من نتاج عقله وملكاته نفسها ، التي وجهتها الأهواء والغرائز ونزعة التدمير وحب الذات المتوحدة .

وإذا ما كانت النوارس هي بشير المسافر أو الغريق أو التائه عند اقترابه من اليابسة ، واحتمالات نجاته وعودته إلى ممارسة دوره في الحياة ، فإن بعض الأفراد من بني البشر يمارسون دور النورس نفسه في الحياة تشبثاً بالوطن والمباديء ، وتبشيراً بالآتي والحياة الأفضل . □

سليمان الشيخ

من المسرح العالمي



سلسلة شهرية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت

بيركليس

تأليف : وليم شكسبير
ترجمة : د. عبدالواحد لؤلؤة
تقديم : ف. د. هونيكر

العدد ٢٤٧ أول أبريل ١٩٩٠



تكوين - للفنان الكويتي جاسم بوحمد